موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر

دلائل النبوة

لأبي نعيم الأصبهاني

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق

(ت ٤٣٠ هـ)





اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

يباع بسعر التكلفة

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

❶مختصرُ دلائل النبوة؛ لأبي نعيم الأصبهاني
صفحة رقم : 3

❷ مختصرُ السيرةِ النبوية؛ لابن هشام
ص رقم : 372

❸ مختصر غاية السُول في خصائص الرسول؛ لابن الملقن

❹ مختصر شمائل النبي للترمذي

❺ محمد رسول الله والحقوق والقيم؛ لأحمد المزيد
صفحة رقم : 629

❻ مختصر زاد المعاد في هدي خير العباد؛ لابن القيم
ص رقم : ص رقم : 902

❼ مختصر الشفا بتعريف حقوق المصطفى؛ للقاضي عياض
ص رقم : 1415

❽مختصر رياض الصالحين؛ للنووي
ص رقم 1656

إهداءُ إلى
مَنْ غايتُهُ مُرافقة
مُحمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي الجنَّةِ

موقع الموسوعة
https://goo.gl/iXqStn

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (1)

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر

دلائل النبوة

لأبي نعيم الأصبهاني

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق

(ت ٤٣٠ هـ)





اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

يباع بسعر التكلفة

مُختصر

دلائل النبوة

لأبي نُعيم الأصبهاني

ح أحمد بن عثمان المزيد، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المزيد، أحمد عثمان
موسوعة محمد رسول الله ﷺ الوقفية دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله. / أحمد عثمان المزيد.
الرياض، ١٤٣٨هـ
٦ مج
ردمك: ٨ - ٤٣٩٣ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٥ - ٤٣٩٤ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)
١- السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٨/٦٥٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٥٩٣
ردمك: ٨ - ٤٣٩٣ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٥ - ٤٣٩٤ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)

الطَّبعةُ الأولى
(١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

المجلدُ الأول

تُباعُ الموسوعة بسعر التكلفة بدعمٍ من المختصر ووالديه عثمان بن أحمد المزيد وحصة بنت حمد المزيد

مدار الوطن للنشر
هاتف: 00966 112313018 جوال: 00966 500996987
تطلب من جميع فروع مكتبة جرير

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ١

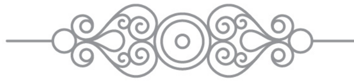
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر
دلائل النبوة

لأبي نعيم الأصبهاني

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق

(ت ٤٣٠ هـ)





اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

إِهْدَاءٌ إلى

مَنْ غَايَتُهُ مُرَافَقَة

مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فِي الجَنَّةِ



محتويات مقدمة موسوعة محمد رسول الله ﷺ الوقفية

أولا: توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ رسول الله ﷺ، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ:**

فإن مدارسةَ سيرةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ مِن شعائرِ هذا الدينِ، تعلَّمها سلفُنا الصالحُ كما تُتعلَّم السورةُ من القرآنِ، واهتدَى بها أهلُ خيرِ القرونِ، فسادوا العالـمَ علمًا وعملًا وأخلاقًا وهديًا.

وهذه كلمات موجزة بين يدَي سيرته ﷺ:

❶ محمد رسول الله ﷺ:

هو ﷺ أكرمُ البشريةِ، وأزكى الإنسانيةِ، اصطفاه الله مِن بني هاشم، فهو سيدُ ولدِ آدمَ، صلَّى بالأنبياءِ إمامًا ليلةَ الإسراءِ، وهو إمامُهم في الدنيا والآخرةِ، وخاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، وأولُ مَن ينشقُّ عنه القبرُ، وأولُ شافعٍ وأولُ مُشفَّعٍ، وحاملُ لواءِ الحمدِ يومَ القيامة؛ فالأنبياءُ كلُّهم تحتَ لوائِه، يشهدُ بالبلاغِ للأنبياءِ والمرسلين، وهو أولُ مَن يقرعُ بابَ الجنةِ، وأولُ مَن يدخلُ الجنةَ، له الشفاعةُ العُظْمَى، والحوضُ المورودُ، والمقامُ المحمودُ.

وهو ﷺ أكثرُ الأنبياءِ تبعًا يومَ القيامةِ، فضَّلَ الله أمتَه على جميعِ الأممِ، وأعطاهم في الدارَينِ أفضلَ النعمِ، أرسلَه الله إلى الجنِّ والإنسِ، والأحمرِ والأسودِ، وأحلَّ له الغنائمَ دونَ الأنبياءِ، وجعلَ له الأرضَ مسجدًا وطهورًا، ونصرَه سبحانه بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ، وشرَّفه بالإسراءِ والمعراجِ، وأعطاه الكوثرَ،

وآتاه جوامعَ الكلمِ، ونسخَ بشريعتِه جميعَ الشرائعِ، وأقسمَ تعالى في كتابِه بحياتِه ﷺ ولم يُقسِمْ بحياةِ أحدٍ سواه، ولم يخاطِبْه في القرآنِ باسمِه بل بألطفِ ما خاطبَ به الأنبياءَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، وحرَّمَ على الأمةِ نداءَه باسمِه، وفرَضَ على العالمِ طاعتَه، والتأسِّيَ به، وفرَضَ على مَن ناجاه أن يقدِّمَ بينَ يدَي نجواه صدقةً، ثم نسَخَ ذلك رحمةً بهم ورأفةً، ولم يُرِهِ في أمتِه شيئًا يسوؤه حتى قبضَه إليه، وتولَّى سبحانه الردَّ على أعدائِه، وقرَنَ اسمَه باسمِه.

وشَقَّ لَهُ مِن اسْمِهِ كي يُجِلَّهُ ** فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ[1]

جمَعَ له سبحانه بينَ المحبةِ والخُلَّةِ، فكلَّمَه سبحانه عندَ سدرةِ المنتهى، ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٥-١٧]، وجمَعَ الله له مما أوتيه الأنبياءُ مِن فضائلَ ومعجزاتٍ؛ فانشقَّ له القمرُ، وسلَّمَ عليه الحجرُ، وشَهِدَ له الشجرُ، وسبَّحَ الحصى في يدَيه، وحنَّ الجِذعُ إليه، ونبعَ مِن بين أصابعِه الماءُ.

زَكَّى ربُّه فؤادَه فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ولسانَه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾، وبصرَه: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾، وسمعَه: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾، وصدرَه: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾، وخُلُقَه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾، وعقلَه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾، ورفعَ له ذكرَه، وشرَحَ له صدرَه، فاللهُمَّ صلِّ عليه وعلى آله الأطهارِ، وأصحابِه الأخيارِ الأبرارِ، ما تعاقَبَ الليلُ والنهارُ، وسلِّمْ تسليمًا كثيرًا.

---

(١) ديوان حسان بن ثابت (١/ ٣٠٦).

❷ غاية بعثة محمد رسول الله ﷺ:

ومن أهمها:

١- تحقيقُ توحيدِ الله تعالى وإفرادُه بالعبادةِ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، قال الطبري (ت٣١٠هـ): «وما أرسلنا -يا محمدُ- مِن قَبلك مِن رسولٍ إلى أمةٍ من الأممِ إلا نُوحي إليه أنه لا معبودَ في السماواتِ والأرضِ تصلحُ العبادةُ له سواي، ﴿فَاعْبُدُونِ ﴾ يقول: فأخلِصوا لي العبادةَ، وأفرِدوا لي الألوهيةَ»[1].

٢- حفظُ الضروراتِ الخمسِ ورعايتُها: الدينِ، والنفسِ، والنسلِ، والعقلِ، والمالِ؛ فعليها تقومُ مصالحُ الدِّينِ والدُّنيا والنجاةُ والفلاحُ في الآخرة.

٣- قطعُ الحجةِ على الناسِ، لئلَّا يَعتذِروا يومَ القيامةِ بعدمِ بلوغِ دعوةِ الله تعالى إليهم، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

٤- تَتْمِيمُ مكارمِ الأخلاقِ: قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال ﷺ: «**إنما بُعثتُ لأتممَ صالحَ الأخلاقِ**»[2]، ورَبَطَ ﷺ بينَ كمالِ الإيمانِ وحسنِ الخلقِ، فقال: «**أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا**»[3].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه أحمد ١٤/ ٥١٢ (٨٩٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

❸ مصادر سيرة محمد رسول الله ﷺ:

١- **القرآنُ الكريمُ**: كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يدَيه ولا مِن خلفِه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، فحدَّثَنا القرآنُ عن ولادتِه ويُتْمِه وأميَّتِه، وعن دعوتِه وعداوةِ المشركين له، وغزواتِه، وبيَّن لنا شيئًا غيرَ قليلٍ مِن جميلِ أخلاقِه وعظيمِ فضائلِه...إلخ. وكذلك تفاسير القرآن الكريم.

٢- **كتبُ الحديثِ**: والحديثُ هو المصدرُ الثاني للتشريعِ؛ فقد حوَتْ كتبُه أقوالَ رسولِ الله ﷺ وأفعالَه وتقريراتِه وصفاتِه الخَلْقيةَ والخُلُقيةَ، وتناولَتْ طرفًا من سيرتِه ومغازِيه وبعوثِه.

٣- كتبُ دلائلِ النبوَّةِ، والمغازي والسير، والخصائصِ، والشمائلِ.

ثانيا: غاية موسوعة محمد رسول الله ﷺ

مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة

إن الله سبحانه قد أقرَّ أعينَ صحابةِ رسولِه ﷺ بصحبتِه في الدنيا، والتشرُّفِ برؤيتِه، وسماعِ كلامِه من فمِه الشريفِ ﷺ وخَصَّهم بذلك؛ فنالوا الرفعةَ في الدنيا والآخرةِ، ومِن سعةِ فضلِ الله وعميمِ رحمتِه أنْ جَعَلَ لِمَن لم يُرزَقْ هذه المنزلةَ في الدنيا سبيلًا لمرافقتِه ﷺ في جنانِ الخلدِ، وجَعَلَ لذلك أسبابًا ذكرَها حبيبُنا محمدٌ ﷺ -سيأتي تفصيلها- مَن حصَّلها وعَمِلَ بها نالَ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**.

وقد كان الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم يَحدُوهم ذلكم الطموحُ العالي، وتلك الرغبةُ المتوقدةُ، والشوقُ الدائمُ لمرافقةِ النبيِّ ﷺ في الجنةِ، فهذا ربيعةُ بنُ كعبٍ الأسلميُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كنتُ أبيتُ مع رسولِ الله ﷺ، فأتيتُه بوَضوئِه وحاجتِه، فقال لي: «**سَلْ**»، فقلتُ: أَسألُك مرافقتَك في الجنةِ، قال: «**أوغير ذلك**»؟ قلتُ: هو ذاك، قال: «**فأَعِنِّي على نفسِك بكثرةِ السجودِ**»[(١)].

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان قائمًا يُصلِّي، فلما بلَغَ رأسَ المائةِ مِن النساءِ، أَخَذَ يدعو، فقال رسولُ الله ﷺ: «**سَلْ تُعْطَه**»، ثلاثًا، فقال: اللهمَّ إني أسأَلُك إيمانًا لا يرتدُّ، ونعيمًا لا ينفدُ، ومرافقةَ محمدٍ ﷺ في أعلى جنةِ الخلدِ[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد ٧/ ٣٥٩ (٤٣٤٠).

وتحقيقًا لغايةِ الموسوعةِ: **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**؛ فقد راعيتُ أن تشملَ الآتي:

١- تعريفَ المسلمِ بشتَّى فنونِ السيرةِ: دلائلِ نبوتِه ﷺ، وسيرتِه، وخصائصِه، وشمائلِه، وهديِه، وحقوقِه، وقبسٍ من حديثِه، كلُّ أولئك في أسلوبٍ سهل، ولفظٍ موجزٍ، ومنهجٍ واضح المعالم بحول الله.

٢- تهيئةَ المسلمِ لاستشعارِ عظمةِ الله تعالى، وعظمةِ رسولِه ﷺ ومنزلتِه، فتمتلئُ القلوبُ بمحبتِه، وتتعلَّقُ النفوسُ برؤيتِه والشوقِ إليه ومرافقتِه، وتُسلِّمُ القلوبُ والجوارحُ بمتابعتِه والاقتداءِ به ﷺ، ونصرتِه والذبِّ عن دينِه وشريعتِه، والدعوةِ إلى هديِه وسنتِه ﷺ، والتخلُّقِ بأخلاقِه، ومعرفةِ حقوقِه ﷺ وأدائِها على أتمِّ الوجوهِ وأكملِها.

٣- شحذَ الهمَّةِ لبلوغِ أعلى الدرجاتِ في الدنيا: توكُّلًا على الله، وحسنَ ظنٍّ به سبحانه، وأنسًا بطاعتِه؛ ورضىً بقضائِه، وفي الآخرةِ: بنيلِ رفيعِ المنازلِ، وعظيمِ الدرجاتِ، والفوزِ العظيمِ بـ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**.

٤- تحصيلَ أسبابِ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**؛ بطاعةِ الله تعالى وطاعةِ نبيِّه ومتابعتِه، ومحبَّتِه، والمحافظةِ على الصلاةِ والمداومةِ عليها، وكثرةِ صلاةِ النافلةِ، والتخلُّقِ بأخلاقِه ﷺ، لاسيما خلقُ الرحمةِ والصدقِ والأمانةِ؛ وسبيلُ ذلك: التعرفُ على سيرتِه ﷺ بفنونِها الجامعةِ، وتمثُّلها تطبيقًا وواقعًا.

الأسباب المؤدية إلى مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة

بفضلِ الله تعالى وعظيمِ كرمِه تنوَّعَت الأسبابُ الموصلةُ لمرافقةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ في الجنةِ، ومِن أهمِّها:

أولا: طاعة الله تعالى وطاعة نبيه ﷺ ومتابعته:

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله إنَّك لأحبُّ إليَّ مِن نفسِي، وإنَّك لأحبُّ إليَّ مِن ولدي، وإنِّي لأكونُ في البيتِ؛ فأذكرُك؛ فما أصبرُ حتى آتيَ فأنظرُ إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتَك عرفتُ أنَّك إذا دخلتَ الجنةَ رُفِعتَ مع النبيينَ، وأنِّي إذا دخلتُ الجنةَ خشيتُ ألا أراكَ. فلم يَرُدَّ عليه النبيُّ ﷺ؛ حتى نزلَ جبريلُ بهذه الآيةِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩](١).

قال ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: مَن عَمِلَ بما أمرَه اللهُ ورسولُه، وترَكَ ما نهاه اللهُ عنه ورسولُه، فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُسْكِنُه دارَ كرامتِه، ويجعلُه مرافِقًا للأنبياءِ ثُم لمن بعدَهم في الرتبةِ»(٢).

وكيف تتأتَّى طاعةٌ أو متابعةٌ من غيرِ تعظيمٍ لله ولرسولِه ﷺ، وعلمٍ بما كان عليه النبيُّ ﷺ في أحوالِه وشؤونِه، وهديِه وأخلاقِه، ومعرفةٍ بحقوقِه ﷺ!

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ١٥٢ (٤٧٧)، وفي الصغير ١/ ٥٣ (٥٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٥٣).

وسبيلُ ذلك هو:

- تعظيمُ الله تعالى وتعظيمُ رسولِه ﷺ في النفوسِ بِمِثْلِ ما كان عليه صحابةُ رسولِ الله ﷺ من تعظيمٍ، تعظيمٌ تُعزِّزُه المعرفةُ والإيمانُ الراسخُ بدلائلِ نبوتِه وخصائصِه وشمائلِه ﷺ، وسموِّ منزلتِه ﷺ، تعظيمٌ تدعمُه دراسةُ سيرتِه ﷺ في حياتِه، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، كذا تعلُّمُ هديِه ﷺ في سائرِ جوانبِ الحياةِ: الاعتقاديةِ، والتعبديةِ، والاجتماعيةِ، والتربويةِ، والاقتصاديةِ، والإداريةِ، والصحيةِ.

- في السيرةِ النبويةِ تطبيقٌ حيٌّ لأصولِ الإيمانِ والعقيدةِ: بدءًا مِن الإيمانِ بالله تعالى، إلى الإيمانِ بملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليوم الآخرِ، والقدرِ خيرِه وشرِّه، وسائرِ الأعمالِ القلبيةِ من الإخلاصِ واليقينِ والتوكلِ والحبِّ والخوفِ... إلخ.

يقول ابنُ حزم (ت٤٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ سيرةَ محمدٍ ﷺ تَقتَضِي تصديقَه ضرورةً، وتشهَدُ له بأنَّه رسولُ الله ﷺ حقًّا، فلو لم تكن له معجزةٌ غيرَ سيرتِه لكفَى»[(١)].

- في السيرةِ النبويةِ علاجٌ لكثيرٍ من المشكلاتِ على مستوى الفردِ والمجتمع: ففيها علاجٌ لمشكلةِ الإرهابِ والتطرفِ والغلوِّ والجهلِ، وعلاجٌ للمشكلات الاجتماعيةِ: مِن عقوقٍ للوالدَينِ، وعنفٍ أسري، وتعدٍّ على حقوقِ المرأةِ، وفيها معالجاتٌ اقتصاديةٌ: للفقرِ، والإسرافِ، وهدرِ المواردِ، والبطالةِ والسرقةِ والغشِّ، وكذلك للقضايا الصحيةِ والأخلاقيةِ: كالمخدراتِ، والمسكراتِ، وما يتصلُ بهما... إلخ.

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم (ص٢٠).

ثانيًا: كثرة الصلاة والمداومة عليها:

عن ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أبيتُ مع رسولِ الله ﷺ، فأتيتُه بوَضوئِه وحاجتِه، فقال لي: «**سَلْ**»، فقلتُ: أَسألُك مرافقتَك في الجنةِ، قال: «**أوغيرَ ذلك**»؟ قلتُ: هو ذاك، قال: «**فأَعِنِّي على نفسِك بكثرةِ السجودِ**»[(١)].

إن أعظمَ ما فرضَ الله تعالى على المسلمِ بعدَ الشهادتَينِ: **الصلاةُ**، فالمداومةُ عليها والإكثارُ منها يَرتَقِي بالمسلمِ إلى أعلى جنانِ الخلدِ؛ حيث رفقةُ رسولِ الله ﷺ؛ يُصدِّقُ هذا قولُه ﷺ لثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**عليك بكثرةِ السجودِ لله؛ فإنَّك لن تسجدَ لله سجدةً إلا رفعَكَ الله بها درجةً، وحطَّ بها عنك خطيئةً**»[(٢)].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال لبلالٍ عندَ صلاةِ الفجرِ: «**يا بلالُ، حدِّثْني بأرَجى عملٍ عملتَه في الإسلامِ؛ فإني سمعتُ دَفَّ نعلَيْكَ بينَ يدي في الجنةِ**»، قال: ما عملتُ عملًا أرجى عندي: أنِّي لم أتطهَّرْ طَهُورًا، في ساعةِ ليلٍ أو نهارٍ، إلا صليتُ بذلك الطهورِ ما كُتِبَ لي أن أصلي[(٣)].

- إن سيرةَ رسولِنا ﷺ لترسمُ لنا تلك السعادةَ والطمأنينةَ التي كان يجدُها ﷺ في هذا الركنِ الأعظمِ من أركانِ الإسلامِ: «**قُمْ يا بلالُ، فأَرِحْنَا بالصلاةِ**»[(٤)]!
- إن معرفةَ هديِ النبيِّ ﷺ في عباداتِه -وعلى رأسِها الصلاةُ- لهو غايةٌ كبرى يتوصَّلُ بها المرءُ لهذه الدرجةِ الرفيعةِ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).
(٢) أخرجه مسلم (٤٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٨٦).

ولقد جاءَ كتابُ «**زاد المعاد في هدي خير العباد**» -ضمنَ كتبِ هذه الموسوعةِ- ليقدِّمَ أنموذجًا فريدًا في كيفيةِ تعبُّدِ النبيِّ ﷺ لربِّه، وشدةِ محبتِه للقيامِ بينَ يدي ربِّه؛ فيصُلِّي حتى تتورمَ قدماه ويقول: «**أفلا أكونُ عبدًا شكورًا**»[(١)]؟!

ثالثًا: محبة النبي ﷺ:

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا سألَ النبيَّ ﷺ عن الساعةِ، فقال: متى الساعةُ؟ قال: «**وماذا أعددتَ لها**»؟ قال: لا شيءَ، إلا أنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ، فقال: «**أنت مع مَن أحببتَ**»، قال أنسٌ: فما فرِحْنا بشيءٍ فَرَحَنا بقولِ النبيِّ ﷺ: «**أنت مع مَن أحببتَ**»، قال أنسٌ: فأنا أحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمرَ، وأرجو أن أكونَ معهم بحبِّي إياهم وإن لم أعمَلْ بمثلِ أعمالِهم[(٢)].

- معرفةُ سيرتِه ﷺ تزيدُ محبتَه وتوقيرَه وتعظيمَه في القلوبِ، محبةً يكتنفُها متابعتُه ونصرتُه والتمسكُ بهديِه، وقد قال ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه والناسِ أجمعينَ**»[(٣)].

- إن إبرازَ الخصائصِ الصحيحةِ والحقوقِ الواجبةِ للنبيِّ ﷺ سبيلٌ للمحبةِ الحقَّة، تلك التي ترتفعُ عن الجفاءِ وتنأَى عن الغلوِّ.

- الوقوفُ على شمائلِ النبيِّ ﷺ الشريفةِ وأخلاقِه الكريمةِ تزيدُ من محبة المؤمنين له ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

رابعًا: حسن الخلق:

عن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكم منِّي مجلسًا يومَ القيامة أَحاسِنَكم أخلاقًا**»(١).

هذا الحديثُ يُبْرِزُ أحدَ أعظم سببٍ للسعادةِ والنجاحِ، ويبينُ منزلةَ المتخلقِ بخلقِ سيدِ الأنامِ محمدٍ ﷺ الذي مدَحَ الله خُلُقَه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

- فمِن أخلاقِه ﷺ وقِيَمِه: تمامُ العبوديةِ لله تعالى، والإخلاصُ له، والصدقُ، والأمانةُ، والوفاءُ، والعفةُ، والبرُّ، والصلةُ، والرحمةُ، والحلمُ، والرفقُ، والعدلُ والإنصافُ، وأداءُ الحقوقِ، والتسامحُ، والتواضعُ، والحياءُ، والشجاعةُ، والكرمُ، والمبادرةُ، والنصحُ، والتشاورُ، والإحسانُ، والإتقانُ ... إلخ.

فالتخلُّقُ بهذه الأخلاقِ النبويةِ هو أفضلُ وسيلةٍ لإبرازِ الصورةِ المشرقةِ للإسلامِ، وتحسينِ صورةِ المسلمين في العالمِ، وسبيلٌ إلى تقدمِهم وعلاجِ مشكلاتِهم.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨).

خامسًا: كفالة اليتيم، وتربية البنات:

عن سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ هكذا**» وأشار بالسبَّابةِ والوسطى وفرَّجَ بينهما شيئًا[(١)].

وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن عَالَ جاريتَينِ حتى تَبلُغَا جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهو**» وضمَّ أصابعَه[(٢)].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حقَّ الضعيفَينِ: اليتيمِ، والمرأةِ**»[(٣)].

فهذه الأحاديثُ وغيرُها تؤكدُ ما كان عليه رسولُ الله ﷺ من خُلقٍ كريمٍ ورعايةٍ لِمثْل أولئك الضعفاءِ خاصةً اليتيمَ والمرأةَ، فمن رَعاهما وقامَ بحقوقِهما نالَ المنزلةَ التي نسعى لبلوغها: **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**.

فأموالُ اليتامَى والنساءِ وحفظُها وصيانتُها، والدفاعُ عنها والائتمانُ عليها، من خُلقِ المسلمِ وقيمِه.

- يجدُ المسلمُ في سيرةِ رسولِ الله ﷺ هذه القيمَ وتلك الأخلاقَ التي بها سادَتْ الأمةُ الأرضَ، وقامَتْ عليها دولةُ الإسلامِ، وشُيِّدَتْ عليها حضارتُه الراقيةُ في مناحيها الاجتماعيةِ، والإداريةِ، والاقتصاديةِ، وفي ارتقائِها بالإنسانِ فكرًا وعلمًا، وإنتاجًا وإبداعًا؛ فالسيرةُ ديوانُ الحضارةِ في أبهَى صورِها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤)، ومسلم (٢٩٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨).

سادسًا: التاجر الصدوق الأمين:

عن أبي سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**التاجرُ الصدوقُ الأمينُ مع النبيِّينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ**»[(١)].

- ففي الجانبِ الاقتصاديِّ والاستثماريِّ وعَدَ النبيُّ ﷺ التاجرَ الصدوقَ الأمينَ وبشَّرَه ببلوغِ معيةِ النبيِّينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ في الجنةِ؛ لما لهذين الخُلُقَينِ من أهميةٍ في حفظِ الاقتصادِ وتنميتِه؛ وقد بلَغَ الرسولُ ﷺ الكمالَ والغايةَ فيهما، وقد لقبَّه أهلُ مكةَ قبلَ بعثتِه بالصادقِ الأمينِ ﷺ، فمَن تحرَّى الكمالَ في هاتَينِ الصفتَينِ نالَ هذه الدرجةَ الرفيعةَ.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٢٠٩)، وابن ماجه (٢١٣٩).

ثالثا: التعريف بموسوعة محمد رسول الله ﷺ

تمتازُ هذه الموسوعةُ -التي استغرَقَ العملُ فيها نحوًا مِن عامينِ- بجمعِها لأهمِّ علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونها في وعاءٍ واحدٍ، وانتقاءِ أفضلِ ما كتبَه أئمةُ سلفِنا الصالحِ وعلماؤهم في كل فنٍّ مِن فنونِها، مما لقيَ شهرةً وقبولًا لدى الأمةِ، وقد قمتُ باختصارِ هذه الكتبِ وتهذيبِها، نسأل الله الإخلاص والقبول.

وكان منهجي في اختصارِ كتبِ هذه الموسوعةِ أن تكونَ على أفضلِ الطبعاتِ المعتمدةِ لكلِّ كتابٍ، مع حذفِ الضعيفِ وما دونَه، والاستطراداتِ، وما أغنَى عنه غيرُه، أو كان مكرَّرًا سبقَ ذكرُه، وكذلك أسانيدُ الأحاديثِ إلا الصحابيَّ أو مَن دونَه مما يحتاجُ الكلامُ إليه، وقد حافظتُ على لفظِ المصنفِ وترتيبِه، فإن زدتُ في عنواناته شيئًا وضعتُه بين معقوفَينِ، وكذا ما كان مِن طبعةٍ أخرى غيرِ التي اعتمدتُها.

وكان هدفي مِن هذا المنهجِ تقريبَ سيرة النبي ﷺ وتيسيرَها؛ لنتعلَّمَ جميعًا علومَها وفنونَها من كتبِ علماءِ سلفِنا الصالحِ الأصيلةِ، لنحقِّقَ الاقتداءَ به ﷺ في عقيدتِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه؛ فنسعدُ في الدنيا ونفوزُ بالآخرةِ.

وقد اقتصرتُ في الحاشيةِ على التخريجِ الموجزِ للأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ والآثارِ، وبيانِ غريبِ ألفاظها.

وقد جاءَ هذا الإصدارُ الأوَّلُ مِن «**موسوعة محمد رسول الله ﷺ**» جامعًا لستةِ علومٍ مِن علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في ستةِ مجلداتٍ، عبرَ اختصارِ ثمانيةِ كتبٍ، وهي على النحو التالي:

المجلد الأول: ١- في علم الدلائل [كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت٤٣٠هـ)]

المجلد الثاني: ٢- في علم السيرة النبوية [كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام (ت٢١٨هـ)]

المجلد الثالث: ٣- في علم الخصائص [كتاب «غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن(ت٨٠٤هـ)]

٤- في علم الشمائل، وفيه ثلاثة كتب، هي:

- [كتاب «شمائل النبي ﷺ» للترمذي (ت٢٧٩هـ)]

- [كتاب «محمد رسول الله ﷺ والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر» لـ أ.د. أحمد المزيد]

المجلد الرابع: - [كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)]

المجلد الخامس: ٥- في علم حقوق النبي ﷺ: [كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)]

المجلد السادس: ٦- في علم الحديث النبوي الشريف: [كتاب «رياض الصالحين» للنووي (ت٦٧٦هـ)]

المجلد الأول

في علم دلائل النبوة

تعريفُه:

هو العلمُ الذي يهتمُّ بالعلاماتِ والبراهينِ والآياتِ المستلزمةِ لصدقِ النبيِّ ﷺ، سواءٌ أكانت على وجهِ التحدي أم ابتداءً، ومِن مرادفاتِه: آياتُ النبوَّةِ، أماراتُ النبوَّةِ، علاماتُ النبوَّةِ.

أهميته:

ترجعُ أهميةُ هذا العلم إلى كونِه قائمًا على استقراءِ أحوالِ النبيِّ ﷺ، وتتبُّع براهينِ صدقِ نبوتِه ورسالتِه وأدلتِها، وإيراد ما يدعمُ منصبَ النبوةِ، ويقوِّي دعواها، ومِن ثَمَّ ضرورةُ الإيمانِ به ﷺ وتصديقُه، وطاعتُه واتباعُه.

ثمراته:

مِن ثمراتِ هذا العلمِ مشاهدةُ رحمةِ الله تعالى بعبادِه بما أظهَرَ لهم مِن علاماتِ النبوَّةِ ودلائلِها؛ ليقطعَ الأعذارَ عنهم، ولتنتَفِي شبهةُ كلِّ معاندٍ ومستريبٍ، وليكونَ ذلك مرغِّبًا لهم إلى الطاعةِ، وكذلك من الثمراتِ: الوقوفُ على المرتبةِ العليةِ والمنزلةِ الرفيعةِ للنبيِّ ﷺ، وتأييدِ ربِّه له ﷺ، ونصرتِه له وتمكينِه بشتَّى أنواعِ الأدلةِ والبراهينِ، وزيادةُ إيمانِ الذين آمنوا، وتثبيتُهم، وتمكينُ الإيمانِ مِن قلوبِهم.

ترجمة الحافظ أبي نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ موسَى بنِ مهرانَ، الأصبهانيُّ، وكنيتُه: أبو نُعَيْم.

تاريخ مولده:

وُلِدَ أبو نعيم في شهرِ رجبٍ سنة (٣٣٦هـ).

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الحافظُ أبو نُعَيْم في بيئةٍ كثُر فيها العلماءُ والأجلاءُ؛ مما كان له الأثرُ البالغُ في شخصيتِه، فقد كان أبوه مِن علماءِ المحدِّثينَ والرحَّالين، فاستجاز له جماعةً مِن كبارِ المُسْنِدين، وقد بدأ أبو نعيم طلبَ العلمِ بالسماعِ على المشايخِ، وكان أولُ سماعٍ له وعمرُه ثماني سنوات[(١)].

قال الذهبي: «وتهيَّأ له من لُقِيِّ الكبارِ ما لم يقَعْ لحافظٍ»[(٢)].

مكانته العلمية:

إن مكانةَ الحافظِ أبي نعيم العلميةَ جعلَتْ طلابَ العلم يَفِدون إليه مِن كلِّ الدنيا؛ فقد كان حافظًا مبرزًا عالي الإسناد، تفرَّدَ في الدنيا بشيءٍ كثيرٍ مِن العوالي،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٢٣٧).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١٩٥).

وهاجَرَ إلى لقيه الحفاظُ، ووقَفَ أهلُ الحديثِ على بابِه، قال الخطيب البغدادي: «لم أرَ أحدًا أُطلِقَ عليه اسمُ الحافظِ غيرَ أبي نعيم، وأبي حازم العبدوي»[١].

وقال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ مردويه: «كان أبو نعيم في وقتِه مَرحولًا إليه، لم يكن في أفقٍ مِن الآفاقِ أحدٌ أحفظَ منه، ولا أسندَ منه، كان حفاظُ الدنيا قد اجتمعوا عندَه وكلَّ يومٍ نوبةُ واحدٍ منهم يقرأُ ما يريدُ إلى قريبِ الظهرِ، فإذا قام إلى دارِه ربما كان يُقرأُ عليه في الطريقِ جزءٌ، وكان لا يضجرُ»[٢].

مصنفاته:

تَرَكَ أبو نعيم عددًا كبيرًا من المصنفاتِ، منها: دلائل النبوة، والمستخرج على الصحيحين، وتاريخ أصبهان، وصفة الجنة، وصفة النفاق، وفضائل الصحابة، وغيرها.

وفاته:

تُوفِّيَ الحافظُ أبو نعيم في العشرينَ من المحرمِ سنة (٤٣٠هـ)، وله أربعٌ وتسعون سنة[٣].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١٩٥).
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٩٦).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٤٦٢).

التعريف بكتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)

أهميته:

يعتبر كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) من أوسع وأقدم ما صُنِّفَ في هذا الفن؛ لكون مصنِّفِه يروي أحاديثه بالأسانيد العالية إلى رسول الله ﷺ، وفيه من الأسانيد والرجال والجرح والتعديل أو التصحيح والتعليل ما لا يوجد في غيره، كما عُنِيَ مصنِّفُه بذكر الفروق بين الروايات، والإشارةِ كثيرًا إلى المتابعات والشواهد، والتعليق بتعليقات مفيدة هي في أغلبها استنباط للدلائل النبوية، وأحيانًا شرح الغريب.

كما أن هذا الكتاب يعدُّ مرجعًا مهمًّا لمن كتب في دلائل النبوة أو السيرة عمومًا، وفي أحاديثه ما يمكن الاستشهاد به في فنون وأبواب أخرى في الشريعة، وقد أفاد منه الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في تفسيره وقال: هو كتاب جليل[(١)]، كما نقل منه ابن تيمية في بعض كتبه، وابن حجر في فتح الباري[(٢)].

ترتيبه ومنهجه:

افتتَحَ المؤلفُ كتابَه ببيانِ سببِ تأليفِه لكتابِه، فقال: «فقد سَأَلْتم جمعَ المنتشرِ مِن الرواياتِ في النبوَّةِ ودلائلِها والمعجزةِ وحقائقِها وخصائصِ المبعوثِ محمدٍ ﷺ، فاستعنتُ بالله»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٤).
(٢) انظر: مقدمة دلائل النبوة لأبي نعيم، تحقيق د. عبد الرحمن الرنيني (ص٩-١١).
(٣) (ص٧٥).

ثم مهَّدَ بمقدماتٍ عن النبوَّةِ والوحيِ والرُّسلِ ومراتبِهم.

ثم بيَّنَ منهجَه في كتابِه فقال: «وقصَدْنا جمعَ ما نحن بسبيلِه، ونَجتَبِيه مِن جمعِ المنتشرِ مِن الآثارِ والصحيح والمشهورِ مِن مرويِّ الأخبارِ، ورتَّبْناه ترتيبَ مَن تقدَّمَنا مِن رواةِ الآثارِ والعلماءِ والفقهاءِ، وجعَلْنا ذلك فصولًا ذكرناها ليسهلَ على المتحفظِ أنواعُه وأقسامُه؛ فيكونُ أجمعَ لفهمِه وأقربَ مِن ذهنِه»[(١)].

ثم ذَكَرَ خمسةً وثلاثين فصلًا، افتتَحها بذكرِ فضائلِه ﷺ وما خصَّه الله تعالى به دونَ سائرِ الأنبياءِ، وخَتَمَها بخبرَينِ يشتملانِ على جملٍ مِن صفاتِه ﷺ وأخلاقِه الحميدةِ.

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصر على نسخةٍ كاملةٍ محققةٍ لكتابِ «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهانيِّ، حُقِّقت في ثماني رسائلِ علميةٍ بجامعة أمِّ القرى[(٢)].

---

(١) ص(٧٧).

(٢) ١- تحقيق د. عبد الرحمن الرنيني
٢- د. حافظ عبد الحكيم
٣- د. فاطمة الزويهري
٤- د. عادل اللحيدان
٥- د. سميحة بشاوري
٦- د. عبد الله الشهراني
٧- د. إندونيسيا بنت حسون
٨- د. جعفر الشيبي

المجلد الثاني

في علم السيرة النبوية

تعريفه:

يُعنى علمُ السيرة النبوية بذكرِ وقائعِ حياةِ النبيِّ ﷺ مِن مولدِه إلى وفاتِه.

أهميته:

سيرةُ محمدٍ رسولِ الله ﷺ هي تطبيقٌ لكتابِ الله تعالى وسنتِه ﷺ، فهي سجلٌ حافلٌ لكل تفاصيلِ حياتِه ﷺ: عقيدةً، وعبادةً، ومعاملةً، وأخلاقًا، سلمًا وحربًا، دعوةً وجهادًا، يسرًا وعسرًا، في بيته، وبين أصحابه ومع أعدائه، فيه الأسوةُ الحسنةُ لمن رام سياسةَ قومِه أو قام على شؤونِ بيتِه، صلَّى الله على صاحبِ هذه السيرةِ الشريفةِ، وآلِه وصحبِه وسلَّم.

ثمراته:

يقدِّمُ عِلْمُ السيرةِ للبشريةِ جمعاءَ نموذجًا يُحتذَى به في مكارمِ الأخلاقِ، ومظاهرِ الكمالِ الإنسانيِّ، ويقدِّمُ للمسلمِ الأسوةَ والقدوةَ التامةَ في حياتِه، والذي أُمِرنا بمحبتِه ﷺ فوقَ محبتِنا لأنفسِنا وأولادِنا والناسِ أجمعين، ويُوقِفنا على دعوةِ رسولِ الله محمدٍ ﷺ ومراحلِها وفقهِها، وتمثُّلِها في الحياةِ المعاصرةِ، ومِن معينِها نستقي الدروسَ التربويةَ النبويَّةَ في تعاملِه ﷺ مع صحابتِه خاصةً، والناسِ عامةً.

التعريف بكتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٨هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ «السيرة النبوية» لابن هشام مختصرًا لكتابِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يسار (ت١٥٠هـ)، ويعتبرُ كتابُ ابنِ إسحاق مِن أهمِّ وأولِ الكتبِ المؤلَّفةِ في السيرةِ النبويةِ، ومؤلفُه إمامُ هذا الفنِّ بلا منازع، إلا أن كتابَه لم يصِلْنا كاملًا حتى الآن، وقد وُجِدَ مِن الكتابِ قطعةٌ، حققَّها د. محمد حميد الله، بعنوانِ: «المبتدأ والمبعث والمغازي»، وطُبعت بتحقيق آخر للدكتور: سهيل زكار، بعنوانِ «السيرة النبوية لابن إسحاق برواية يونس بن بكير».

وقد تلقَّى أهلُ العلمِ كتابَ ابنِ إسحاقَ بالقبولِ والثناءِ، فقال ابنُ شهابٍ (ت١٢٤هـ) -وقد سُئِلَ عن مغازي ابنِ إسحاق-: هذا أعلمُ الناسِ، يعني ابنَ إسحاق[١].

وقال الشافعيُّ (ت٢٠٤هـ): مَن أرادَ أن يتبحَّرَ في المغازي فهو عيالٌ على محمدِ بنِ إسحاق[٢].

وقال ابنُ سعد (ت١٦٨هـ): كان ابنُ إسحاق أولَ مَن جمَعَ مغازي رسولِ الله ﷺ وألَّفَها[٣].

---

(١) تهذيب الكمال للمزي(٢٤/ ٤١٣).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٥٠).

(٣) السابق (٢٨/ ٤٣٦).

وقال ابنُ عدي (ت٣٦٥هـ): ولو لم يكن لابنِ إسحاق مِن الفضلِ إلا أنه صرَفَ الملوكَ عن كتبٍ لا يحصلُ منها شيءٌ، فصَرَفَ أشغالَهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله ﷺ ومبتدأِ الخلق ومبعثِ النبي ﷺ، فهذه فضيلةٌ لابن إسحاقَ سبَقَ بها، ثم بعدَه صنَّفه قومٌ آخرون ولم يَبلغوا مبلغَ ابنِ إسحاقَ فيه(١).

وقال الذهبيُّ (ت٧٤٨هـ): قد كان في المغازي علامةً(٢).

وقد قام ابنُ هشام البصريُّ (ت٢١٨هـ) باختصارِ ما يتعلَّق بالنبيِّ ﷺ من كتابِ ابنِ إسحاقَ مهذَّبًا ومنقِّحًا ومضيفًا إليه، وسمَّاه: «السيرة النبوية»؛ فحفظ بذلك جزءًا مهمًّا مِن كتابِ ابنِ إسحاقَ المفقودِ.

وقد تلقَّى العلماءُ كتابَ ابنِ هشام بالحفاوةِ والإيثارِ، فتناولوه قرنًا بعدَ قرنٍ بالشرحِ والاختصارِ والتعليقِ والحواشي، ومِن أهمِّ هذه الأعمالِ:

- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ).

- المواهب اللدُنِّيَّة بالمنح المحمدية، للعلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي المصري (ت ٩٢٣هـ).

- وقد اختصَرَ الإمامُ الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهاب (ت:١٢٠٦هـ) كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام في كتابه: «مختصر سيرة الرسول ﷺ».

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٧/ ٢٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٣٧).

ترتيبه ومنهجه:

يذكر ابنُ هشام في مقدمةِ كتابِه معالمَ منهجِه حيث يقولُ: «وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتابَ بذكرِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، ومَن وَلَدَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن ولدِه، وأولادِهم لأصلابِهم، الأولَ فالأولَ، مِن إسماعيلَ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما يعرِضُ مِن حديثِهم، وتاركٌ ذكرَ غيرِهم مِن ولدِ إسماعيلَ، على هذه الجهةِ للاختصارِ، إلى حديثِ سيرةِ رسولِ الله ﷺ، وتاركٌ بعضَ ما ذكرَه ابنُ إسحاقَ في هذا الكتابِ، ممَّا ليس لرسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه ذكرٌ، ولا نزَلَ فيه مِن القرآنِ شيءٌ، وليس سببًا لشيءٍ مِن هذا الكتابِ، ولا تفسيرًا له، ولا شاهدًا عليه؛ لما ذكرتُ مِن الاختصارِ، وأشعارًا ذكرَها لم أرَ أحدًا مِن أهلِ العلم بالشعرِ يَعرِفها، وأشياءَ بعضها يَشْنُعُ الحديثُ به، وبعضٌ يَسُوءُ بعضَ الناسِ ذكرُه، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البكائيُّ بروايتِه، ومستقصٍ -إن شاء الله تعالى- ما سِوَى ذلك منه بمبلغِ الروايةِ له، والعلمِ به»[(١)].

قلتُ: وقد راعيتُ في اختصارِ «**السيرة النبوية**» لابنِ هشام: الإيجازَ غيرَ المخلِّ، فحذَفْتُ ما لا يتعلَّقُ بسيرةِ النبيِّ ﷺ ولا يؤثرُ على السياقِ العام، كإسلامِ بعضِ الصحابةِ، وتتبعَه للأعلامِ وحصرَهم، وكذا لم أذكُرْ مِن الغزواتِ والسرايا إلا أهمَّها وأجلَّها.

---

(١) مختصر السيرة النبوية لابن هشام بهذه الموسوعة، المجلد الثاني، (ص١٩).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

طُبِعَ كتابُ ابنِ هشامٍ عدةَ طبعاتٍ، مِن أهمِّها: طبعة مكتبة الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، وقد اعتمدوا على أربع مطبوعات: مطبوعة بولاق (١٢٥٩هـ)، ومطبوعة ألمانيا (١٢٧٦هـ)، ومطبوعة المطبعة الخيرية بمصر (١٣٢٩هـ)، ومطبوعة المكتبة الجمالية بمصر (١٣٣٢هـ)، كما اعتمدوا على أربع نسخ خطية محفوظة بدار الكتب المصرية، إحداها كاملة، وهذه الطبعة هي التي اعتمدنا عليها في هذا المختصر.

المجلد الثالث

في علم الخصائص النبوية

تعريفه:

ما اختُصَّ به النبيُّ ﷺ دونَ غيرِه. وقد تنوَّعت تقسيماتُ العلماءِ للخصائصِ النبويةِ: فقد قَسَّمَها ابنُ الملقن إلى أربعةِ أقسامٍ[١]:

١- الواجبات: كمشاورةِ ذوي الأحلامِ في الأمورِ.

٢- المحرمات: كإمساكِ مَن كرهَتْ نكاحَه ورغِبَتْ عنه ﷺ.

٣- المباحات: كالوصالِ في الصومِ.

٤- الفضائل: كتحريمِ أزواجِه اللاتي تُوفِّي عنهن على غيرِه أبدًا.

أهميته:

يعتبر «علم الخصائص» فرعًا أصيلًا من علومِ السيرةِ النبويةِ المطهرةِ، وعلى الرغمِ مِن كونِ خصائصِه ﷺ مبثوثةً في الكتبِ الحدِيثيةِ والفقهيةِ، إلا أن هذا العلمَ يجمعُ لك ما تفرَّق في بطونِ الكتبِ مِن خصائصِه ﷺ.

---

(١) انظر مختصر غاية السُّول لابن الملقن بهذه الموسوعة، المجلد الثالث (ص١٧).

ثمراته:

مِن ثمراتِ معرفةِ هذا العلمِ: معرفةُ المنزلةِ الشريفةِ للنبيِّ ﷺ، وما اختصَّه الله به مِن خصائصَ وفضائلَ عن أمتِه، وعن باقي الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، والعلمُ بما اختُصَّ به النبيُّ ﷺ من أحكامٍ؛ ككونه لا يُورثُ ﷺ وغير ذلك، ومَن ثَم عدمُ التأسِّي به ﷺ في هذه الأحكامِ.

ومِن الثمراتِ أيضًا: التعرفُ على الصحيح من خصائصِه ﷺ؛ حتى نحذرَ الغلوَّ في نبينا محمدٍ ﷺ أو الجفاءَ عنه، وطريقُ ذلك التزامُ الشرع دونَ إفراطٍ أو تفريطٍ، فلا يجوزُ إثباتُ خصائصَ للرسولِ ﷺ بالأقيسةِ التي تُناطُ بها الأحكامُ العامةُ في الناسِ، ولكن الوجهُ ما جاءَ به الشرعُ من غيرِ ابتغاءِ مزيدٍ عليه[١].

(١) انظر: نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني (١٢/ ١١).

التعريف بكتاب غاية السُّول في خصائص الرسول لابن الملقن (٨٠٤هـ)

أهميته:

تبرزُ قيمةُ كتابِ «غاية السُّول» مِن مكانةِ مؤلفِه في إجادةِ التصنيفِ، وإمامتِه، وكثرةِ مواردِه التي استقَى منها مادةَ الكتابِ، والتزام مؤلِّفه في مطلع كتابِه أنه لا تثبتُ خصوصيةٌ إلا بدليلِ صحيح، وتحرِّيه الصوابَ كثيرًا في وضع المسائلِ، وتجنبِ الأخبارِ الواهيةِ، بل عندَ ذكرِه لبعضِها فإنه ينبِّه على بطلانِها وعدمِ صحتِها، وقد عالَجَ ذلك كلَّه في عبارةٍ سهلةٍ، وأسلوبٍ واضحٍ يسيرٍ.

تقسيمه:

افتَتَحَ المصنفُ كتابَه بذكرِ أولِ مَن ألَّف في هذا الفنِّ، ثم ذكَرَ الخلافَ في جوازِ الكلام على الخصائصِ، وقد قسَّمَ خصائصَ النبيِّ ﷺ إلى أربعةِ أنواعٍ: واجباتٍ، ومحرماتٍ، ومباحاتٍ، وفضائلَ.

وتحت كلِّ قسم يُورِدُ مسائلَ، تُعبِّرُ كلُّ مسألةٍ - غالبًا - عن خصيصةٍ له ﷺ، فأورَدَ في القسم الأولِ (٢٠) مسألة، وفي الثاني (١٤) مسألة، وفي الثالثِ (٣٣) مسألة، وفي الرابع (٤٥) مسألة، وكثيرًا ما يذكرُ في ختامِ المسألةِ فروعًا وتنبيهاتٍ وفوائدَ، وله فيه مِن النظرِ الثاقبِ والترجيحاتِ دررٌ.

قلتُ: وقد حذفتُ مِن الخصائصِ ما لم يَثبُتْ بحديثٍ صحيح أو حسنٍ، وكذا المناقشاتُ واختلافاتُ المذاهبِ، والاستطرادُ في ذكرِ الوجوهِ والأدلةِ، مع الحرصِ على إتباع الخصيصةِ بدليلِها إذا ذكَرَه.

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

طُبع كتابُ «غاية السُّول» سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، بدار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله بحر الدين، وهو في الأصلِ رسالةُ ماجستير مقدمة للجامعةِ الإسلاميةِ بالمدينةِ المنورةِ سنة ١٤٠٠هـ، وقد اعتمد محققُه على أربع نسخ خطية، وقد اعتمدنا على هذه الطبعةِ في مختصرنا هذا.

في علم الشمائل النبوية

تعريفه:

هو علمٌ يختصُّ بذكرِ صفاتِ النبيِّ ﷺ الخَلقيةِ والخُلقيةِ وما يتصلُ بهما مِن أحوالِ النبيِّ ﷺ.

أهميته:

يمتازُ علمُ الشمائلِ النبويةِ بجمعِه ما تفرَّق مِن شمائلِ النبيِّ ﷺ، كذلك قصرُه لمباحثِه على ذاتِ النبيِّ ﷺ، ودورانُ مسائلِه حولَه ﷺ فقط، دونَ أن يختلطَ بذلك شيءٌ مِن وقائعِ سيرتِه أو سيرةِ صحابتِه مثلًا.

ثمراته:

ومن ثمراتِ معرفةِ هذا العلمِ: الاقتداءُ بشمائلِه الشريفةِ، والتأسِّي به ﷺ في هديِه، سواءٌ في عباداتِه أو معاملاتِه أو أخلاقِه، والاقتداءُ بمنهجِه العمليِّ في الدعوةِ إلى الله تعالى بحسنِ الخلقِ.

يقول ابنُ القيم (ت٧٥١هـ): «وإذا كانَتْ سعادةُ العبدِ في الدارين معلقةً بهدي النبيِّ ﷺ فيجبُ على كلِّ مَن نصَحَ نفسَه وأحبَّ نجاتَها وسعادتَها أن يعرفَ من هديِه وسيرتِه وشأنِه ما يخرجُ به عن الجاهلين به، ويدخلُ به في عدادِ أتباعِه وشيعتِه وحزبِه، والناسُ في هذا بين مستقلٍّ ومستكثرٍ ومحرومٍ، والفضلُ بيدِ الله يُؤتيه مَن يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيمِ»[(١)].

---

(١) مختصر زاد المعاد لابن القيم بهذه الموسوعة، المجلد الرابع (ص١٩).

التعريف بكتاب شمائل النبي ﷺ للترمذي (ت ٢٧٩هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ الشمائلِ للترمذيِّ (ت٢٧٩هـ) مِن أوائلِ ما صُنِّفَ في شمائلِ النبيِّ ﷺ، يزيدُه أهميةً كونُه روايةً محضةً على طريقةِ أهلِ الحديثِ في التصنيفِ؛ فأوجَزَ في غيرِ إخلالٍ، وأتى على المقصودِ بأقصر عبارةٍ.

وعلى الرغم مِن قلةِ تعليقِه على الأحاديثِ في الشمائلِ مقارنةً بجامعِه، إلا أنه لا يخلو مِن بيانِ غريبٍ، أو حكمٍ على حديثٍ، أو كلامٍ في راوٍ، إلى غيرِ ذلك من الفوائدِ التي عُرِفَ بها الترمذيُّ في تعليقاتِه على كتبِه الحديثيةِ.

ترتيبه:

تميَّزَ كتابُ الشمائلِ بحسنِ ترتيبِه وتبويبِه، فقد قُسِّمَ إلى ستة وخمسين بابًا، وبلَغَ إجمالي أحاديثِه (٤١٥) حديثًا، ولكلِّ بابٍ ترجمةٌ تفي بمقصودِه وتحيطُ بأحاديثِه.

ثناء العلماء عليه:

تلقَّى علماءُ الأمةِ كتابَ الشمائل بالقبولِ والثناءِ، حتى جعلوه إمامًا في هذا البابِ.

قال ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ): «قد صنَّفَ الناسُ في هذا قديمًا وحديثًا كتبًا كثيرةً، مفردةً وغيرَ مفردةٍ، ومِن أحسنِ مَن جمَعَ في ذلك فأجادَ وأفادَ الإمامُ أبو

عيسى الترمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أفرَدَ في هذا المعنى كتابَه المشهورَ بـ«الشمائل»، ولنا به سماعٌ متصلٌ إليه»[(١)].

وقال المناوي (ت١٠٣١هـ): «فإن كتابَ الشمائلِ في علم الروايةِ وعلم الدرايةِ للإمام الترمذيِّ كتابٌ وحيدٌ في بابِه، فريدٌ في ترتيبِه واستيعابه، لم يأتِ له أحدٌ بمماثلِ ولا بمشابهٍ، سلَكَ فيه منهاجًا بديعًا، ورصَّعَه بعيونِ الأخبارِ وفنونِ الآثارِ ترصيعًا، حتى عُدَّ ذلك الكتابُ مِن المواهبِ وطار في المشارقِ والمغاربِ»[(٢)].

وقال الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ): «ومِن أحسنِ ما صُنِّفَ في شمائلِه وأخلاقِه ﷺ كتابُ الترمذيِّ «المختصر الجامع» في سيرِه على الوجهِ الأتمِّ، بحيث إن مطالعَ هذا الكتابِ كأنه يُطالعُ طلعةَ ذلك الجنابِ ويرى محاسنَه الشريفةَ في كلِّ بابٍ»[(٣)].

كما احتفَى العلماءُ والمصنِّفون بكتابِ الشمائل للترمذيِّ أيَّما حفاوةٍ، وتنوعَّتْ حركةُ النشاطِ العلميِّ التي أثارَها هذا الكتابُ، فمن شرحٍ واختصارٍ وتعليقٍ وتحشيةٍ، إلى نظمٍ وترجمةٍ وتهذيبٍ وأحوالِ رواةٍ:

فمِن أهمِّ شروحِه:

١- أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ).

٢- جمع الوسائل في شرح الشمائل، للملا علي القاري (١٠١٤هـ).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٣٨٥).
(٢) شرحه على الشمائل بهامش جمع الوسائل (ص١).
(٣) جمع الوسائل للملا علي القاري (١/ ٢).

ومِن أشهرِ مختصراتِه:

- مختصر الشمائل المحمدية، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ).

ومن منظوماتِه:

١- عذبة المناهل نظم الشمائل المحمدية ، لشرف الدين بن المهلل (ت قبل ١٠٠٧هـ).

٢- نظم الشمائل المحمدية والسيرة المصطفوية، لعبد الحفيظ بن الحسن العلوي (ت١٣٥٦هـ).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصرِ على طبعةِ (دار الغرب الإسلامي)، تحقيق ماهر ياسين الفحل، سنة ٢٠٠٠م، وقد جمَعَ ثماني نسخ خطية، محفوظة بمكتبة الأوقاف ببغداد، كما قابَلَ طبعتَه على جامعِ الترمذيِّ، والأسانيدَ على تحفةِ الأشراف، وبعضِ الطبعاتِ الأخرى.

التعريف بكتاب محمد رسول الله والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر، لـ أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أهميته:

لا شكَّ أننا نحن المسلمين مطالَبون بتعريفِ شعوبِ العالمِ برسولِ الله محمدٍ ﷺ وما قدَّمه مِن خيرٍ للبشريةِ؛ فقد أقامَها على المسارِ الصحيحِ، ونقَلَها إلى الطريقِ القويمِ والفطرةِ المستقيمةِ، وأحدَثَ تغييرًا شاملًا على المستوى الديني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، أكَّده العديدُ مِن كبارِ الكتابِ والمؤرخين الغربيين.

وإن أفضلَ وسيلةٍ للتعريفِ بنبيِّنا محمدٍ ﷺ هو التعريفُ به مِن خلالِ أقوالِه وأفعالِه ومواقفِه، وما أحدثَتْه من آثارٍ في العالم كلِّه، فتلك هي في الحقيقةِ سيرتُه وشخصيتُه ودعوتُه، «فمِن ثمارِهم تَعرِفونهم».

وهذا ما قصدتُ بيانَه في هذا الكتابِ[(١)]؛ حيث عمدتُ إلى جمعِ بعضِ أقوالِ النبيِّ ﷺ في كثيرٍ مِن الموضوعاتِ التي يحتاجها العالمُ المعاصرُ؛ ليتجلَّى للقارئِ حاجةُ البشريةِ لتطبيقِ هذه الأقوالِ في عالمِ الواقعِ؛ لما تعودُ به مِن خيرٍ على الفردِ والمجتمعِ والدولةِ، وهذا ما دعا إليه جميعُ الأنبياءِ والمرسلين.

---

(١) وقد ترجم هذا الكتاب لأهم اللغات العالمية، منها: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها من اللغات.

ومِن خلالِ مشاركاتي العلميةِ لتعزيزِ مكانةِ الأنبياءِ والتعريفِ برسولِ الله محمدٍ ﷺ في بريطانيا والنمسا وألمانيا والدانمارك والسويد وغيرها، جاء هذا الكتابُ، الذي استغرق تأليفُه ثلاثةَ أعوامٍ.

وقد بدأتُ الكتابةَ فيه بالتأكيدِ على أن الإيمانَ بجميع الأنبياءِ وتعظيمَهم وتوقيرَهم -عليهم الصلاة والسلام- جزءٌ من عقيدةِ المسلم، إذ لا يعدُّ المرءُ مسلمًا إلا بالإيمانِ بجميع أنبياءِ الله تعالى ورسلِه، ورسولُ الله محمدٌ ﷺ قد بيَّنَ أن الأنبياءَ إخوةٌ، عقيدتُهم واحدةٌ وهي عقيدةُ التوحيدِ، وشرائعُهم متنوعةٌ.

ترتيبه:

قسمتُ الكتابَ إلى تمهيدٍ وأربعةِ أقسام:

القسم الأول: وأشرتُ فيه إلى جملةٍ مِن الحقوقِ التي ذكرَها رسولُ الله محمد ﷺ، كحقوقِ الإنسانِ، وحقوقِ المرأةِ والطفلِ، والآباءِ والأبناء، وذوي الاحتياجاتِ الخاصةِ والمسنِّين، والخدمِ والرقيقِ، والضيفِ، واليتيمِ، والجارِ، وغير ذلك.

القسم الثاني: ذكرتُ فيه بعضَ أقوالِه ﷺ في القيمِ والأخلاقِ والفضائلِ: كالعدلِ، والرحمةِ، والحلمِ، والأمانةِ، والشجاعةِ، والتواضع، والوفاءِ، والأمنِ، والوسطيةِ والتوازنِ، وتحملِ المسؤوليةِ، والرقابةِ الذاتيةِ، واحترام النفسِ الإنسانيةِ، وحسنِ الخُلقِ، والصداقةِ والحبِّ، والعملِ التطوعيِّ، ودفعِ الظلمِ ومقاومتِه، وروحِ الدعابةِ، وغير ذلك.

القسم الثالث: ذكرتُ فيه بعضًا مِن أقوالِه ﷺ في التحذيرِ مِن مساوئِ الأخلاقِ والأفعالِ: كالقتلِ، والغدرِ، والغضبِ، وترويع الناسِ، والخيانةِ، والإفسادِ بينَ الناسِ، والتجسسِ، وسوءِ الظنِّ، والرشوةِ، والمظهريةِ الجوفاءِ، والكسلِ، والانتحارِ، والظلمِ والاعتداءِ، وغير ذلك.

القسم الرابع: ذكرتُ فيه العديدَ مِن أقوالِه ﷺ في علاج المشكلاتِ المعاصرةِ: كمشكلةِ الإرهابِ، والعنفِ الأسري، والفراغ الروحيِّ، والقلقِ والاكتئابِ، والمسكراتِ، والجنسِ، والمخدراتِ، والفقرِ، ومشكلةِ البيئةِ، وغير ذلك.

وقد اشتمل هذا الكتابُ على أكثر من (٧٢) موضوعًا، و (٤٠٠) قولٍ لرسولِ الله محمد ﷺ.

منهجه:

١- قمتُ باختيارِ أهمِّ الموضوعاتِ التي يحتاجُها عالمُنا المعاصرُ، وقسمتُها على الأقسامِ الأربعةِ السابقةِ.

٢- ذكرتُ الصحيحَ مِن أقوالِ رسولِ الله محمدٍ ﷺ في كلِّ موضوعٍ مع تعليقٍ مختصرٍ عليها.

ولنْ يتحققَ المقصودُ مِن هذا الكتابِ إلا أنْ نشتركَ جميعًا في التعرُّفِ على سيرةِ رسولِنا محمدٍ ﷺ، وعلى سنتهِ المباركةِ، فنعملَ بها، وندعوَ البشريةَ إليها بأفعالِنا قبلَ أقوالِنا، فهذه أعظمُ وسيلةٍ للتعريفِ برسولِ الله محمدٍ ﷺ، ونصرتهِ النصرةَ الحقَّةَ الواجبةَ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

المجلد الرابع

في الهدي النبوي

الهدي النبوي وأهميته: هو سيرةُ المصطفى ﷺ، وما سنَّه لنا مِن الأقوالِ والأفعالِ، وهو لا ينفكُّ عمَّا مضَى ذكرُه من علمِ الشمائلِ النبويةِ، فلا شكَّ أن الأعمالَ الجليلةَ ثمرةُ الأخلاقِ والخلالِ والشمائلِ الكريمةِ.

ومَن ثَم تأتي أهميةُ معرفةِ ودراسةِ الهدي النبوي وطريقتِه ﷺ العمليةِ التي بيَّن فيها شرعَ الله تعالى مِن أولِ ما نزَلَ عليه الوحيُ، إلى أن توفاه الله.

ومن فضلِ الله سبحانه أن الهديَ النبويَّ يتجلَّى للمسلمِ في كل شأنٍ مِن شؤونِ حياتِه ﷺ، حتى إنك لتجدُ في هديِه ﷺ صفةَ قيامِه وجلوسِه ونهوضِه من نومِه، وهيئتَه في ضحكِه، وعبادتَه في ليلِه ونهارِه ، وكيف يفعلُ إذا اغتسَلَ وإذا أكَلَ وإذا شربَ، وماذا كان يلبسُ، وماذا كان يحبُّ مِن الألوانِ، وماذا كان يركبُ... إلخ.

وما مِن ريبٍ أن معايشةَ حياةِ النبيِّ ﷺ بكل تفاصيلِها على هذا النحوِ ليعينُ على الاقتداءِ به ﷺ، وتطبيقِ هديِه تطبيقًا عمليًا كما طبَّقه الجيلُ الأولُ الذي تربَّى على عينِه ﷺ ؛ فنشروا الإسلامَ بسلوكِهم وأخلاقِهم قبل أقوالِهم.

التعريف بكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (ت٧٥١هـ)

أهميته:

أولَى ابنُ القيمِ في كتابِه «زاد المعاد في هدي خير العباد» جانبَ هديِ النبيِّ ﷺ في عباداتِه القسمَ الأكبرَ والأهميةَ البالغةَ، وزاد إلى ذلك جانبَ معاملاتِه ﷺ، مقسِّمًا كليهما العباداتِ والمعاملاتِ حسبَ التقسيمِ الفقهيِّ.

كما تميَّزَ الكتابُ بسهولةِ عبارتِه وجزالتِها، وجمالِ لغتِه وأساليبِه وتنوعِها، فتارةً يسوقُ ابنُ القيم الكلامَ مرسلًا، وتارةً يقصُّه كأحسن قاصٍّ، وتارةً يذكرُه بدليلِه وبرهانِه، وتارةً باختصارٍ وإيجازٍ وعباراتٍ جامعةٍ لكثيرٍ مِن المباحثِ رغمَ حجمِ الكتابِ الكبيرِ نسبيًّا.

فمِن ذلك: قولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسابَقَ رَسولُ الله ﷺ بنَفْسه على الأَقدام وصارَع، وخصَف نَعْلَه بيَدِه، ورقَع ثَوبَه بيَدِه، ورفَع دَلْوه وحلَبَ شاتَه وفلَى ثَوْبه وخدَم أَهْله ونَفْسه، وحمَلَ معهم اللبِنَ في بِناء المَسجِد، وربَط على بَطْنه الحجَرَ من الجوعِ تارةً وشبِعَ تارةً، وأَضاف وأُضيف، واحتَجَم في وسَط رَأْسه وعلى ظَهْر قدَمه، واحتَجَم في الأَخْدعين والكاهِل وهو ما بين الكَتِفين، وتَداوَى وكَوَى ولم يَكتوِ، ورَقَى ولم يَسترَقِ، وحمَى المَريض ممَّا يُؤذِيه»[(١)].

كذلك اشتمَلَ الكتابُ على فوائدَ ونكتٍ ولطائفَ لا يخلو منها بابٌ ولا فصلٌ، فضلًا عن ترجيحاتِه واختياراتِه، وتلمُّسِه لحِكَمِ الشريعةِ وعللِ أحكامِها.

---

(١) مختصر زاد المعاد لابن القيم بهذه الموسوعة، المجلد الرابع (ص٥٤).

قال ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ): كتابُ زاد المعاد في هدى خير العباد» أربعُ مجلداتٍ، وهو كتابٌ عظيمٌ جدًّا[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): كلُّ تصانيفِه مرغوبٌ فيها بينَ الطوائفِ[(٢)].

وقال السخاوي (ت٩٠٢هـ): ولابن القيم كتاب «الهدي النبوي» لا نظير له[(٣)].

ترتيبه ومنهجه:

بدأ ابنُ القيمِ كتابَه بمقدماتٍ بيَّنَ فيها وجوبَ متابعةِ الرسولِ ﷺ، وتعلُّقَ السعادةِ في الدارين باتباعِه ﷺ، ثم تكلَّم على تفرُّدِ الله بالخلقِ والاختيارِ من المخلوقاتِ، واضطرارِ العبادِ إلى معرفتِه ﷺ.

ثم استفتَحَ كتابَه ببيانِ نسبِ النبي ﷺ، وختانِه، وأمهاتِه، وحواضنِه، فمبعثِه ودعوتِه ومراحلِها، وأسمائِه ومعانيها، والهجرتين.

ثم تكلَّمَ عن أولادِه ﷺ، وأعمامِه، وأزواجِه ومواليه، وخدامِه، وكُتُبِه، ومؤذنيه، وأمرائِه، وحرسِه، وشعرائِه، وحُداتِه.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٥/ ١٧٥).
(٢) الدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ١٣٩).
(٣) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي (٣/ ١٢٥٤).

ثم غزواتِه ﷺ وبعوثِه وسراياه، وسلاحِه وأثاثِه، ودوابِّه، وملابسِه، وطعامِه، ونكاحِه ﷺ، ونومِه، وركوبِه.

ثم ذكَرَ فصلًا عن اتخاذِه ﷺ الغنمَ والرقيقَ، وعقودِه، ومصارعتِه، ومعاملتِه، ومشيه، وجلوسِه، وقضاءِ حاجتِه، وهديِه ﷺ في سننِ الفطرةِ، وكلامِه وسكوتِه، وضحكِهِ وبكائِه، وخطبتِه.

ثم عقَدَ فصولًا مطولةً في هديِه ﷺ في العباداتِ: الوضوءِ، والصلاةِ، والزكاةِ، والصيامِ، والحجِّ والعمرةِ، والهدايا والضحايا، والأذكارِ والأدعيةِ، والجهادِ.

ثم تحدَّث عن هديِه ﷺ في الطبِّ الذي تطببَ به ووصفَه لغيرِه، ثم ختَمَ بفصولٍ عن هديِه ﷺ في الأقضيةِ والأنكحةِ والبيوعِ.

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصر على طبعة دار الوفاء، المنصورة، مصر، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠٠١م، تحقيق: أنور الباز، وقد اعتمَدَ على ست نسخ خطية، إحداهن كاملة وهي المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط.

المجلد الخامس

في علم حقوق النبي ﷺ

أهميته:

إن حقوقَ النبيِّ ﷺ على أمتِه لهي في جملتِها الأصلُ الثاني من أصلَي الدين، كما يدل عليه قولُنا: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله**»؛ ولذا ينبغي على المسلمِ أن يحيطَ بتلك الحقوقِ معرفةً، ويلتزم بها اعتقادًا وقولًا وعملاً، فذلك عقدٌ من عقودِ الإيمانِ.

وهذه الحقوقُ منها ما يتصلُ بجانبِ الرسالةِ التي بُعِثَ بها ﷺ، ومنها ما يتعلَّقُ بشخصِ رسول الله ﷺ تفضيلًا وتكريمًا مِن الله له.

وحقوقُ النبيِّ ﷺ على أمتِه كثيرةٌ، فمنها: الإيمانُ الصادقُ به ﷺ قولًا وفعلًا، وتصديقُه في كلِّ ما جاءَ به ﷺ، ووجوبُ طاعتِه، والحذرُ مِن مخالفتِه ﷺ، ووجوبُ التحاكمِ إليه والرِّضَى بحكمِه، وإنزالُه منزلتَه ﷺ بلا غلوٍ ولا تقصيرٍ، واتخاذُه قدوةً وأُسْوةً في جميعِ الأمورِ، ومحبتُه أكثرَ مِن النفسِ والأهلِ والمالِ والولدِ والناسِ أجمعين، وتوقيرُه، ونصرتُه، والذبُّ عن شريعتِه وسنتِه، والصلاةُ عليه... إلخ.

التعريف بكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ الشفا بتعريفِ حقوقِ المصطفى للقاضي عياضٍ مِن أوائلِ المصنفات التي تناولت حقوقَ النبيِّ ﷺ وأفردتها بمصنفٍ، وقد تميز بحسنِ ترتيبِه وتقسيمِه وجمال عرضِه، وبهاءِ لغته وفصاحتها.

«وكتابُ الشفا أجمعُ وأجلُّ مصنفٍ يبحثُ في شرفِ المصطفى ﷺ وقدرِه العظيم ومنصبِه الجليلِ، يتناولُ ذلك من جوانبَ فقهيةٍ أصوليةٍ عقديةٍ، بأسلوبٍ بليغ، وبيانٍ بديع، وحججٍ قويةٍ، وبراهينَ ساطعةٍ، مؤيدةً بالدليلِ مِن قرآنٍ وسنةٍ وأقوالِ السلفِ والأئمةِ.

والغايةُ مِن هذا الكتابِ ليس إقناعَ جاحدٍ، ولا قهرَ معاندٍ، وإنما ليكونَ منجاةً لأعمالِ المسلمين، وزيادةً في إيمانِ المؤمنين، ومحبةً في سيدِ المرسلين، وقد أبان المصنفُ عن هذه الغايةِ في أولِ البابِ الرابعِ مِن القسمِ الأولِ»[(١)].

ترتيبه ومنهجه:

يقولُ القاضي عياض في مقدمةِ كتابِه، معرِّفًا بترتيبِه ومنهجِه: «حصرتُ الكلامَ فيه في أربعة أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: في تعظيمِ العليِّ الأعلى لقدرِ هذا النبيِّ ﷺ قولًا وفعلًا.

---

(١) مقدمة الشفا للقاضي عياض، تحقيق عبده كوشك (ص٨ بتصرف يسير).

القسمُ الثاني: فيما يجبُ على الأنامِ مِن حقوقِه ﷺ.

القسمُ الثالثُ: فيما يستحيلُ في حقِّه ﷺ، وما يجوزُ عليه، وما يمتنعُ ويصحُّ مِن الأمورِ البشريةِ أن يُضافَ إليه.

وهذا القسمُ -أكرمَك الله تعالى- هو سرُّ الكتابِ، ولبابُ ثمرةِ هذه الأبوابِ، وما قبلَه له كالقواعدِ والتمهيداتِ والدلائلِ على ما نوردُه فيه مِن النكتِ البيناتِ، وهو الحاكمُ على ما بعدَه، والمنجزُ من غرضِ هذا التأليفِ وعدَه.

القسمُ الرابعُ: في تصرُّفِ وجوهِ الأحكامِ على مَن تنقَّصَه أو سبَّه ﷺ»[١].

اهتمام العلماء به وثناؤهم عليه:

وقد نال كتابُ الشفا للقاضي عياض حظًّا وافرًا مِن اهتمامِ العلماءِ، وتنوَّعَتْ طرقُ خدمتِهم لهذا الكتابِ مِن بين شرحٍ واختصارٍ إلى تخريجٍ وترجمةٍ وتهذيبٍ:

فمِن شروحِه المطبوعة:

١- شرح الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ).

٢- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، لشهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، وهو شرح موسع في مجلدات.

٣- مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء لأحمد بن محمد الشمني (ت٨٧٣هـ).

---

(١) مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس (ص٢٠).

ومن مختصراته:

١ـ مختصر الإسنوي (ت٧٦٣هـ).

٢ـ مختصر لمحمد بن محمود، انتهى منه سنة ٩٦٠ هـ.

ومن تخريجاته:

- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

وقد حاز كتابُ القاضي عياض مِن ثناءِ العلماءِ على قصبِ السبقِ:

قال ابنُ فرحون (ت٧٩٩هـ): «أبدَعَ فيه كلَّ الإبداعِ، وسلَّمَ له أكفاؤُه كفايتَه فيه، ولم ينازِعْه أحدٌ من الانفرادِ به، ولا أنكروا مزيةَ السبقِ إليه، بل تشوَّفوا للوقوفِ عليه، وأنصفُوا في الاستفادةِ منه، وحملَه الناسُ عنه، وطارَتْ نُسَخُه شرقًا وغربًا»[(١)].

وقال الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ): «أجمعُ ما صُنِّفَ في بابِه، مجملًا في الاستيفاءِ لعدمِ إمكانِ الوصولِ إلى انتهاءِ الاستقصاء»[(٢)].

وقال أحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ): «بلَغَ فيه الغايةَ القصوى، وكان فيه لضروبِ الإحسانِ مرتشفًا، وبذَّ فيه المؤلفين وأربَى، وحاز قصبَ السبقِ به دونَهم، وطار صيتُه شرقًا وغربًا»[(٣)].

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ٤٩)

(٢) شرح الشفا للملا علي القاري(١/ ٩).

(٣) أزهار الرياض في أخبار عياض لأحمد بن محمد المقري (٤/ ٢٧١).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصرِ على طبعة وحدة البحوث والدراسات بدبي، تحقيق عبده كوشك، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٤هـ، وقد اعتمد محققه على طبعة البجاوي ومقابلتها بنسخة من الكتاب محفوظة بالمكتبة الظاهرية.

المجلد السادس

في علم الحديث النبوي الشريف

تعريفه:

الحديثُ الشريفُ عندَ أهلِ فنِّه يُقصدُ به: ما أُضيفَ إلى رسولِ الله ﷺ مِن قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلْقيةٍ أو خُلقيةٍ.

أهميته:

إنَّ الحديثَ وحيٌّ مِن الله أوحاه لرسولِه ﷺ كما قال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم:٣-٤]، وهو المصدرُ الثاني للتشريعِ باتفاقِ علماءِ الأمةِ.

والعملُ بالسنةِ والحديثِ لازمٌ كالعملِ بالقرآنِ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [سورة الحشر:٧].

يقول النووي (ت٦٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «شرعُنا مبنيٌّ على الكتابِ العزيزِ والسننِ المرويَّاتِ، وعلى السننِ مدارُ أكثرِ الأحكامِ الفقهياتِ؛ فإن أكثرَ الآياتِ الفروعيات مجملاتٌ، وبيانُها في السننِ المحكماتِ»[(١)].

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي(١/ ٤).

ثمراته:

مِن ثمراتِ معرفةِ الحديثِ الشريفِ: الوقوفُ على ما افترضَه الله علينا من أحكامٍ وشرائعَ، وما سنَّه مِن سننٍ ورواتبَ، وما نهانا عنه وزجَرَ، وما أباحه لنا بفضلِه سبحانه وتعالى، ومن ثمراته تحقيقُ البلاغِ عنه ﷺ وامتثالُ أمرِه، فهو القائلُ ﷺ: «**بلِّغُوا عنِّي ولو آيةً**»[1]، كذلك تحصيلُ النَّضرةِ التي بشَّرَ بها ﷺ حافظَ الحديثِ ومبلِّغَه؛ إذ قال ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ منَّا حديثًا فحَفِظَه حتى يبلِّغَه غيرَه؛ فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقهُ منه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ**»[2]، كذلك التعرفُ على سيرتِه وأخلاقِه وشمائلِه وهديِه وسنتِه ﷺ.

قال النووي (ت٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الانشغالَ بالحديثِ مِن أجلِّ العلومِ الراجحاتِ، وأفضلِ أنواعِ الخيرِ، وآكدِ القرباتِ، وكيف لا يكونُ كذلك وهو مشتملٌ مع ما ذكرناه على بيانِ حالِ أفضلِ المخلوقاتِ عليه مِن الله الكريمِ أفضلُ الصلواتِ والسلامِ والتبريكاتِ»[3].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٤).

التعريف بكتاب رياض الصالحين للنووي (ت٦٧٦هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ «رياض الصالحين» مِن أشهرِ كتبِ الحديثِ في بابِ الآدابِ والفضائلِ والرقائقِ وتهذيبِ النفوسِ وما يحتاجه المسلمُ زادًا ومعينًا لآخرتِه، وقد تلقَّتْه الأمةُ بالقبولِ والاستحسانِ.

ويتميَّزُ باعتمادِ مؤلفِه في انتقاءِ أحاديثِه على ما صحَّ عنده، ودورانِه على الكتبِ الستةِ المشهورةِ، وحسنِ ترتيبِ أقسامِه وكتبِه، ووضوحِ تراجمِ أبوابِه ودلالتِها، ودقةِ اختيارِه لما يناسبُ البابَ وقوتِه، وسردِه الأحاديثَ سردًا دونَ تعليقٍ إلا ما اقتضاه النصُّ من بيانِ غريبٍ أو توضيحِ مشكلٍ وهو نزرٌ، وحذفِ الأسانيدَ إلا ذكرَ الصحابيِّ، وتخريجِه الأحاديثَ في إيجازٍ، وتصديرِه البابَ بما ورَدَ فيه مِن القرآنِ الكريمِ، فجمَعَ بينَ الحسنيينِ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ.

قال الذهبي (ت٧٤٨هـ): «فعليك يا أخي بتدبرِ كتابِ الله، وبإدمانِ النظرِ في الصحيحَينِ وسننِ النسائيِّ، ورياضِ النووي وأذكارِه، تفلِحْ وتنجَحْ»[(١)].

ترتيبه:

بدأ النووي كتابَه بمقدمةٍ تبيِّنُ منهجَه وهدفَه، ثم صدَّر الكتابَ ببضعةٍ وثمانين بابًا في الإخلاصِ والتوبةِ والصبرِ والصدقِ والمراقبةِ والتقوَى واليقينِ

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٣٤٠).

والتوكلِ... إلى غير ذلك من المعاني الإيمانيةِ، ثم أخَذَ في ذكرِ الكتبِ التي يتضمَّنُها كتابُه، ومنها: كتاب الأدب، والفضائل، والحج، والأذكار، والدعوات، والأمور المنهي عنها.

منهجه:

يقول النووي (ت٦٧٦هـ): «رأيتُ أن أجمعَ مختصرًا من الأحاديث الصحيحةِ، مشتملًا على ما يكونُ طَريقًا لصاحبِه إلى الآخرةِ، ومحصلًا لآدابه الباطنةِ والظاهرةِ، جامِعًا للترغيبِ والترهيبِ وسائرِ أنواعِ آدابِ السالكينَ: مِن أحاديثِ الزهدِ ورياضاتِ النفوسِ، وتهذيبِ الأخلاقِ، وطهاراتِ القلوبِ وعلاجِها، وصيانةِ الجوارحِ وإزالةِ اعوجاجِها، وغير ذلك مِن مقاصدِ الصالحينَ والعارفينَ.

وألتزمُ فيه ألَّا أذكرَ إلا حديثًا صحيحًا من الواضحاتِ، مضافًا إلى الكتبِ الصحيحةِ المشهوراتِ، وأُصَدِّرُ الأبوابَ مِن القرآنِ العزيزِ بآياتٍ كريماتٍ، وأوشِّحُ ما يحتاجُ إلى ضبطٍ أو شرحِ معنًى خفيٍّ بنفائسَ مِن التنبيهاتِ»[(١)].

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصر على طبعة دار المنهاج بجدة، وقد اعتمدوا على سبع نسخ خطية.

---

(١) مختصر رياض الصالحين للنووي بهذه الموسوعة، المجلد السادس (ص١٨).

رابعًا: شركاؤنا في نجاح موسوعة محمد رسول الله ﷺ

بفضلِ الله تعالى تَصدرُ هذه الموسوعةُ والتي هي مبادرةٌ لنصرةِ رسولِنا محمدٍ ﷺ، وقريبًا -بإذن الله- سيكونُ لها «تطبيق» على الأجهزةِ الذكيةِ، و«موقع» على شبكة الاتصال العالمية.

ولما كانَتْ غايةُ هذه الموسوعةِ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة** مطلبَ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، فإنه ليشرِّفُني مشاركةُ كلِّ مَن يرغبُ في نصرةِ النبيِّ ﷺ بالإسهام في هذه الموسوعةِ على كافة المستويات، سواءٌ في وطنِنا المباركِ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ؛ منبعِ الرسالةِ، وبلدِ الحرمَينِ الشريفَينِ، وقبلةِ المسلمِينَ، ومثوَى رسولِ الله ﷺ، أو في جميعِ بلدانِ العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وذلك على النحو الآتي:

١- **على مستوى الفرد:** يُساهم كلٌّ منا بإهداءِ نسخةٍ من هذه الموسوعة النبوية إلى مسجده وجامعته ومؤسسته ومدرسة أبنائه؛ محبةً ونصرةً للنبي ﷺ.

٢- **على مستوى المساجدِ والجوامعِ والمراكزِ الإسلاميةِ:** بتدريسِ وقراءةِ هذه الموسوعةِ النبويةِ أو مختاراتٍ منها في المساجدِ عقبَ الصلواتِ، وكذلك المراكزُ الإسلاميةُ على مستوى العالمِ، وإقامةُ محاضراتٍ ودروسٍ ودوراتٍ مكثفةٍ، منها الأسبوعيُّ ومنها الشهريُّ، وبثُّها في البرامجِ المختلفةِ لوسائلِ الإعلامِ الجديدِ.

٣-على مستوى المدارسِ والكلياتِ والجامعاتِ: بتحويلِ محتواها لمحتوًى تعليميٍّ يُدرسُ في المدارسِ، وكذلك تقريرُ هذه الموسوعةِ في مقرراتِ جامعاتِ العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وتأهيلُ الطلابِ والطالباتِ لتطبيقِها واقعًا عمليًّا؛ فهُم بأمسِّ الحاجةِ للقدواتِ، فما بالُك بحاجتِهم إلى قدوةِ القدواتِ الأسوةِ الحسنةِ صلواتُ ربي وسلامُه عليه.

٤-على مستوى الإعلامِ: باستثمارِ المحتوَى العلميِّ والمعرفيِّ والتطبيقيِّ للموسوعةِ إعلاميًّا في شتى البرامجِ بمختلفِ صورِها.

٥-على مستوى التدريبِ: بتحويلِ محتوَى **موسوعة محمد رسول الله ﷺ** لدوراتٍ تدريبيةٍ متميزةٍ.

٦-على مستوى الترجمةِ: بترجمةِ محتوى **موسوعة محمد رسول الله ﷺ** إلى أهمِّ اللغاتِ العالميةِ.

إن المشاركةَ في إنجاحِ هذه الموسوعةِ **موسوعة محمد رسول الله ﷺ** على النحو الذي سَبَقَ وغيرِه لهو مِن أعظمِ وسائلِ نصرةِ نبيِّنا ﷺ والدعوةِ لتطبيقِ هديه ﷺ والتأسِّي به ﷺ، ونشرِ دعوتِه وسيرتِه، بما يُحققُ النجاحَ والسعادةَ، والتوفيقَ والفلاحَ في الدنيا والآخرة، وفيه أيضًا حلٌّ لكثيرٍ مِن مشكلاتِنا الاجتماعيةِ، والاقتصاديةِ، والتعليميةِ، والإعلاميةِ، والإداريةِ... إلخ.

وفي الختامِ، أحمدُ الله عَزَّوَجَلَّ وأشكرُه على ما أكرمَ وأنعمَ وتفضَّلَ ويسَّرَ مِن إتمامِ هذه الموسوعةِ وطباعتِها؛ راجيًا مِن الله تعالى الإخلاصَ والقبولَ، وأن ينفعَ بها كاتبَها وقارِئيها والمشاركِينَ فيها، كما أَسألُه سبحانه أن يبلغَنِي -بمنِّه وفضلِه- ووالديَّ الكريمَينِ وزوجتي وأولادي والمسلمِينَ جميعًا، غايةَ هذه الموسوعةِ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**، إنه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصيرُ، وصلَّى الله وسلَّم وبارَكَ على نبيِّنا وحبيبِنا وشفيعِنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه والتابعين.

بريد موسوعة محمد رسول الله ﷺ

ProMoEncy@gmail.com

وكتبه في الروضة الشريفة الخميس ٨/٨/١٤٣٨هـ

أحمد بن عثمان بن أحمد المزيد

غفر الله له ورزقه مرافقة نبيّه ﷺ في الجنة

ملحق: عشريات نبوية

(١) عشرية عظمة محمد رسول الله ﷺ

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ،**

«فلا خفاءَ على مَن مارسَ شيئًا من العلمِ، أو خُصَّ بأدنى لَمحةٍ مِن فهمٍ بتعظيم الله تعالى قدرَ نبيِّنا ﷺ، وخصوصِه إياه بفضائلَ ومحاسنَ ومناقبَ لا تنضبطُ لزِمامٍ، وتنويهِه مِن عظيمِ قدرِه بما تكِلُّ عنه الألسنةُ والأقلامُ:

فمنها: ما صرَّحَ به تعالى في كتابِه، ونبَّه به على جليلِ نِصَابِه، وأثنَى به عليه مِن أخلاقِه وآدابِه، وحضَّ العبادَ على التزامِه وتقلُّدِ إيجابِه. فكان جَلَّ جَلَالُهُ هو الذي تفضَّلَ وأولَى، ثم طهَّرَ وزكَّى، ثم مدحَ بذلك وأثنَى، ثم أثابَ عليه الجزاءَ الأوفَى، فله الفضلُ بدءًا وعودًا، وله الحمدُ أُولى وأُخرى»[(١)].

١- أَخَذَ اللهُ العهدَ على جميعِ الأنبياءِ ليُؤمِننَّ به ولينصُرنَّه، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عِمران: ٨١]، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم يبعَثْ الله عَزَّوَجَلَّ نبيًّا -آدمَ فمَن بعدَه- إلا أَخَذَ عليه العهدَ في محمدٍ: لئن بُعِثَ وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ولينصرنَّه، ويأمرُه فيأخذُ العهدَ على قومِه[(٢)].

---

(١) مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس (ص٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٠).

٢- قرنَ سبحانه ذكرَه ذكرِه ﷺ بذكرِه، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشَّرح:١-٨]، قال الطبري (ت٣١٠هـ): ورفَعْنا لك ذكرَك فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي، وذلك قول: لا إله إلا اللهُ، محمدٌ رسولُ الله(١).

٣- جعلَه الله شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، قال القاضي عياض: جمعَ الله تعالى في هذه الآيةِ ضُروبًا من رتبِ الأُثْرةِ، وجملةَ أوصافٍ من المِدْحةِ، فجعله شاهدًا على أمتِه لنفسِه بإبلاغِهم الرسالةَ، وهي من خصائِصه ﷺ، ومبشِّرًا لأهلِ طاعتِه، ونذيرًا لأهلِ معصيتِه، وداعيًا إلى توحيدِه وعبادتِه، وسراجًا منيرًا يُهتدى به للحقِّ(٢).

٤- تعظيمُ الله وتشريفُه له ﷺ في خطابه في القرآنِ الكريم، «وذلك أنه ما خاطبَه في كِتابِه ولا أخبرَ عنه إلَّا بالكِنايةِ الَّتي هي النبوَّةُ والرسالةُ الَّتي لا أجلَّ منها ولا أعظمَ خطَرًا، وخاطبَ غيرَه مِن الأنبياءِ وتَعبَّدَهم وأخبرَ عنهم بأسمائِهم، ولم يَذكُرْهم بالكِنايةِ الَّتي هي غايةُ المَرتبةِ إلَّا أن يَكونَ الرسولُ ﷺ في جُملتِهم لمُشاركتِه معهم في الخطابِ والخبرِ، والكِنايةُ عن الاسمِ غايةُ التعظيمِ للمخاطَبِ المُبجَّلِ والمَدعوِّ المعظم، كما نهى الله عَزَّوَجَلَّ الناس أن يُخاطِبوا رسولَه باسمِه، وأَخبرَ عن سائرِ الأُممِ أنهم كانوا يُخاطِبون أنبياءَهم ورُسلَهم بأسمائِهم، كقولِهم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]»(٣).

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٤٢٤).
(٢) مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة المجلد الخامس (ص٢٦).
(٣) (ص٧٨).

٥- أقْسَمَ اللهُ بحياته ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحِجر:٧٢] وهذه نهايةُ التعظيمِ وغايةُ البرِّ والتشريفِ، قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما خلقَ الله تعالى وما ذَرَأَ وما بَرَأَ نفسًا أكرمَ عليه من محمدٍ ﷺ، وما سمعتُ الله تعالى أقسَمَ بحياةِ أحدٍ غيره(١).

٦- شرَّفه سبحانه بأعظمِ معجزاتِه ﷺ القرآنِ الكريمِ، قال ﷺ: «**ما مِن الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتِيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ**»(٢)، قال ابنُ كثيرٍ (ت٧٧٤هـ): معناه: أن معجزةَ كلِّ نبيٍّ انقرضَتْ بموتِه، وهذا القرآنُ حجةٌ باقيةٌ على الآبادِ، لا تَنقَضِي عجائبُه، ولا يَخْلَقُ عن كثرةِ الردِّ، ولا يشبعُ منه العلماءُ، هو الفصلُ ليس بالهزلِ، مَن تركَه مِن جبَّارٍ قصمَه الله، ومَن ابتغَى الهدى مِن غيرِه أضلَّه الله(٣).

٧- ما حَباه الله به ﷺ من حسنِ سيرةٍ؛ منذِ ولادتِه ﷺ وحتى وفاتِه ﷺ، فمِن ذلك: تربيتُه في باديةِ العربِ حيثُ اللغةُ الفصيحة، ثم تصرُّفُ الأحوالِ به ونشوؤه في حِجرِ جدِّه وكانت له الرئاسةُ والشرفُ، ثم عمِّه أبي طالبٍ وكان له حظٌّ وافرٌ مِن مكانةِ أبيه، وما اشتُهِرَ به ﷺ من أمانةٍ وأخلاقٍ، ثم الرسالةُ وعصمةُ الله له في تبليغِ رسالتِه، وما نالَه مِن تشريفٍ وتعظيم بالإسراءِ والمعراجِ، ثم الهجرةُ وإعلاءُ كلمةِ الله تعالى، ونصرُه وتأييدُه وتمكينُه وفتحُه،

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١١٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦١).

إلى غيرِ ذلك مِن أحداثِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ التي تدلُّ على التشريفِ والتعظيمِ له ﷺ.

٨- ما اختصَّه الله به من خصائصَ شريفةٍ، فمنها: سيادتُه ﷺ على ولدِ آدمَ في الدنيا والآخرةِ، وأنه خاتمُ النبيينَ، وإمامُ المرسلينَ، وأن أمتَه خيرُ الأممِ، وأن كتابَه محفوظٌ من التغييرِ والتبديلِ، وأن رسالتَه عامةٌ إلى الجنِّ والإنسِ، وما اختصَّه الله به مِن الشفاعةِ يومَ القيامةِ، وكونُه ﷺ أولَ مَن تنشقُّ عنه الأرضُ يومَ القيامة، وأول مَن يقرعُ بابَ الجنةِ، وإعطاؤُه الكوثرَ ومنزلةَ الوسيلةِ في الجنةِ، وما أُعطِيَ مِن جوامعِ الكلمِ ومعجزِ البيانِ ومكارمِ الأخلاقِ؛ فقد كان ﷺ أحلمَ الناسِ، وأشجعَهم، وأعدَلهم، وأعفَّهم، وأجودَهم بالخيرِ، لا يُسْأَلُ شيئًا إلا أعطاه، يخصفُ نعلَه، ويرقعُ ثوبَه، ويخدمُ في مهنةِ أهلِه ﷺ، وكان أشدَّ الناسِ حياءً، لا يثبتُ بصرَه في وجهِ أحدٍ، ، يغضبُ لربِّه ولا يغضبُ لنفسِه؛ فكان خُلقُه القرآنَ ﷺ.

٩- ما جبلَه الله عليه من صفاتٍ خَلقيةٍ؛ أخذَتْ بالقلوبِ والأفئدةِ ﷺ، سُئِلَ البراءُ بنُ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن وجهِ رسولِ الله ﷺ: «أكان وَجْهُ رسولِ الله ﷺ مثلَ السيفِ؟ قال: لا، بل مثلَ القمرِ»[(١)]، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناسِ وجهًا وأحْسَنَه خَلْقاً، ليس بالطويلِ البائنِ، ولا بالقصيرِ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٤٧).

وقال أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسولُ الله ﷺ أَزْهَرَ اللونِ، كأنَّ عَرَقَهُ اللؤلؤُ، إذا مشَى تَكَفَّأَ، وما مَسِسْتُ ديباجةً ولا حريرةً ألينَ مِن كَفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَمِمْتُ مِسْكَةً ولا عَنْبَرَةً أطيبَ مِن رائحةِ رسولِ الله ﷺ»[1].

١٠- ومن عظمةِ مكانتِه ﷺ ما افترضَه الله مِن حقوقِه ﷺ، فمنه وجوبُ طاعتِه واتباعِه، ولزومُ محبتِه، وتوقيرُه وبرُّه وتعظيمُه، والصلاةُ والسلامُ عليه ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣٠).

(٢) عشرية محبة محمد رسول الله ﷺ لأمته

١- كمالُ نصحِه ﷺ لأمتِه ورحمتُه وحرصُه على هدايتِها: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسولَ الله، هل أَتَى عليك يومٌ كان أشدَّ مِن يوم أُحُدٍ، قال: «لقد لقيتُ مِن قومِك! وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ، إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فلم يُجِبْني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفِق إلا بقرنِ الثعالبِ(١)، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتْني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إن اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعَثَ إليك ملكَ الجبالِ لتأمرَه بما شئتَ فيهم، قال: فناداني ملكُ الجبال وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمدُ، إن اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك، وأنا ملكُ الجبالِ وقد بعَثَني ربُّك إليك لتأمرَني بأمرِك، فما شئتَ، إنْ شئتَ أنْ أطبقَ عليهم الأخشبَينِ(٢)؟ فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يعبدُ الله وحدَه لا يُشرِكُ به شيئًا»(٣).

---

(١) (قَرن الثعالب): السيل الكبير وهو ميقات أهل نجد قرب مكة.

(٢) (الأخشَبَيْن): جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

٢- شفقتُه ﷺ على أمتِه: فعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَثَلِي كمثلِ رجلٍ استوقَدَ نارًا، فلما أضاءَتْ ما حولَها جعَلَ الفَراشُ وهذه الدوابُّ التي في النارِ يَقَعْنَ فيها، وجعَلَ يحجزُهنَّ ويغلِبْنَه فيتقحَّمْنَ فيها، قال: فذلكم مَثَلي ومثلُكم، أنا آخذٌ بحُجَزِكم عن النارِ، هَلُمَّ عن النارِ، هَلُمَّ عن النارِ، فتَغْلِبُوني تقحَّمُونَ فيها**»(١).

وعن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ: تلَا قولَ الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفَعَ يدَيه وقال: «**اللهمَّ أمَّتي أمَّتي**»، وبكى، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: «**يا جبريلُ، اذهَبْ إلى محمدٍ - وربُّك أعلمُ- فسَلْه ما يُبكِيك**»؟ فأتاه جبريلُ عليه الصلاة والسلام، فسألَه فأخبرَه رسولُ الله ﷺ بما قال، وهو أعلمُ، فقال الله: «**يا جبريلُ، اذهَبْ إلى محمدٍ، فقل: إنَّا سنرضِيك في أمتِك، ولا نسوؤُك**»(٢).

قال النووي: هذا الحديثُ مشتملٌ على أنواعٍ مِن الفوائدِ، منها: بيانُ كمالِ شفقةِ النبيِّ ﷺ على أمتِه واعتنائِه بمصالحِهم، واهتمامُه بأمرِهم(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٧٨).

٣-حرصُه ﷺ على التخفيفِ عن أمتِه ودفعِ المشقةِ عنهم: فعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثِ الإسراءِ والمعراجِ، قال النبي ﷺ : «... **حتى جاءَ سدرةَ المنتهَى، ودنا للجبارِ ربِّ العزةِ، فتدلَّى حتى كان منه قابَ قوسَينِ أو أدنَى، فأوحَى الله فيما أوحَى إليه: خمسينَ صلاةٍ على أمتِك كلَّ يومٍ وليلةٍ**»، فما زال يسألُ ربَّه التخفيفَ وربُّه يضعُ عنه ويحطُّ منهن، حتى قال له ربه عَزَّوَجَلَّ: «**فكلُّ حسنةٍ بعشرِ أمثالِها، فهي خمسونَ في أمِّ الكتابِ، وهي خمسٌ عليك**»(١).

وقال ﷺ: «**لولا أن أشقَّ على أمَّتِي لأمرتُهم بالسواكِ مع كلِّ صلاةٍ**»(٢).

٤- إخبارُه ﷺ بخَيريَّةِ أمتِه ﷺ إلى قيامِ الساعةِ: عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَثَلُ أمَّتي كالمطرِ، لا يُدْرَى أولُه خيرٌ أم آخرُه**»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ مِن أمَّتِي ظاهِرِينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم مَن خذَلَهم حتى يأتِيَ أمْرُ الله وهم كذلك**»(٤).

٥- خوفُه ﷺ على أمَّتِه أن يصيبَها العذابُ: عن عبدِ الله بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: انكسفَتِ الشمسُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فقام رسولُ الله ﷺ...»، وفيه: «ثم قال: **ربِّ، ألَمْ تَعِدْني ألَّا تُعذِّبَهم وأنا فيهم، ألَمْ تَعِدْني ألَّا تُعذِّبَهم وهم يستغفِرون**، ففرَغَ رسولُ الله ﷺ من صلاتِه وقد أَمْحَصَتِ الشمسُ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٦٩).
(٤) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠).
(٥) أخرجه أبو داود (١١٩٤)، وأصله مختصرًا في البخاري (١٠٥١)، ومسلم (٩١٠).

٦- **شوقُه ﷺ لأمتِه:** عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «وددتُ أنَّا قد رأَيْنا إخوانَنا»، قالوا: أَوَلسنا إخوانَك يا رسولَ الله؟ قال: «أنتم أصحابي وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعدُ»[(١)].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «مِن أشدِّ أمَّتِي لي حبًّا: ناسٌ يكونون بعدِي، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهلِه ومالِه»[(٢)].

٧- **تبشيرُه ﷺ لأمَّتِه بأنهم شطرُ أهلِ الجنةِ:** عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيدِه، إني أرجو أن تكونوا ربعَ أهلِ الجنةِ»، فكبَّرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثلثَ أهلِ الجنةِ»، فكبَّرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنةِ» فكبَّرنا، فقال: «ما أنتم في الناسِ إلا كالشعرةِ السوداءِ في جلدِ ثورٍ أبيضَ، أو كشعرةٍ بيضاءَ في جلدِ ثورٍ أسودَ»[(٣)].

٨- **تبشيرُه ﷺ لأمَّتِه بعدةِ بشاراتٍ:** منها قولُه ﷺ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ تجاوزَ لأمَّتِي عمَّا حدَّثَتْ به أنفسَها ما لم تعمَلْ أو تكلَّمْ به»[(٤)].

وقوله ﷺ: «كلُّ أمَّتِي معافًى إلا المجاهِرِينَ، وإن مِن المجاهرةِ أن يعملَ الرجلَ بالليلِ عملًا، ثم يصبحُ وقد سترَه الله عليه، فيقول: يا فلانُ، عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يسترُه ربُّه، ويصبحُ يكشفُ سترَ الله عنه»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).
(٤) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).
(٥) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

وقوله ﷺ: « **كلُّ أمَّتِي يدخلون الجنةَ إلا مَن أَبَى**»، قالوا: يا رسولَ الله، ومَن يأبى؟! قال: «**مَن أطاعَني دخلَ الجنةَ، ومَن عَصَاني فقد أَبَى**»[(١)].

٩- استقبالُه ﷺ لأمَّتِه على حوضِه: عن جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**أنا فَرَطُكُم عَلَى الحوْضِ**»[(٢)]، أي: سابقُكم إليه كالمهيِّئ له.

وعن عبدِ الله بنِ عمرِو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**حوضي مسيرةُ شهرٍ، ماؤُه أبيضُ مِن اللبنِ، وريحُه أطيبُ مِن المسكِ، وكِيزانُه كنجومِ السماءِ، مَن شَرِبَ منها فلا يظمأُ أبدًا**»[(٣)].

١٠- شفاعتُه ﷺ لأمَّتِه: عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ يَدعو بها، وأريدُ أن أختبئَ دعوتي شفاعةً لأمَّتِي في الآخرةِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).
(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٨).

(٣) عشرية حقوق محمد رسول الله ﷺ على أمته

١- **الإيمانُ به**: قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

٢- **طاعتُه و اتباعُ سنتِه والتأسِّي بهديِه** ﷺ: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

٣- **محبتُه** ﷺ: قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، وقال حبيبنا ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه والناسِ أجمعينَ**»[1].

٤- **تعظيمُ أمرِه وتوقيرُه**: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ - ٩]،

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

٥- **نشرُ دعوتِه ﷺ**: قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال ﷺ: «**بَلِّغُوا عنِّي ولو آيةً**»[١].

٦- **نصرتُه ﷺ والدفاع عنه حيًّا وميتًا**: فقد جعلَ الله تعالى نصرتَه علامةَ الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال:٧٤]، كما جعلَ نصرتَه ﷺ دلالةً على صدقِ الاتباعِ له، قال تعالى : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

وأمَّا نصرتُه ﷺ بعدَ موتِه فبالذبِّ عنه، وعن دينِه، وبيانِ فضائلِه، والتخلُّقِ بأخلاقِه، والعملِ بشريعتِه.

٧- **الصلاةُ عليه والتسليمُ**، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقال ﷺ: «**مَن صَلَّى عليَّ صلاةً صلَّى اللهُ عليه بها عشرًا**»[٢].

٨- **محبةُ آلِه وأزواجِه وأصحابِه ومودَّتُهم**: قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب:٦]، وقال ﷺ: «**أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكم**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي»[١]، وقال ﷺ : «لا تَسُبُّوا أصحابي»[٢].

٩- التوسطُ وعدمُ الغلوِّ فيه ﷺ: قال ﷺ: «إياكُم والغُلُوَّ في الدينِ؛ فإنما أَهْلَكَ مَن كان قبلَكم الغُلُوُّ في الدينِ»[٣]، وقال ﷺ: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النصارى ابنَ مريمَ؛ فإنَّما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه»[٤].

١٠- رعايةُ حرمةِ مدينتِه ومسجدِه وقبرِه ﷺ: قال ﷺ: «اللهمَّ لا تجعَلْ قبرِي وثنًا، لعَنَ اللهُ قومًا اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ»[٥]، وقال ﷺ: «إنَّ إبراهيمَ حرَّمَ مكةَ، وإني حرمتُ المدينةَ ما بينَ لابَتَيْهَا، لا يُقطعُ عِضَاهُها، ولا يُصادُ صيدُها »[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).
(٣) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩).
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).
(٥) أخرجه أحمد (٧٣٥٨).
(٦) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٢).

❶ موســـوعة محمـــــد رســـول الله ﷺ

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر دلائل النبوة

لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ)

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

[مقدمة المصنف]

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ربِّ أعِنْ بلطفكَ الكريمِ

الحمدُ لله مُولِي النعمِ الجِسامِ، ومُسدِي الآلاءِ العظامِ الذي تَرادفَتْ أياديهِ السابغةُ، وثبتَتْ حُجتُه البالغةُ، بالدلالاتِ الواضحةِ، والعلاماتِ اللائحةِ، وصلَّى اللهُ على خيرِ مبعوثٍ، ختمَ به الرسالةَ، وغنمَ بالتصديقِ به النبالةَ والجلالةَ، وقرنَ اسمَه باسمِه، ورفعَ ذِكرَه بذكرِه، محمدٍ سيدِ الأوَّلين والآخِرين، وخاتمِ الأنبياءِ والمُرسَلين، صلواتُ الله عليه ما عبَدَ عابدٌ وسجَدَ ساجِدٌ.

أمَّا بعدُ: فقَدْ سأَلْتم -عمَّر اللهُ بالبصائرِ طويَّاتِكم- جمعَ المنتشرِ منَ الرواياتِ في النبوةِ ودلائِلِها، والمعجزةِ وحقائِقِها، وخصائصِ المبعوثِ محمدٍ ﷺ، فاستَعَنْتُ بالله واستوفَقْتُه وبه الحولُ والقوةُ، وهو القويُّ العزيزُ.

فالنُّبوَّةُ هي: سفارةُ العبدِ بين الله تعالى وبين ذوِي الألبابِ من خَليقتِه؛ ولهذا يُوصفُ أبَدًا بالرسالةِ والبعثةِ، وقيلَ: إن النبوَّةَ إزاحةُ عِللِ ذوي الألبابِ فيما تَقصُر عُقولُهم عنه من مَصالحِ الدارَيْن؛ ولهذا يُوصَفُ دائِمًا بالحُجةِ والهِدايةِ ليُزيحَ بها عللَهم على سَبيلِ الهدايةِ والتثقيفِ.

ومعنَى النبيِّ: هو ذو النبأِ والخبرِ، أي: يكونُ مُخبِرًا عن الله عَزَّوَجَلَّ بما خصَّه به من الوحيِ، وقيل: إنها مُشتقَّةٌ من النَّبوَةِ والتي هي المَكانُ المُرتَفعُ عنِ الأرضِ، وهو أن يُخصَّ بضربٍ من الرِّفعةِ فجعِلَ سفيرًا بين الله تعالى وبين خلقِه، يَعنِي بذلك وصفَه بالشرفِ والرفعةِ، ومَن جعَلَ النبوةَ منَ الإنباءِ الَّتي هي الإِخبارُ لم يُفرِّق بين النبوةِ والرسالةِ.

ومعنى الرسولِ: هو المُرسلُ، فعولٌ على لفظِ مُفعَل، وإرسالُه: أمرُه إيَّاه بإبلاغِ الرسالةِ والوحي.

ومعنى الوحيِ مأخوذٌ منَ الوَحَى وهو العجَلةُ، فلمَّا كانَ الرسولُ مُتعجِّلًا لِما يُفهِم قيلَ لذلك التفهيم: وحيٌ.

وله مراتبُ ووجوهٌ في القرآنِ:

وحيٌ إلى الرسولِ وهو أن يُخاطبَه المَلَكُ شفاهًا أو يُلقيَ ذلك في رُوعِه، وذلك قولُه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشُّورى:٥١]، يُريدُ بذلكَ خطابًا يُلقى فَهمُه في قلبِه حتَّى يَعيَه ويحفظَه، وما عداه من غيرِ خطابٍ فإنما هو ابتداءُ إعلامٍ وإلهامٍ وتوقيفٍ من غيرِ كلامٍ ولا خطابٍ كقولِه: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨]، ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص: ٧]، وما في مَعناهُما.

واعلَموا أن معجزاتِ المُصطَفى عليه السلام أكثرُ من أن يَحصُرَها عددٌ، وأشهرُ من أن يَنصرَها سندٌ، فأعظمُ معجزاتِه القرآنُ الذي هو أُمُّ المعجزاتِ، الَّذي لا يَدفعُه الإنكارُ ولا الجحدُ، قد حرَّرَ الكلامَ فيه وفي مسائِلِه -وإبطالِ طعنِ المُلحدةِ والفَلاسفةِ وأصحابِ الطبائعِ- المُتقدِّمون من عُلمائِنا، وأَبانوا فسادَ مَقالاتِهم وبُطلانَ مُعارضاتِهم بما يُعارِضُ به أمثالُهم من الجائِرين عن منهجِ النُّبوَّةِ ومنارِ الشريعةِ، وكذلكَ الكلامُ في الاستدلالِ على صحَّةِ النبوةِ والرسالةِ وأن بعثةَ المُرسلين ممَّا لا يَستحيلُ، وأنه مِن بابِ المُمكنِ والمَقدورِ، وأن إرسالَ الرسلِ ليس بواجِبٍ على الله تعالى، بل هو منَ الجائزِ الَّذي لله تعالى فعلُه وتركُه، وأن المعجزاتِ أقسامٌ: منها ما يَجوزُ دخولُ نوعٍ منها تحتَ مَقدورِنا على وجهٍ، ومنها ما لا يدخلُ.

وذِكرُ الكلامَ في الفصل بين المُعجزةِ والكرامةِ وأنهما مُتَّفِقتانِ في حالةٍ ومُفترِقتانِ في أُخرى، وذِكرُ أنواعَ ما يَقعُ به التَّحدِّي فسمِّيَ مُعجزًا، وكذا الردُّ على مُنكرِي النبواتِ من برهميٍّ وفَلسفيٍّ وطبائعيٍّ وغيرِهم، سكَتْنا عن كلِّ ذلك، إذِ الكلامُ في ذلك والانفصالُ عن مُعارضاتِهم مُسلَّمٌ إلى أربابِها منَ المُتكلِّمين والنظارِ.

وقَصدُنا جمعُ ما نحنُ بسَبيلِه ونجتبيهِ من جمعِ المُنتشرِ من الآثارِ والصحيحِ والمَشهورِ من مَرويِّ الأخبارِ، ورتَّبْناه ترتيبَ مَن تَقدَّمنا من رُواةِ الآثارِ والعلماءِ والفقهاءِ، وجعَلْنا ذلك فُصولًا ذكَرْناها ليَسهلَ على المتحفظِ أنواعُه وأقسامُه فيكونُ أجمعَ لفهمِه، وأقربَ من ذهنِه، وأبعدَ من تحملِ الكُلفةِ في طلبِه، وبه الحولُ والقوةُ في ذلك، وفي كلِّ ما نُريدُه ونقصدُه.

(١) فصل في ذكرِ ما أَنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كِتابِه من فَضائِله

اقتَصَرْنا على مَشاهيرِه من فَضائِله:

♦أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ جعلَ بعثتَه عليه السلام للعالَمِين رحمةً، فقال عز مِن قائلٍ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فأمِنَ أعداؤُه منَ العذابِ مدةَ حياتِه ﷺ فيهم، وذلك قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾ [الأنفال:٣٣]، فلم يُعذِّبْهم معَ استِعْجالهم إيَّاه، تحقيقًا لما نعتَهُ به، فلمَّا ذهبَ عنهم إلى ربِّه تعالى أنزلَ اللهُ تعالى بهم ما أَوعَدَهم من قتلٍ وأسرٍ، وذلكَ قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١﴾ [الزُّخرف:٤١].

♦**ومن فضائله** ﷺ: إخبارُ الله عَزَّوَجَلَّ عن إجلالِ قدرِ نبيِّه ﷺ وتَبجيلِه وتعظيمِه وذلك أنه ما خاطبَه في كِتابِه ولا أخبرَ عنه إلَّا بالكِنايةِ الَّتي هي النبوَّةُ والرسالةُ الَّتي لا أجلَّ منها ولا أعظمَ خطرًا، وخاطبَ غيرَه منَ الأنبياءِ وتَعبَّدَهم وأخبرَ عنهم بأسمائِهم، ولم يَذكُرْهم بالكِنايةِ الَّتي هي غايةُ المَرتبةِ إلَّا أن يَكونَ الرسولِ ﷺ في جُملتِهم لمُشاركتِه معهم في الخطابِ والخبرِ، فأمَّا في حالِ الانفرادِ فما ذكَرَهم إلَّا بأسمائِهم.

والكِنايةُ عن الاسمِ غايةُ التعظيمِ للمخاطَبِ المُبجلِ والمَدعوِّ المعظمِ؛ لأن مَن بُلِغَ به الغايةُ في التعظيمِ كنِّيَ عن اسمِه؛ إن كان ملِكًا قيل: أيُّها الملِكُ. وإن كان أميرًا قيل: أيُّها الأميرُ. وإن كان خليفةً قيل: أيُّها الخَليفةُ، وإن كان ديانًا قيل: أيُّها الحَبرُ؛ أيها القِسُّ؛ أيُّها العالِمُ؛ أيُّها الفقيهُ.

ففضلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّه ﷺ وبلغَ به غايةَ الرتبةِ وعاليَ الرفعةِ، فقال عز من قائلٍ لنبيِّه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ [الأحزاب:٤٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٤]، في آياتٍ كثيرةٍ. وخاطبَ آدمَ فمَن دونَه منَ النبيِّينَ بأسمائِهم، وكذلكَ في الإخبارِ عنهم فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، و﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ [هود:٤٨]، و﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾ [هود:٧٦]، و﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ [الأعراف:١٤٤]، و﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة:١١٠]، وكذلك غيرُهم منَ الأنبياءِ.

كلُّ أولئكَ خُوطِبوا بأسمائِهم، وأُخبِرَ عنهم بأسمائِهم، وكلُّ موضعٍ ذَكَرَ محمدًا ﷺ باسمِه أَضافَ إليه ذِكرَ الرسالةِ، فقال عز مِن قائلٍ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، فسمَّاه ليَعلَم مَن جحدَه أن أمرَه وكِتابَه هو الحقُّ؛ ولأنَّهم لم يَعرِفوه إلَّا بُمحمدٍ، ولو لم يُسمِّه لم يُعلمِ اسمُه من الكِتابِ، وكذلك سائرِ الأنبياءِ لو لم يُسمَّوْا في الكتابِ ما عُرِفَ أسامِيهم، فتَسميةُ الله له محمدًا ﷺ في ذلك كلِّه زيادةٌ في جِلالتِه ونبالتِه ومَهابتِه وشرَفِه؛ لأن اسمَه مُشتقٌّ منِ اسمِ الله عَزَّوَجَلَّ.

ثُم جمعَ في الذِّكرِ بين اسمِ خليلِه ونبيِّه فسمَّى خليلَه باسمِه؛ وكنَّى حبيبَه بالنبوةِ؛ فقال عز مِن قائلٍ: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [آل عمران:٦٨]، فكنَّاه إجلالًا له ورفعَه لفضلِ مَرتبتِه ونَباهتِه عِندَه.

ثُم قدَّمه ﷺ في الذِّكرِ على مَن تقدَّمَه في البعثِ فقال تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾

[النساء:١٦٣]، وقال: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ﴾ [الأحزاب:٧].

♦ **ومِن فضائِلِه** ﷺ: أنَّ الناسَ نَهاهمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن يُخاطِبوا رسولَه باسمِه، وأَخبرَ عن سائرِ الأُممِ أنهم كانوا يُخاطِبون أنبياءَهم ورُسلَهم بأسمائِهم كقولِهم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقولِه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ﴾ [المائدة:١١٢]، فندَبَهم تعالى إلى تَكنيتِه بالنبوةِ والرِّسالةِ ترفيعًا لَمنزلتِه وتَشريفًا لَمرتبتِه، خصَّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ بهذه الفَضيلةِ من بين رُسلِه وأَنبيائه.

♦ **ومِن فضائِلِه** ﷺ: أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ فصل مُخاطبتَه من مُخاطبةِ الُمتقدِّمين قبلَه منَ الأنبياءِ تشريفًا له وإجلالًا، وذلك أنَّ غيرَ هذه الأمةِ مِن الأممِ كانوا يَقولون لأَنبيائِهم ورُسلِهم: راعِنا سَمعَكَ. فنهَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذه الأُمةَ أن يُخاطِبوا رسولَهم بهذِهِ المخاطبةِ الَّتي فيها مغمزٌ وَضَعةٌ، وذمَّهم أن يَسلُكوا به ذلكَ المَسلكَ، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة:١٠٤].

♦ **ومِن فضائِلِه** ﷺ: أن مَن تَقدَّمه منَ الأنبياءِ عليهم السلام كانوا يَدفعون ويَردُّون عن أَنفسِهم ما قذَفتهم به مُكذِّبوهم منَ السفهِ والضلالِ والكذبِ، وتَولَّى اللهُ ذلك عن رسولِه ﷺ، فقال تعالى فيما أخبرَ عن قومِ نوحٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأعراف:٦٠]، فقال دافعًا عن نفسِه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ [الأعراف:٦١]، وقال فرعونُ لموسَى عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء:١٠١]، فقال موسَى عليه السلام مُجيبًا له: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء:١٠٢]. فنزَّهَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّهُ عن ذلكَ عمَّا نَسبوه إليه تشريفًا له وتعظيمًا، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم:٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا

عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]، وقال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النَّجم:٢]، فبرَّأه مِن كلِّ ما رمَوْه به منَ السحرِ والكهانةِ والجنونِ.

♦**ومن فضائِلِه** ﷺ: إقسامُ الله تعالى برسالتِه خصوصًا بقولِه تعالى: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يس:١ - ٣]، بعدَ أن كان مع الرسلِ باسمِ الرسالةِ معمومًا بقولِه تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر:٥١]، والرسلُ في هذا البابِ على السواء فكان ذلك غايةَ الفَضيلةِ في المرتبة والمنزلةِ.

♦**ومن فضائِلِه** ﷺ: أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخبرَ عن قتلِ موسَى عليه السلام حين ائْتَمروا على قتله فخرج خائفًا من المدينةِ بالعبارةِ الَّتي موضوعُها عندَ الجفاةِ الجهلةِ ذمٌّ ونقصٌ، فقال عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عنه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء:٢١]، وعبارةُ القرآنِ لا يُحمَد عليها الأقوياءُ والعظماءُ، وكان رسولُ الله ﷺ حاله في الائتمارِ بقتلِه حالَ موسى عليه السلام وذلك قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠]، فأمرَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ بالخروجِ من مكةَ مهاجرًا، وخرجَ منها محترزًا من مَكرِهم، فكنَّى اللهُ تعالى عن حالِه بأحسنِ العِبارةِ وأضافَ الفعلَ في ذلكَ إليهم فقال عز من قائلٍ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ...﴾ الآية [محمد:١٣]، وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة:١]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة:٤٠]، ولم يَذكُرْه بالفرارِ الَّتي هي ضعةٌ ومذمةٌ عند الجهلةِ بمَعنَى كِتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، بل أَخبرَ بالإخراجِ عنِ المُشرِكين وأضافَه إليهم.

♦**ومِن فضائِلِه** ﷺ: أنَّ اللهَ تعالى خاطبَ داودَ عليه السلام بألَّا يَتَّبع الهوَى فقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، وأَخبرَ عنِ الرسولِ ﷺ بعدَ أن أقسمَ بمَساقطِ النُّجومِ وطوالِعِها ونزولِ القرآنِ ومواقِعِه أنه لا يَنطقُ عنِ الهوَى فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النَّجم:٣]، تَبرئةً له وتَنزيهًا عن مُتابعةِ الهَوى.

♦**ومِن فضائِلِه** ﷺ: أنَّ كلَّ نبيٍّ ذكرَ الله عَزَّوَجَلَّ حالِه؛ وأنه غفرَ له ما كانَ منه، نصَّ عليه، فقال تعالى في قصةِ موسَى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص:٣٣]، وقال: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص:١٦]، فنصَّ على ذنبِه وسألَ ربَّه المَغفرةَ، وأَخبرَ عن داودَ عليه السلام إذ تَسوَّرَ عليه الملكانِ فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص:٢٣]، فذكرَ الظُّلمَ والبغيَ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص:٢٤]، فقال: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٤ - ٢٥]، ونصَّ على زلَلِهم وخَطاياهُم. وأخبرَ تعالى عن غُفرانِ نبيِّه ﷺ ولم يَنصَّ على شيءٍ من زَلَلِهِ إكرامًا له وتشريفًا، فقال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]، فهذا غايةُ الفضلِ والشرفِ.

♦**ومِن فضائِلِه** ﷺ: أخذُ الله الميثاقَ على جميعِ أنبيائِه عليهم السلام أن جاءَهُم رسولٌ آمَنوا به ونصَروه فلَم يَكُن لِيُدرِك أحَدٌ منهم الرَّسولَ إلَّا وجبَ عليه الإيمانُ به والنصرةُ له لأَخذِه الميثاقَ منهم، فجعَلَهم كلهم أَتباعًا له، يَلزمُهم الانقيادُ والطاعةُ له لو أدرَكوه.

♦**ومن فَضائِلِه** ﷺ: أمرُ الله تعالى الناسَ بالتَّأسِّي به فعلًا وقولًا مُطلقًا لم يَستثنِ منها شيئًا، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، واستَثنَى في التأسِّي بخليلِه إبراهيمَ عليه السلام فقال: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [الممتحنة:٤].

♦**ومِن فضائِلِه** ﷺ: أن فرضَ الله تعالى طاعتَه عليه السلام على العالَمِ فرضًا مُطلقًا لا شرطَ فيه ولا استِثناءَ كما فرضَ طاعتَه تعالى فقالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧]، ولم يَقُلْ: مِن طاعتي أو مِن كِتابي أو بأَمري ووَحْيي. بل فرضَ أمرَه ونَهيَه على الخلقِ طُرًّا فرضًا كفرضِ التَّنزيلِ، لا يُرادُّ في ذلك ولا يحاجُّ ولا يُناظرُ ولا يُطالبُ فيه ببيِّنةٍ كما أخبرَ عن قومِ موسَى فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥].

♦**ومِن فَضائله** ﷺ: أنَّ اللهَ تعالى جعَلَه عليه السلام أَوْلى بأُمَّته وبأَموالِهم وبأَنفسِهم وأَهليهم وذراريِّهم منهم بأَنفسِهم، فقالَ تبارك وتعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]، وقعَ ذلكَ مِنهم بوفاقِهم أو كَراهيتِهم، وحكَمَ على مَن وجَد مِن تحكيمِه وقَضائِه في نفسِه ومالِه بالخُروجِ من الإيمانِ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [النساء:٦٥].

♦**ومن فضائِلِه** ﷺ: أنَّ اللهَ قرنَ اسمَه باسمِه في كتابِه عندَ ذِكرِ طاعتِه ومَعصيتِه وفرائضِه وأحكامِه ووعدِه ووعيدِه فقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]، وقالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور:٦٢]، وقالَ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٢٤]، وقالَ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء:١٤]، وقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب:٥٧]، وقالَ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة:١]، وقالَ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة:٣]، قرنَ اسمَه باسمِه في كلِّ هذه الأحكامِ والأحوالِ تعظيمًا له وشريفًا.

(٢) ما رُويَ في تقديمِ نبوتِه ﷺ قبلَ تمامِ خلقِه آدمَ عليه السلام

١- عن العِرباضِ بنِ ساريةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»[(١)].

٢- عن أبي هريرةَ، عن رسولِ الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

قال الشيخُ -أسعدَه اللهُ-: كان ﷺ آخرَهم في البعثِ وبه خُتِمتِ النُّبوةُ، وهو السابقُ يومَ القيامةِ؛ لأنه أولُ مَكتوبٍ في النبوةِ والعهدِ، ففي هذا الخبرِ الفضيلةُ العظيمةُ لرسولِ الله ﷺ لِما أَوجبَ اللهُ له النبوةَ قبلَ تَمامِ خلقِ آدمَ عليه السلام الَّذي هو أبو البشرِ، ويُحتملُ أن يكونَ هذا الإيجابُ هو ما أعلمَ اللهُ به ملائكتَه ما سبقَ في عِلمِه وقضائِه من بعثتِه ﷺ في آخرِ الزمانِ، فمَن حازَ هذهِ الفضيلةَ حقَّ له الصبرُ على مواصلةِ الدعوةِ، واحتمالِ الأذيَّةِ ممَّن ردَّها، وإعظامِ من قبِلَها، واستِفراغِ الوسعِ في احتمالِ كل عارضٍ وشدةٍ وبلوَى تعرِضُ دون إقامتِها، إذِ الفضيلةُ سابقةٌ على فضائلِ مَن تقدَّمَه منَ الأنبياءِ في العهدِ المتقدمِ والخلقِ الأولِ.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨/ ٣٧٩ (١٧١٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٣) فصل في ذِكر فَضيلتِه ﷺ بطيبِ مولدِه وحسَبِه ونسبِه

٣- عن أبي هُريرةَ، أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ»[1].

٤- عن واثلةَ بنِ الأسقع قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصطَفَى كِنانةَ مِنْ ولَدِ إِسْماعيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنانةَ، واصْطَفَى هاشِمًا مِنْ قُرَيْشٍ، واصْطَفاني مِنْ بَني هاشِمٍ»[2].

٥- عنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ قال: قُلتُ: يا رَسولَ الله إن قريشًا جلَسوا فتَذاكَروا أنسابَهم وأَحسابَهم فجعَلوا مثلَك مثلَ نخلةٍ نبَتَتْ في كَبوةٍ منَ الأرضِ. قال: فغضِبَ رسولُ الله ﷺ وقالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حينَ خَلَقَ الخَلْقَ جَعَلَني مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ، ثُمَّ حينَ خَلَقَ القَبائِلَ جَعَلَني مِنْ خَيْرِ قَبيلِهِمْ، وَحينَ خَلَقَ الْأَنْفُسَ جَعَلَني مِنْ خَيْرِ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ حينَ خَلَقَ البُيُوتَ جَعَلَني مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنا خَيْرُهُمْ بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٠٧).

(٤) فصل في ذِكر فَضيلةِ النَّبيِّ ﷺ بأسمائه

٦- عن جُبيرِ بنِ مُطعم قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ لِي أَسْماءً، أَنا مُحَمَّدٌ، وَأَنا أَحْمَدُ، وَأَنا الماحِي الَّذِي يُمْحَى بِي الْكُفْرُ، وَأَنا الحاشِرُ الَّذي يُحْشَرُ الناسُ عَلى قَدَمي، وَأَنا العاقِبُ الَّذي لا نَبِيَّ بَعْدِي»(١).

٧- عن أبي مُوسَى قال: سمَّى لَنا رسولُ الله ﷺ نفسَه أسماءً، منها ما حفِظْنا، قال: «أَنا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالمُقَفِّي، وَالحاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ المَلْحَمَةِ»(٢).

٨- عن عوفِ بنِ مالكٍ قالَ: انطلقَ النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ وأنا معَه حتَّى دخَلْنا كنيسةَ اليهودِ يومَ عيدِهم وكرِهوا دخولَنا عليهم؛ فقال لهمُ النبيُّ ﷺ: «يا مَعْشَرَ اليَهودِ: وَاللهِ لَأَنا الحاشِرُ، وَأَنا العاقِبُ، وَأَنا المُقَفِّي، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنا مَعَهُ»(٣).

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلفتِ الرواياتُ في أعدادِ هذه الأسماءِ، وذلكَ لا يُوجبُ تَضادًّا، فإن هذا كقولِ القائلِ: لي عشَرةُ دراهمَ. فإذا أقرَّ بعشَرةٍ فما دونَ العشَرةِ له أيضًا، ثُم يُقال لصاحبِ العشَرةِ: أَمَعَكَ خمسةٌ؟ فيقولُ: معي خَمسةٌ. ولا يَكون هذا نفيًا للزيادةِ عليها، ويجوزُ أن يكونَ النبيُّ ﷺ قد ذكرَ الأسماءَ العشرةَ فحفِظها بعضُ الصحابةِ وذهبَ عن بعضِهم بعضُ الأسامي، فالأسماءُ العشَرةُ قد كملَت وحصَلَت، وإنِ اختَلَفتِ الرواةُ في رِواياتِهم، وهو محمدٌ وأحمدُ والحاشِرُ والماحي والخاتَمُ والعاقبُ والمُقفِّي ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ الرحمةِ ونبيُّ المَلحمةِ، وذكرَ

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).
(٣) أخرجه أحمد ٣٩/ ٤٠٩ (٢٣٩٨٤).

أبو الطفيلِ في رِوايتِه الفاتحَ وأبا القاسِمِ، فهذه اثنا عشرَ، وأدخلَ بعضُ الناسِ في أعدادها المُتوكِّلَ.

٩- عن عطاءِ بنِ يسارٍ قال: لقيتُ عبدَ الله بنَ عمرِو بنِ العاصِ فقُلتُ: أَخبِرْني عن صِفةِ رسولِ الله ﷺ، فقال: أجَلْ والله، إنَّه لموصوفٌ في التوراةِ كصِفتِه في القرآنِ، يأيُّها النبيُّ، إنا أَرسَلْناكَ شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحِرزًا للأُمِّيِّين، أنتَ عبدي ورَسولي، سمَّيْتُكَ المُتوكلَ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سَخابٍ في الأسواقِ، ولا يَجزِي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يَعفو ويَصفحُ، ولن أَقبضكَ حتَّى أُقيمَ بكَ الملةَ العَوجاءَ، بأن يَقولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ. فيَفتح به قلوبًا غلفًا وآذانًا صُمًّا وأعينًا عُميًا[١].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأمَّا تعدادُ مَن عَدَّ (طه) و(يس) في الأسماءِ فذهبَ إلى ما قاله بعضُ أهلِ التفسيرِ أن معنَى (طه): يا رجلُ، وأن (يس) مَعناها: يا إنسانُ، فلم يُؤثَرْ عنِ النبيِّ ﷺ فيما أعلمُ في هذا شيءٌ.

وممَّا يَتضمَّن اسمُه الماحي والحاشرُ ونبيُّ الرحمةِ ونبيُّ المَلحمةِ معاني لطيفة وفوائد جليلة:

فإن الماحيَ إذا أُجريَ على اللفظِ المُفسَّر في الخبرِ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَمحو به الكفرَ، كان ذلك دَلالةً وبشارةً بكثرةِ الفُتوحِ وانتشارِ ضياءِ الإسلامِ في الأرَضين، وصفحتَيْها شرقًا وغربًا، وأن سُلطانَ الإسلامِ يَكون غالبًا، وسُلطانَ الكفرِ دارسًا عافيًا، وذلك يرجعُ إلى مَعنَى قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]،

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٥)

وليسَ معنَى المحوِ أن يُحسَم الكفرُ أصلًا حتَّى لا يُوجَد في الأرضِ كافرٌ، بل معناهُ أن يَكونوا مَقهورِين باعتِلاءِ المُسلِمين عليهم حتَّى تَكون الأقضيةُ والأحكامُ والحَلُّ والعقدُ للمُسلمين دونَهُم، وأن الكفارَ مَغمورون خامِلو الذِّكرِ ساقِطو الصِّيتِ والكلامِ، إمَّا لذِمةٍ عقِدَت عليهم بصَغارِ الجزيةِ، وإمَّا لخوفِهم من سُيوفِ الإسلامِ فيهم غزوًا وجهادًا. ومثلُ هذا الكلامِ شائعٌ بين أهلِ اللِّسانِ والبيانِ: أن معنى المحوِ مَرجعُه إلى الخمولِ والكتمانِ، ويُريدون بالمحوِ سُقوطَه وخمولَه لظُهورِ العالين والقاهِرين عليهم.

ومعنى المحوِ وإن أُضيفَ إليه ﷺ فلإجراءِ الله ذلك على يَدَيْه فأُضيفَ إليه كما أن الهدايةَ مُضافةٌ إليه والهادي هو اللهُ، فكذلكَ الماحي في الحَقيقةِ هو اللهُ تعالى القاهرُ، فأَضافَ ذلك إلى الرسولِ ﷺ إذ جرَى ذلكَ على يدِه بتَمكينِ الله تعالى له، وتَسليطِه على مَن كذبَه وجحَدَه، وهذه بشارةٌ قد تَحقَّق صدقُه فيها بظهورِ المُسلِمين وعُلوِّهم على مَن خالَفَهم فتَحقَّقتِ الدَّلالةُ، ولله الحمدُ.

ومعنَى الحاشِر على ما رُويَ في الخبرِ أنه يُحشرُ الناسُ على قدمَيْه، أي: لا نبوةَ بعدَه؛ فإن شَريعتَه عليه السلام قائمةٌ ثابتةٌ إلى قيامِ الساعةِ اهتَدَى بها مَنِ اهتَدَى، أو ضلَّ عنها مَن ضلَّ.

ومعنَى نَبيِّ الرحمةِ مثل قولِه: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»، فبِعثتُه مِن الله عَزَّوَجَلَّ رحمةٌ، هدَى بها مَن شاءَ رحمتَه وهُداهُ، وسمِّيَ رحمةً كالمطَرِ المُسمَّى رحمةً؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَرحَمُ عبادَه بالمطرِ فيَسوق إليهم بالمطرِ الخيراتِ، ويُوسِّع عليهم بها النباتَ والأقواتَ، ولا يُوجبُ هذا الاسمُ أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ رحمَ به كلَّ المَدعوِّين من عِبادِه،

وذلك أن ما يُجرِي اللهُ على لسانِه منَ الدعاءِ والبيانِ وإنْ كان رحمةً فصورتُه كعَطيةٍ، مَن قبِلَها فازَ بنَفْعها، ومَن ترَكها ورَدَّها حرِمَ نفعَها ووقعَ عليه العِقابُ.

ومعنَى نبيِّ **المَلحمةِ** فهو إعلامٌ مِنه بما يَكونُ بعدَه وفي زمانِه منَ الحروبِ والجهادِ والقتلِ والسباءِ.

ومعنَى الرحمةِ في إرسالِه ﷺ أن اللهَ تعالى لم يَجعَلْ مُعجِزَته ودلائِلَه ﷺ كدلائلِ الماضين قبلَه منَ الأنبياءِ، وذلك أن الماضين منَ الأُممِ كانوا يَقترِحون على أنبيائِهم ويَتحكَّمون عليهم بالآياتِ على حسبِ شهوتِهم واقتراحِهم، فكانَ دأَبُ الله تعالى فيهم الاصطلامُ إذ لم يُؤمِنوا بها، كقَوْله تعالى لَمَّا اقتَرَحوا على عيسَى عليه السلام المائدةَ فقال اللهُ تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ الآية [المائدة:١١٥]، فاقتَدَى بهمُ المُشرِكون فسأَلوا النبيَّ ﷺ الآياتِ اقتراحًا وتَحكُّمًا، كقولِهِمْ: اجعَلِ الصَّفا لنا ذهبًا، وأَحيِ لنا قُصيًّا، وسيِّرْ جبالَنا لتَتسِعَ مزارعُنا، وأْتِنا بالمَلائكةِ إن كنتَ منَ الصادِقين، وأَنزِلْ علينا كِتابًا نَقرؤُه، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رادًّا عليهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١]، وقال: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ [الحجر:٨].

فجعلَ اللهُ تعالى لرحمتِه بهمُ الآيةَ الباقيةَ مدَّةَ الدُّنيا له ﷺ القرآنَ المعجزَ، وتَحدَّى به أربابَ اللغةِ واللسانِ أن يَأتوا بمِثلِه أو بسُورةٍ أو بآيةٍ مثله، فباؤُوا بالعجزِ عن معارضتِه مع تَمكُّنهم من أصنافِ الكلامِ نَظمًا ونثرًا ورجَزًا وسجعًا، فكان القرآنُ مُعجزةً له ﷺ كإبراءِ الأكمَهِ وإحياءِ الموتَى لعِيسَى مع تَقدُّمِ قومِه

بصناعةِ الطبِّ، وكقلبِ العَصا حيَّةً لموسَى عليه السلام، وفلقِ البحرِ، معَ تمَكُّن قومِ فِرعونَ وحذقِهم بالسحرِ، فكانَ مِن رحمةِ الله تعالى لهذه الأمةِ أن جعلَ أَظهرَ دلائلِ نبوَّةِ نبيِّنا ﷺ القرآنَ الَّذي يُعلَم صدقُه بالاستدلالِ الَّذي يُعرَض فيه الشُّبهُ والشكوكُ، لا كي لا يُستأصَل ويُصطلَم المُنكِرون له كما استُؤصِلَ قومُ صالحٍ لَمَّا كفَروا بالناقةِ، وقومُ موسى بانفِلاقِ البحرِ، وتَلقُّف العَصا حبالَهم وعِصيَّهم.

وإلى هذا المعنَى يَرجِع قولُه تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾ [الإسراء:٥٩]، المَعنَى: أن إرادتَنا لاستِبقاءِ المُقتَرحين للإيمانِ منَعَنا من إرسالِ الآياتِ الَّتي اقتَرَحوا بها لعِلْمنا أنا نُخرجُ من أَصلابِهم مَن يُؤمنُ، وأن مِنهم مَن سبَقَ له مِنَّا الرحمةُ بالإيمانِ، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾ [العنكبوت:٥١]، فدعاهُم إلى التفكرِ والتذكرِ في القرآنِ الَّذي هو من جِنسِ ما يَعرِفونه ويَتعاطَوْنه منَ الفَصاحةِ والبيانِ.

فبانَ بهذا وجهُ الرحمةِ في تسميةِ الله رسولَه ﷺ نبيَّ الرحمةِ ونبيَّ المَلحمةِ والحاشرَ، وأن الكتابَ المعجزَ باقٍ عندَهم بقاءَ الدهرِ، كما قالَ تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام:١٩]، فمَن بلَغَه وقبلَ فازَ ونجا، ومَن ردَّه وكذَّبَ به قوتِلَ ونصبَ بينَه القتالُ والمَلحمةَ حتَّى ينقادَ لشريعتِه أو يقتلَ لسوءِ اختيارِه، فتتمُّ الرحمةُ بهذه المعاملةِ، ويعرفُ فضلُ هذه الأمةِ على غيرِها منَ الأممِ بإزالةِ الاستِئْصالِ والاصطِلامِ عنهمُ الواقعة بغيرِها منَ الماضين منَ الأممِ.

(٥) فصل في ذِكر الفضيلةِ الرابعةِ بإقسامِ الله تعالى بحياتِه

١٠- عنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: ما خلقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وما ذرَأ نفسًا أكرمَ عليه من مُحمدٍ ﷺ، وما سمِعت اللهَ عَزَّوَجَلَّ أقسمَ بحياةِ أحدٍ إلَّا بحياتِه، فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر:٧٢][1].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمعنَى في هذا القسمِ أن المتعارفَ بينَ العُقلاءِ أن الأقسامَ لا تقعُ إلَّا على المُعظَّمين والمُبجَّلين والمُكرَّمين، فتبيَّنَ بهذا جلالةُ الرسولِ ﷺ، وتعظيمُ أمرِه، وما شرعَ اللهُ تعالى على لسانِه منَ الشرائعِ، وتَنبيه عبادِه على وحدانيَّتِه ودعائِه إلى الإيمانِ به، وعرِفَتْ جلالةُ نبوَّتِه ورسالتِه بالقسَمِ الواقعِ على حياتِه إذ هو أعزُّ البريَّةِ وأكرمُ الخليقةِ صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه.

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (٩٣٤)، والطبري في «تفسيره» ١٤/ ٩١.

(٦) ذِكرُ إخبارِ النبيِّ ﷺ بتَفرُّدِه بالسيادةِ يومَ القيامةِ على جميعِ الأنبياءِ والمُرسَلين، وأن آدمَ عليه السلام ومَن دونَه تحتَ لوائه

١١- عن أبي هُريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «أَنا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ، وَأَنا صاحِبُ لِواءِ الحَمْدِ بِيَدِي وَلا فَخْرَ، وَأَنا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ وَلَا فَخْرَ، آخُذُ بِحَلْقَةِ بابِ الجَنَّةِ فَيُؤْذَنُ لي فَيَسْتَقْبِلُني وَجْهُ الجَبَّارِ تعالى وَتَقَدَّسَ؛ فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقولُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ. فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»[(١)].

١٢- عن أنسِ بنِ مالِكٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَنا أَوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الْأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ جُمْجُمَتِهِ وَلا فَخْرَ، وَأَنا سَيِّدُ الناسِ يَوْمَ القِيامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَمَعِي لِواءُ الحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنا أَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ وَلا فَخْرَ، فَآتِي فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بابِ الجَنَّةِ. فَيُقالُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقولُ: مُحَمَّدٌ. فَيُفْتَحُ، فَيَسْتَقْبِلُني الجَبَّارُ عَزَّوَجَلَّ، فَأَخِرُّ لَهُ ساجِدًا، فيَقولُ: يا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَه»[(٢)].

١٣- عن جابِرٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَنا قائِدُ المُرْسَلِينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنا خاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنا شافِعٌ وَمُشَفَّعٌ وَلا فَخْرَ»[(٣)].

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» ١/ ٢٢٧ (١٨٤)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٥٥)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٠، ٢٧١).
(٢) أخرجه أحمد ١٩/ ٤٥١ (١٢٤٦٩)، وأصله في البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).
(٣) أخرجه الدارمي (٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٩٢).

١٤- عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ صاحِبَكُمْ لَصاحِبُ لِواءِ الْحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ وَلا فَخْرَ، تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ»(١).

١٥- عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، فَإِذَا مُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالعَرْشِ فَلا أَدْرِي أَكَذَلِكَ كانَ أَوْ بَعْدَ النَّفْخَةِ»(٢).

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه الأخبارُ وما يُجانِسُها في الشفاعةِ، وإحالةُ آدمَ فمَن دونَه منَ الأنبياءِ عليهم السلام في الشفاعةِ عليه كلُّها داخِلةٌ في مَرتبةِ النبيِّ ﷺ ومنزلتِه ورِفعتِه عندَ ربِّه تعالى؛ لأنَّ النُّبوةَ لا يُخَصُّ بها إلَّا المُنتَخَبين منَ الأُممِ وذوي الأخطارِ العَظيمةِ والمناقبِ الرَّفيعةِ، فإذا كان سائرُ الأنبياءِ عليهم السلام يَدفَعون عن أَنفُسِهم التَّشفُّعَ والمَسألةَ ويُحيلون بها على مُحمَّدٍ ﷺ بان فضلُه وعلوُّ مَرتبتِه على مَراتِبِهم، وفي تعريفِ هذه المنزلةِ وإن لم تَكُنْ في نفسِها معجزةً تَحثيثٌ للمَدعوِّين إلى التصديقِ به، وتَثبيتٌ للمُؤمِنين به، فإن اللهَ تعالى وضعَ نبيَّه في أعلى المَراتِبِ وأشرفِ المَناقبِ؛ لتكونَ القلوبُ مُقبلةً على قَبولِه، والنفوسُ مُسرعةً إلى طاعتِه ﷺ، هذا له معَ ما خصَّه اللهُ به منَ الخصالِ الَّتي لم تُعطَ لِمَنْ تَقدَّمَه منَ النَّبيِّين والمُرسَلين صلواتُ اللهِ عليه وعليهم من المنافعِ البَهيَّةِ والمرافعِ السَّنيةِ.

١٦- عن جابرِ بنِ عبدِ الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعْطيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطِهِنَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَحَدًا قَبْلي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسيرَةَ شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهورًا، فَأَيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ

(١) أخرجه البزار ١٤/ ٣٩٣ (٨١٣٣)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» ٤/ ٨٦٣ (١٤٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٣).

الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ، وَأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ، وَكانَ النَّبيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى الناسِ عامَّةً»(١).

١٧- عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلامِ، وَبَيْنا أَنا نائِمٌ جِيءَ بِمَفاتِيحِ خَزائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ في يَدِي»**.

قال أبو هُريرةَ: لقَدْ ذهبَ رسولُ الله ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلونَها(٢).

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما جعلَ اللهُ تعالى لنبيِّه عليه السلام مِن هذِه الخصالِ الحَميدةِ خَصائصَ له خاصةً، وبِشارةً لأُمَّته، وتكريمًا لهم، فخصَّ نبيَّه بجوامعِ الكلِمِ؛ لئَلَّا يَجِدَ مُلحِدٌ إلى تبديلِه وتغييرِه سبيلًا، وخصَّ أُمتَه بالحفظِ له ليَكونَ محفوظًا لكَبيرِهم وصغيرِهم فتكون حُجَّةُ الله تعالى باقيةً إلى يومِ القيامةِ، وما أُتِيَ به من مفاتيحِ خزائنِ الأرضِ بِشارةٌ منه لأُمتِه بما يَفتحُ اللهُ عليهم منَ المُدُنِ ويَحصُل لهم منَ الغنائم، وأن سُلطانَه عليه السلام، ومُلكَ أمتِه يَستفيضُ ويَنتشرُ في كلِّ مَن يُخالِفُه ويُكذِّبُه منَ العبادِ والملوكِ، لقهرِ الله لهم، وتَمكينِ عبادِه من رِقابِهم وبلادِهِم.

ومِن إكرامِ الله تعالى له ﷺ أن فضَّلَ أمَّتَه على سائرِ الأممِ كما فضَّلَه على سائرِ الأنبياءِ، وكما أنه تعالى فاتحَ نبيَّه عليه السلام بالعَطيةِ قبلَ المسألةِ، كذلك أُمَّته أفضلُ العَطيةِ قبلَ المسألةِ إعظامًا له وإكرامًا ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

(٧) فصل في ذِكره ﷺ في الكتب المُتقدمة، والصحف السالفةِ المدونة عن الأنبياءِ والعلماء من الأمم الماضية، وذِكرُه عند ملوك البلدان وفارسَ والروم، وتوقعهم لإرساله وبعثتِه

١٨- عن سلمة بن سلامَة، قال: كان لنا جارٌ يهودي في بني عبد الأشهلِ قال: فخرج علينا يومًا من بيتِه، وذلك قبل مَبعث النبي ﷺ بيسيرٍ، حتى وقف على مَجلسِ بني عبد الأشهلِ، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدَثُ مَن فيه سِنًّا، عليَّ بردةٌ لي، مضطجع فيها بفناء أهلي، فذكر البعثَ والقيامة والحسابَ والميزان والجنةَ والنار.

قال ذلك لقومٍ أهلِ شرك أصحابِ أوثانٍ، لا يرونَ أن بعثًا كائنٌ بعد الموت فقالوا: ويحكَ! وتكون دار فيها جنةٌ ونارٌ، يُجزون فيها بأعمالهم؟

قال: نعم، والذي أحلِف به، وَلَوَدَّ أن حظَّه من تلك النار أن يوقِدوا أعظم تنور في هذه الدار يحمونَه، ثم يُدخلونه إياه، فيُطبقون عليه، ثم ينجو من تلك النار غدًا.

قالوا: ويحكَ! وما آية ذلك؟

قال: نبي يُبعث من هذه البلاد وأشارَ بيده نحوَ مكةَ واليمنِ.

قالوا: فمتى تراه؟

فرمى بطرفِه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي، وأنا أحدَثُ القوم سِنًّا، فقال: إن يَستنفد هذا الغلام عمرَه يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهبَ الليل والنهار حتى بَعث الله نبيَّه ﷺ، وهو حي بين أظهُرنا، فآمنا به وكَفَرَ به بغيًا وحسدًا.

فقلنا له: ويلَك يا فلان، ألست الذي قلتَ لنا فيه ما قُلتَ؟!

قال: بلى، ولكن ليس به(١).

١٩- عن عاصم بن عمرَ بن قَتادةَ، عن شيخٍ من بني قُريظة قال: هل تدري عَلامَ كان إسلامُ ثَعلبةَ بن سَعْية وأُسيد بن سَعْية وأسد بن عُبيد نفرٍ من بني ذُهل -ليسوا من بني قُريظة ولا من بني نضير، نضير نسبُهم فوق ذلك من بني ذُهل أو هُذيل- أتوه بنو قُريظةَ كانوا معهم في جاهليتِهم، ثم كانوا سادتَهم في الإسلامِ.

قال: قلتُ: لا.

قال: فإن رجُلًا من يهودِ أهل الشام يُقال له: ابن الهَيبان، قدم علينا قبل الإسلام بسنواتٍ، فحلَّ بين أظهُرنا، والله ما رأينا رجُلًا قط لا يصلي الخَمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قَحط المطر، قلنا له: اخرُج يا ابن الهَيبان فاستسق.

فيقول: لا والله حتى تقدِّموا بين يدي مَخرجِكم صدقةً.

فيقولون: كم؟

فيقول: صاعٌ من تمر، أو مُدَّان من شعيرٍ عن كل إنسان.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٥/ ١٦٤ (١٥٨٤١).

قال: فنُخرجها، فيخرج بنا إلى ظاهر حرَّتنا، فيستسقي لنا، فوالله ما يَبرح مجلسه حتى يمرَّ السحاب والشِّراجُ[(١)] سائلة، فنُسقى به، فعل ذلك غيرَ مرة ولا مرتين ولا ثلاثًا.

قال: ثم حضرَته الوفاة، فلما عرَف أنه ميتٌ، قال: يا معشرَ يهود، ما ترونه أخرجني من أرضِ الخمرِ والخمير إلى أرضِ الجُوع والبؤس؟

قال: قلنا: الله أعلمُ.

قال: فإني قدِمت هذا البلد أتوكَّفُ خروج نبي قد أظلَّ زمانُه، هذه البلدة مُهاجرُه، فكنت أرجو أن يُبعث فأتبعه فلا يسبقنَّكم إليه يا معاشر يهود أحدٌ، فإنه يبعث بسفك الدماءِ وسبي الذراري والنساء ممن خالفَه، فلا يمنعنَّكم ذلك منه.

فلما بُعث رسول الله ﷺ وحاصرَ بني قُريظة، قال هؤلاء الفِتية -وكانوا شبانا أحداثا-: يا بني قُريظةَ، والله إنه النبي الذي عهِد إليكم فيه ابنُ الهَيبان.

فقالوا: ليس به.

فقالوا: بَلى والله، إنه لهو بِصفته، فنزلوا فأسلموا وأحرزوا دماءَهم وأموالَهم وأهاليهم[(٢)].

---

(١) الشِّراج: جمع شرجة وهي: مسيل الماء من الحرة إلى السهل.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٨٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٩/ ١٩٢.

٢٠- عن عاصم بن عمرَ بن قَتادة عن أشياخٍ منهم قال: قالوا: فينا والله وفيهم نزلَت هذه القصة: كنا قد عَلوناهم ظهرًا في الجاهليةِ، ونحن أهلُ شركٍ، وهم أهلُ كتابٍ، فكانوا يقولون: إن نبيًّا يُبعث الآن نتَّبعه، قد أظلَّ زمانُه، نقتلُكم معه قتل عاد وإرم، فلما بَعث الله رسولَه من قريش واتَّبعناه كفروا به، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠][١].

٢١- عن عليٍّ الأزديِّ وهو البارقي، في قوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية [البقرة: ٨٩]: اليهود كانوا يقولون: اللهم ابعثْ هذا النبي يحكُمُ بيننا وبين الناس، ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾: يستكبرون على الناسِ[٢].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونعوتُه وصفاتُه ﷺ من الكتب المنزلةِ، وعند الرهابنةِ والأساقفةِ والأحبار من أهلِ الكتابَيْنِ مستفيضٌ، وكانوا يَرجعون في أمر بِعثته، وإرسالِه إلى علمٍ متيقَّنٍ كالضروريِّ لتبشيرِ الأنبياءِ صلوات الله عليهم به، وبإرسالِه وإيصائِهم أمتَهم بتصديقِه إن أدركَتهُ، وما كانت في أيديهم من الكتبِ والعهود المتقدمة المتوارَثةِ عن آبائهم، وأسلافِهم.

٢٢- عن مطرِّف بن مالك قال: شهدتُ فتح تُستَرَ مع الأشعري، فأصبنا قبرَ دانيال عليه السلام بالسُّوس، وكانوا إذا استسقوا خرجوا فاستسقوا به، قال: فأصبنا معه ستِّين جرَّةً مختَّمةً، ففتحنا جرة من أدناها، وجرَّةً من أوسطها، وجرة من أقصاها، فوجدنا في كل جرة عشرةَ آلاف.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢/ ٢٣٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٧٦.
(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢/ ٢٣٨، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٥٧.

قال همَّام: لا أُراه إلا قال: عشرةَ آلاف وافٍ، قال: وأصبنا معه رِيطتينِ[(١)] من كتانٍ، قال: وأصبنا معه رَبعةً[(٢)] فيها كتاب، قال: وأول من وقعَ عليه رجل من بَلْعنبرَ يُقال له: حُرقوص، قال: فأعطى الأشعريَّ الرِّيطتين وأعطاه مئتي درهم، ثم إن الأشعريَّ طلبَ إليه أن يرد إليه الرِّيطتينِ فأبى أن يردها وشَقَّها عمائمَ بين أصحابه، وكان معنا أجيرٌ نصرانيٌّ يُسمى: نُعيمًا، فقال: تبيعونني هذه الرَّبعة بما فيها؟

قالوا: إن لم يكن فيها ذهبٌ أو فضةٌ أو كتاب الله.

قال: فإن فيها كتاب الله.

قال: فكرهوا أن يَبيعوا الكتاب.

قال: فبعناه الرَّبعة بدرهمين، ووهبنا له الكتابَ.

قال قتادة: فمِن ثَمَّ كُره بيعُ المصاحف؛ لأن الأشعري وأصحابَه كرهوا بيع ذلك الكتاب، قال: فبدا لي بعد أن آتِي بيتَ المقدس.

قال: فبينا أنا بقَيَّاض، وقال عفان: يُقال: بقناص، وإذا أنا براكبٍ أشبَهُ بالأجيرِ الذي كان معنا.

قلت: أنُعيم أنت؟

قال: نعم.

---

(١) (رِيطتَينِ) الرِّيطَة: بكسر الراء، جمع رَيطة بفتحها، وهي الملاءة الرقيقة اللينة من الكتان لا تكون لفقتين، بل تكون قطعة واحدة.

(٢) (رَبعَة): إناء مربع كالجونة.

قلت: ما صنعتَ في نصرانيَّتك؟

قال: تحنَّفت، وبدا لي أن آتيَ بيتَ المقدس.

قلت: فإني أصحبُك.

قال: فانطلقنا ثلاثا حتى قدمنا دمشقَ، فلقينا كعبا.

قال: إذا دخلتَ المسجدَ فاجعل الصخرةَ بينك وبين القبلَة، فانطلقنا ثلاثَتُنا إلى أبي الدرداءِ فدخلنا عليه، فقالت أمُّ الدرداءِ لكعبٍ: ألا تعدِّيني على أخيك، إنه يقومُ الليلَ ويصومُ النهارَ، قال: فقضى لها أن يؤاكلَها من كلِّ ثلاثة أيام يومًا، ومن كل ثلاثِ ليالٍ ليلةً، قال: فانطلقنا ثلاثَتُنا إلى بيت المقدسِ، فلما سمعت أحبارُ يهود بنُعيم وكعب أقبلوا إليهما.

قال كعب: هذا كتابٌ قديمٌ فاقرؤوه.

قال: فجعل قارئٌ لهم يقرأُ حتى أتى آخرَ حرف فيه، قال: فضربَ به الأرضَ، فغضب نُعيم وأخذ الكتابَ فقال: هذا كتابٌ قد بَلِي، فلا أدعكم تقرؤونه، فلم يزالوا به حتى رضِيَ أن يُمسكهُ في حجره ويقرؤونه هم، فأتوا على ذلك الحرفِ، فإذا فيه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، فأسلمَ منهم يومئذ اثنان وأربعون حَبرًا.

قال: وذلك في خلافةِ معاويةَ، فألحقهم وأعطاهُم[(١)].

٢٣- عن الفَلتانِ بن عاصمٍ قال: كنا قُعودًا مع النبي ﷺ في المسجد، فشخَص بصرُه إلى رجل يمشي في المسجدِ، فقال: «**أفلانٌ؟**»

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨/ ٣٠٦ (٣٤٥١٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ٣٩٠.

قال: لبيك يا رسولَ الله، ولا يُنازعه الكلامَ إلا قال: يا رسولَ الله.

فقال له النبيُّ ﷺ: «**أتشهدُ أني رسولُ الله؟**»

قال: لا.

قال: «**تقرأُه في التوراةِ؟**»

قال: نعم.

قال: «**والإنجيلِ؟**»

قال: نعم.

قال: «**والقرآنِ؟**»

قال: لا.

قال: «**والذي نفسي بيده لو تشاء لقرأتَه.**»

قال: ثم ناشده: هل تجدُني في التوراةِ والإنجيلِ؟

فقال: سأحدثك مَثلَك ومثلَ هيئتِك ومخرَجِك، وكنا نرجو أن تكونَ منا، فلما خرجت تخوَّفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فإذا ليسَ هو أنت.

قال: «**فلم ذلك؟**»

قال: إن معه من أُمتِهِ سبعين ألفا ليس عليهم حِسابٌ ولا عذابٌ، إنما معك نفرٌ يسيرٌ.

قال: «**فوالذي نفسي بيده لأنا هو، إنهم لأُمتي، وإنهم لأَكثرُ من سبعين ألفا وسبعين ألفا**»[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الحديثُ وإن كان في وقتِه وعهدِه ﷺ، خارجًا عن صفةِ أمتِهِ بالكثرةِ عن كتبِهم، ففي إخبارِه ﷺ بما يؤولُ إليه أمرُهُ من كثرةِ أتباعِهِ وأمَّتِهِ في وقتٍ آخرَ دليلٌ كافٍ، وذلك أنه قد وُجِدَ على ما أخبرَ به. ولله الحمد.

٢٤- قال عبدُ الله بن سلَام: إن الله لما أراد هُدى زيدِ بن سَعية قال زيد بن سَعية: إنه لم يبقَ من علامات النبوةِ شيءٌ، إلا وقد عرفتُها في وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يَسبق حلمُه جهلَه، ولا يزيدُه شدةُ الجهل عليه إلا حلمًا، فكنت أتلطفُ له لأنْ أخالطه فأعرف حلمَه وجهلَه.

قال: فخرج رسولُ الله ﷺ يومًا من الحُجرات، ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجلٌ على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسولَ الله، إن قرية بني فلان قد أسلموا، ودخلوا في الإسلامِ، فكنت حدثتُهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزقُ رغدًا وقد أصابتهم سَنة وشدة وقحوطٌ من الغيث، وأنا أخشى يا رسولَ الله أن يَخرجوا من الإسلام طَمعًا كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيتَ أن ترسلَ إليهم بشيء تُعينهم به فعلتَ.

قال: فنظرَ رسولُ الله ﷺ إلى رجل إلى جانبه -أُراه عليًّا-، فقال: ما بَقي منه شيء يا رسولَ الله.

---

(١) أخرجه البزار ٩/ ١٤٤ (٣٧٠٠)، وابن حبان ١٤/ ٥٤١ (٦٥٨٠)، والطبراني في «الكبير» ١٨/ ٣٣٢- ٣٣٤، (٨٥٤، ٨٥٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٢٣٦.

قال زيد بن سَعية: فدنوت إليه، فقلتُ له: يا محمدُ، هل لك أن تَبيعني تمرًا معلومًا من حائطِ بني فلان إلى أجَل كذا وكذا؟

فقال: «**لا يا يهودي، ولكن أبيعُك تمرًا معلومًا إلى أجل كذا وكذا، ولا أسمِّي حائطَ بني فلان**».

قال: فقلت: نعم، فبايَعني، فأطلقت هِمياني[١]، فأعطيته ثمانين مِثقالًا من ذهبٍ في تمر معلوم إلى أجَل كذا وكذا، فأعطى الرجلَ، وقال: «**أعجِل عليهم وأغِثهم بها**».

قال زيد بن سَعية: فلما كان قَبل محلِّ الأجل بيَومين أو ثلاثة، خرج رسولُ الله ﷺ في جَنازةِ رجل من الأنصارِ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفرٍ من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما صلَّى على الجَنازة ودنا من جدارٍ ليجلسَ إليه أتيته فأخذتُ بمَجامعِ قميصه وردائه، ونظرتُ إليه بوجه غليظٍ.

ثم قلت: ألا تَقضيني يا محمدُ حقِّي، فوالله ما علمتُكم بني عبد المطلبِ لُمطل، ولقد كان لي بمخالطتِكم علمٌ.

قال: ونظرتُ إلى عمرَ بن الخطابِ، وعيناه تَدوران في وجهِه كالفَلك المستديرِ، ثم رماني ببصرِه.

قال: أيْ عدوَّ الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمعُ، وتفعل به ما أرى؟! فوالذي بعثَه بالحقِّ لولا ما أحاذر فوتَهُ لضربت بسيفي رأسكَ.

ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكونٍ وتُؤدة وتبسم.

---

(١) (هِميَاني) الهميان: تِكَّة السراويل.

ثم قال: **«أنا وهو كنا أحوجَ إلى غيرِ هذا منك يا عمر: أن تأمرَني بحُسنِ الأداءِ، وتأمرَه بحسنِ التباعة، اذهب به يا عمرُ، فاقضِه حقَّه، وزِده عشرين صاعًا من تمر مكان ما رُعته»**.

قال زيد: فذهب بي عمر، فقضاني حقِّي وزادني عِشرين صاعًا من تمر.

فقلت: ما هذه الزِّيادة؟

فقال: أمرَني رسولُ الله ﷺ أن أزيدَك مكان ما رُعتك.

فقلت: أتعرفُني يا عمرُ؟

قال: لا، فمن أنت؟

قلت: أنا زيد بن سَعية.

قال: الحَبر؟

قلت: الحبر.

قال: فما دعاك أن تقولَ لرسولِ الله ﷺ ما قلتَ، وتفعل به ما فعلتَ؟

قلت: يا عمرُ كلُّ علامات النبوة قد عَرفتُ في وجه رسولِ الله ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنتين، لم أُخبرهما منه: يَسبق حلمُه جهلَه، ولا يزيدُه شدةُ الجهلِ عليه إلا حِلمًا فقد اختبرتُهما، فأشهدُك يا عمر أني قد رضِيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وأشهدك أن شطرَ مالي -فإني أكثرُها مالا- صدقةً على أُمة محمدٍ ﷺ.

فقال عمرُ: أو على بعضِهم، فإنك لا تَسعُهم كلَّهم؟

قلت: أو على بعضِهم.

قال: فرجَع عمرُ وزيدٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال زيدٌ: أشهدُ ألا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسولُه، فآمن به وصدَّقه وتابَعَهُ، وشهِد مع رسولِ الله ﷺ مَشاهدَ كثيرة، ثم تُوفي في غزوة تبوك مُقبلًا غير مدبرٍ، رحمَ الله زيدًا[(١)].

٢٥- عن أسامةَ بن زيدٍ قال: قال زيدُ بن عمرِو بن نُفيلٍ، قال لي حَبر من أحبار الشامِ: قد خرجَ في بلدِك نبي، أو هو خارجٌ، قد خرج نجمُه، فارجع فصدقه واتَّبعه وآمن به[(٢)].

٢٦- عن أبي سفيانَ بنِ حرب قال: قال لي هرقلُ لما سألني عن رسولِ الله ﷺ فأخبرتُه، فقال: إن يكُ ما تقولُ فيه حقًّا إنه نبيٌّ، وقد كنتُ أعلمُ أنه خارجٌ، ولم أكن أظنُّه منكم، ولو كنتُ أعلمُ أني أخلصُ إليه لأجبتُ لقاءَه، ولو كنتُ عندَه لغسلتُ عن قدمَيه، وليبلغَنَّ ملكُه ما تحتَ قَدَمي[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ١١٠ (٢٠٨٢)، وابن حبان ١/ ٥٢١، ٥٢٣ (٢٨٨)، والطبراني في «الكبير» ٥/ ٢٢٢ – ٢٢٣، (٥١٤٧)، والحاكم ٣/ ٧٠٠ – ٧٠١ (٦٥٤٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٢٧٨-٢٨١.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ١/ ١٩٩-٢٠٠ (٢٥٧)، والبزار ٤/ ١٦٥ (١٣٣١)، والنسائي في «الكبرى» ٧/ ٣٢٥ (٨١٣٢)، والحاكم ٣/ ٢٣٨، ٢٣٩ (٤٩٥٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٢٦.

(٣) أخرجه مطولًا البخاري (٧، ٢٩٤٠)، ومسلم (١٧٧٣).

(٨) فصل في ذكر ما سُمعَ من الجنِّ وأجواف الأصنامِ، ومن الكُهان بالإخبار عن نبوتِه ﷺ

٢٧- عن جابرِ بن عبدِ الله، أنَّ أول خبرٍ كان بالمدينة بمَبعثِ النبي ﷺ: أن امرأةً من أهل المدينة كان لها تابعٌ من الجنِّ، فجاء في صورةِ طائرٍ أبيضَ، فوقع على حائطٍ لهم فقالت له: لـمَ لا تنزِل إلينا فتُحدثنا ونحدِّثُك، وتخبرنا ونُخبرك؟ قال لها: إنه قد بُعث نبيٌّ بمكة حرَّم الزنا، ومنعَ منا القرارَ[1].

(١) أخرجه أحمد ٢٣/ ١٣٢ (١٤٨٣٥).

(٩) فصل في ذِكر حملِ أُمه ووضعِها به، وما شاهدتْ من الآيات والأعلامِ على نبوته ﷺ

٢٨- عن عُتبة بن عبد: أن رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ فقال: كيف كان أولُ شأنك يا رسولَ الله؟

قال: «كانت حاضنتي من بَني سعدِ بن بكر، فانطلقتُ أنا وابنٌ لها في بَهمٍ لنا[1]، ولم نأخذ معنا زادًا، فقلتُ يا أخي: اذهب فائتِنا بزادٍ من عند أُمِّنا، فانطلقَ أخي ومكثتُ عند البهمِ، فأقبلَ طائران أبيضانِ كأنها نسرانِ، فقال أحدُهما لصاحبِه: أهو هو؟ قال: نعم. فأقبَلا يَبتدران، فأخذاني فبَطحاني للقفا، فشقَّا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقَّاه، فأخرجا منه عَلَقتين سوداوين.

فقال أحدُهما لصاحبه: ائتني بماء ثلجٍ، فغسلا به جَوفي، ثم قال: ائتني بماء بَردٍ فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتِني بالسكِينة فذرَّها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبِه: خُصَّهُ، فخَصَّه، وختم عليه بخاتَم النبوة.

فقال أحدُهما لصاحبه: اجعلْه في كِفَّةٍ، واجعل ألفًا من أمَّته في كفة، فإذا أنا أنظرُ إلى الألف فوقي أشفق أن يَخر علي بعضُهم، فقال: لو أن أُمته وُزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتَركاني، وفَرِقتُ فرقًا شديدًا، ثم انطلقتُ إلى أمي فأخبرتُها بالذي لَقيتُ، فأشفَقَت أن يكون قد أُلبس بي.

---

(١) البَهْم: جمع بَهْمَة، وهي: ولد الضأن الذكرُ والأنثى، وجمع البهم: بهام.

فقالت: أُعيذُك بالله، فرَحلت بَعيرًا لها وحملتني على الرحلِ، وركبتْ خلفي، حتى بلْغنا إلى أمي، فقالت: أدَّيتُ أمانتي وذمتي، وحدثتْها بالذي لقيتُ، فلم يرُعها ذلك، وقالت: إني رأيتُ خَرَجَ منى نورٌ أضاءت منه قصورُ الشام»[(١)].

٢٩- عن أبي مريم الغسَّاني قال: أقبل أعرابي حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو قاعدٌ، عنده حلقة من الناسِ فقال: ألا تُعطيني شيئًا أفعله وأحملُه ينفعني ولا يضرُّك، فقال الناس: مه، اجلسْ، فقال النبي ﷺ: «**دعوه، فإنما سألَ الرجلُ ليَعلم**». فأفرجوا له حتى جلسَ، فقال: أيُّ شيء كان أولَ نبوتك؟ فقال: «**أخذَ الله مني الميثاقَ كما أخذَ من النبيين مِيثاقَهم، قال الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾** [الأحزاب ٧]، **ودعوةُ أبي إبراهيم قال: ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾** [البقرة ١٢٩]، **وبُشرى المسيحِ ابن مريم، ورأت أُمي في منامِها أنه خرجَ من بين رِجلَيها سِراجٌ أضاءت له قصورُ الشامِ**»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد ٢٩/ ١٩٤ (١٧٦٤٨).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ٣٩٧ (٢٤٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٢/ ٣٣٣ (٨٣٥).

(١٠) فصل في ذكر ما جرى على أصحاب الفيل من دلالة نبوته عام مولده ﷺ

وقصةُ الفيلِ من أشهرِ القصصِ قد نطَقَ القرآنُ بها، ورُويت الأشعارُ فيها، ولم يختلِف أحدٌ فيها لا مشركٌ ولا موحِّدٌ، صارت هذه القصةُ في جملةِ القصصِ التي لا يمكنُ إنكارُها، وذلك في العام الذي وُلد فيها رسولُ الله ﷺ، فدلَّ ظاهرُ الحالِ على أن صرفَ الله تعالى أصحابَ الفيل عن قصدِهم في تخريبِ الكعبةِ دلالةٌ على تقويةِ أمرِ الحجِّ، وتأييدٌ لمن يأمرُ به ويدَّعي أنه شريعةٌ له، فصار أمرُ الفيلِ لهذا المعنى بشارةً بالنبيِّ ﷺ، وتحقيقًا لشريعتِه، وتأيدًا لدعوتِه، ولله الحمد، وكان مولدُه ﷺ عام الفيلِ، وكان مبعثُه بعدَ الفيل بأربعين سنةً.

٣٠- عن عائشةَ قالت: رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائقَه بمكةَ أعميَينِ مقعدَينِ يستطعمانِ[(١)].

٣١- عن قيسِ بن مخرمةَ قال: وُلدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل، قال: وسألَ عثمانُ بنُ عفانَ قَباثَ بنَ أَشيم أخا بني عمرو بن ليثٍ: أنت أكبرُ أم رسولُ الله ﷺ؟ قال: رسولُ الله ﷺ أكبرُ مني، وأنا أقدمُ منه في الميلادِ، ورأيتُ خُزْقَ الفيلِ[(٢)] أخضرَ محيلًا بعدَه بعامٍ، ورأيتُ أميةَ بن عبد شمس شيخًا كبيرًا يقودُه، إمَّا قال: ابنه، وإمَّا قال: غلام له، فقال: يا قَباثُ، أنت أعلمُ وما تقولُ[(٣)].

٣٢- عن ابنِ شهابِ الزهريِّ أنه قال: أولُ ما ذُكِر مِن أمرِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشم جدِّ رسولِ الله ﷺ أن قريشًا خرجَتْ من الحرمِ فارَّةً مِن أصحابِ الفيلِ

---

(١) أخرجه البزار ١٨/ ٢٥٧ (٢٩٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٢٥.
(٢) خُزْق الفيل: روثه.
(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ١/ ٤٠٧ (٥٦٦).

وهو غلامٌ شابٌّ، فقال: والله لا أخرجُ من حرمِ الله أبغي العزَّ في غيرِه، فجلَسَ عبدُ المطلب عندَ البيتِ وجلَتْ قريشٌ عنه، فقال: اللهُمَّ إن المرءَ يمنعُ رحلَه فامنَع حِلالَك لا يغلبَنَّ صليبُهم ومِحالُهم عَدْوًا مِحالَك فلم يزَل ثابتًا في الحرمِ حتى أهلكَ الله الفيلَ وأصحابَه، ورجعَت قريشٌ وقد عظمَ فيهم عبدُ المطلب لما رأوا من بصيرتِه وتعظيمِه لمحارمِ الله[1].

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ٣١٣ (٩٧١٨)،والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ٨٥.

(١١) فصل في ذكرِ نُشوئه وتصرُّفِ الأحوالِ به إلى أن أكرَمه الله بـالوحي فأسَّس له النبوة وهيَّأ له الرسالة، وما ظهر في قومِه من استكماله خلالَ الفضل واعترافهم به، بما يكون حُجة على من امتنع من الانقيادِ له ﷺ

كان أبوه عبدُ الله بنُ عبدِ المطلب خرج في عيرٍ لقريش تاجرًا إلى الشام -إلى غزَّة- فمرِض في مُنصرفِه بالمدينة عند أخواله، فبَقي عندهم شهرًا مريضًا فتُوفي ودُفن بها، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل.

٣٣- عن حليمةَ بنتِ الحارث السعدية، أم رسول الله ﷺ التي أرضعَتْه، قالت: أصابَتْنا سنةٌ شهباءُ، لم تُبقِ لنا شيئًا، فخرجتُ في نسوةٍ من بني سعدِ بن بكر نلتمسُ الرضعاءَ بمكةَ على أتانٍ لي قمراءَ، فلم يبقَ منا امرأةٌ إلا عُرض عليها النبيُّ ﷺ فتأباه، وعُرِض علي فأتيتُه، وذلك أن الظؤرةَ إنما كانوا يرجون الخيرَ من قبلِ الآباء، ويقولون: لا أبَ له، وما عسى أن تفعلَ أمُّه، فلم تبقَ منهن امرأةٌ إلا أخذَتْ رضيعًا غيري، وحان انصرافهن إلى بلادِهن، فقلتُ لزوجي: لو أخذتُ ذلك الغلامَ اليتيمَ كان أمثلَ من أن أرجعَ بغير رضيعٍ، فأتيتُ أمَّه فأخذتُه، ثم جئتُ إلى منزلي، فكان لي صغيرٌ والله لا ينامُ مِن الجوع، فلما ألقيتُ رسولَ الله ﷺ على ثديي أقبلا عليه بما شاء الله من اللبنِ حتى رَوِي، ورَوي أخوه ونامَا، وقام زوجي إلى شارفٍ لنا، والله ما أن تبض بقطرةٍ فلما وقعَت يدُه على ضرعِها فإذا هي حافلٌ، فحلَبَ ثم أتاني، فقال: والله يا بنتَ أبي ذؤيب ما أظنُّ هذه النسمةَ التي أخذتِها إلا مباركةً، وأخبرني بأمر الشارفِ، وأخبرتُه بخبر ثديي وما رأيتُ منهما، ثم أصبحنا فغدَونا وكنتُ على أتانٍ قمراءَ، والله ما أن تلحقَ الحمرَ ضعفًا، فلما أن وضعتُ عليها رسولَ الله ﷺ [جعلت] تتقدَّم الركبُ، فيقولون: والله إن لأتانِك

هذي لشأنًا. قالت: فقدِمنا بلادَنا بلادَ سعد بن بكر لا نتعرفُ من الله إلا البركةَ، حتى إن كان راعينا لينصرفَ بأغنامِنا حفلًا، وتأتي أغنامُ قومِنا ما أن تبض بقطرةٍ، فيقولون لرعيانهم: ويحكم! ارعوا حيث يرعى راعي ابنةِ أبي ذؤيب، فلم نزل كذلك، فبينما هما يومًا يلعبان في تهمٍ لنا وراءَ بيوتِنا إذ جاء أخوه يسعى، فقال: ذاك أخي القرشي قد قُتِلَ. فانطلقت وأبوه فاستَقبلنا وهو منتقعُ اللونِ، فجعلتُ أضمُّه إليَّ مرَّةً، وأبوه مرَّةً، ونقول: ما شأنُك؟ فيقول: لا أدري إلا أنه أتاني رجلان، فشقَّا بطني، فساطاه، فقال أبوه: ما أظن هذا الغلامَ إلا وقد أُصيب، فبادري به أهلَه مِن قبل أن [يتفاقمَ] به الأمرُ عندَنا(١).

قيل: فلما تُوفِّيت آمنةُ قبضَه عبدُ المطلب فضمَّه إليه، فرَقَّ له عبدُ المطلب رقةً لم يرقها على ولدِه، وكان يقربُه ويُدنيه، وكان له مجلسٌ لا يجلسُ عليه غيرُه، وكان يُفرش له في ظلِّ الكعبةِ فراشٌ ويأتي بنو عبد المطلب فيجلسون حولَ ذلك الفراشِ ينظرون إلى عبدِ المطلب، ويأتي رسولُ الله ﷺ حتى يرقى على الفراشِ فيجلسُ عليه فيقولُ له أعمامُه: مهلًا يا محمدُ عن فراشِ أبيك، فيقول عبدُ المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني، إنه ليؤنس ملكًا.

٣٤- قال الواقدي: أجمعَتْ قريشٌ أن يجهزوا عيرًا إلى الشامِ بتجاراتٍ وأموالٍ عظامٍ، وأجمع أبو طالبٍ المسيرَ في تلك العيرِ، فخرَجَ معه ﷺ، فلما نزَلَ الركبُ بصرَى من الشامِ وبها راهبٌ يُقال له: بحيرا الراهب في صومعةٍ، وكان كثيرًا ما يمرُّون به قبلَ ذلك لا يكلِّمهم، حتى كان ذلك العام فنزلوا قريبًا من صومعتِه، فلما مرُّوا عليه صنعَ لهم طعامًا ودعاهم، وإنما حملَه على ذلك أنه رآهم

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٥٠).

حينَ طلعوا وغمامةٌ تظلُّ رسولَ الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحتَ شجرةٍ، ثم نظَرَ تلك الغمامةَ قد أظلّت الشجرةُ فتهصَّرت أغصانُ الشجرةِ على النبي ﷺ حتى استظلَّ، فلما رأى بحيرا ذلك نزَلَ من صومعتِه وأمر بذلك الطعامِ فأتى به وأرسلَ إليهم: يا معشرَ قريشٍ، إني قد صنعتُ لكم طعامًا، وأنا أريد أن تحضروا ولا يتخلفَنَّ منكم صغيرٌ ولا كبيرٌ ولا حرٌّ ولا عبدٌّ، فإن هذا شيءٌ تكرمونني به، وانقلعَت الشجرةُ من أصلِها حينَ فارقَها رسولُ الله ﷺ، وجعل بحيرا يلحظُه لحظًا شديدًا، وينظر إلى شيءٍ من جسدِه قد كان يجدُها عندَه من صفتِه، فلما تفرَّقوا عن طعامِهم جعَلَ يسألُه عن أشياءَ مِن أحوالِه فيخبرُه، وكلَّمه أن ينزعَ جبةً عليه حتى نظرَ إلى ظهرِه وإلى خاتمِ النبوةِ بينَ كتفيه عليه السلام مثلَ زر الحجلةِ متواسطًا، فاقشعرَّت كلُّ شعرةٍ في رأسِه وقبَّلَ موضعَ خاتمِ النبوةِ، ثم قال الراهبُ لأبي طالب: ارجِع بابنِ أخيك إلى بلدِك واحذَر عليه اليهودَ؛ فوالله إن رأَوه أو عرفوا منه الذي أعرفُ ليبغنَّه عنتًا؛ فإنه كائنٌ لابن أخيك شأنٌ عظيمٌ نجدُه في كتبِنا وما ورثْنا مِن آبائِنا، وقد أُخِذ علينا مواثيقُ.

٣٥- عن نفيسةَ بنتِ أميةَ تقولُ: لما بلَغَ رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين سنةً وليس له بمكةَ اسمٌ إلا الأمينَ؛ لما تكاملَتْ فيه مِن خصالِ الخيرِ أرسلَتْ إليه خديجةُ فقالت: إنه قد دعاني إلى البعثةِ إليك ما بلغَنِي من حديثِك وعظمِ أمانتِك وكرمِ أخلاقِك، وأنا أُعطيك ضعفَ ما أُعطي رجلًا من قومِك، ففعَلَ رسولُ الله ﷺ، فخرَجَ مع غلامِها ميسرةَ حتى قَدِم الشامَ، فنزلا في سوق بصرى في ظلِّ شجرةٍ قريبًا من صومعةِ راهبٍ من الرهبانِ يُقال له: نسطور، قال: فاطلَعَ الراهبُ إلى ميسرةَ وكان يعرفُه فقال: يا ميسرةُ، مَن هذا الذي نزَلَ تحتَ الشجرةِ؟ فقال ميسرةُ: رجلٌ من قريشٍ مِن أهلِ الحرمِ، قال له الراهبُ: ما نَزَلَ تحت هذه الشجرةِ

قطُّ إلا نبيٌّ، ثم قال: أفي عينيه حمرةٌ؟ قال ميسرةُ: نعم، لا تُفارِقه قطُّ. قال الراهبُ: [هذا] هو، وهو آخرُ الأنبياءِ، ويا ليت أنِّي [أُدرِكه] حين يُؤمر بالخروج، وكان ميسرةُ يرى رسولَ الله ﷺ إذا كانت الهاجرةُ واشتدَّ الحرُّ يرى ملكَينِ يُظلَّانه من الشمسِ وهو على بعيرِه[1].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما تضمَّن هذا الفصل من أحوالِه ﷺ مِن حين تزوَّجت آمنةُ وحملِها ووضعِها به واسترضاعِه [وحضانةِ حليمةَ] ظئرِه، إلى أن بلَغَ خمسًا وعشرين سنةً المقرونة بالآياتِ [دلالةً] على نبوتِه ﷺ بخروجِها عن المتعارفِ والمعتادِ، مع توسمِ أهلِ الكتبِ وغيرِهم الأماراتِ التي دونَتْها الكتبُ المتقدمةُ والأخبارُ السالفةُ بالبشاراتِ به، وترقبُهم لمبعثِه ومخرجِه علاماتٌ ودلائل لمن منَّ الله عليه بالإيمان به وصار به موقنًا ولنبوتِه محققًا ﷺ، وكان يُشاهدُ منه في صباه مخائلُ السؤددِ والرياسةِ.

٣٦- عن وهبِ بن كَيسان مولى الزبيرِ سمعتُ عبدَ الله بنَ الزبيرِ، وهو يقولُ لعُبيدِ بن عُميرِ بن قَتادةَ الليثي: حدِّثنا يا عبيدُ كيف كان بدء ما ابتدأ الله به رسولَه من النبوة حين جاءه جبريلُ عليهما السلامُ؟ قال: كان رسولُ الله ﷺ يُجاورُ في حِراء كلَّ سنة شهرًا، فأتاه جبريلُ ﷺ وأنزل عليه «سورةَ اقرأ»، فرجَع إلى خديجةَ، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فلقد بَعثتُ رسلي في طلبِك حتى بَلَغوا مكةَ، ورجَعوا إلي.

قال: «**قلت لها: إن الأبعدَ لَشاعرٌ مجنونٌ**».

---

(١) أخرجه بمعناه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٨١).

فقالت: أُعيذكَ بالله من ذلك، ما كان الله ليَصنعَ ذلك بك مع صدقِ حديثِك، وعِظم أمانتِك، وحُسن خلقِك، وصلتِك رحمَك[(١)].

٣٧- عن أم سلمةَ بنتِ أبي أُمية بن المُغيرة زوجِ النبي ﷺ قالت: لما نزلنا أرضَ الحبشةِ جاوَرنا بها خيرَ جارٍ: النجاشيَّ، أَمِنَّا على دينِنا، وعبَدنا الله لا نُؤذى، ولا نسمعُ شيئًا نكرهُه.

فأرسلَ إلى أصحابِ رسول الله ﷺ فدعاهم، فكان الذي كلَّمه: جعفرُ بن أبي طالب، فقال له: أيُّها الملكُ كنا قومًا أهلَ جاهلية نعبدُ الأصنامَ، ونأكل الميتَة، ونأتي الفواحشَ، ونقطع الأرحامَ، ونُسيء الجوارَ، ويأكُل القويُّ منا الضعيفَ، فكنا على ذلك حتى بعثَ الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبَهُ، وصدقَه وأمانتَهُ، وعفافَه، فدعانا إلى الله لنعبدَ الله ونوحِّدَه، ونخلعَ ما كنا نعبُد نحن وآباؤنا من دونِه من الحجارةِ والأوثانِ، وأَمَرَنا بصدقِ الحديث، وأداءِ الأمانةِ، وصلةِ الرحم، وحُسن الجوارِ، والكفِّ عن المحارمِ والدماء، ونهانا عن الفُحشِ، وقولِ الزورِ، وأكلِ مال اليتيمِ، وقذف المُحصنةِ.

وأمرنا أن نعبدَ الله لا نشركَ به شيئًا، وأمرنا بالصلاةِ، والزكاةِ، والصيامِ - قالت: فعدَّد عليه أُمورَ الإسلامِ- فصدقناهُ وآمنَّا به، واتَّبعناه على ما جاء به من الله، فعبَدنَا الله وحدَه فلم نُشرك به شيئًا.

فقال النجاشي: إن هذا والذي جاءَ به مُوسى يَخرُج من مِشكاةٍ واحدةٍ[(٢)].

---

(١) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» ٤/ ٥٤ (٢٤٢٠)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٠٠-٣٠٢، والآجري في «الشريعة» ٣/ ١٤٣٨ (٩٧١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٤٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٦٣ (١٧٤٠).

(١٢) ذكرُ الأخبارِ فيما قُيِّضَ له ﷺ من الرياضةِ السماويةِ قبلَ الوحيِ برعايتِه البهائمَ العجمَ التي لا تعقلُ ولا تعربُ عن نفسِها؛ تهذيبًا وتأديبًا للقيامِ بثقلِ النبوةِ والصبرِ على مكارهِ ما يَلقَى فيها من المكذبين وغيرِهم

عن أبي هريرةَ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يقولُ: ما بَعَثَ الله نبيًّا إلا راعي غنمٍ، قالوا: ولا أنت يا رسولَ الله؟ قال: وأنا كنتُ أرعاها لأهلي بالقراريط[(١)].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وممَّا يدخلُ في هذا البابِ ما خصَّ الله به نبيَّه ﷺ في الجاهليةِ الجهلاءِ، أن وفَّقَه ﷺ لوضعِ الحجرِ الأسودِ موضعَه بيدِه لما اختلفَتْ قريشٌ في وضعِه دلالةً لصحةِ نبوتِه.

٣٨- عن عليٍّ قال: لما بنَتْ قريشٌ البيتَ فبلَغُوا موضعَ الحجرِ اختلفوا في وضعِه، فقالوا: إن أولَ مَن يطلعُ من البابِ، قال: فطلع النبيُّ ﷺ، فقالوا: قد طلَعَ الأمينُ، فبسط ثوبًا ووضَعَ الحجرَ وسطَه وأمرَ بطونَ قريشٍ فأخَذَ كلُّ بطنٍ منهم ناحيةً من الثوبِ ووضعَه بيدِه ﷺ[(٢)].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد حصلَتْ من قريشٍ شهادةٌ مثلها بعدَ بعثتِه ﷺ اعترافًا منهم أنهم لم يجربوا عليه كذبًا قطُّ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٦٢).
(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» ١/ ١٠٨ (١١٥)، والبيهقي في «الكبرى» ٥/ ١١٦، وفي «دلائل النبوة» ٢/ ٥٦.

٣٩- عن ابن عباس قال: لما نزلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] نادى رسولُ الله ﷺ في قريشٍ بطنًا بطنًا، وقال: أرأيتم لو قلتُ لكم إن خيلًا تُغيرُ عليكم، أكنتم مصدقيَّ، قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك من كذبٍ قطُّ، قال: فإني نذيرٌ لكم مِن بين يدي عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهبٍ: ألهذا جمَعْتنا، تبًّا لك سائرَ اليوم، فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١][(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد شهدَتْ قريشٌ له ﷺ واعترفَتْ قبلَ مبعثِه ﷺ في غير موطنٍ.

٤٠- ومن شهاداتِهم له ﷺ بيُمن النقيبةِ ما رُوي عن عبدِ الله بن السائبِ قال: كنتُ شريكَ النبي ﷺ في الجاهليةِ، فلما قدمتُ المدينة قال: تعرفني؟ قلت: نعم، كنتَ شريكي، فنعم الشريكُ لا تُدارِي ولا تُمارِي[(٢)].

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٤٧٧٠، ٤٩٧١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٨).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٤٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٢/ ٣٣ (٧٠٨).

(١٣) فصل في ذِكر أخلاقه وصفاته وذكر الخاتم بين كتفيه

ولأخلاقِه ﷺ فصولٌ كثيرة ذات شُعبٍ وأنواع يحتوي مجموعُه بطرقه على كتاب مبسوطٍ، اقتصرنا منه على نوعين أو ثلاثةِ ائتساءً بمن تَقدمَنا من سلفنا في حشوِهم هذا الكتابِ، وبمَن جانسه من عفوه، وصفحه، وكرمِه، وجوده، وسخائِه، وكثرة احتمالِه وحلمه، وصبره، ورفقِه، وكظمه الغضبَ، وتواضعه، وما شاكلَه من حميد أخلاقِه، وشريف أفعاله إذ كان مهذبًا بتهذيب الله له، مؤدبًا بتأديب الله.

٤١- كما رُوي عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن جُبير بنِ نفير، قال: حججتُ فدخلت على عائشةَ فسألتُها عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقُ رسول الله ﷺ القرآنَ[1].

٤٢- عن أبي عبدِ الله الجدلي: سألتُ عائشة عن خلق رسولِ الله ﷺ فقالَت: لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا سخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئةَ، ولكنْ يعفو ويصفحُ[2].

٤٣- عن عائشةَ، قالت: ما خُيِّر رسولُ الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمةُ الله، فينتقم لله[3].

(١) أخرجه أحمد ٤٢/ ٣٥٣ (٢٥٥٤٧).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧).

٤٤- عن عائشةَ، قالت: ما ضرب رسولُ الله ﷺ امرأةً قط، ولا ضرب خادمًا قط، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يُجاهِد في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ فانتقم من صاحبه إلا أن تُنتهك محارمُ الله فينتقم(١).

٤٥- قال أنسُ بن مالك: إن كانت الوليدةُ من ولائد المدينة تجيءُ فتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فما ينزع يدَه من يدها حتى تذهبَ به حيث شاءَت(٢).

٤٦- عن أنسٍ، أن امرأةً كانت في عقلها شيءٌ، فقالت: يا رسولَ الله، إن لي إليك حاجةً، فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أمَّ فلان، خذي في أي الطريقِ شئتِ، قُومي فيه حتى أقومَ معك**» فخَلا رسولُ الله ﷺ يناجيها حتى قضَت حاجتَها(٣).

٤٧- عن أنسِ بن مالك، قال: كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظُ الحاشيةِ، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه جبذةً شديدةً، حتى نظرتُ إلى صَفحةِ عنقِ رسول الله ﷺ، وقد أثَّرت به حاشيةُ الرداء من شدة جبذتِه، ثم قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتَفتَ إليه رسولُ الله ﷺ فضحَك، وأمر له بعطاء(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٣)، ومسلم (٢٣٢٨).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٧٧)، وأحمد ٢٠/ ١٧٨ (١٢٧٨٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٦).
(٤) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(١٤) فصل في ذِكر ما خصَّه الله به من العِصمةِ، وحماه به من التديُّن بدين الجاهليةِ، وحراسَته إياه عن مكائدِ الجن والإنس، واحتِيالهم عليه

٤٨- عن شريكِ بن طارقٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ليس أحدٌ منكم إلَّا وله شيطانٌ**» قالوا: ولك؟ قال: «**ولي، إلَّا أن الله أعانَني عليه فأسلَم**»(١).

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما رُوي في عِصمة الله نبيَه ﷺ من مشاركة أهلِ الجاهلية في شِركهم، وحراستِه له عليه السلام من تعاطي ما كانوا يتَعاطَونه، ويَحضرونه من الأباطيلِ، والفواحشِ.

٤٩- عن عليِّ بن أبي طالبٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما هَممتُ بقبيحٍ مما كان أهلُ الجاهلية يهمون بها إلا مرَّتين من الدَّهرِ، كلتاهما يَعصمُني الله منها، قلتُ ليلةً لفَتى كان معي من قريشٍ بأعلى مكةَ في أغنام لأهلنا نرعاها: أبصِر لي غنمي حتَّى أسمَر هذه الليلةَ بمكةَ كما يسمر الفتيانُ، قال: نعم، فخرجتُ فجئت أدنى دارٍ من دور مكةَ، سَمِعت غناءً، وضرب دفوفٍ، وزمرًا، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلانٌ تزوَّج فلانةً، لرجلٍ من قريشٍ، تزوج امرأةً من قريش، فَلَهَوتُ بذلك الغناءِ، وبذلك الصوتِ، حتى غلبَتني عيني، فما أيقظَني إلا مسُّ الشمسِ، ثم رجعتُ إلى صاحبي، فقال لي: ما فعلتَ؟ فقلت: ما فعلتُ شيئًا**» قال رسول الله ﷺ: «**فوالله ما هَممت بعدَهما بسوءٍ مما يعمل أهلُ الجاهلية، حتى أكرَمني الله بنبوَّته**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤)، وابن حبان (٦٤١٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٢٧٢)، والحاكم ٤/ ٢٧٣.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما عُصم به ﷺ وحُرس منه أن لا يَتعرى كفِعل قومِه وأَهلِه، وإذا أُحفِظ من التعري؛ فما فوقَه أولى أن يُعصمَ منه ويُنهى عنه.

٥٠- عن جابرِ بن عبد الله: إن رسولَ الله ﷺ كان ينقلُ معهم الحجارةَ للكعبةِ، وعليه إزارٌ، فقال له العباسُ عمه: يا ابنَ أخي، لو حللتَ إزارك فجعلتَه على مَنكِبيك دون الحجارةِ. قال: فحلَّه فجعلَه على مَنكِبيه، فسقطَ مَغشِيًّا عليه، فما رُئيَ بعدَ ذلك عريانًا(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤)، ومسلم (٣٤٠).

(١٥) ذِكرُ عِصمة الله تعالى رسولَه ﷺ حين تعاقَد المُشركون على قتلِه

٥١- عن ابن عباسٍ، أن الملأ من قريشٍ اجتمعوا في الحِجر فتعاقدوا باللاتِ والعُزَّى ومَناةِ الثالثةِ الأُخرى ونائلةَ وإسافٍ: لو قد رأينا محمدًا لقد قُمنا إليه قيامَ رجلٍ واحد، فلم نفارقْه حتى نقتلَه، فأقبَلَت ابنتُه فاطمةُ تبكي، حتى دخلتْ على النبيِّ ﷺ، فقالت: هؤلاء المَلأُ من قومِك قد تعاقدوا عليك، لو قد رَأَوكَ، لقد قاموا إليك فقَتلوك، فليس منهم رجلٌ إلا قد عرفَ نصيبَه من دمِك.

قال: «**يا بُنية ائتني بوَضوءٍ**». فتوضأ ثم دخلَ المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارَهم، وسقطت أذقانُهم في صدورِهم، وعرقوا في مجالِسهم، ولم يرفعوا إليه أبصارَهم، ولم يقُم منهم إليه رجلٌ، فأقبلَ رسول الله ﷺ حتى قامَ على رؤوسهم، فأخذ من تُرابٍ، فقال: «**شاهتِ الوجوهُ**». ثم حصَبهم، فما أصاب رجلًا منهم من ذلك الحَصى حصاةٌ إلا قُتل يوم بدرٍ[(١)].

٥٢- عن أسماءَ بنت أبي بكر، قالت: لما نزَلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أقبلتِ العوراءُ أمُّ جميل بنتُ حرب، ولها ولولةٌ وبيدها فِهرٌ، وهي تقول:

مُـــــذَمَّمًا أَبَيْنَـــــا
ودينَـــــه قَلَيْنـــــا
وأَمـــــرَه عَصَـــــينا

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٤٨٦ (٢٧٦٢).

ورسول الله ﷺ جالسٌ في المسجدِ ومعه أبو بكرٍ، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلَتْ، وأنا أخافُ أن تراكَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنها لن تراني**». وقرأ قرآنًا اعتصَمَ به، كما قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥] فأقبَلَتْ حتى وقفت على أبي بكرٍ، ولم ترَ رسولَ الله ﷺ.

فقالت: يا أبا بكرٍ إني خُبِّرت أن صاحبَك هجاني.

فقال: لا وربِّ هذا البيتِ ما هجاكِ.

قال: فولَّت وهي تقولُ:

قد علِمت قريشٌ أني بنتُ سيدِها

فعثَرَت أم جميلٍ وهي تطوفُ بالبيت في مِرطها، فقالت: تعِس مُذمَّم[(١)].

وبما لطفَ الله تعالى لنبيه ﷺ صرفُ شتمِ قريشٍ ولعنِهم عنه:

٥٣- عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا تَعجبون كيف يَصرِفُ الله عنِّي شتمَ قريشٍ، ولعنَهم! يَشتمون مذمَّمًا، ويَلعنون مذمَّمًا، وأنا محمَّد**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» ١/ ٣٢٣ (٣٢٥)، وأبو يعلى في «مسنده» ١/ ٥٣ (٥٣)، والحاكم ٢/ ٣٩٣ (٣٣٧٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٩٥.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٣).

(١٦) ذكرُ عِصمة الله تعالى رسولَه ﷺ من كيدِ الكائدين، وغائلة المُغتالين القاصدين له بالأسواء

٥٤- عن جابرِ بن عبدِ الله، قال: غزَونا مع رسول الله غزوةً قِبلَ نجدٍ، فأدركنا القائلة في وادٍ كثير العِضاهِ[١]، فنزل رسولُ الله ﷺ تحت شجرةٍ يعلق سيفَه بغصن من أغصانها، قال: وتفرَّق الناس في الوادي، يستظلُّون بالشجرِ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن رجلًا أتاني وأنا نائمٌ، وأخذ السيفَ، واستيقظتُ وهو قائم على رأسي، فلم أشعرْ إلا والسيف صَلتًا[٢] في يده، فقال: من يمنعُك مني؟ قلت: الله. فشام السيفَ**». ها هو ذا لم يعرض له رسولُ الله ﷺ[٣].

٥٥- عن جَعدة، قال: شهدت النبي ﷺ، وأُتي برجلٍ فقيلَ: يا رسولَ الله، هذا أرادَ أن يقتُلك، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**لم تُرَع، لم ترع، لو أردتَ ذلك لم يسلِّطك الله على قتلي**»[٤].

٥٦- عن عائشةَ، قالت: مكثَ رسول الله ﷺ كذا وكذا يُخيل إليه أنه يأتي أهلَه ولا يأتيهم، قالت: فقال ذاتَ يوم: «**يا عائشةُ، أعلِمتِ أن الله أفتاني في أمرٍ استفتيتُه فيه: أتاني رجلان، فجلس أحدُهما عند رجلي، والآخرُ عند رأسي، فقال الذي عند رِجلي للذي عند رأسي: ما بالُ الرجل؟**

قال: مَطبوب[٥].

---

(١) (العِضَاه): كل شجر يعظم له شوك، وقيل: هو العظيم من السمر مطلقا.

(٢) (صَلتًا) أي: مجردًا عن غمده.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩١٣)، ومسلم (٨٤٣).

(٤) أخرجه أحمد ٢٥/ ٢٠٣ (١٥٨٦٨).

(٥) (مَطبُوب) أي: مسحور.

قال: ومن طبَّه؟

قال: لَبيد بن أعصم.

قال: وفيم؟

قال: في جُفِّ طَلْعة ذكَر[(١)]**، في مُشط ومُشاطة**[(٢)]** تحت رَاعوفَةٍ**[(٣)]** في بئر ذَروان».**

قالت: فجاءه رسولُ الله ﷺ فقال: «**هذه البئرُ التي أُريتها كأن رؤوس نخلِها رؤوس الشياطين، وكأن ماءها نُقاعةُ الحِنَّاء**».

قالت: فأمر به رسول الله ﷺ فأُخرج، قالت عائشة: فقلت: يا رسولَ الله، فهلا؟ يعني: تَنَشَّرت.

فقال: «**أمَّا الله فقد شفاني، وأما أنا فأكرَه أن أُثيرَ على الناسِ منه شرًّا**»[(٤)].

٥٧- عن زيدِ بن أرقمَ، قال: سحرَ النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا، قال: فأتاه جِبريلُ عليهما السلامُ، فقال: إن رجلًا من اليهود سحرَك، عقد لك عُقدًا، فأرسل إليها رسولُ الله ﷺ فاستخرجَها، فجاء بها فجعل كلما حلَّ عقدةً وجد لذلك خفَّةً.

فقام النبيُّ ﷺ كأنما نَشط من عِقالٍ، فما ذكر النبي ﷺ ذلك لليَهودي، ولا رآه في وجهِه قط[(٥)].

---

(١) (الجُفُّ): الغشاء الذي يكون على الطلع.
(٢) (المُشَاطة) ما يخرج من الشعر الذي سقط من الرأس إذا سرح بالمشط، وكذا من اللحية.
(٣) (رَاعوفَة): حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي.
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).
(٥) أخرجه النسائي (٤٠٨٠).

٥٨- قال محمدُ بن إسحاق: عن ابن عباسٍ، قال: لما عرفَت قريشٌ أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعةٌ وأصحابٌ من غير بلدِهم ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا أصابوا منهم منعةً، فحَذِروا خروجَ رسولِ الله ﷺ، وعرفوا أنه قد أَجمعَ لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوةِ، وهي دارُ قصي بن كِلابٍ، التي كانت قريشٌ لا تقضي أمرًا إلا فيها، يتشاورون فيها ما يَصنعون في أمرِ رسول الله ﷺ حين خافوه، فلما اجتَمعوا لذلك في ذلك اليومِ الذي اتَّعَدوا له، وكان ذلك اليومُ يُسمى الزحمةَ، اعترض لهم إبليسُ في هيئة شيخٍ جليلٍ عليه بت له، فوقف على باب الدارِ، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا: من الشيخُ؟

[قال]: شيخٌ من أهل نجد، سمع بالذي اتعدتُم له فحضر معكم ليسمعَ ما تَقولون، وعسى أن لا يَعدمَكم منه رأيٌ ونُصح.

قالوا: أجل فادخُل؛ فدخلَ معهم، فقد اجتمع فيها أشرافُ قريش من كل قبيلةٍ، من بني عبدِ شمس: عتبةُ وشيبة أبناءُ ربيعة، وسفيانُ بن حرب، ومن بني نوفلَ بن عبد مناف: طُعيمة بن عدي، وجُبير بن مُطعم، والحارثُ بن عامر بن نوفلَ، ومن بني عبد الدار بن قُصي: النَّضر بن الحارثِ بن كَلَدَةَ، ومن بني أسدِ بن عبدِ العُزى: أبو البَختري ابن هشام، وزَمعةُ بن الأسودِ بن عبد المطلبِ، وحكيمُ بن حِزام، ومن بني مخزوم: أبو جهلِ بن هشام، ومن بني سهم: مُنية ونُبيه أبناء الحجاج، ومن بني جمح: أميةُ بن خلف، ومن [كان معهم ممن] لا يُعد من قريشٍ.

فقال بعضُهم لبعض: إن هذا الرجلَ قد كان من أمرِه ما قد رأيتُم، وإنَّا والله، لا نأمنُه من الوثوبِ علينا بمَن قد اتَّبعه من غيرنا، فأَجمِعوا رأيًا فتشاوروا،

فقال قائلٌ منهم: احبِسوه في الحديدِ، وأغلِقوا عليه بابًا، ثم تربَّصوا به ما أصابَ أشباههُ من الشُّعراء الذين قبله: زهيرَ، والنابغةَ، ومن مضى منهم من هذا الموتِ، حتى يصيبَه منه ما أصابَهم.

فقال الشيخُ النَّجدي: لا والله، ما هذا لكم برأيٍ، والله لو حبستُموه كما تقولون، لخرجَ أمرُه من وراء الباب الذي أَغلقتم عليه دونه إلى أصحابه، فلَأَوشَكوا أن يَثبوا عليكم، فينتَزعوه من أيديكم، ثم يُكابرونكم حتى يغلِبوكم على أمرِهم، ما هذا لكم برأيٍ، فانظروا في غيره.

ثم تَشاوروا، فقال قائلٌ منهم: نُخرجه من بين أظهُرنا فننفيه من بلدِنا، فإذا خرج عنَّا فوالله ما نبالي أين يذهبُ، ولا حيث وَقَعَ، غاب عنَّا أذاه، وفرغنا منه، وأصلَحنا أمرَه.

قال الشيخُ النجديُّ: لا والله، ما هذا لكم برأيٍ، ألم تَروا حسنَ حديثِه، وحلاوةَ منطقِه، وغلبَته على قلوبِ الرجال بما أَتى به، والله لو فَعَلتُم ذلك ما أمنتُ أن يحلَّ على حيٍّ من أحياء العربِ فيغلبُ بذلك من قوله عليهم، وبحديثِه حتى يتابِعوه عليه، ثم يسيرُ إليكم حتى يطأَكم به، فيأخذ أمرَكم من أيديكم، ثم يفعلُ بكم ما أراد، دبِّروا فيه رأيًا غير هذا.

فقال أبو جهلٍ: إن لي فيه رأيًا ما أراكم وَقعتم عليه بعدُ، قالوا: وما هو يا أبا الحكمِ؟ قال: أرى أن تأخُذوا من كل قبيلةٍ شابًّا جليدًا، نسيبًا وسيطًا، ثم يُعطى كلُّ فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يَعمدون إليه، ثم يَضربونه بها ضربةَ رجل واحدٍ، فيقتُلونه جميعًا، فنستريحُ منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمُه في القبائل كلِّها، فلم يقدِر بنو عبدِ مناف على حرب قومِهم جميعًا، ورضوا منا بالعقلِ فعقلناه لهم.

فقال الشيخُ النجديُّ: القولُ ما قال الرجلُ، هذا الرأيُ لا رأيَ لكم غيرُه، فتفرَّق القومُ بعد ذلك وهم مُجتمعون له.

فأتاه جبريلُ عليهما السلام، فقال: لا تَبت هذه الليلةَ على فراشِك الذي كنتَ تبيتُ عليه، فلمَّا كان عتمةٌ من الليلِ اجتمعوا على بابه يَرصدونه، حتى ينامَ فيَثبون عليه، فلما رأى رسولُ الله ﷺ مكانَهم، قال لعليِّ بن أبي طالب: «**نَم على فراشي، واتَّشِح ببُردي هذا الأخضرِ الحضرميِّ، فإنه لا يَخلصُ إليك شيءٌ تكرهه منهم**» وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرده ذلك إذا نامَ.

قال ابنُ إسحاقَ، فحدثني يزيدُ بن أبي زياد، عن محمدِ بن كعب القرظي، قال: اجتَمعوا له وفيهم أبو جهلٍ، فقالوا على بابه: إن محمدًا يزعمُ أنكم إن تابعتُموه على أمره كنتمُ ملوكَ العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتِكم، لكم جنانٌ كجنانِ الأردُنِّ، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبحٌ، ثم بُعثتم من بعد موتِكم فجُعِلَت لكم نارٌ تُحرقون فيها.

فخرج رسول الله ﷺ وأخذ حَفنةً من تراب في يده، ثم قال: نعم، أنا أقولُ ذلك وأنت أحدُهم، وأخذ الله على أبصارِهم، فلا يرونَه فجعل يُثيرُ ذلك الترابَ على رؤوسِهم وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس:١ - ٢] إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس:٩] حتى فرغ رسولُ الله ﷺ من هؤلاء الآياتِ، فلم يبقَ رجلٌ إلَّا وضَع على رأسه ترابًا.

ثم انصرفَ إلى حيث أرادَ أن يذهبَ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكنْ معهم، فقال: ما ينتظرُ هؤلاء؟ قالوا: محمدًا، قال: خيَّبكم الله، قد والله خرجَ عليكم محمدٌ، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وضعَ على رأسِه ترابًا، وانطلق لحاجتِه، أفلا ترونَ ما بكم؟!

فوضعَ كلُّ رجل منهم يدَه على رأسه فإذا عليه ترابٌ، ثم جعلوا يتطلَّعون، فيَرون عليًّا على الفراشِ مُتشحًا ببُرد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائم على بُرده، فلم يَبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليٌّ عن الفراش.

فقالوا: والله لقد صدَقنا الذي كان حدَّثنا، فكان مما نزلَ من القرآن في ذلك اليوم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال:٣٠] وقول الله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور:٣٠][(١)].

٥٩- عن عبدِ الله بن عباس، أن عتبةَ، وشيبةَ، وأبا سفيانَ بن حربٍ، والنضرَ بن الحارثِ، وأبا البَختري، والأسودَ بن المطلب، وزمعةَ بن الأسودِ، والوليدَ بن المغيرةِ، وأبا جهلِ بن هشام، وعبدَ الله بن أبي أميَّة، وأميةَ بن خلف، والعاصِ بن وائل، ونَبيه ومُنبه أبناء الحجاجِ، اجتَمعوا -أو مَن اجتمع منهم- بعد غروبِ الشمسِ على ظهرِ الكعبةِ، فقال بعضُهم لبعض: ابعثوا إلى محمدٍ فكلموه، وخاصِموه حتى تُعذروا فيه، فبَعثوا إليه: إن أشرافَ قومِك قد اجتمعوا لك ليُكلموك، قال: فجاءهم رسولُ الله ﷺ سريعًا، وهو يظن أنْ قد بدا لقومِه في أمره بُدُوٌّ، وكان عليهم حريصًا يُحبُّ رُشدَهم، ويعزُّ عليه عنتُهم، وذَكَرَ القصة.

فلما قام عنهم رسولُ الله ﷺ، قال أبو جهلٍ: يا معشرَ قريش، إن محمدًا قد أَبى، إلا ما تَرون من عيبِ ديننا، وشتم آبائِنا، وتَسفيه أحلامِنا، وسب آلهتِنا، وإني أعاهدُ الله لأجلِسن له غدًا بحجرٍ ما أطيقُ حمله -أو كما قال- فإذا سجدَ في

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٣٧٠، وانظر: سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠-٤٨١.

صلاتِه، رضختُ به رأسَه، فأسلِموني عند ذلك أو امنَعوني، فليَصنع بعد ذلك بنو عبدِ منافٍ ما بدا لهم، قالوا: والله لا نُسلمك لشيءٍ أبدًا، فامض لما تريدُ.

فلما أصبح أبو جهلٍ أخذَ حجرًا كما وَصف وجلسَ لرسولِ الله ﷺ ينتظرُه، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يَغدو، وكان رسولُ الله ﷺ بمكةَ وقبلتُه إلى الشام، فكان إذا صلى، صلى بين الركنين اليماني والأسودِ، وجعلَ الكعبةَ بينه وبين الشامِ، فقام رسول اللهُ ﷺ يصلي، وقد قعَدت قريشٌ في أنديَتهم ينتظرون ما أبو جهلٍ فاعلُ؟!

فلما سجد رسولُ الله ﷺ احتمل أبو جهلٍ الحجرَ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع مُنهزمًا، منتقعًا لونه، مرعوبًا قد يَبست يداه على حجرٍ، فقذفَ الحجرَ من يده، وقامت إليه رجالُ قريشٍ، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكمِ؟

قال: قُمت إليه لأفعلَ له ما قلتُ لكم البارحةَ، فلما دنَوت منه عرضَ دونه فحلٌ من الإبلِ، لا والله، ما رأيتُ مثل هامتِه، ولا قصرتِه، ولا أنيابِه لفحلٍ قطُّ، فهمَّ بأن يأكلَني.

فذُكِر لي أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ذلك جبريلُ عليه السلام، لو دنا منه لأخذَه**»، فلما قال ذلك لهم أبو جهلٍ قام النضرُ بن الحارثِ، فقال: يا معشرَ قريش، إنه والله لقد نزلَ بكم أمرٌ ما ابتُليتم بمثله قط(١).

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٩٧-٢٠٠).

٦٠- عن محمدِ بن إسحاق، قال: وقدمَ على رسولِ الله ﷺ، وفدُ بني عامر، فيهم عامرُ بن الطُّفيلِ، وإربدُ بن قيسِ بن خالدِ بن جعفر، وجبارُ بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثةُ رؤوسَ القوم وشياطينَهم، فقدِم عامرُ بن الطفيل عدو الله، على رسولِ الله ﷺ وهو يريد الغدرَ به، وقد قال له قومُه: يا عامرُ، إن الناسَ قد أسلموا، فأسلِم، قال: والله، لقد كنت آليتُ أن لا أنتهي حتى يتبعَ العربُ عقبي، فأنا أتبعُ عقبَ هذا الفتى من قريشٍ؟!

ثم قال لإربد: إذا قَدمنا على الرجلِ فإني سأشغلُ عنك وجهه، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسيف، فلما قدِموا على رسول الله ﷺ قال عامرُ بن الطفيل: يا محمدُ، خالِني، قال: «**لا والله، حتى تؤمنَ بالله وحدَه لا شريكَ له**».

قال: يا محمدُ، خالِني، وجعل يكلمُه، ويَنتظِرُ من إربدَ ما كان أمَرَه به، فجعل إربدُ لا يُحِير شيئًا، فلما رأى عامرُ ما يَصنع إربدُ، قال يا محمد: خالِني، قال: «**لا والله، حتى تؤمنَ بالله وحده لا شريكَ له**».

فلما أبى عليه رسولُ الله ﷺ، قال: أما والله لأملأنها عليك خيلًا حمرًا، ورجالًا شقرًا، فلما ولَّى، قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم اكفني عامرَ بن الطفيلِ**» فلما خرجوا من عند رسولِ الله، قال عامرُ لإربدَ: أين ما كنتُ أوصيتُك به، والله ما كان على ظهرِ الأرض رجلٌ هو أخوف عندي على نفسي منك، وايمُ الله، لا أخافُك بعد اليوم أبدًا، قال: لا أبا لك، لا تعجل عليَّ، والله ما هَممتُ بالذي أمرتَني به، إلا دخلتَ بيني وبين الرجلِ، حتى ما أرى غيرَك، فأَضربُك بالسيف؟! فقال عامرُ بن الطفيل:

بُعـثَ الرسـولُ بـما تَـرى فكـأنما ** عمـدًا يشـد عـلى المقانـبِ غـارَا
ولقــد ورَدنَ بنــا المدينــةَ شُــزَّبًا ** ولقــد قتلنــا بجوهــا الأنصــارَ

وخرجوا راجعين إلى بلادِهم، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريق بعث اللهُ على عامر بن الطفيل الطاعون في عُنقه، فقتَله الله به في بيت امرأةٍ سَلولية، فجعل يقولُ: يا بني عامر غُدة كغُدة البكرِ في بيت امرأةٍ من بني سلول!

ثم خرج أصحابُه حين وارَوه حتى قدِموا أرضَ بني عامر، فلما قدموا أتاهم قومُهم فقالوا: ما وراءَك يا إربدُ؟ قال: لا شيءَ والله، لقد دعانا إلى عبادةِ شيء لودِدت أنه عندي الآن، فأرميه بالنبلِ منه حتى أقتلَه، فخرج بعد مقالتِه بيومٍ أو يومين معه جملٌ له يبيعُه، فأرسلَ الله عليه وعلى جملِه صاعقةً فأحرقَتهما، وكان إربدُ بن قيس أخا لبيدِ بن ربيعة لأمه(١).

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٣/ ١٤٥، وانظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٨-٥٦٩.

(١٧) ذكرُ إعلامِ الله تعالى نبيَّه عليه السلام اليهوديَّة بإنطاقِ الشاة المسمومة له، وعصمتِه مما كادَته به

٦١- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما افتُتِحت خيبرُ أُهديت لرسولِ الله ﷺ شاةٌ فيها سم، فقال رسولُ الله ﷺ: اجمعوا إليَّ من كان هاهنا من اليَهودِ، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنِّي سائلُكم عن شيء، فهل أنتم صادقيَّ عنه؟**».

قالوا: نعم يا أبا القاسم.

قال: «**هل جعلْتم في هذه الشاةِ سمًّا؟**»

قالوا: نعم.

فقال: «**ما حملَكم على ذلك؟**»

قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريحُ منك، وإن كنت نبيًّا لم يَضرَّك[(١)].

٦٢- عن أنسٍ، أن امرأةً يهودية أتتِ النبيَّ ﷺ بشاة مسمومةٍ، فأكل منها، فجِيءَ بها النبيَّ ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردتُ قتلك.

فقال: «**ما كان الله ليسلِّطَك على ذلك**».

فقالوا: أفلا تقتُلها؟!

قال: «**لا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

(١٨) ذكر خبر آخر فيما رد الله به عن نبيه ﷺ كيد أبي جهل حين حلف ليطأن رقبته إن رآه ساجدًا

٦٣- عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهلٍ: أيعفِّرُ محمدٌ وجهَه بين أظهُركم؟

قالوا: نعم.

قال: والله لئن رأيتُه يفعلُ لأطَأَنَّ على رقبتِه، ولأعفِّرَنَّ وجهَه في الترابِ.

قال: فأتاهُ وهو يصلي ليَطَأَ على رقبتِه، فما عُلِمَ به إلا وهو ينكِصُ على عقبِه، ويرجعُ إلى خلفِه، ويتَّقي بيده، فقِيل له: ما لك؟

قال: رأيت بيني وبينَه خندَقًا من نار وهَوْلًا، ورأيتُ ملائكةً دون أجنحةٍ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أما لو دنا مني لاختَطَفَتهُ الملائكةُ عُضوًا عُضوًا**»، وأنزلَ الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ [العلق: ٦: ١٣] يعني: أبا جهل، ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ قومَه، ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ الملائكةَ[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

(١٩) ذكرُ خبرٍ في دعائه ﷺ على مَشيَخةِ قُريشٍ المَقتولين يومَ بدر، فسُحبوا إلى القَليب

٦٤- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال: بينما رسولُ الله ﷺ يُصلي عند الكعبةِ، وجمعُ قريش ينظرون، قال قائلٌ منهم: ألا تَرَون إلى هذا المُرائي؟! أيُّكُم يقومُ إلى جَزورِ آل فلان، فيعمِد إلى فرثِها[١]، ودمِها، وسَلاها[٢]، حتى إذا سجدَ وَضَعَه بين كتِفيه؟

وثبتَ رسولُ الله ﷺ ساجدًا، وضحِكوا حتى مال بعضُهم على بعضٍ من الضحكِ، فانطلق مُنطلقٌ إلى فاطمة وهي جُويرية، فأقبلت تَسعى، وثبتَ النبي ﷺ ساجدًا، حتى نَحَّتهُ عنه، فأقبلت عليهم تسبُّهم.

فلما قَضى النبيُّ ﷺ صلاتَه استقبَلَ الكعبةَ، وقال: «**اللهم عليكَ بقريشٍ**».

ثم سمَّاهم فقال: «**اللهمَّ عليك بعمرِو بن هشام، وشيبةَ، والوليدِ بن عتبة، وأُمية بن خلفٍ، وعقبةَ بن أبي مُعيط، وعمارةَ بن الوليد**».

قال عبد الله: فوالذي توفَّى نفسه، لقد رأيتُهم صَرعى، يُسحبون إلى القَليب -قليبِ بدر- ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم أتْبِع أهلَ القليب لعنةً**»[٣].

---

(١) (فَرثها) أي: ما في الكرش

(٢) (سَلاها) السَّلا: اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢٠) ذِكر خبر آخر فيما أنجحَ الله به أمرَ نبيه عليه السلام لما كلم أبا جهلٍ أن يوفرَ على غريمِه حقه لما تقاعدَ، فما أراه من العبر والآيات

٦٥- عن محمدِ بن إسحاق، عن عبدِ الله بن عبدِ الملك بن سفيانَ الثقفي -وكان واعيةً- قال: قدمَ رجلٌ من إراش بإبل له مكةَ، فابتاعَها أبو جهل بن هشام، فمَطله بأثمانِها، وأقبلَ الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في ناحية المسجدِ، فقال: يا معشرَ قريشٍ، من رجلٌ يؤديني على أبي الحكمِ بن هشام، فإني رجلٌ غريبٌ ابنُ سبيلٍ، وقد غلبني على حقي، قال: فقال أهلُ المجلس: ترى ذلك الرجلَ، لَرسول الله ﷺ -وهم يَهزئون به، لِما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة- اذهَب إليه فهو يؤديك عليه.

فأقبلَ الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا عبدَ الله، إن أبا الحكمِ بن هشام غَلبني على حقٍّ لي قِبله، وأنا غريبٌ ابنُ سبيلٍ، وقد سألتُ هؤلاء القومَ عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك فخُذ لي حقي منه، رحمَك الله.

قال: «**انطلِق إليه**» وقام رسولُ الله ﷺ معه، فلما رَأوه قام معه، قالوا لرجلٍ ممن كان معهم: اتبعهم؛ انظر ماذا يصنعُ؟ قال: وخرج رسولُ الله ﷺ حتى جاءَه فضرب عليه بابَه، فقال: مَن هذا الرجل؟ فقال: «**محمدٌ، فاخرج إليَّ**» قال: فخرجَ وما في وجهه رائحةٌ، قد انتَقع لونُه.

فقال له: «**أَعط هذا الرجلَ حقه**» قال: نَعم، لا تبرح حتى أعطيَه الذي له، فدخلَ فخرج إليه بحقِّه فدفعه إليه، قال: ثم انصرف رسولُ الله ﷺ، وقال للإراشيِّ: «**الحق شأنَك**».

قال: فأقبلَ الإراشيُّ حتى وقفَ على ذلك المجلسِ، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد والله أخذَ لي الذي لي، قال: وجاء الرجلُ الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحكَ ماذا رأيتَ؟ قال: رأيتُ عجبًا من العجبِ، والله إن هو إلا أن يضربَ عليه بابه، فخرج إليه وما معه رُوحه، فقال: «**أعطِ هذا حقَّه**» قال: نعم، لا تبرحُ حتى أُخرجَ إليه حقه، فدخل فخرجَ إليه بحقِّه فأعطاه إيَّاه، قال: ثم لم يَلبثوا أن جاءَ أبو جهلٍ فقالوا له: ويلَك، والله ما رأينا مثلَ ما صنعتَ.

فقال: ويحَكم، والله، إن هو إلا أن ضربَ علي بابي، وسمعتُ صوتَه فمُلئت رعبًا، ثم خرجتُ إليه، وإن فوق رأسِه لفحلًا من الإبل ما رأيتُ مثل هامتِه، ولا قَصَرته، ولا أنيابِه لفحلٍ قط، والله لو أبيتُ لأكلني(١).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص ١٩٥- ١٩٦).

(٢١) فصل في ذِكرِ بُدوِّ الوحيِ وكيفيةِ ترائي الملَكِ له، وإلقائه الوحيَ إليه، وتقريرِه عندَه أنه يأتيه من عِندِ اللهِ، وما كان فيه من شَقِّ صدرِه

٦٦- عن عائشةَ أنها قالت: أولُ ما بُدِئ به رسولُ الله ﷺ من الوحيِ الرؤيا الصادقةُ في النومِ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءَتْ مثلَ فلقِ الصبحِ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يأتي حراءَ فيتحنَّثُ فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العددِ ويتزودُ لذلك، ثم يرجعُ إلى خديجةَ فتزودُه لمثلِها، حتى فاجأه وهو على غارِ حراءَ، فجاء الملكُ فيه فقال: يا رسولَ الله، اقرَأ، قال النبي ﷺ: فقلت: **ما أنا بقارئٍ**، فأخذني فغطَّني الثانيةَ حتى بلغَ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرَأ، فقلت: **ما أنا بقارئٍ**، فأخذني فغطَّني الثالثةَ حتى بلغَ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥].

فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ ترجفُ بوادرُه حتى دخلَ على خديجةَ فقال: «**ما لي؟!**» فأخبرَها الخبرَ وقال: «**قد خشيتُ عليَّ**»، فقالت له: أبشِرْ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصلُ الرحمَ، وتصدقُ الحديثَ، وتحملُ الكلَّ، وتَقرِي الضيفَ، وتعينُ على نوائبِ الحقِّ، ثم انطلقَتْ به خديجةُ حتى أتَتْ ورقةَ بنَ نوفل بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي وهو عمُّ خديجة أخو أبيها، وكان امرءًا تنصَّرَ في الجاهلية، وكان يكتبُ الكتاب بالعربي، فكتب بالعبريةِ في الإنجيل ما شاءَ الله أن يكتبَ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالَت له خديجةُ: ابنَ عمِّ اسمع من ابن أخيك، فقال ورقةُ: أخي ما ترى؟ فأخبرَه رسولُ الله ﷺ بما رآه، فقال ورقةُ: الناموس الذي أنزِل على موسى عليه السلام، يا ليَتني فيها جَذَعًا أكون حيًّا، حتى يُخرجَك قومُك، فقال النبي ﷺ: «**أو مُخرجيَّ هم؟**»

قال: نعم، لم يأت أحدٌ قط بمثلِ الذي جئتَ به إلا عُودي وأوذي، وإن يُدركني يومُك، أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقةُ أن توفي، وفتر الوحيُ فترة حتى حزنَ رسول الله ﷺ -فيما بلغَنا- حزنًا غدى منه مرارًا كي يتردى من شواهق الجبالِ، فكلما أوفى بذروةِ جبل كي يُلقي نفسه، تبدَّا له جبريلُ عليه السلام، فقال: يا محمدُ، إنك لرسولُ الله حقًّا، فيسكن لذلك جأشُه، وتقر نفسُه فيَرجع، فإذا طالت عليه فترةُ الوحي عاد لمثل ذلك، فإذا أَوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريلُ عليه السلام، فقال له مثلَ ذلك(١).

قال الشيخُ: وفيما رَوينا من اختلاف الرواياتِ في شأن نزولِ سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أن عائشةَ وغيرها رَووا أن جبريل ألقاها إلى رسول الله ﷺ في اليقظةِ، وفي رواية غيرها أن ذلك في المنام، احتمالُ الأمرين جميعًا، بأن أُري ذلك في النوم حتى حفظَه، وذكره بعد انتباهه ﷺ، وأُعيد الإلقاء إليه ثانيًا في اليقظة، كما قال تعالى:﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ...﴾ [الأعلى:٦ - ٧] وقال: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ...۝١٠٦﴾ [البقرة:١٠٦] فيكونُ هذا ضربًا من البرهانِ له عليه السلام، وتثبيتًا وتبصيرًا له على صحةِ مجيء جبريلَ عليه السلام إليه، وتعليمِه له، واللهُ أعلم.

٦٧- عن عُبيد بن عميرِ بن قَتادةَ الليثي قال: كان رسولُ الله ﷺ يجاورُ في حِراءَ من كل سنةٍ شهرًا، أو كان ذلك مما تتحنَّثُ به قريشٌ في الجاهلية، والتحنُّث: التبرر.

وقد قال أبو طالب:

وراقٍ ليرقى في حراءٍ ونازلِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٢).

فكان رسولُ الله ﷺ يجاورُ ذلك الشهرَ، من كل سنة يُطعمُ من جاءه من المساكين، فإذا قضَى رسولُ الله ﷺ جوارَه من شهره ذلك، كان أولُ ما يبدأُ به -إذا انصرفَ من جوارِه- الكعبةَ قبل أن يدخلَ بيته، يطوفُ بها سبعًا، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجِع إلى بيته، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله تعالى به ما أرادَ من كرامته من السَّنةِ التي بعثَه فيها، وذلك الشهرُ شهر رمضانَ، خرجَ رسول الله ﷺ إلى حراءٍ كما كان يخرج لجواره، معه أهلُه حتى إذا كانت الليلةُ التي أكرَمه الله تعالى فيها برسالَته، ورحِم العبادَ بها، جاءه جبريلُ عليهما السلام من الله تعالى.

قال رسولُ الله ﷺ: «**فجاءَني وأنا نائمٌ بنمطٍ من ديباجٍ فيه كتاب، فقال: اقرأْ**».

قال: «**قلت: ما أقرأ؟**»

قال: «**فغتَّني حتى ظننتُ أنه الموتُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ**».

قال: «**قلتُ: ما أقرأ؟**»

قال: «**فغتَّني حتى ظننتُه الموتَ، ثم أرسلني قال: اقرأْ؟**»

قال: «**قلت: ما أقرأُ؟**»

قال: «**فغَتَّني حتى ظننت أنه الموتُ، ثم أرسلني قال: اقرأْ**».

قال: «**قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا لأفتَدِيَ منه أن يعودَ لي بمثلِ ما صنعَ بي، قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق:١: ٥]**»

قال: «فقرأتُها، ثم انتهى فانصرفَ عنِّي، وهبَبتُ من نَومي، فكأنما كُتبت في قلبي كتابًا».

قال: «ولم يكن من خلق الله أحدٌ أبغضَ إليَّ من شاعرٍ أو مجنونٍ، كنت لا أُطيقُ أن أنظرَ إليهما».

قال: «قلت: إن الأبعدَ، -يعني: نفسَه- لشاعرٌ أو مجنونٌ، لا تُحدِّثُ بهذا قريشٌ عني أبدًا، لأعمدنَّ إلى حالقٍ من الجبلِ(١)، ولأطَرحنَّ نفسي منه، فلأقتلَنَّها فلأستريحَنَّ».

قال: «فخرجت أريدُ ذلك، حتى إذا كنتُ في وسَطٍ من الجبلِ، سمعتُ صوتًا من السماءِ يقولُ: يا محمدُ، أنت رسولُ الله، وأنا جبريلُ».

قال: «فرفعتُ رأسي إلى السماءِ أنظرُ، فإذا جِبريل في صورة رجلٍ صافٌّ قدميه في أُفق السماء، يقولُ: يا محمد، أنت رسولُ الله، وأنا جِبريلُ».

قال: فوقفتُ أنظرُ إليه، وشغَلني ذلك عما أردتُ، ما أتقدمُ ولا أتأخَّر، وجعلت أصرِف وجهي في آفاقِ السماءِ، ولا أنظرُ في ناحية منها إلا رأيتُه كذلك، فما زِلتُ واقفًا ما أتقدَّم أمامي ولا أرجعُ ورائي، حتى بعَثَت خديجةُ رُسلها في طلبي، فبلغوا مكةَ، ورَجَعوا إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك، ثم انصرَف عني، وانصرفْت راجعًا إلى أهلي، حتى أتيتُ خديجة، فجلست إلى فخِذها مضيفًا، فقالت: يا أبا القاسمِ، أين كنت؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك حتى بَلَغوا مكةَ ورجَعوا إليَّ».

---

(١) (حَالِق): أي: من جبل عال.

قال: «**قلت لها: إن الأبعدَ لشاعرٌ أو مجنونٌ، فقالت: أُعيذُك بالله من ذلك يا أبا القاسم، ما كان الله لِيصنَع ذلك بك، مع صدقِ حديثك، وعِظَم أمانتِك وحُسن خُلقُك، وصلتِك رحمَك.**

وما ذاك يا ابنَ عم؟ لقد رأيتَ شيئا؟»

قال: «**قلتُ: نعم، ثم حدثتُها الذي رأيت.**

فقالت: أبْشِر يا ابنَ عمٍّ، واثبُت فوالذي نفسُ خديجة بيدِه، إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأُمة».

قال: ثم قامت فجمَعت عليها ثيابَها، ثم انطلَقَت إلى ورقةَ بنِ نوفلَ بن أسَدٍ -وهو ابنُ عمها- وكان ورقةُ قد تنصَّر وقرأ الكتب، وسمع من أهلِ التوراةِ وأهل الإنجيلِ، فأخبرَته بما أخبرَها به رسولُ الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قُدُّوسٌ، قدوس، والذي نفسُ ورقةَ بيدِه، لئن كنتِ صدقتِني يا خديجةُ، لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ، الذي كان يأتي مُوسى، وإنه لنبيُّ هذه الأمةِ، فقولي له: فليثبُت.

فرجعتْ خديجةُ إلى رسولِ الله ﷺ، فأخبرَته بقول ورقةَ، وسهَّل عليه ذلك بعضَ ما كان فيه من الهمِّ بما جاءه، فلما قَضى رسول الله ﷺ على جِواره وانصرفَ، صنعَ فيه كما يصنَع، بدأ بالكعبَة، فطاف بها فلقِيه ورقةُ بن نَوفل وهو يطوفُ بالكعبة، فقال: يا أخي أخبرني بما رأيتَ وسمِعت، فأخبره رسولُ الله ﷺ.

فقال له ورقةُ: والذي نفسي بيدِه إنك لنبيُّ هذه الأُمة، ولقد جاءك الناموسُ الأكبرُ، الذي جاء موسى، ولتُكذَّبنَّ، ولتُؤذينَّ، ولتُخرَجنَّ، ولتُقاتَلن، ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرنَّ الله تعالى نصرًا يعلمُه، ثم أدنى رأسه فقبَّل يافوخَه، ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى منزلِه، وقد زاده ذلك من قولِ ورقة ثباتًا، وخفَّف عنه

بعضَ ما كان فيه من الهمِّ[(١)].

٦٨- عن أنسِ بن مالكٍ، قال: كان أبو ذرٍّ يُحدِّث أن رسولَ الله ﷺ قال: **«فُرج سقفُ بيتي وأنا بمكَّة، فنزل جِبريلُ عليه السلام، ففَرَجَ صدري حتى غسلَه من ماءِ زمزمَ، ثم جاءَ بطستٍ من ذَهب مُمتلئ حكمةً، وإيمانًا، فأفرَغها في صدري، ثم أطبَقه»**[(٢)].

٦٩- عن أنسٍ -وهو يُحدث عن ليلةِ أُسرِيَ بالنبي ﷺ- قال: بينَا رسولُ الله ﷺ نائمٌ أتاه ثلاثةُ نفرٍ قبل أن يُوحَى إليه وهو نائمٌ في المسجدِ الحرامِ، فقال أولهم: أيُّهم هو؟

فقال أوسَطُهم: هو خيرُهم.

فقال آخرهم: خذوا خيرَهم.

فلم يُكلِّموه حتى احتَمَلُوه فوضَعُوه عند بئرِ زمزم، فتولاه منهم جِبريلُ، فشقَّ جبريلُ عليه السلام ما بين نحرِه إلى لَبَّتِه[(٣)] حتى فرغَ من صدرِه وجوفِه، فغسلَهُ بماء زمزم حتى أنقى جوفَه، ثم أُتيَ بطستٍ من ذهب فيه تورٌ من ذهبٍ محشوًّا إيمانا وحكمةً، فحشَا به صدرَه ثم أطبَقَهُ[(٤)].

---

(١) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» ٤/ ٥٤ (٢٤٢٠)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٠٠-٣٠٢، والآجري في «الشريعة» ٣/ ١٤٣٨ (٩٧١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٤٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٣/ ١٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

(٣) (لَبّتِه) اللَّبَّة: موضع القلادة من الصدر.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٠)، ومسلم (١٦٢).

(٢٢) ذِكر إتيان جبريلَ النبيَّ صلى الله عليهما في صورته التي هي صورتُه

٧٠- عن سليمانَ الشيبانيِّ قال: مَرَّ بنا زرُّ بن حبيشٍ، فقمتُ إليه، فسألتُه عن قول الله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم:١٨] فقال زرٌّ: قال عبدُ الله: رأى جبريلَ عليه السلام في صورته، له ستُّمئة جناحٍ[(١)].

فأما كيفيةُ إلقاء الوحي إلى النبيِّ ﷺ:

٧١- فعن عائشةَ، أن الحارثَ بن هشام، سأل رسولَ الله ﷺ، قال: كيف يأتيك الوحيُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني في مثلِ صلصلةِ الجرسِ، وهو أشده عليَّ، فيُفصم عني، وقد وعيتُ ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملكُ رجلًا، ويكلمني وأعي ما يقول**»

قالت عائشةُ: ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحيُ في اليوم الشديدِ البرد، فينفصمُ عنه، وإن جبينَه ليتفصدُ عرقًا[(٢)].

فأما كيفيةُ أخذ النبيِّ ﷺ القرآنَ عن جبريلَ عليه السلام:

٧٢- فعن ابنِ عباسٍ، في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[القيامة:١٦ - ١٧] قال: كان النبيُّ ﷺ يعالج من التنزيلِ شدةً، فكان يحركُ شفتيه.

قال ابنُ عباس: إنما أُحرك شفتي، كما رأيتُ رسول الله يحرك شفتَيه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[القيامة:١٦ - ١٧] قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).
(٢) أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

يَجمعه في قلبك، ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة:١٨] يقول: استمِع، وأنصِت ﴿...إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة:١٩] قال: فكان النبيُّ ﷺ بعد ذاك إذا انطلق جبريلُ قرأه كما أقرأه[1].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجميعُ ما تقدَّمَ ذِكرُنا له من هذه الأخبارِ داخلٌ في المعجزاتِ، وجرى الأمر فيه مرتبًا، فأوله: ما كان عليه السلام يراه في منامه، كما رَوت عائشةُ أن أولَ ما بُدئ به: الرؤيا الصادقةُ، إذ الرؤيا الصادقة جزءٌ من أجزاءِ النبوة، فكانت الرُّؤيا التي تجيءُ مثل فلق الصبحِ، مقدمةَ النبوة، ثم وجبَ أن يكون عليه السلام عالما بمَن يأتيه، فكان التَّخلي، والتوحيد في الجبال والغيران محببًا إليه، لوقوع ترائي الملك له خاليًا، وليقع له عليه السلام المعرفةُ بمن يأتيه ويناديه، فأراه جبريلُ عليه السلام له نفسَه على صورةٍ مختلفة من جملتها: صورتُه التي هي صورته، لتكون صورةُ المباينةِ لصورةِ الآدميين آيةً له في صدق ما ادعاه، أنه مرسلٌ بالوحي إلى النبيِّ ﷺ، ويكون ما عدا هذه الصورةِ التي هي صورتُه تقريرًا عنده لإتيانِه إليه في صورة مختلفةٍ، حتى كان أكثرُ ما كان يراه في صورة دِحية الكلبيِّ، وفيما تأول عبدُ الله بن مسعود، وعائشةُ، في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم:٨] ببيان أن جبريلَ ترائى للنبي ﷺ بين السماءِ والأرضِ، في صورتِه التي عليها خُلق، وإن نظرَ النبيُّ ﷺ إليه حين دنا منه متدليًا، حتى كان قربُ المجلسِ منه قابَ قوسين أو أدنى، وأنه لم يلاقِه في هذه الحالةِ، بل جلس منتبذًا عنه على سبيلِ التعظيمِ له، كالمجالس منَّا إلى سلطانه، وملكه مباينًا له مباعدًا عنه، ففعل جبريلُ ذلك به ﷺ معظمًا له، ثم عرَّفه حقيقةَ ما كان ناجاه به، فيُقرر بهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

عند رسولِ الله ﷺ إليه أنه ملكٌ، وهو رسولُ الله ﷺ إليه، آتاه الوحيَ من قِبَل الله، ولم يكن التدالي والدُّنو في ترائيه له، بل كان ذلك بعد الأولِ، ليكونَ التعريف على تدريج، إذ في المفاجأةِ غير مأمونٍ من دهشة تلحقُه، فجرى الأمرُ فيه على المعقول من الأمر الجميلِ.

فأما غطُّ جبريلَ عليه السلام غير مرةٍ، وقوله: اقرأ، فيقولُ: «**ما أنا بقارئ**» فيحتمل أن يكون منه على وجه التقريرِ له، لما كان عليه من الأُميَّةِ، فقرره بذلك، ثم أقرَأه، كما قرر الله موسى عليه السلام بالعصا، حين أراد أن يجعلَها حيةً، فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه:١٧] ليخبرَه بحقيقةِ ما في يمينِه، حتى إذا قلبها حيةً تسعى، كان أبلغَ له في الحُجة، والتشجعِ في أداء الرسالةِ وتحملِها.

ويحتمل أن يكون غطُّه إياه إشارةٌ إلى ثقل الوحي، وأن وراءَ هذه القراءة وجهًا آخر، لا يظهر له فيه جبريلُ، وإنما يَعرف عليه السلام نزوله، بما يحدثُ له من الثقلِ، والغطيط، والبُرَحاءِ، وما في معناه وغير ذلك.

ويحتمل أن يكون الغطُّ تَهْيئةً لقبولِ الوحي، كما فعله في شَقِّه قلبه، وشرحِ من صدره، والله أعلم.

وجميعُ ذلك من الأدلةِ والآيات، والمعجزاتِ التي يكون له ﷺ خاصةً في نفسِه، إذ الواجبُ في إثبات النبوةِ إقامةُ البرهان للرسولِ في نفسه، ليتقررَ عنده حقيقةُ رسالته، فيُؤذن له عند ذلك في الدعوة، ثم يُمد بالبراهين لأمتِه، وأهلِ دعوته، والله أعلم.

(٢٣) فصل في ذكرِ حراسة السماءِ من استراقِ السمعِ، لثبوت بعثِه، وعلوِّ دعوتِه

٧٣- عن ابنِ عباسٍ، قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ، وما رآهم، انطلقَ رسولُ الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابِه عامدينَ إلى سوقِ عُكاظ، وقد حِيْلَ بين الشياطين، وبين خبرِ السماءِ، وأُرسل عليهم الشُّهب، فرجعت الشياطينُ إلى قومِهم، فقالوا: ما لكم؟

قالوا: حيلَ بيننا وبينَ السماء، وأرسلت علينا الشُّهب.

قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدثَ، فاضرِبوا مَشارقَ الأرض ومغاربَها، فمَرَّ النفرُ الذين أخذوا نحو تِهامة، وهو بنخلٍ عامدين إلى سوقِ عُكاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجرِ، فلما سمِعوا القرآنَ، استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حالَ بيننا وبين خبرِ السماءِ، فرجَعوا إلى قومِهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١ - ٢] فأوحى الله إلى نبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾ الآية [الجن: ١][(١)].

٧٤- عن عليِّ بن الحسينِ، أن ابنَ عباسٍ أخبرَه عن رجلٍ من الأنصارِ، قال: بينما نحن جلوسٌ عند رسولِ الله ﷺ، إذ رُمي بنجمٍ فاستنارَ، فقال النبي ﷺ: «**ما كنتُم تقولونَ لمثلِ هذا إذا رُمي؟**».

قالوا: الله ورسولُه أعلمُ، كنا نقولُ: وُلد الليلةَ رجلٌ عظيمٌ، ومات الليلةَ رجل عظيمٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩).

فقال رسولُ الله ﷺ: «**فإنها لا يُرمى بها لموتِ أحدٍ، ولا لحياتِه، ولكن ربُّنا إذا قَضى أمرًا سبَّحه حَمَلة العرشِ، ثم أهلُ السماءِ الذين يَلونَهم، ثم سبَّحه أهلُ السماءِ الذين يَلونهم، حتى يبلُغَ التسبيحُ أهل سماءِ الدنيا، ثم يقول الذين يَلون حَمَلةَ العرشِ لحملة العرشِ: ماذا قال ربُّكم؟ فيجيبونَهم، فيستخبرُ أهلُ السموات بعضُهم بعضًا، حتى يبلغَ الخبرُ هذه السماءَ الدنيا، فتخطفُ الجنُّ السمعَ، فيُلقونه إلى أوليائهم، فما جاؤوا به على وجهِه فهو صحيحٌ، ولكنهم يَقرِفونَ فيه ويَزيدون، فتُرمى الشياطينُ بالنجومِ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

(٢٤) فصل في ذكر أخذِ القرآن ورؤيةِ النبي ﷺ بالقلوبِ، حتى دخل كثيرٌ من العُقلاء في الإسلام في أوَّل المُلاقاة

إن الله جلَّت عظَمته أيَّد محمدًا ﷺ بما لم يؤيِّد به أحدًا من العالمين، وخصَّه من خصائصِه بما يَفوقُ حد كراماتِ الأنبياء، ومَراتِبِ الأولياء، فكانت علاماتُ نبوَّته على حسب منزلتِه ومحلِّه عندَ الله، فليس من آيةٍ ولا علامةٍ أبدعَ ولا أروعَ من آيات محمدٍ ﷺ، وهو القرآن المُبين، والذكرُ الحكيم، والكتابُ العزيز، الذي لم يُجعل له عوجًا، قيِّما، أنزله عليه في أوانٍ وزمان فيه الخلقُ الكثير، والجمُّ الغفير، أولو الأحلامِ والنُّهى والأفهام، والألسُن الحداد، والقرائحِ الجيادِ، والعقولِ الفِذاذ، أولو الحِنك والتجاربِ والدهاءِ والمكرِ.

فلما سمِعوا القرآن قَدَّروا أن في وُسعِهم معارضتَه، فقالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

فتحدَّاهم ﷺ بالقرآن، يَقرعُ به أسماعَهم أن ائتوا ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

فشحَذوا البصائرَ، واستخرَجوا الذخائرَ، وبَذلوا المُهجَ والأموالَ، وترصَّدوا للقتل والقِتالِ، وبذلوا الأهلَ والولدَ والعِيال يقتلون ويَستأسرونَ ويسترقونَ، تُستباحُ ديارُهم، وتُستملَك رقابُهم، ويُنالون بالذل والصَّغار، ويؤوبون بالخِزي والخَسار، لعجزِهم مع ما لهم من الفصاحةِ واللِّسان، والبلاغة والبَيان، أن يأتوا بِسورة يخترعونَها بأهون سعي، وأدنى كُلفة، لا يَرزأُهم ذلك مالًا، فيُبطلون به مغزاه، ويَدفعون به دَعواه، ويُريحون أنفسَهم من عظيم البَليَّة، وجَسيم الأذيَّة.

وأنَّى لهم ذلك والله يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، مع دعائه ﷺ إيَّاهم أن يأتوا بِسورةٍ من مثلِه، فلم يَقدروا عليه؛ لأنه كلامُ الله المنزَّل عليه، وهو كما أخبر الله عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١٣، ١٤] وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

٧٥- عن عكرمةَ، أو سعيدِ بن جبير، أن الوليدَ بن المغيرة، اجتمعَ إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سِنٍّ منهم، وقد حضر الموسمُ، فقال لهم: يا معشرَ قريش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإن وفودَ العرب ستقدمُ عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبِكم، فأجمِعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا، فيُكذب بعضُكم بعضًا، ويرد قولَكم بعضُه بعضًا.

قالوا: فأنت يا أبا عبدِ شمس، فقل، وأقم لنا رأيًا نقل به.

قال: بل أنتم، فقولوا وأسمع.

قالوا: نقول: إنه كاهنٌ.

قال: ما هو بكاهنٍ، لقد رأينا الكهانَ، فما هو بزمزمةِ الكهان ولا سجعِه.

قالوا: فنقول: إنه مجنونٌ.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنونَ وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجِه، ولا وسوستِه.

قالوا: فنقول: شاعرٌ.

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعرَ كله، رجزَه، وهزجَه، وقريضَه، ومقبوضَه، ومبسوطَه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحرٌ.

قال: ما هو بساحرٍ، لقد رأينا السحارَ وسحرَهم، فما هو بنفثِه ولا عقدِه.

قالوا: فما تقول يا أبا عبدِ شمس؟

قال: إن لقولِه لحلاوة، وإن أصلَه لَغَدِقٌ، وإن فرعَه لجَناةٌ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطلٌ، وإن أقربَ القول فيه لأن تقولوا: هو ساحرٌ، يُفَرِّق بين المرء وابنه، وبين المرءِ وأخيه، وبين المرءِ وزوجته، وبين المرء وعشيرتِه، فتفرقوا عنه بذلك[(١)].

٧٦- عن عبدِ الله بن عمر، أن قريشًا اجتمعت لرسول الله ﷺ، ورسولُ الله جالس في المسجد، فقال عتبةُ بن ربيعة لهم: دَعوني حتى أقومَ إليه، فأكلمه، فإني عسى أن أكونَ أرفق به منكم، فقام عتبةُ حتى جلس إليه، فقال: يا ابنَ أخي، أراك أوسطنا بيتًا وأفضَلنا مكانًا، وقد أدخلتَ على قومك ما لم يُدخل رجل على قومه مثلَه، فإن كنتَ تطلب بهذا الحديث مالًا، فذلك لك، على قومك أن تجمعَ لك، حتى تكونَ أكثرنا مالًا، وإن كنتَ تطلب شرفًا، فنحن مشرفوك، حتى لا يكون أحدٌ من قومك فوقَك، ولا يَقطع الأمر دونك، وإن كان هذا عن لَمَم يصيبُك لا نقدر عن النزوعِ منه؛ بذَلنا لك خزائنَنا حتى تعذرَ في طلب الطب لذلك منك، وإن كنتَ تريد ملكًا ملكناك.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٥٠-١٥١).

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَفرغت يا أبا الوليدِ**»؟ قال: نعم. فقرأ عليه النبيُّ ﷺ: «**الم السجدة**» حتى مر بالسجدة فسجدَ، وعتبةُ ملقٍ يده خلف ظهرِه، حتى فرغَ من قرائتها، ثم قام عتبةُ، ما يدري ما يراجعه به إلى نادي قومِه، فلما رأوه مقبلًا قالوا: لقد رجع إليكم بوجه غير ما قام من عندكم، فجلسَ إليهم، فقال: يا معشرَ قريش، قد كلمتُه بالذي أمرتُموني به، حتى إذا فرغتُ، كلمني بكلام لا والله ما سمعَت أُذناي مثلَه قط، وما دريتُ ما أقول له، يا معشرَ قريش فأطيعوني اليومَ، واعصوني فيما بعدَه، اتركوا الرجلَ واعتزِلوه، فوالله، ما هو بتارك ما هو عليه، وخلوا بينه وبين سائر العربِ، فإن يظهرَ عليه يكون شرفُه شرفكم، وعزُّه عزكم، وإن يظهروا عليه تكونوا قد كفيتُموه بغيركم، قالوا: صبأتَ يا أبا الوليدِ[(١)]!

٧٧- عن ابنِ عباسٍ: أن رجلًا من أزد شَنوءةَ يُقال له: ضِماد، كان يُعالج من الأرواحِ، فقدِمَ مكة، فسمِعهم يقولون للنبي ﷺ: ساحرٌ، وكاهنٌ، ومجنونٌ.

فقال: لو أني أتيت هذا الرجلَ لعلَّ الله يَشفِيَه على يديَّ، قال: فلقيه، فقال: يا محمدُ، إني أرقي من هذا الرِّيح، فإن الله يشفي على يديَّ مَن شاءَ، فهل فيَّ؟!

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسوله، أما بعد**».

فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، ولقد بلغنَ قاموسَ البحر، هات يدك أبايعْك على الإسلامِ، قال: فبايعه رسولُ الله ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٤.

فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومِك؟»

قال: وعلى قومِي.

قال: فبعثَ رسول الله ﷺ سَريةً، فمروا بقومه، فقال صاحبُ السرية للجيشِ: هل أصبتُم من هؤلاء شيئًا؟

فقال رَجلٌ من القَومِ: أصبتُ منهم مَطهرةً.

قال: «رُدَّها، فإن هؤلاء قومُ ضِمادٍ»[١].

٧٨- عن جُبيرِ بن مُطعِمٍ، قال: قدِمت المدينة -إذ قدمتُها- وأنا غيرُ مسلمٍ يومئذ، فأقدمُ وقد أصابني كرًى شديدٌ، فنِمت في المسجدِ، حتى فزِعت بقراءةِ رسولِ الله ﷺ للمغربِ، وهو يقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ [الطور: ١، ٢]، فاسترجعتُ حتى خرجتُ من المَسجدِ، وكان أولَّ ما دخل قلبي الإسلامَ[٢].

٧٩- عن محمدِ بن إسحاق، قال: وكان رسولُ الله ﷺ على ما يَرى من قومه، يبذلُ لهم النصيحةَ، ويدعوهم إلى النجاةِ فيما هم فيه، وجعلَت قريشٌ حين منعه الله منهم، يحذرونَه الناس، ومن قدمَ عليهم من العرب، فكان الطُّفيل بن عمرو الدوسي يُحدث، أنه قدم مكةَ ورسولُ الله ﷺ بها، ومشى إليه رجالٌ من قريش، وكان الطفيلُ رجلًا شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طُفيلُ، إنك قدمت بلادَنا، وهذا الرجلُ الذي بين أظهُرنا قد عضلَ بنا، وفرق جماعتَنا، وإنما قولُه كالسحر، يُفرق بين الرجل وبين ابنه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نَخشى عليك وعلى قومِك، ما قد دخل علينا، فلا تكلمنَّه، ولا

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢/ ١٣٨ (١٥٨٥)، وأصله مختصرًا في البخاري (٤٠٢٣)، ومسلم (٤٦٣).

تسمع منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمعَ منه شيئًا، ولا أُكلمُه حتى حشوتُ أذني -حين غدوتُ إلى المسجد- كرسفًا فَرقًا، من أن يَبلغني من قوله، وأنا لا أريدُ أن أسمعَه.

قال: فغدوتُ إلى المسجد، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلي عند الكعبةِ، قال: فقمتُ قريبًا منه، فأبى الله إلَّا أن يُسمعني بعضَ قوله، قال: فسمعتُ كلامًا حسنًا، قال: فقلتُ في نفسي: واثُكلَ أمي، والله، إني لرجلٌ لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ الحسنُ من القبيحِ، فما يَمنعُني من أن أسمعَ من هذا الرجلِ ما يقول، فإن كان هذا الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته.

قال: فمكثتُ حتى انصرف رسولُ الله ﷺ إلى بيته، فاتبعتُه حتى إذا دخل بيتَه دخلتُ عليه، فقلت: يا محمدُ، إن قومَك قالوا لي: كذا وكذا، الذي قالوا، فوالله ما برِحوا يُخوفوني أمرَك، حتى سددتُ أذني بكُرسفٍ؛ لئلا أسمعَ قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعَنيه، فسمعت قولًا حسنًا، فاعرِض عليَّ أمرك، قال: فعرضَ عليَّ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن.

قال: فوالله ما سمعت قولًا قط أحسنَ، ولا أمرًا أعدل منه، قال: فأسلمتُ، وشهدت شهادةَ الحق، وقلتُ: يا نبي الله، إني امرؤٌ مطاع في قومي، وأنا راجعٌ إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعلَ لي آية، يكون لي عونًا عليهم، فيما أدعوهم إليه، قال: «**فقال: اللهمَّ اجعل له آيةً**».

قال: فخرجتُ إلى قومي، حتى إذا كنتُ بثنية تُطلعني على الحاضر، وقع نورٌ بين عيني مثل المصباح، قال: فقلتُ: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يَظنوا أنها مُثلةٌ، وقعت في وجهي لفراق دينهم، قال: فتحول، فوقعَ في رأس سوطي،

فجعل الحاضرون يتراءَون ذلك النورَ في سوطي كالقِنديل المُعلق، وأنا أنهبطُ إليهم من الثنية، قال: حتى جئتَهم، فأصبحت فيهم، فلما نزلتُ أتاني أبي، وكان شيخًا كبيرًا قال: فقلتُ: إليك عنِّي يا أبه، فلستُ منك، ولستَ مني، قال: ولِم، أي بنيَّ؟ قال: قلت: أسلمتُ، وتابعتُ دين محمد عليه السلام، قال أبي: فديني، دينُك، فاغتسلَ، وطهَّرَ ثيابه، ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام، فأسلمَ، قال: ثم أتَتني صاحِبتي، فقلتُ لها: إليك عني، فلستُ منك، ولستِ مني، قالت: بأبي أنتَ وأمي، قال: قلتُ: فرَّق بيني وبينك الإسلامُ، أسلمت، وتابعتُ دين محمدٍ، قالت: فديني دينُك الإسلام، فأسلمَت، ثم دعوتُ دوسًا إلى الإسلام، فأبطؤا عليَّ، ثم جئتُ رسول الله ﷺ بمكةَ، فقلتُ: يا نبيَّ الله، إنه قد غلبني على دوس الزِّنا، فادعُ الله عليهم، فقال: «**اللهمَّ اهد دوسًا**» ارجع إلى قومِك فادعُهم، وارفُق بهم، قال: فرجعتُ، فلم أزل بأرض دوسٍ أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجرَ رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقضى بدرًا، وأحدًا، والخندقَ، ثم قدِمت على رسول الله بمَن أسلم معي من قومي، ورسولُ الله ﷺ بخيبرَ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوسٍ[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومِمَّا يدخلُ في هذا البابِ مِن أخذِ القرآنِ بالقلوبِ إسلامُ عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٨٠- عن عبدِ الله بنِ أبي نَجيحٍ المَكي، عن أصحابه عطاءٍ ومُجاهدٍ، أو عن مَن روى ذلك عنه، أن إسلامَ عمرَ بنِ الخطابِ -فيما تَحدَّثوا به عنه- أنه كان يقولُ: كنت للإسلامِ مُباعدًا، وكنتُ صاحبَ خمرٍ في الجاهليةِ، أُحبُّها فأشربُها،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٥.

وكان لنا مَجلس يجتمعُ فيه رجالٌ من قريشٍ بالحَزْوَرَةِ عندَ دورِ آل عمرو بن عائذِ بن عمران بن مخزومٍ.

قال: فخرجتُ ليلة أريدُ جلسائي في مجلسنا ذلك، فلم أجدْ فيهم أحدًا، فقلت: لو أني جئت فلانًا الخمارَ، وكان بمكة رجلٌ يبيع الخمرَ، لعلِّي أجد عندَه خمرًا فأشربُ منها.

قال: فجئتُه فلم أجدْه.

قال: قلت: لو جئتُ الكعبةَ، فطُفت بها سبعًا أو سبعين، قال: فجئت المسجدَ أريدُ أن أطوفَ بالكعبةِ، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلي، وكان إذا صلَّى استقبل الشامَ، وجعَل الكعبة بينَه وبين الشامِ، وكان مُصلاه بين الركنين الأسودِ والركنِ اليماني.

وقال: فقلت حين رأيتُه: والله لو أني استمَعتُ الليلةَ لمحمدٍ، حتى أسمعَ ما يقول.

وقلت: لئن دنوتُ أسمعُ منه لأروعنَّه.

قال: فجئتُ الكعبةَ من قِبَلِ الحِجرِ، فدخلتُ ثيابَها، فجعلت أمشي رُويدًا، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلي يقرأُ القرآنَ، حتى قُمت في قبلتِهِ مُستقبلًا ما بيني وبينه، إلا ثياب الكعبةِ.

قال: [فلما] سمِعتُ القرآنَ، رَقَّ له قلبي، فبَكيت ودخلني الإسلامُ، فلم أزل قائمًا في مكاني، حتى قَضى رسولُ الله ﷺ صلاتَه، ثم انصرفَ، وكان إذا انصرف خرجَ على دارِ بني أبي حسينٍ، وكانت طريقَه حتى يخرجَ إلى المسعى، ثم

يسيرُ بين دارِ عباسِ بن عبدِ المطلب، وبين دارِ ابن أزهرَ بن عبدِ عوفٍ الزُّهري، ثم على دارِ الأخنسِ بن شَريق، حتى يدخُل بيتَه، وكان مسكنُه في دار الرقطاءِ.

فاتَّبعتُه حتى إذا كان بين دارِ العباس، وبين دار [ابن] أزهرَ أدركتُه، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ حِسِّي، قام وعرَفني، فظنَّ رسولُ الله ﷺ أني إنما تَبعته لأُوذيه، فنهَمني، فقال: «**ما جاء بك يا ابنَ الخطابِ هذه الساعةَ؟**»

قال: قلت: إني أُؤمن بالله وبرسولِه، وبما جاء من عندِ الله.

قال: فحمِدَ رسولُ الله ﷺ الله وأثنى عليه، وقال: «**قد هداك الله يا عمرُ**». ثم مَسحَ صدري، ودعا لي بالثَّباتِ، ثم انصرفتُ عن رسولِ الله ﷺ ودخل بيتَه[1].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمُنتقى من ذكر هذه الأخبارِ التي مضت، من ذكر ضِماد وطفيل وغيرِهما، وما نذكرُه بعده من النجاشيِّ، وعمرو بن العاص وأبي ذرٍّ، وغيره أن موافقةَ العقلاء، وسرعةَ ميلهم إلى إجابةِ دعوة النبي ﷺ، وقبولِهم منه إحدى الدلائلِ في صدق دعواه للنبوة، لأنَّ إحدى الخلال، في صدق دعوته صحةُ ما يدعو المدعي لها من الشرائع، خصوصًا أمهات الشرائعِ؛ لأن ما وراءها مُفرع عنها، وفي صحة الأصل دلالةٌ على صحة الفرعِ؛ لأن شهادةَ النجاشيِّ بنبوته ﷺ عَقيب ما قرئ عليه من كتاب الله، وأعلم من أمهات شرائِعه، وقبولها وانقيادِه له عليه السلام من أوضح الدلائلِ.

وتَتضمن هذه القصةُ أيضًا إسلام عمرو بن العاص، وخالدِ بن الوليد.

---

(١) أخرجه عبد الله في زوائده على «فضائل الصحابة» ١/ ٢٨٣ (٣٧٤).

٨١- عن أبي ذر الغفاري، قال: خرجنا من قومِنا غفار، وكانوا يُحِلون الشهر الحرام، قال: فخرجتُ أنا وأخي أنيسٌ وأمُّنا، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا، فأكرَمنا خالُنا، وأحسن إلينا، فحسدَنا قومُنا، وقالوا له: إنك إذا خرجتَ من أهلك، خالفَ إليهم أُنيس.

فجاء خالنا فنثا علينا ما قيل له، فقلتُ: أما ما مضى من معروفِك، فقد كدرتَ ولا جماع لك فيما بعد، قال: فقرَّبنا صرمتَنا فاحتملنا عليها، وتغطَّى خالنا بثوبه يَبكي، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكةَ، فتنافر أُنيسٌ عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهنَ فخَيَّر أُنيسًا، فأتانا بصرمتِنا ومثلها معها، وقد صليتُ قبل أن ألقى رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سنين، فقلت: لَمن؟ قال: الله. قلتُ: أين توجه؟ قال: حيثُ وجهني الله، أصلي عشاء، حتى إذا كان من آخر السَّحرِ، أُلقيت كأني خَفاء -يعني: خباء- حتى تعلوني الشمسُ.

قال: فقال أُنيس: إن لي حاجةً بمكةَ، فاكفني حتى آتيكَ، فانطلقَ أنيسٌ فراث عليَّ -يعني: أبطأ- ثم جاء فقلتُ: ما حبسَك؟ قال: لقينا رجلًا بمكةَ على دينك، يزعم أن الله أرسلَه، قال: فما يقولُ له الناس؟ قال: يقولون: شاعرٌ، كاهن، ساحرٌ، وكان أنيس أحدَ الشعراء، قال أنيسٌ: والله لقد سمعتُ قول الكهنةِ، فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قوله على أقراءِ الشعر، فلا يلتئمُ على لسان أحدٍ يفري أنه شعرٌ، والله إنه لصادقٌ، وإنهم لكاذبون، فقلت: اكفِني حتى أذهبَ فأنظر، قال: نعم، وكن من أهل مكةَ على حذرٍ، فإنهم قد شَنعوا له، وتجهَّموا له، قال: فانطلقتُ فقدمتُ مكةَ، فاستضعفتُ رجلًا منهم، فقلت: أين الذي يدعونَه الصابئُ؟ فأشار إليَّ، وقال: الصابئ! فمال عليَّ أهلُ الوادي بكل مدرة وعظمٍ، فخررتُ مغشيًّا عليَّ، فارتفعتُ حين ارتفعت كأني نُصُب أحمرٌ، فأتيت زمزمَ

فشربتُ من مائها، وغسلتُ عني الدماء، فلبثتُ بها ثلاثين من بين يوم وليلةٍ، ما لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم، فسَمِنتُ حتى تكسَّرت عكنُ بطني، وما وجدت على كبدي سخفةَ جوعٍ، قال: فبينا أهلُ مكة في ليلة قمراءَ إِضحيان، إذ ضرب الله على أسمختِهم، فما يطوفُ بالبيت أحدٌ منهم غيرُ امرأتين، فأتتا عليَّ، وهما تدعوان إسافًا ونائلةَ.

قال: قلتُ: أَنكِحا أحدَهما الآخر، قال: فما تناهتا عن قولهما، قال: فأتتا عليَّ، فقلتُ: هَنٌ مثل الخشبةِ، غير أني لم أَكْني، فانطلقتا تولولان، وتقولان: لو كان هاهنا أحدٌ من أنفارنا، فاستقبلَهما رسولُ الله ﷺ، وأبو بكرٍ، وهما هابطان من الجبل، فقال: «**ما لكُما؟**» قالتا: الصابئُ بين الكعبةِ وأستارِها، قال: «**فما قال لكما؟**» قالتا: قال لنا كلمةً تملأ الفم، قال: فجاء رسولُ الله ﷺ وصاحبُه، فاستلم الحجرَ، وطاف بالبيتِ، ثم صلى، فأتيتُه حين قضى صلاتَه، فكنتُ أولَ من حيَّاه بتحية الإسلامِ، قال: «**وعليك رحمةُ الله، ممن أنت؟**» قلتُ: من غفارٍ، فأهوى بيدِه إلى جبهتِه هكذا، قال: قلتُ في نفسي: كره أني انتميتُ إلى غفار، فذهبت آخذُ بيده، فدفعَني عنه صاحبُه وكان أعلمَ به مني، فقال: «**متى كنتَ ها هنا؟**» فقلتُ: كنت ها هنا منذُ ثلاثين، مِن بين يومٍ وليلة، قال: «**فمَن كان يُطعمك؟**» قلتُ: ما كان لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم، فسمنتُ حتى تكسَّرت عكنُ بطني، وما وجدتُ على كبدي سخفةَ جوع.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنها مباركةٌ، إنها طعامُ طُعم**» فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، ائذن لي في طعامه الليلةَ، قال: ففعل، قال: فانطلَق النبيُّ ﷺ وأبو بكر، فانطلقتُ معهما، ففتح أبو بكر بابًا، فجعل يقبضُ لنا من زبيب الطائفِ، قال أبو ذر: فذاك أولُ طعام أكلتُه بها، قال: فغَبَرتُ ما غَبرتُ، فلقيتُ رسولَ الله ﷺ،

فقال: «**إني وُجِّهت إلى أرضٍ ذات نخل، ولا أحسبُها إلا يثربَ، فهل أنت مبلِّغٌ عني قومَك، عسى الله أن ينفعَهم بك، ويأجُركَ فيهم**» قال: فانطلقتُ حتى لقيتُ أخي أُنيسًا، فقال: ما صنعتَ؟ قلت: صنعتُ أني قد أسلمتُ وصدقت، فقال أُنيس: ما بي رغبةٌ عن دينك، فإني قد أسلمتُ وصدقت، قال: فأتينا أُمَّنا فقالت: ما بي رغبةٌ عن دينكما، فإني قد أسلمتُ وصدقت، قال: فاحتَملنا فأتينا قومَنا، فأسلم نصفُهم قبل أن يقدمَ رسولُ الله ﷺ على المدينة، وكان يؤمُّهم إيماءُ بن رحضة، وكان سيِّدَهم، وقال بقيتُهم: إذا قدم رسولُ الله ﷺ أسلمنا، فقدم رسولُ الله ﷺ فأسلم بقيتُهم، وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسولَ الله، نُسلِم على الذي أسلَم عليه إخوانُنا، فأسلَموا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**غفارٌ، غفرَ الله لها، وأسلَم، سالَمها الله**»(١).

٨٢- عن عمرِو بنِ العاص قال: لما انصرَفنا من الخَندقِ جمعتُ رِجالًا من قريشٍ يَسمعون منِّي، فقلت لهم: أترونَ رأيي، وتَسمعونَ مني؟

قالوا: نعم.

قلت: إني أرى أمرَ محمدٍ عليه السلام، يعلو الأمورَ عُلوًّا شديدًا، وإني قد رأيتُ رأيًا، فما تَرون فيه؟

قالوا: ما هو؟

قلت: أرى أن أَلحَقَ بالنجاشيِّ، فإن ظهرَ محمدٌ على قومِنا كنا عند النجاشيِّ، فنكون تحتَ يديه، أحبُّ إلينا أن نكون تحتَ يدي محمدٍ، وإن ظهرَ قومُنا على محمدٍ فهُم من قد عرَفتُموهم، ولا رأينا منهم إلا خيرًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٣).

فقالوا: إن هذا لَلرأيُ.

فقلت: فاجمعوا هدايا نُهديها له، فكان أحبُّ ما يهدى إليه من أرضنا الأدمَ، فجمعنا أدمًا كثيرًا، فخرجنا حتى قدِمنا عليه، فوالله إنا لعندَه إذ جاء عمرو بن أُميةَ الضَّمري، فلو قد دخلتُ عليه فقدَّمنا إليه هداياه، فسألتُه إياه، لأعطانيه نقتُلُه، فإذا فعلتُ ذلك، رأت قُريشٌ أني قد أَجَزتُ، حين قتلت رسولَ محمد.

قال: فدخلتُ عليه، فسجدتُ له كما كنَّا نصنعُ به.

فقال: مَرحبًا بك، هل أهديتَ لي من بِلادك شيئًا؟

قلت: نعم، أَهدَيتُ لك أيها الملكُ أدمًا كثيرًا.

قال: فقرَّبته إليه، فاشتهاهُ وأعجبَه، فقلت: أيها الملكُ، إني رأيتُ رجلًا خرجَ من عندك الآن هو رسولُ رجلٍ هو عدوٌّ لنا، فأعطينيه فأقتُلُه، فإنه قد أصابَ من أشرافِنا وأخيارِنا.

قال: فغضِبَ، ومد يده، فضربَ الأنفَ ضربةً ظننت أنه كاسرُهُ.

قال: فلو انشقتِ الأرضُ عند ذلك لدخلتُ فيها.

فقلت: أيها الملك، والله لو ظننتُ أنك تكرَه هذا ما سألتُكَه.

قال: أتسألني أن أُعطيكَ رجلًا لتقتلَه، رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ الأكبرُ الذي يأتي موسى.

فقلت: أوَ كذلك هو؟

قال: نعم، ثم قال: أطعني واتَّبعه، فوالله إنه لعَلى الحقِّ، وليَظهَرنَّ على من خالفَه، كما ظهرَ موسى عليه السلام على فِرعونَ وجنودِه.

فقلت: أفتُبايعني له على الإسلامَ؟

قال: نعم.

قال: فبسط يدَه، فبايعتُه على الإسلامِ، ثم خرجتُ من عنده، وقد حالَ رأيي إلى غيرِه، فلقيتُ خالدَ بنَ الوليدِ، فقلت: أين يا أبا سُليمان؟

فقال: والله لقد استقامَ المِيسمُ، إن الرجلَ لعلى الحقِّ، وأنا أذهبُ فأسلم.

قلت: وأنا أيضًا.

قال: فقدِمنا المدينة، فأتينا رسولَ الله ﷺ، فتقدَّم خالدٌ، فأسلمَ وبايعَ، وتقدمتُ أنا، فقلت: وأنا أبايعُ، وذكرت ما تقدَّم من ذنبي، ولا أذكرُ ما استأخرَ.

فقال: «**بايع، فإن الإسلام يجُبُّ ما كان قبلَه، والهجرةَ تجب ما كان قبلها**». فبايعتُه[(١)].

٨٣- وقد روى محمدُ بن إسحاقَ ما ناظرَ به النضرُ بن الحارث قريشًا أن يبعثوا إلى أحبارِ أهل الكتابِ فيَسألوهم عما يُمْتَحَنُ به النبيُّ ﷺ وما يقولونه فيه.

فقال لهم أحبارُ يهود: سلوه عن ثلاثٍ نأمركم بهن، فإن أخبرَكم بهن، فهو نبيٌّ مرسل، وإن لم يفعلْ، فالرجلُ متقَوِّل، فروا فيه رأيَكم: سلوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأولِ ما كان أمرُهم؟ فإنه قد كان لهم حديثٌ عجب، وسلوه عن رجل

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩/ ٣٤٩ (١٧٧٧٧).

طوافٍ، قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هو؟ فإن أخبرَكم بذلك، فهو نبيٌّ فاتبعوه، وإن لم يفعل، فهو رجلٌ متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكُم.

فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**أُخبرُكم بما سألتُم عنه غدًا**» ولم يَستثن فانصرَفوا عنه، فمكثَ رسولُ الله ﷺ فيما يذكرون خمسَ عشرةَ ليلةَ، لا يُحدِث الله إليه في ذلك وحيًا ولا يأتيه جبريلُ عليهما السلام، حتى أرجفَ أهلُ مكةَ، وقالوا: وعدنا محمد غدًا، واليوم خمسَ عشرةَ ليلة، قد أصبحنا منها، لا يخبرُنا بشيء مما سألناه عنه! حتى أحزنَ رسولَ الله ﷺ مُكثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يَتكلم به أهلُ مكة، ثم جاء جبريلُ من الله بسورة الكهفِ، فيها معاتبتُه إياه على حزنه عليهم، وخبرِ ما سألوه عنه من الفتيةِ، والطوافِ، وقول الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥][١].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه القصةُ أيضًا داخلة في الأبواب الماضيةِ، من اشتهارِ أمر رسولِ الله ﷺ عند أهلِ المُلك، والأديان، مُثبتٌ ذلك في كتبِهم، وعلومِهم، والله أعلم.

٨٤- عن ابنِ عباسٍ، حدثني سَلمان حديثَه مِن فيه، قال: كنت رجلًا فارسيًّا من أهلِ أصبهان، من أهل قرية يُقال لها: جي، وكان أبي دِهقانَ[٢] قريته، وكنت من أحبِّ الخلق إليه، فما زال حبُّه إياي حتى حبَسني في بيت كما تُحبس

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٢٠١-٢٠٢).

(٢) (الدِّهقَان): فارسي معرب، وهم زعماء القرى من العجم والفرس.

الجاريةُ، وكنت قد اجتهدت في المَجوسيةِ، حتى كنت قَطِنَ النارِ[١] أُوقدُها، لا أتركُها تخبو ساعةً اجتهادًا في ديني، وكان لأبي صنعةٌ في بعض عملِه، وكان يُعالج بنيانًا له في دارِه، فدعاني، فقال: أي بُنيَّ، إنه قد شغلَني بُنياني كما ترى، فانطلقْ إلى ضَيعتي هذه، ولا تَحتبِس عليَّ، فإنك إن احتبست عليَّ كنتَ أهمَّ إلي من ضَيعتي، ومن كل شيءٍ، وشغلتَني عن كلِّ شيء من أمرِي.

قال: فخرجتُ أريدُ الضيعةَ التي بعثَني إليها.

قال: فمررتُ بكنيسةٍ من كنائسِ النصارى، فسمِعت أصواتَهم وهم يُصلون، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس لحبسِ أبي إياي في بيتِه، فلما سمِعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يصنعون.

فلما رأيتُهم أعجبَتني صلاتُهم، ورغِبتُ في أمرهم، وقلت: هذا والله خيرٌ من الدينِ الذي نحن عليه، فوالله ما بَرحتهم حتى غربتِ الشمسُ، وتركت ضيعةَ أبي، فلم آتِها.

ثم قلت لهم: أين أصْلُ هذا الدينِ؟

قالوا: بالشامِ.

قال: ثم رَجعت إلى أبي، وقد بَعث في طلبي، فشغلتُه عن عمله كلِّه، فلما جئتُه، قال: يا بني أين كنت؟ ألم أكن عَهدت إليك ما عهدتُ؟

قال: قلت: يا أبتِ، مررتُ بناس يُصلون في كَنيسة لهم، فأعجبَني ما رأيتُ، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربتِ الشمسُ.

---

(١) (قَطِن النار): وهو المقيم عندها الذي لزمها فلا يفارقُها.

قال: أي بُني، ليس في ذلك الدينِ خيرٌ، بل دينُك ودين آبائِك خيرٌ.

قال: قلت: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا.

قال: فخافَني، فجعلَ في رجلي قيدًا، ثم حبَسني في بيتي.

قال: وبعثتُ إلى النصارى، فقلت: إذا قدِم عليكُم ركبٌ من الشامِ، فأخبِروني، قال: فقدم عليهم ركبٌ من الشامِّ تجارٌ من النصارى، قال: فأخبَروني، قال: قلت: إذا قضوا حوائجَهم، فأرادوا الرجعة إلى بلادِهم، فآذنوني، فلمَّا أرادوا الرجعة إلى بلادِهم، أعلَموني بهم.

قال: فألقيتُ الحديدَ من رِجلي، ثم خرجتُ معهم حتى قدِمت الشام، فلما قدمتُها قلت: مَن أفضلُ هذا الدينِ علمًا؟

قالوا: الأُسقف في الكنيسةِ.

قال: فجئتُه، فقلتُ له: إني قد رغبتُ في هذا الدينِ، وأكون معك أخدمُك في كنيسَتِك، وأتعلَّم منك، وأُصلي معك.

قال: فافعلْ، فادخُل، فدخلْت معه، قال: فكان رجلَ سوءٍ يأمرُهم بالصدقة، ويُرَغِّبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئًا منها، اكتنزَه لنفسِه، ولم يُعط المساكينَ، حتى جمع سبعَ قِلال من ذهبٍ وورِق.

قال: فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنَعُ، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى لتدفِنَه، فقلت لهم: إن هذا كانَ رجلَ سوءٍ، يأمرُكم بالصدقةِ، ويُرغبكُم فيها، فإذا جِئتموهُ اكتَنَزَها لنفسِه، ولم يعطِ المساكين منها شَيئًا.

قال: قالوا لي: وما عِلمُك بذلك؟

قال: قلت: أنا أدلُّكم على كَنزِه.

فقالوا: دلَّنا عليه.

قال: فأريتُهم موضعَه.

قال: فاستخرجوا سبعَ قلالٍ مملوءةً ذهبًا وورقًا، فلما رأوها، قالوا: لا والله، لا ندفنُه فصلبوه، ثم رَجموه بالحِجارةِ، ثم جاؤوا برجُلٍ آخر، قال: فجعلوه مكانَه.

قال: يقول سَلمان: فما رأيت رجلًا لا يصلي الخَمسَ أرى أنه أفضلُ منه، أزهدَ في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرةِ، ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه، قال: فأحببتُه حُبًّا لم أحبَّ شيئًا كان مثلَه، فأقمتُ معه زمانًا، ثم حضرَته الوفاةُ.

قال: فقلت: يا فلان، إني قد كنت معك، وأحببتُك حبًّا لم أحبَّ شيئًا كان قبلَك، وقد حضرَك ما ترى من أمرِ الله، فإلى من تُوصي بي، وإلى من تأمُرني؟

قال: أي بُني، والله ما أعلمُ أحدًا اليومَ على ما كنت عليه، لقد هلكَ الناسُ وبدَّلوا كثيرًا مما كانوا عليه إلا رجلًا بالمَوصل، وهو على ما كنت عليه، فالْحَقْ به.

قال: فلما غُيب، لحقتُ بصاحبِ الموصل، فقلت: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحقَ بك، وأخبرني أنك على أمرِه، فقال: أقمْ عندي، قال: فأقمتُ عندَه، فوجدته خيرَ رجل، على أمر صاحبِه.

قال: فلم يلبثْ أن مات، فلما حضرَته الوفاة، قُلت له يا فلان: إن فلانًا أوصاني إليك، فأمرَني باللحوقِ بك، وقد حضركَ من أمرِ الله ما تَرى، فإلى من تُوصي بي؟

قال: إني والله ما أعلم رجلًا على ما كنَّا عليه إلا رجلًا بنَصيبين، وهو فلان، فالْحق به، فلما مات وغُيب، لحقتُ بصاحب نَصيبين، فجئته فأخبرتُه خبري، وما أمرني به صاحبي.

فقال: أقمْ عندي، فأقمتُ عندَه، فوجدته على أمرِ صاحبه، فأقمتُ معه خيرَ رجلٍ، فوالله ما لبثَ أن نزلَ به الموتُ، فلما حضر، قال: قلت: يا فلان، إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بُني، ما أعلَمُ أحدًا بَقي على أمرِنا آمُرُك أن تأتيه إلا رجلًا بعَمُّوريةَ من أرضِ الرومِ، فإنه على مثل أمرِنا، فإن أحببت فأتِه، فإنه على أمرنا.

قال: فلما مات وغُيب، لحقتُ بصاحب عَمُّوريةَ، وأخبرته خَبري، وقال: أقمْ عندي، فأقمت عندَ خيرِ رجلٍ على هُدى أصحابه وأمرِهم، قال: ثم اكتَسَبتُ حتى كانت لي بَقراتٌ وغَنيمة.

قال: ثم نزلَ به أمرُ الله، فلما حضرَتهُ الوفاةُ، قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلانٍ فأوصى بي إلى فلانٍ، ثم أوصاني فلانٌ إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي، وما تَأمرني؟

قال: أي بُني، والله ما أعلمُ أصبحَ على ما كنا عليه أحدٌ من الناسِ آمرك أن تأتيَه، ولكن قد أظلَّك زمان نبيٍّ، هو مَبعوث بدينِ إبراهيم، يَخرُج بأرضِ العربِ، مُهاجرهُ إلى أرضٍ بين حرَّتين، بها نخلٌ، به علامات لا تَخفى: يأكلُ الهدية، ولا يَأكل الصدقة، بين كتِفيه خاتم النبوةِ، فإن استطعت أن تلحَق بتلك البلادِ فافعلْ.

قال: ثم مات وغُيب، ومكثتُ بعَمُّوريةَ ما شاء الله أن أمكُثَ، ثم مر بي نفرٌ من كلبٍ تجارٌ، فقلت لهم: تحمِلوني إلى أرضِ العَرب، وأعطيكم بَقراتي هذه، وغنيمتي هذه.

قال: فأعطيتُهم وحَملوني معهم، حتى إذا قدِموا بي وادي القُرى ظَلمُوني، فباعوني من رجلٍ يهوديٍّ عبدًا، فكنتَ عنده، وأُريت النخلَ، فرجوت أن يكون البلدَ الذي وَصَفَ لي صاحبي، ولم يحِق لي في نفسي، فبينا أنا كذلك إذ قَدم ابنُ عمٍّ له من المدينة من بني قُريظةَ، فابتاعني منه، فحملَني إلى المدينةِ، فوالله، ما هو إلا أن رأيتُها فعرَفتُها بصفةِ صاحبي، فأقمتُ بها، وبعثَ الله رسولَه، فأقام بمكةَ ما أقامَ، لا أسمعُ له بذكرٍ، مع ما أنا فيه من شُغلِ الرِّقِّ، ثم هاجرَ إلى المدينةِ، فوالله، إني لفي رأسِ عِذقٍ لسيدي أعملُ فيها بعضَ عملِه، وسيدي جالسٌ تحتي، إذ أقبَلَ ابنُ عمٍّ له فوقف عليه، فقال: يا فلان، قاتَل الله بني قَيلةَ، والله إنهم الآن يَجتمعون بقُباءَ، على رجلٍ قدم عليهم من مكةَ اليوم، يزعُمون أنه نبي.

قال: فلما سمعتُها أخذَتني العُرَواءُ[1]، حتى ظننت أني سأسقطُ على سيدي، قال: فنزلت عن النخلَة، وجعلتُ أقولُ لابن عمه ذلك: ما تقول؟

قال: فغضِب سيدي، فلَكَمَني لكمةً شديدةً، ثم قال: مالَكَ ولهذا؟ أقبلْ على عملِك.

قال: قلت: لا شيءَ، أردت أن أستثبِته عما قالَ، وكان عندي شيءٌ قد جمعتُه، فلما أمسَيتُ أخذتُه، ثم ذهبتُ به إلى رسولِ الله ﷺ وهو بقُباءَ، فدخلتُ عليه،

(١) (العُرَواءُ) الرعدة عند الحمى.

فقلت له: إنه بلغَني أنك رجلٌ صالحٌ، معك أصحابٌ لك غرباءُ ذَوو حاجةٍ، وهذا شيء عِندي للصدقةِ، فرأيتُكم أحقَّ به من غيرِكم، ثم قرَّبته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابِه: «**كلوا**»، وأمسكَ يده فلم يَأكل.

قال: فقلت في نَفسي: هذه واحدةٌ، ثم انصرَفتُ عنه، فجَمعتُ شيئًا، ثم تحوَّل رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، ثم جئتُه، فقلت له: إني رأيتُك لا تأكُلُ الصدقةَ، وهذه هديَّة أكرَمتُك بها.

قال: فأكلَ رسولُ الله ﷺ، وأمرَ أصحابَه فأكلوا معه.

قال: قلت في نفسي: هاتان ثِنتان.

قال: ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ، وهو ببَقيعِ الغَرقدِ، قد تَبِعَ جنازةَ رجلٍ من أصحابِه، عليه شَملتانِ له، وهو جالسٌ في أصحابِه فسلَّمت عليه، ثم استدبَرتُ إليه أنظُرُ إلى ظهِره، هل أرى الخاتمَ الذي وَصفَ لي صاحبي؟

فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبرتُه، عرَف أني أستثبِتُ في شيء وُصفَ لي، فألقى رداءَه عن ظهرِه، فنظرتُ إلى الخاتمِ فعرفتُه، فانكبَبت عليه أُقبِّله وأبكي.

فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**تحوَّل**»، فتحوَّلتُ فجلستُ بين يديه، فقَصصتُ عليه حَديثي كما حدثتُك يا ابنَ عباسٍ، فأعجبَ ذلك رسولَ الله ﷺ أن يَسمعَ ذلك أصحابُه، ثم قال لي رسولُ الله ﷺ: «**كاتِب يا سلمانُ**».

فكاتَبت صاحبي على ثلاث مئة نخلةٍ، أُحييها بالفَقير[1]، وبأربعينَ أُوقية.

---

(١) (الفَقِير): حفرة تحفر للفسيلة إذا حولت لتغرس فيها.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أعينوا أخاكُم**»، فأعانوني بالنخلِ، الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً[(١)]، والرجلُ بخمسَ عشَرةَ، والرجل بعشْرٍ، والرجل بقَدر ما عنده، حتى جمعوا ثلاث مئة وَدِيَّةً.

فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**اذهب يا سَلمانُ ففقِّرهُ، فإذا فرَغتَ أكونُ أنا أضعُها بيدي**».

قال: ففقَّرتُ لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرَغتُ جئتُه فأخبرتُه، فخرَج رسولُ الله ﷺ معي إليها، فجعَلنا نُقرِّب له الوَدِيَّ، ويضعُه رسول الله ﷺ بيدِه، حتى فرغنا، فوالذي نفسُ سلمانَ بيدِه، ما مات منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ، فأديت النخلَ، وبقي عليَّ المالَ.

فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بمثل بيضةِ الدجاجةِ من ذهبٍ، من بعضِ المَعادن، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما فعلَ الفارسيُّ المُكاتِب؟**» قال: فدُعيتُ له، فقال: «**خذْ هذه فأدِّها بها عليكَ يا سلمانُ**».

قال: قلت: فأين تقعُ هذه يا رسولَ الله مما عليَّ؟

قال: «**خذْها، فإن الله سَيؤدِّي بها عنك**».

فأخذتُها فوزنتُ لهم منها -والذي نفسُ سلمانَ بيدِه- أربعينَ أُوقيةً، فأوفَيتُهم حقَّهم، وعَتَقَ سلمانُ، فشهدتُ مع رسولِ الله ﷺ الخندقَ حرًّا، ثم لم يفُتني مشهدٌ[(٢)].

---

(١) (الوَدِيَّة): صغار النخل.
(٢) أخرجه أحمد ٣٩/ ١٤٠ (٢٣٧٣٧).

(٢٥) فصل في ذكر ما دار بينه ﷺ وبين المشركين لما أظهر الدعوة، وما جرى عليه أحواله إلى أن هاجر وما كان من صبره على بلوى الدعوة واحتمال الأذية وإيراد الآيات والبراهين عليها

٨٥- عن عبدِ الله [بن مسعود]، قال: بينما رسولُ الله ﷺ ساجدٌ وحوله ناس من قريشٍ، وثَمَّ سلا بعيرٍ، فقالوا: من يأخذُ سلا هذا الجزورِ -أو البعير- فيقذفُه على ظهر النبيِّ ﷺ، إذ جاء عقبةُ بن أبي مُعيط بسلا جزورٍ فقذفه على ظهر رسولِ الله ﷺ، فلم يرفع رأسَه، فجاءت فاطمةُ، فأخذَته عن ظهر رسول الله، ودعَت على من صنع ذلك.

قال عبدُ الله: فما رأيتُ رسول الله ﷺ دعا عليهم إلا يومئذٍ، فقال: «**اللهم عليك الملأَ من قريشٍ، اللهم عليك أبا جهلِ بن هشام، وعتبةَ بن ربيعة، وشيبةَ بن ربيعة، وعقبةَ بن أبي معيط، وأميةَ بن خلف**» أو أبي بن خلف -شك شعبةُ- قال عبدُ الله: فقد رأيتُهم قُتلوا ببدر، وأُلقوا في قَليب أو في بئر، غيرَ أن أُبيَّ بن خلف، أو أُمية بن خلف، كان رجلًا بادنًا، فتقطع قبل أن يبلغَ به البئرُ[١].

وأما المُستهزؤون وأسماؤُهم، وذِكر ما عُجل لهم من الخزي والهَوان:

٨٦- فعن قتادةَ، ومقسم، مولى ابن عباس ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر:٩٥] قال: هم الوليدُ بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعديُّ بن قيس، والأسودُ بن عبد يغوث، والأسودُ بن المطلب، مَروا رجلًا رجلًا على رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٤)، ومسلم (١٧٩٤).

ﷺ، ومعه جبريلُ عليهما السلام، فإذا مر به رجلٌ منهم، قال له جبريلُ: كيف تجدُ هذا؟ فيقولُ: بئس عبدُ الله، فيقول جبريلُ: كفيناكه.

فأما الوليدُ بنُ المغيرة فتردى، فيتعلق سهمٌ بردائه، فذهب يجلس فقُطع أكحلُه، فنزف فمات، وأما الأسودُ بن عبد يغوث، فأتى بغصنٍ فيه شوك، فضربَ به وجهه، وسالت حدقتاه على وجهِه، فكان يقول: دعا عليَّ محمد، ودعوتُ على محمد، فاستُجيب لي، واستجيب له دعا علي أن أعمى، فعميتُ ودعوت عليه أن يكون وحيدًا طريدًا في أهل يثربَ.

وأما العاص بن وائل فوَطئ على شوكة، فتساقط لحمُه من عظامه حتى هلكَ.

وأما الأسودُ بن المطلب، وعديٌّ بن قيس، أحدُهما قام في الليل وهو ظمآن ليشربَ من ماء جرَّة، فلم يزل يشربُه حتى انفتق بطنُه فمات، وأما الآخرُ فلدغته حيةٌّ فمات[(١)].

فأما قصةُ دخولِ بني هاشم شعبَ أبي طالب، لما تحالفَت قريشٌ على أن لا يُبايعوا بني هاشم، ولا يُناكحوهم، ولا يُخالطوهم، وما في ذلك من دلائِله ﷺ:

٨٧- فعن عروةَ بن الزبير، قال: لما أقبل عمرو بن العاص من الحبشةِ من عند النجاشي إلى مكةَ، قد أهلكَ الله صاحبَه، ومنعه حاجتَه، اشتدَّ المشركون على المسلمين كأشدِّ ما كانوا، حتى بلغَ المسلمين الجهدُ، واشتد عليهم البلاءُ، وعمد المشركون من قريشٍ، فأجمعوا مكرَهم وأمرَهم، على أن يقتلوا رسولَ الله ﷺ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣٥١-٣٥٢، والطبري في تفسيره ١٤/ ١٥٠.

علانيةً، فلما رأى ذلك أبو طالب، جمعَ بني عبدِ المطلب فأجمع لهم أمرهم على أن يُدخلوا رسولَ الله ﷺ شعبَهم، ويَمنعوه ممن أراد قتلَه، فاجتَمعوا كافرُهم ومسلمُهم، منهم من فعلَه حميةً، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا.

فلما عرَفت قريشُ أن القومَ قد اجتمَعوا ومنعوا الرسولَ، واجتمَعوا على ذلك كافرُهم ومسلمُهم، اجتمع المشركون من قريش، فأجمَعوا أمرَهم على أن لا يجالِسوهم، ولا يخالِطوهم، ولا يُبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتَهم، حتى يُسلِموا رسولَ الله للقتل، وكتبوا بمكرهم صحيفةً، وعهودًا، ومواثيقَ، ألا يقبلوا من بني هاشم أبدًا صلحًا، ولا تأخذُهم بهم رأفةٌ، ولا رحمة، ولا هوادةٌ، حتى يُسلِموا رسول الله ﷺ للقتل، فلبثَت بنو هاشمٍ في شعبهم ثلاثَ سنين، واشتد عليهم فيهن البلاءُ والجهد، وقطَعوا عليهم الأسواقَ، ولا يتركوا طعامًا يدنو من مكةَ ولا بيعا إلا بادَروا إليه ليقتلَهم الجوعُ، يريدون أن يتناوَلوا بذلك سفكَ دمِ رسول الله ﷺ.

وكان أبو طالب إذا أخذ الناسُ مضاجعَهم، أمرَ رسول الله ﷺ فأتى فراشَه، حتى يراه من أراد به مكرًا أو غائلةً، فإذا نوم الناسُ، أمر أحدَ بنيه، أو إخوته، أو بني عمه، فاضطجعَ على فراش رسول الله ﷺ، وأمرَ رسول الله أن يأتي بعضَ فرشهم فيرقدَ عليها، فلما كان رأسُ ثلاثِ سنين، تلاوم رجالٌ من بني عبد مناف، ورجال من بني قُصي، ورجالٌ ممن سواهم، وذكروا الذي وَقعوا فيه من القطيعة، فأجمعوا أمرَهم من ليلتِهم على نقضِ ما تعاهَدوا عليه، والبراءةِ منه، وبعثَ الله على صحيفتِهم -التي فيها المكرُ برسول الله ﷺ- الأرضَةَ، فلحِست كلَّ شيء فيها، وكانت معلقةً في سقف الكعبةِ، وكان فيها عهدُ الله وميثاقُه، فلم تترك فيها

شيئًا إلا لِحسته، وبَقِي فيها ما كان من شركٍ أو ظلم أو بغي، فأطلَع الله رسولَه عليه السلام على الذي صنع بالصحيفةِ.

فقال أبو طالب: لا والثواقب، ما كَذَبني، فانطلق يَمشي بعصابةٍ من بني عبد المطلب حتى أتى المسجدَ، وهو حافلٌ من قريشٍ، فلما رأوهم أتو بجماعةٍ أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خَرجوا من شدة البلاءِ، وأتوهم ليعطوهم رسولَ الله ﷺ.

فتكلم أبو طالب، فقال: قد حدثَت أمورٌ بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتِكم التي فيها مواثيقُكم، فلعله أن يكونَ بيننا وبينكم صلحٌ، وإنما قال ذلك؛ خشيةَ أن ينظروا في الصحيفةِ، قبل أن يأتوا بها، وبادروا العينَ أن يأتيَهم بحديث رسولِ الله ﷺ الذي أخبرَه الله به، فأتوه بصحيفتِهم معجبين، لا يشكون أن الرسولَ مدفوعٌ إليهم، فوضعوها بينهم، وقالوا: قد آن لكم أن تقبَلوا، وترجِعوا إلى أمر يجمعُ عامتكم، ويجمعُ قومَكم، لا يقطعُ ذلك بيننا وبينكم إلا رجلٌ واحد، جعلتُموه خطرًا لعشيرتِكم وفسادكم.

فقال أبو طالب: إنما أتيتُكم لنعطيَكم أمرًا فيه نَصَفٌ بيني وبينكم، هذه الصحيفةُ، التي في أيديكم، إن ابن أخي أخبرني ولم يَكذِبني، أن الله بعث عليها دابةً، فلم تترك فيها اسمًا لله إلا لحِسته، وترك فيها غدرَكم وتظاهرَكم علينا بالظلمِ، فإن كان الحديثُ كما يقول: فأفيقوا، فوالله لا نُسلِمه حتى نموتَ من عند آخرنا، وإن كان الذي يقولُ باطلًا، دفعنا إليكم صاحبنا، فقتلتُم، أو استحييتُم.

فقالوا: قد رَضينا بالذي تقول، ففُتِحت الصحيفةُ، فوجدوا الصادقَ المصدق قد أخبر خبرَها قبل أن تُفتحَ، فلما رأتها قريشٌ كالذي قال أبو طالب،

قالوا: والله، ما كان هذا إلا سحرٌ من صاحبكم، وارتَكسوا أو عادوا لأشرِّ ما كانوا عليه من كفرهم، والشدةِ على رسول الله وأصحابِه ورهطِه، والقيامِ على ما تعاهدوا عليه.

فقال أولئك النفرُ من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرَنا، فكيف ترون فإنا نعلمُ أن الذي جمعتُم عليه من قطيعتنا، أقربُ للخبث والسحرِ، ولولا الذي اجتمعتُم عليه من السحر، لم تفسد الصحيفةُ وهي في أيديكم، فما كان لله من اسم هو فيها طمسه، وما كان من بغيٍ تركه في صحيفتِكم، أفنحن السحرةُ، أم أنتم؟

فندم المشركون من قريشٍ عند ذلك، وقال رجالٌ: منهم أبو البختري وهو العاصُ بن هاشم بن الحارث بن أسدِ بن عبد العزى بن قصي، ومنهم: المطعمُ بن عدي، وهاشمُ بن عمرو، أخو بني عامر بن لؤي، وكانت الصحيفةُ عنده، وزهيرُ بن أبي أمية، وزمعةُ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، في رجال من قريش ولدَتهم نساءُ بني هاشم، كانوا قد نَدموا على الذي صنعوا.

فقالوا: نحن براء من هذه الصحيفةِ، فقال: أبو جهل: هذا أمر قُضي بليلٍ[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما امتُحن به رسولُ الله ﷺ من الحصر في الشعب ثلاث سنين، هو كسائر محنِ الأنبياء عليهم السلام، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا... ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف:١١٠]، وقال: ﴿أَمۡ

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٥٦-١٦٧)، وابن منده في المستخرج من كتب الناس ١/ ٦٨-٧١، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣١١-٣١٤.

حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ....﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤].

وما ذُكر في شأن الصحيفة في رواية عروةَ والزهري، أن الأرَضةَ لحِسَت ما كان فيها من ذِكر الله، وبقي فيها ما كان فيها إلا (باسمك اللهم) فقد يَحتمل الأمرين جميعًا، وفي كل واحد منهما أعجوبةٌ وبرهانٌ، ولله الحمد.

(٢٦) وأما انشقاقُ القمرِ فكان بمكةَ، لما اقترحَ المُشركون أن يُريهم النبيُّ ﷺ آيةً

٨٨- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ، قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ شِقَّتين، فقال النبي ﷺ: «**اشهدوا، اشهدوا**»[(١)].

٨٩- عن عبدِ الله [بن مسعود]، قال: انشقَّ القمرُ فِئتين ونحن بمكةَ، فقال كفَّارُ قريشٍ: هذا سحرٌ سحرَكم ابن أبي كَبشةَ، انظروا إلى السُّفَّار، فإن كانوا قد رأوا ما رأيتُم، وإلا فإنه سحرٌ سحرَكم، وقدموا من غيرِ وَجهٍ، فسُئلوا، فقالوا: قد رَأَينا ما رأيتُم[(٢)].

٩٠- عن أنسٍ، أن أهل مكة سألوا النبيَّ ﷺ عن آيةٍ، فأراهم انشقاقَ القمرِ مرتين[(٣)].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذا نصُّ القرآن قد وردَ بانشقاقِ القمر ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ﴾ [القمر:٢]، فظاهر الآيةِ دال على حصولِ الانشقاقِ، واتفق خمسةٌ من أعلامِ الصحابة وكبارِهم في روايتِهم على انشقاقِه، ولا مَدفَعَ بعد ظاهِرِ الآيةِ، واتفاقِ الروايات لكونه وحصولِه، فيُقال لمن أنكرَ وقوعَ انشقاقه، مِن مُتكلمي أهلِ القبلة، الذين يتأولون قولَه: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١] يعني: اقتربَ انشقاقُه، وأن ذلك كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] أي: سيأتي، كذلك قولُه:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) أخرجه الطيالسي ١/ ٢٣٦ (٢٩٣)، والطبري في «التفسير» ٢٢/ ١٠٦، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٢٦٦.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٠٢) واللفظ له، والبخاري (٣٨٦٨) نحوه.

(انشق) سيَقرب انشقاقُه: كفى ما حصلَ من روايةِ الجماهيرِ من الصحابة بانشقاقِه، ثم ما رواه عن كلِّ واحدٍ منهم من العددِ الكثيرِ، وليس يلزمُ إذا سأل بعضُ المكذبين آية، أن تَستفيضَ حتى يُحيطَ برؤية تلك الآية جميعُ الناسِ، ويشتركُ في مُعاينتها الخاصُّ والعامُّ، مع أنه غيرُ منكَرٍ رؤيةُ القمر في بلدٍ دون بلد، كما يكون السحابُ المطبقُ، والمطر الوابلُ، في بلدٍ دون بلدٍ، في يوم واحدٍ، وساعة واحدةٍ، لا سيما إذا كان حصولُ هذه الآية في بلدٍ عامةٌّ أهلِها المشركون الكفار، الذين يَرون هذه الآية سحرًا، ويَجتهدون في إطفاءِ نورِ الله، وصدقَ من جاء بهذه الآيةِ، وأما المنجمونَ، فمن كان منهم في خطةِ الإسلام ويتدين بأن الله قادرٌ على إيجادِ سائر المقدورات، فليس في انشقاقِ القمرِ من الأُعجوبةِ ما في شجرةٍ تُدعى فتُقبل بعروقها وأصولها، وتُؤمرُ بالرجوعِ إلى موضِعها فترجعُ، فمن يرى تَسليمَ هذا في مقدورِ الله، ويُصدِّق به، فالقمرُ مثله في الانشقاقِ.

ومن كان من المنجمينَ ممن لا يتدينُ بالإسلامِ والتوحيدِ، فإنه يَثبتُ عليه وجودُ الصانعِ القادرِ المريدِ العالمِ الحكيمِ، ثم يرتِّب عليه أمرَ النبوة، والآياتُ والمعجزاتُ وانشقاقُ القمر مجانسٌ لاحتباسِ الشمسِ عن جَرَيانها على يوشعَ بنِ نون عليه السلام، وأثبته قومٌ، وأبطله آخرون، والحجةُ في الإثباتِ إذا ساعده الدليلُ، وباينه الاستحالة لا في النفي، والله أعلم.

(٢٧) ذِكرُ الإسراءِ

٩١- عن جابرٍ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لما كذَّبتني قريشٌ قُمتُ في الحِجرِ، فجلَّى الله لي بَيتَ المقدِسِ، فطفِقتُ أُخبرُهم عن آياتِه، وأنا أنظرُ إليه**»[١].

٩٢- عن أبي هريرةَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لقد رأيتُني في الحِجرِ، وأنا أُخبر قريشًا عن مَسيري ومَسراي، فسألوني عن أشياءَ من بيتِ المقدسِ لم أُثبِتها، فكرِبتُ كربًا ما كرِبت مثلَه قطُّ، فرفَعَهُ الله لي، أنظرُ إليه، فما سألوني عن شيءٍ إلا أنبأتُهم به**»[٢].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحقيقةُ الإسراءِ أوضحُ وأبين من أن يُستقصى فيه بآحادِ الأخبار لورود القرآنِ بذكر المسرى، وظاهرُ القرآن يدلُّ على أنه أسري ببدنِه يقظانًا، إذ لو كان ذلك نائمًا -على ما ذكَرَته الزائغةُ- لما اعترضَ فيه المشركون وطعنوا عليه ونسبوهُ فيه إلى الاستحالةِ، فإنه غير مُستنكَرٍ في الرؤيا -رؤيا المنامِ- قطعُ تلك المسافة بين المسجدين: الحرامِ والأقصى في حكم ساعة الليلِ.

وأما العروجُ به في السماوات فسائغٌ غير ممتنعٍ عند المتدينين المسَلِّمين لله تعالى الاقتدار على طيِّ الأرض لأنبيائِه وأوليائه والصعودِ بهم إلى سماواته على أيدي ملائكته.

فأما مُشاهدته ﷺ الأنبياءَ واجتماعُه معهم مصليًا بهم فمُخَرَّج على أن الله أحياهم كما يُحيي الخلائقَ جميعَهم للنشر، فغير مستنكَر أن الله أحياهم للاجتماعِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢).

معه، ثم قبضهم إلى رحمته إلى حين البعثِ للمعادِ مع سائر الموت، وكل ما في قصة المسرى والمعراج من الأعاجيبِ والآيات فهي دلائلُ للنبيِّ ﷺ خاصة في نفسه، ليكون عليه السلام على بصيرةٍ مما يدعو إليه، ومن زوالِ الشكِّ فيمن يأتيه في أنه مَلَك ليس بشيطان.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ٱلنَّاقَةَ ..﴾ [الإسراء:٦٠] فليس ببين أن الإشارةَ به واقعة إلى ما رآه في ليلة الإسراءِ، وقد يجوزُ أن يكون ذلك في أشياء أُرِيَها في نومِه، وقد يُسمى ما يُشاهَد بالليلِ رؤيا وما يُشاهد في غيره رؤية، ويكون الوجهان جميعًا في اليقظةِ دون النومِ، وقد يقال في اللقاءِ: لقيا فلا يُنكر أن يقالَ للرؤية: رؤيا. والله أعلم.

(٢٨) ما رويَ في عَرضِ النبيِّ ﷺ نفسَه على قبائلِ العربِ

٩٣- عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنها قالت للنبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومِ أُحد؟

قال: «لقد لَقيتُ من قومِك، وكان أشدُّ ما لَقيتُ منهم يومَ العقبةِ؛ إذ عَرضتُ نفسي على ابن عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فلم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مَهمومٌ على وجهي، فلم أشعُرْ إلا وأنا بقرنِ الثعالِبِ، فرفعت رأسي فإذا أنا بِسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جِبريلُ عليه السلام، فناداني، فقال: إن الله قد سمِعَ قول قومِك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملَك الجبالِ، فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمدُ، قد سمعَ الله قولَ قومِك، وأنا مَلَك الجبالِ، قد بعثَني ربُّك إليك لتأمُرني بأمرِك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأَخشَبَيْنِ [(١)]»، فقال النبيُّ ﷺ: «أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابِهم من يَعبد الله وحده، ولا يُشرك به شيئًا» [(٢)].

---

(١) (الأخشَبَيْن): جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢٩) فصل في مخرجِه من مكةَ إلى المدينة مُهاجرًا وما ظهرَ من الآياتِ في طريقِه

٩٤- عن قيس بن النعمان السَّكوني قال: لما انطلقَ النبيُّ ﷺ وأبو بكر، يَستخفيان بالغارِ، مرَّا بعبدٍ يرعى غنمًا، فاستسقياه من اللَّبن، فقال: والله ما لي شاةٌ تحلبُ غيرَها، هذا عَناقٌ، حملت أولَ الشتاءِ فما بها لبنٌ، وقد اهتُجِنَتْ[(١)].

فقال رسولُ الله ﷺ: «**ائتنا بها**»، فأتاهُ بها، فمسحَ ضَرعَها، ودعا بالبَركة عليها، ثم حلب عُسًّا[(٢)]، فسقى أبا بكر، ثم حلبَ آخر، فسقى الراعي، ثم حلب فشرِب.

فقال له: تالله ما رَأيتُ مثلَك، مَن أنت؟

قال: «**إن أخبرتُك تكتم عليَّ؟**»

قال: نعم.

قال: «**أنا محمد رسولُ الله**».

قال: أنت الذي تزعُم قريشٌ أنك صابئٌ.

قال: «**إنهم يقولون ذلك**».

قال: فإني أشهدُ أنك رسولُ الله، وأنه لا يَقدرُ على ما فعلت إلا رسولٌ. ثم قال له: أتَّبعك؟

---

(١) (اهتُجِنَت): تبين حملها.

(٢) العُسُّ: القَدَح الكبير الضخم.

فقال له النبي ﷺ: «**أمَّا اليومَ فلا، ولكن إذا سمِعتَ أنا قد ظهَرنا، فأْتنا**»، فأتى النبي ﷺ بعدَما ظهرَ بالمدينة[(١)].

٩٥- عن أنسِ بن مالكٍ قال: أقبلَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة مُردفًا أبا بكر -شيخٌ يُعرف- ونبيُّ الله شابٌّ لا يُعرف، فيلقى الرجلُ أبا بكرٍ فيقولُ: من هذا الذي بين يَديك؟

فيقولُ: يَهديني السبيلَ، فيَحسبُ الحاسِب أنه يَهديه الطريقَ، وإنما يعني: سبيلَ الخيرِ، فالتفتَ أبو بكر فإذا فارسٌ قد لِحقهم فقال: يا رسولَ الله، هذا فارسٌ قد لحقنا، فالتفتَ نبيُّ الله ﷺ فقال: «**اللهم اصرَعْه**»، فصرعَته فرسُه، وقامت فحَمْحَمت.

قال: ثم قال: يا نبي الله، مُرني بم شئتَ.

قال فقال: «**قِف مكانَك، لا تترُكَنَّ أحدًا يلحقُ بنا**».

قال: فكان أولَ النهارِ جاهدًا على رسولِ الله ﷺ، وكان آخرَ النهار مَسلحةً له.

قال: فنزلَ نبيُّ الله ﷺ جانبَ الحَرَّةِ[(٢)]، وبعثَ إلى الأنصارِ، فجاؤوا نبيَّ الله، فسلَّموا عليهما، وقالوا: اركبا آمنَين مُطاعَين.

قال: فركِب نبي الله ﷺ وأبو بكر، وحفوا حولَهما بالسلاحِ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٨/ ٣٤٣ (٨٧٤)، والحاكم ٣/ ٩، (٤٢٧٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٤٩٧.

(٢) (الحَرَّة): أرض حجارتها سود.

قال: فقِيل في المَدينة: جاء نبي الله. فاستشرفوا يَنظرون ويقولون: جاء نبيُّ الله، جاء نبي الله عليه السلام.

قال: فأقبلَ يسيرُ حتى نزلَ إلى جنب دارِ أبي أيوب. قال: فإنه ليحدث أهلَه، إذ سمع به عبدُ الله بنُ سلام، وهو في نخلٍ له يَختَرِف[1] لهم منه، فعجِل أن يضعَ التي يختَرفُ فيها، فجاء وهي معه، فسمعَ من نبيِّ الله ثم رجعَ إلى أهلِه.

فقال نبي الله: «**أيُّ بيوتِ أهلِنا أقرب؟**»

قال فقال: أبو أيوب: أنا يا نبيَّ الله، هذه داري، وهذا بابي.

قال فقال: «**انطلِق فهيئ لنا مَقيلًا**».

قال: فذهب فهيَّأ لهما مقيلًا، ثم جاء فقال: يا نبيَّ الله، قد هيأتُ لكما مقيلًا، قُوما على بركةِ الله فقِيلا.

قال: فلما خلا نبيُّ الله، جاء عبدُ الله بن سلَام فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله حقًّا، وأنك جِئت بحقٍّ، ولقد علِمتِ اليهودُ أني سيدُهم، وابن سيِّدهم، وأعلمُهم، وابن أعلمهم، فادعُهم، فسلهم عني، قبلَ أن يعلموا أني قد أسلمتُ، فإنهم إن يَعلموا أني قد أسلمت؛ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ.

فأرسل نبيُّ الله ﷺ إليهم، فدخلوا عليه، فقال لهم نبي الله ﷺ: «**يا مَعشرَ اليهودِ، ويلكم اتَّقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتَعلمونَ أني رسولُ الله، وأني جئتُكُم بحقٍّ، أسلموا**».

قالوا: ما نعلمُه.

---

(١) (يَخْتَرِف) أي: يجتني من الثمار.

قال: «**فأيُّ رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟**»

قالوا: ذاك سيدُنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابنُ أعلمنا.

قال: «**أفرأيتُم إن أسلم**».

قالوا: حاشَ لله ما كان ليُسلم.

قال: «**يا ابنَ سلامٍ اخرُج إليهم**».

فخرج إليهم، فقال: يا معشرَ اليهودِ، ويلَكم اتَّقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لَتعلمون أنه رسولُ الله حقًّا، وأنه قد جاء بحقٍّ.

فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسولُ الله ﷺ[(١)].

٩٦- عن سُراقةَ بن مالكٍ قال: لما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ من مكةَ إلى المدينة مُهاجرًا، جعلت قريشٌ لمن ردَّه عليهم مئةً من الإبل.

قال: فبينا أنا جالسٌ، إذ جاء رجلٌ منَّا، فقال: والله لقد رأيتُ ركْبًا ثلاثةً مروا عليَّ آنفًا، إني لأُراه محمدًا وأصحابه.

قال: فأومأتُ إليه بعيني أن اسكُت.

ثم قلت: إنما هم بنو فلانٍ، يَبغونَ ضالَّةً لهم. قال: لعلَّه. قال: فسكت. قال: فمكثتُ قليلًا، ثم قمتُ، فدخَلت بيتي، فأمرت بفَرسي، فقُيِّد إلى بطنِ الوادي، وأمرتُ بسلاحي، فأُخرجت من دُبر حجرتي، ثم أخذت قِداحي[(٢)] التي أستقسِم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١).

(٢) وكانوا إذا أراد أحدهم سفرًا أو تزويجًا، أو نحو ذلك من المهام، ضربَ بالأزلام وهي القداح وهي السهام التي لا ريش لها ولا نصل، وكان مكتوب على بعضها: أمرني ربي، وعلى الآخر: نهاني ربي، وعلى الآخر: غفل. أو نحو هذه الكلمات.

بها، ثم انطلقتُ فلبِست لَأْمَتي، ثم أخرجتُ قداحي، فاستقسمت بها، فخرجَ السهم الذي أكره: لا يضرُّه.

قال: وكنت أرجو أن أردَّه على قريشٍ فآخُذَ المئة الناقة.

قال: فركبتُ على أثَره، فبينا فرسي يشتدُّ بي عثرَ بي، فسقطتُ عنه. قال: قلت: ما هذا؟

ثم أخرجتُ قداحي، فاستقسمتُ بها، فخرجَ السهمُ الذي أكره: لا يضرُّه.

قال: فأبيت إلا أن أتَّبعه فركبت في أثرِه، فبينا فرسي يشتدُّ بي عثر بي، فسقطتُ عنه. قال: فقلت: ما هذا؟

قال: ثم أخرجتُ قِداحي فاستقسَمت بها، فخرجَ السهمُ الذي أكرهُ: لا يضرُّهُ.

قال: فأبيتُ إلا أن أتَّبعه، فركبت في أثَره قال: فلما بدا لي القومُ فرأيتهم، عَثر بي فرسي، فذهبتْ يداه في الأرض، وسقطتُ عنه، قال: ثم انتزعَ يديه من الأرضِ، وتبِعَهما دُخانٌ كإعصارٍ.

قال: فعرَفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنعَ مني، وأنه ظاهرٌ. قال فناديت القومَ: أنا سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جعشم، انظروني أُكَلِّمْكم، فوالله لا أريبُكم، ولا يأتيكم منِّي شيءٌ تكرهونه.

قال فقال: رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**قلْ له ما تَبتَغي منا؟**»

قال: فقال لي ذلك أبو بكر. قال: قلت: تكتُب لي كتابًا يكون لي آيةً بيني وبينك.

قال: «**اكتُب له يا أبا بكر**».

قال: فكتب لي كتابًا في عَظمٍ، أو في رُقعةٍ، أو في خِرقةٍ، ثم ألقاه إلي فأخذتُه فجعلتُه في كِنانتي، ثم رجَعتُ، فسكتُّ فلم أذكر شيئًا مما كان، حتى إذا فَتَحَ الله على رسولِه مكةَ، وفرغ من حُنينٍ، والطائفِ، خرجتُ ومعي الكتاب؛ لألقاه فلقيته بالجعرانة.

قال: فدخلت في كَتيبة من خيلِ الأنصارِ، فجعلوا يَقرعونني بالرماحِ، ويقولون: إليك إليك، ماذا تُريد؟ حتى دنوت من رسولِ الله ﷺ، وهو على ناقتِه، والله لكأني أنظرُ إلى ساقِه في غَرزِه كأنها جُمَّارة.

قال: فرفعتُ يدي بالكتاب، ثم قلت: يا رسولَ الله، هذا كتابُك لي، أنا سُراقةُ بن جعشم.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**يوم وفاء وبر، ادنه**».

قال: فدنوتُ منه، فأسلمتُ، ثم ذكرت شيئًا أسألُ عنه رسولَ الله ﷺ فما أذكرُه، إلا أني قد قلتُ: يا رسولَ الله، الضالة من الإبلِ تَغشى حِياضي، وقد ملأتُها لإبلي، هل لي من أجرٍ أن أسقيها؟

قال: «**نعم، في كل ذات كبدٍ حَرَّى أجر**».

قال سراقةُ: ثم رجَعت إلى قومي، فسُقتُ إلى رسول الله ﷺ صدَقتي[١].

٩٧- عن حزامِ بن هشام، عن أبيه هشام، عن جدِه حبيش بن خالد - صاحبِ رسول الله ﷺ- أن رسولَ الله ﷺ حين أُخرج من مكةَ، خرج منها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

مهاجرًا، وأبو بكر، ومولى أبي بكر، عامرُ بن فهيرة، ودليلُهما الليثي عبد الله بن أُريقد، فمروا على خيمَتي أم مَعبَد الخُزاعية، وكانت برزةً جَلْدةً، تحتبي بفناء القبةِ، ثم تَسقي وتُطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا؛ ليشترَوه منها، فلم يُصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القومُ مُرمِلين مُسنتين، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى شاةٍ في كسر الخيمة، فقال: «**ما هذه الشاةُ يا أمَّ مَعبَد؟**» قالت: شاةٌ خلفها الجهدُ عن الغنم. قال: «**هل بها من لبنٍ؟**» قالت: هي أجهدُ من ذلك. قال: «**أفتأذنين لي أن أحلُبها؟**» قالت: بأبي أنت وأمي، نعم، إن رأيتَ بها حلبًا فاحلُبها، فدعا بها رسولُ الله ﷺ، فمسح ضرعَها بيده، وسمى الله، ودعا لها في شاتِها، فتفاجَّت عليه، ودرَّت، واجترت، فدعا بإناء يربضُ الرهطَ، فحلبَ فيها ثجًّا، حتى علاه البهاءُ، ثم سقاها حتى رَويت، وسقى أصحابَه، حتى رووا، ثم شرب آخرَهم ﷺ، ثم أراضوا، ثم حلبَ فيه ثانيًا بعد بدءٍ حتى ملأ الإناءَ، ثم غادرَه عندها، وبايعَها، ثم ارتحَلوا عنها، فقل ما لبثت أن جاء زوجُها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، تساوَكن هزلًا ضبحًا، مُخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبنَ عجب، وقال: من أين لك هذا اللبنُ؟ والشاءُ عازب حائل، ولا حلوبةَ في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنَّه مر بنا مباركٌ من حاله كذا وكذا(١).

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ألحَقنا بهذا الفصل ذِكر كتابه ﷺ إلى الملوكِ: كسرى، وقيصر؛ لما فيه من الدلالةِ، وكذلك ذَكرنا من مُراهنة الصديقِ مُشركي أهلِ مكةَ في غلبة الرومِ في بضعِ سنين، أفردناها من أخبار مكةَ؛ لوقوعِ تحقيق غلبةِ الروم فارسَ بالمدينة، وأتبَعناه بأخبارٍ أُخر حصل كونها ووقوعُها بالمدينة، منها: قصةُ

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٤٨٥)، والطبري في تاريخه ١١/ ٥٧٧.

السيد والعاقب، لما دُعيا إلى المباهلةِ، وامتناع اليهودِ بالمدينة من تمني الموت؛ ليتبين كذب المفتري، مع مسائل سُئل عنها رسولُ الله ﷺ بالمدينة، سأله عنها أحبارُ اليهود، امتحانًا له عليه السلام ووقوفًا على صحة نبوتِه، وأخبار في الجنِّ، وإسلام من أسلمَ منهم، ووَفَدَ إليه، وتعرضَ له عليه السلام، وللمسلمين ممن لم يُسلم منهم، وفي أخبار الجنِّ منها ما كان بمكةَ، ومنها ما كان بالمدينةِ، رأينا جمعَه في الحوادث والكوائنِ الواقعة بالمدينة، فإذا انقَضت هذه الأخبارُ الملحَقةُ بهذا الفصل نعود إلى ترتيب الفصولِ، ويليه الفصل الثاني والعشرون في ذكر كلام البهائمِ والسباعِ، وسجودها وشكواها، حسب ما اشترَطنا في صدرِ الكتاب.

٩٨- عن عبدِ الله بن عباسٍ أن رسولَ الله ﷺ كتبَ إلى قيصرَ يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابِه مع دِحية الكلبي، وأمرَه رسول الله ﷺ: أن يدفَعه إلى عظيم بُصرى؛ ليدفعه إلى قيصرَ، فدفعه دِحية إلى عظيم بُصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر، وكان قيصرُ لما كشف الله عنه جُنودَ فارسَ، مشى من حِمص إلى إيلياء، شكرًا لما أبلاهُ الله، فلما جاء قيصرَ بكتاب رسولِ الله ﷺ قال حين قرأه: التمِسوا لي هاهنا أحدًا من قومِه؛ لنسألَهم عن رسولِ الله ﷺ.

قال عبدُ الله بنُ عباسٍ: فأخبرني أبو سفيانَ، أنه كان جالسًا في رجالٍ من قُريش، قدموا تُجارًا في المدةِ التي بين رسولِ الله ﷺ، وبين كُفار قريشٍ.

قال أبو سفيانَ: فوَجَدَنا رسولُ قيصر ببعض الشامِ فانطلقَ بي وبأصحابي حتى قدِمنا إيلياءَ فأُدخِلنا عليه، فإذا هو جالسٌ في مجلسِ مُلكه، وعليه التاجُ، وإذا حوله عُظماءُ الرومِ.

فقال لتُرجمانِه: سلهُم أيهم أقربُ نسبًا إلى هذا الرجلِ الذي تَزعمون أنه نبيٌّ؟

قال أبو سفيانَ فقلت: أنا أقربُهم إليه نسبًا.

قال: ما قَرابةُ ما بينك وبينه؟

قلت: ابن عمِّي.

قال: وليس في الركبِ يومئذٍ أحدٌ من بني عبد مَناف غيري.

قال قيصر: أَدنوه مني، ثم أمرَ أصحابي فجُعلوا خلفَ ظهري عند كتِفي، ثم قال لتُجرمانه: قل لأصحابه إني سائلٌ هذا الرجلَ عن الرجلِ الذي يَزعم أنه نبيٌّ، فإن كذب فكذِّبوه.

فقال أبو سفيانَ: والله لولا الحياءُ يومئذٍ من أن يَأثِرَ أصحابي عني الكذِب، كذبته حين سألَني، ولكن استَحييتُ أن يأثِروا الكذبَ عني، فصدقتُه عنه.

ثم قال لتُرجمانه: كيف نَسبُ هذا الرجلِ فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسَبٍ.

قال: فهل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبلَه؟

قال: قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتَّهمونه على الكذِب، قبلَ أن يقولَ ما قال؟

قلتُ: لا.

قال: فهل كان من آبائِه مِن مَلِكٍ؟

قلت: لا.

قال: فأشرافُ الناسِ يتَّبعونه أم ضُعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: فيَزيدون أو ينقُصون؟

قلت: بل يَزيدون.

قال: فهل يرتَدُّ أحدٌ سَخطةً لدينه بعدَ أن يدخُلَ فيه؟

قلت: لا.

قال: فهل يَغدِر؟

قلت: لا، ونحن الآنَ منه في مدةٍ، نحن نخافُ أن يَغدر.

قال أبو سفيان: ولم يُمكِنِّي كلمة أُدخلُ فيها شيئًا أنتقصه به إلا أخاف أن تُؤثر عني غيرها.

قال: فهل قاتلْتموه وقاتلكم؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كانت حربُكم وحربُه؟

قال: قلت: كانت دُولًا وسِجالًا يُدال علينا ويُدال عليه الأُخرى.

قال: فما يأمُرُكم به؟

قلت: يأمُرُنا أن نعبُد الله وحدهُ لا نشركَ به شيئًا، وينهانا عما كان يعبدُ آباؤنا، ويأمرُنا بالصلاةِ والصدقِ والكَفافِ والعفافِ والوفاءِ بالعهدِ وأداءِ الأمانة.

قال لتُرجمانِه -حين قلت ذلك له-: قل له: إني سألتُك عن نسَبِه فيكم فزعمتَ أنه ذو نسبٍ، وكذلك الرسل تُبعث في نسَب قومها.

وسألتُك: هل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبله؟ فزعمت أن لا. فقلتُ لو كان أحدٌ منكم قال هذا القولَ قبله، قلت: رجلٌ يأتمُّ بقولٍ قيلَ قبله.

وسألتُك: هل كنتم تتهمونَه بالكذبِ قبل أن يقولَ ما قال؟ فزعمت أن لا. فعرفتُ أنه لم يكن لِيدع الكذبَ على الناسِ، ويكذبَ على الله.

وسألتك: هل كان من آبائِه من مَلِكٍ؟ فزعمتَ أن لا. فقلتُ: لو كان من آبائه مَلِك؛ قلت: يطلبُ مُلكَ آبائه.

وسألتك: أشرافُ الناسِ يتَّبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفاءَهم اتبعوهُ، وهم أتباعُ الرسلِ.

وسألتك: هل يَزيدون أو يَنقصون؟ فزعمتَ أنهم يزيدون، وكذلك الإيمانُ حتى يتم.

وسألتك: هل يرتدُّ أحدٌ سَخطةً لدينه بعد أن يدخلَ فيه؟ فزعمت أن لا. وكذلك الإيمان حين يُخالطُ بشاشةَ القلوبِ لا يسخطه أحدٌ.

وسألتك: هل يَغدرُ؟ فزعمت أن لا. وكذلك الرسلُ لا يَغدرون.

وسألتك: قاتلتموهُ وقاتَلَكُم فزعمتَ أن قد فعلَ وأن حَربَكم وحربهُ تكون دولًا يُدال عليكم المرةَ وتُدالون عليه الأُخرى. وكذلك الرسلُ تبتلى وتكون لها العاقبةُ.

وسألتك: بماذا يأمُرُكم فزعمتَ أنه يأمُركم أن تَعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا وينهاكُم عما كان يعبد آباؤكُم ويأمُركم بالصلاةِ والصدقِ والعفافِ والوفاءِ بالعهدِ وأداءِ الأمانةِ، وهذه صفةُ نبيٍّ قد كنتُ أعلم أنه خارجٌ، ولكن لم أظن أنه منكُم وإن يكنْ ما قلتَ حقٌّ؛ فيوشِك أن يملِك موضعَ قدمَيَّ هاتين.

ولو أرجو أن أخلُص إليه لتجشَّمت حتى ألقاهُ، ولو كنت عنده لغسلتُ قدَميه.

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتابِ رسولِ الله ﷺ فأمر به فقُرئَ فإذا فيه: «**بسمِ الله الرحمن الرحيمِ، من محمدٍ عبدِ الله ورسولِه، إلى هرقلَ عظيمِ الرومِ، سلامٌ على من اتَّبع الهُدى.**

أما بعد: فإني أدعوك بداعيةِ الإسلامِ، أسلِم تَسلَم، وأسلم يُؤتِك الله أجرك مرتين وإن تولَّيت فعليك إثمُ الأريسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]».

قال أبو سفيانَ: فلما أن قضى مَقالتَهُ عَلَت أصواتُ الرومِ الذين حولَه من عظماءِ الرومِ، وكثُر لغَطُهم، فلا أدري ما قالوا أولا. وأمر بنا فأُخرِجنا، فلما أن خَرَجنا من عندِه مع أصحابي وخلوتُ بهم، قلت لهم: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنُ أبي كَبشةَ، هذا مَلك بني الأصفرِ يخافُه.

قال أبو سفيان: والله ما زلتُ ذليلًا مُستيقنًا أن أمره سيظهرُ، حتى أدخلَ الله قلبي الإسلام، وأنا كاره[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذه الأخبارُ دلت على تقدمِ معرفة المشركين بصدق رسولِ الله ﷺ، وأمانتِه فيما يُخبِرُ به ويحدثه، واستدل قيصرُ والأساقفةِ على صدقِهِ وصحةِ نبوته بذلك، إذ لا يَدعُ الكذبَ على المخلوقين ويكذبُ على الخالقِ.

وفي سؤال قيصرَ عن أحوالِ النبي ﷺ، وصفاته، ودعوته، الدلالةُ أن ملاكَ ما يُعرف به صدقُ النبي ﷺ في ادعائه النبوةَ صحةُ الدعوى والأخلاقُ العادلة المستقيمةُ، وأن مَن عدم منه هذان الأمران: صحةُ الدعوى، والأخلاقُ المعتدلة، كان كاذبًا، وفيما يُظهرُ من الأعاجيب والبدائعِ ممخرقًا، وإذا تعرف وتحقق من أولى العلومِ والبصائر بالطباعِ، فوجد منه الخصلتان اللتان ذكرناهما على طول المدةِ، وسرمدِ الأيام، ولا يُذكر عنه تلوُّن، وتَنكُّر على مر الأيام، وقديمها، قَوِيَ المنطقُ بصدقه؛ لجوازِ ما يظهر من المتكلفِ والمتصنعِ من التلوين، والتكرارِ في ماضي أيامه، ومدتِه مع ما يظهره الله تعالى عليه من الآيات والبدائعِ المعجزةِ، ولما كانت البشارةُ لمحمد عليه السلام من عيسى عليه السلام متقررةً عند قيصرَ ونظرائِه، لم يقصدوا تعرفَ غيرِ ما ذكرنا من خصالِه من صحةِ الدعوى واعتدالِ الأخلاقِ مع قرائنها من صفاته التي تَعرَّفها من أبي سفيانَ وأصحابِه.

٩٩- عن أبي بكرةَ قال: لما بُعث رسولُ الله ﷺ، كتب [كسرى] إلى عامله على أرض اليمنِ، ومن يليه من العربِ، وكان يقالُ له: باذان، فقال: بلغني أنه خرج قبلَك رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ، فقل له: فليكفَّ عن ذلك، أو لأبعثنَّ إليه من

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

يقتلُه، ويقتل قومَه. قال: فوجَّه باذانُ إلى النبيِّ ﷺ، فقال له هذا. فقال رسولُ الله: لو كان هذا شيئًا فعلته من قِبَلي؛ لكففتُ عنه، ولكن الله بعثني. قال: فأقام الرسولُ عنده، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إن ربي قد أهلكَ كسرى، فلا كسرى بعدَ اليوم، وقد قُتل قيصرُ، فلا قيصرَ بعد اليوم**» قال: فكتب قولَه في الساعة التي حدثه، واليوم والشهر الذي حدثه فيه، ثم رجعَ إلى باذان، فإذا كِسرى قد مات، وإذا قيصرُ قد مات[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي إخباره ﷺ بموت كسرى في الليلة والساعة آيةٌ عظيمةٌ؛ لما تحققَ موته ووافقَ ساعته وليلتَه التي أخبر بها، دعت هذه الآيةُ صاحبَ صنعاءَ إلى صدقِه، فأتاه مُسلمًا فيما قيل.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٦٥٥، والبزار (٣٦٤٧).

(٣٠) ذِكر ما رُوِيَ في مناحبةِ الصديقِ مشركي مكةَ على غلبةِ الرومِ الفُرسَ في بضع سنين، وموضعِ الدلالة في ذلك، وذكرناه في أخبارِ المدينة؛ ليتحققَ وقوعُ غلبةِ الرومِ فارسِ بالمدينة

١٠٠- عن ابنِ عباس قال: كان المسلمون يحبون أن تَغلبَ الرومُ؛ لأنها أهلُ كتاب، وكان المشركون يُعجبهم أن يغلبَ فارسُ؛ لأنها أهلُ أوثان، وذكر ذلك أبو بكر للمشركين فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلًا فإن غَلبوا كان لك، وإن غُلبوا كان لنا كذا وكذا، فجعلَ بينهم وبينه خمسَ سنين، فمضَت على ذلك، فذكرَ ذلك أبو بكرٍ للنَّبي ﷺ فقال: ألا جعلتَ دون العشرِ.

قال سعيدُ: والبِضعُ ما دون العشرِ. قال: فغُلبَت الروم، ثم غَلبَت فذلك قوله: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ②﴾ [الروم:١- ٢] إلى قوله: ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٥]. قال سفيانُ: سمعتُ أنهم غَلبوا يوم بدرٍ[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وموضعُ الدلالة من هذه القصةِ: إخبارُه ﷺ بأن الرومَ سيصيرون غالبين بعد أن غُلبوا، فإن الله عزَّ المؤمنين بهذا الخبرِ، ما يمرُّ من الاغتمامِ من غلبة فارسَ الرومَ، فيتَحققُ وعد الله في صدقِ الخبر.

وأما مراهنةُ أبي بكر ومناحبتُه لقريشٍ، فكان تحريًا واجتهادًا منه، الذي يقعُ فيه الإصابةُ والخطأ، فإذا لم يُصب كان الخطأُ واقعًا في تحري أبي بكر لا في إخبارِ الله؛ لأن الله لم يُعيِّن سنة بعينها، وإنما وعد غلبةَ الروم فارسَ في البضعِ، والبضع من سنةٍ إلى تسع، فصار الرومُ غالبين لهم في البضعِ، تحقيقًا لخبرِ الله ووعدِه، فكان ذلك آيةً لرسولِه عليه الصلاة والسلام إذا أخبرَهم بها تحقق صدقُه، وظهرَت حقيقتُه، ففي ذلك ثبوتُ نبوتِه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٩٣).

(٣١) ذِكرُ ما رُوي في قصة السيد والعاقب لما نَكَلا عن المباهلةِ والتزما الجزية فرارًا من المباهلة وذلك قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] إلى قوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١].

١٠١ - عن عبدِ الله بن مسعودٍ قال: جاء السيدُ والعاقبُ صاحبا نجرانَ إلى رسولِ الله ﷺ يريدان أن يُلاعناه. فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله، لئن كان نبيًّا فلاعَننا لا نُفلحُ نحن ولا عَقبنا بعده.

فقالا: لا، بل نُعطيك ما سألتَ، وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعَث إلا أمينًا. فقال: «**لأبعثنَّ معكم رجلًا أمينًا حق أمين**» فاستشرفَ لها أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: «**قم يا أبا عُبيدةَ بنَ الجراح**» فلما قفا قال رسولُ الله ﷺ: «**هذا أمينُ هذه الأمة**»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٦)، وأحمد ٧/ ٤٥ (٣٩٣٠).

(٣٢) **ذكر خبر في قوله:** ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٦]، **وقوله:** ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٧-١٨]

١٠٢- عن ابنِ عباسٍ قال: قال أبو جهل: لئن رأيتُ رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبةِ، لأتيتُه حتى أطأَ على عنقِه. فقال النبيُّ ﷺ: «**لو فعل؛ لأخذَته الملائكةُ عيانًا، وأن اليهودَ لو تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدَهم من النارِ، ولو خرجَ الذين يُباهلون رسولَ الله ﷺ؛ لرَجعوا لا يجدونَ مالًا ولا أهلًا**»[(١)].

عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسي بيدِه، لو دنا مني أبو جهلٍ؛ لاختطفَته الملائكة عضوًا عضوًا.

١٠٣- قال ابن عباسٍ: ولو باهَلَ أهلُ نجران رسولَ الله ﷺ؛ لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالًا، ولو تمنَّت اليهودُ الموت لماتوا[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٨) مختصرا، وأحمد ٤/ ٩٨ (٢٢٢٥).

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٩٨ (٢٢٢٥)، وأخرج شطره الأول البخاري (٤٩٥٨).

(٣٣) ذكر أخبار مسائل سئل عنها رسول الله ﷺ بالمدينة وغيرها

١٠٤- عن أنسِ بن مالكٍ، أتى عبدُ الله بن سلَام رسولَ الله ﷺ فقال: إني سائلك عن أشياءَ لا يعلمها إلا نبيٌّ، فإن أنت أخبرتني آمنتُ بك، فسألَه عن الشَّبَهِ؟ وعن أول شيء يَحشر الناس؟ وعن أول شيء يأكلُ أهل الجنة؟

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أخبرني بهن جبريلُ عليه السلام آنفًا**».

قال: فإن ذاك عدوُّ اليهود.

فقال له رسول الله ﷺ: «**أمَّا الشبه: إذا سَبَقَ ماءُ الرجل ماءَ المرأة ذهب بالشبه، وإذا سبق ماءُ المرأةِ ماءَ الرجل ذهبَ بالشبه، وأول ما يحشُر الناس: نارٌ تجيءُ من قِبلَ المشرق، تَحشر الناس إلى المَغربِ، وأول شيء يأكلُ أهلُ الجنة: رأسُ ثورٍ، وكَبد حوتٍ**»(١).

١٠٥- عن ثوبانَ مولى رسولِ الله ﷺ قال: كنتُ قاعدًا عند رسولِ الله ﷺ، فجاء حَبرٌ من أحبارِ اليهود فقال: السلام عليك يا محمدُ، فدفَعتُه دفعةً كاد أن يُصرع.

فقلت: أَوَلَا تقول: يا رسولَ الله!

فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمِهِ الذي سمَّاه به أهله.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن اسمي محمدٌ الذي سماني به أهلي**».

فقال اليهوديُّ: جئت أسألُك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٩).

فقال له رسولُ الله ﷺ: «**ينفعُك شيءٌ إن حدثتُك؟**»

فقال: أسمع بأذني.

فنكتَ بعود معه، فقال: «**سل**».

فقال اليهودي: أين الناسُ يوم تُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ؟

فقال رسول الله ﷺ: «**في الظُّلمة دون الجسرِ**».

قال: فمن أوَّل الناس إجازةً؟

قال: «**فُقراءُ المهاجرين**».

فقال اليهوديُّ: فما تحيتُهم حين يدخلون الجنةَ؟

قال: «**زِيَادَة كبِدِ الحوتِ**[١]».

قال: ما غَداؤهم على إثرِها؟

قال: «**يُنحرُ لهم ثورُ الجنة، الذي يأكلُ من أطرافِها**».

قال: فما شرابُهم عليه؟

قال: «**من عين تُسمَّى سلسبيلا**».

قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيءٍ لا يعلمه من أهل الأرضِ إلا نبيٌّ، أو رجل أو رجلان.

---

(١) (الزِّيَادَة): هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم في غاية اللذة.

قال: «**ينفعُك إن حدَّثتك؟**»

قال: أسمع بأُذني، قال: جئتُ أسألك عن الوَلد؟

قال: «**ماء الرجلِ أبيضُ، وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذا اجتمعا فعَلا منيُّ الرجلِ منيَّ المرأةِ أذكَرَا بإذن الله، وإذا علا مني المرأةِ منيَّ الرجلِ آنثا بإذن الله**».

فقال اليهوديُّ: لقد صدقتَ، وإنك لنبيٌّ، فانصرف، فذهب.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علمٌ بشيءٍ، حتى أنبأني الله به عَزَّوَجَلَّ**»[1].

١٠٦- وعن ابنِ عباس قال: حضرَت عصابةٌ من اليهود النبيَّ عليه الصلاة والسلام فقالوا: يا أبا القاسمِ، حدثنا عن خلالٍ نسألُك عنها لا يعلمُها إلا نبيٌّ. قال: «**سَلوني عما شئتُم، ولكن اجعَلوا ذمةَ الله وما أخذَ يعقوبُ على بَنيه إن أنا حدثتُكم بشيءٍ تَعرفونَه لتُبايِعنني على الإسلام**» قالوا: ذلك لك. قال: «**فسَلوني عما شئتُم**» قالوا: أخبِرنا أربعَ خلالٍ نسألك عنها:

أَخبِرنا عن الطعام الذي حرَّم إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تُنزل التوراةُ؟ وأخبِرنا عن ماء المرأةِ من ماء الرجلِ؟ وكيف يكون الذَّكرُ منه حتى يكونَ ذكرًا؟ وكيف تكونُ الأنثى حتى تكونَ أنثى؟ وأخبرنا كيف هذا النبيُّ الأمي في النوم؟ ومن وليُّك من الملائكةِ؟

قال: «**فعليكم عهدُ الله لَئِن أنا حدثتُكم لتُتابِعُنِّي؟**» فأعطوه ما شاء من عهدٍ وميثاق.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٥).

قال: «**فأنشدُكم بالله، هل تعلمون أن إسرائيلَ -يعقوبَ- مرضَ مرضًا شديدًا، فأطال سقمُه فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سَقمِه؛ ليحرِّمنَّ أحب الشراب وأحبَّ الطعام إليه، فكان أحبُّ الشرابِ إليه ألبانَ الإبل، وكان أحبُّ الطعام إليه لحمانَ الإبل؟**» قالوا: اللهمَّ نعم. فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم اشهَد عَلَيهم**».

قال: «**فأنشُدُكم الله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراةَ على موسى، هل تعلمون أن ماءَ الرجل غليظٌ أبيض، وأن ماءَ المرأة رقيقٌ أصفر: فأيهما علا كان الولدُ والشبه منه بإذنِ الله عَزَّوَجَلَّ، إن علا ماءُ الرجل ماءَ المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماءُ المرأة ماءَ الرجل كانت أنثى بإذن الله**». قالوا: اللهم نعم. فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم اشهد**».

قال: «**فأُنشدُكم بالله الذي أنزل التوراةَ على موسى، وهل تعلمون أن النبيَّ الأمي هذا تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه**». قالوا: اللهم نعم. قال: «**اللهم اشهَد**».

قالوا: أنت الآن حدِّثنا مَن وليُّك من الملائكة؟ فعندها نُجامعُك أو نُفارقك. قال: «**وليِّي جبريلُ عليه السلام، ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليُّه**». قالوا: فعندها نفارِقُك، لو كان وليُّك غيره من الملائكةِ لا تَّبعناك وصدَّقناك. قال: «**فما يَمنعُكم أن تُصدِّقوه؟**». قالوا: إنه عدوُّنا من الملائكةِ فأنزل الله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] إلى آخر الآية، ونَزلت: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:٩٠][1].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٤ (٢٤٨٣).

(٣٤) ذكرُ أخبارِ الجنِّ وإسلامِهم ووفودِهم إلى النبي ﷺ وتعرضِهم للمسلمين، منها ما كان بمكة ومنها بالمدينةِ

١٠٧- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا، فإذا رأيتُم منها شيئًا فآذنوه ثلاثة أيامٍ، فإن بدا لكم بعد ذلك، فاقتلوه، فإنما هو شيطانٌ**»[(١)].

١٠٨- عن ابن عباسٍ قال: خرج رجلٌ من خيبرَ، فتبِعه رجلان، وآخرُ يتلوهما، يقول: ارجعا. حتى أدركَهما، فردَّهما ثم لحق الرجلَ فقال له: إن هذين شيطانان، وإني لم أزل بهما حتى رددتُهما عنك، فإذا أتيتَ رسولَ الله ﷺ فأقرِءه السلامَ، وأخبره أنا في جمع صدقاتِنا، ولو كانت تَصلحُ له لبعَثنا بها إليه، فلما قدمَ الرجلُ المدينة، أتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه. قال: فنهى رسولُ الله ﷺ عند ذلك من الخلوةِ[(٢)].

١٠٩- عن أبي هريرةَ قال: خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ أحملُ إداوتي فأدركتُه وهو يريدُ الحاجة. فقال: «**من هذا؟**» قلتُ: أبو هريرةَ، يا رسولَ الله. قال: «**ابغِ لي أحجارًا أستنفضُ بها، ولا تَأتني بعظمٍ ولا بروثةٍ**» فأتيتُه بأحجار أحملُها في طرف ثوبي، حتى وضعَها إلى جنبِه، فلما فرغَ انصرف، فاتبعتُه، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما بالُ العظم والروثةِ؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٦).
(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠٨ (٢٥١٠).

قال: «إنه جاءني وفد جنِّ نَصيبين من الشامِ، ونِعم الوفدُ، فسألوني الزادَ، فدعوتُ لهم، أن لا يَمروا بعظمٍ ولا روثةٍ إلَّا وجدوا عليه طَعامًا»(١).

١١٠- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن عِفريتًا من الجنِّ تفلَّت عليَّ البارحة؛ ليقطعَ عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فذُعتُه، وأردتُ أن أربطَه إلى ساريةٍ من سَواري المسجد، حتى تصبحوا فتَنظروا إليه كلُّكم أجمعون**». قال: «**فذكرت دعوةَ أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: ٣٥]**» قال: «**فرددتُه خاسئًا**»(٢).

١١١- عن أبي هريرةَ قال: ولَّاني رسولُ الله ﷺ زكاةَ رمضان، أن أحتفظَ بها، فأتاني آتٍ فجعلَ يَحثو من الطعامِ، فأخذُته قال: دعني فإني مُحتاجٌ، وعلي عيال، وشكا حاجةً فرحمتُه، وخليتُ سبيلَه، وأصبحتُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا هريرةَ، ما فعلَ أسيرُك الليلةَ؟**» قلت: يا نبيَّ الله، شكا حاجةً شديدةً، وعيلةً وجهدًا، فرحمتَه، فخليتُ سبيله. فقال: فقد كذَبك وسيَعود.

حتى كان الليلةَ الثانية، جاء يَحثو من الطعامِ، فأخذَه أبو هريرةَ، فقال: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ؛ زعمتَ لي أنك لا تعودُ، وأراك قد عُدتَ. قال: دعني، فشكا عيالًا وحاجةً شديدة، فخلى سبيلَه ورحمَه، وأصبح، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا هريرةَ، ما فعل أسيرُك الليلةَ؟**» قلت: يا نبيَّ الله شكا حاجةً شديدةً، وجهدًا فرحمتُه، وخليتُ سبيلَه. فقال: أما قد كذبَك، وسيعودُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١).

فعادَ الليلةَ الثالثة، فأخذَه، فقال: لأرفعنَّك إلى رسولِ الله ﷺ، هذه ثلاثُ ليال تَزعُم أنك لا تعودُ، ثم تعود. قال: دعني فإني لا أعودُ، وأُعلمك كلماتٍ ينفعُك الله بها، إذا أويتَ إلى فراشِك، فاقرأ آيةَ الكرسي من أولها إلى آخرِها، فإنه لن يزالَ عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُك شيطانٌ حتى تصبحَ، فخلا سبيلَه، فأصبح، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا هريرةَ، ما فعلَ أسيركُ الليلة؟**» قلت: يا نبيَّ الله، علمني شيئًا، زعم أن الله يَنفعُني به قال: «**ما هو؟**» قال: أَمرني إذا أويتُ إلى فراشي أقرأُ آية الكرسي من أولها إلى آخرِها، فإنه لن يزالَ عليَّ من الله حافظٌ، ولا يَقربني شيطانٌ حتى أصبحَ. قال: «**أما قد صَدقَك وهو كذوبٌ، يا أبا هريرةَ، تعلمُ من تخاطبُ منذ ثلاثٍ**» قلتُ: لا. قال: «**ذاك شيطانٌ**»(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٣٥) فصل في ذكر الأخبارِ في شكوى البهائمِ والسباعِ وسجودها لرسولِ الله ﷺ، وما حُفظ في عهده ﷺ من كلامِها

١١٢- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: بينما راعٍ يرعى بالحرَّة، إذ انتهزَ الذئب شاةً فتبعه الراعي فحال بينه وبينها، فأقبلَ الذئبُ على الراعي، فقال: يا راعي ألا تتقي الله، تحولُ بيني وبين رزقٍ ساقه الله إليَّ؟

فقال الراعي: العجبُ من ذئبٍ مُقعٍ على ذنَبِه، يكلمني بكلامِ الإنسِ!

فقال الذئبُ: ألا أخبرُك بما هو أعجبُ من هذا، رسولُ الله ﷺ بين الحرَّتين، يدعو الناسَ إلى أنباءِ ما قد سبق.

فساقَ الراعي شاتَه حتى أتى المدينةَ، فزوَّاها إلى زاويةٍ من زواياها، ثم دخلَ على رسولِ الله عليه الصلاة والسلام، فأخبرَه بما قال الذئب.

فخرج رسولُ الله ﷺ فقال للراعي: «**أخبِرْهم بما قال الذئبُ**».

فقال رسولُ الله ﷺ: «**صدق الراعي، ألا إنه من أشراطِ الساعة: كلامُ السباعِ للإنسِ، والذي نفسي بيدِه، لا تقومُ الساعةُ حتى يكلمَ السباعُ الإنسَ وحتى يكلمَ الرجلَ شراكُ نعله، ويخدِمُه سوطُه، ويخبرُه فخِذُه بما أحدثَ أهلُه بعده**»(١).

١١٣- عن جابرٍ قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، ثم سِرنا ورسولُ الله عليه الصلاة والسلام بيننا، كأنما على رؤوسِنا الطيرُ تُظِلنا، فإذا جملٌ نادٌّ، حتى

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨١)، وأحمد ١٨/ ٣١٥ (١١٧٩٢).

إذا كان بين السُّماطَين خر ساجدًا، فحبسَ رسول الله ﷺ ثم قال على الناس: «**من صاحبُ هذا الجملِ؟**» فإذا فتيةٌ من الأنصارِ، فقالوا: هو لنا يا رسولَ الله. قال: «**فما شأنُه؟**» قال: سَنَيْنا عليه منذ عشرين سنة، وكانت به شحيمةٌ، فأردنا أن ننحرَه فنَقسِمَه بين غلمانِنا، فانفلتَ عنا. قال: «**بيعونِيه**» قالوا: لا، بل هو لك يا رسولَ الله. قال: «**أما لا، فأحسِنوا إليه، حتى يأتيَه أجلُه**»(١).

١١٤- عن عبدِ الله بن جَعفر قال: أردَفَني رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ خلفَه، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدِّث به أحدًا من الناسِ، وكان أحبُّ ما استَتَرَ به النبي ﷺ لحاجتِه هدفًا أو حائشَ نخلٍ(٢)، فدخل يومًا حائطَ رجل من الأنصارِ، فرأى فيه بعيرًا، فلما رآه البعيرُ حَنَّ، وذَرَفَت عيناه، فمَسَحَ رسولُ الله ﷺ سُراتَه(٣) وذفراه(٤) فسكن.

فقال: «**لمن هذا البعيرُ؟**» أو: «**مَن ربُّ هذا البعيرِ؟**»

فقال الأنصاريُّ: أنا يا رسولَ الله.

قال: «**أحسِن إليه، إذ ملَّكَكَ الله، فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعُه، وتَدئِبُه**»(٥).

١١٥- عن عبدِ الله بن قُرط قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أفضلُ الأيامِ عندَ الله يومُ النحرِ، ثم يوم القَرِّ**». يستقر فيه الناسُ، وهو الذي يلي يومَ النحر، قُدِّم إلى

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٦/ ٤٨٣ (٣٢٤١٣)، والدارمي (١٧).
(٢) (حَائِش): النخل الملتف المجتمع.
(٣) (سُراته) السُّراة: أعلى الظهر.
(٤) (ذِفْراه) الذِّفْرَى: الموضع الذي يَعرَقُ من قفا البَعير، وهما ذفْرَيانِ من كل شيء.
(٥) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩).

رسول الله ﷺ فيه بدنات خمسٌ أو ستٌّ، فطفِقنَ يزدَلِفن إليه بأيَّتهن يبدأُ، فلما وجَبت جنوبُها قال رسولُ الله ﷺ كلمةً خفيةً لم أتفهَّمها، فقلتُ للذي إلى جنبي: ما قال؟ قال: «**مَن شاءَ اقتطعَ**[(١)]» [(٢)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما تَضمَّنت هذه الأخبارَ من الآياتِ والدلائلِ الواضحةِ من سُجودهن، وشِكايتِهن، وازدِلافِهن، وما في معناه، فليس يَخلو مِن أحدِ أمرَين: إما أن يكونَ رسولُ الله ﷺ أعطِيَ عِلمًا بنغم هذه البَهائمِ، وشِكايتهن، كما أعطِيَ سليمانُ عليه السلام علمًا بمنطقِ الطيرِ، فذلك له آيةٌ، كما كان نظيرُها لسليمانَ عليه السلام آيةً، أو عَلِمَ ذلك بالوحي، وأي ذلك كان، ففيه أُعجوبةٌ وآيةٌ معجزةٌ.

---

(١) (شاء اقتطع) أي: أخذ قطعة منها.

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٦٥).

(٣٦) فصل في ذكرِ ما رُوي في تسليمِ الأشجارِ وطاعتهن له وإقبالهنَّ عليه ﷺ إذا دعاهنَّ للاستتار بهنَّ في الصحاري والبراري وإجابتهن إذا دعاهُن عند سؤالِ من يُريدُ إظهارَ آية ودلالة

١١٦- عن جابرِ بن سَمُرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**لما كانت ليالي بُعثتُ، ما مَررتُ بشَجر، ولا حجرٍ إلا قالَ: السلامُ عليك يا رسولَ الله**»(١).

١١٧- عن أنسِ بن مالكٍ قال: غَدَت قريشٌ على رسولِ الله ﷺ فنالوا منه حتى أدمَوهُ، فصعدَ حِراء كئيبًا حزينًا، فأتاه جِبريلُ فقال: «**ترى ما صُنعَ بي؟ قال: أُريك آية؟ قال: نعم. قال: ادعُ تلك الشجرةَ، فدعاها، فجاءت تجرُّ عروقَها فقال: مُرها، فلتَرجِع إلى مَوضِعِها فأمرَها فرَجَعَت فقال: ما أُبالي ما صُنعَ بي بعدَ اليومِ**»(٢).

١١٨- عن يَعلى بن مُرَّةَ قالَ: كنتُ مع النبيِّ ﷺ ونَزلنا بأرضٍ فيها شجرٌ كثيرٌ، فقالَ لي: «**اذهَب إلى تلك الشجرَتين، فقل لهما: إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمرُكما أن تجتَمِعا**»، فذَهبتُ إليهما فقلتُ: إن رسولَ الله ﷺ يأمرُكما أن تجتَمِعا، فاجتَمعَتا، فقَضى رسولُ الله ﷺ حاجةً، وقال: «**اذهَب فقل لهما: يَنفرِقان**» فقلتُ لهما؛ فتَفرقَتا(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) بدون ذكر الشجر.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٨).
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٦١٢)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٢٦٤ (٦٧٩)، والحاكم (٤٢٣٢).

١١٩- عن ابنِ عباسٍ قال: جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: بم أعرفُ أنك رسولُ الله؟

قال: «**أرأيتَ إن دعوتُ هذا العِذْقَ**[١] **من هذه النخلةِ، أتشهَدُ أني رسولُ الله؟**»

قال: نعم.

فدعا العِذقَ، فجاء العِذقُ ينزِل من النخلةِ، حتى سقطَ في الأرضِ، فجعلَ يَنقُزُ، حتى أتى النبيَّ ﷺ قال له: «**ارجِع**» فرجع حتى عادَ إلى مكانِه.

فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله. وآمن[٢].

---

(١) (العِذْق): العرجون بما فيه من الشماريخ.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٢٨).

(٣٧) فصل في ذكر حَنين الجِذعِ

١٢٠- عن جابرِ بن عبدِ الله يقول: كان النبيُّ ﷺ إذا خطبَ استَند إلى جِذع نخلةٍ من سَواري المسجد، فلما صُنع له مِنبرُه واستوى عليه، اضطَرَبت تلكَ الساريةُ، كحنينِ الناقةِ، حتى سمعَها أهلُ المسجدِ، حتى نَزَلَ إليها رسولُ الله ﷺ، فاعتَنَقَها فسَكَنَت[(١)].

(١) أخرجه النسائي (١٣٩٦)، وأصله في البخاري (٩١٨).

(٣٨) فصل في فَوران الماء من بين أصابِعه حضراً وسفراً

هذه الآية من أعجَب الآيات وأجلِّها معجزةً وأبلغِها دلالةً، شاكلت دلالة موسى عليه السلام في تفجُّر الماء من الحَجرِ حين ضربه بعصاه، بل هذا أبلغ في الأُعجوبةِ؛ لأن نبوعَ الماء من بين اللحم والعظم أعجبُ من خروجه من الحَجرِ؛ لأن الحجر سنخٌ من أسناخ الماء مشهورٌ في المعلومِ مذكور في المُتعارفِ، وما رُؤيَ قط ولا سُمع بماءٍ قط في ماضي الدهورِ نبعَ وانفجر من أجساد بني آدمَ حتى صدر عنه الجمُّ الغفيرُ من الناس والحيوان رواء، وانفجارُ الماء من الأحجارِ ليس بمنكرٍ ولا بديعٍ، وخروجُه وتفجره من بين الأصابع مُعجزٌ بديع.

١٢١- عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ فأُتي بإناء فيه ماء، فوضع يدَه في الإناءِ، فجعل الماء يفورُ من بين أصابِعه، فقال: «**حي على الوضوءِ والبَركة من الله**» قال: فتوضأ القومُ كلُّهم[(١)].

١٢٢- عن جابرِ بن عبدِ الله، قال: لما كنا يوم الحُديبِيَةِ أُتي رسولُ الله ﷺ برَكوةٍ من ماء فجَهَشَ[(٢)] الناسُ، فقلنا ما مع الناسِ ماءٌ إلا ما بين يديك، قال: فوضعَ النبيُّ ﷺ يدَه في الركوة فجعلَ الماءُ يثورُ من أصابعه كأنها العيونُ، فأصاب الناسُ من الماء حاجَتَهم.

قال: قلت له: كم كنتُم؟

قال: لو كنا مئةَ ألفٍ كفانا، كنا خمسَ عشرةَ مئة[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

(٢) (فجَهَشَ) أي: أسرعوا لأخذ الماء.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).

١٢٣- عن جابرِ بن عبدِ الله، قال: سافرنا معَ رسولِ الله ﷺ فحضرتِ الصلاةُ فقال رسول الله ﷺ: «**أمَا في القومِ طَهور؟**»

فجاء رجلٌ بفضلِ ماءٍ في إداوة فصبَّه في قدحٍ فتوضأ رسولُ الله ﷺ، ثم إن القومَ أتوا ببقيةِ الطَهور.

فقال: تمسَّحوا، فسمعَهم رسول الله ﷺ فقال: «**على رِسلِكم**».

قال: فضرب رسولُ الله ﷺ يدَه في القدحِ في جوفِ الماءِ، ثم قال: «**أسبِغوا الطهورَ**».

قال: فقال جابرٌ: والذي أذهب بَصري لقد رأيتُ الماءَ يخرُج من بين أصابعِ رسولِ الله ﷺ فلم يرفعْ يده حتى توضؤوا أجمعون، وكنا يومئذٍ بضع عشرة ومئتين[(١)].

عن أبي قتادةَ، قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في سفَرٍ فقال: «**أمعكُم ماءٌ؟**»

قلت: نعم، معي مِيضأةٌ فيها شيء من ماءٍ.

فقال: «**إيتِ بها**»، فأتيته بها.

فقال: «**مسُّوا منها**»، فتوضأ القومُ وبقي في الميضأة جَرعةٌ، فقال: «**ازدهِر[(٢)] بها يا أبا قتادةَ فإنه سيكونُ لها بنا مآلٌ**».

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣/ ١٤٦ (١٤٨٦٠)، وأصله في البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).
(٢) (ازدَهَر): احتفظ.

فلما اشتدت الظهيرةُ رجعَ لهم رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله، عطِشنا، هلَكنا، تقطَّعت الأعناق.

فقال النبي ﷺ: «**لا هُلكَ عليكم**».

ثم قال: «**يا أبا قتادةَ إيتِ بالميضأةِ**» فأتيته بها فقال: «**احلُل لي غُمَري**»، يعني: قدحه، فحللتُه فأتيته به، فجعل يَصُب فيه، وسقى الناسَ، فازدحم الناس عليه.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أيها الناسُ، أحسنوا الملأ فكلُّكم سيصدُرُ عن رِي**»، فشربَ القومُ حتى لم يبقَ غيري وغيرُ رسول الله ﷺ فصبَّ لي وقال لي: «**اشربْ يا أبا قتادة**».

قال: قلت: اشرب أنت يا رسولَ الله.

قال: «**إن ساقيَ القومِ آخرُهم**»، فشربت ثم شربَ بعدي وبقيَ في الميضأةِ نحوٌ مما كان فيها، وهم يومئذ ثلاث مئة[١].

١٢٤- عن أنس قال: حضرت الصلاةُ فقامَ جيران المسجدِ إلى منازِلِهم وبقي ناسٌ من المهاجرين ما بين السبعين إلى الثمانين، فدعا رسولُ الله ﷺ بمِخضبٍ[٢] فيه ماءٌ فوضعَ أصابعه في المخضبِ، وجعل يصبُّ عليهم حتى توضؤوا أجمعين، وبقي نحو مما كان فيه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥)، ومسلم (٦٨١).
(٢) (المِخْضَب):وعاء من أدم يتخذ للماء.
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٥)، ومسلم (٢٢٧٩).

١٢٥- عن أنسٍ أن النبي ﷺ كان بالمدينةِ بمكانٍ يُقال له: الزوراء، فدعا بإناءٍ فوق القدحِ ودون القَعْبِ[(١)] فيه ماء يتخضخضُ فوضعَ كفه في الإناءِ، قال أنسٌ: فجعلت أرى الماءَ ينبعُ من بين أصابعِه فسقى الناسَ وكانوا قد عطِشوا، قال: قلت لأنسٍ: كم كانوا؟ قال: كانوا ثلاث مئة أو زُهاء ثلاث مئة[(٢)].

١٢٦- عن البراءِ بن عازبٍ، قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في مَسيرٍ فأتينا على رَكِيَّةٍ دَمِنَة -وهي القليلةُ الماء- قال: فنزل ستَّة أنا سادسهم، أو قال: سبعةٌ أنا سابعُهم ماحةً - قال سليمان: الماحةُ: الذين يَقدحون الماءَ - قال: فأُدلِيَت إلينا دَلوُ رسولِ الله ﷺ على شَفةِ الركيَّة. قال: فجَعَلنا فيها نِصفَها، أو قال: قُراب ثلثيها أو نحو ذلك.

قال البراء: فدَنوتُ بإناءٍ هل أجدُ شيئًا أجعلها في حَلقي فما وجدتُه، فرفعتُ إلى رسولِ الله ﷺ فغمسَ يده فيها فقال ما شاء الله أن يقول.

قال: فأُعيدَت إلينا الدلوُ وما فيها من الماءِ، قال: فلقد رأيتُ آخرَنا أُخرجَ بثوبٍ رهبةَ الغَرقِ ثم ساختِ البئرُ أو ساحت[(٣)].

١٢٧- عن عِمران بن حصينٍ، قال: كنا في سفرٍ مع النبي ﷺ فسرنا ليلةً، حتى إذا كان في آخرِ الليل قُبيلَ الصبحِ وقعنا تلك الوَقعةَ، ولا وقعةَ أحلى عند الُمسافرِ منها فما أيقظَنا إلا حرُّ الشمسِ، وكان أولَ من استيقظَ بلالٌ، ثم فلان، ثم فلان، وسماهم، ثم عمرُ بنُ الخطابِ استيقظَ.

---

(١) (القَعْب) أي: القدح الضخم.
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، مسلم (٢٢٧٩).
(٣) أخرجه أحمد ٣٠/ ٥٤٧ (١٨٥٨٤)، وأصله في البخاري (٣٥٧٧).

وكان رسولُ الله ﷺ إذا نام لم نوقِظْه حتى يكون هو الذي يستيقظُ؛ لأنا لا نَدري ما يُحدث له في نومِه، فلما استيقظ عُمرُ ورأى ما أصابَ الناس -وكان رجلًا جَلِيدًا[١]- فكبَّر ورفعَ صوته بالتكبيرِ، فما زالَ يُكبرُ ويرفعُ صوتَه حتى استيقظَ رسولُ الله ﷺ بصوته.

فشكا إليه القومُ الذي أصابهم، فقال: «**لا ضَيرَ، ارتَحِلوا**» فارتحلَ فسار غيرَ بعيدٍ، ثم نزلَ فدعا بوَضوءٍ فتوضأ، ثم نُودي بالصلاةِ فصلى بالناسِ فانفتلَ من صلاتِه، فإذا رجلٌ مُعتزلٌ لم يُصلِّ مع القومِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما مَنَعَك يا فلان أن تُصليَ مع القوم؟**».

فقال: يا رسولَ الله أصابَتني جنابةٌ ولا ماءَ.

قال: «**عليك بالصعيدِ فإنه يَكفيك**».

ثم سار فاشتكا الناسُ إليه العطشَ، فنزَل فدعا فلانًا، ودعا عليَّ بن أبي طالبٍ، فقال لهما: «**اذهبا فابغِيا الماءَ، فانطلِقا فستلقيان امرأةً بين سَطِيحَتَين أو مَزادَتين**[٢] **من ماء على بَعيرٍ لها**» فانطلَقا، فقالا لها: أين الماءُ؟

فقالت: عهدي أمسِ هذه الساعة، فقالا لها: انطلِقي، فقالت: إلى أينَ؟ قالا: إلى رسولِ الله ﷺ، قالت: هذا الذي يُقالُ له: الصَّابي[٣]. قالا: هو الذي تعنينَ فانطلقي.

---

(١) (جَلِيدًا) هو من الجلادة بمعنى: الصلابة.

(٢) (بين سَطِيحَتَيْنِ أو مَزَادَتين) السطيحة: تكون من جلدين قوبل أحدهما بالآخر، والمزادة: مثلها ويزاد فيها جلد ثالث لتتسع.

(٣) (الصَّابي) أي: المائل.

فجاءا بها إلى رسولِ الله ﷺ فحدثاهُ الحديثَ فاستنزَلوها من بَعيرِها، ودعا رسولُ الله ﷺ بإناءٍ فجعلَ فيه أفواهَ السَّطيحتين أو المَزادتين، ثم تَمضمَضَ فأعاده في الإناءِ ثم أعادَه في أفواهِ السطيحتين أو المزادتين ثم أوثقَ أفواهَهُما وأطلق العَزَالِـي[١].

ونُودي في الناسِ: أن أسقوا واستقوا، فسقا من شاءَ واستقى مَن شاءَ، وكان آخرَ ذلك أن أعطى الذي أصابتهُ الجنابةُ، فقال: «**اذهَب فأفرغْه عليك**».

وهي قائمةٌ تنظر إلى ما يَفعلُ بمائِها، وايمُ الله، لقد أوكتْها حين أقْلعَ وإنه ليُخيلُ إلينا أنها أشدُّ منها امتلاءً.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**اجمعوا لها**» فجمعوا لها ما بين عَجوةٍ وسَويقةٍ ودَقيقةٍ حتى جمعوا لها طعامًا في ثوبٍ وحملوها على بَعيرِها ووضعوهُ بين يديها.

فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**تَعلَّمينَ! والله، ما رَزِأناك[٢] من مائِك شيئًا، ولكنَّ الله هو سقانَا**».

فأتت أهلَها وقد احتبَسَت عنهم، فقالوا: يا فلانةُ ما حبسَك؟

قالت: العجبُ، لقِيَني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يُقالُ له: الصابئُ، ففعلَ كذا وكذا للذي كان، فوالله إنه لأسحرُ من بين هذه وهذه، أو إنه لرسولُ الله حقًّا، فكان المسلمون يُغيرون على من حولَها من المشركين ولا يُصيبونَ الصِّرمةَ[٣] التي تليها.

---

(١) (العَزَالِـي) جمع عزلاء، وهي مصب الماء من الراوية حيث تستفرغ.

(٢) (ما رَزِأناك) أي: ما نقصناك.

(٣) (الصِّرمة) أي: أبياتا مجتمعة من الناس.

فقالت يومًا لقومِها: والله ما أَرى هؤلاء القومَ يَدعونَنا، فهل لكم في الإسلامِ؟ فطاوَعوها فجاؤوا فدخلوا جميعًا في الإسلامِ[(١)].

١٢٨- عن أبي عَمرةَ الأنصاري قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غَزاها وأصابَ الناسُ مَخمصةً، ثم دعا بركوةٍ فوُضعت بين يديه، ثم دعا بماءٍ فصبَّه فيها، ثم مجَّ فيها بما شاء الله أن يتكلَّم ثم أدخلَ خِنصرهُ فيها، فأُقسم بالله، لقد رأيتُ أصابعَ رسولِ الله ﷺ تتفجرُ ينابيعَ الماءِ، ثم أمر الناسَ فشربوا وسقوا وملئوا قِرَبَهم وإداواتهم، ثم ضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجِذه.

ثم قالَ: «**أشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، لا يَلقى الله بهما أحدٌ يومَ القيامة إلا دخلَ الجنةَ على ما كان**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢).
(٢) أخرجه أحمد ٢٤/ ١٨٤ (١٥٤٤٩).

(٣٩) ذِكرُ الآبارِ والعيونِ التي مَجَّ فيها رسولُ الله ﷺ فكثُر ماؤها وما ظهرَت من برَكته فيها

١٢٩- عن معاذِ بن جبلٍ أنهم خرجوا مع رسولِ الله ﷺ إلى تَبوكَ قال: كان النبيُّ ﷺ يجمعُ بين الظهرِ والعصرِ، والمغربِ والعشاءِ جميعًا، ثم قال: «**إنكم ستأتون إن شاء الله عينَ تبوك، وإنكم تأتونَها حين يَضحى النهارُ، فمن جاءَها فلا يمسُّ من مائها شيئًا، حتى آتي**».

فجئنا وقد سبقَ إليها رجلان، والعينُ مثل الشراكِ تبِضُّ بشيء من مائها، فسألهما رسولُ الله ﷺ وقال لهما: «**هل مَسستُما من مائها شيئًا؟**»

قالا: نعم.

فسبَّهما رسولُ الله ﷺ، وقال لهما ما شاءَ الله أن يقولَ، ثم غرفوا من العينِ بأيديهم قليلًا، حتى اجتمعَ في شيءٍ، ثم غسلَ رسولُ الله ﷺ فيه وجهَه ويديه، ثم أعادَه فيها فَجَرَت العينُ بماء كثيرٍ، فاستقى الناسُ.

ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**يا معاذُ، يوشِك إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما ها هنا قد مُلِيءَ جنانًا**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٠٦).

١٣٠- عن عُروةَ بن الزبيرِ، عن المسور بن مَخرمةَ، ومروان بن الحكمِ، يُصدِّقُ كلُّ واحد منهما صاحبَه، قالا: خرج رسولُ الله ﷺ عام الحُديبيةِ، قالا: فعدل حتى نزلَ بأقصى الحديبيةِ على ثَمَد[١] قليلِ الماءِ، إنما يتبرَّضه الناس[٢] تبرضًا فلم يلبث الناسُ أن نزحوه، فشُكيَ إلى رسولِ الله ﷺ العطشَ فانتزعَ سهمًا من كِنانتِه، ثم أمرَهُم أن يجعلوهُ فيه.

قال: فوالله ما زالَ يَجيشُ لهم بالرِّي حتى صدروا وضربوا عنه بعطَن[٣].

---

(١) (على ثَمَد) أي: حفيرة فيها ماء مثمود، أي: قليل.

(٢) (يتَبَرَّضه الناس): هو الأخذ قليلًا قليلًا.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٤٠) فصل في رُبُوِّ الطعامِ بحضرتِه وفي سفرِه لإمساسِه بيده ﷺ ووضعِها عليه

١٣١- عن أنسِ بن مالكٍ قال: قال أبو طلحةَ لأمِّ سُليم لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفًا أعرفُ فيه الجوعَ فهل عندكِ من شيء؟

قالت: نعم، فأخرَجَت أقراصًا من شَعيرٍ، ثم أخرَجَت خمارًا لها فلفَّت الخبزَ ببعضه، ثم دسَّته تحت يدي، وزوَّدَتني ببعضِه، ثم أرسلتني إلى رسولِ الله ﷺ، وذهبت به فوَجَدَت رسولَ الله ﷺ في المسجدِ ومعه الناسُ، فقمتُ عليهم فقال لي رسول الله ﷺ: «**آرسلكَ أبو طلحة؟**»

فقلت: نعم.

قال: «**الطعامُ؟**»

قال: قلت: نعم.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ لمن معه: «**قوموا**».

قال: فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتُه، فقال أبو طلحة: يا أمَّ سليم، قد جاء رسولُ الله ﷺ بالناسِ، وليس عندنا من الطعامِ ما نطعِمهم.

قالت: الله ورسولُه أعلمُ، فانطلق أبو طلحةَ حتى تلقَّى رسولَ الله ﷺ، فأقبل رسولُ الله ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخلا.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**هلُمِّي يا أمَّ سليم ما عندَكِ**».

فأتت بذلك الخبزِ فأمرَ به رسول الله ﷺ، ففُتَّ وعَصرت أم سليم عُكَّةً فآدمَته[(١)]، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقولَ.

ثم قال: «**ائذن لعشَرةٍ**»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبِعوا، ثم خرجوا.

ثم قال: «**ائذنْ لعشرة**»، فأَذن لهم، فأكلوا حتى شَبِعوا ثم خرجوا.

ثم قال: «**ائذن لعشرةٍ**»، فأذن لهم فأكلَ القومُ كلُّهم حتى شبعوا، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلًا[(٢)].

١٣٢- عن عبد الرحمنِ بن أبي بكرٍ قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ ثلاثين ومئة فقال النبيُّ ﷺ: «**هل مع أحدٍ منكم طعامٌ؟**»

فإذا مع رجلٍ صاعٌ من طعام فجِيءَ به فعُجنَ، ثم جاء رجل مشركٌ مُشْعانٌّ[(٣)] طويلٌ بغُنَيمة يسوقُها فقال النبي ﷺ: «**أبيعٌ أمْ عَطيةٌ أم هِبةٌ؟**»

فقال: لا، بل بيع.

فاشترى منه شاةً وأمرَ رسولُ الله ﷺ بسوادِ البطنِ[(٤)] أن يُشوى فقال: وايمُ الله، ما من الثلاثين ومئةٍ إلا وقد جَزَّ له رسول الله ﷺ منه جزَّةً، وجعل منها قَصعتين.

قال: فأكلنا أجمعون وفضلَ في القَصعتين فحُملَ على البَعير[(٥)].

---

(١) (وعَصَرت أم سليم عُكَّةً فآدمَتْه) أي: صيرت ما خرج من العكة له إدامًا، والعُكَّة بضم المهملة وتشديد الكاف: إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبا والعسل.
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).
(٣) (مُشْعان): وهو الطويل جدا فوق الطول.
(٤) (سَواد البطن) أي: الكبد.
(٥) أخرجه البخاري (٢٦١٨)، ومسلم (٢٠٥٦).

١٣٣- عن أبي هريرةَ، وأبي سعيدٍ قال: لما كانَت غزوةُ تبوكٍ أصابَ الناسَ مجاعَةٌ فقالوا: يا رسولَ الله لو أذِنتَ لنا فنَحَرنا نواضِحَنا فأكَلنا وادَّهنا، فقالَ لهم رسولُ الله ﷺ: «**افْعَلوا**» قال: فجاءَ عمرُ، فقالَ: يا رسولَ الله، إنهم إن فعَلوا؛ قلَّ الظَّهرُ، ولكنْ ادعُهم بفضل أزوادِهم، ثم ادعُ لهم عليها بالبَركةِ فلعلَّ الله أن يجعلَ في ذلك خيرًا، قال: فدَعا رسولُ الله ﷺ النِّطعَ فبَسطَه، ثم دَعاهم بفضلِ أزوادِهم، قال: فجعلَ الرجلُ يجيءُ بكفِّ الذرَةِ، والآخَرُ بكفِّ التمرِ، والآخرُ بالكِسرةِ، حتى اجتمعَ على النِّطعِ شيءٌ من ذلك، قال: ثم دَعا عليه بالبَركةِ، ثم قالَ: «**خُذوا في أوعِيتِكم**» قال: فأخَذوا في أوعِيتَهم حتى ما تَركوا في العَسكرِ وعاءً إلا مَلؤوه، قال: وأكَلوا حتى شَبِعوا وفَضلَت منه فَضلَةٌ، فقال رسولُ الله عليه السلام: «**أشهدُ أن لا إله إلا الله وأني رَسولُ الله، لا يَلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيُحجَب عن الجنةِ**»[(١)].

١٣٤- عن أبي هريرة كان يقول: والله الذي لا إله إلا هو، إني كُنت لأعتمدُ على كَبدي من الجُوعِ[(٢)]، وإن كنت لأشُدُّ الحجرَ على بطني من الجوعِ، ولقد قَعدت يومًا على طريقِهم الذي يَخرُجون منه فمرَّ بي أبو بكرٍ فسألته عن آيةٍ من كتابِ الله، ما سألتُه إلا ليُشبعَني، فمر عليَّ ولم يفعلْ.

ثم مر بي عمرُ فسألتُه عن آية من كتابِ الله، ما سألته إلا ليشبِعني، فمر ولم يفعل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) (لأعتمدُ على كَبدي من الجوع) أي: ألصق بطني بالأرض.

ثم مر بي أبو القاسم ﷺ وتبسَّمَ وعرفَ ما في نفسي وما في وَجهي، ثم قال: «**أبا هِرٍّ**»، قلت: لبيكَ رسولَ الله، قال: «**الْحق**»، ثم مضى فاتبعتُه، فدخل واستأذنتُ فأذِنَ لي ودخلتُ، فوجد لَبنا في قدحٍ فقال: «**من أين هذا اللبن؟**»

قالوا: أهداه لك فلانٌ -أو فلانة- فقال: «**يا أبا هِرٍّ**».

قلت: لبيكَ رسولَ الله، قال: «**الْحق إلى أهلِ الصُّفَّةِ فادعُهم**».

قال: وأهلُ الصفةِ أضيافُ الإسلامِ لا يَلوون على أهلٍ ولا مالٍ، إذا أتته صدقةٌ بعثَ بها إليهم، ولم يَتناوَل منها شيئًا، وإذا أتتْه هديةٌ أرسلَ إليهم، وأصاب منها وأشرَكهم فيها فساءني ذلك، وقُلت: ما هذا اللبنُ في أهل الصفةِ؟! كنت أرجو أن أُصيبَ من هذا اللبن شَربةً أتقوَّى بها أنا والرسولُ ﷺ، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أُعطيهم، وما عسى أن يبلغَني من هذا اللبنِ؟!

ولم يكن من طاعةِ الله وطاعةِ رسوله بُدٌّ، فأتيتُهم فدعوتُهم، فأقبلوا حتى استأذَنوا فأذِن لهم، وأخذوا مَجالِسهم من البيت.

فقال: «**يا أبا هُريرةَ**».

قلت: لبيكَ يا رسولَ الله.

قال: «**خذْ وأعطِهم**».

فأخذتُ القَدح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدحَ فأعطيه آخرَ فيشرب حتى يروى، ثم يَرد عليَّ القدحَ، حتى انتهيتُ إلى رسولِ الله عليه الصلاة والسلام وقد روي القوم كلُّهم، فأخذ القدحَ ووضعَه على يده، ونظر إلي وتبسَّم ﷺ وقال: «**أبا هِرٍّ**».

قلت: لبيكَ يا رسولَ الله.

فقال: «**بقيتُ أنا وأنت**».

قلت: صدقتَ يا رسولَ الله.

قال: «**فاقعُد واشرب**» فقعدت فشرِبت.

فقال: «**اشربْ**» فشربت.

وقالَ: «**اشربْ**» فشربت، فما زال يقولُ: «**اشرب**» فأشربُ حتى قلت: لا والذي بعثَك بالحقِّ ما أجِدُ له مَسلكًا، ثم أعطيتُه القدحَ ﷺ فحمِدَ الله وشربَ الفضلَة[١].

١٣٥- عن دُكينِ بن سعيدٍ، قال: أتينا رسولَ الله ﷺ في أربع مئة راكبٍ نسأله الطعامَ فقال: «**يا عمرُ اذهب فأطعِمهم وأعطهم**».

فقال: يا رسول الله، ما عندي إلا صاعُ تمرٍ ما تقتات عيالي.

فقال أبو بكر: اسمع وأطِع.

فقال عمر: سمعٌ وطاعةٌ.

فانطلق عمر حتى أتى عُليةً[٢] فأخرجَ مِفتاحًا من حُجْزته[٣] فقال القومُ: ادخلوا، فدخلوا، وكنت آخرَ القومِ دخولًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) (عُليةً): الغرفة، والجمع: العلالي.

(٣) (حُجْزَته) أي: موضع شد الإزار.

فقال: خذوا فأخذَ كلُّ رجلٍ منهم ما أَحَبَّ، ثم التفتُّ إليه وإني لمن آخرِ القومِ وكأنا لم نُرزَأ تمرة[(١)].

١٣٦- عن سمرةَ بن جُندب أن رسولَ الله ﷺ أُتي بقصعةٍ من ثَريدٍ فوُضِعت بين يدي القَومِ فتعاقبوها إلى الظُّهر من غدوةٍ يقومُ قومٌ ويجلس آخرون، فقال رجلٌ لسمُرة: أكانت تُمَدُّ؟

فقال سمرةُ: ومن أي شيء تعجَب؟ ما كانت تُمد إلا من هاهنا، وأشار بيدِه إلى السماء[(٢)].

١٣٧- عن أبي عَمرةَ الأنصاري قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ فأصابَ الناسَ مخمصةٌ فاستأذنَ الناسُ رسولَ الله ﷺ في نحرِ بعض ظهورِهم، وقالوا: يبلِّغنا الله، فلما رأى عمرُ بنُ الخطاب رسولَ الله ﷺ قد هَمَّ بأن يأذَن لهم قال: يا رسولَ الله، كيف بنا إذا نحن لقينا العدوَّ غدًا جياعًا، ولكن إن رأيت يا رسولَ الله أن تدعو الناس ببقايا أزوادِهم، فتجمَعه فتدعو بالبركةِ، فإن الله سيُبلغنا بدعوتِك، أو قال: سيبارِكُ لنا في دعوتِك.

فدعا رسول الله ﷺ ببقايا أزوادِهم فجعلَ الناسُ يجيئون بالحَثيةِ من الطعامِ وفوقَ ذلك، وكان أعلاهُم من جاءَ بصاعٍ فجمعه، فدعا الله بما شاء أن يدعوَ، ثم دعا الجيشَ بأوعيتهم وأمرَهم أن يحتثوا فما بَقيَ في الجيشِ وعاءٌ إلا ملؤوه وبقي مثلُه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٣٨)، وأحمد ٢٩/ ١١٧ (١٧٦١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٢٥).

فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «**أشهد ألا إلهَ إلا الله، وأشهد أني رسولُ الله، لا يَلقى الله عبدٌ مؤمنٌ بهما إلا حُجبت عنه النار يومَ القيامة**»[(١)].

١٣٨- عن يعيشَ بن طلحةَ قال: كان أبي من أهلِ الصُّفةِ قال: فأمر بهم النبيُّ ﷺ قال: فجعلَ الرجلُ يذهب برجلٍ، والرجلُ برجلين حتى بقيتُ خامسَ خمسةٍ.

فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «**انطلِقوا**»، فانطلَقنا معه إلى منزلِ عائشة، فقال: «**يا عائشةُ أطعِمينا**».

فجاءت بحَشيشةٍ فأكلنا، ثم جاءت بحيسةٍ مثل القَطاةِ فأكلنا.

ثم قال: «**يا عائشةُ اسقينا**»، فجاءت بعسٍّ فشربنا.

ثم قال: «**يا عائشة اسقينا**»، فجاءت بقَدحٍ صغير من لبنٍ فشربنا.

ثم قال: «**إن شئتم بِتم وإن شئتم انطلقتُم إلى المسجدِ**»، فقلنا: لا، بل نَنطلقُ إلى المسجدِ[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤/ ١٨٤ (١٥٤٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٤٠).

(٤١) فصل في تحرُّكِ الجبلِ وتسبيحِ الحصا والطعامِ وما في معناه

١٣٩- عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ كان على صخرةٍ على حراءَ، فتحركتْ فقال: «**اسكُني فما عليكِ إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ**». وكان عليها رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ(١).

١٤٠- عن أبي ذرٍّ الغِفاري قال: إني لشاهدٌ عند النبي ﷺ في حلْقةٍ وفي يده حصًا، فسبَّحن في يده وفينا أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، يَسمع تسبيحَهنَّ من في الحلْقَة.

ثم دَفعهن النبيُّ ﷺ إلى أبي بكر فسبَّحنَ مع أبي بكر.

ثم دفعَهن إلى عمرَ فسَبحن في يده يسمعُ تسبيحهُنَّ مَن في الحلقة.

ثم دفعهُن إلى النبي ﷺ فسبحَن في يده يسمعُ تسبيحهن مَن في الحلقة.

ثم دفعهن النبيُّ ﷺ إلى عثمانَ بنِ عفانَ، فسبحن في يدِه.

ثم دفعهن إلينا فلم يسبِّحن مع أحدٍ منَّا(٢).

١٤١- سَمِعَ عبدُ الله بن مسعود بخَسفٍ فقال: كنا أصحابَ محمد ﷺ نعدُّ الآياتِ بركاتٍ، وأنتم تعُدونها تخويفًا، إنَّا بينما نحن مع رسولِ الله ﷺ ليس معنا ماءٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**اطلُبوا من معه فضلُ ماءٍ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٢/ ٥٤٣ (١١٤٦)، والبزار ٩/ ٤٣١ (٤٠٤٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» ٢/ ٥٩ (١٢٤٤).

قال: فأُتي بماء فصبَّه في إناءٍ ثم وضع كفَّه فيه، فجعل الماءُ يخرجُ من بين أصابِعِه، ثم قال: «**حيَّ على الطهورِ المُبارك والبركة من الله**».

قال عبد الله: فشربنا منه، وكنا نَسمعُ تسبيحَ الطعام وهو يُؤكَل[(١)].

عن عائشةَ قالت: لقد تُوفي رسولُ الله ﷺ وما في رفِّي[(٢)] من شيء يأكلُه ذو كبدٍ إلا شطرُ شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكَلتُ منه حتى طالَ عليَّ فكِلتُه ففني[(٣)].

١٤٢- عن جابرٍ: أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ يَستطعِمُ فأطعمَه شطرَ وسْقِ شعيرٍ، فما زالَ الرجل يأكلُ منه وامرأته وضيفُهما حتى كالَه فأتى النبيَّ ﷺ فقال: «**لو لم تكِلْه لأكلتُم منه ولَقامَ لكم**»[(٤)].

١٤٣- عن جابرِ بن عبدِ الله أن أباه استُشهِد يومَ أُحدٍ وترك بناتٍ، وترك عليه دَينا، فلما حضرَ جِدادُ النخل[(٥)] أتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله، قد علمتَ أن والدي استُشهِد يومَ أحد وترك عليه دينًا كثيرًا، وأنا أُحبُّ أن يراك الغُرماءُ.

فقال: «**اذهبْ فبَيدِر[(٦)] كلَّ تمرٍ على ناحية**»، ففعلت، ثم دعوته فلما نظروا إليه أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يَصنَعون أطافَ حول أعظَمِها بيدرًا ثلاث مرات ثم جلسَ عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٣٣)، وأصله في البخاري (٣٥٧٩).
(٢) (رفِّي) الرَّفُّ: خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوقى به ما يوضع عليه.
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥١)، ومسلم (٢٩٧٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٨١).
(٥) (جِدَاد النخل) أي: صرامها وقطع ثمرها.
(٦) (اذهَبْ فبَيْدِر) أي: اجعل كل صنف في بيدر، أي: في جرين يخصه.

ثم قال: «**ادعُ أصحابَك**»، فما زال يَكيلُ لهم حتى أدَّى الله أمانةَ والدي، وأنا والله راضٍ أن يؤدِّي الله أمانةَ والدي ولا أرجعُ إلى أخواتي بتمرةٍ، فسلم الله البيادرَ كلَّها حتى إني لأنظرُ إلى البيدرِ الذي عليه رسولُ الله ﷺ كأنه لم ينتقَص منه تمرةٌ واحدةٌ[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨١).

(٤٢) ذكر الأخبار التي خرّجها أسلافنا في جملة دلائله

١٤٤- عن أبي رافعٍ قال: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وقد جعلنا شاةً في قِدر فقال: «**يا أبا رافعٍ، ناولني الذراعَ**» فناولتُه فانْتَهَسها.

ثم قال: «**ناولني الذراعَ**»، فناولتُه فانتَهَسها.

ثم قال: «**ناولْني الذراعَ**»، فقلت: يا رسولَ الله إنما يكون للشاةِ ذراعان!

فقال: «**لو ناولتَني لم تَزَل تناولني حتى أسكُتَ**».

ثم قامَ يُصلي وما مسَّ ماءً.

قال: ودخل عليَّ يومًا آخرَ وعندي لحمٌ باردٌ فأكل منه، ثم قام فصلى ولم يتوضَّأ[١].

١٤٥- عن أنسِ بن مالكٍ: أن رسولَ الله ﷺ خرجَ حين زاغتِ الشمسُ فصلى الظُهر، فلما سلَّم قام على المِنبر فذكر الساعةَ، وذكر أن بين يديها أُمورًا عظامًا.

ثم قال: «**من أحبَّ أن يسألَ عن شيءٍ فلْيسأل عنه، فوالله لا تَسألوني عن شيءٍ إلا حدثتُكم به ما دُمت في مقامي هذا**».

فأكثر الناسُ البكاءَ حين سمعوا ذلك من رسولِ الله ﷺ أن يقولَ: «**سَلوني سَلوني**» فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، أين مَدخلي؟

قال: «**النارُ**».

(١) أخرجه أحمد ٤٥/ ١٧٢ (٢٧١٩٥).

قال: فقامَ عبدُ الله بن حُذافة فقال: من أبي يا رسولَ الله؟

فقال: «**أبوكَ حُذافةُ**».

ثم أكثر أن يقولَ: «**سلُوني سلُوني**»، فبَرَكَ عمرُ على رُكبتيه، فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، فسكتَ رسولُ الله ﷺ حين قال عمر ذلك.

ثم قال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه لقد عُرِضَت عليَّ الجنةُ والنارُ آنفًا في عرضِ هذا الحائطِ وأنا أُصلي، فلم أرَ كاليومِ في الخيرِ والشرِّ**»[(١)].

١٤٦- عن أبي هريرة قال: يَزعُمون أن أبا هريرةَ يُكثرُ الحديثَ عن رسولِ الله، والله الموعدُ، إني كنت امرءًا مِسكينًا أصحبُ رسولَ الله ﷺ على ملءِ بَطني، وكانتِ الأنصارُ يشغلُهم القيامُ على أموالِهم، وكان المهاجرون يَشغَلهم الصَّفْقُ[(٢)] بالأسواقِ، وإني شهدتُ من رسولِ الله ﷺ يومًا وهو يتكلَّم، فقال: «**من يبسُطُ رداءَه حتى أقضي مَقالَتِي ثم يَقبِضُه إليه فلا يَنسَى شيئًا سمِعه منِّي؟**»

فبسطتُ بُردةً كانت عليَّ حتى إذا قضى مقالَته قبضتُها إليَّ، فوالذي بعثَهُ بالحقِّ ما نَسيتُ شيئًا بعدُ سمعتُه منه[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣)، ومسلم (٢٣٥٩).

(٢) (الصَّفْق): التبايع.

(٣) أخرجه البخاري (١١٩)، ومسلم (٢٤٩٢).

(٤٣) ذكر قصة البعير المتخلف لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١٤٧- عن جابرِ بن عبدِ الله، قال: خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ في غزاةٍ فأبطأَ بي جَملي فأعيا، فأتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وقال لي: «**جابرُ؟**»

قلت: نعم.

قال: «**ما شأنُك؟**»

قلت: أبطَأَ بي جملي؛ فتخلَّفت فنزل فحَجَنَه بمِحجنِة[١]، ثم قال لي: «**اركبْ**»، فركبتُه فلقد رأيتُني أكفُّه عن رسولِ الله ﷺ[٢].

(٤٤) ذكر خبر آخر في نحو من هذا

١٤٨- عن أنسِ بن مالكٍ، قال: فزِعَ الناس فركبَ النبيُّ ﷺ فرسًا لأبي طلحَة بطيئًا، ثم خرجَ يركُض وحدَهُ، وركبَ الناسُ يركضون خلفَه، فقال: «**لن تُراعوا إنه لبَحرٌ**» قال: فوالله ما سُبق بعد ذلك اليومِ[٣].

---

(١) (المِحْجَن): العصا المعوجة الرأس كالصولجان. وحجنه: اجتذبه بالمحجن.
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (٧١٥).
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٦٩).

(٤٥) ذكر خبر آخر فيه نوع من دلالته ﷺ

١٤٩- عن سَفينةَ مَولى رسولِ الله ﷺ قال: كنا مع النبيِّ ﷺ فقال: ابسطْ كِساءَك، فبَسَطتُ كِسائي فأمرَ القومَ أنْ يَطرَحوا متاعَهم في كِسائي، وقال: «**احمِلْ فإنَّما أنتَ سفينةٌ**» قال: ولو كان وقرَ بعيرٍ أو بَعيرين أو ثلاثةٍ أو أربعةٍ أو خمسةٍ لحملتُه[1].

(١) أخرجه أحمد ٣٦/ ٢٥٦ (٢١٩٢٨).

(٤٦) ذكر خبر آخر في نوع من الدلالة أنه ﷺ كان يَرى مَن خلفَه كما يرى مَن بين يديهِ

١٥٠- عن أنسِ بن مالكٍ أن النبيَّ ﷺ قال: «أَتِمُّوا الركوعَ والسجودَ؛ فوالله إني لأراكُم من وراءِ ظهري إذا رَكَعتُم وسجَدتُم»[(١)].

١٥١- عن أبي هريرةَ، أن رسولَ الله ﷺ قال للناسِ: «هل ترونَ قِبلتي ها هنا؟ فوالله ما يَخفَى عليَّ ركوعُكم ولا سجودُكم ولا خُشوعُكم، إني لأراكُم من وراءِ ظَهري»[(٢)].

(٤٧) ذكر خبر آخر في أن النبي ﷺ كان تَنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه

١٥٢- عن عائشةَ، قالت: قلت: يا رسولَ الله، إنك تُوتِرُ قبل أن تنامَ، قال: «يا عائشةُ، إن عيني تنامُ ولا ينامُ قلبي»[(٣)].

١٥٣- عن أنسِ بن مالكٍ أن النبي ﷺ قال: «الأنبياءُ تنامُ أعينُهم، ولا تنامُ قلوبُهم»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٩)، ومسلم (٤٢٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤١٨)، ومسلم (٤٢٣).
(٣) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٠).

(٤٨) ذكر خبر آخر في نوع من دلالته

١٥٤- عن أنس بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يَدخلُ على أمِّ سُليمٍ فتَبسطُ له نِطعًا فيقيلُ عليه، فتَأخذُ من عَرقِه فتَجعلُه في طيبِها(١).

(٤٩) ذكر خبر آخر

١٥٥- عن عبدِ الحميد بنِ جعفر، عن أبيه أن خالدَ بن الوليد فقد قَلنسوَةً له يومَ اليرموك فقال: اطلُبوها فلم يَجدوها، فقال: اطلُبوها فوَجَدوها فإذا هي قَلنسوَةٌ خَلِقة، فقال خالدٌ: اعتَمرَ رسولُ الله ﷺ فحلقَ رأسَه فابتدَرَ الناسُ جوانبَ شَعرِه، قال: فسَبقتُهم إلى ناصِيتِه فجعلتُها في هذه القَلنسوَةِ فلم أشهَد قِتالًا وهي معي إلا رُزِقتُ النصرَ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨١)، ومسلم (٢٣٣١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٤/ ١٠٤ (٣٨٠٤)، والحاكم ٣/ ٣٣٨ (٥٢٩٩).

(٥٠) فصل في ذِكر أخبارٍ في أمور شتَّى دعا بها رسولُ الله ﷺ فاستُجيبَ له

١٥٦- قال عبدُ الله بنُ مسعود: إن الله بعثَ محمدًا عليه السلام بالحقِّ وقال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص:٨٦] وأن النبيَّ ﷺ لما رأى قريشًا اسَتعصَوا عليه دَعا عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**اللهمَّ أعنيِّ عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسفَ**» فأصابَتهم سَنةٌ. أكَلوا فيها الجِيفَ والعِظامَ، وكان يَرى أحدُهم في السماء شبه الدخانِ فأتى أبو سفيانَ رسولَ الله ﷺ فقالَ: إنك جئتَ تأمرُ بصلةِ الرحم وإن قومَك قد هلَكوا فادعُ الله لهم، وهو قولُه: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان:١٠] إلى قولِه: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ [الدخان:١٥] فيَكشفُ عذابَ الآخرةِ إذا جاءَ، ثم عادوا في كُفرِهم، قال: فأخَذَهم الله يومَ بدرٍ، وهو قَولُه: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان:١٦] وقد مَضى الدخانُ، ومَضى اللزام، وهو يومُ بدرٍ، و﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم:١ - ٢] والروم قد مَضى[(١)].

١٥٧- عن أنسِ بن مالكٍ قال: أصابت الناسَ سَنةٌ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فبينا هو على المِنبرِ يخطُب في يوم جُمُعةٍ، قام أعرابي فقال: يا رسولَ الله، هلك المالُ وجاعَ العيالُ فادعُ الله لنا.

قال: فرفع رسولُ الله ﷺ يديهِ وما رُؤيَ في السماءِ قَزَعَةٌ[(٢)]، فوالذي نفسي بيده ما وضعَها حتى ثارَ السحابُ أمثالَ الجبالِ، ثم لم ينزلْ عن منبرِه حتى رأيتُ المطرَ تَحادَرَ على لِحيته، فمُطِرنا يومنَا ذلك، ومن الغدِ، ومن بعدِ الغَدِ، والذي يليه حتى الجُمعةِ الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) (قَزَعَة): سحابة.

فقام ذلك الأعرابيُّ أو رجلٌ غيرُه، فقال: يا رسولَ الله، تهدَّم البناءُ، وغرقَ المال، فادعُ الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللهمَّ حَوالَينا، ولا علينا**».

قال: فما يُشيرُ بيديهِ إلى ناحيةٍ من السحابِ إلا تفرَّجت حتى صارت المدينةُ في مثل الجَوْبَة[١] وحتى سالَ الوادي قناةً شهرًا، وما يأتي أحدٌ من ناحيةٍ إلا أخبرَ أنهم قد أُجيدوا[٢].

١٥٨- عن عليٍّ قال: كنت شاكيًا فمر بي النبيُّ ﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان أجَلي قد حضرَ فأرحْني وإن كان مُتأخرًا فارفَعني، وإن كان بلاءً فصبرني.

فقال رسول الله ﷺ: «**كيفَ قُلتَ؟**» فأعادَ عليه فضربَني برجله، ثم قال: «**اللهمَّ اشفِه**» فما اشتكيتُ وجعي ذلك بعدُ[٣].

١٥٩- عن أنس بنِ مالك، أن عامرَ بنَ الطفيلِ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: أخيِّرك بين ثلاثِ خِصالٍ: أن يكونَ لك أهلُ السهلِ، ويكونَ لي أهلُ الوبرِ، وأكونَ خليفتَك من بعدِك، أو أغزوكَ بغَطفانَ بألفِ أشقرَ وألفِ شقراءَ.

زاد عمرو بن عاصم عن همام، قال: فدعا النبيُّ ﷺ، وقال أبو سعيد: وطُعِنَ في بيتِ امرأةٍ، فقال: غُدَّة كغُدَّة البعيرِ في بيتِ امرأةٍ من بني فلان! إيتوني بفرسي، فركبَ فمات على ظهرِ فرسِه[٤].

---

(١) (الجَوْبَة) أي: الفرجة في السحاب.
(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٦٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩١).

١٦٠- عن ابنِ عباس، أنه سَكبَ للنبيِّ ﷺ وضوءًا فقال: مَن وضعَ لي وضوئي هذا؟، فقالَت أم هانئ: ابنُ أخي فقالَ: «**اللهمَّ فقِّهه في الدينِ، وعلِّمه التأويلَ**»[(١)].

١٦١- عن أنسِ بن مالكٍ، قال: دخلَ رسولُ الله ﷺ على أمِّ سُليمٍ فقالت: يا رسول الله، إن لي خُوَيْصَةً[(٢)]: خادمُك أنس.

قال: فدعا لي بخيرِ الدنيا والآخرةِ، وقال: «**اللهمَّ ارزُقْه مالًا وولدًا، وبارِكْ له**» فإني لَأكثرُ الأنصارِ ولدًا.

قال أنس: فأخبرَتني ابنتي أُمَينةُ أنه قد دُفنَ من صُلبي إلى مَقدِم الحَجاجِ البصرةَ بضعٌ وعشرونَ ومئة[(٣)].

١٦٢- عن سلمةَ بنِ الأكوعِ أن رجلًا كان يأكلُ عند النبي ﷺ بشِماله فقال له رسولُ الله ﷺ: «**كُلْ بيمينِك**».

فقال: لا أستطيعُ.

فقال النبي ﷺ: «**لا استَطَعتَ**».

قال: فما رَفَعَها بعدُ إلى فيه[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥، ١٤٣)، وأحمد ٤/ ٢٢٥ (٢٣٩٧).
(٢) (إن لي خُوَيْصَة) تصغير خاصة أي: حاجة خاصة.
(٣) أخرجه البخاري (١٩٨٢)، ومسلم (٦٦٠).
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

١٦٣- عن ابنِ عباسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كما أذَقتَ أولَ قريشٍ نكالًا، فأذِق آخرَهم نوالًا**»[(١)].

١٦٤- عن جريرٍ، قال: كنت لا أثبُتُ على الخيلِ فذكرت ذلك لرسولِ الله ﷺ، فضرَب بيده على صدري حتى رأيتُ أثرَ يدِه على صدري، فقال: «**اللهمَّ ثبِّتهُ واجعلهُ هاديًا مهديًّا**» فما سقطت عن فرَسٍ بعده[(٢)].

١٦٥- عن أبي نَهيك الأزدي، حدثني عمرو بنِ أخطبَ قال: استَسقى رسولُ الله ﷺ فأتيتُه بجُمجمَةٍ وفيها ماءٌ، وفيها شَعرةٌ فرَفعتُها، فناوَلتُه فنظرَ إليَّ فقالَ: «**اللهمَّ جمِّله**» قال: فرأيتُه وهو ابنُ ثلاثٍ وتسعينَ سنةً، وما في رأسِه ولِحيتِه شَعرةٌ بيضاءُ[(٣)].

١٦٦- عن عمرو بنِ ميمون، حدثنا عبدُ الله بنُ مسعود في بيتِ المال، قال: بينما رسولُ الله ﷺ يُصلي عندَ الكعبةِ وجمعٌ من قريشٍ يَنظرونَ، قال قائلٌ منهم: ألا ترونَ إلى هذا المُرائي، أيُّكم يقومُ إلى جَزورِ آلِ فلان فيعمدُ إلى فَرثِها، ودمِها، وسَلاها، حتى إذا سجدَ رسولُ الله ﷺ وضعَه بين كتفَيه، فانطلقَ أشقاهم، فجاءَ به حتى إذا سجدَ رسولُ الله ﷺ وضعَه بين كتفَيه، وثَبتَ رسولُ الله ﷺ ساجدًا، وضحِكوا حتى مالَ بعضُهم على بعضٍ من الضحكِ، فانطلقَ مُنطلِقٌ إلى فاطِمةَ وهي جُويريةٌ فأقبَلت تَسعى، وثبتَ رسولُ الله ﷺ ساجدًا حتى نحَّتْهُ عنه، فأقبلَت عليهم تَسُبُّهم فلما قَضى النبيُّ ﷺ صلاتَه استقبلَ الكعبةَ فقال: «**اللهمَّ**

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٠٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥٧)، ومسلم (٢٤٧٥).
(٣) أخرجه أحمد ٣٧/ ٥٢٢ (٢٢٨٨٣).

عليك بقريشٍ» ثم سمَّاهم فقال: «**اللهمَّ عليك بعمرو بنِ هشام، وشيبةَ، والوليدِ بنِ عتبةَ، وأميةَ بنِ خلفٍ، وعقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ، وعمارةَ بنِ الوليدِ**» قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: فوالذي تَوفى نَفسَه لقد رأيتُهم صَرعى يُسحبون إلى القَليبِ -قَليبِ بدرٍ- ، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ أتبِع أهلَ القليبِ لعنةً**»[(١)].

١٦٧- عن عُروةَ بنِ أبي الجعدِ البارقيِّ، قال: أعطاني رسولُ الله ﷺ دينارًا وأمرني أن أشترِيَ له أضحيَّةً، فاشتريتُ، ثم عرَض لي رجلٌ فسامني بها فبِعتُها منه بدينارَين، فأخذت الدينارَ، فاشتريتُ به أضحيَّةً، فأتيتُ بها رسولَ الله ﷺ، وبالدينارِ فقبِلَها منيِّ ودعا لي أن يبارَك لي في صَفقتي؛ فما اشتريتُ شيئًا إلا ربِحت فيه[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠، ٣٨٥٤)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٢).

(٥١) ذكرُ أخبارٍ في دلائلَ من جهَة معالجاتٍ في أدواءٍ وأمراضٍ مختلفة

١٦٨- عن أم جُندبٍ، قالت: رأيتُ النبيَّ ﷺ اتبعتْه امرأةٌ من خَثعَم ومعها صبيٌّ لها به بلاءٌ، فقالت: يا رسولَ الله، إن صبيِّي هذا وبقيةَ أهلي به بلاءٌ لا يتكلَّم.

فقال رسول الله عليه السلام: «**إيتوني بِشيءٍ من ماءٍ**»، فأُتي بماءٍ فغسل يديهِ، ثم مَضمَضَ فاهُ، ثم أعطاها فقال: «**اسقِيه منه وصُبِّي عليه منه واستشفي الله له**».

قال: فلقيتُ المرأةَ، فقلت: لو وهَبتِ لي منه.

فقالت: إنها هو لهذا المُبتَلى.

قالت: فلقيتُ المرأةَ من الحَولِ فسألتُها عن الغلامِ، فقالت: برِئَ وعقلَ عقلًا ليس كعُقولِ الناسِ[١].

١٦٩- عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ قال: شَكوتُ إلى رسولِ الله ﷺ سوءَ حِفظي القُرآن فقال: «**ذاكَ شَيطانٌ يقالُ له: خَنزَب، ادنُ مِنِّي يا عثمانُ**» ثم تَفلَ في فَمي، فوَضعَ يدَه على صَدري فوَجدتُ بردَها بين كَتفَيَّ، وقال: «**يا شيطانُ، اخرُج من صَدرِ عثمانَ**» قال: فما سَمعتُ شيئًا بعدَ ذلك إلا حَفِظتُه[٢].

١٧٠- عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ، شَكى إلى النبيِّ ﷺ الوَسوسةَ في الصلاةِ، فقال: «**ذاكَ شيطانٌ يقالُ له: خنزَب، فإذا وجَدَ أحدُكم منه شيئًا فليتفُل عن يسارِه ثلاثًا ثلاثًا وليتعوَّذ بالله منه**»[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٣٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٥٤٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

١٧١- عن عثمانَ بنِ حنيف، أن أعمى أتى النبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله، علِّمني دعاءً أدعو به يردُّ الله عليَّ بصَري، فقالَ: «**قل: اللهمَّ إني أسألُك وأتوجَّه إليك بنَبيِّك نبيِّ الرحمةِ: يا محمدُ، قد تَوجَّهتُ بك إلى ربي، اللهمَّ شفِّعه فيَّ، وشفِّعني في نَفسي**» فدَعا بهذا الدعاءِ فقامَ وقد أبصرَ(١).

١٧٢- عن محمدِ بن حاطبٍ، عن أُمِّه أمِّ الجميلِ بنت المجَلِّلِ، قالت: أقبلتُ بك من أرضِ الحَبشةِ حتى إذا كنتُ من المدينةِ على ليلةٍ أو ليلتينِ طبختُ لك طَبيخًا، ففَني الحطبُ فخرجتُ أطلُبه، فتناوَلتَ القِدرَ فانكَفَأَتْ على ذِراعِك، فقدِمتُ بك المَدينةَ، فأتيتُ بك النبيَّ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، هذا محمدُ بنُ حاطب، وهو أولُ مَن سُمِّي بك، فمسحَ يدَه على رأسِك، ودَعا لك بالبَركةِ، وتَفلَ في فيكَ، ثم جعلَ يتفُلُ على يدِك، ويَقولُ: «**أذهِبِ الباسَ، رَبَّ الناسِ، واشفِ أنت الشَّافي، لا شفاءَ إلا شفاؤُك، شفاءً لا يغادِرُ سقمًا**» قالَت: فما قُمتُ بك مِن عنده حتى بَرَأت يَدُك(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٥)، والحاكم ١/ ٧٠٧ (١٩٢٩).

(٢) أخرجه أحمد ٢٤/ ١٩١ (١٥٤٥٣).

(٥٢) فصل في ذِكرِ ما جرى من الآياتِ في غَزواتِه وسراياه

وفي جميعِ ذلك دليلٌ على ما قلنا من أنه ﷺ لم يخلُ شيءٌ من أحوالِه عن آيةٍ شاهدةٍ له ومعجزةٍ جاريةٍ على يديه، وخليقٌ كون ذلك له؛ إذ النبوةُ مختومةٌ والشريعةُ قائمةٌ به إلى قيامِ الساعةِ ﷺ.

١٧٣- عن عليٍّ وذكر قصةَ بدرٍ، قال: قَتَلنا منهم سبعين وأسرنا منهم سبعينَ، قال: فجاء رجلٌ من الأنصارِ -قصير- بالعباسِ أسيرًا.

فقال العباس: يا رسولَ الله، إن هذا والله ما أَسَرني، لقد أسرَني رجلٌ أجلحُ من أحسنِ الناس وجهًا على فرسٍ أبلقَ ما أُراهُ في القومِ.

فقال الأنصاريُّ: أنا أسرتُه يا رسولَ الله.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**اسكُت، لقد أيَّدَك الله بملَك كريمٍ**»(١).

١٧٤- عن أبي أُمامة بن سهلٍ قال: قال لي أبي: يا بُنيَّ لقد رأيتُنا يومَ بدرٍ وإن أحدَنا ليُشيرُ بسيفِه إلى رأسِ المشرك فيقع رأسُه عن جسده قبل أن يصِل إليه(٢).

١٧٥- عن جابرِ بنِ عبدِ الله قال: سمعتُ صوتَ حصياتٍ وقَعن من السماءِ يومَ بدرٍ كأنَّهن وقعنَ في طستٍ. فلما اصطفَّت الناسُ أخذَهن رسولُ الله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٥٩-٢٦١ (٩٤٨)، وأصله في البخاري (٣٩٦٥).

(٢) أخرجه الطبري في «التاريخ» ٢/ ٤٥٤، والطبراني في «الكبير» ٦/ ٧٤ (٥٥٥٦)، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ٤٦٣ (٥٧٣٦).

ﷺ فرمى بهن في وُجوه المُشركينَ فانهزَموا. فذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] الآية[١].

١٧٦- عن أبي أُسيدٍ مالكِ بن ربيعةَ -وكان قد شهِد بدرًا- قال -بعد أن ذَهَبَ بصرُه-: لو كنت معكُم اليومَ ببدرٍ ومعي بصري لأريتُكم الشِّعب الذي خرَجَت منه الملائكةُ لا أشكُّ ولا أتمارى[٢].

١٧٧- عن عبدِ الله بن عباسٍ قال: كان سيما الملائكةِ يومَ بدر عمائمُ بيض أرسَلوها في ظهورِهم، ويوم حُنينٍ عمائم حمرٍ، ولم تقاتلِ الملائكة في يومٍ سوى يوم بدرٍ من الأيامِ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيامِ عددًا ومددًا لا يضرِبون[٣].

١٧٨- عن عمرَ بن الخطابِ قال: لما كان يومُ بدرٍ نظرَ نبي الله ﷺ إلى المُشركين وهم ألفٌ، وأصحابُه ثلاث مئةٍ وثلاثة عشَر رجلًا، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القِبلة، ثم مد يديه فجعل يهتِف بربِّه: «**اللهمَّ أنجِز لي ما وعدتني، اللهمَّ أين ما وعدتني؟ اللهم إنك إن تُهلِك هذه العِصابة[٤] من أهلِ الإسلام لا تُعبدُ أبدًا في الأرضِ**».

فما زال يهتِف به مادًّا يديه مُستقبلَ القبلة حتى أسقطَ رداءَه عن مَنكِبيه فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءه، فألقاه على منكِبَيه، ثم التزَمَه من ورائه، فقال: يا نبيَّ الله، كذلك مناشدتُك ربك؟! فإنه سينجِز لك ما وعدَك.

---

(١) أخرجه قوام السنة في دلائل النبوة (٣٣٠).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢، والطبراني في «الكبير» ١٩/ ٢٦٠ (٥٧٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٥٢.
(٣) أخرجه الطبري في «التفسير» ٦/ ٢٣، والطبراني في «الكبير» ١١/ ٣٨٩ (١٢٠٨٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٥٧.
(٤) (العِصَابة): الجماعة.

فأنزلَ الله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ [الأنفال: ٩] فأمدَّه الله بالملائكةِ.

١٧٩- وقال ابن عباسٍ: بينما رجلٌ من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في أثَرِ رجلٍ من المشركين إذ سمعَ ضربةً بالسوطِ وصوتَ الفارسِ يقول: أقدِم حَيزومُ. إذ نظر إلى المشرِك أمامَه فخرَّ مُستلقيًا، فنظرَ إليه فإذا هو قد خُطَّ على أنفِه وشُقَّ وجهُه كضربةِ السوطِ فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاريُّ فحدَّث ذاك رسولَ الله ﷺ فقال: «**صَدَقتَ، ذاك من مَددِ السماء الثالثةِ**». فقَتلوا يومئذ سبعين وأَسَروا سبعين.

قال ابن عباسٍ: فلما أسروا الأُسارى قال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا بكرٍ، وعليٌّ وعمرُ ما ترونَ في هؤلاء الأُسارى؟**»

فقال أبو بكرٍ: هم بنو العمِّ والعَشيرةِ؛ أرى أن تأخُذ منهم الفِداءَ؛ يكون لنا قوَّةً على الكفارِ، فعسى الله أن يَهدِيَهم للإسلام.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما تَرى يا ابنَ الخطابِ؟**»

قلت: لا والله، ما أرى الذي رأى أبو بكرٍ، ولكن أرى أنْ تمكِّنا منهم، فنَضرِبَ من أعناقِهم: فتمكن عليًّا من عقيلٍ فيضرب عنُقَه، وتمكني من فلان - نسيب لعمر - فأضرِبَ عنقَه، فإن هؤلاء أئمةُ الكفرِ وصناديدُها.

فهوِي رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ، ولم يهوَ ما قال عمر، فلما كان من الغَد جئتُ فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ قاعدان يَبكيان، فقلت: يا رسولَ الله، أخبرني مِن أيِّ شيء تبكي أنت وصاحبُك، فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ وإن لم أجد تباكيتُ؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أبكي للذي عُرِضَ عليَّ في أصحابي من أخْذِ الفداءِ،**

عُرِضَ عليَّ عذابُكم أدنى من هذه الشجرةِ» شجرةٍ قريبةٍ من نبي الله عليه السلام، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧] فأحلَّ الله لهم الغنيمةَ[١].

١٨٠- عن أنسٍ قال: أنشأ عمرُ بنُ الخطابِ يُحدثنا عن يوم بدرٍ فقال: إن رسولَ الله ﷺ ليُخبرُنا بمَصارعِ القومِ بالأمس: «**هذا مصرعُ فلان إن شاء الله غدًا، هذا مصرعُ فلان إن شاء الله غدًا**».

فوالذي بعثَهُ بالحق ما أخطؤوا تلك الحُدودَ، جعلوا يُصرَعون عليها، ثم أُلقوا في القَليبِ وجاء النبيُّ عليه السلام فقال: «**يا فلانُ بن فلان، يا فلان بن فلان، هل وجدتُم ما وَعَدَ ربُّكم حقًّا؟**»

فقلت: يا رسولَ الله، أتكلِّم أجسادًا لا أرواحَ فيها.

فقال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما أنتُم بأسمعَ منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يَرُدُّوا عليَّ**»[٢].

١٨١- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ: أن سعدَ بن مُعاذٍ خرج مُعتمرًا، فنزلَ على أميةَ بنِ خلفٍ، وكان أميةُ إذا خرجَ إلى الشامِ نزل على سعدٍ، فقال له: أمهِل حتى يَسكُن أو يهدَأَ الناسُ ثم تطوفُ بالبيت.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٣).

فبينا هو يطوفُ بالبيت إذ رآه أبو جهلٍ، فقال: من ذا الذي يطوفُ بالبيتِ. قال: أنا سعدُ بنُ معاذٍ قال: تطوفُ بالبيت وقد آويتُم محمدًا وأصحابَه؟!

فقال له سعدٌ: والله لئن مَنَعتَني لأقطعَنَّ عليك مَتجَرَك من الشامِ، فجعل أميةُ يُمسِك سعدًا: لا تَرفَعْ صوتَك على أبي الحكَمِ؛ فإنه سيدُ أهلِ الوادي فغضِبَ سعدٌ، فدفع في صدرِ أُميةَ، فقال: دعنا عنك فقد سمعتُ محمدًا ﷺ يزعُمُ أنه قاتلُك.

قال: إيايَ؟

قال: نعم.

قال: فوالله ما يكذِبُ محمدٌ.

فلما رجعَ إلى أُمِّ صفوان فقال لها: أما تعلمين ما قال أخي اليَثربي؟

قالت: وما قال لك؟

قال: زعمَ أنه سمعَ محمدًا يزعمُ أنه قاتلي.

قالت: فوالله ما يَكذِبُ محمدٌ.

فلما جاء الصريخُ فخرجوا إلى بدرٍ قالت له امرأتُه: أما تذكُرُ ما قال أخوك اليثربيُّ؟

فأراد أن يقعدَ، فقال له أبو جهلٍ: إنك من أشرافِ أهلِ الوادي فسِرْ معنا يومًا أو يومين. فسارَ معهم فقَتَلَهُ الله[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٢).

١٨٢- عن جبيرِ بن مُطعمٍ قال: لقد رأيتُ أو رأينا قبلَ هزيمةِ القوم -وهم يَقتتلون- مثل البِجادِ الأسودِ أقبلَ من السماءِ حتى وقعَ إلى الأرضِ بيننا وبينهم، قال: فنظرتُ فإذا نملٌ مَبثوثٌ حتى امتلأَ الوادي لم أشكَّ أنها الملائكةُ، ولم تكن إلا هزيمةُ القومِ(١).

١٨٣- عن عروةَ بن الزبيرِ قال: جلسَ عُميرُ بن وهبٍ الجُمحيُّ مع صفوانَ بن أميةَ بعد مُصابِ أهلِ بدرٍ من قريشٍ بيسيرٍ وهو في الحِجرِ، وكان عميرُ بنُ وهب شيطانًا من شياطين قريشٍ، وممَّن كان يؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، ويَلقون منه عناءً وهو بمكةَ، وكان ابنُه وهبُ بنُ عميرٍ في أُسارى أصحابِ بدرٍ.

قال: فذكرَ أصحابَ القليبِ ومصابَهم.

فقال صفوانُ: والله إنْ في العيشِ خيرٌ بعدَهم.

فقال له عميرٌ: صدَقتَ والله، أما والله لولا دَينٌ عليَّ ليس عندي قضاءٌ له، وعيالٌ أخشى عليهم الضيعةَ بعدي، لركِبتُ إلى محمدٍ حتى أقتلَه؛ فإن لي قبلَهُم عِلَّةً؛ ابني أسيرٌ في أيديهم.

فاغتنمَها صفوانُ بن أميةَ فقال: عليَّ دينُك، أنا أَقضيهِ عنك، وعيالُك مع عيالي أَمُونُهم ما بَقوا، لا يَسعُهم شيءٌ ويعجز عنهم.

قال عميرٌ: فاكتُم عليَّ شأني.

قال: أفعلُ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٦١.

قال: ثم أمرَ عُميرٌ بسيفِه فشُحِذَ له وسُمَّ، ثم انطلَقَ حتى قدِمَ المدينةَ، فبينا عمرُ بنُ الخطابِ في نفرٍ من المسلمينَ في المسجدِ يتحدَّثون عن يومِ بدرٍ، ويَذكرون ما أكرَمَهم الله به وما أراهم من عدوِّهم إذ نظرَ عمرُ إلى عميرِ بن وهبٍ حين أناخَ على باب المسجدِ متوشِّحًا السيف فقال: هذا الكلبُ عدوُّ الله عميرُ بنُ وهبٍ ما جاء إلا بِشرٍّ، وهو الذي حرَّش بيننا وحَزَرَنا يوم بدرٍ.

ثم دخلَ على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله، هذا عدو الله عُميرُ بنُ وهبٍ، قد جاء مُتوشحًا سيفَه.

قال: فأَدخَلَهُ عليه.

قال: فأقبلَ عمرُ حتى أخذَ بحمَالةِ سيفِه في عُنقِه فلبَّبه به. فقال لرجالٍ ممن كان معه من الأنصارِ: ادخُلوا على رسولِ الله فاجلِسوا عنده واحذَروا هذا الخبيثَ؛ فإنه غيرُ مأمون، ثم دخلَ به على رسولِ الله ﷺ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ وعمرُ آخذٌ بحمالةِ سيفِه في عنقه.

قال: «**أرسلْهُ يا عمرُ، ادنُ يا عُميرُ**» فدنا.

ثم قال: أنعِموا صباحًا. وكانت تحيةَ أهل الجاهلية بينهم.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**قد أكرَمَنا الله بتحيةٍ خيرٍ من تحيَّتِك يا عميرُ: بالسلامِ، تحيةِ أهلِ الجنة**».

قال: أما والله إن كنتُ يا محمدُ لحديثُ عهدٍ بها.

قال: «**فما ذاك يا عُميرُ؟**»

قال: جئتُك لهذا الأسيرِ الذي في أيديكم فأحسِنوا فيه.

قال: «**فما بالُ السيفِ في عنقِك؟**» قال: قبَّحَها الله من سيوفٍ، وهل أغنَت شيئًا؟

قال: «**اصدُقني، ما الذي جئتَ له؟**»

قال: ما جئتُ إلا لذلك.

قال: «**بل قعدتَ أنت وصفوانُ في الحِجر فذكرتُما أصحابَ القَليبِ من قريشٍ ثم قلتَ: لولا دَينٌ عليَّ وعيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتلَ محمدًا، فتحمَّل صفوانُ بدينِك وعيالِك؛ على أن تقتُلني، والله حائلٌ بينك وبين ذلك**».

قال عميرٌ: أشهدُ أنك رسولُ الله؛ قد كنا نُكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبرِ السماءِ وما ينزلُ عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضُرهُ إلا أنا وصفوانُ، فوالله إني لأعلمُ أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمدُ لله الذي هداني للإسلامِ وساقَني هذا المساق.

ثم شهد بشهادةِ الحقِّ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**فقِّهوا أخاكُم في دينِه، وأَقرِئوهُ القرآنَ، وأطلِقوا له أسيرَه**»

قال: ففعلوا.

ثم قال: يا رسولَ الله، إني كنت جاهدًا على إطفاءِ نورِ الله، شديدَ الأذى لمن كان على دينِ الله، وإني أُحبُّ أن تأذَنَ لي فأقدَمُ مكةَ فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلامِ؛ لعلَّ الله أن يهديَهم وإلا آذيتُهم في دينِهم كما كنت أُوذي أصحابك.

قال: فأذِن له رسولُ الله ﷺ، فلحقَ بمكةَ وكان صفوانُ بن أميةَ حين خرج عميرُ بن وهبٍ يقول لقُريش: أبشِروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيامٍ تُنسيكُم وقعةَ بدرٍ.

وكان صفوانُ يسألُ عنه الركبانَ حتى قدمَ راكبٌ فأخبره بإسلامِه، فحلف ألا يكلِّمَهُ أبدًا ولا ينفعَه بنفعٍ أبدًا، فلما قدِم عميرٌ مكة أقام بها يدعو إلى الإسلامِ ويُؤذي من خالفه أذىً شديدًا، فأسلمَ على يده ناسٌ كثيرٌ[1].

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٧٢، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٤٧.

(٥٣) ومن الأخبارِ في غزوة أُحدٍ من الدلائل

١٨٤- عن محمدِ بن إسحاقَ حدثني صالحُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ أن أُبيَّ بنَ خلفٍ كان يَلقى رسولَ الله ﷺ بمكةَ فيَقولُ: يا محمدُ، إن عندي فرسًا أعلفُه كلَّ يوم فرقًا من ذرةٍ؛ أقتُلك عليه. فيقولُ رسولُ الله: «**بل أنا أقتُلك إن شاءَ الله**» فلما كان يومُ أحدٍ طعنَه رسولُ الله ﷺ في عنقِه طَعنةً تدأدأ منها عن فرسِه مِرارًا. فلما رجعَ إلى قريشٍ وقد خدشَه في عنقِه خَدشًا غيرَ كبيرٍ فاحتقنَ الدمُ قال: قتَلني والله محمدُ. قالوا: ذهبَ الله فؤادُك، إن بك بأس! قال: إنَّه قد كان قال لي بمكةَ: «**أنا أقتُلك إن شاء الله**» فوالله، لو بصقَ عليَّ لقتلَني. فمات عدوٌّ الله بسرفٍ وهُم قافِلون به إلى مَكةَ[١].

١٨٥- عن قتادةَ بن النعمان: أنه أصيبَت عينُه يوم أحد فسالت حدقتُه على وجنتِه، فأرادوا أن يَقطَعوها فسألوا النبيَّ ﷺ.

فقال: «**لا**».

فدعا به فغَمزَ عينه براحَته، فكان لا يدري أيَّ عينيه أصيبَت[٢].

١٨٦- عن حنظلةَ بن أبي عامرٍ أخِي بني عمرِو بن عوفٍ أنه التقى هو وأبو سفيانَ بنُ حربٍ فلما استعلاه حنظلةُ رآه شدادُ بن الأسودِ -وكان يُقال له: ابن شعوب- قد علا أبا سفيان فضربهُ شدادٌ فقتله.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٣٣١).

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٣/ ١٢٠ (١٥٤٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٠٠.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن كان صاحِبَكم -يعني: حنظلة- لتغسِّلُه الملائكةُ، فاسألوا أهلَهُ ما شأنه؟**»

فسئلت صاحبتُه فقالت: خرجَ وهو جُنبٌ حين سمعَ الهائعةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لذلك غسَّلته الملائكةُ**»[(١)].

١٨٧- عن أنسٍ: أن أبا طلحةَ قال: رفعتُ رأسي يومَ أحدٍ فإذا ليس أحدٌ منهم إلا وهو تحت حجفتِهِ يميدُ من النعاسِ، وذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عِمران:١٥٤][(٢)].

---

(١) أخرجه ابن حبان ١٥/ ٤٩٥-٤٩٦ (٧٠٢٥)، والحاكم ٣/ ٢٢٥ (٤٩١٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٤٦.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠٧)، وأصله في البخاري (٤٠٦٨).

(٥٤) غزوة بني النضير وما عصم الله به نبيه ﷺ من غدرهم وما هموا به من قتله

١٨٨- عن ابنِ عباسٍ في قولِه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ [المائدة:١١] وذلك أنَّ عمرو بنَ أميةَ الضَّمري حيث انصرفَ من بئرِ مَعونةَ لقيَ رَجُلين كلابِيَّين معهما أمانٌ من رسولِ الله ﷺ، فقتلَهما، ولم يعلمْ أنَّ معهما أمانًا من النبيِّ ﷺ فوَداهما رسولُ الله ﷺ، ومضى إلى بني النضيرِ معه أبو بكر وعُمرُ وعلي فتَلَقَّوه بنو النضيرِ، فقالوا: مَرحبًا يا أبا القاسمِ، ماذا جئتَ له؟ قال: «**رجلٌ من أصحابي قتلَ رجلَينِ من بني كِلابٍ معهما أمانٌ مني فطُلبَ مني ديتُهما، فأريدُ أن تُعينوني**» قالوا: نَعم، والحبُّ لك والكرامةُ يا أبا القاسمِ، اقعُد حتى نجمعَ لك، فقعدَ رسولُ الله ﷺ تحت الحِصنِ، وأبو بكر عن يَمينه وعمرُ عن يسارِه وعليٌّ بين يديه، وقد توامرَ بنو النضيرِ أن يَطرحوا عليه حجرًا -وقال بعضُ أهل العلمِ: بل ألقَوا فأخذَه جبريلُ عليه السلام وأخبرَ النبيَّ ﷺ بما تَوامرَ الفَسقةُ وما هَموا به- فقام رسولُ الله ﷺ، واتبَعه أبو بكر وعمرُ وعليٌّ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ﴾ [المائدة:١١] الآية[(١)].

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٨٠، وانظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٥٦٣.

(٥٥) غَزوةُ ذات الرِّقاع

١٨٩- عن جابرِ بن عبدِ الله قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاعِ على جملٍ لي ضعيفٍ، فلما قَفَلَ رسولُ الله ﷺ جَعَلَت الرفاقُ تمضي، فجَعَلْتُ أتخلَّف حتى أدركني رسولُ الله ﷺ فقال: «**ما لك يا جابرُ؟**»

قلت: يا رسولَ الله، أبطأ بي جَملي.

قال: «**فأنِخهُ**» وأناخَ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «**أعطني هذه العصا من يدِك أو اقطَع لي عصًا من شجرةٍ**».

قال: ففعلت فأخذَه رسولُ الله ﷺ فنخَسه به نخَساتٍ، ثم قال: «**اركب**» فركبتُ فخرجَ -والذي بعثه بالحقِّ- يُواهِقُ ناقتَه[1] مُواهَقَةً[2].

١٩٠- عن جابرِ بن عبدِ الله قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوةِ ذات الرقاعِ حتى إذا كنا بحرَّةِ واقم عَرضت امرأةٌ بدويةٌ بابن لها فجاءت إلى رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، هذا ابني قد غلبَني عليه الشيطان.

فقال: «**أدنيه مني**» فأدنَتهُ منه.

فقال: «**افتحي فمَه**» ففتحته، فبسقَ فيه رسولُ الله ﷺ فقال: «**اخسَأ عدوَّ الله، أنا رسولُ الله**» قالها ثلاثًا، ثم قال: «**شأنَكِ بابنِك، ليس عليه بأسٌ، لن يعودَ إليه شيءٌ مما كان يصيبُه**».

---

(١) (يُواهِقُ ناقتَه مُوَاهَقَةً) يُواهِقُ: يباري في السير ويماشي، ومُواهَقَة الإبل: مد أعناقها في السير.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (٧١٥).

ثم أقبلنا راجعين حتى إذا كنا بحرَّةٍ عرضت لنا الأعرابيةُ التي جاءت بابنِها بوطَب[١] من لبنٍ وشاةٍ فأهدته له ﷺ فقال: «**ما فعلَ ابنُك؟ هل أصابه شيء مما كان يُصيبه؟**»

قالت: والذي بعثَك بالحقِّ، ما أصابهُ شيء مما كان يصيبُه. وقَبِلَ هديَّتَها[٢].

قال الشيخُ -أسعده الله-: وفي هذه الغزوةِ قصةُ الأشاءتينِ واجتماعِهما لاستتارةِ النبيِّ ﷺ بهما عندَ حاجتِه ورجوعِهما إلى مغرسِهما[٣].

١٩١- وفيها أيضًا: قصةُّ غورثِ بنِ الحارثِ المحاربيِّ لما استَلَّ على النبيِّ عليه السلام سيفَه فقال: مَن يمنعُك مني؟ فقال: «**الله**» فأخذَه راجفٌ، فسقطَ السيفُ من يدِه[٤].

١٩٢- وفيها أيضًا قصةُّ الجملِ الذي بركَ بين يديِ النبيِّ ﷺ ساجِدًا[٥]، وشكَواه إليه لما هَموا بنَحرِه.

في غيرِ ذلك من الآياتِ قد تقدَّم ذكرُها في أبوابِها.

(١) (بوَطَب) الوَطَب: الزق الذي يكون فيه السمن واللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣٢١ (٣١٧٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٩١١٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ١٨.
(٣) تقدم (٢١٠).
(٤) أخرجه البخاري (٢٩١٠، ٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣).
(٥) أخرجه أحمد ٢٢/ ٢٣٥ (١٤٣٣٣).

(٥٦) ومن الأخبارِ في غزوةِ الخَندق وبني قُريظة

١٩٣- عن البراءِ بن عازبٍ قال: لما كان حين أمرَنَا رسولُ الله ﷺ بحفر الخندقِ، وعرضت لنا في بعضِ الخندق صخرةٌ عظيمة شديدةٌ، لا تَأخذ فيها المعاول.

قال: فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ، فجاء رسولُ الله، فلما رآها ألقى ثوبَه، وأخذ المِعول فقال: «**بسم الله**» ثم ضرب ضربةً فكسر ثلثَها.

وقال: «**الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأُبصرُ قصورَها الحمرَ الساعة**».

ثم ضرب الثانية فقطع ثلثًا آخرَ، فقال: «**الله أكبر، أعطيتُ مفاتيحَ فارسَ، والله إني لأبصر قصرَ المدائن الأبيضَ**».

ثم ضرب الثالثة وقال: «**بسم الله**» فقطع بقية الحجر، فقال: «**الله أكبر، أعطيتُ مفاتيحَ اليمن، والله إني لأبصِرُ أبوابَ صنعاء من مكاني هذه الساعةَ**»(١).

١٩٤- عن محمدِ بن إسحاقَ، حدثني سعيدُ بن مينا أنه حدثَ أن ابنةً لبشيرِ بنِ سعد أُختَ النعمانِ بن بشيرٍ قالت: دعَتني عَمرةُ بنتُ رواحةَ فأعطَتني حفنةً من تمرٍ في ثَوبي، ثم قالَت: يا بُنية، اذهَبي إلى أبيكِ وخالكِ عبدِ الله بنِ رواحةَ بغدائِهما. قالَت: فأخذتُها فانطلَقتُ بها، فمررتُ برسولِ الله ﷺ، وأنا ألتمسُ أبي وخالي، فقالَ: تعالي يا بُنيَّة. «**ما هذا معك؟**» فقلتُ: يا رسولُ الله، هذا تمرٌ بعثَتني

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٨٦ (٣٧٩٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» ٨/ ١٣٤، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤٢١.

به أمي، إلى أبي بشيرِ بن سعد، وخالي عبدِ الله بن رواحةَ يتغدَّيا به قال: «**هاتِ**» قالت: فصببتُه في كفَّي رسولِ الله ﷺ فما ملأَهما، ثم أمرَ بثوبٍ فبُسطَ له، ثم دَحا التمرَ عليه فتبددَ فوق الثوبِ، ثم قال لإنسانٍ عنده: «**اصرُخ في أهلِ الخندقِ أن هلُمَّ إلى الغداءِ**» فاجتَمع أهلُ الخندقِ عليه، فجعَلوا يأكلون منه، وجعلَ يزيدُ، حتى صدرَ أهلُ الخندقِ عنه، وإنه ليسقطُ من أطرافِ الثوبِ(١).

١٩٥- عن جابرِ بن عبدِ الله: كنا مع رسولِ الله ﷺ يومَ الخندقِ نحفِرُ فيه فلبثنا ثلاثةَ أيامٍ لا نَطعم شيئا، ولا نقدِرُ عليه فعَرضَت في الخندقِ كُدْيةٌ(٢) فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كديةٌ قد عرضتْ في الخندقِ فرَشَشنا عليها الماءَ، فقام رسولُ الله ﷺ وبطنُه معصوبٌ بحَجرٍ، فأخذَ المِعولَ أو المِسحاة، ثم سمى ثلاثًا، ثم ضربَ فعادَت كثيبًا أهيلَ.

فلما رأيتُ ذلك من رسولِ الله ﷺ قلت: يا رسولَ الله ائذَن لي، فأذن لي، فجئتُ إلى امرأتي فقُلتُ: ثَكلَتكِ أمُّكِ، إني قد رأيت من رسولِ الله ﷺ شيئًا لا صبرَ عليه فما عندَك؟

قالت: عندي صاعٌ من شعيرٍ وعَناقٌ، قال: فطحنَّا الشعيرَ وذبحنا العناقَ وأصلحناها وجعلناها في البُرمةِ، وعجنت الشعيرَ ، ثم رجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ فلبثت ساعةً، ثم استأذنتُه الثانيةَ فأذِنَ لي، وإذا العجينُ قد أمكن، فأَمَرتُها بالخبز وجعلتُ القِدرَ على الأَثافِيِّ، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ فسارَرتُه فقلتُ: إن عندنا طُعَيمًا لنا، فإن رأيتَ أن تقومَ معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلتَ.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨.
(٢) (كُدْيَة): وهي القطعة الصلبة الصماء.

قال: «**ما هو وكم هو؟**»

قلت: صاعٌ من شعيرٍ وعَناقٌ.

قال: «**ارجع إلى أهلِك فقل لها: لا تنزِع البرمةَ من الأثافيِّ، ولا تُخرجي الخبزَ من التَّنور حتى آتيَ**».

ثم قال للناس: «**قوموا إلى بيتِ جابرٍ**».

فاستَحييتُ حياءً لا يعلمُه إلا الله، فقلتُ لامرأتي: ثَكِلتكِ أمُّك قد جاءك رسولُ الله ﷺ بأصحابه أجمعين.

فقالت: أكان رسولُ الله ﷺ سألَكَ كم الطعامُ؟

قلت: نعم.

قالت: فالله ورسولُه أعلَمُ، قد أخبرتَه بما كان عندنا.

قال: فذهب عني بعضُ ما كنت أجدُ، قلت: لقد صَدَقتِ، فجاء رسول الله ﷺ ثم قال لأصحابه: «**لا تَضاغَطوا**».

قال: ثم بَرَّك على التنورِ وعلى البُرمةِ فجعلنا نأخُذُ من التنورِ، ونأخذ من البرمةِ، فنثرُدُ ونغرفُ ونقرب إليهم.

وقال رسول الله ﷺ: «**لِيجلس على الصحفةِ سبعةٌ أو ثمانية**»، قال: فلما أكلوا كشَفنا التنورَ والبرمةَ، فإذا هما قد عادا إلى أملأ ما كانا فنثرُد لهم ونغرفُ ونقرب إليهم، فلم نزل نفعلُ ذلك، كلَّما فتحنا التنورَ وكشفنا عن البرمَةِ وجدناهما أملأَ ما كانا حتى شبعَ المسلمون كلهم وبقِيَ طائفةٌ من الطعام.

فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «**إن الناسَ قد أصابَتهُم مَخمصةٌ فكلوا وأطعِموا**» فلم نزل يومنا نأكلُ ونُطعم[(١)].

١٩٦- عن سهلِ بن سعدٍ قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في الخندقِ، فأخذ الكِرزِين[(٢)] فحَفَرَ به، فصادفَ حجَرًا، فضحك فقيل: لم ضَحِكتَ يا رسولَ الله؟

قال: «**ضحكتُ من ناس يُؤتى بهم من قِبَلِ المشرق في الكُبولِ**[(٣)]**، يُساقون إلى الجنةِ، وهم كارِهون**»[(٤)].

فأخبر ﷺ بانتشارِ المسلمين، وظهورِهم حتى يَسبُون سبايا الأممِ من البالِغين وغيرِهم مُقيَّدين، مُساقينَ إلى بلادِ الإسلامِ، فيسترقون فيُسلمون.

١٩٧- عن سليمانَ بن صُردٍ قال: قال رسول الله ﷺ يومَ الأحزابِ: «**الآن نَغزوهم ولا يغزونا**»[(٥)]. فحقَّق الله تعالى خبرَه فغزا ولم يُغز بعدَه.

١٩٨- عن حُذيفةَ بن اليمانِ قال: كنا في المسجدِ فقال فتًى من القومِ: لو أدركتُ النبيَّ عليه السلام لخدمتُه، ولفعلتُ وفعلت، فقال حذيفة: لقد رأيتُني ليلةَ الأحزابِ، ونحن مع رسولِ الله ﷺ فكان رسولُ الله ﷺ قائمًا يصلي في ليلة باردةٍ لم أرَ كذلك البردِ قبلَه ولا بعدَه بردًا أشدَّ منه، فحانَت منه التفاتةٌ، فقال: «**ألا رجلٌ يذهبُ إلى هؤلاء فيأتيني بخبرِهم فأُدخِله مُدخلي يوم القيامةِ؟**» فما قامَ منا شبحٌ -يعني: إنسانًا- فأسكَتوا، ثم عاد فأسكَتوا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) (الكِرْزِين) الكِرْزِن: الفأس.

(٣) (الكبول) جمع الكَبل: وهو القيد.

(٤) أخرجه أحمد ٣٦/ ٥٣٩ (٢٢٢٠٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤١٠٩).

فقال: «**يا حذيفةُ**».

قلت: لبيك، فقمتُ حتى أتيته، وإن جنبيَّ ليضطَرِبان من البردِ، فمسحَ رأسي ووجهي، ثم قال: «**اذهبْ إلى هؤلاء فائتِنا بخبرِهم، ولا تُحْدِثَن حَدثًا حتى ترجعَ**»، ثم قال: «**اللهم احفظْه من بين يديهِ، ومن خلفِه، وعن يمينِه، وعن شِمالِه، ومن فوقِه، ومن تحتِه حتى يرجعَ**».

قال: فلأن يكونَ أرسَلَها أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها.

قال: فأخذتُ سيفي وقَوسي، ثم شَدَدتُ عليَّ أحلاسي، ثم انطلقتُ أمشي نحوهم كأني أمشي في حمَّامٍ[1]، فوجدتهم قد أُرسِلَت عليهمُ الريحُ فقطعت أطنابَهم، وقطعت أبنيَتَهم، فلم تدعْ لهم شيئًا إلا أهلكته.

قال: وأبو سفيانُ يَصطَلي[2] قاعدًا عند نارٍ له، فصرت إليه فأخذتُ سهمًا من كِنانتي فوضعتُه في كَبِد قوسي[3] -قال: وكان حذيفةُ راميًا- فذكرتُ قولَ رسولِ الله ﷺ: «**لا تُحدِثَنَّ حدثًا حتى ترجعَ**» فرددتُ سهمي في كنانتي، فقال رجلٌ من القومِ: ألا إن فيكم عينًا للقومِ، ليأخذ كلُّ رجلٍ بيد جَليسه فأخذتُ بيد جليسي فقلت: مَن أنت؟ فقال: سبحان الله! أما تعرِفُني؟ أنا فلان. فإذا رجلٌ من هوازنَ فرجعتُ إلى النبيِّ ﷺ فأخبرتُه الخبرَ، وكأني أمشي في حمام!

---

(١) (الحمَّام) مشتق من الحميم، وهو الماء الحار.

(٢) (يَصْطَلي) أي: يستدفئ.

(٣) (كبدَ قوسِي) هو مقبضها وكبد كل شيء وسطه.

فلما أخبرتُه ضِحك حتى بدت ثناياه في سَوادِ الليل، وذهب عني الدفاء، فأدناني رسولُ الله ﷺ فأنامني عند رجليهِ وألقى عليَّ طرفَ ثوبه، فإن كنت لألزقُ صدري بطرَف قدمَيَّ، فلما أصبحوا هَزَمَ الله الأحزابَ(١).

قال الشيخُ -أسعده الله-: وفي إرسالِ الله الريحِ عليهم المسقطةِ لفساطيطهم وخيمِهم فعجزوا عن إمساكِ خيمِهم وخيولِهم، فصرفَهم الله عَزَّوَجَلَّ مغتاظِينَ موتورِينَ منهزِمِينَ، فكانت الريحُ عذابًا عليهم، ونصرةً لرسول الله ﷺ، قال ﷺ: نُصرتُ بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدبورِ(٢).

١٩٩- عن عائشةَ: أن النبيَّ ﷺ لما فرغَ من الأحزابِ دخل المُغتسلَ ليَغتسلَ، فجاءه جبريلُ فقال: يا محمدُ، قد وَضعتُم سلاحَكم، وما وَضعنا أسلحتَنا بعدُ، انهَد -أو انهَض- إلى بني قُريظةَ. فقالَت عائشةُ: يا رسولَ الله، لقد رأيتُ رأسَه من البابِ، وقد عصبه الغبارُ(٣).

٢٠٠- عن سعيدِ بن المسيبِ قال: كانت قريظةُ قد مكرَت برسولِ الله ﷺ، وكاتَبت مُشرِكي قريشٍ، وعيينةَ بن حصن وأبا سفيانَ بنَ حرب يومَ الأحزابِ: أن اثبُتوا فإنا سنُخالفُ المسلمينَ إلى بيضَتِهم. فلما هزمَ الله الأحزابَ ندبَ النبيُّ ﷺ أصحابَه فطَلبوهم إلى حمراءِ الأسدِ، ثم رَجعوا، فوضعَ النبيُّ ﷺ لَأْمَتَه واغتسلَ واستَجمرَ، فناداه جبريلُ: عذيرُك من مُحاربٍ، ألا أراك قد وَضعتَ لَأْمَتكَ، ولم نَضعها نحن. فقام النبيُّ ﷺ فزِعًا، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابِه: «**عَزمتُ**

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٨).
(٢) الصَّبَا: ريح تهب من مطلع الشمس، والدبور عكسها.
(٣) أخرجه البخاري (٢٨١٣، ٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

عليكم لا تُصلوا العصرَ حتى تأتوا بني قُريظةَ» وخرجَ النبيُّ عليه السلام فمرَّ بمجالسَ بينه وبين بني قريظةَ، فقال: «**هل مرَّ بكم مِن أحدٍ؟**» فقالوا: نعم، مرَّ علينا دحيةُ الكلبي على بغلةٍ شَهباءَ تحتَه قطيفَةٌ من ديباجٍ. فقال النبيُّ عليه السلام: «**ليسَ ذاك دحيةُ الكلبي، ولكن جبريلُ عليه السلام أُرسِلَ إلى بني قُريظةَ ليُزلزِلَ حُصونَهم، ويقذفَ في قلوبِهم الرعبَ**» فحاصرَهم أصحابُ النبيِّ عليه السلام فلما انتَهى إليهم النبيُّ عليه السلام أمرَ أصحابَه أنْ يستُروه بحجفِهم ليَقوه الحجارةَ حتى يُسمعَهم كلامَه، ففعَلوا، فناداهم: «**يا إخوةَ القِردةِ والخنازيرِ**» فقالوا: يا أبا القاسمِ، ما كنتَ فحاشًا. فدَعاهم إلى الإسلامِ، وقاتلَهم رسولُ الله عليه السلام، ومن معه من المسلمينَ حتى نَزلوا على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ، فحَكمَ فيهم أن تُقتَّلَ مُقاتلتُهم، وتُقسَّم أموالُهم، وتُسبى ذَراريهم، وقال النبيُّ ﷺ: «**أصابَ الحُكمَ**»(١).

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ٣٦٧ (٩٧٣٧).

(٥٧) ذِكر غزوةِ الرَّجيع

٢٠١- عن أبي هريرةَ قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ سريةً عَينًا، وأمَّر عليهم عاصمُ بنُ ثابت، وهو جدُّ عاصمِ بن عمر فانطَلَقوا حتى كانوا ببعضِ الطريقِ بين عسفانَ ومكةَ نُزولًا ذُكِروا لحيٍّ من هذيلٍ يُقال لهم: بنو لحيانَ، فتبِعوهم بقريبٍ من مائةِ رجلٍ رامٍ، فاقتَصوا آثارَهم حتى نزَلوا مَنزلًا نزَلوه، فوَجدوا فيه نوى تمرٍ تَزوَّدوه من تمرِ المَدينةِ، فقالوا: هذا من تَمرِ يثربَ، فاتَّبعوا آثارَهم حتى لَحِقوهم، فلما آنسَهم عاصمُ بنُ ثابت وأصحابُه لجأوا إلى فَدفَدٍ، وجاء القومُ، فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العَهدُ والميثاقُ، وإن نزلتُم إلينا لا نقتلُ منكم رجلًا. فقال عاصمٌ: أما أنا فلا أنزلُ في ذمةِ كافرٍ، اللهمَّ أخبِر عنا رسولَك.

قال: فقاتَلوهم، فرمَوهم حتى قَتلوا عاصمًا في سبعةِ نفرٍ، وبقي خُبيبُ بنُ عدي وزيدُ بن دثنَّةٍ، ورجلٌ آخرُ، فأعطَوهم العهدَ والميثاقَ إن نزلوا إليهم؛ فنَزلوا إليهم، فلما استَمكَنوا منهم خلَعوا أوتارَ قسيِّهم فربَطوهم بها، فقال الرجلُ الثالثُ الذي معهما: هذا أولُّ الغدرِ، فأبى أن يصحبَهم، فجرُّوه فأبى أن يتبعَهم، فضرَبوا عنقَه، وانطلَقوا بخبيبِ بنِ عدي، وزيدِ بن دثِنَّة حتى باعوهما بمكةَ، فاشتَرى خُبيبًا بنو الحارثِ ابن عمرو بنِ نوفل، وكان قَتَلَ الحارثَ يومَ بدرٍ، فمكثَ عندهم أسيرًا حتى إذا أجمَعوا على قتلِه استعارَ موسى من إحدى بناتِ الحارثِ ليستَحِدَّ بها فأعارَته. قالَت: فغَفلتُ عن صبيٍّ لي، فدرجَ إليه حتى أتاه. قالَت: فأخذَه فوضَعه على فخذِه، فلما رأيتُه فزِعتُ فَزعًا شديدًا عرَفه فيَّ والموسى في يدِه، فقال: أتَخشين أن أقتلَه؟! ما كنتُ لأفعلَ إن شاءَ الله. قال: فكانَت تقولُ: ما رأيتُ أسيرًا خيرًا من خُبيبٍ، لقد رأيتُه يأكلُ قِطفًا من عِنبٍ، وما بمَكةَ يومئذٍ ثمرةٌ، وإنه لموثقٌ

في الحَديدِ، وما كان إلا رزقًا رزقه الله إياه. ثم خَرجوا به من الحرمِ ليَقتلوه، فقال: دَعوني أصَلي ركعَتين. فصلى ركعَتين، ثم قال: لولا أنْ تَروا أن ما بي جزعٌ من الموتِ لزدتُ، فكان أولَ مَن سنَّ الرَّكعتين عند القتلِ، ثم قال: اللهمَّ أحصِهم عددًا، ثم قال:

ولستُ أبالي حينَ أُقتَل مسلمًا ** على أيِّ شقٍّ كان في الله مَصرَعي
وذلك في ذاتِ الإله وإنْ يشَأ ** يُبارِك على أوصالِ شِلوٍ ممزَّعِ

ثم قام عقبةُ بنُ الحارثِ فقتَله، وبعثَت قريشٌ إلى عاصمٍ ليُؤتَوا بشيءٍ من جسدِه يعرِفونَه، وكان قَتلَ عظيمًا من عُظمائِهم يومَ بدرٍ، فبعَث الله عليه مثلَ الظُّلةِ من الدَّبرِ فحمَته من رسلِهم، فلم يَقدروا على شيءٍ منه[1].

قال الشيخ -أسعدَه الله-: وفي قصةِ عاصمٍ وخبيبٍ غيرُ دلالةٍ، منها: حمايةُ الدبرِ عاصمًا، حتى لم يَقدروا على قطعِ رأسِه، أو شيءٍ من جسدِه، فأكرَمه الله بإجابةِ دعوَته حين قال: اللهمَّ إني أحمي لك دينَك فاحمِ لي لَحمي، وكان قد عاهَد اللهَ أن لا يمسَّ مشرِكًا ولا يمسَّه مشركٌ أبدًا فوفى الله له، فمنَعه منهم كما امتنَع منهم في حياتِه، وهي آيةٌ شريفةٌ، ودلالةٌ قويةٌ.

وما أكرمَ الله به خُبيبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من إطعامِه القِطفَ من العنبِ في زمان وحينٍ لا يُوجد منه بمكةَ حبةٌ ولا ثمرةٌ، فهذه المكرُمةُ شبيهةٌ بما قصَّ الله من شأن مريمَ عليها السلام ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران:٣٧] وإبلاغُ سلامِه رسولَه عليه السلام، فهما دلالَتان واضِحتان، ومثلُهما جائزٌ في إبَّان النبوةِ، وبهما كانَت الأنصارُ تفتخرُ، فسمَّت عاصمًا حميَّ الدبرِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥).

(٥٨) ذكر سريته ﷺ التي بعثها إلى بشير بن رزام اليهودي

٢٠٢- عن عُروةَ بن الزبير قال: بعث رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن عَتيك في ثلاثين راكبًا، فيهم عبد الله بن أُنيس إلى مستنير بن رِزامٍ اليهودي حتى أتوه بخيبرَ، وبلغَ رسولَ الله ﷺ أنه يجمعُ غطَفان؛ ليغزو بهم رسولَ الله ﷺ، فأتوه فقالوا: إنا أرسَلَنا إليك رسولُ الله ﷺ ليستَعمِلَك على خيبرَ، فلم يزالوا به يَخدَعونه حتى أقبلَ معهم في ثلاثين راكبًا، مع كل رجل منهم رديفٌ من المسلمين، فلما بَلغوا قَرقرةَ -وهي من خيبرَ على ستةِ أميالٍ- ندِم المستنيرُ بن رزامٍ اليهودي، فأهوى بيده إلى السيفِ لسيفِ عبدِ الله بن أنيسٍ ففطِن له عبدُ الله بن أنيسٍ فزجَرَ راحلتَه.

واقتَحَم عبدُ الله بن أُنيس حتى استمكَن من المستنيرِ بن رزام، فضربَ عبدُ الله بن أنيس رجلَه فقَطَعَها واقتحم، والمستنير بن رزام في يده مِخْرَشٌ[(١)] من شَوْحَط[(٢)]، فضرب عبدَ الله بن أنيس فشجَّه مأمومةً، وانكفَأَ كل رجل من المسلمين إلى رديفِه فقتلهُ، غير رجل من اليهودِ أعجزَهم شدًّا، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ، وقدموا على رسولِ الله ﷺ، فبصقَ في شجةِ عبدِ الله فلم تقحُ ولم تُؤذه[(٣)].

---

(١) (مِخْرَش) المِخْرَش: عصا معوجة الرأس كالصولجان.

(٢) (شَوْحَط): ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القسي، والواو زائدة.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٣/ ١٣٥ (٣٣٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٢٩٤.

(٥٩) قصةُ عبدِ الله بنِ أُنَيسٍ مع سفيانَ بن خالدٍ الهذليِّ، وقيلَ: ابنُ سفيانَ، وقيلَ: سفيانُ بنُ عبدِ الله

٢٠٣- عن عبدِ الله بن أُنَيسٍ قال: دَعاني رسولُ الله ﷺ، فقال: «**إنَّه قد بلغَني أنَّ ابنَ سفيانَ بن نُبيحٍ الهُذلي جمعَ لي الناسَ يغزوني، وهو بنخلةَ أو بعُرنةَ، فائتِه فاقتُله**».

قال: قلتُ: يا رسولَ الله، انعَته لي حتى أعرفَه.

قال: «**إذا رأيتَه أذْكَرَك الشيطانَ، آيةُ ما بينكَ وبينَه أنك إذا رأيتَه وجدتَ له قُشعريرةً**».

قال: فخَرجتُ مُتوَشحًا سَيفي، حتى دفعتُ إليه وهو في ظَعنٍ يرتادُ له مَنزلًا، وحين كان وقتُ العصرِ، فلما رأيتُه وجدتُ ما وصف لي رسولُ الله ﷺ من القُشعريرةِ فأقبلتُ نحوه، وخشيتُ أن تكونَ بيني وبينَه مجادلةٌ تشغلُني عن الصلاةِ، فصليتُ وأنا أمشي نحوه أومئُ برَأسي، فلما انتهيتُ إليه قال: من الرجلُ؟

قلتُ: رجلٌ من العربِ سمعَ بك وبجمعِك لهذا الرجلِ، فجاءَك لذلك.

قال: أجل، أنا من ذلك.

قال: فمَشيتُ معه شَيئًا حتى إذا أمكنَني جعلتُ عليه السيفَ حتى قتلتُه، ثم خرجتُ وتركتُ ظعائنَه مكباتٍ عليه.

فلما قدمتُ على رسولِ الله ﷺ فرآني قال: «**أفلحَ الوجهُ**».

قلتُ: قتلتُه يا رسولَ الله.

قال: «**صدقتُ**».

قال: ثم قامَ معي رسولُ الله ﷺ، فدخلَ بيتَه وأعطاني عصًا، فقال: «**أمسِك هذه العصا عندك يا عبدَ الله بنَ أنَيسٍ**».

قال: فخرجتُ بها على الناسِ، فقالوا: ما هذه العصا؟

قلتُ: أعطانيها رسولُ الله ﷺ، وأمرَني أن أمسكَها.

قالوا: أفلا ترجعُ إلى رسولِ الله ﷺ فتسألُه لمَ ذلك؟

قال: فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، لم أعطيتَني هذه العصا؟

قال: «**آيةٌ بيني وبينك يومَ القيامةِ، إنَّ أقل الناسِ المتَخَصِّرون يومئذٍ**».

قال: فقرنَها عبدُ الله بسيفِه، فلم تزلْ معه حتى إذا مات أمرَ بها فضُمَّت معه في كفنِه، ثم دُفِنا جميعًا(١).

---

(١) أخرجه أحمد ٢٥/ ٤٤٠ (١٦٠٤٧).

(٦٠) ومما جرى بالحُديبيةِ مما يدخل في هذا الباب

٢٠٤- عن المِسورِ بن مَخرمةَ قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ زمن الحُديبيةِ، وسارَ حتى إذا كان بالثنيَّةِ التي يهبط عليهم منها بَرَكَت به راحلته، فقال الناسُ: حَلْ حَلْ[(١)] فألحَّت[(٢)]. فقالوا: خَلَأتِ[(٣)] القَصواءُ، خلأت القصواءُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما خلأت القَصواءُ، وما ذاك لها بخُلقٍ، ولكن حبَسها حابسُ الفيلِ**».

ثم قال: «**والذي نفسي بيدِه، لا يسألوني خُطَّةً[(٤)] يعظِّمون بها حرمةَ الله عَزَّوَجَلَّ إلا أعطَيتُهم إياها**».

ثم زُجرت فوثَبَت، فعدل عنهم حتى نزلَ بأقصى الحديبيةِ، على ماء ثَمَدٍ قليلِ الماءِ، إنما يتبرَّضه الناس تبرُّضًا، ولم يلبث الناسُ أن نزحوه، فشكوا إلى رسولِ الله ﷺ العطشَ، فنزعَ سهمًا من كِنانتِه، ثم أمرهم أن يجعلوه في الدلوِ، فوالله ما زالَ يَجيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صدروا عنه[(٥)].

٢٠٥- عن البراءِ بن عازبٍ قال: نزلنا يومَ الحديبيةِ فوجدنا ماءَها قد شربَها أوائلُ الناسِ، فجلسَ النبيُّ ﷺ على البئرِ، ثم دعا بدلو منها فأخذَ منه بفيهِ، ثم مجَّه فيها ودعا الله فكثُر ماؤها حتى رَوِي الناس[(٦)].

---

(١) (فقال الناس: حَلْ حَلْ): كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.
(٢) (فألحَّت) أي: تمادت على عدم القيام، وهو من الإلحاح.
(٣) (خَلَأت) أي: وقفت لا تتحرك وإن ضربت.
(٤) (خُطَّة) أي: خصلة.
(٥) أخرجه البخاري (٢٧٣١).
(٦) أخرجه البخاري (٤١٥٠)، وابن أبي شيبة ١٦/ ٤٦٠ (٣٢٣٨٣) واللفظ له.

٢٠٦- عن سلمةَ بنِ الأكوعِ قال: غَزَونا مع رسولِ الله ﷺ هوازِنَ، فأصابنا جَهدٌ شديدٌ حتى هَمَمنا بنحرِ ظَهرِنا، فقال نبي الله ﷺ: «**اجمَعوا بعضَ أزوادِكم**».

فأمرَ نبي الله ﷺ بنِطعٍ فمُدَّ، فجاء القومُ بتمرٍ فنبذوه، فتطاولتُ له أحزرُه، فإذا هو كرَبضةِ الشاةِ، فحشونا جُرُبنا منه، ودعا بنطفةٍ من ماء في إداوةٍ، فصُبَّت في قدحٍ، فجعلنا نتطهَّرُ به حتى تطهَّرنا جميعا[(١)].

٢٠٧- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خرَجنا مع رسولِ الله ﷺ عامَ الحديبيةِ حتى إذا كنا بعسفانَ قال رسولُ الله ﷺ: «**أيكم يعرفُ طريقَ ذاتِ الحنظلِ؟ فإن عيونَ قريشٍ على ضَجنان ومرِّ الظهرانِ، فأيكم يعرفُ طريقَ ذاتِ الحنظلِ؟**» فأخَذنا حين أمسَينا على جبالٍ يقالُ لها: سراوع، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**ألا رجلٌ يسعى أمام الرَّكبِ؟**» فنزل رجلٌ فجعل تَنكبُه الحجارةُ، ويتعلقُ به الشجرُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اركَب**» فركبَ، ثم قال: «**ألا رجلٌ يسعى أمام الرَّكبِ؟**» فنزل رجلٌ آخر تَنكبُه الحجارةُ، ويتعلقُ به الشجرُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اركَب**» فركبَ، ثم قال لنا رسولُ الله ﷺ: «**خذوا هاهنا**» فأشارَ إلى ناحيةٍ، فأصابنا الطريقُ، فسِرنا حتى أقبَلنا في آخر الليلِ على عقبةِ ذاتِ الحنظلِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ هذه الثنيةِ الليلةَ كمثلِ البابِ الذي قال الله تعالى لبني إسرائيلَ: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [البقرة:٥٨] ما هبطَ أحدٌ من هذه الثَّنيةِ الليلةَ إلا غُفرَ له**» فاطلعتُ في آخر الناسِ ألتمسُ أخي قتادةَ بنَ النعمانِ بما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ، فجعل الناسُ يركبُ بعضُهم بعضًا، حتى

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٤)، ومسلم (١٧٢٩).

وجدتُ أخي في آخر الناسِ؛ فلما هَبطنا نزَلنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**من كان معه ثَقَلٌ فليصطَنِع**» يقولُ أبو سعيدٍ: وأيُّنا الذي معه ثَقَلٌ؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، عسى أن ترى قريشٌ نيرانَنا فقال: «**لن يَروكم**» فلما أصبَحنا صلى رسول الله عليه السلام الصبحَ وصلينا معه، ثم قال: «**والذي نَفسي بيدِه، لقد غُفرَ الليلة للركبِ أجمعين، إلا رُويكبًا واحدًا التقَت عليه رحالُ القومِ ليس منهم**» فذَهبنا ننظرُ، فإذا أعرابيٌّ بين ظهرانَي القومِ، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**يوشكُ أن يأتي قومٌ تَحقِرون أعمالَكم مع أعمالِهم**» فقُلنا: من هُم يا رسولَ الله، أقريشٌ؟! قال: «**لا، ولكن أهلُ اليمنِ، هم أرقُّ أفئدةً، وألين قلوبًا**» فقلنا: أهم خيرٌ منَّا يا رسولَ الله؟ قال: «**لو كان لأحدِهم جبلُ ذهبٍ فأنفقَه ما أدرَك مُدَّ أحدِكم ولا نَصيفَه، ألا إن هذا فضلُ ما بيننا وبين الناسِ** ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾ [الحديد: ١٠]»[(١)].

فقَولُه ﷺ لهم حين قالوا: عسى قريشٌ ترى نيرانَنا. فقال: «**لن يَروكم**». وقولُه ﷺ في مجيءِ أهلِ اليمنِ، كلاهما إخبارٌ بغيبٍ تَحقَّق، ولم يَظهرْ خِلافُه.

---

(١) انظر: مغازي الواقدي ٢/ ٥٨٥.

(٦١) ذكرُ ما في قصةِ خيبرَ

٢٠٨- عن سلمةَ بنِ الأكوعِ قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا بكرِ بن أبي قُحافةَ الصديقَ برايتِه إلى حُصونِ خيبرَ، فقاتلَ فرجعَ، ولم يك فتحٌ، وقد جهِدَ، ثم بعثَ عمرُ الغد، فقاتَلَ فرجعَ، ولم يك فتحٌ، وقد جهدَ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**لأُعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يحبُّ الله ورسولَه، يفتح الله على يديه، ليس بفرَّارٍ**» فدعا بعليٍّ، وهو أرمَدُ، فتفل في عينيه، فقال: «**خذ هذه الرايةَ، وامضِ بها حتى يفتح الله عليك**».

قال سلمةُ: فخرج بها -والله- يهروِلُ هرولةً، وإنا خلفَه نتبعُ أثرَه، حتى ركزَ رايته في رضم من حجارةٍ تحت الحِصنِ فاطلع إليه يهوديٌّ من رأسِ الحصن.

فقال: من أنت؟ قال: عليُّ بن أبي طالبٍ.

قال: يقولُ اليهوديُّ: غُلبتم وما أُنزل على موسى عليه السلام، أو كما قال. فما رجعَ حتى فَتَحَ الله على يديه[١].

٢٠٩- عن أبي هريرةَ قال: شهِدنا مع رسولِ الله ﷺ خيبرَ فقال رسولُ الله ﷺ لرجل ممن معه يدَّعي الإسلامَ: «**هذا من أهلِ النارِ**».

فلما حضرَ القِتالُ قاتَلَ الرجلُ من أشدِّ القتالِ، فكثُرت به الجراحُ فأَثْبَتَتْهُ، فجاء رجلٌ فقال: يا رسول الله، أرأيتَ الرجلَ الذي ذكرتَهُ من أهلِ النارِ؟! قاتَلَ في سبيلِ الله من أشدِّ القتال، فكثُرت به الجِراح فأثبتته.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٧/ ٣٥ (٦٣٠٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٢٠٩. وأصله في البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧).

فقال النبيُّ ﷺ: «**أما إنه من أهلِ النارِ**»، فكان بعضُ المسلمين يرتابُ.

قال: فبينا هو على ذلك إذ وَجَدَ ألَمَ الجراحِ فأهوى بيده إلى كنانتِه فانتزَعَ سهمًا فانتحرَ بها، فاشتَدَّ رجالٌ من المسلمين إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: صدَّقَ الله حديثَك؛ قد انتحَرَ فلانٌ، فقتَلَ نفسَه.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا بلالُ، قم فأذِّن: إنه لا يدخل الجنَّة إلا مؤمنٌ، وإن الله تعالى ليُؤَيِّدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفاجرِ**»(١).

٢١٠- عن ابنِ عباسٍ: أن امرأةً من اليهودِ أهدت لرسولِ الله ﷺ شاةً مسمومةً، ثم عَلِمَ بها بعدُ أنها مسمومةٌ، فأرسلَ إليها: «**ما حملك على ما صَنَعتِ؟**»

قالت: أحببتُ إن كنتَ نبيًّا فسيُطلِعُك الله عليه، وإن كنت كاذبًا أرحتُ الناسَ منك(٢).

٢١١- عن محمدِ بن إسحاقَ قال: وكان مِن حديث الأسودِ الراعي: أنه أَتَى رسولَ الله ﷺ وهو محاصِرٌ لبعض حصونِ خيبرَ، ومعه غنمٌ له كان فيها أجيرًا لرجلٍ من يهود، فقال: يا محمدُ، اعرِض عليَّ الإسلامَ. فعرضَ عليه فأسلَم، وكان رسولُ الله ﷺ لا يحقرُ أحدًا أن يدعوَه إلى الإسلامِ، ويعرضَ عليه، فلما أسلَم قال: يا رسولَ الله، إني كنتُ أجيرًا لصاحبِ هذا الغنمِ، وهي أمانةٌ عندي، فكيف أصنعُ بها؟ قال: «**اضرِبها في وجوهِها، فإنها سترجعُ إلى ربِّها**» أو كما قال رسولُ الله ﷺ، قال: فقام الأسودُ فأخذَ حفنةً من حصباءَ فرمى بها في وجوهِها، وقال: ارجع إلى صاحبِك، فوالله لا أصحبُكِ، فخَرجَت مجتمعةً كأن سائقًا يسوقُها حتى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٣)، ومسلم (١١١).

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٦ (٢٧٨٤).

دخلَت الحصنَ، ثم تقدمَ إلى ذلك الحصنِ ليقاتلَ مع المسلمينَ فأصابَه حجرٌ فقتلَه، وما صلى لله صلاةً، فأُتيَ به رسولَ الله ﷺ فوضِعَ خلفَه فسُجِّي بشَملةٍ كانت عليه، فالتفتَ إليه رسولُ الله ﷺ ومعه نفرٌ من أصحابِه ثم أعرضَ عنه، قالوا: يا رسولَ الله، لم أعرضتَ عنه؟ قال: «**إن معه الآن لزوجتَيه من الحورِ العينِ**»[(١)].

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ١٠٣ (٢٤٦٣)، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٦٢) ذِكرُ ما كان في فتحِ مكةَ

٢١٢- عن ابنِ عمرَ أن رسولَ الله ﷺ لما دخلَ مكةَ وجد بها ثلاث مئة وستين صنمًا، فأومأَ إلى كلِّ صنمٍ بعصاهُ، وقال: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] الآية، فيَسقُط الصنمُ ولا يمسه[(١)].

---

(١) أخرجه ابن حبان ١٤/ ٤٥٢ (٦٥٢٢)، والطبراني في «الكبير» ١٢/ ٤٥٢ (١٣٦٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٧٢.

(٦٣) ذكر ما روي في غزوة حنين من الدلائل والآيات

٢١٣- عن العباسِ بن عبدِ المطلب قال: شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ يومَ حنينٍ، لقد رأيت رسولَ الله ﷺ ما معه إلا أنا وأبو سفيانَ بنَ الحارثِ بن عبدِ المطلب، فلزِمنا رسولَ الله ﷺ فلم نُفارقه، وهو على بغلةٍ شهباءَ، أهداها له فروةُ بنُ نفاثةَ الجذاميِّ، فلما التَقى المسلمونَ ولَّوا مدبرينَ، فطفِقَ رسولُ الله ﷺ يُركِضُ بغلتَه قِبلَ الكفارِ، وأنا آخِذٌ بلجام بغلةِ رسولِ الله ﷺ أكفُّها وهو لا يَألو ما أسرعَ نحو المشركينَ وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ آخِذٌ بغرزِ رسول الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**نادِ: يا أصحابَ الشجرةِ**» وكنتُ رجلًا صيتًا، فقلتُ بأعلى صَوتي: أين أصحابُ الشجرةِ؟ فوالله، لكَأَنَّ عَطفَتَهم حين سمعوا عطفةَ البقرةِ على أولادِها، يقولون: يا لبيكَ، يا لبيكَ، يا لبيكَ. فأقبل المسلمونَ فاقتَتلوا هم والكفارُ، فنادَت الأنصارُ يقولونَ: يا معشرَ الأنصارِ، ثم قُصِرَت الدعوةُ على بني الحارثِ بن الخزرجِ، فنادوا: يا بني الحارث بن الخزرجِ، يا بني الحارثِ بن الخزرج. فنظر رسولُ الله ﷺ وهو على بغلتِه كالمتطاولِ عليها إلى قتالِهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**حميَ الوَطيسُ**» ثم أخذ رسولُ الله ﷺ حصياتٍ فرمى بهنَّ وجهَ الكفارِ، ثم قال: «**انهزَموا وربِّ الكعبةِ**» فانهزموا وربِّ الكعبةِ. قال: فذهبتُ أنظرُ فإذا القتالُ على هيئتِه فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم رسولُ الله ﷺ بحصياتِه فما زلتُ أرى حدَّهم كليلًا، وأمرَهم مُدْبِرًا حتى هزمَهم الله، فكأني أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يركضُ خلفَهم على بغلتِه[١].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٥).

٢١٤- عن محمدِ بن إسحاقَ، عن أبيه قال: سمعتُ جبيرَ بنَ مُطعمٍ يقول: رأيتُ يومَ حنينٍ شيئًا أسودَ مثلَ البِجاد يدبُّ بين السماءِ والأرضِ، فلما وقعَ في الأرضِ فشا في الأرضِ، وانهزمَ المشركون[1].

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٧، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٧١)، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٤٤٩.

(٦٤) ذكرُ ما في غزوةِ تبوكَ من نحو ما مضى: إخبارٌ عن غيبٍ

٢١٥- عن أبي حُميدٍ الساعدي قال: غَزَونا مع رسولِ الله ﷺ تَبوكًا، فلما جاوَزَ وادي القُرى إذا امرأةٌ في حديقةٍ لها، فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابِه: «**اخرُصوا**».

وخرص رسولُ الله ﷺ عشرةَ أوسُقٍ، وقال للمرأةِ: «**أحْصي ما يخرجُ منها**» فلما أتى تبوكًا قال: إنها ستهبُّ الليلةَ ريحٌ شديدةٌ فلا يقومنَّ أحدٌ، ومن كان له بعيرٌ فليعقله، قال: فعَقَلنا إبلَنا، وقام رجلٌ فألقته الريحُ بجبلي طيِّئ، ثم رجعَنا فلما أتينا وادي القُرى، قال: للمرأة: «**كم جاء خرصُك؟**» قالت: عشَرةَ أوسقٍ خرصَ رسولِ الله ﷺ[(١)].

٢١٦- عن أبي عمرة الأنصاريِّ قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في غزاةٍ فأصابَتنا مخمصةٌ، فاستأذنَ الناسُ رسولَ الله في نحرِ بعضِ ظُهورِهم، فقالوا: ينفعُنا الله به، فهمَّ أن يأذنَ لهم فلما رأى عمرُ أن رسولَ الله ﷺ قد همَّ أن يأذنَ لهم، قال: يا رسولَ الله، كيف إذا لَقينا العدوَّ غدًا جياعًا رجالًا، ولكن إن رأيتَ يا رسولَ الله أن تدعو الناسَ ببقايا أزوادِهم، فتجمعُها فتدعو الله فيها بالبركةِ فلعل الله أن ينفعَنا بدعوتِكَ، فجعل الرجلُ يجيءُ بالحفنةِ من الطعامِ، والُمدِّ وفوق ذلك، فكان أعلى من جاء بصاعينِ فجمعَها رسولُ الله ﷺ، ثم دعا بما شاءَ الله أن يدعوَ، ثم دعا الناسَ بأوعيتِهم، فما بقي وعاءٌ في الجيشِ إلا مَلَؤوه، وبَقي مثلُه، فضحكَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢).

رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذُه، ثم قالَ: «**أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله، لا يَلقى الله بها عبدٌ مؤمنٌ إلا حُجبت عنه النارُ يومَ القيامة**»(١).

٢١٧- عن معاذِ بن جبلٍ أنهم خرجوا مع رسولِ الله ﷺ إلى تبوكٍ، فكان النبيُّ ﷺ يجمعُ بين الظهرِ والعصرِ، والمغربِ والعشاءِ جميعًا، ثم قال: «**إنكم ستأتون إن شاءَ الله غدًا عينَ تبوك، وإنكم تأتونها حين يُضحي النهارُ، فمن جاءها فلا يمسَّ من مائِها شيئًا حتى آتيَ**»، فجئنا وقد سبقَ إليها رجلان، والعينُ مثل الشراكِ تبضُّ بشيء من مائِها.

فسألهما رسولُ الله ﷺ: «**هل مَسستُما من مائِها شيئًا؟**» قالا: نعم! فسبَّهما رسولُ الله ﷺ، وقال لهما ما شاءَ الله أن يقولَ، ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلًا حتى اجتمَعَ في شيء، ثم غَسل رسولُ الله ﷺ فيه وجهَهُ ويديه، ثم أعادَهُ فيها، فجَرت العينُ بماءٍ كثيرٍ، فاستقى الناسُ.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**يوشكُ يا معاذُ، إن طالَت بك حياةٌ أن ترى ما هاهنا قد مُلئَ جنانًا**»(٢).

٢١٨- عن عبدِ الله بن عباسٍ أنه قال: قيل لعمرَ بن الخطابِ: حدِّثنا مِن شأنِ ساعة العُسرةِ.

فقال عمرُ: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى تبوكٍ في قَيظٍ شديدٍ، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عطشٌ حتى ظننا أن رقابنا ستَنقَطِعُ، حتى إن كان الرجلُ لينحرُ بعيرَه فيعصرُ فِرثَه فيشربُه ويجعلُ ما بقي على كبِدِه.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤/ ١٨٤ (١٥٤٤٩).
(٢) أخرجه مسلم (٧٠٦).

فقال أبو بكرٍ الصديق: يا رسولَ الله، إن الله قد عوَّدَك في الدعاءِ خيرًا، فادعُ لنا ربك.

قال: «أتُحبُّ ذاك؟»

قال: نعم.

فرفع يديه فلم يُرجِعهُما حتى قالت السماءُ فأظلت، ثم سكبَت، فمَلؤوا ما معهم، ثم ذهبنا لننظُرَ، فلم نجدها جاوزَت العَسكرَ[(١)].

٢١٩- عن عاصمِ بن عمرَ بن قَتادة، عن محمودِ بن لَبيدٍ، عن رجالٍ من بني عبدِ الأشهلِ. قال عاصم: فقلت لمحمود: هل كان الناس يَعرفون النفاقَ في المنافقين؟

قال: نعم والله، إن كان الرجلُ ليعرفُه من أخيه، ومن أبيه، ومن ابنِه، ومن عمه، ومن عشيرتِه، ثم يلبس بعضُهم بعضًا على ذلك.

ثم قال: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجلٍ من المنافقين معروفٌ نفاقُه، كان يسيرُ مع النبي ﷺ حيث سارَ، فلما كان بالحِجرِ من أمرِ الماءِ ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا، فأرسلَ الله سحابةً فأمطَرَت حتى ارتوى الناس؛ أقبلنا عليه نقولُ: ويحَك هل بعد هذا شيء؟!

قال: فقال: سحابةٌ مارَّةٌ، ثم إن رسولَ الله ﷺ خرجَ حتى إذا كان ببعضِ الطريقِ ضلَّت ناقتُه، فخرج في طلبِها أصحابُه، وعند رسولِ الله ﷺ رجل من

---

(١) أخرجه البزار ١/ ٣٣١ (٢١٤)، والطبري في «تفسيره» ١٢/ ٥٢، وابن خزيمة في «صحيحه» ١/ ٥٢ (١٠١)، وابن حبان ٤/ ٢٢٣ (١٣٨٣).

أصحابِهِ يُقال له: عُمارة بن حَزمٍ، وكان عقبيًّا بدريًّا، وهو عمُّ بني عمرو بن حزمٍ، وكان في رحلِه زيدُ بن نصيب القينُقَاعي، وكان منافقا.

فقال زيدُ بن نصيبٍ -وهو في رحلِ عمارةَ، وعمارةُ عندَ رسولِ الله -ﷺ: أليس محمدٌ يزعم أنه نبيٌّ، ويخبِرُكم عن خبرِ السماءِ، وهو لا يدري أين ناقتُه؟!

فقال رسول الله عليه السلام -وعمارة عنده-: «**إن رجلًا قال: هذا محمدٌ يخبرُكم أنه نبيٌّ، ويزعُم أنه يخبِركُم بأمرِ السماءِ، وهو لا يدري أين ناقتَه! وإني والله ما أعلمُ إلا ما علمني الله، وقد دلَّني الله عليها، وهي في الوادي من شِعبِ كذا وكذا، قد حبسَتها شجرةٌ بزمامِها، فانطلِقوا حتى تأتوا بها**».

فذهبوا فَجاؤوا بها، فرجع عمارةُ بن حزمٍ إلى رحلِه، فقال: والله لعجبٌ من شيءٍ حدثناه رسولُ الله ﷺ آنفًا عن مقالةِ قائلٍ: أخبره الله عنه كذا وكذا، للذي قال زيدُ بن نصيب، فقال رجلٌ ممن كان في رحلِ عمارة، ولم يحضر رسولَ الله ﷺ: زيدٌ والله قال هذه المَقالة قبل أن تأتي.

قال: فأقبلَ عمارةُ على زيد يجَأُ في عُنقِه ويقول: يالَعِباد الله، إن في رحلي لداهيةٌ وما أدري! اخرُج يا عدوَّ الله من رحلي، فلا تَصحَبني، فزعَمَ بعضُ الناسِ أن زيدًا تاب بعد ذلك، وقال بعض الناسِ: لم يزل مُصرًّا بشرٍّ حتى هلك[(١)].

٢٢٠- عن محمدِ بن إسحاقَ قال: ولما انتَهى رسولُ الله ﷺ إلى تبوك دعا خالدَ بنَ الوليدِ فبعثَه إلى أُكَيدرَ دومةَ -وهو أكيدرُ بنُ عبدِ الملكِ- رجلٍ مِن كِندةَ، فكان ملكًا عليها، وكان نصرانيًّا، فقال رسولُ الله ﷺ لخالدٍ: «**إنك ستجدُه يصيدُ**

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٥.

البقرَ» فخرجَ خالدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى إذا كان من حِصنِه بمنظرِ العين، في ليلة مقمرةٍ صائفةٍ، وهو على سطحٍ له ومعه امرأتُه، فباتَت البقرةُ تحكُّ بقرونِها بابَ القصرِ، فقالَت له امرأتُه: هل رأيتَ مثل هذا قط؟! قال: لا. قالَت: ومن يترُك هذا؟ قال: لا أحدَ، فنزل فأمرَ بفرسِه فأسرِجَ، وركب نفرٌ معه من أهل بيتِه، فيهم أخٌ له يقال له: حسانُ، فركبَ وخرجوا معه بمطاريدهم، فلما خرجوا تلقَّتهم خيلُ رسول الله ﷺ، فأخذته وقتلوا أخاه حسانًا، وقد كان عليه قبالةٌ من ديباجٍ مخوصٍ بالذهبِ، فاستلبَه خالدٌ فبعث به إلى النبيِّ ﷺ، ثم إن خالدًا أقدمَ بأُكيدرٍ على رسولِ الله ﷺ فحقنَ له دمَه وصالحَه على الجزيةِ، ثم خلى سبيلَه، فرجع إلى قريتِه، فقال رجلٌ من طيِّء يقال له: بجيرُ بن بجرةَ، يذكر قولَ رسولِ الله ﷺ لخالدٍ: «**إنك ستجدُه يصيدُ البقرَ**» وما صنع البقرُ تلك الليلةِ، حتى استخرَجته لتصديقِ قولِ رسولِ الله ﷺ:

تبـاركَ سـائقُ البقـراتِ لـيلًا ** رأيـتُ الله يَهـدي كـلَّ هـادِ
فمَـن يـكُ جـائرًا عـن ذي تَبـوكٍ ** فإنَّـا قـد أمِرنـا بالجِهـادِ[1]

قال الشيخُ: وفي هذه الغزوةِ صرفَ الله عَزَّوَجَلَّ مكيدةَ المنافقين عن رسولِ الله ﷺ، حين همُّوا بتَنفيرِ راحِلتِه إذا صعدَ العَقبةَ؛ ليسقُط منها، فعصمَه الله، وحرسَه من مكيدتِهم.

٢٢١- عن صلة بن زفرٍ قال: قلنا لحذيفةَ: كيف عرفتَ أمرَ المنافقين ولم يعرفْه أحدٌ من أصحابِ رسولِ الله عليه السلام: أبو بكرٍ ولا عمرُ؟

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٣٧)، والطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٨-١٠٩، وابن منده في «معرفة الصحابة» (ص٢٩٣)، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٥٢٦.

قال: إني كنتُ أسيرُ خلف رسولِ الله ﷺ، فنام على راحلتِه، فسمعتُ ناسًا منهم يقولون: لو طرحناه عن راحلتِه فاندقَّت عنقُه، فاسترَحنا منه. فسِرتُ بينه وبينهم، وجعلتُ أقرأُ وأرفعُ صوتي، فانتبَه النبيُّ عليه السلام، فقال: «**مَن هذا؟**» قلت: حذيفةُ. قال: «**من هؤلاء خلفَك؟**» قلت: فلانٌ وفلان، حتى عددتُهم. قال: «**وسمعتَ ما قالوا؟**» قلتُ: نعم؛ ولذلك سرتُ بينك وبينهم. قال: «**فإن هؤلاء فلانٌ وفلان -حتى عدَّ أسماءهم- منافقون، فلا تخبرنَّ أحدًا**»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٣/ ١٦٥ (٣٠١٥).

(٦٥) ذكر ما جرى من الدلائل في غزوة مؤتة

٢٢٢- عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: نعى النبيُّ ﷺ جعفرًا وزيدًا. نعاهم قبل أن يجيءَ خبرُهم، وعيناه تذرِفان[(١)].

(٦٦) وما ذكر في غزوة الطائف

٢٢٣- عن الزهريِّ قال: فلما صدرَ أبو بكر وأقام للناسِ حجَّهم قدم عروةُ بن مسعودٍ على رسولِ الله ﷺ فأسلم، ثم استأذن رسولَ الله ﷺ ليرجعَ إلى قومِه، فقال: «**إني أخافُ أن يقتلوكَ**» قال: لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني. فأذن له رسولُ الله ﷺ فرجعَ إلى الطائفِ، فقَدِمَ عِشاءً فجاءَه ثقيفٌ، فخبَّرهم ودعاهم إلى الإسلامِ، ونصحَ لهم، فاتَّهموه وعصَوه وأسمَعوه من الأذى ما لم يكنْ يخشاهم عليه، فخرَجوا من عنده حتى إذا أسحَروا وطلعَ الفجرُ قام على غرفةٍ له في داره فأذنَ بالصلاةِ وتَشَهَّد، فرماه رجلٌ من ثقيفٍ بسهم فقتلَه.

فزعَموا أن رسولَ الله ﷺ حين بلغَه قتلُه قال: «**مَثلُ عروةَ مثلُ صاحب ياسين دعا قومَه إلى الله فقتَلوه**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٠).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٧/ ١٤٧ (٣٧٤)، والحاكم ٣/ ٧١٣ (٦٥٧٩).

(٦٧) قصة هدمِ بيت العُزَّى

٢٢٤- عن أبي الطُّفيلِ قال: لما فتحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ بعثَ خالدَ بن الوليدِ إلى نخلةَ، وكانت بها العُزَّى، فأتاها خالدٌ وكانت على ثلاثِ سَمُراتٍ، فقطع السَّمرات وهدَمَ البيتَ الذي كان عليها، ثم أتَى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: «**ارجعْ فإنك لم تصنَع شيئا**».

فرجع، فلما نظرَت إليه السدَنةُ -وهم حجبَتُها- أمعنوا في الجبلِ، وهم يقولون: يا عُزَّى خبِّليه، يا عُزَّى عوِّريه.

فأتاها خالدٌ، فإذا امرأةٌ عريانةٌ ناشرةٌ شعرَها تحثو الترابَ على رأسِها، فعمَّمها بالسيفِ حتى قَتَلَها، ثم رجعَ إلى النبي عليه السلام فأخبرهُ، فقال: «**تلك العزى**»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٢/ ١٩٦ (٩٠٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» ١٠/ ٢٧٩ (١١٤٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٧٧، والضياء في «الأحاديث المختارة» ٨/ ٢١٩ (٢٥٨).

(٦٨) فصل فيما أخبرَ به ﷺ من الغُيوبِ فتحقق ذلك على ما أخبرَ به في حياتِه، وبعد موتِه، كالإخبارِ عن نموِّ أمرِه وافتتاح الأمصارِ والبُلدان الممصَّرة كالكوفةِ والبصرةِ وبغداد على أمته، والفتن الآتية بعدَه، وردَّةُ جماعةٍ ممن شاهدَهُ ورآه ﷺ، وإخبارُه بعددِ الخلفاءِ ومدَّتِهم، والمُلك العَضوضِ بعدهم.

٢٢٥- عن ثوبانَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الله زَوى لي الأرضَ، فأُريتُ مشارقَها ومغارِبها، وإن أمتي سيبلُغُ مُلكُها ما زُوِي لي منها، وأعطيتُ الكَنزينِ: الأحمرَ والأبيضَ، وإني سألتُ ربي لأُمَّتي ألا يُهلِكَها بسَنةٍ بعامةٍ، ولا يسلِّطَ عليهم عدوًّا من سِوى أنفسِهم فيستبيح بيضتَهم، وإن ربي قال: إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ، وإني أعطيتُك لأمتك ألا أُهلِكها بسَنةٍ بعامةٍ، ولا أسلطَ عليهم عدوًّا مِن سوى أنفسِهم فيستبيحُ بيضتَهم، ولو اجتمعَ عليهم مَن بين أقطارِها، حتى يكون يُهلِكُ بعضُهم بعضًا».

ثم قال رسولُ الله ﷺ: «إنما أخافُ على أُمتي الأئمةَ المُضلينَ، فإذا وُضِعَ السيفُ في أمتي لم يرجِع عنها إلى يومِ القيامةِ».

وقال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يلحَقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحتى تُعبدَ الأوثانُ، وأنه سيكونُ في أمتي ثلاثون كذابًا يزعُمُ أنه نبيٌّ، وأنا خاتمُ النبيين، لا نبيَّ بعدي، ولن تَزالَ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمرُ الله»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

٢٢٦- عن العباسِ بن عبد المطلبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يظهرُ الدين حتى يُجاوِزَ البحارَ، وحتى تُخاضَ البحار بالخيلِ في سبيلِ الله، ثم يأتي قومٌ يقرؤون القرآنَ، يقولون: قد قرأنا القرآن، مَن أقرأُ مِنَّا؟ مَن أفقَهُ منا؟ مَن أعلم منَّا؟**» ثم التفتَ إلى أصحابه، فقال: «**هل في أولئك من خيرٍ؟ وأولئك هم وقودُ النارِ**»[(١)].

٢٢٧- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**إنكم مَنصورون، ومفتوحٌ لكم، ومُصيبون، فمن أدرك ذلك منكم فليتقِ الله، وليأمُر بالمعروفِ، ولْيَنه عن المنكرِ، ومن كذب عليَّ متعمدًا؛ ليتبوَّأ مقعده من النارِ**»[(٢)].

٢٢٨- عن عقبةَ بن عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «**ستُفتح لكم الأرضُ، وتُكفون المؤنةَ، فلا يَعجِزُ أحدُكم أن يلهو بأسهمِه**»[(٣)].

٢٢٩- عن سفيانَ بن أبي زُهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**يُفتحُ اليمن فيأتي قوم يَبِسُّون[(٤)] فيتحملون بأهاليهم ومن أطاعَهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ثم يُفتحُ الشامُ فيأتي قوم يَبِسُّون فيتحمَّلون بأهاليهم ومن أطاعَهم، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تُفتحُ العراقُ فيأتي قومٌ يَبِسُّون فيتحملون بأهاليهم ومن أطاعَهم، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يَعلمون**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البزار ٤/ ١٤٩ (١٣٢٣)، وأبو يعلى في «مسنده» ١٢/ ٥٦ (٦٦٩٨).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٥٧).
(٣) أخرجه مسلم (١٩١٨).
(٤) (يَبِسُّون): يسوقون دوابهم.
(٥) أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨).

٢٣٠- عن أبي هريرةَ قال: كنا عند النبيِّ ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجُمعةِ فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، قيل: من هؤلاء يا رسولَ الله؟ قال: فلم يُراجعْهُ النبيُّ ﷺ حتى سأله مرَّتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمانُ الفارسي، قال: فوضَعَ النبيُّ ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «**لو كان الإيمانُ عند الثُريَّا لناله هذا وأصحابُهُ**»[(١)].

٢٣١- عن سمرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يوشِكُ أن يَملأ الله أيديَكم من العَجمِ، ثم يجعلُهم أسدًا، لا يفرون فيَقتلون مُقاتلتكم، ويأكلون فَيئكم**»[(٢)].

٢٣٢- عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا هلكَ كِسرى فلا كسرى بعدَه، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده، والذي نفسي بيده لتُنفقُنَّ كنوزَهما في سبيلِ الله** عَزَّوَجَلَّ»[(٣)].

٢٣٣- عن جابرِ بن سمرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**عُصَيْبةٌ**[(٤)] **من المسلمين يفتتحونَ البيتَ الأبيضَ: بيتَ كِسرى وآلِ كسرى**»[(٥)].

٢٣٤- عن جابرِ بن سمرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تَستَخرِجون كَنزَ الأبيضِ كِسرى وآل كسرى**»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).
(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٠٩ (٢٠١٢٣).
(٣) أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨).
(٤) (عُصَيْبة) تصغير: عصبة، وهي الجماعة.
(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٢).
(٦) أخرجه أحمد ٣٤/ ٤٠١ (٢٠٨٠٥)، وأصله في البخاري (٧٢٢٢)، ومسلم (١٨٢١).

٢٣٥- عن عبد الله بن بُسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لتُفتحنَّ عليكم أرضُ فارسَ والرومِ، حتى يكثُر الطعامُ، فلا يُذكرُ عليه اسمُ الله**»[(١)].

٢٣٦- عن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا مشَت أمَّتي المُطَيْطاء**[(٢)]**، وخَدَمَتها أبناءُ الملوكِ: أبناءُ فارسَ والرومِ، سُلط شرارُهُم على خيارِهم**»[(٣)].

٢٣٧- عن كعبِ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ: يقول: «**إذا فُتحَت مصرُ فاستوصوا بالقِبطِ خيرًا، فإن لهم ذمةً ورحمًا**» يعني: أن أُمَّ إسماعيلَ كانت منهم[(٤)].

٢٣٨- عن أمِّ سلمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: أوصى رسولُ الله ﷺ عند وفاته، فقال: «**الله الله في قِبطِ مصرَ، فإنكم ستَظهرونَ عليهم، فيكونون لكم عدةً وأعوانًا في سبيلِ الله**»[(٥)].

عن عَدي بن حاتمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مُثِّلت لي الحيرةُ كأنيابِ الكلابِ، وإنكم ستَفتوحنَها**» فقام رجلٌ، فقال يا رسولَ الله: هب لي بنت بُقَيلة، فقال: «**هي لك**»، قال: فأعطَوهُ إياها فجاءَ أبوها، فقال: أتبيعُها، قال: نعم، قال: بكم؟ احتكِم ما شئتَ.

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٣٤، والضياء في «الأحاديث المختارة» ٩/ ٩١، ٩٢ (٧٣).
(٢) (المُطَيْطاء): مشية فيها تبختر ومد اليدين.
(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٦١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٥٢٥.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ٣٦٢ (١٩٣٧٥)، الطبراني في «المعجم الكبير» ١٩/ ٦١ (١١١)، والحاكم ٢/ ٦٠٣ (٤٠٣٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٢٢.
(٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٣/ ٢٦٥ (٥٦١).

قال: بألفِ درهمٍ، قال: أخذتُها، قال: لو قلت ثلاثينَ ألفًا! قال: وهل عددٌ أكثرُ من ألف؟[(١)].

٢٣٩- عن عَدي بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أسلِم، فوالله لا تقومُ الساعة حتى تسيرَ الظَّعينةُ من ظعائِنِ المسلمين في غيرِ جوارٍ إلى البيت العتيقِ، والله لا تقومُ الساعةُ حتى تُصابَ كنوز كسرى بن هُرمز فتنفَق في سبيل الله**»، قال: قلت كِسرى بن هرمز؟ قال: «**نعم، كِسرى بن هرمز**» ثلاثًا، «**والله لا تقومُ الساعة حتى تُنبذ الفضةُ والذهبُ في الطريقِ فلا يمسها أحدٌ**».

قال عدي: فأنا سرتُ بالظعينةِ من الحِيرةِ إلى البيت العتيقِ في غير جوارٍ، يعني: أنه حجَّ بأهله، وكنت في أولِ خيلٍ أغارت على المدائنِ، والله لتكوننَّ الثالثة، كما كانت هاتان، إنه لحديثُ رسول الله ﷺ إياي[(٢)].

٢٤٠- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤثِر عن رسولِ الله ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتِلوا التُرك: حمرَ الوجوه، صِغارَ العيونِ، ذُلْفَ الأنوفِ**[(٣)]**، كأن وجوهَهُم المَجَانُّ المُطْرَقَة**[(٤)]**، ولا تقومُ الساعةُ حتى تقاتِلوا قومًا نِعالُهم الشعرُ**»[(٥)].

٢٤١- عن جابرِ بن سمرةَ، عن نافعِ بن عتبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع النبيِّ ﷺ في غَزاةٍ فأتاه قومٌ من قِبَلِ المغربِ، عليهم ثيابُ الصوفِ، فوافقوه عند أكَمةٍ،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ٤٣٧ (٢٤٩٠)، وابن حبان ١٥/ ٦٥ (٦٦٧٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/ ١٩٦ (١٨٢٦٠).

(٣) (ذُلْف): جمع الذَّلَف وهو: قصر الأنف وانبطاحه.

(٤) (وجوههم المَجَانّ المُطْرَقَة) جمع مجن وهو الترس والميم زائدة لأنه من الجنة.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٢٩١٢).

وهم قيامٌ، وهو قاعد، فأتيتُه، فقمت بينهم وبينه، فحفِظتُ منه أربعَ كلماتٍ أعدُّهن في يدي، قال: «**تَغزونَ جزيرةَ العربِ فيفتحُها الله، ثم تغزونَ فارسَ فيفتَحُها الله، ثم تَغزون الرومَ فيفتَحُها الله، ثم تَغزون الدجَّال فيفتَحُه الله**»[(١)].

٢٤٢- عن خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ وهو مضطجعٌ في بُرد له في ظلِّ الكعبة، فقلنا: ألا تدعو الله لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فجلس مُحمَرٌّ وجهُهُ، ثم قال: «**والله، إن مَن كان قبلَكُم ليُؤخذُ الرجلُ فيُشقُّ باثنين ما يَصرفه عن دينه شيءٌ، ويمشَّط بأمشاطِ الحديدِ ما بين عصَبٍ ولحمٍ ما يصرفُه عن دينه شيءٌ، وليُتمَّن الله هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ منكم من صنعاءَ إلى حضر موتَ، لا يَخشى إلا الله والذئبَ على غنمه**»[(٢)].

٢٤٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنَعت العراقُ قَفيزَها ودرهَمها، ومَنَعت الشام مُدْيها ودينارَها، ومَنَعت مصرُ إردبَّها ودينارَها، وعُدتُم من حيث بدأتُم**» ثلاث مرات، أُشهد على ذلك لحمَ أبي هريرة ودمَه[(٣)].

٢٤٤- عن عبدِ الرحمن بن شُماسةَ قال سمعتُ أبا ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «**ستفتحونَ أرضًا يُذكر فيها القِيراطُ**[(٤)]**، فاستوصوا بأهلِها خيرًا، فإن لهم ذمةً ورحمًا، وإذا رأيت رجلين يقتتلان على موضعِ لِبنة فاخرج منها**» فمرَّ بربيعةَ وعبدِ الرحمن ابنا شُرحبيل بن حسَنة يتنازَعان على موضعِ لبنةٍ، فخرَج منها[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٦).

(٤) (القِيراط): جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٤٣).

٢٤٥- عن أبي يحيى أن جُبيرَ بن نُفيرٍ حدثه، عن عبدِ الله بن حَوالةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إنكم ستكونون أجنادًا مُجندةً، جندًا بالشامِ، وجندًا بالعراقِ، وجندًا باليمنِ، فعليكُم بالشامِ، فإنها صفوةُ الله من بلادِه، وفيها خيرتُه من عبادِه، وفيها يَربِط الله نورَه فمن أبي فلْيَلحَق بيمنِه، ولْيَسق من غُدُرِه، فإن الله قد تكفَّل لي بالشامِ وأهلِه**»[(١)].

٢٤٦- عن أبي بَكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ أن أرضًا تُسمَّى البصرة أو البُصيرة ينزِلها ناسٌ من المسلمين، فبينما هم كذلك، إذ جاءَهم بنو قَنْطُوراءَ[(٢)]، حتى يَنزِلوا بنهرٍ، يقال له: دِجلة ذي نخلٍ، فيتفرَّق الناسُ عند ذلك لثلاثِ فرقٍ: فأما فرقةٌ فتلحَقُ بأصلها فهَلَكوا، وأما فرقةٌ فتأخذُ على نفسِها وكفروا، وأمَّا فرقةٌ فتقاتِلُهم قتالًا شديدًا، فيفتح الله على بقيَّتهم[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٣/ ٤٦٦ (٢٠٣٥٦).

(٢) (بنو قَنْطُوراء) الترك، قيل: نسبوا لأمهم.

(٣) أخرجه أحمد ٣٤/ ٥٥ (٢٠٤١٣).

(٦٩) ومنه إخبارُه ﷺ عن الأمراءِ السوءِ المؤخِّرون الصلاةَ عن مواقيتِها وعن الولاةِ الجَورةِ أصحابِ السياطِ

٢٤٧- عن عبدِ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «يا عبدَ الله، سَيَلِي أمورَكم بعدي أمراءُ، يُطفئون السُّنَّةَ، ويُعلنون البدعةَ، ويُؤَخِّرون الصلاةَ عن مَواقِيتها»[١].

٢٤٨- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «صِنفان من أهلِ النارِ، لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقر يضرِبون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مائلات مُميلات، رؤوسهنَّ كأمثالِ أَسْنِمَةِ البُخْتِ[٢] المائلة، لا يدخُلن الجنةَ، ولا يجِدنَ ريحَها، وإن ريحَها لتوجدُ من كذا وكذا»[٣].

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٨٦٥)، وأصله في مسلم (٥٣٤).
(٢) (رؤوسهن كأمثال أَسْنِمَةِ البُخْتِ) أي: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو نحوها.
(٣) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

(٧٠) وأما إخبارُه ﷺ عن وقوعِ الفتنِ الكائنة بعده فإنها كثيرةٌ واسعةٌ اقتصرنا على القليلِ منها، فمنها ما أخبرَ بوقوعها بالمدينة

٢٤٩- عن أسامةَ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أشرفَ النبيُّ ﷺ على أُطْمٍ[(١)] من آطامِ المدينة فقال: «**هل ترون ما أرى؟ إني لأَرى الفِتنَ تقعُ خلالَ بيوتِكم كمواقِعِ القَطْرِ**»[(٢)].

٢٥٠- عن كُرزِ بن علقمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألَ رجلٌ رسولَ الله ﷺ هل للإسلامِ من منتهى؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**نعم، أيُّما أهلِ بيتٍ من العربِ أو العجَمِ أرادَ الله بهم خيرًا، أدخلَ عليهم الإسلامَ**» قال: ثمَّ مه يا رسول الله؟ قال: «**ثم تقعُ الفتنُ كأنها الظُّلَلُ**».

فقال له الرجلُ: كلا والله، إن شاءَ الله يا رسولَ الله، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**والذي نَفسي بيدِه، لتعودُنَّ فيها أساوِدَ صُبًّا[(٣)]، يَضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[(٤)].

٢٥١- عن أمِّ حبيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُريتُ ما تَلقى أمَّتي من بعدي، وسَفْك بعضِهم دماءَ بعض، وكان ذلك سابقًا من الله عَزَّوَجَلَّ، فسألتُه أن يُولِيَني شفاعةً فيهم يومَ القيامةِ ففعلَ**»[(٥)].

---

(١) (على أُطْم): الحصون التي تبنى بالحجارة.
(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٨)، ومسلم (٢٨٨٥).
(٣) (أَساوِد صُبًّا) الأسود أخبث الحيات وأعظمها، وإذا أراد أن ينهش ارتفع ثم انصب على الملدوغ.
(٤) أخرجه أحمد ٢٥/ ٢٥٩ (١٥٩١٧).
(٥) أخرجه أحمد ٤٥/ ٣٩٩ (٢٧٤١٠).

٢٥٢- عن النُعمانِ بن بشيرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: صحِبنا رسولَ الله ﷺ وسمعناه يقولُ: «**إن بين يَدي الساعةِ فِتنًا، كأنها قطعُ الليل يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، يَبيعُ أقوامٌ أخلاقَهم في عرَضٍ -أو بعرضٍ- من الدنيا يسيرٍ**»(١).

٢٥٣- عن أبي بكرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ليَرِدنَ عليَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابي، حتى إذا رُفِعوا إليَّ اختُلِجوا دوني، فأقولُ: ربي أصحابي، فيُقالُ: إنك لا تَدري ما أحدَثوا بعدَك**»(٢).

٢٥٤- عن أبي الدرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلت: يا رسولَ الله، بلغني أنك تقولُ: «**إن قومًا من أمَّتي سيكفُرون بعد إيمانِهم**»، قال: «**أجل يا أبا الدرداءِ، ولستَ منهم**»(٣).

٢٥٥- عن سعيدِ بن جُمهان، حدثني سَفينةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مولى رسولِ الله ﷺ قال: خَطبَنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**الخلافةُ في أمتي ثلاثون سنةً، ثم تكون مُلكًا**».

ثم قال سفينة: أمسِكْ: خلافة أبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اثنتا عشرةَ سنة وستةُ أشهرٍ، وخلافة عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ثنتا عشرة سنةً، ثم خلافة عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تكملةُ الثلاثين، قلت: معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟ قال: كان أولَّ الملوكِ(٤).

---

(١) أخرجه أحمد ٣٠/ ٣٥٣ (١٨٤٠٤).

(٢) أخرجه أحمد ٣٤/ ١٣٣ (٢٠٤٩٤)، وهو في البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤) من حديث أنس.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ١/ ١٢٩ (١٤١)، والبزار ١٠/ ٤٩ (٤١١٢)، والطبراني في «الكبير» ١/ ٨٩ (١٣٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٤٠٣.

(٤) أخرجه الطيالسي (١٢٠٣)، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦).

٢٥٦- عن عبدِ الرحمن بن أبي بَكرةَ، عن أبي بكرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: وفَدنا إلى معاويةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع زيادٍ، ومعنا أبو بكرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فدَخلنا عليه، فقال له معاويةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: حدِّثنا حديثًا سمعتَه من رسولِ الله ﷺ عسى الله أن ينفعنا به.

قال: نعم، كان نبيُّ الله ﷺ يُعجبه الرؤيا الصالحةُ، ويسأل عنها، فقال رجل: يا رسولَ الله إني رأيتُ رؤيا، كأن ميزانًا دُلِّي من السماءِ، فوُزنت أنت وأبو بكرٍ فرجحتَ بأبي بكرٍ، ثم وزِن أبو بكر بعمرَ فوَزن أبو بكر عمرَ، ثم وُزنَ عمرُ بعثمان فرَجح عمرُ بعثمانَ، ثم رُفعَ الميزان، فاستاء لها رسولُ الله ﷺ، ثم قال: خلافةُ نبوةٍ، ثم يؤتِي الله المُلك من شاءَ، فغضِب معاويةُ، فزَخَّ في أقفائِنا فأخرَجنا.

فقال زيادٌ لأبي بكرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما وجدتَ من حديثِ رسولِ الله ﷺ حديثًا تُحدثه غيرَ هذا؟ قال: والله لا أُحدثه إلا به حتى أفارقَه، فلم يَزَل زيادٌ يطلبُ الإذنَ حتى أذن لنا، فدخلنا، فقال معاويةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يا أبا بكرةَ حَدثنا بحديثِ رسول الله ﷺ لعلَّ الله أن ينفعنا به.

قال: فحدثتُه آخرُ مثلَ حديثه الأول.

فقال له معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا أبا لك، تُخبرنا أنا مُلوك، فقد رَضينا أن نكون ملوكًا(١).

قال الشيخُ -حرسه الله-: ورَفعُ الميزان بعد وزنِ الثلاثةِ، يدلُّ على رفع اعتدالِ الأحوال وزوالها في الاستواءِ بما حدثَ من الفتن بقتلِ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وتشتُّتِ الكلمِ، وليس ذلك بقادحٍ في خلافةِ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ولا إمامتِه، إذ موجب

(١) أخرجه أحمد ٣٤/ ١٤٠ (٢٠٥٠٣)، وأبو داود (٤٦٣٤)، والترمذي (٢٢٨٧).

الخلافة استحقاقُ خصالها وشرائِطها لا الرغبة، وارتفاعُ الفتن، ثم إنْ وَقَعَ اختلالٌ والتباسٌ في الأمرِ فعلى الإمام أن يجتهدَ في إزالته بما يقتضيه حكمُ الشريعةِ، فإن استقامَ فهو الغرضُ المقصود والأمرُ المحمود، وإن امتنعت استقامتُه وتعذَّرَ، فعلى الله حسابُ المعتدين والمخالِفين.

ونظيرُ هذا الحديث تَسبيحُ الحصا في يد النبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم لم يُسمَع لها تسبيحٌ، فهو أيضًا دليلٌ على وقوعِ الفتن، وتغير الأمورِ بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس ذلك من استحقاقِ الخلافة وسقوطِها في شيء، والله أعلم.

٢٥٧- عن سماكِ بن حربٍ قال: سمعتُ جابرَ بنَ سَمُرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يخطبُ يقول: «**إن الإسلامَ لا يزالُ عزيزًا إلى اثني عَشرةَ خليفةٍ**» ثم قال كلمةً لم أحفظها، فقلتُ لأبي: ما قال؟ فقالَ: «**كلُّهم من قريشٍ**»[(١)].

٢٥٨- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: خرج النبيُّ ﷺ إلى حائط من حوائط المدينةِ لحاجتِه، فخرجتُ في أثَرِه وهو مُتدَلٍ القفَّ، وقال: ثم جاء عثمانُ، فقلت: كما أنت، حتى استأذنَ النبيَّ ﷺ لك، فقال: «**ائذَن له، وبشِّره بالجنةِ مع بلاءٍ يصيبُه**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٢)، ومسلم (١٨٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

٢٥٩- عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يا عثمانُ، إنه لعل الله أن يُقمِّصَك قميصًا، فإن أرادوك على خَلعِه، فلا تخلَعه**» ثلاثَ مراتٍ، قال: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله؛ تقولُها ثلاثًا؟!⁽١⁾.

٢٦٠- عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صعدَ النبيُّ ﷺ أحدًا ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ فرجف بهم، فقال: «**اثبُت أحُد فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشَهيدان**»⁽٢⁾.

٢٦١- عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من كذبَ عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعدَه من النارِ**»، وأشهدُ أنه كان مما يُسرُّه إليَّ رسول الله ﷺ: «**لتُخَضَّبن هذه من هذا**» يعني: لحيتَه من رأسِه⁽٣⁾.

٢٦٢- عن عمَّارِ بن ياسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أنا وعليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفيقين في غزوةِ العشيرةِ، فنزلنا منزلًا فعمِدنا إلى صَورٍ من النخلِ⁽٤⁾ فنمنا تحته في دَقْعَاء⁽٥⁾ من الترابِ، فما أيقظَنا إلا رسول الله ﷺ، فأتى عليًّا فغمزه برِجله، وقد تترَّبنا في ذاك التُّراب، فقال: «**قم، ألا أخبرُك بأشقى الناسِ؟ أُحيمرُ ثمودَ عاقرُ الناقة، والذي يضربُك على هذا**» وأشارَ إلى قَرنِه «**وتَبْتَلَّ هذه منها**» وأخذ بلحيته⁽٦⁾.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠٥)، وابن ماجه (١١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ١٨٢ (٨٠٢).

(٤) (صَورٍ من النخلِ) الصور: الجماعة من النخل.

(٥) (الدَّقْعَاء): التراب.

(٦) أخرجه أحمد ٣٠/ ٢٥٦ (١٨٣٢١).

(٧١) ذكرُ إخبارِه ﷺ بإصلاحِ الله بالحسنِ بين فئتين وما كان منه مع معاويةَ وحقنِ دماءِ المسلمين

٢٦٣- عن أبي بكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسولُ الله ﷺ: «**إن ابني هذا سيِّدٌ، لعلَّ الله تعالى أن يُصلحَ به بين فئتين من المسلمينَ عظيمتين**»[(١)].

(٧٢) ذكر خبر في ذي الثُّديَة، وَصَفَه رسولُ الله ﷺ بصفة لقبه

٢٦٤- عن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ يقسم قسمًا، فقال له ذو الخويصِرة التميمي: يا رسولَ الله، اعدل، قال: «**ويحَكَ؟ فمن يعدِل إذا لم أعدِل؟!**» فقام عمرُ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسولَ الله، ائذن لي حتى أضربَ عنقَهُ.

فقال النبيُّ ﷺ: «**لا، إن له أصحابًا يحقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِه، وصيامَه مع صيامِه، يَمرُقون من الدين مُروقَ السهم من الرمِيَّةِ، حتى إن أحدهُم لينظرُ إلى نصلِه فلا يَجد فيه شيئًا، ثم ينظرُ إلى نَضِيِّه[(٢)] فلا يجد فيه شيئًا، ثم ينظر على قُذذِه[(٣)] فلا يجد فيه شيئًا، يسبقُ الفرْثَ والدمَ، يَخرجون على خيرِ فرقةٍ من الناسِ، منهم رجل مُخدَّجٌ[(٤)]، إحدى يديه مثل ثَديِ المرأةِ، أو البَضعة[(٥)] تَدَردَرُ[(٦)]**».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).
(٢) (نَضِيِّه) أي: عود السهم قبل أن يراش وينصل.
(٣) (قُذذِه) جمع قذة وهي ريش السهم.
(٤) (مُخدَّج) أي: ناقص الخلق.
(٥) (بَضْعَة) أي: قطعة لحم.
(٦) (تَدَردَر) أي: تضطرب.

قال أبو سعيدٍ: أشهدُ لَسمعتُ هذا من رسولِ الله ﷺ، وأشهدُ أني كنت مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قاتَلَهم، فأرسلَ في القتلى، فأُتِيَ به على النعتِ الذي نعتَ رسولُ الله ﷺ[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

(٧٣) ذكر إعلامه ﷺ عمار بن ياسر أنه مقتول بين صفين، وأن الفئة الباغية تقتله، وأن آخر شراب يشربه ضياح لبن

٢٦٥- عن حُذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبيَّ ﷺ -وضربَ جنبَ عمار- فقال: «**إنك لن تموتَ حتى تَقتلَك الفئةُ الباغية عن الحقِّ، يكون آخرَ زادك من الدنيا شربةٌ من لبن**»[(١)].

(٧٤) ذكر أخباره ﷺ عن مسيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الحرة

٢٦٦- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما أتت على الحَوْأَبِ سمعت نُباحَ الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعةً، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**أيَّتُكن تنبحُ عليها كلابُ الحَوْأَبِ**[(٢)]؟»، فقال لها الزبيرُ بن العوامِ: لا تَرجعين عسى الله أن يُصلحَ بك بين الناسِ[(٣)].

(٧٥) إخبارُه ﷺ عن المختارِ بن أبي عبيدٍ والحجّاج بأوصافِهما لا بأسمائهما

٢٦٧- عن أبي نوفلَ بن أبي عقربٍ، عن أسماءَ بنتِ أبي بكر أنها قالت للحجاجِ: أما إن رسولَ الله ﷺ حدثنا أن في ثقيفٍ كذابًا ومُبِيرًا[(٤)]، فأما الكذابُ فقد رأيناه، وأما المُبيرُ فلا إخالُك إلا إياه[(٥)].

---

(١) أخرجه البزار ٧/ ٣٥١ (٢٩٤٨)، والطبري في «تاريخه» ٥/ ٣٨-٣٩، والحاكم ٢/ ١٦٢ (٢٦٥٢).

(٢) (الحَوْأَب) منزل بين مكة والبصرة.

(٣) أخرجه أحمد ٤٠/ ٢٩٨ (٢٤٢٥٤).

(٤) قوله: (مُبِيرًا) أي: مهلك، يسرف في إهلاك الناس.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

(٧٦) إخبارُه ﷺ بموت النجاشي

٢٦٨- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ نَعى النجاشيَّ في اليوم الذي ماتَ فيه، خَرَجَ إلى المُصلَّى، فصف بهم، وكبر أربعًا[(١)].

(٧٧) ما أخبرَ به ﷺ عن مدةِ عبد الله بن بُسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢٦٩- عن عبدِ الله بن بسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ وضع يده على رأسِه، وقال: «**يَعيشُ هذا الغلامُ قرنًا**» قال: فعاش مئةَ سنة، وكان في وجهه ثُؤْلُولٌ[(٢)]، فقال: «**لا يموتُ، حتى يذهبَ هذا الثؤلولُ من وجهه**»، فلم يمت حتى ذهب الثؤلولُ من وجهِه[(٣)].

(٧٨) قولُه ﷺ للأنصار: «ستلقَون بعدي أثرةً»

٢٧٠- عن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دعا رسولُ الله ﷺ الأنصارَ ليقطَع لهم مالَ البحرين، فقالوا: لا والله، حتى تَقطَع لإخوانِنا من قريشٍ مثلَها، فقال: «**إنكم سترَون بعدي أَثَرةً، فاصبروا حتى تلقَوني على الحوضِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).

(٢) (الثُّؤْلُول): هو الخراج التي تظهر على الجلد قدر الحمصة فما دون.

(٣) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» ٢/ ١٧ (٨٣٦)، والحاكم ٤/ ٥٤٥ (٨٥٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٥٠٣.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٨٤٥).

(٧٩) إخباره ﷺ عن شهادة أُمِّ حرامٍ الأنصارية

٢٧١- عن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا ذهبَ إلى قباء، يدخلُ على أم حَرام بنت مِلحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتطعمُه، وكانت أُمُّ حرامٍ تحت عبادةَ بن الصامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدخل عليها رسولُ الله ﷺ يومًا فأطعمتهُ، وجلست تَفلي رأسَه، فنامَ رسولُ الله ﷺ، ثم استيقَظَ وهو يضحكُ، فقالت: ما يُضحِكُك يا رسول الله؟

فقال: «**أُناس من أمتي عُرِضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله، يَركبون ثَبَجَ[1] هذا البحرِ، ملوكٌ على الأسِرَّةِ**» أو «**مثلُ الملوك على الأسِرَّة**».

قالت: فقلت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يَجعَلني منهم، فدعا لها، ثم وضعَ رأسَه فنام، ثم استيقَظَ وهو يضحكُ، فقلت: ما يُضحكُك يا رسول الله؟

فقال: «**ناسٌ من أمتي عُرضوا علي غُزاةً في سبيلِ الله، ملوكٌ على الأسِرَّة**»، أو «**مثلُ الملوك على الأسرة**»، كما قال في الأولى.

فقلت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يَجعلَني منهم.

قال: «**أنت من الأوَّلين**».

قال: فركِبَت أمُّ حرام البحرَ في زمن معاويةَ، فصُرعت عن دابَّتِها حين خرجت من البحرِ فماتتْ[2].

(١) (يركبون ثَبَجَ هذا البحر): الثَّبج: ظهر الشيء.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٨)، ومسلم (١٩١٢).

(٨٠) ما أخبرَ النبيُّ ﷺ من إطْلاعِ الله تعالى إياه على كتاب حاطبِ بن أبي بَلتعة

٢٧٢- قال ابنُ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال عمرُ بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كتبَ حاطبُ بن أبي بلتعةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى مكةَ، وأَطلعَ الله عليه نبيَّه عليه السلام، فبعث عليًّا والزبيرَ بن العوامِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في أثَرِ الكتاب، فأدركا امرأةً على بعيرٍ، فاستخرجاه من قَرنٍ من قرونها، فأتيا به النبيَّ عليه السلام فقُرِئ عليه.

فأرسلَ إلى حاطب بن أبي بلتعةَ: «**أنت كَتَبتَ هذا؟**»

قال: نعم، يا رسولَ الله.

قال: «**ما حَمَلَك على ذلك؟**»

قال: يا رسول الله، والله إني لناصحٌ لله ولِرسولِه، ولكني كنت غريبًا في أهلِ مكةَ، وكان أهلُ بيتي بين ظَهرانِيهم، فخَشيتُ عليهم، وكتبت كتابًا لا يضرُّ اللهَ ورسولَه شيئًا، وعسى أن يكون منفعةً لأهلي.

قال عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فاخترَطتُ سيفي، فقلت: يا رسولَ الله، أمكِنِّي من حاطبٍ، فإنه قد كَفرَ؛ فأضرِب عنقه.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا ابنَ الخطابِ، ما يُدريك لعلَّ الله اطَّلَع إلى هذه العصابةِ من أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شئتُم فقد غَفرتُ لكم**»[1].

(١) أخرجه البزار ١/٣٠٨ (١٩٧)، والطبراني في «الأوسط» ٣/١١٢ (٢٦٤٧)، والحاكم ٤/٨٧ (٦٩٦٦). وأصله في البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٨١) إخبارُه ﷺ عن إفاضةِ الدنيا والمالِ على أصحابه من بعدِه

٢٧٣- عن محمدِ بن كعبٍ القُرظي قال: دُعي عبدُ الله بن يزيدَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ إلى طعامٍ، فلما جاء رأى البيتَ منجَّدًا، فقعد خارجًا وبكى فقيل له: ما يُبكيك؟

قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا شيَّع جيشًا، فبلغ معهم عقبة الوداعِ قال: «**أستودعُ الله دينكم وأمانَتكم وخواتيمَ أعمالِكم**».

قال: فرأى رجلًا ذات يومٍ قد رقَّع بُردة له بقطعةِ فروة، استقبل مطلِع الشمسِ، ثم قال: «**تطالَعَت عليكم الدنيا – ثلاثًا - يغدو أحدُكم في حُلَّة، ويروحُ في أخرى، وتَسترون بيوتَكم كما تُسترُ الكعبة؟**»

قال عبد الله: فلا أبكي، وقد رأيتُكم تسترون بيوتكم كما تسترُ الكعبة(١)!

(٨٢) ما أخبرَ عن العَنسي ومُسيلمة بما أُري في النومِ

٢٧٤- عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ، وفي يدي سِوارَين من ذهبٍ، فأهمني شأنُهما، فأوحي إليَّ في المنامِ أن انفُخهُما، فنفختُهما فطارا، فأوَّلتُهما كذَّابَين يخرجان بعدي**». فكان أحدُهما العنسيُّ والآخرُ مُسيلمة صاحب اليمامةِ(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٠٩٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» ٩/ ١٨٩ (١٠٢٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧/ ٤٤٣، والحاكم ٢/ ١٠٧ (٢٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤).

(٨٣) إخباره ﷺ قريشا أنه بعث إليهم بالذبح فأشار إلى وقائعه بهم بيده وغيره

٢٧٥- عن عمرِو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما رأيتُ قريشًا أرادوا قتلَ النبيِّ ﷺ، إلا يومًا ائتمروا به، وهم جلوسٌ في ظلِّ الكعبة، ورسولُ الله ﷺ يُصلي عند المقامِ، فقام إليه عقبةُ بن أبي مُعيط، فجعل رداءه في عنُقه، ثم جذبه حتى وجبَ لرُكبَتَيه ساقطًا، وتصايحَ الناسُ، فظنوا أنه مقتولٌ، وأقبل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشتدُّ، حتى أخذ بِضبعَيْ رسول الله ﷺ من ورائه، وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]؟

ثم انصرفوا عن النبيِّ ﷺ، فقام رسولُ الله ﷺ فصلى، فلما قَضى صلاتَه، مر بهم وهم جلوسٌ في ظِلِّ الكعبةِ، فقال يا معشر قريش: «**أما والذي نفسي بيدِه، ما أُرسِلت إليكم إلا بالذبحِ**»، وأشار بيده على حلقِه.

فقال له أبو جهل: يا محمدُ، ما كنت جهولًا؛ فقال له النبيُّ ﷺ: «**أنتَ مِنهُم**»[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد ١١/ ٦٠٩ (٧٠٣٦).

(٨٤) وقد رُوِيَت أخبارٌ في هدمِ الكعبةِ وصفةِ هادِمِها

٢٧٦- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُخرِّب الكعبةَ ذو السُّوَيْقَتَين[1] من الحبشةِ»[2].

قال الشيخُ -أسعده الله-: هذا الحديثُ في نظائِرِه يحتجُّ على نبوته، ويحتجُّ بها على من آمَنَ بالرسولِ، دون من يَحتاجُ على إقامةِ الدلالة على نبوتِه.

(١) (ذو السُّوَيْقَتَين) تثنية سُوَيْقَة، وهي تصغير ساق، أي: له ساقان دقيقان.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٨٥) ومن إخبارِه ﷺ بالغيوبِ عن ضمائرِ أقوامٍ

٢٧٧- عن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء رجلٌ من الأنصارِ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، كلماتٌ أسألك عنهن فعلِّمنيهن؟

قال: «**إن شئت أخبرتُك عما جئت تسألُ، وإن شئتَ سألتني فأخبرتُك**».

قال: لا، بل يا نبيَّ الله أخبرني عما جئتُ أسألك.

قال: «**جئتَ تسألُني عن الحاجِّ ما له حين يخرُج من بيته؟ وما له حين يقفُ بعرَفات؟ وما له حين يرمي الجِمار؟ وما له حين يحلِقُ رأسه؟ وما له حين يقضي آخرَ طوافه بالبيت؟**»

قال: يا نبي الله، والذي بعثَك بالحقِّ ما أخطأتَ مما كان في نفسي شيئًا.

قال: «**فإن له حين يخرجُ من بيته: أن راحلتَه لا تَخطو خُطوةً إلا كُتبت له بها حسنةٌ، أو حُطَّت عنه بها خطيئةٌ، فإذا وقف بعرفاتٍ فإن الله تعالى يقولُ للملائكة: انظروا إلى عبادي شُعثًا غبرًا، اشهدوا أني قد غفرتُ لهم ذنوبَهم، وإن كانت عددَ قطرِ السماءِ، ورملِ عالِجٍ، وإذا رمى الجمارَ فإن أحدًا لا يَدري ما له حتى يتوفَّاه الله يوم القيامةِ وإذا حلق رأسهُ، فله بكل شعرةٍ سقطت من شعره نورٌ يوم القيامةِ، وإذا قضى آخر طوافِه خرج من ذنوبِه كيومِ ولدته أمه**»[(١)].

---

(١) أخرجه ابن حبان ٥/ ٢٠٦ (١٨٨٧)، والطبراني في «الكبير» ١٢/ ٤٢٥ (١٣٥٦٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٢٩٣.

(٨٦) ذِكرُ إخبارِه ﷺ بأسرعِ نسائه لحوقًا به بعد مَوته

٢٧٨- عن عائشةَ أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: قال النبيُّ ﷺ: «**أسرعُكن لحاقًا بي أطولُكن يدًا**».

قالت: فكن يتطاوَلن أيتهنَّ أطولُ يدًا، فكانت أطولُنا يدًا زينب؛ لأنها كانت تَعمَل بيدِها وتصدَّق[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢).

(٨٧) ذِكرُ إخبارِه ﷺ فاطمةَ عليها السلام أنها أوَّلُ من يَلحقُ به بعد موته

٢٧٩- عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: أقبلت فاطمةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا تمشي كأن مِشيتَها مشيةُ رسولِ الله ﷺ فقال: «**مرحبًا بابنَتي**».

فأجلَسها على يَمينه، ثم أسرَّ إليها حديثًا فبَكت. فقلت لها: استخصَّك رسولُ الله ﷺ ثم تَبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحِكت.

فقلت: ما رأيت كاليومِ فرحًا أقربَ من حزن، فسألتها عما قال.

فقالت: ما كنت لأُفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ، حتى قبضَ، فسألتها فقالت: أسرَّ إلي قال: «**إن جبريلَ عليه السلام كان يُعارِضني بالقرآنِ كل سنة مرةً، وإنه عارَضني العامَ مرتين، ولا أُراهُ إلا قد حَضَرَ أجَلي، وإنك أول أهلي لحاقًا بي، ونعم السلفُ أنا لك**».

فبكيت لذلك، ثم قال: «**ألا تَرضين أن تكوني سيدةَ نساءِ الأمةِ، أو نساءِ المؤمنين؟**» فضحِكتُ[(١)].

قال الشيخ -أسعده الله-: وجه الدلالةِ في إخبارِه ﷺ عن الغيوبِ على صحة نبوتِه وثبوتِ رسالته، أن مولدَهُ ومنشأهُ في قومٍ أمِّيين، لم يتَعاطَوا علمًا بالنجومِ، ولا حكمًا بالطوالعِ والكواكبِ حسب ما يَستنبطُ المنجمون، ولا عُرِفَ وهو يَطلبُ شيئا من ذلك في بلدِه وأسفارِه، وكانت الكهانةُ بطلت بمبعثِه ﷺ، فلم يكن إخبارُه ﷺ بالغيوبِ إلا بوحي يأتيه به جبريلُ عليه السلام عن الله تعالى، ولو كان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

في قومِه وبلده المنجمون والمستنبطون فلم يُخالِطهم، ولا عُرِفَ بالأخذِ عنهم، وأخبر بما أخبرَ من الغيوبِ لكان ذلك دلالة على نبوتِه ومعجزة له، وإذا خفيَ ذلك على عشيرتِه وخلطائِه لمفارقة ذلك العادات، وليس بجائزٍ أن يكون إخبارُه مأخوذًا عن الشياطين مع ما جاءَ من سبِّهم ولعنِهم، فثبت بهذا أن الأخذَ فيما أخبرَ به من الغيوبِ عن الله تعالى.

وأما ما اعتَرَضَ به بعض الملحدةِ والكفرة فإنه لم يأت بآيةٍ قاطعةٍ مُحتجًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:٥٩] مما أشبهَهُ من الآي، فكيف وقد وَردَ القرآن بقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ [القمر:١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِ﴾ [الجن:٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ... فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: ١٣-٢٤]، وقوله تعالى لليهودِ: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا﴾ [الجمعة:٦-٧]، وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال:٩]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ [الشعراء:١٩٧]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ [طه:١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:١-٣]، الآية وما في معناها من الآي.

وإنما مُنعوا الآي التي يَقترحونها على النبيِّ ﷺ بأن تأتيهم الملائكة عيانًا فيقولون: ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧﴾ [الحِجر:٧] فأنزل الله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨﴾ [الحِجر:٨]، وقوله:

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَا﴾ [الفرقان:٧-٨] وما في معناه فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ [العنكبوت:٥١].

فكان النبيُّ عليه السلام يُعرفهم إنما الآيات عندَ الله، ولا يُرسلها إلا بما يَعلمُ فيه من الصلاحِ، وأن شهوات الكفارِ والجهالِ لا نهايةَ لها، وفيما أنزلتُه من الكتابِ المنبئِ عن الغيوبِ كفايةٌ مع ما كان الله تعالى يُظهرُه عليه من الآيات سفرًا وحضرًا، واستفاضَت الأخبارُ به بنقلِ الأمناء العدولِ من جهات كثيرةٍ مختلفةٍ يستحيلُ فيها مع مُضِيِّ السنين وتَطاولِ المدة واختلافِ هممِ النقلةِ ودواعيهم التواطؤ عليها، وحَصلت بحمد الله تعالى الدلائلُ خاصًّا وعامًّا.

والقرآن هو الحجةُ الباقيةُ بقاءَ الدهرِ التي عجزت العربُ مع فصاحتِهم وبلاغتِهم عن معارضتِه، فخاطروا بنفوسهم وأموالهم وأولادِهم لعجزِهم عن معارضتِه مع ما يَرجعون إليه من العقولِ الراجحةِ والأَنَفةِ الكاملةِ، فليس يخلو تَركُهم معارضته من أحد أمرين، إما عجزًا عنها أو قدرة عليها، فإن كان عجزًا فهو ما نقولُه، وإن كانوا قادرين على معارضتِه فلم يُعارضوا لصرفٍ صرَفهم الله عنها فهو أيضًا معجزةٌ، كما لو أن مدعيًا ادعى النبوةَ، فقال: إنكم لو أردتُم الكلامَ يومكم هذا لم يُمكِنُكم، فلم يُمكِنهم الكلام، كان ذلك معجزةً له، وآية للصرفةِ التي صرفَهُم الله تعالى عن النطقِ والكلامِ، وقد كان أمره ﷺ في الانتفاءِ عن علم الغيبِ وتعرية من ادعائه ظاهرًا منتشرًا، وأنه لا يعلمُ منه إلا ما علمه الله تعالى وأنبأه.

(٨٨) فصل في ذِكرِ ما ظهرَ لأصحابِه ﷺ في حياتِه

٢٨٠- عن يحيى بن جَعدة عن جدتِه قالت: جاءت أم مالكٍ الأنصارية بعُكَّة سمنٍ إلى رسولِ الله ﷺ، فأمر رسولُ الله ﷺ بلالًا فعَصَرَها ثم دفعَها إليها فرَجعت فإذا هي مملوءة، فأتت النبي ﷺ فقالت: نزل فيَّ شيء يا رسولَ الله؟

قال: «**وما ذاك يا أُمَّ مالك؟**»

قالت: رددت عليَّ هديتي، قال: فدعا بلالًا فسأله عن ذلك، فقال: والذي بعثَك بالحقِّ لقد عصرتُها حتى استَحييتُ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**هنيئًا لك يا أمَّ مالك، هذه بركةٌ عجَّل الله لك ثوابَها**»[(١)].

٢٨١- عنِ البراءِ بنِ عازبٍ أن رجلًا كان يقرأُ سورةَ الكهفِ وإلى جانبِه فرسٌ مربوطٌ بشطنين فتَغشَّتْه سحابةٌ فجعلت تدورُ وتدنو، وجعلَ فرسُه ينفرُ منها، فلما أصبحَ ذكرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**»[(٢)].

٢٨٢- عن أنسٍ أن أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ وعبادَ بن بِشرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا عند رسولِ الله ﷺ في ليلةٍ ظلماءَ حندسٍ، فخرجا من عندِه فأضاءَت عصا أحدُهما مثل السراجِ فمشَيا في ضوئِها حتى إذا تفرَّقا إلى منازلِهما أضاءَتْ عصا الآخَر[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٦/ ٤٨٩ (٣٢٤١٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٦/ ١٧٧ (٣٤٠٥)، والطبراني في «الكبير» ٢٥/ ١٤٥ (٣٥١)، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٩)، ومسلم (٧٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠٥).

٢٨٣- عن مُطرفِ بنِ عبدِ الله قال: قال لي عِمرانُ بنُ حُصَيْن: إنه كان يُسلَّم عليَّ، فلمَّا اكتَوَيْت انقطعَ التسليمُ، فقلتُ له: أمِنْ قِبَل رأسِكَ كان يَأتيك التسليمُ أو من قِبَل رِجلَيْك؟ قال: لا، بل من قِبَل رأسي. فقلتُ: فإني لا أَرَى أن تَموت حتَّى يعودَ ذلك. فلما كان بعدُ قال لي: أشعرت أن التسليمَ عاد لي، ثُم لم يَلبَثْ إلَّا يسيرًا حتى ماتَ[١].

(١) أخرجه مسلم (١٢٢٦).

(٨٩) فصل فيما وقعَ من الآيات بوفاتِه

٢٨٤- عن عائشةَ قالت: لما أرادوا غسلَ رسولِ الله ﷺ اختلَفوا فيه فقالوا: والله ما ندري أنُجرِّدُ رسولَ الله من ثيابِه كما نجردُ موتانا أو نغسِّلُه وعليه ثيابُه؟ قالَت: فلما اختَلفوا ألقى الله تعالى عليهم النومَ حتى ما مِنهم رجلٌ إلا ذقنُه في صدرِه، ثم كلمَهم مكلِّمٌ من ناحيةِ البيتِ لا يدرون من هو: أن اغسِلوا النبيَّ عليه السلام وعليه ثيابُه. قال: فقاموا إلى رسولِ الله ﷺ فغَسلوه وعليه قميصُه، يصبُّون الماءَ فوقَ القميصِ ويدلِّكونَه والقميصُ دون أيديهم[(١)].

٢٨٥- عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**ما من نبي إلا تُقبضُ نفسُه فيرى الثوابَ، ثم تُردُّ إليه فيخيَّر بين أن يُردَّ أو يَلحَق**» فكنت قد حفِظتُ ذلك منه، وإني لُمسندتُه إلى صدري فنظرتُ إليه حتى مالت عُنُقه، فقلت: قد قَضى!

فعرفت الذي قال، فنظرتُ إليه حتى ارتفَعَ ونظَرَ فقلت: إذن والله لا تَختارُنا.

فقال: «**مع الرفيقِ الأعلى في الجنة** ﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا**﴾ [النساء: ٦٩]»[(٢)].

٢٨٦- عن أَوسِ بن أَوسٍ الثقفيِّ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُم يَوْمُ الجُمُعَةِ، فيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفيهِ قُبِضَ، وفيهِ النَّفْخةُ، وفيهِ الصَّعْقةُ فَأَكْثِروا**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٢٤٤٤)، وأحمد ٤٠/ ٥١٠ (٢٤٤٥٤)، واللفظ له.

عليَّ الصلاةَ فيهِ، فإنَّ صَلاتَكُمْ تُعرَضُ عليَّ»، قالوا: يا رَسولَ الله وكيفَ تُعرَض صلاتُنا عليك وقد أرِمْتَ؟! يَقولون: بَلِيتَ. فقال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسادَ الْأَنْبِياءِ»**[(١)].

٢٨٧- عن أنس أن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج يَستسقي وخَرَجَ بالعباسِ معه يستسقي به ويقولُ: اللهم كنا إذا قَحِطنا على عهدِ نبيِّنا ﷺ توسَّلنا بنبينا، وإنا نتوسلُ إليك بعمِّ نبيك فاسقِنا، قال: فسُقوا»[(٢)].

٢٨٨- عن جابرِ بن سمرةَ قال: كنت قاعدًا عند عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ جاءه ناسٌ من أهلِ الكوفة فشَكَوا سعدًا، فبعث من يسألُ عنه بالكوفةِ، فطِيف به في مساجدِ الكوفة فلم يُقَل له إلا خيرًا، حتى انتهى إلى مَسجد بني عبس، فإذا رجلٌ يُدعى أبا سعدة فقال: اللهم إنه كان لا ينفِرُ في السريةِ، ولا يَقسِم بالسَّويةِ، ولا يَعدِل في القضيةِ، قال: فغضِبَ سعد فقال: اللهم إن كان كاذبًا فأطِل عمرَه، وأَشِدَّ فقرَه، وأعرِض عليه الفِتنَ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠).

قال الشيخ ابن العثيمين: «النوع الرابع من التوسل: أن يتوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته كطلب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم، مثل قول الرجل الذي دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: ادع الله أن يغيثنا، وقول عكاشة بن محصن للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعلني منهم. وهذا إنما يكون في حياة الداعي، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له، فقد انتقل إلى دار الجزاء؛ ولذلك لما أجدب الناس في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يطلبوا من النبي ﷺ أن يستسقي لهم؛ بل استسقى عمر بالعباس عم النبي ﷺ، فقال له: قم فاستسق؛ فقام العباس فدعا»، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢/ ٣٤٢.

قال: فزعمَ عبدُ الملك بن عُمير أنه رآه قد سقطَ حاجباه على عينيه، وقد افتقرَ وافتُتِن، فما يجدُ شيئًا، يُسأل كيف أنت يا أبا سعدة؟ فيقول: شيخٌ كبير مَفتونٌ أجيبت فيَّ دعوةُ سعدٍ(١).

قال الشيخ -أسعده الله-: وكان سعدٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع ما أجرَى الله تعالى على يديه من معجزاتٍ، آيةً متصلةً بآيةِ النبيِّ ﷺ؛ لدعائِه ﷺ لسعدٍ بأن تُستجابَ دعوتُه.

٢٨٩- عن جابرٍ قال: صُرِخ بنا إلى قتلى أحدٍ، وذاك إذا أجرى معاويةُ العين، فاستخرَجناهم بعد أربعينَ سنةٍ لينةٌ أجسادُهم(٢).

٢٩٠- عن جابرٍ قال: لمَّا حضرَ قتالُ أحُدٍ، دعاني أبي منَ الليلِ، فلمَّا أَصبَحْنا كان أولَ قتيلٍ، قال: فدَفَنْته مع آخَرَ في قبرٍ، ثُم لم تَطِبْ نفسي أن أَترُكَه مع آخرَ في قبرٍ، فاستَخرَجْتُه بعد سِتَّةِ أشهرٍ، فإذا هو كيَوْمِ وضَعْتُه غيرَ هُنَيْئةٍ عند أُذُنِه(٣).

٢٩١- عن أنس أن أبا طلحةَ خرج في غزوةٍ فركب في البحرِ فمات، فلم يجدوا له جزيرةً يدفِنوه فيها إلا بعدَ سبعةِ أيام فلم يتغيَّرْ، فدفَنوه فيها(٤).

٢٩٢- عن أنسٍ: أن ثابتَ بنَ قيسٍ جاء يومَ اليمامةِ وقد تَحَنَّط ولبِسَ أكفانَه، فقال: اللهمَّ إني أبرأُ إليك ممَّا جاءَ به هؤلاءِ، وأَعتذرُ إليك ممَّا صنعَ هؤلاءِ. فقُتِلَ، وكانت له دِرعٌ فسُرِقت، فرآه رجُل فيما يَرى النائمُ فقال: إن دِرعي في قِدْرٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٣/ ٥٤٧ (٦٦٥٦)، وابن أبي شيبة ٧/ ٣٧٢ (٣٦٧٩٠).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٥١).
(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٤٠٦)، وأبو يعلى في «مسنده» ٦/ ١٣٨ (٣٤١٣).

تحت الكانونِ في مكانِ كذا وكذا. وأَوْصى بوصايا، فطلَبوا الدرعَ فوجَدوها وأَنفَذوا الوَصايا[(١)].

قال الشيخ -أسعدَه الله-: وقد ذكرنا ما حضرَ ذِكرُه من الأخبارِ في مقصدنا وغرضِنا لهذا الكتابِ على شرائطِنا المذكورةِ في صدره، ومن تأملَ فصولَه وما جرت عليه أحوالُ الرسول ﷺ من الآيات المقترنةِ بها زال الارتيابُ عنه في صحةِ دعوتهِ ﷺ، لاسيما من انتحلَ نبوةَ الأنبياءِ، إذ لا سبيلَ له إلى إثبات نِحلتِه إلا بالمنقول من الأخبار.

وأما اعتراضُ اليهودِ والنصارى على نَقَلةِ آيات نبيِّنا ﷺ بنوعٍ من أنواعه، فذلك ممكن مثلُه في معارضتِه فيما يُذكر من معجزةِ موسى وعيسى عليهما السلام وما ادُّعي في شيء منه أنه احتيالٌ وتمويه؛ ادُّعي مثلُه في معجزتِهما كما ذَكر اليهودُ في أمر عيسى وإحيائِه الموتى وإبرائِه الأكمَه والأبرصَ، وذكر ماني وغيرِه في آيات موسى نحوها.

ولا عُذرَ للنصارى في الطعنِ على شيء من دلائلِه ﷺ المرويةِ؛ لغيبتِهم عن المسيحِ ومشاهدتِهم لإحياءِ الموتى وإبراءِ الأكمَهِ والأبرصِ، وإنما عُمدتُهم ما يذكرونه من نقلِ قومٍ -يرجع أصلُ خبرهم إلى كاتبي الأناجيلِ الأربعةِ- يجوز عليهم الخطأ والغلطُ والتواطؤ والتحرضُ.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» كما في «المطالب العالية» ١٦/ ٥٠٤ (٤٠٨٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢/ ٧٠ (١٣٢٠)، والحاكم ٣/ ٢٣٥.

ونَقلةُ أعلامِ نبينا ﷺ ودلائلِه قومٌ لا يَحصُرهم العددُ لاستفاضَتِه في الأصل والفرعِ، فإن ادَّعوا الاستفاضةَ في أصول أخبارِهم كانوا غالطين مُكابرين؛ لأن دينَ المسيحِ عليه السلام كثُرَ المتدينون به بعدَه، لما انتَشرَ في الأقطارِ والأمصارِ من آمن به، ولم يكنْ له أصحابٌ وأتباعٌ يكثر عددُهم.

والإسلامُ انتشر في حياة الرسولِ ﷺ ودخل الناسُ فيه أفواجًا كما ذكَر الله تعالى، وفتحَ ﷺ مكةَ ومعه عشرةُ آلافِ فارسٍ من المهاجرين والأنصارِ وغيرِهم من قبائل العربِ من المسلمين، ثم غزا حُنينًا في بضعةَ عَشر ألفًا كما ذكرَ الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة:٢٥] هذا مَن شهدَ معه الفتحَ والمغازي سوى المقيمين ببلاد اليمنِ والبوادي واليمامةِ وهجر، وكان معه في مخرجِه إلى تبوك زيادةٌ على عشرين ألفًا، ولا سبيلَ للنصارى أن يدَّعوا مثلَه ولا عُشرَ عشيره.

والخبرُ إذا عدِم في أصل نقلِه شرطُ التواترِ فلا وجه لادعاءِ الاستفاضة في فرعه، وإن ادَّعوا موافقتِنا لهم في نبوة عيسى عليه السلام، عورِضوا بالانفصالِ من اليهود إذا تعلَّقوا باتفاقِكم معهم على نبوةِ موسى عليه السلام مع تكذيبِهم إياهم في نبوةِ المسيح.

فإن احتجَّ اليهودُ بهذا على النصارى وعلينا بتصديقِنا إياهم على نبوةِ عيسى عليه السلام عورِضوا بأن التصديقَ والتكذيبَ لا يتعلقُ بهما حقٌّ ولا باطلٌ، وإنما يصحُّ الحقُّ ويبطلُ بالبراهين، ونحن قد أقَمنا البرهانَ على صدقِ نبوةِ المسيحِ ومحمد صلى الله عليهما بمثل ما أقاموا هم على صدقِ نبوة موسى عليه السلام لَمَن أنكرَ نبوتَه، وإنما يضرُّنا خلافُهم لو أخلَينا دعوانا من البرهانِ، وقد أورَدنا أوفرَ مما

أوردوا من استفاضةِ الأخبارِ بنقل العالَمَ الكثير المختلِفي الدواعي والهممِ والبلدان أن محمدًا ﷺ قد أتى بآيات كثيرةٍ، كنبع الماءِ الكثير من بين أصابعِه فصدر عنه الخلقُ الكثير لطهورِهم وشربِهم وسقيِ ركائبهم، فعل هذا في مواضعَ كثيرةٍ سفرًا وحضرًا، وآخرُ ذلك في غزوة تبوكٍ وأهلُها يبلغون زيادةً على عشرين ألفًا.

وهذا النوع أقوى مما يُذكر عن المسيح عليه السلام؛ لأنه مما لا يَجري فيه تمويهٌ ولا مُواضعةٌ، كما قد يكون ذلك في إحياء الموتى وإبراءِ الزَّمْنى، فكذلك تفجيرُ الماء من الحجرِ لقومِ موسى عليه السلام فهو من أقوى ما جَرى على يده، وما جرى من محمدٍ ﷺ مثلُه أقوى وأعجبُ من إخراج الماءِ وانفجارِه من بين أصابعِه، ولا فرقَ بين هذا ولا بين انفجارِ الماء من الحجر بضربِ موسى إياه، وهل عرفوا هذا مِن موسى عليه السلام إلا بنقلِ الأخبارِ نحو ما وُجِد من ذلك فيما وُجِد من محمدٍ ﷺ؟! ونحن لم نشاهدْ موسى عليه السلام ولا آياتِه، وإنما نُقِلت أخبارُ آياتِه إلينا كما نقِلت أخبارُ آيات نبيِّنا ﷺ إلينا، وهو أخبرَنا أن موسى عليه السلام هو الذي بشَّرَ بمحمدٍ ﷺ في التوراةِ، وأعلَمه الله تعالى فيما كلَّمه به أنه كتب رحمتَه للذين يتَّقون ويتَّبعون النبيَّ الأميَّ الذي يأمرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكرِ، ويجده أهلُ التوراةِ والإنجيلِ في كتبهم.

فإن كان موسى الذي ادَّعوا إقرارَنا به هو الذي بشرَ بمحمدٍ فقد ثبتَت نبوةُ محمد ﷺ، وإن يكنْ غيرَ المبشَّر به، فنحن لا نعرفه فضلًا أن نؤمنَ به، فإن قالوا: إن أخبارَهم قد نقلَتها أهلُ الملل المختلفةِ فليست أخبارُكم كذلك! قيل: فهل هو إلا أنتم والنصارى والمسلمون، وسائرُ الناس مكذِّبون لكم، فخبِّرونا عما حكيناه من آيات موسى هذه قبل أن تكونَ النصارى والمسلمون أما كانت صحيحة؟ ولو

أنكرَها أهلُ الشركِ والزنادقةِ والمعطلةِ بعد موتِ موسى عليه السلام بماذا يُدفع إنكارُهم وقولُهم، والآية حينئذٍ لا ينقلُها أهلُ المللِ المختلفةِ؟

وهل المرجعُ في إثبات آياتِ موسى عليه السلام إلا إلى نقل أوائلِكم وأسلافِكم؟! وفي هذا كلامٌ كثير وقد ذكرَه النظارُ من المسلمين في كتبِهم، وفيما ذكرنا من الرواياتِ بأسانيدِها عن النقلةِ كفايةٌ لمقصودنا وغرضِنا من هذا الكتاب، والله ولي التوفيق لمن استوفَقه، وهو المعينُ.

(٩٠) فصل فيما جرى على أيدي الصحابة بعده

٢٩٣- عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ قال: رأيتُ خالدَ بنَ الوليدِ أُتيَ بسَمٍّ فقال: ما هذا؟ قالوا: سَمٌّ. قال: بِسْمِ الله. فازْدَرَدَهُ[(١)].

٢٩٤- عنِ ابنِ عمرَ: أن عمرَ بعثَ جيشًا وأمَّرَ عليهم رجلًا يُدعَى ساريةَ، قال: فبينا عمرُ يخطبُ الناسَ يومًا فأَقبَلَ يَصيح وهو على المنبرِ: يا ساريَ الجبلَ، يا ساريَ الجبلَ. فقدمَ رسولُ الجيشِ فسألَه فقال: يا أميرَ المؤمنين لَقِينا عدوَّنا فهزَمونا، فإذا صائحٌ يَصيحُ: يا ساريَ الجبلَ. فأَسنَدْنا ظهورَنا إلى الجبلِ فهزَمَهمُ اللهُ تعالى. فقيل لعمرَ: إنك كنتَ تَصيحُ بذلك[(٢)].

٢٩٥- عن قيسٍ قال: كان أبو الدرداءِ إذا كتبَ إلى سَلمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أو سلمانُ إلى أبي الدرداءِ كتبَ إليه بآيةِ الصَّحفةِ، قال: وكنَّا نَتحدثُ أنه بينما هما يَأكُلان من الصحفةِ، فسبَّحَت الصحفةُ وما فيها[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٧٨)، وأبو يعلى في «مسنده» ١٣/ ١٤١ (٧١٨٦)، والطبراني في «الكبير» ٤/ ١٠٥-١٠٦ (٣٨٠٨-٣٨٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٥٥)، والآجري «في الشريعة» ٤/ ١٨٨٨، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» ٧/ ١٤٠٩ (٢٥٣٧)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص٣١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «هواتف الجنان» (١٣٦)، وأبو علي الصواف في «فوائده» (١٦).

(٩١) فصل في ذِكْر مُوازاةِ الأنبياءِ عليهم السلام في فضائِلِهم بفضائلِ نبيِّنا ﷺ، ومُقابلةِ ما أُوتوا منَ الآياتِ بما أُوتيَ، إذ أُوتيَ ما أُوتوا وشبهَه ونَظيرَه

فكان أولَ الرسل نوحٌ عليه السلام وآيتُه التي أوتيَ وشفاءُ غيظِه، وإجابةُ دعوتِه في تَعجيلِ نِقمة الله لُمكذِّبيه حتى هلَكَ مَن على بسيطِ الأرض من صامِتٍ وناطِقٍ إلَّا مَن آمَن به ودخَل معه سفينتَه مُؤمنًا، ولعَمري إنها آيةٌ جليلةٌ وافقَتْ سابقَ قدَرِ الله تعالى، ونافذَ عِلمِه في إهلاكهم، فكذلك نبيُّنا ﷺ لَمَّا كذَّبه قومُه وبالَغوا في أَذيَّته والاستهانةِ بمَنزلتِه منَ الله تعالى وعبادتِه، حتى أَلقَى الشقيُّ عقبةُ بن أبي مُعَيْطٍ سَلى جَزورٍ على ظهرِه ساجدًا، فدعا وقال: اللهمَّ عليك الملأَ من قريشٍ.

٢٩٦- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسولُ الله ﷺ يُصلِّي عند الكعبةِ وجَمعُ قريشٍ يَنظُرون فقال قائلٌ منهم: ألَا تَروْن إلى هذا المَرائي أيُّكم يَقوم إلى جَزورِ آل فلانٍ فيَعمدُ إلى فرثِها ودمِها وسلاها حتى إذا سجدَ وضعَه بين كتِفَيْه؟ فانطلقَ أَشقاهُم فجاءَ به حتَّى إذا سجدَ رسولُ الله ﷺ وضعَه بين كتِفيْه وثبتَ رسولُ الله ﷺ ساجدًا، وضحِكوا حتَّى مال بعضُهم على بعضٍ منَ الضحِكِ، فانطلَقَ مُنطلِقٌ إلى فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي جُوَيْريةٌ فأقبَلَت تَسعَى، وثبت النبيُّ ﷺ ساجدًا حتى نَحَّتْه عنه، وأقبَلَت عليهم تَسبُّهم، فلمَّا قضى النبيُّ ﷺ صلاتَه استقبلَ الكَعبةَ وقال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»، ثُم سمَّاهم فقال: «**اللهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمرِو بنِ هِشامٍ، وشَيْبةَ، وعُتبةَ، والوَليدِ بنِ عُتبةَ، وأُميَّةَ بنِ خلَفٍ، وعُقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ، وعمارةَ بنِ الوَليدِ**».

قال عبدُ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والَّذي نَفسِي بيَدِه، لقَدْ رأَيْتهم صرعَى يُسحَبون إلى القَليبِ، قَليبِ بدرٍ، ثُم قال رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَتبعْ أهلَ القَليبِ لَعْنةً**»(١).

وإن قلتَ: إن نوحًا عليه السلام لَمَّا امتَلَأ مِن أذيةِ الُمكذِّبين له وعيل صبرُه؛ سأَلَ ربَّه تعالى أن يَنصرَه؛ فقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر:١٠]، فهطَلت السماءُ بماءٍ مُنهمرٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر:١١]، فكانت دَعوتُه دعوةَ انتقامٍ وانتصارٍ، فكذلكَ محمدٌ ﷺ دعا ربَّه فهطَلَت السماءُ بدُعائِه ومسألتِه بماءٍ مُنهمرٍ؛ رحمةً وغوثًا للخليقةِ والأنامِ.

٢٩٧- عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أصابَ أهلَ المدينةِ قحطٌ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فقام إليه الناسُ يومَ جُمُعةٍ وهو على المنبرِ يَخطبُ فقالوا: يا رسولَ الله غلَتِ الأسعارُ واحتُبِسَت الأمطارُ فادعُ اللهَ أن يَسقيَنا. فرفعَ رسولُ الله ﷺ يدَه فاستَسْقى، قال: فمُطِرْنا، فلم نزَلْ نُمطرْ حتى كانتِ الجمعةُ الُمقبلةُ، فقام إليه الناسُ فقالوا: ادعُ اللهَ أن يَحبسَها عنَّا، فتبسمَ رسولُ الله ﷺ ورفعَ يدَه وقال: «**اللَّهُمَّ حَوالَيْنا وَلا عَلَيْنا**». قال: فتَحرَّفت، فصارتِ المدينةُ كأنَّها إكليلٌ وما حولَها مَمطورٌ(٢).

ولبِثَ نوحٌ عليه السلام في قومه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، فبلغَ جميعُ مَن آمنَ به رجالًا ونساءً الذين ركِبوا معه سفينتَه دونَ مائةِ نفسٍ، وآمَن بنَبيِّنا ﷺ في مُدَّة عِشرين سنةً الناسُ شرقًا وغربًا، ودانت له جَبابرةُ الأرضِ ومُلوكُها، وخافت على هَلاكِ مُلكِهم ككِسرَى وقيصر عَظيمَي الأرضِ شرقًا وغربًا، وأسلمَ النجاشيُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٢١).

والأقيالُ رغبةً في دِينِ الله وإكرامًا من الله تعالى لنبيِّه ﷺ، والْتزَمَ مَن لم يُؤمِنْ به من عظماءِ الأرضِ الجزيةَ والإتاوةَ عن صَغارٍ، أهلُ نجرانَ وهجرَ وأيلةَ وأُكيدر دُومة، فذَلُّوا له مُنقادين لِما أيَّدَه اللهُ تعالى به من الرعبِ الذي يسيرُ بين يديه شهرًا، ونصَرَه وفتحَ له الفتوحَ، ودخلَ الناسُ في دِينِ الله -مُصدِّقين به- أفواجًا فأَتَوْه طائِعين راغبين مُؤمنين به مُصدِّقين له تمكينًا منَ الله له واعتلاءً، فأيُّ كرامة أعظمُ منها! وأيُّ منزلةٍ أرفعُ منها!

فإن قال قائلٌ: فإن الله تعالى قد خصَّ نوحًا عليه السلام بأن نحَلَه اسمًا من أسمائِه فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء:٣] قيل: وقد خصَّ محمدًا ﷺ بأن نحَلَه أسماءً من أسمائِه جمَعَها اللهُ تعالى له ولم يَشرَكه فيه أحدٌ فقال: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨]، وسمَّى الأنبياءَ عليهم السلام في حال مخاطبتِه لهم بأسمائِهم فقال: يا آدمُ، ويا نوحُ ويا إبراهيمُ، ويا موسى، ويا يحيى، ويا داودُ، ويا عيسى. وخاطبَ محمدًا ﷺ بصفةٍ من صفاتِ الشرفِ والرِّفعةِ، فقام مقامَ الكُنيةِ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤] ، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدَّثر:١]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:١] .

فهذه الكُنى أكبرُ وأجلُّ وأعظمُ في الخِطابِ منَ الاسمِ، ولَمَّا أن آذاه المُشرِكون بما أُوذِيَ به الأنبياءُ قبلَه نوحٌ ومَن بعدَه، فنسَبوه على الجنونِ والشِّعرِ والسِّحرِ والكهانةِ وما لا يليقُ به وبغيرِه منَ الأنبياءِ عليهم السلام، فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر:٦] احتملَ ﷺ تكذيبَهم وأذِيَّتهم صابرًا؛ عِلمًا منه ﷺ بأن اللهَ تعالى وليُّ نُصرتِه وظهيرُه عليهم وعلى أهل الأديانِ كلِّها ولو كرِهَ المُشرِكون، فكانت نُصرةُ الله تعالى له أعودَ عليه مِنِ انتصارِه لنَفسِه بنَفسِه ولم يَسلُك مَسلَك مَن تَقدَّمه منَ الأنبياءِ عليهم السلام في انتِصارِهم

لأنفسِهم، كقول نوحٍ عليه السلام لَّما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأعراف:٦٠]، فقال مُجيبًا عن نفسِه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١﴾ [الأعراف:٦١]، وكقول هودٍ عليه السلام لَّما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ [الأعراف:٦٦] فقال دافِعًا عن نفسِه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾ [الأعراف:٦٧]، وكما قال فِرعونُ لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء:١٠١]، فنصَر نفسَه بنفسِه فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء:١٠٢]، وما في مَعناهُ وشبهِه، ولَّما قال المُشرِكون له ﷺ: إنه شاعِرٌ، ساحِرٌ، مجنونٌ. صبرَ وسكَتَ ووكلَ نصرتَه إلى الله حتى تولَّى اللهُ تعالى ذلك بوَحْيٍ يُتلَى فقال: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]، ولَّما قالوا له: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ [القلم:٥١] أعرضَ عنهم امتِثالًا لأمرِ الله تعالى إذ قال: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [النَّجم:٢٩]، فأنزلَ الله تعالى نُصرتَه من السماءِ فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم:٢]، ولَّما قالت قريشٌ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾ [النحل:١٠٣] وقالوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان:٤]، أنزلَ اللهُ تعالى ناصرًا له ودافعًا عنه فقال: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [الفرقان:٦] في أمثالِه من الآياتِ.

(٩٢) القولُ فيما أُوتيَ إبراهيمُ عليه السلام

فإن قيلَ: إبراهيمُ عليه السلام خُصَّ بالخُلَّةِ مع النبوةِ. قيلَ: فقدِ اتَّخذَ اللهُ مُحمدًا ﷺ خليلًا وحبيبًا، والحبيبُ ألطفُ من الخليلِ.

٢٩٨- فعن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»(١).

فإن قيلَ: فإن إبراهيمَ عليه السلام حجِبَ عن نمرودَ بحجبٍ ثلاثةٍ، قيل: قد كان كذلكَ، وحُجِبَ محمدٌ ﷺ عن مَن أرادوا قتلَه بخمسةِ حجبٍ، قال اللهُ تعالى في أمرِه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:٩]، فهذه ثلاثةٌ، ثُمَّ قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء:٤٥]، ثُمَّ قال: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس:٨] فهي خمسةُ حُجبٍ.

فإن قيلَ: فإن إبراهيمَ عليه السلام قصمَ نمرودَ ببُرهانِ نبوَّتِه فبَهَتَه. قال: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨] قيل: محمدٌ ﷺ أتاهُ المكذبُ بالبعثِ أبيُّ بنُ خلفٍ بعَظْمٍ بالٍ ففرَكه وقال: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، فأنزلَ اللهُ البرهانَ الساطعَ فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس:٧٩] فانصرفَ مَبهوتًا ببرهانِ نبوتِه ﷺ.

فإن قيل: فإن إبراهيمَ عليه السلام كسرَ أصنامَ قومِه غضبًا لله. قيل: فإن محمدًا ﷺ نكسَ ثلاثمائةٍ وسِتِّين صنمًا نُصِبَت حولَ الكعبةِ بإشارتِه إليهِنَّ فيتَساقَطْنَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

(٩٣) القولُ فيما أُوتِيَ موسى عليه السلام: من العَصا واليَدِ وتَفجُّر الماء من الحِجرِ في التيهِ وغيرِها من آياتِه

كان أعظمُ آياتِه وأنبهُها ﷺ العصا الخشبَ المواتَ الَّتي جعلَها اللهُ تعالى حيًّا ثُعبانًا يَتلقَّف ما يَأفِك سحَرةَ فرعونَ، ثُم تَعود إلى مَعناها وخاصتِها من مآربِ موسى عليه السلام كما ذكرَ اللهُ تعالى، وقد أُعطِيَ نظيرَها وأعجبَ منها محمدٌ ﷺ: خوار الجِذعِ اليابسِ وحَنينه.

٢٩٩- فعن أمِّ سلَمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كانَ لرسولِ الله ﷺ خشبةً يَستندُ إليها إذا خطبَ، وصُنعَ له كرسيٌّ أو مِنبرٌ، فلمَّا فقدَتْه خارَتْ كما يَخورُ الثورُ، حتى سمِعَ أهلُ المسجدِ، فأَتاها رسولُ الله ﷺ فسكَنت(١).

وأبلغُ في الأعجوبةِ إجابةُ الأشجارِ واجتماعِهنَّ لدَعوتِه لَمَّا دعاهُنَّ ورُجوعُهن إلى أمكنتِهنَّ بعد أن أَمَرَهُنَّ.

فإن قلتَ: فإن موسى عليه السلام كان في التيهِ يَضربُ بعصاه الحجرَ فينفجرُ منه اثنتَا عشرةَ عينًا في التيه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠]، قيل له: كان لمحمدٍ ﷺ مثلُه وأعجبُ منه، فإن نبعَ الماء من الحجرِ مشهورٌ في المعلوم والمتعارفِ، وأعجبُ من ذلك نبعُ الماء من بين اللحمِ والعظمِ والدمِ، كان يفرجُ بين أصابعِه في مخضبٍ، فينبعُ من بين أصابعِه الماءُ ماءً جاريًا عذبًا يروي العددَ الكثير من الناس والخيلِ والإبلِ.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣/ ٢٥٥ (٥٢٤-٥٢٥)، وله شواهد منها حديث جابر في صحيح البخاري (٣٥٨٣).

٣٠٠- وعن أبي عَمرةَ الأنصاريُّ قالَ: كُنا معَ رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها، فأصابَ الناسَ مَخمصةٌ، فدعا بركوةٍ فوُضِعَت بين يديه، ثُم دعا بماءٍ فصبَّه فيها، ثُم مجَّ فيها بما شاءَ اللهُ أن يَتكلَّم، ثُم أَدخلَ خِنصِره فيها، فأقسمُ بالله، لقد رأَيْت أصابعَ رسولِ الله ﷺ تَفجَّرُ ينابيعُ الماء منها، ثُم أمَرَ الناسَ فسَقوا وشَرِبوا وملؤُوا قِرَبهم وإِداواتهم[(١)].

فإن قيل: إن مُوسى عليه السلام أتَى فِرعونَ وقومَه بالعذابِ الأَليمِ: الجرادِ والقملِ والضفادعِ والدمِ آيات مُفصلات على ما أخبرَ اللهُ به، قيل: قد أُرسلَ على قريشٍ في عهدِ النبيِّ ﷺ الدخانُ آيةً بينةً ونِقمةً بالِغةً، قال اللهُ تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ [الدُخان:١٠]، ودعا على قريشٍ فابتُلوا بالسنينَ.

٣٠١- فعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أن رسول الله ﷺ كان يَدعو في الصلاة حين يقولُ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحُمْدُ**»، ثُم يقول وهو قائمٌ: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسِنِي يُوسُفَ**»، ثُم يقولُ: «**اللهُ أَكْبَرُ**» وضاحية مُضرَ يومئذ مُخالفون لرسول الله ﷺ[(٢)].

فإن قيل: إن موسى عليه السلام أُنزلَ عليه وعلى قومِه المَنُّ والسلوى وظُلِّلَ عليهم الغمامُ، قيل: إن المنَّ والسلوى رِزْق رزَقهم اللهُ كُفُوا السعيَ فيه والاكتسابَ، وأُعطيَ محمدٌ ﷺ وأمتُه ما هو أعظمُ منه ممَّا كان محظورًا على مَن تَقدَّمه من الأنبياء عليهم السلام والأممِ، فأحلَّ الله تعالى له ولأمتِه الغنائمَ ولم تحلَّ لأحد كان قبلَه، وأُعطيَ من جنسِه أصحابُه حين أصابَتْهم المجاعةُ في السَّرية التي

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٠٠٥)، والطبراني في الأوسط (٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥).

بُعثوا فيها، فقذفَ لهم البحرُ حوتًا أكَلوا منه وأْتَدَموه نصفَ شهرٍ، مع أنه ﷺ كان يُشبع النفرَ الكثيرَ من الطعامِ اليسيرِ واللبَن القليلِ حتَّى يَصدُروا عنه شباعًا رواءً.

٣٠٢- عن حذيفةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: خرجَ رسولُ الله ﷺ فسجدَ سجدةً ظننا أن نفسَه قُبِضت فيها، فلمَّا رفع رأسه قال: «**أَعْطَانِي رَبِّي بِلَا فَخْرٍ العِزَّ وَالنُّصْرَةَ والرُّعْبَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيَّ شَهْرًا، وطَيَّبَ لِي وَلِأُمَّتِي الغَنِيمَةَ، وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا**»(١).

٣٠٣- وعن جابرٍ قال: بعَثَنا رسولُ الله ﷺ في ثلاثمائةِ راكبٍ وأميرُنا أبو عبيدةَ بنُ الجراح؛ نَرصُد عيرًا لقريشٍ، فأصابنا جوعٌ شديدٌ حتى أكَلْنا الخبطَ، فسُمِّيَ ذلك الجيشُ جيشَ الخَبَط، قال: فألْقَى لنا البحرُ ونحن بالساحلِ دابَّةً تُسمَّى العنبرَ فأكَلْنا منه نصفَ شهر، وأْتَدَمْنا به، وادَّهَنا بودَكه حتى ثابَتْ أجسامُنا.

قال: فأخذ أبو عُبيدةَ ضلعًا من أضلاعه فنصبَه، ثُم نظرَ أطولَ رجل وأعظمَ جمَل في الجيش فأمَرَه أن يركبَ الجملَ ويَمُرَّ تحتَه، ففعلَ فمرَّ تحته فأَتينا النبيَّ ﷺ فأَخبَرْناه، فقال: «**هَلْ مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ؟**» قُلنا: لا.

قال: وحدَّثنا أبو الزُّبيرِ عن جابرٍ عن النبيِّ ﷺ مثلَه، زاد: وكان فينا رجلٌ معه جرابٌ فيه تمْر، وكان يُعطينا منه قبضةً قبضةً، ثُم صار إلى تمرة تمرة فلمَّا فنِيَ وجَدْنا فقْده(٢).

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨/ ٣٦١ (٢٣٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٦١)، ومسلم (١٩٣٥).

فإن قيلَ: فإن موسى عليه السلام أُعطِيَ العَصا فكانت ثعبانًا تتلقَّفُ ما صنعَت السحرةُ، فاستغاث فرعونُ بموسى عليه السلام رهبةً وفَرَقًا منها، قيل: قد كان لمحمدٍ ﷺ أختُ هذه الآية بعينِها.

٣٠٤- عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال أبو جهل بن هشام: يا معشرَ قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيبِ دينِنَا وشتمِ آبائنا وتسفيهِ أحلامنا وسبِّ آلهتنا، وإني أعاهدُ الله لأجلسَنَّ له بحجرٍ قدرَ ما أطيقُ حملَه، فإذا سجد في صلاتِه فضَختُ به رأسَه، فأسلِموني عند ذلك أو امنَعوني، فليصنَع بنو عبدِ منافٍ ما بدا لهم، قالوا: لا والله، لا نسلِمُك لشيءٍ أبدًا، فاصنَع ما تريدُ.

فلما أصبح أبو جهلٍ أخذ حجرًا كما وصَف، وجلس لرسولِ الله ﷺ، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يغدو، وكان رسولُ الله ﷺ بمكة قبلتُه إلى الشام، وكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانيِّ والحجرِ الأسودِ فجعل الكعبةَ بينه وبين الشامِ، فقام رسولُ الله ﷺ يصلي، وقد غدَت قريشٌ في أنديتِهم يَنتظرون ما أبو جهلٍ صانعٌ؟ فلما سجد رسولُ الله ﷺ احتملَ أبو جهلٍ الحجرَ ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع مَبهوتًا مُنتقعًا لونُه مرهوبًا قد يبسَت يداه على حجَره حتى قذفَ الحجرَ من يده، وقامت إليه رجالاتٌ من قريشٍ وقالوا له: مالكَ يا أبا الحكمِ؟ قال: قمتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحةَ، فلما دنوتُ منه عرضَ لي دونه فحلٌ من الإبل، لا والله ما رأيتُ مثلَ هامتِه ولا قَصرتِه ولا أنيابِه لفحلٍ قط! فهمَّ أن يأكلَني، فذكر لي أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ذاك جبريلُ عليه السلام لو دنا مني لأخذَه**»(١).

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٩٧-٢٠٠).

فإن قيل: فإن موسى عليه السلام لَمَّا وفدَ بخيار قومِه إلى الله تعالى سبعين نفسًا من أَفاضِلهم، فلَمَّا صاروا معه في البرِّيَّة غلبَ روح القُربة على قلبِه، وتحقَّق فيه صِدقُ الإجابة، وظاهر قوة الوصول أسرعَ على ربه تعالى ناسيًا لقَوْمه؛ لما وجَد بقلبِه وجِسمه من الهيمانِ والولَهِ قاصدًا لُمناجاته فقال اللهُ تعالى له: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣﴾ [طه:٨٣]، فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤﴾ [طه:٨٤].

وهذه حالةٌ شريفة خصَّ بها موسى دون سائِر المرسَلين، قيل: قد كان لمحمدٍ ﷺ كذلك، وخصَّ بما هو أعلى منه وأشرف؛ لأن موسى عليه السلام عبَّر عن نفسِه ودلَّ على قصدِه ومرادِه، فعظَّمَ اللهُ شأن محمدٍ ﷺ بآيَتَيْن أَعلَمه فيهما رِضاه عنه وأَعطاه سُؤلَه ومُناه من غير سؤالٍ منه في ذلك ولا رغبة تَقدَّمت منه، فقال تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤]، وقال في الآيةِ الأُخرى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ [الضُّحى:٥]، فمنَحَه اللهُ تعالى رِضاهُ وأعطاهُ مُناهُ في جميع ما يَهواهُ ويَتمنَّاه.

وغيره من الأنبياء سأَلوا وطلَبوا رِضا مولاهُم، وخصَّه مع الرضا بالرحمة والرأفةِ فقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وكان رقيقَ القلب، فأمرَ اللهُ تعالى موسى بالْمُلايَنة لِفرعونَ لِما كان عليه من الفَظاظةِ والغِلظة فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه:٤٤]، وذكرَ عن محمدٍ عليه السلام بالْمُلاينة والرأفة والرحمةِ وأمَرَه بضِدِّها فقال: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:٧٣] لِما خصَّه اللهُ به من الرأفةِ والرحمةِ واللِّين كما قال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

فإن قيل: فإن اللهَ تعالى أكرمَ موسى عليه السلام بما منَّ عليه من إلقاء المَحبَّة منه عليه، فقال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]، فقد تُؤوِّل على وُجوهٍ، قيل: حبَّبْتكَ إلى عبادي. وقيل: جعلَ اللهُ تعالى بين عَيْنيه نورًا لا يَنظُر إليه أحدٌ إلَّا أَحبَّه، وقيل: أَسْكنت بين عَيْنيكَ ملاحةً وغنجًا تَسبِي به مَن رأيتَه.

وقد أُوتيَ محمدٌ ﷺ من نظائر هذه الكرامةِ غيرَ واحد، منها إقسامُ الله تعالى بالضُّحى والليلِ إذا سجَى أنه ما ودَّعه وما قَلاه، ثُم ما افتَرَض على خلقِه منِ اعتقادِ محبَّتِه حتى جعلَ ذلك منهاجًا إلى طاعته، ومِفتاحًا للقُربة إليه وسبيلًا إلى الفوزِ بغُفرانه ورحمته، وذلك قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور:٥٤]، وكيف لا يَكون مُعظَّمًا مُفضلًا وقد أقسمَ الله تعالى بحياتِه؟! فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر:٧٢].

(٩٤) القولُ فيما أعطِيَ إدريسُ عليه السلام من الرفعةِ التي نوَّه الله بذكرِها فقال تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم:٥٧]

فالقولُ فيه: إن نبينا محمدًا ﷺ قد أعطِيَ أفضلَ وأكملَ من ذلك؛ لأن الله تعالى رفعَ ذِكره فقال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشَّرح:٤] رفعَ الله ذكرَه في الدنيا والآخرةِ فليس خطيبٌ ولا متشفعٌ ولا صاحبُ صلاةٍ إلا وينادِي بها: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقرَنَ الله تعالى اسمَه باسمِه في ذكر توحيدِه والشهادةِ بربوبيتِه في مشارقِ الأرض ومغاربِها، وجعل ذلك مِفتاحًا للصلواتِ المفروضةِ.

(٩٥) القولُ فيما أعطِي هودٌ عليه السلام

فإن قيلَ: فإن هودًا عليه السلام قد انتصرَ الله له من أعدائِه بالريحِ العقيمِ، فهل فُعِل بمحمدٍ ﷺ شيئًا من هذا؟ قيل: الذي أعطِيَ محمدٌ ﷺ أفضلُ من هذا؛ لأن الله تعالى انتصرَ من أعدائِه يومَ الخندقِ بالريح فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:٩] وكانت ريحُ هودٍ ريحَ سخطٍ وانتقام، وريحُ محمدٍ ﷺ ريحُ رحمةٍ، قال الله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:٩] إلى قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠].

(٩٦) القولُ فيما أعطِيَ صالحٌ عليه السلام

فإن قيلَ: فقد أخرج الله تعالى لصالحٍ عليه السلام ناقةً، جعلها له على قومه حُجةً وآيةً لها شِربٌ ولقومه شِربُ يومٍ معلوم، قلنا: فقد أعطَى الله محمدًا ﷺ مثلَ ذلك؛ لأن ناقةَ صالحٍ عليه السلام لم تكلم صالحًا ولا ناطَقته ولم تشهَد له بالنبوةِ، ومحمدٌ ﷺ شهدَ له البعيرُ النادُّ شاكيًا إليه ما همَّ به صاحبُه من نحرِه.

(٩٧) القولُ فيما أُوتيَ داودُ عليه السلام

قال اللهُ تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ الآية [سبأ:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ الآية [ص: ١٧ - ١٨]، فإن قيل: فسخَّرَ اللهُ الجبالَ له والطيرَ بالتسبيحِ. قيل: قد أعطَى اللهُ تعالى محمدًا ﷺ من جِنْسه مثلَه وزيادةً، فقد سبَّح الحصى في يدِه وفي يدِ مَن يَتبعُه وصدَّقه؛ رِفعةً لشأنِه وشأن مُصدِّقيه.

٣٠٥- فعن عبدِ الله قال: كُنَّا نأكلُ عند النبيِّ ﷺ فنَسمَع تَسبيحَ الطعامِ(١).

فإن قيل: فقد سخِّرت له الطير. قيل: فقد سخِّر لرسولِ الله ﷺ مع الطير البهائمُ العظيمة، الإبلُ فما دونها، وما هو أعسرُ وأصعبُ من الطير، السِّباع العادِية الضارية تَتهيَّبه وتَنقادُ لطاعته كالبعيرِ الشاردِ الَّذي سجدَ له، وقد تقدمَ ذكرُه، والذئبِ الذي نطقَ بنُبوَّته والتصديقِ بدعوته ورِسالته.

٣٠٦- وعن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما راعٍ بالحَرَّة إذِ انتهزَ الذئبُ شاةً، فتبِعه الراعي فحال بينه وبينها، فأقبلَ الذئبُ على الراعي فقال: يا راعي ألَا تَتَّقي اللهَ! تَحولُ بيني وبين رِزق ساقَه الله إليَّ؟! فقال الراعي: العجبُ من ذئبٍ مُقْعٍ على ذنَبِه يُكلِّمني بكلام الإنسِ! فقال الذئبُ: ألَا أُخبرُك بما هو أعجبُ من هذا؟ رسولُ الله ﷺ بين الحَرَّتين يَدعو الناسَ إلى أنباء ما قد سبقَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

فساق الراعي شاتَه حتى أتَى المدينةَ فزواها إلى زاويةٍ من زواياها، ثم دخلَ على النبيِّ ﷺ فأخبَرَه بما قال الذئبُ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ فقال للراعي: «**أَخْبِرْهُمْ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ**»، فأَخبَرَهم بما قال الذئبُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**صَدَقَ الرَّاعِي، أَلَا إِنَّهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلَامُ السِّبَاعِ الْإِنْسَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ**»(١).

٣٠٧- عن عبد الله بن مسعود قال: كنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ، فدخل رجُل غيضةً فأخرجَ منها بيضَ حُمَّرةٍ، فجاءت الحُمرةُ ترفُّ على رأسِ رسولِ الله ﷺ، فقال: «**أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ؟**» فقال رجلٌ منَ القومِ: أنا أخَذْت بَيْضها. فقال: «**رُدَّهُ رَحْمَةً لَهَا**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨١)، وأحمد ١٨/ ٣١٥-٣١٦ (١١٧٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٧٥).

(٩٨) القولُ فيما أُوتيَ سُليمانُ بنُ داودَ عليه السلام

فإن قيل: فقد أُعطيَ سليمانُ مُلكًا لا يَنبَغي لأحدٍ من بعدِه. قيل: إن محمدًا ﷺ أُعطيَ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ فأَباها ورَدَّها؛ اختيارًا للتَّقلُّل والرِّضا بالقوت استِصْغارًا لها بحذافيرِها إيثارًا لمرتبتِه، ورِفعته عند الله تعالى.

٣٠٨- فعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ جِيءَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَجُعِلَتْ فِي يَدِي**»(١).

فإن قيل: فإن سُليمانَ عليه السلام سخِّرَت له الرياحُ فسارت به في بِلاد الله، وكان غُدوُّها شهرًا ورواحُها شهرًا. قيل: ما أُعطيَ مُحمدٌ ﷺ أعظمَ وأكثرَ؛ لأنه سار في ليلة واحِدة من مكةَ إلى بيت المقدسِ مسيرةَ شهرٍ، وعُرِج به في مَلكوت السمواتِ مَسيرةَ خمسين ألفَ سَنَةٍ في أقلَّ من ثلُث ليلةٍ، فدخلَ السمواتِ سماءً سماءً وأُريَ عَجائبَها، ووقفَ على الجَنَّةِ والنار، وعُرِض عليه أعمال أُمَّته، وصلَّى بالأنبياءِ وملائكةِ السموات، وخرَق الحُجُب فأُدْلِيَ له الرفرفُ الأخضر فتدَلَّى، فأَوحَى إليه ربُّ العالمين بما أَوحى، وأعطاه خواتيمَ سورةِ البقرة من كَنز تحت العرشِ، وعهِد إليه أن يُظهرَ دينَه على الأديان كلها حتى لا يَبقى في شرقِ الأرضِ وغَرْبها إلَّا دينُه، أو يُؤدُّون إليه وإلى أهل دِينه الجزيةَ عن صَغارٍ، وفرضَ عليه الصلواتِ الخمسَ، ولقِيَ موسى عليه السلام وسأَله مراجعتَه ربَّه في التخفيف عن أُمَّته، هذا كلُّه في ليلةٍ واحدةٍ، فإنها أكثرُ وأعجبُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

فإن قيل: فإن سُليمانَ عليه السلام سُخِّرت له الجنُّ، وإنما كانت تَعتاصُ عليه حتى يُصفِّدها ويُعذِّبها. قيل: فإن محمدًا ﷺ كانت الجنُّ تأتيه راغبةً إليه طائِعةً له مُعظِّمةً لشأنِه مُصدقةً له مُؤمنة به مُتَّبعة لأمرِه تَتضرَّع له، مُستمدِّين منه، ومُستَمْنحين له زادَهم ومَأكَلهم، فجعل لهم كل رَوْثة تُصيبها تعود علَفًا لدوابها وكل عَظْم يعود طعامًا لها، وسخِّرت لنبوته أشرافُ الجنِّ وعظماؤُهم التسعة الَّذين وصَفَهمُ الله تعالى فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآيةَ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] إلى قوله: ﴿لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧]، وأقبلت إليه ﷺ ليلةَ الجنِّ الألوفُ منهم مبايعين له على الصومِ والصلاةِ والنصحِ للمُسلِمين، واعتَذَروا بأنهم قالوا على الله شططًا، فسُبحانَ مَن سخَّرها لنُبوَّة محمدٍ ﷺ بعد أن كانت شرَرًا تَزعُم أن لله ولدًا، ولقد شمِل مبعثُه من الجنِّ والإنسِ ما لا يُحصى، فهذا أفضلُ مِمَّا أُعطِيَ سُليمانُ عليه السلام.

فإن قيل: فإن سُليمانَ عليه السلام كان له منَ التَّمكينِ والتَّسليطِ على مَنِ اعتاصَ عليه منَ الجنِّ أن يُصفِّدهم ويُقيِّدهم حتى كانوا في تَصرُّفهم له مُطيعين ولشَأْنه مُتَّبِعين هائِبين، فقد كان لُمحمَّد ﷺ ولطائِفةٍ من أصحابِه منَ التمكينِ والأَسْر لهم والقبضِ عليهم مثل هذا من التمكينِ والتَّنكيلِ.

٣٠٩- فعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَذَعَتُّهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ**

أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]» قال: «فَرَدَّهُ اللهُ تَعَالَى خَاسِئًا»[(١)].

فإن قلت: فإن سليمانَ عليه السلام كان يسخِّر الشياطينَ لأمور الدُّنيا فكانوا يَعمَلون له ما ذكَرَ الله تعالى: ﴿مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣] في قلَل الجِبالِ وبُطون الأودية والبحار، فالقول فيه: لو أن النبيَّ ﷺ شاء تَسخيرَهم لمَا امتَنَعوا عليه، ولكنِ اختارَ العبوديةَ مع النُّبوةَ لَمَّا خيَّره الله تعالى بين أن يَكون ملِكًا رسولًا أو عبدًا نبيًّا؛ فأكَبَّ الدنيا على وَجْهها وزهِد فيها، فسخِّرَت له غيرُ أهلِها، فكانت الملائكةُ المقرَّبون أنصارَه وأعوانَه وأُنَّاسَه يُقاتلون بين يديه في الحروب كفاحًا ويَمنَعون عنه ويُدافِعون دونَه.

٣١٠- فعن سعدٍ قال: رأيتُ رجُلَيْن يُقاتلانِ عنِ النبيِّ ﷺ عليهما ثِيابُ بياضٍ كأشدِّ القتال، ما رأيتُهما قبل ذلك اليومِ ولا بعدَه يوم أُحُد، أو قال: يومَ بَدْرٍ[(٢)].

٣١١- عنِ ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسولَ الله ﷺ قال لأبي اليَسَرِ: كيف أَسَرْت العبَّاسَ؟ قال: يا رسولَ الله لقد أَعانَني عليه رجلٌ ما رأيتُه قبلَ ذلك ولا بعدَه، هيئتُه كذا وكذا! فقال رسولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٥)، ومسلم (٢٣٠٦).
(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣٤ (٣٣١٠).

فإن قيل: فإن سليمانَ عليه السلام كان يَفهمُ كلامَ الطير والنملةِ مع تسخير الله له كما ذكَر: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ [النمل:٢٠]، ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ﴾ [النمل:١٨]، ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النمل:١٦]، قيل: قد أُعطيَ محمدٌ ﷺ ذلك وأكثرَ منه، فقد تقدَّم ذِكْرنا لكلام السِّباع والبهائمِ، وحَنين الجِذْع، ورُغاء البعير، وكلام الشجَر، وتسبيح الحجَر والحصى ودُعائه إيَّاه واستِجابته لأَمْره، وإقرار الذِّئْب بنُبوَّته، كلُّ ذلك قد تَقدَّم ذِكرُه في الفصول بما يُغني عن إعادته.

(٩٩) القولُ فيما أوتِيَ يعقوبُ عليه السلام

فإن قيلَ: فإن يعقوبَ عليه السلام عظُم في الخير نصيبُه بالأسباط من سلالتِه، ومريمُ ابنةُ عِمران من بناتِه، والهداةُ من ذريتِه، قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

قيل: لقد كان كذلك، ومحمدٌ ﷺ في الخير أعظمُ نصيبًا وأوفرُ حظًّا وأرفعُ ذكرًا وخطرًا، إذ سيدةُ نساء المسلمين، بل نساء العالمين من بناتِه والحسنُ والحسينُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذريتُه من صُلبه وحَفدَتُه.

٣١٢- عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**فاطمةُ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ**»[(١)].

فإن قيل: فإن يعقوبَ عليه السلام صبرَ على فراق ولدِه حتى كاد يكونُ حرضًا من الحزنِ، قيل: قد كان حزنُه على ولده حزنَ تلاقٍ ومضضٍ واشتياقٍ، ووَجْدَ فراقٍ، ورسول الله ﷺ فُجِع بواحدِه من الدنيا وقرةِ عينه في حياته فصبرَ محتسبًا ووفى بصدقِ الاختيارِ مستَسلمًا.

٣١٣- قال ﷺ: «**العينُ تدمع والقلبُ يحزنُ ولا نقولُ ما يسخِط الربَّ، وإنا عليك يا إبراهيمُ لمحزونون**»[(٢)] سالكًا في جميع أحوالِه منهجَ الرضا عن الله تعالى والاستِسلامِ له فيما يَقضي ويحكم.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٩ (٢٦٦٨) بمعناه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

ومما يدل على ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤]، فأصابَه بفقد ولدٍ من بين جميعِ أولاده هذا الأسفُ، ونبيُّنا ﷺ فقد واحِدهُ ولم يكن له من البَنين غيرُه فلم يتأسفْ، بل رضي واستسلمَ ففاق صبرُه على صبر يعقوبَ، فدل ذلك على فضلِ قوتِه وزيادةِ صبرِه، ويدل ذلك على فضله عليه صلى الله عليهما.

(١٠٠) القولُ فيما أُوتيَ يوسفُ عليه السلام

فإن قيل: فإن يُوسفَ عليه السلام موصوفٌ بالجمال على جميعِ الأنبياء والمرسَلين، بل على الخلقِ أجمَعين. قيل: إن جمال محمدٍ ﷺ الَّذي وصَفه به أصحابُه لا غايةَ وراءَه، إذ وصَفوه بالشمسِ الطالعةِ، وكالقمرِ ليلةَ البَدْر وأحسَنَ من القمَر، ووجهُه كأنه مُذهبةٌ يَستَنير كاستِنارة القمَر، وكان عرَقُه ﷺ له رائحةٌ كرائِحةِ المِسكِ الأَذفَر.

٣١٤- فعن سِماك بن حَرْب أنه سمِع جابرَ بنَ سَمُرةَ يَقول: وقال له رجُل: أكانَ وجهُ رسولِ الله ﷺ مثل السَّيْف؟ قال: لا، بل كان مثل الشمسِ والقمَرِ، وكان مُستديرًا[(١)].

٣١٥- عن كعبِ بن مالكٍ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سرَّه الأمرُ استنار وجهُه كأنه دارةُ القمَر[(٢)].

فإن قيل: فإن يُوسُفَ عليه السلام قاسَى مرارةَ الفُرقة وامتُحِن بالغربة عن أبويه وفارَقَ وطَنه. قيل: إن الذي قاسَى رسولُ الله ﷺ من مرارةِ الغُربة ومفارقة الأهل والعَشيرة والأحِبَّة والوطن أعظمُ ممَّا قاسى يوسفُ عليه السلام، فقد هاجرَ من حرَم الله وأَمْنه ومَسقَط رأسه وموطِن أنبيائه ورسُله مُضطَرًّا لا مختارًا، فاستَقبَل البيت مُتلهِّفًا مُستعبِرًا حزينًا فقال: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

تَعَالَى، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»[١]، وخرجَ كئيبًا والهًا فلما بلَغ الجُحفةَ أُنزِلَ عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥].

وأَراهُ اللهُ تعالى رؤيا أزالَ بها الحزنَ عنه توازي رؤيا يوسُفَ عليه السلام في التأويل حقَّق الله وقوعَها فقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ الآية [الفتح:٢٧]، وكان حبسُ يوسفَ عليه السلام توقِّيًا للمعصية فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣]، وحَبسُ رسولِ الله ﷺ في الشِّعبِ قطع منه عشيرته وأقاربه وأُلجِئ إلى الضيقِ الشديد، حتَّى كادَهُمُ اللهُ أبينَ كيدٍ فسلَّط أضعفَ خلقِه على صحيفةِ قريش التي عقَدوها في قطيعتِه، فأكَلَت عهودَهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨).

(١٠١) القولُ فيما أُوتِيَ يحيى بنُ زكريا عليهما السلام

فإن قيل: فإن يحيى بنَ زكريا أوتِيَ الحُكْم صبيًّا، وكان يَبكِي من غير ذَنْب، وكان يُواصِل الصومَ، قيل: ما أُعطي محمدٌ ﷺ أفضلَ من هذا؛ لأن يحيى عليه السلام لم يَكُن في عصرِ الأوثان والأصنام والجاهلية، ومحمدٌ ﷺ كان في عصرِ أوثان وجاهِلية فأُوتيَ الفَهم والحُكْم صبيًّا بين عبدة الأوثان وحِزب الشيطان، فما رغِبَ لهم في صنَم قطُّ، ولا شهِدَ معهم عيدًا ولم يُسمَع منه قطُّ كذبٌ، وكانوا يعدُّونه صدوقًا أمينًا حليمًا رَؤوفًا رحيمًا، وكان يواصِل الأسبوعَ صومًا فيَقول: «إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»[(١)]، وكان ﷺ يَبكِي حتى يُسمع لصدره أزيزٌ كأزيزِ المِرجَل.

فإن قيل: فإن الله قد أَثنى على يحيى فقال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران:٣٩] والحَصورُ الذي لا يَأتي النِّساءَ.

قيل: إن يَحيى عليه السلام كان نبيًّا ولم يَكُن مبعوثًا إلى قومِه وكان مُنفرِدًا بمُراعاة شأنه، وكان محمد نبيًّا رسولًا إلى كافَّة الناس ليَقودهم ويحوشهم إلى الله تعالى قولًا وفعلًا، فأظهرَ الله تعالى به الأحوالَ العالية المختلفةَ والمقاماتِ المتفاوتةَ في مُتصرَّفاته؛ ليَقتديَ كل الخلق بأفعاله وأوصافِه، فاقتَدَى به الصِّدِّيقون في جلالتهم، والشهداءُ في مَراتِبهم، والصالحون في اختلافِ أحوالِهم ليَأْخُذ العالي والداني والمتوسطُ والمكينُ من أفعاله قِسطًا وحقًّا، إذِ النِّكاحُ من أعظمِ حُظوظ النَّفْسِ وأبلغِ الشهواتِ، فأمَر بالنِّكاح وحثَّ عليه لما جبَلَ الله تعالى عليه النفوسَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٣)، ومسلم (١١٠٤).

من تَوَقان النفس، وهيَجان الشهوةِ المطبوعة عليها النفسُ، وأَباح ذلك؛ ليَتَحصَّنوا به من السِّفاحِ، فشارَكوه ﷺ في ظاهِره وشمِلهم الاسمُ معه وانفرَد ﷺ عن مُساواته معهم فقال: «تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمِ»[(١)]، فإذا غلبَ عليه وعلى قلبِه ما أَفرَده الحقُّ به من قوله: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[(٢)]، تَلطَّف ﷺ في مَرضاتِهن فقال لعائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ائْذَنِي لِي أَتَعَبَّدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، فقالت: إنِّي لأحبُّ قربَكَ وأحبُّ هَواكَ. فقام إلى مُصلَّاه إلى الصباحِ راكعًا وساجدًا وباكيًا[(٣)].

وربما خرجَ إلى البقيعِ فتَعبَّد فيها زائرًا لأهلها، وربما قام ليلةً بآية إلى الصباحِ يُردِّد فيها كالمناجِي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة:١١٨]، فكان نِسبتُه عن أحكام البشَرية ودواعي النفس مَمحوَّة عند انشِقاق صَدْره لَمَّا حشَوْه بالإيمان والحكمة الَّذي وزن به أُمته فرجَح بهم، هذا مع ما أَنزلَ الله تعالى من السَّكينةِ عليه وعلى قلبِه ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٤٦).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).

(٣) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٤٦١٨)، وابن حبان (٦٢٠).

(١٠٢) القولُ فيما أُوتيَ عيسى ابنُ مريمَ عليهما السلام

كل فَضيلةٍ أُوتيَ عيسى عليه السلام فلِنبيِّنا محمدٍ ﷺ وِزانُها، ولم يُنكِرها المُتدبِّرُ، مع ما أطلَعَه اللهُ تعالى عليه خصوصًا من الغيوبِ التي لم يَطَّلِع عليها غيرُه من النبيِّين، والكائنات الَّتي لم يُخبَر بها سواهُ من المرسلين، ما يَكون تَصديقًا لفضائِله، ودَليلًا واضِحًا على مَناقِبه، وحُجَّة لائِحة على كراماتِه.

فإن قيل: فإن اللهَ تعالى خصَّ عيسى عليه السلام بسَنيِّ الأَحوال بما لم يُؤتِ غيره من الأنبياء والمرسَلين، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الآيةَ [آل عمران:٤٥]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:٤٨] إلى قولِه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران:٥٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]، وقوله: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ الآيةَ [المائدة:١١٠]، ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾ الآية [المائدة:١١١]، وقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيةَ [المائدة:١١٤].

فالقول فيه: إن قولَه: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ [آل عمران:٤٥] مثل قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧] وقول النبيِّ ﷺ: **«إِنِّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ»**(١).

(١) أخرجه أحمد ٢٨/ ٣٧٩ (١٧١٥٠).

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]، فمعنى الكلِمة: قول الله تعالى: كُنْ. فكان من غير أبٍ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران:٥٩] مَن حمَلَ الكلِمةَ على غير هذا فقَدْ وافقَ النَّصارى في مَقالتِهم، فسمَّى عيسى الكلِمةَ لحُدوثه عند قولِه: ﴿كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران:٥٩]، ومثل قولِه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٧].

وسمِّيَ عيسى عليه السلام رُوحَ الله؛ لنَفخ جبريلَ في دِرعِ مريمَ عليهما السلام، ونُسِب الروحُ إلى الله تعالى لأنه بأَمْره، وكان يَقول: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١]، يَعني: نفخة جِبريلَ عليه السلام كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]، فلمَّا كان رَميُه عليه السلام بقوةِ الله تعالى وإرادته نسِب إليه كقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة:٣٦] بعد قولِه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، يَعنِي: اثبُتا في الجَنَّة، فأزالهما الشيطانُ، فقابلَ الثباتَ بالزوال الَّذي هو خِلافُه، ونسَبه إلى الشيطانِ لتَزيينِه ووَسْوسته لهما.

وسمِّيَ روحَ الله لأنه بكلِمته كان، وكلامُ الله تعالى يُسمَّى رُوحًا لأنه حياةٌ من الجهل وموت الكُفر، قال الله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشُّورى:٥٢] ورحمةُ الله تعالى رُوحٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] أي: برحمةٍ، وقال بعضُ المُفسِّرين: رُوحُ القُدس: الإنجيلُ، أيَّد الله تعالى به عيسى عليه السلام روحًا، كما جعل القرآن رُوحًا في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشُّورى:٥٢]،

فسُمِّيَ جِبريلُ روحَ القدس؛ لأنه لا يَقترِف ذنبًا ولا يَرتكب مَأثمًا، والروحُ النَّفخُ، سمِّي روحًا؛ لأنه ريحٌ يخرج عن الرُّوح.

فأمَّا ذِكْره بالمَسيحية فذكره في قوله: ﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٥] فهو اسمٌ مشتركٌ كان داودُ عليه السلام يسمَّى مَسيحًا عند أهل الكِتابِ، وقد سمِّي الدجَّالُ الأعور المسيحُ لا على جهة الكَرامةِ ولكن عينه ممسوحة، فقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١] إعلام المخاطَبين أنه عيسى لا غيرُه، وأنه رسولُ الله صاحبُ الآياتِ المُقتَصَّة، دليلُ ذلك أنه لم يُخاطِبْه به وخاطَبَه باسمِه فقال: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ [المائدة:١١٠]، و﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦]، و﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥]، وفي الإخبار عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [الصَّف:٦]، وبمِثل ذلك خاطَبَ الأنبياءُ عليهم السلام فقال: يا آدمُ، ويا نوحُ، ويا إبراهيمُ، ويا موسى، ويا عِيسى.

وقد ذُكِرَ في معنى المسيح وجوهٌ، وقيل: سمِّيَ مسيحًا لسياحته. وقيل: مسيحٌ فعيلٌ من مسح الأرض؛ لأنه كان يَمسَحها بسَيْره عليها. وقيل: سمِّيَ مسيحًا لخُروجه من بطن أُمِّه ممسوحًا بالدُّهْن، وقيل: سُمِّيَ به لأنه كان أمسحَ الرِّجْل أسفَل قدَمه لم يَكُن له أخمص. وقيل: سُمِّي مَسيحًا لأن الله تعالى مسَحَ الذنوب عنه. وقيل: سُمِّيَ به لأن جبريلَ عليه السلام مسَحَه بالبَرَكة، وهو قولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]. وقيل: سمِّي به لأنه لم يَمسَح ذا عاهةٍ إلَّا برَأ.

فإن قيل: فإن عيسى عليه السلام قد خصَّ بأن أرسل الرُّوح الأمين إلى أُمِّه فتمثَّل لها بشرًا سويًّا، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾ [مريم:١٩]، فحمَلَت به، فناداها جِبريلُ عليه السلام ﴿مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ الآياتِ [مريم:٢٤]، فأَشارت إليه فنطَق في المَهْد بإِذْن الله تعالى صبيًّا فقال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآياتِ [مريم:٣٠]، فكانت آيةً للعالمين ومثلًا في الآخِرين، ولم يُذكَر لأحد من الأنبياءِ شيء مثله.

فالقولُ في ذلك: إن رسولَ الله ﷺ أُعطيَ ضروبًا من هذه الآياتِ وأمثالِها الدالة على مَولِدِه، وبُشِّرَت به أُمُّه آمِنةُ في حَملها به، وما أظهرَ الله تعالى لها من الآيات عند وَضْعها.

وأما قولُه تعالى: ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [مريم:٢١] فنبيُّنا محمد ﷺ وصفَه الله تعالى بأعمِّ الرحمةِ وأكملِها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧] فمَن صدَّقه وآمنَ به فاز برحمة الله في الدارين، ومن لم يصدِّقه أمِن في حياته مما عُوقب به المكذِّبون من الأممِ من الخسفِ والمسخ والقذفِ، وأنقذَ اللهُ ببعثتِه من الضلالة وانتَعشوا بالإيمان من الدمارِ وأمنوا به من البوارِ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [آل عِمران:١٦٤] وقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب:٤٥].

فإن قلت: فقد قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨ – ٤٩] الآيةَ، فقد أُوتِيَ محمدٌ ﷺ ما يُجانِسُ ذلك وأكثرَ منها وأفضلَ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾

[الحجر:٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل:٤٤] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزُّخرف:٤٤]، أي: القُرآن شرَف لك ولهُم، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، ويقول للأنبياءِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ الآيةَ [فصلت:٤١ - ٤٢]، وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ الآيةَ [الإسراء:٨٨]، وقال: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ [الطَّلاق:١٠- ١١]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فإن قلت: فإن عيسى عليه السلام كان يَخلُق من الطينِ كهيئة الطير فيكونُ طائرًا بإذْن الله.

قُلنا: لرسولِ الله ﷺ نظيرُه، فإن عكَّاشةَ بنَ مِحصَن انقطَع سيفُه يومَ بَدْر فدفَع رسولُ الله ﷺ جذلًا من حطَب وقال: «قَاتِلْ بِهَذَا»، فعاد في يَدِه سيفًا شديدَ المتنِ أبيضَ الحديدة طويلَ القامة، فقاتلَ به حتَّى فتحَ الله على المُسلِمين، ثُم لم يَزَل معه في المشاهد إلى أيام الرِّدَّة. فالمعنى الذي به أمكَن رسولَ الله ﷺ أن يُصيِّر الخشَبَ حديدًا ويَبقى على الأيَّام، ثُم استِماع التسبيح والتقديس والتهليل من الحجَر الصمِّ في يَده، وشهادة الأحجار والأشجار له بالنبوَّة وأمره للأشجار بالاجتماع والالتِصاق والافتِراق، كلُّ ذلك يُجانِس إحياء الموتى وطيَران الطَّيْر من الطينِ كهيئة الطير.

وإن قلت: فإن عيسَى عليه السلام كان يُبرِئ الأكمَهَ والأبرصَ والعُميانَ بإِذْن الله، فإن قَتادةَ بنَ النُّعمانَ ندَرَت حَدَقته يوم أحُدٍ من طعنة أَصابَت عينَه، فأخَذَها رسولُ الله ﷺ بيدِه فردَّها، فكان لا يَدري أيَّ عينَيْه أُصيبت[(١)].

٣١٦- وعن البراءِ قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافعٍ اليهوديِّ فندَب له سريَّةً أمَّر عليهم عبدَ الله بن عَتيكٍ، وذكر القِصَّة، قال عبدُ الله: فوقَعت في ليلة مقمِرة فانكَسَرت رِجلي فعصَبْتها بعِمامتي، فلمَّا انتَهَيْنا إلى النبيِّ ﷺ قال: «**ابْسُطْ رِجْلَكَ**»، فبَسَطْتُها فَمَسحها فكأنها لم أَشكُها قطُّ[(٢)]. ولهذا الجنسِ نظائرُ قد تقدَّم ذكرُها في أبوابها.

فإن قلتَ: فإن عيسى عليه السلام كلَّم الموتى، فلقد كان لمحمدٍ ﷺ أعجبُ منه، قُدِّم إليه شاةٌ مسمومة مَصلِيَّةٌ فنادَته ذراعُها: لا تأكُلني؛ فإني مَسمومةٌ. وقد تقدَّم هذا الحديث في بابه.

فإن قلت: كان عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام يُخبِر بالغيوب ويُنبِئ قومه بما يَأكُلون في بُيوتهم وما يدَّخرون، فإن رسولَ الله ﷺ قد كان يُخبِر من ذلك بأعاجيبَ؛ لأن عيسى عليه السلام كان يُخبِر بما كان من وراءِ جِدار في مَبيتهم وتَصرُّفهم في مَأكَلهم، ومحمد ﷺ يُخبِر بما كان منه بمَسيرة شهر وأكثرَ، كإخباره بوفاة النجاشيِّ، ومنِ استُشهِد بمُؤتَةَ: زيدٍ وجعفرٍ وعبدِ الله بنِ رواحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان السائلُ يأتيه ليَسأله فيقول: «**إنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ عَمَّا جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْهُ أَوْ تَسْأَلُ فَأُخْبِرَكَ**»[(٣)]، فيقول: لا بَلْ أَخبِرْني. فيُخبِره بما كان في نفسه من سؤاله إيَّاه، وأخبرَ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٣/ ١٢٠ (١٥٤٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٠٠.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ٤٠٧ (٩٧٤٧)، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٢٠٤ (٩٠٧).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ١٤ (٨٨٣٠)، وابن حبان (١٨٨٧)، والطبراني في الكبير ١٢/ ٤٢٥ (١٣٥٦٦).

عُميرَ بن وهبٍ الجُمحيَّ بما تواطأ عليه هو وصفوانُ بنُ أُمية لَمَّا قعَدا بمكةَ في الحِجر في الفتكِ برسول الله ﷺ بعد مصاب أهلِ بدر حتى أسلمَ عُميرٌ.

ومنها إخبارُه عمَّه العباسَ بنَ عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لَمَّا أُسِر ببدر وأَراد أن يُفاديَه فقال: ليس لي مال؟ فقال: «**فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ أُمَّ الْفَضْلِ لَمَّا أَرَدْتَ الْخُرُوجَ وَعَهِدْتَ إِلَيْهَا فِيهِ؟**»[(١)]، ومِنها قصةُ سارةَ لما حمَلت بكِتاب حاطبِ بنِ أبي بَلتعةَ إلى المُشرِكين من أهل مكةَ فبعَث عليًّا والزُّبيرَ في طلَبها فقال: «**انْطَلِقَا حَتَّى تُدْرِكَاهَا بِرَوْضَةِ خَاخٍ مَعَهَا كِتَابٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ**»[(٢)]، وقوله لعبدِ الله بن أُنيسٍ لَمَّا بعثَه إلى الهُذليِّ بوادي عرنةَ فقال: «**إِذَا رَأَيْتَهُ هِبْتَهُ**»[(٣)]، ومنها ما أَطلَعه اللهُ تعالى عليه في مُنصرَفه من تبوكَ لما ضلَّت راحلتُه، فقال بعضُ المُنافِقين: ألَا يُحدِّثه اللهُ تعالى بمكانها. فأَطلعه اللهُ تعالى عليها وعلى ما في نفس المُنافِق، فأَسلمَ وفارقَ النِّفاق، ومنها ما أَخبَر به رسولَيْ فيروزَ لما قدِما عليه المدينةَ من اليمنِ حين كتَب إلى كِسرى فقال لهما قولًا له: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّكَ الْبَارِحَةَ**»[(٤)]، فكتَبا تلك الليلةَ فلمَّا رجَعا إلى اليمَن أَتى فيروزَ الخبرُ أن شِيرويهَ بنَ كِسرى قتلَ أباه كسرى تلكَ الليلةَ في أشياءَ كثيرةٍ تقدَّمت بأَسانيدها في مواضِعها من هذا الكتابِ بما أَغنى عن إعادتها.

ونَذكُر بعض ما خصَّه الله تعالى به من إعلامِه وإخبارِه بأشياءَ لم تَكُن فكوَّنَها الله، وما وعَد أمته بوقوعها لإطلاعِ الله تعالى إيَّاه عليها، وإخباره عمَّا يجري بعدَه على أُمَّته مما هو من عجيب مُعجزاته ودَلالة كرامته ونباهتِه ﷺ دائمًا أبدًا:

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣٤ (٣٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) أخرجه أحمد ٢٥/ ٤٤٠ (١٦٠٤٧)، وابن شبة في تاريخ المدينة ٢/ ٤٦٧، وابن حبان (٧١٦٠).

(٤) أخرجه أحمد ٢٤/ ٨٥ (٢٠٤٣٨)، وأصله في البخاري (٤٤٢٥).

فممَّا أَخبَرَ بكونه ثُم كان قولُ الله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧] فكفاه اللهُ تعالى ووفَّاه ما وعَده بنُصرة المؤمنين وإبادة المُستهزِئين.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران:١٢]، فكان كما وعَدَه اللهُ غلِبوا فقُتِلوا ويُحشَرون إلى النار.

ومنه قوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران:١٣٩] فكان كما وعَده اللهُ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الأنفال:٧] فهزَمَ اللهُ تعالى المُشرِكين.

ومنه قولُه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠] فنصَرَه وقوَّاه بلا مالٍ ولا عشيرةٍ، فبلَغ مُلك أُمته الشرق والغرب.

ومنه قوله: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥ﴾ [الحج:٥٩] فدخَلوا مكةَ آمِنين.

ومنه قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:٥٥]، فكان كما وعَدَهم، فهذا مِمَّا لا يَجوزُ في حسٍّ ولا ظنٍّ ولا يَقع بالاتِّفاق.

ومنه قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢﴾ [الرُّوم:١ - ٢]؛ فلِعِلمه بكونه ووقوعه حدَّد الوقت وخصَّصه ووقف عليه في بِضع سنين، والعرب مُصدِّقها ومُكذِّبها عرَفوا أن البِضعَ معلوم عند جَميعهم وأكَّدَه بقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الرُّوم:٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ السورةَ، والفتحُ: فتحُ مكةَ خصَّ من بين الفتوح بالفتح؛ لعِظَم قدرِه وأنها بلدة المهاجرين الذين أُخرِجوا منها، وأهلها كانوا أشدَّ الناس عَداوة لرسولِ الله ﷺ وأصحابه؛ لأن القَرابة والجِيران أشدُّ تَقاطعًا وتَباغُضًا، فبشَّره اللهُ تعالى بفَتحها قبل كونِه وبدُخول أفواج الناس في دِينه، فحقَّق اللهُ تعالى له بِشارته بفَتْحها وقدِمت الوفودُ والجماعاتُ عليه المدينة مُسلِمين مُنقادين له ولدِينه، فقبَضَ الله تعالى نبيَّه ﷺ وقد طبَّق الإسلام إلى شَحْر عُمانَ وأقصى نجدٍ إلى العِراق بعد تمكُّنه بالحجاز، وبسط رواقَه وجرانه بالغورِ، فجرى حُكمُ الله تعالى وحكمُه ﷺ على أهل مكةَ والطائف وعُمانَ والبحرين واليمنِ واليمامةِ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١] يَعنِي: العجم وفارِسَ، وكقوله تعالى: ﴿وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب:٢٧] يَعنِي: فارسَ والرومَ، فوجَدوا ما وعدَ الله تعالى كما وعَدهم.

ومنه قوله: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ [الفتح:١٦] وهم أهل فارسَ والرومِ وبنو حنيفةَ وأصحاب مُسيلمةَ، فقاتَلَهم أبو بكر ثُم عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا فلم يَختلِفْ أحدٌ من أهل القِبلةِ أن المُخلَّفين من الأعراب لم يُدْعوا على شيءٍ من الحروبِ بعد تولِّيهم عن النبيِّ ﷺ حتى دُعُوا في زمن أبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إلى أصحابِ البأس مُسيلمةَ وبني حَنيفةَ، ووعَد ﷺ بيضاءَ المدائن واصطَخْر وفتح كنوز كِسرى.

وقال لعَديٍّ بن حاتمٍ: «**لَا يَمْنَعُكَ مَا تَرَى بِأَصْحَابِي مِنَ الْخُصَاصَةِ، فَلَيُوشِكَنَّ أَنْ تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ بِغَيْرِ جِوَارٍ**»(١)، فأَبصَر ذلك عديُّ بنُ حاتم بعينِه.

ومنه قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة:٧]، فكان ذلك، تَزوُّج النبيِّ ﷺ بأُم حَبيبةَ، وإسلام أبي سُفيانَ، فزالت العَداوةُ وآلَتْ مَودَّةً وصِلة.

ومن المَكنون الذي أَكنته الصدور وأَضمَرته القلوب وأَطلعَ الله تعالى عليه نبيَّه ﷺ وجعَله من مُعجزاته الباهِرة قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:١٤]، وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:٧٦]، فأَعلَم الله تعالى نَبيَّه بذلك فقال: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة:٧٧].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران:١٨٨]، فكتَموا النبيَّ ﷺ ما سأَلَهم وأَخبَروه بغير الحقِّ وأَوهَموه صِدقَهم ليَستَحمِدوه بذلك، فأَعلمَ اللهُ تعالى ذلك نبيَّه ﷺ وهم اليَهودُ.

ومنه قولُه تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب:١٨]، وذلك أن اليهودَ قالوا للمُنافِقين سرًّا يوم الخَندقِ: علامَ تَقتُلون أنفسكم؟! هلُمُّوا إلينا ما تَرجون من محمدٍ ﷺ؟! واللهِ، ما تَجِدون عنده خيرًا.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٢/ ١١٩ (١٩٣٧٨).

ومنه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ [محمد:٢٥] إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ [محمد:٢٦]، وذلك أنهم قالوا لقُريظةَ وبني النضيرِ: سنُطيعكم في بعضِ الأمر. وأَخرَج الله تعالى إسرارَهم لرَسوله ﷺ، ونظائِر ذلك ممَّا أَطلع اللهُ تعالى عليه نبيَّه ﷺ ممَّا أَسرَّه المُنافقون واليهودُ في أَمره، في القُرآن قِصص كثيرة اكتفَيْنا منها بما ذكَرنا.

فإن قيل: قد أُتيح لعيسى عليه السلام الحَواريُّون فكانوا أنصارَه وأعوانَه فمدَحهم اللهُ تعالى بذلك فقال: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٥٢].

قيل: قد كان لرَسولِ الله ﷺ منَ الحواريِّين غيرُ واحِد كما قال عليه السلام: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»[(١)]. على أن حواريَّ عيسى عليه السلام مَبلَغهم في طاعتِهم له ما قصَّ اللهُ تعالى من قولهم: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٢]، ولحَواريِّ رسولِ الله ﷺ في خُلوص الطاعة وصحة النية وحُسن المُؤازرة ومُجاهدة النفوس في نَصْر نبيِّهم وتَبجيلِهم وتعظيمهم له ومعرِفتهم بجلالته ما اقتَصَصنا من أخبارِهم، فكانوا لا يحدُّون النظر إليه إعظامًا له، ولا يَرفَعون أصواتهم عليه إجلالًا له، ولا يَتنخَّم نُخامةً إلَّا ابتَدَروها يَتَمسَّحون بها، ولا سقَطت منه شعرةٌ إلَّا تَنافَسوا فيها.

فإن قيلَ: فإن عيسى عليه السلام كان سَياحًا جَوابًا للقفارِ والبراري، قيل: كذلك كان، وسياحةُ محمد ﷺ أعظمُ، وأكثرَ الجهادَ واستنقذَ في عشرِ سنينَ ما لا يُعد من حاضرٍ وبادٍ، وافتتح القبائلَ الكثيرةَ، فصلى الله عليه من مبعوثٍ بالسيف

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥).

لا يُداري بالكلام ومجاهدٍ في الله لا ينامُ إلا على دمٍ، ولا مُستَقِرًّا إلا متجهزًا لقتال الأعداءِ وباعثًا إليهم سريَّةً في إقامة الدينِ وإعلاءِ الدعوةِ وإبلاغ الرسالةِ.

فإن قيل: فإن عيسى عليه السلام كان زاهدًا يقنِعُه اليسيرُ ويرضِيه القليلُ خرج من الدنيا كفافًا لا له ولا عليه، قيل: إن محمدًا ﷺ كان أزهدَ الأنبياء، كانت له ثلاثَ عشرةَ زوجةً سوى من يُطيفُ به فما رفِعت مائدتُه قط وعليها طعامٌ، ولا شَبِعَ من خبزِ بُرٍّ قط ثلاثَ ليالٍ متواليات، وكان يربطُ الحجرَ على بطنه، لباسُه الصوفُ، وفراشُه إهابُ شاة، ووسادتُه من أدم حشوُها الليفُ، يأتي عليه الشهران والثلاثةُ ولا يُوقدُ في بيته نارٌ لمصباحٍ، توفي ودِرعُه مرهونةٌ، لم يتركْ صفراءَ ولا بيضاءَ مع ما عُرِضَ عليه من مفاتيحِ خزائنِ الأرض ووُطِّئ له من البلادِ ومُنِحَ من غنائِم العبادِ، وكان يقسِّم في اليوم الواحد ثلاثَمِائةِ ألفٍ، ويُعطي الرجلَ مائةً من الإبلِ والخمسين، ويُعطي ما بين الجَبلين الأغنامَ، ويُمسي ويأتيه السائلُ فيقولُ: **«والذي بعثَني بالحق نبيًّا ما أمسى في آلَ محمدٍ صاع من شعيرٍ ولا من تمرٍ»**(١) **«أجوعُ يومًا وأشبعُ يومًا، فإذا جعتُ تضرَّعتُ، وإذا شَبِعتُ حمدتُ»**(٢) وكيف لا يكونُ كذلك مِن عَظَّمهُ الله تعالى فقالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم:٤].

فإن قيل: فقد أَخبَرَ الله تعالى عن عيسى ابنِ مريمَ عليهما السلام ما كان يَتقلَّب فيه من حِياطة الله تعالى له ومُدافعته المكرَ والغوائل عنه، حتى كان يُصبِح ويُمسِي آمنًا ساكن النفس؛ لما كان يَتولاهُ الله تعالى به فقال: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم﴾ الآيةَ [المائدة:١١٠].

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧).

قيل: قد كان كذلك، ورسولُ الله ﷺ عصَمه الله من غير سؤال سأَل ولا رهبةٍ وجَد، وذلك أن اليهودَ أَوعَدَتْه مَقدَمَه المدينة فقالوا: يا محمدُ، إنا ذو عُدَّة وبأسٍ شديدٍ فاحذَرْ أن نَقتُلك. فكان جماعة من المُهاجرين والأنصار يَحرُسونه مُشتَملين في السلاح يَخافون عليه اليهودَ، فأَنزل الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] يَقول: من اليهودِ، إني أنا إذا أَمنَعك منهم، فردَّهم عن الحرس إلى منازلهم، فكان يَبرُز وحدَه في سواد الليل وبالأسحار إلى البَقيع والأودية مَمنوعًا منهم، لا يَصِلون إليه بقتلٍ ولا قهرٍ ولا إطفاء نور ولا غلَبة على حقٍّ، صادِعًا بأمر الله مُبلِّغًا رسالته، آمنًا على نفسه، واثقًا بعُلوِّ كعبِه ساكنًا إلى ظهور دِينه، فزاد وعدُ الله الصادقُ في عَزيمته، وأعانَه على صَريمته، وقوَّى قلوب صحابته، وخفَّف عنهم من لُزوم حِراسته، وبيَّن لهم أنه صادق في خبَره، مُؤيَّد بوَحيِ ربه والكِتاب المُعجِز الَّذي نزَل على قلبه؛ لأن الإخبار بعِصْمته من الناس في مُستقبَل أيَّامه ومُستأنَف زمانِه غيب لا يَعلَمه إلَّا علَّام الغيوب، ولا يُخبِر به عنه مُحتجًّا به ومستدِلًّا بكونه ومُستنبِيًا إليه إلَّا رسول أمين يَعلم أنه على بيِّنة من ربِّه، وبصيرة من أَمْره، وأمان من وُقوع الأمرِ على خلاف مخبرِه.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر

السيرة النبوية

لابن هشام

ابن هشام البصري
عبد الملك بن هشام بن أيوب
(ت ٢١٨هـ)





اختصره
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

يباع بسعر التكلفة

مختصر

السيرة النبوية

لابن هشام

ح أحمد بن عثمان المزيد، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المزيد، أحمد عثمان
موسوعة محمد رسول الله ﷺ الوقفية دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله. / أحمد عثمان المزيد.
الرياض، ١٤٣٨هـ
٦ مج
ردمك: ٨-٤٣٩٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٢-٤٣٩٥-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)
١- السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٨/٦٥٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٥٩٣
ردمك: ٨-٤٣٩٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٢-٤٣٩٥-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

الطَّبعَةُ الأولى
(١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)

المجلد الثاني

تُباعُ الموسوعة بسعر التكلفة بدعمٍ من المحتسب ووالديه عثمان بن أحمد المزيد وحصة بنت حمد المزيد

مدار الوطن للنشر
هاتف: 00966 112313018 جوال: 00966 500996987
تطلب من جميع فروع مكتبة جرير

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر السيرة النبوية لابن هشام

ابن هشام البصري
عبد الملك بن هشام بن أيوب
(ت ٢١٨هـ)





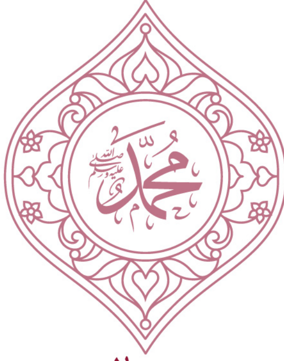
اختصره
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

إِهْدَاءٌ إلى

مَنْ غَايَتُهُ مُرافقة

مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فِي الجَنَّةِ



خِصَالُ الكَمَالِ وَالجَلَالِ فِي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ

(إذا كان الواحدُ منا يشرفُ بواحدةٍ أو اثنتينِ من خصالِ الكمالِ والجلالِ فما ظنكَ بعظيمِ قدرِ محمد رسول الله ﷺ مَن اجتمعَت فيه كلُّ هذه الخصالِ: مِن فضيلةِ النبوةِ والرسالةِ، والخلَّةِ، والمحبةِ، والاصطفاءِ، والإسراءِ، والقربِ، والشفاعةِ، والوسيلةِ والفضيلةِ، والمقامِ المحمودِ، والبراقِ والمعراجِ، والبعثِ إلى الأحمرِ والأسودِ، والصلاةِ بالأنبياءِ، والشهادةِ بينَ الأنبياءِ والأممِ، وسيادةِ ولدِ آدمَ، ولواءِ الحمدِ، ورحمة للعالمين، وإعطاءِ الرضى والسؤل، والكوثرِ، وإتمامِ النعمةِ، والعفوِ عما تقدَّمَ وما تأخَّرَ، وشرحِ الصدرِ، ووضعِ الإصرِ، ورفعِ الذكرِ، وعزَّةِ النصرِ، والتأييدِ بالملائكةِ، وإيتاءِ الكتابِ والحكمةِ والسبعِ المثاني والقرآنِ العظيم، وصلاةِ الله تعالى والملائكةِ، والقَسَمِ باسمِه، وإجابةِ دعوتِه، وتكليمِ الجماداتِ والعجمِ، ونبعِ الماءِ مِن بينِ أصابعِه، وانشقاقِ القمرِ، والنصرِ بالرعبِ، وظلِّ الغمامِ، وتسبيحِ الحصى، والعصمةِ من الناسِ، إلى ما لا يحويه محتفلُ، ولا يحيطُ بعلمِه إلا مانحُه ذلك ومُفضِّلُه به، لا إله غيرُه).

[مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس، (ص51- 52) باختصار]



بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بموسوعة محمد رسول الله ﷺ

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ رسول الله ﷺ، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ:**

فتمتازُ هذه الموسوعةُ -التي استغرَقَ العملُ فيها نحوًا مِن عامينِ- بجمعِها لأهمِّ علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونها في وعاءٍ واحدٍ، وانتقاءِ أفضلِ ما كتبَه أئمةُ سلفِنا الصالحِ وعلماؤهم في كل فنٍّ مِن فنونِها، مما لقيَ شهرةً وقبولًا لدى الأمةِ، وقد قمتُ باختصارِ هذه الكتبِ وتهذيبِها، نسأل الله الإخلاص والقبول.

وكان منهجي في اختصارِ كتبِ هذه الموسوعةِ أن تكونَ على أفضلِ الطبعاتِ المعتمدةِ لكلِّ كتابٍ، مع حذفِ الضعيفِ وما دونَه، والاستطراداتِ، وما أغنَى عنه غيرُه، أو كان مكرَّرًا سبقَ ذكرُه، وكذلك أسانيدُ الأحاديثِ إلا الصحابيَّ أو مَن دونَه مما يحتاجُ الكلامُ إليه، وقد حافظتُ على لفظِ المصنفِ وترتيبِه، فإن زدتُ في عنواناته شيئًا وضعتُه بين معقوفَينِ، وكذا ما كان مِن طبعةٍ أخرى غيرِ التي اعتمدتُها.

وكان هدفي مِن هذا المنهجِ تقريبَ سيرة النبي ﷺ وتيسيرَها؛ لنتعلَّمَ جميعًا علومَها وفنونَها من كتبِ علماءِ سلفِنا الصالحِ الأصيلةِ، لنحقِّقَ الاقتداءَ به ﷺ في عقيدتِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه؛ فنسعدُ في الدنيا ونفوزُ بالآخرةِ.

وقد اقتصرتُ في الحاشيةِ على التخريجِ الموجزِ للأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ والآثارِ، وبيانِ غريبِ ألفاظها.

(*) هذا تعريف موجز بالموسوعة، وقد تقدَّم التعريف بها مفصَّلًا في صدر المجلد الأول.

وقد جاءَ هذا الإصدارُ الأوَّلُ مِن «**موسوعة محمد رسول الله ﷺ**» جامعًا لستةِ علومٍ مِن علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في ستةِ مجلداتٍ، عبرَ اختصارِ ثمانيةِ كتبٍ، وهي على النحو التالي:

المجلد الأول: ١- في علم الدلائل [كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت٤٣٠هـ)]

المجلد الثاني: ٢- في علم السيرة النبوية [كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام (ت٢١٨هـ)]

المجلد الثالث: ٣- في علم الخصائص [كتاب «غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن(ت٨٠٤هـ)]

٤- في علم الشمائل، وفيه ثلاثة كتب، هي:

- [كتاب «شمائل النبي ﷺ» للترمذي (ت٢٧٩هـ)]

- [كتاب «محمد رسول الله ﷺ والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر»، لـ أ.د. أحمد بن عثمان المزيد]

المجلد الرابع: - [كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)]

المجلد الخامس: ٥- في علم حقوق النبي ﷺ: [كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)]

المجلد السادس: ٦- في علم الحديث النبوي الشريف: [كتاب «رياض الصالحين» للنووي (ت٦٧٦هـ)]

في علم السيرة النبوية

تعريفه:

يُعنى علمُ السيرة النبوية بذكرِ وقائعِ حياةِ النبيِّ ﷺ مِن مولدِه إلى وفاتِه.

أهميته:

سيرةُ محمدٍ رسولِ الله ﷺ هي تطبيقٌ لكتابِ الله تعالى وسنتِه ﷺ، فهي سجلٌ حافلٌ لكل تفاصيلِ حياتِه ﷺ: عقيدةً، وعبادةً، ومعاملةً، وأخلاقًا، سلمًا وحربًا، دعوةً وجهادًا، يسرًا وعسرًا، في بيته، وبين أصحابه ومع أعدائه، فيه الأسوةُ الحسنةُ لمن رام سياسةَ قومِه أو قام على شؤونِ بيتِه، صلَّى الله على صاحبِ هذه السيرةِ الشريفةِ، وآلِه وصحبِه وسلَّم.

ثمراته:

يقدِّمُ عِلْمُ السيرةِ للبشريةِ جمعاءَ نموذجًا يُحتذَى به في مكارمِ الأخلاقِ، ومظاهرِ الكمالِ الإنسانيِّ، ويقدِّمُ للمسلمِ الأسوةَ والقدوةَ التامةَ في حياتِه، والذي أُمِرنا بمحبتِه ﷺ فوقَ محبتِنا لأنفسِنا وأولادِنا والناسِ أجمعين، ويُوقِفنا على دعوةِ رسولِ الله محمدٍ ﷺ ومراحلِها وفقهِها، وتمثُّلِها في الحياةِ المعاصرةِ، ومِن معينِها نستقي الدروسَ التربويةَ النبويَّةَ في تعاملِه ﷺ مع صحابتِه خاصةً، والناسِ عامةً.

ترجمة ابن هشام (ت٢١٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو عبدُ الملك بنُ هشام بنِ أيوبَ، أبو محمدٍ الذهليُّ، السدوسيُّ - وقيل: الحميريُّ - المُعَافِرِيُّ، البصريُّ، نزيلُ مصرَ.

نشأته وطلبه للعلم:

بدأَ ابنُ هشام طلبَه للعلم في البصرةِ، ثم انتقَلَ منها إلى مصرَ، وتُوفِّي بها، وقد سَمِعَ ابنُ هشام «السير والمغازي لابن إسحاق» مِن زياد البكائيِّ صاحبِ ابنِ إسحاق، ومِن شيوخِه الإمامُ الشافعيُّ.

قال الدارقطنيُّ: عن المزني قال: «قَدِمَ علينا الشافعيُّ، وكان بمصرَ عبدُ الملك بنُ هشام صاحبُ (المغازي)، وكان علامةَ أهلِ مصرَ بالعربيةِ والشعرِ، فقيل له في المصيرِ إلى الشافعيِّ، فتَثاقَلَ، ثم ذَهَبَ إليه، فقال: ما ظننتُ أن الله يخلقُ مثلَ الشافعيِّ»[(١)].

وقال عنه ابنُ كثير: «أبو محمدٍ عبدُ الملك بنُ هشام، راوي السيرةِ، وإنما تُنسبُ إليه، فيقال: سيرةُ ابنِ هشام؛ لأنه هذَّبَها وزادَ فيها ونقصَ منها، وحرَّر أماكنَ واستدرَكَ أشياءَ، وقد كان إمامًا في اللغةِ والنحوِ والعربيةِ، وقد كان مقيمًا بمصرَ، وقد اجتمَعَ به الشافعيُّ حينَ ورَدَها وتناشدَا مِن أشعارِ العربِ أشياءَ كثيرةً»[(٢)].

وفاته: تُوفِّي ابنُ هشام في ١٣ ربيع الآخر، سنة (٢١٨هـ) بمصرَ[(٣)].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٤٢٩).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٣٠٨).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٤٢٨)، وانظر: تاريخ ابن يونس المصري (٢/ ١٣٧).

التعريف بكتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٨هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ «السيرة النبوية» لابن هشام مختصرًا لكتابِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يسار (ت١٥٠هـ)، ويعتبرُ كتابُ ابنِ إسحاق مِن أهمِّ وأولِ الكتبِ المؤلَّفةِ في السيرةِ النبويةِ، ومؤلفُه إمامُ هذا الفنِّ بلا منازع، إلا أن كتابَه لم يصِلْنا كاملًا حتى الآن، وقد وُجِدَ مِن الكتابِ قطعةٌ، حققَّها د. محمد حميد الله، بعنوانِ: «المبتدأ والمبعث والمغازي»، وطُبعت بتحقيق آخر للدكتور: سهيل زكار، بعنوانِ «السيرة النبوية لابن إسحاق برواية يونس بن بكير».

وقد تلقَّى أهلُ العلمِ كتابَ ابنِ إسحاقَ بالقبولِ والثناءِ، فقال ابنُ شهابٍ (ت١٢٤هـ) -وقد سُئِلَ عن مغازي ابنِ إسحاق-: هذا أعلمُ الناسِ، يعني ابنَ إسحاق[(١)].

وقال الشافعيُّ (ت٢٠٤هـ): مَن أرادَ أن يتبحَّرَ في المغازي فهو عيالٌ على محمدِ بنِ إسحاق[(٢)].

وقال ابنُ سعد (ت١٦٨هـ): كان ابنُ إسحاق أولَ مَن جمَعَ مغازي رسولِ الله ﷺ وألَّفَها[(٣)].

---

(١) تهذيب الكمال للمزي(٢٤/ ٤١٣).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٥٠).

(٣) السابق (٢٨/ ٤٣٦).

وقال ابنُ عدي (ت٣٦٥هـ): ولو لم يكن لابنِ إسحاق مِن الفضلِ إلا أنه صرَفَ الملوكَ عن كتبٍ لا يحصلُ منها شيءٌ، فصَرَفَ أشغالَهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله ﷺ ومبتدأِ الخلق ومبعثِ النبي ﷺ، فهذه فضيلةٌ لابن إسحاقَ سبَقَ بها، ثم بعدَه صنَّفه قومٌ آخرون ولم يَبلغوا مبلغَ ابنِ إسحاقَ فيه(١).

وقال الذهبيُّ (ت٧٤٨هـ): قد كان في المغازي علامةً(٢).

وقد قام ابنُ هشام البصريُّ (ت٢١٨هـ) باختصارِ ما يتعلَّق بالنبيِّ ﷺ من كتابِ ابنِ إسحاقَ مهذَّبًا ومنقِّحًا ومضيفًا إليه، وسمَّاه: «السيرة النبوية»؛ فحفظ بذلك جزءًا مهمًّا مِن كتابِ ابنِ إسحاقَ المفقودِ.

وقد تلقَّى العلماءُ كتابَ ابنِ هشام بالحفاوةِ والإيثارِ، فتناولوه قرنًا بعدَ قرنٍ بالشرحِ والاختصارِ والتعليقِ والحواشي، ومِن أهمِّ هذه الأعمالِ:

- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ).

- المواهب اللدُنِّيَّة بالمنح المحمدية، للعلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي المصري (ت ٩٢٣هـ).

- وقد اختصَرَ الإمامُ الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهاب (ت:١٢٠٦هـ) كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام في كتابه: «مختصر سيرة الرسول ﷺ».

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٧/ ٢٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٣٧).

ترتيبه ومنهجه:

يذكر ابنُ هشام في مقدمةِ كتابِه معالمَ منهجِه حيث يقولُ: «وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتابَ بذكرِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، ومَن وَلَدَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن ولدِه، وأولادِهم لأصلابِهم، الأولَ فالأولَ، مِن إسماعيلَ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما يعرضُ مِن حديثِهم، وتاركٌ ذكرَ غيرِهم مِن ولدِ إسماعيلَ، على هذه الجهةِ للاختصارِ، إلى حديثِ سيرةِ رسولِ الله ﷺ، وتاركٌ بعضَ ما ذكرَه ابنُ إسحاقَ في هذا الكتابِ، ممَّا ليس لرسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه ذكرٌ، ولا نزَلَ فيه مِن القرآنِ شيءٌ، وليس سببًا لشيءٍ مِن هذا الكتابِ، ولا تفسيرًا له، ولا شاهدًا عليه؛ لما ذكرتُ مِن الاختصارِ، وأشعارًا ذكرَها لم أرَ أحدًا مِن أهلِ العلمِ بالشعرِ يَعرِفها، وأشياءَ بعضها يَشْنُعُ الحديثُ به، وبعضٌ يَسُوءُ بعضَ الناسِ ذكرُه، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البكائيُّ بروايتِه، ومستقصٍ -إن شاء الله تعالى- ما سِوَى ذلك منه بمبلغِ الروايةِ له، والعلمِ به»[(١)].

قلتُ: وقد راعيتُ في اختصارِ «**السيرة النبوية**» لابنِ هشام: الإيجازَ غيرَ المخلِّ، فحذَفْتُ ما لا يتعلَّقُ بسيرةِ النبيِّ ﷺ ولا يؤثرُ على السياقِ العام، كإسلامِ بعضِ الصحابةِ، وتتبعَه للأعلامِ وحصرَهم، وكذا لم أذكُرْ مِن الغزواتِ والسرايا إلا أهمَّها وأجلَّها.

---

(١) (ص١٩).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

طُبِعَ كتابُ ابنِ هشامِ عدةَ طبعاتٍ، مِن أهمِّها: طبعة مكتبة الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، وقد اعتمدوا على أربع مطبوعات: مطبوعة بولاق (١٢٥٩هـ)، ومطبوعة ألمانيا (١٢٧٦هـ)، ومطبوعة المطبعة الخيرية بمصر (١٣٢٩هـ)، ومطبوعة المكتبة الجمالية بمصر (١٣٣٢هـ)، كما اعتمدوا على أربع نسخ خطية محفوظة بدار الكتب المصرية، إحداها كاملة، وهذه الطبعة هي التي اعتمدنا عليها في هذا المختصر.

❷ موســــوعة محمــــــد رســـــول الله ﷺ

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر السيرة النبوية لابن هشام

لابن هشام البصري عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٨هـ)

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية – جامعة الملك سعود

[القسم الأول: العهد المكي]

[أولا: قبل الرسالة والنبوة]

١- ذِكرُ سرد النسب الزكيِّ

قال أبو محمدٍ عبدُ الملك بنُ هشام النحويُّ: هذا كتابُ سيرةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، محمدِ بنِ عبدِ الله بن عبدِ المطلب، واسمُ عبد المطلب: شيبةُ بنُ هاشم، واسمُ هاشمٍ: عمرو بن عبد مَناف، واسم عبدِ مناف: المُغيرة بن قُصي، واسم قصي: زيدُ بن كِلاب بن مُرَّةَ بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضْر بن كِنانةَ بن خُزيمةَ بن مُدرِكَة، واسم مدركةَ: عامر بن إلياسَ بن مُضَر بن نِزار بن مَعْد بن عدنانَ.

وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتابَ بذكرِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، ومَن وَلَدَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن ولدِه، وأولادِهم لأصلابِهم، الأولَ فالأولَ، مِن إسماعيلَ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما يعرِضُ مِن حديثِهم، وتاركٌ ذكرَ غيرِهم مِن ولدِ إسماعيلَ، على هذه الجهةِ للاختصارِ، إلى حديثِ سيرةِ رسولِ الله ﷺ، وتاركٌ بعضَ ما ذكرَه ابنُ إسحاقَ في هذا الكتابِ، ممَّا ليس لرسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه ذكرٌ، ولا نزَلَ فيه مِن القرآنِ شيءٌ، وليس سببًا لشيءٍ مِن هذا الكتابِ، ولا تفسيرًا له، ولا شاهدًا عليه؛ لما ذكرتُ مِن الاختصارِ، وأشعارًا ذكرَها لم أرَ أحدًا مِن أهلِ العلمِ بالشعرِ يَعرِفها، وأشياءَ بعضها يَشْنُعُ الحديثُ به، وبعضٌ يَسُوءُ بعضَ الناسِ ذكرُه، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البكائيُّ بروايتِه، ومستقصٍ -إن شاء الله تعالى- ما سِوَى ذلك منه بمبلغِ الروايةِ له، والعلمِ به

٢- ذِكرُ نذر عبد المطلب ذبحَ ولدِه

كان عبدُ المطلب بن هاشم -فيما يزعُمون والله أعلم- قد نذر حين لقِي من قريش ما لقيَ عند حفر زمزمَ: لئن وُلِدَ له عشَرةُ نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، ليَنحرنَّ أحدَهم لله عند الكعبةِ.

فلما تَوافى بنوه عشرةً، وعرَف أنهم سيمنعونه، جَمَعهم ثم أخبرَهم بنذرِه، ودعاهم إلى الوفاءِ لله بذلك، فأطاعوهُ وقالوا: كيف نصنعُ؟ قال: ليأخذ كُلُّ رجل منكم قِدْحًا ثم يكتبَ فيه اسمَه، ثم ائتوني.

ففعَلوا، ثم أتوه، فدخل بهم على هُبَل في جوفِ الكعبة، وكان هُبَل على بئر في جَوفِ الكعبة، وكانت تلك البئرُ هي التي يُجمع فيها ما يُهْدَى للكعبة.

فقال عبدُ المطلب لصاحب القِداح: اضرِبْ على بَنِيَّ هؤلاء بقِداحهم هذه -وأخبَرَه بنذره الذي نذرَ- فأعطاه كُلُّ رجل منهم قِدْحَه الذي فيه اسمُه، وكان عبدُ الله بنُ عبد المطلب أصغرَ بني أبيه.

قال ابنُ إسحاق: وكان عبدُ الله -فيما يزعمون- أحبَّ ولدِ عبد المطلب إليه، فكان عبدُ المطلبِ يرى أن السهمَ إذا أخطأهُ فقد أَشْوَى[(١)]، وهو أبو رسولِ الله ﷺ.

فلما أخذ صاحبُ القِداحِ القداحَ ليَضربَ بها، قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله، ثم ضرب صاحِبُ القداح، فخرج القِدْحُ على عبدِ الله، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشفْرَةَ، ثم أقبل به إلى إسافَ ونائلةَ ليذبَحَهُ، فقامت إليه قريشٌ من أنديتِها، فقالوا: ماذا تُريد يا عبدَ المطلب؟

---

(١) أَشْوَى: أبقى.

قال: أذبَحُه.

فقالت له قُريش وبنوه: والله لا تذبَحُه أبدًا حتى تُعذرَ فيه، لئن فعلتَ هذا لا يزالُ الرجل يأتي بابنه حتى يذبَحَه، فما بقاءُ الناسِ على هذا؟!

وقال له المُغيرةُ بنُ عبدِ الله بن عمرو بن مَخزومِ بن يَقَظَةَ، وكان عبدُ الله ابنُ أخت القوم: والله لا تذبحه أبدًا حتى تُعذرَ فيه، فإن كان فداؤُه بأموالِنا فديناه.

وقالت له قريشٌ وبنوه: لا تفعلْ، وانطلقْ به إلى الحجازِ، فإن به عرَّافة لها تابعٌ، فسلْها، ثم أنت على رأسِ أمرِك، إن أمرَتْك بذبحِه ذبحتَه، وإن أمرَتْك بأمرٍ لك وله فيه فَرَجٌ قبلته.

فانطلَقوا حتى قدِموا المدينةَ، فوجدوها -فيما يزعمون- بخَيبرَ، فركبوا حتى جاءوها، فسألوها، وقَصَّ عليها عبدُ المطلب خبرَه وخبرَ ابنِه، وما أراد به ونذْرَه فيه، فقالت لهم: ارجِعوا عنِّي اليومَ حتى يأتِيَني تابعي فأسألُه.

فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها، قامَ عبدُ المطلبِ يدعو الله، ثم غَدَوا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبرُ، كم الديةُ فيكم؟ قالوا: عشرٌ من الإبلِ، وكانت كذلك.

قالت: فارجعوا إلى بلادِكم، ثم قرِّبوا صاحبَكُم، وقربوا عشرًا من الإبلِ، ثم اضرِبوا عليها وعليه بالقِداحِ، فإن خرجت على صاحبِكم فزيدوا من الإبلِ حتى يَرضى ربُّكم، وإن خرجَت على الإبلِ فانحَروها عنه، فقد رضي ربُّكم، ونجا صاحبُكُم.

فخرجوا حتى قدِموا مكَّةَ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمرِ، قام عبدُ المطلبِ يدعو اللهَ، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبلِ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هُبَلَ يدعو اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبدِ الله.

فزادوا عشرًا من الإبلِ؛ فبلغت الإبلُ عشرين، وقام عبدُ المطلب يدعو اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ثم ضَربوا فخرجَ القِدحُ على عبدِ الله.

فزادوا عشرًا من الإبلِ؛ فبلغت الإبلُ ثلاثين، وقام عبدُ المطلب يدعو اللهَ، ثم ضَربوا، فخرجَ القِدح على عبدِ الله.

فزادوا عشرًا من الإبلِ؛ فبلغت الإبلُ أربعين، وقام عبدُ المطَّلب يدعو الله، ثم ضَربوا، فخرج القِدحُ على عبد الله.

فزادوا عشرًا من الإبلِ؛ فبلغت الإبلُ خمسين، وقام عبدُ المطلب يدعو اللهَ، ثم ضربوا فخرجَ القِدحُ على عبدِ الله.

فزادوا عشرًا من الإبل؛ فبلغت الإبلُ ستين، وقام عبد المطلب يدعو اللهَ، ثم ضربوا فخرجَ القِدحُ على عبدِ الله.

فزادوا عشرًا من الإبل؛ فبلغت الإبلُ سبعين، وقام عبدُ المطلبِ يدعو الله، ثم ضربوا فخرجَ القدحُ على عبدِ الله.

فزادوا عشرًا من الإبل؛ فبلغت الإبلُ ثمانين، وقام عبدُ المطلبِ يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القِدحُ على عبد الله.

فزادوا عشرًا من الإبلِ؛ فبلغت الإبل تسعين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرجَ القِدحُ على عبدِ الله.

فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل مئةً، وقامَ عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرجَ القِدحُ على الإبل؛ فقالت قريشٌ ومن حَضَرَ: قد انتهى رضا ربِّك يا عبدَ المطلب.

فزعموا أن عبدَ المطلب قال: لا والله، حتى أضربَ عليها ثلاث مراتٍ، فضربوا على عبدِ الله وعلى الإبلِ، وقام عبدُ المطلبِ يدعو اللهَ، فخرج القِدحُ على الإبلِ، ثم عادوا الثانيةَ، وعبد المطلب قائمٌ يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدحُ على الإبلِ، ثم عادوا الثالثةَ، وعبدُ المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدح على الإبلِ؛ فنُحِرَت، ثم تُرِكت لا يُصدُّ عنها إنسانٌ ولا يُمنعُ.

٣- زواجُ عبدِ الله من آمنةَ بنتِ وهب

خرجَ عبدُ المطلبِ بعبدِ الله حتى أتى به وهبَ بن عبدِ مَناف بن زهرةَ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤيٍّ بن غالب بن فِهر، وهو يومئذ سيِّدُ بني زهرةَ نسبًا وشرفًا، فزوجه ابنته آمنةَ بنتَ وهبٍ، وهي يومئذ أفضلُ امرأة في قريش نسبًا ومَوضعًا.

٤- موتُ عبدِ الله

ثم لم يلبث عبدُ الله بنُ عبدِ المطلب أبو رسولِ الله ﷺ أنْ هلكَ وأمُّ رسولِ الله ﷺ حاملٌ به.

٥- ولادةُ رسولِ الله ﷺ ورضاعتُه

قال ابن إسحاق: وُلِدَ رسولُ الله ﷺ يومَ الاثنين، لاثنتي عشْرَةَ ليلةً خَلَت من شهرِ ربيعِ الأول، عامَ الفيلِ.

قال ابن إسحاق: فلما وضعَتهُ أمُّهُ ﷺ، أرسَلَت إلى جدِّه عبدِ المطلب: أنه قد وُلِدَ لك غلامٌ، فأتِه فانظر إليه، فأتاه فنظرَ إليه، وحدَّثته بما رأت حين حملت به، وما قِيل لها فيه، وما أُمرت به أن تُسمِّيَه.

فيزعُمون أن عبدَ المطلبِ أخذه، فدخلَ به الكعبةَ، فقامَ يدعو الله، ويشكرُ له ما أعطاهُ، ثم خرجَ به إلى أمه فدفعَهُ إليها.

والتمس لرسولِ الله ﷺ الرُّضَعاءَ، فاستَرضَع له امرأةً من بني سعدِ بن بكرٍ، يقال لها: حليمةُ ابنة أبي ذُؤيب.

٦- نسبُ أبيه ﷺ في الرَّضاع:

واسمُ أبيه الذي أرضعهُ ﷺ: الحارثُ بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن مَلَّانَ بن ناصرةَ بن فُصيَّة بن نصرِ بن سعد بن بكرِ بن هوازنَ.

٧- إخوتُه ﷺ من الرَّضاع:

قال ابنُ إسحاق: وإخوتُه من الرضاعةِ: عبدُ الله بن الحارث، وأُنيسةُ بنت الحارث، وحُذافةُ بنتُ الحارث وهي الشيماءُ، غلب ذلك على اسمِها فلا تُعرفُ في قومها إلا به، وهم لحليمةَ بنتِ أبي ذُؤيبٍ عبدِ الله بن الحارثِ، أمِّ رسول الله ﷺ.

٨- حديثُ حليمةَ عما رأتهُ من الخيرِ بعد تَسلُّمها له ﷺ

قال ابنُ إسحاق: عن عبدِ الله بن جعفر بنِ أبي طالب، أو عمن حدَّثه عنه قال: كانت حليمةُ بنت أبي ذُؤيبٍ السعديةُ -أمُّ رسول الله ﷺ التي أرضعتهُ- تُحدِّث: أنها خرجت من بلدِها مع زوجِها، وابنٍ لها صغيرٍ تُرضعه في نِسوةٍ من بني سعد بن بكرٍ، تلتمس الرُّضعاءَ، قالت: وذلك في سنةٍ شهباءَ، لم تُبقِ لنا شيئًا.

قالت: فخرجتُ على أتانٍ لي قَمْراء(١)، معنا شارفٌ(٢) لنا، والله ما تبِضُّ(٣) بقطرةٍ، وما ننام ليلنا أجمعَ من صبيِّنا الذي معنا، من بكائِه من الجوعِ، ما في ثَديَيَّ

(١) قَمْراء: بيضاء.
(٢) الشَّارِف: الناقة المسنة.
(٣) ما تَبِضُّ: ما تنشغ ولا ترشح.

ما يُغنيه، وما في شارِفنا ما يُغذِّيه، ولكنا كنا نرجو الغيثَ والفرجَ؛ فخرجتُ على أتاني تلك فلقد أذَمَّت[(١)] بالرَّكبِ حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفًا وعَجَفًا[(٢)]، حتى قدمنا مكة نلتمسُ الرضعاءَ، فما منا امرأةٌ إلا وقد عُرِضَ عليها رسولُ الله ﷺ فتأباهُ إذا قِيل لها: إنه يتيمٌ؛ وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروفَ من أبي الصبيِّ، فكُنا نقول: يتيمٌ! وما عسى أن تصنع أمُّه وجَدُّه! فكنا نكرهُهُ لذلك، فما بَقِيت امرأةٌ قدِمَت معي إلا أخذَت رضيعًا، غيري.

فلما أجمعنا الانطلاقَ قُلتُ لصاحبي: والله إني لأكرَهُ أن أرجعَ من بين صواحِبي ولم آخُذ رضيعًا، والله لأذهبَنَّ إلى ذلك اليتيمِ فلآخذنَّه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً.

قالت: فذهبتُ إليه فأخذتُه، وما حملني على أخذِه إلا أني لم أجد غيرَه.

قالت: فلما أخذتُه، رجَعتُ به إلى رحلي، فلما وضعتُه في حِجري أقبل عليه ثدياي بما شاءَ من لبنٍ، فشرِبَ حتى روي، وشربَ معه أخوه حتى رُوي، ثم ناما، وما كنا ننامُ معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارِفِنا تلك، فإذا إنها لحافلٌ، فحَلَبَ منها ما شربَ، وشرِبْتُ معه حتى انتهينا ريًّا وشبعًا، فبتنا بخيرِ ليلةٍ.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلَّمي والله يا حليمةُ، لقد أخذتِ نسمةً مباركةً، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

قالت: ثم خرجنا وركبتُ أنا أتاني، وحملتُه عليها معي، فوالله لَقَطَعَت بالرَّكبِ ما يقدرُ عليها شيءٌ من حُمُرهم، حتى إن صواحِبي ليقُلن لي: يا ابنةَ أبي

---

(١) أَذَمَّت: تأخرت.

(٢) العَجَف: الهزال.

ذؤيب، ويحَك! اربَعي علينا[١]، أليست هذه أتانُك التي كنت خرجت عليها؟! فأقول لهنَّ: بلى والله، إنها لهيَ هِيَ، فيقلن: والله إن لها لشأنًا.

قالت: ثم قدِمنا منازلنا من بلادِ بني سَعدٍ، وما أعلم أرضًا من أرضِ الله أجدبَ منها، فكانت غَنمي تروحُ عليَّ حين قدِمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا، فنحلِب ونشربُ، وما يحلب إنسانٌ قطرةَ لبنٍ، ولا يجدُها في ضرعٍ، حتى كان الحاضرون من قومِنا يقولون لرُعيانِهم: ويلَكُم اسرحوا حيث يسرحُ راعي بنتِ أبي ذؤيب، فتروحُ أغنامُهم جياعًا ما تَبِضُّ بقطرةِ لبنٍ، وتروح غنمي شباعًا لُبَّنًا.

فلم نزل نتعرَّفُ من الله الزيادةَ والخيرَ حتى مضت سنتاهُ وفصلْتُه، وكان يشِبُّ شبابًا لا يشبُّه الغِلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جَفْرًا[٢].

قالت: فقدِمنا به على أُمِّه ونحن أحرصُ شيء على مُكثِه فينا، لِما كنا نرى من بركتِه؛ فكلَّمنا أمَّه وقلت لها: لو تركتِ بُنَيَّ عندي حتى يَغلُظَ، فإني أخشى عليه وبأ مكةَ، قالت: فلم نَزَل بها حتى رَدَّته معنا.

٩- حديث المَلكين اللذين شقَّا بطنَه ﷺ

قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مَقدِمنا به بأشهُرٍ مع أخيه لفي بَهْمٍ[٣] لنا خلفَ بيوتِنا، إذ أتانا أخوه يشتَدُّ، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القُرشيُّ قد أخذَهُ رجلان عليهما ثيابٌ بيضٌ، فأضجعاهُ، فشقَّا بطنَهُ، فهما يَسوطانِه[٤].

(١) اربَعِي: أقيمي وانتظري.

(٢) جَفْرًا: غليظًا شديدًا.

(٣) بَهْم: جمع بهيمة، وهي أولاد الضأن.

(٤) يَسوطانه: أي يدخلان يديهما في بطنه.

قالت: فخرجتُ أنا وأبوه نحوه، فَوَجَدناه قائمًا مُنتقِعًا وجهُه. قالت: فالتزمتُه والتزمَهُ أبوه، فقلنا له: ما لك يا بُني؟

قال: جاءني رجلان عليهما ثيابٌ بِيضٌ، فأَضجعاني، وشقَّا بطنِي، فالتمسَا فيه شيئًا لا أدري ما هو؟! قالت: فرجَعنا به إلى خِبائِنا.

١٠- رجوع حليمةَ به ﷺ إلى أُمِّه

قالت: وقال لي أبوه: يا حليمةُ، لقد خشِيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أُصيبَ فألحِقيه بأهله قبل أن يظهرَ ذلك به، قالت: فاحتَملناه، فقدِمنا به على أُمِّه، فقالت: ما أقدَمَكِ به يا ظِئرُ[١] وقد كنتِ حريصةً عليه، وعلى مُكثِه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله بابني وقَضيتُ الذي عليَّ، وتخوَّفت الأحداثَ عليه، فأدَّيته إليك كما تُحبِّين، قالت: ما هذا شأنُك؟! فاصدقيني خبرَك. قالت: فلم تدعني حتى أخبرتُها. قالت: أفتَخوَّفت عليه الشيطانَ؟ قالت: قلت: نعم. قالت: كلا، والله ما للشيطانِ عليه من سبيلٍ، وإن لِبُنَيَّ لشأنًا، أفلا أخبرُك خبرَه؟ قالت: قلت: بلى. قالت: رأيتُ حين حمَلت به، أنه خَرَجَ مني نورٌ أضاءَ لي قصورَ بُصْرَى[٢] من أرض الشأمِ، ثم حملت به، فوالله ما رأيتُ من حمْلٍ قط كان أخفَّ عليَّ ولا أيسرَ منه، ووقع حين ولدتُه وإنه لواضعٌ يديه بالأرض، رافعٌ رأسَه إلى السماءِ، دعيه عنك وانطَلِقي راشدةً.

١١- هو والأنبياءُ قبلَه رَعَوا الغنمَ

قال ابن إسحاقَ: وكان رسولُ الله ﷺ يقول: «**ما من نبيٍّ إلا وقد رعى الغنمَ**». قيل: وأنت يا رسولَ الله؟ قال: «**وأنا**».

---

(١) الظِّئر: المرضعة.

(٢) بُصْرَى: مدينة بالقرب من دمشق بالشام.

١٢- اعتزازُه ﷺ بقُرشيَّته واسترضاعِه في بني سعدٍ

قال ابنُ إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ يقولُ لأصحابِه: «**أنا أعربُكُم؛ أنا قرشيٌّ، واستُرضِعتُ في بني سعدِ بن بكرٍ**».

١٣- وفاة آمنةَ وحالُ رسولِ الله ﷺ مع جدِّه عبدِ المطلب بعدها

قال ابنُ إسحاق: وكان رسولُ الله ﷺ مع أُمِّه آمنةَ بنت وهب، وجدِّه عبدِ المطلب بن هاشمٍ في كلاءة الله وحفظِه، يُنبته الله نباتًا حسنًا لما يريدُ به من كرامته.

حدَّثني عبد الله بن أبي بكرِ بن محمدِ بن عمرو بن حزمٍ: أن أُمَّ رسولِ الله ﷺ آمنةَ تُوفِّيت ورسولُ الله ﷺ ابنُ ستِّ سنين بالأبواءِ، بين مكَّةَ والمدينةِ، كانت قد قدِمَت به على أخوالِه من بني عَديِّ بن النجارِ، تُزيرُه إيَّاهم، فماتت وهي راجعةٌ به إلى مكَّةَ.

قال ابنُ إسحاق: فكان رسولُ الله ﷺ مع جدِّه عبدِ المطَّلب بن هاشم، وكان يُوضَع لعبدِ المطلب فِراشٌ في ظلِّ الكعبة، فكان بَنوه يَجلسون حولَ فِراشه ذلك حتى يخرجَ إليه، لا يجلسُ عليه أحدٌ من بنيه إجلالًا له، قال: فكان رسولُ الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جَفرٌ، حتى يجلس عليه، فيأخذَه أعمامُه ليؤخِّروه عنه، فيقول عبدُ المطلب، إذا رأى ذلك منهم: دَعوا ابني، فوالله إن له لشأنًا، ثم يُجلِسُه معه على الفِراشِ، ويَمسحُ ظهرَه بيده، ويَسُرُّه ما يراه يصنعُ.

١٤- وفاةُ عبدِ المطلب

فلمَّا بلغَ رسولُ الله ﷺ ثماني سنين هلكَ عبدُ المطَّلب بن هاشم، وذلك بعد الفيلِ بثماني سنين.

١٥- ولايةُ العبَّاس على سِقاية زمزمَ

قال ابنُ إسحاق: فلما هلك عبدُ المطلبِ بن هاشم وَلِيَ زمزمَ والسقايةَ عليها بعده العباسُ بنُ عبدِ المطلب، وهو يومئذٍ من أحدثِ إخوتِه سنًّا، فلم تزلْ إليه حتى قام الإسلامُ وهي بيدِه، فأقرَّها رسولُ الله ﷺ له على ما مضى من وِلايتِه، فهي إلى آلِ العباسِ، بولاية العباسِ إيَّاها.

١٦- كفالةُ أبي طالبٍ لرسولِ الله ﷺ

فكان رسولُ الله ﷺ بعد عبدِ المطلب مع عمِّه أبي طالب، وكان عبدُ المطلب -فيما يَزعمون- يوصي به عمَّه أبا طالبٍ؛ وذلك لأنَّ عبدَ الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالبٍ أخوان لأبٍ وأمٍّ.

١٧- نزولُ أبي طالبٍ ورسولِ الله ﷺ ببَحيْرَى

قال ابنُ إسحاق: ثم إنَّ أبا طالب خَرَجَ في ركبٍ تاجرًا إلى الشأم، فلما تهيَّأ للرحيلِ، وأجمع المَسير صب به[(١)] رسولُ الله ﷺ -فيما يَزعمون- فَرَقَّ له أبو طالبٍ وقال: والله لأخرجنَّ به معي، ولا يُفارقُني، ولا أفارقُه أبدًا، أو كما قال.

فخرج به معه فلمَّا نَزَلَ الركبُ بُصرى من أرضِ الشأم، وبها راهبٌ يُقال له: بَحيرى في صومعةٍ له، وكان إليه عِلمُ أهل النصرانيةِ، ولم يزل في تلك الصومعةِ منذ قط[(٢)] راهبٌ، إليه يصير علمُهم عن كتابٍ فيها -فيما يزعمون- يتوارثونَه كابرًا عن كابرٍ.

---

(١) صب به: مال إليه.
(٢) منذ قَطُّ: أي منذ دهر.

فلما نزلوا ذلك العام ببَحيرى وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلِّمهم ولا يعرضُ لهم حتى كان ذلك العامُ، فلما نزلوا به قريبًا من صومعتِه صنعَ لهم طعامًا كثيرًا، وذلك -فيما يزعمون- عن شيء رآه وهو في صومَعتِه، يَزعمون أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ -وهو في صومعتِه- في الركبِ حين أقبَلوا، وغَمامةٌ تُظلُّه من بين القوم.

قال: ثم أقبَلوا، فنزلوا في ظِلِّ شجرةٍ قريبًا منه، فنظر إلى الغمامةِ حين أظلَّت الشجرةَ، وتهَصَّرت[١] أغصانُ الشجرةِ على رسولِ الله ﷺ حتى استظلَّ تحتها، فلمَّا رأى ذلك بَحيرى نزل من صومعتِه، ثم أرسلَ إليهم، فقال: إنِّي قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشرَ قريشٍ، فأنا أحِبُّ أن تحضُروا كلُّكم، صغيرُكم وكبيرُكم وعبدُكم وحُرُّكم.

فقال له رجل منهم: والله يا بَحيرى إن لك لشأنًا اليومَ، فما كنت تصنعُ هذا بنا، وقد كنَّا نمر بك كثيرًا، فما شأنُك اليوم؟ قال له بَحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيفٌ، وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنعَ لكم طعامًا فتأكلوا منه كلُّكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلَّف رسولُ الله ﷺ من بين القومِ، لحداثَةِ سِنِّه، في رحال القوم تحت الشجرةِ، فلما نظر بَحيرى في القومِ لم يرَ الصِّفةَ التي يعرِف ويجد عنده، فقال: يا معشرَ قُريشٍ، لا يتخلَّفنَّ أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له: يا بَحيرى، ما تخلفَّ عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيَك إلا غلامٌ، وهو أحدثُ القومِ سِنًّا، فتخلف في رحالِهم.

---

(١) تَهَصَّرت: مالت وتدلت.

فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليَحضُر هذا الطعامَ معكم، قال: فقال رجلٌ من قُريشٍ مع القومِ: واللاتِ والعُزَّى، إن كان للُؤْمٌ بنا أن يتخلفَ ابنُ عبدِ الله بن عبدِ المطَّلب عن طعام مِن بيننا، ثم قام إليه فاحتضَنهُ وأجلَسه مع القومِ.

فلما رآه بَحيرى جعل يلحَظُه لحظًا شديدًا وينظرُ إلى أشياءَ من جسدِه، قد كان يجدُها عندَه من صفتِه، حتى إذا فرغَ القومُ من طعامِهم وتفرَّقوا، قام إليه بَحيرى، فقال له: يا غلامُ، أسألك بحق اللاتِ والعُزَّى إلا ما أخبرتني عما أسألُك عنه، وإنما قال له بَحيرى ذلك، لأنَّه سمع قومَه يَحلفون بهما.

فزعموا أن رسولَ الله ﷺ قال له: لا تسألني باللَّات والعُزَّى، فوالله ما أبغضتُ شيئًا قطُّ بُغضَهما، فقال له بَحيرى: فبالله إلا ما أخبرتَني عما أسألُك عنه، فقال له: سلْني عمَّا بدا لك.

فجعل يسألُه عن أشياءَ من حاله في نومِه وهيئتِه وأمورِه، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يُخبره، فيُوافقُ ذلك ما عند بَحيرى من صفتِه، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتمَ النبوةِ بين كِتفيه على موضِعه من صفتِه التي عندَه.

قال ابنُ إسحاق: فلمَّا فرغَ، أقبل على عمِّه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلامُ منك؟ قال: ابني. قال له بَحيرى: ما هو بابنِك، وما ينبغي لهذا الغلامِ أن يكون أبوهُ حيًّا، قال: فإنه ابنُ أخي، قال: فما فعل أبوهُ؟ قال: مات وأُمُّه حُبلى به، قال: صدَقتَ، فارجعْ بابن أخيك إلى بلدِه، واحْذَرْ عليه يهودَ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليَبْغُنَّه شرًّا، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيمٌ، فأسرِع به إلى بلادِه.

فخرج به عمُّه أبو طالبٍ سريعًا حتى أقدمه مكَّةَ حين فرغ من تِجارتِه بالشأم.

فشَبَّ رسولُ الله ﷺ، والله تعالى يَكلؤه ويحفظُه ويَحوطه من أقذارِ الجاهليةِ، لما يريد به من كَرامتِه ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلًا، وأفضلَ قومِه مُروءةً، وأحسنَهم خُلقًا، وأكرمهم حسَبًا، وأحسنَهم جِوارًا، وأعظمَهم حِلمًا، وأصدقَهم حديثًا، وأعظَمَهم أمانةً، وأبعدَهم من الفُحشِ والأخلاقِ التي تُدنِّس الرجالَ، تنزُّهًا وتكرمًا، حتى ما اسمُه في قومه إلا الأمينُ، لِما جمعَ الله فيه من الأمورِ الصالحةِ.

١٨- حديثُه ﷺ عن عصمةِ الله له في طفولتِه

وكان رسولُ الله ﷺ -فيما ذكر لي- يُحدِّثُ عما كان الله يحفظُه به في صِغَره وأمرِ جاهليته، أنه قال: «**لقد رأيتُني في غِلمان قريش ننقُل حجارة لبعض ما يَلعب به الغِلمانُ، كلنا قد تَعرَّى، وأخذ إزارَه فجعله على رقبَته، يحمل عليه الحجارةَ، فإنِّي لأُقبلُ معهم كذلك وأُدبرُ، إذ لكمني لاكمٌ ما أراه، لكمةً وجيعةً، ثم قال: شُدَّ عليك إزارَك**» قال: «**فأخذتُه وشددته عليَّ، ثم جعلت أحملُ الحجارة على رقبَتي وإزاري عليَّ من بين أصحابي**»[(١)].

١٩- حربُ الفِجارِ

قال ابنُ هشام: فلما بلغَ رسولُ الله ﷺ أربعَ عشَرة سنةً أو خمسَ عشرةَ سنةً -فيما حدثني أبو عُبيدةَ النحويُّ، عن أبي عمرو بنِ العَلاء- هاجت حرب الفِجَار بين قريشٍ ومن معهم من كِنانةَ، وبين قيس عَيلانَ.

---

(١) قال السهيلي في التعليق على هذه القصة: وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة.

وشهِدَ رسولُ الله ﷺ بعضَ أيامهم، أخرجَه أعمامُه معهم.

وقال رسولُ الله ﷺ: «**كنت أُنَبِّلُ على أعمامي**» أي: أرُدُّ عليهم نَبلَ عدوِّهم إذا رموهم بها.

٢٠- حديثُ تزويجِ رسولِ الله ﷺ خديجةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا

قال ابنُ هشام: فلما بلغَ رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين سنةً تزوَّج خديجةَ بنت خويلد.

قال ابنُ إسحاقَ: وكانت خديجةُ بنت خويلدٍ امرأةً تاجرةً ذات شرف ومالٍ، تستأجر الرجالَ في مالها وتُضارِبُهم إياه بشيءٍ تجعلُه لهم، وكانت قريش قومًا تُجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغَها، من صِدق حديثِه، وعِظَمِ أمانتِه، وكرمِ أخلاقه، بَعثت إليه فعرضَت عليه أن يَخرُج في مالٍ لها إلى الشأمِ تاجرًا، وتُعطيه أفضلَ ما كانت تُعطي غيرَه من التجارِ، مع غلامٍ لها يُقال له: مَيسرةُ، فقبِله رسولُ الله ﷺ منها، وخرجَ في مالها ذلك، وخرجَ معه غلامُها مَيسرةُ حتى قدِم الشأمَ.

فنزل رسول الله ﷺ في ظِلِّ شجرة قريبًا من صومعة راهبٍ من الرُّهبان، فاطَّلع الراهب إلى ميسرةَ، فقال له: مَنْ هذا الرجلُ الذي نزلَ تحت هذه الشجرةِ؟

قال له مَيسرةُ: هذا رجل من قريشٍ من أهل الحرمِ.

فقال له الراهبُ: ما نزل تحت هذه الشجرةِ قَطُّ إلا نَبيٌّ.

ثم باعَ رسولُ الله ﷺ سِلعته التي خرج بها، واشترى ما أرادَ أن يَشتريَ، ثم أقبلَ قافلًا إلى مكَّةَ ومعه مَيسرةُ.

فكان مَيسرةُ -فيما يَزعُمون- إذا كانت الهاجرةُ واشتدَّ الحرُّ، يرى مَلكين يُظلانه من الشمسِ وهو يسير على بَعيرِهِ، فلما قدم مكَّةَ على خديجةَ بمالها، باعت ما جاء به، فأضعَفَ أو قريبًا.

وحدثها مَيسرةُ عن قول الراهبِ، وعما كان يرى من إظلالِ المَلكين إياه.

وكانت خديجةُ امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً، مع ما أرادَ الله بها من كرامتِه، فلما أخبرها مَيسرةُ بما أخبرَها به بعثت إلى رسولِ الله ﷺ، فقالت له -فيما يزعمون-: يا ابنَ عَمِّ، إني قد رغِبتُ فيك لقَرابتكَ، وسِطَتِك[1] في قومك، وأمانتك، وحُسنِ خُلقك، وصِدق حديثِك.

ثم عَرَضَت عليه نفسَها، وكانت خديجةُ يومئذ أوسطَ نساءِ قريش نسبًا، وأعظمَهن شرفًا، وأكثرَهن مالًا، كُلُّ قومِها كان حريصًا على ذلك منها لو يقدرُ عليه.

فلما قالت ذلك لرسولِ الله ﷺ ذكرَ ذلك لأعمامِه فخرجَ معه عمُّه حمزةُ بن عبدِ المطلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى دخل على خُويلدَ بن أسدٍ، فخطبَها إليه، فتزوَّجها.

قال ابنُ هشام: وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ عشرين بَكرةً، وكانت أوَّلَ امرأةٍ تزوجها رسولُ الله ﷺ، ولم يتزوَّجْ عليها غيرَها حتى ماتت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

٢١- أولادُه ﷺ من خديجةَ

قال ابنُ إسحاقَ: فولدتْ لرسولِ الله ﷺ ولدَه كُلَّهم -إلا إبراهيمَ-: القاسمَ، وبه كان يُكنى ﷺ، والطاهرَ، والطيبَ، وزينبَ، ورقيةَ، وأمَّ كلثومٍ، وفاطمةَ عليهم السلام.

(١) سِطَتك: شرفك.

قال ابنُ هشام: أكبرُ بنيه: القاسمُ، ثم الطيبُ، ثم الطاهرُ، وأكبرُ بناته: رقيةُ، ثم زينبُ، ثم أُمُّ كلثومَ، ثم فاطمةُ.

قال ابن إسحاقَ: فأما القاسمُ، والطيبُ، والطاهرُ فهلَكوا في الجاهليةِ، وأما بناتُه فكُلُّهن أدركن الإسلامَ، فأسلمنَ وهاجَرن معه ﷺ.

٢٢- أُمُّ إبراهيمَ

قال ابنُ هشام: وأما إبراهيم فأمُّه ماريةُ القبطية.

عن ابن لَهيعةَ قال: أم إبراهيمَ: مارية سُرِّيَّةُ النبي ﷺ التي أهداها إليه المُقوقسُ من حفَن من كورة أنصِنا.

[ثانيا: إرهاصات النبوة]

١- حديث خديجةَ مع ورقةَ وصدقِ نبوءة ورقةَ فيه ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ: وكانت خديجةُ بنت خويلدٍ قد ذكرت لورقةَ بن نوفل بن أسدِ بن عبد العُزَّى -وكان ابنَ عمِّها، وكان نصرانيًّا قد تتبع الكتب وعَلِم من علم الناس- ما ذَكر لها غلامُها مَيسرةُ من قول الراهبِ، وما كان يرى منه إذ كان المَلكان يُظلَّانِه، فقال ورقةُ: لئن كان هذا حقًّا يا خديجةُ، إن محمدًا لنبيُّ هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائنٌ لهذه الأمةِ نبيٌّ يُنتظَر، هذا زمانُه، أو كما قال.

٢- حديث بُنيان الكعبة وحُكم رسول الله ﷺ بين قُريشٍ في وضع الحجرِ

قال ابنُ إسحاقَ: فلما بلغَ رسولُ الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنةً، اجتمعت قريش لبُنيان الكعبةِ.

فلما أجمعوا أمرَهم في هدمِها وبنائِها، قام أبو وهبِ بنُ عمرو بن عائذ بن عبدِ بن عِمران بن مَخزوم -قال ابنُ هشام: عائذُ بن عمران بن مخزوم- فتناولَ من الكعبةِ حجرًا، فوثَبَ من يده، حتى رجعَ إلى موضِعِه، فقال: يا معشرَ قُريشٍ، لا تُدخِلوا في بنائِها من كسبِكم إلا طيِّبًا، لا يدخلُ فيها مَهرُ بَغيٍّ، ولا بيعُ ربًا، ولا مظلمةُ أحدٍ من الناس.

والناس ينحِلون هذا الكلامَ الوليدَ بنَ المغيرةِ بنِ عبد الله بن عمرَ بن مخزوم.

قال ابنُ إسحاق: ثم إن القبائلَ من قريشٍ جمعت الحجارةَ لبنائِها، كُلُّ قبيلة تجمعُ على حدةٍ، ثم بنوها، حتى بلغَ البُنيانُ موضعَ الركنِ(١)، فاختصموا فيه، كُلُّ قبيلةٍ تريد أن ترفَعَه إلى موضِعِه دون الأخرى، حتى تَحاوزوا وتحالفوا وأعدُّوا للقتالِ.

فزعم بعضُ أهل الرواية: أن أبا أميةَ بنَ المغيرة بنِ عبد الله بن عمرَ بن مَخزوم، وكان عامئذٍ أسنَّ قريشٍ كُلِّها، قال: يا معشرَ قريشٍ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوَّلَ من يدخلُ من باب هذا المسجدِ يَقضي بينكم فيه؛ ففَعلوا، فكان أوَّلَ داخلٍ عليهم رسولُ الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمينُ، رضينا، هذا محمدٌ، فلما انتهى إليهم وأخبروهُ الخبرَ، قال ﷺ: «**هَلُمَّ إليَّ ثوبًا**»، فأُتي به، فأخذ الركنَ فوضعهُ فيه بيدِه، ثم قال: «**لتأخُذْ كُلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوبِ، ثم ارفعوه جميعًا**» حتى إذا بلغوا به موضعَهُ، وضعه هو بيدِه، ثم بنى عليه.

٣- إخبارُ الكهَّانِ من العرب، والأحبارِ من يهودٍ، والرهبانِ من النصارى

قال ابنُ إسحاق: وكانت الأحبارُ من يهودٍ، والرهبانُ من النصارى، والكُهَّانُ من العرب، قد تحدَّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبلَ مَبعثِه، لما تقاربَ من زمانه.

أما الأحبارُ من يهودٍ، والرهبانُ من النصارى، فعمَّا وجدوا في كُتُبهم من صفته وصفة زمانِه، وما كان من عهدِ أنبيائِهم إليهم فيه.

وأما الكهَّان من العرب فأَتَتْهم به الشياطينُ من الجنِّ فيما تسترِقُ من السمعِ، إذ كانت وهي لا تحجِب عن ذلك بالقَذف بالنجوم.

---

(١) أي: موضع الحجر الأسود.

وكان الكاهنُ والكاهنةُ لا يزالُ يقعُ منهما ذِكرُ بعض أمورِه، لا تُلقي العربُ لذلك فيه بالًا، حتى بعثَه الله تعالى، ووقعت تلك الأمورُ التي كانوا يَذكرون؛ فعرَفوها.

فلما تقاربَ أمرُ رسول الله ﷺ وحضرَ مَبعثُه، حُجِبَت الشياطينُ عن السمعِ، وحِيل بينها وبين المَقاعِدِ التي كانت تقعُد لاستراق السمعِ فيها، فرُموا بالنجومِ، فعَرفت الجنُّ أن ذلك لأمرٍ حدث من أمرِ الله في العِباد.

٤- إنذارُ يهودٍ برسولِ الله ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ: وحدثني عاصم بن عُمر بن قتادةَ، عن رجالٍ من قومِه، قالوا: إنَّ مما دعانا إلى الإسلامِ -مع رحمةِ الله تعالى وهُداهُ لنا- لما كنا نسمعُ رجالَ يهودٍ، وكنا أهلَ شركٍ، أصحابَ أوثانٍ، وكانوا أهلَ كتاب، عندهم علمٌ ليس لنا، وكانت لا تزالُ بيننا وبينهم شُرورٌ، فإذا نِلنا منهم بعضَ ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يُبعث الآنَ نقتُلُكم معه قتل عادٍ وإرم. فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث اللهُ رسولَه ﷺ أجبناه، حين دعانا إلى الله تعالى، وعرَفنا ما كانوا يتوعَّدوننا به؛ فبادَرناهم إليه، فآمنَّا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآياتُ من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [البقرة:٨٩].

[ثالثا: من البعثة إلى الهجرة]

[أ - الدعوة السرية]

١- مَبعثُ النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا

قال ابنُ إسحاق: فلما بلغَ محمدٌ رسولُ الله ﷺ أربعينَ سنةً بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين، وكافةً للناسِ بشيرًا، وكان اللهُ تبارك وتعالى قد أخذَ الميثاقَ على كُلِّ نبي بعثه قبلَه بالإيمانِ به، والتَّصديقِ له، والنصرِ له على مَنْ خالفه.

وأخذ عليهم أن يُؤدُّوا ذلك إلى كُلِّ من آمن بهم وصدَّقهم، فأدوا مِن ذلك ما كان عليهم من الحقِّ فيه.

يقول اللهُ تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

٢- أوَّلُ ما بُدِئَ به الرسولُ ﷺ الرؤيا الصادقةُ

قال ابنُ إسحاق: فذكر الزُّهريُّ عن عروةَ بن الزبيرِ، عن عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها حدَّثته: أن أوَّلَ ما بُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من النُبوَّةِ، حين أرادَ الله كرامتَه ورحمةَ العبادِ به، الرؤيا الصادقةُ، لا يَرى رسولُ الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفَلَقِ الصبحِ.

قالت: وحَبَّبَ الله تعالى إليه الخلوةَ، فلم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من أن يخلو وحدَه.

٣- تسليمُ الحجارة والشجرِ عليه ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ: عن أهلِ العلم: إن رسولَ الله ﷺ حين أراده الله بكرامتِه، وابتدأه بالنبوةِ، كان إذا خرجَ لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوتُ ويُفضي إلى شعابِ مكةَ وبطون أوديتها، فلا يمرُّ رسول الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال: السلامُ عليك يا رسولَ الله.

قال: فيلتفتُ رسول الله ﷺ حولَه وعن يمينه وشمالِه وخلفَه، فلا يرى إلا الشجرَ والحجارة، فمكث رسولُ الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ما شاء اللهُ أن يمكث، ثم جاءه جبريلُ عليه السلام بما جاءه من كرامةِ الله، وهو بحِراءٍ في شهر رمضان.

٤- ابتداءُ نزولِ جبريلَ عليه السلام

قال ابنُ إسحاق: وحدثني وهبُ بن كيسانَ مولى آل الزبير قال: سمعت عبدَ الله بن الزبيرِ وهو يقول لعُبيد بن عُمير بن قتادةَ الليثي: حدِّثنا يا عبيدُ، كيف كان بدءُ ما ابتُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من النبوةِ، حين جاءه جبريلُ عليه السلام؟

قال: فقال: عُبيدٌ -وأنا حاضرٌ يحدثُ عبدَ الله بنَ الزبير ومَنْ عنده من الناس-: كان رسولُ الله ﷺ يُجاور[1] في حِراء من كُلِّ سنة شهرًا، وكان ذلك مما تحنَّثَ به قريشٌ في الجاهلية. والتحنُّث: التبرُّر.

قال ابنُ إسحاق: وحدثني وهبُ بن كيسانَ قال: قال عبيدٌ: فكان رسولُ الله ﷺ يُجاور ذلك الشهر من كُلِّ سنة، يُطعم من جاءَه من المساكين، فإذا قضى

---

(١) يُجاوِر: يعتكف.

رسولُ الله ﷺ جِواره من شهرِه ذلك، كان أوَّلُ ما يبدأ به، إذا انصرف من جِواره الكعبةَ قبل أن يدخل بيتَه، فيطوف بها سبعًا أو ما شاء اللهُ من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامَته، من السنة التي بَعثَه الله تعالى فيها، وذلك الشهرُ شهرُ رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حِراء، كما كان يَخرج لِجواره ومعه أهلُه، حتى إذا كانت الليلَةُ التي أكرمه اللهُ فيها برسالتِه، ورحِمَ العبادَ بها، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمرِ الله تعالى.

قال رسولُ الله ﷺ: «**فجاءني جبريلُ، وأنا نائمٌ بنَمَطٍ**[1] **من ديباج فيه كتابٌ، فقال: اقرأ**»، قال: «**قلت: ما أقرأُ؟**» قال: «**فغَتَّني**[2] **به حتى ظَننت أنه الموتُ، ثم أرسلني فقال: اقرأْ**»، قال: «**قلت: ما أقرأ؟**» قال: «**فغَتَّني به حتى ظننت أنه الموتُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأْ**»، قال: «**قلت: ماذا أقرأ؟**» قال: «**فغتَّني به حتى ظننت أنه الموتُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ**»، قال: «**فقلت: ماذا أقرأُ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعودَ لي بمثلِ ما صنع بي، فقال:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥]».

قال: «**فقرأتُها ثم انتهى فانصرفَ عنِّي وهببت من نومي، فكأنما كُتبتْ في قلبي كتابًا**».

قال: «**فخرجتُ حتى إذا كنت في وسَطٍ من الجبلِ سمعتُ صوتًا من السماءِ يقول: يا محمدُ، أنت رسولُ الله، وأنا جبريلُ**» قال: «**فرفعتُ رأسي إلى السماءِ أنظرُ، فإذا جبريلُ في صورةِ رجلٍ صافٍّ قدميه في أُفُقِ السماء يقول: يا محمدُ، أنت رسولُ الله، وأنا جبريلُ**».

---

(١) النَّمَط: ضرب من البُسُط.

(٢) غَتَّني: شدني.

قال: «فوقفت أنظرُ إليه فما أتقدَّمُ وما أتأخَّرُ، وجعلتُ أصرفُ وجهي عنه في آفاقِ السماءِ، قال: فلا أنظرُ في ناحيةٍ منها إلا رأيتُه كذلك، فما زِلت واقفًا ما أتقدم أمامي وما أرجعُ ورائي حتى بَعثَت خديجةُ رُسلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكةَ ورجعوا إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك، ثم انصرفَ عني».

٥- رسولُ الله ﷺ يَقُصُّ على خديجةَ ما كان من أمر جبريلَ معه

«وانصرفتُ راجعًا إلى أهلي حتى أتيتُ خديجةَ فجلستُ إلى فخِذها مُضِيفًا إليها[١]: فقالت: يا أبا القاسمِ، أين كنت؟ فوالله لقد بَعثتُ رُسلي في طلبك حتى بلغوا مكةَ ورجعوا لي، ثم حدثتُها بالذي رأيتُ، فقالت: أَبْشِرْ يا ابن عمٍّ واثبُت، فوالذي نفسُ خديجةَ بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمةِ».

٦- خديجةُ بين يدي ورقةَ تُحدِّثه حديثَ رسول الله ﷺ

ثم قامت فجمعَت عليها ثيابَها، ثم انطلقَت إلى ورقةَ بنِ نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي -وهو ابنُ عمِّها- وكان ورقة قد تنصَّر وقرأ الكتب، وسمع من أهلِ التوراة والإنجيل، فأخبرَته بما أخبرَها به رسولُ الله ﷺ، أنه رأى وسمِعَ، فقال ورقةُ بن نوفل: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، والذي نفسُ ورقةَ بيده، لئن كنت صدقتِيني يا خديجةُ لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبيُّ هذه الأمةِ، فقولي له: فليثبُت.

فرجعت خديجةُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرته بقولِ ورقةَ بن نَوفلٍ، فلما قضى رسول الله ﷺ جِوارهُ وانصرفَ، صنعَ كما كان يصنعُ: بدأ بالكعبةِ فطاف بها،

---

(١) مُضِيفًا إليها: ملتصقًا بها.

فلقيه ورقةُ بن نوفل وهو يطوف بالكعبةِ فقال: يا ابنَ أخي، أخبِرني بما رأيتَ وسمعت، فأخبره رسولُ الله ﷺ.

فقال له ورقةُ: والذي نفسي بيده، إنك لنبيُّ هذه الأمةِ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى، ولتُكذَّبَنَّهْ ولتُؤذَيَنَّهْ ولتُخرَجَنَّهْ ولتُقاتَلَنَّهْ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصرًا يعلمُه، ثم أدنى رأسه منه، فقبَّل يافوخَه(١)، ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى منزلِه.

٧- ابتداءُ تنزيلِ القرآن

قال ابنُ إسحاق: فابتُدِئَ رسولُ الله ﷺ بالتنزيلِ في شهرِ رمضان، بقول الله عزّوجلّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ① وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ② لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ⑤﴾ [القدر:١-٥].

قال ابنُ إسحاقَ: ثم تَتامَّ الوحيُ إلى رسولِ الله ﷺ، وهو مؤمنٌ بالله مُصدِّقٌ بما جاءه منه، قد قبِله بقَبولِه، وتحمَّل منه ما حُمِّلَه على رضا العباد وسخَطهم، والنُّبوَّة أثقالٌ ومُؤنةٌ، لا يَحملها ولا يستطيعُ بها إلا أهلُ القُوَّة والعزمِ من الرُّسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلقون من الناس وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

قال: فمضى رسولُ الله ﷺ على أمرِ الله، على ما يَلقى من قومِه من الخلافِ والأذى.

---

(١) اليَافُوخ: وسط الرأس.

٨- إسلامُ خديجةَ بنتِ خُويلدٍ

وآمنت به خديجةُ بنت خُويلد، وصدَّقت بما جاءه من الله، ووازرَتهُ على أمرِه، وكانت أوَّلَ من آمن بالله وبرسوله، وصدَّقَ بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيِّه ﷺ، لا يَسمع شيئًا مما يكرهُه من رَدٍّ عليه وتكذيبٍ له، فيحزنه ذلك، إلا فرَّجَ الله عنه بها إذا رجعَ إليها، تُثبِّته وتُخفف عليه، وتصدِّقه وتُهون عليه أمرَ الناس، رحمها الله تعالى.

قال ابنُ إسحاقَ: عن عبدِ الله بن جعفرِ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمرت أن أُبَشِّرَ خديجةَ ببيتٍ من قصبٍ، لا صخبَ فيه ولا نصبَ**».

قال ابنُ هشام: القصَبُ هاهنا: اللؤلؤُ المُجوَّف.

٩- فترةُ الوحيِ ونزولُ سورةِ الضحى

قال ابنُ إسحاقَ: ثم فتَرَ الوحي عن رسول الله ﷺ فترةً من ذلك، حتى شَقَّ ذلك عليه فأحزَنهُ، فجاءه جبريلُ بسورةِ الضحى، يُقسمُ له ربُّه، وهو الذي أكرمهُ بما أكرمَه به، ما ودَّعَه وما قلاه، فقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضُّحى:١-٣] يقول: ما صرَمَك فتركَك، وما أبغضك منذ أحبَّك، ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضُّحى:٤] أي: لَمَا عِندي في مَرجعك إليَّ خيرٌ لك مما عجَّلت لك من الكرامةِ في الدنيا، ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى:٥] من الفُلْجِ في الدنيا، والثوابِ في الآخرة ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [الضُّحى:٦-٨] يُعرِّفه الله ما ابتدأه به من كرامتِه في عاجلِ أمره، ومَنِّه عليه في يُتمه وعَيلتِه وضلالته، واستنقاذِه من ذلك كُلِّه برحمتِه.

١٠- ابتداءُ فرضِ الصلاةِ

قال ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: افتُرِضَت الصلاةُ على رسولِ الله ﷺ أوَّلَ ما افتُرِضت عليه ركعتينِ ركعتينِ كُلَّ صلاة، ثم إن اللهَ تعالى أتمَّها في الحضرِ أربعًا، وأقرَّها في السفرِ على فرضها الأوَّل ركعتين.

قال ابنُ إسحاقَ: وحدثني بعضُ أهلِ العلم: أن الصلاةَ حين افتُرِضت على رسولِ الله ﷺ، أتاه جِبريلُ وهو بأعلى مكةَ، فهمَزَ له بعقِبه في ناحيةِ الوادي، فانفَجَرت منه عينٌ، فتوضَّأَ جبريلُ عليه السلامُ، ورسولُ الله ﷺ ينظرُ إليه، ليُرِيَه كيف الطَّهور للصلاةِ، ثم توضَّأَ رسولُ الله ﷺ كما رأى جبريلَ توضأَ، ثم قام به جبريلُ فصلى به، وصلى رسولُ الله ﷺ بصلاتِه، ثم انصرفَ جِبريلُ عليه السلام.

١١- تَعيينُ جبريلَ أوقاتِ الصلاةِ للرسولِ ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ: عن ابن عباسٍ قال: لما افتُرِضَت الصلاةُ على رسولِ الله ﷺ أتاه جِبريلُ عليه السلام، فصلَّى به الظُهرَ حين مالت الشمسُ، ثم صلى به العصرَ حين كان ظِلُّه مثلَه، ثم صلى به المَغربَ حين غابتِ الشمسُ، ثم صلى به العشاءَ الآخرةَ حين ذهب الشفقُ، ثم صلى به الصبحَ حين طلعَ الفجرُ، ثم جاءه فصلَّى به الظهرَ من غَدٍ حين كان ظِلُّه مثلَه، ثم صلى به العصرَ حين كان ظِلُّه مِثلَيه، ثم صلى به المغربَ حين غابتِ الشمسُ لوقتِها بالأمسِ، ثم صلى به العِشاءَ الآخرةَ حين ذهب ثُلثُ الليلِ الأوَّلِ، ثم صلى به الصبحَ مُسفرًا غيرَ مشرِقٍ، ثم قال: يا محمدُ، الصلاةُ فيما بين صلاتِك اليومَ وصلاتك بالأمس.

١٢- ذِكرُ أن عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوَّلُ ذكَرٍ أسلمَ

قال ابنُ إسحاقَ: ثم كان أوَّلَ ذَكَرٍ من الناس آمنَ برسولِ الله ﷺ، وصلى معه وصدَّقَ بما جاءه من الله تعالى: عليُّ بنُ أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، رِضوان الله وسلامُه عليه، وهو يومئذٍ ابنُ عشر سنين.

وكان مما أنعمَ الله به على عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كان في حِجرِ رسول الله ﷺ قبلَ الإسلامِ.

١٣- إسلامُ زيدِ بن حارثةَ ثانيًا

قال ابنُ إسحاقَ: ثم أسلمَ زيدُ بن حارثةَ بن شُرحْبيلَ بنِ كعب بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكلبيِّ، مولى رسول الله ﷺ، وكان أوَّلَ ذَكَرٍ أسلمَ، وصلَّى بعدَ عليِّ بن أبي طالب.

١٤- إسلامُ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشأنُه

قال ابن إسحاق: ثم أسلمَ أبو بكرِ بن أبي قُحافةَ، واسمُه عَتيقٌ.

قال ابنُ إسحاقَ: فلما أسلمَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أظهرَ إسلامَه، ودعا إلى الله وإلى رسولِه.

وكان أبو بكرٍ رجلًا مَألفًا لقومِه، مُحبَّبًا سهلًا، وكان أنسبَ قريش لقُريشٍ، وأعلمَ قريشٍ بها، وبما كان فيها من خيرٍ وشَرٍّ، وكان رجلًا تاجرًا، ذا خُلقٍ ومَعروفٍ، وكان رجالُ قومه يأتونهُ ويألفونه لغيرِ واحدٍ من الأمر، لعِلمه وتِجارتِه وحسنِ مُجالستِه، فجعلَ يدعو إلى الله وإلى الإسلامِ من وَثِقَ به من قومِه، ممن يَغشاه ويَجلسُ إليه.

١٥- ذِكْرُ من أسلمَ من الصحابةِ بدعوةِ أبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

قال: فأسلمَ بدعائِه -فيما بلغني- عثمانُ بن عفَّان، والزبيرُ بن العوامِ، وعبدُ الرحمن بن عوفٍ، وسعدُ بن أبي وقَّاص، وطلحةُ بن عُبيد الله، فجاء بهم إلى رسولِ الله ﷺ حين استجابوا له فأسلَموا وصَلوا، وكان رسولُ الله ﷺ يقولُ -فيما بلغني-: «**ما دعوتُ أحدًا إلى الإسلامِ إلا كانت فيه عنده كَبوةٌ، ونَظرٌ وتردُّدٌ، إلا ما كان من أبي بكرِ بن أبي قُحافةَ، ما عَكَمَ عنه حين ذكرتُه له، وما تردَّدَ فيه**».

قال ابنُ هشامٍ: قوله: عَكَمَ: تَلبَّثَ.

ثم أسلم أبو عُبيدةَ بنُ الجراحِ، وأبو سلمةَ، والأرقمُ بن أبي الأرقمِ، وعثمانُ بن مَظعونٍ، وأخواه قُدامةُ وعبدُ الله ابنا مظعون، وعُبيدةُ بن الحارثِ، وسعيدُ بن زيدِ بن عمرو، وامرأتُه فاطمةُ بنت الخطابِ، وأسماءُ بنت أبي بكرٍ، وعائشةُ بنت أبي بكرٍ، وهي يومئذٍ صغيرةٌ، وخبَّاب بن الأرَتِّ.

قال ابنُ إسحاقَ: وعُميرُ بن أبي وقَّاص، أخو سعد بن أبي وقاصٍ، وعبدُ الله بنُ مسعود، ومسعودُ بن القاري.

[ب - الدعوة الجهرية]

١- مباداةُ رسولِ الله ﷺ قومَه، وما كان منهم

قال ابنُ إسحاقَ: ثم دخل الناسُ في الإسلام أرسالا من الرجالِ والنساء، حتى فشا ذِكرُ الإسلامِ بمكةَ، وتُحُدِّث به، ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ أمرَ رسولَه ﷺ أن يصدعَ بما جاءه منه، وأن يُبادي الناسَ بأمرِه، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسولُ الله ﷺ أمرَه واستَتَرَ به إلى أن أمرَه الله تعالى بإظهارِ دينِه ثلاثُ سنين -فيما بلغني- من مبعثِه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحِجر:٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾ [الشعراء:٢١٤-٢١٦].

قال ابنُ إسحاقَ: وكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ إذا صلوا، ذهبوا في الشعابِ، فاستخفَوا بصلاتِهم من قومِهم، فبينا سعدُ بن أبي وقاصٍ في نفرٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في شِعبٍ من شعاب مكَّةَ، إذ ظهرَ عليهم نفرٌ من المشركين وهم يُصلُّون، فناكَروهم، وعابوا عليهم ما يَصنَعون حتى قاتَلوهم، فضربَ سعدُ بن أبي وقاصٍ يومئذٍ رجلا من المشركين بِلَحي بعيرٍ(١)؛ فشجَّه، فكان أوَّلَ دمٍ هُريقَ في الإسلامِ.

قال ابنُ إسحاقَ: فلما بادى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلامِ وصدعَ به كما أمرَهُ اللهُ، لم يبعد منه قومُه، ولم يردُّوا عليه -فيما بلغني- حتى ذَكَرَ آلهتَهم وعابَها، فلما فعل ذلك أعظَموه وناكَروه، وأجمعوا خلافَه وعَداوتَه، إلا من عصمَ اللهُ تعالى منهم بالإسلامِ، وهم قليلٌ مُستَخفون.

---

(١) بِلَحي بعير: تثنية لحي واللحي هو العظم الذي عليه الخد.

وحَدِب[(١)] على رسول الله ﷺ عمُّه أبو طالبٍ، ومنعه وقام دونَه، ومضى رسولُ الله ﷺ على أمرِ الله، مُظهرًا لأمرِه، لا يردُّه عنه شيء، فلما رأت قريشٌ، أن رسولَ الله ﷺ لا يعتِبُهم من شيءٍ[(٢)] أنكروهُ عليه، من فراقِهم وعَيب آلهتِهم، ورأوا أن عمَّه أبا طالبٍ قد حَدِب عليه، وقام دونَه، فلم يُسلِمه لهم، مشى رجالٌ من أشرافِ قريشٍ إلى أبي طالبٍ: عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ بن عبد شمسٍ، وأبو سفيانَ بنُ حربٍ، وأبو البَختري، والأسودُ بن المطَّلب، والوليدُ بن المغيرة، ونُبيه ومُنبه ابنا الحجاج بن عامر، والعاصُ بن وائل، أو من مشى منهم.

فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتَنا، وعابَ دينَنا، وسفَّه أحلامَنا، وضلَّل آباءَنا، فإما أن تكفَّه عنا، وإما أن تُخلِّيَ بيننا وبينه، فإنك على مثلِ ما نحن عليه من خلافِه، فنكفيكَهُ.

فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا، وردهم ردًا جميلًا، فانصرفوا عنه.

ومضى رسولُ الله ﷺ على ما هو عليه، يُظهرُ دينَ الله، ويدعو إليه، ثم شَرَى[(٣)] الأمرُ بينه وبينَهم حتى تباعَدَ الرجالُ وتَضاغَنوا[(٤)]، وأكثرت قريشٌ ذِكرَ رسولِ الله ﷺ بينها، فتَذامَروا[(٥)] فيه، وحضَّ بعضُهم بعضًا عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالبٍ مرَّةً أخرى.

(١) حَدِب: حدب على فلان إذا كان عاطفًا عليه ومانعًا له.
(٢) لا يعتِبُهم من شيء: أي لا يرضيهم.
(٣) شَرَى: كثر.
(٤) تَضاغَنوا: تعادوا.
(٥) تَذامَروا: أي حض بعضهم بعضًا.

فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهَه عنا، وإنا والله لا نَصبرُ على هذا من شَتْمِ آبائنا، وتسفيه أحلامِنا، وعَيبِ آلهتنا، حتى تكُفَّه عنا، أو ننازلُه وإياك في ذلك، حتى يهلكَ أحدُ الفريقين، أو كما قالوا له.

ثم انصرفوا عنه، فعَظُم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتُهم، ولم يطِب نفسًا بإسلامِ رسولِ الله ﷺ لهم ولا خِذلانِه.

قال ابنُ إسحاقَ: وحدثني يعقوبُ بن عتبةَ بنِ المغيرة بن الأخنسِ أنه حُدِّث: أن قريشًا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالةَ، بعث إلى رسولِ الله ﷺ، فقال له: يا ابنَ أخي، إن قومَك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا -للذي كانوا قالوا له- فأبْقِ عليَّ وعلى نفسِك، ولا تُحمِّلني من الأمرِ ما لا أطيقُ.

قال: فظن رسولُ الله ﷺ أنه قد بدا لعَمِّه فيه بَداءً أنه خاذلُه ومُسلمُه، وأنه قد ضعفَ عن نُصرتِه والقيامِ معه.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا عَمِّ، والله لو وَضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يَساري على أن أترُكَ هذا الأمرَ حتى يُظهرَه اللهُ، أو أهلِك فيه، ما تركتُه**».

قال: ثم استعبَرَ رسولُ الله ﷺ، فبكى ثم قامَ، فلما ولَّى ناداه أبو طالبٍ فقال: أقبلْ يا ابنَ أخي، قال: فأقبلَ عليه رسولُ الله ﷺ، فقال: اذهب يا ابنَ أخي، فقُل ما أحببتَ؛ فوالله، لا أُسلمُك لشيء أبدًا.

قال ابنُ إسحاقَ: ثم إن قريشًا حين عرفوا أن أبا طالبٍ قد أبى خِذلان رسولِ الله ﷺ وإسلامَه، وإجماعه لفراقِهم في ذلك وعداوتِهم، مشوا إليه بعُمارةَ

بن الوليدِ بن المُغيرة، فقالوا له -فيما بلغني-: يا أبا طالب، هذا عُمارة بن الوليد، أَنْهَدُ[(١)] فتًى في قريش وأجملُه، فخذه فلَكَ عقلُه ونصرُه، واتخذه ولدًا فهو لك، وأسلِم إلينا ابنَ أخيك هذا، الذي قد خالفَ دينَك ودينَ آبائك، وفرَّق جماعةَ قومك، وسفَّه أحلامهم، فنقتُله، فإنما هو رجلٌ برجلٍ.

فقال: والله لبئس ما تَسومونني[(٢)]! أتُعطونني ابنكم أغذُوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونَه! هذا والله ما لا يكون أبدًا.

قال: فقال المُطعم بن عدي بن نَوفل بن عبدِ مناف بن قُصي: والله يا أبا طالبٍ لقد أنصفَك قومُك، وجهدوا على التخلُّص مما تكرهُه، فما أُراك تريدُ أن تقبلَ منهم شيئًا!

فقال أبو طالب للمُطعم: والله ما أنصفوني، ولكنَّك قد أجمعتَ خِذلاني ومُظاهرةَ القومِ عليَّ، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال.

فحَقَبَ[(٣)] الأمرُ، وحَمِيت الحربُ، وتنابَذَ القومُ، وبادى بعضُهم بعضًا.

٢- ذِكرُ ما فَتنت به قريشٌ المؤمنين وعذَّبتهُم على الإيمانِ

قال ابنُ إسحاقَ: ثم إن قريشًا تذامروا بينهم على من في القبائلِ منهم من أصحابِ رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثَبت كُلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيهم من المسلمين يُعذِّبونَهم، ويَفتِنونهم عن دِينِهم، ومنعَ الله رسولَه ﷺ منهم بعمِّه أبي طالب، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشًا يصنعون ما يصنعون في بَني هاشمٍ

(١) أَنْهَد: أشد وأقوى.
(٢) تَسُومُونَنِي: تكلفونني.
(٣) حَقَبَ: زاد واشتد.

وبني المطَّلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، من مَنع رسولِ الله ﷺ، والقيامِ دونَه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لَهبٍ، عدوِّ الله الملعونِ.

٣- تَحيُّرُ الوليدِ بن المغيرة فيما يَصفُ به القرآنَ

ثم إن الوليدَ بن المغيرةَ اجتمع إليه نفرٌ من قريشٍ، وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسمُ فقال لهم: يا معشرَ قريشٍ، إنه قد حضرَ هذا الموسمُ، وإن وفودَ العرب ستَقدَم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمرِ صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيُكذِّبَ بعضُكم بعضًا، ويَردَّ قولُكم بعضُه بعضًا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقلْ وأقم لنا رأيًا نقولُ به، قال: بل أنتم فقولوا أسْمَعْ.

قالوا: نقولُ كاهنٌ.

قال: لا والله ما هو بكاهنٍ، لقد رأينا الكهَّانَ فما هو بزمزمةِ الكاهنِ ولا سجعِه.

قالوا: فنقول: مجنونٌ.

قال: ما هو بمجنونٍ، لقد رأينا الجنونَ وعرفناه، فما هو بخنقِه، ولا تَخالُجِه، ولا وسوستِه.

قالوا: فنقول: شاعرٌ.

قال: ما هو بشاعرٍ، لقد عرفنا الشعرَ كلَّه رجَزَه وهزَجه وقَريضَه ومَقبوضَه ومَبسوطَه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحرٌ.

قال: ما هو بساحرٍ، لقد رأينا السحار وسحرَهم، فما هو بنفثِهم ولا عقدِهم.

قالوا: فما نقول يا أبا عبدِ شمس؟

قال: والله، إن لقولِه لحلاوةً، وإن أصلَه لعَذقٌ[1]، وإن فرَعه لجناةٌ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطلٌ، وإن أقربَ القول فيه: لَأَن تقولوا: هو ساحرٌ، جاء بقول هو سحرٌ يفرِّق به بين المرءِ وأبيه، وبين المرءِ وأخيه، وبين المرءِ وزوجته، وبين المرء وعشيرتِه.

فتفرَّقوا عنه بذلك، فجَعلوا يَجلسون بسُبلِ الناس حين قدِموا الموسم، لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إياه، وذكروا لهم أمرَه.

فأنزل اللهُ تعالى في الوليدِ بن المغيرةِ وفي ذلك من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝﴾ [المدَّثر: ١١-٢٥].

٤- انتشارُ ذكرِ الرسولِ في القبائلِ، ولا سيَّما في الأوسِ والخزرجِ

فلما انتشرَ أمرُ رسول الله ﷺ في العربِ، وبلغ البُلدان، ذُكِرَ بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العربِ أعلمَ بأمرِ رسول الله ﷺ حين ذُكِرَ وقبل أن يُذكَرَ من هذا الحيِّ

(١) العَذْق: النخلة.

من الأوسِ والخزرجِ، وذلك لما كانوا يَسمعون من أحبارِ اليهود، وكانوا لهم حُلفاءَ، ومعهم في بلادِهم.

٥- ذِكر ما لقِيَ رسولُ الله ﷺ من قومِه

قال ابنُ إسحاقَ: ثم إن قريشًا اشتد أمرُهم للشقاءِ الذي أصابَهم في عَداوةِ رسولِ الله ﷺ ومن أسلَمَ معه منهم، فأغرَوا برسولِ الله ﷺ سُفهاءَهم، فكذَّبوه وآذوه، ورموه بالشعرِ والسحر والكهانَةِ والجنونِ، ورسولُ الله ﷺ مُظهرٌ لأمرِ الله لا يَستخفي به، مُبادٍ لهم بما يَكرهون من عَيب دِينهم، واعتزالِ أوثانِهم، وفِراقه إياهم على كُفرِهم.

٦- إسلامُ حمزةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال ابنُ إسحاقَ: حدثني رجلٌ من أسلمَ، كان واعيةً: أن أبا جهل مَرَّ برسولِ الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتَمه، ونال منه بعضَ ما يكرهُ من العيبِ لدينه، والتضعيفِ لأمرِه، فلم يكلِّمه رسولُ الله ﷺ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدعان في مَسكنٍ لها تَسمعُ ذلك، ثم انصرف عنه فعمدَ إلى نادٍ من قريشٍ عند الكعبة، فجلس معهم.

فلم يلبثْ حمزةُ بن عبد المطَّلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أقبل مُتوشِّحًا قوسَه، راجعًا من قنصٍ له، وكان صاحبَ قنصٍ يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنصِه لم يصل إلى أهلِه حتى يطوفَ بالكعبةِ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادٍ من قريشٍ إلا وقف وسلَّم وتحدث معهم، وكان أعزَّ فتًى في قريش، وأشدَّ شكيمةً.

فلما مرَّ بالمولاة -وقد رجعَ رسولُ الله ﷺ إلى بيتِه- قالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي ابنُ أخيك محمدٌ آنفًا من أبي الحكم بن هشام، وجدَه هاهنا جالسًا فآذاه وسبَّه، وبلغَ منه ما يكرهُ، ثم انصرف عنه ولم يكلِّمه محمدٌ ﷺ.

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لما أرادَ الله به من كرامتِه، فخرج يسعى ولم يقفْ على أحدٍ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يُوقعَ به، فلما دخل المسجدَ نظرَ إليه جالسًا في القومِ، فأقبل نحوَه حتى إذا قامَ على رأسه رفعَ القوسَ فضربَه بها فشجَّه شجةً مُنكرةً.

ثم قال: أتشتِمه وأنا على دينِه أقولُ ما يقول؟ فردَّ ذلك عليَّ إن استطعت.

فقامت رجالٌ من بني مَخزوم إلى حمزةَ لينصروا أبا جهلٍ، فقال أبو جهلٍ: دعوا أبا عُمارة، فإني والله قد سببتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحًا.

وتمَّ حمزةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على إسلامِه، وعلى ما تابَع عليه رسولَ الله ﷺ من قولِه.

فلما أسلمَ حمزةُ عرفت قريشٌ أن رسولَ الله ﷺ قد عزَّ وامتنعَ، وأن حمزةَ سيمنعُه، فكفُّوا عن بعضِ ما كانوا يَنالون منه.

٧- قولُ عتبةَ بن ربيعةَ في أمرِ رسولِ الله ﷺ

قال ابنُ إسحاق: وحدثني يزيدُ بن زيادٍ، عن محمد بن كعب القُرظي قال: حُدِّثت أن عتبةَ بن ربيعةَ -وكان سيِّدًا- قال يومًا وهو جالس في نادي قريش -ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في المسجدِ وحدَه-: يا معشرَ قُريشٍ، ألا أقومُ إلى محمد فأكلِّمه وأعرضَ عليه أمورًا لعله يقبلُ بعضَها فنعطيه أيَّها شاء، ويكفَّ عنا؟ -وذلك حين أسلم حمزةُ،

ورأوا أصحابَ رسول الله ﷺ يزيدون ويَكثُرون- فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قُمْ إليه فكلِّمْه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا ابنَ أخي، إنك منَّا حيث قد علمتَ من السِّطَةِ في العشيرة، والمكان في النسبِ، وإنك قد أتيتَ قومَك بأمرٍ عظيم فرَّقتَ به جماعتَهم وسفَّهت به أحلامَهم وعِبت به آلهتهم ودينهم وكفَّرت به من مضى من آبائِهم، فاسمَعْ مني أعرضْ عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبلُ منها بعضَها.

قال: فقال له رسولُ الله ﷺ: «**قل يا أبا الوليد، أسمعُ**».

قال: يا ابنَ أخي، إن كنت إنما تُريد بما جئتَ به من هذا الأمرِ مالًا جَمعنا لك من أموالنا حتى تكونَ أكثرنا مالًا، وإن كنت تُريد به شرفًا سوَّدناك علينا، حتى لا نقطعَ أمرًا دونك، وإن كنت تُريد به مُلكًا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا تراه لا تَستطيع ردَّه عن نفسِك، طلبنا لك الطِّبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئَك منه، فإنه ربما غلب التابعُ على الرجلِ حتى يُداوى منه. أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عُتبةُ، ورسولُ الله ﷺ يستمعُ منه، قال: «**أقد فرغتَ يا أبا الوليد؟**»

قال: نعم.

قال: «**فاسمَعْ منِّي**».

قال: أفعلُ.

فقال: «**بسمِ الله الرحمنِ الرحيم،** ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [فُصِّلَت:١-٥]».

ثم مضى رسولُ الله ﷺ فيها يَقرؤها عليه.

فلما سَمِعها منه عُتبةُ أنصتَ لها، وألقى يديه خلفَ ظهرِه مُعتمدًا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السجدةِ منها، فسجَدَ ثم قال: «**قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك**».

فقام عتبةُ إلى أصحابِه، فقال بعضُهم لبعضٍ: نحلفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغيرِ الوجه الذي ذهب به.

فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أني قد سَمِعت قولا والله ما سمعتُ مثلَه قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكَهانة، يا معشرَ قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين هذا الرجلِ وبين ما هو فيه فاعتزِلوه، فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيمٌ، فإن تُصبه العرب فقد كُفيتموه بغيرِكم، وإن يظهر على العربِ فمُلكه مُلككم، وعِزُّه عِزُّكم، وكنتم أسعدَ الناسِ به.

قالوا: سحرَك والله يا أبا الوليد بلسانِه.

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

قال ابنُ إسحاقَ: ثم إن الإسلامَ جعل يَفشو بمكَّةَ في قبائل قُريش في الرجالِ والنساء، وقريشٌ تحبس من قدرت على حبسِه، وتفتِن من استطاعت فتنتَه من المسلمين.

٨- استكبارُ قريشٍ عن أن يؤمنوا بالرسولِ ﷺ

فلما جاءَهم رسولُ الله ﷺ بما عَرفوا من الحقِّ، وعرفوا صدقَه فيما حدَّث، وموقعَ نبوته فيما جاءَهم به من علمِ الغُيوب حين سألوه عمَّا سألوا عنه، حال الحسَدُ منهم له بينهم وبين اتِّباعه وتصديقه، فعَتَوا على الله وتركوا أمرَه عَيانًا، ولجُّوا فيما هم عليه من الكفرِ، فقال قائلهم: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فُصِّلَت:٢٦]، أي: اجعلوه لغوًا وباطلًا، واتَّخِذوه هُزوا لعلكم تغلبونَه بذلك، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يومًا غلبكم.

٩- ذِكرُ الهجرةِ الأولى إلى أرضِ الحبشةِ

قال ابنُ إسحاقَ: فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما يصيبُ أصحابَه من البلاءِ، وما هو فيه من العافية، بمكانِه من الله ومن عمِّه أبي طالبٍ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعَهم مما هم فيه من البلاءِ، قال لهم: «**لو خرجتُم إلى أرضِ الحبشة؛ فإن بها مَلِكًا لا يُظلم عنده أحدٌ، وهي أرض صدقٍ، حتى يجعلَ الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**».

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحابِ رسولِ الله ﷺ إلى أرضِ الحبشةِ؛ مخافةَ الفتنة، وفِرارًا إلى الله بدينِهم، فكانت أوَّلَ هجرةٍ كانت في الإسلامِ.

وكان أوَّلَ من خرج من المسلمين: عثمانُ بن عفانَ بن أبي العاص بن أميَّة معه امرأتُه رقيةُ بنت رسولِ الله ﷺ، وأبو حُذيفةَ بن عتبةَ بن ربيعة بن عبدِ شمس

معه امرأتُه: سهلة بنت سُهيل بن عمرو، والزبيرُ بن العوامِ، ومُصعبُ بن عمير، وعبدُ الرحمن بن عوف، وأبو سلمةَ بن عبد الأسد معه امرأتُه أُمُّ سلمة بنت أبي أمية، وعثمانُ بن مَظعونٍ، وعامرُ بن ربيعةَ معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثمةَ، وأبو سبرةَ بن أبي رُهمٍ وسُهيل ابن بيضاء.

فكان هؤلاء العشرةُ أوَّلَ من خرج من المسلمين إلى أرضِ الحبشةِ، فيما بلغني.

قال ابنُ هشامٍ: وكان عليهم عثمانُ بن مَظعونٍ، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم.

قال ابنُ إسحاقَ: ثم خرج جعفرُ بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرضِ الحبشةِ، فكانوا بها، منهم من خرج بأهلِه معه، ومنهم من خرج بنفسِه لا أهلَ له معه.

١٠- إرسالُ قريشٍ إلى الحبشة في طلب المُهاجرين إليها

قال ابنُ إسحاق: عن أُمِّ سلمة قالت: لما نزلنا أرضَ الحبشة، جاورنا بها خيرَ جارٍ: النجاشيَّ، أمِنَّا على ديننا، وعبدنا اللهَ تعالى لا نُؤذى ولا نسمعُ شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قُريشًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشيِّ فينا رجلين منهم جلْدين، وأن يُهدوا للنجاشي هدايَا مما يُستطرفُ من متاعِ مكَّةَ، وكان من أعجبِ ما يأتيه منها الأدَمُ(١)، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بِطريقًا إلا أهدوا له هديةً.

(١) الأدَم: الجلود.

ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبي ربيعةَ، وعمرَو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كُلِّ بِطريقٍ هديَّتَه قبل أن تُكلما النجاشيَّ فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يُسلِمَهم إليكما قبل أن يُكلِّمهم.

قالت: فخرجا حتى قدِما على النجاشيِّ، ونحن عنده بخيرِ دارٍ، عند خير جارٍ، فلم يبقَ من بطارقته بِطريقٌ إلا دفعا إليه هديتَهُ قبل أن يُكلِّما النجاشي، وقالا لكل بطريقٍ منهم: إنه قد ضَوَى[1] إلى بلد المَلك منا غِلمانٌ سفهاءُ، فارقوا دينَ قومِهم، ولم يدخلوا في دينِكم، وجاءوا بدينٍ مُبتدعٍ، لا نعرفه نحن ولا أنتمُ، وقد بَعَثَنا إلى الملكِ فيهم أشرافُ قومِهم ليردَّهم إليهم، فإذا كلَّمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يُكلِّمَهم، فإن قومَهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعم.

ثم إنَّهما قدَّما هداياهما إلى النجاشيِّ فقبِلها منهما، ثم كلَّماه فقالا له: أيها الملكُ، إنه قد ضَوَى إلى بلدِك منا غِلمانٌ سُفهاءُ، فارقوا دينَ قومِهم، ولم يدخلوا في دينِك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفُه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومِهم من آبائهم وأعمامِهم وعشائِرهم لتَرُدَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيءٌ أبغضَ إلى عبدِ الله بن أبي ربيعةَ وعمرِو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشيُّ.

(١) ضَوَى: لجأ.

قالت: فقالت بَطارقتُه حوله: صَدَقا أيها الملكُ، قومُهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم؛ فأسلِمهم إليهما فليَرُدَّاهم إلى بلادِهم وقومِهم.

قالت: فغضِبَ النجاشيُّ، ثم قال: لاها الله إذن، لا أُسلِمهم إليهما، ولا يُكادُ قومٌ جاوروني، ونَزَلوا بلادي، واختاروني على من سِواي، حتى أدعوهم فأسألُهم عما يَقولُ هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولانِ أسلمتُهم إليهما، ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غيرِ ذلك منعتُهم منهما، وأحسنتُ جِوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسلَ إلى أصحابِ رسولِ الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءَهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرجلِ إذا جِئتموه؟

قالوا: نقول والله ما علِمنا، وما أمرَنا به نبيُّنا ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوا -وقد دعا النجاشيُّ أساقفَتَه، فنشروا مصاحِفَهم حولَه- سألهم فقال لهم: ما هذا الدينُ الذي قد فارقتُم فيه قومَكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دينِ أحدٍ من هذه المِلل؟

قالت: فكان الذي كلَّمه جعفرُ بن أبي طالبٍ رِضوانُ الله عليه، فقال له: أيُّها الملكُ، كنا قومًا أهلَ جاهليةٍ، نعبد الأصنامَ، ونأكل الميتةَ، ونأتي الفواحشَ، ونقطعُ الأرحامَ، ونُسيءُ الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيفَ، فكنا على ذلك، حتى بعثَ الله إلينا رسولًا منا، نعرف نَسبَه وصدقَه وأمانَته وعفافَه.

فدعانا إلى الله لنوحِّدَه ونعبده، ونخلعَ ما كنا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونِه من الحجارةِ والأوثان.

وأمرَنا بصدقِ الحديثِ، وأداءِ الأمانة، وصلةِ الرحمِ، وحُسن الجِوار، والكفِّ عن المحارمِ والدماءِ.

ونهانا عن الفَواحشِ، وقولِ الزور، وأكلِ مال اليتيمِ، وقذفِ المُحصنات.

وأمرنا أن نعبدَ الله وحده، لا نشركَ به شيئًا.

وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام -قالت: فعدَّد عليه أمورَ الإسلامِ- فصدَّقناه وآمنَّا به، واتَّبعناه على ما جاءَ به من الله، فعبدنا اللهَ وحدَه، فلم نشركْ به شيئًا، وحرَّمنا ما حَرم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذَّبونا، وفَتنونا عن ديننِا؛ ليردُّونا إلى عبادةِ الأوثان من عبادةِ الله تعالى، وأن نَستحِلَّ ما كنا نستحل من الخبائثِ.

فلما قَهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا، وحالوا بينَنا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادِك، واخترناكَ على من سِواك، ورغِبنا في جِوارك، ورجونا ألا نُظلمَ عندك أيُّها الملكُ.

قالت: فقال له النجاشيُّ: هل معك مما جاءَ به عن الله من شيءٍ؟

قالت: فقال له جعفرٌ: نعم.

فقال له النجاشيُّ: فاقرأه عليَّ.

قالت: فقرأ عليه صَدرًا من: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١].

قالت: فبكى -والله- النجاشيُّ حتى اخضلَّتْ لحيتُه، وبكت أساقفَتُه حتى أخضلُوا مصاحِفَهم، حين سمِعوا ما تلا عليهم.

ثم قال لهم النجاشيُّ: إن هذا والذي جاءَ به عِيسى ليَخرُجُ من مِشكاةٍ واحدةٍ، انطلقا، فلا والله لا أسلِمُهم إليكما، ولا يُكادون.

قالت: فلما خرجا مِن عنده، قال عمرو بنُ العاص: والله لآتينَّه غدًا عنهم بما أستأصلُ به خَضراءَهم.

قالت: فقال له عبدُ الله بن أبي ربيعةَ، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل؛ فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبِرَنَّه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مَريم عبدٌ.

قالت: ثم غدَا عليه من الغَدِ فقال له: أيُّها الملكُ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسِلْ إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسلَ إليهم ليسألَهم عنه.

قالت: ولم يَنزل بنا مِثلُها قط.

فاجتمع القومُ، ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ماذا تقولون في عيسى ابن مَريم إذا سألَكم عنه؟

قالوا: نقولُ والله ما قال اللهُ، وما جاءنا به نبيُّنا، كائنًا في ذلك ما هو كائنٌ.

قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابنِ مريمَ؟

قالت: فقال جعفرُ بن أبي طالب: نقولُ فيه الذي جاءنا به نبيُّنا ﷺ، يقول: هو عبدُ الله ورسولُه وروحُه وكَلِمتُه ألقاها إلى مريمَ العذراءِ البتولِ.

قالت: فضرب النجاشيُّ بيده إلى الأرضِ، فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابنُ مريم ما قلتَ هذا العودَ.

قالت: فتناخَرت بطارقَتُه حولَه حين قال ما قال.

فقال: وإن نخرتُم والله، اذهبوا فأنتم شُيومٌ بأرضي- والشيومُ: الآمنونَ- مَنْ سَبَّكم غَرِمَ، ثم قال: من سبَّكم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكم غَرِمَ، ما أحبُّ أن لي دَبرًا من ذهب، وأني آذيتُ رجلًا منكم، رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجةَ لي بها، فوالله ما أخذ اللهُ مني الرِّشوةَ حين رَدَّ عليَّ مُلكي، فآخذَ الرِّشوةَ فيه، وما أطاعَ الناس فيَّ فأطيعَهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مَقبوحَين مَردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بِخيرِ دارٍ، مع خيرِ جارٍ.

١١- إسلامُ عمرَ بن الخطابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

قال ابنُ إسحاقَ: وكان إسلامُ عمرَ فيما بلغني أن أخته فاطمةَ بنت الخطاب، وكانت قد أسلمت وأسلمَ بعلُها سعيدُ بن زيدٍ، وهما مُستخفيان بإسلامِهما من عمرَ، وكان خبَّابُ بن الأرتِّ يختلفُ إلى فاطمةَ بنت الخطاب يُقرئها القرآنَ، فخرج عمر يومًا متوشِّحًا سيفه يريدُ رسولَ الله ﷺ ورهطًا من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصفا، وهم قريبٌ من أربعينَ ما بين رجالٍ ونساءٍ.

ومع رسول الله ﷺ عمُّه حمزةُ بن عبدِ المطلب، وأبو بكرِ بن أبي قحافةَ الصديق، وعليُّ بن أبي طالب، في رجالٍ من المسلمين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ممن كان أقامَ مع رسولِ الله ﷺ بمكةَ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرضِ الحبشةِ.

فلقيَه نعيمُ بن عبد الله، فقال له: أين تريدُ يا عمرُ؟

فقال: أريدُ محمدًا هذا الصابئَ، الذي فرَّقَ أمرَ قريشٍ، وسفَّه أحلامَها، وعاب دينَها، وسبَّ آلهتها فأقتُله.

فقال له نُعيمٌ: والله لقد غرَّتك نفسُك من نفسِك يا عمرُ، أترى بني عبد مَناف تاركيك تمشي على الأرضِ وقد قَتلت محمدًا؟! أفلا ترجع إلى أهلِ بيتك فتُقيم أمرَهم؟

قال: وأيُّ أهل بيتي؟

قال: خَتنُك وابن عمك سعيدُ بن زيدٍ، وأختُك فاطمةُ بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتابعا مُحمدًا على دينه، فعليك بهما.

قال: فرجع عمرُ عامدًا إلى أختِه وخَتنه، وعندهما خبَّابُ بن الأرتِّ معه صحيفةٌ، فيها: ﴿طه﴾ يُقرئهما إياها، فلما سَمعوا حِسَّ عمرَ، تغيَّب خباب في مَخْدَعٍ[1] لهم، أو في بعضِ البيت.

وأخذت فاطمةُ بنت الخطاب الصحيفةَ فجعلتها تحت فخِذِها، وقد سمعَ عمرُ حين دنا إلى البيت قراءةَ خبابٍ عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهَيْنَمَةُ[2] التي سمعتُ؟

قالا له: ما سمعت شيئًا.

قال: بلى، والله، لقد أُخبرتُ أنكما تابعتما محمدًا على دينِه، وبطَشَ بخَتنه سعيدِ بن زيدٍ، فقامت إليه أختُه فاطمةُ بنتُ الخطاب لتكفَّه عن زوجها، فضرَبَها

(١) المَخْدَع: الخزانة.

(٢) الهَيْنَمَة: الصوت الخفي.

فشجَّها، فلما فعل ذلك قالت له أختُه وختنُه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسولِه، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عُمر ما بأختِه من الدمِ ندِمَ على ما صنع، فارعَوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفةَ التي سمعتُكم تقرؤون آنفًا أنظرُ ما هذا الذي جاء به محمدٌ؟ وكان عمر كاتبًا، فلما قال ذلك، قالت له أختُه: إنا نخشاك عليها.

قال: لا تخافي، وحلَف لها بآلهته ليَرُدَّنَّها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طَمِعت في إسلامِه، فقالت له: يا أخي، إنك نَجَسٌ، على شركك، وإنه لا يمسُّها إلا الطاهر.

فقام عمر فاغتسلَ، فأعطته الصحيفةَ، وفيها: ﴿طه﴾ فقرأها، فلما قرأ منها صَدرًا، قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمه! فلما سمع ذلك خبابٌ خرج إليه.

فقال له: يا عمرُ، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوةِ نبيِّه، فإني سمعتُه أمسِ وهو يقول: «**اللهم أيِّدِ الإسلام بأبي الحَكم بن هشامٍ، أو بعمرَ بن الخطابِ**» فاللهَ اللهَ يا عمرُ.

فقال له عند ذلك عمرُ: فدُلَّني يا خبابُ على محمدٍ حتى آتيه فأُسلم، فقال له خباب: هو في بيتٍ عند الصفا، معه فيه نفرٌ من أصحابه، فأخذ عمرُ سيفَه فتوشحه، ثم عمدَ إلى رسول الله ﷺ وأصحابِه، فضربَ عليهم البابَ، فلما سمعوا صوتَه، قام رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فنظر من خَلل الباب فرآه مُتوشِّحًا السيفَ، فرجعَ إلى رسولِ الله ﷺ وهو فَزِعٌ.

فقال: يا رسول الله، هذا عمرُ بن الخطابِ متوشحًا السيف، فقال حمزةُ بن عبد المطلب: فأْذَنْ له، فإن كان جاء يريدُ خيرًا بذلناه له، وإن كان جاء يريدُ شرًّا قتلناه بسيفه.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**ائذن له**».

فأذن له الرجلُ، ونهض إليه رسولُ الله ﷺ حتى لقيَه في الحُجرة، فأخذ حُجزته أو بمَجمعِ ردائه، ثم جَبذه به جبذةً شديدةً، وقال: «**ما جاء بك يا ابنَ الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تَنتهيَ حتى يُنزِلَ الله بك قارعةً**».

فقال عمر: يا رسول الله، جئتُك لأومن بالله وبرسولِه، وبما جاء من عندِ الله.

قال: فكبَّر رسولُ الله ﷺ تكبيرةً عرف أهلُ البيت من أصحابِ رسولِ الله ﷺ أن عمر قد أسلم.

فتفرَّقَ أصحابُ رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عَزُّوا في أنفسِهم حين أسلم عمرُ مع إسلامِ حمزةَ، وعرفوا أنهما سيَمنعان رسولَ الله ﷺ، ويَنتصفون بهما من عدوِّهم.

١٢- خَبرُ الصحيفةِ

قال ابنُ إسحاقَ: فلما رأت قريشٌ أن أصحابَ رسولِ الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأن النجاشيَّ قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمرَ قد أسلمَ، فكان هو وحمزةُ بن عبد المطلبِ مع رسولِ الله ﷺ وأصحابِه، وجعل الإسلامُ

يفشو في القبائلِ، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشمٍ، وبني المطلبِ، على أن لا ينكِحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، ولا يَبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفةٍ، ثم تَعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علَّقوا الصحيفةَ في جوف الكعبةِ توكيدًا على أنفسهم.

قال ابنُ إسحاقَ: فلما فعلت ذلك قريشٌ انحازت بنو هاشمٍ وبنو المطَّلب إلى أبي طالب بن عبد المطلبِ، فدخلوا معه في شِعبِه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشمٍ أبو لهبٍ عبدُ العُزَّى بن عبد المطلب إلى قُريشٍ فظاهرهم.

فأقاموا على ذلك سنتينِ أو ثلاثًا، حتى جهدوا لا يصل إليهم شيءٌ إلا سرًّا مستخفيًا به من أراد صلتهم من قريشٍ.

١٣- ذِكرُ ما لقي رسولُ الله ﷺ من قومِه من الأذى

فجعلت قُريشٌ حين منعه الله منها، وقام عمُّه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونَه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطشِ به، يهمزونَه ويستهزئون به ويُخاصمونه، وجعل القرآنُ ينزل في قريشٍ بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سُمِّي لنا، ومنهم من نزل فيه القرآنُ في عامة من ذكر اللهُ من الكفار.

فكان ممن سُمِّي لنا من قريشٍ ممن نزل فيه القرآن عمُّه أبو لهبِ بن عبد المطلب وامرأتُه أم جميل بنتُ حرب بن أمية، حمَّالة الحطب، وإنما سمَّاها الله تعالى حمَّالةَ الحطب؛ لأنها كانت -فيما بلغني- تَحمِل الشوك فتطرحَه على طريق رسولِ الله ﷺ حيث يَمرُّ، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ

عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المَسَد:١-٥].

وأمية بنُ خلفٍ كان إذا رأى رسولَ الله ﷺ همَزه ولمَزه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهُمَزة:١-٩].

ولقِي أبو جهل بنُ هشام رسولَ الله ﷺ -فيما بلغني- فقال له: والله يا محمدُ، لتتركن سبَّ آلهتنا، أو لنسُبَّنَّ إلهك الذي تعبد.

فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ [الأنعام:١٠٨]. فذُكر لي أن رسولَ الله ﷺ كفَّ عن سبِّ آلهتهم، وجعلَ يدعوهم إلى الله.

والنضرُ بن الحارثِ، كان إذا جلس رسولُ الله ﷺ مجلسًا، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآنَ، وحذرَ فيه قريشًا ما أصاب الأممَ الخالية؛ خلَفَه في مجلسِه إذا قام، فحدَّثهم عن رُستم السنديدِ، وعن أسفَنديارَ، وملوك فارسَ، ثم يقول: والله ما محمدٌ بأحسن حديثًا مني، وما حديثُه إلا أساطيرُ الأولين، اكتتبَها كما اكتتبتُها.

فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان:٥-٦].

ونزل فيه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم:١٥].

ونزل فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجاثية:٧-٨]، ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان:٧].

قال ابنُ إسحاقَ: والأخنس بن شَريقٍ حليفُ بني زهرة، وكان من أشرافِ القوم وممن يُستمع منه، فكان يصيبُ من رسولِ الله ﷺ، ويَردُّ عليه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم:١٠-١١] إلى قوله تعالى: ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣].

والوليدُ بن المغيرةَ قال: أيُنزَّل على محمد وأُتركُ وأنا كبيرُ قريشٍ وسيدُها! ويُترك أبو مسعودٍ عمرو بن عمير الثقفيُّ سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين!

فأنزل الله تعالى فيه -فيما بلغني-: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّخرُف:٣١] إلى قوله تعالى: ﴿يَجْمَعُونَ﴾ [الزُّخرُف:٣٢].

وأُبيُّ بن خلف، وعقبةُ بن أبي مُعيط، وكانا متصافِيَين، حَسَنًا ما بينهما، فكان عقبةُ قد جلسَ إلى رسولِ الله ﷺ وسمعَ منه، فبلغ ذلك أُبيًّا، فأتى عقبةَ فقال له: ألم يَبلُغني أنك جالست محمدًا وسمعتَ منه؟! وجهي من وجهك حرامٌ أن أكلمك -واستغلظَ من اليمين- إن أنت جلستَ إليه أو سمعتَ منه، أو لم تأته فتتفُل في وجهه.

ففعل ذلك عدوُّ الله عقبةُ بن أبي معيط لعنه الله، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان:٢٧] إلى قوله تعالى: ﴿لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٩].

ومشى أبيُّ بن خلف إلى رسولِ الله ﷺ بعَظمٍ بالٍ قد ارْفَتَّ[١]، فقال: يا محمد، أنت تزعُمُ أن الله يبعثُ هذا بعد ما أرَمَّ[٢]، ثم فتَّه في يده، ثم نفخَه في الريح نحو رسولِ الله ﷺ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**نعم، أنا أقولُ ذلك، يبعثه اللهُ وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يُدخِلُك اللهُ النارَ**»، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس:٧٨-٨٠].

١٤- ذِكرُ من عادَ من أرضِ الحبشةِ لما بلغهُم إسلامُ أهل مكةَ

قال ابنُ إسحاقَ: وبلغ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلامُ أهل مكَّةَ؛ فأقبلوا لِما بلغهم من ذلك، حتى إذا دنوا من مكَّةَ، بلغهم أن ما كانوا تحَدَّثوا به من إسلامِ أهل مكةَ كان باطلًا، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجِوارٍ أو مُستخفيًا.

فجميعُ من قدِم عليه مكةَ من أصحابِه من أرضِ الحبشةِ ثلاثة وثلاثون رجلًا.

---

(١) ارفَتَّ: تحطم وتكسر.

(٢) أَرَمَّ: بلي.

١٥- حديثُ نقضِ الصحيفةِ

قال ابنُ إسحاقَ: قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريشٌ على بني هاشمٍ وبني المطلب نفرٌ من قريش، ولم يُبلِ فيها أحدٌ أحسنَ من بلاءِ هشام بن عمرو؛ وذلك أنه كان ابنَ أخي نضلةَ بن هاشم بن عبد منافٍ لأمِّه، فكان هشامٌ لبني هاشمٍ واصلًا، وكان ذا شرفٍ في قومه، فكان -فيما بلغني- يأتي بالبعيرِ، وبنو هاشمٍ وبنو المطلبِ في الشِّعب ليلًا، قد أوقره طعامًا، حتى إذا أقبلَ به فمَ الشِّعب خلع خِطامه من رأسه، ثم ضرب على جَنبه، فيدخلُ الشعبَ عليهم، ثم يأتي به قد أوقرَه بَزًّا[(١)]، فيفعل به مثل ذلك.

قال ابنُ إسحاقَ: ثم إنه مشى إلى زهيرِ بن أبي أميةَ، وكانت أمُّه عاتكةَ بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أقَد رضيت أن تأكلَ الطعامَ، وتلبس الثيابَ، وتنكح النساءَ، وأخوالُك حيث قد علمتَ، لا يُباعون ولا يُبتاعُ منهم، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم؟! أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشامٍ، ثم دعوته إلى مثلِ ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبدًا.

قال: ويحك يا هشامُ! فماذا أصنعُ؟ إنما أنا رجلٌ واحدٌ، والله لو كان معي رجلٌ آخرُ لقمت في نقضها حتى أنقضَها.

قال: قد وجدت رجلًا.

قال: فمن هو؟

---

(١) البَزُّ: الثياب.

قال: أنا.

قال له زهيرٌ: أبغِنا رجلا ثالثًا.

فذهب إلى المُطعِم بن عدي، فقال له: يا مُطعم أقد رضيتَ أن يَهلك بطنانِ من بَني عبد مَنافٍ، وأنت شاهدٌ على ذلك، موافقٌ لقريشٍ فيه؟! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنَّهم إليها منكم سراعًا.

قال: ويحك! فماذا أصنعُ؟ إنما أنا رجل واحدٌ.

قال: قد وجدت ثانيًا.

قال: من هو؟

قال: أنا.

قال: أبغنا ثالثًا.

قال: قد فعلت.

قال: من هو؟

قال: زهيرُ بن أبي أمية.

قال: أبغنا رابعًا.

فذهب إلى أبي البَختريِّ بن هشام، فقال له نحوًا مما قال للمُطعم بن عديٍّ.

فقال: وهل من أحد يُعين على هذا؟

قال: نعم.

قال: من هو؟

قال: زهيرُ ابن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا معك.

قال: أبغنا خامسًا.

فذهب إلى زمعةَ بن الأسودِ، فكلَّمه، وذكر له قرابتهم وحقَّهم.

فقال له: وهل على هذا الأمرِ الذي تدعوني إليه من أحدٍ؟

قال: نعم، ثم سمَّى له القومَ.

فاتَّعَدوا خطمَ الحَجون ليلًا بأعلى مكةَ، فاجتمعوا هنالك، فأجمعوا أمرَهم وتعاقدوا على القيامِ في الصحيفةِ حتى ينقضوها.

وقال زهيرٌ: أنا أبدؤكم، فأكون أوَّلَ من يتكلمُ.

فلما أصبحوا غدَوا إلى أنديتهم، وغدا زهيرُ بن أبي أمية عليه حُلَّةٌ، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أقبل على الناسِ فقال: يا أهل مكةَ، أنأكلُ الطعامَ ونلبَس الثيابَ، وبنو هاشمٍ هلكَى لا يُباع ولا يُبتاع منهم، والله لا أقعُد حتى تُشقَّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل: وكان في ناحية المسجدِ: كذبت والله لا تُشقُّ.

قال زمعةُ بن الأسود: أنت والله أكذبُ، ما رضينا كتابَها حيث كُتبت.

قال أبو البَختري: صدق زمعةُ، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نُقرُّ به.

قال المطعم بن عدي: صدقتُما وكذب من قال غيرَ ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كُتب فيها، وقال هشامُ بن عمرو نحوًا من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قُضي بليلٍ، تُشُووِرَ فيه بغير هذا المكان.

قال: وأبو طالبٍ جالس في ناحيةِ المسجد، فقام المطعمُ إلى الصحيفة ليشقَّها، فوجد الأَرَضَةَ قد أكلتها، إلا «**باسمِك اللهمَّ**».

١٦- ذِكرُ الإسراءِ والمِعراجِ

قال ابنُ هشامٍ: عن محمد بن إسحاقَ المُطَّلبيِّ قال: ثم أسريَ برسولِ الله ﷺ من المسجِدِ الحرامِ إلى المسجد الأقصى، وهو بيتُ المقدسِ من إيلياء، وقد فشا الإسلامُ بمكةَ في قريشٍ، وفي القبائل كلِّها.

قال ابنُ إسحاقَ: وكان في مَسراه، وما ذُكِرَ عنه بلاءٌ وتمحيصٌ، وأمرٌ من أمر الله عَزَّوَجَلَّ في قدرته وسُلطانه، فيه عبرة لأولي الألباب، وهدًى ورحمة وثباتٌ لمن آمن بالله وصدَّق، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقينٍ، فأسرَى به سبحانه وتعالى كيفَ شاءَ، ليُرِيَه من آياتِه ما أرادَ، حتى عاين ما عاين من أمرِه وسُلطانه العظيم، وقدرته التي يَصنع بها ما يريدُ.

قال ابنُ إسحاقَ: حُدِّثت عن الحسنِ أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بينما أنا نائمٌ في الحِجر، إذ جاءني جبريلُ، فهمزني بقدَمه، فجلستُ فلم أرَ شيئًا، فعدت إلى مَضجعي، فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمِه، فجلست فلم أرَ شيئًا، فعُدت إلى مَضجعي، فجاءني الثالثةَ فهمزني بقدمِه، فجلست، فأخذ بعَضُديَّ، فقمت معه، فخرج بي إلى باب المسجدِ، فإذا دابةٌ أبيضُ، بين البغلِ والحمارِ، في فخِذيه جناحان**

يحفزُ بهما رِجليه، يضعُ يدَه في مُنتهى طرْفه، فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتُني ولا أفوته».

فمضى رسولُ الله ﷺ، ومضى جبريلُ عليه السلامُ معه، حتى انتهى به إلى بيتِ المقدسِ، فوجد فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياءِ، فأمَّهم رسولُ الله ﷺ فصلَّى بهم، ثم أُتي بإناءين: في أحدِهما خمرٌ، وفي الآخر لبنٌ.

قال: فأخذ رسولُ الله ﷺ إناءَ اللبنِ فشرِب منه، وترك إناءَ الخمر.

قال: فقال له جبريلُ: هُديتَ للفطرة، وهَدِيَت أمَّتك يا محمدُ، وحُرِّمت عليكم الخمرُ.

ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى مكَّةَ، فلما أصبحَ غدَا على قريشٍ فأخبرهم الخبرَ.

فقال أكثر الناسِ: هذا والله الإمْرُ[1] البيِّنُ، والله إن العيرَ لتُطردُ شهرًا من مكةَ إلى الشأم مُدبرةً، وشهرًا مُقبلةً، أفيذهبُ ذلك محمدٌ في ليلةٍ واحدةٍ، ويرجع إلى مكةَ؟!

قال: فارتد كثيرٌ ممن كان أسلمَ، وذهب الناسُ إلى أبي بكرٍ، فقالوا له: هل لك يا أبا بكرٍ في صاحبِك، يزعمُ أنه قد جاء هذه الليلةَ بيتَ المقدسِ وصلى فيه ورجعَ إلى مكَّةَ.

---

(١) الإمْر: العجب المنكر.

قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تَكذِبون عليه. فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجدِ يحدث به الناسَ.

فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدقَ، فما يُعجبُكُم من ذلك؟! فوالله إنه ليخبرني أن الخبرَ ليأتيه من الله من السماءِ إلى الأرضِ في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ فأُصدِّقه، فهذا أبعدُ مما تَعجبون منه.

ثم أقبلَ حتى انتهى إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله، أحدَّثت هؤلاء القومَ أنك جئت بيتَ المقدسِ هذه الليلةَ؟

قال: «**نعم**».

قال: يا نبيَّ الله، فصِفه لي، فإني قد جئته.

قال الحسنُ: فقال رسول الله ﷺ: «**فرُفِعَ لي حتى نظرتُ إليه**»، فجعل رسولُ الله ﷺ يَصفُه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقتَ، أشهدُ أنك رسولُ الله، كلَّما وصف له منه شيئًا، قال: صدقت، أشهد أنك رسولُ الله، حتى إذا انتهى، قال رسولُ الله ﷺ لأبي بكر: «**وأنت يا أبا بكر الصديقُ**»، فيومئذٍ سمَّاه الصديقَ.

قال الحسنُ: وأنزل اللهُ تعالى فيمن ارتدَّ عن إسلامِه لذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: ٦٠].

١٧- قصةُ المِعراجِ

قال ابنُ إسحاقَ: وحدثني من لا أتَّهم عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لما فرغتُ مما كان في بيتِ المَقدسِ، أُتيَ بالمِعراجِ، ولم أر شيئًا قطُّ أحسنَ منه، وهو الذي يَمُدُّ إليه ميِّتُكم عينيه إذا حضر، فأصعدني صاحبي فيه، حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماءِ، يقالُ له: بابُ الحفَظة، عليه مَلكٌ من الملائكةِ، يُقال له: إسماعيلُ، تحت يديه اثنا عشَر ألفَ ملكٍ، تحت يديْ كُلِ ملك منهم اثنا عشر ألفَ ملك».

قال: يقول رسولُ الله ﷺ حين حدَّث بهذا الحديث: «﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثر:٣١]، فلما دَخل بي، قال: من هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا محمدٌ. قال: أوقد بُعث؟ قال: نعم. قال: فدعا لي بِخيرٍ».

قال أبو سعيد الخدريُّ في حديثه: إن رسولَ الله ﷺ قال: «لما دخلتُ السماءَ الدنيا، رأيت بها رجلا جالسًا تُعرض عليه أرواحُ بني آدمَ، فيقول لبعضها إذا عُرضت عليه خيرًا ويُسرُّ به، ويقول: روحٌ طيبة خرجت من جسدٍ طيِّبٍ، ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه: أُفٍّ، ويعبَس بوجهه ويقول: روحٌ خبيثةٌ خرجت من جسد خبيثٍ».

قال: «قلت: من هذا يا جبريلُ؟

قال: هذا أبوك آدمُ، تُعرض عليه أرواح ذُريَّته، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سُرَّ بها، وقال: روح طيبةٌ خرجت من جسدٍ طيب، وإذا مرَّت به روحُ الكافر منهم أففَّ منها وكرهها، وساءَ ذلك، وقال: روحٌ خبيثة خرجت من جسدٍ خبيثٍ».

قال: «ثم رأيت رجالًا لهم مَشافرُ كمشافرِ الإبل[١]، في أيديهم قِطَعٌ من نار كالأَفْهارِ[٢]، يَقذِفونها في أفواهِهم، فتَخرجُ من أدبارِهم. فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريلُ؟

قال: هؤلاء أكَلَة أموال اليتامى ظُلْمًا».

قال: «ثم رأيت رجالًا لهم بطونٌ لم أر مثلها قطُّ بسبيل آل فِرعون، يمرُّون عليهم كالإبل المَهْيُومةِ[٣] حين يُعرضون على النارِ، يَطؤونهم لا يَقدرون على أن يتحوَّلوا من مكانِهم ذلك».

قال: «قلت: من هؤلاءِ يا جبريلُ؟

قال: هؤلاء أكلَةُ الربا».

قال: «ثم رأيتُ رجالًا بين أيديهم لحمٌ ثمينٌ طيبٌ، إلى جنبه لحم غثٌّ مُنتنٌ، يأكلون من الغثِّ المنتن، ويَتركون السمينَ الطيب».

قال: «قلت: من هؤلاءِ يا جبريلُ؟

قال: هؤلاء الذين يَتركون ما أحلَّ الله لهم من النساءِ، ويذهبون إلى ما حرَّم الله عليهم منهنَّ».

قال: «ثم رأيتُ نساء مُعلَّقات بثُديِّهنَّ، فقلت: من هؤلاء يا جبريلُ؟

قال: هؤلاءِ اللاتي أَدخلن على الرجالِ مَن ليس من أولادِهم».

---

(١) مِشْفَر الإبل: شفته.

(٢) الأَفْهار: جمع فِهْر وهو: الحجر قدر ملء الكف.

(٣) الإبل المَهْيُومَة: العِطاش منها.

قال: «**ثم أصعدني إلى السماءِ الثانيةِ، فإذا فيها ابنا الخالةِ: عيسى ابنُ مريمَ، ويحيى بنُ زكريا**».

قال: «**ثم أصعَدني إلى السماء الثالثةِ، فإذا فيها رجلٌ صورتُه كصورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ**».

قال: «**قلت: من هذا يا جبريلُ؟**

قال: هذا أخوك يُوسفُ بن يعقوبَ».

قال: «**ثم أصعدني إلى السماءِ الرابعةِ، فإذا فيها رجلٌ فسألته: من هو؟**

قال: هذا إدريسُ».

قال: يقولُ رسولُ الله ﷺ: «﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم:٥٧]».

قال: «**ثم أصعدني إلى السماءِ الخامسةِ، فإذا فيها كهلٌ أبيضُ الرأس واللِّحية، عظيمَ العُثْنُونِ**[1]، **لم أر كهلًا أجملَ منه**»، قال: «**قلت: من هذا يا جبريلُ؟**

قال: هذا المُحبب في قومه هارونُ بن عِمران».

قال: «**ثم أصعدني إلى السماءِ السادسةِ، فإذا فيها رجلٌ آدَمُ**[2] **طويلٌ أقنى**[3]**، كأنه من رجال شَنوءةَ، فقلت له: من هذا يا جبريلُ؟**

قال: هذا أخوك مُوسى بن عِمران.

---

(١) عظيمَ العُثْنُونِ: عظيم اللحية.

(٢) الآدَمُ: الأسمر.

(٣) القَنَا: ارتفاع في أعلى الأنف بين القصبة والمارن، من غير قبح.

ثم أصعدني إلى السماءِ السابعَةِ، فإذا فيها كَهلٌ جالسٌ على كرسيٍّ إلى باب البيت المَعمورِ، يدخله كُلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ، لا يرجعون فيه إلى يومِ القيامة، لم أر رجلًا أشبَه بصاحِبِكم، ولا صاحبُكم أشبَه به منه».

قال: «**قلت: من هذا يا جبريلُ؟**

قال: هذا أبوك إبراهيمُ».

قال: «**ثم دَخل بي الجَنَّة، فرأيت فيها جاريةً لعْساءَ**[١]**، فسألتها: لمن أنتِ؟ وقد أعجبَتني حين رأيتُها، فقالت: لزيد بنِ حارثةَ**»، فبشَّرَ بها رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثةَ.

قال ابنُ إسحاقَ: ومن حديث عبدِ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ -فيما بلغني-: أنَّ جبريلَ لم يصعد به إلى سماءٍ من السماوات إلا قالوا له حين يَستأذنُ في دخولِها: مَن هذا يا جبريلُ؟ فيقول: محمدٌ. فيقولون: أوَقَد بُعث؟ فيقول: نعم. فيقولون: حيَّاه الله من أخٍ وصاحب! حتى انتهى به إلى السماءِ السابعةِ، ثم انتهى به إلى ربِّه، ففرض عليه خمسين صلاةً في كُلِّ يوم.

قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**فأقبلت راجعًا، فلما مررتُ بموسى بن عِمران -ونعمَ الصاحبُ كان لكم- سألني كم فُرِضَ عليك من الصلاة؟**

فقلت: خمسين صلاةً كلَّ يوم.

(١) اللَّعْس: لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السمرة قليلًا.

فقال: إن الصلاة ثقيلةٌ، وإن أمتك ضعيفةٌ، فارجع إلى ربكَ، فاسأله أن يُخفِّف عنك وعن أُمَّتك.

فرجعتُ فسألت ربي أن يُخفِّف عني وعن أمتي، فوضعَ عني عشرًا.

ثم انصرفتُ فمررتُ على موسى فقال لي مثلَ ذلك، فرجعت فسألت ربِّي، فوضع عني عشرًا.

ثم انصرفت فمررتُ على موسى، فقال لي مثلَ ذلك، فرجعت فسألته فوضعَ عنِّي عشرًا.

ثم لم يزل يقولُ لي مثل ذلك، كلما رجعتُ إليه، قال: فارجع فاسأل، حتى انتهيتُ إلى أن وُضعَ ذلك عني، إلا خمسَ صلوات في كلِّ يوم وليلةٍ.

ثم رجعتُ إلى موسى، فقال لي مثلَ ذلك، فقلت: قد راجعتُ ربي وسألتُه، حتى استحييتُ منه، فما أنا بفاعلٍ، فمن أدَّاهنَّ منكم إيمانًا بهنَّ، واحتسابًا لهن، كان له أجرُ خمسين صلاةً مكتوبة».

١٨- كفايةُ الله أمرَ المُستهزِئين

قال ابنُ إسحاقَ: فأقام رسولُ الله ﷺ على أمرِ الله تعالى صابرًا مُحتسبًا، مُؤديًا إلى قومه النصيحةَ على ما يلقى منهم من التكذيبِ والأذى والاستهزاءِ.

وكان عظماءُ المُستهزئين خمسةَ نفرٍ من قومِهم، وكانوا ذوي أسنانٍ وشرفٍ في قومهم: الأسودُ بنُ المطلبِ، وكان رسولُ الله ﷺ -فيما بلغني- قد دعا عليه لِما كان يبلُغه من أذاه واستهزائِه به، فقال: «**اللهمَّ أعمِ بصرَه، وأثكِله ولَده**».

والأسودُ بن عبد يغوثَ، والوليدُ بن المغيرةِ، والعاصُ بن وائل، والحارثُ بن الطُّلاطلةِ.

فلما تمادوا في الشرِّ، وأكثروا برسولِ الله ﷺ الاستهزاءَ، أنزلَ اللهُ تعالى عليه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الحِجر:٩٤-٩٦].

١٩- وفاةُ أبي طالبٍ وخديجة

قال ابنُ إسحاقَ: ثم إن خديجةَ بنت خويلدٍ وأبا طالب هلكا في عامٍ واحدٍ، فتتابعت على رسولِ الله ﷺ المصائبُ بهُلك خديجةَ -وكانت له وزيرَ صدقٍ على الإسلام يشكو إليها- وبهُلك عمِّه أبي طالب، وكان له عضُدًا وحرزًا في أمره، ومَنعةً وناصرًا على قومه، وذلك قبل مهاجرِه إلى المدينة بثلاث سنين.

فلما هلكَ أبو طالب نالت قريشٌ من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمعُ به في حياةِ أبي طالب.

قال ابنُ إسحاق: ولما اشتكى أبو طالبٍ، وبلغ قريشًا ثقله، قالت قريشٌ بعضُها لبعض: إن حمزةَ وعمرَ قد أسلما، وقد فشا أمرُ محمدٍ في قبائلِ قريشٍ كلِّها، فانطلِقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخُذْ لنا على ابنِ أخيه، وليعطِه منا، والله ما نأمنُ أن يبتزونا أمرَنا.

قال ابنُ إسحاقَ: عن ابن عباس قال: مشوا إلى أبي طالب فكلَّموه، وهم أشرافُ قومه: عتبةُ بن ربيعةَ، وشيبةُ بن ربيعةَ، وأبو جهلِ بنُ هشام، وأميةُ بن خلف، وأبو سفيانَ بنُ حرب، في رجال من أشرافِهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك

منا حيثُ قد علمتَ، وقد حضرك ما ترى، وتَخوَّفنا عليك، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابنِ أخيك، فادعُه؛ فخُذ له منا، وخذْ لنا منه، ليكفَّ عنا، ونَكفَّ عنه، وليدعْنا ودينَنا، وندَعْه ودينَه.

فبعث إليه أبو طالبٍ، فجاءه، فقال: يا ابنَ أخي: هؤلاءِ أشرافُ قومك، قد اجتمعوا لك، ليُعطوك، وليأخُذوا منك.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**نعم، كلمةٌ واحدةٌ تُعطونيها تَملكون بها العربَ، وتَدين لكم بها العجمُ**».

قال: فقال أبو جهلٍ: نعم وأبيك، وعشرُ كلمات.

قال: تقولون: «**لا إله إلا الله، وتَخلعون ما تَعبدون من دونِه**».

قال: فصفَّقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتُريد يا محمدُ أن تجعلَ الآلهةَ إلهًا واحدًا، إنَّ أمرك لعجبٌ!

قال: ثم قال بعضُهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجلُ بمُعطيكم شيئًا مما تُريدون، فانطلِقوا وامضوا على دين آبائِكم، حتى يحكمَ الله بينكم وبينه.

قال: ثم تَفَرَّقوا.

فقال أبو طالب لرسولِ الله ﷺ: والله يا ابنَ أخي، ما رأيتُك سألتهم شَطَطًا.

قال: فلما قالها أبو طالب طمِع رسولُ الله ﷺ في إسلامِه، فجعل يقولُ له: «**أي عمِّ، فأنت، فقُلها أستحلُّ لك بها الشفاعةَ يومَ القيامة**».

قال: فلما رأى حِرصَ رسولِ الله ﷺ عليه، قال: يا ابنَ أخي، والله لولا مخافةُ السُّبَّةِ عليك وعلى بَني أبيك من بعدي، وأن تَظُنَّ قريشٌ أني إنما قلتها جزعًا من الموتِ لقلتُها، لا أقولها إلا لأسرُّك بها.

قال: فلما تقاربَ من أبي طالبٍ الموتُ قال: نظر العباسُ إليه يُحرِّك شفَتيه، قال: فأصغى إليه بأذُنه، قال: فقال يا ابنَ أخي، والله لقد قال أخي الكلمةَ التي أمرتَه أن يقولها.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «لم أسمعْ»، ثم هلك أبو طالبٍ.

٢٠- سعي الرسولِ إلى ثقيفٍ يطلب النُّصرةَ

قال ابنُ إسحاقَ: ولما هَلكَ أبو طالب نالت قريشٌ من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنالُ منه في حياةِ عمِّه أبي طالبٍ، فخرج رسولُ الله ﷺ إلى الطائفِ، يلتمسُ النُّصرةَ من ثقيفٍ، والمَنعةَ بهم من قومِه، ورجاءَ أن يقبلوا منه ما جاءَهم به من الله عَزَّوَجَلَّ، فخرج إليهم وحدَه.

قال ابنُ إسحاقَ: عن محمدِ بن كعبٍ القُرظيِّ قال: لما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى الطائفِ، عمد إلى نفرٍ من ثقيف، هم يومئذٍ سادةُ ثقيفٍ وأشرافُهم، وهم إخوةٌ ثلاثةٌ: عبدُ ياليل بنُ عمرو، ومسعودٌ، وحبيبٌ، وعند أحدِهم امرأةٌ من قريشٍ من بني جمح، فجلس إليهم رسولُ الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلَّمهم بما جاءَهم له من نُصرتِه على الإسلامِ، والقيامِ معه على مَن خالفَه من قومه.

فقال له أحدُهم: هو يَمْرُط[1] ثياب الكعبةِ إن كان اللهُ أرسلَك.

(١) يَمْرُط: يمزق.

وقال الآخرُ: أما وجدَ الله أحدًا يُرسله غيرَك!

وقال الثالثُ: والله لا أكلمك أبدًا، لئن كنت رسولًا من الله كما تقول، لأنت أعظمُ خطرًا من أن أردَّ عليك الكلامَ، ولئن كنت تَكذبُ على الله، ما ينبغي لي أن أكلِّمك.

فقام رسولُ الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خيرِ ثقيفٍ، وقد قال لهم -فيما ذكر لي-: «**إذا فعلتم ما فعلتُم فاكتموا عنِّي**».

وكره رسولُ الله ﷺ أن يَبلُغ قومَه عنه، فيُذْئِرُهم ذلك عليه(١).

فلم يَفعلوا، وأغرَوا به سُفهاءَهم وعبيدَهم، يسبُّونه ويصيحون به، حتى اجتمعَ عليه الناسُ، وألجؤوه إلى حائطٍ لعُتبةَ بن ربيعةَ وشيبةَ بن ربيعةَ وهما فيه، ورجع عنه من سُفهاءِ ثقيفٍ مَن كان يتبعه، فعمِد إلى ظلِّ حبَلة من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعةَ ينظران إليه، ويَريان ما لقِي من سُفهاءِ أهل الطائفِ، وقد لقي رسولُ الله ﷺ -فيما ذُكر لي- المرأةَ التي من بني جُمَحٍ فقال لها: «**ماذا لقينا من أحمائِك؟**»

فلما اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ قال -فيما ذُكر لي-: «**اللهم إليك أشكو ضَعفَ قوتي، وقِلَّةَ حيلتي، وهَواني على الناس، يا أرحمَ الراحمين، أنت ربُّ المُستضعفين، وأنت ربي، إلى مَن تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتجهَّمُني؟ أم إلى عدوٍّ ملَّكته أمري؟ إن لم يكُن بك عليَّ غضبٌ فلا أُبالي، ولكنَّ عافيتَك هي أوسعُ لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظُّلُماتُ، وصلحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبَك، أو يحلَّ عليَّ سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوَّةَ إلا بك**».

---

(١) يُذْئِرُهم ذلك عليه: يريد يحرش بينهم.

قال: فلما رآه ابنا ربيعةَ: عتبةُ وشيبةُ وما لقي؛ تحرَّكت له رحمُهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًّا، يُقال له: عدَّاس، فقالا له: خُذ قِطفًا من هذا العنبِ، فضعه في هذا الطَّبق، ثم اذهبْ به إلى ذلك الرجلِ، فقلْ له يأكل منه.

ففعل عدَّاس، ثم أقبلَ به حتى وضعَه بين يدي رسولِ الله ﷺ، ثم قال له: كُلْ، فلما وضعَ رسولُ الله ﷺ فيه يدَه قال: «**باسم الله**» ثم أكل.

فنظر عدَّاس في وجهِه، ثم قال: والله إن هذا الكلامَ ما يقوله أهلُ هذه البلادِ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**ومن أهلِ أيِّ البلاد أنت يا عَدَّاسُ؟ وما دينُك؟**».

قال: نصرانيٌّ، وأنا رجل من أهل نِينَوى.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**من قريةِ الرَّجلِ الصالح يونسَ بن متَّى**».

فقال له عداسٌ: وما يُدريك ما يونُس بن متَّى؟

فقال رسولُ الله ﷺ: «**ذاك أخي، كان نبيًّا وأنا نبيٌّ**».

فأكبَّ عداسٌ على رسول الله ﷺ يقبِّل رأسَه ويديه وقدميه.

قال: يقول ابنا ربيعةَ أحدُهما لصاحبه: أمَّا غلامُك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عدَّاسٌ، قالا له: ويلك يا عداسُ! ما لك تُقبِّلُ رأسَ هذا الرجلِ ويديه وقدميه؟

قال: يا سيِّدي، ما في الأرض شيءٌ خيرٌ من هذا، لقد أخبرَني بأمرٍ ما يعلمُه إلا نبيٌّ، قالا له: ويحَك يا عداسُ، لا يصرفنَّك عن دينِك، فإن دينك خيرٌ من دينه.

٢١- أمرُ الجنِّ الذين استمَعوا له وآمنوا به

قال: ثم إن رسولَ الله ﷺ انصرفَ من الطَّائف راجعًا إلى مكةَ حين يئسَ من خيرِ ثقيفٍ، حتى إذا كان بنخلةَ قام من جوفِ الليل يُصلِّي، فمر به النفرُ من الجنِّ الذين ذَكَرَهم اللهُ تبارك وتعالى، وهم -فيما ذُكر لي- سبعةُ نفرٍ من جن أهل نَصِيبِينَ، فاستَمعوا له؛ فلما فرغَ من صلاته ولَّوا إلى قومِهم مُنذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا.

فقَصَّ الله خبرَهم عليه ﷺ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١] وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن:١] إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة.

٢٢- عَرضُ رسولِ الله ﷺ نفسَه على القبائلِ

قال ابنُ إسحاقَ: ثم قدِم رسولُ الله ﷺ مكَّةَ، وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافِهِ وفراقِ دينه، إلا قليلًا مُستضعفين ممن آمن به.

فكان رسولُ الله ﷺ يَعرِض نفسَه في المواسِم إذا كانت على قبائلِ العربِ يدعوهم إلى الله، ويُخبرهم أنه نبيٌّ مرسلٌ، ويسألهم أن يصدقوه ويَمنعوه حتى يبيِّن لهم اللهُ ما بعثه به.

قال ابنُ إسحاقَ: عن ربيعةَ بن عبَّادٍ قال: إني لغلامٌ شابٌّ مع أبي بمنًى ورسولُ الله ﷺ يقفُ على منازلِ القبائلِ من العربِ، فيقول: «**يا بني فلانٍ، إني رسولُ الله إليكم، يأمرُكم أن تَعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تَخلعوا ما**

تَعبدون من دونِه من هذه الأندادِ، وأن تُؤمنوا بي، وتُصدِّقوا بي، وتمنعوني، حتى أبيِّنَ عن الله ما بعثني به».

قال: وخلفَه رجلٌ أحولُ وضيءٌ، له غديرتانِ، عليه حُلَّةٌ عدَنية، فإذا فرغَ رسولُ الله ﷺ من قولِه وما دعا إليه، قال ذلك الرجلُ: يا بَني فلانٍ، إن هذا إنما يَدعوكم أن تَسلخوا اللاتَ والعُزَّى من أعناقِكم، وحُلفاءكم من الحيِّ من بني مالك بن أُقَيش إلى ما جاء به من البِدعة والضلالةِ؛ فلا تُطيعوه ولا تَسمعوا منه.

قال: فقلتُ لأبي: يا أبتِ، من هذا الذي يتبعُه ويردُّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمُّه عبدُ العُزَّى بن عبد المطلب أبو لهبٍ.

[ج - بيعة العقبة وبدء الهجرة]

١- بَدءُ إسلامِ الأنصارِ

قال ابنُ إسحاقَ: فلما أراد اللهُ عَزَّوَجَلَّ إظهارَ دينه، وإعزازَ نبيِّه ﷺ، وإنجازَ مَوعِدِه له، خرجَ رسولُ الله ﷺ في الموسمِ الذي لقيَه فيه النفرُ من الأنصارِ، فعرض نفسَه على قبائلِ العربِ، كما كان يصنعُ في كُلِّ موسم.

فبينما هو عند العَقبة لقيَ رهطًا من الخزرجِ أرادَ الله بهم خيرًا.

قال لهم: «**من أنتم؟**» قالوا: نفرٌ من الخزرجِ.

قال: «**أمن موالي يهود؟**».

قالوا: نعم.

قال: «**أفلا تَجلسون أكلِّمُكم؟**».

قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وعرضَ عليهم الإسلامَ، وتلا عليهم القرآنَ.

قال: وكان مما صنعَ اللهُ بهم في الإسلامِ، أن يهود كانوا معهم في بلادِهم، وكانوا أهلَ كتابٍ وعِلم، وكانوا هم أهلَ شركٍ وأصحابَ أوثانٍ، وكانوا قد غزوهم ببلادِهم، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا لهم: إن نبيًّا مبعوثٌ الآن، قد أظلَّ زمانُه، نتبعه فنقتُلكم معه قتل عادٍ وإرم.

فلما كلم رسولُ الله ﷺ أولئك النفرَ، ودعاهم إلى الله، قال بعضُهم لبعض: يا قومُ، تعلَّموا والله، إنه للنبيُّ الذي توعَّدكم به يهودُ، فلا تسبقنَّكم إليه؛ فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدَّقوه وقبِلوا منه ما عرضَ عليهم من الإسلامِ.

وقالوا: إنا قد تركنا قومَنا، ولا قومَ بينهم من العداوةِ والشرِّ ما بينَهم، فعسى أن يَجمعَهم الله بك فسنَقدَمُ عليهم، فندعوهم إلى أمرِك، ونَعرِضُ عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن جمعَهم اللهُ عليه فلا رجلَ أعزَّ منك.

ثم انصرفوا عن رسولِ الله ﷺ راجعينَ إلى بلادِهم، وقد آمنوا وصدَّقوا.

فلما قدِموا المدينةَ إلى قومِهم ذكروا لهم رسولَ الله ﷺ ودعَوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبقَ دارٌ من دُور الأنصارِ إلا وفيها ذكرٌ من رسولِ الله ﷺ.

٢- العَقبةُ الأولى ومُصعبُ بن عُميرٍ

حتى إذا كان العامُ المُقبلُ وافى الموسمَ من الأنصارِ اثنا عشَر رجلًا، فلقوه بالعقبةِ، فبايعوا رسولَ الله ﷺ على بيعةِ النساءِ(١)، وذلك قبل أن تُفترَضَ عليهم الحربُ.

قال ابنُ إسحاقَ: عن عُبادةَ بن الصامتِ قال: كنت فيمن حضرَ العقبةَ الأولى، وكنا اثني عشَر رجلًا، فبايَعْنا رسولَ الله ﷺ على بيعةِ النساءِ، وذلك قبل أن تُفترَضَ الحربُ، على ألا نُشرك بالله شيئًا، ولا نَسرقَ، ولا نزني، ولا نَقتلَ أولادَنا، ولا نأتيَ ببُهتانٍ نفتريه من بين أيدينا وأرجُلنا، ولا نَعصيه في معروفٍ، فإن

(١) بيعة النساء: أي لا قتال فيها، وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن، فقال: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة:١٢].

وفَّيتم فلكُم الجنةُ، وإن غَشِيتم من ذلك شيئًا فأمرُكم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، إن شاء عذَّب وإن شاء غَفَرَ.

قال ابنُ إسحاقَ: فلما انصرفَ عنه القومُ، بعث رسولُ الله ﷺ معهم مصعبَ بنَ عميرٍ، وأمره أن يُقرئهم القرآنَ، ويُعلِّمهم الإسلامَ، ويُفقِّهَهُم في الدين، فكان يُسمى المقرئَ بالمدينة مصعب، وكان منزلُه على أسعدَ بن زُرارةَ.

٣- إسلامُ سعدِ بن مُعاذٍ وأسيدِ بن حُضيرٍ

قال ابنُ إسحاقَ: حدَّثني عُبيدُ الله بن المُغيرة وعبدُ الله بن أبي بكرٍ: أن أسعدَ بنَ زرارةَ خرج بمصعبِ بن عُمير يريد به دارَ بني عبد الأشهلِ، ودارَ بني ظَفَر، وكان سعدُ بن معاذ ابنَ خالة أسعدَ بن زُرارةَ، فدخل به حائطًا من حوائط بني ظَفَر على بئرٍ يُقال لها: بئر مَرقٍ، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجالٌ ممن أسلمَ، وسعدُ بن معاذٍ، وأُسيدُ بن حُضير، يومئذ سيدَا قومِهما من بني عبد الأشهلِ، وكلاهُما مُشركٌ على دين قومِه، فلما سمعا به قال سعدُ بن مُعاذ لأسيد بن حُضيرٍ: لا أبا لك، انطلقْ إلى هذين الرجلين اللذينِ قد أتيا دارينا ليُسفِّها ضُعفاءَنا؛ فازجُرهما وانههما عن أن يأتيا دارَينا، فإنَّه لولا أن أسعدَ بن زرارةَ مني حيث قد علمتَ كفيتُك ذلك، هو ابنُ خالتي، ولا أجد عليه مقدَّمًا.

قال: فأخذ أسيدُ بن حضير حربَته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعدُ بن زرارةَ، قال لمصعبِ بن عميرٍ: هذا سيدُ قومِه قد جاءك، فاصدُق اللهَ فيه، قال مصعبٌ: إن يجلس أكلِّمْه.

قال: فوقف عليهما متشتمًا.

فقال: ما جاء بكما إلينا، تُسفِّهان ضُعفاءَنا؟! اعتزِلانا إن كانت لكما بأنفُسِكما حاجةٌ، فقال له مصعبٌ: أو تجلسُ فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلتَه، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟

قال: أنصفت، ثم ركَز حربَته وجلس إليهما، فكلَّمه مصعبٌ بالإسلامِ، وقرأ عليه القرآنَ، فقالا -فيما يذكر عنهما-: والله لعَرفنا في وجهِه الإسلامَ قبل أن يتكلَّم في إشراقِه وتسهُّله.

ثم قال: ما أحسن هذا الكلامَ وأجمَله! كيف تَصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدينِ؟

قالا له: تَغتسلُ فتطهَّر، وتُطهِّر ثوبيك، ثم تَشهَدُ شهادةَ الحق، ثم تُصلي.

فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه، وتَشهَّد شهادةَ الحق، ثم قام فركع ركعتينِ، ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتَّبعكما لم يتخلَّف عنه أحدٌ من قومه، وسأرسلُه إليكما الآنَ، سعدَ بن معاذ، ثم أخذ حربَته وانصرف إلى سعدٍ وقومِه وهم جلوسٌ في ناديهم، فلما نظر إليه سعدُ بن معاذ مُقبلًا قال: أحلفُ بالله لقد جاءكم أسيدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عِندكم، فلما وقفَ على النادي قال له سعدٌ: ما فعلتَ؟

قال: كلَّمت الرجلينِ، فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتُهما، فقالا: نفعلُ ما أحببتَ، وقد حُدِّثت أن بني حارثةَ قد خرجوا إلى أسعدَ بن زرارةَ ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابنُ خالتك، ليخفِروك.

قال: فقام سعدٌ مُغضبًا مبادرًا، تخوُّفًا للذي ذُكر له من بني حارثةَ، فأخذ الحربةَ من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعدٌ مطمئنين، عرف سعدٌ أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمعَ منهما، فوقف عليهما مُتشتِّمًا، ثم قال لأسعدَ بن زرارةَ: يا أبا أُمامةَ، أما والله، لولا ما بيني وبينك من القرابةِ ما رُمتَ هذا مني، أتغشانا في دارَيْنا بما نكرَه -وقد قال أسعدُ بنُ زرارةَ لمصعب بن عميرٍ: أيْ مصعبُ، جاءك والله سيدُ مَن وراءه من قومِه، إن يتَّبعك لا يتخلَّف عنك منهم اثنانِ- قال: فقالَ له مصعبٌ: أو تقعدُ فتسمع، فإن رضيتَ أمرًا ورغبت فيه قبِلته، وإن كرِهته عزلنا عنك ما تكرهُ؟

قال سعدٌ: أنصفتَ.

ثم ركَز الحربَة وجلس، فعرض عليه الإسلامَ، وقرأ عليه القرآنَ.

قالا: فعرَفنا والله في وجهِ الإسلامَ قبل أن يتكلَّم، لإشراقِه وتسهُّله.

ثم قال لهما: كيف تَصنعون إذا أنتم أسلمتُم ودخلتُم في هذا الدين؟

قالا: تَغتسلُ فتَطهَّر وتُطهِّر ثوبيك، ثم تَشهدُ شهادةَ الحقِّ، ثم تصلي ركعتين.

قال: فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه، وتشهَّد شهادةَ الحقِّ، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبلَ عامدًا إلى نادي قومِه ومعه أسيدُ بن حضيرٍ.

قال: فلما رآه قومه مُقبلًا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجهِ الذي ذهب به من عندِكم، فلما وقفَ عليهم قال: يا بني عبدِ الأشهل، كيف تعلمون أمرِي فيكم؟

قالوا: سيِّدُنا وأوصلنا وأفضلُنا رأيًا، وأيمننا نقيبةً.

قال: فإن كلامَ رجالِكم ونسائِكم عليَّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله وبرسولِه.

قالا: فوالله ما أمسى في دارِ بني عبدِ الأشهلِ رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلمًا ومسلمةً، ورجع أسعدُ ومصعبٌ إلى منزل أسعدَ بن زرارةَ، فأقام عنده يدعو الناسَ إلى الإسلامِ، حتى لم تبق دارٌ من دور الأنصارِ إلا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون.

٤- أمرُ العقبةِ الثانيةِ

قال ابنُ إسحاقَ: ثم إن مصعبَ بن عميرٍ رجع إلى مكَّةَ، وخرج من خرج من الأنصارِ من المسلمين إلى الموسمِ مع حُجاجِ قومهم من أهل الشركِ، حتى قدموا مكَّةَ، فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبةَ، من أوسطِ أيام التشريقِ، حين أرادَ الله بهم ما أرادَ من كرامتِه، والنصرِ لنبيِّه، وإعزازِ الإسلام وأهلِه، وإذلالِ الشرك وأهلِه.

قال ابنُ إسحاقَ: قال كعبٌ: فلما فرغنا من الحجِّ، وكانت الليلةُ التي واعدنا رسولَ الله ﷺ لها نِمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثُلثُ الليلِ خرجنا من رِحالنا لمعاد رسولِ الله ﷺ، نتسلَّلُ تسلُّلَ القَطا مُستخْفِين، حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبةِ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا، ومعنا امرأتانِ من نسائِنا.

قال: فاجتمعنا في الشِّعب ننتظرُ رسولَ الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه عمُّه العباسُ بنُ عبدِ المطلب، وهو يومئذٍ على دين قومِه، إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمرَ ابنِ أخيه ويتوثَّق له.

فلما جلسَ كان أوَّلَ متكلمٍ العباسُ بن عبد المطلبِ، فقال: يا معشرَ الخزرجِ – قال: وكانت العربُ إنما يُسمُّون هذا الحيَ من الأنصار: الخزرجَ، خزرجها وأوسَها-: إن محمدًا منا حيث قد علمتُم وقد منعناهُ من قومِنا، ممن هو على مثلِ رأينا فيه، فهو في عزٍّ من قومِه ومَنعةٍ في بلدِه، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم واللحوقَ بكم، فإن كنتم تَرون أنَّكم وافون له بما دعوتُموه إليه، ومانِعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمَّلتُم من ذلك.

وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذِلوه بعد الخروجِ به إليكم، فمِن الآن فدعوه؛ فإنه في عِزٍّ ومنعةٍ من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: قد سَمعنا ما قلتَ، فتكلمْ يا رسولَ الله، فخُذ لنفسِك ولربِّك ما أحببتَ.

قال: فتكلم رسولُ الله ﷺ، فتلا القرآنَ، ودعا إلى الله، ورغَّب في الإسلامِ، ثم قال: «**أبايعُكم على أن تمنعوني مما تمنعونَ منه نساءَكم وأبناءكم**».

قال: فأخذ البراءُ بن معرورٍ بيدِه، ثم قال: نعم، والذي بعثَك بالحقِّ نبيًّا، لنمنَعَنَّك مما نمنعُ منه أُزرَنا[(١)]، فبايِعنا يا رسولَ الله، فنحن والله أبناءُ الحروبِ، وأهلُ الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابرٍ.

قال: فاعترض القولَ -والبراءُ يكلِّم رسولَ الله ﷺ- أبو الهيثم بن التَّيِّهانِ، فقال: يا رسولَ الله، إن بينَنا وبين الرجالِ حِبالًا، وإنا قاطِعوها -يعني: اليهودَ- فهل عسيتَ إن نحن فعَلنا ذلك ثمَّ أظهَرَك اللهُ أن ترجِعَ إلى قومِك وتدَعَنا؟

(١) أُزرَنا: من الإزار، كناية عن النساء.

قال: فتبسم رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «**بل الدَّمَ الدَّمَ، والهدَمَ الهدَمَ، أنا منكم وأنتم منِّي، أحاربُ من حارَبتم، وأسالمُ من سالمتُم**».

قال: وقد كان قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أخرِجوا إليَّ منكم اثني عشَرَ نقيبًا، ليكونوا على قومِهم بما فيهم**».

فأخرَجوا منهم اثنَي عشَر نقيبًا، تسعةً من الخزرج، وثلاثةً من الأوس.

قال ابنُ إسحاقَ: فحدثني عبدُ الله بن أبي بكر، أن رسولَ الله ﷺ قال للنُّقَباءِ: «**أنتم على قومِكم بما فيهم كُفلاءُ، ككفالةِ الحواريين لعيسى ابنِ مريمَ، وأنا كفيلٌ على قومي**» -يعني: المسلمين- قالوا: نعم.

فلما بايعنا رسولَ الله ﷺ صرخَ الشيطانُ من رأسِ العقبةِ بأنفذِ صوتٍ سمعته قطُّ: يا أهلَ الجُباجِب -والجُباجبُ: المنازلُ- هل لكم في مُذمَّمٍ والصُّباةُ معه، قد اجتمعوا على حربِكم.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**هذا أزَبُّ العقبةِ، هذا ابن أَزْيبَ، أتسمعُ، أي عدوَّ الله، أما والله لأفرُغَنَّ لك**».

فقال له العباسُ بن عُبادةَ بنِ نضلةَ: والله الذي بعثك بالحقِّ، إن شئت لنُميلنَّ على أهلِ مِنًى غدًا بأسيافِنا؟

قال: فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**لم نُؤمَر بذلك، ولكن ارجِعوا إلى رِحالِكم**».

قال: فرجعنا إلى مَضاجِعنا فنِمنا عليها حتى أصبَحنا.

قال: فلما أصبحنا غدَت علينا جلةُ قريشٍ، حتى جاءونا في مَنازِلنا، فقالوا: يا معشرَ الخزرجِ، إنه قد بلَغنا أنكم قد جئتُم إلى صاحِبنا هذا تَستخرِجونَه من بين أظهُرِنا، وتُبايِعونه على حربِنا، وإنه والله ما من حيٍّ من العربِ أبغضُ إلينا أن تنشبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعَث مَن هناك من مُشركي قومِنا يَحلفون بالله ما كان من هذا شيءٌ، وما علِمناه.

قال: وقد صَدقوا؛ لم يعلموه.

قال: ونفرَ الناسُ من منًى، فتنطَّس القومُ الخبرَ[(١)]، فوجدوه قد كان، وخَرجوا في طلبِ القومِ، فأدركوا سعدَ بن عُبادةَ بأذاخرَ، والمنذرَ بن عمرو أخا بَني ساعدةَ بن كعبِ بن الخزرجِ، وكلاهُما كان نقيبًا.

فأما المنذرُ فأعجزَ القومَ، وأما سعدٌ فأخذوه، فربطوا يديه إلى عُنقِه بنِسعِ[(٢)] رحلِه، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكَّةَ يَضربونَه، ويَجذبونَه بجُمَّتِه، وكان ذا شعرٍ كثيرٍ.

قال: فوالله، إني لفي أيديهم يَسحَبونني إذ أوى لي رجلٌ ممن كان معَهم، فقال ويحَك! أما بينك وبين أحدٍ من قريشٍ جوارٌ ولا عهدٌ؟

قال: قلت: بلى والله، لقد كنت أُجِيرُ لجبيرِ بن مطعِم بن عديٍّ بن نوفل بن عبد مَناف تُجارَهُ، وأمنعهم ممن أرادَ ظُلمَهم ببلادي، وللحارثِ بن حرب بن أميَّة بن عبد شمسِ بن عبد منافٍ.

---

(١) تَنَطَّسُوا الخبر: بالغوا في البحث عنه.

(٢) النِّسْع: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير وغيره.

قال: ويحَك! فاهتِف باسم الرجلينِ، واذكر ما بينَك وبينهما.

قال: ففعلتُ؛ وخرج ذلك الرجلُ إليهما، فوجدَهما في المسجدِ عند الكعبةِ، فقال لهما: إن رجلًا من الخزرجِ الآنَ يُضربُ بالأبطحِ ويهتِفُ بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جِوارًا.

قالا: ومن هو؟

قال: سعدُ بن عُبادة.

قالا: صدقَ والله، إن كان ليُجيرُ لنا تجارَنا، ويمنعهم أن يُظلموا ببلِده.

قال: فجاءا فخلَّصا سعدًا من أيديهم، فانطلق.

٥- شروطُ البيعةِ في العقبةِ الأخيرةِ

قال ابنُ إسحاقَ: وكان في بيعةِ الحربِ، حين أذِنَ الله لرسولِه ﷺ في القتالِ شروطًا سوى شرطِه عليهم في العقبةِ الأولى.

كانت الأولى على بيعةِ النساء، وذلك أن اللهَ تعالى لم يكن أذنَ لرسولِه ﷺ في الحربِ، فلما أذن اللهُ له فيها وبايعهم رسولُ الله ﷺ في العقبةِ الأخيرةِ على حربِ الأحمرِ والأسودِ، أخذ لنفسِه واشترطَ على القوم لربِّه، وجعل لهم على الوفاءِ بذلك الجنَّةَ.

قال ابنُ إسحاقَ: عن عبادةَ بن الصامتِ -وكان أحدَ النقباءِ- قال: بايعنا رسولَ الله ﷺ بيعةَ الحربَ -وكان عُبادةُ من الاثني عشرَ الذين بايعوه في العقبةِ الأولى على بيعةِ النساءِ- على السمعِ والطاعةِ، في عُسرنا ويُسرنا ومَنشَطنا

ومَكرَهنا، وأثرةٍ علينا، وألا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، وأن نقولَ بالحقِّ أينما كنا، لا نخافُ في الله لومةَ لائمٍ.

٦- نُزولُ الأمرِ لرسولِ الله ﷺ في القتالِ

عن محمدِ بن إسحاقَ المُطَّلبي: وكان رسولُ الله ﷺ قبل بيعةِ العقبةِ لم يُؤذَن له في الحربِ ولم تُحَلَّل له الدماءُ، إنما يُؤمرُ بالدعاءِ إلى الله والصبرِ على الأذَى، والصفحِ عن الجاهلِ، وكانت قريشٌ قد اضطهدت من اتَّبعه من المهاجرينَ حتى فَتنوهم عن دينِهم ونفوهم من بلادِهم، فهم من بين مَفتونٍ في دينه، ومن بين مُعذَّب في أيديهم، وبين هاربٍ في البلادِ فِرارًا منهم: منهم مَن بأرض الحبشةِ، ومنهم مَن بالمدينة، وفي كلِّ وجهٍ.

فلما عتت قريشٌ على الله عَزَّوَجَلَّ، وردُّوا عليه ما أرادهم به من الكرامةِ، وكذَّبوا نبيَّه ﷺ، وعذَّبوا ونفوا من عبدَه ووحَّده وصدق نبيَّه واعتصمَ بدينه، أذن اللهُ عَزَّوَجَلَّ لرسولِه ﷺ في القتالِ والانتصارِ ممن ظلمَهم وبغى عليهم.

فكانت أوَّلَ آية أنزلت في إذنِه له في الحربِ، وإحلالِه له الدماء والقتال، لمن بغى عليهم -فيما بلَغني- عن عُروةَ بن الزبيرِ وغيرِه من العُلماءِ، قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج:٣٩].

قال ابنُ إسحاقَ: فلما أذنَ اللهُ تعالى له ﷺ في الحربِ، وبايعه هذا الحيُّ من الأنصارِ على الإسلام والنُّصرة له ولمن اتَّبعه وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسولُ الله ﷺ أصحابَه من المهاجرينَ من قومِه، ومن معه بمكَّةَ من المسلمين،

بالخروجِ إلى المدينةِ والهجرةِ إليها، واللحوقِ بإخوانِهم من الأنصارِ، وقال: «**إن اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها**».

فخرجوا أرسالًا[1]، وأقام رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ ينتظرُ أن يأذنَ له ربُّه في الخروجِ من مكَّةَ، والهجرة إلى المدينةِ.

٧- ذِكرُ المهاجرين إلى المدينةِ

فكان أوَّلَ من هاجر إلى المدينةِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ من المُهاجرين من قريشٍ، من بني مَخزوم: أبو سلمَةَ بن عبدِ الأسد، ثم كان أوَّلَ من قدِمها من المُهاجرين بعد أبي سلمةَ: عامرُ بن ربيعةَ معه امرأتُه ليلى بنتُ أبي حَثمةَ، ثم عبدُ الله بن جحشٍ احتملَ بأهلِه وبأخيه عبدُ بن جحشٍ، ثم خرج عمرُ بنُ الخطاب، وعيَّاشُ بن أبي ربيعةَ المخزومي، حتى قدِما المدينةَ، ثم تتابعَ المُهاجرون.

٨- هِجرةُ الرسولِ ﷺ

وأقام رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ بعد أصحابِه من المُهاجرين ينتظرُ أن يُؤذَن له في الهجرةِ، ولم يتخلَّف معه بمكَّةَ أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبسَ أو فُتن، إلا عليُّ بن أبي طالب، وأبو بكرِ بنُ أبي قحافة الصدِّيقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وكان أبو بكرٍ كثيرًا ما يستأذن رسولَ الله ﷺ في الهجرةِ، فيقولُ له رسولُ الله ﷺ: «**لا تَعجلْ لعلَّ اللهَ يجعلُ لك صاحبًا**»، فيطمع أبو بكرٍ أن يكونَهُ.

قال ابنُ إسحاقَ: ولما رأت قريشٌ أن رسولَ الله ﷺ قد صارت له شيعةٌ وأصحابٌ من غيرِهم بغير بلدِهم، ورأوا خروج أصحابِه من المُهاجرين إليهم،

---

(١) أَرْسالًا: جماعة في إثر جماعة.

عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم مَنعةً، فحَذِروا خروجَ رسولِ الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنه قد أَجمَعَ لحربهم.

فاجتَمعوا له في دار الندوة -وهي دارُ قصيٍّ بنِ كلاب التي كانت قريشٌ لا تقضي أمرًا إلا فيها- يتَشاورون فيها ما يَصنعون في أمرِ رسولِ الله ﷺ حين خافوه.

قال ابنُ إسحاقَ: عن عبد الله بن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أجمعوا لذلك، واتَّعدوا أن يَدخلوا في دار الندوةِ ليَتشاوروا فيها في أمرِ رسول الله ﷺ، غَدوا في اليوم الذي اتَّعدوا له، وكان ذلك اليوم يُسمى يومَ الزحمة، فاعترضَهم إبليسُ في هيئةِ شيخ جليلٍ عليه بَتْلَةٌ، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفًا على بابها، قالوا: مَن الشيخُ؟

قال: شيخٌ من أهل نجدٍ سمعَ بالذي اتَّعدتم له، فحضرَ معكم ليَسمع ما تقولون، وعسى ألا يُعدِمكم منه رأيًا ونُصحًا.

قالوا: أجل، فادخُلْ، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرافُ قريشٍ، ومن كان معهم وغيرُهم ممن لا يُعدُّ من قريشٍ.

فقال بعضُهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمرِه ما قد رأيتُم، فإنا والله ما نأمَنُه على الوثوبِ علينا فيمن قد اتَّبعه من غيرِنا؛ فأجمِعوا فيه رأيًا.

قال: فتشاوروا ثم قال قائلٌ منهم: احبِسوه في الحديدِ، وأغلِقوا عليه بابًا، ثم تَربَّصوا به ما أصابَ أشباهَه من الشعراءِ الذين كانوا قبلَه: زهيرًا والنابغةَ ومن مضى منهم من هذا الموتِ، حتى يصيبَه ما أصابَهم.

فقال الشيخُ النجديُّ: لا والله، ما هذا لكم برأيٍ، والله لئن حبستُموه -كما تقولون- ليَخرُجنَّ أمرُه من وراءِ الباب الذي أغلقتُم دونَه إلى أصحابِه، فلأوشكوا أن يَثِبوا عليكم، فيَنزِعوه من أيديكم، ثم يُكاثروكم به، حتى يَغلبوكم على أمرِكم، ما هذا لكم برأيٍ؛ فانظروا في غيرِه، فتَشاوروا.

ثم قال قائلٌ منهم: نُخرجُه من بين أظهُرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرج عنا فوالله ما نُبالي أين ذهب، ولا حيثُ وقع إذا غاب عنا وفرَغنا منه؛ فأصلحْنا أمرَنا وأُلفتَنا كما كانت.

فقال الشيخُ النجديُّ: لا والله، ما هذا لكم برأيٍ، ألم تروا حُسنَ حديثِه، وحلاوةَ مَنطقِه، وغَلبَته على قُلوب الرجالِ بما يأتي به، والله لو فعلتُم ذلك ما أمِنتم أن يحلَّ على حيٍّ من العرب، فيغلِبَ عليهم بذلك من قولِه وحديثه حتى يُتابعوه عليه، ثم يَسيرُ بهم إليكم حتى يَطأَكُم بهم في بلادِكم، فيأخذ أمرَكم من أيديكم، ثم يفعلُ بكم ما أرادَ، دبِّروا فيه رأيًا غير هذا.

قال: فقال أبو جهلِ بن هشامٍ: والله إن لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتُم عليه بعدُ.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخُذَ من كل قبيلةٍ فتًى شابًّا جليدًا نسيبًا وسيطًا فِينا، ثم نعطي كُلَّ فتًى منهم سيفًا صارمًا، ثم يَعمدوا إليه، فيَضربوه بها ضربةَ رجلٍ واحدٍ فيَقتلوه؛ فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمُه في القبائلِ جميعًا، فلم يَقدر بنو عبدِ مناف على حربِ قومِهم جميعًا، فرضُوا منا بالعقلِ، فعقلناه لهم.

قال: فقال الشيخُ النجديُّ: القولُ ما قالَ الرجلُ، هذا الرأيُ الذي لا رأيَ غيرَه، فتفرقَ القومُ على ذلك وهم مُجمعون له.

فأتى جبريلُ عليه السلامُ رسولَ الله ﷺ فقال: لا تَبِتْ هذه الليلةَ على فراشِك الذي كنت تبيتُ عليه.

قال: فلما كانت عَتَمةٌ من الليلِ اجتمعوا على بابه يَرصُدونه متى ينام؛ فيَثِبون عليه.

فلما رأى رسولُ الله ﷺ مكانَهم، قال لعليٍّ بن أبي طالب: «**نَمْ على فِراشي وتَسَجَّ ببُردي هذا الحَضرميِّ الأخضرِ، فنَم فيه، فإنه لن يَخلُصَ إليك شيءٌ تكرهُهُ منهم**»، وكان رسولُ الله ﷺ ينامُ في بُرده ذلك إذا نامَ.

قال ابنُ إسحاقَ: عن محمدِ بن كعبٍ القرظيِّ قال: لما اجتَمعوا له، وفيهم أبو جهلِ بن هشامٍ، فقال وهُم على بابه: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتُموه على أمرِه، كنتم ملوكَ العرب والعَجَم، ثم بُعثتُم من بعد موتِكم، فجعلت لكم جنانٌ كجنان الأُردُنِّ، وإن لم تَفعلوا كان له فيكم ذَبحٌ، ثم بُعثتُم من بعد مَوتكم، ثم جُعلت لكم نارٌ تُحرقون فيها.

قال: وخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ، فأخذ حَفنةً من ترابٍ في يدِه، ثم قال: «**أنا أقولُ ذلك، أنت أحدُهم**».

وأخذ الله تعالى على أبصارِهم عنه، فلا يرونَه، فجعلَ ينثُر ذلك الترابَ على رءوسِهم وهو يتلو هؤلاء الآياتِ من يس: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:١-٩]، حتى فرغ رسولُ الله ﷺ من

هؤلاء الآياتِ، ولم يبقَ منهم رجلٌ إلا وقد وَضع على رأسِه ترابًا، ثم انصرفَ إلى حيث أراد أن يذهبَ.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تَنتظرون هاهنا؟

قالوا: محمدًا.

قال: خيَّبكم اللهُ! قد والله خرج عليكم محمدٌ، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وقد وضعَ على رأسِه ترابًا، وانطلَقَ لحاجَته، أفما ترون ما بِكم؟

قال: فوضع كلُّ رجل منهم يدَه على رأسِه، فإذا عليه ترابٌ، ثم جعلوا يتطلَّعون فيرون عليًّا على الفراشِ مُتسجيًا ببُردِ رسولِ الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائمًا عليه بردُه.

فلم يَبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقامَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الفِراشِ فقالوا: والله لقد كان صدَقنا الذي حدَّثنا.

قال ابنُ إسحاقَ: وأذِن الله تعالى لنبيِّه ﷺ عند ذلك في الهجرةِ.

قال ابنُ إسحاقَ: وكان أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا ذا مالٍ، فكان حين استأذن رسولَ الله ﷺ في الهجرةِ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**لا تَعجل، لعل اللهَ يجعل لك صاحبًا**» قد طمع بأن يكون رسولُ الله ﷺ إنما يَعني نفسَه حين قال له ذلك، فابتاعَ راحِلتين فاحتَبسهما في دارِه يَعلفهما إعدادًا لذلك.

قال ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنها قالت: كان لا يُخطِئ رسولُ الله ﷺ أن يأتيَ بيتَ أبي بكرٍ أحدَ طرفَي النهارِ: إما بُكرةً، وإما عشيةً، حتى إذا كان اليومُ الذي أُذن فيه لرسولِ الله ﷺ في الهجرَةِ والخروجِ من مكَّةَ من بين ظَهرَي قومِه أتانا رسولُ الله ﷺ بالهاجرةِ، في ساعةٍ كان لا يأتي فيها.

قالت: فلما رآه أبو بكرٍ قال: ما جاء رسولُ الله ﷺ هذه الساعةَ إلا لأمرٍ حدَثَ.

قالت: فلما دخل، تأخَّر له أبو بكرٍ عن سريرِه، فجلس رسولُ الله ﷺ، وليس عند أبي بكرٍ إلا أنا وأختي أسماءُ بنت أبي بكر، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَخرِج عنِّي مَن عِندَك**».

فقال: يا رسولَ الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداكَ أبي وأمي؟!

فقال: «**إن اللهَ قد أذِن لي في الخُروج والهجرةِ**».

قالت: فقال أبو بكر: الصحبةَ يا رسولَ الله.

قال: «**الصحبةَ**».

قالت: فوالله ما شَعُرت قطُّ قبل ذلك اليومِ أن أحدًا يَبكي من الفرَحِ، حتى رأيت أبا بكرٍ يبكي يومئذٍ.

ثم قال: يا نبيَّ الله، إنَّ هاتين راحلتانِ قد كنت أعددتُهما لهذا.

فاستأجرا عبدَ الله بن أرْقَطَ -رجلًا من بني الدُّئل بن بكرٍ، وكانت أمُّه امرأةً من بني سهمِ بن عمرو، وكان مُشركًا- يدلُّهما على الطريقِ، فدفعا إليه راحلتَيهما، فكانتا عنده يَرعاهما لِميعادِهما.

قال ابنُ إسحاقَ: فلما أجمعَ رسولُ الله ﷺ الخروجَ أتى أبا بكر بنَ أبي قُحافةَ، فخرجا من خَوخَةٍ لأبي بكر في ظهر بيتِه، ثم عمِد إلى غارٍ بثورٍ -جبلٍ بأسفلَ مكةَ- فدخلاه.

وأمر أبو بكرٍ ابنَه عبدَ الله بن أبي بكر أن يتسمَّع لهما ما يقولُ الناسُ فيهما نهارَه، ثم يأتيهما إذا أمسَى بما يكونُ في ذلك اليومِ من الخبرِ.

وأمر عامرَ بن فُهيرةَ مولاه أن يرعى غنَمه نهارَه، ثم يُريحُها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغارِ.

وكانت أسماءُ بنتُ أبي بكر تأتيهما من الطعامِ إذا أمست بما يُصلحهما.

قال ابنُ إسحاقَ: فأقامَ رسولُ الله ﷺ في الغارِ ثلاثًا ومعه أبو بكر وجَعلت قريشٌ فيه حين فقَدوه مئةَ ناقةٍ لمن يَردُّه عليهم.

وكان عبدُ الله بن أبي بكر يكونُ في قريشٍ نهارَه معهم يسمع ما يأتَمِرون به، وما يقولونَ في شأنِ رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ، ثم يأتيهما إذا أمسَى فيُخبرُهما الخبرَ.

وكان عامرُ بن فُهيرةَ -مولى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يرعَى في رُعيانِ أهل مكَّةَ، فإذا أمسى أراح عليهما غنمَ أبي بكر؛ فاحتَلبا وذبَحا، فإذا عبدُ الله بن أبي بكر غدَا من عندهما إلى مكَّةَ، اتَّبع عامرُ بن فهيرةَ أثَره بالغنمِ حتى يُعَفِّي عليه، حتى إذا مضت الثلاثُ، وسكنَ عنهما الناسُ أتاهما صاحبُهما الذي استأجَراه ببعيرَيهما وبعيرٍ له، وأتتهما أسماءُ بنت أبي بكرٍ رضى الله عنهما بسُفرتِهما، ونَسيت أن تجعلَ لها عِصامًا، فلما ارتحلا ذهبت لتُعلِّقَ السفرةَ فإذا ليس لها عِصامٌ، فتحل نطاقَها فتجعله عصامًا، ثم علَّقتها به، فكان يُقال لأسماءَ بنتِ أبي بكر: ذاتُ النطاق لذلك.

قال ابنُ إسحاقَ: فلما قرَّب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الراحلتينِ إلى رسولِ الله ﷺ قدَّم له أفضلَهما، ثم قال: اركبْ، فِداك أبي وأمي.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنِّي لا أركبُ بعيرًا ليس لي**».

قال: فهي لك يا رسولَ الله، بأبي أنتَ وأمِّي.

قال «**لا، ولكن ما الثمنُ الذي ابتعتَها به؟**».

قال: كذا وكذا.

قال: «**قد أخذتُها به**».

قال: هي لك يا رسول الله.

فركِبا وانطلقا وأردفَ أبو بكرٍ الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عامرَ بنَ فُهيرةَ مولاه خلفَه؛ ليخدِمهما في الطريقِ.

قالت: فمكثنا ثلاثَ ليالٍ وما ندري أين وجهُ رسولِ الله ﷺ، حتى أقبل رجلٌ من الجِنِّ من أسفلِ مكةَ، يتغنى بأبياتٍ من شعرٍ غناء العربِ، وإن الناسَ ليتَّبعونه يَسمعون صوتَه وما يَرونه حتى خرج من أعلى مكةَ وهو يقول:

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائِه ❊❊ رفيقينِ حلَّا خيمَتيْ أمِّ مَعبَدِ

قال ابنُ إسحاقَ: قالت أسماءُ بنتُ أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: فلما سمعنا قولَه عرفنا حيث وجهُ رسولِ الله ﷺ، وأن وجهَه إلى المدينةِ.

وكانوا أربعةً: رسولُ الله ﷺ، وأبو بكرٍ الصديقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعامرُ بن فُهيرةَ مولى أبي بكر، وعبدُ الله بن أرقطَ دليلُهما.

قال ابنُ إسحاقَ: عن سراقةَ بن مالكٍ قال: لما خرج رسولُ الله ﷺ من مكَّةَ مُهاجرًا إلى المدينةِ جعلت قريشٌ فيه مئةَ ناقةٍ لمن ردَّه عليهم. قال: فبينا أنا جالسٌ في نادي قومي إذ أقبلَ رجلٌ منا، حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت رَكبَةً ثلاثةً مروا عليَّ آنفًا، إني لأُراهم محمدًا وأصحابَه. قال: فأومأت إليه بِعيني: أن اسكُت. ثم قلتُ: إنما هم بنو فلان يَبتغون ضالةً لهم. قال: لعلَّه. ثم سكتَ. قال:

ثم مكثتُ قليلًا، ثم قمتُ فدخلت بيتي، ثم أمرتُ بفرسي فقُيِّد لي إلى بطنِ الوادي، وأمرتُ بسلاحي فأُخرجَ لي من دُبر حُجرتي، ثم أخذت قِداحي التي أستقْسِم بها، ثم انطلقتُ فلبِست لأْمَتي[١]، ثم أخرجت قِداحي فاستَقسمت بها، فخرج السهمُ الذي أكره: «**لا يَضُرُّهُ**»[٢]. قال: وكنت أرجو أن أردَّه على قريشٍ، فآخذ المئةَ الناقة. قال: فركبت على أثرِه، فبينما فرسي يَشتدُّ بي عَثَرَ بي؛ فسقطتُ عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قِداحي فاستَقسمت بها، فخرجَ السهمُ الذي أكره: «**لا يَضرُّه**». قال: فأبَيتُ إلا أن أتَّبعه. قال: فركبت في أثرِه، فبينا فرسي يَشتدُّ بي، عَثَر بي؛ فسقطتُ عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهمُ الذي أكره: «**لا يَضرُّه**». قال: فأبيتُ إلا أن أتَّبعه، فركبت في أثرِه، فلما بدا لي القومُ ورأيتُهم، عثَر بي فرسي، فذهبَت يداه في الأرضِ؛ وسقطتُ عنه، ثم انتزعَ يدَيه من الأرضِ، وتَبعهما دخانٌ كالإعصار. قال: فعرَفت حين رأيتُ ذلك أنه قد مُنِعَ منِّي، وأنه ظاهرٌ. قال: فناديتُ القومَ فقلت: أنا سراقةُ بن جُعشُمٍ، انظروني أكلِّمْكم، فوالله لا أريبُكم، ولا يأتيكم منِّي شيءٌ تكرهونَه. قال: فقال رسولُ الله ﷺ لأبي بكر: «**قُلْ له: وما تَبتغِي منَّا؟**». قال: فقال ذلك أبو بكر. قال: قلتُ: تكتُب لي كتابًا يكون آيةً بيني وبينِك. قال: «**اكتُبْ له يا أبا بكرٍ**».

قال ابنُ إسحاقَ: فلما خرج بهما دليلُهما عبدُ الله بن أرقطَ سلك بهما أسفلَ مكَّةَ، ثم مضى بهما على الساحلِ.

---

(١) اللَّأْمَة: الدرع والسلاح.

(٢) فخرج السهمُ الذي أكره «لا يضره»: أي: خرج السهم المكتوب فيه «لا يضره».

ثم قدِم بهما قُباءَ على بني عمرِو بن عوفٍ لاثنتَي عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيعٍ الأول يومَ الاثنين حين اشتدَّ الضَّحاءُ وكادت الشمسُ تعتدل.

قال ابنُ إسحاقَ: عن عبد الرحمن بن عويمرٍ قال: حدثني رجالٌ من قومي من أصحابِ رسولِ الله ﷺ قالوا: لما سمِعنا بمَخرجِ رسولِ الله ﷺ من مكَّةَ، وتوكَّفنا[١] قُدومَه، كنا نخرج إذا صلَّينا الصبحَ، إلى ظاهرِ حرَّتنا ننتظرُ رسولَ الله ﷺ.

فوالله ما نبرحُ حتى تَغلبَنا الشمسُ على الظلالِ فإذا لم نجد ظِلًّا دخلنا، وذلك في أيام حارةٍ.

حتى إذا كان اليومُ الذي قدِم فيه رسولُ الله ﷺ، جلسنا كما كنا نَجلس، حتى إذا لم يَبقَ ظلٌّ دخلنا بيوتَنا، وقدم رسولُ الله ﷺ حين دخلنا البُيوتَ، فكان أوَّلَ من رآه رجلٌ من اليهودِ وقد رأى ما كنا نصنعُ، وأنا ننتظر قُدومَ رسولِ الله ﷺ علينا، فصرخَ بأعلى صوتِه: يا بَني قَيلَةَ[٢]، هذا جدُّكم قد جاء.

قال: فخرجنا إلى رسولِ الله ﷺ، وهو في ظِلِّ نخلةٍ، ومعه أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مِثل سنِّه، وأكثرُنا لم يكن رأى رسولَ الله ﷺ قبل ذلك، ورَكِبَهُ الناسُ[٣] وما يَعرفونَه من أبي بكرٍ، حتى زال الظِّلُّ عن رسولِ الله ﷺ، فقام أبو بكرٍ فأظلَّه بردائِه؛ فعرفناه عند ذلك.

---

(١) توكفنا: استشعرنا وانتظرنا.

(٢) بنو قَيْلَة: يعني الأنصار، وهو اسم جدة كانت لهم.

(٣) أي: ازدحموا عليه.

قال ابنُ إسحاقَ: فأقام رسولُ الله ﷺ بقُباءَ في بَني عمرِو بن عوفٍ، يومَ الاثنين ويومَ الثلاثاء ويومَ الأربعاء ويوم الخميسِ، وأسَّس مسجدَه.

ثم أخرجه اللهُ من بين أظهُرهم يومَ الجمعةِ، وبنو عمرِو بن عوفٍ يزعمون أنه مَكث فيهم أكثرَ من ذلك، فاللهُ أعلم أيَّ ذلك كان.

فأدركتْ رسولَ الله ﷺ الجمعةُ في بني سالم بن عوفٍ، فصلَّاها في المسجد الذي في بطنِ الوادي، وادي رانوناءَ، فكانت أوَّلَ جُمُعةٍ صلاها بالمدينةِ.

فأتاه رجالٌ من بني سالمِ بن عوف، فقالوا: يا رسولَ الله، أقِم عندنا في العَددِ والعدَّة والمَنعةِ.

قال: «**خلُّوا سبيلها، فإنها مأمورةٌ**» لناقته، فخلوا سبيلَها، فانطلقت حتى إذا وازنت دارَ بني بياضةَ؛ تلقَّاه رجالٌ من بني بياضةَ، فقالوا: يا رسولَ الله: هَلُمَّ إلينا، إلى العَدد والعُدة والمنعةِ.

قال: «**خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورةٌ**»، فخلوا سبيلها، فانطلقَتْ، حتى إذا مرت بدار بني ساعدةَ، اعترضه رجالٌ من بني ساعدةَ، فقالوا: يا رسولَ الله، هَلُمَّ إلينا إلى العَدد والعُدَّةِ والمَنعةِ.

قال: «**خلوا سبيلَها، فإنها مأمورة**»، فخلوا سبيلَها، فانطلقتْ، حتى إذا وازَنت دارَ بني الحارثِ بن الخزرج اعترضَه رجالٌ من بني الحارثِ بن الخزرجِ فقالوا: يا رسولَ الله، هَلُمَّ إلينا إلى العَدد والعدةِ والمنعةِ.

قال: «**خلوا سبيلَها، فإنها مأمورةٌ**»، فخلوا سبيلها، فانطلقتْ، حتى إذا مرَّت بدار بَني عديٍّ بن النجار، وهم أخوالُه -أمُّ عبد المطَّلب: سلمى بنتُ

عمرو، إحدى نسائهم- اعترضَه رجالٌ من بني عديٍّ بن النجار، فقالوا: يا رسولَ الله، هَلُمَّ إلى أخوالِك، إلى العددِ والعُدة والمنعةِ.

قال: «خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورةٌ»، فخلوا سبيلَها، فانطلقتْ، حتى إذا أتت دارَ بني مالكِ بن النجار، برَكت على بابِ مسجدِه ﷺ، وهو يومئذٍ مِربَدٌ[١] لغلامين يتيمينِ من بني النجارِ، ثم من بَني مالكِ بن النجارِ.

فلما بركَت -ورسولُ الله ﷺ عليها لم ينزلْ -وثبَت فسارت غيرَ بعيدٍ، ورسولُ الله ﷺ واضعٌ لها زمامَها لا يُثنيها به، ثم التفتت إلى خلفِها، فرجعت إلى مَبركِها أوَّلَ مرةٍ، فبركت فيه، ثم تَحَلْحَلَتْ[٢] ورَزَمَتْ[٣] ووضعتَ جِرانها[٤]، فنزل عنها رسولُ الله ﷺ، فاحتمل أبو أيوبَ خالدُ بن زيدٍ رحلَه، فوضعه في بيتِه، ونزل عليه رسولُ الله ﷺ، وسأل عن المِربد: «لمن هو؟»

فقال له معاذُ بن عَفراءَ: هو يا رسولَ الله لسهلٍ وسُهيلٍ ابني عمرو، وهما يتيمان لي، وسأُرضيهما منه، فاتَّخذه مسجدًا.

قال: فأمر به رسولُ الله ﷺ أن يُبنَى مسجدًا، ونزلَ رسولُ الله ﷺ على أبي أيوبَ حتى بُني مسجدُه ومساكنه، فعمِل فيه رسولُ الله ﷺ ليُرغِّبَ المسلمين في العملِ فيه، فعمِل فيه المُهاجرون والأنصارُ، ودأبوا فيه.

قال ابنُ إسحاقَ: وتلاحقَ المُهاجرونَ إلى رسولِ الله ﷺ، فلم يَبق بمكَّةَ منهم أحدٌ، إلا مَفتونٌ أو محَبوسٌ.

---

(١) المِرْبَد: الموضع الذي يجفف فيه التمر.

(٢) تَحَلْحَلَتْ: تحركت وانزجرت.

(٣) رَزَمَتْ: قامت من الإعياء والهزال ولم تتحرك.

(٤) الجِرَان: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها.

[القسم الثاني : العهد المدني]

[أولا: تأسيس الدولة]

١- كتابُه ﷺ بين المُهاجرين والأنصار ومُوادعة يهودَ

قال ابنُ إسحاقَ: وكتب رسولُ الله ﷺ كتابًا بين المُهاجرين والأنصارِ وادعَ فيه يهودَ وعاهدهم، وأقرَّهم على دينِهم وأموالِهم، وشرطَ لهم، واشترطَ عليهم.

٢- المُؤاخاةُ بين المهاجرين والأنصارِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: وآخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابِهِ من المُهاجرين والأنصار.

٣- الأعداءُ من يهودَ

قالَ ابنُ إسحاقَ: ونصبت عند ذلك أحبارُ يهود لرسولِ الله ﷺ العداوةَ، بغيًا وحسدًا وضِغنًا؛ لما خصَّ الله تعالى به العربَ من أخذِه رسولَه منهم، وانضاف إليهم رجالٌ من الأوسِ والخزرج، ممن كان عَسِيَ على جاهليته فكانوا أهلَ نفاقٍ على دين آبائِهم من الشركِ والتكذيب بالبَعث، إلا أن الإسلامَ قهَرهم بظهورِه واجتماعِ قومِهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتخذوه جُنَّةً من القتلِ ونافقوا في السرِّ، وكان هواهُم مع يهودَ؛ لتكذيبهم النبيَّ ﷺ، وجُحودهم الإسلامَ.

وكانت أحبارُ يهودَ هم الذين يَسألون رسولَ الله ﷺ ويتعنَّتونه، ويأتونه باللَّبس؛ ليَلبسوا الحقَّ بالباطلِ، فكان القرآنُ ينزل فيهم فيما يسألون عنه، إلا قليلًا من المسائلِ في الحلالِ والحرام كان المُسلمون يَسألون عنها.

فهؤلاء أحبارُ اليهودِ وأهلُ الشرورِ والعداوةِ لرسولِ الله ﷺ وأصحابِه، وأصحاب المسألة، والنصب لأمرِ الإسلام الشرورَ ليُطفئوه، إلا ما كان من عبدِ الله بن سلام ومُخيريقٍ.

٤- مَن اجتمع إلى يهودَ من مُنافقي الأنصارِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان ممن انضافَ إلى يهودَ، من سُمِّي لنا من المنافقين من الأوسِ والخزرج.

وكان هؤلاء المنافقون يَحضرون المسجدَ فيستمعون أحاديثَ المسلمين، ويسخرون ويستهزؤون بدينِهم، فاجتمع يومًا في المسجدِ منهم ناسٌ، فرآهم رسولُ الله ﷺ يتحدَّثون بينهم، خافِضي أصواتِهم، قد لصق بعضُهم ببعضٍ، فأمر بهم رسولُ الله ﷺ فأُخرجوا من المسجدِ إخراجًا عنيفًا.

ففي هؤلاء -من أحبار يهودَ والمنافقين من الأوسِ والخزرج- نزلَ صدرُ سورة البقرةِ إلى المئة منها -فيما بلغني- والله أعلمُ.

٥- ذِكرُ من اعتلّ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: لما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، قدِمها وهي أوبأُ أرضِ الله من الحُمَّى، فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقمٌ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيِّه ﷺ.

قالت فكان أبو بكر، وعامرُ بن فُهيرةَ، وبلالٌ -مَوْليا أبي بكر- مع أبي بكر في بيتٍ واحد، فأصابتهم الحُمَّى، فدخلتُ عليهم أَعُودُهم، وذلك قبل أن يُضربَ علينا الحجابُ، وبهم ما لا يعلمه إلا اللهُ من شدَّةِ الوعك.

فقلت لرسولِ الله ﷺ: إنهم ليَهذون وما يَعقِلون من شدةِ الحمَّى؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كما حببَّت إلينا مكَّةَ أو أشد، وبارِك لنا في مُدِّها وصاعها، وانقُل وباءها إلى مَهْيعةَ**». ومهيعةُ: الجُحفة.

٦- تاريخُ الهجرةِ

قدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ يومَ الاثنين، حين اشتدَّ الضَّحاء، وكادتِ الشمسُ تعتدل لثنتي عشرةَ ليلةً مضت من شهر ربيعٍ الأوَّلِ، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ ابنُ ثلاث وخمسين سنةً، وذلك بعد أن بعثه اللهُ عَزَّوَجَلَّ بثلاث عشرةَ سنة، فأقام بها بقيةَ شهر ربيعٍ الأول، وشهر ربيعٍ الآخرِ، وجُماديين، ورجبًا، وشعبانَ، وشهر رمضانَ، وشوَّالا، وذا القعدة، وذا الحجَّة -ووَلِيَ تلك الحجةَ المشركون- والمحرم.

[ثانيا: الغزوات والسرايا والبعوث]

١- غَزوةُ ودَّان وهي أول غزواته عليه الصلاةُ والسلام

ثم خرج غازيًا في صفر على رأسِ اثني عشَر شهرًا من مَقدَمه المدينةَ حتى بلغ ودانَ -وهي غزوةُ الأبواءِ- يريد قريشًا وبني ضمرةَ بن بكر، فوادعَته فيها بنو ضمرةَ، ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ ولم يلق كيدًا.

٢- سَريةُ عبيدة بن الحارثِ وهي أول رايةٍ عقدها عليه الصلاةُ والسلام

قالَ ابنُ إسحاقَ: وبعث رسولُ الله ﷺ في مُقامه ذلك بالمدينةِ عُبيدةَ بنَ الحارث في ستِّين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصارِ أحدٌ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المُرَّةِ، فلقي بها جمعًا عظيمًا من قريشٍ، فلم يكن بينهم قتالٌ، إلا أن سعدَ بن أبي وقاصٍ قد رَمى يومئذٍ بسهم، فكان أوَّلَ سهم رُمِيَ به في الإسلام، ثم انصرف القومُ عن القومِ، وللمسلمين حاميةٌ.

٣- غَزوةُ سَفَوَانَ وهي غزوة بدرٍ الأولى

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولم يُقم رسولُ الله ﷺ بالمدينة حين قدِم من غزوةِ العُشيرة إلا ليالي قلائلَ لا تبلُغ العشرَ، حتى أغار كُرز بنُ جابرٍ الفِهريُّ على سَرْحِ[١] المدينة، فخرج رسولُ الله ﷺ في طلبِه حتى بلغ واديًا يُقال له: سَفَوَانُ، من ناحية بدرٍ، وفاته كرزُ بن جابرٍ، فلم يدركه، وهي غزوةُ بدر الأولى.

(١) السَّرْح: مرعى الأنعام.

٤- سريةُ عبدِ الله بنِ جَحشٍ

وبعث رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ جحش بن رئاب الأسدي في رجبٍ، مَقفلَه من بدرٍ الأولى، وبعث معه ثمانيةَ رهطٍ من المُهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ، وكتب له كتابًا وأمرَه ألا ينظرَ فيه حتى يسيرَ يومينِ ثم ينظر فيه فيَمضي لما أمرَه به، ولا يَستكره من أصحابه أحدًا.

فلما سار عبدُ الله بن جحشٍ يومينِ فتح الكتابَ فنظر فيه فإذا فيه: «**إذا نظرتَ في كتابي هذا فامضِ حتى تنزلَ نخلةَ، بين مكةَ والطائفِ، فترصُد بها قريشًا وتعلمَ لنا من أخبارِهم**».

فلما نظر عبدُ الله بن جحشٍ في الكتاب قال: سمعًا وطاعةً، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسولُ الله ﷺ أن أمضيَ إلى نخلةَ، أرصدَ بها قريشًا، حتى آتيه منهم بخبرٍ، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادةَ ويرغبُ فيها فلينطلقْ، ومن كره ذلك فليرجعْ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسولِ الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابُه لم يتخلَّف عنه منهم أحدٌ.

ومضى عبدُ الله بن جحشٍ وأصحابُه حتى نزل بنخلةَ، فمرت به عِيرٌ لقريشٍ تحمل زبيبًا وأدمًا وتجارةً من تجارة قريش فيها عمرو بنُ الحضرمي.

فلما رآهم القومُ هابوهم وقد نزلوا قريبًا منهم، وتشاور القومُ فيهم وذلك في آخر يومٍ من رجبٍ فقال القومُ: والله لئن تركتم القومَ هذه الليلةَ ليَدخُلنَّ الحرمَ، فَلَيَمْتَنِعُنَّ منكم به، ولئن قتلتموهم لَتَقْتُلُنَّهُمْ في الشهر الحرامِ، فتردد القومُ وهابوا الإقدامَ عليهم، ثم شجَّعوا أنفسَهم عليهم، وأجمعوا على قتلِ من قدروا عليه منهم وأخذِ ما معهم.

فرمى واقدُ بن عبدِ الله التميميُّ عمرَو بن الحضرميِّ بسهم فقتله، واستأسرَ عثمانَ بنَ عبد الله، والحكمَ بن كيسانَ، وأفلت القومُ نوفلَ بن عبد الله فأعجزهم.

وأقبل عبدُ الله بن جحشٍ وأصحابُه بالعيرِ وبالأسيرين، حتى قدِموا على رسولِ الله ﷺ المدينةَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما قدموا على رسولِ الله ﷺ المدينةَ قال: «**ما أمرتُكم بقتالٍ في الشهر الحرامِ**».

فوقَّف العيرَ والأسيرين، وأبى أن يأخذَ من ذلك شيئًا، فلما قال ذلك رسولُ الله ﷺ سُقطَ في أيدي القومِ، وظنوا أنهم قد هَلَكوا، وعنَّفهم إخوانُهم من المسلمين فيما صنعوا.

وقالت قريشٌ قد استحلَّ محمدٌ وأصحابُه الشهرَ الحرامَ، وسفكوا فيه الدمَ، وأخذوا فيه الأموالَ، وأسروا فيه الرجالَ، فقال من يَرُدُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكَّةَ: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبانَ.

فلما أكثر الناسُ في ذلك أنزل اللهُ على رسولِه ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧].

فلما نزل القرآنُ بهذا من الأمرِ، وفرَّج اللهُ تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفقِ قبضَ رسولُ الله ﷺ العيرَ والأسيرين.

٥- صرفُ القبلةِ إلى الكعبةِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: ويقال: صُرفت القبلةُ في شعبانَ على رأسِ ثمانية عشَر شهرًا من مَقدَم رسولِ الله ﷺ المدينة.

٦- غَزوةُ بدرٍ الكُبرى

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم إن رسولَ الله ﷺ سمعَ بأبي سفيانَ بن حرب مُقبلًا من الشأم في عِيرٍ لقريشٍ عظيمةٍ، فيها أموالٌ لقريش وتجارةٌ من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلًا من قريشٍ أو أربعون.

قالَ ابنُ إسحاقَ: لما سمع رسولُ الله ﷺ بأبي سُفيانَ مُقبلًا من الشأم، ندب المسلمين إليهم وقال: «**هذه عِيرُ قريشٍ فيها أموالُهم فاخرجوا إليها لعل اللهَ يُنفِّلكُموها**».

فانتُدب الناسُ، فخف بعضُهم وثقُل بعضُهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسولَ الله ﷺ يلقى حَربًا.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجازِ يتحسَّسُ الأخبارَ ويسأل من لقي من الرُّكبان تخوُّفًا على أمر الناسِ، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبانِ أن محمدًا قد استنفر أصحابَه لك ولعِيرك، فحَذِرَ عند ذلك؛ فاستأجر ضَمضمَ بن عمرٍو الغفاريَّ، فبعثه إلى مكةَ، وأمره أن يأتي قريشًا فيستنفِرَهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابِه.

فتجهز الناسُ سِراعًا وقالوا: أيظنُّ محمدٌ وأصحابُه أن تكون كعير ابن الحضرميِّ، كلا والله ليعلمن غيرَ ذلك، فكانوا بين رجلين: إما خارجٍ، وإما باعث مكانه رجلًا، وأوعَبتْ قريشٌ[(١)]، فلم يتخلف من أشرافِها أحدٌ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عروةَ بن الزبير قال: لما أجمعت قريشٌ المسيرَ ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكرٍ، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدَّى لهم إبليسُ في صورة سُراقةَ بن مالك بن جُعشُم المُدلجي، وكان من أشراف بني كِنانةَ، فقال لهم: أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانةُ من خلفكم بشيءٍ تكرهونه؛ فخرجوا سراعًا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وخرج رسولُ الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضانَ في أصحابه، واستعمل عمرَو بن أم مَكتومٍ على المدينة.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ودفع اللواءَ إلى مُصعبِ بن عمير وكان أبيضَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان أمامَ رسولِ الله ﷺ رايتانِ سوداوان: إحداهما مع عليِّ بن أبي طالب يُقال لها: العُقاب، والأخرى مع بعضِ الأنصار، وكانت رايةُ الأنصار مع سعدِ بن مُعاذ، فيما قال ابنُ هشام.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكانت إبلُ أصحاب رسولِ الله ﷺ يومئذٍ سبعين بعيرًا فاعتقبوها.

وأتاه الخبرُ عن قريشٍ بمسيرهم ليمنعوا عيرَهم، فاستشار الناسَ، وأخبرهم عن قريشٍ، فقام أبو بكر الصديقُ فقال وأحسن، ثم قام عمرُ بن الخطاب فقال وأحسن.

---

(١) أَوْعَبَتْ قريش: حشدت.

ثم قام المِقدادُ بن عمرو فقال: يا رسولَ الله، امضِ لما أراكَ اللهُ فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة:٢٤]، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا مَعكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحقِّ لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد[1] لجالدنا معك مَن دونَه حتى تبلُغَه، فقال له رسولُ الله ﷺ خيرًا، ودعا له به.

ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**أشيروا عليَّ أيها الناسُ**» وإنما يريد الأنصارَ، وذلك أنهم عددُ الناسِ، وأنهم حين بايعوه بالعَقَبة قالوا: يا رسولَ الله، إنا براءٌ من ذمامِك حتى تصلَ إلى ديارنا، فإذا وصلتَ إلينا، فأنت في ذمَّتنا نمنعُك مما نمنع منه أبناءنا ونساءَنا.

فكان رسولُ الله ﷺ يتخوَّفُ ألا تكون الأنصارُ ترى عليها نَصرَه إلا ممن دهَمَهُ بالمدينةِ من عدوِّه، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوٍّ من بلادهم.

فلما قال ذلك رسولُ الله ﷺ؛ قال له سعدُ بن معاذٍ: والله لكأنك تريدُنا يا رسولَ الله؟

قال: «**أَجَلْ**».

قال: فقد آمنا بك وصدَّقناك وشهِدنا أن ما جئتَ به هو الحقُّ وأعطيناك على ذلك عُهودَنا ومواثيقنا على السمعِ والطاعةِ؛ فامض يا رسولَ الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثَك بالحقِّ، لو استعرَضْت بنا هذا البحرَ فخُضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجلٌ واحدٌ، وما نكره أن تَلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُر في الحربِ، صُدُقٌ في اللقاءِ، لعل الله يُريك منا ما تَقرُّ به عينُك؛ فسِر بنا على بركة الله.

---

(١) بَرْك الغماد: موضع باليمن.

فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بقول سعدٍ، ونشَّطه ذلك، ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإن اللهَ تعالى قد وعدني إحدى الطائفتينِ، والله لكأني الآن أنظرُ إلى مَصارعِ القومِ**».

نزل ﷺ قريبًا من بدر، فركب هو ورجلٌ من أصحابِه حتى وقفَ على شيخٍ من العربِ، فسأله عن قريشٍ، وعن محمد وأصحابِه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخُ: لا أخبرُكما حتى تُخبراني ممن أنتما؟

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أخبرتَنا أخبرناك**».

قال: أذاك بذاك؟

قال: «**نعم**».

قال الشيخ: فإنه بلغَني أن محمدًا وأصحابَه خرجوا يومَ كذا وكذا، فإن كان صدَقَ الذي أخبرني، فهم اليومَ بمكانِ كذا وكذا، للمكانِ الذي به رسولُ الله ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجوا يومَ كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدَقني فهم اليومَ بمكان كذا وكذا للمكانِ الذي فيه قريشٌ.

فلما فرغ من خبرِه قال: ممَّن أنتما؟

فقال رسولُ الله ﷺ: «**نحن من ماءٍ**» ثم انصرف عنه.

قال يقول الشيخُ: ما من ماء، أمن ماء العِراق؟!

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى أصحابِه، فلما أمسى بعث عليَّ بن أبي طالب، والزبيرَ بن العوَّام، وسعدَ بن أبي وقاص، في نفرٍ من أصحابه، إلى ماء بدرٍ، يلتمسون الخبر له عليه -كما حدَّثني يزيدُ بن رومان، عن عروةَ بن

الزبير- فأصابوا راويةً لقريشٍ فيها أسلمُ -غلامُ بني الحجاج- وعَريضٌ أبو يسارٍ -غلامُ بني العاص بن سعيدٍ- فأتوا بهما فسألوهما، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلي، فقالا: نحن سُقاةُ قريشٍ، بعثونا نَسقيهم من الماءِ.

فكره القومُ خبرَهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان؛ فضربوهما، فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيانَ؛ فتركوهما.

وركع رسولُ الله ﷺ وسجد سجدتَيه، ثم سلَّم، وقال: «**إذا صَدَقاكم ضربتموهما، وإذا كَذَباكم تركتُموهما، صدقَا والله، إنهما لقريشٍ، أخبِراني عن قريشٍ؟**»

قالا: هم والله وراءَ هذا الكثيبِ الذي ترى بالعُدوة القُصوى -والكثيبُ: العَقنقلُ- فقال لهما رسولُ الله ﷺ: «**كم القومُ؟**».

قالا: كثيرٌ.

قال: «**ما عِدَّتُهم؟**».

قالا: لا ندري.

قال: «**كم يَنحرون كلَّ يومٍ؟**».

قالا: يومًا تسعًا، ويومًا عشرًا.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**القومُ فيما بين التسع مئةِ والألف**».

ثم قال لهما: «**فمن فيهم من أشرافِ قريشٍ؟**».

قالا: عتبةُ بن ربيعةَ، وشيبةُ بن ربيعةَ، وأبو البَختري بن هشام، وحكيمُ بن حِزام، ونوفل بن خُويلد، والحارثُ بن عامر بن نوفل، وطُعيمةُ بن عديٍّ بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعةُ بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأميةُ بن خلف، ونُبَيه ومُنبِّه ابنا الحجاج، وسُهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد وُدٍّ.

فأقبل رسولُ الله ﷺ على الناس فقال: «**هذه مكَّةُ قد ألقت إليكم أفلاذَ كبِدها**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان بَسبسُ بن عمرو، وعديُّ بن أبي الزَّغباء قد مضيا حتى نزلا بدرًا، فأناخا إلى تل قريبٍ من الماءِ، ثم أخذا شَنًّا لهما يستقيان فيه، ومَجديُّ بن عمرو الجُهني على الماء.

فسمع عديٌّ وبسبسٌ جاريتين من جواري الحاضر، وهما يتلازمان على الماء، والمَلزومةُ تقول لصاحبتها: إنما تأتي العيرُ غدًا أو بعد غدٍ، فأعمل لهم، ثم أَقضيك الذي لك.

قال مجديٌّ: صَدَقتِ، ثم خلص بينهما.

وسمع ذلك عديٌّ وبسبسٌ، فجلسا على بعيرِيهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله ﷺ، فأخبراه بما سمِعا.

وأقبل أبو سفيانَ بن حرب حتى تقدم العيرَ حذِرًا، حتى وردَ الماء، فقال لمجديِّ بن عمرو: هل أحسست أحدًا؟

فقال: ما رأيت أحدًا أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلِّ، ثم استقيا في شَنٍّ لهما، ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيانَ مُناخَهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتَّه، فإذا فيه النوى؛ فقال: هذه والله علائفُ يثربَ، فرجع إلى أصحابه سريعًا، فضرب وجه عيرِه عن الطريق، فساحَلَ بها[(١)]، وترك بدرًا بيسار، وانطلق حتى أسرعَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما رأى أبو سفيانَ أنه قد أحرز عيرَه، أرسل إلى قريشٍ: إنكم إنما خَرجتُم لتمنعوا عيرَكم ورجالَكم وأموالَكم، فقد نجَّاها الله؛ فارجِعوا.

فقال أبو جهلِ بن هشامٍ: والله لا نرجعُ حتى نرِد بدرًا -وكان بدرٌ موسمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوقٌ كلَّ عام- فنقيم عليه ثلاثًا، فننحر الجُزر، ونُطعم الطعامَ، ونسقي الخمرَ، وتعزِف علينا القيانُ، وتسمع بنا العربُ وبمسيرنا وجمعِنا؛ فلا يزالون يَهابوننا أبدًا بعدها، فامضوا.

وقال الأخنسُ بن شَريق الثقفيُّ -وكان حليفًا لبني زهرةَ وهم بالجُحفة-: يا بني زهرةَ، قد نجَّى اللهُ لكم أموالكم، وخلَّص لكم صاحبكم: مَخرمةَ بن نوفل، وإنما نفرتم لتَمنعوه ومالَه، فاجعلوا بي جُبنها وارجعوا، فإنه لا حاجةَ لكم بأن تَخرجوا في غيرِ ضيعةٍ، لا ما يقول هذا، يعني: أبا جهلٍ.

فرجعوا، فلم يَشهدها زُهريٌّ واحدٌ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعًا.

ولم يكن بقي من قريش بطنٌ إلا وقد نفرَ منهم ناسٌ، إلا بني عديٍّ بن كعب، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ، فرجعت بنو زهرةَ مع الأخنسِ بن شَريقٍ، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحدٌ، ومضى القوم.

(١) سَاحَلَ: أخذها جهة الساحل.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعُدوةِ القُصوى من الوادي، والقُلُب[(١)] ببدرٍ في العُدوة الدنيا، وبعث اللهُ السماء، وكان الوادي دَهْسًا[(٢)]، فأصاب رسولُ الله ﷺ وأصحابُه منها ما لبَّدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم عن السيرِ، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدروا على أن يرتحِلوا معه.

فخرج رسولُ الله ﷺ يُبادرهم إلى الماءِ، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بدرٍ نزل به.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحُدِّثت عن رجالٍ من بني سلمةَ، أنهم ذكروا: أن الحُباب بنَ المنذر بن الجَموح قال: يا رسولَ الله، أرأيت هذا المنزلَ، أمنزلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخرَ عنه، أم هو الرأيُ والحرب والمكيدةُ؟

قال: «**بل هو الرأيُ والحربُ والمكيدةُ؟**».

فقال: يا رسولَ الله، فإن هذا ليس بمنزلٍ، فانهض بالناسِ حتى نأتيَ أدنى ماءٍ من القومِ، فننزله، ثم نُغَوِّرُ ما وراءَه من القُلُبِ، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماءً، ثم نقاتلُ القومَ، فنشرب ولا يشربون.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد أشرتَ بالرأيِ**».

فنهض رسولُ الله ﷺ ومن معه من الناسِ، فسارَ حتى إذا أتى أدنى ماءٍ من القومِ نزل عليه، ثم أمرَ بالقُلُبِ فغُوِّرت، وبنى حوضًا على القَليب الذي نزل عليه، فمُلئ ماءً ثم قذفوا فيه الآنيةَ.

---

(١) القُلُب: جمع قليب، وهو البئر.

(٢) الدَّهْس: المكان السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملا وليس هو بتراب أو طين.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني عبدُ الله بنُ أبي بكر أنه حُدِّثَ أن سعدَ بن معاذٍ قال: يا نبيَّ الله، ألا نبني لك عريشًا[١] تكون فيه، ونُعد عندك ركائبَك، ثم نلقى عدوَّنا، فإن أعزنا اللهُ وأظهرنا على عدوِّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك فلحِقت بمن وراءنا، فقد تخلَّف عنك أقوامٌ يا نبيَّ الله، ما نحن بأشدَّ لك حبًّا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يَمنعك اللهُ بهم، يناصحونك ويُجاهدون معك، فأثنى عليه رسولُ الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير.

ثم بُني لرسولِ الله ﷺ عريشٌ، فكان فيه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت، فأقبلت، فلما رآها رسولُ الله ﷺ تصَوَّبُ من العَقنقلِ -وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي- قال: «**اللهمَّ هذه قريشٌ قد أقبلت بخُيلائها وفخرِها، تُحادُّك وتُكذِّب رسولَك، اللهم فنصرَك الذي وعدتني، اللهم أحِنهم**[٢] **الغداةَ**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضُهم من بعضٍ، وقد أمر رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: «**إن اكتنفكم القومُ فانضحوهم عنكم بالنَّبل**»، ورسولُ الله ﷺ في العريش معه أبو بكر الصديق.

فكانت وقعةُ بدرٍ يومَ الجمعة صبيحةَ سبع عشرة من شهر رمضانَ.

---

(١) العَرِيْش: شبه الخيمة يستظل به.

(٢) أَحِنهم: أي: أهلكهم.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم عدل رسولُ الله ﷺ الصفوفَ، ورجع إلى العريشِ فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصديق، ليس معه فيه غيرُه، ورسول الله ﷺ يناشد ربَّه ما وعده من النصرِ، ويقول فيما يقول: «**اللهمَّ إن تهْلِك هذه العصابةُ اليومَ لا تُعبد**».

وأبو بكر يقول: يا نبيَّ الله: بعضَ مناشدتِك ربَّك، فإن الله منجزٌ لك ما وعدك.

وقد خفَقَ[(١)] رسولُ الله ﷺ خَفقةً وهو في العريش، ثم انتبه فقال: أبشرْ يا أبا بكر، أتاك نصرُ الله، هذا جبريلُ آخذٌ بعنان فرسٍ يقوده، على ثناياه النقعُ[(٢)].

قال: ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم وقال: «**والذي نفسُ محمد بيدِه، لا يقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتل صابرًا محتسبًا، مُقبلًا غيرَ مدبر، إلا أدخله الله الجنةَ**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عبد الله بن ثعلبةَ أنه لما التقى الناسُ، ودنا بعضُهم من بعضٍ، قال أبو جهل بن هشام: اللهمَّ أقْطَعَنا للرحمِ، وآتانا بما لا يُعرفُ، فأحِنْه الغداةَ. فكان هو المستفتِحَ[(٣)].

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم إن رسولَ الله ﷺ أخذ حَفنة من الحَصباءِ فاستقبل قريشًا بها، ثم قال: «**شاهتِ الوجوهُ**»، ثم نَفحهم بها، وأمر أصحابَه فقال:

---

(١) خَفَقَ: نام نوما يسيرا.

(٢) النَّقْع: الغبار.

(٣) المُسْتَفْتِح: أي: الحاكم على نفسه بهذا الدعاء.

«**شدُّوا**»، فكانت الهزيمةُ، فقتل اللهُ تعالى من قتل من صناديدِ قريشٍ، وأسر من أسر من أشرافِهم.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما فرغَ رسولُ الله ﷺ من عدوِّه، أمر بأبي جهلٍ أن يُلتمسَ في القتلى.

قال عبدُ الله بن مسعود: فوجدتُه بآخر رمقٍ فعرفته، فوضعت رجلي على عُنقِه -قال: وقد كان ضَبَثَ[١] بي مرةً بمكةَ، فآذاني ولكزني- ثم قلتُ له: هل أخزاك اللهُ يا عدوَّ الله؟

قال: وبماذا أخزاني، أعمَد من رجلٍ قتلتموه، أخبِرني لمن الدائرةُ اليومَ؟

قال: قلت: لله ولرسولِه.

قال: ثم احتززت رأسَه ثم جئت به رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله، هذا رأسُ عدوِّ الله أبي جهلٍ.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**آلله، الذي لا إله غيرُه**» -قال: وكانت يمينُ رسولِ الله ﷺ- قال: قلت: نعم، والله الذي لا إله غيرُه، ثم ألقيت رأسَه بين يدي رسولِ الله ﷺ، فحمِد اللهَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ قالت: لما أمر رسولُ الله ﷺ بالقتلى أن يُطرحوا في القليبِ؛ طُرحوا فيه إلا ما كان من أميةَ بن خلفٍ، فإنه انتفخ في دِرعه فملأها، فذهبوا ليُحركوه، فتزايَلَ[٢] لحمُه؛ فأقروه، وألقوا عليه ما غيَّبه من الترابِ والحجارةِ.

---

(١) ضَبَثَ: قبض عليه.

(٢) تَزايَلَ: تفرَّق.

فلما ألقاهم في القليب، وقف عليهم رسولُ الله ﷺ، فقال: «**يا أهلَ القليبِ، هل وجدتُم ما وعدكم ربُّكم حقًّا؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا**».

قالت: فقال له أصحابُه: يا رسولَ الله، أتكلِّم قومًا موتى؟ فقال لهم: «**لقد علموا أن ما وعدَهم ربُّهم حقًّا**».

ثم إن رسولَ الله ﷺ أمرَ بما في العسكرِ مما جَمعَ الناسُ فجُمع، فاختلف المسلمون فيه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: قال عُبادة بن الصامت: فقسَمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بَواءٍ[(١)].

ثم أقبل رسولُ الله ﷺ قافلًا إلى المدينة، ومعه الأُسارى من المشركين، وفيهم عُقبةُ بن أبي مُعيط، والنضرُ بن الحارث، واحتمل رسولُ الله ﷺ معه النفلَ الذي أُصيب من المشركين.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير قال: ناحت قريشٌ على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلُغ محمدًا وأصحابَه، فيشمَتوا بكم، ولا تبْعثوا في أسراكم حتى تستَأنوا[(٢)] بهم؛ لا يَأْرُبُ[(٣)] عليكم محمدٌ وأصحابُه في الفداء.

قال: ثم بعثت قريشٌ في فداء الأُسارى.

---

(١) بَوَاء: سواء.

(٢) حتى تَسْتَأْنُوا بهم: معناه: تؤخرون فداءهم.

(٣) لا يَأْرُب: لا يشتد.

قال ابنُ هشامٍ: كان فداءُ المشركين يومئذٍ أربعةَ آلاف درهمٍ للرجل، إلى ألف درهمٍ، إلا من لا شيءَ له، فمَنَّ رسولِ الله ﷺ عليه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فجميعُ من شهد بدرًا من المسلمين من المُهاجرين والأنصار، من شهِدها منهم ومن ضُرب له بسهمِه وأجره، ثلاثُ مئة رجل وأربعةَ عشرَ رجلًا، من المهاجرين ثلاثةٌ وثمانون رجلًا، ومن الأوس واحدٌ وستون رجلًا، ومن الخزرج مئةٌ وسبعون رجلًا.

٧- غزوةُ السَّويق

عن محمد بن إسحاق المُطَّلبي قال: ثم غزا أبو سفيانَ بن حرب غزوةَ السويق في ذي الحجةِ، وولِيَ تلك الحجَّةَ المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيانَ حين رجع إلى مكَّةَ، ورجع فَلُّ[1] قريش من بدرٍ، نذر أن لا يَمسَّ رأسَه ماءٌ من جنابة حتى يغزوَ محمدًا ﷺ، فخرج في مئتي راكبٍ من قريشٍ؛ ليبرَّ يمينَه.

فنزل من المدينةِ على بَريدٍ أو نحوه، ثم خرج من الليلِ، حتى أتى سلَّامَ بن مِشكمٍ، وكان سيِّد بني النضيرِ في زمانه ذلك، وصاحبَ كَنزِهم، فاستأذن عليه، فأَذنَ له، فَقَراه وسقاه، وبَطَنَ[2] له من خبرِ الناسِ.

ثم خرج في عقِب ليلته حتى أتى أصحابَه، فبعثَ رجالًا من قريشٍ إلى المدينة، فأتوا ناحيةً منها، فحرَقوا في أصوارٍ من نخل بها، ووجدوا بها رجلًا من الأنصارِ وحَليفًا له في حرثٍ لهما فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين.

---

(١) الفَلُّ: القوم المنهزمون.

(٢) بَطَنَ له: أي: علم له من سرهم، ومنه بطانة الرجل.

فخرجَ رسولُ الله ﷺ في طلَبهم، ثم انصرفَ راجعًا وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه، وقد رأوا أزوادًا من أزوادِ القوم قد طرحوها في الحرثِ يتخفَّفون منها للنَّجاءِ، فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله ﷺ: يا رسولَ الله، أتطمعُ لنا أن تكون غزوةً؟

قال «**نعم**».

قال ابنُ هشام: وإنما سمِّيت غزوةَ السويق -فيما حدثني أبو عبيدةَ- أن أكثرَ ما طرح القومُ من أزوادهم السَّوِيْقَ[1]، فهجم المسلمون على سويق كثيرٍ؛ فسُمِّيت غزوةَ السويق.

٨- أمرُ بني قَينُقاعَ

وكان من حديث بني قينقاعَ أن رسول الله ﷺ جَمعهم بسوقِ بني قينقاعَ، ثم قال: «**يا معشرَ يهودَ، احذروا من الله مثلَ ما نزل بقريشٍ من النِّقمةِ، وأسلموا، فإنكم قد عرَفتم أني نبيٌّ مرسلٌ، تجدون ذلك في كتابكم وعهدِ الله إليكم**».

قالوا: يا محمدُ، إنك تُرى أنَّا قومُك! لا يغرنَّك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحربِ، فأصبتَ منهم فُرصةً، إنا والله لئن حاربناك لتَعلمنَّ أنا نحن الناسُ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني عاصُم بن عمرَ بن قتادةَ أن بني قينُقاعَ كانوا أوَّلَ يهودٍ نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدرٍ وأُحُدٍ.

---

(١) السَّوِيْق: هو أن تحمص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك، ثم تطحن ثم يسافر بها، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن تلت به، فإن لم يكن شيء من ذلك مزج بالماء.

قال ابنُ هشامٍ: عن أبي عون قال: كان من أمرِ بني قينقاعَ أن امرأة من العرب قدمت بجلَبٍ[(١)] لها، فباعته بسوقِ بني قينُقاعَ، وجلست إلى صائغٍ بها، فجعلوا يُريدونَها على كشفِ وجهها فأبت، فعمِد الصائغُ إلى طرَف ثوبها فعقده إلى ظهرِها، فلما قامت انكشفت سوأتُها، فضحِكوا بها، فصاحت؛ فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًّا، وشدت اليهودُ على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهلُ المسلمِ المسلمين على اليهودِ، فغضِبَ المسلمون، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاعَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني عاصمُ بن عمرَ بن قتادةَ قال: فحاصرهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حُكمِه، فقام إليه عبدُ الله بن أُبيٍّ ابن سَلول، حين أمكنه اللهُ منهم، فقال: يا محمدُ، أحسِن في مَواليَّ، وكانوا حلفاءَ الخزرج، قال: فأبطأَ عليه رسولُ الله ﷺ، فقال: يا محمدُ، أحسِن في مواليَّ، قال: فأعرض عنه.

فأدخل يدَه في جيبِ درعِ رسولِ الله ﷺ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**أرسِلْني**»، وغضبَ رسولُ الله ﷺ حتى رأوا لوجهِه ظُللًا.

ثم قال: «**ويحَك! أرسِلْني**».

قال: لا والله لا أُرسلُك حتى تُحسن في مواليَّ، أربع مئةِ حاسرٍ[(٢)] وثلاث مئةِ دارعٍ قد منعوني من الأحمرِ والأسود، تحصُدهم في غداةٍ واحدةٍ، إني والله امرؤ أخشى الدوائرَ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**هُم لك**».

(١) الجَلَب: كل ما يجلب للأسواق ليباع فيها من إبل وغنم وغيرهما.

(٢) الحَاسِر: من لا درع له.

قال ابنُ هشامٍ: وكانت محاصرتُه إياهم خمسَ عشرة ليلةً.

٩- غزوة أُحُدٍ

لما أُصيبَ يومَ بدرٍ -من كفارِ قريش- أصحابُ القليبِ، ورجع فَلُّهم إلى مكةَ، ورجع أبو سفيان بن حرب بِعيرِه، مشى عبدُ الله بن أبي ربيعةَ، وعكرمةُ بن أبي جهل وصفوانُ بن أمية في رجالٍ من قريشٍ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانُهم يومَ بدرٍ، فكلموا أبا سفيانَ بن حربٍ، ومن كانت له في تلك العِيرِ من قريشٍ تجارةٌ فقالوا: يا معشرَ قريشٍ، إن محمدًا قد وَتَركم، وقتل خيارَكم، فأعينونا بهذا المالِ على حربِه، فلعلَّنا نُدرك منه ثأرنا بمن أصاب منا؛ ففعلوا.

فاجتمعت قريشٌ لحربِ رسولِ الله ﷺ حين فعلَ ذلك أبو سفيان بنُ حرب، وأصحابُ العير بأحابِيشها، ومن أطاعَها من قبائلِ كنانةَ، وأهل تِهامةَ.

فخرجت قريش بحَدِّها وجدِّها وحديدها وأحابِيشها، ومن تابعها من بني كنانةَ، وأهل تهامةَ، وخرجوا معهم بالظُّعُنِ[(١)]؛ التماسَ الحفيظةِ وألا يَفِرُّوا.

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين -بجبلٍ ببطن السبخةِ من قناة على شَفير الوادي- مُقابلَ المدينةِ.

فلما سمع بهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال رسولُ الله ﷺ للمُسلمين: «**إني قد رأيتُ والله خيرًا، رأيت بقرًا، ورأيت في ذُباب سيفي ثَلْمًا، ورأيت أني أدخلت يدي في دِرعٍ حصينةٍ، فأوَّلتُها المدينةَ**».

---

(١) الظُّعُن: جمع ظعينة، وهو الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن.

قال ابن هشامٍ: وحدثني بعضُ أهل العلمِ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**رأيت بقرًا لي تُذبح**».

قال: «**فأما البقرُ فهي ناسٌ من أصحابي يُقتلون، وأما الثَّلمُ الذي رأيتُ في ذباب سيفي فهو رجلٌ من أهلِ بيتي يُقتل**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: فإن رأيتُم أن تُقيموا بالمدينةِ وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بَشرِّ مُقامٍ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها، وكان رأيُ عبد الله بن أبيِّ ابن سلولٍ مع رأي رسولِ الله ﷺ، يرى رأيَه في ذلك، وألا يخرجَ إليهم، وكان رسولُ الله ﷺ يكره الخُروجَ، فقال رجالٌ من المسلمين -ممن أكرم اللهُ بالشهادة يومَ أحدٍ وغيره ممن كان فاته بدرٌ-: يا رسولَ الله، اخرُج بنا إلى أعدائِنا، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعُفنا؟

فقال عبدُ الله بن أُبي ابن سلولٍ: يا رسولَ الله، أقم بالمدينة لا تخرجْ إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قطُّ إلا أصابَ منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهُم يا رسولَ الله، فإن أقاموا، أقاموا بشَرِّ مَحبسٍ، وإن دخلوا قاتَلَهم الرجالُ في وجههم، ورماهم النساءُ والصبيانُ بالحجارةِ من فوقِهم، وإن رجعوا رجعوا خائبينَ كما جاءوا.

فلم يزل الناسُ برسولِ الله ﷺ -الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القومِ- حتى دخل رسولُ الله ﷺ بيته، فلبس لأْمَته، وذلك يومَ الجمعة حين فرغَ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليومِ رجلٌ من الأنصار يُقال له: مالكُ بن عمرو أحدُ

بني النجار، فصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ ثم خرج عليهم وقد ندِم الناسُ، وقالوا: استكرَهنا رسولَ الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك.

فلما خرج عليهم رسولُ الله ﷺ، قالوا: يا رسولَ الله، استكرَهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعُد صلى اللهُ عليك.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأْمَته أن يضعَها حتى يقاتلَ**».

فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابِه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: حتى إذا كانوا بالشوطِ بين المدينةِ وأُحُدٍ، انخذل عنه عبدُ الله بن أبيٍّ ابن سلول بثُلث الناسِ، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علامَ نقتل أنفسَنا هاهنا أيها الناسُ، فرجع بمن اتَّبعه من قومِه من أهلِ النفاقِ والرَّيبِ، واتبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرامٍ أخو بني سلمةَ، يقول: يا قومِ، أذكِّركم اللهَ ألا تَخذلوا قومَكم ونبيَّكم عندما حضر من عدوِّهم.

فقالوا: لو نعلمُ أنكم تُقاتلون لما أسلمناكُم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتالٌ.

قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصرافَ عنهم قال: أبعدَكم اللهُ أعداءَ الله، فسُيغني الله عنكم نبيَّه.

قال: ومضى رسولُ الله ﷺ حتى نزلَ الشِّعبَ من أحدٍ، في عُدوة الوادي إلى الجبلِ، فجعل ظهرَه وعسكَرَه إلى أُحُدٍ، وقال: «**لا يقاتلن أحدٌ منكم حتى نأمُرَه بالقتال**».

وقد سرَّحت قريشٌ الظَّهرَ والكُراعَ[١] في زروعٍ كانت بالصَّمغةِ[٢]، من قناة للمسلمين.

وتعبَّى رسولُ الله ﷺ للقتالِ، وهو في سبع مئةِ رجلٍ، وأمَّر على الرماة عبدَ الله بن جبيرٍ أخا بني عمرو بن عوفٍ وهو مُعلَّمٌ يومئذ بثيابٍ بيضٍ، والرماة خمسون رجلًا.

فقال: «**انضح الخيلَ عنا بالنبلِ، لا يأتونا من خلفِنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبُت مكانَك لا نُؤتَيَنَّ من قِبلك**».

وظاهرَ رسولُ الله ﷺ بين دِرعينِ[٣]، ودفعَ اللواءَ إلى مُصعبِ بن عميرٍ أخي بني عبد الدارِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وتعبَّأت قريشٌ، وهم ثلاثةُ آلاف رجلٍ، ومعهم مئتا فرسٍ قد جنَبوها[٤]، فجعلوا على ميمنةِ الخيلِ خالدَ بن الوليدِ، وعلى مَيسرتها عكرمةَ بن أبي جهلٍ.

وقال رسولُ الله ﷺ: «**مَن يأخذُ هذا السيفَ بحقِّه؟**» فقامَ إليه رجالٌ، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دُجانةَ سِماكُ بن خَرَشةَ أخو بني ساعدةَ، فقال: وما حقُّه يا رسولَ الله؟ قال: «**أن تَضربَ به العدوَّ حتى يَنحنيَ**».

---

(١) الظَّهر: الإبل. والكُرَاع: الخيل.

(٢) الصَّمغَة: اسم موضع قريب من أحد.

(٣) ظَاهَرَ بين درعين: أي: لبس درعا فوق درع.

(٤) جَنَبوها: أي قادوها، والجنيب: الفرس الذي يقاد.

قال: أنا آخذه يا رسولَ الله بحقِّه، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانةَ رجلًا شجاعًا يختال عند الحربِ إذا كانت، وكان إذا أُعلمَ بعصابةٍ له حمراءَ فاعتصب بها علم الناسُ أنه سيقاتِل، فلما أخذ السيفَ من يدِ رسولِ الله ﷺ أخرجَ عصابتَه تلك، فعصب بها رأسَه، وجعل يتبخترُ بين الصفينِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني جعفرُ بن عبدِ الله بن أسلمَ مولى عمرَ بن الخطاب، عن رجلٍ من الأنصارِ من بني سلمةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ حين رأى أبا دُجانةَ يتبختر: «**إنها لَمشيةٌ يُبغضها اللهُ، إلا في مثل هذا المَوطنِ**».

وكان شِعارُ أصحاب رسولِ الله ﷺ يومَ أُحُدٍ: أمِتْ، أمِتْ، فيما قال ابنُ هشام.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فاقتتل الناسُ حتى حَميت الحربُ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في الناسِ.

وقاتلَ حمزةُ بن عبد المطلبِ حتى قتلَ أرطاةَ بن عبد شُرحبيلَ وكان أحدَ النفر الذين يحملون اللواءَ.

قال وحشيٌّ -غلامُ جُبير بن مُطعم-: والله إني لأنظرُ إلى حمزةَ يَهُدُّ الناسَ بسيفِه ما يُليق به شيئًا، مثل الجملِ الأَوْرَقِ[(١)] إذ تقدمني إليه سباعُ بن عبد العُزّى، فضربه ضربةً، فكأن ما أخطأَ رأسَه، وهززتُ حربَتي حتى إذا رضيتُ منها دَفعتُها عليه، فوقعتْ في ثُنَّتِهِ[(٢)] حتى خرجت من بين رِجليه، فأقبلَ نحوي، فغُلب فوقعَ،

---

(١) الأَوْرَق: من الإبل، وهو الذي في لونه بياض إلى السواد

(٢) الثُّنَّة: ما بين أسفل البطن إلى العانة.

وأمهلْتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذتُ حربتي، ثم تنحيتُ إلى العسكرِ، ولم تكن لي بشيءٍ حاجةٌ غيرَه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وقاتل مصعبُ بن عميرٍ دون رسولِ الله ﷺ حتى قُتلَ، وكان الذي قتله ابنُ قَمئةَ الليثيُّ، وهو يظن أنه رسولُ الله ﷺ، فرجعَ إلى قريشٍ فقال: قتلت محمدًا.

فلما قُتل مصعبُ بن عمير أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بنَ أبي طالب، وقاتل عليُّ بن أبي طالب ورجالٌ من المسلمين.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم أنزل اللهُ نصرَه على المسلمين وصدَقهم وعدَه، فحسُّوهم[(١)] بالسيوفِ حتى كشفوهم عن العسكرِ، وكانت الهزيمةُ لا شك فيها.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن الزبيرِ أنه قال: والله لقد رأيتُني أنظر إلى خَدَم هندِ بنتِ عتبةَ وصواحبها مُشمِّرات هواربَ، ما دون أخذهنَّ قليلٌ ولا كثيرٌ إذ مالت الرماةُ إلى العسكرِ، حين كشفنا القومَ عنه وخلوا ظهورَنا للخيلِ؛ فأُتينا من خلفِنا، وصرخَ صارخٌ: ألا إن محمدًا قد قُتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القومُ بعد أن أصبنا أصحابَ اللواءِ حتى ما يدنو منه أحدٌ من القومِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وانكشفَ المسلمون، فأصابَ فيهم العدوُّ، وكان يومَ بلاءٍ وتمحيصٍ أكرم اللهُ فيه من أكرمَ من المسلمين بالشهادةِ، حتى خلُصَ العدوُّ إلى رسولِ الله ﷺ، فدُثَّ[(٢)] بالحجارة حتى وقعَ لشقِّه، فأصيبت رَباعيتُه، وشُجَّ في وجهه، وكُلِمت شَفتُه، وكان الذي أصابَه عتبةُ بن أبي وقاصٍ.

---

(١) حَسُّوهم: قتلوهم.

(٢) دُثَّ: التوى بعضِ جسده.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن أنسِ بن مالكٍ قال: كُسرت رَباعيةُ النبيِّ ﷺ يومَ أُحُدٍ، وشُجَّ في وجهه، فجعل الدمُ يسيلُ على وجهه، وجعلَ يمسحُ الدمَ وهو يقول: «**كيف يُفلح قومٌ خضبوا وجهَ نبيِّهم، وهو يدعوهم إلى ربِّهم؟!**» فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨].

قالَ ابنُ إسحاقَ: وتَرَّسَ دونَ رسول الله ﷺ أبو دجانةَ بنفسِه، يقعُ النبل في ظهرِه وهو مُنحنٍ عليه، حتى كثُر فيه النبلُ، ورمى سعدُ بن أبي وقاصٍ دونَ رسولِ الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيتُه يُناولني النبلَ وهو يقول: «**ارمِ فداكَ أبي وأمي**» حتى إنه ليناولُني السهمَ ما له نصلٌ، فيقولُ: «**ارمِ به**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني القاسمُ بنُ عبد الرحمن بن رافعٍ أخو بني عديِّ بن النجار قال: انتهى أنسُ بن النضرِ عمُّ أنس بن مالك، إلى عمرَ بن الخطاب، وطلحةَ بن عبيدِ الله، في رجالٍ من المهاجرين والأنصارِ، وقد أَلْقَوا بأيديهم.

فقال: ما يُجلسكم؟

قالوا: قُتلَ رسولُ الله ﷺ، قال: فماذا تَصنعون بالحياةِ بعدَه؟ قوموا فموتوا على ما ماتَ عليه رسولُ الله ﷺ، ثم استقبلَ القومَ، فقاتلَ حتى قُتل، وبه سُمِّي أنسُ بن مالكٍ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن أنسِ بن مالك قال: لقد وجدنا بأنسِ بن النضرِ يومئذٍ سبعين ضربةً، فما عرفهُ إلا أختُه، عرفته ببَنانِه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان أوَّلَ من عرفَ رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمةِ -وقولُ الناس: قُتل رسولُ الله ﷺ- كعبُ بن مالكٍ، قال: عرفت عينَيه تزهران من تحت المِغفرِ، فناديتُ بأعلى صوتي: يا معشرَ المسلمين، أبشروا، هذا رسولُ الله ﷺ، فأشارَ إليَّ رسولُ الله ﷺ أن أنصِت.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما عرفَ المسلمون رسولَ الله ﷺ نهضوا به، ونهضَ معهم نحو الشِّعبِ معه أبو بكرٍ الصديقُ، وعمرُ بن الخطاب، وعليُّ بن أبي طالبٍ، وطلحةُ بن عبيدِ الله، والزبيرُ بن العوامِ، والحارثُ بن الصِّمةِ، ورهطٌ من المسلمين.

قال: فلما أُسندَ رسولُ الله ﷺ في الشِّعبِ أدركه أُبيُّ بن خلفٍ وهو يقول: أيْ محمدُ، لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القومُ: يا رسولَ الله، أيعطفُ عليه رجلٌ منا؟

فقال رسولُ الله ﷺ: «**دعوه**»، فلما دنا، تناولَ رسولُ الله ﷺ الحربةَ من الحارثِ بن الصِّمةِ، يقول بعضُ القومِ، فيما ذكر لي: فلما أخذها رسولُ الله ﷺ منه انتفضَ بها انتفاضةً، تطايرنا عنه تطايُرَ الشَّعْراءِ[١] عن ظهرِ البعيرِ إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه في عُنقه طعنةً تَدأْدأَ منها عن فرسِه مِرارًا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان أُبيُّ بن خلفٍ، يلقى رسولَ الله ﷺ بمكَّةَ، فيقول: يا محمدُ إن عندي العَوذَ، فرسًا أعلفه كلَّ يوم فرقًا من ذُرةٍ، أقتلك عليه، فيقول رسولُ الله ﷺ: «**بل أنا أقتُلك إن شاء اللهُ**».

---

(١) الشَّعْرَاء: ذباب أزرق يقع على ظهر البعير.

فلما رجع إلى قريشٍ وقد خدشه في عُنقه خدشًا غير كبيرٍ، فاحتقن الدمُ، قال: قتلني والله محمدٌ! قالوا له: ذهب والله فؤادُك! والله إنْ بك من بأسٍ.

قال: إنه قد كان قال لي بمكَّة: «**أنا أقتُلك**»، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فماتَ عدوُّ الله بسرفٍ وهم قافلون به إلى مكةَ.

قال: فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فمِّ الشعب خرجَ عليُّ بن أبي طالب حتى ملأ دَرقَته ماءً من المِهراسِ[(١)]، فجاء به إلى رسولِ الله ﷺ ليشربَ منه، فوجد له ريحًا، فعافه فلم يشربْ منه، وغسل عن وجهه الدمَ، وصبَّ على رأسِه وهو يقول: «**اشتد غضبُ الله على من دمَّى وجهَ نبيِّه**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: فبينا رسولُ الله ﷺ بالشعبِ معه أولئك النفرُ من أصحابِه، إذ علت عاليةٌ من قريشٍ: الجبلَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ إنه لا يَنبغي لهم أن يَعلونا!**» فقاتلَ عمرُ بن الخطاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبلِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ونهض رسولُ الله ﷺ إلى صخرةٍ من الجبلِ ليَعلوها، وقد كان بَدَّنَ[(٢)] رسولُ الله ﷺ، وظاهرَ بين درعين، فلما ذهبَ لينهضَ ﷺ لم يَستطعْ، فجلس تحته طلحةُ بن عُبيدِ الله، فنهض به حتى استوى عليها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أوجبَ**[(٣)] **طلحةُ**».

---

(١) المِهْراس: ماء بأحد. وقيل: حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر، ويصب فيه الماء لينتفع به الناس.
(٢) بَدَّنَ: أسن.
(٣) أَوْجَبَ: أي: وجبت له الجنة.

قال ابنُ هشامٍ: وذكر عمرُ مولى غُفرةَ أن النبيَّ ﷺ صلى الظهرَ يومَ أحدٍ قاعدًا من الجراحِ التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قُعودًا.

ثم إن أبا سفيانَ بن حربٍ، حين أراد الانصرافَ، أشرفَ على الجبلِ، ثم صرخَ بأعلى صوتِه فقال: أنعمتَ فَعال[١]، وإن الحربَ سجالٌ، يومٌ بيوم، أَعلِ هُبلَ -أي: أظهِر دينَك- فقال رسولُ الله ﷺ: «**قُم يا عمرُ فأجِبْه، فقل: الله أعلى وأجلُّ، لا سواء؛ قتلانا في الجنةِ، وقتلاكُم في النار**».

فلما أجاب عمرُ أبا سفيانَ، قال له أبو سفيان: هَلُمَّ إليَّ يا عمرُ، فقال رسولُ الله ﷺ لعمر: «**ائتِه فانظر ما شأنُه**».

فجاءه، فقال له أبو سفيان: أَنْشُدك اللهَ يا عمر، أقتَلنا محمدًا؟

قال عمرُ: اللهم لا، وإنه ليَسمعُ كلامَك الآن، قال: أنت أصدقُ عندي من ابنِ قَمئةَ وأبرُّ. لِقولِ ابن قمئةَ لهم: إني قد قتلتُ محمدًا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم نادى أبو سفيانَ: إنه قد كان في قتلاكم مُثُلٌ، والله ما رضيت، وما سخطتُ، وما نَهيت، وما أمرتُ.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعِدَكم بدرٌ للعام القابِلِ، فقال رسولُ الله ﷺ لرجلٍ من أصحابِه: «**قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعدٌ**».

ثم بعث رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فقال: «**اخرج في آثارِ القومِ، فانظرْ ماذا يَصنعون وما يُريدون فإن كانوا قد جَنَّبوا الخيلَ، وامتطوا الإبلَ، فإنهم يُريدون**

---

(١) أَنعَمتَ فَعال: يعني به الحرب والوقيعة، يفتخر بها.

مكةَ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبلَ، فإنهم يُريدون المدينةَ، والذي نفسي بيدِه، لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها، ثم لأُناجِزنَّهم».

قال عليٌّ: فخرجت في آثارِهم أنظرُ ماذا يَصنعون، فجنَّبوا الخيلَ، وامتطوا الإبلَ، ووجهوا إلى مكةَ.

وفرغَ الناسُ لقتلاهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَن رجلٌ ينظرُ لي ما فعل سعدُ بن الربيعِ؟ أفي الأحياءِ هو أم في الأمواتِ؟**».

فقال رجلٌ من الأنصارِ: أنا أنظرُ لك يا رسولَ الله ما فعلَ سعدٌ، فنظر فوجده جريحًا في القتلى وبه رَمقٌ.

قال: فقلت له: إن رسولَ الله ﷺ أَمرني أن أنظُرَ، أفي الأحياءِ أنت أم في الأمواتِ؟

قال: أنا في الأمواتِ، فأبلغْ رسولَ الله ﷺ عني السلامَ، وقل له: إن سعدَ بن الربيعِ يقول لك: جزاك اللهُ عنا خيرَ ما جزى نبيًّا عن أمَّتِه، وأبلغ قومَك عني السلامَ، وقل لهم: إن سعدَ بن الربيعِ يقول لكم: إنه لا عُذرَ لكم عند الله إن خَلُص إلى نبيِّكم ﷺ ومنكم عينٌ تَطرِف.

قال: ثم لم أبرَح حتى ماتَ، قال: فجئتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه خبرَه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وخرج رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمسُ حمزةَ بن عبدِ المطلب، فوجده ببطنِ الوادي قد بُقر بطنُه عن كبِده، ومُثِّل به، فجُدعَ أنفُه وأذناه.

فحدثني محمدُ بن جعفرِ بن الزبيرِ أن رسولَ الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: «**لولا أن تَحزنَ صفيَّةُ ويكون سنَّةً من بعدي؛ لتركتُه حتى يكونَ في بطون السباعِ، وحواصِل الطيرِ، ولئن أظهرني اللهُ على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأمثِّلن بثلاثين رجلًا منهم**».

فلما رأى المسلمون حزنَ رسولِ الله ﷺ وغيظَه على من فعلَ بعمِّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرَنا اللهُ بهم يومًا من الدهرِ لنُمثِّلن بهم مُثلةً لم يُمثِّلها أحدٌ من العرب.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن ابن عباس أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنزلَ في ذلك، من قول رسولِ الله ﷺ، وقولِ أصحابِه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل:١٢٦-١٢٧]؛ فعفا رسولُ الله ﷺ، وصبرَ ونهى عن المُثلةِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن ابن عباسٍ قال: أمر رسولُ الله ﷺ بحمزةَ فسُجِّيَ ببُردةٍ ثم صلى عليه، فكبر سبعَ تكبيرات، ثم أُتيَ بالقَتلى فيوضَعون إلى حمزةَ، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتينِ وسبعين صلاةً.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينةِ، فدفنوهم بها، ثم نهى رسولُ الله ﷺ عن ذلك، وقال: «**ادفنوهم حيث صُرِعوا**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عبدِ الله بن ثعلبةَ أن رسولَ الله ﷺ لما أشرفَ على القتلى يومَ أُحُدٍ قال: «**أنا شهيدٌ على هؤلاء، إنه ما من جريحٍ يُجرحُ في الله إلا واللهُ**

يبعثه يومَ القيامة يَدمي جُرحُه، اللونُ لون دمٍ والريح ريحُ مسك، انظروا أكثرَ هؤلاء جمعًا للقرآنِ، فاجعلوه أمامَ أصحابِه في القبر» وكانوا يَدفنون الاثنينِ والثلاثةَ في القبرِ الواحدِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان يومُ أحُد يومَ السبتِ للنصف من شوال.

قال: فلما كان الغدُ من يوم الأحد لست عشرةَ ليلةً مضت من شوال، أذَّن مؤذنُ رسولِ الله ﷺ في الناس بطلبِ العدوِّ، فأذن مؤذنُه ألا يَخرجن معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضرَ يومنا بالأمسِ، فكلَّمه جابرُ بن عبدِ الله بن عمرو بن حَرامٍ فقال: يا رسولَ الله، إن أبي كان خلَّفني على أخواتٍ لي سبعٍ، وقال: يا بُنيَّ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوةَ لا رجلَ فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهادِ مع رسولِ الله ﷺ على نفسي، فتخلَّفْ على أخواتِك، فتخلفتُ عليهن.

فأذِن له رسولُ الله ﷺ، فخرجَ معه، وإنما خرج رسولُ الله ﷺ مُرهبًا للعدوِّ، وليبلِّغَهم أنه خرجَ في طلبهم، ليظنوا به قوَّةً، وأن الذي أصابَهم لم يوهنهم عن عدوِّهم.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فخرجَ رسولُ الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراءِ الأسدِ، وهي من المدينةِ على ثمانيةِ أميالٍ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينةِ.

قال: وقد مرَّ به معبدُ بن أبي مَعبدٍ الخزاعيُّ، وكانت خزاعةُ، مسلمُهم ومشرِكهم عَيْبَةَ نُصحٍ[١] لرسولِ الله ﷺ بتِهامةَ، صفقتُهم معه[٢]، لا يخفون عنه

---

(١) عَيْبَة نُصح: أي: موضع سره.

(٢) صَفْقَتُهم معه: من تصافق القوم إذا تبايعوا.

شيئًا كان بها، ومعبدٌ يومئذٍ مشركٌ، فقال: يا محمدُ، أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابَك، ولوددنا أن اللهَ عافاك فيهم، ثم خرجَ ورسولُ الله ﷺ بحمراءِ الأسد، حتى لقي أبا سفيانَ بن حربٍ ومن معه بالروحاءِ، وقد أجمعوا الرجعةَ إلى رسولِ الله ﷺ وأصحابِه، وقالوا: أصبنا حدَّ أصحابِه وأشرافَهم وقادَتهم، ثم نرجعُ قبل أن نستأصِلَهم! لنكُرَنَّ على بقيتهم، فلنَفرُغنَّ منهم.

فلما رأى أبو سفيان مَعبدًا، قال: ما وراءَك يا معبدُ؟ قال: محمدٌ قد خرجَ في أصحابه يطلبُكم في جمعٍ لم أرَ مثلَه قط، يتحرَّقون عليكم تحرقًا، قد اجتمعَ معه من كان تخلف عنه في يومِكم، وندِموا على ما صنعوا، فيهم من الحَنَقِ عليكم شيءٌ لم أرَ مثلَه قط، قال: ويحك! ما تقولُ؟

قال: والله ما أرى أن تَرتحلَ حتى أرى نواصيَ الخيلِ، قال: فوالله لقد أجمَعنا الكرَّةَ عليهم، لنستأصلَ بقيَّتهم: قال: فإني أنهاكَ عن ذلك.

قال: والله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتًا من شعرٍ.

قال: وما قلتَ؟

قال: قلت:

كادت تُهَدُّ من الأصواتِ راحِلتي ** إذ سالتِ الأرضُ بالجُردِ الأبابيلِ
تَردي بأُسدٍ كرام لا تَنابلةٍ ** عند اللقاءِ ولا مِيلِ معازيلِ

فثنى ذلك أبا سفيانَ ومن معه.

ومرَّ به ركبٌ من عبدِ القيس، فقال: أين تُريدون؟ قالوا: نُريد المدينةَ؟

قال: ولمَ؟

قالوا: نُريد المِيرةَ.

قال: فهل أنتم مُبلِّغون عني محمدًا رسالةً أرسلُكم بها إليه، وأُحملُ لكم هذه غدًا زبيبًا بعُكاظٍ إذا وافيتموها؟

قالوا: نعم.

قال: فإذا وافيتُموه فأخبروه أنَّا قد أجمعنا السيرَ إليه وإلى أصحابِه لنستأصِلَ بقيَّتهم، فمرَّ الركبُ برسولِ الله ﷺ وهو بحمراءِ الأسدِ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال: «**حسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: كان يومُ أُحدٍ يومَ بلاءٍ ومصيبةٍ وتمحيص، اختبر اللهُ به المؤمنين، ومَحَنَ به المنافقين ممن كان يُظهرُ الإيمانَ بلسانه، وهو مُستخفٍ بالكفرِ في قلبِه، ويومًا أكرمَ الله فيه من أرادَ كرامته بالشهادةِ من أهلِ ولايتِه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فجميعُ من استشهدَ من المسلمينَ مع رسولِ الله ﷺ من المُهاجرين والأنصار خمسةٌ وستون رجلًا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فجميعُ من قَتل اللهُ تبارك وتعالى يومَ أحدٍ من المشركين اثنانِ وعشرون رجلًا.

١٠- ذكرُ يومِ الرجيع في سنةِ ثلاثٍ

عن محمدِ بن إسحاق المطَّلبي قال: حدثني عاصمُ بن عمر بن قتادةَ قال: قدِم على رسولِ الله ﷺ بعدَ أحُدٍ رهطٌ من عَضَلٍ والقارَّةِ، فقالوا: يا رسولَ الله،

إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابِك يُفقِّهوننا في الدين، ويُقرِئوننا القرآنَ، ويُعلموننا شرائعَ الإسلام؛ فبعث رسولُ الله ﷺ نفرًا ستةً من أصحابِه، وهم: مَرثدُ بن أبي مرثدٍ الغنويُّ، وخالدُ بن البكير الليثي، وعاصمُ بن ثابتِ بن أبي الأقلحِ، وخُبيبُ بن عديٍّ، وزيد بن الدَّثِنةِ بن معاويةَ، وعبدُ الله بن طارق.

وأمَّر رسولُ الله ﷺ على القومِ مرثدَ بن أبي مرثدٍ الغنويَّ، فخرج مع القومِ، حتى إذا كانوا على الرجيعِ: ماءٍ لهُذيلٍ بناحية الحجازِ، على صدورِ الهدأة غَدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذيلًا، فلم يَرُع القومَ وهم في رحالهم إلا الرجالُ بأيديهم السيوفُ قد غشَوهم، فأخذوا أسيافَهم ليُقاتلوهم فقالوا لهم: إنا والله ما نُريد قتلَكم، ولكنا نريدُ أن نُصيب بكم شيئًا من أهل مكَّةَ ولكم عهدُ الله وميثاقُه ألا نقتُلَكم.

فأما مرثدُ بن أبي مرثدٍ، وخالدُ بن البُكير، وعاصمُ بن ثابتٍ فقالوا: والله لا نقبلُ من مشركٍ عهدًا ولا عقدًا أبدًا، ثم قاتل القومَ حتى قُتل وقُتِلَ صاحباه.

فلما قُتل عاصمٌ أرادت هُذيلٌ أخذ رأسِه، ليبيعوه من سُلافةَ بنت سعدِ بن شُهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يومَ أُحُدٍ: لئن قدرت على رأسِ عاصمٍ لتشربَنَّ في قِحْفِه الخمرَ، فمنعَتْه الدَّبْرُ[1]، فلما حالت بينه وبينَهم الدبرُ قالوا: دعوه يُمسي فتَذهبُ عنه فنأخذَه، فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصمًا، فذهب به، وقد كان عاصمٌ قد أعطى اللهَ عهدًا أن لا يمسَّه مشركٌ، ولا يمسَّ مشركًا أبدًا تنجُّسًا.

---

(١) الدَّبْر: جماعة النحل.

فكان عمرُ بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: حين بلغهُ أن الدبر منعَته: يحفظُ اللهُ العبدَ المؤمن، كان عاصمٌ نذرَ ألا يمسَّه مشركٌ، ولا يمسَّ مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه اللهُ بعد وفاتِه، كما امتنعَ منه في حياتِه.

وأما زيدُ بن الدَّثِنةِ وخُبيب بن عديٍّ وعبدُ الله بن طارق، فلانوا ورقوا ورغِبوا في الحياةِ، فأعطوا بأيديهم فأَسروهم، ثم خرجوا إلى مكَّةَ، ليَبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَّهران انتزعَ عبدُ الله بن طارقٍ يدَه من القِرانِ، ثم أخذ سيفَه، واستأخرَ عنه القومُ، فرموه بالحجارةِ حتى قَتلوه، فقبرُه رَحِمَهُٱللَّهُ بالظَّهرانِ، وأما خُبيبُ بن عدي وزيد بن الدَّثنة فقدِموا بهما مكَّةَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فابتاعَ خُبيبًا حُجيرُ بن أبي إهابٍ التميميُّ لعقبةَ بن الحارث بن عامرِ بن نوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارثِ بن عامرٍ لأمِّه، ليقتلَه بأبيه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وأما زيدُ بن الدَّثنةِ فابتاعه صفوانُ بن أميةَ ليَقتُله بأبيه أمية بن خلفٍ، وبعث به صفوانُ بن أميةَ مع مولى له، يُقال له: نِسطاسٌ إلى التنعيمِ، وأخرجوه من الحرمِ ليَقتلوه، واجتمع رهطٌ من قريش، فيهم أبو سفيانَ بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتَل: أنشُدك اللهَ يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآنَ في مكانِك نضربُ عُنقَه، وأنك في أهلك؟

قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانِه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه، وأنى جالسٌ في أهلي.

قال: يقول أبو سفيان: ما رأيتُ من الناسِ أحدًا يحبُّ أحدًا كحب أصحابِ محمدٍ محمدًا، ثم قتله نسطاس يرحمه الله.

وأما خُبيب بن عديٍّ، فعن ماوِيَّةَ مولاةِ حُجير بن أبي إهابٍ -وكانت قد أسلمت- قالت: كان خبيبٌ عندي، حُبس في بيتي، فلقد اطلعت عليه يومًا، وإن في يده لَقِطفًا من عنبٍ مثل رأسِ الرجل يأكلُ منه، وما أعلمُ في أرضِ الله عنبًا يُؤكل.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وعنها أنها قالت: قال لي حين حضرهُ القتلُ: ابعثي إليَّ بحديدةٍ أتطهَّر بها للقتلِ، قالت: فأعطيت غلامًا من الحي المُوسى، فقلت: ادخل بها على هذا الرجلِ البيتَ، قالت: فوالله، ما هو إلا أن ولَّى الغلامُ بها إليه، فقلتُ: ماذا صنعتُ! أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتلِ هذا الغلامِ، فيكون رجلًا برجلٍ، فلما ناوله الحديدةَ أخذَها من يدِه ثم قال: لَعمرُك، ما خافت أمُّك غدري حين بعثَتْك بهذه الحديدةِ إليَّ! ثم خلَّى سبيله.

قالَ ابنُ إسحاقَ: قال عاصم: ثم خرجوا بخُبيبٍ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيمِ ليَصلبوه، قال لهم: إن رأيتم أن تَدعوني حتى أركعَ ركعتين فافعلوا، قالوا: دونَك فاركعْ، فركع ركعتين أتمَّها وأحسنَها، ثم أقبلَ على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنُّوا أني إنما طوَّلت جزعًا من القتلِ لاستكثرتُ من الصلاةِ.

قال: فكان خبيبُ بن عديٍّ أوَّلَ من سنَّ هاتين الركعتينِ عند القتلِ للمسلمين.

قال: ثم رفعوه على خشبةٍ، فلما أوثقوه قال: اللهمَّ إنَّا قد بلَّغنا رسالةَ رسولك، فبلِّغه الغداةَ ما يُصنعُ بنا، ثم قال: اللهم أحصِهم عددًا، واقتُلهم بَددًا، ولا تُغادر منهم أحدًا. ثم قتلوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١١- حديثُ بئرِ مَعونةَ في صفر سنةَ أربع

وكان من حديثِهم أن قدِم أبو براءٍ عامرُ بن مالكٍ مُلاعبُ الأسنَّةِ على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فعَرض عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ، ودعاه إليه، فلم يُسلِم ولم يَبعُد من الإسلامِ، وقال: يا محمدُ، لو بَعثت رجالًا من أصحابِك إلى أهلِ نجدٍ، فدعوهم إلى أمرِك، رَجوت أن يستجيبوا لك.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إني أخشى عليهم أهلَ نجدٍ**».

قال أبو براءٍ: أنا لهم جارٌ، فابعثهُم فليدعوا الناسَ إلى أمرِك.

فبعث رسولُ الله ﷺ المنذرَ بن عمرو في أربعينَ رجلًا من أصحابِه من خيارِ المسلمين.

فساروا حتى نزلوا ببئرِ مَعونةَ، فلما نزلوها بعثوا حَرامَ بن مِلحانَ بكتابِ رسولِ الله ﷺ إلى عدوِّ الله عامرِ بن الطُّفيلِ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجلِ فقتلهُ.

ثم استصرخَ عليهم بني عامرٍ، فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نُخفِر أبا براءٍ، وقد عقدَ لهم عقدًا وجِوارًا.

فاستصرخَ عليهم قبائلَ من بني سُليمٍ فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القومَ، فأحاطوا بهم في رِحالِهِم، فلما رأوهم أخذوا سُيوفَهم، ثم قاتَلوهم حتى قُتلوا من عند آخرِهم -يَرحمُهم اللهُ- إلا كعبَ بن زيدٍ أخا بني دينارِ بن النجارِ، فإنهم تركوه وبه رمقٌ، فارْتُثَّ[١] من بين القتلى، فعاشَ حتى قُتل يومَ الخندقِ شهيدًا، رحمه الله.

وكان في سرحِ القومِ عمرُو بن أميةَ الضَّمريُّ، ورجلٌ من الأنصارِ أحدُ بني عمرو بن عوفٍ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلم يُنْبئهما بمُصابِ أصحابِهما إلا الطيرُ تحومُ على العسكرِ، فقالا: والله إن لِهذه الطيرِ لشأنًا، فأقبلا لينظُرا، فإذا القومُ في دمائِهم، وإذا الخيلُ التي أصابتهم واقفةٌ.

فقال الأنصاريُّ لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نَلحقَ برسولِ الله ﷺ، فنخبرَه الخبرَ.

فقال الأنصاريُّ: لكني ما كنت لأرغبَ بنفسي عن مَوطنٍ قُتل فيه المنذرُ بن عمرو، وما كنتُ لتُخبرَني عنه الرجالُ، ثم قاتلَ القومَ حتى قُتلَ، وأخذوا عمرَو بن أميةَ أسيرًا، فلما أخبرَهم أنه من مُضرَ، أطلقه عامرُ بن الطفيلِ، وجزَّ ناصيتَه، وأعتقَه عن رقبةٍ زعم أنها كانت على أمِّه.

فخرجَ عمرو بن أميَّةَ حتى إذا كان بالقَرقرةِ من صدر قناةٍ، أقبل رجلانِ من بني عامرٍ، حتى نزلا معه في ظلٍّ هو فيه، وكان مع العامريَّيْن عقدٌ من رسولِ الله

---

(١) ارْتُثَّ: أي: حُمل من المعركة مثخنا ضعيفا.

ﷺ وجِوارٌ، لم يعلم به عمرُو بن أميةَ، وقد سألهما حين نزلا: «**ممَّن أنتما؟**» فقالا: من بني عامرٍ، فأمهلَهُما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلَهما، وهو يرى أنه قد أصابَ بهما ثُؤرةً من بني عامرٍ فيما أصابوا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فلما قَدِم عمرُو بن أميَّةَ على رسولِ الله ﷺ فأخبرَه الخبرَ، قال رسولُ الله ﷺ: «**لقد قتلتَ قتيلينِ، لأَدِيَنَّهُما!**»، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**هذا عملُ أبي براءٍ، قد كنت لهذا كارهًا مُتَخوِّفًا**»، فبلغ ذلك أبا براءٍ، فشقَّ عليه إخفارُ عامرٍ إياه، وما أصابَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ بسببه وجوارِه.

١٢- أمرُ إجلاءِ بني النضير في سنةِ أربعٍ

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النضيرِ يَستعينُهم في دِية ذَينَك القتيلين من بني عامرٍ اللذين قَتلَ عمرُو بن أميةَ الضمريُّ؛ للجوارِ الذي كان رسولُ الله ﷺ عقدَ لهما، وكان بين بني النضيرِ وبين بني عامرٍ عقدٌ وحِلفٌ.

فلما أتاهم رسولُ الله ﷺ يَستَعينُهم في ديةِ ذينَك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسمِ، نُعينُك على ما أحببتَ، مما استعَنت بنا عليه.

ثم خلا بعضُهم ببعضٍ، فقالوا: إنكم لن تَجدوا الرجلَ على مثل حالِه هذه - ورسولُ الله ﷺ إلى جنبِ جدارٍ من بيوتِهم قاعدٌ- فمَن رجلٌ يعلو على هذا البيتِ، فيُلقي عليه صخرةً؛ فيُريحنا منه؟

فانتُدِبَ لذلك عمرُو بن جَحَّاش بن كعبٍ أحدُهم، فقال: أنا لذلك، فصعِد ليُلقي عليه صخرةً كما قال، ورسولُ الله ﷺ في نفرٍ من أصحابِه فيهم أبو بكرٍ وعمرُ وعليٌّ رِضوان الله عليهم.

فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماءِ بما أرادَ القومُ، فقام وخرج راجعًا إلى المدينةِ، فلما استلبَثَ النبيَّ ﷺ أصحابُه، قاموا في طلبِه، فلقوا رجلا مُقبلًا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيتُه داخلًا المدينةَ.

فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ حتى انتَهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبرَ بما كانت اليهودُ أرادَت من الغدرِ به، وأمرَ رسولُ الله ﷺ بالتهيُّؤِ لحربِهم، والسيرِ إليهم.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم سار بالناسِ حتى نزلَ بهم.

قال ابنُ هشامٍ: وذلك في شهر ربيعٍ الأوَّلِ، فحاصَرَهم ست ليالٍ، ونزل تحريم الخمرِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فتحصَّنوا منه في الحصونِ، فأمر رسولُ الله ﷺ بقطعِ النخيلِ والتحريقِ فيها، فنادَوه: أن يا محمدُ، قد كنت تَنهى عن الفسادِ، وتَعيبُه على من صنَعه، فما بالُ قطعِ النخلِ وتحريقِها؟

وقد كان رهطٌ من بني عوفِ بن الخزرج، منهم عدوُّ الله عبدُ الله بن أبي ابن سَلول ووديعةُ ومالك بن أبي قَوقلٍ وسُويدٌ وداعسٌ قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبُتوا وتمنَّعوا، فإنا لن نُسلمَكم، إن قوتِلتم قاتَلنا معكم، وإن أُخرجتُم خرجنا معكم، فتربَّصوا ذلك من نصرِهم، فلم يَفعلوا، وقذف اللهُ في قلوبهم الرعبَ، وسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجليَهم ويَكُفَّ عن دمائِهم، على أن لهم ما حملتِ الإبلُ من أموالِهم إلا الحَلْقةَ(١)، ففعل.

---

(١) الحَلْقة: الدروع.

فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبلُ، فكان الرجلُ منهم يهدمُ بيتَه عن نِجافِ[١] بابه، فيضعُه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبرَ، ومنهم من سارَ إلى الشأمِ.

وخلوا الأموالَ لرسولِ الله ﷺ، فكانت لرسولِ الله ﷺ خاصةً، يَضعُها حيث يشاءُ، فقسَّمها رسولُ الله ﷺ على الْمُهاجرين الأولين دونَ الأنصارِ، إلا أن سهلَ بن حُنيفٍ وأبا دُجانةَ سماكَ بن خَرشة ذكرا فقرًا؛ فأعطاهما رسولُ الله ﷺ.

١٣- غزوةُ بدرٍ الآخرةُ في شعبان سنةَ أربعٍ

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم خرج في شعبانَ إلى بدرٍ، لميعادِ أبي سفيان، حتى نزله، فأقامَ عليه ثماني ليالٍ ينتظر أبا سفيانَ، وخرجَ أبو سفيان في أهلِ مكَّةَ حتى نزلَ مَجَنَّةَ، من ناحية الظهران، وبعضُ الناس يقول: قد بلغ عُسفانَ، ثم بدا له في الرجوعِ، فقال: يا معشرَ قريشٍ، إنه لا يُصلحُكم إلا عامٌ خَصيبٌ ترعون فيه الشجرَ، وتشربون فيه اللبنَ، وإن عامَكم هذا عامُ جَدبٍ، وإني راجعٌ فارجعوا؛ فرجع الناسُ. فسماهم أهلُ مكةَ جيشَ السويق، يقولون: إنما خرجتُم تَشربون السويقَ.

١٤- غزوةُ الخندقِ في شوال سنةَ خمس

إنه كان من حديثِ الخندقِ أن نفرًا من اليهودِ، منهم: سلَّام بن أبي الحُقيق وحُيَي بن أخطبَ في نفرٍ من بني النضيرِ ونفرٍ من بني وائلٍ -وهم الذين حزَّبوا الأحزابَ على رسولِ الله ﷺ- خَرجوا حتى قدِموا على قريشٍ مكةَ، فدَعوهم إلى حربِ رسولِ الله ﷺ، وقالوا: إنَّا سنكون معكم عليه، حتى نَستأصِلَه.

---

(١) النِّجَاف: العتبة وهي أسكفة الباب.

فقالت لهم قريشٌ: يا معشرَ يهودَ، إنكم أهلُ الكتابِ الأول والعلمِ بما أصبحنا نختلفُ فيه نحن ومحمدٌ، أفدينُنا خيرٌ أم دينُه؟

قالوا: بل دينُكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولى بالحقِّ منه، فهم الذين أنزلَ الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء:٥١-٥٥].

قال: فلما قالوا ذلك لقريشٍ، سرَّهم ونشَطوا لما دَعوهم إليه من حربِ رسولِ الله ﷺ، فاجتَمعوا لذلك واتَّعدوا له، ثم خرج أولئك النفرُ من يهودَ حتى جاءوا غطَفانَ من قيسِ عيلانَ، فدعوهم إلى حربِ رسولِ الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك؛ فاجتمعوا معهم فيه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فخرجت قريشٌ وقائدها أبو سفيانَ بن حرب، وخرجت غطفانُ وقائِدها عيينةُ بن حصنٍ في بني فَزارةَ، والحارث بن عوف في بني مُرَّةَ، ومِسعر بن رُخيلةَ فيمن تابعه من قومِه من أشجعَ.

فلما سمع بهم رسولُ الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمرِ ضربَ الخندقَ على المدينةِ، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ تَرغيبًا للمسلمين في الأجرِ، وعمِل معه المسلمون فيه، فدأبَ فيه ودأبوا.

وأبطأ عن رسولِ الله ﷺ وعن المسلمين في عمِلهم ذلك رجالٌ من المنافقين، وجَعلوا يُورون بالضعيفِ من العملِ، ويتسلَّلون إلى أهليهم بغيرِ علمٍ من رسول الله ﷺ، ولا إذنٍ.

وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابته النائبةُ من الحاجة التي لا بُدَّ له منها، يَذكر ذلك لرسولِ الله ﷺ ويَستأذنُه في اللحوقِ بحاجته؛ فيأذنُ له، فإذا قضى حاجتَه رجعَ إلى ما كان فيه من عملِه رغبةً في الخيرِ واحتسابًا له.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان في حفرِ الخندقِ أحاديثُ بلغتني، فيها من الله تعالى عبرةٌ في تصديقِ رسولِ الله ﷺ، وتحقيقِ نبوَّته، عاين ذلك المسلمون.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما فرغَ رسولُ الله ﷺ من الخندقِ، أقبلت قريشٌ حتى نزلت بمُجتمَعِ الأسيالِ من رُومةَ بين الجُرُفِ وزَغابةَ في عشرة آلافٍ من أحابِيشِهم، ومن تبِعهم من بني كِنانَةَ وأهلِ تِهامةَ، وأقبلت غطَفانُ ومن تبعهم من أهلِ نجدٍ حتى نزلوا بذَنَب نَقمى إلى جانب أُحُدٍ.

وخرجَ رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورَهم إلى سَلْعٍ، في ثلاثة آلافٍ من المسلمين، فضربَ هنالك عسكرَه، والخندقُ بينه وبين القومِ.

قال: وخرج عدوُّ الله حُييُّ بن أخطبَ النضريُّ، حتى أتى كعبَ بن أسد القرظيَّ صاحبَ عقدِ بني قريظةَ وعهدِهم، وكان قد وادَعَ رسولَ الله ﷺ على قومِه، وعاقَدَه على ذلك وعاهده، فلما سمع كعبٌ بحُيي بن أخطبَ أغلقَ دونه باب حِصنِه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتحَ له؛ فناداه حيي: ويحك يا كعبُ، افتح لي!

قال: ويحك يا حُييُّ، إنك امرؤٌ مشئومٌ، وإني قد عاهدت محمدًا، فلست بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أرَ منه إلا وفاءً وصدقًا.

قال: ويحك افتح لي أكلِّمْك.

قال: ما أنا بفاعلٍ.

قال: والله إن أغلقتَ دوني إلا عن جَشيشتِك[١] أن آكلَ معك منها.

فأَحفَظَ الرجُلَ[٢]؛ ففتح له.

فقال: ويحكَ يا كعبُ، جئتُك بعزِّ الدهرِ وببحرٍ طامٍّ، جئتك بقريشٍ على قادتِها وسادتِها، حتى أنزلتهم بمجتمعِ الأسيالِ من رُومةَ، وبغطفان على قادتِها وسادتِها حتى أنزلتهم بذَنَب نقمى إلى جانب أحُدٍ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يَبرحوا حتى نَستأصلَ محمدًا ومن معه.

قال: فقال له كعبٌ: جئتني والله بذُلِّ الدهرِ، وبجَهامٍ[٣] قد هراقَ ماءه، فهو يَرعد ويَبرُق، ليس فيه شيءٌ، ويحك يا حُييُّ! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أرَ من محمد إلا صدقًا ووفاءً.

فلم يزل حييٌّ بكعب يَفتله في الذروةِ والغارِب حتى سمح له على أن أعطاه عهدًا من الله وميثاقًا: لئن رجَعَت قريشٌ وغطَفانُ، ولم يَصيبوا محمدًا أن أدخلَ معك في حِصنِك حتى يُصيبني ما أصابَك، فنقض كعبُ بن أسد عهدَه، وبرئ مما كان بينه وبين رسولِ الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسولِ الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين بعث رسولُ الله ﷺ سعدَ بن مُعاذٍ -وهو يومئذ سيِّدُ الأوسِ- وسعدَ بن عُبادةَ -وهو يومئذٍ سيد الخزرجِ- ومعهما عبدُ الله بن رواحة وخَوَّاتُ بن جُبير، فقال: «**انطلقوا حتى تَنظروا، أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القومِ أم لا؟**»

---

(١) الجَشِيشَة: طحن البر وغيره طحنًا غليظًا.
(٢) أَحفَظَ الرجلَ: أي: أغضبه، والحفيظة الغضب.
(٣) الجَهَام: السحاب الذي لا ماء فيه.

فإن كان حقًّا فالحَنوا لي لحنًا[1] أعرفُه، ولا تَفُتُّوا في أعضادِ الناسِ، وإن كانوا على الوفاءِ فيما بيننا وبينهم فاجهَروا به للناسِ.

قال: فخرجوا حتى أَتَوهم، فوجدوهم على أخبثِ ما بَلَغَهم عنهم، ثم أقبلَ سعدٌ وسعدٌ ومن معهما إلى رسولِ الله ﷺ، فسلَّموا عليه، ثم قالوا: عَضَلٌ والقارَّةُ، أي: كغدرِ عَضَلٍ والقارَّةِ بأصحاب الرجيعِ: خبيبٍ وأصحابِه.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**الله أكبرُ، أبشروا يا معشرَ المسلمين**».

قال: وعظُم عند ذلك البلاءُ، واشتدَّ الخوفُ، وأتاهم عدوهم من فوقِهم ومن أسفلَ منهم، حتى ظن المؤمنون كُلَّ ظنٍّ، ونجمَ النفاقُ من بعضِ المنافقين.

فأقامَ رسولُ الله ﷺ وأقامَ عليه المشركون بِضعًا وعشرين ليلة، قريبًا من شهر، لم تكن بينهم حربٌ إلا الرِّمِّيا بالنبلِ والحصار.

فلما اشتدَّ على الناس البلاءُ بعث رسولُ الله ﷺ إلى عُيينةَ بن حصنٍ، وإلى الحارثِ بن عوفٍ، وهما قائدا غطفانَ فأعطاهما ثلثَ ثمارِ المدينةِ على أن يَرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابِه، فجرى بينه وبينهما الصلحُ حتى كتبوا الكتابَ ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمةُ الصلح، إلا المراوضةُ في ذلك.

فلما أراد رسولُ الله ﷺ أن يفعلَ، بعث إلى سعدِ بن معاذٍ وسعدِ بن عبادةَ، فذكر ذلك لهما، واستشارَهما فيه، فقالا له: يا رسولَ الله، أمرًا تُحبُّه فنصنعه، أم شيئًا أمرك اللهُ به لا بد لنا من العمل به، أم شيئًا تَصنعُه لنا؟

---

(١) فالحَنُوا لي لحنًا: أي: أعلموني بذلك في الخفاء.

قال: «**بل شيءٌ أصنعُه لكم، والله ما أصنعُ ذلك إلا لأنني رأيتُ العربَ قد رَمتكُم عن قوسٍ واحدةٍ، وكالَبُوكُم من كلِّ جانبٍ، فأردت أن أكسِرَ عنكم من شوكتِهم إلى أمرٍ ما**».

فقال له سعدُ بن معاذ: يا رسولَ الله، قد كنا نحن وهؤلاء القومَ على الشركِ بالله وعبادةِ الأوثانِ، لا نعبد اللهَ ولا نعرفُه، وهم لا يَطمعون أن يأكلوا منها تمرةً إلا قِرًى أو بيعًا، أفحين أكرمنا اللهُ بالإسلامِ وهدانا له وأعزَّنا بك وبه، نُعطيهم أموالَنا! والله ما لنا بهذا من حاجةٍ، والله لا نُعطيهم إلا السيفَ حتى يَحكمَ اللهُ بيننا وبينهم.

قال رسولُ الله ﷺ: «**فأنت وذاك**».

فتناول سعدُ بن معاذ الصحيفةَ، فمحا ما فيها من الكتابِ، ثم قال: لِيَجهدوا علينا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون، وعدوُّهم محاصِروهم، ولم يكن بينهم قتالٌ إلا أن فوارِسَ من قريشٍ تلبَّسوا للقتالِ، ثم خرجوا على خيلهم، ثم تيمَّموا مكانًا ضيقًا من الخندقِ، فضربوا خيلَهم فاقتحَمَت منه، وخرجَ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام في نفَرٍ معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرةَ التي أقحموا منها خيلَهم وأقبلت الفرسانُ تُعنِق نحوهم.

قال ابنُ هشامٍ: يقال: إن سلمانَ الفارسيَّ أشارَ به على رسولِ الله ﷺ، وحدثني بعضُ أهلِ العلمِ: أن المهاجرين يومَ الخندق قالوا: سلمانُ منا، وقالت الأنصارُ: سلمان منا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**سلمانُ منَّا أهلَ البيت**».

وكان شِعارُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ يومَ الخندقِ وبني قريظةَ: حم، لا يُنصَرون.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابُه فيها وصف اللهُ من الخوفِ والشدَّةِ؛ لتظاهرِ عدوِّهم عليهم، وإتيانِهم إياهم من فوقِهم ومن أسفلَ منهم.

قال: ثم إن نُعيمَ بن مسعودٍ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إني قد أسلمتُ، وإن قومي لم يَعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئتَ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فخَذِّلْ عنا إن استطعت، فإن الحربَ خُدعةٌ**».

فخرج نُعيم بن مسعودِ حتى أتى بني قريظةَ وكان لهم نديمًا في الجاهليةِ، فقال: يا بني قريظةَ، قد عرَفتم وُدِّي إياكم، وخاصةَ ما بيني وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمُتَّهم.

فقال لهم: إن قريشًا وغطفانَ ليسوا كأنتم، البلدُ بلدُكم، فيه أموالُكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تَقدرون على أن تَحوَّلوا منه إلى غيرِه، وإن قريشًا وغطفانَ قد جاءوا لحربِ محمدٍ وأصحابِه، وقد ظاهرتُموهم عليه، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيرِه، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهزَةً[1] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادِهم وخلوا بينكم وبين الرجلِ ببلدكم، ولا طاقةَ لكم به إن خلا بكم؛ فلا تُقاتلوا مع القومِ حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافِهم، يكونون بأيديكم ثِقةً لكم على أن تُقاتلوا معهم محمدًا حتى تُناجزوه.

(١) نُهْزَة: فرصة.

فقالوا له: لقد أشرتَ بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشًا، فقال لأبي سفيانَ بن حربٍ ومن معه من رجالِ قريشٍ: قد عرفتم وُدِّي لكم وفراقي محمدًا، وإنه قد بَلغني أمرٌ قد رأيت عليَّ حقًّا أن أُبلغكُموه، نصحًا لكم فاكتموا عنِّي.

فقالوا: نفعل.

قال: تَعَلَّموا أن معشرَ يهودَ قد ندموا على ما صنَعوا فيما بينهم وبين محمدٍ، وقد أرسلوا إليه: إنَّا قد نِدمنا على ما فعلنا، فهل يُرضيك أن نأخذَ لك من القبيلتين، من قريشٍ وغطفانَ رجالًا من أشرافِهم فنُعطيكهم، فتَضربَ أعناقَهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نَستأصلَهم؟

فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثَتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلًا واحدًا.

ثم خرج حتى أتى غطَفانَ، فقال: يا معشرَ غطفان، إنكم أصْلِي وعشيرتي، وأحَبُّ الناسِ إليَّ، ولا أراكم تتهموني.

قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمُتَّهم.

قال: فاكتموا عنِّي.

قالوا: نفعل، فما أمرُك؟

ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريشٍ وحذَّرهم ما حذَّرهم.

فلما كانت ليلةُ السبتِ من شوال سنةَ خمسٍ، وكان من صُنع الله لرسولِه ﷺ أن أرسلَ أبو سفيانَ بن حرب ورؤوس غطفانَ إلى بني قريظةَ عِكرمةَ بن أبي جهلٍ، في نفرٍ من قريشٍ وغطفانَ، فقالوا لهم: إنا لسنا بدارِ مُقامٍ، قد هلك الخُفُّ والحافرُ، فاغدوا للقتالِ حتى نُناجز محمدًا، ونُفرغَ مما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليهم: إن اليومَ يومُ السبت، وهو يومٌ لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان أحدث فيه بعضُنا حدثًا، فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتلُ معكم محمدًا حتى تعطونا رُهُنًا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثِقةً لنا حتى نُناجز محمدًا، فإنا نخشى إن ضَرَّسَتْكم الحربُ، واشتد عليكم القتالُ أن تَنشَمِروا إلى بلادكِم وتتركونا، والرجلُ في بلدنا، ولا طاقةَ لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسلُ بما قالت بنو قُريظةَ، قالت قريشٌ وغطفانُ: والله إن الذي حدَّثكم نُعيمُ بن مسعود لحقٌّ، فأرسَلوا إلى بني قريظةَ: إنا والله لا ندفعُ إليكم رجلًا واحدًا من رجالِنا، فإن كنتم تُريدون القتالَ فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قُريظةَ حين انتهت الرسلُ إليهم بهذا: إن الذي ذَكر لكم نُعيم بن مسعودٍ لحَقٌّ، ما يُريد القومُ إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فُرصةً انتهزوها، وإن كان غيرَ ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلُّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريشٍ وغطفانَ: إنا والله لا نقاتلُ معكم محمدًا حتى تُعطونا رُهُنًا، فأبوا عليهم، وخذَّلَ اللهُ بينهم، وبعث اللهُ عليهم الريحَ في ليالٍ شاتيةٍ باردةٍ شديدةِ البرد، فجعلت تكفأُ قدورَهم، وتطرح أبنيتهم.

قال: فلما انتهى إلى رسولِ الله ﷺ ما اختلف من أمرِهم، وما فرَّق اللهُ من جماعتهم، دعا حذيفةَ بنَ اليمان، فبعثه إليهم؛ لينظُرَ ما فعل القومُ ليلًا، فقال: «**يا حذيفةُ، اذهب فادخُل في القومِ، فانظرْ ماذا يَصنعون، ولا تُحدِثَنَّ شيئًا حتى تأتينا**».

قال: فذهبتُ فدخلت في القومِ والريحُ وجنودُ الله تفعل بهم ما تَفعل، لا تُقر لهم قِدرًا ولا نارًا ولا بناء.

فقام أبو سفيان، فقال: يا معشرَ قريشٍ: ليَنظر امرؤٌ مَن جليسُه؟

قال حذيفةُ: فأخذت بيد الرجلِ الذي كان إلى جنبي، فقلت: مَن أنت؟

قال: فلانُ بن فلان.

ثم قال أبو سفيان: يا معشرَ قريشٍ، إنكم والله ما أصبَحتم بدارِ مُقامٍ، لقد هلك الكُراعُ والخُفُّ، وأخلفتنا بنو قريظةَ، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريحِ ما ترون، ما تطمئِنُّ لنا قدرٌ، ولا تقوم لنا نارٌ، ولا يستمسك لنا بناءٌ، فارتحِلوا فإني مُرتحلٌ، ثم قام إلى جَملِه وهو معقولٌ، فجلس عليه، ثم ضربَه، فوثب به على ثلاثٍ، فوالله ما أَطلق عِقالَه إلا وهو قائمٌ، ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إلي «**أن لا تُحدِث شيئًا حتى تأتيني**» ثم شئت، لقتلته بسهم.

قال حذيفةُ: فرجعت إلى رسولِ الله ﷺ وهو قائمٌ يصلي في مِرطٍ[1] لبعض نسائه مُرَحَّل، فلما رآني أدخلني إلى رجليه، وطرح عليَّ طَرَف المرطِ، ثم ركع وسجدَ، وإني لفِيه، فلما سلمَ أخبرتُه الخبرَ، وسمعتْ غطفانُ بما فعلت قريشٌ، فانشمَروا راجعين إلى بلادِهم.

---

(١) المِرْط: كساء من صوف أو خز كان يؤتزر بها.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما أصبحَ رسولُ الله ﷺ انصرفَ عن الخندقِ راجعًا إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاحَ.

١٥- غزوةُ بني قريظةَ في سنةِ خمس

فلما كانت الظُّهرُ أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ، مُعتجرًا بعمامة من إستبرقٍ، على بغلة عليها رِحالةٌ، عليها قطيفةٌ من ديباجٍ، فقال: أَوَقَد وضَعْت السلاحَ يا رسولَ الله؟

قال: «نعم».

فقال جبريلُ: فما وضعتِ الملائكةُ السلاحَ بعد، وما رجعت الآن إلا من طلبِ القومِ، إن اللهَ عَزَّوَجَلَّ يأمرُك يا محمدُ بالمَسيرِ إلى بني قريظةَ، فإني عامدٌ إليهم فمُزلزلٌ بهم.

فأمرَ رسولُ الله ﷺ مُؤذِّنا فأذن في الناسِ: من كان سامعًا مُطيعًا، فلا يُصلِّين العصرَ إلا ببني قريظةَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وقدَّمَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ برايتِه إلى بني قريظةَ، وابتدَرَها الناسُ.

ولما أتى رسولُ الله ﷺ بني قريظةَ: نزل على بئرٍ من آبارِها من ناحيةِ أموالهم يُقال لها: بئرُ أُنا.

قال: وحاصرَهم رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلةً حتى جَهِدهم الحصارُ، وقذفَ اللهُ في قلوبهم الرعبَ.

وقد كان حُييُّ بن أخطبَ دخل مع بني قريظةَ في حِصنِهم حين رجعت عنهم قريشٌ وغَطفانُ، وفاءً لكعب بن أسدٍ بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا بأن رسولَ الله ﷺ غيرُ منصرفٍ عنهم حتى يُناجزَهم، قال كعبُ بن أسدٍ لهم: يا معشرَ يهودَ، قد نزلَ بكم من الأمرِ ما ترَون، وإني عارضٌ عليكم خِلالًا ثلاثًا، فخذوا أيَّها شئتم.

قالوا: وما هي؟

قال: نتابع هذا الرجلَ ونصدِّقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبيٌّ مرسلٌ، وأنه للَّذي تَجدونه في كتابِكم، فتأمنون على دمائِكم وأموالِكم وأبنائِكم ونسائكم.

قالوا: لا نُفارقُ حكمَ التوراة أبدًا، ولا نستبدلُ به غيرَه.

قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهَلُمَّ فلنقتُل أبناءَنا ونساءنا، ثم نَخرج إلى محمدٍ وأصحابِه رجالًا مُصلتين السيوفَ، لم نترك وراءنا ثَقَلًا، حتى يَحكم اللهُ بيننا وبين محمدٍ، فإن نَهلِك نَهلِك ولم نترك وراءنا نسلًا نخشى عليه، وإن نَظهر فلَعمري لنجدنَّ النساءَ والأبناءَ.

قالوا: نقتلُ هؤلاء المساكين! فما خيرُ العيشِ بعدَهم؟

قال: فإن أبيتم عليَّ هذه، فإن الليلةَ ليلةُ السبتِ، وإنه عسى أن يكون محمدٌ وأصحابُه قد أَمِنونا فيها، فانزِلوا لعلنا نصيبُ من محمدٍ وأصحابِه غِرَّةً.

قالوا: نُفسد سبتنا علينا، ونُحدثُ فيه ما لم يُحدِثُ مَن كان قبلَنا إلا من قد علمتَ، فأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المسخِ!

قال: ما بات رجلٌ منكم منذ ولدتُه أمُّه ليلةً واحدةً من الدهر حازمًا.

قال: ثم إنهم بَعثوا إلى رسولِ الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لُبابةَ بنِ عبدِ المنذر أخا بني عمرِو بن عوفٍ، وكانوا حُلفاء الأوسِ، لنَستشيرَه في أمرنا؛ فأرسله رسولُ الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجالُ، وجَهَش إليه النساءُ والصِّبيانُ يبكون في وجهِه؛ فرَقَّ لهم.

وقالوا له: يا أبا لُبابةَ! أترى أن ننزلَ على حكم محمدٍ؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حَلْقِه أنه الذبحُ.

قال أبو لبابةَ: فوالله ما زالت قَدماي من مكانِهما حتى عرَفت أني قد خُنت اللهَ ورسولَه ﷺ، ثم انطلقَ أبو لبابةَ على وجهِه ولم يأتِ رسولَ الله ﷺ حتى ارتُبِط في المسجدِ إلى عمودٍ من عُمُدِه.

وقال: لا أبرحُ مكاني هذا حتى يتوبَ الله عليَّ مما صنعتُ، وعاهدَ اللهَ: ألا أطأَ بني قريظةَ أبدًا، ولا أُرى في بلدٍ خُنت اللهَ ورسولَه فيه أبدًا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما بلغَ رسولَ الله ﷺ خبرُه -وكان قد استبطأَهُ- قال: «**أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له، فأما إذ قد فعلَ ما فعلَ، فما أنا بالذي أُطلِقه من مكانِه حتى يتوبَ اللهُ عليه**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني يزيدُ بن عبدِ الله بن قُسيطٍ أن توبةَ أبي لبابةَ نزلت على رسولِ الله ﷺ من السَّحَرِ، وهو في بيتِ أم سلمةَ.

قال ابنُ هشامٍ: أقام أبو لبابةَ مُرتبطًا بالجذعِ ست ليالٍ، تأتيه امرأتُه في كل وقت صلاةٍ، فتَحُلُّه للصلاةِ، ثم يعودُ فيرتبط بالجذعِ.

قال فلما أصبَحوا نزلوا على حُكم رسولِ الله ﷺ، فتواثَبت الأوسُ فقالوا: يا رسولَ الله، إنهم موالينا دون الخزرجِ، وقد فعَلْت في موالي إخواننا بالأمسِ ما قد علمتَ -وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بني قُريظةَ قد حاصر بني قينُقاعَ، وكانوا حلفاءَ الخزرج، فنزلوا على حُكمِه، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبي ابن سَلولٍ، فوهبهم له- فلما كلَّمَته الأوسُ قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا تَرضون يا معشرَ الأوسِ أن يحكُم فيهم رجلٌ منكم؟**».

قالوا: بلى.

قال رسولُ الله ﷺ: «**فذاك إلى سعدِ بن معاذٍ**».

وكان رسولُ الله ﷺ قد جعلَ سعدَ بن معاذٍ في خيمةٍ لامرأةٍ من أسلمَ، يُقال لها: رُفيدةُ -في مسجِدِه- كانت تُداوي الجَرحى، وتحتسبُ بنفسها على خِدمة من كانت به ضيعةٌ من المسلمين.

وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومِه حين أصابه السهمُ بالخندقِ: «**اجعلوه في خيمةِ رُفيدةَ حتى أعودَه من قريبٍ**».

فلما حَكَّمه رسولُ الله ﷺ في بني قُريظةَ، أتاه قومُه فحَمَلوه على حمارٍ قد وَطَّئوا له بوسادةٍ من أدَمٍ، وكان رجلا جسيمًا جميلًا، ثم أقبَلوا معه إلى رسولِ الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرٍو، أحسِن في مواليك، فإن رسولَ الله ﷺ إنما ولَّاك ذلك لتُحسنَ فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد أَنَى لسعدٍ ألا تأخُذَه في الله لومةُ لائمٍ.

فرجع بعضُ من كان معه من قومِه إلى دارِ بني عبد الأشهَلِ، فنعى لهم رجالَ بني قريظةَ -قبل أن يصلَ إليهم سعدٌ- عن كلمتِه التي سمع منه.

فلما انتهى سعدٌ إلى رسولِ الله ﷺ والمسلمين، قال رسولُ الله ﷺ: «**قوموا إلى سيِّدكم**».

فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرٍو، إن رسولَ الله ﷺ قد ولَّاك أمرَ مواليك لتحكُم فيهم.

فقال سعدُ بن معاذٍ: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه أنَّ الحكمَ فيهم لَمَا حكمتُ؟

قالوا: نعم: وعلى من ها هنا؟ -في الناحية التي فيها رسولُ الله ﷺ، وهو مُعرِضٌ عن رسولِ الله ﷺ إجلالًا له- فقال رسولُ الله ﷺ: «**نعم**».

قال سعدٌ: فإني أحكم فيهم أن تُقتلَ الرجالُ، وتُقسَّم الأموالُ، وتُسبى الذراري والنساءُ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن علقمةَ بن وقاصٍ الليثيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ لسعدٍ: «**لقد حَكمت فيهم بحُكمِ الله من فوق سبعةِ أرقعةٍ**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم استُنزِلوا، فحبَسهم رسولُ الله ﷺ بالمدينةِ في دارِ بنت الحارثِ امرأةٍ من بني النجارِ، ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى سوقِ المدينةِ التي هي سوقُها اليومَ، فخَندَقَ بها خنادقَ، ثم بعث إليهم، فضربَ أعناقَهم في تلك الخنادِق، يُخرَجُ بهم إليه أرسالًا، وفيهم عدوُّ الله حُييُّ بن أخطبَ وكعبُ بن أسدٍ رأسُ القوم، وهم ست مئةٍ أو سبع مئة، والمكَثِّرُ لهم يقول: كانوا بين الثمانِ مئةٍ والتسع مئة.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم إن رسولَ الله ﷺ قسمَ أموالَ بني قريظةَ ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين، وأعْلَمَ في ذلك اليومِ سُهمانَ الخيل وسُهمان الرجالِ، وأُخرج منها الخُمسُ، فكان للفارسِ ثلاثةُ أسهمٍ: للفرس سَهمانِ ولفارسه سهمٌ، وللراجل -مَن ليس له فرسٌ- سهمٌ، وكانت الخيلُ يوم بني قريظةَ ستةً وثلاثين فرسًا، وكان أوَّلَ فَيْءٍ وقعت فيه السهمانُ، وأُخرج منها الخمس، فعلى سُنَّتِها وما مضى من رسولِ الله ﷺ فيها وقعت المقاسمُ، ومضت السنةُ في المغازي.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما انقَضى شأنُ بني قريظةَ انفجر بسعدِ بن معاذ جُرحُه فمات منه شهيدًا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: حدثني معاذُ بن رفاعةَ الزُّرقيُّ قال: حدثني من شئتُ من رجالِ قومي: أن جبريلَ عليه السلامُ أتى رسولَ الله ﷺ حين قُبِضَ سعدُ بن معاذٍ من جوفِ الليل معتجرًا بعمامةٍ من إستبرقٍ، فقال: يا محمدُ، من هذا الميِّتُ الذي فُتحت له أبوابُ السماءِ، واهتزَّ له العرشُ؟ قال: فقام رسول الله ﷺ سريعًا يجرُّ ثوبَه إلى سعدٍ فوجده قد مات.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولم يُستشهد من المسلمين يومَ الخندق إلا ستةُ نفرٍ، وقُتلَ من المشركين ثلاثةُ نفرٍ.

ولما انصرف أهلُ الخندقِ عن الخندقِ، قال رسولُ الله ﷺ -فيما بلغني-: «**لن تَغزوكم قريشٌ بعد عامِكم هذا، ولكنكم تَغزونَهم**»، فلم تغزهم قريشٌ بعد ذلك، وكان هو الذي يَغزوها، حتى فتح اللهُ عليه مكَّةَ.

١٦- إسلامُ عمرِو بن العاصِ وخالدِ بن الوليدِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عمرِو بن العاص قال: لما انصرفنا مع الأحزابِ عن الخندقِ جمعتُ رجالًا من قريشٍ، كانوا يَرون رأيي، ويسمعون منِّي، فقلت لهم: تَعلمون والله أني أرى أمرَ محمدٍ يعلو الأمورَ علوًّا مُنكرًا، وإني قد رأيتُ أمرًا، فما ترون فيه؟

قالوا: وماذا رأيتَ؟

قال: رأيت أن نلحقَ بالنجاشيِّ فنكونَ عنده، فإن ظهرَ محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشيِّ، فإنا أن نكون تحتَ يديه أحبُّ إلينا من أن نكونَ تحت يدي محمدٍ، وإن ظهر قومُنا فنحن مَن قد عَرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خيرٌ.

قالوا: إن هذا الرأيُ.

قلت: فاجمعوا لنا ما نُهديه له، وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضِنا الأدَمُ.

فجمعنا له أدمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدِمنا عليه.

فوالله إنا لعندهُ إذ جاءه عمرو بن أميةَ الضمريُّ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثَه إليه في شأنِ جعفرٍ وأصحابِه.

قال: فدخلَ عليه ثم خرجَ مِن عنده.

قال: فقلتُ لأصحابي: هذا عمرُو بن أميةَ الضمري، لو قد دخلتُ على النجاشيِّ وسألتُه إياه فأعطانيه، فضربتُ عُنُقَه، فإذا فعلتُ ذلك رأت قريشٌ أني قد أجزأتُ عنها حين قتلتُ رسولَ محمدٍ.

قال: فدخلتُ عليه فسجدتُ له كما كنت أصنعُ، فقال: مرحبًا بصديقي، أهديتَ إليَّ من بلادِك شيئًا؟

قال: قلت: نعم، أيها الملكُ، قد أهديتُ إليك أدمًا كثيرًا.

قال: ثم قرَّبته إليه، فأعجبَه واشتَهاه، ثم قلتُ له: أيها الملكُ، إني قد رأيتُ رجلًا خرج من عندك، وهو رسولُ رجلٍ عدوٍّ لنا، فأعطنيه لأقتلَه، فإنه قد أصاب من أشرافِنا وخيارِنا.

قال: فغضِب، ثم مد يدَه فضربَ بها أنفَه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره، فلو انشقَّت لي الأرضُ لدخلتُ فيها فَرَقًا منه.

ثم قلت له: أيها الملكُ، والله لو ظننتُ أنك تكرهُ هذا ما سألتُكَه.

قال: أتسألُني أن أعطيَك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى لتَقتُلَه!

قال: قلت: أيها الملك، أَكَذاكَ هو؟

قال: ويحَك يا عمرُو أطعني واتَّبعه، فإنه والله لعلى الحقِّ، وليَظهرنَّ على من خالفه، كما ظهرَ موسى على فِرعون وجنودِه.

قال: قلت: أفتُبايِعني له على الإسلامِ؟

قال: نعم، فبسطَ يدَه، فبايعتُه على الإسلامِ، ثم خرجتُ إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمتُ أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامدًا إلى رسولِ الله ﷺ لأُسلمَ، فلقيت خالدَ بن الوليد، وذلك قُبيل الفتحِ، وهو مُقبلٌ من مكةَ، فقلت: أين يا أبا سليمان؟

قال: والله لقد استقامَ المَنسِمُ، وإن الرجل لنبيٌّ، أذهبُ والله فأسلمُ، فحتى متى؟

قال: قلت: والله ما جئتُ إلا لأسلم.

قال: فقدِمنا المدينةَ على رسولِ الله ﷺ، فتقدمَ خالدُ بن الوليد فأسلمَ وبايع، ثم دنوتُ، فقلت: يا رسولَ الله، إني أبايعُك على أن يُغفرَ لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكرُ ما تأخر.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا عمرُو، بايع؛ فإن الإسلامَ يَجُبُّ ما كان قبله، وإن الهجرةَ تَجُبُّ ما كان قبلها**»، قال: فبايعته، ثم انصرفت.

١٧- غزوةُ بني المُصطَلِق

قالَ ابنُ إسحاقَ: بلغ رسولَ الله ﷺ أن بني المُصطلِق يَجمَعون له، وقائدُهم الحارثُ بن أبي ضِرار أبو جويريةَ بنت الحارثِ زوجِ رسولِ الله ﷺ، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ بهم خرجَ إليهم، حتى لقيَهم على ماءٍ لهم يُقال له: المُريسيعُ، من ناحية قُديدٍ إلى الساحل، فتزاحف الناسُ واقتتلوا، فهزمَ اللهُ بني المصطلِق، وقُتل من قتل منهم، ونفلَ رسولُ الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالَهم، فأفاءهم عليه.

فبينا رسولُ الله ﷺ على ذلك الماءِ، وردَت واردةُ الناسِ، ومع عمرَ بنِ الخطاب أجيرٌ له من بني غفارٍ يقال له: جَهجاه بنُ مسعود يقود فرسَه، فازدحم جهجاه وسنانُ بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخَ الجهنيُّ: يا معشرَ الأنصار، وصرخ جَهجاه: يا معشرَ المهاجرين، فغضب عبدُ الله بن أبي ابن سلولٍ وعنده رهطٌ من قومه فيهم زيدُ بن أرقمَ -غلام حدث- فقال: أوَقَد فعلوها، قد نافَرونا وكاثَرونا في بلادِنا، والله ما أَعُدُّنا وجَلابيبَ قريشٍ إلا كما قال الأوَّلُ: سمِّن كلبَك يأكلْك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذلَ.

ثم أقبل على من حضرهُ من قومِه، فقال لهم: هذا ما فعلتُم بأنفسِكم، أحللتموهم بلادَكم، وقاسَمتموهم أموالَكم، أما والله لو أمسكتُم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غيرِ دارِكم.

فسمع ذلك زيدُ بن أرقمَ، فمشى به إلى رسولِ الله ﷺ، وذلك عند فراغِ رسولِ الله ﷺ من عدوِّه، فأخبرَه الخبرَ وعنده عمرُ بن الخطابِ، فقال: مُر به عَبَّادَ بن بشرٍ فليقتُله.

فقال له رسولُ الله ﷺ: **«فكيف يا عمرُ إذا تحدثَ الناس أن محمدًا يقتلُ أصحابَه! لا، ولكن أذِّن بالرحيلِ»**، وذلك في ساعةٍ لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتحلُ فيها، فارتحل الناسُ.

وقد مشى عبدُ الله بن أبي ابن سلول إلى رسولِ الله ﷺ حين بلغهُ أن زيدَ بن أرقمَ قد بلَّغه ما سمعَ منه، فحلف بالله: ما قلتُ ما قالَ، ولا تكلمت به.

وكان في قومه شريفًا عظيمًا، فقال من حضرَ رسولَ الله ﷺ من الأنصارِ من أصحابِه: يا رسولَ الله، عسى أن يكون الغلامُ قد أوهَم في حديثِه، ولم يحفظ ما قال الرجلُ، حدبًا على ابن أبي ابن سلولٍ، ودفعا عنه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما استقلَّ رسولُ الله ﷺ وسارَ، لقيه أُسيدُ بن حضيرٍ، فحيَّاه بتحية النبوةِ وسلم عليه، ثم قال: يا نبيَ الله، والله لقد رُحتَ في ساعة مُنكرةٍ، ما كنتَ تروح في مثلها.

فقال له رسولُ الله ﷺ: «**أوَ ما بلغك ما قال صاحبُكم؟**»

قال: وأيُّ صاحب يا رسولَ الله؟

قال: «**عبدُ الله بن أبي**».

قال: وما قال؟

قال: «**زعم أنه إن رجعَ إلى المدينةِ ليُخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ**».

قال: فأنت يا رسولَ الله والله تُخرجه منها إن شئتَ، هو والله الذليلُ وأنت العزيزُ، ثم قال: يا رسولَ الله، ارفق به، فوالله لقد جاءَنا اللهُ بك، وإن قومَه لينظِمون له الخرزَ ليتوجوه، فإنه ليَرى أنك قد استلبتَه مُلكًا.

ثم مشى رسولُ الله ﷺ بالناسِ يومَهم ذلك حتى أمسى، وليلَتهم حتى أصبَحَ وصدرَ يومِهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ، ثم نزلَ بالناسِ، فلم يَلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرضِ فوقعوا نيامًا، وإنما فعل ذلك رسولُ الله ﷺ ليَشغلَ الناسَ عن الحديثِ الذي كان بالأمس من حديث عبدِ الله ابن أُبيٍّ.

وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمرِ أبيه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني عاصمُ بن عمر بنِ قتادةَ أن عبد الله أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنه بلغني أنك تُريد قتلَ عبدِ الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلًا فمُرني به، فأنا أحملُ إليك رأسَه، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجلٍ أبرَّ بوالِده مني، وإني أخشى أن تأمرَ به غيري فيقتلَه، فلا تدعني نفسي أنظرُ إلى قاتلِ عبدِ الله بن أبي يَمشي في الناس؛ فأقتله فأَقتلُ رجلًا مؤمنًا بكافرٍ، فأدخل النارَ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**بل نترفَّق به، ونُحسنُ صُحبَته ما بقي معنا**».

وجعل بعد ذلك إذا أحدثَ الحدثَ كان قومُه هم الذين يُعاتِبونه ويأخذونه ويُعنِّفونه، فقال رسولُ الله ﷺ لعمرَ بن الخطابِ حين بلغه ذلك من شأنِهم: «**كيف تَرى يا عمرُ، أما والله لو قتلتُه يوم قلتَ لي: اقتُله، لأُرعِدَت له آنُفٌ، لو أمرتُها اليومَ بقتله لقتلته**».

قال: قال عمر: قد والله علمتُ لَأَمرُ رسولِ الله ﷺ أعظمُ بركةً من أمري.

قال ابنُ هشامٍ: وكان شعارُ المسلمين يومَ بني المصطلِق: يا منصورُ، أمِتْ أمِتْ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وأصيبَ من بني المصطلِق يومئذٍ ناسٌ، وقَتلَ عليٌّ بن أبي طالب منهم رَجلينِ، مالكًا وابنه، وقتلَ عبدُ الرحمن بن عوفٍ رجلًا من فرسانهم، يُقال له: أحمرُ، أو أُحيمر.

١٨- خبرُ الإفك في غزوةِ بني المُصطلِق سنةَ ست

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ سفرًا أقرَعَ بين نسائه، فأَيَّتَهن خرج سهمُها خرج بها معه، فلما كانت غزوةُ بني المُصطلِق أقرع بين نسائِه، كما كان يصنعُ، فخرج سَهمي عليهن معه، فخرجَ بي رسولُ الله ﷺ.

قالت: وكان النساءُ إذ ذاك إنما يأكُلن العُلَقَ[(١)] لم يُهيجهنَّ اللحمُ فيثقلن، وكنتُ إذا رُحِّل لي بعيري جَلست في هَودَجي، ثم يأتي القومُ الذين يُرحِّلون لي ويَحملونني، فيَأخذون بأسفلِ الهودجِ فيَرفعونَه، فيَضعونه على ظهرِ البعيرِ، فيَشدُّونه بحبالِه، ثم يأخذون برأسِ البعيرِ، فينطلقون به.

قالت: فلما فرغَ رسولُ الله ﷺ من سفرِه ذلك، وجَّه قافلًا حتى إذا كان قريبًا من المدينةِ نزل منزلًا، فبات به بعضَ الليلِ، ثم أذَّن في الناسِ بالرحيلِ، فارتحل الناسُ، وخرجتُ لبعض حاجتي، وفي عُنقي عِقدٌ لي، فيه جَزْعُ ظَفارِ[(٢)]، فلما فرغتُ انسلَّ من عُنقي ولا أدري، فلما رَجعتُ إلى الرحلِ ذهبت ألتمسُه في عنقي، فلم أجدْه، وقد أخذَ الناسُ في الرحيلِ، فرَجعتُ إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمستُه حتى وجدتُه، وجاء القومُ خِلافي -الذين كانوا يُرحِّلون لي البعيرَ- وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهَودجَ، وهم يَظنون أني فيه، كما كنت أصنعُ، فاحتَملوه فشدُّوه على البعيرِ، ولم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأسِ البعيرِ، فانطلقوا به فرَجعتُ إلى العسكرِ وما فيه من داعٍ ولا مُجيبٍ، قد انطلقَ الناس.

---

(١) العُلَق: ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء.

(٢) الجَزْع: نوع من الخرز فيه بياض وسواد. وظَفار: موضع باليمن.

قالت: فتلفَّفتُ بجِلبابي، ثم اضطجعتُ في مكاني، وعرفت أن لو قد افتُقِدت لرُجع إليَّ.

قالت: فوالله إني لَمُضطجعةٌ إذ مر بي صفوانُ بن المعطلِ السلميُّ، وقد كان تخلفَ عن العسكرِ لبعضِ حاجته، فلم يبت مع الناسِ، فرأى سَوادي، فأقبل حتى وقف عليَّ، وقد كان يراني قبل أن يُضربَ علينا الحجابُ، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجِعون، ظعينةُ رسولِ الله ﷺ!

وأنا متلففةٌ في ثيابي، قال: ما خلفك يرحمُك اللهُ؟

قالت: فما كلمته، ثم قرَّبَ البعيرَ، فقال: اركبي، واستأخَر عني.

قالت: فركبتُ، وأخذَ برأسِ البعيرِ، فانطلق سريعًا، يطلُبُ الناسَ، فوالله ما أدركنا الناسَ، وما افتُقدتُ حتى أصبحتُ، ونزل الناسُ، فلما اطمأنوا طلعَ الرجلُ يقودُ بي، فقال أهلُ الإِفك ما قالوا فارتَعجَ(١) العسكرُ، ووالله ما أعلم بشيءٍ من ذلك.

ثم قدِمنا المدينةَ، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدةً، ولا يَبلغني من ذلك شيءٌ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسولِ الله ﷺ، وإلى أَبَويَّ لا يَذكرون لي منه قليلًا ولا كثيرًا، إلا أنِّي قد أَنكرتُ من رسولِ الله ﷺ بعضَ لُطفِه بي، كنت إذا اشتكيتُ رحِمني ولطف بي، فلم يَفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرتُ ذلك منه، كان إذا دخل عليَّ وعندي أمِّي تُمرضني قال: «كيف تِيكُم؟» لا يزيد على ذلك.

---

(١) ارتَعَجَ: اضطرب.

قالَ ابنُ إسحاقَ: قالت: حتى وجدتُ في نفسي، فقلت: يا رسولَ الله -حين رأيتُ ما رأيتُ من جَفائه لي-: لو أذِنت لي، فانتقلتُ إلى أمِّي، فمرضتني؟

قال: «**لا عليك**».

قالت: فانتقلتُ إلى أمِّي، ولا علمَ لي بشيءٍ مما كان، حتى نقِهتُ من وجَعي بعد بضعٍ وعشرين ليلةً، وكنا قومًا عرَبًا، لا نتخذُ في بيوتنا هذه الكنفَ التي تتخذها الأعاجمُ؛ نَعافُها ونَكرهُها، إنما كنا نذهبُ في فُسَح المدينةِ، وإنما كانت النساءُ يخرجنَ كلَّ ليلةٍ في حوائِجهن، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجَتي ومعي أمُّ مِسطحٍ، فوالله إنها لتمشي معي إذ عثُرت في مِرطها فقالت: تَعِس مِسطحٌ! ومسطحٌ لقب واسمه: عوفٌ.

قالت: قلت: بئس لعمرُ الله ما قلت لرجلٍ من المهاجرين قد شهِد بدرًا، قالت: أوَ ما بلغك الخبرُ يا بنتَ أبي بكر؟

قالت: قلت: وما الخبرُ؟

فأخبرتني بالذي كان من قولِ أهلِ الإفكِ.

قالت: قلت: أوَقد كان هذا؟

قالت: نعم والله لقد كان.

قالت: فوالله ما قدِرتُ على أن أقضيَ حاجَتي ورجعتُ، فوالله ما زلتُ أبكي حتى ظننت أن البكاءَ سيَصدعُ كبِدي.

قالت: وقلت لأمِّي: يغفرُ الله لك، تحدَّث الناسُ بها تَحَدَّثوا به، ولا تَذكُرين لي من ذلك شيئًا!

قالت: أيْ بُنية، خفِّضي عليك الشأنَ، فوالله لقلما كانت امرأةٌ حسناءُ عند رجل يُحبُّها لها ضرائرُ إلا كثَّرن وكثر الناسُ عليها.

قالت: وقد قام رسولُ الله ﷺ في الناسِ يخطُبهم ولا أعلم بذلك، فحمِد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناسُ، ما بالُ رجالٍ يُؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غيرَ الحقِّ، والله، ما عَلمت منهم إلا خيرًا، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمت منه إلا خيرًا، وما يَدخل بيتًا من بيوتي إلا وهو معي**».

قالت: وكان كِبرُ ذلك عند عبدِ الله بن أبيٍّ ابن سَلول في رجال من الخزرجِ مع الذي قال مِسطحُ وحَمنةُ بنت جحش.

فلما قال رسولُ الله ﷺ تلك المقالةَ، قال أُسيد بن حُضير: يا رسولَ الله، إن يكونوا من الأوسِ نَكفِكَهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرجِ، فمُرنا بأمرِك، فوالله إنهم لأهلٌ أن تُضرب أعناقُهم.

قالت: فقام سعدُ بن عبادةَ، وكان قبل ذلك يُرى رجلًا صالحًا، فقال: كذبتَ لعمرُ الله، لا نَضرب أعناقَهم، أما والله ما قلتَ هذه المقالةَ إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرجِ، ولو كانوا من قومِك ما قلتَ هذا.

فقال أسيدٌ: كذبتَ لعمرُ الله، ولكنك منافقٌ تُجادلُ عن المنافقين.

قالت: وتساورَ الناسُ حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوسِ والخزرج شرٌّ.

قالت: ثم دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ، وعندي أبواي، وعندي امرأةٌ من الأنصارِ، وأنا أبكي وهي تَبكي معي، فجلسَ فحمِد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: «**يا عائشةُ، إنه قد كان ما قد بلغَك من قولِ الناسِ، فاتَّقي اللهَ، وإن كنت قد قارفتِ سوءًا مما يقولُ الناسُ فتوبي إلى الله، فإن اللهَ يقبلُ التوبةَ عن عباده**».

قالت: فوالله ما هو إلا أن قالَ لي ذلك، فقَلُص دمعي، حتى ما أُحسُّ منه شيئًا، وانتظرتُ أبوي أن يُجيبا عنِّي رسولَ الله ﷺ، فلم يَتكَلَّما.

قالت: وايمُ الله لأنا كنتُ أحقرَ في نفسي، وأصغرَ شأنًا من أن يُنزلَ الله فيَّ قرآنًا يُقرأ به في المساجدِ، ويُصلَّى به، ولكني قد كنت أرجو أن يَرى رسولُ الله ﷺ في نومِه شيئًا يُكذبُ به اللهُ عني، لما يَعلم من براءتي، أو يُخبَرَ خبرًا، فأما قرآنٌ ينزل فيَّ! فوالله، لَنَفسي كانت أحقرَ عندي من ذلك.

قالت: فلما لم أرَ أبويَّ يتكلمان؛ قلت لهما: ألا تُجيبان رسولَ الله ﷺ؟

قالت: فقالا: والله ما ندري بماذا نُجيبه.

قالت: ووالله ما أعلمُ أهلَ بيت دخل عليهم ما دخلَ على آلِ أبي بكرٍ في تلك الأيامِ.

قالت: فلما أن استعجما عليَّ، استعبرتُ فبكيت.

ثم قلت: والله لا أتوبُ إلى الله مما ذكرتَ أبدًا، والله إني لأعلمُ لئن أقررت بما يقولُ الناسُ -والله يعلم أني منه بريئةٌ- لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرتُ ما يقولون لا تُصدقونني.

قالت: ثم التمستُ اسمَ يعقوبَ فما أذكُره، فقلت: ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

قالت: فوالله، ما بَرِح رسولُ الله ﷺ مجلِسه حتى تغشَّاه من الله ما كان يَتغشَّاه، فسُجِّي بثوبه ووضعت له وسادةٌ من أدَم تحت رأسِه، فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ، فوالله ما فزِعت ولا باليتُ، قد عَرفت أني بريئةٌ، وأن اللهَ عَزَّوَجَلَّ غيرُ ظالمي، وأما أبواي، فوالذي نفسُ عائشةَ بيده، ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتَخرُجَنَّ أنفسُهما فَرَقًا من أن يأتي من الله تحقيقُ ما قال الناس.

قالت: ثم سُرِّي عن رسولِ الله ﷺ، فجلسَ وإنه ليَتحدَّر منه مثل الجُمانِ في يوم شاتٍ، فجعل يَمسح العرقَ عن جبينِه ويقول: «**أبشِري يا عائشةُ، فقد أنزلَ اللهُ براءَتك**».

قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرجَ إلى الناسِ فخطبَهم، وتلا عليهم ما أنزلَ اللهُ عليه من القرآنِ في ذلك، ثم أمرَ بمِسطحِ بن أُثاثةَ، وحسانَ بن ثابتٍ، وحَمنةَ بنت جحشٍ، وكانوا ممن أفصحَ بالفاحشةِ؛ فضُربوا حدَّهم.

[ثالثا: الحديبية وفتح مكة]

١- أمرُ الحديبيَة في آخر سنةِ ست

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة شهرَ رمضانَ وشوالًا، وخرج في ذي القعدة مُعتمرًا، لا يُريد حربًا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: واستنفرَ العربَ ومن حولَه من أهل البوادي من الأعرابِ ليَخرجوا معه، وهو يَخشى من قريشٍ الذي صنَعوا، أن يَعرِضوا له بحربٍ أو يصدوه عن البيتِ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعرابِ، وخرج رسولُ الله ﷺ بمن معه من المُهاجرين والأنصارِ ومن لِحق به من العربِ، وساقَ معه الهديَ، وأحرمَ بالعُمرة ليأمنَ الناسُ من حربه، وليعلمَ الناسُ أنه إنما خرجَ زائرًا لهذا البيت ومُعظِّمًا له.

قالَ ابنُ إسحاقَ: خرجَ رسولُ الله ﷺ عامَ الحديبية يُريد زيارةَ البيت، لا يُريدُ قتالًا، وساق معه الهديَ سبعين بدنةً، وكان الناس سبعَ مئة رجلٍ، فكانت كلُّ بدنةٍ عن عشرة نفرٍ، وكان جابرُ بن عبد الله -فيما بلغني- يقول: كنا أصحابَ الحديبيةِ أربعَ عشرة مئة.

قال الزهري: وخرج رسولُ الله ﷺ حتى إذا كان بعُسفانَ لقيه بِشرُ بن سفيانَ الكعبيُّ، فقال: يا رسولَ الله، هذه قريشٌ قد سمعت بمَسيرك، فخَرجوا معهم العُوذُ المَطافيلُ[1].

(١) العُوذُ المَطافِيلُ: الإبل مع أولادها، كناية عن خروج النساء والصبيان معهم.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا ويحَ قريشٍ! لقد أكَلَتهُم الحربُ، ماذا عليهم لو خلَّوا بيني وبين سائرِ العربِ، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهَرني اللهُ عليهم دَخلوا في الإسلامِ وافِرين، وإن لم يَفعلوا قاتَلوا وبهم قوةٌ، فما تظن قريشٌ، فوالله لا أزالُ أجاهدُ على الذي بعثني اللهُ به حتى يُظهره اللهُ أو تنفردَ هذه السالفةُ**».

ثم قال: «**مَن رجلٌ يَخرج بنا على طريقٍ غيرِ طَريقهم التي هم بها؟**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أن رجلًا من أسلمَ قال: أنا يا رسولَ الله.

فلما رأت خيلُ قريشٍ قَتَرَةَ الجيشِ[١] قد خالَفوا عن طريقِهم، رجعوا راكِضين إلى قريشٍ.

وخرجَ رسولُ الله ﷺ حتى إذا سلك في ثَنيَّةِ المُرارِ بركت ناقتُه، فقالت الناسُ: خَلأَتِ[٢] الناقةُ.

قال: «**ما خلأت وما هو لها بخُلقٍ، ولكن حَبَسها حابسُ الفيل عن مكَّةَ، لا تدعوني قريشٌ اليومَ إلى خُطةٍ يسألونني فيها صلةَ الرحمِ إلا أعطيتُهم إياها**».

قال الزهري: فلما اطمأن رسولُ الله ﷺ أتاه بُديل بن ورقاءَ الخُزاعيُّ في رجال من خزاعةَ، فكلموه وسألوه: ما الذي جاء به؟

---

(١) قَتَرة الجيش: غباره.

(٢) خَلَأَتْ: أي بركت من غير علة.

فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حربًا، وإنما جاء زائرًا للبيتِ، ومُعظِّمًا لحرمَتِه، فرَجعوا إلى قريشٍ فقالوا: يا معشرَ قريشٍ، إنكم تَعجلون على محمدٍ، إن محمدًا لم يأت لقتالٍ، وإنما جاء زائرًا للبيتِ، فاتَّهَموهم وجَبَّهوهم[(١)] وقالوا: وإن كان جاء ولا يُريد قتالًا، فوالله لا يَدخلها علينا عُنوة أبدًا، ولا تُحَدِّث بذلك عنا العربُ.

قال الزهري: وكانت خُزاعةُ عَيبةَ نُصحِ رسولِ الله ﷺ، مسلمُها ومشركُها، لا يُخفون عنه شيئًا كان بمكَّةَ.

قال: ثم بعثوا إليه مِكرَزَ بن حفصِ بن الأخيفِ أخا بني عامرِ بن لؤيٍ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ مُقبلًا قال: «**هذا رجلٌ غادرٌ**»، فلما انتهى إلى رسولِ الله ﷺ وكلَّمه، قال له رسولُ الله ﷺ نحوًا مما قال لبُديلٍ وأصحابِه، فرجع إلى قريشٍ فأخبرَهم بما قال له رسولُ الله ﷺ.

قال الزهريُّ: ثم بعثوا إليه الحُليس بن علقمةَ أو ابن زبَّان، وكان يومئذ سيِّد الأحابيشِ، وهو أحدُ بني الحارث بنِ عبد مناةَ بن كنانةَ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال: «**إن هذا من قومٍ يَتألَّهون، فابعثوا الهديَ في وجهِه حتى يراه**»، فلما رأى الهديَ يسيلُ عليه من عُرضِ الوادي في قلائدِه، وقد أكلَ أوبارَه من طولِ الحبسِ عن مَحلِّه، رجع إلى قريشٍ، ولم يَصل إلى رسولِ الله ﷺ إعظامًا لما رأى، فقال لهم ذلك.

قال: فقالوا له: اجلسْ، فإنما أنت أعرابيٌّ لا علم لك.

---

(١) جَبَّهُوهم: أي استقبلوهم بالمكروه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أن الحُليسَ غضبَ عند ذلك وقال: يا معشرَ قريشٍ، والله ما على هذا حالفناكُم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصدُّ عن بيت الله مَن جاء مُعظِّمًا له! والذي نفس الحُليس بيدِه، لتُخلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفِرن بالأحابيشِ نفرةَ رجل واحدٍ، قال: فقالوا له: مه، كُفَّ عنا يا حليسُ حتى نأخُذَ لأنفسنا ما نرضى به.

ثم بعثوا إلى رسولِ الله ﷺ عروةَ بن مسعود الثقفي، فقال: يا معشرَ قريشٍ، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بَعثتموه إلى محمدٍ إذ جاءَكم من التعنيفِ وسوءِ اللفظ، وقد عرَفتم أنكم والدٌ وأني ولد -وكان عروةُ لسبيعةَ بنتِ عبد شمس- وقد سمعت بالذي نابَكم، فجمعتُ من أطاعني من قومي، ثم جئتُكم حتى آسيتُكُم بنفسي.

قالوا: صدقتَ، ما أنت عندنا بمُتَّهم.

فخرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ، جلسَ بين يديه، ثم قال: يا محمدُ، أجمعت أوشابَ الناسِ، ثم جئت بهم إلى بيضَتِك لتفُضَّها بهم، إنها قريشٌ قد خرجت معها العُوذ المَطافيلُ، قد لبسوا جلودَ النمور، يعاهدون اللهَ لا تدخُلها عليهم عُنوةً أبدًا، وايمُ الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا.

قال: وأبو بكر الصديقُ خلفَ رسولِ الله ﷺ قاعدٌ، فقال: امصُص بَظْرَ اللاتِ، أنحن ننكشفُ عنه؟!

قال: من هذا يا محمدُ؟

قال: «**هذا ابن أبي قُحافةَ**».

قال: أما والله لولا يَدٌ كانت لك عندي لكافأتُك بها، ولكن هذه بها، قال: ثم جعل يَتناول لِحيةَ رسولِ الله ﷺ وهو يكلِّمه، قال: والمغيرةُ بن شعبة واقفٌ على رأسِ رسولِ الله ﷺ في الحديدِ، قال: فجعل يقرَعُ يدَه إذا تناولَ لحيةَ رسولِ الله ﷺ، ويقول: اكفُفْ يدَك عن وجه رسولِ الله ﷺ قبل ألا تَصِلَ إليك.

فكلمه رسولُ الله ﷺ بنحوٍ مما كلم به أصحابَه، وأخبره أنه لم يأت يُريد حربًا، فقام من عند رسولِ الله ﷺ وقد رأى ما يَصنع به أصحابُه، لا يتوضأُ إلا ابتدروا وَضوءَه، ولا يَبصُق بُصاقًا إلا ابتدروه، ولا يسقطُ من شعره شيءٌ إلا أخذوه.

فرجع إلى قريشٍ، فقال: يا معشرَ قريشٍ، إني قد جئت كسرى في مُلكِه، وقيصرَ في ملكه، والنجاشيَّ في ملكِه، وإني والله ما رأيت مَلكًا في قوم قط مثلَ محمدٍ في أصحابه، ولقد رأيتُ قومًا لا يُسلمونه لشيء أبدًا، فَرُوا رَأيَكم.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني بعضُ أهل العلمِ أن رسولَ الله ﷺ دعا خِراشَ بن أميةَ الخُزاعيَّ، فبعثه إلى قريشٍ بمكَّةَ، وحمله على بعيرٍ له يُقال له: الثعلبُ، ليُبَلِّغَ أشرافَهم عنه ما جاءَ له، فعقروا به جملَ رسولِ الله ﷺ، وأرادوا قتلَه، فمنعته الأحابيشُ، فخلوا سبيلَه حتى أتى رسولَ الله ﷺ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن ابن عباسٍ أن قريشًا كانوا بعثوا أربعين رجلًا منهم أو خمسين رجلًا، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكرِ رسولِ الله ﷺ، ليُصيبوا لهم من أصحابِه أحدًا، فأُخذوا أخذًا، فأتي بهم رسولُ الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلَّى سبيلَهم، وقد كانوا رَموا في عسكر رسولِ الله ﷺ بالحجارةِ والنَّبلِ.

ثم دعا عمرَ بن الخطاب ليبعثَه إلى مكَّةَ، فيُبَلِّغ عنه أشرافَ قريش ما جاء له، فقال: يا رسولَ الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكَّةَ من بني عديٍّ بن كعب أحدٌ يَمنعني، وقد عرفت قريشٌ عداوتي إياها، وغِلظَتي عليها، ولكني أدلُّك على رجلٍ أعز بها مني، عثمانَ بن عفان.

فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيانَ وأشرافِ قريشٍ؛ يُخبرهم أنه لم يأت لحربٍ، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيتِ، ومُعظِّمًا لحُرمته.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فخرج عثمانُ إلى مكةَ، فلقيه أبانُ بن سعيدِ بن العاص حين دخل مكةَ، أو قبل أن يَدخُلها، فحمله بين يديه، ثم أجارَه حتى بلَّغ رسالةَ رسولِ الله ﷺ، فانطلقَ عثمانُ حتى أتى أبا سفيانَ وعظماءَ قريشٍ، فبلَّغهم عن رسولِ الله ﷺ ما أرسلَه به، فقالوا لعثمانَ حين فرغَ من رسالةِ رسولِ الله ﷺ إليهم: إن شئتَ أن تطوفَ بالبيت فطُفْ.

فقال: ما كنت لأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ الله ﷺ، واحتبسته قريشٌ عندها، فبلغ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أن عثمانَ بن عفان قد قُتل.

٢- بيعةُ الرِّضوان

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ: أن رسولَ الله ﷺ قال حين بلغَه أن عثمانَ قد قُتِل: «**لا نبرحُ حتى نُناجز القومَ**».

فدعا رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى البيعةِ، فكانت بيعةُ الرضوان تحت الشجرةِ، فكان الناسُ يقولون: بايَعهم رسولُ الله ﷺ على الموتِ، وكان جابرُ بن عبدِ الله يقول: إن رسولَ الله ﷺ لم يبايعْنا على الموت، ولكن بايعَنا على أن لا نَفِرَّ.

فبايعَ رسولُ الله ﷺ الناسَ، ولم يتخلف عنه أحدٌ من المسلمين حَضَرها إلا الجدُّ بن قيسٍ أخو بني سلمةَ، فكان جابرُ بن عبد الله يقول: والله لَكأني أنظر إليه لاصقًا بإبطِ ناقته، قد ضبأَ إليها، يستتر بها من الناسِ.

ثم أتى رسولَ الله ﷺ أن الذي ذُكر من أمر عثمانَ باطلٌ.

٣- أمرُ الهدنةِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: قال الزهريُّ: ثم بعثت قريشٌ سهيلَ بن عمرو أخا بني عامرِ بن لؤيٍّ إلى رسولِ الله ﷺ، وقالوا له: ائت محمدًا فصالحه، ولا يكن في صُلحه إلا أن يرجع عنا عامَه هذا، فوالله لا تُحدِّثُ العربُ عنا أنه دخلها علينا عُنوةً أبدًا.

فأتاه سُهيل بن عمرو، فلما رآه رسولُ الله ﷺ مُقبلًا، قال: «**قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجلَ**».

فلما انتهى سهيلُ بن عمرو إلى رسولِ الله ﷺ تكلَّم فأطالَ الكلامَ، وتراجَعا، ثم جرى بينهما الصلحُ.

فلما التَأَمَ الأمرُ ولم يبقَ إلا الكتابُ وثَب عمرُ بن الخطاب، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكرٍ، أليس برسولِ الله؟

قال: بلى.

قال: أوَلسنا بالمسلمين؟

قال: بلى.

قال: أَوَليسوا بالمشركين؟

قال: بلى.

قال: فعلامَ نُعطى الدنيَّة في ديننا؟

قال أبو بكر: يا عُمر، الزم غرزَه، فإني أشهدُ أنه رسولُ الله.

قال عمر: وأنا أشهد أنه رسولُ الله.

ثم أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ألست برسولِ الله؟

قال: «**بلى**».

قال: أولسنا بالمسلمين؟

قال: «**بلى**».

قال: أوليسوا بالمشركين؟

قال: «**بلى**».

قال: فعلامَ نُعطى الدنيةَ في ديننا؟

قال: «**أنا عبدُ الله ورسولُه، لن أخالفَ أمرَه، ولن يضيعني!**».

قال: فكان عمر يقول: ما زلتُ أتصدَّق وأصومُ وأصلي وأُعتقُ، من الذي صنعتُ يومئذٍ مخافةَ كلامي الذي تكلمتُ به، حتى رجوتُ أن يكون خيرًا.

قال: ثم دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ رِضوان الله عليه، فقال: «**اكتُب: بسمِ الله الرحمن الرحيم**».

قال: فقال سُهيلٌ: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمِك اللهمَّ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**اكتُب: باسمك اللهمَّ**»، فكتبها.

ثم قال: «**اكتُب: هذا ما صالحَ عليه محمدٌ رسولُ الله سُهيلَ بن عمرو**».

قال: فقال سهيلٌ: لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتِلك، ولكن اكتُبُ اسمَك واسم أبيك.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**اكتُبْ: هذا ما صالحَ عليه محمدُ بن عبدِ الله سُهيلَ بن عمرو، اصطلحا على وضعِ الحربِ عن الناسِ عشْرَ سنين، يأمنُ فيهن الناسُ ويكُفُّ بعضُهم عن بعض، على أنه من أتى محمدًا من قريشٍ بغير إذن وليِّه ردَّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمدٍ لم يردوه عليه، وإن بيننا عَيبةً مَكفوفةً[(١)]، وأنه لا إسلالَ ولا إغلالَ[(٢)]، وأنه من أحبَّ أن يدخلَ في عقد محمدٍ وعهدِه دخل فيه، ومن أحب أن يدخلَ في عقدِ قريشٍ وعهدِهم دخل فيه**».

فتواثبت خُزاعةُ فقالوا: نحن في عقدِ محمدٍ وعهدِه، وتواثبت بنو بكرٍ، فقالوا: نحن في عقدِ قريشٍ وعهدِهم.

وأنك تَرجعُ عنا عامَك هذا، فلا تدخلُ علينا مكةَ، وأنه إذا كان عامُ قابلٍ خرجنا عنك فدَخَلتها بأصحابِك، فأقمت بها ثلاثًا، معك سلاحُ الراكِبِ السيوفُ في القُربِ، لا تدخلها بغيرها.

---

(١) عَيْبَةً مَكفوفةً: استعارة، وإنما يريد أنك تكفّ عنا ونكفّ عنك.

(٢) الإسْلَال: السرقة الخفية. والإغْلَال: الخيانة.

فبينا رسولُ الله ﷺ يكتُب الكتابَ هو وسهيلُ بن عمرو، إذ جاء أبو جَندلِ بن سهيلِ بن عمرو يرسُف في الحديدِ، قد انفلت إلى رسولِ الله ﷺ، وقد كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ خَرجوا وهم لا يشكُّون في الفتحِ، لرؤيا رآها رسولُ الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلحِ والرجوعِ، وما تحمَّل عليه رسولُ الله ﷺ في نفسِه؛ دخلَ على الناسِ من ذلك أمرٌ عظيمٌ، حتى كادوا يَهلِكون، فلما رأى سهيلٌ أبا جندلٍ قام إليه فضربَ وجهَه، وأخذ بتَلْبيبه ثم قال: يا محمدُ، قد لجَّت القضيةُ[١] بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا.

قال: صدقتْ، فجعل يَنتُرُه بتلبيبِه، ويجُرُّه ليردَّه إلى قريشٍ، وجعل أبو جَندلٍ يصرخُ بأعلى صوتِه: يا معشرَ المسلمين، أأُرَدُّ إلى المشركين يَفتنوني في ديني؟

فزاد ذلك الناسَ إلى ما بهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا جندلٍ، اصبرْ واحتسبْ، فإن اللهَ جاعلٌ لك ولمن معك من المُستضعفين فرجًا ومَخرجًا، إنا قد عَقدنا بيننا وبين القومِ صُلحًا، وأعطيناهم على ذلك، وأَعطَونا عهدَ الله، وإنا لا نَغدِر بهم**».

قال: فوثب عمرُ بن الخطابِ مع أبي جَندلٍ يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبرْ يا أبا جَندلٍ، فإنما هم المشركون، وإنما دمُ أحدِهم دمُ كلبٍ.

قال: ويُدني قائمَ السيفِ منه.

قال: يقول عمر: رجوتُ أن يأخذَ السيفَ فيضربَ به أباه، قال: فضنَّ الرجلُ بأبيه، ونفذت القضيةُ.

---

(١) لجَّت القضيةُ: أي: وَجَبَتْ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان رسولُ الله ﷺ مضطربًا في الحِلِّ[(١)]، وكان يُصلِّي في الحرمِ، فلما فرغَ من الصلحِ قدِم إلى هديه فنحرَه، ثم جلسَ فحلقَ رأسَه، وكان الذي حلقه -فيما بلغني- في ذلك اليوم خِراش بن أميةَ بن الفضل الخزاعيُّ، فلما رأى الناسُ أن رسولَ الله ﷺ قد نحرَ وحَلَقَ تواثَبوا ينحرون ويحلِقون.

٤- ما جرى عليه أمرُ قومٍ من المستضعفين بعد الصلحِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ أتاه أبو بَصيرٍ عُتبةُ بن أسيد، وكان ممن حُبس بمكةَ، فلما قدم على رسولِ الله ﷺ كتب فيه أزهرُ بن عبدِ عوف والأخنسُ بن شَريقٍ إلى رسولِ الله ﷺ، وبعثا رجلًا من بني عامرِ بن لؤيٍّ، ومعه مولًى لهم، فقدما على رسولِ الله ﷺ بكتابِ الأزهرِ والأخنسِ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا بَصيرٍ، إنا قد أعطينا هؤلاءِ القومَ ما قد علمتَ، ولا يصلُح لنا في دينِنا الغدرُ، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومَخرجًا، فانطَلِق إلى قومِك**».

قال: يا رسولَ الله، أتردُّني إلى المشركين يفتِنونني في ديني؟!

قال: «**يا أبا بصيرٍ، انطلقْ، فإن اللهَ تعالى سيجعلُ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا**».

فانطلقَ معهما، حتى إذا كان بذي الحُليفةِ، جلسَ إلى جدارٍ، وجلسَ معه صاحباه، فقال أبو بصيرٍ: أصارمٌ سيفُك هذا يا أخا بني عامر؟

---

(١) مضطربًا في الحِلِّ: معناه أن أبنيته كانت مضروبة في الحل وكانت صلاته في الحرم؛ وهذا لقرب الحديبية من الحرم.

فقال: نعم.

قال: أنظرُ إليه؟

قال: انظرْ، إن شئتَ.

قال: فاستلَّه أبو بصيرٍ، ثم علاه به حتى قتلَه، وخرجَ المولى سريعًا حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجدِ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ طالعًا قال: «**إن هذا الرجلَ قد رأى فزعًا**» فلما انتهى إلى رسولِ الله ﷺ، قال: «**ويحَك! ما لك؟**».

قال: قتل صاحبُكم صاحبي، فوالله ما بِرِح حتى طلعَ أبو بصيرٍ مُتوشِّحًا بالسيفِ، حتى وقف على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، وفَتْ ذمَّتُك، وأدَّى اللهُ عنك، أسلَمتني بيد القومِ وقد امتنعتُ بديني أن أُفتن فيه، أو يُعبث بي.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**ويلُ أمِّه، مِـحَشُّ**(١) **حربٍ لو كان معه رجالٌ!**».

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العِيصَ، من ناحية ذي المَروةِ، على ساحلِ البحر، بطريق قُريشٍ التي كانوا يأخذون عليها إلى الشأم، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتُبسوا بمكَّةَ قولُ رسول الله ﷺ لأبي بصير: «**ويلُ أمِّه، مِحَشُّ حربٍ لو كان معه رجالٌ!**»، فخرجوا إلى أبي بَصيرٍ بالعِيصِ، فاجتمع إليه منهم قريبٌ من سبعين رجلًا، وكانوا قد ضيَّقوا على قريشٍ، لا يَظفرون بأحدٍ منهم إلا قَتلوه، ولا تمرُّ بهم عيرٌ إلا اقتَطعوها، حتى كتبت قريشٌ إلى رسولِ الله ﷺ تَسألُ بأرحامِها إلا آواهم، فلا حاجةَ لهم بهم؛ فآواهم رسولُ الله ﷺ، فقدِموا عليه المدينةَ.

---

(١) مِـحَشُّ حربٍ: أي موقد حرب ومهيجها.

٥- أمرُ المُهاجرات بعد الهُدنةِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني الزهريُّ، عن عُروةَ بن الزبيرِ قال: دخلت عليه وهو يكتب كتابًا إلى ابن أبي هُنيدةَ، صاحبِ الوليدِ بن عبد الملك، وكتب إليه يسألُه عن قولِ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠]، فكتب إليه عُروةُ بن الزبير: إن رسولَ الله ﷺ كان صالحَ قريشًا يومَ الحديبيةِ على أن يردَّ عليهم من جاء بغيرِ إذنِ وليِّه، فلما هاجرَ النساءُ إلى رسولِ الله ﷺ وإلى الإسلامِ، أبى اللهُ أن يُرْدَدْنَ إلى المشركين إذا هن امتُحِنَّ بمحنة الإسلامِ، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبةً في الإسلام، وأمر بردِّ صدُقاتِهنَّ إليهم إن احتبَسن عنهم، إن هم ردُّوا على المسلمين صداقَ من حُبسوا عنهم من نسائهم ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٠].

فأمسك رسولُ الله ﷺ النساءَ وردَّ الرجالَ، وسأل الذي أمره اللهُ به أن يسألَ من صَدُقات نساءِ من حُبسوا منهن، وأن يردوا عليهم مثلَ الذي يَردُّون عليهم -إن هم فعلوا- ولولا الذي حَكم اللهُ به من هذا الحكمِ لرَدَّ رسولُ الله ﷺ النساءَ كما ردَّ الرجالَ، ولولا الهدنةُ والعهدُ الذي كان بينه وبين قريشٍ يومَ الحديبية لأمسكَ النساءَ، ولم يَردُدْ لهن صداقًا، وكذلك كان يصنعُ بمن جاءَه من المسلمات قبل العهدِ.

٦- بُشرى فتحِ مكّةَ وتعجُّلِ بعضِ المسلمين

قال ابنُ هشامٍ: حدثنا أبو عُبيدةَ أن بعضَ من كان مع رسولِ الله ﷺ قال له لما قدِمِ المدينةَ: ألم تقل يا رسولَ الله إنك تدخلُ مكَّةَ آمنا؟

قال: «**بلى، أَفَقلتُ لكم من عامي هذا؟**».

قالوا: لا.

قال: «**فهو كما قال لي جبريلُ عليه السلامُ**».

٧- ذِكرُ المَسيرِ إلى خيبرَ في المُحرَّم سنةَ سبع

قال محمدُ بن إسحاقَ: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينةِ حين رجعَ من الحديبيةِ، ذا الحجةِ وبعضَ المحرم، ووَلِي تلك الحجةَ المشركون، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبرَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني من لا أتهمُ عن أنسِ بن مالكِ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يُغِر عليهم حتى يصبحَ، فإن سمع أذانًا أمسك، وإن لم يسمع أذانًا أغار، فنزلنا خيبرَ ليلًا، فبات رسولُ الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانًا، فرَكِبَ وركبنا معه، فركبت خلفَ أبي طلحةَ، وإن قدمي لَتمسُّ قدمَ رسولِ الله ﷺ، واستقبلْنا عمَّالَ خيبرَ غادين، قد خرجوا بمَساحِيهم ومَكاتِلهم[(١)].

فلما رأوا رسولَ الله ﷺ والجيشَ، قالوا: محمدٌ والخميسُ[(٢)] معه! فأدبروا هُرَّابًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهُ أكبر، خَرِبت خيبرُ، إنا إذا نزلنا بساحةِ قوم فساءَ صباحُ المُنذَرين**».

---

(١) المَسَاحِي: جمع مِسْحاة وهي كالمجرفة ولكنها من حديد. والمَكَاتِل جمع مِكْتَل وهو: القفة الكبيرة.

(٢) الخَمِيس: الجيش؛ لأنهم خَمْسُ فِرَقٍ: المقدمة، والقلب، والميمَنة، والميسَرة، والساق.

فبلغني أن غَطفانَ لما سمعت بمنزلِ رسولِ الله ﷺ من خَيبرَ جمعوا له، ثم خرجوا ليُظاهِروا يهودَ عليه، حتى إذا ساروا مَنْقَلَةً(١) سمعوا خَلفَهم في أموالهم وأهليهم حِسًّا، ظنوا أن القومَ قد خالفوا إليهم، فرَجعوا على أعقابِهم، فأقاموا في أهليهم وأموالِهم، وخلَّوا بين رسولِ الله ﷺ وبين خيبرَ.

وتَدنَّى(٢) رسولُ الله ﷺ الأموالَ يأخذُها مالًا مالًا، ويفتتحها حِصنًا حِصنًا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما افتتح رسولُ الله ﷺ من حِصونهم ما افتتح، وحاز من الأموالِ ما حازَ، انتهوا إلى حِصنَيهم: الوطيحِ والسُّلالمِ، وكان آخرَ حصونِ أهل خيبرَ افتتاحًا، فحاصَرهم رسولُ الله ﷺ بضعَ عشْرةَ ليلةً.

وحاصر رسولُ الله ﷺ أهلَ خيبرَ في حصنيهم: الوطيحِ والسُّلالمِ، حتى إذا أيقنوا بالهَلَكَةِ، سألوه أن يُسيِّرهم وأن يحقِنَ لهم دماءَهم؛ ففعل.

وكان رسولُ الله ﷺ قد حاز الأموالَ كُلَّها: الشَّقَّ ونطاةَ والكتيبةَ وجميع حُصونِهم، إلا ما كان من ذينك الحصنين.

فلما سمع بهم أهلُ فَدَك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسولِ الله ﷺ يسألونه أن يُسيِّرهم، وأن يحقنَ دماءَهم، ويخلوا له الأموالَ؛ ففعلَ.

فكانت خيبرُ فيئًا بين المسلمين، وكانت فَدَكُ خالصةً لرسولِ الله ﷺ؛ لأنهم لم يُجلبوا عليها بخيلٍ ولا رِكابٍ.

---

(١) مَنْقَلَة: مرحلة من مراحل السفر.

(٢) تَدَنَّى: أي دنا منها شيئا بعد شيء.

٨- أمرُ الشاةِ المَسمومةِ

فلما اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ أهدت له زينبُ بنتُ الحارث -امرأةُ سلَّام بن مِشكمٍ- شاةً مَصْلِيَّةً[(١)]، وقد سألت: أيَّ عضو من الشاة أحبُّ إلى رسولِ الله ﷺ؟

فقيل لها: الذراعُ؛ فأكثرت فيها من السُّمِّ، ثم سمت سائرَ الشاةِ، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسولِ الله ﷺ تناولَ الذراعَ، فلاك منها مُضغةً، فلم يُسِغها، ومعه بِشرُ بن البراءِ بن مَعرور قد أخذ منها كما أخذ رسولُ الله ﷺ، فأما بِشرٌ فأساغَها، وأما رسولُ الله ﷺ فلفَظها ثم قال: «**إن هذا العظمَ ليُخبرني أنه مَسمومٌ**»، ثم دعا بها، فاعترفت.

فقال: «**ما حمَلك على ذلك؟**» قالت: بَلغتَ من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلت: إن كان مَلِكًا استرحتُ منه، وإن كان نبيًّا فسيُخبر.

قال: فتجاوز عنها رسولُ الله ﷺ، ومات بِشرٌ من أكلته التي أكلَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني مروانُ بن عثمانَ قال: كان رسولُ الله ﷺ قد قال في مرضِه الذي توفي فيه، ودخلت أمُّ بشرٍ بنت البراء بن معرور تعودُه: «**يا أمَّ بشر، إن هذا الأوان وجدتُ فيه انقطاعَ أَبهَري**[(٢)] **من الأكلَة التي أكلت مع أخيك بِخيبرَ**».

---

(١) مَصْلِيَّة: مشوية.

(٢) الأَبْهَر: عرق إذا انقطع مات صاحبه.

قال: فإن كان المسلمون ليَرون أن رسولَ الله ﷺ مات شهيدًا، مع ما أكرمه اللهُ به من النبوةِ.

٩- ذِكرُ قدوم جعفرَ بن أبي طالب من الحبشةِ وحديث المهاجرين إلى الحبشةِ

قال ابن هشامٍ: عن الشعبيِّ: أن جعفرَ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قدم على رسولِ الله ﷺ يومَ فتح خيبرَ، فقبَّل رسولُ الله ﷺ بين عينيه، والتزمَه وقال: «**ما أدري بأيِّهما أنا أُسَرُّ: بفتح خيبرَ، أم بقدوم جعفرَ؟**».

١٠- عُمرةُ القضاء في ذي القعدة سنةَ سبع

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ من خيبرَ، أقام بها شهري ربيعٍ وجُمادِيين ورجبًا وشعبان ورمضانَ وشوالًا، يبعث فيما بين ذلك من غَزوه وسراياه ﷺ، ثم خرج في ذي القعدةِ في الشهر الذي صدَّه فيه المشركون مُعتمرًا عمرةَ القضاء، مكان عمرتِه التي صدوه عنها.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وخرجَ معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه في عمرتِه تلك، وهي سنةَ سبعٍ، فلما سمعَ به أهلُ مكَّةَ خرجوا عنه، وتحدَّثت قريشٌ بينها أن محمدًا وأصحابَه في عُسرة وجهد وشدةٍ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن ابن عباس قال: صفُّوا له عند دار الندوة ليَنظروا إليه وإلى أصحابِه، فلما دخلَ رسولُ الله ﷺ المسجدَ اضطبعَ بردائِه، وأخرج عَضُدَه اليمنى ثم قال: «**رحم الله امرأً أراهم اليومَ من نفسِه قوةً**»، ثم استلم الركنَ، وخرج يُهرول ويهرول أصحابُه معه، حتى إذا واراه البيتُ منهم، واستلمَ الركنَ اليمانيَّ، مشى حتى يستلم الركن الأسودَ، ثم هرولَ كذلك ثلاثةَ أطوافٍ، ومشى سائرَها.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن ابن عباس أن رسولَ الله ﷺ تزوَّج ميمونةَ بنتَ الحارثِ في سفره ذلك وهو حرامٌ، وكان الذي زوَّجه إياها العباسُ بن عبد المطلب.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فأقام رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ ثلاثا، فأتاه حُويطبُ بن عبد العُزَّى في نفرٍ من قريشٍ في اليوم الثالثِ، وكانت قريشٌ قد وكَّلته بإخراج رسولِ الله ﷺ من مكَّةَ، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلُك، فاخرُج عنا، فقال النبيُّ ﷺ: «**وما عَليكم لو تَركتُموني فأعرستُ بين أظهُركم، وصَنَعنا لكم طعامًا فحَضرتموه**».

قالوا: لا حاجةَ لنا في طعامِك، فاخرُج عنا.

فخرج رسولُ الله ﷺ، وخلَّف أبا رافعٍ مولاه على ميمونةَ، حتى أتاه بها بِسَرِفٍ، فبنى بها رسولُ الله ﷺ هنالك، ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ في ذي الحجةِ.

١١- ذِكرُ غزوةِ مُؤتةَ في جُمادى الأولى سنةَ ثمان

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عُروةَ بن الزبيرِ قال: بعث رسولُ الله ﷺ بعثَهُ إلى مُؤتةَ في جُمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثةَ وقال: إن أصيبَ زيدٌ فجعفرُ بن أبي طالب على الناسِ، فإن أصيبَ جعفرٌ فعبد الله بن رواحةَ على الناس.

فتجهزَ الناسُ ثم تهيئوا للخروجِ، وهم ثلاثةُ آلاف، فلما حضر خروجُهم ودع الناسُ أمراءَ رسولِ الله ﷺ وسلموا عليهم.

ثم مضوا حتى نزلوا معانَ من أرضِ الشأم، فبلغ الناسَ أن هِرقلَ قد نزل مآبَ من أرض البَلقاء، في مئةِ ألفٍ من الروم، وانضم إليهم من لخْمٍ وجُذامَ والقينِ وبَهْراءَ وبَلِيٍّ مئةُ ألفٍ منهم عليهم رجلٌ من بَلِيٍّ ثم أحدُ إراشةَ، يُقال له: مالكُ بن زافلةَ.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتينِ يفكرون في أمرِهم وقالوا: نكتبُ إلى رسولِ الله ﷺ، فنُخبرُه بعدد عدوِّنا، فإما أن يَمدَّنا بالرجال، وإما أن يأمُرَنا بأمره؛ فنمضي له.

قال: فشجَّع الناسَ عبدُ الله بن رواحةَ، وقال: يا قومِ، والله إن التي تَكرهون للتي خرجتُم تَطلبون: الشهادةَ، وما نُقاتل الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ، ما نُقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرَمنا اللهُ به، فانطَلِقوا فإنما هي إحدى الحُسنَيين: إما ظهورٌ وإما شهادةٌ.

قال: فقال الناسُ: قد والله صدقَ ابنُ رواحةَ. فمضى الناس.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فمضى الناسُ، حتى إذا كانوا بتُخومِ البَلقاء لقيَتهم جموعُ هرقلَ، من الرومِ والعرب، بقريةٍ من قرى البَلقاء يُقال لها: مَشارفُ، ثم دنا العدوُّ، وانحازَ المسلمون إلى قريةٍ يُقال لها: مُؤتةُ، فالتقى الناسُ عندها، فتعبَّأَ لهم المسلمون، فجَعلوا على مَيمَنتهم رجلًا من بني عُذرةَ يُقال له: قُطبةُ بن قتادةَ، وعلى ميسرتهم رجلًا من الأنصارِ يُقال له: عُبايةُ بن مالك.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم التقى الناسُ واقتتلوا، فقاتلَ زيدُ بن حارثةَ برايةِ رسولِ الله ﷺ حتى شاطَ في رماحِ القومِ.

ثم أخذها جعفرٌ فقاتلَ بها، حتى إذا أَلْحَمَهُ القتالُ[(١)] اقتحمَ عن فرسٍ له شقراءَ فعَقرها، ثم قاتلَ القومَ حتى قُتل، فكان جعفر أوَّلَ رجل من المسلمين عَقرَ في الإسلام.

ثم أخذ الرايةَ ثابتُ بن أقرمَ أخو بني العجلان، فقال: يا معشرَ المسلمين اصطلِحوا على رجلٍ منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعلٍ، فاصطلح الناسُ على خالدِ بن الوليد، فلما أخذ الرايةَ دافعَ القومَ، وحاشى بهم، ثم انحازَ وانحِيز عنه، حتى انصرفَ بالناسِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما أصيبَ القومُ قال رسولُ الله ﷺ -فيما بلغني-: «**أخذ الرايةَ زيدُ بن حارثةَ فقاتل بها حتى قُتلَ شهيدًا، ثم أخذها جعفرٌ فقاتل بها حتى قُتل شهيدًا**».

قال: ثم صمت رسولُ الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصارِ، وظنوا أنه قد كان في عبدِ الله بن رواحةَ بعض ما يَكرهون.

ثم قال: «**ثم أخذها عبدُ الله بن رواحةَ فقاتل بها حتى قُتل شهيدًا**».

ثم قال: «**لقد رُفعوا إليَّ في الجنةِ -فيما يرى النائم- على سُررٍ من ذهبٍ، فرأيت في سريرِ عبدِ الله بن رواحة ازورارًا عن سريرَيْ صاحبَيه، فقلت: عمَّ هذا؟ فقِيل لي: مضيَا وتردد عبدُ الله بعضَ الترددِ، ثم مضى**».

فلما انصرفَ خالدٌ بالناس أقبل بهم قافلًا.

---

(١) أَلْحَمَهُ القتالُ: احتوشه وأرهقه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عُروةَ بن الزبير قال: لما دنوا من حول المدينةِ تلقَّاهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون.

قال: ولقيهم الصبيانُ يَشتدُّون، ورسولُ الله ﷺ مُقبلٌ مع القومِ على دابةٍ فقال: «**خذوا الصبيانَ فاحملوهم، وأعطوني ابنَ جعفرٍ**».

فأُتيَ بعبد الله فأخذه فحملَه بين يديه.

قال: وجعل الناسُ يَحثون على الجيش الترابَ، ويقولون: يا فرارَ، فررتم في سبيلِ الله!

قال: فيقول رسولُ الله ﷺ: «**ليسوا بالفُرَّار، ولكنهم الكُرَّارُ إن شاء اللهُ تعالى**».

١٢- فتحُ مكةَ في شهر رمضانَ سنة ثمان

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بعد بعثِه إلى مؤتةَ جُمادى الآخرة ورجبًا.

ثم إن بني بكرِ بن عبد مَناة عَدَت على خُزاعةَ، وهم على ماءٍ لهم بأسفلِ مكةَ يُقال له: الوتير، وكان الذي هاجَ ما بين بني بكرٍ وخُزاعةَ أن رجلًا من بني الحضرميِّ واسمه مالك بن عبَّاد -وحِلفُ الحضرميِّ يومئذ إلى الأسود بن رَزْن- خرج تاجرًا، فلما توسط أرضَ خُزاعةَ، عدوا عليه فقَتلوه، وأخذوا مالَه، فعَدتْ بنو بكر على رجلٍ من خزاعةَ فقَتلوه، فعَدت خزاعةُ قبيل الإسلام على بَني الأسود بن رزن الدِّيليِّ، وهم مَنخرُ بني كنانةَ وأشرافُهم: سلمى وكُلثومٌ وذؤيبٌ فقتلوهم بعرفةَ عند أنصابِ الحرمِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فبينا بنو بكرٍ وخزاعةُ على ذلك حجز بينهم الإسلامُ، وتشاغلَ الناسُ به، فلما كان صلح الحديبيةِ بين رسول الله ﷺ وبين قريشٍ، كان فيما شَرطوا لرسولِ الله ﷺ وشرطَ لهم: أنه من أحبَّ أن يدخلَ في عقدِ رسولِ الله ﷺ وعهدِه فليدخُلْ فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عقدِ قريشٍ وعهدِهم فليدخل فيه؛ فدخلت بنو بكرٍ في عقدِ قريشٍ وعهدِهم، ودخلت خزاعةُ في عقد رسولِ الله ﷺ وعهدِه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما كانت الهدنةُ اغتَنَمها بنو الديلِ من بني بكر من خزاعةَ، وأرادوا أن يُصيبوا منهم ثأرًا بأولئك النفرِ الذين أصابوا منهم ببني الأسودِ بن رَزْنٍ، فخرج نوفلُ بن معاوية الديلي في بني الديلِ، وهو يومئذ قائدُهم، وليس كلُّ بني بكرٍ تابعَه حتى بَيَّت خزاعةَ وهم على الوتير -ماءٍ لهم- فأصابوا منهم رجلًا، وتَحاوزوا واقتتلوا، ورَفدت بني بكرٍ قريشٌ بالسلاحِ، وقاتل معهم من قريشٍ من قاتل بالليل مُستخفيًا، حتى حازوا خزاعةَ إلى الحرمِ.

فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكرٍ: يا نوفلُ، إنا قد دخلنا الحرمَ، إلهَك إلهَك، فقال كلمةً عظيمةً: لا إله له اليومَ، يا بني بكرٍ أصيبوا ثأرَكم، فلَعمري إنكم لتَسرقون في الحرمِ، أفلا تُصيبون ثأرَكم فيه، وقد أصابوا منهم ليلةَ بَيَّتوهم بالوتير رجلًا يُقال له: مُنبِّه

فلما دخلت خزاعةُ مكةَ، لجئوا إلى دار بُديلِ بن ورقاءَ، ودار مولًى لهم يُقال له: رافعٌ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما تظاهرت بنو بكرٍ وقريشٌ على خزاعةَ، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونَقضوا ما كان بينهم وبين رسولِ الله ﷺ من العهدِ والميثاقِ بما استحلوا من خُزاعةَ، وكان في عقدِه وعهدِه، خرج عمرُو بن سالم الخزاعيُّ، ثم أحَدُ بني كعبٍ، حتى قدِم على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، وكان ذلك مما هاج فتحَ مكَّةَ، فوقف عليه وهو جالسٌ في المسجدِ بين ظهراني الناسِ، فقال:

يـــا ربِّ إني ناشــــدٌ محمــــدًا
حِلــفَ أبينــا وأبيــه الأتلــدا
قــد كنــتم ولــدًا وكنــا والــدًا
ثُمَّــتَ أســلمنا فلــم ننــزِع يــدا
فانصــر هــداك اللهُ نصــرًا أعتــدا
وادعُ عبــادَ الله يــأتوا مــددا

قالَ ابنُ إسحاقَ: فقال رسولُ الله ﷺ: «**نُصرتَ يا عمرَو بنَ سالمٍ**».

ثم خرج بُديل بن ورقاءَ في نفرٍ من خزاعةَ حتى قدموا على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فأخبروه بما أصيبَ منهم، وبمُظاهرةِ قريشٍ بني بكرٍ عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكةَ، وقد قال رسولُ الله ﷺ للناسِ: «**كأنكم بأبي سفيانَ قد جاءَكم ليشدَّ العقدَ، ويَزيدَ في المدةِ**».

ثم خَرجَ أبو سفيان حتى قدمَ على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فكلمه، فلم يرُدَّ عليه شيئًا.

ثم ذهب إلى أبي بكرٍ، فكلَّمه أن يكلم له رسولَ الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعلٍ.

ثم أتى عمرَ بن الخطاب فكلَّمه، فقال: أأنا أشفعُ لكم إلى رسولِ الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتُكم به.

ثم خرج فدخل على عليِّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه، وعنده فاطمةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ ورضي عنها، وعندها حسنُ بن عليٍّ -غلامٌ يدبُ بين يديها- فقال: يا عليُّ، إنك أمسُّ القومِ بي رحمًا، وإني قد جئت في حاجةٍ، فلا أرجعن كما جئتُ خائبًا، فاشفع لي إلى رسولِ الله، فقال: ويحَك يا أبا سفيانَ! والله لقد عزمَ رسولُ الله ﷺ على أمرٍ ما نَستطيع أن نكلِّمَه فيه.

فالتفت إلى فاطمةَ فقال: يا ابنةَ محمدٍ، هل لك أن تأمُري بُنيَّك هذا فيُجيرَ بين الناس، فيكون سيِّدَ العربِ إلى آخر الدهرِ؟

قالت: والله ما بلغ بُنيَّ ذاك أن يجيرَ بين الناسِ، وما يجير أحدٌ على رسولِ الله ﷺ.

قال: يا أبا الحسنِ، إني أرى الأمورَ قد اشتدت عليَّ؛ فانصحني.

قال: والله ما أعلمُ لك شيئًا يُغني عنك شيئًا، ولكنك سيِّدُ بني كنانةَ، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضِك.

قال: أو ترى ذلك مُغنيًا عني شيئًا؟

قال: لا والله، ما أظنه، ولكني لا أجدُ لك غيرَ ذلك.

فقام أبو سفيانَ في المسجد، فقال: أيها الناسُ، إني قد أجَرتُ بين الناسِ، ثم

ركب بعيرَه فانطلق.

وأمر رسولُ الله ﷺ بالجِهازِ، وأمر أهلَه أن يُجهِّزوه، ثم إن رسولَ الله ﷺ أعلم الناسَ أنه سائرٌ إلى مكةَ، وأمرهم بالجدِّ والتهيُّؤ، وقال: «**اللهمَّ خذ العيونَ والأخبارَ عن قريش حتى نبغتَها في بلادها**»، فتجهَّز الناسُ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عبد الله بن عباسٍ قال: ثم مضى رسولُ الله ﷺ لسفَره، واستخلفَ على المدينةِ أبا رُهمٍ كُلثومَ بن حُصينٍ الغِفاريَّ، وخرج لعشرٍ مضين من رمضانَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهرانِ في عشرة آلافٍ من المسلمين، فلما نزلَ رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظهران، وقد عُمِّيت الأخبارُ عن قريشٍ، فلم يأتِهم خبرٌ عن رسولِ الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعلٌ، وخرجَ في تلك الليالي أبو سفيانَ بن حرب وحكيمُ بن حِزام وبُديل بن ورقاءَ يتحسسون الأخبارَ، وينظرون هل يَجدون خبرًا أو يَسمعون به، وقد كان العباسُ بن عبد المطلبِ لقي رسولَ الله ﷺ ببعضِ الطريقِ.

فلما نزل رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظهرانِ، قال العباسُ بن عبد المطلبِ: فقلت: واصباحَ قريشٍ، والله لئن دخل رسولُ الله ﷺ مكَّةَ عُنوةً قبل أن يأتوه فيَستأمنوه، إنه لهلاكُ قريشٍ إلى آخرِ الدهرِ.

قال: فجلستُ على بغلةِ رسولِ الله ﷺ البيضاءِ، فخرجت عليها.

قال: حتى جئتُ الأراكَ، فقلت: لَعَلِّي أجد بعضَ الحطَّابةِ أو صاحبَ لبن أو ذا حاجةٍ يأتي مكَّةَ، فيخبرَهم بمكان رسولِ الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبلَ أن يَدخلها عليهم عُنوةً.

قال: فوالله إني لأسير عليها، وألتمسُ ما خرجتُ له، إذ سمعت كلامَ أبي سفيان وبُديل بن ورقاءَ، وهما يتراجعان، وأبو سفيانَ يقول: ما رأيت كالليلةِ نيرانًا قط ولا عسكرًا.

قال: يقول بُديلٌ: هذه والله خُزاعةُ حَمَشتها الحربُ.

قال: يقول أبو سفيانَ: خُزاعةُ أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانُها وعسكرُها.

قال: فعرفت صوتَه، فقلت: يا أبا حنظلةَ، فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل!

قال: قلت: نعم، قال: ما لك؟ فداك أبي وأمي.

قال: قلت: ويحَك يا أبا سُفيانَ، هذا رسولُ الله ﷺ في الناسِ، واصباحَ قُريشٍ والله.

قال: فما الحيلةُ؟ فداك أبي وأمي.

قال: قلت: والله لئن ظفِر بك ليَضربن عُنقَك، فاركب في عَجُز هذه البغلةِ حتى آتيَ بك رسولَ الله ﷺ فأستأمِنُه لك.

قال: فركب خلفي ورجع صاحباه.

قال: فجئتُ به، كلما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلةَ رسولِ الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عَمُّ رسولِ الله ﷺ على بغلته.

حتى مررت بنارِ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: من هذا؟

وقام إليَّ، فلما رأى أبا سفيان على عَجُز الدابةِ، قال: أبو سفيان عدوُّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغيرِ عقدٍ ولا عهدٍ، ثم خرجَ يشتدُّ نحو رسولِ الله ﷺ، وركضت البغلةُ، فسبقته بما تسبق الدابةُ البطيئة الرجلَ البطيء.

قال: فاقتحمتُ عن البغلةِ، فدخلت على رسولِ الله ﷺ، ودخل عليه عمرُ، فقال: يا رسولَ الله، هذا أبو سفيان قد أمكن اللهُ منه بغير عقدٍ ولا عهدٍ، فدعني فلأضرب عنقَه.

قال: قلت: يا رسولَ الله، إني قد أجرتُه، ثم جلستُ إلى رسولِ الله ﷺ، فأخذتُ برأسِه، فقلت: والله لا يناجيه الليلةَ دوني رجلٌ، فلما أكثرَ عمرُ في شأنِه، قال: قلت: مهلًا يا عمرُ، فوالله أن لو كان من بني عديٍّ بن كعبٍ ما قلتَ هذا، ولكنك قد عرفتَ أنه من رجالِ بني عبد مَنافٍ.

فقال: مهلا يا عباسُ، فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلامِ الخطاب لو أسلمَ، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامَك كان أحبَّ إلى رسولِ الله ﷺ من إسلامِ الخطابِ لو أسلم.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**اذهبْ به يا عباسُ إلى رحلِك، فإذا أصبحت فأتني به**».

قال: فذهبتُ به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبحَ غدوتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ، قال: «**ويحَك يا أبا سفيانَ، ألم يأنِ لك أن تعلمَ أنه لا إله إلا اللهُ؟**»

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمَك وأكرمَك وأوصَلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إلهٌ غيرُه لقد أغنى عني شيئًا بعد.

قال: «**ويحك يا أبا سُفيانَ! ألم يأن لك أن تعلمَ أني رسولُ الله؟**»

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئًا.

فقال له العباسُ: ويحك! أسلِم واشهد أن لا إلهَ إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله قبل أن تُضربَ عنقُك.

قال: فشهد شهادةَ الحقِّ، فأسلم.

قال العباسُ: قلت: يا رسولَ الله، إن أبا سُفيان رجلٌ يحب هذا الفخرَ، فاجعل له شيئًا.

قال: «**نعم، من دخل دارَ أبي سُفيانَ فهو آمنٌ، ومن أغلق بابه فهو آمنٌ، ومن دخل المسجدَ فهو آمنٌ**».

فلما ذهب لينصرف قال رسولُ الله ﷺ: «**يا عباسُ، احبِسه بمَضيقِ الوادي عند خَطْمِ الجبلِ[1]، حتى تمرَّ به جنودُ الله فيراها**».

---

(١) خَطْم الجبل: ما خرج منه ونتأ من بعض حجارته.

قال: فخرجت حتى حبستُه بمَضيقِ الوادي، حيث أمرني رسولُ الله ﷺ أن أحبسَه.

قال: ومرَّت القبائلُ على راياتها، كلما مرت قبيلةٌ قال: يا عباسُ، من هذه؟ فأقول: سُليمٌ، فيقول: ما لي ولسليم؟! ثم تمرُّ القبيلةُ فيقول: يا عباسُ، من هؤلاء؟ فأقول: مُزينةُ، فيقول: ما لي ولمزينةَ؟! حتى نفدت القبائلُ، ما تمر به قبيلةٌ إلا يسألني عنها، فإذا أخبرتُه بهم، قال: ما لي ولبني فلان؟! حتى مرَّ رسولُ الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لا يُرى منهم إلا الحَدقُ من الحديدِ، فقال: سبحانَ الله! يا عباسُ، من هؤلاء؟

قال: قلت: هذا رسولُ الله ﷺ في المُهاجرين والأنصار.

قال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبلٌ ولا طاقةٌ، والله يا أبا الفضلِ، لقد أصبحَ ملك ابن أخيك الغداةَ عظيمًا.

قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوةُ. قال: فنعم إذن.

قال: قلت: النَّجاءَ إلى قومِك، حتى إذا جاءهم صرخَ بأعلى صوته: يا معشرَ قريشٍ، هذا محمدٌ قد جاءَكم فيها لا قِبَلَ لكم به، فمن دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمنٌ.

قالوا: قاتلك الله! وما تُغني عنا دارُك.

قال: ومن أغلقَ عليه بابَه فهو آمنٌ، ومن دخلَ المسجد فهو آمن، فتفرَّق الناسُ إلى دورِهم وإلى المسجدِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ أن رسولَ الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طُوَى وقف على راحلته معتجِرًا(١) بشُقَّةِ بُردِ حِبَرَةٍ حمراء، وإن رسولَ الله ﷺ ليَضعُ رأسَه تواضعًا لله حين رأى ما أكرَمه اللهُ به من الفتحِ، حتى إن عُثنونَه ليكاد يَمسُّ واسطةَ الرحلِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ أن رسول الله ﷺ حين فرَّق جيشَه من ذي طُوى أمر الزبيرَ بن العوامِ أن يدخل في بعضِ الناس من كُدًى، وكان الزبيرُ على المُجنِّبَةِ اليُسرى، وأمرَ سعدَ بن عُبادةَ أن يدخل في بعض الناسِ من كَداء.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فزعم بعضُ أهل العلم أن سعدًا حين وُجِّه داخلًا قال: اليومُ يومُ المَلحمة، اليومُ تُستحل الحُرمة.

فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسولَ الله، اسمع ما قال سعدُ بن عبادةَ، ما نأمن أن يكون له في قريشٍ صولةٌ.

فقال رسولُ الله ﷺ لعليِّ بن أبي طالبٍ: «**أدرِكْه، فخذ الرايةَ منه فكن أنت الذي تدخلُ بها**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: وقد حدثني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ في حديثه أن رسولَ الله ﷺ أمر خالدَ بن الوليدِ، فدخلَ من اللِّيطِ أسفلَ مكَّةَ، في بعض الناس، وكان خالدٌ على المُجنِّبةِ اليُمنى، وفيها أسلمُ وسليم وغِفار ومُزينة وجُهينةُ وقبائلُ من قبائل العرب.

---

(١) الاعْتِجَار: لف العمامة على الرأس.

وأقبل أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح بالصف من المسلمين ينصب لمكَّةَ بين يدي رسولِ الله ﷺ، ودخل رسولُ الله ﷺ من أذاخرَ، حتى نزل بأعلى مكَّةَ، وضُربت له هنالك قُبَّته.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني عبدُ الله بن أبي نَجيحٍ وعبدُ الله بن أبي بكر أن صفوانَ بن أميَّة وعكرمةَ بن أبي جهلٍ وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسًا بالخَندمَةِ ليُقاتلوا، وقد كان حِماسُ بن قيسٍ يُعد سلاحًا قبل دخول رسولِ الله ﷺ، ويُصلح منه، ثم شهد الخَندمةَ مع صفوانَ وسُهيلٍ وعكرمةَ، فلما لقيَهم المسلمون من أصحابِ خالدِ بن الوليدِ، ناوشوهم شيئًا من قتالٍ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان رسولُ الله ﷺ قد عهِدَ إلى أمرائه من المسلمين - حين أمرهم أن يدخلوا مكَّةَ- أن لا يُقاتلوا إلا من قاتَلهم، إلا أنه قد عهِدَ في نفرٍ سمَّاهم أمر بقتلهم، وإن وُجدوا تحت أستارِ الكعبة.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن صفية بنت شَيبةَ أن رسولَ الله ﷺ لما نزل مكَّةَ واطمأن الناسُ، خرجَ حتى جاء البيتَ، فطافَ به سبعًا على راحِلتِه، يستلمُ الركنَ بمِحْجَنٍ[(١)] في يده، فلما قضى طوافَه، دعا عثمانَ بن طلحةَ فأخذ منه مفتاحَ الكعبةِ، ففُتحت له، فدَخَلها، فوجد فيها حَمامةً من عِيدانٍ فكَسَرَها بيده ثم طرَحَها، ثم وقف على بابِ الكعبةِ وقد استكفَّ له الناسُ[(٢)] في المسجدِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني بعضُ أهل العلم أن رسولَ الله ﷺ قام على باب الكعبةِ فقال: «**لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، صَدق وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ**

---

(١) المِحْجَن: العصا المعوجَّة.

(٢) اسْتَكَفَّ القومُ حول الشيء: أي أحاطوا به ينظرون إليه.

الأحزابَ وحدَه، ألا كل مأثُرةٍ أو دمٍ أو مال يُدَّعى فهو تحت قَدَمَيَّ هاتين إلا سدانةَ البيت وسِقايةَ الحاج.

ألا وقتيلُ الخطأ شِبهِ العمد بالسوطِ والعصا، ففيه الديةُ مُغلَّظةٌ، مئةٌ من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها.

يا معشرَ قريشٍ، إن اللهَ قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهليةِ، وتعظُّمَها بالآباء، الناسُ من آدمَ، وآدمُ من تراب»، ثم تلا هذه الآية: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحُجُرات:١٣]» الآية كلها.

ثم قال: «**يا معشرَ قريشٍ، ما ترون أني فاعلٌ فيكم؟**».

قالوا: خيرًا، أخٌ كريم، وابنُ أخ كريمٍ.

قال: «**اذهبوا فأنتم الطُّلَقاءُ**».

ثم جلس رسولُ الله ﷺ في المسجدِ، فقام إليه عليُّ بن أبي طالبٍ ومِفتاحُ الكعبة في يده، فقال: يا رسولَ الله، اجمع لنا الحِجابةَ مع السقايةِ صلى الله عليك، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أين عثمانُ بن طلحةَ؟**»، فدُعي له، فقال: «**هاك مفتاحَك يا عثمانُ، اليومَ يومُ برٍّ ووفاءٍ**».

قال ابنُ هشامٍ: وبلغني عن يحيَى بن سعيدٍ أن النبيَّ ﷺ حين افتتح مكَّةَ ودخلها، قام على الصفا يدعو اللهَ، وقد أحدقت به الأنصارُ، فقالوا فيما بينهم: أترون رسولَ الله ﷺ، إذ فتح اللهُ عليه أرضَه وبلده يقيم بها؟

فلما فرغ من دعائه قال: «**ماذا قلتُم؟**»، قالوا: لا شيءَ يا رسولَ الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبيُّ ﷺ: «**مَعاذَ الله! المحيا محياكُم، والمماتُ مماتُكم**».

قال ابن هشامٍ: عن ابن عباسٍ قال: دخل رسولُ الله ﷺ مكَّةَ يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنامٌ مشدودةٌ بالرصاص، فجعل النبيُّ ﷺ يشيرُ بقضيبٍ في يده إلى الأصنامِ ويقول: «**جاء الحقُّ وزَهقَ الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقًا**»، فما أشار إلى صنمٍ منها في وجهه إلا وقعَ لقفاهُ، ولا أشار إلى قَفاهُ إلا وقع لوجهِه، حتى ما بقيَ منها صنمٌ إلا وقعَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان جميعُ من شهد فتحَ مكَّةَ من المسلمين عشرةُ آلاف.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وكان فتحُ مكةَ لعشرِ ليالٍ بقين من شهرِ رمضانَ سنة ثمان.

١٣- غزوةُ حُنينٍ في سنة ثمان بعد الفتحِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما سمِعَت هوازنُ برسولِ الله ﷺ وما فتحَ الله عليه من مكَّةَ، جمعها مالكُ بن عوفٍ النصريُّ، فاجتمعَ إليه مع هوازنَ ثقيفٌ كلُّها، واجتمعت نصر وجُشم كلها، وسعدُ بن بكر، وناسٌ من بني هلالٍ -وهم قليلٌ- ولم يَشهدها من قيسِ عيلانَ إلا هؤلاء.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعثَ إليهم عبدَ الله بن أبي حَدْردَ الأسلميَّ، وأمره أن يدخلَ في الناسِ، فيقيمَ فيهم حتى يعلمَ علمَهم، ثم يأتيه بخبرهم.

فانطلق ابنُ أبي حدردَ، فدخلَ فيهم، فأقام فيهم، حتى سمعَ وعلِم ما قد أجمعوا له من حربِ رسولِ الله ﷺ، وسمعَ من مالكٍ وأمر هوازنَ ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسولَ الله ﷺ، فأخبره الخبرَ.

قال: ثم خرج رسولُ الله ﷺ معه ألفانِ من أهل مكَّةَ مع عشْرةِ آلافٍ من أصحابه الذين خرجوا معه ففتحَ اللهُ بهم مكَّةَ، فكانوا اثني عشَر ألفًا، واستعملَ رسولُ الله ﷺ عتَّابَ بن أسيدٍ على مكَّةَ أميرًا على من تخلف عنه من الناس، ثم مضى رسولُ الله ﷺ على وجهه يُريد لقاءَ هوازنَ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن أبي واقدٍ الليثيِّ، أن الحارثَ بنَ مالك قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى حُنينٍ ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية، قال: فسِرنا معه إلى حُنين، قال: وكانت لكفارِ قريشٍ ومن سواهم من العربِ شجرةٌ عظيمة خضراءُ، يُقال لها: ذاتُ أنواطٍ، يأتونها كل سنةٍ، فيُعلقون أسلحتَهم عليها، ويذبحونَ عندها، ويعكُفون عليها يومًا.

قال: فرأينا ونحن نسيرُ مع رسولِ الله ﷺ سِدرةً خَضراءَ عظيمةً، قال: فتَنادينا من جنباتِ الطريق: يا رسولَ الله، اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط.

قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهُ أكبرُ، قلتم والذي نفسُ محمد بيده كما قال قومُ موسى لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، **إنها السَّننُ، لتركُبنَّ سَنَنَ من كان قبلَكم**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن جابرِ بن عبدِ الله قال: لما استقبلنا وادي حُنين انحدَرنا في وادٍ من أودية تِهامةَ، وفي عَماية الصبحِ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادي، فكمَّنوا لنا في شِعابه وأحنائه ومَضايِقه، وقد أجمعوا وتهيَّئوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن مُنحطُّون إلا الكتائبُ قد شدوا علينا شدةَ رجلٍ واحد، وانشَمَرَ الناسُ (١) راجعين، لا يلوي أحدٌ على أحدٍ.

وانحاز رسولُ الله ﷺ ذاتَ اليمين، ثم قال: «**أين أيها الناسُ؟ هَلمُّوا إليَّ، أنا رسولُ الله، أنا محمدُ بن عبد الله**».

قال: فلا شيءَ، حملت الإبلُ بعضُها على بعضٍ، فانطلق الناسُ، إلا أنه قد بقي مع رسولِ الله ﷺ نفرٌ من المهاجرين والأنصارِ وأهلِ بيته.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما انهزمَ الناسُ، ورأى من كان مع رسولِ الله ﷺ من جُفاةِ أهل مكَّةَ الهزيمةَ، تكلم رجالٌ منهم بما في أنفسِهم من الضِّغْنِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وقال شيبةُ بن عثمان بن أبي طلحةَ أخو بني عبد الدارِ: قلت: اليومَ أُدركُ ثأري من محمدٍ، وكان أبوه قُتلَ يوم أحُدٍ، اليومَ أقتل محمدًا.

قال: فأَدرتُ برسول الله لأقتلَه، فأقبل شيء حتى تغشَّى فؤادي، فلم أطِقْ ذاك، وعلمت أنه ممنوعٌ مني.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وحدثني بعضُ أهل مكَّةَ، أن رسولَ الله ﷺ قال حين فصلَ من مكَّةَ إلى حُنينٍ، ورأى كثرةً من معه من جنودِ الله: «**لن نُغلبَ اليومَ من قِلة**»، قالَ ابنُ إسحاقَ: وزعم بعضُ الناس أن رجلًا من بني بكرٍ قالها.

---

(١) انشَمَرَ الناسُ: أسرعوا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن العباسِ بنِ عبد المطلب قال: إني لمع رسولِ الله ﷺ آخذٌ بحَكَمةِ بغلتِه البيضاء قد شجرتُها بها[١]، قال: وكنت امرأ جَسيمًا شديدَ الصوتِ.

قال: ورسولُ الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: «**أين أيها الناسُ؟**».

فلم أر الناسَ يلوون على شيء.

فقال: «**يا عباسُ، اصرخ، يا معشرَ الأنصار: يا معشرَ أصحاب السمرة**».

قال: فأجابوا: لبيكَ، لبيكَ!

قال: فيذهب الرجلُ ليُثني بعيرَه، فلا يقدرُ على ذلك، فيأخذُ درعَه، فيقذفها في عنقِه، ويأخذُ سيفَه وتُرسه، ويقتحمُ عن بعيره، ويخلي سبيلَه، فيؤمَّ الصوتَ، حتى ينتهي إلى رسولِ الله ﷺ، حتى إذا اجتمعَ إليه منهم مئةٌ، استقبلوا الناسَ، فاقتتلوا، وكانت الدعوى أوَّلَ ما كانت: يا للأنصار، ثم خلصت أخيرًا: يا للخزرج، وكانوا صُبُرًا عند الحرب، فأشرفَ رسولُ الله ﷺ في ركائِبه فنظر إلى مُجتلد القومِ وهم يجتلدون، فقال: «**الآن حمِيَ الوطيسُ**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن جبيرِ بن مُطعم قال: لقد رأيت قبل هزيمةِ القوم والناسُ يقتتلون مثل البِجادِ[٢] الأسود، أقبل من السماءِ حتى سقط بيننا وبين القومِ، فنظرت، فإذا نملٌ أسود مبثوثٌ قد ملأ الوادي، لم أشكَّ أنها الملائكةُ، ثم لم يكن إلا هزيمةُ القومِ.

---

(١) آخذٌ بحَكَمةِ بغلتِه البيضاء قد شجرتُها بها: أي ضَربْتُها بلجامها أَكُفُّها حتى فتحتْ فاها.

(٢) البِجَاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما انهزمَ المشركون، أتوا الطائفَ ومعهم مالكُ بن عوفٍ، وعسكرَ بعضُهم بأوطاسٍ، وتوجه بعضُهم نحو نخلةَ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلةَ إلا بنو غِيرةَ من ثقيفٍ، وتبعتْ خيلُ رسولِ الله ﷺ من سلك في نخلةَ من الناسِ، ولم تتبع من سلك الثنايا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وبعث رسولُ الله ﷺ في آثارِ من توجَّه قِبَل أوطاسٍ أبا عامر الأشعريَّ، فأدرك من الناسِ بعضَ من انهزمَ، فناوشوه القتالَ، فرُمي أبو عامر بسهمٍ فقُتل، فأخذ الرايةَ أبو موسى الأشعريُّ، وهو ابن عمِّه، فقاتلهم، ففتح اللهُ على يديه وهزَمَهم.

وخرج مالكُ بن عوف عند الهزيمةِ، فوقف في فوارسَ من قومه، على ثنيَّة من الطريق، وقال لأصحابِه: قِفوا حتى تمضي ضعفاؤكم، وتلحق أُخراكم.

فوقف هناك حتى مضى مَن كان لحقَ بهم من مُنهزمةِ الناسِ، فلما انتهى الزبيرُ إلى أصل الثنيةِ أبصرَ القومَ، فصمد لهم، فلم يزل يُطاعِنُهم حتى أزاحهم عنها.

ثم جُمعتْ إلى رسولِ الله ﷺ سبايا حُنينٍ وأموالها، وكان على المغانم مَسعودُ بن عمرو الغفاريُّ، وأمر رسولُ الله ﷺ بالسبايا والأموالِ إلى الجِعرانةِ، فحُبست بها.

١٤- ذكر غزوةِ الطائف بعد حُنينٍ في سنةِ ثمان

ولما قدِم فَلُّ ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائعَ للقتالِ.

ثم سار رسولُ الله ﷺ إلى الطائفِ حين فرغ من حُنينٍ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فسلك رسولُ الله ﷺ على نخلةَ اليمانيةِ، ثم على قرنٍ، ثم على المليح، ثم على بُحرةِ الرُّغاءِ من لِيَّةَ، فابتنى بها مسجدًا فصلى فيه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فحدثني عمرُو بن شعيبٍ أنه أقاد يومئذٍ ببُحرةَ الرغاء -حين نزلها- بدَمٍ -وهو أول دم أُقيدَ به في الإسلام- رجلٌ من بني ليثٍ قتل رجلًا من هُذيل، فقتله به.

وأمر رسولُ الله ﷺ -وهو بلِيَّةَ- بحصنِ مالكِ بن عوف فهُدمَ، ثم سلك في طريقٍ يُقال لها: الضَّيْقَةُ، فلما توجه فيها رسولُ الله ﷺ سأل عن اسمها، فقال: «**ما اسمُ هذه الطريقِ؟**» فقِيل له: الضيقة.

فقال: «**بل هي اليُسرى**».

ثم خرج منها على نخْبٍ، حتى نزل تحت سدرةٍ يُقال لها: الصادرةُ، قريبًا من مال رجلٍ من ثقيفٍ، فأرسلَ إليه رسولُ الله ﷺ: «**إما أن تخرجَ، وإما أن نُخربَ عليك حائِطك**».

فأبى أن يَخرج، فأمر رسولُ الله ﷺ بإخرابِه، ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى نزل قريبًا من الطائفِ، فضرب به عسكره، فقُتل به ناسٌ من أصحابِه بالنبلِ، وذلك أن العسكرَ اقتربَ من حائطِ الطائفِ، فكانت النبلُ تنالهم، ولم يقدرِ المسلمون على أن يَدخلوا حائِطهم؛ أغلقوه دونَهم، فلما أصيب أولئك النفرُ من أصحابِه بالنبلِ وضع عسكرَه عند مسجده الذي بالطائفِ اليومَ، فحاصَرهم بضعًا وعشرين ليلةً، وقاتلهم قِتالًا شديدًا، وتراموا بالنبلِ.

ثم إن خويلةَ بنت حكيمٍ -وهي امرأةُ عثمان- قالت: يا رسولَ الله، أعطني -إن فتحَ اللهُ عليك الطائفَ- حليَ باديةَ بنت غيلان، أو حلي الفارعةِ بنت عَقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيفٍ.

فذُكر لي أن رسولَ الله ﷺ قال لها: «**وإن كان لم يُؤذن لي في ثقيفٍ يا خويلةُ؟**»

فخرجت خويلةُ، فذكرت ذلك لعمرَ بن الخطابِ، فدخل على رسولِ الله ﷺ، فقال يا رسولَ الله، ما حديثٌ حدَّثتنيه خُويلةُ، زعمت أنك قُلته؟ قال: «**قد قلتُه**»

قال: أوما أذن لك فيهم يا رسولَ الله؟

قال: «**لا**».

قال: أفلا أؤذِّنُ بالرحيل؟

قال: «**بلى**».

قال: فأذن عمر بالرحيل.

١٥- أمرُ أموالِ هَوازنَ وسباياها

ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ حتى نزل الجِعرانةَ فيمن معه من الناس، ومعه من هوازنَ سبيٌ كثيرٌ، وقد قال له رجلٌ من أصحابِه يومَ ظعن عن ثقيفٍ: يا رسولَ الله، ادعُ عليهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ اهد ثقيفًا وأْت بهم**» ثم أتاه وفد هوازنَ بالجِعرانةِ، وكان مع رسولِ الله ﷺ من سبي هوازنَ ستةُ آلافٍ من الذراري والنساءِ، ومن الإبل والشاءِ ما لا يُدرى ما عِدَّته.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عبد الله بن عمرو أن وفد هوازنَ أتوا رسولَ الله ﷺ وقد أسلَموا، فقالوا: يا رسولَ الله، إنا أصلٌ وعشيرةٌ، وقد أصابنا من البلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، فامنُن علينا، مَنَّ الله عليك.

قال: وقام رجلٌ من هوازنَ ثم أحدُ بني سعد بن بكر يُقال له: زُهيرٌ، يُكنى أبا صُرَد، فقال: يا رسولَ الله، إنما في الحظائر عمَّاتُك وخالاتك وحواضنُك اللاتي كن يَكفُلنك، ولو أنا مَلحنا للحارث بن أبي شِمرٍ، أو للنعمانِ بن المنذرِ، ثم نزل منا بمثلِ الذي نزلت به، رَجونا عطفَه وعائدتَه علينا، وأنت خيرُ المكفولين.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم؟**».

فقالوا: يا رسولَ الله، خيَّرتنا بين أموالِنا وأحسابِنا، بل تَرُدَّ إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحبُّ إلينا.

فقال لهم: «**أما ما كان لي ولبَني عبدِ المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صلَّيت الظهرَ بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نَستشفعُ برسولِ الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسولِ الله في أبنائنا ونسائنا، فسأُعطيكم عند ذلك، وأسألُ لكم**».

فلما صلى رسولُ الله ﷺ بالناسِ الظهرَ، قاموا فتكلموا بالذي أمرَهم به، فقال رسولُ الله ﷺ: «**وأما ما كان لي ولبَني عبدِ المطلب فهو لكم**».

فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسولِ الله ﷺ.

وقالت الأنصارُ: وما كان لنا فهو لرسولِ الله ﷺ.

فقال الأقرعُ بن حابسٍ: أما أنا وبنو تميمٍ فلا.

وقال عيينةُ بن حِصن: أما أنا وبنو فزارةَ فلا.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أما من تمسَّك منكم بحقِّه من هذا السبي فله بكلِّ إنسان ستُ فرائضَ، من أول سبي أصيبُه، فرُدوا إلى الناسِ أبناءهم ونساءهم**».

وقال رسولُ الله ﷺ لوفدِ هوازنَ، وسألهم عن مالكِ بن عوفٍ «**ما فعل؟**» فقالوا: هو بالطائفِ مع ثَقيفٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أخبروا مالكًا أنه إن أتاني مُسلمًا رَددتُ عليه أهلَه وماله، وأعطيتُه مئةً من الإبل**».

فأُتى مالكٌ بذلك، فخرج إليه من الطائفِ، وقد كان مالكٌ خاف ثقيفًا على نفسه أن يَعلموا أن رسولَ الله ﷺ قال له ما قال، فيحبِسوه، فأمرَ براحِلته فهُيئت له، وأمر بفرسٍ له، فأُتي به إلى الطائفِ، فخرج ليلًا، فجلس على فرسِه، فركضه حتى أتى راحلتَه حيث أَمرَ بها أن تُحبس فركبَها، فلحق برسولِ الله ﷺ، فأدركه بالجِعرانةِ أو بمكَّةَ، فردَّ عليه أهلَه وماله، وأعطاه مئةً من الإبل، وأسلمَ فحسُن إسلامُه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما فرغ رسولُ الله ﷺ من ردِّ سبايا حُنين إلى أهلها ركب، واتبعه الناسُ يقولون: يا رسولَ الله، اقسِم علينا فيئَنا من الإبل والغنمِ، حتى ألجئوه إلى شجرةٍ، فاختَطَفَت عنه رداءَه فقال: «**أدوا عليَّ ردائي أيها الناسُ، فوالله أن لو كان لكم بعددِ شجر تِهامةَ نَعمًا لقسمتُه عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلًا ولا جبانًا ولا كذابًا**».

ثم قام إلى جنب بعيرٍ، فأخذَ وبرةً من سَنامه، فجعلها بين أصبُعيه، ثم رفعها، ثم قال: «**أيها الناسُ، والله ما لي من فيئِكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمسُ،**

والخمس مردودٌ عليكم؛ فأدوا الخياطَ والمِخْيَط، فإن الغُلول يكون على أهلِه عارًا ونارًا وشنارًا يومَ القيامة».

قالَ ابنُ إسحاقَ: وأعطى رسولُ الله ﷺ المؤلفةَ قلوبُهم، وكانوا أشرافًا من أشرافِ الناس، يتألفُهم ويتألف بهم قومَهم.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص قال: جاء رجلٌ من بني تميمٍ يُقال له: ذو الخويصرةِ، فوقف عليه وهو يُعطي الناسَ، فقال: يا محمدُ، قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليوم.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أجل، فكيف رأيتَ؟**».

فقال: لم أرك عَدَلت.

قال: فغضِب النبيُّ ﷺ ثم قال: «**ويحك! إذا لم يكن العدلُ عندي، فعند مَن يكون؟!**».

فقال عمرُ بن الخطاب: يا رسولَ الله، ألا أقتله؟

فقال: «**لا، دعه فإنه سيكونُ له شيعةٌ يتعمقون في الدين حتى يَخرجوا منه كما يَخرجُ السهمُ من الرميَّةِ**».

قال ابن هشام: عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: لما أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريشٍ وفي قبائلِ العربِ، ولم يكن في الأنصارِ منها شيءٌ، وَجَدَ هذا الحيُّ من الأنصارِ في أنفسِهم، حتى كثرت منهم القالةُ حتى قال قائلُهم: لقد لَقِي والله رسولُ الله ﷺ قومَه، فدخل عليه سعدُ بن عُبادةَ، فقال: يا

رسولَ الله، إن هذا الحيَّ من الأنصارِ قد وجدوا عليك في أنفسِهم، لما صنعتَ في هذا الفيءِ الذي أصبتَ، قسَمت في قومِك، وأعطيت عطايا عِظامًا في قبائلِ العرب، ولم يك في هذا الحيِّ من الأنصار منها شيءٌ.

قال: «**فأين أنت من ذلك يا سعدُ؟!**».

قال: يا رسولَ الله، ما أنا إلا من قَومي.

قال: «**فاجمع لي قومَك في هذه الحظيرةِ**».

قال: فخرج سعدٌ، فجمعَ الأنصارَ في تلك الحظيرةِ.

قال: فجاء رجالٌ من المهاجرين فتَرَكهم، فدخلوا، وجاء آخرونَ فردَّهم.

فلما اجتمعوا له أتاه سعدٌ، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصارِ، فأتاهم رسولُ الله ﷺ، فحمد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: «**يا معشرَ الأنصار، ما قالَةٌ بلغتني عنكم، وجِدَةٌ وجدتموها عليَّ في أنفسكم؟! ألم آتكم ضُلَّالا فهداكم اللهُ، وعالةً فأغناكم اللهُ، وأعداءً فألَّف اللهُ بين قلوبكم!**».

قالوا: بلى، الله ورسولُه أمَنُّ وأفضل.

ثم قال: «**ألا تُجيبونني يا معشرَ الأنصارِ؟**».

قالوا: بماذا نجيبُك يا رسولَ الله؟ لله ولرسولِه المنُّ والفضلُ.

قال ﷺ: «**أما والله لو شئتم لقُلتُم؛ فلصَدقتُم ولصُدِّقتم: أتيتَنا مُكذَّبًا فصدَّقناك، ومَخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فآسيناك، أوجدتم يا**

معشرَ الأنصار في أنفسكم في لُعاعَةٍ[(١)] من الدنيا تألفتُ بها قومًا ليُسلموا، ووَكَلْتُكم إلى إسلامِكم، ألا تَرضَون يا معشرَ الأنصارِ، أن يذهب الناسُ بالشاةِ والبعيرِ وتَرجعوا برسولِ الله ﷺ إلى رِحالِكم؟ فوالذي نفسُ محمدٍ بيده، لولا الهجرةُ لكنت امرأً من الأنصارِ، ولو سلكَ الناسُ شِعبًا وسَلَكَت الأنصارُ شِعبًا، لسلكتُ شِعبَ الأنصار، اللهمَّ ارحمِ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ».

قال: فبكى القومُ حتى أخضَلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسولِ الله قسْمًا وحظًّا.

ثم انصرف رسولُ الله ﷺ، وتفرَّقوا.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم خرج رسولُ الله ﷺ من الجِعرانةِ مُعتمرًا، وأمر ببقايا الفيء فحُبس بمِجنَّةَ، بناحية مَرِّ الظهران، فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من عُمرته انصرف راجعًا إلى المدينة، واستخلف عتَّابَ بنَ أسيد على مكَّةَ، وخلَّف معه معاذَ بن جبلٍ، يفقِّه الناسَ في الدين، ويُعلِّمهم القرآنَ، واتُّبع رسولُ الله ﷺ ببقايا الفيء.

١٦- غزوةُ تبوكَ في رجب سنةَ تسع

عن محمد بن إسحاقَ المطلبي قال: ثم أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينةِ ما بين ذي الحجَّةِ إلى رجبٍ، ثم أمر الناسَ بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمانٍ من عُسرة الناس، وشدَّةٍ من الحر، وجَدْبٍ من البلاد وحين طابت الثمارُ، والناسُ يحبون الْمُقامَ في ثمارهم وظلالِهم، ويكرهون الشخوصَ على الحال من الزمانِ الذي هم عليه.

---

(١) اللُّعَاعَة: الكلأ الخفيف، كناية عن بهرج الدنيا وزينتها.

وكان رسولُ الله ﷺ قلما يخرج في غزوةٍ إلا كنَّى عنها، وأخبر أنه يريد غيرَ الوجه الذي يصمُد له، إلا ما كان من غزوةِ تبوكٍ، فإنه بيَّنها للناس؛ لبُعد الشُّقَّةِ، وشدَّةِ الزمان، وكثرةِ العدوِّ الذي يصمد له، ليتأهب الناسُ لذلك أُهْبَتَه، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يُريد الرومَ.

وقال قومٌ من المنافقين بعضُهم لبعضٍ: لا تَنفروا في الحرِّ، زهادَةً في الجهاد، وشكًّا في الحقِّ، وإرجافًا برسولِ الله ﷺ، فأنزل اللهُ تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ [التوبة:٨١-٨٢].

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم إن رسولَ الله ﷺ جَدَّ في سفرِه، وأمر الناسَ بالجهاز والانكماشِ، وحض أهلَ الغنى على النفقة والحُملان في سبيل الله، فحمل رجالٌ من أهلِ الغنى واحتَسبوا، وأنفق عثمانُ بنُ عفان في ذلك نفقةً عظيمةً، لم ينفق أحدٌ مثلَها.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وجاءه المُعذِّرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يَعذِرهم اللهُ تعالى، وقد ذُكر لي أنهم نفرٌ من بني غِفارٍ.

ثم استتب برسولِ الله ﷺ سفرُه، وأجمعَ السيرَ، وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النيَّةُ عن رسولِ الله ﷺ حتى تخلفوا عنه، عن غيرِ شكٍّ ولا ارتيابٍ، منهم: كعبُ بن مالك بن أبي كعب، ومُرارةُ بن الربيعِ، وهلالُ بن أميةَ، وأبو خَيثمةَ، وكانوا نفرَ صدقٍ، لا يُتهمون في إسلامِهم.

فلما خرجَ رسولُ الله ﷺ ضربَ عسكرَه على ثنيةِ الوداعِ، وضرب عبدُ الله بن أبيٍّ معه على حِدةٍ عسكرَه أسفلَ منه، وكان فيما يَزعمون ليس بأقلِّ العسكرين، فلما سارَ رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي، فيمن تخلف من المنافقين وأهلِ الريب.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وقد كان رسولُ الله ﷺ حين مَرَّ بالحِجر نزلها، واستقى الناسُ من بئرها، فلما راحوا قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تشربوا من مائها شيئًا، ولا تتوضَّؤوا منه للصلاة، وما كان من عجينٍ عجنتموه فاعلِفوه الإبلَ، ولا تأكلوا منه شيئًا، ولا يخرُجن أحدٌ منكم الليلةَ إلا ومعه صاحبٌ له**».

ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائرًا، فجعل يتخلف عنه الرجلُ، فيقولون: يا رسولَ الله، تخلف فلانٌ، فيقول: «**دعوه، فإن يكُ فيه خيرٌ فسيُلحقه اللهُ تعالى بكم، وإن يك غيرَ ذلك فقد أراحَكُم اللهُ منه**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: وقد كان رهطٌ من المنافقين منهم: وديعةُ بن ثابت، ومُخشِّنُ بن حُمَيِّر، يشيرون إلى رسولِ الله ﷺ وهو مُنطلقٌ إلى تبوكَ، فقال بعضُهم لبعض: أتحسِبون جِلاد بني الأصفرِ كقِتال العرب بعضِهم بعضًا! والله لكأنا بكم غدًا مقرَّنين في الحبال؛ إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين.

فقال مُخشِّنُ بن حُمَيِّر: والله لوددتُ أني أقاضي على أن يُضرب كلُّ رجل منا مئةَ جلدةٍ، وإنا ننفلتُ أن ينزل فينا قرآنٌ لمقالَتِكم هذه.

وقال رسولُ الله ﷺ -فيما بلغني- لعمارِ بن ياسرٍ: «**أدرك القومَ، فإنهم قد احترَقوا، فسلْهُم عما قالوا، فإن أنكروا فقُل: بلى، قلتم كذا وكذا**».

فانطلقَ إليهم عمارٌ، فقال ذلك لهم: فأتوا رسولَ الله ﷺ يَعتذرون إليه، فقال وديعةُ بنُ ثابتٍ -ورسولُ الله ﷺ واقفٌ على ناقته فجعل يقول وهو آخذٌ بِحَقَبها-: يا رسولَ الله، إنما كنا نخوضُ ونلعبُ، فأنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة:٦٥].

وقال مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر: يا رسولَ الله، قعد بي اسمِي واسمُ أبي، وكأن الذي عُفِي عنه في هذه الآية مُخَشِّن بن حُمَيِّر، فتسمى عبدَ الرحمن، وسأل اللهَ تعالى أن يقتُلَه شهيدًا لا يُعلم بمكانه، فقُتل يومَ اليمامةِ، فلم يوجد له أثرٌ.

ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى تبوكَ، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤبةَ، صاحبُ أيْلَةَ، فصالح رسولَ الله ﷺ، وأعطاه الجزيةَ، وأتاه أهلُ جَرباء وأَذرُح، فأعطوه الجزيةَ، فكتب رسولُ الله ﷺ لهم كتابًا، فهو عندهم.

فأقام رسولُ الله ﷺ بتبوكَ بضعَ عشرةَ ليلةً، لم يجاوزها، ثم انصرفَ قافلًا إلى المدينةِ.

١٧- أمرُ مسجدِ الضرار عند القُفول من غزوة تبوكَ

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم أقبل رسولُ الله ﷺ حتى نزل بذِي أوانٍ -بلدٍ بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار- وكان أصحابُ مسجدِ الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهَّز إلى تبوكَ، فقالوا: يا رسولَ الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلةِ المَطيرةِ والليلةِ الشاتيةِ، وإنا نحب أن تأتينا، فتصلي لنا فيه فقال: «**إني على جَناح سفرٍ، وحال شغلٍ** -أو كما قال ﷺ- **ولو قد قدِمنا إن شاء اللهُ لأتيناكم، فصلَّينا لكم فيه**».

فلما نزل بذي أوانٍ، أتاه خبرُ المسجدِ، فدعا رسولُ الله ﷺ مالكَ بن الدُّخشُم، ومعنَ بن عديٍّ، أو أخاه عاصمَ بنَ عدي، فقال: «**انطلقا إلى هذا المسجدِ الظالمِ أهلُه، فاهدماه وحرِّقاه**».

فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالِم بن عوفٍ، وهم رهطُ مالكِ بن الدخشُم، فقال مالكٌ لمعنٍ: أنظرني حتى أخرُجَ إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهلِه، فأخذ سعفًا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهلُه، فحرَّقاه وهدماه، وتفرَّقوا عنه، ونزل فيهم من القرآنِ ما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:١٠٧] إلى آخر القصة.

١٨- أمرُ وفدِ ثقيفٍ وإسلامها في شهرِ رمضانَ سنةَ تسع

قالَ ابنُ إسحاقَ: وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ من تبوكَ في رمضانَ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفدُ ثقيفٍ.

فلما أسلموا وكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتابَهم، أمَّرَ عليهم عثمانَ بن أبي العاص، وكان من أحدَثِهم سنًّا، وذلك أنه كان أحرصَهم على التفقُّه في الإسلامِ، وتعلُّم القرآن.

١٩- حجُّ أبي بكر بالناس سنةَ تسعٍ

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بقيَّة شهر رمضانَ وشوالا وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحج من سنة تسعٍ، ليقيم للمسلمين حجَّهم، والناسُ من أهل الشرك على منازِلهم من حجِّهم، فخرج أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ومن معه من المسلمين.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن أبي جعفرٍ محمدِ بن عليٍّ رضوان الله عليه، أنه قال: لما نزلت براءةٌ على رسولِ الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكرٍ الصديقَ ليقيمَ للناس الحجَّ، قيل له: يا رسولَ الله، لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: «**لا يُؤدي عني إلا رجلٌ من أهل بيتي**».

ثم دعا عليَّ بنَ أبي طالب رضوانُ الله عليه، فقال له: «**اخرج بهذه القصَّةِ من صدر براءةٍ، وأذن في الناس يومَ النحر إذا اجتمعوا بمنًى، أنه لا يدخل الجنةَ كافرٌ، ولا يحج بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ، ومن كان له عند رسولِ الله ﷺ عهدٌ فهو له إلى مُدَّته**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: فكان هذا من براءةٍ فيمن كان من أهل الشرك من أهلِ العهد العامِّ، وأهل المدة إلى الأجلِ المسمى.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم أمر اللهُ رسولَه ﷺ بجهاد أهلِ الشرك، ممن نقض من أهل العهدِ الخاصِّ، ومن كان من أهلِ العهد العامِّ، بعد الأربعةِ الأشهرِ التي ضرب لهم أجلًا إلا أن يعدو فيها عادٍ منهم، فيُقتل بعَدائه.

٢٠- ذِكرُ سنةِ تسع وتسميتُها: سنة الوفودِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: لما افتتح رسولُ الله ﷺ مكَّةَ، وفرغ من تبوكَ، وأسلمت ثقيفٌ وبايعت، ضربت إليه وفودُ العرب من كلِّ وجه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: وإنما كانت العربُ تربَّصُ بالإسلام أَمْرَ هذا الحيِّ من قريشٍ وأمْرَ رسولِ الله ﷺ، وذلك أن قريشًا كانوا إمامَ الناس وهاديهم، وأهلَ البيت الحرام، وصريحَ ولدِ إسماعيلَ بن إبراهيم عليهما السلامُ، وقادةَ العرب لا يُنكَرون ذلك، وكانت قريشٌ هي التي نصبَت لحرب رسولِ الله ﷺ وخلافِه.

فلما افتُتِحت مكةُ، ودانت له قريشٌ، ودوَّخها الإسلامُ، وعرفت العربُ أنه لا طاقةَ لهم بحربِ رسولِ الله ﷺ ولا عداوتِه، فدخلوا في دين الله، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفْوَاجًا﴾، يضرِبون إليه من كلِّ وجهٍ، يقول الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر:١-٣] أي: فاحمد اللهَ على ما أظهرَ من دينِك، واستغفرْه إنه كان توابًا.

[رابعا: حجة الوداع وابتداء شكوى رسول الله ﷺ]

١- حَجَّةُ الوَداعِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما دخل على رسولِ الله ﷺ ذو القَعدة، تجهَّز للحج، وأمر الناسَ بالجهاز له.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ثم مضى رسولُ الله ﷺ على حجِّه، فأرى الناسَ مناسكَهم، وأعلمَهم سُنن حجِّهم، وخطب الناسَ خُطبته التي بيَّن فيها ما بين، فحمد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناسُ، اسمعوا قولي؛ فإني لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقفِ أبدًا.**

أيها الناسُ، إن دماءَكم وأموالَكم عليكم حرامٌ إلى أن تلقَوا ربكم، كحُرمة يومِكم هذا، وكحرمةِ شهرِكم هذا، وإنكم ستلقون ربَّكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عندَه أمانةٌ فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها.

وإن كلَّ ربًا موضوعٌ، ولكن لكم رءوسُ أموالِكم لا تَظلمون ولا تُظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباسِ بن عبد المطلب موضوعٌ كلُّه.

وإن كل دمٍ كان في الجاهلية موضوعٌ، وإن أوَّلَ دمائِكم أضعُ دمَ ابن ربيعةَ بن الحارث بن عبد المطلبِ، وكان مُسترضعًا في بني ليثٍ، فقتلته هُذيلٌ، فهو أول ما أبدأ به من دماءِ الجاهلية.

أما بعدُ، أيها الناسُ، فإن الشيطانَ قد يئس من أن يُعبدَ بأرضِكم هذه أبدًا، ولكنه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رَضيَ به مما تَحقِرون من أعمالِكم، فاحذروه على دينِكم.

أيها الناسُ إن النسيءَ زيادةٌ في الكفر، يُضلُّ به الذين كفروا، يُحلونه عامًا ويُحرمونه عامًا، ليواطئوا عدَّةَ ما حرَّمَ الله، فيُحلوا ما حرم اللهُ، ويُحرِّموا ما أحل اللهُ، وإن الزمانَ قد استدار كهيئتِه يومَ خلق اللهُ السمواتِ والأرضَ، وإن عدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشَر شهرًا، منها أربعةٌ حرم، ثلاثةٌ متوالية، ورجبُ مضرَ، الذي بين جُمادى وشعبانَ.

أما بعدُ، أيها الناسُ، فإن لكم على نسائكم حقًّا، ولهن عليكم حقًّا، لكم عليهن ألا يوطِئن فُرُشكم أحدًا تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشةٍ مُبينة، فإن فعلن فإن اللهَ قد أذِن لكم أن تَهجُروهن في المضاجِعِ وتَضربوهن ضربًا غيرَ مُبرِّح، فإن انتهين فلهن رزقُهن وكسوتُهن بالمعروفِ، واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عندكم عوانٍ لا يملِكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانةِ الله، واستحلَلتُم فُروجهن بكلمات الله.

فاعقلوا أيها الناسُ قولي، فإني قد بلَّغت، وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تضلُّوا أبدًا، أمرًا بيِّنًا: كتابَ الله وسنةَ نبيِّه.

أيها الناسُ، اسمعوا قولي واعقِلوه، تَعلَمُنَّ أن كُلَّ مسلم أخٌ للمسلم، وأن المسلمين إخوةٌ، فلا يحلُّ لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طِيبِ نفسٍ منه، فلا تَظلمُنَّ أنفسَكم، اللهمَّ هل بلَّغتُ؟».

فذُكر لي أن الناسَ قالوا: اللهمَّ نعم.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ اشهد**».

٢- خروجُ رسلِ رسولِ الله إلى الملوكِ

قال ابنُ هشامٍ: وقد كان رسولُ الله ﷺ بعث إلى الملوك رسُلًا من أصحابِه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلامِ.

فبعث دِحيةَ بن خليفةَ الكلبيَّ إلى قيصر ملكِ الروم، وبعث عبدَ الله بن حُذافةَ السهميَّ إلى كسرى ملك فارسَ، وبعث عمرو بنَ أمية الضمريَّ إلى النجاشيِّ ملكِ الحبشة، وبعث حاطبَ بن أبي بَلتعةَ إلى المقوقسِ ملكِ الإسكندرية، وبعث عمرَو بن العاص السهميَّ إلى جَيفرٍ وعيَّادٍ ابني الجُلُندى الأزديين ملكي عُمانَ، وبعث سَليطَ بن عمرٍو أحدَ بني عامر بن لؤي، إلى ثُمامةَ بن أُثالٍ وهَوذةَ بن عليٍّ الحنفيين ملكي اليمامةِ، وبعث العلاءَ بن الحضرميِّ إلى المُنذرِ بن سَاوى العبديِّ ملك البحرين، وبعث شُجاعَ بن وهبٍ الأسديَّ إلى الحارث بن أبي شِمْرٍ الغسَّانيِّ ملك تُخوم الشأم.

قال ابنُ هشامٍ: بعث شُجاعَ بن وهب إلى جبلةَ بن الأيهمِ الغسانيِّ، وبعث المُهاجرَ بن أبي أميةَ المخزوميَّ إلى الحارث بن عبدِ كُلالٍ الحِميريِّ ملك اليمنِ.

٣- بَعثُ أسامةَ بن زيدٍ إلى أرضِ فلسطين وهو آخرُ البعوثِ

قالَ ابنُ إسحاقَ: وبعث رسولُ الله ﷺ أسامةَ بنَ زيد بن حارثةَ إلى الشأم، وأمره أن يُوطِئَ الخيلَ تُخومَ البلقاءِ والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناسُ، وأوعب مع أسامةَ المهاجرون الأولون.

٤- ابتداءُ شكوى رسولِ الله ﷺ

قالَ ابنُ إسحاقَ: فبينا الناسُ على ذلك ابتُدئ رسولُ الله ﷺ بشَكوِه الذي قبضه اللهُ فيه، إلى ما أرادَ به من كرامتِه ورحمته، في ليالٍ بقين من صفرٍ، أو في أولِ شهرِ ربيعٍ الأول، فكان أوَّلَ ما ابتُدئ به من ذلك -فيما ذُكر لي- أنه خرجَ إلى بقيعِ الغَرقدِ، من جوفِ الليل، فاستغفرَ لهم، ثم رجعَ إلى أهلِه، فلما أصبح ابتدئ بوجعِه من يومِه ذلك.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ زوجِ النبي ﷺ قالت: رجع رسولُ الله ﷺ من البَقيع فوجدني وأنا أجد صُداعًا في رأسي، وأنا أقول: وا رأساه، فقال: «**بل أنا والله يا عائشةُ وا رَأساه**».

قالت: ثم قال: «**وما ضرُّكِ لو مُتِّ قبلي، فقمتُ عليك وكفَّنتك، وصلَّيت عليك ودفنتُك؟**».

قالت: قلت: والله لكأني بك، لو قد فعلتَ ذلك، لقد رجعتَ إلى بيتي، فأعرستَ فيه ببعضِ نسائِك، قالت: فتبسم رسولُ الله ﷺ، وتتامَّ به وجعُه، وهو يدورُ على نسائِه، حتى استُعِزَّ به[1]، وهو في بيتِ مَيمونةَ، فدعا نساءَه، فاستأذنهن في أن يُمرَّض في بيتي، فأَذِنَّ له.

٥- ذِكرُ أزواجِه ﷺ أمَّهاتِ المؤمنين

قال ابنُ هشامٍ: وكن تسعًا: عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ، وحفصةُ بنت عمرَ بن الخطاب، وأمُّ حبيبةَ بنتُ أبي سفيان بن حربٍ، وأمُّ سلمةَ بنت أبي أميةَ بن المغيرة،

(١) استُعِزَّ به: أي غلبه وجعُه.

وسودةُ بنتُ زمعةَ بن قيس، وزينبُ بنتُ جحشِ بن رئابٍ، وميمونةُ بنتُ الحارث بن حزن، وجويريةُ بنتُ الحارث بن أبي ضِرار، وصفيةُ بنتُ حُييٍّ بن أخطبَ.

وكان جميعُ من تزوَّج رسولُ الله ﷺ ثلاثَ عشرةَ.

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسولُ الله ﷺ إحدى عشْرةَ، فمات قبله منهن ثنتانِ: خديجةُ بنتُ خويلد، وزينبُ بنت خُزيمةَ.

وثنتان لم يدخل بهما: أسماءُ بنت النعمان الكنديةُ، تزوجها فوجد بها بَياضًا[١]، فمتَّعها وردَّها إلى أهلِها، وعَمرةُ بنت يزيدَ الكلابية وكانت حديثةَ عهدٍ بكفرٍ، فلما قدمت على رسولِ الله ﷺ، استعاذَت من رسولِ الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَنيعٌ عائذ الله**»، فردها إلى أهلِها.

٦- تَمريضُ رسولِ الله في بيت عائشة

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ زوجِ النبي ﷺ قالت: فخرجَ رسولُ الله ﷺ يمشي بين رَجلين من أهلِه: أحدُهما: الفضلُ بن العباس، ورجلٌ آخر، عاصبًا رأسَه، تخُطُّ قدماه، حتى دخل بيتي، ثم غُمر رسولُ الله ﷺ، واشتدَّ به وجعُه، فقال: «**هريقوا عليَّ سبعَ قِرب من آبارٍ شتَّى، حتى أخرجَ إلى الناسِ فأعهدَ إليهم**».

قالت: فأقعدناه في مِخضَبٍ[٢] لحفصةَ بنت عمر، ثم صببنا عليه الماءَ حتى طفق يقول: «**حسبُكم حسبُكم**».

(١) البَيَاض: البرص.

(٢) المِخْضَب: المركن، وهو إناء يغتسل فيه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن أيوب بن بشيرٍ أن رسولَ الله ﷺ خرجَ عاصبًا رأسَه حتى جلسَ على المِنبر، ثم كان أول ما تكلَّم به أنه صلى على أصحابِ أحُدٍ، واستغفرَ لهم، فأكثرَ الصلاةَ عليهم، ثم قال: «**إن عبدًا من عبادِ الله خيَّره اللهُ بين الدنيا وبين ما عندهُ، فاختار ما عند الله**».

قال: ففهمها أبو بكر، وعرَف أن نفسَه يُريد، فبَكى وقال: بل نحن نَفديك بأنفسِنا وأبنائِنا، فقال: «**على رِسلِك يا أبا بكر**».

ثم قال: «**انظروا هذه الأبوابَ اللَّافِظةَ في المسجدِ**[١]، **فسُدوها إلا بيتَ أبي بكر، فإني لا أعلمُ أحدًا كان أفضلَ في الصحبةِ عندي يدًا منه**».

وقالَ ابنُ إسحاقَ: عن عُروةَ بن الزبير وغيرِه من العلماء، أن رسولَ الله ﷺ استبطأ الناسَ في بعثِ أسامةَ بن زيدٍ، وهو في وجعِه، فخرج عاصبًا رأسَه حتى جلسَ على المِنبر، وقد كان الناسُ قالوا في إمرةِ أسامةَ: أمَّرَ غلامًا حدثًا على جِلَّةِ المهاجرين والأنصارِ.

فحمد اللهَ وأثنى عليه بما هو له أهلٌ، ثم قال: «**أيها الناسُ، أنفِذوا بعثَ أسامةَ، فلَعمري، لئن قُلتم في إمارته لقد قلتُم في إمارةِ أبيه من قبلِه، وإنه لخليقٌ للإمارةِ، وإن كان أبوه لخليقًا لها**».

قال: ثم نزلَ رسولُ الله ﷺ، وانكمشَ الناسُ[٢] في جهازهم، واستعزَّ برسولِ الله ﷺ وَجعُه، فخرج أسامةُ، وخرج جيشُه معه حتى نزلوا الجُرفَ من

---

(١) اللَّافِظَة في المسجد: يعني النافذة إليه.

(٢) انكَمَشَ الناس: أسرعوا.

المدينة على فرسخٍ، فضربَ به عسكرَه، وتتامَّ إليه الناسُ، وثَقُل رسولُ الله ﷺ، فأقام أسامةُ والناسُ؛ ليَنظُروا ما اللهُ قاضٍ في رسول الله ﷺ.

وقالَ ابنُ إسحاقَ: عن عبدِ الله بن كعبِ بن مالكٍ أن رسولَ الله ﷺ قال - يومَ صلى واستغفرَ لأصحابِ أحُدٍ، وذكر من أمرِهم ما ذكر مع مقالتِه يومئذ-: «**يا معشرَ المهاجرين، استوصوا بالأنصارِ خيرًا، فإن الناسَ يَزيدون، وإن الأنصارَ على هيئتها لا تَزيدُ، وإنهم كانوا عَيبتي التي أويتُ إليها، فأحسِنوا إلى مُحسِنهم، وتجاوزوا عن مُسيئِهم**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ كثيرًا ما أسمعُه يقول: «**إن اللهَ لم يقبض نبيًّا حتى يخيِّره**».

قالت: فلما حُضر رسولُ الله ﷺ كان آخرُ كلمة سمعتُها منه وهو يقول: «**بل الرفيقَ الأعلى من الجنةِ**».

قالت: فقلت: إذن، والله لا يَختارُنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: «**إن نبيًّا لم يُقبض حتى يُخيَّر**».

عن عائشةَ قالت: لما استُعزَّ برسولِ الله ﷺ قال: «**مُروا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالناس**».

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن أنسِ بن مالكٍ أنه لما كان يومُ الاثنين الذي قبض اللهُ فيه رسولَه ﷺ، خرج إلى الناسِ وهم يُصلُّون الصبحَ، فرفع الستر، وفتح البابَ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ، فقامَ على باب عائشةَ، فكاد المسلمون يَفتتنون في صلاتِهم برسولِ الله ﷺ حين رأوه فَرَحًا به، وتفرجوا، فأشارَ إليهم أن اثبُتوا على صلاتِكم.

قال: فتبسم رسولُ الله ﷺ سرورًا لما رأى من هيئتهم في صلاتِهم، وما رأيت رسولَ الله ﷺ أحسنَ هيئةً منه تلك الساعةَ، قال: ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يرون أن رسولَ الله ﷺ قد أفْرَقَ(١) من وجعِه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنحِ.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن عائشةَ قالت: رجع إليَّ رسولُ الله ﷺ في ذلك اليومِ حين دخل من المسجدِ، فاضطجع في حِجري، فدخل عليَّ رجلٌ من آل أبي بكر، وفي يده سواكٌ أخضرُ، قالت: فنظرَ رسولُ الله ﷺ إليه في يده نظرًا عرفت أنه يريدُه.

قالت: فقلت: يا رسولَ الله، أتحبُّ أن أعطيَك هذا السواكَ؟

قال: «**نعم**».

قالت: فأخذته فمضغتُه له حتى ليَّنتُه، ثم أعطيتُه إياه، قالت: فاستنَّ به كأشد ما رأيتُه يستن بسواكٍ قط، ثم وضعه.

ووجدت رسولَ الله ﷺ يثقُل في حِجري، فذهبتُ أنظرُ في وجهِه، فإذا بصرُه قد شَخَص، وهو يقول: «**بل الرفيقَ الأعلى من الجنةِ**».

قالت: فقلت: خُيِّرتَ فاخترتَ والذي بعثك بالحقِّ.

قالت: وقُبض رسولُ الله ﷺ.

---

(١) أَفرَقَ: أي أقبل.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن أبي هريرةَ قال: لما توفي رسولُ الله ﷺ قام عمرُ بن الخطاب، فقال: إن رجالًا من المنافقين يَزعمون أن رسولَ الله ﷺ قد تُوفِّي، وإن رسولَ الله ﷺ ما ماتَ، ولكنه ذهبَ إلى ربِّه كما ذهبَ موسى بن عِمران، فقد غاب عن قومِه أربعين ليلةً، ثم رجعَ إليهم بعد أن قيل: قد ماتَ، ووالله ليرجعنَّ رسولُ الله ﷺ كما رجعَ موسى، فليَقطعنَّ أيدي رجالٍ وأرجلَهم زعموا أن رسولَ الله ﷺ مات.

قال: وأقبل أبو بكرٍ حتى نزلَ على باب المسجدِ حين بلغه الخبرُ، وعمرُ يكلم الناسَ، فلم يلتفت إلى شيءٍ حتى دخلَ على رسولِ الله ﷺ في بيتِ عائشةَ، ورسولُ الله ﷺ مُسجًّى في ناحية البيتِ، عليه بُردُ حِبَرةٍ، فأقبل حتى كشف عن وجهِ رسولِ الله ﷺ، قال: ثم أقبل عليه فقبَّله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتةُ التي كتبَ اللهُ عليك فقد ذُقتَها، ثم لن تصيبَك بعدها موتةٌ أبدًا.

قال: ثم رد البُردَ على وجه رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمرُ يكلم الناسَ، فقال: على رِسلِك يا عمرُ، أنصِت، فأبى إلا أن يتكلَّم، فلما رآه أبو بكر لا يُنصتُ أقبلَ على الناسِ، فلما سمعَ الناسُ كلامَه أقبلوا عليه وتركوا عمرَ، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال: أيها الناسُ، إنه من كان يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد اللهَ فإن الله حيٌّ لا يموت، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال: فوالله لكأن الناسَ لم يعلموا أن هذه الآيةَ نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ، قال: وأخذها الناسُ عن أبي بكرٍ، فإنما هي في أفواههم.

قال: فقال أبو هريرةَ: قال عمرُ: والله ما هو إلا أن سَمِعتُ أبا بكر تلاها، فعَقِرْتُ حتى وقعتُ إلى الأرضِ ما تحملُني رجلاي، وعرفت أن رسولَ الله ﷺ قد مات.

٧- أمرُ سَقيفةِ بني ساعدةَ

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ انحازَ هذا الحيُّ من الأنصارِ إلى سعدِ بن عُبادةَ في سقيفةِ بني ساعدةَ، واعتزلَ عليُّ بن أبي طالب والزبيرُ بن العوَّام وطلحةُ بن عبيد الله في بيت فاطمةَ، وانحازَ بقيَّةُ المهاجرين إلى أبي بكرٍ، وانحازَ معهم أُسيدُ بن حُضير في بني عبدِ الأشهل، فأتى آتٍ إلى أبي بكرٍ وعمرَ، فقال: إن هذا الحيَّ من الأنصارِ مع سعدِ بن عبادةَ في سقيفةِ بني ساعدةَ قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمرِ الناسِ حاجةٌ فأدركوا قبل أن يَتفاقم أمرُهم ورسولُ الله ﷺ في بيته لم يُفرغ من أمرِه قد أَغلق دونه البابَ أهلُه.

قال عمرُ: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخوانِنا هؤلاء من الأنصارِ، حتى ننظُر ما هم عليه.

قالَ ابنُ إسحاقَ: قال عمرَ بن الخطابِ: فانطلقنا نَؤمُّهم حتى لقِيَنا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القومُ، وقال: أين تُريدون يا معشرَ المهاجرين؟

قلنا: نُريد إخواننا هؤلاء من الأنصارِ، قالا: فلا عليكم أن لا تَقربوهم يا معشرَ المهاجرين، اقضوا أمرَكم.

قال: قلت: والله لنأتينَّهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفةِ بني ساعدةَ، فإذا بين ظَهرانيهم رجلٌ مُزَمَّلٌ فقلت: من هذا؟

فقالوا: سعدُ بن عبادةَ.

فقلت: ما له؟

فقالوا: وَجِعٌ.

فلما جلسنا تشهَّدَ خطيبُهم، فأثنى على الله بما هو له أهلٌ، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصارُ الله وكتيبةُ الإسلامِ، وأنتم يا معشرَ المهاجرين رهطٌّ منا، وقد دَفَّتْ دافةٌ[(١)] من قومِكم، قال: وإذا هم يُريدون أن يَحتازونا من أصلِنا، ويَغصِبونا الأمرَ، فلما سكت أردتُ أن أتكلمَ، وقد زَوَّرْتُ في نفسي مَقالةً[(٢)] قد أعجبتني، أريدُ أن أقدِّمَها بين يدي أبي بكرٍ، وكنت أداري منه بعضَ الحدِّ.

فقال أبو بكر: على رِسلك يا عمرُ، فكرهت أن أُغضبَه، فتكلم، وهو كان أعلمَ منى وأوقرَ، فوالله ما تركَ من كلمةٍ أعجبتني من تَزويري إلا قالها في بديهتِه، أو مثلَها أو أفضلَ، حتى سكت.

قال: أما ما ذكرتم فيكم من خيرٍ، فأنتم له أهلٌ، ولن تَعرفَ العربُ هذا الأمرَ إلا لهذا الحيِّ من قريشٍ، هم أوسطُ العربِ نسبًا ودارًا، وقد رضيتُ لكم

(١) الدَّافَة: الجيش يَدفُّون نحو العدو أي يدبون، كناية.

(٢) زَوَّرْتُ مقالةً: حسنتها وقومتها.

أحدَ هذين الرجلين، فبايعوا أيَّهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدةَ بن الجراحِ، وهو جالسٌ بيننا، ولم أكره شيئًا مما قالَ غيرَها، كان والله أن أُقدَّمَ فتضربَ عُنقي، لا يُقربني ذلك إلى إثمٍ، أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّر على قومٍ فيهم أبو بكر.

فقال قائلٌ من الأنصارِ: أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ(١) وعُذيقُها المُرَجَّبُ(٢)، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشرَ قريشٍ.

قال: فكثُر اللَّغطُ، وارتفعتِ الأصواتُ، حتى تخوفتُ الاختلافَ، فقلت: ابسُط يدك يا أبا بكرٍ، فبسط يدَه، فبايعتُه، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعهُ الأنصارُ، ونَزونا على سعدِ بن عبادةَ(٣)، فقال قائلٌ منهم: قتَلتُم سعدَ بن عبادةَ.

قال: فقلت: قتل اللهُ سعدَ بن عُبادة.

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن أنسِ بن مالك قال: لما بُويعَ أبو بكر في السقيفةِ وكان الغدُ، جلسَ أبو بكرٍ على المِنبر، فقام عمرُ، فتكلم قبل أبي بكر، فحمِد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أيها الناسُ، إني كنت قلتُ لكم بالأمسِ مَقالةً ما كانت مما وجدتُها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهده إليَّ رسولُ الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسولَ الله ﷺ سيُدبِّر أمرَنا، يقول: يكون آخرَنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابَه الذي به هدى اللهُ رسولَه ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم اللهُ لما كان هداه

---

(١) جُذَيْلُها المُحَكَّكُ: الجذيل تصغير جذل والجذل هنا عود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه، فتضرب به العرب المثل للرجل يستشفى برأيه

(٢) عُذَيْقُها المُرَجَّبُ: عذيق تصغير عذق وهي النخلة بنفسها والمرجب الذي تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزه على أهله، وتضرب به العرب المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه.

(٣) نَزَوْنَا على سعد بن عبادة: أي وثبنا عليه.

له، وإن اللهَ قد جمعَ أمرَكم على خيرِكم، صاحبِ رسولِ الله ﷺ، ثانيَ اثنين إذ هُما في الغارِ، فقوموا فبايعوه، فبايعَ الناسُ أبا بكرٍ بيعةَ العامَّة، بعد بيعةِ السقيفةِ.

٨- جِهازُ رسولِ الله ﷺ ودفنُه

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما بُويع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أقبلَ الناسُ على جهاز رسولِ الله ﷺ يومَ الثلاثاءِ، فحدثني عبدُ الله بن أبي بكرٍ وحسينُ بن عبد الله وغيرُهما من أصحابنا: أن عليَّ بن أبي طالب، والعباسَ بن عبدِ المطلب، والفضلَ بن العباسِ، وقُثَمَ بن العباسِ، وأسامةَ بن زيدٍ، وشُقرانَ مولى رسولِ الله ﷺ، هم الذين وَلُوا غَسلَه، وأن أوسَ بن خَوليٍّ أحدَ بني عوفِ بن الخزرجِ، قال لعليِّ بن أبي طالب: أنشُدك اللهَ يا عليُّ وحظَّنا من رسولِ الله ﷺ، وكان أوسٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ وأهلِ بدرٍ.

قال: ادخل، فدخل فجلسَ، وحضرَ غسلَ رسولِ الله ﷺ، فأسنده عليُّ بن أبي طالبٍ إلى صدره، وكان العباسُ والفضلُ وقُثمُ يقلِّبونه معه، وكان أسامةُ بن زيد وشُقران مولاه، هما اللذان يصبان الماءَ عليه، وعليٌّ يُغسِّله، قد أسنده إلى صدرِه، وعليه قميصُه يُدلِّكُه به من ورائه، لا يُفضي بيدِه إلى رسولِ الله ﷺ، وعليٌّ يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبَك حيًّا وميتًا! ولم يُر من رسولِ الله ﷺ شيءٌ مما يُرى من الميِّت.

قالَ ابنُ إسحاقَ: فلما فُرِغَ من غسلِ رسولِ الله ﷺ كُفِّن في ثلاثةِ أثوابٍ: ثوبين صُحاريَّين[1] وبُردِ حِبَرةٍ، أُدرجَ فيها إدراجًا.

---

(١) صُحَاريَّين: نسبة إلى «صحار»، وهي مدينة من اليمن

قالَ ابنُ إسحاقَ: عن ابن عباسٍ قال: لما أرادوا أن يَحفروا لرسولِ الله ﷺ، وكان أبو عبيدةَ بن الجراح يَضرَحُ(١) كحفر أهلِ مكَّةَ، وكان أبو طلحة زيدُ بن سهلٍ هو الذي يحفِر لأهلِ المدينة، فكان يَلحَدُ، فدعا العباسُ رجلين، فقال لأحدِهما: اذهب إلى أبي عبيدةَ بن الجراح، وللآخرِ: اذهبْ إلى أبي طلحةَ، اللهم خِرْ لرسولِ الله ﷺ، فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحةَ، فجاء به، فلحَدَ لرسولِ الله ﷺ.

فلما فُرِغَ من جهازِ رسولِ الله ﷺ يومَ الثلاثاءِ، وُضعَ على سريرِه في بيتِه وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنِه، فقال قائلٌ: ندفنه في مسجدِه وقال قائلٌ: بل ندفنه مع أصحابِه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما قُبض نبيٌّ إلا دُفن حيث يُقبض**» فرُفع فراشُ رسولِ الله ﷺ الذي تُوفِّي عليه، فحُفر له تحتَه.

ثم دخل الناسُ على رسول الله ﷺ يُصلُّون عليه أرسالًا، دخل الرجالُ، حتى إذا فرغوا أُدخل النساءُ، حتى إذا فرغ النساءُ أُدخل الصبيانُ.

ولم يؤم الناسَ على رسولِ الله ﷺ أحَدٌ.

ثم دُفن رسولُ الله ﷺ من وسَطِ الليلِ ليلةَ الأربعاء.

وكان الذين نزلوا في قبرِ رسولِ الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب، والفضلُ بن عباسٍ، وقُثمُ بن عباس، وشُقران مولى رسولِ الله ﷺ.

وقد قال أوسُ بن خَوليٍّ لعليِّ بن أبي طالب: يا عليُّ، أنشُدك اللهَ، وحظَّنا من رسولِ الله ﷺ، فقال له: انزِلْ، فنزلَ مع القومِ.

---

(١) يَضْرَحُ: من الضريح، وهو الشق في وسط القبر، واللَّحْد: الشق في الجانب.

قالَ ابنُ إسحاقَ: ولما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ عظُمت به مصيبةُ المسلمين، فكانت عائشةُ -فيما بلغني- تقول: لما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ ارتدَّت العربُ، واشرأبَّتِ اليهودية والنصرانية، ونَجَمَ النفاقُ، وصارَ المسلمون كالغَنم المَطيرةِ في الليلة الشاتيةِ، لفقْد نبيِّهم ﷺ، حتى جمعهم اللهُ على أبي بكرٍ.

٩- شعرُ حسَّانَ بن ثابتٍ في مَرثيَّته الرسولَ

وقال حسَّانُ بن ثابتٍ يَبكي رسولَ الله ﷺ، فيما حدَّثنا ابنُ هشام، عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ:

بطيبـةَ رسـمٌ للرسـولِ ومَعهـدُ ** مُنيرٌ وقـد تَعفـو الرسـومُ وتهمـدُ
ولا تَمتحي الآياتُ من دارِ حُرمـةٍ ** بها منبرُ الهادي الذي كـان يَصـعَدُ
وواضـحُ آثـارٍ وبـاقي مَعـالِمِ ** ورَبْـعٌ لـه فيـه مُصـلًّى ومَسـجدُ
بها حُجُراتٌ كـان يَنـزلُ وَسْـطَها ** مـن الله نـورٌ يُستضـاءُ ويُوقـدُ
مَعارفُ لم تُطمسْ على العهدِ آيُها ** أتاهـا الـبِلى فـالآيُ منهـا تَجـدَّدُ
عرَفتُ بها رَسمَ الرسولِ وعهـدَه ** وقَبرًا بهـا واراه في الـتُرْبِ مُلحِـدُ
ظَلِلْتُ بها أبكي الرسولَ فأَسعَدتْ ** عُيونٌ ومِثلاها من الجَفـنِ تُسـعِدُ
يُـذَكِّرن آلاءَ الرسـولِ ومـا أرى ** لهـا مُحصـيًا نفسـي فنَفسـي تَبلَّـدُ
وبُـورِك لحـدٌ منـك ضُـمِّنَ طيِّبًـا ** عليـه بنـاءٌ مـن صَـفيح مُنضَّـدُ
تُهيـلُ عليـه الـتُربَ أيـدٍ وأعـيُنٌ ** عليه وقـد غـارَت بـذلك أسـعَدُ
وراحوا بِحزنٍ ليس فـيهم نبـيُّهم ** وقد وهنَتْ منهمُ ظُهورٌ وأعْضُـدُ
وهل عـدلتْ يومًـا رزيَّـةُ هالـكٍ ** رزيَّـةَ يـوم مـات فيـه محمـدُ؟
تَقطَّـع فيـه مُنـزَلُ الـوحي عـنهمُ ** وقـد كـان ذا نُـورٍ يَغـورُ ويُنجِـدُ

يَدلُّ على الرحمن مَن يَقتدي به ** ويُنقذُ من هولِ الخَزايا ويُرشِدُ
إمامٌ لهم يَهديهمُ الحقَّ جاهدًا ** مُعلمُ صدقٍ إن يُطيعوه يَسعَدوا
عَفوٌّ عن الزلَّات يَقبلُ عُذرَهم ** وإن يُحسِنوا فاللهُ بالخيرِ أجودُ
وإن نابَ أمرٌ لم يقوموا بِحَملِه ** فمِن عنده تَيسيرُ ما يَتشدَّدُ
فبَكِّي رسولَ الله يا عينُ عَبرةً ** ولا أعرفنَّك الدهرَ دمعُك يجمُدُ
وما لكِ لا تَبكين ذا النِّعمةِ التي ** على الناسِ منها سابغٌ يتغمَّدُ
فجُودي عليه بالدموع وأعْوِلي ** لفقدِ الذي لا مِثلُه الدهرَ يُوجَدُ
وما فَقَدَ الماضون مثلَ محمدٍ ** ولا مثلُه حتى القيامةِ يُفقَدُ
أعفَّ وأوفى ذمَّةً بعد ذمَّةٍ ** وأقربَ منه نائلًا لا يُنكَّدُ
وأبذلَ منه للطَّريفِ وتالدٍ ** إذا ضنَّ مِعطاءٌ بما كان يُتلَدُ
وأكرمَ صِيتًا في البُيوتِ إذا انتمى ** وأكرم جِدًّا أبْطَحيًّا يُسوَّدُ
وأمنعَ ذِرواتٍ وأثبتَ في العُلا ** دعائمَ عِزٍّ شاهقاتٍ تُشيَّدُ
وأثبتَ فرعًا في الفُروع ومَنبتًا ** وعودًا غَذَاهُ المُزنُ فالعودُ أغْيَدُ
ربَّاه وليدًا فاستتمَّ تَمامُه ** على أكرمِ الخَيراتِ ربٌّ مُمجَّدُ
تناهتْ وَصاةُ المسلمين بِكفِّه ** فلا العلمُ محبوسٌ ولا الرأيُ يفنَدُ
أقولُ ولا يُلقى لقولي عائِبٌ ** من الناسِ إلا عازبُ العقلِ مُبعَدُ
وليس هوايَ نازعًا عن ثَنائِه ** لعلِّي به في جنةِ الخُلدِ أخْلُدُ
مع المُصطفى أرجو بذاك جِوارَه ** وفي نَيلِ ذاك اليوم أسعَى وأجْهَدُ

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مختصر السيرة النبوية

[القسم الأول: العهد المكي]

[أولا: قبل الرسالة والنبوة]

[ثانيا: إرهاصات النبوة]

[ثالثا: من البعثة إلى الهجرة]

[أ - الدعوة السرية]

[ب - الدعوة الجهرية]

[ج - بيعة العقبة وبدء الهجرة]

[القسم الثاني: العهد المدني]

[أولا: تأسيس الدولة]

[ثانيا: الغزوات والسرايا والبعوث]

[ثالثا: الحديبية وفتح مكة]

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣)

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبسٌ من حديثه

مختصر

غاية السول

في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم

لابن الملقن أبي حفص عمر بن علي بن أحمد

(ت ٨٠٤هـ)

ويليه مختصر

شمائل النبي صلى الله عليه وسلم

للإمام الحافظ الترمذي

محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)

ويليه

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود



مُختصر

غاية السُّول

في خصائص الرسول

صلى الله عليه وسلم

ح أحمد بن عثمان المزيد، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المزيد، أحمد عثمان
موسوعة محمد رسول الله ﷺ الوقفية دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله. / أحمد عثمان المزيد.
الرياض، ١٤٣٨هـ
٦ مج
ردمك: ٨-٤٣٩٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٩-٤٣٩٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)
١- السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٨/٦٥٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٥٩٣
ردمك: ٨-٤٣٩٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٩-٤٣٩٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

الطَّبعةُ الأولى
(١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

المجلدُ الثّالِث

تُباعُ الموسُوعَة بِسِعرِ التكلفةِ بدَعمٍ مِنَ المختَصِرِ ووالديْه عُثمان بن أحمد المزيد وحصَّة بنت حمد المزيد

مدار الوطن للنشر
هاتف: 00966 112313018 جوال: 00966 500996987
تطلب من جميع فروع مكتبة جرير

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر غاية السول في خصائص الرسول ﷺ

لابن الملقن أبي حفص عمر بن علي بن أحمد
(ت ٨٠٤هـ)

ويليه مختصر

شمائل النبي ﷺ

للإمام الحافظ الترمذي
محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)

ويليه

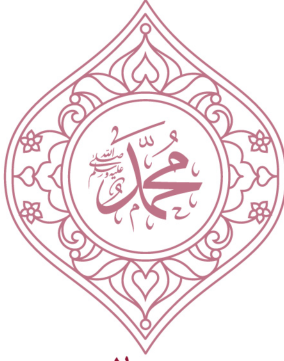
محمد رسول الله

والحقوق والقيم والأخلاق
وعلاج مشكلات العالم المعاصر



اختصره
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

إِهْدَاءٌ إلى
مَنْ غَايَتُهُ مُرَافقَةَ
مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي الجَنَّةِ



خِصَالُ الكَمَالِ وَالجَلالِ في مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(إذا كان الواحدُ منا يشرفُ بواحدةٍ أو اثنتينِ من خصالِ الكمالِ والجلالِ فما ظنكَ بعظيمِ قدرِ محمد رسول الله ﷺ مَن اجتمعَت فيه كلُّ هذه الخصالِ: مِن فضيلةِ النبوةِ والرسالةِ، والخلَّةِ، والمحبةِ، والاصطفاءِ، والإسراءِ، والقربِ، والشفاعةِ، والوسيلةِ والفضيلةِ، والمقامِ المحمودِ، والبراقِ والمعراجِ، والبعثِ إلى الأحمرِ والأسودِ، والصلاةِ بالأنبياءِ، والشهادةِ بينَ الأنبياءِ والأممِ، وسيادةِ ولدِ آدمَ، ولواءِ الحمدِ، ورحمة للعالمين، وإعطاءِ الرضى والسؤل، والكوثرِ، وإتمامِ النعمةِ، والعفوِ عما تقدَّمَ وما تأخَّرَ، وشرحِ الصدرِ، ووضعِ الإصرِ، ورفعِ الذكرِ، وعزَّةِ النصرِ، والتأييدِ بالملائكةِ، وإيتاءِ الكتابِ والحكمةِ والسبعِ المثاني والقرآنِ العظيم، وصلاةِ الله تعالى والملائكةِ، والقَسَمِ باسمِه، وإجابةِ دعوتِه، وتكليمِ الجماداتِ والعجمِ، ونبعِ الماءِ مِن بينِ أصابعِه، وانشقاقِ القمرِ، والنصرِ بالرعبِ، وظلِّ الغمامِ، وتسبيحِ الحصى، والعصمةِ من الناسِ، إلى ما لا يحويه محتفلٌ، ولا يحيطُ بعلمِه إلا مانحُه ذلك ومُفضِّلُه به، لا إله غيرُه).

[مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس، (ص51- 52) باختصار]



بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بموسوعة محمد رسول الله ﷺ

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ رسول الله ﷺ، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ:**

فتمتازُ هذه الموسوعةُ -التي استغرَقَ العملُ فيها نحوًا مِن عامينِ- بجمعِها لأهمِّ علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونها في وعاءٍ واحدٍ، وانتقاءِ أفضلِ ما كتبَه أئمةُ سلفِنا الصالحِ وعلماؤهم في كل فنٍّ مِن فنونِها، مما لقيَ شهرةً وقبولًا لدى الأمةِ، وقد قمتُ باختصارِ هذه الكتبِ وتهذيبِها، نسألُ اللهَ الإخلاص والقبول.

وكان منهجي في اختصارِ كتبِ هذه الموسوعةِ أن تكونَ على أفضلِ الطبعاتِ المعتمدةِ لكلِّ كتابٍ، مع حذفِ الضعيفِ وما دونَه، والاستطراداتِ، وما أغنَى عنه غيرُه، أو كان مكرَّرًا سبقَ ذكرُه، وكذلك أسانيدُ الأحاديثِ إلا الصحابيَّ أو مَن دونَه مما يحتاجُ الكلامُ إليه، وقد حافظتُ على لفظِ المصنفِ وترتيبِه، فإن زدتُ في عنواناته شيئًا وضعتُه بين معقوفَينِ، وكذا ما كان مِن طبعةٍ أخرى غيرِ التي اعتمدتُها.

وكان هدفي مِن هذا المنهجِ تقريبَ سيرة النبي ﷺ وتيسيرَها؛ لنتعلَّمَ جميعًا علومَها وفنونَها من كتبِ علماءِ سلفِنا الصالحِ الأصيلةِ، لنحقِّقَ الاقتداءَ به ﷺ في عقيدتِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه؛ فنسعدُ في الدنيا ونفوزُ بالآخرةِ.

وقد اقتصرتُ في الحاشيةِ على التخريجِ الموجزِ للأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ والآثارِ، وبيانِ غريبِ ألفاظها.

(*) هذا تعريف موجز بالموسوعة، وقد تقدَّم التعريف بها مفصَّلًا في صدر المجلد الأول.

وقد جاءَ هذا الإصدارُ الأوَّلُ مِن **«موسوعة محمد رسول الله ﷺ»** جامعًا لستةِ علومٍ مِن علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في ستةِ مجلداتٍ، عبرَ اختصارِ ثمانيةِ كتبٍ، وهي على النحو التالي:

المجلد الأول: ١- في علم الدلائل [كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت٤٣٠هـ)]

المجلد الثاني: ٢- في علم السيرة النبوية [كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام (ت٢١٨هـ)]

المجلد الثالث: ٣- في علم الخصائص [كتاب «غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن(ت٨٠٤هـ)]

٤- في علم الشمائل، وفيه ثلاثة كتب، هي:

- [كتاب «شمائل النبي ﷺ» للترمذي (ت٢٧٩هـ)]

- [كتاب «محمد رسول الله ﷺ والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر»، لـ أ.د. أحمد بن عثمان المزيد]

المجلد الرابع: - [كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)]

المجلد الخامس: ٥- في علم حقوق النبي ﷺ: [كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)]

المجلد السادس: ٦- في علم الحديث النبوي الشريف: [كتاب «رياض الصالحين» للنووي (ت٦٧٦هـ)]

في علم الخصائص النبوية

تعريفه:

ما اختُصَّ به النبيُّ ﷺ دونَ غيره. وقد تنوَّعت تقسيماتُ العلماءِ للخصائصِ النبويةِ: فقد قَسَّمَها ابنُ الملقن إلى أربعةِ أقسامٍ[١]:

١- الواجبات: كمشاورةِ ذوي الأحلامِ في الأمورِ.

٢- المحرمات: كإمساكِ مَن كرهَتْ نكاحَه ورغِبَتْ عنه ﷺ.

٣- المباحات: كالوصالِ في الصومِ.

٤- الفضائل: كتحريمِ أزواجِه اللاتي تُوفِّي عنهن على غيرِه أبدًا.

أهميته:

يعتبر «علم الخصائص» فرعًا أصيلًا من علومِ السيرةِ النبويةِ المطهرةِ، وعلى الرغمِ مِن كونِ خصائصِه ﷺ مبثوثةً في الكتبِ الحدِيثيةِ والفقهيةِ، إلا أن هذا العلمَ يجمعُ لك ما تفرَّق في بطونِ الكتبِ مِن خصائصِه ﷺ.

---

(١) انظر (ص١٧).

ثمراته:

مِن ثمراتِ معرفةِ هذا العلمِ: معرفةُ المنزلةِ الشريفةِ للنبيِّ ﷺ، وما اختصَّه الله به مِن خصائصَ وفضائلَ عن أمتِه، وعن باقي الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، والعلمُ بما اختُصَّ به النبيُّ ﷺ من أحكامٍ؛ ككونه لا يُورثُ ﷺ وغير ذلك، ومَن ثَم عدمُ التأسِّي به ﷺ في هذه الأحكامِ.

ومِن الثمراتِ أيضًا: التعرفُ على الصحيح من خصائصِه ﷺ؛ حتى نحذرَ الغلوَّ في نبينا محمدٍ ﷺ أو الجفاءَ عنه، وطريقُ ذلك التزامُ الشرع دونَ إفراطٍ أو تفريطٍ، فلا يجوزُ إثباتُ خصائصَ للرسولِ ﷺ بالأقيسةِ التي تُناطُ بها الأحكامُ العامةُ في الناسِ، ولكن الوجهُ ما جاءَ به الشرعُ من غيرِ ابتغاءِ مزيدٍ عليه(١).

(١) انظر: نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني (١٢/ ١١).

ترجمة ابن الملقن (٨٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو عمرُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الله، السراجُ أبو حفصِ بنِ أبي الحسنِ، الأنصاريُّ، الأندلسيُّ، المصريُّ، الشافعيُّ، ويُعرف بابن الملقن.

تاريخ مولده:

وُلِدَ ابنُ الملقن في ربيع الأول سنة (٧٢٣هـ) بالقاهرة.

نشأته وطلبه للعلم:

نشَأَ ابنُ الملقن في كفالةِ زوجِ أمِّه ووصيِّه بعدَ وفاةِ أبيه؛ إذ كان أبوه أندلسيًّا، فتحوَّلَ مِن الأندلسِ إلى التكرورِ(١)، ثم قدِمَ القاهرةَ فاستوطَنَها حتى وفاتِه، وكان قد أَوْصَى بمؤلِفنا ابنِ الملقن إلى عيسى المغربيِّ ملقنِ القرآنِ بالجامعِ الطولونيِّ.

فحفَظَ ابنُ الملقن القرآنَ والعمدةَ، وتفقَّه بالتقيِّ السبكي والجمالِ الإسنائي والكمالِ النشائي والعزِّ بن جماعة، وأخَذَ في العربيةِ عن أبي حيَّان والجمالِ بن هشام والشمسِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمن بن الصائغِ، وفي القراءاتِ عن البرهانِ الرشيدي.

قال البرهان الحلبي: اشتغَلَ في كلِّ فنٍّ حتى قرَأَ في كلِّ مذهبٍ كتابًا وأُذِنَ له بالإفتاءِ فيه.

---

(١) التكرور: قبيلة من السودان يسكنون أقصى جنوب المغرب، انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٨).

تصانيفه:

اشتهَرَتْ تصانيفُ ابنِ الملقن في الآفاقِ، وكان يقولُ: إنها بلغَتْ (٣٠٠) تصنيفًا، وشغَلَ الناس فيها وفي غيرِها قديمًا، وحدَّث بالكثيرِ منها وبغيرِها مِن مروياتِه.

قال البرهان الحلبي: كان فريدَ وقتِه في التصنيفِ، وعبارتُه فيها جليةٌ جيدةٌ، وكذا خلقُهُ، مع التواضعِ والإحسانِ، لازَمْتُه مدةً طويلةً.

وفاته:

احترقَتْ كتبُ ابنِ الملقن مع أكثرِ مسوداتِه في أواخرِ عمرِه، ففقَدَ أكثرَها، وتغيَّرَ حالُه بعدَها، فحجَبَه ولدُه إلى أن مات في ليلةِ الجمعةِ ١٦ ربيع الأول سنة (٨٠٤هـ) فرحمه الله تعالى[١].

(١) انظر: الضوء اللامع للسخاوي (٦/ ١٠٠ - ١٠٥ باختصار وتصرف يسير).

التعريف بكتاب غاية السُّول في خصائص الرسول لابن الملقن (٨٠٤هـ)

أهميته:

تبرزُ قيمةُ كتابِ «غاية السُّول» مِن مكانةِ مؤلفِه في إجادةِ التصنيفِ، وإمامتِه، وكثرةِ مواردِه التي استقَى منها مادةَ الكتابِ، والتزام مؤلِّفه في مطلع كتابِه أنه لا تثبتُ خصوصيةٌ إلا بدليلِ صحيح، وتحرِّيه الصوابَ كثيرًا في وضع المسائلِ، وتجنبِ الأخبارِ الواهيةِ، بل عندَ ذكرِه لبعضِها فإنه ينبِّه على بطلانِها وعدمِ صحتِها، وقد عالَجَ ذلك كلَّه في عبارةٍ سهلةٍ، وأسلوبٍ واضحٍ يسيرٍ.

تقسيمه:

افتَتَحَ المصنفُ كتابَه بذكرِ أولِ مَن ألَّف في هذا الفنِّ، ثم ذكَرَ الخلافَ في جوازِ الكلام على الخصائصِ، وقد قسَّمَ خصائصَ النبيِّ ﷺ إلى أربعةِ أنواعٍ: واجباتٍ، ومحرماتٍ، ومباحاتٍ، وفضائلَ.

وتحت كلِّ قسم يُورِدُ مسائلَ، تُعبِّرُ كلُّ مسألةٍ - غالبًا - عن خصيصةٍ له ﷺ، فأورَدَ في القسم الأولِ (٢٠) مسألة، وفي الثاني (١٤) مسألة، وفي الثالثِ (٣٣) مسألة، وفي الرابع (٤٥) مسألة، وكثيرًا ما يذكرُ في ختامِ المسألةِ فروعًا وتنبيهاتٍ وفوائدَ، وله فيه مِن النظرِ الثاقبِ والترجيحاتِ دررٌ.

قلتُ: وقد حذفتُ مِن الخصائصِ ما لم يَثبُتْ بحديثٍ صحيح أو حسنٍ، وكذا المناقشاتُ واختلافاتُ المذاهبِ، والاستطرادُ في ذكرِ الوجوهِ والأدلةِ، مع الحرصِ على إتباع الخصيصةِ بدليلِها إذا ذكَرَه.

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

طُبع كتابُ «غاية السُّول» سنة ١٤١٤هـ /١٩٩٣م، بدار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله بحر الدين، وهو في الأصلِ رسالةُ ماجستير مقدمة للجامعةِ الإسلاميةِ بالمدينةِ المنورةِ سنة ١٤٠٠هـ، وقد اعتمد محققُه على أربع نسخ خطية، وقد اعتمدنا على هذه الطبعةِ في مختصرنا هذا.

❸ موسوعة محمد رسول الله ﷺ
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر غاية السُّول في خصائص الرسول

لابن الملقن أبي حفص عمر بن علي بن أحمد (ت٨٠٤هـ)

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

[مقدمة المصنف]

قال الشيخ الإمام العلامة سراج الدين أبو حفص ابن الملقن: أحمد الله على إفضاله، وأشكره علي توالي آلائه، وأصلي على أشرف مخلوقاته وخاتم أنبيائه، وعلى آله وأصحابه وشرف وكرم.

وبعد: فهذا مختصرٌ نافع إن شاء الله تعالى فيما يتعلَّق بخصائصِ أشرفِ المخلوقين، وأفضلِ السابقين واللاحقين، صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين وآل كلٍّ وسائرِ الصالحين.

وقد منعَ جماعةٌ مِن الكلامِ فيها؛ لأنه أمرٌ انقضَى فلا معنى للكلامِ فيه، وإنما يُشرعُ الاجتهادُ في النوازلِ التي تقعُ أو تتوقعُ، واستحسنه ابنُ الصلاح أيضًا وقال: إنه قد انقضَى، وليس فيه مِن دقيقِ العلمِ ما يتعلَّق به التدربُ، ولا وجهَ لتضييعِ الزمانِ برجمِ الظنونِ فيهِ(١).

وأمَّا الجمهورُ فإنهم جوَّزوا ذلك؛ لما فيه من العلمِ، قال النووي رحمه الله تعالى: والصوابُ الجزمُ به، بل باستحبابِه، ولو قيل بوجوبِه لم يكن بعيدًا؛ لأنه ربما وجَدَ جاهلٌ بعضَ الخصائصِ ثابتةً في الحديثِ الصحيحِ فعَمِلَ به أخذًا بأصلِ التأسِّي؛ فوجَبَ بيانُها لتُعرفَ ولا يعمل بها(٢).

ونحن نقتدِي في هذا التصنيفِ بالجمهورِ، ونقيِّدُ ما تيسَّرَ -بحمدِ الله- فيه.

اعلم أنه ﷺ اختُصَّ: بواجباتٍ، ومحرماتٍ، ومباحاتٍ، وفضائلَ. فهذه أربعةُ أنواعٍ:

---

(١) شرح مشكل الوسيط لابن الصلاح ٣/ ٥١٥.

(٢) روضة الطالبين للنووي ٧/ ١٨.

النوع الأول: الواجبات

والحكمة في اختصاصِه بها: زيادةُ الدرجات؛ لما وَرَدَ عن الله تعالى: «**لن يتقرَّب إليَّ المتقرِّبون بمثلِ أداءِ ما افترضتُ عليهم**»(١)، وعلم الله أنه أقومُ بها وأصبرُ عليها من غيرِه.

وهذا النوعُ ينقسمُ إلى متعلقٍ بالنكاحِ وإلى غيرِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

القسم الأول: غيرُ المتعلِّق بالنكاح

١- مشاورةُ ذوي الأحلامِ في الأمورِ: وهي واجبة عليه على الصحيحِ عندَ أصحابِنا؛ لظاهرِ قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وظاهرُ الأمر الوجوب، ووجهُ من قال باستحبابها القياسُ على غيرِه، والأمرُ للاستحبابِ استمالةً لقلوبِهم.

قال الماوردي: اختُلِفَ فيما يُشاوِرُ فيه، فقال قومٌ: في الحروبِ ومكايدةِ العدو خاصةً. وقال آخرون: في أمورِ الدنيا والدين تَنبيهًا لهم على عِللِ الأحكامِ وطريق الاجتهاد[١]. وقال الثعالبي: وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عَهدٌ[٢].

٢- كان يجبُ عليه ﷺ مصابرةُ العدوِّ وإن كثرَ عددُهم، والأمَّةُ إنما يلزمُهم الثباتُ إذا لم يزِد عددُ الكفارِ على الضعفِ.

٣- هل كان يجبُ عليه ﷺ إذا رأى مُنكرًا أن ينكرَه ويغيِّره، وغيرُه إنما يلزمُهُ ذلك عند الإمكانِ؟ ووجهُهُ أن الله تعالى وعدَهُ بالعصمةِ والحفظِ فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفي الصحيحينِ[٣] من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ في أمرَينِ إلا أخَذَ أيسرَهما ما لم يكن إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقَمَ رسولُ الله ﷺ لنفسِه إلا أن تُنتهكَ حرمةُ الله فينتقمُ لله بها**».

---

(١) الحاوي الكبير للماوردي ٩/ ٥٦-٥٧.
(٢) الكشف والبيان للثعالبي ٩/ ٣٤٧.
(٣) صحيح البخاري (٣٥٦٠)، صحيح مسلم (٢٣٢٧).

وأورَدَ النووي في «الروضةِ» سؤالًا، فقال: قد يقالُ: هذا ليس من الخصائصِ بل كلُّ مكلَّفٍ تمكن من إزالةِ المنكرِ لزمه تغييرُه. ثم أجاب بأن المرادَ لا يسقُطُ عنه للخوفِ؛ فإنه معصومٌ بخلافِ غيرِه[١].

٤- كان يجبُ عليه قضاءُ دَين مَن مات من المسلمين مُعسرًا عندَ اتساعِ المالِ، ففي الصحيحين[٢] من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يُؤتى بالرجلِ المتوفَّى عليه الدينُ فيسألُ: «**هل تركَ لدَينِه من قضاءٍ**»، فإن حُدِّثَ أنه ترك وفاءً صلَّى عليه، وإلا قال للمسلمين: «**صَلُّوا على صاحِبِكم**». فلما فتحَ الله عليه الفتوحَ قام فقال: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفُسِهم، فمن تُوفِّيَ من المؤمنين فترَك دَينًا فعلَيَّ قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثَتِه**».

وقيل: إنه لم يكن واجبًا عليه بل كان يفعلُه تكرمًا. وقال النووي: كان يَقضيهِ من مالِ المصالحِ. وقيل: مِن خاص مالِه[٣].

---

(١) روضة الطالبين للنووي ٧/ ٤.

(٢) صحيح البخاري (٢٢٩٨)، صحيح مسلم (١٦١٩).

(٣) روضة الطالبين للنووي ٧/ ٤.

القسم الثاني: الواجبُ المتعلقُ بالنكاحِ

٥- كان يجبُ عليه تخييرُ زوجاتِه بين اختيارِ زينة الدنيا ومفارقتِه، وبين اختيارِ الآخرةِ والبقاءِ في عصمتِه، ولا يجبُ ذلك على غيرِه؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ إلى قوله: ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

واختُلِفَ في سببِ نزولِها على أقوالٍ: أحدها: أنهنَّ اجتمعْنَ وقلْنَ: نريدُ كما يريدُ النساءُ من الحلي والثيابِ، فطالبْنَه بذلك وليس عندَه، فتأذَّى، وإلزامُهن الصبرَ على الفقرِ يُؤذِيهنَّ، ومطالبتُهن إياه بذلك يؤذِيه، فأُمِر بإلقاءِ زمامِ الأمرِ إليهنَّ ليفعلْنَ ما يخترْنَه، ونُزِّه منصبُه العالي عن التأذِّي والإيذاءِ.

ولما خَيَّرَ ﷺ زوجاتِه كافأهُنَّ الله على حُسنِ صنيعهِنَّ بالجنةِ فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ﴾ أي: المختاراتِ، ﴿مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٩] أي: الجنةَ، و(مِن) للبيانِ لا للتبعيضِ. وبأن حرَّم على رسولِه التزوُّجَ عليهن والاستبدالَ بهن فقال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية.

النوعُ الثاني: ما اختُصَّ به ﷺ من المحرماتِ

وذلك تكرمةً له، فإن أجرَ تركِ المحرَّمِ أكثرُ من أجرِ ترك المكروهِ وفعلِ المندوبِ؛ إذ المحرَّمُ في المنهياتِ كالواجب في المأموراتِ، وهي أيضًا قسمان:

الأول: المحرماتُ في غيرِ النكاحِ

٦- **الزكاةُ**: فإنها حرامٌ عليه، وشاركهُ في ذلك ذوو القُربى بسببِه أيضًا، فالخاصيةُ عائدةٌ إليه؛ «**فإنها أوساخُ الناسِ**» كما أخرجه مسلم[(١)]، ومنصبُه منزَّهٌ عن ذلك، وهي أيضًا تُعطَى على سبيل الترحُّم المنبئ عن ذلِّ الآخذِ، فأُبدِلوا عنها بالغنيمةِ المأخوذةِ بطريقِ العزِّ والشرف المنبئ عن عزِّ الآخذِ وذلِّ المأخوذِ منه.

وأمَّا صدَقةُ التطوعِ ففي تحريمِها عليه وعلى آلِه أربعةُ أقوالٍ، أصحُّها: تحرمُ عليه دونَهم.

وحكى ابنُ الصلاحِ عن أمالي أبي الفرجِ السرخسيِّ أن في صرفِ الكفارةِ والنذرِ إلى الهاشمي قولَينِ، والظاهرُ جريانُهما في المطلبي أيضًا؛ لأنه في معناه.

٧- **كان ﷺ لا يأكُلُ البصلَ والثومَ والكراثَ، وما له رائحةٌ كريهة من البقول**: في الصحيحين من حديثِ جابرٍ أنه ﷺ أُتِيَ بقِدرٍ فيه خَضِراتٍ من البقولِ، فوجد لها ريحًا، فسأل فأُخبِرَ بما فيها من البقولِ، فقال: «**قرِّبوها**»، إلى بعضِ أصحابِه، فلما رآه كرِهَ أكلَها فقال: «**كُلْ؛ فإني أناجي من لا تُناجي**»[(٢)].

وهل كان ذلك حرامًا عليه؟ فيه وجهان، أحدهما: نعم؛ كيلا يتأذَّى المَلَكُ، وأشبههما: لا؛ وإنما كان ﷺ يمتَنِعُ منه ترفُّعًا.

وفي صحيح مسلمٍ من حديثِ أبي أيوبَ: أحرامٌ هو؟ قال: «**لا، ولكنِّي أكرَهُه من أجلِ ريحِه**»، قال: فإني أكرَهُ ما كرِهتَ، قال: وكان النبي ﷺ يُؤتى.

---

(١) صحيح مسلم (١٠٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).

يعني: يأتيه جبريلُ بالوحي[١]. وهذا صريحٌ في نفي التحريم وإثباتِ الكراهةِ.

٨- **أنه ﷺ كان لا يأكُلُ متَّكئًا:** ففي صحيحِ البخاريِّ من حديث أبي جُحَيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت عند رسولِ الله ﷺ فقال لرجلٍ عنده: «**أنا لا آكُلُ وأنا متَّكئٌ**»[٢].

وهل كان ذلك حرامًا عليه أو مكروهًا كما في حقِّ الأمة، فيه وجهان، أشبههما الثاني، وجزَمَ بالأولِ صاحبُ التلخيص؛ لما فيه من الكبرِ والعجبِ، وعلَّلَ الأولُ بأنه لم يثبتْ فيه ما يقتضى التحريمَ، واجتنابُ رسولِ الله ﷺ الشيءَ واختيارُه غيره لا يدلُّ على كونه محرَّمًا عنده.

إذا تقرَّر ذلك فما المرادُ بالمتكئ؟ فيه خلافٌ: قال الخطابي: المرادُ به هنا الجالسُ المعتمدُ على وطاءٍ تحتَه[٣]، وأقرَّه عليه البيهقيُّ في سننِه[٤]، وأنكرَه عليه ابنُ الجوزيِّ وقال: المرادُ به المائلُ على جنب، وأما صاحب الشفاء ففسَّرَه بما قاله الخطابيُّ ثم قال: وليس هو الميلَ على شقٍّ عندَ المحققين[٥]، وكذا قال ابنُ دحيةَ في كتابِه «المستوفى في أسماء المصطفى» أن الاتكاءَ في اللغةِ هو التمكنُ في الأكلِ.

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٥٣٩٩).

(٣) أعلام الحديث للخطابي ٣/ ٢٠٤٨، معالم السنن للخطابي ١/ ١٤٥.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٤٦١.

(٥) الشفا للقاضي عياض(ص١٣٠).

٩- الخَطُّ والشِّعرُ: قال تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] الآية، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] الآية، وهما حرامانِ عليه.

ولا يمتنِعُ تحريمُهما وإن لم يحسنْهُما، ويكون المرادُ: تحريمُ التوصُّلِ إليهما.

وما روي عنه ﷺ من الرجزِ كقولِه: **هل أنت إلا أصبعٌ دَمِيتِ** ...[(١)]، قال الأخفشُ: إنه ليس بشعرٍ. وقيل: إنه ﷺ لم يقصِده، وإنما وقعَ مرجَّزًا ولا يُسمَّى شعرًا ولا قائلُه شاعرًا.

قال الحربيُّ: ولم يبلُغني أنه ﷺ أنشدَ بيتًا كاملًا على روِيِّهِ[(٢)].

١٠- كان يَحرُمُ عليه إذا لبسَ لَأْمَتَهُ أن ينزِعَها حتى يلقى العدوَّ ويقاتلَ: ففي سننِ البيهقيِّ: «**لا ينبغي لنبيٍّ إذا أخذَ لأمة الحربِ وأذَّنَ في الناس بالخروج إلى العدوِّ أن يرجعَ حتى يقاتلَ**»[(٣)]، وذكرهُ البخاريُّ في صحيحِهِ في باب المشاورةِ، بغير إسنادٍ[(٤)].

قال ابنُ فارس: اللأمة -مهموز-: الدرع. وجمعها: لَأْم[(٥)]، كتمرة وتمر.

١١- كان يَحرُم عليه مدُّ العينِ إلى ما مُتِّعَ به الناسُ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ [طه: ١٣١] الآية.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦).
(٢) انظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني ١/ ٧٣٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ١٩٩.
(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٦٥.
(٤) علقه البخاري قبل حديث (٧٣٦٩).
(٥) مجمل اللغة لابن فارس ٣/ ٨٠٠.

١٢- **كان يَحرُمُ عليه خائنةُ الأعينِ**؛ لأنه ﷺ لما كان يومُ فتح مكةَ آمن الناسُ إلا ستةً، منهم: عبد الله بن أبي سَرحٍ، فاختبأَ عند عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما دعا رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى البيعةِ جاء به حتى أوقفَهُ على النبي ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، بايِع عبدَ الله، فرفَعَ رأسهُ فنظرَ إليه ثلاثًا، كل ذلك يَأبى، فبايعه بعد ذلك، ثم أقبَلَ إلى أصحابِه فقال: «**أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقومُ إلى هذا حين رآني كَفَفتُ عن مبايعتِه فيقتله؟!**» فقالوا: يا رسول الله، ما ندري ما في نفسِك؟ أَلَا أومَأتَ إلينا بعينِك. قال: «**إنه لا يَنبغي لنبيٍّ أن يكون له خائنةُ الأعينِ**»[(١)].

واختلف في المرادِ بخائنةِ الأعينِ، كما قال ابنُ الصلاحِ في مشكله، فقيل: هي الإيماءُ بالعين، وقيل: مسارقةُ النظرِ[(٢)]. وعبارةُ الرافعي هي: الإيماءُ إلى مباحٍ من ضربٍ أو قتلٍ على خلافِ ما يَظهرُ ويُشعِرُ به الحالُ. وإنما قيل لها: خائنةُ الأعين؛ تشبيهًا بالخيانة من حيث إنه يُخفِي خلافَ ما يُظهِر. ولا يَحرُم ذلك على غيرِه إلا في محظورٍ[(٣)].

١٣- اختلَفَ أصحابُنا: هل كان يحرمُ عليه أن يصلِّيَ على مَن عليه دَينٌ؟ على وجهينِ، والصوابُ: الجزمُ بجوازِه مع الضامنِ ثم نُسِخ التحريمُ، فكان النبيُّ ﷺ يصلِّي على مَن عليه دَينٌ ولا ضامنَ له ويوفِّيه من عنده، والأحاديثُ الصحيحةُ مصرِّحةٌ بذلك.

١٤- كان يَحرُم عليه ﷺ أن يَمنَّ ليستكثِرَ، ومعناه: أن يُعطي شيئًا ليأخذَ أكثرَ منه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائي (٤٠٦٧).

(٢) شرح مشكل الوسيط لابن الصلاح ٣/ ٥١٧.

(٣) الشرح الكبير للرافعي ٧/ ٤٤١.

القسم الثاني: المحرمات المتعلقةُ بالنكاحِ

١٥- إمساكُ من كرهت نكاحَه ورغِبَت عنه: واستُشهِدَ له بما رواه البخاريُّ في صحيحه من حديث عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن ابنةَ الجَونِ لما دخلت على رسولِ الله ﷺ ودنا منها فقالت: أعوذُ بالله منك، فقال: «**لقد عُذتِ بعظيمٍ؛ اِلْـحَقي بأهلِك**»(١).

وفُهِمَ منه أنه حرمَ عليه نكاحُ كلِّ امرأة كرهت صحبتَه، وجديرٌ أن يكون الأمرُ كذلك؛ لما فيه من الإيذاءِ، ويَشهدُ لذلك إيجابُ التخييرِ المتقدم.

١٦- نكاحُ الحرَّةِ الكتابيةِ حرامٌ عليه: قال الله تعالى ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] الآية، وقال ﷺ: «**سألتُ ربي عَزَّوَجَلَّ ألَّا أُزوِّجَ أحدًا مِن أمتي ولا أَتزوَّجَ إلا كان معي في الجنةِ، فأعطاني**»(٢).

وفي البيهقيِّ من حديثِ حذيفةَ أنه قال لامرأتِه: إن سرَّكِ أن تكوني زوجتي في الجنةِ فلا تزوَّجِين بعدي؛ فإن المرأةَ في الجنةِ لآخرِ أزواجِها في الدنيا؛ فلذلك حُرِّمَ على أزواجِ النبيِّ ﷺ أن ينكحْنَ بعدَه؛ لأنهنَّ أزواجُه في الجنةِ(٣).

١٧- في تسرِّيه بالأمَةِ الكتابيةِ خلافٌ، لكن الأظهر هنا الحلُّ.

١٨- اختلَفَ أصحابُنا في تحريمِ الأمَةِ المسلمةِ على وجهَينِ، أحدُهما: لا تحرمُ عليه كما في حقِّ أمَّتِه، وهو ﷺ أوسعُ نكاحاً من أمَّتِه. وأصحُّهما: يحرمُ؛ لأن جوازَه مشروطٌ بخوفِ العنتِ، وهو ﷺ معصومٌ، وبفقدانِ طَوْلِ الحرَّةِ، ونكاحُه ﷺ غيرُ مفتقرٍ إلى المهرِ ابتداءً وانتهاءً، ولأن مَن نكحَ أمَةً كان ولدُه رقيقًا ومنصبُه ﷺ منزَّهٌ عن ذلك.

---

(١) صحيح البخاري (٥٢٥٤).

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ١٤٨ (٤٦٦٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى ٧/ ١١١ (١٣٤٢١).

النوع الثالث

ما اختُصَّ به من المباحات والتخفيفات

توسعةً عليه وتنبيهًا على أنه ما خُصَّ به مِن الإباحةِ لا تُلهيه عن طاعةِ الله وإن أُلهيَ غيرُه، وهو قسمانِ أيضًا: متعلقٌ بغيرِ النكاحِ، ومتعلقٌ به.

واعلَمْ أن معظمَها لم يفعَلْها مع إباحتِها له، وليس المرادُ بالمباحِ هنا ما استوَى طرفاه، بل ما لا حرجَ في فعلِه ولا في تركِه، فإنه ﷺ واصَلَ، وسيأتي أن الإمامَ قال: إنه قربةٌ في حقِّه[1]، وكذا صفيُّ المغنمِ والاستبدادُ بالخمسِ -كما سيأتي- قد يكونُ راجحَ الفعلِ؛ لصرفِه في أهمِّ المصالحِ، وقد يكونُ راجحَ التركِ؛ لفقدِ هذا المعنى؛ فإن أفعالَه وأقوالَه كلَّها راجحةٌ مُثابٌ عليها فيما نظنُّه، حتى في أكلِه وشربِه؛ لأن الواحدَ منَّا يُندبُ له أن يقصدَ وجهَ الله بذلك، وهو بذلك أولى، والله أعلم.

---

(١) نهاية المطلب للجويني ٤/ ٧٢.

القسم الأول: المباحات له في غيرِ النكاحِ

١٩- الوصالُ في الصوم أبيحَ له ﷺ: قال ﷺ -لما قيلَ له: إنك تُواصِل!-: «**إني لستُ مثلَكم؛ إني أُطعَم وأُسقى**»، متفقٌ على صحته[(١)].

كذا قاله الشافعيُّ[(٢)] والجمهور أنه من المباحاتِ، وقال الإمام: هو قربةٌ في حقِّه[(٣)].

٢٠- اصطفاءُ ما يختارُه من الغنيمةِ قبل قِسمتِها من جاريةٍ أو غيرها: ويُسمَّى المختارُ الصفيَّ والصفيَّةَ، والجمعُ: الصفايا.

ومن صفاياهُ ﷺ: صفيةُ بنتُ حيَيٍّ، اصطفاها وأعتقَها وتزوجها، كما أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٤)]، وفي سنن أبي داود من حديث عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها من الصفيِّ[(٥)].

قال أبو عمر: وأجمعَ العلماءُ على أنه خاصٌّ به[(٦)]. قلتُ: حكَى القرطبيُّ عن بعضِ العلماءِ أنه قال: هو للأئمةِ بعدَه[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٢)، ومسلم (١١٠٢).
(٢) مختصر المزني (ص٨٦).
(٣) نهاية المطلب للجويني ٤/ ٧٢.
(٤) صحيح البخاري (٢٨٩٣ وأخر)، وصحيح مسلم (١٣٦٥).
(٥) سنن أبي داود (٢٩٩٤).
(٦) الاستذكار ٥/ ٨٣، التمهيد لابن عبد البر ٢٠/ ٤٤.
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ١٣، وهو قول أبي ثور.

وذكَرَ الرافعيُّ أن سيفَه ذا الفَقارِ كان من الصفِيِّ[١]، وروى أحمدُ والطبرانيُّ والترمذي وابنُ ماجه من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه ﷺ تنفَّلهُ يومَ بدرٍ[٢].

وحكَى الإمامُ قبلَ كتابِ قسمِ الصدقاتِ وجهَينِ: في أن الصفيَّ كان للنبيِّ ﷺ خارجًا من سهمِه، أو كان محسوبًا عليه من سهمِه[٣]..

٢١- الاستبدادُ بخُمسٍ من خُمسِ الفيء والغنيمة، وبأربعةِ أخماسِ الفيء منفردًا بذلك، وله مع خُمسِ الغنيمة سهمٌ كسهام الغانمين؛ قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ...﴾ الآية [الأنفال: ٤١].

وعن عمرِو بن عنبسةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحلُّ لي من غنائِمِكم مثلُ هذا، إلا الخُمسَ، والخمسُ مردودٌ فيكم**» رواه أبو داود والحاكمُ وهو على شرطِ البخاري[٤].

٢٢- أن مالَه لا يورَث عنه، قال ﷺ: «**لا نُورَث ما تركناهُ صدقةٌ**» متفق على صحته من حديث جماعةٍ[٥].

---

(١) الشرح الكبير للرافعي ٧/ ٤٤٦.
(٢) مسند أحمد ٤/ ٢٥٩ (٢٤٤٥)، سنن ابن ماجه (٢٨٠٨)، سنن الترمذي (١٥٦١)، المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٠٣ (١٠٧٣٣).
(٣) نهاية المطلب للجويني ١١/ ٥٣٢.
(٤) سنن أبي داود (٢٧٥٥)، المستدرك للحاكم ٣/ ٤٩.
(٥) أخرجه البخاري (٣٠٩٣ وأخر)، ومسلم (١٧٥٩) من حديث أبي بكر. وأخرجه البخاري (٣٠٩٤ وأخر)، ومسلم (١٧٥٧) من حديث عمر. وأخرجه البخاري (٦٧٢٧ وأخر)، ومسلم (١٧٥٨) من حديث عائشة. وأخرجه البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦١) من حديث أبي هريرة.

وهذا ليس خاصًّا به ﷺ مِن بينِ سائرِ الأنبياءِ عليهم السلام، ففي السننِ الكبرى للنسائي من حديثِ الزبيرِ وغيرِه: «**إنَّا معشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ، ما تركناه فهو صدَقةٌ**»(١)، نعم يمتازُ به مِن بينِ أمَّتِه.

وما الحكمةُ في كون الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام لا يورثون؟ فيه أوجهٌ:

أحدها: لئلا يتمنَّى قريبُهم موتَهم فيهلك بذلك.

ثانيها: لئلا ينفِرَ الناسُ عنهم، ويظنوا فيهم الرغبةَ في الدنيا وجَمْعَها لوراثِهم بهم.

ثالثها: لئلا يُفتَن بعض الذين أسلموا وتابعوهم بظنِّهم فيهم الرغبةَ والجمعَ لوراثِهم.

فما الجوابُ عن قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ الآية [مريم: ٥-٦]، وقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ الآية [النمل: ١٦]؟ قلت: المرادُ الوراثةُ في النبوةِ والعلمِ والدين لا في المالِ، والصوابُ الذي عليه جميعُ العلماءِ: أن جميعَ الأنبياءِ لا يورثون، ويُؤَوَّل ذلك بما سبق.

٢٣- كان له ﷺ أن يَقضِيَ بعلمِه، وفي غيرِه خلافٌ.

٢٤- كان يقبلُ شهادةَ من يشهد له كما قَبِلَ شهادةَ خزيمةَ لنفسِه، وقصته في أبي داود والحاكم وصححها(٢).

---

(١) النسائي في الكبرى (٦٢٧٥)،

(٢) سنن أبي داود (٣٦٠٧)، مستدرك الحاكم ٢/ ١٨، ٣/ ٣٩٦.

٢٥- له ﷺ أن يأخُذَ الطعامَ والشرابَ من مالِكِهما المحتاجِ إليهما إذا احتاجَ إليهما، وإن كان مالكُهُما محتاجًا، وعليه البذلُ ويَفدي مهجَتَه بمهجتِه عليه أفضل الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦].

ومثلُه: لو قصدَهُ ظالمٌ وجب على من حضرَه أن يبذُلَ نفسَه دونه ﷺ كما وقاهُ طلحةُ بنُ عبيدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسِه يومَ أُحدٍ[(١)].

٢٦- أنه يجبُ على أُمَّتِه أن يُحبوه أعلى درجاتِ المحبة، كما ثبت في الصحيحِ أنه ﷺ قال: «**لا يؤمنُ أحدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من أهلِه ومالِه ووالِدِه وولَدِه والناسِ أجمعين**»[(٢)].

وأسبابُ المحبة: الإجلالُ، والإعظامُ، والكمالُ في الصفاتِ المعنوية، والحسنِ، والإشفاقِ، وهي كلُّها موجودةٌ في حقِّه ﷺ ؛ فوجبت له المحبةُ الكاملة.

٢٧- كان لا ينتَقِضُ وضوؤه بالنومِ بخلافِ غيرِه؛ لأنه كانت تنامُ عيناهُ ولا ينامُ قلبُه، كما ورد في الصحيح[(٣)].

وفيه إشارةٌ على أن نومَ العينِ المجردةِ لا ينقضُ الوضوءَ.

(١) أخرجه البخاري (٣٨١١).
(٢) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٩)، ومسلم (٨٣٧).

القسم الثاني
التخفيفاتُ المتعلقةُ بالنكاحِ

٢٨- أُبيحَ له ﷺ الجمعُ بين أكثر من أربعِ نسوةٍ وهو إجماعٌ، وقد مات ﷺ عن تسعِ زوجاتٍ.

والنكاحُ في حقِّه ﷺ عبادةٌ بلا شكٍّ، ومن جملةِ فوائِدِه في حقِّه فائدتان عظيمتان:

الأولى: نقلُ الشريعةِ التي لم يطَّلِع عليها الرجالُ.

الثانية: نقل محاسنِه الباطنةِ فإنه ﷺ مكملُ الظاهرِ والباطنِ.

٢٩- انعقادُ نكاحِه بلفظِ الهبةِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وعلى هذا لا يجبُ المهرُ بالعقدِ ولا بالدخولِ كما هو مقتضى الهبةِ.

٣٠- انعقادُ نكاحِه بلا وليٍّ ولا شهودٍ؛ لأن اعتبارَ الوليِّ للمحافظةِ على الكفاءةِ، ولا شكَّ فيه أنه ﷺ فوقَ الأكفاءِ، واعتبارَ الشهودِ لأمنِ الجحودِ وهو ﷺ لا يجحدُ، وإن جحدَتْ هي لم يُرجَعْ إلى قولِها على خلاف قولِه، بل قال العراقي في شرح المهذب: تكونُ كافرةً بتكذيبه.

٣١- أن المرأةَ تحلُّ له بتزويجِ الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] الآية.

أي: أحلَلنَا لك نكاحَها، وكانت تفتَخِرُ على صواحباتِها بذلك، وتقول: زوجكُنَّ أهلوكُن، وزوَّجني الله من فوقِ سبعِ سمواتٍ. رواه البخاري من قولِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٢٠).

النوع الرابع

ما اختُصَّ به ﷺ من الفضائلِ والكرامات

وهي أيضا قسمان: متعلقٌ بالنكاح، وغيرُ متعلق به:

القسم الأول: المتعلِّقُ بالنكاح

٣٢- أن أزواجَه اللاتي تُوفي عنهن محرماتٌ على غيرِه أبدًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]؛ لأنهن أمهاتُ المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] أي: مثل أمهاتِهم في وجوبِ احترامِهنَّ وطاعتِهنَّ، وتحريمِ نكاحهنَّ لما في إحلالهن لغيرِه من النقصِ لمنصبِه.

وقد تزوَّج رسولُ الله ﷺ كثيرًا، قال الماورديُّ: ثلاثًا وعشرين: ستٌ متْنَ قبلَه، وتسعٌ ماتَ قبلَهن، وثمانٍ فارقهنَّ: **فمِن اللاتي متْنَ قبلَه:**

خديجةُ بنتُ خويلدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي أولُ نسائِه، تزوَّجها قبلَ النبوةِ عندَ مرجعِه من الشام وعمرُه خمس وعشرون سنةً، وهي أمُّ أولادِه خلا إبراهيمَ، فإنه مِن ماريةَ القبطيةِ، ولم يتزوَّج على خديجةَ حتى ماتَتْ، وكان موتُها قبلَ الهجرة بثلاثِ سنين، وهي أولُ مَن آمنَ مِن النساءِ قطعًا، وقال ﷺ في حقِّها: «**خيرُ نسائِها مريمُ بنتُ عمرانَ، وخيرُ نسائِها خديجةُ**»[(١)]، وقالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما غرتُ على امرأةٍ ما غرتُ عليها؛ مِن كثرةِ ذكرِ رسولِ الله إياها، وأمرَه ربُّه أو جبريلُ أن يبشرَها ببيتٍ في الجنةِ من قصبٍ، رواه البخاري[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٢)، ومسلم (٣٨٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٤)، ومسلم (٢٤٣٥).

وأمَّا التسعُ اللاتي مات عنهنَّ:

فالأولى: عائشةُ بنتُ الصديقِ، تزوَّجَها بعدَ موتِ خديجةَ بسنتين أو ثلاث، أيضًا بمكةَ، وهي بنتُ سبع أو ست، وبنى بها بالمدينة في شوال في السنة الثانية وهي بنت تسع، ولم يتزوَّجْ بكرًا غيرَها، ومات عنها وهي بنتُ ثماني عشرةَ سنةً، وهي أولُ أمرأةٍ تزوَّجَها بعدَ خديجةَ، وقيل بل تزوَّجَ قبلَها سودةَ بنتَ زمعةَ، وكانت عائشةُ أحبَّ نسائِه إليه.

الثانية: سودةُ بنتُ زمعةَ، تزوَّجَها بعدَ عائشةَ.

الثالثة: حفصةُ بنتُ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تزوَّجَها بالمدينةِ بعدَ سودةَ.

الرابعة: أمُّ حبيبة بنتِ أبي سفيانَ - رملة -، كانت تحتَ عبيدِ الله بنِ جحشٍ مات عنها بأرضِ الحبشةِ.

الخامسة: أمُّ سلمةَ هندُ بنتُ أبي أميةَ بن المغيرةِ المخزوميةُ، تزوَّجَها بعدَ وفاةِ أبي سلمةَ عبد الله بن عبدِ الأسدِ.

السادسة: ميمونةُ بنتُ الحارثِ خالةُ ابنِ عباسٍ، وكَّلَ النبيُّ ﷺ أبا رافعٍ في قبولِ نكاحِها وهي بمكةَ، ودخَلَ بها عامَ الفتحِ سنة ثمان بسرف وبه ماتت، وبدأ به ﷺ المرضُ في بيتِها، قال عطاء: وكانت آخرهن موتًا، ماتت بالمدينةِ.

السابعة: صفيةُ بنتُ حيي بن أخطب، مِن سبي بني النضير، من ولدِ هارونَ عليه السلام، اصطفاها ﷺ وأعتقَها وتزوَّجَها في سنةِ سبعٍ.

الثامنة: جويريةُ بنتُ الحارثِ، من بني المصطلق مِن خزاعةَ، سُبيتْ في غزوة المريسيع، وجعل ﷺ عتقَها صداقَها، فلما تسامعَ الناسُ أن رسولَ الله ﷺ تزوَّجَها

أرسلوا بما في أيدِيهم من السبيِ فأعتقوهم وقالوا: أصهارُ رسولِ الله ﷺ! فكانت أبركَ امرأةٍ على قومِها؛ عُتِقَ بسببها أكثرُ من مائةِ أهلِ بيتٍ من بني المصطلق.

التاسعة: **زينبُ بنتُ جحشٍ**، وكانت ابنةَ عمتِه؛ لأن أمَّها أميمةُ بنتُ عبدِ المطلب.

وأمَّا الثمان اللاتي فارقهنَّ في حياتِه، فمنهن: أسماءُ بنتُ النعمانِ الكنديةُ المستعيذةُ على أحدِ الأقوالِ(١).

٣٣- أزواجُه ﷺ أمهاتُ المؤمنين قال تعالى ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأزواجُه ﷺ أمهاتُ المؤمنين سواءٌ مَن مات تحتَه ومَن مات عنها وهي تحتَه، وذلك في تحريمِ نكاحِهن ووجوبِ احترامِهن وطاعتِهن.

ولا يثبتُ لهن حكمُ الأمومةِ في جوازِ الخلوةِ والمسافرةِ، ولا في النفقةِ والميراثِ، ولا يتعدَّى ذلك إلى غيرِهن، فلا يُقال: بناتُهن أخواتُ المؤمنين.

٣٤- تفضيلُ زوجاتِه على سائرِ النساء، وجَعْلِ ثوابهن وعقابهن مضاعفًا، قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ الآيتين [الأحزاب: ٣٠-٣١].

واختلفَ العلماءُ في مضاعفةِ العذابِ: فقيل: عذابٌ في الدنيا وعذابٌ في الآخرة، وغيرهن إذا عوقِبَ في الدنيا لم يعاقَب في الآخرة؛ لأن الحدودَ كفاراتٌ. وقيل: حَدَّان في الدنيا.

---

(١) الحاوي الكبير للماوردي ٩/ ٢٦-٢٧.

القسم الثاني

كراماتُه في غيرِ النكاح

٣٥- أنه خاتَمُ النبيين، ولا يعارضُه ما وردَ من نزولِ عيسى ﷺ آخرَ الزمانِ؛ فإنه لا يأتي بشريعةٍ ناسخةٍ بل مقررًا لها عاملًا بها.

٣٦- أن أُمتَه خيرُ الأمم(١)، معصومة لا تجتمعُ على ضلالٍ أبدًا.

٣٧- أن إجماعَها حجةٌ على الصحيحِ، وفي غيرها من الأمم خلافٌ.

٣٨- أن شريعتَه مؤبدةٌ وناسخةٌ لجميع الشرائع.

٣٩- أن كتابَهُ مُعجِزٌ بخلافِ سائر كتبِ الأنبياءِ، محفوظٌ عن التحريفِ والتبديلِ، وأقيمَ بعده حجةً على الناس، ومعجزاتُ سائرِ الأنبياء انقَرَضَت بانقراضِهم.

٤٠- أنه ﷺ قال: «**نُصِرتُ بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ**» كما ثبت في الصحيح(٢).

٤١- أن رسالتَهُ عامةٌ إلى الإنس والجنِّ، وكلُّ نبي بُعثَ إلى قومه خاصةً(٣).

وأما نوحٌ عليه السلام فصارت رسالتُه عامةً بعد الطوفان لانحصارِ الباقين فيمن كان معه في السفينةِ.

٤٢- جُعِلَت له ولأمَّتِه الأرضُ مسجدًا وطهورًا(٤).

---

(١) ويدل له قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥).

(٣) السابق، والشاهد فيه: « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

(٤) السابق، والشاهد فيه: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي... وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل».

٤٣- أُحِلَّت له ولأمَّتِه الغنائمُ، ولم تحلَّ لأحدٍ قبله(١)، بل كانوا يَجمعونها ثم تأتي نارٌ من السماءِ فتأكلَها كما جاء مبينًا في الصحيحِ من رواية أبي هريرة في حديثِ النبيِّ الذي غزا وحَبسَ الله تعالى له الشمسَ(٢).

٤٤- جُعلت أمتُه شهداءَ يوم القيامة على الأمم بتبليغِ الرسل إليهم رسالاتِهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣].

ومستندُهُم في الشهادةِ -وإن لم يَروا ذلك- إخبارُ الله تعالى لهم به في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٠٥﴾ [الشعراء:١٠٥]، ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾ [الشعراء: ١٤١]، ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي﴾ [سبأ: ٤٥] ونحوها من الآيات.

٤٥- أصحابُه ﷺ خيرُ الأمةِ، فكلٌّ منهم أفضلُ من كلِّ مَن بعدَهُ وإن رقي في العلمِ والعمل(٣).

وأفضلُهم عندَ أهلِ السنةِ الخلفاءُ الأربعةُ على ترتيبِهم في الخلافةِ، ثم بقيةُ العشرةِ، وفضَّل بعضُهم مَن مات في حياتِه على مَن بقي بعدَه.

٤٦- جُعلت صفوفُ أُمَّتِه كصفوفِ الملائكةِ(٤).

---

(١) السابق، والشاهد فيه: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي... وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٣) ودليله قوله ﷺ: «خير الناس قرني ...» أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) ودليله قوله ﷺ: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة...» أخرجه مسلم (٥٢٢).

٤٧- له ﷺ شفاعاتٌ:

أولاهن: الشفاعةُ العُظمى في الفصلِ بين أهلِ الموقف حين يَفزَعون إليه بعد الأنبياءِ، كما ثبت في الصحيح في حديث الشفاعةِ.

والثانية: في جماعةٍ يدخلون الجنةَ بغيرِ حسابٍ.

والثالثة: في ناسٍ استَحَقُّوا دخولَ النار.

والرابعة: في ناسٍ دخلُوا النارَ فيُخرَجون.

والخامسة: في رفعِ درجاتِ ناسٍ في الجنة.

والسادسة: وهي تخفيفُ العذابِ على من استحقَّ الخلودَ فيها، كما في حقِّ أبي طالبٍ في إخراجه من غمراتِ النار إلى ضَحْضَاحِها[(١)] [(٢)].

والسابعة: وهي الشفاعةُ لمن مات بالمدينةِ؛ لما روى الترمذي وصححه عن ابن عمرَ أن النبي ﷺ قال: «**من استطاعَ أن يموتَ بالمدينة فليَمُت بها؛ فإني أشفَعُ لمن مات بها**»[(٣)]، وفي صحيحِ مسلمٍ من حديث سعدِ بن أبي وقاصٍ رَفَعَهُ: «**لا يثبُت أحدٌ على لَأْوائِها[(٤)] وجَهدِها إلا كنتُ له شفيعًا أو شهيدًا يومَ القيامة**»[(٥)].

٤٨- أنه أولُ شافعٍ وأول مُشَفَّعٍ[(٦)]، أي: أول من تُجابُ شفاعتُه فقد يشفعُ اثنان ويجابُ الثاني قَبلَ الأول.

---

(١) (ضَحْضَاحِها): الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٣٠٩).
(٣) سنن الترمذي (٣٩١٧).
(٤) (لَأْوَائها) اللأواء: الشدة والجوع.
(٥) صحيح مسلم (١٣٦٣).
(٦) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

٤٩- أنه أولُ من تنشَقُّ عنه الأرض يوم القيامةِ[(١)].

٥٠- أنه أولُ من يَقرَعُ بابَ الجنة[(٢)].

٥١- أنه سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامة. كذا لفظ رواية مسلم من حديث أبي هريرة[(٣)]، وفي رواية له وللبخاريِّ: «أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامة»[(٤)].

وهو سيد ولد آدمَ مُطلقًا، والسيد: الذي يَفوقُ قومَه، وإنما خُصَّ يوم القيامة بذلك لظهورِ ذلك اليومِ لكلِّ أحدٍ من غير منازعة، كما في قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦] وإنما أَخبَرَ ﷺ بذلك لأمرين:

أحدهما: امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١].

والثاني: بأنه من البيانِ الذي عليه تبليغُه على أُمَّتِه ليَعرفوه ويعمَلوا بمقتضاه.

ويلزمُ من ذلك تفضيلُه على جميعِ الخلقِ؛ لأن مذهبَ أهل السنةِ أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضلُ من الملائكةِ.

٥٢- أنه أكثرُ الأنبياءِ أتباعًا.

٥٣- كان لا ينامُ قلبُه، وكذلك الأنبياءُ عليهم السلام، كما أخرجه البخاري في حديثِ الإسراءِ[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٤) صحيح البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٥) صحيح البخاري (٧٥١٧).

٥٤- يَرَى مِن وراءِ ظهرِه كما ينظرُ أمامَه[(١)].

٥٥- تطوُّعُه بالصلاةِ قاعدًا كتطوعِه قائمًا وإن لم يكن عذرٌ، وتطوُّعُ غيرِه على النصفِ، ففي صحيح مسلم من حديثِ عبدِ الله بنِ عمرو بن العاص قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ يصلي جالسًا، فقلتُ: حُدِّثتُ يا رسولَ الله أنك قلتَ: «**صلاةُ الرجلِ قاعدًا على نصفِ الصلاةِ**»، وأنت تصلي قاعدًا؟ قال: «**أجل، ولكني لستُ كأحدٍ منكم**»[(٢)].

٥٦- يخاطبه المصلي بقوله: «**السلامُ عليك أيها النبيُّ**»[(٣)] ولا يخاطبُ سائر الناس.

٥٧- لا يجوزُ لأحدٍ رفعُ صوته فوقَ صوته؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [الحجرات: ٢]، ولا أن ينادِيَه من وراءِ الحجرات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ الآية [الحجرات: ٤].

فإن قيل: قد ثبتَ في الصحيح أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استأذن على النبي ﷺ وعنده نسوةٌ من قريشٍ يكلِّمنَهُ عاليةً أصواتهُنَّ[(٤)].

فالجواب: يحتملُ أن يكون ذلك قبلَ النهي، ويحتملُ أن يكون علو الصوتِ كان بالهيئة الاجتماعيةِ لا بانفرادِ كلِّ واحدة منهن.

---

(١) ودليله قوله ﷺ: «هل ترون قبلتي ها هنا، فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري» أخرجه البخاري (٤١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧٣٥).

(٣) كما في حديث التشهد في الصلاة، أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦).

وكرِهَ بعضُهم رفعَ الصوتِ في مجالس العلماءِ؛ تشريفًا لهم؛ إذ هم ورثةُ الأنبياءِ عليهم الصلاة السلام.

٥٨- لا يجوزُ أن يناديَهُ باسمِه فيقول: يا محمدُ، يا أحمدُ. ولكن يقول: يا نبيَّ الله، يا رسولَ الله، أما ما جاء[(١)] من حديثِ أنسٍ أن رجلًا من أهل البادية جاء فقال: يا محمد[(٢)]، أتانا رسولك فزَعَمَ لنا أنك تزعُمُ أن الله أرسلَك ... الحديث[(٣)]، فلعله كان قبل النهيِ أو لم يبلُغهُ النهي.

٥٩- يجب على المصلي إذا دعاهُ ﷺ أن يُجيبَه؛ لقصةِ أبي سعيد بن المُعَلَّى في صحيح البخاري[(٤)].

٦٠- صحَّ عنه أنه ﷺ قال: «**تَسَمَّوا باسمي، ولا تكنَّوا بكنيتي**»، كما أخرجه البخاري ومسلم من روايةِ جماعةٍ من الصحابةِ[(٥)].

قال النووي: والأقربُ مذهبُ مالكٍ، وهو جوازُ التكني بأبي القاسم مطلقًا لمن اسمُه محمَّدٌ ولغيرِه، والنهيُ مختصٌّ بحياتِه ﷺ؛ لأن سببَ النهي أن اليهودَ تكنوا به وكانوا ينادون: يا أبا القاسم، فإذا التفتَ النبيُّ ﷺ قالوا: لم نعنك؛ إظهارًا للإيذاء، وقد زال ذلك المعنى[(٦)].

---

(١) جاء في المطبوع: «لما جاء». والمثبت ما يقتضيه السياق.

(٢) جاء في المطبوع: «يا رسول الله». والمثبت من صحيح مسلم (١٢/ ١٠)، وهو ما يقتضيه كلامه في المسألة.

(٣) أخرجه مسلم (١٢).

(٤) صحيح البخاري (٤٤٧٤). ولفظه: عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤].... الحديث».

(٥) أخرجه البخاري (٢١٢٠، ٣١١٤، ٣١١٥)، ومسلم (٢١٣١، ٢١٣٣، ٢١٣٤).

(٦) روضة الطالبين ٧/ ١٥-١٦، الأذكار للنووي (ص٢٩٥).

٦١- كانت الهديةُ له حلالًا بخلافِ غيرِه من الحكامِ وولاةِ الأمرِ من رعاياهم.

٦٢- أُعطِيَ ﷺ جوامعَ الكَلِم[(١)]، وأوتي الآياتِ الأربعَ من آخرِ سورة البقرةِ من كَنزٍ تحت العرش، لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قَبلَه ولا بعده[(٢)].

٦٣- فاتَتهُ ﷺ ركعتان بعد الظهرِ فقضاهما بعد العصرِ ثم داوَمَ عليهما بعده[(٣)].

٦٤- من رآه في المنامِ فقد رآهُ حقًّا؛ فإن الشيطانَ لا يتمثَّلُ في صورتِه كما صحَّ في الحديث[(٤)].

قال القاضي عياض: ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: ما إذا رآه على صفتِه المعروفةِ له في حياتِه، فإن رآه على خلافِها كانت رؤيا تأويلٍ لا رؤيا حقيقةٍ[(٥)].

٦٥- أن الأرضَ لا تأكلُ لحومَ الأنبياءِ؛ للحديث الصحيح في ذلك[(٦)].

٦٦- أن الكذبَ عليه ﷺ عمدًا من الكبائرِ؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن كذبًا عليَّ ليس ككذِبٍ على أحدٍ**»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

(٢) أخرجه أحمد ٣٥/ ٤٤٦ (٢١٥٦٤) عن أبي ذر، وفي ٣٨/ ٢٨٧ (٢٣٢٥١) عن حذيفة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٠، ٥٩١، وأخر)، ومسلم (٨٣٥)، ولفظه: عن عائشة قالت: كان يصليهما قبل العصر، ثم إنه شغل عنهما، أو نسيهما فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتهما، وكان إذا صلى صلاة أثبتها» .

(٤) أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦).

(٥) إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٧/ ٢١٩.

(٦) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، ابن ماجه (١٠٨٥).

(٧) أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٤).

ولا يَكفُر فاعله على الصحيحِ، وهو قولُ الجمهورِ.

٦٧- يَبْلُغُه ﷺ سلامُ الناسِ عليه بعد موتِه، ويشهدُ لجميع النبيين بالأداءِ يومَ القيامةِ[١].

هذا آخرُ ما تيسَّرَ جمعُه بحمدِ الله ومنِّه، وأنا ساعٍ في الزيادةِ عليه أعاننا الله على ذلك، فخصائصُه في الحقيقةِ لا تُحصى، ومآثرُه أكثرُ من أن يُجاءَ بها فتُستقصَى.

(١) ودليله قوله ﷺ: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله علي روحي حتى أردَّ عليه السلامَ»، أخرجه أبو داود (٢٠٤١).

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

③ موســــوعة محمـــــد رســــول الله ﷺ
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر شمائل النبي ﷺ

للإمام الحافظ الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت ٢٧٩هـ)

اختصره
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

في علم الشمائل النبوية

تعريفه:

هو علمٌ يختصُّ بذكرِ صفاتِ النبيِّ ﷺ الخَلقيةِ والخُلقيةِ وما يتصلُ بهما مِن أحوالِ النبيِّ ﷺ.

أهميته:

يمتازُ علمُ الشمائلِ النبويةِ بجمعِه ما تفرَّق مِن شمائلِ النبيِّ ﷺ، كذلك قصرُه لمباحثِه على ذاتِ النبيِّ ﷺ، ودورانُ مسائلِه حولَه ﷺ فقط، دونَ أن يختلطَ بذلك شيءٌ مِن وقائعِ سيرتِه أو سيرةِ صحابتِه مثلًا.

ثمراته:

ومن ثمراتِ معرفةِ هذا العلمِ: الاقتداءُ بشمائلِه الشريفةِ، والتأسِّي به ﷺ في هديِه، سواءٌ في عباداتِه أو معاملاتِه أو أخلاقِه، والاقتداءُ بمنهجِه العمليِّ في الدعوةِ إلى الله تعالى بحسنِ الخلقِ.

يقول ابنُ القيم (ت٧٥١هـ): «وإذا كانَتْ سعادةُ العبدِ في الدارين معلقةً بهدي النبيِّ ﷺ فيجبُ على كلِّ مَن نصَحَ نفسَه وأحبَّ نجاتَها وسعادتَها أن يعرفَ من هديِه وسيرتِه وشأنِه ما يخرجُ به عن الجاهلين به، ويدخلُ به في عدادِ أتباعِه وشيعتِه وحزبِه، والناسُ في هذا بين مستقلٍّ ومستكثرٍ ومحرومٍ، والفضلُ بيدِ الله يُؤتيه مَن يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيمِ»(١).

---

(١) مختصر زاد المعاد لابن القيم بهذه الموسوعة، المجلد الرابع (ص١٩).

ترجمة الإمام الترمذي (ت ٢٧٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو محمدُ بنُ عيسى بنِ سورةَ بنِ موسى بنِ الضحاكِ، الحافظُ، العَلَمُ، الإمامُ، البارعُ، أبو عيسى السلميُّ الترمذيُّ.

تاريخ مولده:

لم يبيِّن المؤرِّخون سنةَ مولدِه على التحديدِ، وإنما أرَّخوها بالعقدِ الأولِ مِن القرنِ الثالثِ؛ فقال الذهبيُّ: وُلِدَ في حدود سنة عشر ومئتين[(١)].

نشأته العلمية:

طلبَ الترمذيُّ العلمَ مِن الشيوخ في بلدتِه وشيوخ خراسان، كإسحاقَ بن راهوَيْه، ومحمدِ بنِ عمرِو السوَّاق، ثم ارتحَلَ إلى العراقِ والحجازِ وسَمِعَ مِن علمائِهم، وغيرِهما مِن البلدان، ولم يرحَلْ إلى مصرَ والشام، وقد أضرَّ في كبرِه، بعدَ رحلتِه وكتابتِه العلمَ.

وقد استغرَقَ في رحلتِه الوقتَ الكثيرَ يتلقَّى عن العلماءِ، فجمَعَ وصنَّفَ وأجادَ وأفاد رحمه الله تعالى.

قال ابنُ حبان: كان أبو عيسى ممَّن جمَعَ وصنَّفَ وحَفِظَ وذاكَرَ[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٢٧١).

(٢) الثقات لابن حبان (٩/ ١٥٣).

وقال الحاكم: سمعتُ عمرَ بن علك يقول: مات البخاريُّ فلم يخلف بخراسانَ مثلَ أبي عيسَى في العلمِ والحفظِ، والورعِ والزهدِ، بكى حتى عمي، وبقي ضريرًا سنين[(١)].

مصنفاته:

اشتهرَتْ مصنفاتُ الإمامِ الترمذيِّ، والتي تدلُّ على إمامتِه وجلالتِه في علومِ الحديثِ خاصةً، ومن هذه المصنفات: الجامع المعروف بسنن الترمذي، والشمائل المحمدية، والعلل الصغير، والعلل الكبير أو المفرد، وتسمية أصحاب رسول الله ﷺ، وغيرها.

وفاته:

تُوفِّي أبو عيسى الترمذي في ١٣ رجب، سنة (٢٧٩هـ)، فرحمه الله تعالى[(٢)].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٣)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٦٣٤)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٩/ ٣٨٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٢٧٠).

التعريف بكتاب شمائل النبي ﷺ للترمذي (ت ٢٧٩هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ الشمائلِ للترمذيِّ (ت٢٧٩هـ) مِن أوائلِ ما صُنِّفَ في شمائلِ النبيِّ ﷺ، يزيدُه أهميةً كونُه روايةً محضةً على طريقةِ أهلِ الحديثِ في التصنيفِ؛ فأوجَزَ في غيرِ إخلالٍ، وأتى على المقصودِ بأقصر عبارةٍ.

وعلى الرغم مِن قلةِ تعليقِه على الأحاديثِ في الشمائلِ مقارنةً بجامعِه، إلا أنه لا يخلو مِن بيانِ غريبٍ، أو حكمٍ على حديثٍ، أو كلامٍ في راوٍ، إلى غيرِ ذلك من الفوائدِ التي عُرِفَ بها الترمذيُّ في تعليقاتِه على كتبِه الحديثيةِ.

ترتيبه:

تميَّزَ كتابُ الشمائلِ بحسنِ ترتيبِه وتبويبِه، فقد قُسِّمَ إلى ستة وخمسين بابًا، وبلَغَ إجمالي أحاديثِه (٤١٥) حديثًا، ولكلِّ بابٍ ترجمةٌ تفي بمقصودِه وتحيطُ بأحاديثِه.

ثناء العلماء عليه:

تلقَّى علماءُ الأمةِ كتابَ الشمائل بالقبولِ والثناءِ، حتى جعلوه إمامًا في هذا البابِ.

قال ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ): «قد صنَّفَ الناسُ في هذا قديمًا وحديثًا كتبًا كثيرةً، مفردةً وغيرَ مفردةٍ، ومِن أحسنِ مَن جمَعَ في ذلك فأجادَ وأفادَ الإمامُ أبو

عيسى الترمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أفرَدَ في هذا المعنى كتابَه المشهورَ بـ«الشمائل»، ولنا به سماعٌ متصلٌ إليه»[(١)].

وقال المناوي (ت١٠٣١هـ): «فإن كتابَ الشمائلِ في علم الروايةِ وعلم الدرايةِ للإمام الترمذيِّ كتابٌ وحيدٌ في بابِه، فريدٌ في ترتيبِه واستيعابِه، لم يأتِ له أحدٌ بمماثلٍ ولا بمشابهٍ، سلَكَ فيه منهاجًا بديعًا، ورصَّعَه بعيونِ الأخبارِ وفنونِ الآثارِ ترصيعًا، حتى عُدَّ ذلك الكتابُ مِن المواهبِ وطار في المشارقِ والمغاربِ»[(٢)].

وقال الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ): «ومِن أحسنِ ما صُنِّفَ في شمائلِه وأخلاقِه ﷺ كتابُ الترمذيِّ «المختصر الجامع» في سيرِه على الوجهِ الأتمِّ، بحيث إن مطالعَ هذا الكتابِ كأنه يُطالعُ طلعةَ ذلك الجنابِ ويرى محاسنَه الشريفةَ في كلِّ بابٍ»[(٣)].

كما احتفَى العلماءُ والمصنِّفون بكتابِ الشمائل للترمذيِّ أيَّما حفاوةٍ، وتنوعَّتْ حركةُ النشاطِ العلميِّ التي أثارَها هذا الكتابُ، فمن شرحٍ واختصارٍ وتعليقٍ وتحشيةٍ، إلى نظمٍ وترجمةٍ وتهذيبٍ وأحوالِ رواةٍ:

فمِن أهمِّ شروحِه:

١- أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ).

٢- جمع الوسائل في شرح الشمائل، للملا علي القاري (١٠١٤هـ).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٣٨٥).

(٢) شرحه على الشمائل بهامش جمع الوسائل (ص١).

(٣) جمع الوسائل للملا علي القاري (١/ ٢).

ومِن أشهرِ مختصراتِه:

- مختصر الشمائل المحمدية، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ).

ومن منظوماتِه:

١- عذبة المناهل نظم الشمائل المحمدية ، لشرف الدين بن المهلل (ت قبل ١٠٠٧هـ).

٢- نظم الشمائل المحمدية والسيرة المصطفوية، لعبد الحفيظ بن الحسن العلوي (ت١٣٥٦هـ).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصرِ على طبعةِ (دار الغرب الإسلامي)، تحقيق ماهر ياسين الفحل، سنة ٢٠٠٠م، وقد جمَعَ ثماني نسخ خطية، محفوظة بمكتبة الأوقاف ببغداد، كما قابَلَ طبعتَه على جامعِ الترمذيِّ، والأسانيدَ على تحفةِ الأشراف، وبعضِ الطبعاتِ الأخرى.

❸ موســـوعة محمـــــد رســـول الله ﷺ

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر شمائل النبي ﷺ

للإمام الحافظ الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت ٢٧٩هـ)

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية – جامعة الملك سعود

باب ما جاء في خَلقِ رسول الله ﷺ

١- عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ ليس بالطويل البائنِ[(١)]، ولا بالقصير، ولا بالأبيضِ الأمهقِ[(٢)]، ولا بالآدَمِ[(٣)]، ولا بالجَعدِ القَطَط ولا بالسَّبطِ[(٤)]، بعثه الله تعالى على رأس أربعينَ سنةً، فأقام بمكةَ عشر سنين، وبالمدينة عشرَ سنين، وتوفاه الله على رأسِ ستين سنةً، وليس في رأسِه ولحيتِه عشرون شعرةً بيضاءَ[(٥)].

٢- عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ رَبْعةً[(٦)]، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ، حسنَ الجسم، وكان شعرُه ليس بجَعدٍ ولا سَبطٍ، إذا مشى يَتَكَفَّأُ[(٧)(٨)].

---

(١) أي: المفرط في الطول مع اضطراب القامة.

(٢) (الأمهق): هو الكريه البياض كلون الجص، يريد أنه كان نير البياض.

(٣) (الآدَم): الأسمر.

(٤) الجعودة في الشعر هي: شدة التوائه بأن لا يتكسر ولا يسترسل، والسبوطة ضده، والقطط: الشديد الجعودة، فكأنه أراد أنه وسط بينهما.

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٦) (رَبْعَة) أي: مربوعا، أي: ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير.

(٧) أي: تمايل إلى قدام، كأنه من قوته يمشي على صدفة قدميه.

(٨) أخرجه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

٣- عن البراء بن عازب قال: ما رأيت من ذي لِـمَّةٍ[١] في حُلَّةٍ[٢] حمراءَ أحسنَ من رسول الله، له شَعْرٌ يَضرب مَنْكِبَيْهِ، بعيدُ ما بين المَنْكِبَيْن، لم يكن بالقصير ولا بالطويل[٣].

٤- عن جابرِ بن سَمُرَةَ يقول: كان رسول الله ﷺ ضَلِيعَ الفم[٤]، أَشْكَلَ العين[٥]، مَنْهُوسَ العَقِبِ[٦][٧].

٥- عن جابرِ بن عبدِ الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**عُرِضَ عليَّ الأنبياءُ، فإذا موسى عليه السلام ضَرْبٌ من الرِّجالِ، كأنه من رجال شَنُوءَةَ، ورأيت عيسى ابنَ مريمَ عليه السلام، فإذا أقربُ من رأيتُ به شبهًا عروةُ بنُ مسعودٍ، ورأيت إبراهيمَ عليه السلام، فإذا أقربُ من رأيت به شبهًا صاحِبُكُمْ** -يعني: نفسَهُ- **ورأيت جبريلَ عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهًا دِحْيَةُ**»[٨].

---

(١) (لِـمَّة) اللمة من شعر الرأس بين الوفرة والجمة، والوفرة: ما وصل إلى شحمة الأذن، والجمة: ما سقط على المنكبين، وسميت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين.

(٢) (حُلَّة) هي ثوبان غير لفقين، رداء وإزار.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٤) (ضَلِيع الفم) أي: عظيمه أو واسعه، والعرب تتمدح بعظمه وتذم صغره، وقيل: هذا كناية عن قوة فصاحته، وكونه يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه؛ لدلالته على قوة الفصاحة.

(٥) (أَشْكَل) الشكلة: الحمرة تكون في بياض العين، وهو محمود محبوب.

(٦) (مَنْهُوس العَقِب): قليل لحم العقب، والعقب: مؤخر القدم.

(٧) أخرجه مسلم (٢٣٣٩).

(٨) أخرجه مسلم (١٦٧).

(٢) باب ما جاءَ في خاتَمِ النبوةِ

٦- عن السائبِ بن يزيدَ يقول: ذهبَتْ بي خالتي إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إن ابن أختي وجِعٌ. فمسح رأسي ودعا لي بالبركةِ، وتوضَّأَ، فشرِبْتُ من وضوئِه، وقمت خلفَ ظهرِه، فنظرت إلى الخاتم بين كَتِفيه، فإذا هو مِثلُ زِرِّ الحَجَلَةِ[(١)][(٢)].

٧- عن أبي زيدٍ عمرِو بن أخطبَ الأنصاريِّ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا زيدٍ، ادْنُ مِنِّي فامسح ظهري**»، فمسحتُ ظهره، فوقعتْ أصابعي على الخاتَم.

قلت: وما الخاتَمُ؟ قال: شعَراتٌ مجتمِعات[(٣)].

٨- قال أبو سعيدٍ الخدريُّ عن خاتَم رسولِ الله ﷺ -يعني: خاتَم النبوة-: كان في ظهرِه بَضْعَةٌ ناشِزةٌ[(٤)][(٥)].

٩- عن عبدِ الله بن سَرْجِسَ قال: أتَيت رسولَ الله ﷺ وهو في ناسٍ من أصحابِه، فدُرْت هكذا من خلفِه، فعرف الذي أريدُ، فألقى الرِّدَاءَ عن ظهره،

---

(١) (زِرّ الحَجَلَة) مأخوذ من ارتز الشيء إذا دخل في الأرض، ومنه الرزة، والمراد بها هنا البيضة، وعلى هذا فالمراد بالحجلة الطير المعروف.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٥).

(٣) أخرجه أحمد ٣٧/ ٥٢٦ (٢٢٨٨٩).

(٤) (بَضْعَة): قطعة من اللحم، (ناشزة) أي: قطعة لحم مرتفعة على جسده.

(٥) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ٨٥ (١٧٧٤).

فرأيتُ موضعَ الخاتَم على كتِفيه مثل الجُمْعِ[(١)] حولَها خِيلانٌ[(٢)] كأنها ثَآليلُ[(٣)]، فرجَعت حتى استقبلْتُه، فقلتُ: غفر الله لك يا رسولَ الله، فقال: «**وَلَكَ**» فقال القومُ: أستَغفَرَ لك رسولُ الله ﷺ؟ فقال: نعم، ولكم، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩][(٤)].

(٣) باب ما جاء في شَعْر رسولِ الله ﷺ

١٠- عن قتادةَ قال: قلتُ لأنس: كيف كان شَعْر رسولِ الله ﷺ؟ قال: لم يكن بالجَعد ولا بالسَّبْط، كان يبلغ شعرُه شحمةَ أذنيه[(٥)].

١١- عن ابن عباس: أن رسولَ الله ﷺ كان يَسْدِلُ شعرَه[(٦)]، وكان المشركون يفْرِقُون رءوسَهم، وكان أهلُ الكتاب يَسْدِلون رءوسَهم، وكان يحب موافقةَ أهلِ الكتاب فيما لم يُؤْمَرْ فيه بشيء، ثم فَرَقَ رسول الله ﷺ رأسَه[(٧)].

---

(١) (مثل الجُمْع) أي: مثل جمع الكف، وهو حين تَقْبِضُها.

(٢) (خِيلَان) جمع خال، وهو الشامة على الجسد.

(٣) «(ثآلِيل) جمع ثُؤْلُول، حيث يعلو ظاهر الجسد، واحده كالحمصة فما دونها.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٤٦).

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٦) (يَسْدِلُ شعرَه) أي: يترك شعر ناصيته على جبهته، واتخاذه كالقصة.

(٧) أخرجه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦).

(٤) باب ما جاء في تَرَجُّلِ رسولِ الله ﷺ

١٢- عن عائشةَ، قالت: كنت أُرَجِّلُ[١] رأسَ رسولِ الله ﷺ وأنا حائضٌ[٢].

١٣- عن عائشة قالت: إنْ كان رسولُ الله ﷺ ليحب التيَمُّنَ في طُهورِه إذا تطهَّر، وفي ترجُّله إذا ترجَّل، وفي انتعالِه إذا انتعلَ[٣].

(٥) باب ما جاء في شَيْبِ رسولِ الله ﷺ

١٤- عن قتادةَ قال: قلتُ لأنسِ بن مالكٍ: هل خَضَب رسولُ الله ﷺ؟ قال: لم يبلُغ ذلك، إنما كان شيبًا في صُدْغَيه[٤]، ولكنْ أبو بكر خضَب بالحِنَّاء والكَتَمِ[٥].

١٥- عن أنس قال: ما عددْتُ في رأسِ رسولِ الله ﷺ ولحيتِه إلا أرْبعَ عشْرةَ شعْرةً بيضاء[٦].

---

(١) (أُرَجِّل) أي: أسرح شعره.
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥)، ومسلم (٢٩٧).
(٣) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).
(٤) (الصُّدْغ): ما بين الأذن والعين، ويقال أيضا: الشعر المتدلي من الرأس في ذلك المكان.
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٥٠)، ومسلم (٢٣٤١).
(٦) أخرجه أحمد ٢٠/ ١١٩ (١٢٦٩٠).

١٦- عن سِمَاكِ بن حَرْبٍ قال: سمعت جابرَ بنَ سَمُرَةَ، وقد سُئِل عن شَيب رسولِ الله ﷺ، فقال: كان إذا دهن رأسَه لم يُرَ منه شيبٌ، وإذا لم يَدْهِن رُئِيَ منه[(١)].

(٦) بابُ ما جاء في خِضَاب رسولِ الله ﷺ

١٧- عن أبي رِمْثَةَ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ مع ابنٍ لي، فقال: «**ابنُكَ هذا؟**» فقلت: نعم، اشهدْ به. قال: «**لا يجني عليك، ولا تجني عليه**». قال: ورأيتُ الشَّيْبَ أحْمَرَ[(٢)].

(٧) باب ما جاءَ في كُحلِ رسولِ الله ﷺ

١٨- عن ابن عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن خيرَ أكحالكم الإِثْمِدَ، يَجْلُو البصرَ**[(٣)]**، ويُنبِتُ الشَّعر**[(٤)]»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

قال ابن حجر الهيتمي: «وإنما لم يتبين عند الادهان؛ لأن الشعر يجتمع فيه، فيخفي البياض لقلته في السواد، بخلافه عند الادهان، فإن الشعر حينئذ يتفرق، فيظهر الأبيض من غيره» أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل (ص١٠٤).

(٢) أخرجه أحمد ٢٩/ ٣٩ (١٧٤٩١).

قال ابن حجر الهيتمي: «(اشهد به) أي: كن شاهدا عليه يا رسول الله، إما لأن أحدا كان يشك في ذلك، أو لبيان أنه مستلزم لجنايته على ما اعتاده أهل الجاهلية من مؤاخذة الوالد ولده بجناية الآخر، ومن ثم رد عليه النبي ﷺ بقوله: (لا يجني عليك...) إلى آخره، أي: لا تؤاخذ بذنبه، ولا يؤاخذ بذنبك» أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل (ص١٠٩، ١١٠).

(٣) (يَجْلُو البصرَ) أي: يزيد في نور البصر.

(٤) (يُنبِتُ الشعرَ) أي: ينبت منه أهداب العين.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والنسائي (٥١١٣)، وابن ماجه (٣٤٩٧).

(٨) باب ما جاء في لباسِ رسولِ الله ﷺ

١٩- عن أم سلمةَ، قالت: كان أحبُّ الثيابِ إلى رسولِ الله ﷺ القميصَ[(١)][(٢)].

٢٠- عن أنسِ بن مالكٍ، أن النبي ﷺ خرجَ وهو يتكئ على أسامةَ بن زيدٍ عليه ثوب قِطْرِيٌّ[(٣)] قد توشَّح به، فصلى بهم[(٤)].

٢١- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا اسْتَجَدَّ ثوبا سماه باسمِه: عمامةً أو قميصًا أو رداءً، ثم يقول: «**اللهم لك الحمدُ كما كَسَوتَنيه، أسألك خيرَه وخيرَ ما صُنِع له، وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنِع له**»[(٥)].

٢٢- عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان أحبُّ الثيابِ إلى رسول الله ﷺ يلبسه الحِبَرَةَ[(٦)][(٧)].

٢٣- عن أبي جُحَيْفَة قال: رأيتُ النبي ﷺ وعليه حُلَّةٌ حمراءُ كأني أنظرُ إلى بَريقِ ساقَيه. قال سفيان: أُراها حِبَرَة[(٨)].

---

(١) (القَمِيص): ثوب مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب، ولا يكون إلا من القطن.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٥).

(٣) (قِطْرِيٌّ): نوع من البرودِ فيه حمرة، ولها أعلام، وفيها بعض الخشونة.

(٤) أخرجه أحمد ٢١/ ٢٩٣ (١٣٧٦٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠).

(٦) (الحِبَرَة): ما كان من ثياب اليمن موشيا مخططا بخطوط حمر.

(٧) أخرجه البخاري (٥٨١٣)، ومسلم (٢٠٧٩).

(٨) أخرجه البخاري (٣٧٦)، ومسلم (٥٠٣).

٢٤- عن البراءِ بن عازبٍ قال: ما رأيت أحدًا من الناس أحسنَ في حُلة حمراءَ من رسول الله ﷺ، إن كانت جُمَّتُه لتضربُ قريبًا من مَنْكِبيه[(١)].

٢٥- عن أبي رِمْثَة قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وعليه بُرْدان أخضران[(٢)].

٢٦- عن ابنِ عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**عليكم بالبياضِ من الثيابِ؛ ليَلْبَسْها أحياؤكم، وكَفِّنوا فيها موتاكم؛ فإنها مِن خيرِ ثيابِكم**»[(٣)].

٢٧- عن عائشةَ، قالت: خرَجَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ وعليه مِرْطٌ[(٤)] من شعرٍ أسودَ[(٥)].

٢٨- عن المغيرةِ بنِ شعبةَ: أن النبيَّ ﷺ لِبسَ جبَّةً روميَّةً ضيقةَ الكمَّينِ[(٦)].

(٩) باب ما جاءَ في عيشِ رسولِ الله ﷺ

٢٩- عن محمدِ بن سيرينَ قال: كنا عند أبي هريرةَ، وعليه ثوبانِ مُـمَشَّقانِ[(٧)] من كَتَّانٍ فتمخَّط في أحدهما، فقال: بَخٍ بَخٍ؛ يتمخَّط أبو هريرة في الكَتَّان، لقد رأيتُني وإني لأخِرُّ فيما بين منبرِ رسولِ الله ﷺ وحجرةِ عائشةَ مغشيًّا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٠١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٦٥)، والنسائي (١٥٧٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤)، وابن ماجه (٣٥٦٦).

(٤) المِرْط: كساء من صوف أوكتان ونحوه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٨١).

(٦) أخرجه الترمذي (١٧٦٨)، والنسائي (١٢٥)، وابن ماجه (٣٥٦٣).

(٧) (مـُمَشَّقان) أي: مصبوغان بالمشق وهو الطين الأحمر.

عليَّ فيجيءُ الجائي فيضعُ رجله على عنقي يرى أنَّ بي جنونًا، وما بي جنونٌ، وما هو إلا الجوع[(١)].

(١٠) باب ما جاء في خُفِّ رسول الله ﷺ

٣٠- عن المغيرةِ بنِ شعبةَ قال: أهدَى دحيةُ للنبيِّ ﷺ خفَّينِ فلبسَهما[(٢)].

(١١) باب ما جاء في نعلِ رسولِ الله ﷺ

٣١- عن قتادةَ قال: قلتُ لأنسِ بن مالكٍ: كيف كان نعلُ رسولِ الله ﷺ؟ قال: لهما قِبَالان[(٣)(٤)].

٣٢- عن عبيدِ بن جريجٍ، أنه قال لابن عمرَ: رأيتك تَلبَس النِّعالَ السِّبْتِيَّةَ[(٥)]، قال: إني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يلبس النعالَ التي ليس فيها شَعرٌ، ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسَها[(٦)].

٣٣- عن عمرِو بنِ حُريث قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُصلِّي في نعلَينِ مخصوفتَينِ[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٤).
(٢) أخرجه الترمذي (١٧٦٩).
(٣) (قِبَالان): مثنى قبال وهو السير الذي يعقد فيه الشسع الذي يكون بين إصبعي الرجل الوسطى والتي تليها.
(٤) أخرجه البخاري (٥٨٥٧).
(٥) (السِّبْتِيَّة): كل جلد مدبوغ أو غير مدبوغ، أو جلود البقر إذا دبغت.
(٦) أخرجه البخاري (١٦٦)، ومسلم (١١٨٧).
(٧) أخرجه أحمد ٣١/ ٣٤ (١٨٧٣٦).

٣٤- عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يمشينَّ أحدُكم في نعلٍ واحدة، ليُنعلهُما جميعًا أو ليُحْفِهِما جميعًا**»[(١)].

٣٥- عن أبي هريرةَ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا انتعلَ أحدُكم فليبدأ باليمين، وإذا نَزعَ فليبدأ بالشمالِ، فلتكن اليمينُ أولهما تُنعَل وآخرهما تُنزَع**»[(٢)].

(١٢) بابُ ما جاء في ذِكرِ خاتمِ رسولِ الله ﷺ

٣٦- عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان خاتمُ النبيِّ ﷺ من وَرِقٍ[(٣)]، وكان فَصُّه حبشيًّا[(٤)].

٣٧- عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان خاتَم النبي ﷺ من فضة فُصهُ منه[(٥)].

٣٨- عن أنسِ بن مالكٍ قال: لما أرادَ رسولُ الله ﷺ أن يكتب إلى العَجَم قيل له: إن العجمَ لا يقبلون إلا كتابًا عليه خاتَم، فاصطنعَ خاتمًا، فكأني أنظر إلى بياضِه في كفِّه[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦)، ومسلم (٢٠٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧).

(٣) (مِن وَرِقٍ): من فضة.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٩٤).

(٥) أخرجه البخاري (٥٨٧٠).

قال ابن حجر في الفتح: لا يعارضه ما روي عن أنس كان خاتم النبي ﷺ من ورق وكان فصه حبشيا؛ لأنه إما أن يحمل على التعدد، وحينئذ فمعنى قوله حبشي أي كان حجرًا من بلاد الحبشة، أو على لون الحبشة، أو كان جزعا أو عقيقا؛ لأن ذلك قد يؤتى به من بلاد الحبشة، ويحتمل أن يكون هو الذي فصه منه ونسب إلى الحبشة لصفة فيه: إما الصياغة، وإما النقش.

(٦) أخرجه البخاري (٦٥)، ومسلم (٢٠٩٢).

٣٩- عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان نقشُ خاتمِ رسولِ الله ﷺ: محمدٌ سطر، ورسول سطرٌ، والله سطر[(١)].

٤٠- عن ابنِ عمرَ قال: اتخَذَ رسولُ الله ﷺ خاتمًا من وَرِقٍ، فكان في يدِه، ثم كان في يدِ أبي بكرٍ ويدِ عمرَ، ثم كان في يدِ عثمانَ حتى وقَعَ في بئرِ أريس، نقشُه: محمدٌ رسولُ الله[(٢)].

(١٣) باب ما جاء في أن النبيَّ ﷺ كان يتختَّمُ في يمينه

٤١- عن علي بن أبي طالب: أن النبي ﷺ كان يلْبَسُ خاتَمه في يمينِه[(٣)].

٤٢- عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: اتخَذَ النبيُّ ﷺ خاتمًا من ذهبٍ، فاتخَذَ الناسُ خواتيمَ مِن ذهبٍ، فطرَحَه رسولُ الله ﷺ، وقال: «**لا ألبسُه أبدًا**»، فطرَحَ الناسُ خواتيمَهم[(٤)].

(١٤) باب ما جاء في صفةِ سيفِ رسولِ الله ﷺ

٤٣- عن أنسٍ قال: كانت قَبِيعَةُ[(٥)] سيفِ رسولِ الله ﷺ من فضةٍ[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٢٦)، والنسائي (٥٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٩٨).

(٥) (قَبِيْعَة سيفه): ما على طرف مقبضه.

(٦) أخرجه أبو داود (٢٥٨٣)، والنسائي (٥٣٧٤).

(١٥) باب ما جاءَ في صفةِ درعِ رسولِ الله ﷺ

٤٤- عن السَّائب بن يزيدَ، أن رسولَ الله ﷺ كان عليه يومَ أحدٍ دِرعان، قد ظاهر بينهما[(١)][(٢)].

(١٦) باب ما جاء في صفة مِغْفَر رسول الله ﷺ

٤٥- عن أنسِ بن مالكٍ: أن النبي ﷺ دخلَ مكة وعليه مِغْفَر[(٣)]، فقيلَ له: هذا ابنُ خَطَلٍ متعلق بأستار الكعبة، فقال: «**اقتلوه**»[(٤)].

(١٧) باب ما جاءَ في عمامةِ رسولِ الله ﷺ

٤٦- عن جابرٍ قال: دخل النبي ﷺ مكةَ يوم الفتح وعليه عمامةٌ سوداء[(٥)].

٤٧- عن عمرو بن حُرَيْث قال: رأيت النبي ﷺ يخطبُ على المنبر وعليه عِمامةٌ سوداءُ[(٦)].

---

(١) (ظَاهَرَ بينهما) أي: جمع بينهما.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٨٠٦)، وأحمد ٢٤/ ٤٩٩ (١٥٧٢٢).

(٣) (مِغْفَر): زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧).

(٥) أخرجه مسلم (١٣٥٨).

(٦) أخرجه مسلم (١٣٥٩).

(١٨) باب ما جاء في صفةِ إزارِ رسولِ الله ﷺ

٤٨- عن أبي بُردةَ قال: أخرجَتْ إلينا عائشةُ كساءً مُلَبَّدًا[(١)] وإزارًا غليظًا، فقالت: قُبِضَ رُوح رسول الله ﷺ في هذين[(٢)].

٤٩- عن حذيفةَ بن اليمانِ قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ بعضلة ساقي أو ساقِه فقال: «**هذا موضِعُ الإزار، فإن أبيتَ فأسفلُ، فإن أبيتَ فلا حقَّ للإزار في الكعبين**»[(٣)].

(١٩) باب ما جاء في مِشيةِ رسولِ الله ﷺ

٥٠- عن أبي هريرةَ قال: ولا رأيتُ شيئًا أحسنَ من رسولِ الله ﷺ، كأن الشمسَ تجري في وجهِه، ولا رأيت أحدًا أسرعَ في مِشيتِه من رسولِ الله ﷺ، كأنما الأرضُ تُطوى له، إنا لنُجهد أنفسَنا وإنه لغير مكترث[(٤)].

٥١- عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا مشَى تكفَّأَ تكفُّؤًا كأنما ينحطُّ من صببٍ»[(٥)].

---

(١) (مُلَبَّدًا) أي: مرقعا، وقيل: هو ما ثخن وسطه حتى صار يشبه اللبد.
(٢) أخرجه البخاري (٣١٠٨)، ومسلم (٢٠٨٠).
(٣) أخرجه النسائي (٥٣٢٩)، وابن ماجه (٣٥٧٢).
(٤) أخرجه أحمد ١٤/ ٢٥٨ (٨٦٠٤).
(٥) أخرجه الترمذي (٣٦٣٧).

(٢٠) باب ما جاء في جِلسةِ رسولِ الله ﷺ

٥٢- عن عَبَّادِ بن تميمٍ، عن عمه [عبد الله بن زيد الأنصاري]، أنه رأى النبي ﷺ مستلقيًا في المسجد واضعًا إحدى رجليه على الأخرى(١).

(٢١) باب ما جاء في تُكَأةِ رسولِ الله ﷺ

٥٣- عن جابرِ بن سَمُرة قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ متَّكئًا على وسادة على يساره(٢).

٥٤- عن أبي بكرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا أحدثُكم بأكبرِ الكبائر؟**» قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: «**الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين**». قال: وجلسَ رسول الله ﷺ وكان متكئًا قال: «**وشهادةُ الزور**» أو «**قول الزور**» قال: فما زالَ رسولُ الله ﷺ يقولها حتى قلنا: ليتَه سكت(٣).

٥٥- عن أبي جُحَيفة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أمَّا أنا فلا آكلُ متكئًا**»(٤).

(٢٢) باب ما جاء في اتكاءِ رسولِ الله ﷺ

٥٦- عن أنس: أن النبيَّ ﷺ كان شاكيًا فخرج يتوكأُ على أسامةَ بن زيدٍ وعليه ثوب قِطْرِيٌّ قد توشحَ به فصلى بهم(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٧)، ومسلم (٢١٠٠).
(٢) أخرجه أبو داود (٤١٤٣).
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).
(٤) أخرجه البخاري (٥٣٩٨).
(٥) أخرجه أحمد ٢١/ ٢٩٢ (١٣٧٦١).

(٢٣) باب ما جاءَ في صفةِ أكل رسولِ الله ﷺ

٥٧- عن كعبِ بن مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يأكلُ بأصابعه الثلاثِ ويلْعَقُهُن[(١)].

٥٨- عن أنسِ بن مالكٍ قال: أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بتَمْرٍ فرأيتُه يأكل وهو مُقْعٍ[(٢)] من الجوعِ[(٣)].

(٢٤) باب ما جاء في صفةِ خبزِ رسولِ الله ﷺ

٥٩- عن ابنِ عباسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يبيتُ الليالي المتتابعةَ طاويًا هو وأهلُه لا يجدون عشاءً، وكان أكثرُ خبزِهم خبزَ الشعيرِ[(٤)].

٦٠- عن سهلِ بن سعدٍ، أنه قيل له: أكَلَ رسولُ الله ﷺ النَّقِيَّ[(٥)]؟ -يعني: الحُوَّارَى[(٦)]- فقال سهلٌ: ما رأى رسولُ الله ﷺ النَّقِيَّ حتى لقي الله عَزَّوَجَلَّ.

فقيل له: هل كانت لكم مناخلُ على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: ما كانت لنا مناخلُ.

قيل: كيف كنتم تصنعون بالشعيرِ؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٢).

(٢) (وهو مُقْعٍ) أي: جالس على أليتيه ناصب ساقيه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٦٠)، وابن ماجه (٣٣٤٧).

(٥) (النَّقِيّ) أي: نقي من النخالة.

(٦) (الحُوَّارَى): الدقيق الأبيض، وكل ما بيض من الطعام.

قال: كنا ننفخُه فيطيرُ منه ما طار ثم نعجِنُه[١].

٦١- عن أنسِ بن مالكٍ قال: ما أكل نبي الله ﷺ على خِوان[٢] ولا في سُكُرُّجة[٣]، ولا خُبِزَ له مُرقّق.

قال: فقلت لقتادة: فَعَلامَ كانوا يأكلون؟ قال: على هذه السُّفَرِ[٤][٥].

٦٢- عن عائشةَ، قالت: ما شبعَ رسول الله ﷺ من خبزِ الشعيرِ يومين متتابعين حتى قُبِض[٦].

(٢٥) باب ما جاء في صفةِ إدامِ رسولِ الله ﷺ

٦٣- عن عائشةَ، أن رسول الله ﷺ قال: «**نِعْمَ الإدامُ الخل**»[٧].

٦٤- عن النعمانِ بن بشيرٍ: ألَستم في طعامٍ وشرابٍ ما شئتم؟ لقد رأيت نبيَّكم ﷺ وما يجد من الدَّقَلِ[٨] ما يملأ بطنَه[٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤١٣).

(٢) (خِوَان): المائدة ما لم يكن عليها طعام.

(٣) (سُكُرُّجة): إناء صغير يجعل فيها ما يشتهى ويهضم على الموائد حول الأطعمة.

(٤) (السُّفَر): جمع سفرة، واشتهرت لما يوضع عليه الطعام.

(٥) أخرجه البخاري (٥٣٨٦).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٧) أخرجه مسلم (٢٠٥١).

(٨) (الدَّقَل): رديء التمر ويابسه.

(٩) أخرجه مسلم (٢٩٧٧).

٦٥- عن زَهْدَمٍ الجَرْمِيِّ قال: كنا عند أبي موسى الأشعريِّ قال: فقُدِّم طعامُه، وقدِّم في طعامِه لحمُ دجاجٍ، وفي القوم رجلٌ من بني تيمِ الله أحمرُ كأنه مولًى، قال: فلم يدنُ؛ فقال له أبو موسى: ادْنُ، فإني قد رأيت رسول الله ﷺ أكل منه. فقال: إني رأيته يأكلُ شيئا فقذِرتُه؛ فحَلَفت ألا أطعمه أبدًا(١).

٦٦- عن أنسٍ بن مالكٍ قال: إن خياطًا دعا رسولَ الله ﷺ لطعامٍ صنعه، قال أنس: فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقَرَّب إلى رسولِ الله ﷺ خبزًا من شعير، ومرَقًا فيه دُبَّاء(٢) وقديدٌ(٣)، قال أنس: فرأيتُ النبي ﷺ يتتبَّع الدُبَّاء حوالي القصعةِ؛ فلم أزل أحبُّ الدُبَّاء من يومئذٍ(٤).

٦٧- عن عائشةَ قالت: كان النبيُّ ﷺ يحب الحَلواءَ والعسلَ(٥).

٦٨- عن أم سلمةَ أنها قَرَّبتْ إلى رسول الله ﷺ جَنْبا مشويًّا فأكل منه، ثم قام إلى الصلاةِ وما توضأ(٦).

٦٩- عن أبي هريرةَ قال: أُتِي النبيُّ ﷺ بلحمٍ فرُفِع إليه الذِّراعُ وكانت تعجبه فنهسَ منها(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٥)، ومسلم (١٦٤٩).
(٢) (الدُّبَاء): القرع.
(٣) (القَدِيد): لحم مملوح مجفف.
(٤) أخرجه البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١).
(٥) أخرجه البخاري (٥٤٣١)، ومسلم (١٤٧٤).
(٦) أخرجه أحمد ٤٤/ ٢٣٧ (٢٦٦٢٢).
(٧) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

٧٠- عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «**فضلُ عائشةَ على النساءِ كفضل الثَّريدِ**[(١)] **على سائرِ الطعام**»[(٢)].

٧١- عن أبي هريرةَ، أنه رأى رسولَ الله ﷺ توضأ من أكلِ ثَوْرِ أَقِطٍ[(٣)]، ثم رآه أكلَ من كتف شاةٍ، ثم صلى ولم يتوضأ[(٤)].

٧٢- عن أنسِ بن مالكٍ قال: أَوْلَمَ رسولُ الله ﷺ على صفيَّةَ بتمرٍ وسَوِيقٍ[(٥)].

٧٣- عن جابرٍ قال: «خرَجَ رسولُ الله ﷺ وأنا معه، فدخَلَ على امرأةٍ من الأنصارِ، فذبحَتْ له شاةً، فأكَلَ منها، وأَتَتْه بقِنَاعٍ[(٦)] من رطبٍ، فأكَلَ منه، ثم توضَّأَ للظهرِ وصلَّى، ثم انصرَفَ فأتَتْه بعُلالةٍ[(٧)] من عُلالةِ الشاةِ، فأكَلَ، ثم صلَّى العصرَ ولم يتوضَّأْ[(٨)].

٧٤- عن عائشةَ، أم المؤمنين قالت: كان النبيُّ ﷺ يأتيني فيقولُ: «**أعندكِ غداءٌ؟**» فأقول: لا. فيقول: «**إني صائمٌ**».

---

(١) (الثَّرِيد): أن يفتت الخبز في مرق اللحم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٧٠)، ومسلم (٢٤٤٦).

(٣) (ثَوْر أَقِطٍ) الثور: القطعة من الأقط، وهو لبن مجمد بالنار.

(٤) أخرجه أحمد ١٥/ ١٩ (٩٠٤٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٧٤٤).

(٦) (القِنَاع): الطبق من عسب النخل.

(٧) (العُلَالَة): البقية من كل شيء.

(٨) أخرجه الترمذي (٨٠).

قالت: فأتاني يومًا، فقلت: يا رسولَ الله، إنه أُهْدِيت لنا هَدِيَّةٌ، قال: «**وما هي؟**» قلت: حَيْسٌ[(١)]، قال: «**أما إني أصبحت صائمًا**» قالت: ثم أكَلَ[(٢)].

(٢٦) باب ما جاء في صفةِ وضوءِ رسولِ الله ﷺ عند الطعامِ

٧٥- عن ابن عباس قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ من الغائِط فأُتِي بطعامٍ، فقيل له: ألا تتوضأ؟ فقال: «**أأصلي فأتوضأ؟!**»[(٣)].

(٢٧) باب ما جاء في قولِ رسول الله ﷺ قبل الطعامِ وبعد ما يفرغ منه

٧٦- عن عائشةَ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكل أحدُكم فنسي أن يذكرَ الله تعالى على طعامه فليَقُل: بسمِ الله أولَه وآخرَه**»[(٤)].

٧٧- عن عمرَ بن أبي سلمةَ، أنه دخل على رسولِ الله ﷺ وعنده طعامٌ فقال: «**ادْنُ يا بُنيَّ فسمِّ الله تعالى، وكُل بيمينِك، وكل مما يليك**»[(٥)].

٧٨- عن أبي أمامةَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا رُفِعت المائدةُ من بين يديه يقول: «**الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبا مباركا فيه، غير مُوَدَّعٍ ولا مستغنًى عنه ربَّنا**»[(٦)].

---

(١) (حَيْس): التمر مع السمن أو أقط.
(٢) أخرجه مسلم (١١٥٤).
(٣) أخرجه مسلم (٣٧٤).
(٤) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧).
(٥) أخرجه أبو داود (٣٧٧٧).
(٦) أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

٧٩- عن عائشةَ، قالت: كان النبي ﷺ يأكلُ الطعامَ في ستةٍ من أصحابِه فجاء أعرابيٌّ فأكله بلقمتين، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لو سَمَّى لَكَفاكُم**»[(١)].

٨٠- عن أنسِ بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله ليَرضى عن العبدِ أن يأكُلَ الأكْلة، أو يشربَ الشرْبةَ فيحمده عليها**»[(٢)].

(٢٨) باب ما جاء في قدَحِ رسولِ الله ﷺ

٨١- عن أنسٍ قال: لقد سَقَيتُ رسولَ الله ﷺ بهذا القدَحِ الشرابَ كلَّهُ، الماءَ والنبيذَ[(٣)] والعسلَ واللبنَ[(٤)].

(٢٩) باب ما جاءَ في فاكهةِ رسولِ الله ﷺ

٨٢- عن عبدِ الله [بن جعفر بن أبي طالب] قال: كان النبيُّ ﷺ يأكلُ القِثَّاء[(٥)] بالرُّطبِ[(٦)].

٨٣- عن عائشةَ: أن النبيَّ ﷺ كان يأكلُ البِطِّيخَ[(٧)] بالرُّطبِ[(٨)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٥٨)، وأحمد ٤٢/ ٤٣ (٢٥١٠٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).
(٣) (النَّبِيذ): ماء مغلي يجعل فيه تمر أو رطب.
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٠٨).
(٥) (القِثَّاء): نوع من الخيار.
(٦) أخرجه البخاري (٥٤٤٠)، ومسلم (٢٠٤٣).
(٧) (البِطِّيْخ): هو الأصفر، وليس الأخضر لأنه لم يكن معروفا في جزيرة العرب.
(٨) أخرجه أبو داود (٣٨٣٦).

٨٤- عن أبي هريرةَ قال: كان الناسُ إذا رأوا أول الثَّمَرِ جاءوا به إلى رسولِ الله ﷺ، فإذا أخذَه رسولُ الله ﷺ قال: «**اللهمَ بارك لنا في ثِمارِنا، وبارك لنا في مدينَتِنا، وبارك لنا في صاعِنا وفي مُدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدُك وخليلُك ونبيك، وإني عبدُك ونبيُّك، وإنه دعاك لمكةَ، وإنِّي أدعوكَ للمدينةِ بمثل ما دعاكَ به لمكةَ ومثلِه معه**» قال: ثم يدعو أصغرَ وليدٍ يراه فيعطِيه ذلك الثمرَ[١].

(٣٠) باب ما جاء في صفةِ شُربِ رسولِ الله ﷺ

٨٥- عن ابن عباسٍ: أن النبيَّ ﷺ شَربَ من زمزم وهو قائم[٢].

٨٦- عن عمرِو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جده قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يشربُ قائمًا وقاعدًا[٣].

٨٧- عن النَّزَّال بن سَبْرَة قال: أُتي عليٌّ بكوزٍ من ماءٍ وهو في الرَّحْبة، فأخذ منه كفًّا فغسل يديه ومضمض واستنشق ومسحَ وجهَه وذراعيهِ ورأسَه، ثم شربَ وهو قائمٌ، ثم قال: هذا وضوءُ من لم يُحْدِث، هكذا رأيت رسولَ الله ﷺ فعَلَ[٤].

٨٨- عن أنسِ بن مالكٍ، أن النبي ﷺ: كان يتنفَّسُ في الإناءِ ثلاثًا إذا شربَ، ويقول: «**هو أَمْرَأُ وأروى**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٣٧)، ومسلم (٢٠٢٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٥٦٨ (٤٤٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦١٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٢٨).

٨٩- عن كبشةَ قالت: دخَلَ عليَّ النبيُّ فشرِبَ من فِي قربةٍ معلقةٍ قائمًا، فقمتُ إلى فِيها فقطعتُه[(١)].

(٣١) باب ما جاءَ في تعطُّرِ رسولِ الله ﷺ

٩٠- عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان لرسولِ الله ﷺ سُكَّةٌ[(٢)] يتطيَّب منها[(٣)].

٩١- عن ثُمامةَ بن عبدِ الله قال: كان أنسُ بن مالكٍ، لا يَردُّ الطيبَ، وقال أنسٌ: إن النبيَّ ﷺ كان لا يردُّ الطيبَ[(٤)].

٩٢- عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**طيبُ الرجالِ ما ظهَرَ ريحُه وخفِيَ لونُه، وطيبُ النساءِ ما ظهَرَ لونُه وخفِيَ ريحُه**»[(٥)].

(٣٢) باب كيفَ كان كلامُ رسولِ الله ﷺ

٩٣- عن عائشةَ، قالت: ما كان رسولُ الله ﷺ يَسْرُدُ[(٦)] سردَكم هذا، ولكنه كان يتكلَّمُ بكلامٍ بيِّنٍ فصلٍ، يحفظُه من جلسَ إليه[(٧)].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٢)، وابن ماجه (٣٤٢٣).

(٢) (سُكَّة): طيب يتخذ من الرامِك، وهو شيء أسود يخلط بالمسك.

(٣) أخرجه أبو داود (٤١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٨٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٢١٧٤)، والترمذي (٢٧٨٧)، والنسائي (٥١١٧).

(٦) (يَسْرُدُ) أي: لم يكن ﷺ يستعجل ويوالي بين جمل كلامه بحيث يأتي بعضها إثر بعض.

(٧) أخرجه البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣).

٩٤- عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يعيدُ الكلمةَ ثلاثًا لِتُعْقَل عنه[(١)].

(٣٣) باب ما جاءَ في ضحكِ رسول الله ﷺ

٩٥- عن عبدِ الله بنِ الحارثِ بنِ جَزْءٍ قال: ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسُّمًا من رسولِ الله ﷺ[(٢)].

٩٦- عن عبدِ الله بنِ الحارثِ قال: ما كان ضحكُ رسولِ الله ﷺ إلا تبسُّمًا[(٣)].

٩٧- عن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إني لأعلم أولَ رجل يدخُلُ الجنة وآخرَ رجل يخرج من النار: يُؤْتى بالرجلِ يومَ القيامةِ فيقال: اعرضوا عليه صِغارَ ذنوبِه، ويُخَبَّأ عنه كبارُها، فيقال له: عملتَ يومَ كذا وكذا كذا، وهو مُقِرٌّ لا ينكرُ، وهو مشفق من كِبارِها فيقال: أعطوه مكان كلِّ سيئةٍ عمِلها حسنةً، فيقولُ: إن لي ذنوبًا لا أراها ههنا»**.

قال أبو ذرٍّ: فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضحِك حتى بدت نواجِذُه[(٤)].

٩٨- عن جريرِ بن عبد الله قال: ما حَجَبَني رسولُ الله ﷺ منذ أسلَمْتُ، ولا رآني إلا ضَحِكَ[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٤١).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٤٢).
(٤) أخرجه مسلم (١٩٠).
(٥) أخرجه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٣٤) باب ما جاءَ في صفةِ مُزاحِ رسولِ الله ﷺ

٩٩- عن أنسِ بن مالكٍ: أن النبيَّ ﷺ قال له: «**يا ذا الأُذُنَينِ**». قال محمود: قال أبو أسامةَ: يعني يمازحُه[(١)].

١٠٠- عن أنسِ بن مالكٍ قال: إن كان رسولُ الله ﷺ ليُخالطُنا حتى يقولَ لأخٍ لي صغير: «**يا أبا عُمَير، ما فعَلَ النُّغَيْرُ**[(٢)]؟»[(٣)].

١٠١- عن أبي هريرةَ قال: قالوا: يا رسولَ الله إنك تُداعِبنا، قال: «**إني لا أقولُ إلا حقًّا**»[(٤)].

١٠٢- عن أنسِ بن مالكٍ، أن رجلًا استحمَلَ[(٥)] رسولَ الله ﷺ فقالَ: «**إني حامِلُك على ولدِ ناقةٍ**» فقال: يا رسولَ الله، ما أصنعُ بولدِ الناقة؟ فقال ﷺ: «**وهل تلدُ الإبلَ إلا النُّوقُ**»[(٦)].

١٠٣- عن أنسِ بن مالكٍ، أن رجلًا من أهل الباديةِ كان اسمه زاهرًا وكان يُهدي إلى النبي ﷺ هدية من البادية، فيُجهِّزه[(٧)] النبيُّ ﷺ إذا أراد أن يخرجَ، فقال النبي ﷺ: «**إن زاهرًا باديتُنا**[(٨)] **ونحن حاضرُوه**[(٩)]».

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٢)، والترمذي (١٩٩٢).
(٢) (النُّغَيْر): طائر كالعصفور.
(٣) أخرجه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).
(٤) أخرجه أحمد ١٤/ ٣٣٩ (٨٧٢٣).
(٥) (استحَمَلَ): طلب الحمل.
(٦) أخرجه أبو داود (٤٩٩٨).
(٧) (فيُجَهِّزُه) أي: فيعطيه من الطرف والمستحسنات ما يتجهز به إلى أهله.
(٨) (باديَتُنا) أي: نستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته من أنواع الثمار والنبات، فصار كأنه باديته.
(٩) (حاضِرُوه) أي: نعد له ما يحتاجه من البلد.

وكان ﷺ يحبُّه، وكان رجلًا دميمًا، فأتاه النبي ﷺ يومًا وهو يبيعُ متاعَهُ فاحتضنهُ من خلفِه وهو لا يُبصرُه، فقال: من هذا؟ أرسِلني.

فالتفتَ فعرَفَ النبيَّ ﷺ فجعلَ لا يألُو ما ألصَقَ ظهرَه بصدرِ النبي ﷺ حين عرفه، فجعلَ النبي ﷺ يقولُ: «**من يشتري هذا العبدَ**» فقال: يا رسولَ الله، إذن والله تَجِدُني كاسِدًا، فقال النبي ﷺ: «**لكنْ عند الله لستَ بكاسدٍ**» أو قال: «**أنت عند الله غالٍ**»(١).

(٣٥) باب ما جاء في صفةِ كلامِ رسولِ الله ﷺ في الشِّعرِ

١٠٤- عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قيل لها: هل كان النبيُّ ﷺ يتمثَّل بشيءٍ من الشعرِ؟ قالت: كان يتمثَّلُ بشعرِ ابن رواحةَ، ويتمثَّلُ بقولِه:

ويأتيك بالأخبارِ مَن لم تُزودِ(٢)

١٠٥- عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أصدقَ كلمةٍ قالها الشاعر كلمةُ لبيد:**

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ

وكاد أميةُ بن أبي الصَّلت أن يُسْلِم»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠/ ٩٠ (١٢٦٤٨).

(٢) أخرجه أحمد ٤٠/ ٢٤ (٢٤٠٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

١٠٦- عن جُندبِ بن سفيانَ البَجَلِيِّ قال: أصاب حجرٌ أصبعَ رسولِ الله ﷺ فدَمِيَت، فقال:

«هل أنتِ إلا أصبعٌ دَمِيْتِ

وفي سبيل الله ما لَقِيت»[(١)].

١٠٧- عن البَرَاء بن عازبٍ قال: قال لنا رجلٌ: أفَررتُم عن رسولِ الله ﷺ يا أبا عُمارة؟ فقال: لا والله، ما وَلَّى رسولُ الله ﷺ، ولكنْ ولَّى سَرَعَانُ الناسِ تلقَّتهم هوازنُ بالنَّبْلِ، ورسولُ الله ﷺ على بغلته، وأبو سفيان بن الحارثِ بن عبدِ المطلب آخذٌ بلجامِها، ورسولُ الله ﷺ يقول:

«أنا النبيُّ لا كذب

أنا ابنُ عبد المطلب»[(٢)].

١٠٨- عن أنس: أن النبيَّ ﷺ دخل مكة في عمرةِ القضاءِ، وابنُ رواحةَ يمشي بين يديه، وهو يقولُ:

«خلُّوا بني الكفارِ عن سبيلِه

اليومَ نضربْكم على تنزيلِه

ضربًا يُزِيل الهامَ عن مَقِيلِه

ويُذهِل الخليلَ عن خليلِه»

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٧٤)، ومسلم (١٧٧٦).

فقال له عمرُ: يا ابنَ رَواحة، بين يدي رسولِ الله ﷺ وفي حَرمِ الله تقولُ الشِّعرَ؟

فقال ﷺ: «**خَلِّ عنه يا عمرُ، فلَهِيَ أسرعُ فيهم من نَضْحِ النَّبْلِ**»(١).

١٠٩- عن جابر بن سَمُرة قال: جالست النبيَّ ﷺ أكثرَ من مئةِ مرةٍ وكان أصحابُه يتناشدون الشعرَ ويتذاكرون أشياءَ من أمرِ الجاهلية، وهو ساكتٌ، وربما تبسَّم معهم(٢).

١١٠- عن عمرو بن الشَّرِيد، عن أبيه قال: كنت رِدْفَ النبي ﷺ فأنشدتُه مئةَ قافية من قول أميةَ بن أبي الصلتِ الثقفي، كلما أنشدتُه بيتا قال لي النبي ﷺ: «**هيه**» حتى أنشدتُه مئةً -يعني: بيتًا- فقال النبي ﷺ: «**إنْ كاد ليُسْلِم**»(٣).

١١١- عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يضعُ لحسانَ بنِ ثابتٍ منبرًا في المسجدِ يقومُ عليه قائمًا يُفاخرُ عن رسولِ الله ﷺ - أو قال: يُنافحُ عن رسولِ الله ﷺ - ويقولُ ﷺ: إن الله تعالى يؤيِّدُ حسانَ بروحِ القدسِ ما يُنافحُ أو يُفاخرُ عن رسولِ الله ﷺ»(٤).

---

(١) أخرجه النسائي (٢٨٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٥٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠١٥)، والترمذي (٢٨٤٦).

(٣٦) باب ما جاء في كلام رسول الله ﷺ في السمر

حديث أم زَرعٍ

١١٢- عن عائشةَ، قالت: جلَسَتْ إحدى عشرةَ امرأةً فتعاهَدْنَ وتعاقَدْنَ ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا:

فقالت الأولى: زوجي لحمُ جملٍ غَثٌّ على رأس جبلٍ وعرٍ، لا سهل فيُرْتَقى، ولا سمين فيُنتَقل.

قالت الثانية: زوجي لا أَبُثُّ خبرَه، إني أخافُ ألا أذَرَه[١]، إن أذكرْه أذكر عُجَرَهُ وبُجَرَهُ[٢].

قالت الثالثة: زوجي العَشَنَّق[٣]، إن أنْطِق أُطَلَّق، وإن أسكُت أُعَلَّق.

قالت الرابعة: زوجي كلَيلِ تِهَامَة، لا حَرٌّ ولا قُرٌّ، ولا مَخَافةَ ولا سَآمة[٤].

---

(١) (إني أخافُ ألا أذرَهُ) أي: أخاف ألا أترك من خبره شيئا، أي: أنه لطوله وكثرته إن بدأته لم أقدر على تكميله؛ فاكتفت بالإشارة إلى معايبه خشية أن يطول الخطب بإيراد جميعها.

(٢) (عُجَرَه وبُجَرَه) العجر: تعقد العصب والعروق في الجسد حتى تصير ناتئة، والبجر مثلها إلا أنها مختصة بالتي تكون في البطن، ثم استعملا في الهموم والأحزان، وإنما أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة.

(٣) (العَشَنَّق) المذموم الطول، أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله بغير نفع.

(٤) أي: أن أهل تهامة لا يخافون لتحصنهم بجبالها، أو أرادت وصف زوجها بأنه حامي الذمار مانع لداره وجاره، ولا مخافة عند من يأوي إليه.

قالت الخامسة: زوجي إن دخَل فَهِدَ[١]، وإن خرج أَسِدَ[٢]، ولا يَسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لَفَّ[٣]، وإن شرب اشْتَفَّ[٤]، وإن اضطَجع التَفَّ[٥]، ولا يُولِجُ الكَفَّ ليَعلم البَثَّ[٦].

قالت السابعة: زوجي غَيَايَاء[٧] -أو عَيَايَاء[٨]- طَبَاقَاء، كل داءٍ له داءٌ، شَجَّكِ أو فَلَّكِ[٩] أو جَمَع كلًّا لكِ.

قالت الثامنة: زوجي المسُّ مسُّ أرنب، والريح ريحُ زَرْنَب[١٠].

قالت التاسعة: زوجي رفيعُ العمادِ، طويلُ النجاد، عظيمُ الرماد، قريبُ البيت من النَّاد.

---

(١) (فَهِد) مشتق من الفهد، وصفته بالغفلة عند دخول البيت على وجه المدح له؛ لأن الفهد يوصف بالحياء وقلة الشر وكثرة النوم.

(٢) (أَسِد): مشتق من الأسد أي: يصير بين الناس مثل الأسد، تصفه بالنشاط في الغزو.

(٣) (لَفَّ) المراد باللف: الإكثار مع التخليط.

(٤) (اشتَفَّ): الاشتفاف في الشرب استقصاؤه.

(٥) (الْتَفَّ) أي: رقد ناحية وتلفف بكسائه وحده.

(٦) (ولا يُولِجُ الكفَّ ليعلمَ البَثَّ) أي: لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من الحزن فيزيله.

(٧) (الغَيَايَاء الطَّبَاقَاء): الأحمق الذي ينطبق عليه أمره.

(٨) (العَيَايَاء): الذي لا يضرب ولا يلقح من الإبل.

(٩) (فَلَّكِ) أي: جرح جسدك.

(١٠) (الزَّرْنَب): نبت طيب الريح.

قالت العاشرة: زوجي مالك، وما مالِكٌ؟! مالِك خيرٌ من ذلك، له إبلٌ كثيراتُ المَبَارِك، قليلات المَسارِح، إذا سمعن صوت المِزْهَر أيقنَّ أنَّهن هوالك[(١)].

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زَرْع، وما أبو زرع؟! أَنَاسَ[(٢)] من حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وملأ من شحمٍ عَضُدَيَّ، وبَجَّحَنِي[(٣)] فبَجَحَتْ إليَّ نفسي، وَجَدَني في أهل غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ[(٤)]، فجعلني في أهل صَهِيلٍ[(٥)] وأَطِيطٍ[(٦)] ودَائِسٍ[(٧)] ومُنَقٍّ[(٨)]، فعنده أقولُ فلا أُقَبَّح، وأرقدُ فأتَصبَّح[(٩)] وأشربُ فأتَقَمَّح[(١٠)].

أمُّ أبي زرع، فما أم أبي زرع؟! عُكُومُها رَدَاحٌ[(١١)]، وبيتُها فَسَاح.

ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع؟! مضْجِعُه كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ[(١٢)]، وتُشْبِعُه ذِراع الجَفْرَة[(١٣)].

---

(١) (المِزْهَر): المعازف.

(٢) (أَنَاسَ) أي: أثقل حتى تدلى واضطرب.

(٣) (بَجَّحَنِي) أي: عظمني.

(٤) (بشِقٍّ) المراد: شق جبل كانوا فيه.

(٥) (أهل صَهِيل) أي: خيل.

(٦) (وأَطِيط) أي: إبل.

(٧) (دَائِس): الذي يدوس الطعام وهو دراسه.

(٨) (مُنَقٍّ) نقيق أصوات المواشي.

(٩) (فأَتَصَبَّح) أي: أنام الصبحة، وهي نوم أول النهار فلا أوقظ.

(١٠) (فأَتَقَمَّح) أي: أروى حتى لا أحب الشرب.

(١١) (عُكُومها رَدَاح) عكومها: الأحمال التي تجمع فيها الأمتعة. رداح أي: عظيم كثيرة الحشو.

(١٢) (شَطْبة): ما شطب من الجريد، وهو سعفه.

(١٣) (الجَفْرَة): الأنثى من ولد المعز إذا كان ابن أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي.

بنتُ أبي زرع، فما بنت أبي زرع؟! طوعُ أبيها وطوعُ أمِّها، مِلءُ كِسائِها، وغَيْظُ جارَتِها.

جاريةُ أبي زرع، فما جارية أبي زرع؟! لا تبُثُّ حديثَنا تَبثِيثًا، ولا تُنَقِّثُ[(١)] مِيرَتَنا تنقِيثًا، ولا تملأ بيتَنا تعشيشًا[(٢)].

قالت: خرج أبو زرع والأوطابُ تُمْخَضُ[(٣)]، فلقي امرأةً معها ولدان لها كالفَهِدَين، يلعبان من تحت خَصْرِها بِرُمَّانَتَين، فطلقني ونَكَحها.

فنكَحْتُ بعدَه رجلًا سَرِيًّا[(٤)]، ركب شَرِيًّا[(٥)]، وأخذ خَطِّيًّا[(٦)]، وأراحَ عليَّ نَعَمًا ثَرِيًّا[(٧)]، وأعطاني من كل رائحة[(٨)] زوجًا، وقال: كُلي أمَّ زرع، وميرِي أهلَك، فلو جمعتُ كلَّ شيء أعطانِيه ما بَلغ أصغر آنيةِ أبي زرع.

قالت عائشة: فقال لي رسول الله ﷺ: **«كنت لك كأبي زَرعٍ لأمِّ زرع»**[(٩)].

(١) (ولا تُنَقِّثُ) أي: تسرع فيه بالخيانة، فتذهبه بالسرقة.

(٢) (ولا تَملَأُ بيتَنا تَعشِيشًا) أي: أنها مصلحة للبيت مهتمة بتنظيفه وإلقاء كناسته وإبعادها منه.

(٣) (والأوطابُ تُمْخَض) جمع وطب، وهو سقاء اللبن، والمخض: استخراج زبده.

(٤) (سَرِيًّا) أي: من سراة الناس، وهم كبراؤهم في حسن الصورة والهيئة.

(٥) (شَرِيًّا) الشري: الذي يستشري في سيره أي: يمضي فيه بلا فتور.

(٦) (خَطِّيًّا) نسبة إلى الخط، وهو الرمح.

(٧) (ثَرِيًّا) أي: كثيرة.

(٨) (رَائِحة) الرائحة: الآتية وقت الرواح وهو آخر النهار.

(٩) أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

(٣٧) باب ما جاءَ في نومِ رسولِ الله ﷺ

١١٣- عن البَرَاء بن عازبٍ، أن النبي ﷺ كان إذا أخذ مضجَعَه وضعَ كفهُ اليمنى تحت خدهِ الأيمن، وقال: «**ربِّ قني عذابك يوم تبعثُ عبادَك**»[(١)].

١١٤- عن حذيفةَ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أوى إلى فِراشِه قال: «**اللهمَّ باسمِك أموتُ وأحيا**»، وإذا استيقظَ قال: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعد ما أماتَنا وإليه النُّشورُ**»[(٢)].

١١٥- عن عائشةَ، قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا أوى إلى فِراشِه كلَّ ليلةٍ جمع كفيهِ فنَفَث فيهما، وقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثم مسحَ بهما ما استطاعَ من جسدِه، يَبدأُ بهما رأسَه ووجهَه وما أقبلَ من جسدِه يصنعُ ذلك ثلاث مرات[(٣)].

١١٦- عن ابن عباسٍ: أن رسولَ الله ﷺ نام حتى نَفَخَ، وكان إذا نامَ نفخَ، فأتاه بلالٌ فآذَنه بالصلاة، فقام وصلَّى ولم يتوضَّأ. وفي الحديثِ قصةٌ[(٤)].

١١٧- عن أنسِ بن مالكٍ، أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أوى إلى فِراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعَمَنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم مِمَّن لا كافِيَ له ولا مُؤوي**»[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٠/ ٥٩٢ (١٨٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧١٥).

١١٨- عن أبي قتادة: أن النبيَّ ﷺ كان إذا عَرَّسَ بِليلٍ[(١)] اضطجع على شِقِّه الأيمن، وإذا عَرَّس قُبَيْلَ الصبح نصب ذراعَه، ووضع رأسَه على كفِّه[(٢)].

(٣٨) باب ما جاءَ في عبادةِ رسولِ الله ﷺ

١١٩- عن المغيرةِ بن شعبةَ قال: صلى رسولُ الله ﷺ حتى انتفَخَت قدماه، فقِيل له: أتتكَلَّفُ هذا[(٣)] وقد غفر الله لك ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «**أفلا أكونُ عبدًا شكورًا**»[(٤)].

١٢٠- عن الأسود بن يزيدَ قال: سألتُ عائشةَ، عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ بالليلِ؟ فقالت: كان ينامُ أولَ الليل ثم يقومُ، فإذا كان من السَّحَر أوْتَرَ، ثم أتى فراشَه، فإذا كان له حاجةٌ ألَمَّ بأهله، فإذا سمعَ الأذانَ وثبَ، فإن كان جُنُبًا أفاضَ عليه من الماءِ، وإلا توضَّأ وخرج إلى الصلاةِ[(٥)].

١٢١- عن كُرَيْبٍ، عن ابن عباسٍ، أنه أخبره أنه باتَ عند ميمُونةَ وهي خالتُه قال: فاضطجعت في عَرْض الوِسادة، واضطَجع رسولُ الله ﷺ في طولِها، فنامَ رسولُ الله ﷺ حتى إذا انتصفَ الليلُ أو قبلَه بقليلٍ أو بعدَه بقليلٍ، فاستيقظَ رسولُ الله ﷺ فجعل يمسحُ النومَ عن وجهِه، ثم قرأَ العشرَ الآياتِ الخواتيم من

---

(١) (عَرَّسَ بليلٍ) التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم، أو الاستراحة.
(٢) أخرجه مسلم (٦٨٣).
(٣) (أتتكَلَّفُ هذا؟) أي: أتلزم نفسك هذه الكلفة والمشقة التي لا تطاق؟
(٤) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩)
(٥) أخرجه البخاري (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩).

سورة آل عمرانَ، ثم قام إلى شَنٍّ(١) مُعلَّق فتوضأ منها، فأحسنَ الوضوءَ، ثم قام يصلي.

قال عبد الله بن عباس: فقمتُ إلى جنبِه، فوضع رسولُ الله ﷺ يده اليُمنى على رأسي ثم أخذَ بأُذني اليمنى ففتَلَها فصلَّى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين -قال مَعن: ستَّ مرات- ثم أوتَرَ، ثم اضطجَعَ حتى جاءَه المؤذنُ فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلَّى الصبحَ(٢).

١٢٢- عن عائشةَ: أن النبي ﷺ كان إذا لم يُصلِّ بالليلِ؛ منعه من ذلك النومُ، أو غلبته عيناه، صلَّى من النهار ثِنْتَيْ عشرةَ ركعة(٣).

١٢٣- عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: إذا قامَ أحدُكم من الليلِ فليفتتحْ صلاتَه بركعتَينِ خفيفتَينِ»(٤).

١٢٤- عن زيد بن خالدٍ الجُهَنيِّ، أنه قال: لأرْمُقنَّ صلاةَ النبي ﷺ، فتوسَّدتُ عَتبتَه، أو فُسطاطَه(٥) فصلَّى رسولُ الله ﷺ ركعتين خفيفتين، ثم صلَّى ركعتين طويلتين، طويلتين، طويلتين، ثم صلَّى ركعتين وهما دون اللتين قبلَهما، ثم صلَّى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلَّى ركعتين وهما دون اللتين قبلَهُما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم أوتر فذلك ثلاثَ عشرةَ ركعة(٦).

---

(١) (شَنّ): هو القربة الخلقة.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٤) أخرجه مسلم (٧٦٨).

(٥) (فُسْطَاطه): الخيمة العظيمة.

(٦) أخرجه مسلم (٧٦٥).

١٢٥- عن أبي سلمةَ بن عبدِ الرحمن، أنه سألَ عائشةَ: كيف كانت صلاةُ رسولِ الله ﷺ في رمضانَ؟ فقالت: ما كان رسولُ الله ﷺ ليزيدَ في رمضانَ ولا في غيرِه على إحدى عشرةَ ركعةً، يصلِّي أربعًا لا تسأَلْ عن حُسنِهنَّ وطولهن، ثم يصلي أربعًا لا تسأَلْ عن حُسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا.

قالت عائشةُ: قلتُ: يا رسولَ الله، أتنامُ قبل أن تُوتِر؟ فقال: «**يا عائشةُ، إن عينَيَّ تنامان ولا ينامُ قلبي**»[(١)].

١٢٦- عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي من الليلِ تسعَ ركعاتٍ[(٢)].

١٢٧- عن عائشةَ قالت: قام رسولُ الله ﷺ بآيةٍ من القرآنِ ليلةً[(٣)].

١٢٨- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال: صليتُ ليلةً مع رسولِ الله ﷺ فلم يزلْ قائمًا حتى هَمَمتُ بأمرِ سوءٍ. قيل له: وما هممتَ به؟ قال: هممتُ أن أقعُدَ وأَدَعَ النبيَّ ﷺ[(٤)].

١٢٩- عن عائشةَ: أن النبيَّ ﷺ كان يصلي جالسًا فيقرأُ وهو جالسٌ، فإذا بقيَ من قراءتِه قدرَ ما يكون ثلاثين أو أربعين آيةً، قام فقرأَ وهو قائم، ثم ركعَ وسجدَ، ثم صنع في الركعةِ الثانية مثلَ ذلك[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٤٤٣)، والنسائي (١٧٢٥)، وابن ماجه (١٣٦٠)
(٣) أخرجه الترمذي (٤٤٨).
(٤) أخرجه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).
(٥) أخرجه البخاري (١١١٩)، ومسلم (٧٣١).

١٣٠- عن عبدِ الله بن شَقِيقٍ قال: سألتُ عائشةَ، عن صلاة رسول الله ﷺ عن تطوُّعِه، فقالت: كان يصلِّي ليلا طويلا قائما، وليلا طويلا قاعدا، فإذا قَرأَ وهو قائمٌ ركع وسجد وهو قائمٌ، وإذا قرأ وهو جالسٌ ركعَ وسجد وهو جالسٌ[(١)].

١٣١- عن حفصةَ، زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُصلي في سُبحتِه[(٢)] قاعدًا، ويقرأُ بالسورةِ ويرتِّلُها حتى تكون أطولَ من أطولِ منها[(٣)].

١٣٢- عن عائشةَ: أن النبيَّ ﷺ لم يَمُت حتى كان أكثرُ صلاتِه وهو جالسٌ[(٤)].

١٣٣- عن ابن عمرَ قال: صليتُ مع النبيِّ ﷺ ركعتين قبل الظهرِ، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرِبِ في بيته، وركعتين بعد العشاءِ في بيته[(٥)].

١٣٤- عن عبدِ الله بن شَقِيقٍ قال: سألتُ عائشةَ، عن صلاة النبي ﷺ قالت: كان يصلي قبل الظهرِ ركعتين، وبعدها ركعتين، وبعد المغربِ ركعتين، وبعدَ العشاءِ ركعتين، وقبل الفجرِ ثِنْتَين[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم بنحوه (٧٣٠).
(٢) (في سُبْحَته) أي: في نافلته.
(٣) أخرجه مسلم (٧٣٣).
(٤) أخرجه مسلم (٧٣٢).
(٥) أخرجه البخاري (٩٣٧)، ومسلم (٧٢٩).
(٦) أخرجه مسلم بنحوه (٧٣٠).

(٣٩) بابُ صلاةِ الضحى

١٣٥- عن مُعَاذَة، قالت: قلتُ لعائشة: أكان النبيُّ ﷺ يصلِّي الضحى؟ قالت: نعم، أربعَ ركعاتٍ ويزيدُ ما شاء الله عزَّ وجل[(١)].

١٣٦- عن عبدِ الرحمن بن أبي ليلى قال: ما أخبرني أحدٌ أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى إلا أمُّ هانِئ، فإنها حدَّثَت أن رسولَ الله ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل فسبَّح ثماني ركعات ما رأيتُه ﷺ صلى صلاةً قط أخف منها، غير أنه كان يُتِمُّ الركوعَ والسجودَ[(٢)].

١٣٧- عن عبدِ الله بن شَقِيقٍ قال: قلت لعائشةَ: أكان النبي ﷺ يُصلي الضحى؟ قالت: لا إلا أنْ يجيء من مَغيبِه[(٣)] [(٤)].

١٣٨- عن عبدِ الله بنِ السائبِ: أن رسولَ الله ﷺ كان يُصلِّي أربعًا بعدَ أن تزولَ الشمسُ قبلَ الظهرِ، وقال: «**إنها ساعةٌ تُفتحُ فيها أبوابُ السماءِ، فأحبُّ أن يصعدَ لي فيها عملٌ صالحٌ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١٠٣)، ومسلم (٣٣٦).

(٣) (مِن مَغِيبه) أي: من سفره.

(٤) أخرجه مسلم (٧١٧).

(٥) أخرجه أحمد ٢٤/ ١١٧ (١٥٣٩٦).

(٤٠) باب صلاةِ التطوعِ في البيتِ

١٣٩- عن عبدِ الله بن سعدٍ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الصلاةِ في بيتي والصلاةِ في المسجدِ قال: «**قد ترى ما أقربَ بيتي من المسجدِ، فلَأن أُصلي في بيتي أَحبُّ إليَّ من أنْ أصلي في المسجدِ إلا أن تكون صلاةً مكتوبةً**»[(١)].

(٤١) باب ما جاءَ في صومِ رسولِ الله ﷺ

١٤٠- عن عبد الله بن شَقِيقٍ قال: سألتُ عائشةَ عن صيامِ رسولِ الله ﷺ، قالت: كان يصومُ حتى نقولَ: قد صام، ويُفطِرُ حتى نقولَ: قد أفطر. قالت: وما صامَ رسولُ الله ﷺ شهرًا كاملًا منذ قَدِمِ المدينة إلا رمضان[(٢)].

١٤١- عن أنسِ بن مالكٍ، أنه سُئِلَ عن صومِ النبي ﷺ، فقال: كان يصومُ من الشهرِ حتى نرى ألا يريد أن يُفطِرَ منه، ويُفطِرُ حتى نرى ألا يريدُ أن يصومَ منه شيئًا، وكنتَ لا تشاءُ أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيتَه مصليًا، ولا نائمًا إلا رأيتَه نائمًا[(٣)].

١٤٢- عن أمِّ سلمةَ قالت: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يصومُ شهرَينِ متتابعَينِ إلا شعبانَ ورمضانَ[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤١).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٣٣٦)، والترمذي (٧٣٦)، والنسائي (٢٣٥٢)، وابن ماجه (١٦٤٨).

١٤٣- عن عائشة، قالت: لم أرَ رسولَ الله ﷺ يصومُ في شهرٍ أكثرَ من صيامه لله في شعبان، كان يصومُ شعبان إلا قليلًا، بل كان يصومُه كلَّه(١).

١٤٤- عن عبدِ الله [بنِ مسعودٍ] قال: كان رسولُ الله ﷺ يصومُ من غُرَّةِ كل شهرٍ ثلاثةَ أيام، وقَلَّما كان يُفطِرُ يومَ الجمعة(٢).

١٤٥- عن عائشةَ، قالت: كان النبيُّ ﷺ يتحرَّى صومَ الاثنينِ والخميسِ(٣).

١٤٦- عن أبي هريرةَ: أن النبيَّ ﷺ قال: «تُعرضُ الأعمالُ يومَ الاثنينِ والخميسِ، فأحبُّ أن يُعرضَ عملي وأنا صائمٌ»(٤).

١٤٧- عن مُعَاذَةَ، قالت: قلت لعائشةَ: أكان رسول الله ﷺ يصومُ ثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهرٍ؟ قالت: نعم. قلت: من أيِّه كان يصومُ؟ قالت: كان لا يُبالي من أيِّه صام(٥).

١٤٨- عن عائشة، قالت: كان عاشوراء يومًا تصومُه قريشٌ في الجاهليةِ، وكان رسول الله ﷺ يصومُه، فلما قَدِمَ المدينةَ صامَه وأمر بصيامِه، فلما افتُرِضَ رمضانُ كان رمضان هو الفريضةُ وترك عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاءَ تركه(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٥٠)، وأحمد ٦/ ٤٠٦ (٣٨٦٠).
(٣) أخرجه النسائي (٢٣٦٤)، وأحمد ٤١/ ٥٥ (٢٤٥٠٩).
(٤) أخرجه أبو داود (٢٤٣٦)، والترمذي (٧٤٧)، والنسائي (٢٣٥٨)،
(٥) أخرجه مسلم (١١٦٠).
(٦) أخرجه البخاري (١٥٩٢)، ومسلم (١١٢٥).

١٤٩- عن علقمةَ، قال: سألتُ عائشةَ: أكان رسولُ الله ﷺ يخصُّ من الأيام شيئًا؟ قالت: كان عملُه ديمةً، وأيكم يطيقُ ما كان رسولُ الله ﷺ يطيقُ»[(١)].

١٥٠- عن عائشةَ، قالت: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وعندي امرأةٌ فقال: «**مَن هذه؟**» قلت: فلانة لا تنامُ الليلَ، فقال رسول الله ﷺ: «**عليكم من الأعمالِ ما تُطيقون، فوالله لا يملُّ الله حتى تملوا**»، وكان أَحَبُّ ذلك إلى رسولِ الله ﷺ الذي يدومُ عليه صاحبُه[(٢)].

(٤٢) باب ما جاءَ في قراءةِ رسولِ الله ﷺ

١٥١- عن قتادةَ، قال: قلتُ لأنسِ بن مالكٍ: كيف كانت قراءةُ رسولِ الله ﷺ؟ فقال: مَدًّا[(٣)].

١٥٢- عن عبدِ الله بن أبي قيسٍ، قال: سألتُ عائشةَ، عن قراءةِ النبيِّ ﷺ: أكان يُسِرُّ بالقراءة أم يجهرُ؟ قالتْ: كل ذلك قد كان يفعلُ، قد كان ربما أسرَّ، وربما جَهَرَ. فقلت: الحمدُ لله الذي جعلَ في الأمر سعةً[(٤)].

١٥٣- عن أمِّ هانئٍ، قالت: كنت أسمعُ قراءةَ النبي ﷺ بالليلِ وأنا على عريشي[(٥)(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٢٦، ١٤٣٧).

(٥) (العَرِيش) هو ما يستظل به، أو ما يهيأ ليرتفع عليه.

(٦) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٩).

١٥٤- عن عبد الله بن مُغَفَّل، قال: رأيت النبيَّ ﷺ على ناقته يومَ الفتحِ وهو يقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. قال: فقرأَ ورجَّع. قال: وقال معاويةُ بن قُرَّةَ: لولا أن يَجتمعَ الناسُ عليَّ لأخذتُ لكم في ذلك الصوتِ. أو قال: اللحن[(١)].

١٥٥- عن ابن عباسٍ قال: كانت قراءةُ النبي ﷺ ربما يسمعُه مَن في الحجرةِ وهو في البيتِ[(٢)].

(٤٣) باب ما جاءَ في بكاءِ رسولِ الله ﷺ

١٥٦- عن عبدِ الله بن الشِّخِّير قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يصلي ولجوفِه أزِيز كأزيزِ المِرْجَل[(٣)] من البكاءِ[(٤)].

١٥٧- عن عبدِ الله بن مسعودٍ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**اقرأ عليَّ**»، فقلت: يا رسولَ الله، أقرأُ عليك وعليك أُنْزِل؟! قال: «**إنِّي أُحبُّ أن أسمعَه من غيري**»، فقرأتُ سورةَ النساء، حتى بلغتُ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: فرأيتُ عينيْ رسولِ الله تَهْمِلان[(٥)].

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٠)، ومسلم (٧٩٤).
(٢) أخرجه أبو داود (١٣٢٧).
(٣) (أَزِيْزَ المِرْجل) صوت القِدْر.
(٤) أخرجه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤).
(٥) أخرجه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠).

١٥٨- عن أنسٍ بن مالكٍ قال: شهدنا ابنةً لرسول الله ﷺ، ورسولُ الله جالسٌ على القبرِ، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: «**أفيكم رجلٌ لم يُقَارِفِ الليلةَ؟**»، قال أبو طلحة: أنا. قال: «**انزل**» فنَزَل في قبرِها[١].

(٤٤) باب ما جاءَ في فراشِ رسول الله ﷺ

١٥٩- عن عائشةَ قالت: إنما كان فراشُ رسولِ الله ﷺ الذي ينامُ عليه من أَدَم حشوُه ليفٌ[٢].

(٤٥) باب ما جاء في تواضُعِ رسولِ الله ﷺ

١٦٠- عن عمرَ بن الخطابِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدُ الله، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه**»[٣].

١٦١- عن أنسٍ بن مالكٍ قال: لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسولِ الله ﷺ، قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لِـمَا يعلمون من كراهتِه لذلك[٤].

١٦٢- عن أنسٍ بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لو أُهدِي إليَّ كُرَاعٌ[٥] لقبِلت، ولو دُعيت عليه لأجبت**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٤) أخرجه أحمد ١٩/ ٣٥٠ (١٢٣٤٥).

(٥) (كُرَاع) هو ما دون الركبة من الساق. .

(٦) أخرجه أحمد ٢٠/ ٤١٠ (١٣١٧٧).

١٦٣- عن جابرٍ قال: جاءني رسولُ الله ﷺ ليس براكب بَغلٍ ولا بِرْذَوْنٍ[(١)][(٢)].

١٦٤- عن يوسفَ بن عبدِ الله بن سَلَامٍ قال: سماني رسولُ الله ﷺ يوسُف وأقعدني في حجرِه ومسحَ على رأسي[(٣)].

١٦٥- عن أنسِ بنِ مالكٍ: أن رجلًا خياطًا دعا رسولَ الله ﷺ فقرَّبَ منه ثريدًا عليه دُبَّاءٌ، قال: فكان رسولُ الله ﷺ يأخذُ الدُّبَّاءَ، وكان يحبُّ الدُّبَّاءَ، قال ثابت: فسمعتُ أنسًا يقولُ: فما صُنِعَ لي طعامٌ أقدرُ على أن يصنعَ فيه دُبَّاءٌ إلا صُنِعَ[(٤)].

١٦٦- قِيلَ لعائشةَ: ماذا كان يعملُ رسولُ الله ﷺ في بيتِه؟ قالت: كان بَشرًا من البشر، يَفْلي ثوبَه[(٥)]، ويَحلبُ شاتَه، ويخدمُ نفسَه[(٦)].

(٤٦) باب ما جاء في خُلُق رسولِ الله ﷺ

١٦٧- عن أنسِ بن مالكٍ قال: خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنين فما قال لي: أُفٍ قطُّ، وما قال لشيء صنعته: لمَ صنعتَه؟ ولا لشيءٍ تركته: لمَ تركتَه؟[(٧)].

---

(١) (ولا بِرْذَوْن) هو الأعجمي، وهو أصبر من العربي، والعربي أسرع منه.
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٤).
(٣) أخرجه أحمد ٢٦/ ٣٣٠ (١٦٤٠٤).
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٤١).
(٥) (ويَفْلِي ثوبَه) أي: يلتقط ما فيه من القمل ونحوه.
(٦) أخرجه أحمد ٤٣/ ٢٦٣ (٢٦١٩٤).
(٧) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

قال: وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، ولا مسست خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شمِمتُ مسكًا قَطُّ ولا عطرًا كان أطيبَ من عَرَق النبي ﷺ[(١)].

١٦٨- عن عائشةَ، أنها قالت: لم يكن رسولُ الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا[(٢)]، ولا صَخَّابًا[(٣)] في الأسواق، ولا يَجزِي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويصفح[(٤)].

١٦٩- عن عائشةَ، قالت: ما ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ بيده شيئًا قطُّ، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادمًا أو امرأةً[(٥)].

١٧٠- عن عائشةَ، قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ منتصرًا من مَظلمة ظُلِمَها قطُّ ما لم يُنْتهك من محارمِ الله شيء، فإذا انْتُهِك من محارم الله شيء كان من أشدِّهم في ذلك غضبًا، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختارَ أيسرَهما ما لم يكن مَأثَمًا[(٦)].

١٧١- عن عائشةَ، قالت: استأذنَ رجلٌ على رسولِ الله ﷺ وأنا عندهُ، فقال: «**بئسَ ابنُ العشيرةِ**» أو «**أخو العشيرةِ**»، ثم أذن له، فألانَ له القولَ، فلما خرجَ قلتُ: يا رسولَ الله، قلتَ ما قلتَ، ثم ألنت له القولَ؟! فقال: «**يا عائشةُ، إن من شرِّ الناس من تركَهُ الناسُ -أو وَدَعَه الناس- اتقاءَ فحشِه**»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٣)، ومسلم (٢٣٣٠).
(٢) (فاحِشًا)أي: ذا فحش في أقواله وأفعاله، (ولا مُتَفَحِّشًا) أي: متكلفا للفحش من ذلك.
(٣) (ولا صَخَّابًا) الصخب: الضجر واضطراب الأصوات للخصام.
(٤) أخرجه أحمد ٤٢/ ٢٥٦ (٢٥٤١٧).
(٥) أخرجه مسلم (٢٣٢٨).
(٦) أخرجه الحميدي (٢٦٠)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٢٦. وأخرجه مختصرا البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).
(٧) أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١).

١٧٢- عن جابرِ بن عبدِ الله قال: ما سُئل رسولُ الله ﷺ شيئا قط فقال: لا[١].

١٧٣- عن ابن عباسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناس بالخيرِ، وكان أجودُ ما يكون في شهر رمضانَ حتى ينسلخَ، فيأتيه جبريلُ فيعرِض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريلُ كان رسولُ الله ﷺ أجودَ بالخير من الريحِ المرسلة[٢].

(٤٧) باب ما جاء في حياءِ رسولِ الله ﷺ

١٧٤- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراءِ في خِدرِها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهِه[٣].

(٤٨) باب ما جاءَ في حِجامةِ رسولِ الله ﷺ

١٧٥- سُئِل أنسُ بنُ مالكٍ عن كسبِ الحجَّام، فقال: احتجمَ رسولُ الله ﷺ، حجَمَه أبو طيبةَ، فأمر له بصاعين من طعامٍ، وكلَّم أهلَه فوضعوا عنه من خراجه وقال: «**إن أفضلَ ما تداويتم به الحجامةُ**»، أو «**إن من أمثلِ دوائِكم الحجامةَ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٢) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٩٦)، ومسلم (١٥٧٧).

١٧٦- عن أنسِ بنِ مالكٍ: أن رسولَ الله ﷺ احتجَمَ وهو محرمٌ بمَلَلٍ[(١)] على ظهرِ القدمِ[(٢)].

(٤٩) باب: ما جاء في أسماءِ رسولِ الله ﷺ

١٧٧- عن جُبيرِ بن مُطعِمٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن لي أسماءً: أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قدمي، وأنا العاقبُ، والعاقب: الذي ليس بعده نبي**»[(٣)].

١٧٨- عن حذيفةَ قال: لقيتُ النبيَّ ﷺ في بعضِ طرقِ المدينةِ فقال: «أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا نبيُّ الرحمةِ، ونبيُّ التوبةِ، وأنا المقفِّي، وأنا الحاشرُ، ونبيُّ الملاحمِ»[(٤)].

(٥٠) باب: ما جاء في عيشِ النبي ﷺ

١٧٩- عن سِماكِ بن حربٍ قال: سمعتُ النعمانَ بن بشيرٍ يقول: ألستم في طعامٍ وشرابٍ ما شئتم؟ لقد رأيتُ نبيَّكم ﷺ وما يجد من الدَّقَلِ ما يملأ بطنَه[(٥)].

١٨٠- عن عائشةَ، قالت: إنْ كنَّا -آلَ محمدٍ- نمكثُ شهرًا ما نستوقد بنارٍ، إنْ هو إلا التمرُ والماءُ[(٦)].

---

(١) (مَلَل): موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلًا من المدينة.

(٢) أخرجه أبو داود (١٨٣٧)، والنسائي (٢٨٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٤) أخرجه أحمد ٣٨/ ٤٣٦ (٢٣٤٤٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٧٧).

(٦) أخرجه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).

١٨١- عن أبي هريرةَ قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ في ساعةٍ لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحدٌ، فأتاه أبو بكر، فقال: «**ما جاء بك يا أبا بكرٍ؟**» قال: خرجتُ ألقى رسولَ الله ﷺ وأنظر في وجهِه، والتسليمَ عليه. فلم يلبَث أن جاء عمرُ فقال: «**ما جاء بك يا عمرُ؟**» قال: الجوعُ يا رسولَ الله. قال ﷺ: «**وأنا قد وجدتُ بعض ذلك**».

فانطلقوا إلى منزلِ أبي الهيثمِ بن التَّيهانِ الأنصاريِّ، وكان رجلًا كثيرَ النخيل والشاءِ، ولم يكن له خدم، فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبُك؟ فقالت: انطلقَ يستعذِبُ لنا الماءَ، فلم يلبثوا أن جاءَ أبو الهيثم بقِربة يَزْعَبُها[(١)]، فوضعها ثم جاء يلتزمُ النبي ﷺ ويُفَدِّيه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقتِه فبسط لهم بساطًا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقِنْوٍ فوضعه، فقال النبي ﷺ: «**أفلا تنقَّيت لنا من رطبِهِ؟**» فقال: يا رسولَ الله، إني أردتُ أن تختاروا -أو تخيروا- من رُطبه وبُسْره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماءِ.

فقال ﷺ: «**هذا -والذي نفسي بيده- من النعيمِ الذي تُسألون عنه يوم القيامةِ: ظلٌّ بارد، ورطب طيبٌ، وماء بارد**».

فانطلق أبو الهيثمِ ليصنع لهم طعامًا؛ فقال النبي ﷺ: «**لا تذبحنَّ لنا ذات دَرٍّ**»، فذبح لهم عَناقًا أو جَدْيًا، فأتاهم بها فأكلوا، فقال ﷺ: «**هل لك خادمٌ؟**» قال: لا. قال: «**فإذا أتانا سبيٌ فأتِنا**».

---

(١) (يَزْعَبُها) أي: يتدافع بها ويحملها لثقلها.

فأتي النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالثٌ، فأتاه أبو الهيثمِ، فقال النبي ﷺ: «**اختر منهُما**»، فقال: يا رسول الله، اختر لي. فقال النبي ﷺ: «**إن المستشارَ مُؤتَمن، خذ هذا فإني رأيتُه يصلي، واستوصِ به معروفًا**».

فانطلق أبو الهيثمِ إلى امرأته، فأخبرها بقولِ رسولِ الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغٍ حقَّ ما قال فيه النبي ﷺ إلا بأن تعتقَه. قال: فهو عتيقٌ، فقال ﷺ: «**إن الله لم يبعث نبيًّا ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروفِ وتنهاه عن المنكرِ، وبطانةٌ لا تَألُوه خبالًا**[(١)]**، ومن يُوقَ بطانة السوء فقد وُقِي**»[(٢)].

١٨٢- عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لقد أُخِفتُ في الله وما يُخافُ أحدٌ، ولقد أُوذيتُ في الله وما يُؤذَى أحدٌ، ولقد أَتَتْ عليَّ ثلاثون مِن بين ليلةٍ ويومٍ وما لي ولبلالٍ طعامٌ يأكلُه ذو كبدٍ إلا شيءٌ يوارِيه إبطُ بلالٍ»[(٣)].

١٨٣- عن أنسِ بن مالكٍ: أن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداءٌ ولا عشاءٌ من خبزٍ ولحمٍ إلا على ضَفَفٍ[(٤)(٥)].

---

(١) (لا تَألُوه خبالًا) أي: لا يمنعه من فساد ما يفعله، أو لا يقصر من إدخال الخبال.

(٢) أخرج الحديث مختصرا ومطولا مسلم (٢٠٣٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥)، والحاكم ٤/ ١٣١ وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥١).

(٤) (الضَّفَف): كثرة الأيدي على الطعام.

(٥) أخرجه أحمد ٢١/ ٣٤٣ (١٣٨٥٩).

(٥١) باب: ما جاء في سِنِّ رسول الله ﷺ

١٨٤- عن ابن عباس قال: مكث النبيُّ ﷺ بمكة ثلاثَ عشرة سنة يُوحَى إليه، وتُوفِّي وهو ابن ثلاثٍ وستين[(١)].

١٨٥- عن معاويةَ، أنه قال: مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاثٍ وستين، وأبو بكر وعمر، وأنا ابن ثلاثٍ وستين[(٢)].

(٥٢) باب: ما جاءَ في وفاةِ رسولِ الله ﷺ

١٨٦- عن أنسِ بن مالكٍ قال: آخر نظرةٍ نظرتُها إلى رسولِ الله ﷺ كشف السِّتارةَ يومَ الاثنين، فنظرتُ إلى وجهه كأنه ورقةُ مصحفٍ[(٣)]، والناس خلفَ أبي بكر، فأشار إلى الناس أن اثبُتُوا، وأبو بكر يؤُمُّهم وألقى السِّجْفَ[(٤)]، وتُوُفِّي رسولُ الله ﷺ من آخرِ ذلك اليومِ[(٥)].

١٨٧- عن عائشةَ، قالت: كنت مُسنِدةً النبيَّ ﷺ إلى صدري -أو قالت: إلى حِجري- فدعا بطَستٍ ليبولَ فيه، ثم بال، فمات[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٥٢).

(٣) (كأنه ورقةُ مصحفٍ) أي: في الجمال البارع، وحسن البشرة، وصفاء الوجه واستنارته.

(٤) (السِّجْف) أي: الستر.

(٥) أخرجه مسلم (٤١٩).

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٤١)، ومسلم (١٦٣٦).

١٨٨- عن عائشةَ قالت: لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ اختلَفوا في دفنِه، فقال أبو بكر: سمعتُ من رسولِ الله ﷺ شيئًا ما نسيتُه، قال: «**ما قبضَ الله نبيًّا إلا في الموضعِ الذي يحبُّ أن يدفنَ فيه**». ادفِنُوه في موضعِ فراشِه[(١)].

١٨٩- عن ابن عباسٍ، وعائشةَ، أن أبا بكرٍ قبَّل النبيَّ ﷺ بعد ما مات[(٢)].

١٩٠- عن أنسٍ قال: لما كان اليومُ الذي دخلَ فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ أضاءَ منها كلُّ شيءٍ، فلما كان اليومُ الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء وما نفضنا أيدينا من الترابِ وإنَّا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبَنا[(٣)].

١٩١- عن عائشة، قالت: تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ يومَ الاثنين[(٤)].

١٩٢- عن سالمِ بنِ عبيدٍ -وكانت له صحبةٌ- قال: «أُغمِي على رسولِ الله ﷺ في مرضِه، فأفاقَ، فقال: **حضرَت الصلاةُ؟** فقالوا: نعم، فقال: **مُروا بلالًا فليؤذِّن ومرُوا أبا بكرٍ أن يصليَ للناسِ- أو قال: بالناسِ-**، قال: ثم أُغمِي عليه، فأفاق، فقال: **حضرَت الصلاةُ؟** فقالوا: نعم، فقال: **مُروا بلالًا فليؤذِّن ومُروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ**، فقالت عائشةُ: إن أبي رجلٌ أسيفٌ، إذا قام ذلك المقامَ بكى فلا يستطيعُ؛ فلو أمرتَ غيرَه. قال: ثم أُغمِي عليه، فأفاق، فقال: **مرُوا بلالًا فليؤذِّن ومرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناسِ؛ فإنكنَّ صواحبُ - أو صواحباتُ - يوسفَ**. قال: فأُمِر بلالٌ فأذَّنَ وأُمِر أبو بكرٍ فصلَّى بالناسِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠١٨)، وابن ماجه (١٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٥٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٣١).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٧).

ثم إن رسولَ الله ﷺ وجَدَ خِفَّةً فقال: انظُروا لي مَن أتكئُ عليه، فجاءت بريرةُ ورجلٌ آخرُ، فاتكأَ عليهما، فلما رآه أبو بكرٍ ذهَبَ لينكصَ فأومَأَ إليه أن يثبتَ مكانَه، حتى قضى أبو بكر صلاتَه.

ثم إن رسولَ الله ﷺ قُبِضَ، فقال عمرُ: والله لا أسمعُ أحدًا يذكرُ أن رسولَ الله ﷺ قُبِضَ إلا ضربتُه بسيفي هذا. قال: وكان الناسُ أميين لم يكن فيهم نبيٌّ قبلَه، فأمسك الناسُ، فقالوا: يا سالمُ، انطلِق إلى صاحبِ رسولِ الله ﷺ فادعُه، فأتيتُ أبا بكرٍ وهو في المسجدِ فأتيتُه أبكي دهشًا، فلما رآني قال: أقُبِضَ رسولُ الله ﷺ؟ قلتُ: إن عمرَ يقولُ: لا أسمعُ أحدًا يذكرُ أن رسولَ الله ﷺ قُبِضَ إلا ضربتُه بسيفي هذا. فقال لي: انطلِق، فانطلقتُ معه فجاءَ والناسُ قد دَخلوا على رسولِ الله ﷺ، فقال: أيها الناسُ، أفرِجوا لي، فأفرَجوا له، فجاء حتى أكبَّ ومسَّه فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

ثم قالوا: يا صاحبَ رسولِ الله ﷺ، أقُبِضَ رسولُ الله ﷺ؟ قال نعم، فعَلِموا أن قد صدَقَ، قالوا: يا صاحبَ رسولِ الله، أيُصلَّى على رسولِ الله؟ قال: نعم، قالوا: وكيف؟ قال: يدخلُ قومٌ فيكبِّرون ويصلُّون ويدعون، ثم يخرجون، ثم يدخلُ قومٌ فيكبِّرون ويصلُّون ويدعون، ثم يخرجون، حتى يدخل الناسُ، قالوا: يا صاحبَ رسول الله، أيُدفنُ رسولُ الله ﷺ؟ قال نعم، قالوا: أين؟ قال: في المكانِ الذي قبَضَ الله فيه روحَه؛ فإن الله لم يقبِض روحَه إلا في مكانٍ طيبٍ، فعلموا أن قد صدَقَ، ثم أمرَهم أن يغسلَه بنو أبيه.

واجتمَعَ المهاجرون يتشاورُون، فقالوا: انطلِق بنا إلى إخوانِنا من الأنصارِ نُدخلُهم معنا في هذا الأمرِ، فقالت الأنصارُ: منا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فقال عمرُ بنُ الخطابِ: مَن له مثلُ هذه الثلاثةِ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، مَن هما؟! قال: ثم بسَطَ يدَه فبايعُوه وبايعَه الناسُ بيعةً حسنةً جميلةً[(١)].

١٩٣- عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: لما وجَدَ رسولُ الله ﷺ من كربِ الموتِ ما وجَدَ قالت فاطمةُ: واكرباه! فقال النبيُّ ﷺ: لا كربَ على أبيك بعدَ اليومِ، إنه قد حضَرَ من أبيك ما ليس بتاركٍ منه أحدًا، الموافاةُ يومَ القيامةِ[(٢)].

(٥٣) باب: ما جاء في ميراثِ رسولِ الله ﷺ

١٩٤- عن عمرِو بن الحارثِ -أخي جُوَيْرِيَةَ- قال: ما تركَ رسولُ الله ﷺ إلا سلاحَه وبغلتَه وأرضًا جعلها صدقةً[(٣)].

١٩٥- عن أبي هريرةَ قال: جاءت فاطمةُ إلى أبي بكر فقالت: من يرثُك؟ فقال: أهلي وولدي، فقالت: ما لي لا أرثُ أبي؟ فقال أبو بكرٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا نُورَث**»، ولكني أَعولُ من كان رسولُ الله ﷺ يعولُه، وأُنفِق على من كان رسولُ الله ﷺ يُنفِقُ عليه[(٤)].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٠٨١)، وابن ماجه (١٢٣٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٢).
(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٩).
(٤) أخرجه أحمد ١/ ٢٢٦ (٦٠).

١٩٦- عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يَقسِمُ ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركت بعد نفقةِ نسائي ومَؤُنة عاملي فهو صدقة**»(١).

١٩٧- عن مالك بن أوسِ بن الحَدَثان قال: دخلتُ على عمرَ فدخل عليه عبدُ الرحمن بن عوفٍ، وطلحةُ، وسعدٌ، وجاء عليٌّ والعباسُ يختصمان، فقال لهم عمر: أنشُدُكم بالذي بإذنه تقومُ السماءُ والأرضُ، أتعلمون أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا نُورَث، ما تركناه صدقة**»؟ فقالوا: اللهمَّ نعم، وفي الحديث قصة طويلة(٢).

(٥٤) باب: ما جاء في رؤيةِ رسولِ الله ﷺ في النومِ

١٩٨- عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من رآني في المنامِ فقد رآني؛ فإن الشيطانَ لا يتصوَّر**» أو قال: «**لا يتشبَّه بي**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦).

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

❸ موسوعة محمد رسول الله ﷺ

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

محمد رسول الله ﷺ

والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر

تأليف

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومن والاه، أما بعدُ:

لا شكَّ أننا نحن المسلمين مطالبون بتعريف شعوب العالم برسول الله محمد ﷺ، وما قدَّمه من خير للبشرية؛ فقد أقامها على المسار الصحيح، ونقلها إلى الطريق القويم والفطرة المستقيمة، وأحدث تغييرًا شاملًا على المستوى الديني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، أكده العديد من كبار الكتاب والمؤرخين الغربيين.

وإن أفضلَ وسيلة للتعريف بنبينا محمد ﷺ هي التعريفُ به من خلال أقواله وأفعاله ومواقفه، وما أحدثَتْه مِن آثارٍ في العالم كلِّه، فتلك هي في الحقيقة سيرته وشخصيته ودعوته «**فمن ثمارهم تعرفونهم**».

وهذا ما قصدتُ بيانَه في هذا الكتاب[(١)]؛ حيث عمدت إلى جمع بعض أقوال النبي ﷺ في كثير من الموضوعات التي يحتاجها العالم المعاصر؛ ليتجلى للقارئ مدى الحاجة لتطبيق هذه الأقوال في عالم الواقع؛ لما تعود به من خير على الفرد والمجتمع والدولة، وهذا ما دعا إليه جميعُ الأنبياء والمرسلين.

ومن خلال مشاركاتي العلمية لتعزيز مكانة الأنبياء والتعريف برسول الله محمد ﷺ في بريطانيا والنمسا وألمانيا والدانمارك والسويد وغيرها، جاء هذا الكتاب، الذي استغرق تأليفه ثلاثة أعوام.

---

(١) يتم الآن ترجمة الكتاب لأهم اللغات العالمية منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية.

وقد بدأت الكتابة بالتأكيد على أن الإيمان بجميع الأنبياء وتعظيمهم وتوقيرهم -عليهم الصلاة والسلام- جزء من عقيدة المسلم، إذ لا يعد المرء مسلمًا إلا بالإيمان بجميع أنبياء الله تعالى ورسله، ورسول الله محمد ﷺ قد بين أن الأنبياء إخوة، عقيدتهم واحدة وهي عقيدة التوحيد، وشرائعهم متنوعة.

وعليه فقد قسمتُ الكتاب إلى تمهيد وأربعة أقسام:

القسم الأول: وأشرت فيه إلى جملة من الحقوق التي ذكرها رسول الله محمد ﷺ، كحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والطفل، والآباء، والأبناء، وذوي الاحتياجات الخاصة، والمسنين، والخدم والرقيق، والضيف، واليتيم، والجار، وغير ذلك.

القسم الثاني: ذكرت فيه بعض أقواله ﷺ في القيم والأخلاق والفضائل: كالعدل، والرحمة، والحلم، والأمانة، والشجاعة، والتواضع، والوفاء، والأمن، والوسطية والتوازن، وتحمل المسؤولية، والرقابة الذاتية، واحترام النفس الإنسانية، وحسن الخلق، والصداقة والحب، والعمل التطوعي، ودفع الظلم ومقاومته، وروح الدعابة، وغير ذلك.

القسم الثالث: ذكرت فيه بعضًا من أقواله ﷺ في التحذير من مساوئ الأخلاق والأفعال: كالقتل، والغدر، والغضب، وترويع الناس، والخيانة، والإفساد بين الناس، والتجسس، وسوء الظن، والرشوة، والمظهرية الجوفاء، والكسل، والانتحار، والظلم والاعتداء، وغير ذلك.

القسم الرابع: ذكرت فيه العديد من أقواله ﷺ في علاج المشكلات المعاصرة: كمشكلة الإرهاب، والعنف الأسري، والفراغ الروحي، والقلق والاكتئاب، والمسكرات، والجنس، والمخدرات، والفقر، ومشكلة البيئة، وغير ذلك.

وقد اشتمل الكتاب على أكثر من (٧٢) موضوعًا، و (٤٠٠) قول لرسول الله محمد ﷺ.

وكان منهجي في هذا الكتاب:

١- اخترت أهم الموضوعات التي يحتاجها عالمنا المعاصر وقسمتها إلى الأقسام الأربعة السابقة.

٢- ذكرت الصحيح من أقوال رسول الله محمد ﷺ في كل موضوع، مع تعليق مختصر عليها.

ولنْ يتحققَ المقصودُ من الكتابِ إلا أنْ نشتركَ جميعًا في التعرُّفِ على سيرةِ رسولِنا محمدٍ ﷺ، وعلى سنتهِ المباركةِ، فنعملَ بها، وندعوَ البشريةَ إليها بأفعالِنا قبلَ أقوالِنا، فهذه أعظمُ وسيلةٍ للتعريفِ برسولِ الله محمدٍ ﷺ، ونصرتهِ النصرةَ الحقَّةَ الواجبةَ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

هذا، ويحدوني الأمل -قارئي الكريم- أن تقرأ كتابي هذا وتطلع عليه كما اطلع كثير من علماء الغرب -غير المسلمين- على سيرة النبي ﷺ وأقواله ومواقفه، فكانت لهم أقوال تدلُّ على تعظيم النبي ﷺ والإعجاب بشخصيته والانبهار بأخلاقه وسيرته في الناس.

ومن هؤلاء **الأديب الإنجليزي (جورج برنارد شو)** حيث قال: «إن محمدًا يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية، إنني أعتقد أنه لو تولى مثله زعامة العالم الحديث لنجح في حلِّ مشكلاته بطريقة تجلب إلى البشرية السعادة». [عظمة الإسلام: المجلد الأول، لجورج برنارد شو].

ويقول **الأديب الألماني (جوته)**: «بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في النبي محمد» [جوته: الديوان الشرقي للشاعر الغربي لجوته].

ويقول **المؤرخ الأمريكي ول ديورانت**: «إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ» [قصة الحضارة (١٣/ ٥٩) ول ديورانت].

ويقول **العالم الأمريكي المعاصر مايكل هارت**: «إن اختياري محمدًا ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ ربما أدهش كثيرًا من القراء إلى حد قد يثير بعض التساؤلات... لكن في اعتقادي أن محمدًا ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي» [المائة الأوائل: لمايكل هارت].

وختامًا: أسأل الله تعالى أن يحقق هذا الكتاب الغاية منه، وأن يسعد الجميع دنيا وآخرة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

التمهيد

١ - حياةُ رسولِ اللهِ محمدٍ ﷺ في سطور

نسبه ﷺ:

هو أبو القاسمِ محمدُ بن عبدِ الله، بنُ عبدِ المطلب، بنُ هاشمٍ بن عبد مناف، بنُ قصي، بن كُلاب، بن مُرَّة، بن كعب بن لؤي بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معدّ، بن عدنان، وعدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

أمُّه ﷺ:

وأمُّ رسولِ الله ﷺ هي آمنةُ بنتُ وهبٍ بن عبدِ منافِ بن زهرة بن كُلاب.

ولادته ﷺ:

وُلِدَ رسولُ الله ﷺ بمكةَ في العامِ الذي غزا فيه أبْرهةُ الأشرمُ مكةَ لهدمِ الكعبةِ، وهذا العامُ يوافقُ سنةَ (٥٧٠-٥٧١م).

وقد وُلدَ يوم الاثنينِ من شهرِ ربيعٍ الأولِ من هذا العامِ.

وفاة والديه وجده ﷺ:

ومات أبوه عبدُ الله وهو حَمْلٌ في بطنِ أمهِ، ثم ماتتْ أمهُ وهو في السادسةِ من العمرِ، فكفلهُ جدُّه عبدُ المطلبِ الذي ماتَ هو الآخرُ ورسولُ الله ﷺ ابنُ ثمانِ سنين.

رَضَاعهُ ﷺ:

أرضعته ثويبةُ جاريةُ أبي لهبٍ، وأرضعته حليمةُ السعديةُ.

نشأته ﷺ:

ونشأَ ﷺ يتيمًا يكفلهُ جدُّهُ عبدُ المطلبِ، فلما ماتَ كفلهُ عمُّه أبو طالبٍ، واعتنى به وشمله بالعطفِ والرعايةِ.

وطهّره اللهُ عَزَّوَجَلَّ من دنسِ الجاهليةِ ومن كلِّ عيبٍ، ومنحه كلَّ خلقٍ جميلٍ، حتى لم يكنْ يُعرفُ بين قومِه إلا بالأمينِ، لما شاهدوا من أمانتهِ وصدقِ حديثهِ وطهارتهِ.

وسافرَ ﷺ إلى الشامِ مع عمهِ أبي طالبٍ في تجارةٍ له.

ثم خرجَ ثانيًا إلى الشامِ مع ميْسرةَ - غلامِ خديجةَ رضي الله عنها - في تجارةٍ لها وذلك قبلَ أن يتزوجها، فلما حدَّثَها ميسرةُ عن صدقهِ وأمانتهِ وما بَهَرهُ من شأنهِ وخلقهِ رَغِبتْ في التزوجِ به.

فلما بلغ خمسًا وعشرين سنةً تزوجَ ﷺ خديجةَ بنتَ خويلدٍ، وكانت في الأربعين من عمرها.

ابتداء الوحي:

فلما بلغَ أربعين سنةً عام ٦١٠م اختصَّه اللهُ بكرامتهِ، وابتعثه برسالتهِ.

أتاه جبريلُ عليه السلام وهو بغار حِراء - جبلٍ بمكة - وكان اللهُ قد حببَ إليه الاختلاءَ بنفسهِ للتأملِ في هذا الغارِ.

نزلَ عليه جبريلُ بغارِ حراءٍ فقالَ له: اقرأْ. قالَ: لستُ بقارئٍ. فغطّه الملَكُ حتى بلغَ منه الجهدُ. ثم قالَ له: اقرأْ. فقالَ: لستُ بقارئٍ. فعلَ ذلك ثلاثًا. ثم قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥].

فرجعَ رسولُ الله ﷺ إلى خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يرتجفُ، فأخبرها بما حدثَ له، فثبَّتته وطمأَنته وقالتْ له: كلا، والله لا يخزيكَ اللهُ أبدًا، إنك لتصلُ الرحمَ، وتَصْدُقُ الحديثَ، وتقري الضيفَ، وتُكسبُ المعدومَ، وتُعينُ على نوائبِ الدهرِ.

ثم فتر الوحيُ لحكمةٍ يعلمها اللهُ عَزَّوَجَلَّ ثم نزلَ على النبيِّ مرةً أخرى ومعه التكليفُ الأكيدُ والأمرُ الجازمُ بالدعوةِ والبلاغِ وتحملِ المسؤوليةِ، فأنزل عليه قولَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:١-٥].

فأمره اللهُ تعالى في هذه الآياتِ أن يُنذرَ قومَه ويدعوَهم إلى عبادة الله وحده، فدعا رسولُ الله ﷺ الكبيرَ والصغيرَ والحرَّ والعبدَ، والرجالَ والنساءَ، والأبيضَ والأسودَ، فاستجابَ له البعضُ، وكَفَرَ به الأكثرون.

مراحل دعوته ﷺ:

ابتدأَ ﷺ الدعوةَ سرًّا، واستمرَّ على ذلك ثلاثَ سنين يدعو الرجلَ تلو الرجلِ، فلما نَزَلَ عليه قولُه تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر:٩٤]، جَهَرَ بدعوتِه، فكان يذهبُ إلى الناسِ في أسواقِهم وأنديتِهم وأماكنِ تجمعِهم يدعوهم إلى اللهِ تعالى.

صبره ﷺ على الأذى:

لَقِيَ ﷺ صنوفَ الأذى والشدائدِ من قومهِ وهو صابرٌ محتسبٌ، فلما أكثروا من إيذاءِ أصحابِه، أمرهم أنْ يخرجوا إلى أرضِ الحبشة عام ٦١٥م، فرارًا من الظلمِ والطغيانِ فهاجروا لأن بالحبشة ملكًا نصرانيًا عادلًا.

هجرته إلى المدينة:

ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ مع صاحبهِ أبي بكرٍ فتوجَّهَ إلى المدينةِ مهاجرًا عام ٦٢٢م، تاركًا بلدَه الذي وُلِدَ وترعرعَ فيه بعد ثلاثَ عشرةَ سنةً من التكذيبِ والاضطهادِ والمعاناةِ، إلى دارٍ أخرى تلقَّاه أهلُها بالرَّحبِ والسَّعةِ، فآمنوا به وصدقوه، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في حمايته ونصرة دينه.

وفي المدينةِ أقامَ النبيُّ ﷺ دولةَ الإسلامِ ووضعَ أولَ دستورٍ مَدَنيٍّ عَرَفه التاريخُ وهو ما يُعرفُ بدستورِ المدينةِ، وقد أقرَّ النبيُّ ﷺ فيه مبدأَ التعايشِ السِّلمِّي بين الأفرادِ والجماعاتِ والأديانِ وحَفِظَ فيه للأقلياتِ حقوقَها في سابقةٍ لم يَعْرفْ التاريخُ مثلَها في هذا الوقتِ.

ومن نصوص هذا الدستور المدنيِّ:

هذا كتابٌ من محمدٍ النبيّ ﷺ رسولِ الله بين المؤمنينَ والمسلمينَ من قريشٍ وأهلِ يثرب ومن تبعهم فلحقَ بهم وجاهدَ معهم.

- إنهم أمةٌ واحدةٌ من دونِ الناسِ.

▪ وإن المؤمنين لا يتركون مُفرحًا[(١)] بينهم أن يعطوه بالمعروفِ.

▪ وإنَّ المؤمنين المتقين أيديهم على كلِّ من بَغَى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلمٍ[(٢)]، أو إثمًا أو عدوانًا أو فسادًا بين المؤمنين، وإنَّ أيديَهم عليه جميعًا ولو كان وَلَدَ أحدِهم.

▪ ولا يَقتُل مؤمنٌ مؤمنًا في كافرٍ، ولا يَنصُرُ كافرًا على مؤمنٍ.

▪ وإنَّ المؤمنين بعضُهم مَوالي بعضٍ دونَ الناسِ.

▪ وإن من تبعنا من يهودَ، فإنَّ له النصرةَ والأسِوةَ، غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم.

▪ وإن المؤمنين المتقين على أحسنِ هديٍ وأقومِهِ.

▪ وإنَّ اليهودَ ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

▪ وإنَّ يهود بني عوفٍ أمةٌ مع المؤمنين، لليهود دينُهم وللمسلمين دينُهم، مواليهم وأنفسِهم، إلا من ظَلَمَ نفسَه وأثمَ فإنه لا يوتِغُ[(٣)] إلا نفسَه وأهلَ بيتِهِ.

▪ وإنَّ على اليهودِ نفقتَهم، وعلى المسلمين نفقتَهم.

▪ وإن بينهم النصرَ على من حاربَ أهلَ هذه الصحيفةِ، وإن بينهم النصحَ والنصيحةَ والبرَ دون الإثمِ.

---

(١) المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

(٢) ابتغى دسيعة ظلم: أي طلب شيئًا على سبيل ا لظلم.

(٣) لا يوتغ: لا يهلك.

- وإنه ما كان بين أهلِ هذه الصحيفةِ من حَدَثٍ أو اشتجارٍ يُخاف فسادُه فإنَّ مردَّه إلى الله، وإلى محمدٍ رسولِ الله ﷺ.
- وإنَّ بينهم النصرَ من دَهَم يثربَ.
- وإنه لا يحول هذا الكتابُ دون ظالمٍ أو آثمٍ، وإنه من خرجَ آمنٌ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة، إلا من ظَلَمَ وأثم، وإنَّ اللهَ جارٌ لمن برَّ واتقى، ومحمدٌ رسولُ الله ﷺ.

أبرز ما كان يدعو إليه محمد رسول الله ﷺ:

إنَّ أهمَّ ما بدأَ به النبيُّ محمدٌ دعوتَه **هو إفرادُ الله تعالى بالعبادةِ**، وتركُ عبادةِ مَنْ سواه، ودعا كذلك إلى تعزيزِ القيمِ الخُلقية مثل: الصدقِ والعدلِ والمساواةِ والرحمة والوسطيةِ.

كما أعلى من شأنِ الأخلاقِ الحسنةِ وجعلها من أهمِّ ما يَتقربُ به الإنسانُ إلى ربه، وأكَّد على كونِ الدنيا مزرعةً للآخرةِ، وأنَّ الإنسانَ مستخلفٌ فيها ليعمرَها بكلِّ مفيدٍ ونافعٍ.

وأمرَ النبيُّ بأداءِ الحقوقِ لأصحابها أيًّا كان هذا الصاحبُ مؤمنًا أو غيرَ مؤمنٍ إنسانًا أو حيوانًا. ومن أهمِّ ما أولاه العنايةَ في حقوقِ الإنسانِ حريةُ المعتقد وعدمِ إكراهِ أحدٍ على دخولِ الإسلامِ تنفيذًا للأمرِ الإلهيِّ القاضي بأنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾.

أولادُه ﷺ وبناتُه:

كلُّ أولادِهِ ﷺ من ذكرٍ وأنثى فمن خديجةَ بنتِ خويلد، حاشا إبراهيمَ فإنه من ماريةِ القبطية التي أهداها إليه المقوقسُ مَلِكُ مصرَ.

فالذكورُ من ولده: القاسمُ وبه كان يُكَنَّى، وعاش أيامًا يسيرة، وإبراهيمُ ولد بالمدينةِ وعاش عامين إلا شهرين ومات قبله ﷺ بثلاثةِ أشهرٍ.

وعبدُ الله وهو الملقب بالطاهرِ والطيِّبِ، وقد مات في حياتِه ﷺ أيضًا.

وأما بناتُه ﷺ فهن: زينبُ، ورقيةُ، وفاطمةُ، وأمُّ كلثومِ.

أزواجُه ﷺ:

ولما بلغَ رسولُ الله ﷺ سنَّ الخامسةِ والعشرين تزوجَ من السيدةِ خديجةَ بنتِ خويلدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانَ لها حينئذٍ من العمرِ أربعونَ عامًا، وظلَّ معها طيلةَ خمسٍ وعشرينَ سنةً، لم يتزوجْ عليها غيرَها حتى توفيتْ وقد ناهزتِ الخامسة والستين عامًا، وكانَ عمرُه خمسينَ سنةً، وتزوجَ بعد ذلك بالعديدِ من النسوةِ لم يكنْ منهنَّ بكرًا إلا عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقد كانَ زواجُهُ منهنَّ بعدَ هذا العمرِ له حكمٌ عديدةٌ منها:

١- **غاية تعليمية:** لتخريج بضع معلمات للنساء يعلمهنَّ الأحكام الشرعية، وخاصة التي تتعلق بهنَّ.

٢- **غايةٌ تشريعيةٌ:** لإبطالِ بعضِ العاداتِ الجاهليةِ المستنْكرةِ كعادةِ التبني كزواجِهِ من السيدةِ (زينبَ بنتِ جحشٍ).

٣- **غايةٌ اجتماعيةٌ:** وهذه واضحةٌ تمامًا في تزوجِهِ من السيدةِ عائشةَ ابنةَ وزيرِهِ الأولَ أبي بكرٍ الصديقِ، ثم زواجِهِ من السيدةِ حفصةَ ابنةَ وزيرِهِ الثاني عمرَ بنِ الخطابِ.

٤- **غايةٌ سياسيةٌ:** فقد كانَ زواجُهُ من السيدةِ (جويريةَ بنتِ الحارثِ) سيدةَ بني المصطلقِ، وكذا زواجهُ من السيدةِ (صفيةَ بنتِ حييٍّ بنِ أخطبَ) سيدةَ بني قريظةَ.

وبذلك يظهرُ نبلُ رسولِ الله، وسموُّ غرضِهِ، وجميلُ قَصْدِهِ في زيجاتِهِ كلِّها، إذ لم يكنْ للهوى سلطانٌ على قلبِهِ ولم يكن زواجه عليه الصلاة والسلام بهذا العدد من النساء مستغربًا في مجتمعه، فقد كانت هذه عادة اجتماعية مألوفة.

وفاتُه ﷺ:

مكثَ ﷺ بالمدينةِ عشرَ سنينَ، وتُوفيَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنةً، وغسَّله عليُّ بنُ أبي طالبٍ وعمّهُ العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ وآخرون، وكُفِّنَ في ثلاثةِ أثوابٍ بيض.

وصلَّى عليه المسلمون أفذاذًا، لم يؤمَّهم عليه أحدٌ لعظمِ قَدْرِهِ، ولأنَّه هو الإمامُ حيًّا وميتًا ﷺ.

ودُفنَ ﷺ في الموضعِ الذي توفَّاه اللهُ فيه، فلما دُفِنَ قالتِ ابنتُهُ فاطمةُ لأنسٍ: كيفَ طابتْ أنفسُكم أَنْ تحثوا الترابَ على رسولِ الله ﷺ.

وقالَ أنسٌ: لما كانَ اليومُ الذي قَدِمَ فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ أضاءَ منها كلُّ شيءٍ، فلما كانَ اليومَ الذي ماتَ فيه أظلمَ منها كلُّ شيءٍ.

٢ -الأنبياءُ إخوةٌ

إنَّ الأنبياءَ إخوةٌ جميعًا أرسلَهم اللهُ لهدايةِ البشريةِ، وإخراجِها من الظلماتِ إلى النورِ، ولذلكَ جَعَلَ اللهُ تعالى الإيمانَ بالأنبياءِ والرسلِ ركنًا من أركانِ الإيمانِ، قالَ تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

فَمَنْ جَحَدَ نبوةَ نبيٍّ واحدٍ فقد كَفَرَ باللهِ وكذَّبَ رُسُلَهُ، ولذلك فلا يكونُ المسلمُ مسلمًا إذا آمنَ بجميعِ رسلِ اللهِ وأنبيائِهِ.

قالَ النبيُّ ﷺ: «**أنا أولى الناسِ بعيسى ابنِ مريمَ في الدنيا والآخرةِ، والأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّات[١]، أمهاتُهم شتَّى، ودينُهم واحدٌ**»[٢].

أولادُ العَلَّاتِ هم الإخوةُ لأبٍ منْ أمهاتٍ شتَّى. ومعنى الحديثِ: أصلُ عقيدتِهم وإيمانِهم واحدٌ وهي عقيدةُ التوحيدِ، وشرائعُهم متنوعةٌ، فإنَّهم متفقونَ في أصولِ التوحيدِ، وأما فروعُ الشرائعِ فقد وَقَ فيها التنوع[٣].

ومن تعظيمِ النبيِّ ﷺ للأنبياءِ نهيُهُ عن التفضيلِ بينهم:

---

(١) إخوة لِعلَّات: أبوهم واحد، والأمهات متعددة.

(٢) رواه البخاري (٣١٨٧)، ومسلم (٤٣٦٢).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ١١٩).

فعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: بينما يهوديٌّ يعرضُ سلعتَهُ، أُعطيَ بها شيئًا كرههُ، فقالَ: لا والذي اصطفى موسى على البشرِ، فسمِعَهُ رجلٌ من الأنصارِ، فقامَ فلطمَ وجههُ وقالَ: تقولُ: والذي اصطفى موسى على البشرِ والنبيُّ ﷺ بين أظهرِنا. فذهبَ اليهوديُّ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: أبا القاسمِ! إنَّ لي ذمةً وعهدًا، فما بالُ فلانٍ لطمَ وجهي؟ فقالَ ﷺ: «**لِمَ لطمتَ وجهَهُ؟**» فذكرَهُ، فغضبَ النبيُّ ﷺ حتى رُئي في وجهِهِ، ثم قالَ: «**لا تُفضِّلوا بين أنبياءِ اللهِ**»[(١)].

وعن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا خيرَ البريةِ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ذاكَ إبراهيمُ عليه السلامُ**»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**لا ينبغي لعبدٍ أنْ يقولَ: أنا خيرٌ من يونسَ بن متَّى**»[(٣)].

وقيلَ: يا رسولَ اللهِ من أكرمُ الناسِ؟ قالَ: «**أتقاهم**»، قالوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ. قال: «**فيوسفُ نبيُّ اللهِ ابنِ نبيِّ اللهِ ابنِ نبيِّ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ**». قالوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ. قالَ: «**فعن معادنِ العربِ تسألوني، خيارُهم في الجاهليةِ خيارُهم في الإسلامِ، إذا فقِهوا**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٣١٦٢).

(٢) رواه مسلم (٤٣٦٧).

(٣) رواه البخاري (٣١٤٤)، ومسلم (٤٣٨١).

(٤) رواه البخاري (٣١٤٤)، ومسلم (٤٣٨٣).

٣ -نموذج لتعرف ملك من ملوك الروم على محمد رسول الله ﷺ

كانَ النبيُّ ﷺ يبعثُ بالرسائلِ إلى ملوكِ وحكامِ الأرضِ يدعوهم فيها إلى الإيمانِ بالله واليومِ الآخرِ وأنهُ خاتمُ الرسلِ الذين أرسلهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وذلك في عام ٦٢٨م، ومن هؤلاءِ القادةِ الذينَ أرسلَ النبيُّ ﷺ إليهم رسائلَهُ هرقلُ عظيمُ الرومِ، فلما جاءهُ كتابُ النبيِّ ﷺ أرادَ أنْ يعرفَ هل النبيُّ ﷺ صادقٌ أم كاذبٌ فاستخدمَ في ذلك أسلوبَ طرحِ الأسئلةِ المحددةِ التي تكشفُ عن حقيقةِ الشخصيةِ، واستوثقَ من المسؤولِ حتى لا يكونَ جوابُهُ مخالفًا للواقعِ، فاختارَ أقربَ الناسِ إلى النبيِّ ﷺ، وجعلَ عليه رقباءَ يستمعونَ إليه، حتى إذا ما كذبَ أو حادَ عن الصوابِ نبَّهُوهُ إلى ذلك.

ونظرًا لعظَمِ هذا الحديثِ في بيانِ صدقِ النبيِّ ﷺ، واعترافِ أحدِ ملوكِ النصارى بذلك، آثرنا إيرادَهُ بتمامِهِ لكثرةِ فوائدِهِ ودلالاتِهِ.

عن ابنِ عباس أنَّ أبا سفيانَ أخبرهُ مِنْ فِيهِ إلى فِيهِ قالَ: انطلقتُ في المدةِ التي كانت بيني وبينَ رسولِ الله[1] ﷺ قالَ: فبينا أنا بالشامِ إذ جيءَ بكتابٍ من رسولِ الله ﷺ إلى هرقلَ - يعني عظيمَ الروم - قالَ: وكان دِحْيةُ الكلبيُّ جاءَ به فدفعهُ إلى عظيمِ بُصرى، فدفعه عظيمُ بُصرى[2] إلى هرقلَ، فقالَ هرقلُ: هل ها هنا أحدٌ من قومِ هذا الرجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ قالوا: نعم، قالَ: فدُعيتُ في نفرٍ من قريشٍ، فدخلنا على هرقلَ، فأجلسَنَا بين يديهِ فقال: أيكُّم أقربُ نسبًا من هذا الرجلِ الذي

---

(١) أي فترة الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش، وكانت عام (٦٢٨م).

(٢) بُصرى: في سوريا وتقع على بعد ٤٠ كم شرق مدينة درعة الآن.

يزعمُ أنه نبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلتُ أنا، فأجلسوني بين يديهِ، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجُمانِهِ فقالَ له: قلْ لهم: إني سائلٌ هذا عن هذا الرجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ، فإنْ كذبَني فكذِّبوه. قالَ فقالَ أبو سفيانَ: وايم الله لولا مخافةُ أنْ يؤثَرَ(١) عليَّ الكذبُ لكذبتُ. ثم قالَ لترجمانِهِ: سَلْهُ كيف حَسَبُه فيكم؟ قالَ: قلتُ: هو فينا ذُو حسبٍ، قالَ: فهلْ كانَ من آبائِهِ ملكٌ؟ قلت: لا. قالَ: فهل كنتم تتهمونهُ بالكذبِ قبلَ أنْ يقولَ ما قالَ؟ قلتُ: لا. قالَ: ومن يتبعهُ أشرافُ الناس أم ضعفاؤهم؟ قالَ: قلتُ: بل ضعفاؤهم. قالَ: أيزيدون أم ينقصون؟ قالَ: قلتُ: لا بل يزيدون. قالَ: هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينِهِ بعدَ أن يدخلَ فيه سخْطَةً له؟ قالَ: قلتُ: لا. قالَ: فهل قاتلتموه؟ قلتُ: نعم. قالَ: فكيف كانَ قتالُكم إيَّاه؟ قالَ: قُلتُ: تكونُ الحربُ بيننا وبينه سجالًا يُصيبُ منا ونُصيبُ منه. قالَ: فهل يغدرُ؟ قلتُ: لا. ونحنُ منه في مُدةٍ لا ندري ما هو صانعٌ فيها. قالَ: فوالله ما أمكنني من كلمةٍ أُدخلُ فيه شيئًا غيرَ هذه. قالَ: فهل قالَ هذا القولَ أحدٌ قبلَهُ؟ قالَ: قلتُ: لا.

قالَ لترجمانِهِ قلْ له:

١- إنِّي سألتُكَ **عن حسبِهِ** فزعمتَ أنه فيكم ذو حسبٍ، وكذلك الرسلُ تُبعثُ في أحسابِ قومِها.

٢- وسألتُك هل كانَ **في آبائِهِ ملكٌ** فزعمتَ أنْ لا. فقلتُ: لو كانَ من آبائِهِ ملكٌ قلتُ: رجلٌ يطلبُ ملكَ آبائِهِ.

---

(١) يؤثر: ينقل.

٣- وسألْتُكَ عن أتباعِهِ **أضعفاؤهم أمْ أشرافُهم** فقلتَ: بل ضعفاؤهم وهم أتباعُ الرسل.

٤- وسألْتُكَ هل كنتم **تتهمونهُ بالكذبِ** قبلَ أنْ يقولَ ما قالَ فزعمتَ أنْ لا. فقد عرفتُ أنه لم يكنْ ليدعَ الكذبَ على الناسِ ثم يذهبُ فيكذبُ على اللهِ.

٥- وسألْتُكَ **هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينِهِ** بعدَ أنْ يدخلَهُ سخطةً له فزعمتَ أنْ لا. وكذلك الإيمانُ إذا خالطَ بشاشةَ القلوبِ(١).

٦- وسألتُ هل **يزيدونَ أو ينقصونَ** فزعمتَ أنهم يزيدون وكذلك الإيمانُ حتى يتمَّ.

٧- وسألتكَ **هل قاتلتموه** فزعمتَ أنَّكم قد قاتلتموه فتكونُ الحربُ بينكم وبينه سِجالًا ينالُ منكم وتنالونَ منه. وكذلك الرسلُ تُبتلى ثم تكونُ لهم العاقبةُ.

٨- وسألتك **هل يغدِرُ** فزعمتَ أنه لا يغدرُ. وكذلك الرسلُ لا تغدرُ.

٩- وسألتُكَ **هل قالَ هذا القولَ أحدٌ قبلَهُ** فزعمتَ أنْ لا. فقلتُ: لو قالَ هذا القولَ أحدٌ قبلَهُ قلتُ: رجلٌ ائتمَّ بقولٍ قيل قبلَهُ.

١٠- قالَ ثمَّ قالَ: بمَ يأمرُكم قلتُ: يأمرُنا بالصلاةِ والزكاةِ والصلةِ والعفافِ قالَ: **إنْ يكنْ ما تقولُ فيه حقًّا فإنه نبيٌّ، وقد كنتُ أعلمُ أنه خارجٌ، ولم أكنْ أظنهُ منكم، ولو أني أعلمُ أني أخلصُ إليه لأحببتُ لقاءَهُ، ولو كنتُ عندَهُ لغسلتُ عن قدميهِ، وليبلغنَّ مُلكُه ما تحتَ قدميَّ.**

(١) بشاشة القلوب: انشراحها.

قالَ: ثم دعا بكتابِ رسولِ الله ﷺ فقرأهُ فيهِ: «**بسمِ الله الرحمنِ الرحيم من محمدٍ رسولِ الله إلى هرقل عظيمِ الرومِ سلامٌ على منِ اتبعَ الهدى أما بعدُ فإني أدعوكَ بدعايةِ الإسلامِ، أسلمْ تسلَمْ، وأسلِمْ يؤتِكَ اللهُ أجركَ مرتين، وإنْ توليتَ فإنَّ عليكَ إثمَ الأريسيين**[١]، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»[٢]، فلما فرغَ من قراءةِ الكتابِ ارتفعتِ الأصواتُ عندَهُ وكثرَ اللغطُ وأُمرَ بنا فأُخْرِجْنَا. قالَ: فقلتُ لأصحابي حين خرجنا لقد أَمِرَ[٣] أمرُ ابنِ أبي كبشةَ[٤]، إنه ليخافهُ مَلِكُ بني الأصفر، قالَ: فما زلتُ موقنًا بأمرِ رسولِ الله ﷺ أنَّهُ سيظهرُ حتى أدخلَ اللهُ عليَّ الإسلامَ.

---

(١) الأريسيون: الفلاحون.

(٢) رواه البخاري (٤١٨٨)، ومسلم (٣٣٢٢).

(٣) أَمِرَ: عظم.

(٤) ابن أبي كبشة: وهذه كنية جده لأمه (وهب). قالوا ذلك: عداوة له؛ فنسبوه إلى نسب غير نسبه المشهور.

٤ - نموذج لتعرف ملك من ملوك الحبشة على محمد رسول الله ﷺ

وفي حديثِ هجرةِ صحابةِ رسولِ الله محمدٍ إلى الحبشةِ بعدَ ما تعرضوا له من الأذى والتضييقِ ذكرٌ لما تنطوي عليه دعوةُ نبيِّ الله محمدٍ ﷺ من محاسنِ الأخلاقِ، ومراعاةِ الحقوقِ الإنسانيةِ، والبرِّ بالآخرينَ وذلكَ ما لخصهُ الصحابيُّ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ لملكِ الحبشةِ وقتئذٍ (النجاشيِّ) حينَ سألَهُ عن دينهِ وما يدعو إليه.

فقالَ: ما هذا الدِّينُ الذي فارقتُم فيه قومكم ولم تدخلُوا في ديني ولا في دينِ أحدٍ من هذه الأُممِ؟

فكانَ الذي كلمهُ جعفرُ بن أبي طالب فقالَ لهُ: أيُّها الملكُ كنا قومًا أهلَ جاهليةٍ نعبدُ الأصنامَ، ونأكلُ الميتةَ ونأتي الفواحشَ، ونقطعُ الأرحامَ، ونُسيءُ الجوارَ، يأكلُ القويُّ منا الضعيفَ، فكنَّا على ذلك حتى بعثَ اللهُ إلينا رسولًا منا نعرفُ نسبهُ وصدقهُ وأمانتهُ وعفافهُ فدعانا إلى الله لنوحدَهُ، ونعبدَهُ، ونخلعَ ما كنا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونهِ من الحجارةِ والأوثانِ، وأمرَنا بصدقِ الحديثِ، وأداءِ الأمانةِ، وصلةِ الرحمِ، وحُسنِ الجوارِ، والكفِّ عن المحارمِ والدماءِ، ونهانا عن الفواحشِ، وقولِ الزورِ، وأكلِ مالِ اليتيمِ، وقذفِ المُحصنةِ، وأمرنا أن نعبدَ اللهَ وحدَهُ لا نُشركُ به شيئًا، وأمرنا بالصلاةِ والزكاةِ، والصيامِ.

فعدَّد عليه أمورَ الإسلام، ثمَّ قال: فصدقْناه وآمنَّا به واتبعنَاه على ما جاءَ به فعبَدنا اللهَ وحدَه فلم نُشركْ به شيئًا وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللْنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا فعذَّبونا، وفتنونا عن ديننا ليرُدونا إلى عبادةِ الأوثانِ من عبادةِ الله عزَّ وجلَّ، وأنْ نستحِلَّ ما كنا نستحِلُّ من الخبائثِ، فلما قهرونا وظلمونا، وشقُّوا

علينا، وحالوا بيننا وبينَ ديننا، خرجنا إلى بلدِكَ واخترناكَ على من سواكَ ورغبنا في جوارِكَ، ورجونا أنْ لا نُظلمْ عندكَ أيُّها الملكُ.

فقالَ له النجاشيُّ: هل معك مما جاءَ به عن اللهِ من شيءٍ؟

فقالَ له جعفرُ: نعم.

فقالَ له النجاشيُّ: فاقرأهُ عليَّ فقرأَ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم]، فبكى واللهِ النجاشيُّ حتى أخضلَ لحيتهُ، وبكتْ أساقفتهُ حتى أخضلوا مصاحفَهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قالَ النجاشيُّ: إنَّ هذا واللهِ والذي جاءَ به موسى ليخرجُ من مشكاةٍ واحدةٍ، انطلقا فواللهِ لا أسلمُهم إليكم أبدًا ولا أكادُ[1].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٤٩).

٥ - نموذج لتعرف أحد كبار أحبار اليهود على محمد رسول الله ﷺ

وهذا أيضًا زيدُ بن سَعْنَةَ أحدُ كبارِ أحبارِ اليهودِ أرادَ أنْ يعرفَ صدقَ النبيِّ ﷺ فاختبرَهُ في أخلاقِهِ مع الناسِ بل مع المخالفينَ له في عقيدتِهِ، فلم يملكُ إلا أنْ يعترفَ بنبوتِهِ ويكونَ أحدَ أتباعِهِ المؤمنينَ به.

عن عبدِ الله بن سلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لما أرادَ هُدى زيدِ ابنِ سَعنةَ قالَ زيدُ بنُ سعنةَ: إنه لم يبقَ من علاماتِ النبوةِ شيءٌ إلا وقد عرفتُها في وجهِ محمدٍ ﷺ حينَ نظرتُ إليه إلا اثنتينِ لم أَخبرُهما منه: يسبقُ حلمُه جَهلَهُ، ولا يزيدُه شدَّةُ الجهلِ عليه إلا حِلمًا، فكنتُ أتلَطَّفُ لأنْ أخالِطَهُ فأعرفَ حلمَهُ وجهلَهُ.

قالَ: فخرجَ رسولُ الله ﷺ يومًا من الحجُراتِ، ومعه عليُّ بنُ أبي طالبٍ، فأتاه رجلٌ على راحلتِهِ كالبدويِّ.

فقالَ: يا رسولَ الله، قريةُ بني فلانٍ قد أسلموا، ودخلوا في الإسلامِ، وكنتُ أخبرتُهم أنهم إنْ أسلموا أتاهم الرزقُ رَغَدًا، وقد أصابهم شدَّةٌ وقحطٌ من الغيثِ، وأنا أخشى يا رسولَ الله أنْ يخرجوا من الإسلامِ طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا، فإنْ رأيتَ أن تُرسلَ إليهم من يُغيثهم به فعلتَ.

قالَ: فنظرَ رسولُ الله ﷺ إلى رجلٍ جانبه - أُراه عمرَ -.

فقالَ: ما بقي منه شيءٌ يا رسولَ الله.

قالَ زيدُ بن سعنةَ: فدنوتُ إليه، فقلتُ له: يا محمدُ، هل لك أنْ تبيعني تمرًا معلومًا من حائطِ بني فلانٍ إلى أجلِ كذا وكذا؟

فقالَ: «**لا يا يهوديُّ، ولكنْ أبيعُكَ تمرًا معلومًا إلى أجلِ كذا وكذا، ولا أُسمي حائطَ بني فلانٍ**».

قلتُ: نعم، فبايعنَي، فأطلقتُ هِمْياني(١)، فأعطيتُهُ ثمانينَ مِثقالًا من ذهبٍ في تمرٍ معلومٍ إلى أجلِ كذا وكذا.

قالَ: فأعطاها الرجلَ، وقالَ: «**اعْجَلْ عليهم، وأغثهم بها**».

قالَ زيدُ بن سَعْنَةَ: فلما كانَ قبلَ محلِّ الأجلِ بيومين أوثلاثةٍ خرجَ رسولُ الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ، ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ونفرٍ من أصحابِهِ، فلما صلَّى على الجنازةِ دنا من جِدارٍ، فجلسَ إليه، فأخذتُ بمجامعِ قميصِهِ، ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظٍ.

ثم قلتُ: ألاَ تقضيني يا محمدُ حقِّي؟ فواللهِ ما علمتُكم بني عبد المطلبِ لُمطْلٍ، ولقد كانَ لي بمخالطَتِكم عِلمٌ.

قالَ: ونظرتُ إلى عمرَ بنِ الخطابِ، وعيناه تدورانِ في وجههِ كالفلكِ المستديرِ، ثم رماني ببصرهِ.

وقالَ: أيْ عدوَّ الله، أتقولُ لرسولِ الله ﷺ ما أسمعُ، وتفعلُ به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحقِّ، لولاَ ما أحاذرُ فوتَهُ لضربَتُ بسيفي هذا عنقَكَ. ورسولُ الله ﷺ ينظرُ إلى عمرَ في سكونٍ وتُؤَدةٍ.

ثمَّ قالَ: «**إنَّا كنا أحوجَ إلى غيرِ هذا منك يا عمرُ، أنْ تأمرني بحسنِ الأداءِ، وتأمرَه بحسنِ التِّباعةِ(٢)، اذهبْ يا عمرُ فاقضِهِ حقَّه، وزدْهُ عشرينَ صاعًا من غيرِهِ مكانَ ما رُعته**».

---

(١) همياني: أي كيس النقود يشد به الوسط.

(٢) التِّباعةِ: أي الطلب.

قالَ زيدٌ: فذهبَ بي عمرُ، فقضاني حقِّي، وزادني عشرينَ صاعًا من تمرٍ، فقلتُ: ما هذه الزيادةُ؟

قالَ: أمرني رسولُ الله ﷺ أن أزيدَكَ مكانَ ما رُعتُكَ. قلتُ: أتعرفُني يا عمرُ؟

قالَ: لا، منْ أنت؟ قلتُ: زيدُ بنُ سَعْنةَ.

قالَ: الحَبرُ؟ قلتُ: نعم الحَبرُ.

قال: فما دَعَاك أنْ تقولَ لرسولِ الله ﷺ ما قلتَ، وتفعلَ به ما فعلتَ؟

فقلتُ: يا عمرُ، كلُّ علاماتِ النبوةِ قد عرفْتُها في وجهِ رسولِ الله ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتينِ، لم أختبرهما منه: يسبق حلمُهُ جهلَهُ، ولا يزيدُه شَدَّة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد اختبرتُهما، فأُشهدُك يا عمرُ أني قد رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا، وأُشهدُكَ أنَّ شطرَ مالي - فإني أكثرها مالًا - صدقةٌ على أمةِ محمدٍ ﷺ.

فقالَ عمرُ: أو على بعضِهم؛ فإنَّك لا تسعُهم كلَّهم.

قلتُ: أو على بعضِهم. فرجَعَ عمرُ وزيدٌ إلى رسولِ الله ﷺ.

فقالَ زيدٌ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولهُ ﷺ. فآمنَ به وصدَّقهُ، وشهِدَ مع رسولِ الله ﷺ مشاهدَ كثيرةً، ثم تُوفِّي في غزوةِ تبوكٍ، مقبلًا غيرَ مُدبرٍ[١].

---

(١) رواه ابن حبان (٢٨٨).

القسم الأول: محمد رسول الله ﷺ والحقوق

كانَ العربُ قبلَ بعثةِ الرسولِ ﷺ قبائلَ متفرقةً، يقتلُ بعضُهم بعضًا ويَسْبي بعضُهم بعضًا، وكانَ الاستبدادُ هو القانونَ المسيطرَ على تلك القبائلِ، ولم يكنِ الناسُ سواءً في تلك الحِقبةِ، بل كانَ السادةُ يتمتعون بكافةِ الحقوقِ، أما العبيدُ فلم تكنْ لهم أدنى حقوقٍ، لأنهم ملكٌ لأسيادِهم.

أما المرأةُ فقد كانتْ مسلوبةَ الحقوقِ، فهي مِلكٌ لأبيها وإخوتها الذكورِ، ثم تكونُ ملكًا لزوجها، ثم لورثتِهِ من بعدِهِ.

هذا مع انتشارِ العاداتِ الجاهليةِ كالسلبِ والنهبِ وشيوعِ تجارةِ الرقيقِ والبغاءِ، ووأدِ البناتِ، وعبادةِ الأصنامِ وغيرِ ذلك.

واجهَ رسولُ الله ﷺ كلَّ هذا الواقعِ المؤلمِ وجاءَ بمنهجٍ شاملٍ للحقوقِ لم تعرفْ البشريةُ له مثيلًا.

فبعدَ أنْ دعا إلى عبادةِ الله وحدَهُ قرَّرَ مبدأَ العدلِ بين الناسِ، وأداء حقوقِ الإنسانِ، وغيرِ الإنسانِ في كافةِ مجالاتِ الحياةِ.

وتمتازُ حقوقُ الإنسانِ وغيرُها من الحقوقِ في الإسلامِ بأنها حقوقٌ ربَّانيةٌ لا يملكُ أحدٌ من البشرِ إلغاءَها أو التصرُّفَ فيها.

كما أنها حقوقٌ متوازنةٌ بحيثُ لا يطغى فيها جانبٌ على جانبٍ آخر.

وكذلك فإنها حقوقٌ شاملةٌ لكافةِ مراحلِ عمرِ الإنسانِ جنينًا وطفلًا وشابًا وكهلًا ومسنًّا، صحيحًا ومريضًا.

١ -من حقوق الإنسان

حقوق الإنسان كثيرة ومتنوعة، وقد أكدّ نبي الله محمد ﷺ على هذه الحقوق بقوله وفعله وتوجيهه بما أوحى الله تعالى إليه، وسوف نذكر بعضًا من هذه الحقوق، وهي:

١-حق الحياة: وهي مكفولة للإنسان بدعوة النبي ﷺ والتأكيد عليها من خلال مناح أبرزها: تحريمه القتل بغير حق، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقد أكدّ النبي ﷺ على هذا الحق في خطبة الوداع قبل وفاته بأشهر بقوله: «**إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»(١)، وكذلك تحريمه للانتحار، فقال: «**من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذِّب به يوم القيامة**»(٢).

٢-حق العدل: وقد أكد عليها رسول الله أيضًا في خطبة الوداع حين قال: «**يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى**»، والعدل صنو المساواة، ولهذا جاء خطابه للأمة: «**إن الله لا يقدس أمة لا يأخذ الضعيف حقه من القوي، وهو غير متعتع**»(٣)، أي: لا يناله مكروه.

٣-لا إكراه في الدين: فأكد على عدم إكراه أحد على الدخول في الإسلام، من خلال قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]،كما أكد محمد ﷺ على

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩١).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٧).

(٣) رواه أحمد (٨٥٩٥).

حرية الاجتهاد في الشأن الدنيوي بما فيه المصلحة، فقال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» [رواه أبو داود وأحمد].

٤-**حق الأمن:** وهذا يتضح من حرصه على عدم ترويع الناس وإخافتهم، فقال: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلما**»[(١)]، وأمّن الناس على خصوصياتهم بقوله: «**إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**».

٥-**حق التعليم:** فقال ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»، ولفظة: «**مسلم**» تشمل الرجل والمرأة، وامتدح نساء الأنصار لكونهنَّ حريصاتٍ على العلم فقال: «**نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين**» [رواه البخاري].

٦-**حق العمل:** فللعامل الحق في اختيار مهنته، ومطالبته بالأجر المتفق عليه، والإبداع في العمل وإتقانه، فقال نبي الله محمد ﷺ: «**خير الكسب، كسب يد العامل إذا نصح**»[(٢)]، وقال: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**»[(٣)]، وقال: «**إن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه**» [رواه أبو يعلى].

٧-**حق التملك:** وأخص ممتلكات الإنسان ماله، فقال ﷺ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**» [رواه ابن حبان]، وامتدادا لحرصه على مصلحة الجميع لم يغفل النبي ﷺ حق المجتمع في تملك الأشياء المشتركة بينهم فلا يستأثر بها أحد، فقال ﷺ: «**الناس شركاء في ثلاث: الماء، والكلأ، والنار**» [رواه أبو داود].

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٥١)، وأحمد (٢١٩٨٦).

(٢) رواه أحمد (٨٠٦٠).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٤٣٤).

٢ -من حقوق المرأة

لا شكَّ أنَّ المرأةَ هي نصفُ المجتمعِ كما أنها تلدُ النصفَ الآخرَ فهي إذنْ كلُّ المجتمعِ، وإذا كانتِ المرأةُ قد ظُلمتْ وأُهدرتْ حقوقُها وامتُهنتْ كرامتُها في عصورٍ سبقتْ، فقد دافعَ النبيُّ ﷺ عن المرأةِ، ونصرَها، وأعطاها من الحقوقِ ما لم تكنْ تحلُمُ به، وحثَّ عليه الصلاةُ والسلامُ على الحبِّ والوفاءِ والتراحمِ والتغافرِ والتغاضي عن الهفواتِ بين الأزواجِ، حتى تقومَ بيوتُ الناسِ على أسسٍ قويةٍ، لا تستطيعُ عواصفُ المشكلاتِ أنْ تهدمَها أو تهزَّ أركانَها، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩].

والمعروفُ: كلمةٌ جامعةٌ لكلِّ خيرٍ وبرٍّ وإحسانٍ ولطفٍ ورفقٍ ورحمةٍ.

وقالَ ﷺ: «**اتقوا اللهَ في النساءِ، فإنكم أخذتموهن بأمانِ اللهِ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمةِ اللهِ**»[(١)].

وعرَّفَ النبيُّ ﷺ طبيعةَ المرأةِ، فأرشدَ إلى احتمالِ أخطائِها، فقال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**خيرُكم خيرُكم لأهلِهِ**، - أي لزوجته - **وأنا خيرُكم لأهلي**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٧)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٣٠)، وابن ماجه (١٩٦٧).

وقال ﷺ: «**لا يفرُكْ مؤمنٌ مؤمنة - أي لا يبغضها - إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا، رضيَ منها آخرَ**»[١].

وبيَّن ﷺ: إثمَ ظلمِ المرأةِ فقالَ: «**إنَّ أعظمَ الذنوبِ عند اللهِ رجلٌ تزوجَ امرأةً، فلما قضى حاجتَهُ منها طلقَها وذهبَ بمهرِهَا**»[٢].

وكانَ النبيُّ ﷺ مثالًا في الرقةِ وحسنِ العشرةِ مع زوجاتِهِ، قال مرةً لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**إني لأعرفُ غضبَكِ ورضاكِ**»، قالتْ: كيفَ تعرفُ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «**إنك إذا كنتِ راضيةً قلتِ: بلى وربِّ محمدٍ، وإنْ كنتِ ساخطةً قلتِ: بلى وربِّ إبراهيمَ**» فقالتْ: أجل، واللهِ إني لا أهجرُ إلا اسمَكَ[٣].

بهذه المشاعرِ الفياضةِ، والكلماتِ الرقراقةِ كانَ محمدٌ ﷺ يتعاملُ مع نسائِهِ، وكنَّ رضيَ اللهُ عنهنَّ يبادلنه نفسَ الشعورِ.

وفي إحدى السفرات تَسابقَ النبيُّ ﷺ مع عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: سابقني رسولُ الله ﷺ فسبقتهُ، وذلك قبلَ أنْ أحملَ اللحمَ، ثم سابقْتُهُ بعدما حملتُ اللحمَ فسبقني، فقال: «**هذه بتلك**»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٢).

(٢) رواه الحاكم (٢٧٤٣).

(٣) رواه البخاري (٥٦١٤)، ومسلم (٤٤٦٩).

(٤) رواه أبو داود (٢٢١٤)، وأحمد (٢٥٠٧٥).

وأثَّمَ من اعتدى على حقِّ المرأةِ فقالَ ﷺ: «**اللهمَّ إني أُحرِّجُ حقَّ الضعيفين: اليتيمِ، والمرأةِ**»[١].

وحثَّ ﷺ النساءَ على إرضاءِ أزواجهنَّ، فقالَ ﷺ: «**ألا أخبرُكم بنسائِكم في الجنةِ؟**» قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: «**كلُّ ودودٌ، ولودٌ، إذا غضبتْ أو أُسيءَ إليها، أو غَضِبَ زوجُها قالتْ: هذه يدي في يدِكَ، لا أكتحلُ بغمضٍ حتى ترضى**»[٢].

وحثَّ النبيُّ ﷺ على إشباعِ الزوجةِ عاطفيًا فقال: «**وفي بُضْعِ أحدكمْ صدقةٌ**» - أي وفي إتيانِ الرجلِ زوجتَهُ صدقةٌ - قالوا: يا رسولَ الله! أيأتي أحدُنا شهوتَه، ويكونُ له فيها أجرٌ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعَها في حرامٍ، أكانَ عليه وزرٌ؟ كذلك إذا وضعَها في حلالٍ كان له بها أجرٌ**»[٣].

وأوجبَ ﷺ على الرجلِ أنْ ينفقَ على زوجتِهِ وأطفالِهِ، وجعلَهُ من أفضلِ ما أنفقَ، فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**دينارٌ أنفقتَهُ في سبيلِ الله، ودينارٌ أنفقتَه في رقبةٍ**[٤]**، ودينارٌ تصدّقتَ به على مسكينٍ، ودينارٌ أنفقتَهُ على أهلِكَ، أعظمُها أجرًا الذي أنفقتَهُ على أهلِكَ**»[٥].

(١) رواه ابن ماجه (٣٦٦٨)، وأحمد (٩٢٨٩).
(٢) رواه الطبراني (١٧٤٣).
(٣) رواه مسلم (١٦٧٤).
(٤) رقبة: أي تحرير رقبة.
(٥) رواه مسلم (١٦٦١).

وقالَ ﷺ: «**إنَّك لن تنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلا أُجرْتَ عليها، حتى ما تجعلُ في فمِ امرأتِكَ**»[١].

وقالَ ﷺ: «**ما أطعمتَ نفسَكَ فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ ولدَكَ فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ زَوْجَك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ خادمَكَ فهو لك صدقةٌ**»[٢].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ الرجلَ إذا سقى امرأتَهُ من الماءِ أُجرَ**». قال العرباضُ: فأتيتُ امرأتي فسقيتُها، وحدَّثْتُها بما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ[٣].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٧٣)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) رواه أحمد (١٦٥٥٠).

(٣) رواه أحمد (١٦٥٢٩).

٣ -من حقوق الوالدين والأقارب

أمرَ النبيُّ ﷺ بالحفاظِ على العلاقاتِ الأسريةِ، وحذَّرَ من قطعِ حبالِ المودةِ بين الأرحامِ، أما الوالدانِ، فقد عظَّمَ الإسلامُ حقَّهما، وقرنَ حقَّهما بحقِّ الله تعالى، فقالَ تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء:٣٦].

وسُئل رسولُ الله ﷺ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ قالَ: «**الصلاةُ على وقتِها**» قيلَ: ثم أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**»[(١)].

وجاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يستأذنه في الجهادِ فقالَ له: «**أحيٌّ والداك؟**» قالَ: نعم، قالَ: «**ففيهما فجاهدْ**»[(٢)].

وجاءه رجلٌ فقالَ: جئتُ أبايعُك على الهجرةِ وتركتُ أبويَّ يبكيانِ، فقالَ: «**ارجعْ إليهما فأضحكْهما كما أبكيتَهما**»[(٣)].

وأمرَ النبيُّ ﷺ بصلةِ الآباءِ وإنْ كانوا على غيرِ دينِ الإسلامِ، فعن أسماءَ بنتِ أبي بكر قالتْ: قدمتْ عليَّ أمي وهي مشركةٌ في عهدِ رسولِ الله ﷺ، فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ قلتُ: قدمتْ عليّ أمي وهي راغبةٌ أفأصلُ أمي؟ قالَ: «**نعم صِلي أمكِ**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٤٩٦)، ومسلم (١٢٢).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٢)، ومسلم (٤٦٢٣).

(٣) رواه أحمد (٦٢٠٢)، وأبو داود (٢١٦٦)، والنسائي (٤٠٩٣)، وابن ماجه (٢٧٧٢).

(٤) رواه البخاري (٢٤٢٧)، ومسلم (١٦٧١).

أما عقوقُ الوالدينِ فهو من كبائرِ الذنوبِ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «**الكبائرُ: الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدينِ، وقتلُ النفسِ، واليمينُ الغموسُ**»[١].

وقالَ ﷺ: «**لعنَ اللهُ من سبَّ والديهِ**»[٢].

أما صلةُ الأرحامِ فقد قالَ ﷺ: «**منْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليصلْ رحِمَهُ**»[٣].

وقال ﷺ: «**أفضلُ الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرَّحمِ الكاشحِ**[٤]»[٥].

وقالَ ﷺ لعقبةَ بنِ عامرٍ: «**يا عقبةُ! صِلْ مَنْ قطعكَ، وأعطِ من حرمَكَ، وأعرِضْ** - وفي رواية: **واعفُ** - **عمنْ ظَلَمَكَ**»[٦].

---

(١) رواه البخاري (٦١٨٢).

(٢) رواه أحمد (٨١٦).

(٣) رواه البخاري (٥٦٧٣).

(٤) الكاشح: الذي يضمر العداوة في نفسه.

(٥) رواه أحمد (١٤٧٨١)، والدارمي (١٦١٧).

(٦) رواه أحمد (١٦٦٩٦).

٤ -من حقوق الأبناء

دعا النبيُّ ﷺ إلى حسنِ التربيةِ والتنشئةِ للأبناءِ، حتى يكونوا شبابًا صالحين، ورجالًا مخلصين لدينهم ووطنِهم وأمتِهم.

قالَ ﷺ: «**ليسَ منا من لم يرحمْ صغيرَنا، ويعرفْ شرفَ كبيرِنا**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مُروا أبناءكم بالصلاةِ لسبعٍ، واضربوهم**(٢) **عليها لعشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المضاجعِ**»(٣).

وعن النبيِّ ﷺ قالَ: «**مَا نَحلَ والدٌ ولدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حسنٍ**»(٤).

وكانَ ﷺ يعلمُ الأطفالَ آدابَ الطعام والشرابِ فقالَ مرةً لأحدِهم: «**يا غلام! سمِّ اللهَ، وكُل بيمينكَ، وكلْ مما يليكَ**»(٥).

وخصَّ النبيُّ ﷺ تربيةَ البناتِ بفضائلَ منها ما روتْهُ عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالتْ: دخلتْ عليَّ امرأةٌ ومعها ابنتانِ تسألُ، فلمْ تجدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ واحدةٍ، فأعطيتُها، فَقَسَمتْها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامتْ فخرجتْ، فدخلَ علينا النبيُّ ﷺ فأخبرتُهُ فقالَ: «**من ابتُلي من هذه البناتِ بشيءٍ فأحسنَ إليهنَّ كنَّ له سترًا من النارِ**»(٦).

---

(١) رواه الترمذي (١٨٤٣)، وأحمد (٦٤٤٥).
(٢) واضربوهم: أي ضربًا خفيفًا بالقلم والسواك ونحوه.
(٣) رواه أبو داود (٤١٨)، وأحمد (٦٤٦٧).
(٤) رواه الترمذي (١٨٧٥)، وأحمد (١٦١١٨).
(٥) رواه البخاري (٤٩٥٧)، ومسلم (٣٧٦٧).
(٦) رواه البخاري (١٣٢٩)، ومسلم (٤٧٦٣).

ولفظُ الترمذيِّ: «**من ابتُلِي بشيءٍ من البناتِ فصبرَ عليهنَّ، كنَّ له حجابًا من النارِ**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**من عالَ جاريتينِ حتى تبلغا، جاء يومَ القيامةِ أنا وهو**» وضمَّ أصابِعَهُ[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**منْ كانَ له ثلاثُ بناتٍ، أو ثلاثُ أخواتٍ، أو بنتان، أو أختان فأدبهنَّ، وأحسنَ إليهنَّ، وزوجهنَّ فله الجنةُ**»[(٣)].

بل كانَ ﷺ إذا دخلتْ عليه ابنتهُ فاطمةُ قامَ إليها فقبّلها وأجلسَها في مجلسِهِ[(٤)].

ومنَ الحقوقِ التي قرَّرها النبيُّ ﷺ للأبناءِ حقُّهم في مالِ أبيهم فقد أرادَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنْ يتصدقَ بثلثيْ مالِهِ، فقالَ له النبيُّ ﷺ: «**لا**»، قالَ: فالثلثُ يا رسولَ الله؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**الثلثُ، والثلثُ كثيرٌ إنك إنْ تذرَ ورثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أنْ تذرَهم عالةً[(٥)] يتكفَّفون الناسَ**[(٦)]»[(٧)].

---

(١) رواه الترمذي (١٨٣٦)، وأبو داود (٤٤٨١).

(٢) رواه مسلم (٤٧٦٥).

(٣) رواه الترمذي (١٨٣٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٨٠٧).

(٥) عالة: فقراء.

(٦) يتكففون الناس: يسألونهم ما يكفيهم.

(٧) رواه البخاري (١٢١٣)، ومسلم (٣٠٧٦).

٥ -من حقوق الأطفال

الطفولةُ هي سرُّ الحياةِ ومتعةُ الزمانِ، وهبةُ الخالقِ التي لا يعرفُ قدرَها إلا مّن حُرِمَها، وبذلَ في تحصيلِها كلَّ نفيسٍ، وإنَّ رعايةَ الأطفالِ ورحمتَهم والعنايةَ والرفقَ بهم مما حثَّ عليه النبيُّ ﷺ وقرّره ومدحَ متعاطيَهُ، فقد وَفَدَ ناسٌ من الأعرابِ على رسولِ الله ﷺ، فقالوا: أتقبّلونَ صبيانَكُم، قالوا: نعم، فقالوا: لكنا والله ما نقبّلُ صبيانَنا، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أوَ أملِكُ إنْ كانَ اللهُ قد نَزَعَ الرحمةَ منكم؟**»[١].

وكانَ ﷺ يذهبُ إلى أعالي قرى المدينةِ، حيثُ كانَ ابنهُ إبراهيمُ يستكملُ رَضَاعَهُ هناك، فكانَ يذهبُ إليه من أجلِ أنْ يقبّلهُ، ثم يرجعُ[٢].

ولما ماتَ ابنُ ابنةِ النبيِّ ﷺ فاضتْ عيناه، فقالَ له سعدُ بنُ عبادةَ: ما هذا يا رسولَ الله؟ قالَ: «**إنها رحمةٌ جعلها اللهُ في قلوبِ عبادِهِ، وإنما يرحمُ اللهُ من عبادِهِ الرحماءَ**»[٣].

وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يزورُ الأنصارَ، ويسلّمُ على صبيانِهم ويمسحُ رؤوسَهم[٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٥٣٩)، ومسلم (٤٢٨١).

(٢) رواه مسلم (٤٢٨٠).

(٣) رواه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (١٥٣١).

(٤) رواه ابن حبان (٤٥٩).

وكانَ ﷺ يصلي وهو حاملٌ أمامةَ بنتَ ابنتهِ زينبَ، فإذا قامَ حمَلَهَا، وإذا سَجَدَ وضَعَها[١].

وقالَ ﷺ: «**من فرَّق بين والدةٍ وولدِها، فرَّق اللهُ بينه وبين أحبتهِ يومَ القيامةِ**»[٢].

وسمحَ النبيُّ ﷺ للأطفالِ بالجلوسِ في مجالسِ الكبارِ وجعلَ لهم من الحقِّ مثلَ ما لغيرِهم من الجلوسِ، فعن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ أنَّ رسولَ الله ﷺ أُتي بشرابٍ فشربَ منه، وعن يسارِهِ أشياخٌ وعن يمينه غلامٌ، فقالَ للغلامِ: «**أَتأذنُ لي أنْ أعطيَ هؤلاءِ؟**» لأنَّ السنةَ أنْ يبدأَ من اليمينِ، فقالَ الغلامُ وكانَ ذكيًّا: لا واللهِ، لا أوثِرُ بنصيبي منك أحدًا، فوضعَ رسولُ الله ﷺ الإناءَ في يدِهِ[٣].

وأثبتَ النبيُّ ﷺ للطفلِ حقَّهُ في الميراثِ بمجردِ اكتمالِ ولادتِهِ، وانفصالِهِ عن أمِّهِ حيًّا.

وقدّر ﷺ مشاعرَ الأطفالِ فزارهم في بيوتهم وواساهم وتلطفَ معهم ومسحَ رؤوسَهم، وعقدَ بينهم المسابقاتِ وأتحفهم بالطُّرفِ والهدايا.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٦)، ومسلم (٨٤٤).
(٢) رواه الترمذي (١٤٩١)، وأحمد (٢٢٤٠١).
(٣) رواه البخاري (٢٢٧١)، ومسلم (٣٧٨٦).

٦ -من حقوق الخدم

إنَّ مقياسَ الحضارةِ الحقيقيَّ لأيِّ أمةٍ هو تعاملُها مع الفقراءِ والضعفاءِ ومَنْ لا حيلةَ له في الوصولِ إلى المسؤولين وأصحابِ القرارِ.

ومن هؤلاءِ الخدمُ الذي يعملونَ في البيوتِ عند الأغنياءِ والكبراءِ، فقد أعطاهم الرسولُ ﷺ حقوقَهم كاملةً، واستمعَ إلى شكاتِهم وآرائِهم، وقدّرهم غايةَ التقديرِ، والدليلُ على ذلك ما رواه أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنين، فما قالَ لي: أفٍّ، قطُّ، وما قالَ لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلتَه. ولا لشيءٍ لَم أفعلْه: ألا فعلتَ كذا[(١)].

وكانت الأَمةُ من إماءِ المدينةِ تأخذُ بيدِهِ ﷺ فتنطلقُ به حيثُ أرادتْ في حاجتِها[(٢)].

وحذَّر النبيُّ ﷺ من إيذاءِ الخادمِ وإنْ كانَ عبدًا مملوكًا، بل إنه جعلَ إيذاءَهُ سببًا في حريتِهِ، فقالَ ﷺ: «**من لَطَمَ مملوكًا له، أو ضربَهُ، فكفارتُهُ أن يعتقَهُ**»[(٣)].

وعنْ أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قالَ: كنتُ أضربُ غلامًا لي بالسوطِ، فسمعتُ من خَلْفِي صوتًا: «**اعلمْ أبا مسعودٍ**» فلمْ أفهمْ الصوتَ من الغضبِ. فلما دنا مني إذا هو رسولُ الله ﷺ فقال: «**اعلمْ أبا مسعودٍ، اعلمْ أبا مسعودٍ**»، قال: فألقيتُ السوطَ من يدي، فقالَ: «**اعلمْ أبا مسعودٍ أنَّ الله تباركَ وتعالى أقدرُ عليك منك**

(١) رواه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٤٢٦٩).
(٢) رواه البخاري (٥٦١٠).
(٣) رواه مسلم (٣١٣٠).

على هذا الغلام»، قلتُ: لا أضربُ مملوكًا بعده أبدًا. وفي روايةٍ قالَ: يا رسولَ الله! هو حُرٌّ لوجهِ الله. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أما لو لم تفعلْ للفَحَتْك النارُ - أو لمسَّتْكَ النارُ-**»[1]. أي أَنَّ تحريرَك له واجبٌ عليك وليسَ تفضلًا منك؛ لأنك ضربتَهُ بالسوطِ، وبهذا الأسلوبِ حاربَ النبيُّ ﷺ الرقَّ وحرّر كثيرًا من العبيدِ.

وحرَّم تكليفَهم من العملِ ما لا يُطيقون، فقالَ ﷺ: «**للمملوكِ طعامُهُ وكسوتُهُ ولا يكلَّفُ من العملِ إلا ما يُطيقُ**»[2].

وجاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله! كم أعفو عن الخادمِ؟ قال: «**كلَّ يومٍ سبعينَ مرةً**»[3].

(١) رواه مسلم (٣١٣٥).
(٢) رواه مسلم (٣١٤١).
(٣) رواه أبو داود (٤٤٩٦)، والترمذي (١٨٧٢).

٧ -من حقوق الجار

كثيرٌ من الناسِ لا يزورن جيرانَهم ولا يسألونَ عنهم، ومن الناسِ من يؤذي جيرانَهُ وهو لَا يدري، وقد يَمْرَضُ الإنسانُ ويحتاجُ إلى مساعدةِ جارِهِ فلا يجدُه في وقتِ الشدةِ، وهذه العزلةُ من نَتاج الحياةِ المعاصرةِ التي أنستِ الناسَ كثيرًا من الواجباتِ الاجتماعيةِ. ولعظمِ حقِّ الجارِ قالَ النبيُّ ﷺ: «**ما زالَ جبريلُ يوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورِّثه**»[(١)]. أي: حتى ظننتُ من كثرةِ الوصاةِ به أنه سيجعلُ له نصيبًا من الميراثِ.

وقالَ ﷺ: «**خيرُ الأصحابِ عندَ اللهِ خيرُهم لصاحبِهِ، وخيرُ الجيرانِ عند الله خيرُهم لجارِهِ**»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**لأنْ يزنيَ الرجلُ بعشرِ نسوةٍ، خيرٌ له منْ أنْ يزنيَ بامرأةِ جارِهِ، ولأنْ يسرقَ الرجلُ من عشرةِ أبياتٍ، أيسرُ له من أنْ يسرقَ من بيتِ جارِهِ**»[(٣)].

وقالَ ﷺ: «**من كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يؤذِ جارَهُ**»[(٤)]، وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**من كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليحسنْ إلى جارِهِ**»[(٥)].

وقالَ ﷺ: «**ليسَ المؤمنُ بالذي يشبعُ وجارهُ جائعٌ إلى جنبِهِ**»[(٦)].

---

(١) رواه البخاري (٥٥٥٥)، ومسلم (٤٧٥٧).

(٢) رواه الترمذي (١٨٦٧)، وأحمد (٦٢٧٨).

(٣) رواه أحمد (٢٢٧٣٤).

(٤) رواه البخاري (٥٥٥٩)، ومسلم (٦٨).

(٥) رواه مسلم (٦٩).

(٦) رواه الحاكم (١٦٧).

وقالَ ﷺ: «يا أبا ذرٍ! إذا طبختَ مرقةً، فأكثرْ ماءهَا، وتعاهدْ جيرانَكَ»[(١)].

وقالَ ﷺ: «كمْ من جارٍ متعلقٍ بجارِهِ يقولُ: يا ربِّ! سلْ هذا لِـمَ أغلقَ عني بابَهُ، ومنعني فَضْلَهُ»[(٢)].

(١) رواه مسلم (٤٧٥٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٢).

٨ -من حقوق الضيف

من مكارمِ الأخلاقِ التي اتفقَ الناسُ عليها: إكرامُ الضيفِ، ولقاؤه بالبشرِ والترحابِ، ولذلك نجدُ رسولَ الله ﷺ ربطَ بين الإيمانِ باللهِ وبين إكرامِ الضيفِ.

فقد قالَ ﷺ: «**من كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرمْ ضيفَهُ**»(١).

أما المسافرُ الذي ينزلُ على قومٍ أثناءَ سفرِهِ وقد تقطعتْ به السبلُ، فقد أوجبَ رسولُ الله ﷺ على من نزلَ عليهم ضيافتَهُ حتى ثلاثةِ أيامٍ، فقد قالَ ﷺ: «**الضيافةُ ثلاثةُ أيامٍ، فما كان بعد ذلك فصدقةٌ**»(٢).

وينبغي للضيفِ ألا يُثقِل على صاحبِ البيتِ بالإطالةِ، حتى لا يُحرجَ صاحبَ البيتِ ويضيقَ عليه، فقد قالَ ﷺ: «**لا يحلُّ له أنْ يثويَ عندَهُ حتى يُحرِجَه**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٥٦٠)، ومسلم (٣٢٥٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٥)، ومسلم (٣٢٥٦).

(٣) رواه البخاري (٥٦٧٠)، والترمذي (١٨٩١).

٩ - من حقوق اليتيم

احتفى الإسلامُ باليتيمِ وأمرَ برعايتِهِ والإحسانِ إليه ومدِّ يدِ العونِ له، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى:٩].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ كهاتينِ**» وأشارَ بالسبابةِ والوسطى[(١)].

وحذَّرَ النبيُّ ﷺ من أكلِ مالِ اليتيمِ وجعلَهُ من أكبرِ الكبائرِ فقالَ ﷺ: «**اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ**»، قالوا: وما هنَّ يا رسولَ الله؟ قالَ: «**الشركُ باللهِ، والسحرُ، وقتلُ النفسِ التي حرمَ اللهُ إلا بالحقِّ، وأكلُ الربا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتولّي يومَ الزحفِ، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**من ضمَّ يتيمًا بين مسلمين في طعامِهِ وشرابِهِ حتى يستغنيَ عنه وجبتْ له الجنةُ**»[(٣)].

وأتى النبيَّ ﷺ رجلٌ يشكو قسوةَ قلبِهِ، فقالَ لهُ: «**أتحبُّ أنْ يلينَ قلبُكَ وتدركَ حاجتَكَ؟ ارحمِ اليتيمَ، وامسحْ رأسَهُ، وأطعمْهُ من طعامِكَ، يلينُ قلبُك، وتدرِكُ حاجتَكَ**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٢)، والترمذي (١٨٤١).

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٠)، ومسلم (١٢٩).

(٣) رواه أحمد (١٨٢٥٢).

(٤) رواه الطبراني (١٠١٧٤).

١٠ -من حقوق الضعفاء والفقراء والمساكين

اهتمَّ النبيُّ ﷺ بالضعفاءِ الذين لا مالَ لهم ولا عشيرةَ، فكان يقبلُ من محسنِهم ويتجاوزُ عن مسيئِهم، ويسعى في حوائِجهم، ويرفعُ عنهم الضرَّ والأذى ولو بكلمةٍ تُغضِبُهم، فعن عائذِ بنِ عمروٍ أنَّ أبا سفيان - من عظماءِ قريشٍ - مرَّ على سلمانَ الفارسيِّ، وصهيبٍ الروميِّ وبلالٍ الحبشيِّ - وكانوا من العبيدِ والفقراءِ - فقالوا: والله ما أخذتْ سيوفُ الله من عنقِ عدوِّ الله مأخذَها. فقال لهم أبو بكرٍ الصديقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتقولون هذا لشيخِ قريشٍ وسيدِهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبرَهُ بما قالوا، فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا بكرٍ! لعلّك أغضبتَهم، لئنْ كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربّك**» فأتاهم أبو بكرٍ فقال: يا إخوتاه! أغضبتُكم؟ قالوا: لا، يغفرُ اللهُ لك يا أخي!![1].

وقالَ ﷺ: «**ربَّ أشعثَ أغبرَ مدفوعٍ بالأبوابِ، لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ**»[2].

وكانَ النبيُّ ﷺ يُعلِّمُ أصحابَهُ أنَّ المالَ والوجاهةَ الاجتماعيةَ والمناصبَ المرموقةَ لا تُضفي على الإنسانِ فضلًا لا يستحقّه، وأنْ الفقرَ وقلةَ المالِ والجاهِ لا يسلبُ الإنسانَ شرفًا يستحقُّه، فقد مرَّ رجلٌ على رسولِ الله ﷺ ومعه أصحابُهُ، فقالَ لهم: «**ما تقولونَ في هذا؟**» فقالوا: هذا رجلٌ من أشرافِ الناسِ، هذا والله حريٌّ إنْ خطبَ أن يُنكحَ، وإن شَفَعْ أن يُشفَّع، وإنْ قالَ أن يُسْتَمعَ. فسكتَ النبيُّ ﷺ، ثم مرَّ رجلٌ من فقراءِ المسلمينَ، فقالَ: «**ما تقولونَ في هذا؟**» قالوا: هذا حريٌّ

---

(١) رواه مسلم (٤٥٥٩).

(٢) رواه مسلم (٤٧٥٤).

إن خَطَبَ ألَّا يُنكحَ، وإن شَفَعَ ألّا يُشَفَّعَ، وإنْ قالَ ألا يُسمعَ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ عن الفقيرِ: «**هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلَ هذا**»[(١)].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**ألا أخبرُكم بأهلِ الجنةِ؟ كلُّ ضعيفٍ متضعِّفٍ، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ. ألا أخبرُكم بأهلِ النارِ؟ كلُّ عُتُلٍ**[(٢)] **جواظٍ**[(٣)] **مستكبرٍ**»[(٤)].

ومن اهتمامِ النبيِّ ﷺ بشأنِ الضعفاءِ أنَّ امرأةً سوداءَ كانتْ تقُمُّ المسجدَ، ففقدها رسولُ اللهِ ﷺ، فسألَ عنها، فقالوا: ماتتْ. فقالَ ﷺ: «**أفلا كنتم آذنتموني**»، فكأنهم صغَّروا أمرَها. فقال النبيُّ ﷺ: «**دلوني على قبرِها**» فدلّوه فصلَّى عليها[(٥)].

إنَّ المجتمعَ الذي يشعرُ فيه الفقيرُ والمسكينُ والضعيفُ بأهميتِهِ واهتمامِ المسؤولينَ والقادةِ والقوانينِ به لهو مجتمعُ التكافلِ والرحمةِ والإنسانيةِ الذي ينعمُ به الجميعُ ويسعدون بظلالِهِ.

ولذلك قالَ ﷺ: «**من ولّاه اللهُ شيئًا من أمورِ المسلمينَ، فاحتجبَ دون حاجتِهم وخَلَّتهم وفقرِهم، احتجبَ اللهُ دون حاجتِهِ وخَلَّتِهِ وفقرِهِ يومَ القيامةِ**»[(٦)].

(١) رواه البخاري (٤٧٠١)، وابن ماجه (٤١١٠).

(٢) العتل: الغليظ الجافي.

(٣) الجواظ: الفاجر.

(٤) رواه البخاري (٤٥٣٧)، ومسلم (٥٠٩٣).

(٥) رواه مسلم (١٥٨٨)، وابن ماجه (١٥٢٢).

(٦) رواه أبو داود (٢٥٥٩).

ورواه الترمذي بلفظ: «**ما من إمام يُغْلِقُ بابهُ دونَ ذوي الحاجةِ والخَلَّةِ والمسكنةِ إلا أغلقَ اللهُ أبوابَ السماءِ دونَ خَلَّتهِ وحاجتهِ ومسكنتهِ**»[١].

وقالَ ﷺ: «**من وَلِي أمرَ الناسِ، ثم أغلقَ بابهُ دون المسكينِ والمظلومِ وذوي الحاجةِ، أغلقَ اللهُ تباركَ وتعالى أبوابَ رحمتهِ دونَ حاجتهِ وفقرهِ أفقرَ ما يكونُ إليها**»[٢].

وفي الجملةِ كانَ رسولُ الله ﷺ يهيبُ بالأمةِ كلِّها أنْ تقفَ لنصرةِ المظلومِ أيًّا كان مستواه ومكانتهِ؛ حيثُ ربطَ بين هذه القضيةِ وقضيةِ كرامةِ الأمةِ نفسِها، فقال: «**كيفَ يقدسُ اللهُ أمةً لا يؤخذُ لضعيفِها من شديدِها حقَّه وهو غير متعتعٍ**»[٣].

---

(١) رواه الترمذي (١٢٥٣).

(٢) رواه أحمد (١٥٠٩٧).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٤١٧)

١١ -من حقوق الرقيق

بُعِث النبيُّ ﷺ في مجتمعٍ يتشكَّلُ من السادةِ والعبيدِ، ولم يكنْ للعبيدِ أيةُ حقوقٍ ماليةٍ أو اجتماعيةٍ أو سياسيةٍ، فرفعَ النبيُّ ﷺ من شأنِ هؤلاءِ، وحثَّ على تحريرِهم، وجعل تحرير العبيد كفارة للعديد من الخطايا، ورتَّبَ على ذلك الثوابَ الجزيلَ، فمن وصايا النبيِّ ﷺ بالرقيقِ:

قولُه ﷺ: «**اتقوا اللهَ فيما ملكتْ أيمانُكم**»[١].

وقولُهُ ﷺ: «**أرقّاءَكم، أرقّاءَكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، وإنْ جاؤوا بذنبٍ لا تريدون أنْ تغفروهُ، فبيعوا عبادَ اللهِ ولا تعذِّبوهم**»[٢].

وقالَ ﷺ: «**إخوانُكم خولُكم**[٣]**، جعلهم اللهُ قُنيةً**[٤] **تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحتَ يدِهِ، فليطْعِمْهُ من طعامهِ، وليلبسْهُ من لباسِهِ، ولا يكلِّفْهُ ما يغلبُهُ، فإنْ كلَّفه ما يغلبُهُ فليُعِنْهُ**»[٥].

وقالَ ﷺ: «**من ضَرَبَ مملوكَهُ ظالمًا، أُقيدَ منه يومَ القيامةِ**»[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٨٩)، وأحمد (٥٥٢).
(٢) رواه أحمد (١٥٨١٣).
(٣) خولكم: خدمكم.
(٤) قنية: مملوكين.
(٥) رواه البخاري (٢٣٥٩)، والترمذي (١٨٦٨).
(٦) صحيح الأدب المفرد (١٣٤).

وقالَ ﷺ: «**من لطمَ مملوكهُ أو ضربهُ، فكفّارتهُ أن يعتقَهُ**»[١].

وحثَّ النبيُّ ﷺ على عتقِ العبيدِ، فقالَ: «**أيُّما امرئٍ مسلمٍ أعتقَ امرأً مسلمًا فهو فِكَاكُه من النارِ، يُجزَى بكلِّ عظمٍ منه عظمًا منه، وأيما امرأةٍ مسلمةٍ أعتقتِ امرأةً مسلمةً فهي فكاكُها من النارِ، تُجزَى بكلِّ عظمٍ منها عظمًا منها، وأيما امرئٍ مسلمٍ أعتقَ امرأتينِ مسلمتينِ فهما فكاكُه من النارِ، يُجزى بكلِّ عظمينِ منهما عظمًا منه**»[٢].

وعن عبدِ الله بن عمروٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجاءه قَهْرمانٌ[٣] له فقالَ له: أعطيتَ الرقيقَ قُوتَهم؟ قالَ: لا، قال: فانطلقْ فأعطِهم، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**كفى إثمًا أنْ تحبسَ عمن تملكُ قوتَهم**»[٤].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ اللهَ يعذّبُ الذين يعذّبونَ الناسَ في الدنيا**»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٣١٣٠)، وأبو داود (٤٥٠٠).
(٢) رواه الترمذي (١٤٦٧)، وأبو داود (٣٤٥٣).
(٣) القهرمان: القائم بأمور الرجل -مدير الأعمال-.
(٤) رواه مسلم (١٦٦٢).
(٥) رواه مسلم (٤٧٣٤)، وأبو داود (٢٦٤٨).

١٢ -من حقوق المسنين

كبارُ السنِّ قد بلغوا من العمر ما يشعرون معه بالوحدة وتتوالى عليهم فيه آثاره من ضعف ومرض وغيرهما، وهم أيضًا أهلُ الخبرةِ والتجاربِ والحكمةِ، وينبغي على المجتمعِ ألا يهملَ هؤلاءِ، وإنما يقدِّرُهم ويحترمُهم ويستفيدُ من تجارِبهم وخبراتِهم. ولقد احتفى النبيُّ ﷺ بكبارِ السنِّ، وبيَّنَ فضْلَهم وسابقتَهم وعظيمَ حقِّهم على الجميعِ فهو ﷺ يقولُ: «**من شابَ شيبةً في الإسلامِ كانتْ له نورًا يومَ القيامةِ**»(١).

وحثَّ ﷺ على إكرامِ أصحابِ السنِّ، فقال ﷺ: «**إنَّ من إجلالِ الله تعالى إكرامَ ذي الشيبةِ المسلمِ**»(٢).

وكانَ ﷺ يُؤثرُ الأشياخَ بالشرابِ، وانظرْ إلى هذا الحديثِ العجيبِ الذي يتجلى فيه احترامُ النبيِّ ﷺ للأشياخِ والأطفالِ على حدٍّ سواءٍ، فعنْ سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ أُتي بشرابٍ، فشربَ منه، وعن يمينه غلامٌ، وعن يسارِهِ أشياخٌ، فقال للغلامِ: «**أتأذنُ لي أنْ أعطيَ هؤلاءِ؟**»، فقالَ الغلامُ: لا واللهِ، لا أوثرُ بنصيبي منكَ أحدًا، فتلَّه(٣) رسولُ الله ﷺ في يدِهِ(٤).

ويا للعجب! رسولُ الله ﷺ خاتمُ الأنبياءِ والمرسلينَ، يستأذنُ غلامًا، ليبدأ بالأشياخِ الذين على يسارِهِ احترامًا لهم ولسنِّهم والغلامُ يرفضُ لأنه يريدُ أنْ

---

(١) رواه الترمذي (١٥٥٨)، والنسائي (٣٠٩١).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٠٣).

(٣) فتله: فوضعه.

(٤) رواه البخاري (٢٢٧١)، ومسلم (٣٧٨٦).

يشربَ بعد رسولِ الله ﷺ فتمسَّ شفتاه موضعَ شفتي النبيِّ ﷺ، فأبى أنْ يؤثرَ بذلك أحدًا، وإنما استأذنَهُ النبيُّ ﷺ لأنَّ السُّنَّة هي أنْ يبدأَ الإنسانُ بمن على يمينهِ في الشرابِ ونحوِهِ.

١٣ -من حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة

هناك طائفةٌ من الناسِ كان قدرهم أن يصابوا ببعض البلاء في أعضائهم، فانعكس عليهم ذلك حياتيًا، وربما أن بعض الناس لا يهتم بهم، ولا ينتبهون لأحاسيسِهم ومشاعرِهم ومشكلاتِهم.

لم ينسَ النبيُّ ﷺ ذوي الاحتياجاتِ الخاصةِ، وإنما حباهم بعطفِه ورعايتِه.

فهذه امرأةٌ كانَ في عقلها شيءٌ، أوقفتْ النبيَّ ﷺ وقالتْ: يا رسولَ الله إنَّ لي إليك حاجةً، فقال رسولُ الله ﷺ لها: «**يا أمَّ فلان! خذي في أيِّ الطريقِ شئتِ، قومي فيه حتى أقومَ معك**»، فخلا معها رسولُ الله ﷺ يناجيها، حتى قضى حاجتَها[(١)].

وكانَ ﷺ يزورُهم في بيوتهم، فقالَ يومًا لأصحابِهِ: «**انطلقوا بنا إلى بني واقفٍ نزورُ البصيرَ** - رجلٌ مكفوفُ البصرِ -»[(٢)].

وانظر كيف سمَّى الأعمى بصيرًا تفاؤلًا.

وبشَّرَ النبيُّ ﷺ هؤلاءِ المبتلَيْن ببشاراتٍ عظيمةٍ منها قولُهُ ﷺ: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قالَ: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه** - أي بذهابِ نورِ عينيه - **فصبرَ، عوضتُه منهما الجنةَ**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٣٥٣٥).

(٢) رواه الطبراني (١٥٣٣).

(٣) رواه البخاري (٥٢٢١)، وأحمد (١٢٠١٢).

وحثَّ ﷺ على هدايةِ الأعمى وضعيفِ البصرِ فقالَ ﷺ: «**وبصرُكَ للرجلِ الرديءِ البصرِ صدقةٌ**»[(١)].

وجاءتِ امرأةٌ بها لَمَمٌ - نوعٌ من الجنونِ - إلى رسولِ الله ﷺ فقالتْ: يا رسولَ الله! ادعُ اللهَ لي. فقالَ: «**إنْ شئتِ دعوتُ اللهَ فشفاكِ، وإنْ شئتِ صبرتِ ولاحسابَ عليكِ**»، قالتْ: بل أصبرُ ولا حسابَ عليَّ[(٢)].

وقالَ ابنُ عباس لعطاءٍ: ألا أريكَ امرأةً من أهلِ الجنةِ؟ قالَ عطاءٌ: بلى، قالَ ابنُ عباسٍ: تلك المرأةُ السوداءُ، أتت النبيَّ ﷺ فقالتْ: إني أُصرعُ، وإني أتكشَّفُ، فادعُ اللهَ لي، قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنةُ، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يُعافيَكِ**»، فقالتْ: أصبرُ، فقالتْ: إني أتكشفُ، فادعُ اللهَ لي أنْ لا أتكشَّفَ، فدعا لها[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (١٨٧٩).
(٢) رواه أحمد (٩٣١٢).
(٣) رواه البخاري (٥٢٢٠)، ومسلم (٤٦٧٣).

١٤ - من حقوق الطريق

للطريقِ في الإسلامِ آدابٌ تمنعُ من إيذاءِ الناسِ والتحرشِ بهم كما يحدثُ في كثيرٍ من البلادِ.

فعن النبيِّ ﷺ قالَ: «**إياكم والجلوسَ على الطرقاتِ**» قالوا: ما لنا بدٌّ، هي مجالسُنا نتحدثُ فيها، قالَ: «**فإنْ أبيتم إلا المجالسَ، فأعطوا الطريقَ حقَّها**»، قالوا: وما حقُّها يا رسولَ الله؟ قال: «**غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُّ عن المنكرِ**»[(١)].

ومن ذلك تحريمُ قضاءِ الحاجةِ في طرقِ الناسِ وأماكنِ الظلِّ، فقد قالَ ﷺ: «**اتقوا اللعانين: الذي يتخلى في طريقِ الناسِ، أو في ظلِّهم**»[(٢)].

ومن ذلك إماطةُ الأذى عن الطريقِ، فقد قالَ ﷺ: «**مرَّ رجلٌ بغصنِ شجرةٍ على ظهرِ طريقٍ، فقالَ: واللهِ لأُنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمينَ لا يؤذيهم، فأُدخِلَ الجنةَ**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**لقد رأيتُ رجلًا يتقلبُ في الجنةِ في شجرةٍ قَطَعها من ظهرِ الطريقِ كانت تؤذي الناسَ**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٢٢٨٥)، ومسلم (٣٩٦٠).

(٢) رواه مسلم (٣٩٧)، وأبو داود (٢٣).

(٣) رواه مسلم (٤٧٤٤).

(٤) رواه مسلم (٤٧٤٥).

١٥ -من حقوق الحيوان

رفعَ النبيُّ ﷺ لواءَ الرفقِ بالحيوانِ وأمرَ بالإحسانِ إليه وإطعامِهِ وسقايتِهِ وعدمِ تكليفِهِ ما لا يُطيقُ من العملِ، فقد قالَ النبيُّ ﷺ: **«بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليه العطشُ، فوجد بئرًا، فنزلَ فيها، فشربَ، ثم خرجَ فإذا كلبٌ يلهثُ، يأكلُ الثرى من العطشِ، فقالَ الرجلُ: لقد بلغَ هذا الكلبَ من العطشِ مثلُ الذي كان بلغَ مني، فنزلَ البئرَ، فملأ خُفَّه ماءً، ثم أمسكَهُ بفيهِ حتى رَقي، فسقىَ الكلبَ، فشكر اللهُ له، فغفر له»**. قالوا: يا رسولَ الله وإنَّ لنا في هذه البهائمِ لأجرًا؟ فقال: **«في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ»**[(١)].

وكما أنَّ هذا الرجلَ غَفَرَ اللهُ له في كلبٍ سقاه، فقد ذَكَرَ النبيُّ ﷺ جزاءَ من يعذبُ الحيوانَ فقالَ ﷺ: **«عُذّبتِ امرأة في هِرَّة سجنَتْها حتى ماتت، فدخلتْ فيها النارَ، لا هي أطعمتْها وسقتْها إذ حبستْها، ولا هي تركتْها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ»**[(٢)].

وعند ذبحِ الحيوانِ الذي يحِلُّ أكلُهُ أمرَ النبيُّ ﷺ بالإحسانِ إليه عند الذبحِ، فقالَ ﷺ: **«إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلةَ، وإذا ذبحتم، فأحسنوا الذبحةَ، وليُحِدّ أحدُكم شَفرتَهُ، وليُرِحْ ذبيحتَهُ»**[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢١٩٠)، ومسلم (٤١٦٢).

(٢) رواه البخاري (٢١٩٢)، ومسلم (٤١٦٠).

(٣) رواه مسلم (٣٦١٥)، والترمذي (١٣٢٩).

وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رجلًا أضجعَ شاةً وهو يحدُّ شفرتَهُ -أمَامَها- فقالَ النبيُّ ﷺ: «**أتريدُ أن تُميتَها موتاتٍ؟ هلَّا أحددتَ شفرتَكَ قبلَ أن تضجعَها**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لعنَ اللهُ من مثَّل بالحيوانِ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**منْ رَحِمَ ولو ذبيحة عصفورٍ، رَحمهُ اللهُ يومَ القيامةِ**»(٣).

---

(١) رواه الحاكم (٧٥٦٣).

(٢) رواه النسائي (٤٣٦٦)، والبخاري معلقًا (٥٠٩١).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨١).

القسم الثاني

محمد رسول الله ﷺ والقيم والأخلاق والفضائل

مدخل

تنبعُ قيمةُ الإنسانِ في رؤيةِ رسولِ الله محمدٍ ﷺ من القيمِ والمثلِ التي يتمسكُ بها، ومن الفضائلِ التي تنبعُ من داخلِهِ فتغدو سلوكًا وواقعًا ملموسًا، ولهذا جاءَ خطابُهُ: «**إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صورِكم ولا أموالِكم ولكنْ ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم**»[(١)].

ومن يتأملُ أقوالَ الرسولِ ﷺ يدركُ أنها ترمي إلى غرضٍ واحدٍ، هو طهارةُ النفسِ، وكمالِها الإنسانيِّ، يؤكدُ هذا حديثُهُ الكريمُ: «**إنما بعثتُ لأتممَ صالحَ الأخلاقِ**»[(٢)].

والإنسانُ وإنْ كانَ في حاجةٍ إلى العلومِ فهو إلى القيمِ والأخلاقِ والفضائلِ أحوجُ، ذلك أنَّ ما يصيبُ المجتمعاتِ من ظلمٍ وقهرٍ إنما يُعزَى في الحقيقةِ إلى نقصٍ في الأخلاقِ لا إلى نقصٍ في العلمِ.

ومن ثمَّ كانتِ الأخلاقُ الحسنةُ هي عنوانُ دعوةِ رسولِ الله محمدٍ ﷺ فدعا إلى العدلِ بكلِّ معانيهِ والعدلِ مع كلِّ أحدٍ، ودعا إلى الرحمةِ حتى مع الحيوانِ، والحلمِ، والأمانةِ، والشجاعةِ، والتواضعِ، والوفاءِ، والأمنِ، وحسنِ الحديثِ، كما امتدتْ رؤيتُهُ الخلقيةُ إلى قضيةِ التوازنِ والوسطيةِ فكرًا وسلوكًا.

---

(١) رواه مسلم (٤٦٥١).

(٢) رواه أحمد (٨٥٩٥).

دعا أيضًا إلى حسنِ إدارةِ الوقتِ، وتحمُّل المسئوليةِ، وكانت دعوتُهُ الدءوبةُ للجدِّ والعملِ والكسبِ الحلالِ الطيبِ، وتولي الإنسانِ مسئوليةِ رقابةِ نفسهِ (الضمير).

كما كان توجههُ نحو الفرد بِأنْ يحافظَ على نفسِهِ ويعتنيَ بمظهرِهِ ويحرصَ على سلامةِ صحتِهِ من خلال النظافةِ والتداوي أنَّى وجدَ إلى ذلك سبيلًا.

دعا رسولُ الله ﷺ إلى إقامةِ مجتمعٍ مبنيٍّ على احترامِ النفسِ البشريةِ، وحسنِ الأخلاقِ، يسودُهُ الحَبُّ والودُّ، يعززُ ذلك أعمالٌ تطوعيةٌ متعديةُ النفعِ.

كما أرسى مبادئَ عمليةً مثلَ الشورى، وشرعيةِ دفعِ الظلمِ إنْ وقعَ، مع ذلك وضعَ آدابًا للحربِ والقتالِ ما أحوجَ البشرَ إليها الآنَ.

كانت له رؤيةٌ نحوَ السعادةِ، والتفاؤلِ، وروحِ الدُّعابةِ، يهديها لكلِّ من يملأُ القلقُ قلبَهُ، ويفتتُ الحزنُ فؤادَهُ.

فما أحوجَ البشريةَ اليومَ على اختلافِ أديانِهم وأجناسِهم ليعيشوا هذه القيم في عالمِ الواقعِ ليسعدوا، والآنَ ننطلقُ نحو تفصيلٍ لهذا المدخلِ.

١ - كيف تكسب الناس؟

إنَّ الناسَ بفطرتِهم يحبونَ صاحبَ الكلمةِ الرقيقةِ التي لا تَخْدِشُ حياءً ولا تجرحُ شعورًا، وكذلك يحبونَ صاحبَ البسمةِ المشرقةِ والرأي السديدِ والنصحِ الرشيدِ ومن هنا اهتمَّ رسولُ الله محمدٌ ﷺ بأسبابِ امتلاكِ القلوبِ.

فقالَ ﷺ: «**إنكم لن تَسَعوا الناسَ بأموالِكم، ولكنْ يسعُهم منكم بسطُ الوجهِ، وحسنُ الخلقِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**إنَّ أحبَّكم إليَّ أحاسنُكم أخلاقًا، المُوَطَّئون أكنافًا، الذين يألفونَ ويُؤلفون، وإنَّ أبغضَكم إليَّ المشّاؤون بالنميمةِ، المفرِّقونَ بين الأحبةِ، الملتمسونَ للبرآءِ العيبَ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئًا، ولوْ أنْ تلقى أخاك بوجهٍ طليقٍ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**تبسُّمُك في وجهِ أخيك صدقةٌ، وأمرُكَ بالمعروفِ، ونهيُكَ عن المنكرِ صدقةٌ، وإرشادُكَ الرجلَ في أرضِ الضلالِ لك صدقةٌ، وإماطتُكَ الأذى والشوكَ والعظمَ عن الطريقِ لك صدقةٌ، وإفراغُكَ من دلْوِكَ في دلوِ أخيك لك صدقةٌ**»(٤)، وزاد البزار: «**وَبَصرُك للرجلِ الرديءِ البصرِ لك صدقةٌ**»(٥).

---

(١) رواه البزار (٨٥٤٤).

(٢) رواه الطبراني (٨٣٥).

(٣) رواه مسلم (٤٧٦٠)، والترمذي (١٧٥٦).

(٤) رواه الترمذي (١٨٧٩).

(٥) رواه البزار (٤٠٧٠).

وقال ﷺ: «**والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ**»[١].

وقال ﷺ: «**أطعمِ الطعامَ، وأفشِ السلامَ، وأطبِ الكلامَ، وصلِّ بالليلِ والناسُ نيامٌ، تدخل الجنةَ بسلامٍ**»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٧)، ومسلم (١٦٧٧).

(٢) رواه أحمد (٩٩٩٦).

٢ - العـــدل

من القيمِ الإنسانيةِ التي يسعدُ بها البشرُ جميعًا قيمةُ العدلِ وقد بيَّنَ اللهُ لنبيهِ ﷺ أنه يحبُّ العدلَ ويأمرُ به كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل:٩٠]، بل أمر بالعدلِ حتى مع العدوِّ المخالفِ، وحذّرَ من أنْ تكونَ العداوةُ سببًا في ظلمِ الآخرينَ والتعدي على حقوقِهم، فقالَ تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

وقالَ النبيُّ ﷺ مبينًا وجوبَ العدلِ مع الجميعِ: «**إنما أهلكَ من كانَ قبلكم أنهم كانوا إذا سرقَ فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وإني والذي نفسي بيدِهِ، لوْ أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقتْ لقطعتُ يدَها**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ المقسطينَ عندَ اللهِ على منابرَ من نورٍ، الذين يعْدِلون في حُكْمِهم وأهليهم وما وُلُّوا**»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا يُقدّس أمةً لا يأخذُ الضعيفُ حقَّه من القويِّ، وهو غير متعتعٍ**[(٣)]»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٦)، ومسلم (٣١٩٦).
(٢) رواه مسلم (٣٤٠٦).
(٣) غير متعتع: أي من غير أن يصيبه مكروه.
(٤) رواه ابن ماجه (٢٤١٧).

٣ -الرحـمة

إنَّ من أجمعِ القيمِ الإنسانيةِ قيمةَ الرحمةِ، لأنَّ الرحمةَ لها آثارٌ عظيمةٌ من العفوِ والجودِ والتعاونِ مع الآخرين ومدِّ يدِ العونِ وإغاثةِ الملهوفِ وغيرِ ذلك ومن هنا كان من أخصّ صفاتِ النبيِّ ﷺ صفةُ الرحمةِ، لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أرسله لرحمةِ البشريةِ فقالَ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقالَ تعالى في شأنِهِ ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**إني لم أُبعثْ لعانًا، إنما بعثتُ رحمةً**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لا تُنزعُ الرحمةُ إلا من شقيٍّ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمنُ، ارحموا من في الأرضِ يرحمْكُم من في السماءِ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**من لا يَرْحمُ لا يرحمُ**»(٤).

وقد شملتْ رحمتُهُ ﷺ كلَّ شيءٍ حتى الحيوانَ، فقد قالَ رجلٌ للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله! إني لأذبحُ الشاةَ وأنا أرحمُها، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**والشاةُ إن رحمتَها رحمك اللهُ**»(٥).

(١) رواه مسلم (٤٧٠٤).
(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١)، والترمذي (١٨٤٦).
(٣) رواه أبو داود (٤٢٩٠)، والترمذي (١٨٤٧).
(٤) رواه البخاري (٥٥٣٨)، ومسلم (٤٢٨٢).
(٥) رواه أحمد (١٩٤٧٠).

٤ -الحِـــلم

بلغَ النبيُّ ﷺ الذروةَ في مجالِ الحلمِ وكظمِ الغيظِ وشدةِ الاحتمالِ، قالَ أنسُ بنْ مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كنتُ أمشي مع رسولِ الله ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأدركهُ أعرابيٌّ، فجبذهُ بردائهِ جبْذَةً شديدةً، حتى نظرتُ إلى صفحةِ عاتقِ النبيِّ ﷺ، قد أثرتْ بها حاشيةُ البُرد من شدةِ جبذتهِ، ثم قالَ: يا محمدُ! مُر لي من مالِ الله الذي عندك. فالتفتَ إليه رسولُ الله ﷺ، وضحكَ، ثم أمرَ له بعطاءٍ[(١)].

هكذا تقبلَ النبيُّ ﷺ هذا التصرفَ السيِّئ من هذا الأعرابيِّ الجافي ولم يعاتبْهُ، وإنما تبسَّمَ في وجهِهِ وأعطاه ما يريدُ.

وكانَ ﷺ نائمًا في ظلِّ شجرةٍ، قد علَّقَ سيفَهُ بها، فجاءَ أعرابيٌّ فاخترطَ السيفَ، وشَهَرَهُ في وجهِ النبيِّ ﷺ، وقالَ: من يمنعك مني يا محمدُ؟! قال: «اللهُ». فاضطربَ الأعرابيُّ ووقع السيفُ من يدِهِ، فأخذَ النبيُّ ﷺ السيفَ وعفا عنه وأجلسَهُ بجوارِهِ[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٥٣٦٢)، ومسلم (١٧٤٩).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٤)، ومسلم (٤٢٣١).

٥ - الأمـــانة

من القيمِ الإنسانيةِ التي يُمدحُ المرءُ بالاتصاف بها قيمةُ الأمانةِ، وقد قالَ تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

والأمانةُ من الإيمانِ، ولذلكَ قالَ ﷺ: «**لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له**»(١).

وعدَّ النبيُّ ﷺ تضييعَ الأمانةَ من صفاتِ أهلِ النفاقِ، فقالَ: «**آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدّثَ كذبَ، وإذا وعد أخلفَ، وإذا اؤتمنَ خانَ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إذا ضُيّعتِ الأمانةُ فانتظرْ الساعةَ**» قالوا: كيفَ إضاعتُها؟ قال: «**إذا وسّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ، فانتظرِ الساعةَ**»(٣).

وكانَ ﷺ يُعرفُ في قومهِ بالأمينِ، وقد تزوجتْهُ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي المرأةُ الشريفةُ الثريةُ لأمانتهِ وكريمِ أخلاقهِ، حيثُ كان يُشرفُ على تجارتها بالشامِ وذلك قبلَ النبوةِ.

ومن أمانتهِ أنَّ أهلَ قريشٍ - مع كفرهم به - كانوا يضعون عندهُ أموالَهم ليحفظَها لهم، ولمّا أذِنَ اللهُ له بالهجرةِ إلى المدينةِ بعدَ أنْ كذَّبه قومُهُ ورموه عن قوسٍ واحدةٍ، ترك ابن عمّه عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكةَ لردِّ الأماناتِ إلى أهلِها، مع أنَّ أهلَها هم الذين آذوه وعادوه وكذَّبوه وصادروا أموالَ أصحابِهِ، إلا أنه ﷺ لم يأخذْ أموالَهم عِوضًا عن ذلك، بل ردَّها إليهم لأنها أمانةٌ وهو ﷺ خيرُ من يحفظُ الأمانةَ.

---

(١) رواه أحمد (١١٩٣٥).
(٢) رواه البخاري (٣٢)، ومسلم (٨٩).
(٣) رواه البخاري (٥٧)، وأحمد (٨٣٧٤).

٦ - الشجـــاعة

كثيرًا ما يذمُّ الناسُ شخصًا ما فيقولون: إنه متلوِّنٌ؛ لا رأيَ له، لا مبدأَ له، لا هُويةَ له، ولم يكنِ النبيُّ ﷺ كذلك لا مع أصدقائِهِ ولا مع أعدائِهِ وقد ودَّ أعداؤه أنْ يتنازلَ عن بعضِ مبادئِهِ فلم يظْفروا بذلك بل قالَ كلمتَهُ الشهيرةَ: «**واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أنْ أتركَ هذا الأمرَ** - أي الدعوةَ إلى الإسلامِ - **ما تركتُهُ حتى يظهرَهُ اللهُ أو أهلكَ دونهُ**».

قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**تجدون الناسَ معادنَ، خيارُهم في الجاهليةِ، خيارُهم في الإسلامِ، إذا فَقِهوا. وتجدون خيارَ الناسِ في هذا الشأنِ أشدَّهم له كراهةً، وتجدون شرَّ الناسِ ذا الوجهينِ، الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ، وهؤلاءِ بوجهٍ**»[(١)].

وعن محمدِ بنِ زيدٍ أنَّ ناسًا قالوا لجدِّه عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنا ندخلُ على سلطانِنا، فنقولُ بخلافِ ما نتكلمُ إذا خرجنا من عندِهم؟ فقال: كنا نعدُّ هذا نفاقًا على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ[(٢)].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إذا رأيتم أمتي تهابُ الظالمَ أنْ تقولَ له: إنكَ ظالمٌ، فقد تُودِّعَ منهم**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (٤٥٨٨).

(٢) رواه البخاري (٦٦٤٢).

(٣) رواه أحمد (٦٢٣٤).

٧ -التواضـــع

يحبُّ الناسُ الشخصَ المتواضعَ الذي يقابلُهم بالترحابِ، ويبتسمُ في وجوهِهم، ولا يُشعرُهم بالحرجِ عند لُقياهُ.

وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على قيمةِ التواضعِ، وبيَّنَ أنَّ الإنسانَ كلما تواضعَ كلما زادتْ منزلتُهُ عند اللهِ وعندَ الناسِ، فقالَ ﷺ: «**وما تواضعَ أحدٌ للهِ إلا رفعهُ اللهُ عزَّ وجلَّ**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أنْ تواضعوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ**»[(٢)].

وكان من تواضعِ النبيِّ ﷺ أنه لا يمرُّ على الصبيانِ إلا ويسلّمُ عليهم، وكانَ الداخلُ إلى المسجدِ لا يعرفُهُ من بين أصحابِهِ وذلك لعدمِ تميزُّهِ عنهم في شيءٍ من اللباسِ أو الوسائدِ أو الأماكنِ أو غيرِ ذلك. وخرجَ على أصحابِهِ ذاتَ يومٍ فقاموا له إجلالًا واحترامًا، فقال: «**لا تقوموا كما تقومُ الأعاجمُ، يعظِّمُ بعضُهم بعْضًا**»[(٣)].

وكانَ في بيتِهِ ﷺ في خدمةِ أهلِهِ، كان يخصِفُ نعلَهُ، ويرقعُ ثوبَهُ، ويحلبُ الشاةَ لأهلِهِ، ويعلفُ البعيرَ، ويأكلُ مع الخادمِ، ويجالسُ المساكينَ، ويمشي في

---

(١) رواه مسلم (٤٦٨٩)، والترمذي (١٩٥٢).

(٢) رواه مسلم (٥١٠٩)، وأبو داود (٤٢٥٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٥٥٣)، وأحمد (٢١١٥٨).

حوائجِ الأراملِ واليتامى، ويبدأُ من لقيَهُ بالسلامِ، ويجيبُ دعوةَ من دعاه ولو إلى أيسرِ شيءٍ.

ودخلَ عليه رجلٌ، فأصابتْهُ من هيبتِهِ رعدةٌ، فقالَ له: «**هوّنْ عليكَ، فإني لستُ بملكٍ، إنما أنا ابنُ امرأةٍ من قريشٍ كانت تأكلُ القديدَ**(١)»(٢).

(١) القديد: اللحم المشقق المجفف.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣٠٣).

٨ -الوفـــاء

الوفاءُ من القيمِ الإنسانيةِ العظيمةِ، أكَّدَ الإسلامُ عليها وأمرَ بالوفاءِ بالعهودِ واحترامِ الوعودِ.

قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**المسلمون على شروطِهم**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**إني لا أخيسُ بالعهدِ، ولا أحبسُ البُرُدَ**»[(٢)].

أي لا أنقضُ العهدَ، ولا أحتجزُ الرسلَ والوفودَ كرهائنَ.

وقالَ ﷺ: «**فوا لهم، ونستعينُ اللهَ عليهم**»[(٣)]، أي أوفوا بعهودِكم للمشركين.

وقالَ ﷺ: «**أوفوا بحلفِ الجاهليةِ، فإنَّ الإسلامَ لم يزدْهُ إلا شدةً**»[(٤)]، وذلك لأنَّ الإسلامَ شدّدَ على الوفاءِ بالعهودِ وحذَّرَ من نقضِها والالتفافِ عليها.

---

(١) رواه الترمذي (١٢٧٢)، وأبو داود (٣١٢٠).

(٢) رواه أبو داود (٢٣٧٧)، وأحمد (٢٢٧٣٧).

(٣) رواه أحمد (٢٢٢٨٣).

(٤) رواه الترمذي (١٥١١)، وأحمد (٦٦٣٨).

٩ - الأمـــن

لا يختلفُ اثنانِ حولَ قيمةِ الأمنِ في حياةِ الناسِ، فبدونِ الأمنِ تتعطلُ مصالحُ الناسِ، وتعمُّ الفوضى، وتكثرُ جرائمُ القتلِ والسلبِ والنهبِ، وينشرُ المجرمون الخوفَ والرعبَ في قلوبِ الناسِ.

وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ عِظَمَ شأنِ الأمنِ بكافةِ أنواعِهِ، الأمنِ النفسيِّ، والصحيِّ، والأمنِ الغذائيِّ، وجعلَ ذلك من أعظمِ النعمِ التي يتمتعُ بها الإنسانُ في الدنيا، فقالَ ﷺ: «**من أصبحَ منكم آمنًا في سربِهِ، معافًى في جسدِهِ، عنده قوتُ يومِهِ، فكأنما حيزت له الدنيا**»[(١)].

والنبيُّ ﷺ أمرَ أصحابَهُ بالهجرةِ من مكةَ إلى المدينةِ، لَمَّا افتقدوا الأمنَ في بلدِهم، وتعرَّضوا للتعذيبِ والاضطهادِ، ثم هاجر ﷺ للسببِ نفسِهِ، وللبحثِ عن مكانٍ جديدٍ يتقبلُ دعوتَهُ ويستقبلُ النورَ الذي أنزلَهُ اللهُ عليهِ.

وفي مشهدٍ من مشاهدِ الحزنِ والألمِ، يتركُ محمدٌ ﷺ مكةَ التي يحبُّها، والتي عاشَ فيها طفولتَهُ وشبابَهُ حتى وصلَ عمرُهُ إلى الأربعينَ، يتركُها وهو يقولُ: «**ما أطيبَكِ من بلدٍ، وما أحبَّكِ إليّ، ولولا أنَّ قومَكِ أخرجوني منك ما خرجتُ منكِ، وما سكنتُ غيرَكِ**»[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٦١).

وقد حذَّرَ النبيُّ ﷺ من كلِّ ما يزعزعُ الأمنَ ويقِّوضُ أركانَهُ، ومن ذلك جرائمُ القتلِ والسرقةِ وانتهاكِ الأعراضِ فقالَ ﷺ: «**إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا**»[(١)].

ونهى النبيُّ ﷺ عن الخروجِ على الحكامِ المسلمينَ بالقوةِ أو ما يسمى بالانقلاباتِ العسكريةِ لما في ذلك من الفتنِ وإراقةِ الدماءِ وفقدانِ الأمنِ فقالَ ﷺ: «**من خرجَ من الطاعةِ، وفارقَ الجماعةَ، فماتَ، ماتَ ميتةً جاهليةً**»[(٢)]، ومع ذلك فقد أمرَ النبيُّ ﷺ بنصيحةِ ولاةِ الأمورِ بالأسلوبِ الحسنِ والحجةِ الواضحةِ فقالَ ﷺ: «**الدينُ النصيحةُ**» قالوا: لمن يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**للهِ، ولكتابِهِ، ولرسولِهِ، ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١٦٢٣)، ومسلم (٣١٨٠).

(٢) رواه مسلم (٣٤٣٦)، والنسائي (٤٠٤٥)، وأحمد (٧٦٠٣).

(٣) رواه مسلم (٨٢)، والترمذي (١٨٤٩).

١٠ -الصمت والكلام

الصمتُ شيءٌ يسيرٌ لا يكلفُ الإنسانَ شيئًا، بل إنه يخلِّصُه من كثيرٍ من المواقفِ والمشكلاتِ، ويدفعُ عنه كثيرًا من المحنِ والبلايا، ومع ذلك لا يجيدُ فنَّ الصمتِ إلا القلائلُ من البشرِ، والنبيُّ ﷺ بيَّنَ فضيلةَ الصمتِ وحذَّرَ من خطورةِ اللسانِ، فقالَ ﷺ: «**منْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليصْمُتْ**»[١].

وقالَ ﷺ: «**من صمتَ نجا**»[٢].

وقالَ ﷺ: «**المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ**»[٣].

وسألَ عقبةُ بنُ عامرٍ رسولَ الله ﷺ: ما النجاةُ؟ فقال ﷺ: «**أمْسِكْ عليك لسانَكَ، وليسعْكَ بيتكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ**»[٤].

وليسَ المرادُ من هذه الأحاديثِ هو الخنوعَ وعدمَ تغييرِ المنكرِ، والسكوتَ على الظلمِ، بل المرادُ عدمُ الخوضِ في الباطلِ، والتكلمِ بغيرِ الحقِّ، لأنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**قلِ الحقَّ وإنْ كانَ مرًّا**»[٥].

وقالَ ﷺ: «**سيّدُ الشهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطلب، ورجلٌ قامَ إلى إمامٍ جائرٍ فأمَرهُ ونهاه فقتَلهُ**»[٦].

---

(١) رواه البخاري (٥٥٥٩)، ومسلم (٦٧).
(٢) رواه الترمذي (٢٤٢٥)، وأحمد (٦١٩٣).
(٣) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٥٨).
(٤) رواه الترمذي (٢٣٣٠)، وأحمد (٢١٢٠٦).
(٥) رواه أحمد (٢٠٤٤٧).
(٦) رواه الحاكم (٤٨٨٤).

فهذا وغيرُهُ تكلَّمَ بالحقِّ، أما الصمتُ فيحسُنُ عند التباسِ الأمورِ والفتنِ وعند استواءِ الكلامِ وتركِهِ، وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**من حُسنِ إسلامِ المرء تركُهُ ما لا يَعْنيه**»[(١)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٩)، وابن ماجه (٣٩٦٦).

١١ - الوسطية والتوازن

وصفَ اللهُ أمةَ محمدٍ ﷺ أنها أمةٌ وسطٌ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، فلذلك سعى رسولُ الله ﷺ لترسيخِ قيمةِ التوازنِ والوسطيةِ في حياةِ المسلمِ، فالتوازنُ والاعتدالُ والوسطيةُ تشكلُ سمةً بارزةً من سماتِ حياةِ النبيِّ ﷺ وعبادتِهِ وطريقتِهِ في كلِّ شيءٍ ولذلك فقد نهى النبيُّ ﷺ عن الغلوِّ والتطرفِ فقال: «**إياكم والغلوَ، فإنما أهلكَ من كان قبلكم الغلوُّ**»[(١)].

وكانَ ﷺ يعلمُ أصحابَهُ معالمَ هذا التوازنِ والوسطيةِ في كلِّ شيءٍ فعن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: جاءَ ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادتِهِ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها. فقالوا: وأين نحن من النبيِّ ﷺ، وقد غُفرَ له ما تقدمَ من ذنبِهِ وما تأخرَ؟! فقال أحدُهم: أما أنا، فإني أصلي الليلَ أبدًا، وقال آخر: وأنا أصومُ الدهرَ ولا أفطرُ، وقالَ آخرُ: وأنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوجُ النساءَ أبدًا.

فأُخبرَ النبيُّ ﷺ بما قالوا، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أمَا واللهِ إني لأخشاكم للهِ، وأتقاكم له، لكنِّي أصومُ وأفطرُ، وأصلي وأرقدُ، وأتزوجُ النساءَ، فمن رَغِبَ عن سنتي فليسَ مني**»[(٢)].

ودخلَ ﷺ على إحدى زوجاتِهِ وهي زينبُ بنتُ جحشٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فوجدَ حبلًا ممدودًا بين ساريتين فقالَ: «**ما هذا الحبلُ؟**» قالوا: هذا حبلٌ لزينبَ إذا فَتَرتْ

(١) رواه أحمد (٣٠٧٨)، والنسائي (٣٠٠٧).

(٢) رواه البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤٨٧).

عن الصلاةِ تعلقتْ به. فقالَ النبيُّ ﷺ: «**لا، حلّوه، لِيصلِّ أحدُكم نشاطَهُ، فإذا فَتَرَ فليقعدْ**»(١).

وبيَّن ﷺ حقيقةَ الدِّينِ فقالَ: «**إنَّ الدينَ يسرٌ، ولنْ يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبَهُ فسدّدوا وقاربوا وأبشروا**»(٢). ولذلك ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرينِ إلا اختارَ أيسرَهما ما لم يكنْ إثمًا، فإنْ كانَ إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه.

وعنْ حنظلةَ الأسيدي قال: لقيني أبو بكرٍ فقالَ: كيف أنتَ يا حنظلةُ! قلتُ: نافقَ حنظلةُ. قال: سبحانَ الله! ما تقولُ؟ قلتُ: نكونُ عند رسولِ الله ﷺ يذكّرنا بالنارِ والجنةِ، حتى كأنَّا رأيُ عينٍ، فإذا خرجنا من عندِ رسولِ الله ﷺ عافسْنا الأزواجَ والأولادَ والضيعاتِ(٣)، فنسينا كثيرًا. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثلَ هذا، فانطلقتُ أنا وأبو بكرٍ، حتى دخلنا على رسولِ الله ﷺ، قلتُ: نافقَ حنظلةُ يا رسولَ الله، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**وما ذاك؟**» قلتُ: يا رسولَ الله نكونُ عندَكَ تُذكّرنا بالنارِ والجنةِ، حتى كأنَّا رأيُ عينٍ، فإذا خرجْنَا من عندِكَ عافسْنا الأزواجَ والأولادَ والضيعاتِ نسينا كثيرًا.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسي بيدِهِ، لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكرِ، لَصافحتْكم الملائكةُ على فُرشِكم وفي طرقِكم، ولكنْ يا حنظلةُ! ساعةً وساعةً**» ثلاث مرات(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٠٨٢)، ومسلم (١٣٠٦).

(٢) رواه البخاري (٣٨)، والنسائي (٤٩٤٨).

(٣) عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات: اشتغلنا بأهلينا وأموالنا.

(٤) رواه مسلم (٤٩٣٧)، والترمذي (٢٤٣٨).

وأخبرَ ﷺ أنَّ التشددَ في الدِّينِ يؤدي إلى الهلاكِ فقال: «**هلكَ المتنطعونَ**» قالها ثلاثًا[(١)].

وعن أنس أنَّ النبيَّ ﷺ رأى شيخًا يُهادى بين ابنيه فقالَ: «**ما بالُ هذا؟**» قالوا: نَذَرَ أنْ يمشيَ، فقالَ ﷺ: «**إنَّ الله لغنيٌّ من تعذيبِ هذا نفسَهُ**»[(٢)].

كلُّ هذه الأدلةِ تؤكدُ على حرصِ النبيِّ ﷺ على توازنِ المسلمِ وألَّا ينحرفَ عن الجادةِ لا إلى الغلوِّ، ولا إلى الجفاءِ والتساهلِ.

وفي جانبِ التعاملِ مع النفسِ الإنسانيةِ ومسايرةً لميلِها الطبيعيِّ للشهواتِ أباحَ التمتعَ بالطيباتِ فقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢].

وقالَ سبحانه: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧].

وكانَ من دعاءِ النبيِّ ﷺ: «**اللهمَّ أصلحْ لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلحْ لي دنيايَ التي فيها معاشي**»[(٣)].

فهذا الدعاءُ يكشِفُ عن توازنٍ عجيبٍ بين الدنيا والدين.

كما كانت الوسطيةُ عنوانَ نبيِّ الله في حديثِهِ وكلامِهِ، فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالتْ: «ما كانَ رسولُ الله يسردُ سردَكم هذا»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢٣)، وأبو داود (٣٩٩٢).

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٧)، ومسلم (٣١٠٠).

(٣) رواه مسلم (٤٨٩٧)، والنسائي (١٣٢٩).

(٤) رواه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٤٥٤٨).

وكانَ يقولُ ﷺ: «**إنَّ المنبتَ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**»(١).

وفي الحديثِ: «**إنَّ لربكَ عليك حقًّا، وإنَّ لبدنِكَ عليك حقًّا، وإنَّ لأهلِكَ عليك حقًّا؛ فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ**»(٢).

كما تتضحُ وسطيةُ الإسلامِ من خلالِ ما شرعَهُ نبيُّ الله ﷺ من الرُّخصِ الكثيرةِ في مجالاتٍ شتَّى يقولُ عنها: «**إنَّ اللهَ يحبُّ أنْ تؤتى رخصُهُ كما يكرَهُ أنْ تؤتى معصيتُهُ**»(٣).

وكانَ عليه الصلاةُ والسلامُ من صفاتِهِ: «ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ بين أمرينِ إلا اختارَ أيسرَهما ما لم يكنْ إثمًا»(٤).

(١) رواه البيهقي (٤٩٣١).
(٢) رواه البخاري (٥٦٧٤)، والترمذي (٢٣٣٧).
(٣) رواه أحمد (٥٦٠٠).
(٤) رواه البخاري (٣٢٩٦)، ومسلم (٤٢٩٤).

١٢ -الوقـــت

الوقتُ هو الحياةُ، وقد أقسمَ اللهُ بأجزاءٍ من الوقتِ مما يدلُّ على شرَفِهِ، فأقسمَ بالفجرِ والضحى، والعصرِ، والليلِ والنهارِ.

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ: الصحةُ والفراغُ**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ: عن عمرِهِ فيم أفناهُ، وعن علمِهِ ما فعلَ فيه، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبهُ وفيمَ أنفقهُ، وعن جسمهِ فيمَ أبلاه**»[(٢)].

وقالَ ﷺ حاثًّا على مبادرةِ الأعمارِ بالعملِ الجادِّ والسعي الحميدِ: «**اغتنمْ خمسًا قبلَ خمسٍ، حياتَك قبلَ موتِكَ، وصحتَك قبل سَقَمِك، وفراغَكَ قبلَ شغلِكَ، وشبابك قبلَ هرمكَ، وغناكَ قبلَ فقركَ**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٣٣)، والترمذي (٢٢٢٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤١)، والدارميّ (٥٣٦).

(٣) رواه الحاكم (٧٨٤٦).

١٣ - تحمل المسؤولية

وزَّعَ النبيُّ ﷺ المسؤوليةَ على الناسِ بحسبِ مواقِعهم وحدودِ صلاحياتِهم، وحذَّرَ من التفريطِ في المسؤوليةِ وإهمالِ المهامِّ الموكولةِ إلى كلِّ شخصٍ، وبينَ أنَّ الإنسانَ سيُسألُ أمامَ الله تعالى عن هذه المسؤوليةِ، فقالَ ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ، فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِهِ، والرجلُ راعٍ في أهلِهِ، وهو مسؤولٌ عن رعيتِهِ، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها، وهي مسؤولةٌ عن رعيتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيدِهِ، وهو مسؤولٌ عن رعيتِهِ، ألا فكلكم راعٍ وكلكُم مسؤولٌ عن رعيتِهِ**»(١).

ويومَ يضيِّعُ الإنسانُ مسئوليتَهُ تُجاهَ أبنائِهِ وزوجتِهِ، يقعُ في الإثمِ والوعيدِ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيعَ من يقوتُ**»(٢).

قالَ ﷺ لسعدِ بنِ أبي وقاصٍ: «**إنك إنْ تذرْ ورثَتَكَ أغنياءَ، خيرٌ من أنْ تذرَهم عالةً يتكففونَ الناسَ**»(٣).

وبيَّنَ النبيُّ ﷺ مسؤوليةَ الكلمةِ فقالَ ﷺ: «**إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ مِن رضوانِ الله لا يلقي لها بالًا، يرفَعُهُ اللهُ بها درجاتٍ، وإنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ من سخطِ الله لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنمَ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٣٤٠٨).

(٢) رواه أبو داود (١٤٤٢)، وأحمد (٦٢٠٧).

(٣) رواه البخاري (١٢١٣)، ومسلم (٣٠٧٦).

(٤) رواه البخاري (٥٩٩٧)، والترمذي (٢٢٤١).

وبيَّن ﷺ مسؤوليةَ كلِّ عاملٍ عن عملِهِ، فقالَ: «**من استعملناه على عملٍ، فرزقناه رزقًا، فما أخذَ بعد ذلك فهو غُلولٌ**[(١)]»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**أما بعدُ.. فما بالُ العاملِ نستعملُهُ فيأتينا فيقولُ: هذا من عملِكم، وهذا أُهدي لي، أفلا قعدَ في بيتِ أبيه وأمِّهِ، فينظرَ هل يُهدى له أم لا؟ فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يغلُّ أحدُكم منها شيئًا إلا جاءَ يومَ القيامةِ يحمِلُهُ على عنقِهِ**»[(٣)].

---

(١) غلول: سرقة.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٥٤).

(٣) رواه البخاري (٦١٤٥)، ومسلم (٣٤١٣).

١٤ -العمل والكسب

بيَّنَ الرسولُ ﷺ شأنَ العملِ وحذَّرَ من الكسلِ والبطالةِ، وأوضحَ كثيرًا من آدابِ الكسبِ والتجارةِ.

قالَ تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠].

وقالَ ﷺ: «**ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أنْ يأكلَ من عملِ يدِهِ، وإنَّ نبيَّ اللهِ داودَ كانَ يأكلُ من عملِ يدِهِ**»(١).

وحثّ النبيُّ ﷺ على إتقانِ العملِ فقالَ: «**إنَّ اللهَ يحبُّ إذا عَمِلَ أحدُكم عملًا أن يتقنَهُ**»(٢).

وحذَّرَ ﷺ من سؤالِ الناسِ أموالِهم من غيرِ حاجةٍ فقالَ: «**لا تزالُ المسألةُ بأحدِكم حتى يلقى اللهَ وليس في وجهِهِ مُزعةُ لحمٍ**»(٣)، وذلك خجلًا من مسألتِهِ، لأنه كانَ عليه أنْ يعمل ويأكلَ من كسبِ يديْهِ.

وقالَ ﷺ: «**منْ سألَ من غيرِ فقرٍ، فكأنما يأكلُ الجمرَ**»(٤).

ونهى ﷺ عن احتكارِ السلعِ بغيةَ رفعِ السعرِ فقالَ: «**من احتكرَ فهو خاطئ**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٠).

(٢) رواه البيهقي (٤٩٣١).

(٣) رواه البخاري (١٣٨١)، ومسلم (١٧٢٤).

(٤) رواه الطبراني (٣٥٠٦).

(٥) رواه مسلم (٣٠١٢)، والترمذي (١١٨٨).

وروي أنه ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: أنا ثالثُ الشريكين ما لم يخنْ أحدُهما صاحِبَهُ، فإذا خانه خرجتُ من بينهما»[(١)].

وقالَ ﷺ: «التاجرُ الأمينُ الصدوقُ مع النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «إياكم وكثرةَ الحلفِ في البيعِ، فإنه يُنفِّقُ ثم يمحقُ»[(٣)].

وقالَ ﷺ: «البيِّعانِ بالخيارِ ما لم يتفرقا، فإنْ صَدَقا وبيَّنا، بوركَ لهما في بيعِهما، وإنْ كَذَبا وكتما، مُحقتْ بركةُ بيعهما»[(٤)].

وقالَ ﷺ: «أعطوا الأجيرَ أجْرَهُ، قبلَ أنْ يجفَّ عرقُه»[(٥)].

قالَ ﷺ: «خيرُ الكسبِ كسبُ يدِ العاملِ إذا نَصَحَ»[(٦)].

وقالَ ﷺ: «حُرِّمتِ التجارةُ في الخمرِ»[(٧)].

وقالَ ﷺ: «لا تبتاعوا الثمرةَ حتى يبدوَ صلاحُها، وتذهبَ عنها الآفةُ»[(٨)].

وقال: ﷺ: «من غشَّ فليسَ منَّا»[(٩)].

---

(١) رواه أبو داود (٢٩٣٦).
(٢) رواه الترمذي (١١٣٠)، وابن ماجه (٢١٣٠).
(٣) رواه مسلم (٣٠١٥)، والنسائي (٤٣٨٤).
(٤) رواه البخاري (١٩٦٨)، ومسلم (٢٨٢٥).
(٥) رواه ابن ماجه (٢٤٣٤).
(٦) رواه أحمد (٨٠٦٠).
(٧) رواه البخاري (٢٠٧٤)، ومسلم (٢٩٥٩).
(٨) رواه مسلم (٢٨٢٩).
(٩) رواه مسلم (١٤٦)، والترمذي (١٢٣٦).

وقال ﷺ: «المسلمُ أخو المسلمِ، ولا يحلُّ لمسلمٍ باعَ من أخيهِ بيعًا فيه عيبٌ إلا بَيَّنَهُ له»[(١)].

وقالَ ﷺ: «لا يبيع بعضُكم على بيعِ أخيه»[(٢)].

وقال ﷺ: «إنما البيعُ عن تراضٍ»[(٣)].

وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ سمحَ البيعِ، سمحَ الشراءِ، سمحَ القضاءِ[(٤)]»[(٥)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٣٧).

(٢) رواه البخاري (١٩٩٥)، ومسلم (٢٥٣١).

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٧٦).

(٤) سمح القضاء: اللين في طلب الحق.

(٥) رواه الترمذي (١٢٤٠).

١٥ - الرقابة الذاتية

من الأمورِ المهمةِ التي أمرَ بها رسولُ الله محمدٌ ﷺ أنْ يجعلَ الإنسانُ رقيبًا على ذاتِهِ، بحيث يرعى حقوق الله وحقوقَ العبادِ في السرِّ قبل العلنِ.

قالَ النبيُّ ﷺ: «**اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، واتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناسَ بخلقٍ حسنٍ**»[(١)].

وقالَ لابنِ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يعلِّمُهُ الرقابةَ الذاتيةَ والشجاعةَ والتوكلَ على الله: «**يا غلامُ إني أعلمُك كلماتٍ؛ احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجده تُجاهك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أنْ يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، جَفّتِ الأقلامُ ورُفعتِ الصحفُ**»[(٢)].

وسُئلَ رسول الله ﷺ عن الإحسانِ فقالَ: «**أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراهُ فإنه يراكَ**»[(٣)].

وقد ذكرَ النبيُّ ﷺ من السبعةِ الذين يكونون في أعلى درجاتِ الجنةِ يومَ القيامةِ، ويظلُّهم اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ، قالَ: «**ورجلٌ دعتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقالَ: إني أخافُ اللهَ ربَّ العالمين**»[(٤)]، وذلك لأنه راقبَ ربَّهُ وتركَ معصيتَهُ حيثُ لا يراه أحدٌ.

---

(١) رواه الترمذي (١٩١٠)، وأحمد (٢٠٣٩٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٤٠)، وأحمد (٢٥٣٧).

(٣) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٩).

(٤) رواه البخاري (١٣٣٤)، ومسلم (١٧١٢).

١٦ -الطب والصحة

الصحةُ مطلبُ كلِّ إنسانٍ على وجهِ الأرضِ، وقد أشارَ النبيُّ ﷺ إلى بعضِ الوصايا والقضايا الصحيةِ التي تُفيدُ في الوقايةِ من الأمراضِ وتحثُّ على التداوي بغيرِ ما حرَّمَ اللهُ من الأدويةِ النافعةِ، فمن ذلك:

قولُه ﷺ: «**بحسبِ ابن آدمَ لقيماتٍ يقمنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا محالةَ فاعلًا، فثلثٌ لطعامِهِ، وثلثٌ لشرابِهِ، وثلثٌ لنفسِهِ**»(١).

وهذه وصيةٌ لو عَمِلتْ بها البشريةُ اليومَ لسلمتْ من الكثيرِ من الأمراضِ المنتشرةِ.

وقالَ ﷺ: «**لكلِّ داءٍ دواءٌ، فإذا أُصيبَ دواءٌ الداءِ، برئَ بإذنِ اللهِ تعالى**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إذا سمعتم بالطاعونِ بأرضٍ فلا تدخلوا عليه، وإذا وقعَ وأنتم بأرضٍ فلا تخرجوا منها فرارًا منه**»(٣).

وهذا أصلٌ فيما عُرِفَ في الطبِ بعد ذلك بقرونٍ بالحَجْرِ الصحيِّ.

وقالَ ﷺ: «**ألا لا يلومنّ امرؤٌ إلا نفسَهُ، يبيتُ وفي يدِهِ ريحُ غمرٍ**(٤)»(٥).

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٢)، وابن ماجه (٣٣٤٠).

(٢) رواه مسلم (٤٠٨٤).

(٣) رواه البخاري (٥٢٨٧)، ومسلم (٤١١١).

(٤) غمر: الدسم.

(٥) رواه ابن ماجه (٣٢٨٧).

وهذا توجيهٌ بغسلِ الأيدي بعد الطعامِ وبخاصةٍ إذا أرادَ الإنسانُ أنْ ينامَ، فمن أهملَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَهُ.

وقالَ ﷺ: «**الحبةُ السوداءُ شفاءٌ من كلِّ داءٍ إلا السامَ**»[١]، وقد ثبتَ علميًا أنَّ الحبةَ السوداءَ تقوي جهازَ المناعةِ في الجسمِ، فهي بذلك شفاءٌ من كلِّ داءٍ كما أخبرَ النبيُّ ﷺ.

(١) رواه البخاري (٥٢٥٥)، ومسلم (٤١٠٤).

١٧ -النظافة والتجمل

حثَّ النبيُّ ﷺ على نظافةِ البدنِ والثيابِ والبيوتِ، وكانَ ﷺ يعجبهُ الريحُ الطيبةُ، ويكرهُ الريحَ الخبيثةَ، ومن وصاياه ﷺ في ذلك:

قولُه ﷺ: «**إذا كانَ لأحدِكم شعرٌ فليكرمْهُ**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**ثلاثٌ حقٌّ على كلِّ مسلمٍ: الغسلُ يومَ الجمعةِ، والسواكُ، والطِّيبُ**»[(٢)].

وكانَ ﷺ يُعرفُ بريحِ الطِّيبِ إذا أقبلَ.

وقالَ ﷺ: «**إنَّ من الفطرةِ: المضمضةَ، والاستنشاقَ، والسواكَ، وقصَّ الشوارب، وتقليمَ الأظفارِ، ونتفَ الإبطِ، والاستحدادَ**[(٣)]، **وغسلَ البراجمِ**[(٤)]، **والانتضاحَ بالماءِ**[(٥)]، **والاختتانَ**»[(٦)].

وقالَ ﷺ: «**طهروا أفنيتكم**»[(٧)].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ**»[(٨)].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٣٢).

(٢) رواه أحمد (٢١٩٩٨).

(٣) الاستحداد: حلق العانة.

(٤) البراجم: العقد التي بظهر الأصابع.

(٥) الانتضاح بالماء: الاستنجاء به.

(٦) رواه أحمد (١٧٦٠٦)، وأبو داود (٤٩).

(٧) رواه الترمذي (٢٧٢٣).

(٨) رواه مسلم (١٣١)، وأحمد (٣٦٠٠).

ورأى ﷺ رجلًا شعثًا قد تفرَّقَ شعرُهُ، فقالَ: «**أمَا كانَ يجدُ هذا ما يسكِّنُ به شعرَهُ؟**». ورأى رجلًا آخرَ وعليه ثيابٌ وسِخَةٌ، فقال: «**أما كان يجدُ هذا ماءً يغسِلُ به ثَوْبَهُ؟**»(١).

(١) رواه أبو داود (٤٠٦٢).

١٨ - احترام النفس الإنسانية

كرَّمَ اللهُ الإنسانَ وجعلَهُ من أشرفِ مخلوقاتِهِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وها هو نبيُّ الله ﷺ، وقد مرتْ به جنازةٌ، وكانَ ﷺ قاعدًا، فوقفَ، فقالوا: يا رسولَ الله إنه يهوديٌّ، فقالَ ﷺ: «**أليستْ نفسًا**»[١].

وهذا يبينُ تكريمَ النبيِّ ﷺ للنفسِ الإنسانيةِ، مهما كان دينُها وانتماؤها وتصرفاتُها في الدنيا.

ونهى النبيُّ ﷺ عن تعذيبِ الناسِ فقالَ: «**إنَّ اللهَ يعذّبُ يومَ القيامةِ الذين يعذبون الناسَ في الدنيا**»[٢]، وذلك لأنَّ الجزاء من جنسِ العملِ.

وقالَ ﷺ: «**صنفانِ من أهلِ النار لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسهُنَّ كأسنمةِ البختِ المائلةِ، لا يدخلنَ الجنةَ ولا يجدْنَ ريحَها**»[٣].

ومن دلائلِ احترامِ النبيِّ ﷺ للنفسِ الإنسانيةِ أنه نهى عن سبِّ الأمواتِ[٤].

ونهى ﷺ عن امتهانِ جثةِ الميتِ أو العبثِ بها، فقال: «**كَسْرُ عَظْمِ الميِّتِ ككسرِهِ حيًّا**»[٥]. أي أنَّ الإثمَ واحدٌ في الحالتين.

---

(١) رواه البخاري (١٢٢٩)، ومسلم (١٥٩٦).
(٢) رواه مسلم (٤٧٣٣)، وأبو داود (٢٦٤٨).
(٣) رواه مسلم (٥٠٩٨).
(٤) رواه أحمد (١٧٤٩٨).
(٥) رواه أبو داود (٢٧٩٢)، وأحمد (٢٣١٧٢).

١٩ - حسن الخلق

الناسُ جميعًا يحبون حَسَنَ الخلقِ، صاحبَ الوجهِ المشرقِ والثغرِ الباسمِ، ومن هنا حثَّ النبيُّ ﷺ على حُسْنِ الخلقِ، والتوددِ إلى الناسِ وكسْبِ صداقتِهم، فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ من خلقٍ حسنٍ، وإنَّ اللهَ يبغضُ الفاحشَ البذيءَ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**أفضلُ المؤمنين أحسنُهم خلقًا**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إنَّ المؤمنَ ليدْرِكُ بحسنِ خلقهِ درجةَ القائمِ الصائمِ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**المؤمنونَ هيِّنونَ ليِّنونَ كالجملِ الأَنِفِ**(٤)**؛ إنْ قِيد انقادَ، وإنْ أُنيخَ على صَخْرةٍ استناخَ**»(٥).

وسُئلَ ﷺ عن امرأةٍ تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ إلا أنها تؤذي جيرانَها، فقال: «**هي في النارِ**»(٦). وقالَ ﷺ: «**من لم يدعْ قولَ الزورِ والعملَ بهِ والجهلَ، فليس لله حاجةٌ في أنْ يدعَ طعامَهُ وشرابَهُ**»(٧).

وقالَ ﷺ: «**إنَّ الفُحشَ والتَفَحُّشَ ليسا من الإسلامِ في شيءٍ، وإنَّ أحسنَ الناسِ إسلامًا أحسنُهم خُلُقًا**»(٨).

---

(١) رواه الترمذي (١٩٢٥)، وقال: حسن صحيح.
(٢) رواه الحاكم (٨٦٢٣)، والبيهقي (٢٧١٩).
(٣) رواه أبو داود (٤١٦٥).
(٤) الجمل الأنف: الذي ينقاد لصاحبه بسهولة.
(٥) رواه البيهقي (٧٧٧٨).
(٦) رواه أحمد (٩٢٩٨).
(٧) رواه البخاري (٥٥٩٧)، وأحمد (٩٤٦٣).
(٨) رواه أحمد (١٩٩١٥).

٢٠ -الصداقة والحب

الصداقةُ ليستْ كلمةٌ تقالُ دونَ أنْ يكونَ لها رصيدٌ من المحبةِ والبذلِ والعطاءِ، ولذلك قيلَ: الصديقُ وقتَ الضيقِ، وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ الأسسَ الرئيسةَ التي تقومُ عليها الصداقةُ فقالَ ﷺ: «**خَيرُ الأصحابِ عندَ اللهِ خيرُهم لصاحبِهِ، وخيرُ الجيرانِ عندَ اللهِ خيرُهم لجارِهِ**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**ما تحابَّ رجلانِ في اللهِ، إلا كانَ أحبَّهما إلى اللهِ عزَّ وجلَّ أشدُّهما حبًّا لصاحبِهِ**»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِهِ**»[(٣)].

وأخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الرجلَ يدخلُ الجنةَ وتُرفعُ درجتُهُ فيها بسببِ حبِّهِ الصالحينَ، فقد جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فسألَهُ: متى الساعةُ؟ قالَ ﷺ: «**وما أعددتَ لها؟**» قال: لا شيءَ، إلا أني أحبُّ اللهَ ورسولَهُ ﷺ، فقالَ ﷺ: «**أنتَ مع من أحببتَ**». فقالَ أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما فرحْنَا بشيءٍ فَرَحَنَا بقولِ النبيِّ ﷺ: «**أنتَ مع منْ أحببتَ**»[(٤)].

وحثَّ النبيُّ ﷺ على اختيارِ الصاحبِ فقالَ: «**لا تصاحبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَكَ إلا تقيٌّ**»[(٥)].

وقالَ ﷺ: «**المرءُ على دينِ خليلِهِ، فلينظر أحدكم من يخالِلُ**»[(٦)].

---

(١) رواه الترمذي (١٨٦٧)، وأحمد (٦٢٧٨).
(٢) رواه ابن حبان (٥٦٦).
(٣) رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٦٤).
(٤) رواه البخاري (٣٤١٢)، ومسلم (٤٧٧٥).
(٥) رواه الترمذي (٢٣١٨)، وأبو داود (٤١٩٢).
(٦) رواه أحمد (٨٠٦٥).

٢١ -كيف تعلم الناس؟

من المعلومِ أنَّ المعلمَ الناجحَ هو ذاك الرجلُ الهادئُ صاحبُ الحُجَّةِ القويةِ والكلمةِ الصادقةِ التي تخرجُ من القلبِ إلى القلبِ.

وقد كانَ النبيُّ ﷺ أحسنَ الناسِ تعليمًا، ولذلك قالَ: «**إنما أنا لكم بمنزلةِ الوالدِ أعلِّمُكُمْ**»[(١)].

ومن صورِ حُسْنِ تعليمِ النبيِّ ﷺ ما رواه أنسُ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بينما نحنُ في المسجدِ مع رسولِ الله ﷺ، إذ جاءَ أعرابيٌّ، فقامَ يبولُ في المسجدِ. فقالَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ: مَهْ مَهْ. وفي رواية: فزجرَهُ الناسُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تُزرِموه** - أي لا تقطعوا عليه بوله فيتضرر - **دعوه**» فتركوه حتى بالَ. ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ دعاه فقالَ له: «**إنَّ المساجدَ بيوتُ الله، لا تصلحُ لشيءٍ من هذا البولِ والقذرِ، إنما هي لذكرِ الله عزَّ وجلَّ والصلاةِ وقراءةِ القرآنِ**»[(٢)].

وعن معاويةَ بنِ الحكمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بينا أنا أصلي مع رسولِ الله ﷺ، إذْ عطسَ رجلٌ من القومِ فقلتُ: يرحمكَ اللهُ، فرماني القومُ بأبصارِهم. فقلتْ: واثكْلَ أمّياه، ما شأنكم تنظرونَ إليَّ؟ فجعلوا يضربونَ بأيديهم على أفخاذِهم، فلما رأيتُهم يُصَمِّتونني سكتُّ، فلمَّا صلَى رسولُ الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيتُ معلمًا قبلَهُ ولا بعدَهُ أحسنَ تعليمًا منه، فوالله ما كَهَرني، ولا ضربني، ولا

(١) رواه أبو داود (٧)، وأحمد (٧١٠٢).

(٢) رواه مسلم (٤٢٩).

شتَمني، وإنما قالَ: «**إنَّ الصلاةَ لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناسِ، إنما هي التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآنِ**»[(١)].

وكانَ النبيُّ يلجأُ إلى الحوارِ العقليِّ في الإقناعِ والتعليمِ فعن أبي أمامةَ أنَّ فتًى شابًّا أتى النبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله**!** ائذن لي بالزنا**!!** فأقبلَ القومُ عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**ادْنهُ**» فدنا منه قريبًا، فجلسَ. فقالَ له الرسولُ ﷺ: «**أتحبُّه لأمِّكَ؟**» قال: لا والله يا رسولَ الله جعلني اللهُ فداءَكَ، قالَ ﷺ: «**ولا الناسُ يحبونه لأمهاتِهم. أفتحبُّه لابنتِكَ؟**» قالَ: لا والله يا رسولَ الله جعلني اللهُ فداءَكَ، قالَ ﷺ: «**ولا الناسُ يحبونه لبناتِهم، أتحبُّه لأختِكَ؟**» قال: لا والله يا رسولَ الله جعلني اللهُ فداءَكَ، قالَ: «**ولا الناسُ يحبونَهُ لأخواتِهم، أفتحبُّه لعمتِكَ؟**» قالَ: لا والله يا رسولَ الله جعلني اللهُ فداءَكَ، قال: «**ولا الناسُ يحبونه لعماتِهم، أفتحبُّهُ لخالتِكَ؟**» قالَ: لا والله يا رسولَ الله جعلني اللهُ فداءَكَ، قالَ: «**ولا الناسُ يحبُّونَهُ لخالاتِهم**» قالَ: فوضعَ يدَهُ عليه وقالَ: «**اللهمَّ اغفرْ ذنبهُ، وطهّرْ قلبهُ، وحصِّنْ فرجهُ**»، فلم يكنِ الفتى بعد ذلك يلتفتُ إلى شيءٍ[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٨٣٦)، والنسائي (١٢٠٣).

(٢) رواه أحمد (٢١١٨٥).

٢٢ - العمل التطوعي والنفع العام

اهتمَّ العالمُ في الفترةِ الأخيرةِ بالعملِ التطوعيِّ والإغاثيِّ وقامتْ الحكوماتُ بدعمِهِ وتيسيرِ السبلِ لإقامتِهِ، وذلك لما له من أهميةٍ في مساعدةِ الناسِ وإنقاذِهم حالَ المصائبِ والكوارثِ التي تحلُّ بهم.

وقد حثَّ رسولُ الله محمدٌ ﷺ على العملِ الذي ينفعُ الناسَ، ويخففُ من معاناتِهم، ورتبَ على ذلكَ الأجرَ الكبيرَ والثوابَ الجليلَ.

فقد قالَ ﷺ: «**لقد رأيتُ رجلًا يتقلبُ في الجنةِ، في شجرةٍ قَطَعَها من ظهرِ الطريقِ كانت تؤذي المسلمين**»(١).

وقالَ ﷺ: «**عُرِضَتْ عليّ أعمالُ أمتي حسنُها وسيئُها، فوجدتُ من محاسنِ أعمالِها: الأذى يماطُ عن الطريقِ**»(٢).

بل إنَّ النبيَّ ﷺ جعلَ إماطةَ الأذى عن الطريقِ شعبةً من شعبِ الإيمانِ فقالَ ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**أفضلُ الأعمالِ أنْ تُدْخِلَ على أخيك المؤمنَ سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعِمَهُ خبزًا**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٤٧٤٥).
(٢) رواه مسلم (٨٥٩)، وأحمد (٢٠٥٦٩).
(٣) رواه مسلم (٥١)، وأبو داود (٤٠٥٦).
(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٧٣).

وقالَ ﷺ: «**الساعي على الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ، أو القائمِ الليلَ الصائمِ النهارَ**»[١].

ومدحَ ﷺ الأشعريين لمواقفِهم عند الغلاءِ والشدةِ والحروبِ، فقالَ: «**إنَّ الأشعريين إذا أرملوا**[٢] **في الغزوِ أو قلَّ طعامُ عيالِهم بالمدينةَ، جعلوا ما عندهم في ثوبٍ واحدٍ، ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسويَّةِ، فهم مني وأنا منهم**»[٣].

وقالَ ﷺ: «**من حَفَرَ ماءً، لم يشربْ منه كبدٌ حرَّى من جنٍّ ولا إنسٍ ولا طائرٍ، إلا آجره اللهُ يومَ القيامةِ**»[٤].

---

(١) البخاري (٤٩٣٤)، ومسلم (٥٢٩٥).

(٢) أرملوا: نفد زادهم.

(٣) رواه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (٤٥٥٦).

(٤) رواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٣١).

٢٣ -الشــورى

لا شكَّ أنَّ كلَّ إنسانٍ يحتاجُ إلى مشورةِ أهلِ الخبرةِ والرأي وتبادلِ وجهاتِ النظرِ معهم؛ ليصلَ من خلالِ ذلك إلى الاختيارِ السديدِ والمصلحةِ الراجحةِ فيما يهمُّه من قضايا.

وذكرتِ الشورى في القرآنِ في موضعين، حيثُ أمر اللهُ تعالى بها رسولَهُ ﷺ مرةً فقالَ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ومدحَ الله أهلَها فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٩].

فمدحَهم اللهُ تعالى بأنهم لا ينفردون بالأمرِ، بل يتشاورون ويدرسونَ الأمرَ من وجوهِهِ المختلفةِ ليصلوا إلى سبيلِ الحقِّ في ذلك.

والنبيُّ ﷺ لم يكنْ يحتاجُ إلى مشورةِ أحدٍ، لأنه مؤيّدٌ بالوحي من السماءِ، وإنما أمره اللهُ بالشورى لتعلَمَ الأمةُ ما في الشورى من الفضلِ، ولتقتديَ به الأمةُ من بعدِهِ.

وقد استشارَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ كثيرًا، وعَمِلَ برأي مستشاريه في كثيرٍ من المواضعِ، ولذلك قالَ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما رأيتُ أحدًا أكثرَ مشورةٍ لأصحابِهِ من رسولِ الله ﷺ(١).

(١) رواه الترمذي (١٦٣٦)، وأحمد (١٨١٦٦).

واستشارَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ في نقضِ الكعبةِ وبنائِها من جديدٍ، أو يصلحُ ما وَهَى منها[(١)].

ولمّا تجمعَ المشركون في بدر يريدون حربَ رسولِ الله ﷺ أقبلَ ﷺ على أصحابِهِ وقالَ: «**هذه مكةُ قد ألقتْ إليكم أفلاذَ كبدِها**»، ثم استشارهم في شأنِ القتالِ، فتكلمَ أبو بكر فأحسنَ، ثم تكلمَ عمرُ فأحسنَ، ثم قامَ المقدادُ ابنُ عمروٍ فقالَ: يا رسولَ الله! امضِ لما أمرَكَ اللهُ به، فنحنُ معك، والله لا نقولُ كما قالتْ بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، ولكن اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالله لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغُمادِ - يعني الحبشة - لجالدْنا معك مَنْ دُونَه حتى تبلغَهُ. فدعا له رسولُ الله ﷺ بخيرٍ ثمَّ قالَ: «**أشيروا عليَّ أيها الناسُ**»، وكان يريدُ رأيَ الأنصارِ، لأنهم كانوا عُدَّتَهُ للناسِ، وخافَ ألا تكونَ الأنصارُ ترى عليها نصرتَهُ خارجَ المدينةِ، وليسَ عليهم أنْ يسيرَ بهم.

فقالَ سعدُ بن معاذٍ: لكأنَّك تريدُنا يا رسولَ الله! قالَ: «**أجلْ**»، قالَ: قد آمنَّا بك وصدّقناك، وأعطيناك عهودَنا، فامضِ يا رسولَ الله لما أُمرتَ، فوالذي بعثك بالحقِّ إن استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضتَه، لنخوضنَّه معك، وما نكرهُ أن تَلْقِىَ العدوَّ بنا غدًا، وإننا لصبرٌ عند الحربِ، صدُقٌ عند اللقاءِ، لعلَّ اللهَ يريكَ منا ما تقرُّ به عينُك فسِرْ بنا على بركةِ الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٧١).

واستشارَ النبيُّ ﷺ النساءَ في مهماتِ الأمورِ؛ ففي صلحِ الحديبيةِ استشارَ زوجتَه أمَّ سلمةَ في شأنِ المسلمينِ وأخذَ بمشورتِها، مما يدلُّ على أنَّ الشورى كانت جزءًا أساسيًّا في حياةِ النبيِّ ﷺ وفي طريقتِهِ في الحكمِ.

٢٤ -دفع الظلم ومقاومته

وكما حرّمَ الإسلامُ الظلمَ، فقد أمرَ بمواجهتِهِ وحصارِ الظالمِ حتى يَسْلَمُ الناسُ من شرورِهِ، فقالَ اللهُ سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤].

والآيةُ تدلُّ على أنه لا يجوزُ ظلمُ المعتدي والانتقامُ منه، وإنما ينبغي الاقتصارُ على أخذِ الحقِّ دونَ زيادةٍ، وهذا من جوانبِ عظمةِ الإسلامِ.

وحثَّ رسولُ الله محمدٌ ﷺ على دفعِ الظلمِ بوسائلَ عديدةٍ منها قالَ ﷺ: «**إذا رأيتَ أمتي تهابُ الظالمَ أنْ تقولَ له أنتَ ظالمٌ، فقد تُوُدِّعَ منهم**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إنَّ الناسَ إذا رأوا المنكرَ ولا يغيّروه، أوشكَ اللهُ أن يَعُمهم بعقابِهِ**»[(٢)].

وجاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله! أرأيتَ إنْ جاءَ رجلٌ يريدُ أَخْذَ مالي؟ فقالَ ﷺ: «**فلا تُعطِهِ**»، قالَ: فإنْ قاتلني؟ قال: «**فقاتلْهُ**» قالَ: أرأيتَ إنْ قتلني؟ قالَ: «**فأنتَ شهيدٌ**» قال: أرأيتَ إن قتلتُهُ؟ قال: «**هو في النارِ**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٦٤٩٥).

(٢) رواه أحمد (١٦).

(٣) رواه مسلم (٢٠١).

وقالَ ﷺ: «**أيُّها الناسُ! لا تتمنوا لقاءَ العدوِّ، واسألوا اللهَ العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلَموا أنَّ الجنةَ تحتَ ظلالِ السيوفِ، اللهمَّ مُنزلَ الكتابِ، ومجريَ السحابِ، وهازمَ الأحزابِ، اهزمْهم وانصرْنَا عليهم**»[١].

فهذا الحديثُ يدلُّ على أنَّ المسلمين لا يبدؤون بقتالٍ ولا باعتداءٍ، بل إنهم لا يتمنون لقاءَ العدوِّ، ويسألونَ الله العافيةَ من ذلك.

(١) رواه البخاري (٢٧٤٤)، ومسلم (٣٢٧٦).

٢٥ -أدب الحرب والقتال

لم تكن حروبُ النبيِّ ﷺ كتلك الحروبِ الهمجيةِ التي يُقْصَدُ بها التدميرُ والخرابُ وقتلُ أكبرِ عددٍ ممكنٍ من الناسِ، بل كانتْ حروبًا أخلاقيةً في أهدافِها وفي دوافِعها وفي كيفيةِ إدراتِها، ولذلك كانَ النبيُّ ﷺ إذا وجّهَ قوادَهُ لحربٍ قالَ لهم: «**انطلقوا باسمِ الله، وبالله، وعلى ملةِ رسولِ الله ﷺ، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا صغيرًا، ولا امرأةً، ولا تَغُلُّوا، وضُمُّوا غنائمكم، وأصلِحُوا، وأحسنوا، إنَّ اللهَ يحبُّ المحسنين**»[(١)].

ومرَّ النبيُّ ﷺ على امرأةٍ مقتولةٍ في بعضِ الغزواتِ، فوقفَ عليها ثم قالَ: «**ما كانت هذه لتقاتِلُ**» ثم نظرَ في وجوهِ أصحابِهِ، وقالَ لأحدِهم: «**الحقْ بخالدِ بن الوليدِ، فلا يقتلنَّ ذريةً، ولا عسيفًا، - أي أجيرًا - ولا امرأةً**»[(٢)].

ونهى ﷺ عن قتلِ النساءِ والصبيانِ في الحربِ[(٣)].

وقد سارَ خلفاءُ النبيِّ ﷺ من بعدِهِ على نفسِ السبيلِ، فهذا أبو بكرٍ الصديقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصي قائدَهُ أسامة بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حينَ بعثهُ إلى الشامِ قائلًا: «لا تخونوا، ولا تغُلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً، ولا بقرةً، ولا بعيرًا، إلا لمأكلةٍ، وسوف تمرّون بأقوامٍ، قد فرَّغوا أنفسَهم في الصوامعِ - يريد الرُّهبانَ - فدعوهم وما فَرَّغُوا أنفسَهم له».

---

(١) رواه أبو داود (٢٢٤٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٢٩٥)، وأحمد (١٥٤٢٣).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (٣٢٨٠).

٢٦ -السعـــادة

السعادةُ مطلبٌ أساسٌ للناسِ جميعًا، فالكلُّ يطلبُ السعادةَ ويتمنى بلوغَها، ويسعى في إدراكِها، ولكنَّ أكثرَ الناسِ أخطأوا طريقَها، لأنهم طلبوها في خارجِ ذواتِهم في الأموالِ والنساءِ والسفرِ والشهرةِ والمكانةِ الاجتماعيةِ.

وحقيقةُ السعادةِ هي في ذاتِ الإنسان لا تنفكُّ عنه، فالسعادةُ في الإيمانِ واليقينِ والقناعةِ والرِّضى والمحبةِ للناسِ، وقد أشارَ النبيُّ ﷺ إلى ذلك في عدةِ أحاديثَ، فقال ﷺ: **«عجبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرَه كلَّهُ خيرٌ، إنْ أصابته سراءُ فشكرَ، فكانَ خيرًا له، وإنْ أصابته ضراءَ فصبرَ فكانَ خيرًا له»**(١).

وبيَّنَ ﷺ أنَّ القناعة عنوانُ السعادةِ والفلاحِ في الدنيا والآخرةِ فقالَ ﷺ: **«قد أفلحَ من أسْلَمَ، ورُزق كفافًا، وقنَّعهَ اللهُ بما آتاه»**(٢).

وقالَ ﷺ: **«من أصبحَ آمنًا في سربِهِ، معافًا في بدنِهِ، عنده قوتُ يومِهِ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرِها»**(٣).

والنبيُّ ﷺ لم ينسَ تأثيرَ العواملِ الخارجيةِ على مزاجِ الإنسانِ ومشاعِرِهِ، ولذلك عدّد أمورًا خارجيةً جعلها من أسبابِ السعادةِ وذلك لما لها من تأثيرٍ على الإنسانِ، فقالَ ﷺ: **«أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ**

---

(١) رواه مسلم (٥٣١٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٤٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٢٦٨)، وابن ماجه (٤١٣١).

الصالحُ، والمركبُ الهنيءُ، وأربعٌ من الشقاءِ: المرأةُ السوءُ، والجارُ السوءُ، والمركبُ السوءُ، والمسكنُ الضيقُ»[(١)].

ومن أسبابِ السعادةِ التفاؤلُ ولذلك كانَ ﷺ «**يعجبُهُ الفألُ الحسنُ ويكرهُ الطِّيرةَ»**[(٢)].

وكانَ يقولُ: «**ليس منا من تَطيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أو تكَهَّن أو تُكُهِّنَ له»**[(٣)].

(١) رواه البيهقي (٩٥٥٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٥٢٦).

(٣) رواه الطبراني (٤٢٦٢).

٢٧ - التفـــاؤل

التفاؤلُ من القيمِ الإيجابيةِ في الإنسانِ، لأنه يمنحهُ القدرةَ على التركيزِ وإيجادِ الحلولِ المناسبةِ لأعقدِ المشكلاتِ، ومن هنا كانَ المتفائلونَ هم أكثرَ الناسِ نجاحًا على الرغمِ من كثرةِ العقباتِ التي واجهتْهم.

ولقد كانَ النبيُّ محمدٌ ﷺ يعجبُهُ الفألُ الحسنُ، ويكرهُ الطِّيرةَ[١]، والطِّيرةُ: التشاؤمُ.

وقد كانَ التفاؤلُ يلازِمُهُ ﷺ في أكثرِ فتراتِ حياتِهِ شدةً، فها هو ﷺ قد خرجَ مع صاحبِهِ أبي بكرٍ مهاجرًا من مكةَ إلى المدينةِ بعد أنْ ازدادَ أذى المشركين للمؤمنين في مكةَ، فلما عَلِمَ المشركونَ بذلك أرسلوا في طلبهما، وجعلوا لمن يقبضُ عليهما مائةَ ناقةٍ، وهذه جائزةٌ عظيمةٌ جدًا في هذا الوقتِ، فأخذَ المشركونَ يتتبعون آثارَ أقدامِ النبيِّ ﷺ وصاحبِهِ، حتى وصلوا إلى الغارِ الذي كان فيه النبيُّ ﷺ، فعندما وصلوا إلى هذا المكانِ، ورأى صاحبُهُ أبو بكرٍ أقدامَهم بكى خوفًا على النبيِّ ﷺ، وقالَ: يا رسولَ الله! لو نظرَ أحدُهم إلى قدميه لرآنا!! فقالَ له رسولُ الله ﷺ بلسانِ الواثقِ بربِّه المتفائلِ بالنصرِ، المؤمنِ بقضيتِهِ: «**ما ظنُّك باثنينِ اللهُ ثالثهما**».

وقد صوَّرَ القرآنُ هذا المشهدَ بقولِهِ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٢٦).

﴿تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي موقفٍ آخرَ وبينما المسلمون يشْكون إلى النبيِّ ﷺ الفقرَ والخوفَ، يتحدثُ النبيُّ ﷺ حديثًا متفائلًا ويعدُ المسلمين بالعزِّ والنصرِ والتمكينِ، فعن عديِّ بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما أنا عندَ النبيِّ ﷺ إذ أتاه رجلٌ فشكا إليه الفاقةَ، ثم أتاه آخرُ فشكا إليه قطعَ السبيلِ. فقالَ: «**يا عديُّ! هل رأيتَ الحيرةَ**[1]؟» قلتُ: لم أرها. قالَ: «**فإنْ طالتْ بكَ الحياةُ فلَتَرينَّ الظعينةَ**[2] **ترتحلُ من الحيرةَ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أحدًا إلا اللهَ. ولئن طالتْ بك حياةٌ لتفتَحَنَّ كنوزُ كسرى!!**» قلت: كسرى بنْ هرمز؟! قال: «**كسرى بنْ هرمزَ، ولئن طالت بك حياة لترَينَّ الرجلَ يخرجُ ملْءَ كفّه من ذهبٍ أو فضةٍ، يطلبُ من يقبلهُ منه، فلا يجدُ أحدًا يقبلُهُ منه**».

قالَ عديٌّ: فرأيتُ الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلا اللهَ، وكنت فيمن افتتحَ كنوزَ كسرى بن هرمزَ، ولئنْ طالت بكم حياةٌ لترونَّ ما قالَ النبيُّ أبو القاسم ﷺ: «**يُخرجُ الرجلُ ملءَ كفِّه من ذهبٍ أو فضةٍ، يطلبُ من يقبلُهُ منه، فلا يجدُ أحدًا يقبلُهُ منه**»[3].

---

(١) الحيرة: وتقع جنوب وسط العراق على بعد سبعة كيلومترات حنوب شرق النجف.

(٢) الظعينة: المرأة في الهودج (لسان العرب: ظ ع ن).

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٨).

٢٨ -روح الدعابة

كانَ النبيُّ ﷺ يباسِطُ أصحابَهُ ويداعبُهم ويمازِحُهم أحيانًا، غيرَ أنه حدَّدَ الميزانَ في ذلك حتى لا ينتهيَ المزاحُ إلى الكذبِ والسخريةِ وانتقاصِ الآخرينَ، فعن أبي هريرة أنَّ الصحابةَ قالوا: يا رسولَ اللهِ! إنَّك تداعبُنا، فقالَ ﷺ: «**نعم، غيرَ أني لا أقولُ إلَّا حقًّا**»(١).

ولما ظنَّ حنظلةُ أنَّ مداعبتَهُ أهلَهُ ولعبَهُ مع زوجتِهِ وأبنائِهِ نوعٌ من النفاقِ ذهبَ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: نافقَ حنظلةُ يا رسولَ الله. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**وما ذاك؟**» قال: يا رسولَ الله! نكونُ عندَكَ، فتذكِّرُنا بالجنةِ والنارِ، حتى كأنَّا رأيَ عينٍ، فإذا خرجنا من عندِكَ عافسْنا الأزواجَ والأولادَ، والضيعاتِ، ونسينا كثيرًا، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسي بيدِهِ، لو تدومون على ما تكونونَ عندي وفي الذكرِ، لصافحتْكم الملائكةُ على فرشِكم وفي طرقِكم، ولكنْ يا حنظلةُ! ساعةً وساعةً، ساعةً وساعةً، ساعةً وساعةً**»(٢).

ومن نماذجِ مزاحِ النبيِّ ﷺ أنَّ رجلًا جاءَهُ فقالَ: يا رسولَ الله! احملني على جملٍ، فقالَ ﷺ: «**لا أحملُكَ إلا على ولدِ الناقةِ**» فقالَ الرجلُ: يا رسولَ الله! هو لا يُطيقني، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**وهل تلدُ الإبلُ إلا النوقَ**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي (١٩١٣).

(٢) رواه مسلم (٤٩٣٧)، والترمذي (٢٤٣٨).

(٣) رواه الترمذي (١٩١٤)، وأحمد (١٣٣١٥).

وكانَ النبيُّ ﷺ يحبُّ زاهرَ بنَ حَرامٍ، رجلٌ من الباديةِ وكان دميمًا، فأتاه النبيُّ ﷺ يومًا وهو يبيعُ متاعًا في السوقِ، فاحتضنَهُ من خلفِهِ وهو لا يبصِرُهُ، فقالَ زاهرٌ: أرسلني مَنْ هذا؟ فالتفتَ، فعرفَ النبيَّ ﷺ، فجعلَ لا يألوا ما ألصقَ ظهرَهُ بصدْرِهِ حين عرفَهُ، وجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «**مَنْ يشتري العبدَ؟**» فقالَ زاهرٌ: إذنْ تجدني كاسدًا - يشير إلى دمامتِهِ - فقالَ النبيُّ ﷺ: «**لكنَّك عندَ اللهِ لستَ بكاسدٍ**»، وفي لفظٍ: «**لكنْ أنتَ عندَ اللهِ غالٍ**»[(١)].

وكانَ ﷺ يمازحُ أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقولُ له: «**يا ذا الأذنينِ**»[(٢)].

وعنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ امرأةً عجوزًا أتتِ النبي ﷺ فقالتْ: يا رسولَ الله! ادعُ اللهَ لي أنْ يدخلَني الجنةَ، فقالَ لها ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ عجوزٌ**» فبكت المرأةُ فتبسَّمَ النبيُّ ﷺ وقالَ لها: «**أما قرأتِ قولَهُ تعالى:** ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾»، أيْ أنَّ أهلَ الجنةِ سيعيدُهم اللهُ جميعًا إلى سنِّ الشبابِ والنضارةِ والحيويةِ.

فهذه المواقفُ منه ﷺ كانت تُدخِلُ السرورَ والبهجةَ على النفوسِ، وتُذهبُ الهمومَ والأحزانَ، وتثبتُ أنَّ الإسلامَ ليس دينًا جامدًا يهملُ حاجاتِ النفسِ البشريةِ، وإنما يعطيها حقَّها من البهجةِ والسعادةِ واللهوِ البريءِ، ولهذا كانت تعاليمُ النبيِّ ﷺ تتسمُ بالواقعيةِ في تجاوبِها مع دوافعِ الإنسانِ وميولِهِ وفطرتِهِ، وحاجاتِهِ النفسيةِ والاجتماعيةِ.

---

(١) رواه أحمد (١٢١٨٧).

(٢) رواه الترمذي (١٩١٥)، وأبو داود (٤٣٤٩).

القسم الثالث

تحذير محمد رسول الله ﷺ من الرذائل والمساوئ

مدخــل

لم يرسلْ نبيُّ الله محمدٌ ﷺ لأمةٍ دونَ أمةٍ، أو لوطنٍ دونَ وطنٍ، بل أُرسلَ إلى الناسِ كافةً بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. يأمرُهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ ويحلُّ لهم الطيباتِ، ويحرِّمُ عليهم الخبائث.

كان خطابُهُ موجهًا للنفسِ البشريةِ بإطلاقٍ، وللضميرِ الإنسانيِّ بعامةٍ، فوضعَ على قُفَلِ الطبيعةِ البشريةِ مفتاحَهُ؛ ليزدادَ القلبُ - أيُّ قلبٍ - نقاءً، والروحُ سموًا، وتزدانُ الأخلاقُ جمالًا وجلالًا.

أرادَ محمدٌ ﷺ بأمرِ ربِّهِ أنْ يحررَ الإنسانُ من سلطانِ المادياتِ الطَّاغِي، ويقاومَ ضغطَ الشهواتِ الداعي للانفلاتِ الأخلاقيِّ والسلوكيِّ، فكانتِ دعوتُهُ إلى الصبرِ والتحملِ والصفحِ ما أمكنَ؛ معلنًا أنَّ الغضبَ شعلةُ نارٍ تطلبُ الانتقامَ، وأنَّ سوءَ الظَّنِّ مؤذنٌ بانفصامِ الوحدةِ والتلاحمِ بين الناسِ، وحذَّرَ من سقطاتِ اللسانِ وزلاتِهِ فأمرَ بالعفةِ في القولِ، والكلمةِ الطيبةِ الرقيقةِ.

وكانت دعوتُهُ ذاتَ رؤيةٍ تفاؤليةٍ تُجاهَ الكونِ والحياةِ، فجاءتْ أحاديثهُ تدعو للتفاؤلِ وتحذِّرُ من ضدِّهِ من مثلِ اليأسِ وتركِ العملِ أو الخمولِ والسلبيةِ، وتؤكدُ على حرمةِ النفسِ البشريةِ فحرمَ تحريمًا شديدًا أنْ يعتديَ المرءُ على غيرِهِ بالترويعِ والتخويفِ أو بالقتلِ، أو على نفسِهِ بالأذى أو الانتحارِ، وجعلَ ذلك من أعظمِ الأفعالِ شناعةً وجرمًا.

كما كانت دعوتُهُ صريحةً في وجوبِ التطهرِ من عواملِ الفسادِ الاجتماعيِّ والإداريِّ والسياسيِّ فنهى عن إفسادِ ذاتِ البينِ، والتجسسِ على الآخرينَ، والخيانةِ والغدرِ، كما حذرَ من الرشوةِ وذمَّ صاحبَها أشدَّ الذمِ، وأكدَ على أهميةِ العملِ الجادِّ والبعدِ عن المظهريةِ الجوفاءِ.

كلُّ ذلك من خلالِ أقوالِهِ وأفعالِهِ وإشاراتِهِ وتلميحاتِهِ في صورةٍ عمليةٍ وواقعيةٍ جديرةٍ بالتقصي والبحثِ لنسعدَ في الدنيا والآخرةِ.

١ - القـــتل

لا شكَّ أنَّ من أعظمِ حقوقِ الإنسانِ: حقُّ الحياةِ، وأنَّ مُصادَرَةَ هذا الحقِّ من أعظمِ الجرائمِ التي اتفقَ الناسُ على إدانتِها وتقبيحِها، قالَ تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء:٣٣].

وقد شدَّدَ النبيُّ ﷺ في مسألةِ القتلِ تشديدًا عظميًا، ونهى عن كلِّ وسيلةٍ تؤدي إلى القتلِ وإراقةِ الدماءِ بغيرِ حقٍّ فقالَ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعاهِدًا لم يرحْ رائحةَ الجنةِ، وإنَّ ريحَها ليوجدُ من مسيرةِ أربعينَ عامًا**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ رجلًا من أهلِ الذمةِ لم يجدْ ريحَ الجنةِ، وإنَّ ريحَها ليوجدُ من مسيرة سبعينَ عامًا**»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النارِ**» قيلَ يا رسولَ الله: هذا القاتلُ، فما بالُ المقتولِ؟ قالَ: «**إنه كانَ حريصًا على قتلِ صاحبِهِ**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٣٠)، وابن ماجه (٢٦٧٦).

(٢) رواه أحمد (١٧٣٨٧)، والنسائي (٤٦٦٨).

(٣) رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (٥١٤٠).

وقالَ ﷺ: «لَزَوالُ الدنيا أهونُ على اللهِ من قتلِ رجلٍ مسلمٍ»[١].

وقالَ ﷺ: «مَنْ حَمَلَ علينا السلاحَ فليسَ منَّا»[٢].

(١) رواه الترمذي (١٣١٥)، والنسائي (٣٩٢٢).

(٢) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (١٤٣).

٢ -الغـــدر

الناسُ جميعًا يكرهون الغدرَ، ولا يحبون أنْ يغدرَ بهم أحدٌ، ومن هنا نهى الإسلامُ عن الغدرِ، وحذَّرَ من عاقبتِهِ، فقال ﷺ: «**لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامةِ يُعرفُ به**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**ذمةُ المسلمين واحدةٌ، فإنْ جارتْ عليهمْ جائرةٌ[(٢)]، فلا تخفِرُوها[(٣)]، فإنَّ لكلِّ غادرٍ لواء يعرفُ به**»[(٤)].

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أمَّنَ رجلًا على دَمِهِ، فأنا بريءٌ من القاتلِ، وإنْ كانَ المقتولُ كافرًا**»[(٥)].

وقالَ ﷺ: «**الإيمانُ قيدُ الفَتك، لا يفتك مؤمن**»[(٦)].

وقالَ ﷺ: «**إذا اطمأنَّ الرجلُ إلى الرجلِ، ثم قتلَهُ بعدما اطمأنَّ إليه، نُصِبَ له يومَ القيامةِ لواءُ غدرٍ**»[(٧)].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٩)، ومسلم (٣٢٦٩).

(٢) جائرة: أي إذا عاهد أحد من المسلمين كافرًا.

(٣) تخفروها: فلا تنقضوها.

(٤) رواه الحاكم (٢٦٢٦).

(٥) رواه ابن ماجه وابن حبان واللفظ له.

(٦) رواه أبو داود (٢٣٨٨)، وأحمد (١٣٥٦).

(٧) رواه الحاكم (٨٠٤٠).

٣ -الغضب

سرعةُ الغضبِ وشدَّتهِ مرضٌ من المساوئِ التي حذَّر منها رسولُ الله محمدٌ ﷺ.

فقد جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: أوصني، فقالَ: «**لا تغضبْ**»، فردَّدَ مرارًا. أي قالَ: أوصني أوصني. فقالَ ﷺ: «**لا تغضبْ**»[(١)].

وبيَّنَ النبيُّ ﷺ بعضَ علاجاتِ الغضبِ، فمنها الاستعاذةُ من الشيطانِ، فقد استبَّ رجلانِ عند النبيِّ ﷺ، فغضبَ أحدُهما حتى انتفخَ وجهُهُ وتغيرَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**إني لأعلمُ كلمةً لو قالها، لذهبَ عنه ما يجدُ، لو قالَ: أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ**»[(٢)].

ومنها السكوتُ، لقولِهِ ﷺ: «**علِّموا، ويسِّروا، ولا تُعَسِّروا، وإذا غَضبَ أحدُكم فليسكتْ**»[(٣)].

ومنها تغييرُ الهيئةِ، لقولِهِ ﷺ: «**إذا غَضِبَ أحدُكم وهو قائمٌ فليجلسْ، فإنْ ذهبَ عنه الغضبُ وإلا فليضطجعْ**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥١).
(٢) رواه البخاري (٥٦٥٠)، ومسلم (٤٧٢٦).
(٣) رواه أحمد (٢٠٢٩).
(٤) رواه أبو داود (٤١٥١)، وأحمد (٢٠٣٨٦).

٤ -ترويع الناس

مما يبيِّنُ كرامةَ الإنسانِ عندَ رسولِ الله ﷺ وعلوَّ شأنِهِ أنه نهى عن كلِّ أشكالِ الإيذاءِ له والإضرارِ به حتى ولو على سبيلِ المزاحِ والضحكِ.

قالَ تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**من آذى المسلمين في طرقِهم، وجبتْ عليه لعنتُهم**»[١].

وقالَ ﷺ: «**لا ضررَ ولا ضِرارَ**»[٢].

وهذه قاعدةٌ في تحريمِ إلحاقِ الضررِ بالغيرِ بأيِّ وجهٍ.

وقالَ ﷺ: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يروّعَ مسلمًا**»[٣].

وقالَ ﷺ: «**لا يأخذنَّ أحدُكم متاعَ أخيهِ لاعبًا ولا جادًّا**»[٤].

---

(١) رواه الطبراني (٣٠٥٠).

(٢) رواه أحمد (٢٧١٩)، وابن ماجه (٢٣٣١).

(٣) رواه أبو داود (٤٣٥١)، وأحمد (٢١٩٨٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٣٥٠)، وأحمد (١٧٢٦١).

٥ - الخـــيانة

لا شكَّ أنَّ الخيانةَ مما اتفقَ العقلاءُ على كراهيتِها واحتقارِ صاحبِها والحذرِ منه لأنَّ هذا الخلقَ يؤدي إلى زعزعةِ الثقةِ بين الناسِ، ويزرعُ في النفوسِ التوجسَ والرِّيبةَ، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨].

النبيُّ ﷺ جعلَ الخيانةَ من صفاتِ المنافقينَ الذين يُظهرونَ الإيمانَ ويبطنونَ الكفرَ فقالَ ﷺ: «**آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا اؤتُمن خانَ**»(١).

وفي رواية: «**وإذا خاصمَ فجرَ، وإذا عاهدَ غدرَ**».

وكثيرٌ من الناسِ يقولُ: إنما أخونُ من خانني، كما تفعلُ بعضُ الزوجاتِ إذا أحسَّتْ بخيانةِ الزوجِ، وهذا لا يحلُّ المشكلةَ بل يضاعِفُهَا، ولذلكَ يقولُ النبيُّ ﷺ: «**أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنَك ولا تخنْ من خانَكَ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**ما من ذنبٍ أجدرُ أنْ يعجّلَ اللهُ تعالى لصاحبِهِ العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدَّخرُهُ له في الآخرةِ: من قطيعةِ الرحمِ، والخيانةِ، والكذبِ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٢)، ومسلم (٨٩).
(٢) رواه أبو داود (٣٠٦٧)، والترمذي (١١٨٥).
(٣) رواه أحمد (١١٩٣٥).
(٤) الأدب المفرد (٢٩).

٦ -الإفساد بين الناس

بعضُ الناسِ يسعى بالإفسادِ بين الناسِ وزرعِ العداوةِ في قلوبهم، ولا يدري أنه بذلك يتعرَّضُ لغضبِ الله وسخطِهِ وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ قتَّاتٌ**»[(١)]، والقتَّاتُ هو النمامُ الذي ينقلُ الكلامَ بين الناسِ بقصدِ الإفسادِ بينهم.

وقالَ ﷺ: «**ليسَ منّا من خَبّبَ[(٢)] امرأةً على زوجِها**»[(٣)].

أما الذي يكذبُ للإصلاحِ فليس فِعْلُهُ محرمًا لقولِهِ ﷺ: «**ليسَ الكذَّابُ بالذي يصلحُ بين الناسِ، فينْمي خيرًا أو يقولَ خيرًا**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٥٥٩٦)، ومسلم (١٥٢).

(٢) خبب: خدعها وأفسدها وحرضها عليه.

(٣) رواه أبو داود (١٨٦٠).

(٤) رواه البخاري (٢٤٩٥)، وأحمد (٢٦٠١١).

٧ - التجسس

حافظَ رسولُ الله ﷺ على حرماتِ الناسِ وخصوصياتِهم، وحذَّرَ من المَسَاسِ بها وانتهاكِها، وأمرَ بأخذِ الناسِ بظواهرِهم وإيكالِ بواطِنِهم إلى اللهِ تعالى.

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾.

وقالَ ﷺ: «إنك إنِ اتَّبعتَ عوراتِ الناسِ أفسدتَهم، أو كدتَ أنْ تفسِدَهم»[١].

وقالَ ﷺ: «كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دَمُهُ ومالُهُ وعرضُهُ»[٢].

وقالَ ﷺ: «إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا، فلمْ يُؤذنْ له فلينصرفْ»[٣].

وقالَ ﷺ: «يا معشرَ مَنْ آمنَ بلسانِهِ، ولم يدخل الإيمانُ قلبَهُ، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتِهم، فإنَّ من يتبعُ عوراتِهم يتبعُ اللهُ عورتَهُ، ومن يتبعُ اللهُ عورتَهُ، يفضحُهُ في بيتِهِ»[٤].

وقالَ ﷺ: «من استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهون، صُبَّ في أذنيهِ الآنُكَ يومَ القيامةِ»[٥].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٤٤).

(٢) رواه مسلم (٤٦٥٠)، والترمذي (١٨٥٠).

(٣) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٤٠٠٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٣٦)، وأحمد (١٨٩٤٠).

(٥) رواه البخاري (٦٥٢٠)، وأحمد (٢١٠٣).

والآنكُ: الرَّصاصُ المذابُ.

وقالَ ﷺ: «**من حُسْنِ إسلامِ المرءِ تَركُهُ مَا لا يَعْنيهِ**»[١].

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٩)، وابن ماجه (٣٩٦٦).

٨ - السباب واللعن

أتدرونَ من هو الشيطانُ؟ إنه الذي يسبُّ الناسَ ويلعنُهم، فقدْ قالَ النبيُّ ﷺ: «**المستبَّانِ شيطانانِ يتهاترانِ ويتكاذبانِ**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**سبابُ المسلمِ فسوقٌ، وقتالُهُ كفرٌ**»[(٢)].

وأوصى رسولُ الله ﷺ رجلًا فقالَ له: «**لا تسبنَّ أحدًا**»[(٣)].

وقالَ ﷺ: «**لا يكونُ المؤمنُ لعَّانًا**»[(٤)].

بل إنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن لعنِ الحيوانِ وهذا مما لا تعرفهُ أمةٌ من الأممِ، فقد قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تسبوا الديكَ فإنه يوقظُ للصلاةِ**»[(٥)].

والأعجبُ من ذلكَ أنه ﷺ نهى عن لعنِ الريحِ، فقد لعنَ رجلٌ الريحَ عند رسولِ الله ﷺ فقالَ له: «**لا تلعنِ الريحَ فإنها مأمورةٌ، من لَعَنَ شيئًا ليسَ له بأهلٍ، رجعتِ اللَعنةُ عليهِ**»[(٦)].

ومن الأدبِ الذي علمهُ النبيُّ ﷺ أحدَ أصحابِهِ أنه قالَ له: «**وإنِ امرؤٌ عيَّرك بشيءٍ يعلمهُ فيكَ، فلا تعيِّره بشيءٍ تعلمهُ فيهِ، ودعهُ يكونُ وبالُه عليهِ، وأجرُهُ لكَ، ولا تسبنَّ شيئًا**»، قالَ الرجلُ: فما سَبَبْتُ بعد ذلك دابةً ولا إنسانًا[(٧)].

---

(١) رواه ابن حبان (٥٧٢٦).
(٢) رواه البخاري (٥٥٨٤)، ومسلم (٩٧).
(٣) رواه أبو داود (٣٥٦٢)، ومسند أحمد (١٩٧١٨).
(٤) رواه الترمذي (١٩٤٢).
(٥) رواه أبو داود (٤٤٣٧)، وأحمد (٢٠٦٩٠).
(٦) رواه الترمذي (١٩٠١)، وأبو داود (٤٢٦٢).
(٧) رواه ابن حبان (٥٢١).

٩ - سوء الظن

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات:١٢].

وقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

إنَّ سوءَ الظنِّ يؤدي إلى قطعِ الأرحامِ وتشويهِ العلاقاتِ بين الناسِ، وربما أدَّى إلى التعدي على الآخرينَ وإيذائِهم، ولذلكَ فإنَّ الإسلامَ نهى عن سوءِ ظنِّ المسلمِ بغيرِهِ من الناسِ من غيرِ برهانٍ، وأمرَ بالتثبتِ قبلَ اتهامِ الناسِ، وفي ذلكَ قالَ ﷺ: «**إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ، ولا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا، ولا تحاسَدُوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا**»[(١)].

(١) رواه البخاري (٤٧٤٧)، ومسلم (٤٦٤٦).

١٠ -الرشـــوة

الرِّشوةُ مرضٌ خطيرٌ يدلُّ على فسادِ الذممِ وضياعِ الحقوقِ، وقد شدَّدَ النبيُّ ﷺ في النهي عن هذهِ الآفةِ الخطيرةِ التي تُفسدُ المجتمعَ وتَهدمُ صورتهُ الحضاريةَ فقالَ ﷺ: «**لعنةُ الله على الراشي والمرتشي**»[(١)].

وخصَّ رسولُ الله ﷺ الرشوةَ في الحكمِ بين الناسِ بالتحذيرِ لأنها تؤدي إلى أكلِ حقوقِ الناسِ بالباطلِ، وربما أدتْ إلى حبسِ من لا يستحقُّ الحبسَ وقتلِ من لا يستحقُّ القتلَ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «لَعَنَ رسولُ الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحكمِ»[(٢)].

(١) رواه أحمد (٦٦٨٩)، وابن ماجه (٢٣٠٤).

(٢) رواه الترمذي (١٢٥٦).

١١ - المظهرية الجوفاء

كانَ رسولُ الله محمدٌ ﷺ دائمًا ما يعلمُ أصحابَهُ أنَّ المظاهرَ خداعةٌ وأنَّ المرءَ ينبغي أنْ يقاسَ بدينِهِ وتقواهُ لله عَزَّوَجَلَّ وليس بقوةِ بدنهِ أو جمالِ صورتهِ أو حسنِ ثيابِهِ، فعن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: مرَّ رجلٌ على النبيِّ ﷺ، فقالَ لرجلٍ عندَهُ جالسٌ: «**ما رأيكَ في هذا؟**» فقال: هذا رجلٌ من أشرافِ الناسِ، هذا واللهِ حريٌّ إنْ خطبَ أن يُنكحَ[1]، وإنْ شَفعَ أنْ يُشفَّعِ، فسكتَ رسولُ الله ﷺ، ثمَّ مرَّ رجلٌ آخرُ فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «**ما رأيكَ في هذا؟**» فقالَ: يا رسولَ الله! هذا رجلٌ من فقراءِ المسلمينَ؛ هذا حريٌّ إنْ خطبَ ألَّا يُنكحَ، وإن شَفعَ ألا يُشفَّعَ، وإنْ قالَ ألا يُسْمَعُ لقولِهِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ من مثلِ هذا**»[2].

ومثلُ ذلك ما وردَ عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ربَّ أشعثَ أغبرَ مدفوعٍ بالأبوابِ، لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ**»[3].

وعن عقبةَ بنِ عامر أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**ليسَ لأحدٍ على أحدٍ فضلٌ إلا بدِينٍ، أو عملٍ صالحٍ، حَسْبُ الرجلِ أنْ يكونَ فاحشًا بذيًّا بخيلًا جبانًا**»[4].

---

(١) يُنكَح: يُزوج.
(٢) رواه البخاري (٤٧٠١)، وابن ماجه (٤١١٠).
(٣) رواه مسلم (٤٧٥٤).
(٤) رواه أحمد (١٦٦٧٥).

وكانَ النبيُّ ﷺ يكرهُ السخريةُ بالآخرينَ فعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كنتُ أجتني لرسولِ الله ﷺ سواكًا من الأراكِ، فكانتِ الريحُ تكفؤهُ، وكانَ في ساقهِ دقَّةٌ، فضحكَ القومُ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**ما يُضحِكُكم؟**» قالوا: من دقَّةِ ساقيهِ. فقالَ النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده لهما أثقلُ في الميزانِ من أُحدٍ**»(١).

وكانَ ﷺ يكرهُ أنْ يعيَّر إنسانٌ بأبيهِ وأمهِ، فعن المعرورِ بنِ سويدٍ قالَ: مررنا بأبي ذرٍ بالربذةِ، وعليهُ بردٌ، وعلى غلامِهِ - خادِمِهِ - مثلُهُ، فقلنا: يا أبا ذرٍ لو جمعتَ بينهما كانَ حُلَّةً، فقالَ: إنه كان بيني وبين رجلٍ من إخوتي كلامٌ، وكانت أمهُ أعجميةٌ، فعيَّرتُه بأمهِ، فشكاني إلى النبيِّ ﷺ، فلقيتُ النبيَّ ﷺ فقالَ: «**يا أبا ذرٍ إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ**» قلتُ: يا رسولَ الله! مَنْ سبَّ الرجالَ سَبّوا أباه وأمَّه. فقال: «**يا أبا ذرٍّ! إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ. هم إخوانُكم جعلَهم اللهُ تحتَ أيديكم، فأطعمُوهم مما تأكلونَ وألبسُوهم مما تلبسونَ، ولا تكلِّفُوهم ما يغلِبُهم، فإنْ كلفتُموهم فأعينُوهم**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٨٧٦).

(٢) رواه البخاري (٢٩)، ومسلم (٣١٤٠).

١٢ -الكسل

الكسلُ صفةٌ ذميمةٌ تصيبُ الأفرادَ والشعوبَ والأممَ، فتؤخرَها وتعوقَها عن اللحاقِ بركابِ النهضةِ والتقدمِ والرقيِّ.

وقد نعتَ اللهُ أهلَ النفاقِ بهذه الخصلةِ الذميمةِ فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢].

وقد استعاذَ النبيُّ ﷺ من الكسلِ فقالَ: «**اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من العجْزِ والكسلِ**»[١]، وقرنَهُ بالعجزِ، لأنه إذا كَسَلَ عَجَزَ عن أداءِ ما كُلِّفَ به من مَهماتٍ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦١١)، ومسلم (٤٨٧٤).

١٣ - اليـــأس

يصيبُ كثيرًا من الناسِ اليأسُ من رحمةِ الله ومغفرتِهِ، نظرًا لعظم ما ارتكبوه من جرائمَ ومخالفاتٍ، ولكنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ أنه لا مجالَ لليأسِ في الإسلامِ، فرحمةُ اللهِ واسعةٌ لمن تابَ وأنابَ وعَمِلَ صالحًا.

قالَ تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**الندمُ توبةٌ، والتائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ له**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**جعلَ اللهُ الرحمةَ مائةَ جزءٍ، فأمسكَ عنده تسعةً وتسعينَ جزءًا، وأنزلَ في الأرضِ جُزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزءِ تتراحمُ الخلقُ، حتى ترفعُ الفرسُ حافرَها عن ولدِها، خشيةَ أنْ تصيبَهُ**».

وفي لفظٍ: «**الرحمةُ عندَ اللهِ مائةُ جزءٍ، فقسَّمَ بين الخلائقِ جزءًا، وأخَّرَ تسعًا وتسعينَ إلى يومِ القيامةِ**»[(٢)].

وفي الحديثِ القدسيِّ، قالَ اللهُ تعالى: «**يا ابنَ آدمَ! إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لكَ على ما كان منك ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ! لو بلغتْ ذنوبُك عنانَ السماءِ، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي. يا ابنَ آدمَ! لو أنك أتيتني بقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئًا، لأتيتُك بقرابِها مغفرةً**»[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني (٧٧٥).

(٢) رواه البخاري (٥٥٤١)، ومسلم (٤٩٤٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٦٣)، وأحمد (٢٠٤٩٩).

١٤ -الانتحـــــار

أكدَ رسولُ الله ﷺ أنَّ النفسَ الإنسانيةَ أمانةٌ لدى صاحبِها، لا يجوزُ له التخلصُ منها لأيِّ سببٍ من الأسبابِ. فقالَ ﷺ: «**من قتلَ نفسَهُ بحديدةٍ، فحديدتُهُ في يدِهِ، يتوجَّأُ بها في بطنِهِ، في نارِ جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شَرِبَ سُمًّا فقتلَ نفسَهُ، فهو يتحسَّاه في نارِ جهنمَ، خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردَّى من جبلٍ فقتلَ نفسَهُ، فهو يتردى في نارِ جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[(١)].

ومن هنا فإنَّ الدولَ الإسلاميةَ على ما فيها من مشكلاتٍ وفقرٍ وغيرِهِ فإنها أقلُّ دولِ العالمِ في نسِبَ الانتحارِ.

وقالَ ﷺ: «**الذي يخنقُ نفسَهُ يخنقها في النارِ، والذي يطعنُها يطعنُها في النارِ**»[(٢)].

(١) رواه البخاري (٥٣٣٣)، ومسلم (١٥٨)، واللفظ له.
(٢) رواه البخاري (١٢٧٦)، وأحمد (٩٢٤٥).

١٥ -الظلم والاعتداء

من الناسِ من تسوِّلُ له نفسُهُ وتدعوه قوتُهُ ومكانتُهُ إلى ظلم الآخرينَ وأخذِ حقوقِهم وقَد أَمِنَ من العقوبةِ في الدنيا فجاءَ القرآنُ ليحذِّرَ هؤلاءِ عاقبةَ أمرِهم وليبينَ أنهم ليسوا خارجَ السيطرةِ والعقابِ.

قالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠].

قالَ ﷺ: «**اتقوا الظلمَ، فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**من ظَلَمَ معاهدًا أو انتقصهُ، أو كلّفهُ فوقَ طاقتهِ، أو أخذَ منه شيئًا بغيرِ طِيبِ نفسٍ، فأنا حجيجُهُ يومَ القيامةِ**»[(٢)].

وقالَ ﷺ فيما يرويه عن الله عَزَّوَجَلَّ: «**يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُهُ بينكم محرمًا فلا تظالموا**»[(٣)].

وقالَ النبيُّ ﷺ يومًا لأصحابِهِ: «**أتدرون من المفلسُ؟**» قالوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ، قالَ: «**إنَّ المفلسَ من أمتي مَنْ يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ**

---

(١) رواه مسلم (٤٦٧٥).
(٢) رواه أبو داود (٢٦٥٤).
(٣) رواه مسلم (٤٦٧٤).

وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعطى هذا من حسناتِهِ، وهذا من حسناتِهِ، فإنْ فَنيتْ حسناتُهُ قبلَ أنْ يقضي ما عليه أُخذَ من خطاياهم، فطُرحتْ عليه، ثم طُرِحَ في النارِ»[١].

فهلْ يجرؤُ أحدٌ على الظلمِ بعدَ ذلكَ؟

(١) رواه مسلم (٤٦٧٨).

القسم الرابع

محمد رسول الله ﷺ وعلاج مشكلات البشرية

مدخــل

من أهداف دعوة أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد دعوة إخوانهم من النبيين عليهم الصلاة والسلام وكذلك مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانية، ومراعاتها في أحكامها الاعتقادية، والخلقية، والتعبدية. ولذا وُصف الإسلام بأنه (دين الفطرة) كما جاء ذلك في قوله سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

ومن وسائل التعامل مع الفطرة الإنسانية الإقرار بوجود النزعات والميول البشرية، فلا ينكر إنسان وجود الواقع النفسي والميول والعواطف والغرائز التي خلقها الله في البشر، وهذا يحتاج إلى الإشباع بالطرق السوية، وعلاجًا للمشكلات دون التنكر لها أو التعامل معها بمثالية أو تعال.

فمن المشكلات المجتمعية التي عالجها رسول الله محمد ﷺ مشكلة الإرهاب وهي مشكلة قديمة قدم وجود الإنسان على الأرض، وقد ظهرت بعدة ألوان كالإرهاب الفكري، أو الإرهاب البدني. وضع لها النبي ﷺ حلولًا عملية تتفق ومنهج الإسلام في وسطيته واعتداله وسماحته.

كما واجه نبي الله محمد ﷺ مشكلة العنف الأسري التي تفشت في المجتمعات منذ زمن بعيد بحكم الطبيعة الإنسانية موجهًا المرء إلى حسن العشرة ولين الكلام والتغاضي عن الهفوات، والاهتمام بالأسرة والأبناء.

ومن المشكلات التي انتشرت وخاصة في هذا العصر مشكلة القلق والاكتئاب النفسي، وقد وضع النبي لها علاجًا ناجعًا ينبع من داخل النفس البشرية من جانب، ويراعي من جانب آخر العوامل الخارجية التي تؤدي لمثل هذه الحالة؛ فيستأصلها ويقوم على تخفيفها.

وكذا المشكلات المتعلقة بالزواج فقد حث نبي الله محمد ﷺ على الزواج؛ لما فيه من الخير والعفة، وبقاء النوع الإنساني بإنجاب الذرية، ونهى الترهُّبن فلا رهبانية في الإسلام. وعالج مشكلة الخمر والمخدرات بذكر آفاتها؛ وبيان مضارها الخلقية والسلوكية وما ينتج عنها من الجرائم، كما وضع لمتناولها عقابًا رادعًا يكفي لزجره وردعه.

وانطلاقًا من مكانة العلم والعقل في الإسلام حارب رسول الله ﷺ كل الخرافات التي لا تقوم على دليل أو برهان، وحارب السحرة والمشعوذين الذين يتنكبون طريق العلم والمعرفة والبرهان إلى التخمين والكذب، وجعل من يقع في مثل هذا الفعل قرينًا لمن خرج من الإسلام برمته.

كما عالج رسول الله ﷺ مشكلة الفقر واستعاذ منه، ووضع له العلاجات التي ترتقي بالمجتمع من الوقوع في براثنه، وتقية شره وذله. وفي ذلك يقول: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**»[(١)].

وامتدت رؤيته ﷺ إلى الكون بإطلاق لتصلح البيئة من أرضه وسمائه ومائه، وتجعل ذلك صنو الطاعة والقربى من الله تعالى. حتى أنه عليه الصلاة والسلام ليقول: «**إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٨٤).

١ -علاج مشكلة الإرهاب

من المشكلات التي تهدد الأمن والاستقرار العالمي: مشكلة الإرهاب، وترويع الآمنين، والاعتداء على الناس في أنفسهم وأموالهم.

والإرهاب مشكلة عالمية لا تختصُّ بأمة من الأمم أو شعب من الشعوب أو دين من الأديان.

وقد عالج النبي ﷺ هذه المشكلة من عدة جوانب:

أولًا: بيَّن حرمة الأموال والدماء والأنفس وخطورة التعدي عليها بغير وجه حق، فمما قاله ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[١]، وقال ﷺ: «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشجب**[٢] **دمًا يقول: يا ربّ سل هذا فيم قتلني**»[٣].

وأخبر ﷺ أن دماء الناس أول ما يحاسب عليه الإنسان فقال: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[٤]، وذلك لشدة تحريمها وعظيم إثم من ولغ فيها بغير حق.

---

(١) رواه البخاري (٦٥)، ومسلم (٢١٣٧).
(٢) تشجب: تسيل.
(٣) رواه الترمذي (٢٩٥٥)، وأحمد (١٨٤٠).
(٤) رواه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٣١٧٨).

ثانيًا: نهى الإسلام عن الاعتداء، وفي القرآن: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

ثالثًا: وصف النبيُّ ﷺ بعض أفعال الإرهاب بالكفر، فقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقابَ بعض**»(١).

وقال ﷺ: «**سباب المؤمن فسوق وقتالُه كفر**»(٢).

رابعًا: أخبر رسول الله ﷺ أن قتلى الأعمال الإرهابية في النار، فقال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»، قالوا: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»(٣).

خامسًا: نهى النبيُّ ﷺ عن قتل المعاهدين والمستأمنين من أهل الأديان، فقال ﷺ: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**»(٤).

سادسًا: نهى رسول الله ﷺ عن إشهار السلاح في وجوه الناس، فقال ﷺ: «**لا يُشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزغ في يده، فيقع في حفرةٍ من النار**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (١١٨)، ومسلم (٩٨).
(٢) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (٩٧).
(٣) رواه البخاري (٣٠).
(٤) رواه البخاري (٢٩٣٠).
(٥) رواه البخاري (٦٥٤٥)، ومسلم (٤٧٤٢).

وقال: «**إذا شهر المسلم على أخيه سلاحًا، فلا تزال ملائكة الله تلعنه حتى يشيمه عنه**[(١)]»[(٢)].

وقال ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»[(٣)].

سابعًا: نهى رسول الله ﷺ عن الغدر والخيانة حتى مع الكفار، فقال ﷺ: «**لكلّ غادر لواء يوم القيامة يعرف به**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**الإيمان قيدُ الفتكِ، لا يفتك مؤمن**»[(٥)].

وقال ﷺ: «**إيما رجلٍ أمَّن رجلًا على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافرًا**»[(٦)].

وحذر ﷺ من نقض العهود فقال: «**ما نقض قوم العهد إلا كان القتلُ بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلّط عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حُبس عنهم القطر**»[(٧)].

ثامنًا: نهى النبيّ ﷺ عن ترويع الناس وإخافتهم بغير حق فقال ﷺ: «**لا يحلُّ لرجلٍ أن يروّع مسلمًا**»[(٨)].

---

(١) يشيمه عنه: يبعده عنه.

(٢) رواه البزار (٣٦٤١).

(٣) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (١٤٣).

(٤) رواه البخاري (٦٤٥٠)، ومسلم (٣٢٦٩).

(٥) رواه أحمد (١٣٥٦)، وأبو داود (٢٣٨٨).

(٦) رواه ابن ماجه (٢٦٧٩)، وابن حبان (٥٩٨٢)، واللفظ له وحسنه الألباني.

(٧) رواه الحاكم (٢٥٧٧)، وقال الألباني صحيح.

(٨) رواه أبو داود (٤٢٥١)، وأحمد (٢١٩٨٦).

تاسعًا: بين النبيُّ ﷺ للناس نعمة الأمن فقال: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»(١).

وفي القرآن منَّ الله على المؤمنين بنعمة الأمن فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧]، وقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٣-٤].

عاشرًا: حث النبيُّ ﷺ على رحمة الخلق والشفقة عليهم فقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٨)، وابن ماجه (٤١٣١).

(٢) رواه الترمذي (١٨٤٧)، وأبو داود (٤٢٩٠).

٢ -علاج مشكلة العنف الأسري

من المشكلات العالمية التي يعاني منها ملايين البشر في العالم مشكلة العنف الأسري، وقد عالج رسول الله محمد ﷺ هذه المشكلة من خلال الدعوة إلى التراحم والتغافر والتغافل عن السلبيات قدر المستطاع، والنظر إلى الإيجابيات والبحث عنها، ومن ذلك أن النبي ﷺ قال: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا، رضي منها آخر**»(١).

وكأنه ﷺ يدعو الأزواج بذلك إلى حسن عشرة أزواجهم، وأنه لا ينبغي للزوج أن يكره زوجته لأمرٍ صدر منها، بل عليه أن ينظر في صفاتها الجميلة التي ربما تكون أكثر بكثير مما يكره منها.

وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»(٢).

وعن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ما تقول في نسائنا، قال: «**أطعموهنَّ مما تأكلون، واكسوهن مما تكتسون، ولا تضربوهن ولا تقبِّحوهن**»(٣).

وعرف النبيُّ ﷺ طبيعة المرأة وأن العنف لا يصلحها، فقال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوجَ ما في الضِّلعِ أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، وإن تركتَه لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٢)، وأحمد (٨٠١٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٣٠)، وابن ماجه (١٩٦٧).

(٣) رواه أبو داود (١٨٣٢).

(٤) رواه البخاري (٣٠٨٤)، ومسلم (٢٦٧١).

وعالج النبي ﷺ جميع الأسباب التي تؤدي إلى العنف الأسري، وأول ذلك الغضب الذي يعدُّ سببًا مباشرًا لحوادث العنف الأسري، فقد قال رجل للنبي ﷺ: أوصني. فقال: «**لا تغضب**»، فردَّد مرارًا، أي قال: أوصني أوصني، فلم يزد النبيُّ ﷺ على قوله: «**لا تغضب**»[(١)].

وقال ﷺ: «... **ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضِيَه أمضاه ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة**»[(٢)].

ونهى ﷺ عن السباب واللعن وبذاءة اللسان لأن ذلك كله يمكن أن يكون من أسباب العنف الجسدي فقال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعّان ولا باللعّان، ولا الفاحش ولا البذيء**»[(٣)].

وكان ﷺ أحسن الأزواج عشرة لأزواجهم، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله ﷺ قال: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا قطّ ولا امرأة»[(٤)].

وكان ﷺ مثالًا للرفق واللين بعيدًا كل البعد عن العنف والشدة مع زوجاته، كما قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ رجلًا سهلًا، إذا هَوِيت - أي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الشيءَ تابعها عليه»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٠).

(٢) رواه الطبراني (٨٦١).

(٣) رواه الترمذي (١٩٠٠)، وقال حسن.

(٤) رواه مسلم (٤٢٩٦).

(٥) رواه مسلم (٢١٢٧).

ويصور هذا الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من حسن عشرة زوجاته في عصرٍ لم يكن للنساء فيه شأن يذكر، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله إن كنا في الجاهلية ما نعدُّ النساءَ أمرًا - أي لا نرى لهن شأنًا - حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، فبينما أنا في أمرٍ أَأْتمره، إذ قالت لي امرأتي: لو صنعتَ كذا وكذا. فقلت لها: وما لكِ أنتِ ولما ها هنا؟ وما تكلّفك في أمرٍ أريده، فقالت لي: عجبًا لك يا ابن الخطاب! ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ، حتى يظلَّ يومه غضبان!![1].

فأنَّى لمن كان هذا خلقه أن يكون عنيفًا أو أن يكون العنفُ مفردةً في قاموس حياته الخاص.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٥).

٣ -علاج مشكلة القلق والاكتئاب

يتفق العقلاء على أن الفراغ الروحي وضغوط الحياة المختلفة يعدان من أهم أسباب انتشار الأمراض النفسية، وبخاصة القلق والاكتئاب.

وقد عالج النبي ﷺ هذه المشكلة النفسية بالإيمان الصادق بالله عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في القرآن: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٣٨]. فالإنسان المؤمن الذي مدَّ جسور الصلة مع خالقه يكون مطمئن القلب هادئ البال، مرتاح الضمير، ولذلك قال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كلَّه خير، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له**»[(١)]، فالخير لا يفارقه في جميع أحواله.

وقد يكون القلق والاكتئاب ناتجًا عن الخوف أو الفقر أو المرض أو المصائب المتوقعة، إلا أن المؤمن الذي يعلم أن كل ذلك بقدر الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يصبر ويحتسب فتتحول هذه المحن والمصائب إلى منح وعطايا وأجور من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

ويتكرر الموقف ذاته بالنسبة للتهديدات المتوقعة والأذى الذي أصبح وشيك الحدوث، فإن المؤمن يتلقى ذلك بمزيد من الرضا والتسليم والإيمان بالله

---

(١) رواه مسلم (٥٣١٨).

عَزَّوَجَلَّ واللجوء إليه في دفع هذا الأذى الخارجي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

وكان النبي ﷺ إذا ضاقت عليه الأمور فزع إلى الصلاة، وكان يقول: «**يا بلال! أقم الصلاة، أرحنا بها**»[(١)]. فالصلاة من أكبر أسباب الراحة النفسية والسلام الداخلي، والتخلص من التوتر والقلق والهم والغم.

وأرشد النبي ﷺ إلى بعض الأذكار التي تقال عند الهموم والغموم والتوتر والقلق، فمن ذلك قوله ﷺ: «**ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حُزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همَّه وحُزنه، وأبدله مكانه فرحًا**»[(٢)].

وقال ﷺ لأسماء بنت عميس: «**ألا أعلمك كلمات تقولينهنَّ عند الكرب؟ الله الله ربي لا أشركُ به شيئًا**»[(٣)].

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٣)، وأحمد (٢٢٠٠٩).
(٢) رواه أحمد (٤٠٩١).
(٣) رواه أبو داود (١٣٠٤)، وابن ماجه (٣٨٧٢)

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان إذا حَزَبه أمرٌ قال: «**يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث**»[(١)].

فذِكرُ الله عَزَّوَجَلَّ ودعاؤه والصلاة له من أعظم علاج الأمراض النفسية، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٤٦).

٤ -علاج مشكلة الفراغ الروحي

عالج النبي ﷺ مشكلة الفراغ الروحي وذلك بإحياء المعاني الربانية من الإيمان بالله وتوحيده والبعد عن الشرك، والإيمان بالأنبياء والرسل جميعًا، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالملائكة، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وبالإضافة إلى الإيمان القلبي عالج النبي ﷺ مشكلة الفراغ الروحي بالعبادات الشرعية التي تربط المسلم بربه في كل وقت، وأهم هذه العبادات أركان الإسلام الخمسة وهي: الشهادتان، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، حج البيت الحرام.

إضافة إلى ذلك ربَّى النبي ﷺ المسلم على معاني التقوى والإخلاص لله والثقة به، والتوكل عليه، وغرس الإحساس الدائم برقابة الله على كل أعماله، واطلاعه على سره ونجواه، وتغذية الشعور بالمسؤولية وإن كان لا يراه أحد من الناس، لأن الله تعالى يراه.

قال النبي ﷺ لابن عباس: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جَفّت الأقلام، ورفعت الصحف**»[(١)].

---

(١) رواه أحمد (٢٥٣٧)، والترمذي (٢٤٤٠).

وفي حديث جبريل الطويل بيَّن النبي ﷺ أصول الإسلام والإيمان والإحسان، وهو من أهم الأحاديث النبوية لأنه اشتمل على الدين الإسلامي كله بصورة مختصرة، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبيّ ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**». قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأمة ربَّتُها، وأن ترى الحفاة العُراة العالة رِعاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيان**»، ثم انطلق فلبثتُ مليًّا[١]، ثم قال ﷺ: «**يا عمر! أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلّمكم أمر دينكم**»[٢].

ودعا النبي ﷺ غير المؤمنين بالواحد الأحد إلى التفكير والتأمل، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: «**يا حصين! كم تعبد**

(١) فلبثت مليًّا: أي انتظرت زمنًا طويلًا.

(٢) رواه مسلم (٩).

اليوم إلهًا؟» قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. فقال له النبي ﷺ: «**فأيهم تعد لرهبتك ورغبتك؟**» قال: الذي في السماء[١]. فكأن النبي ﷺ يقول له كيف تعبد غيره وأنت لا ترجو سواه في الرغبة والرهبة.

(١) رواه الترمذي (٣٤٠٥).

٥ -علاج مشكلة الانحرافات الجنسية

عالج النبي ﷺ المشكلة الجنسية من خلال الحث على الزواج في سنٍّ مبكرة، وكذلك حث على الصوم لمن لا يملك تكاليف الزواج وأكد على سدّ الأبواب التي تؤجج الشهوات ومن ذلك تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والنظر إلى النساء الأجنبيات وكذلك من خلال الحوار مع الشباب وإقناعهم بقبح الزنا وخطورته.

قال النبي ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم**»[(٣)].

وقال ﷺ وقد سُئل عن النظر إلى النساء: «**اصرف بصرك**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٧٧)، ومسلم (٢٤٨٥).
(٢) رواه الترمذي (١٠٠٥).
(٣) رواه البخاري (٢٧٨٤)، ومسلم (٢٣٩١).
(٤) رواه أبو داود (١٨٣٦).
(٥) رواه البخاري (٢٢٩٥)، ومسلم (٨٦).

وروي أن فتًى شابًّا أتى النبي ﷺ كي يرخّص له في الزنا، فقال: يا رسوالله! ائذن لي في الزنا!! فأقبل عليه القوم فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ. فقال ﷺ للشاب: «**ادن**» فدنا منه قريبًا، قال: «**اجلس**» فجلس، فقال ﷺ: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، ثم قال له: «**أتحبه لأختك.. لعمتك.. لخالتك**»، والشاب يقول: لا والله، جعلني الله فداءك، والنبي يقول له: «**وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم.. لعماتهم.. لخالاتهم**».

ثم وضع النبي ﷺ يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحَصَّن فرجه**» فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء[(١)].

وأما الشذوذ الجنسي فإنه أشدّ تحريمًا من الزنى في الإسلام، وقد قال ﷺ: «**لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢١١٨٥).

(٢) رواه أحمد (٢٧٦٣).

٦ - علاج مشكلة الخمر والمخدرات

يعاني العالم بأسره من مشكلة المسكرات والمخدرات، وقد كان الإسلام صارمًا في محاربة هذه الآفة، فقد حَرَّم كل ما يؤدي إلى غياب العقل وستره مهما اختلفت الأسماء والمسميات.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠].

وقال ﷺ: «**ما أسكر كثيره، فقليله حرام**»[(١)].

وقال ﷺ: «**كل شراب أسكر فهو حرام**»[(٢)]، ويدخل في ذلك كل أنواع المسكرات والمخدرات.

وقال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة مدمنُ خمر**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**لا تشربوا الخمر فإنها مفتاحُ كلّ شر**»[(٤)].

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكرٍ ومُفتِّرٍ»[(٥)].

والمفتر: كل ما يورث الفتور وهو الخمول والضعف والانكسار واسترخاء الجسم وخدر الأطراف، والمخدرات تفعل ذلك بلا جدال.

---

(١) رواه أحمد (٦٢٧١)، وأبو داود (٣١٩٦).

(٢) رواه البخاري (٥١٥٧)، ومسلم (٣٧٢٧).

(٣) رواه أحمد (٦٢٥١)، والنسائي (٥٥٧٧)، وابن ماجه (٣٣٦٧).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٣٦٢).

(٥) رواه أبو داود (٣٢٠١)، وأحمد (٢٥٤١٦).

٧ -علاج مشكلة السحر والكهانة والشعوذة

على الرغم من تقدُّم العالم صناعيًّا وتكنولوجيًّا إلا أن ملايين البشر في العالم ما زالوا يعيشون أسرى لعالم السحر والكهانة والشعوذة، وقد قرأنا أن بعضًا من كبار الساسة في العالم لكل واحدٍ منهم ساحره الخاص وكاهنه الذي يزعم أنه يخبره ببعض الأمور التي تحدث في المستقبل، ويدعي أنه يطلعه على مؤامرات الخصوم وخططهم.

والسحر حقيقة ولكن تعلمه وممارسته كفر في الإسلام كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]، فكان كفرهم بسبب تعليم الناس السحر.

والنبي ﷺ نهى عن السحر والكهانة والشعوذة، فقال ﷺ: «**ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهّن أو تُكهِّن له، أو تسحَّر أو تُسحِّر له**»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» - أي المهلكات - قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حَرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[(٢)]، فجعل مرتبة السحر في الإثم بعد الشرك بالله الذي هو أعظم الذنوب على الإطلاق.

---

(١) رواه الطبراني (٤٢٦٢).

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٠)، ومسلم (١٢٩).

ونهى النبيُّ ﷺ عن الذهاب إلى الكهنة والعرافين، فقال ﷺ: «**من أتى عرافًا، فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين ليلة**»[(١)].

وشدّد الإثم على من صدَّقهم فقال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[(٢)].

وقد يتساءل البعض فيقول: لكن السحرة والكهان يصدقون أحيانًا فيما يقولون، وهذا يدلُّ على صدقهم، والجواب ما قاله رسول الله ﷺ، فقد سأله أناسٌ عن الكهان، فقال: «**ليسوا بشيء**» فقالوا: يا رسول الله! إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًّا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنيُّ فيقُرُّها في أذن وليّه، فيخْلطون معها مئة كذبة**»[(٣)].

وفي رواية للبخاري عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الملائكة تنزل في العنان** - وهو السحاب - **فتذكر الأمرَ قضي في السماء، فيسترقُ الشيطانُ السمعَ، فيسمعه، فيوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»[(٤)].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عَدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفَر**»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم (٤١٣٧)، وأحمد (١٦٠٤١).

(٢) رواه الترمذي (١٢٥)، وأحمد (٩١٧١).

(٣) رواه البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٤١٣٥).

(٤) رواه البخاري (٢٩٧١).

(٥) رواه البخاري (٥٣١٦)، ومسلم (٤١١٦).

وقوله ﷺ: «**لا عدوى**» ليس فيه إنكار تأثير العدوى لأنه ﷺ أثبت تأثير العدوى في أحاديث أخر كقوله ﷺ: «**فرّ من المجذوم فرارك من الأسد**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**لا يورد ممرضٌ على مُصحّ**»[(٢)] أي: لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة، لئلا تنتقل العدوى.

إذن فقوله ﷺ: «**لا عدوى**» هو إنكار لكون العدوى علة فاعلة وكون تأثيرها حتميًّا والأمر ليس كذلك، لأن المرض قد يعدي وقد لا يعدي، ولذلك لما قال النبي ﷺ: «**لا عدوى**» قال له رجل: يا رسول الله! الإبل تكون صحيحة مثل الظباء، فيدخلها الجمل الأجرب، فتجرب؟ فقال النبي ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟**»[(٣)] يعني أن المرض نزل على الأول بدون عدوى، بل نزل من عند الله عَزَّوَجَلَّ، فكذلك إذا انتقل بالعدوى فقد انتقل بأمر الله، وقد ينتقل المرض بالعدوى وقد لا ينتقل، والأمر كله بيد الله تعالى.

وقوله ﷺ: «**ولا طِيَرة**» من التطير وهو التشاؤم وقوله: «**ولا هامة**» طير معروف مثل البومة كانت العرب تتشاءم منها.

قوله: «**ولا صفر**» قيل إنهم كانوا يتشاءمون بشهر صفر كما يتشاءم اليوم كثير من الناس بأيام أو تواريخ محددة، فأبطل النبيُّ ﷺ كل هذه المعتقدات الباطلة التي كانت تربط الناس بالخرافات والكهانة والشعوذة.

---

(١) رواه البخاري (٥٣٢٨).

(٢) رواه البخاري (٥٣٢٨)، ومسلم (٤١١٧).

(٣) رواه البخاري (٥٣٣٠)، ومسلم (٤١١٦).

٨ -علاج مشكلة الفقر

استعاذ النبي ﷺ من الفقر وقرنه بالذلّة فقال: «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلةِ والذلةِ**»[(١)].

وقرنه كذلك بالكفر فقال: «... **وأعوذ بك من الفقر والكفر**...»[(٢)]. وهذا يدل على خطورة الفقر، وأنه يمكن أن يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله.

وحارب النبي ﷺ مشكلة الفقر بالحث على العمل وتبشيع سؤال الناس أموالهم، فقال ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه، ثم يغدو إلى الجبل، فيحتطب، فيبيع، فيأكل، ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس**»[(٣)].

وقال النبي ﷺ: «**لا ينبغي لمؤمن أن يذلّ نفسه**»[(٤)].

وقال النبي ﷺ: «**لو أنكم توكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**»[(٥)].

فالطير تغدو لطلب الرزق، وتذهب وتجيء، ولا تقع إلا حيث ترى طعامًا، ولا تزال تسبح في الهواء حتى ترى ماء فتنزل لتشرب، وكلّ ذلك ابتغاء الرزق، فالعمل والأخذ بالأسباب وقبل ذلك التوكل على الله تعالى واللجوء إليه هو السبيل الأول للتخلص من الفقر في الإسلام.

(١) رواه أبو داود (١٣٢٠)، وأحمد (٧٧٠٨).
(٢) رواه أبو داود (٤٤٢٦)، وأحمد (١٩٥١٤).
(٣) رواه البخاري (١٣٨٦)، وأحمد (١٠٠٣٣).
(٤) رواه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢٢٣٢٧).
(٥) رواه الترمذي (٢٢٦٦)، وأحمد (٢٠٠).

ثم تأتي بعد ذلك الزكاة لغير القادرين على العمل، أو للذين يعملون ولا تكفيهم أموالهم فهؤلاء يأخذون من أموال الزكاة، وهي فريضة تؤخذ من مال الأغنياء فتعطى للفقراء ثم تأتي الصدقات التي يخرجها الأغنياء باختيارهم طمعًا في الأجر والثواب الجزيل من الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج:٢٤-٢٥].

وقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨].

وقال ﷺ: «**من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زادٍ، فليعد به على من لا زاد له**»[١].

ولما كانت أسوأ نتائج الفقر أن يفقد الفقير أهم مقومات الحياة ومنها الطعام واللباس فقد جاءت توجيهات رسول الله محمد ﷺ مرغبة في إطعام الطعام وفي كسوة اللباس حتى أنها جعلت كفارات للعديد من الخطايا.

(١) رواه مسلم (٣٢٥٨)، وأبو داود (١٤١٦).

٩ -علاج مشكلة الإخلال بالبيئة

أسهم النبي ﷺ في علاج المشكلات الناجمة عن إخلال الإنسان بالتوازن البيئي وذلك عن طريق التوجيه والإرشاد للحفاظ على المياه والحفاظ على الأرض والحفاظ على التوازن البيئي واحترام الحياة حتى للحيوان الذي ليس من وجوده ضرر.

قال النبي ﷺ: «**ما من مسلم يزرع زرعًا، أو يغرس غرسًا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كانت له به صدقة**»(١).

ونهى النبي ﷺ عن قضاء الحاجة في طرق الناس وموارد المياه وأماكن الظلّ، فقال ﷺ: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البَرَازُ في الموارد، وقارعة الطريق، والظلّ**»(٢).

ونهى النبي ﷺ عن الإسراف في الماء فقال: «**لا تسرف في الماء وإن كنت على نهرٍ جارٍ**»(٣).

ونهى عن قتل الحيوان بغير فائدة فقال: «**من قتل عصفورًا فما فوقها بغير حقّها إلا سأله الله عنها يوم القيامة**». قيل: يا رسول الله! فما حقُّها؟ قال: «**أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها فيرمي به**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢١٥٢)، ومسلم (٢٩٠٤).

(٢) رواه أبو داود (٢٤)، وأحمد (٢٥٨٠)، وابن ماجه (٣٢٣).

(٣) رواه أحمد (٦٧٦٨)، وابن ماجه (٤١٩).

(٤) رواه النسائي (٤٣٦٩)، وأحمد (٦٢٦٤).

وحافظ النبي ﷺ على نظافة الأرض، حيث شبهها بالمسجد في الطهارة والنظافة، فقال ﷺ: «**وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[(١)].

وعن النبي ﷺ: «**أن نملةً قرصت نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أفي أن قَرَصتك نملةٌ أهلكتَ أمةً من الأمم تسبحُ**». وفي رواية: «**فأوحى الله إليه فهلَّا نملة واحدة**»[(٢)]، وفي هذا من الحفاظ على التوازن البيئي ما فيه، لأن كل إنسان إذا تأذى من حيوان ما قام بقتل المئات أو الآلاف من ذاك الحيوان لم يبق من جنس هذا الحيوان شيء، وهذا مخالف للنظام البيئي الذي خلقه الله تعالى.

وأمر النبي ﷺ بتنظيف البيوت وتطهيرها حتى لا تنتشر الأوبئة فقال ﷺ: «**طهروا أفنيتكم**»[(٣)].

وحث النبيُّ ﷺ على الزراعة التي تعتبر الصديق الوفي للبيئة فقال ﷺ: «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٤١٩)، ومسلم (٨١١).

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٦)، ومسلم (٤١٥٧).

(٣) رواه الطبراني (٤٠٥٧).

(٤) رواه أحمد (١٢٥١٢).

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤)

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر

زاد المعاد في هدي خير العباد

لابن قيم الجوزية

محمد بن أبي بكر بن أيوب

(ت ٧٥١هـ)





اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

يباع بسعر التكلفة

مُختَصَرُ

زاد المعاد

في هَدْيِ خيرِ العِباد

ح أحمد بن عثمان المزيد، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المزيد، أحمد عثمان
موسوعة محمد رسول الله ﷺ الوقفية دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله. / أحمد عثمان المزيد.
الرياض، ١٤٣٨هـ
٦ مج
ردمك: ٨ - ٤٣٩٣ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٤٣٩٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٤)
١ - السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٨/٦٥٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٥٩٣
ردمك: ٨ - ٤٣٩٣ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٤٣٩٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٤)

الطَّبعةُ الأولى
(١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

المجلدُ الرَّابع

تُباعُ الموسُوعَة بِسِعرِ التكلفةِ بدَعمٍ مِنَ المحتَسِبِ ووالديه عُثمان بن أحمد المزيد وحصَّة بنت حمد المزيد

مدار الوطن للنشر
هاتف: 00966 112313018 جوال: 00966 500996987

تطلب من جميع فروع مكتبة جرير

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤)

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر

زاد المعاد في هدي خير العباد

لابن قيم الجوزية

محمد بن أبي بكر بن أيوب

(ت ٧٥١هـ)





اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

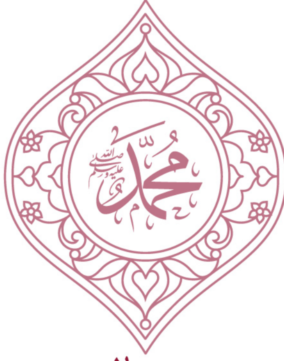
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

إِهْدَاءٌ إِلَى

مَنْ غَايَتُهُ مُرَافَقَةُ

مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فِي الجَنَّةِ



خِصَالُ الكَمَالِ وَالجَلَالِ فِي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(إذا كان الواحدُ منا يشرفُ بواحدةٍ أو اثنتينِ من خصالِ الكمالِ والجلالِ فما ظنكَ بعظيمِ قدرِ محمد رسول الله ﷺ مَن اجتمعَت فيه كلُّ هذه الخصالِ: مِن فضيلةِ النبوةِ والرسالةِ، والخلَّةِ، والمحبةِ، والاصطفاءِ، والإسراءِ، والقربِ، والشفاعةِ، والوسيلةِ والفضيلةِ، والمقامِ المحمودِ، والبراقِ والمعراجِ، والبعثِ إلى الأحمرِ والأسودِ، والصلاةِ بالأنبياءِ، والشهادةِ بينَ الأنبياءِ والأممِ، وسيادةِ ولدِ آدمَ، ولواءِ الحمدِ، ورحمة للعالمين، وإعطاءِ الرضى والسؤل، والكوثرِ، وإتمامِ النعمةِ، والعفوِ عما تقدَّمَ وما تأخَّرَ، وشرحِ الصدرِ، ووضعِ الإصرِ، ورفعِ الذكرِ، وعزَّةِ النصرِ، والتأييدِ بالملائكةِ، وإيتاءِ الكتابِ والحكمةِ والسبعِ المثاني والقرآنِ العظيم، وصلاةِ الله تعالى والملائكةِ، والقَسَمِ باسمِه، وإجابةِ دعوتِه، وتكليمِ الجماداتِ والعجمِ، ونبعِ الماءِ مِن بينِ أصابعِه، وانشقاقِ القمرِ، والنصرِ بالرعبِ، وظلِّ الغمامِ، وتسبيحِ الحصى، والعصمةِ من الناسِ، إلى ما لا يحويه محتفلٌ، ولا يحيطُ بعلمِه إلا مانحُه ذلك ومُفضِّلُه به، لا إله غيرُه).

[مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس، (ص51- 52) باختصار]



بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بموسوعة محمد رسول الله ﷺ

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ رسول الله ﷺ، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ:**

فتمتازُ هذه الموسوعةُ -التي استغرَقَ العملُ فيها نحوًا مِن عامينِ- بجمعِها لأهمِّ علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في وعاءٍ واحدٍ، وانتقاءِ أفضلِ ما كتبَه أئمةُ سلفِنا الصالحِ وعلماؤهم في كل فنٍّ مِن فنونِها، مما لقيَ شهرةً وقبولًا لدى الأمةِ، وقد قمتُ باختصارِ هذه الكتبِ وتهذيبِها، نسألُ اللهَ الإخلاصَ والقبولَ.

وكان منهجي في اختصارِ كتبِ هذه الموسوعةِ أن تكونَ على أفضلِ الطبعاتِ المعتمدةِ لكلِّ كتابٍ، مع حذفِ الضعيفِ وما دونَه، والاستطراداتِ، وما أغنَى عنه غيرُه، أو كان مكرَّرًا سبقَ ذكرُه، وكذلك أسانيدُ الأحاديثِ إلا الصحابيَّ أو مَن دونَه مما يحتاجُ الكلامُ إليه، وقد حافظتُ على لفظِ المصنفِ وترتيبِه، فإن زدتُ في عنواناته شيئًا وضعتُه بين معقوفَينِ، وكذا ما كان مِن طبعةٍ أخرى غيرِ التي اعتمدتُها.

وكان هدفي مِن هذا المنهجِ تقريبَ سيرة النبي ﷺ وتيسيرَها؛ لنتعلَّمَ جميعًا علومَها وفنونَها من كتبِ علماءِ سلفِنا الصالحِ الأصيلةِ، لنحقِّقَ الاقتداءَ به ﷺ في عقيدتِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه؛ فنسعدُ في الدنيا ونفوزُ بالآخرةِ.

وقد اقتصرتُ في الحاشيةِ على التخريجِ الموجزِ للأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ والآثارِ، وبيانِ غريبِ ألفاظِها.

(*) هذا تعريف موجز بالموسوعة، وقد تقدَّم التعريف بها مفصَّلًا في صدر المجلد الأول.

وقد جاءَ هذا الإصدارُ الأوَّلُ مِن **«موسوعة محمد رسول الله ﷺ»** جامعًا لستةِ علومٍ مِن علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في ستةِ مجلداتٍ، عبرَ اختصارِ ثمانيةِ كتبٍ، وهي على النحو التالي:

المجلد الأول: ١- في علم الدلائل [كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت٤٣٠هـ)]

المجلد الثاني: ٢- في علم السيرة النبوية [كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام (ت٢١٨هـ)]

المجلد الثالث: ٣- في علم الخصائص [كتاب «غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن(ت٨٠٤هـ)]

٤- في علم الشمائل، وفيه ثلاثة كتب، هي:

- [كتاب «شمائل النبي ﷺ» للترمذي (ت٢٧٩هـ)]
- [كتاب «محمد رسول الله ﷺ والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر»، لـ أ.د. أحمد بن عثمان المزيد]

المجلد الرابع: - [كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)]

المجلد الخامس: ٥- في علم حقوق النبي ﷺ: [كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)]

المجلد السادس: ٦- في علم الحديث النبوي الشريف: [كتاب «رياض الصالحين» للنووي (ت٦٧٦هـ)]

في الهدي النبوي

الهدي النبوي وأهميته: هو سيرةُ المصطفى ﷺ، وما سنَّه لنا مِن الأقوالِ والأفعالِ، وهو لا ينفكُّ عمَّا مضَى ذكرُه من علمِ الشمائلِ النبويةِ، فلا شكَّ أن الأعمالَ الجليلةَ ثمرةُ الأخلاقِ والخلالِ والشمائلِ الكريمةِ.

ومَن ثَم تأتي أهميةُ معرفةِ ودراسةِ الهدي النبوي وطريقتِه ﷺ العمليةِ التي بيَّن فيها شرعَ الله تعالى مِن أولِ ما نزَلَ عليه الوحيُ، إلى أن توفاه الله.

ومن فضلِ الله سبحانه أن الهديَ النبويَّ يتجلَّى للمسلمِ في كل شأنٍ مِن شؤونِ حياتِه ﷺ، حتى إنك لتجدُ في هديِه ﷺ صفةَ قيامِه وجلوسِه ونهوضِه من نومِه، وهيئتَه في ضحكِه، وعبادتَه في ليلِه ونهارِه ، وكيف يفعلُ إذا اغتسَلَ وإذا أكَلَ وإذا شربَ، وماذا كان يلبسُ، وماذا كان يحبُّ مِن الألوانِ، وماذا كان يركبُ... إلخ.

وما مِن ريبٍ أن معايشةَ حياةِ النبيِّ ﷺ بكل تفاصيلِها على هذا النحوِ ليعينُ على الاقتداءِ به ﷺ، وتطبيقِ هديِه تطبيقًا عمليًا كما طبَّقه الجيلُ الأولُ الذي تربَّى على عينِه ﷺ ؛ فنشروا الإسلامَ بسلوكِهم وأخلاقِهم قبل أقوالِهم.

ترجمة ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو محمدُ بنُ أبي بكرِ بنِ أيوبَ بنِ سعدِ بنِ حَرِيزٍ، الزُّرَعِيُّ، الدمشقيُّ، شمسُ الدينِ، ابنُ قيمِ الجوزيةِ.

تاريخ مولده:

وُلِدَ في السابعِ مِن شهرِ صفر سنة (٦٩١هـ).

شيوخه:

سَمِعَ على التقيِّ سليمانَ، وأبي بكرِ بنِ عبدِ الدائمِ، والمطعمِ، وابنِ الشيرازي، وإسماعيلَ بنِ مكتوم، وقرَأَ العربيةَ على ابن أبي الفتح، والمجدِ التونسي، وقرَأَ الفقهَ على المجدِ الحراني، وابنِ تيميةَ، ودرسَ بالصدريةِ وأَمَّ بالجوزيةِ، وكان لأبيهِ في الفرائضِ يدٌ فأخذَها عنه، وقرأ في الأصولِ على الصفي الهندي وابنِ تيميةَ.

زهده وخُلُقه وعِلْمه:

يقول ابنُ رجب عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا عبادةٍ وتهجدٍ وطولِ صلاةٍ إلى الغايةِ القصوَى، وتألهٍ ولهجٍ بالذكرِ، وشغفٍ بالمحبةِ والإنابةِ والاستغفارِ، والافتقارِ إلى اللهِ، والانكسارِ له، والاطراحِ بينَ يدَيه على عتبةِ عبوديتِه، لم أُشاهِدْ

مثلَه في ذلك، ولا رأيتُ أوسعَ منه علمًا، ولا أَعْرفَ بمعاني الْقُرْآنِ والسنةِ وحقائقِ الإيمانِ منه، وليس هو المعصومَ، ولكن لم أرَ في معناه مثلَه»[(١)].

وقال ابنُ كثير عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان حسنَ القراءةِ والخُلقِ، كثيرَ التوددِ، لا يحسدُ أحدًا ولا يُؤذيه ولا يستعيبُه، ولا يحقدُ على أحدٍ، وكنتُ مِن أصحبِ الناسِ له، وأحبِّ الناسِ إليه، ولا أعرفُ مِن أهلِ العلم في زمانِنا أكثرَ عبادةٍ منه»[(٢)].

تصانيفه:

لابنِ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تصانيفُ كثيرةٌ، منها: إعلام الموقعين، وبدائع الفوائد، وطريق السعادتين، وشرح منازل السائرين، والقضاء والقدر، وجلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ومصايد الشيطان، ومفتاح دار السعادة، والروح، وحادي الأرواح، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، وتصانيف أخرى.

وفاته:

تُوفِّي ليلة الخميس في ١٣ رجب سنة (٧٥١ هـ)، وكانت جنازتُه حافلةً جدا[(٣)].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٨).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٨/ ٥٢٣).

(٣) الدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ١٣٧-١٤٠ باختصار). وانظر أيضا: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٥/ ١٧٠)، العبر في خبر من غبر للذهبي (٤/ ١٥٥)، الوافي بالوفيات للصفدي(٢/ ١٩٥).

التعريف بكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (ت ٧٥١هـ)

أهميته:

أولَى ابنُ القيمِ في كتابِه «زاد المعاد في هدي خير العباد» جانبَ هديِ النبيِّ ﷺ في عباداتِه القسمَ الأكبرَ والأهميةَ البالغةَ، وزاد إلى ذلك جانبَ معاملاتِه ﷺ، مقسِّمًا كليهما العباداتِ والمعاملاتِ حسبَ التقسيمِ الفقهيِّ.

كما تميَّزَ الكتابُ بسهولةِ عبارتِه وجزالتِها، وجمالِ لغتِه وأساليبِه وتنوعِها، فتارةً يسوقُ ابنُ القيم الكلامَ مرسلًا، وتارةً يقصُّه كأحسن قاصٍّ، وتارةً يذكرُه بدليلِه وبرهانِه، وتارةً باختصارٍ وإيجازٍ وعباراتٍ جامعةٍ لكثيرٍ مِن المباحثِ رغمَ حجمِ الكتابِ الكبيرِ نسبيًّا.

فمِن ذلك: قولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسابَقَ رَسولُ الله ﷺ بنَفْسه على الأَقدام وصارَع، وخصَف نَعْلَه بيَدِه، ورقَع ثَوبَه بيَدِه، ورفَع دَلْوه وحلَبَ شاتَه وفلَى ثَوْبه وخدَم أَهْله ونَفْسه، وحمَلَ معهم اللبِنَ في بِناء المَسجِد، وربَط على بَطْنه الحجَرَ من الجوعِ تارةً وشبِعَ تارةً، وأَضاف وأُضيف، واحتَجَم في وسَط رَأْسه وعلى ظَهْر قدَمه، واحتَجَم في الأَخْدعين والكاهِل وهو ما بين الكَتِفين، وتَداوَى وكَوَى ولم يَكتوِ، ورَقَى ولم يَستَرقِ، وحمَى المَريض مِمَّا يُؤذِيه»[(١)].

كذلك اشتمَلَ الكتابُ على فوائدَ ونكتٍ ولطائفَ لا يخلو منها بابٌ ولا فصلٌ، فضلًا عن ترجيحاتِه واختياراتِه، وتلمُّسِه لِحِكَمِ الشريعةِ وعللِ أحكامِها.

---

(١) (ص٥٤).

قال ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ): كتابُ زاد المعاد في هدى خير العباد» أربعُ مجلداتٍ، وهو كتابٌ عظيمٌ جدًّا[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): كلُّ تصانيفِه مرغوبٌ فيها بينَ الطوائفِ[(٢)].

وقال السخاوي (ت٩٠٢هـ): ولابن القيم كتاب «الهدي النبوي» لا نظير له[(٣)].

ترتيبه ومنهجه:

بدأ ابنُ القيمِ كتابَه بمقدماتٍ بيَّنَ فيها وجوبَ متابعةِ الرسولِ ﷺ، وتعلُّقَ السعادةِ في الدارين باتباعِه ﷺ، ثم تكلَّم على تفرُّدِ الله بالخلقِ والاختيارِ من المخلوقاتِ، واضطرارِ العبادِ إلى معرفتِه ﷺ.

ثم استفتَحَ كتابَه ببيانِ نسبِ النبي ﷺ، وختانِه، وأمهاتِه، وحواضنِه، فمبعثِه ودعوتِه ومراحلِها، وأسمائِه ومعانيها، والهجرتين.

ثم تكلَّمَ عن أولادِه ﷺ، وأعمامِه، وأزواجِه ومواليه، وخدامِه، وكُتُبِه، ومؤذنيه، وأمرائِه، وحرسِه، وشعرائِه، وحُداتِه.

ثم غزواتِه ﷺ وبعوثِه وسراياه، وسلاحِه وأثاثِه، ودوابِّه، وملابسِه، وطعامِه، ونكاحِه ﷺ، ونومِه، وركوبِه.

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٥/ ١٧٥).
(٢) الدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ١٣٩).
(٣) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي (٣/ ١٢٥٤).

ثم ذكَرَ فصلًا عن اتخاذِه ﷺ الغنمَ والرقيقَ، وعقودِه، ومصارعتِه، ومعاملتِه، ومشيه، وجلوسِه، وقضاءِ حاجتِه، وهديِه ﷺ في سننِ الفطرةِ، وكلامِه وسكوتِه، وضحكِهِ وبكائِه، وخطبتِه.

ثم عقَدَ فصولًا مطولةً في هديِه ﷺ في العباداتِ: الوضوءِ، والصلاةِ، والزكاةِ، والصيامِ، والحجِّ والعمرةِ، والهدايا والضحايا، والأذكارِ والأدعيةِ، والجهادِ.

ثم تحدَّث عن هديِه ﷺ في الطبِّ الذي تطببَ به ووصفَه لغيرِه، ثم ختَمَ بفصولٍ عن هديِه ﷺ في الأقضيةِ والأنكحةِ والبيوعِ.

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصر على طبعة دار الوفاء، المنصورة، مصر، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠٠١م، تحقيق: أنور الباز، وقد اعتمَدَ على ست نسخ خطية، إحداهن كاملة وهي المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط.

❹ موســــوعة محمــــــد رســــول الله ﷺ

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر زاد المعاد في هدي خير العباد

لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية – جامعة الملك سعود

[مقدمة المصنف]

بسمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالَمين، والعاقِبةُ للمُتَّقين، ولا عُدوانَ إلَّا على الظالِمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، كلِمة قامَت بها الأرضُ والسمَواتُ، وخُلِقَت لأَجْلها جميعُ المَخْلوقات، فهي كلِمةُ الإسلام، ومِفتاحُ دار السَّلام، عنها يُسأَل الأوَّلون والآخِرون. وأَشهَد أن مُحمدًا عبدُه ورَسولُه، وأَمينُه على وحيِه، وخيرتُه من خَلْقه، وسَفيره بينَه وبين عِباده، المَبعوث بالدِّين القَويم والمَنهَج المُستَقيم، أَرسَله اللهُ رحمةً للعالَمين، وإمامًا للمُتَّقين، وحُجَّةً على الخَلائِق أَجمَعين.

وبعدُ، فإن اللهَ سبحانه وتعالى هو المُنفرِد بالخَلْق والاختِيار منَ المَخلوقات، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، والمُرادُ بالاختِيار هاهنا: الاجتِباءُ والاصطِفاءُ، فهو اختيارٌ بعد الخَلْق، والاختيارُ العامُّ اختِيارٌ قبل الخَلْق، فهو أعمُّ وأَسبَقُ، وهذا أخصُّ، وهو مُتأَخِّر، فهو اختِيارٌ منَ الخَلْق.

وإذا تَأمَّلت أَحوالَ هذا الخَلْقِ، رأيتَ هذا الاختيارَ والتخصيصَ فيه دالًّا على رُبوبيَّته تعالى ووَحْدانيَّته وكَمال حِكمته وعِلْمه وقُدرته، وأنه اللهُ الَّذي لا إلهَ إلَّا هو، فلا شَريكَ له يَخلُق كخَلْقه، ويَختار كاختِيارِه، ويُدبِّر كتَدبيره، فهذا الاختِيارُ والتَّخصيصُ المَشهود أثَرُه في هذا العالَمِ من أَعظَم آيات رُبوبيَّته، وأكبرِ شَواهِد وَحْدانيَّته، وصِفات كَماله، وصِدْق رُسُله، فنُشير فيه إلى شيءٍ يَسير يَكون مُنبهًا على ما وَراءَه دالًّا على ما سِواهُ.

فخَلَقَ اللهُ السمَواتِ سبعًا، فاختار العُليا منها فجعَلَها مُستقَرَّ المُقرَّبين من مَلائِكتِه، واختَصَّها بالقُرب مِن كُرسِيِّه ومِن عَرْشه، وأَسكَنَها مَن شاء مِن خَلْقه، فلها مَزيَّةٌ وفَضْل على سائِر السمَوات، ولو لم يَكُن إلَّا قُربها منه تبارك وتعالى.

ومن هذا تَفضيلُه سبحانه جَنَّةَ الفِردوس على سائِر الجَنات، وتَخْصيصها بأن جعَل عَرشَهُ سَقْفَها.

ومِن هذا اختِيارُه منَ المَلائِكة المُصطَفَيْن منهم على سائِرِهم، كجِبريلَ، ومِيكائيلَ، وإِسرافيلَ.

وكذلك اختِيارُه سبحانه للأنبياء من ولَد آدَمَ عليه وعليهم الصلاة والسلام، واختيارُه الرُّسل منهم، واختِيارُه أُولِي العَزْم منهم، واختارَ مِنهمُ الخَليلَيْن إبراهيمَ ومُحمدًا صلَّى الله عليهما وسلَّم.

ومن هذا اختيارُه سبحانه ولَد إسماعيلَ من أجناس بني آدَمَ، ثُم اختارَ مِنهم بني كِنانةَ بن خُزيمةَ، ثُم اختارَ من ولَد كِنانةَ قُريشًا، ثُم اختار من قُريشٍ بني هاشِمٍ، ثُم اختار مِن بني هاشِمٍ سيِّدَ ولَد آدَمَ مُحمدًا ﷺ.

وكذلك اختار أصحابَه مِن جُملة العالَمِين، واختار أُمَّته ﷺ على سائِرِ الأُمَم.

ومن هذا اختيارُه سبحانه وتعالى منَ الأماكِنِ والبِلاد خيرَها وأَشرَفَها، وهي البلَدُ الحرامُ.

ومن هذا تَفضيلُه بعضَ الأَيَّام والشهور على بعض، فخَيْر الأَيَّام عِنده يومُ النَّحْر، وهو يَوْمُ الحجِّ الأكبَر، كما في السُّنَن عنه ﷺ أنه قال: «**أَفضَلُ الأَيَّام عِندَ الله يومُ النَّحْرِ، ثُم يَوْمُ القَرِّ**»[(١)].

(١) أخرجه أبو داود (١٧٦٥).

وكذلِكَ لا يَألَف منَ الأَعمالِ إلَّا أَطيبَها، وهي الأَعمالُ الَّتي اجتَمَعَت على حُسْنها الفِطَر السَّليمة مع الشرائِعِ النَّبويَّة، وزكَّتْها العُقول الصَّحيحة، فاتَّفَق على حُسْنها الشرعُ والعقلُ والفِطرة، مِثل أن يَعبُد الله وحدَه لا يُشرِك به شيئًا، ويُؤثِر مَرضاتَه على هَواهُ.

وكذلك لا يَختار منَ المَطاعِم إلَّا أَطيبَها، وهو الحَلال الهَنيءُ المَريء الَّذي يُغذِّي البدَن والرُّوح أحسَنَ تَغْذية، مع سَلامة العَبْد من تبِعَته.

وكذلك لا يَختار منَ المَناكِح إلَّا أَطيبَها، ومنَ الرائِحة إلَّا أَطيبَها وأَزْكاها، ومِنَ الأَصْحاب والعُشَراء إلَّا الطيِّبين مِنهم.

ومِن هاهُنا يُعلَم اضطِرار العِباد فوقَ كل ذي ضَرورة إلى مَعرِفة الرسول وما جاءَ به، وتَصديقه فيما أَخبَر، وطاعته فيما أَمَر، فإنه لا سَبيلَ إلى السَّعادة والفَلاح لا في الدُّنْيا ولا في الآخِرة إلَّا على أَيْدي الرُّسل، ولا سَبيلَ إلى مَعرفةِ الطيِّب والخَبيثِ على التَّفصيل إلَّا من جِهتِهم، ولا يُنال رِضا الله البَتَّةَ إلَّا على أَيْديهم.

وإذا كانَتْ سعادةُ العبدِ في الدارين معلقةً بهدي النبيِّ ﷺ فيجبُ على كلِّ مَن نصَحَ نفسَه وأحبَّ نجاتَها وسعادتَها أن يعرفَ من هديِه وسيرتِه وشأنِه ما يخرُجُ به عن الجاهلين به، ويدخلُ به في عدادِ أتباعِه وشيعتِه وحزبِه، والناسُ في هذا بينَ مستقلٍّ ومستكثرٍ ومحرومٍ، والفضلُ بيدِ الله يُؤتِيه مَن يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيمِ.

وهَذه كلِمات يَسيرة لا يَستَغنِي عن مَعرِفتها مَن له أَدْنى هِمَّة إلى مَعرِفة نَبيِّه ﷺ وسِيرته وهَدْيه، اقتَضاها الخاطِر المَكْدود على عُجَره وبُجَره، مع البِضاعة المُزجاة الَّتي لا تُفتح لها أبوابُ السُّدُد، ولا يَتَنافَس فيها المُتنافِسون مع تَعليقها في حال سفَر لا إقامة، والقلب بكُلِّ وادٍ منه شُعبة، والهِمَّة قد تَفرَّقت شَذرَ مَذر.

[القسم الأول: شمائل النبي ﷺ]

١- فصل في نسَبِه ﷺ

وهو خَيْر أَهْل الأرض نسَبًا على الإطلاق، وأَعداؤُه كانوا يَشهَدون له بذلِكَ.

فهو مُحَمَّد بنُ عبد الله بنِ عبد المُطَّلِب بن هاشِم بنِ عبد مَناف بنِ قُصَيٍّ بنِ كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالِب بن فِهْر بن مالِك بن النَّضْر بن كِنانَةَ بن خُزَيْمَةَ بن مُدرِكَةَ بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزارِ بن مَعَدِّ بن عَدْنان.

إلى هاهُنا مَعلوم الصِّحَّة مُتَّفق عليه بين النسَّابين، لا خِلافَ فيه البَتَّة، وما فوقَ عَدنان فمُختَلَف فيه، ولا خِلافَ بينهم أن عَدنانَ مِن ولَد إسماعيلَ عليه السلام، وإسماعيلُ هو الذَّبيحُ على القول الصوابِ عِند عُلَماء الصحابةِ والتابعين ومَن بَعدَهم.

ولا خِلافَ أنه وُلِدَ ﷺ بجَوْف مكَّةَ، وأن مَولِده كان عامَ الفِيل، وكان أَمْر الفِيل تَقدِمةً قدَّمها الله لنبيِّه وبَيْته.

واختُلِف في وَفاة أبيه عبد الله، هل تُوفِّيَ ورَسولُ الله ﷺ حَمْل، أو تُوفِّيَ بعد وِلادته؟ أصحُّهما: أنه تُوفي ورسولُ الله ﷺ حَمْلٌ.

ولا خِلافَ أن أُمَّه ماتَتْ بين مكَّةَ والمَدينةِ بالأَبواءِ مُنصَرَفَها منَ المَدينة من زِيارة أخوالِه، ولم يَستكمِل إذ ذاك سَبعَ سِنينَ.

فكفَلَه جَدُّه عبدُ المُطَّلِب، وتُوفِّيَ ولرَسول الله ﷺ نحوُ ثَمانِ سِنينَ، ثُم كفَلَه عمُّه أبو طالِب، واستمَرَّت كَفالتُه له، فلَمَّا بلَغ ثِنتَيْ عشرةَ سَنَةً خرَج به عمُّه إلى الشام، وقيل: كان سِنُّه تِسعَ سِنين، في هذه الخَرْجةِ رآه بَحيرَى الراهِبُ وأَمَرَ عمَّه ألَّا يَقدَم به إلى الشام خوفًا عليه منَ اليَهود، فبعَثَه عمُّه مع بعض غِلمانه إلى المدينةِ.

فلَمَّا بلَغ خمسًا وعِشرين سَنَةً خرَج إلى الشام في تِجارة، فوصَل إلى بُصرَى ثُم رجَعَ فتَزوَّج عَقيب رُجوعه خديجةَ بنتَ خُوَيْلِد.

ثُمَّ حَبَّب الله إليه الخَلْوة والتَّعبُّد لربِّه، وكان يَخلو بغار حِراء يَتعبَّد فيه الليالِيَ ذوات العدَد، وبُغِّضَت إليه الأَوْثان ودِين قَوْمه، فلم يَكُن شيءٌ أبغضَ إليه من ذلك.

فلَمَّا كمل له أربَعون، أشرَقَ عليه نور النُّبوَّة وأَكرَمه الله تعالى برِسالته.

ولا خلافَ أن مبعثَه ﷺ كان يومَ الاثنين، واختُلِفَ في شهرِ المبعثِ.

وكمَّل الله له مِن مَراتِب الوَحيِ مَراتِبَ عَديدةً:

إحداها: الرُّؤيا الصادِقة، وكانت مَبدَأ وَحْيه ﷺ، وكان لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءَت مِثْل فلَق الصُّبْح.

الثانية: ما كان يُلقِيه الملَك في رُوعه وقَلْبه من غير أن يَراهُ.

الثالِثة: أنه ﷺ كان يَتمثَّل له الملَكُ رجُلًا فيُخاطِبه حتَّى يَعيَ عنه ما يَقول له، وفي هذه المَرتَبةِ كان يَراه الصحابةُ أحيانًا.

الرابِعةُ: أنه كان يَأتِيه في مِثْل صَلصَلة الجَرَس، وكان أَشَدَّه عليه، فيَتلبَّس به المَلَك حتَّى إن جَبينَه ليَتفَصَّد عرَقًا في اليَوْم الشَّديد البَرْد، وحتى إن راحِلَتَه لتَبرُك به إلى الأرض إذا كان راكِبَها، ولقَدْ جاءه الوحيُ مرَّةً كذلك وفخِذُه على فخِذِ زيد بنِ ثابِت فثَقُلَت عليه حتَّى كادَت تَرُضُّها.

الخامِسةُ: أنه يَرَى المَلَك في صُورتِه الَّتي خُلِق عليها، فيُوحِي إليه ما شاءَ اللهُ أن يُوحِيَه، وهذا وقَع له مرَّتَيْن كما ذكَر اللهُ ذلك في سورة النجم.

السادِسةُ: ما أَوْحاه اللهُ وهو فوقَ السمَوات ليلةَ المِعراج من فَرْض الصلاةِ وغيرِها.

السابِعة: كَلام الله سبحانه له مِنه إليه بلا واسِطةِ ملَك، كما كلَّم مُوسى بنَ عِمرانَ، وهذه المَرتَبةُ هي ثابِتة لمُوسَى قَطعًا بنصِّ القُرآن، وثُبوتُها لنَبيِّنا ﷺ هو في حَديث الإسراءِ[(١)].

٢- فصل في أُمَّهاتِه ﷺ اللَّاتي أرضَعْنَه

فمِنهُنَّ ثُوَيْبةُ مَولاةُ أبي لَهَب، أَرضَعَتْه أيَّامًا وأَرضَعَت معه أبا سلَمةَ عبدَ الله بنَ عبد الأَسَد المَخزوميَّ بلبَن ابنِها مَسروح، وأَرضَعَت مَعَها عمَّه حَمزةَ بنَ عبدِ المطَّلِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُم أَرضَعَتْه حليمةُ السَّعْدية بلبَن ابنِها عبدِ الله أخي أنيسةَ وجدامةَ -وهي الشَّيْماءُ- أَوْلاد الحارِثِ بنِ عبدِ العُزَّى بن رِفاعة السعديِّ، وأَرضَعَت معه ابنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢).

عمِّه أبا سُفيانَ بنَ الحارِث بن عبدِ المُطَّلِب، وكان شديدَ العَداوة لرَسول الله ﷺ، ثُم أَسلَم عامَ الفَتْح وحسُنَ إسلامُه، وكان عمُّه حَمزةُ مُستَرْضَعًا في بني سعد بن بَكْر فأَرضَعَت أُمُّه رسولَ الله ﷺ يومًا وهو عِند أُمِّه حَليمةَ، فكان حَمزةُ رَضيعَ النبيِّ ﷺ من جِهتَيْن: من جِهة ثُويبةَ، ومن جِهة السَّعْديةِ.

٣- فصل في حَواضِنه ﷺ

فمِنهن أُمُّه آمِنةُ بنتُ وهب بنِ عبد مَناف بن زُهرةَ بنِ كِلاب.

ومِنهن ثُويبةُ وحَليمةُ، والشيماءُ ابنتُها وهي أُختُه من الرَّضاعة كانت تَحضُنه مع أُمِّها، وهي الَّتي قدِمت عليه في وَفْد هوازِنَ، فبسَط لها رِداءَه، وأَجلَسَها عليه رِعاية لحَقِّها.

ومِنهن الفاضِلة الجَليلةُ أُمُّ أيمنَ برَكةُ الحبَشيَّة، وكان ورِثها من أبيه، وكانت دايَتَه وزوَّجها مِن حِبِّه زَيْد بنِ حارِثةَ، فولَدَت له أُسامةَ.

٤- فصل في مَبعَثه ﷺ وأوَّل ما أُنزِل عليه

بعثَه اللهُ على رأس أَربَعين وهي سِنُّ الكَمال، قيل: ولها تُبعَث الرُّسُل، وأمَّا ما يُذكَر عن المَسيح أنه رُفِع إلى السماء وله ثلاثٌ وثلاثون سَنَةً فهذا لا يُعرَف به أَثَرٌ مُتَّصِل يَجِب المَصير إليه.

وأَوَّل ما بُدِئَ به رَسولُ الله ﷺ مِن أَمْر النُّبوَّة الرُّؤيا.

ثُم أكرمَه اللهُ سبحانه تعالى بالنبوةِ، فجاءَه الملَكُ وهو بغار حِراء، وكان يُحِبُّ الخَلْوة فيه، فأوّل ما أُنزِل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١].

٥- فصل في تَرتيب الدَّعْوة ولها مَراتِبُ

المَرتَبةُ الأُولى: النُّبوَّة.

الثانِية: إنذار عَشيرته الأَقربين.

الثالثة: إنذارُ قومه.

الرابِعة: إنذارُ قومٍ ما أَتاهم من نَذير من قَبله وهمُ العرَب قاطِبةً.

الخامِسة: إنذار جَميع مَن بلَغَتْه دَعْوته مِنَ الجِنِّ والإنسِ إلى آخِرِ الدَّهْر.

فصل

فأَقام ﷺ بعد ذلك ثلاثَ سِنين يَدعو إلى الله سبحانه مُستَخفيًا، ثُم نزَل عليه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: ٩٤]، فأَعلَن ﷺ بالدَّعْوة وجاهَر قومَه بالعَداوة، واشتَدَّ الأذى عليه وعلى المُسلِمين حتَّى أذِنَ الله لهم بالهِجْرتين.

٦- فصل في أَسمائِه ﷺ

وكلُّها أسماء نُعوت ليست أعلامًا مَحضةً لُمجرَّد التَّعْريف، بل أَسماء مُشتَقَّة من صِفات قامت به تُوجِب له المَدْح والكَمال.

فمِنها: مُحمَّد، وهو أَشهَرُها، وبه سُمِّيَ في التَّوْراة.

ومِنها: أَحمدُ، وهو الاسمُ الَّذي سَمَّاه به المَسيحُ.

ومِنها: المُتوكِّل، والماحِي، والحاشِر، والعاقِب، والمُقفِّي، ونبيُّ الرحمة، ونبيُّ المَلحَمة، والفاتِح، ونَبيُّ التوبة، والأَمين.

وقال جُبيرُ بن مُطعِم: سَمَّى لنا رَسول الله ﷺ نفسَه أسماءً، فقال: «**أنا مُحمَّد، وأنا أَحمدُ، وأنا الماحِي الَّذي يَمْحو اللهُ بي الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الَّذي يُحشَر الناسُ على قدَمي، والعاقِبُ الَّذي ليس بعدَه نَبيٌّ**»(١).

أمَّا مُحمَّد: فهو اسمُ مَفعول من حمِد فهو مُحمَّد، إذا كان كَثيرَ الخِصال التي يُحمَد عليها؛ ولذلك كان أبلغَ من محمود، فإن محمودًا منَ الثلاثي المُجرَّد، ومُحمَّدًا منَ المُضاعَف للمُبالَغة.

وأمَّا أحمدُ: فهو اسمٌ على زِنة (أَفعَل) التفضيل مُشتَقٌّ أيضا من الحمدِ.

وأمَّا اسمُ المُتوكِّل: ففي صحيح البُخاريِّ عن عبد الله بن عَمرٍو قال: قرَأْت في التَّوراةِ صِفة النَّبيِّ ﷺ: مُحمَّد رَسولُ الله، عَبْدي ورَسولي، سمَّيْتك المُتوكِّل، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ، ولا صَخَّابٍ بالأَسْواق، ولا يَجزِي بالسيِّئة السيِّئة، بل يَعفو ويَصفَحُ، ولَنْ أَقبِضَه حتَّى أُقيمَ به المِلَّة العَوْجاءَ، بأن يَقولوا: لا إِلهَ إلَّا الله(٢).

وهو ﷺ أحقُّ الناس بهذا الاسمِ؛ لأنه تَوكَّل على الله في إقامة الدِّين تَوكُّلًا لم يَشرَكه فيه غيرُه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٥).

وأمَّا الماحِي: فهو الذي محا اللهُ به الكفرَ، ولم يُمحَ الكفرُ بأحد من الخلق ما مُحِيَ بالنبي ﷺ.

وأمَّا الحاشِرُ: فالحشرُ هو الضمُّ والجمعُ، فهو الذي يُحشرُ الناسُ على قدمِه، فكأنه بُعث ليحشر الناس.

والعاقبُ: الذي جاءَ عقبَ الأنبياءِ، فليس بعده نبيٌّ؛ فإن العاقبَ هو الآخرُ.

وأمَّا المُقفِّي: وهو الَّذي قَفَّى على آثار مَن تَقدَّمه من الرُّسل.

وأمَّا نَبيُّ التَّوْبة: فهو الَّذي فتَح الله به بابَ التوبة على أهل الأرض فتاب اللهُ عليهم توبةً لم يَحصُل مثلُها لأهل الأرض قبلَه.

وأمَّا نَبيُّ المَلحَمة: فهو الَّذي بُعِث بجِهاد أعداءِ الله، فلم يُجاهِد نبيٌّ وأُمَّته قطُّ ما جاهَد رَسولُ الله ﷺ وأُمَّتُه.

وأمَّا نبيُّ الرحمةِ: فهو الَّذي أَرسَله الله رحمةً للعالَمين، فرحِمَ به أهلَ الأرض كلَّهم مُؤمِنَهم وكافِرَهم.

وأمَّا الفاتِح: فهو الَّذي فتَحَ الله به باب الهُدى بعد أن كان مُرتجًا، وفتَح به الأَعيُن العُميَ والآذان الصمَّ والقُلوب الغُلْف.

وأمَّا الأَمين: فهو أحقُّ العالَمين بهذا الاسمِ، فهو أَمينُ الله على وَحْيه ودِينه، وهو أمينُ مَن في السَّماء، وأمينُ مَن في الأرض؛ ولهذا كانوا يُسمُّونه قبلَ النُّبوَّة الأَمين.

٧- فصل في أَوْلاده ﷺ

أَوَّلهم القاسِمُ، وبه كان يُكنَى، مات طِفلًا.

ثُم زَينبُ، وقيل: هي أَسَنُّ من القاسِم، ثُم رُقيَّةُ، وأُم كُلثومٍ، وفاطِمةُ، وقد قيل في كلِّ واحِدة مِنهن: إنها أَسَنُّ من أُختَيْها، وقد ذُكر عنِ ابنِ عبَّاس أن رُقيَّةَ أَسَنُّ الثلاث، وأُمُّ كُلثوم أَصغَرُهُنَّ.

ثُم ولِد له عبدُ الله.

وهَؤلاءِ كلُّهم مِن خَديجَةَ، ولم يُولَد له من زَوْجة غيرها.

ثُم ولِد له إبراهيمُ بالمدينة من سُرِّيَّته مارِية القِبطية سَنَة ثَمان منَ الهِجرة، وبشَّره به أبو رافِعٍ مَوْلاه، فوهَب له عَبدًا، ومات طِفلًا قبل الفِطام.

وكلُّ أَوْلاده تُوفِّي قبلَه إلَّا فاطِمةَ، فإنها تَأَخَّرت بعده بسِتَّة أَشهُر.

٨- فصل في أعمامه وعمَّاتِه ﷺ

فمِنهم أَسَدُ الله وأَسَدُ رَسوله سيِّد الشهَداءِ حمزةُ بنُ عبد المُطَّلِب، والعبَّاسُ، وأبو طالِب واسمُه عبد مَناف، وأبو لَهَب واسمُه عبدُ العُزَّى، والزُّبَيْر، وعبدُ الكَعْبة، والمُقوم، وضِرار، وقُثَم، والمُغيرةُ ولقَبُه حجل، والغَيْداق واسمُه مُصعَب، وقيل: نَوْفل، وزاد بعضُهم: العوَّام، ولم يُسلِم مِنهم إلَّا حَمزةُ، والعبَّاسُ.

وأمَّا عمَّاتُه ﷺ، فصَفيةُ أمُّ الزُّبَيْر بن العوَّام، وعاتِكةُ، وبَرَّةُ، وأَروَى، وأُمَيْمةُ، وأُمُّ حَكيم البيضاءُ، أَسلَم مِنهن صَفيَّةُ، واختُلِف في إسلام عاتِكةَ وأَروَى.

٩- فصل في أزواجه ﷺ

أُولاهُنَّ خَديجةُ بِنت خُوَيْلد القُرَشيَّة الأسَديَّة، تَزوَّج بها قبل النُّبوَّة، ولها أربَعون سَنة، ولم يَتزوَّج عليها حتى ماتت، وهي الَّتي آزَرَتْه على النُّبوَّة وجاهَدْت معه وواسَتْه بنَفْسها ومالِها، وأَرسَل الله تعالى إليها السلامَ مع جِبريلَ، وهذه خاصِّية لا تُعرَف لامرأةٍ سِواها، وماتت قبل الهِجْرة بثلاث سِنينَ.

ثُم تَزوَّج بعد موتها بأيام سَودةَ بنتَ زَمعةَ القُرَشيَّة وهي التي وهَبَت يومَها لعائِشةَ.

ثُمَّ تَزوَّج بعدها أمَّ عبدِ الله عائِشةَ الصِّدِّيقةَ بنتَ الصِّدِّيق المُبرَّأة من فوقِ سَبْع سَمَوات، حبيبة رَسول رب العالمين ﷺ، عائِشةَ بنتَ أبي بَكر الصِّدِّيق، وعرَضَها عليه المَلَكُ قبل نِكاحها في سَرَقة من حَريرٍ[(١)]، وقال: «هذه زَوجتُكَ»[(٢)]، تَزوَّج بها في شوَّال وعُمرُها سِتُّ سِنين، وبنَى بها في شوَّال في السَّنَة الأُولى من الهِجرة وعمرُها تِسعُ سِنين، ولم يَتزوَّج بِكرًا غيرها، وما نزَل عليه الوحيُ في لِحاف امرأةٍ غيرها، وكانت أحبَّ الخَلْق إليه، ونزَل عُذْرها من السَّماء، واتَّفَقَتِ الأُمَّة على كُفْر قاذِفِها.

ثُم تَزوَّج حَفصةَ بنتَ عُمرَ بنِ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُم تَزوَّج زينبَ بنتَ خُزيمةَ بنِ الحارِث القَيْسية من بَني هِلال بن عامِر، وتُوفِّيت عِنده بعد ضَمِّه لها بشَهْرين.

---

(١) (سَرَق الحرير): أجوده.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢٥)، ومسلم (٢٤٣٨).

ثُم تَزوَّج أمَّ سلَمةَ هِندَ بنتَ أبي أُميَّةَ القُرَشية المَخْزوميَّة، وهي آخِرُ نِساء رسول الله ﷺ مَوتًا.

ثُمَّ تَزوَّج زينبَ بِنتَ جَحْش من بَني أسَد بن خُزيمةَ، وهي ابنةُ عمَّته أُميمةَ، وفيها نزَل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وبذلك كانت تَفخَر على نِساء النبيِّ ﷺ وتَقول: زوَّجَكُنَّ أَهاليكُنَّ، وزوَّجَني اللهُ من فوقِ سَبْع سمَوات[١].

وتُوفِّيَت في أوَّل خِلافة عُمرَ بنِ الخطَّاب.

وتَزوَّج ﷺ جُوَيْريةَ بنتَ الحارِث بن أبي ضِرار المُصطَلِقية، وكانت من سبي بني المُصطَلِق، فجاءَتْه تَستَعين به على كِتابتِها، فأدَّى عنها كِتابَتَها وتَزوَّجَها.

وتَزوَّج أُمَّ حَبيبةَ واسمُها رَملةُ بنتُ أبي سُفيانَ صَخْر بن حَرْب القُرَشية الأُموية، وقيل: اسمُها هِندٌ، تَزوَّجها وهي بِبِلاد الحَبَشة مُهاجِرةً وأَصدَقها عنه النجاشيُّ أربعَمِئة دِينار، وسِيقَت إليه من هنالك، وماتت في أيَّام أخيها مُعاوية.

وتَزوَّج ﷺ صفيةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ سيدِ بني النضيرِ مِن ولدِ هارونَ بنِ عمرانَ أخي موسى عليهما السلام، فهي ابنةُ نبيٍّ، وزوجةُ نبيٍّ.

ثُم تَزوَّج مَيمونةَ بنتَ الحارِث الهِلاليةَ، وهي آخِرُ مَن تَزوَّج بها، تَزوَّجها بمكَّةَ في عُمرة القَضاء بعد أن حَلَّ مِنها على الصَّحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

ولا خِلافَ أنه ﷺ تُوفِّيَ عن تِسْعٍ، وكان يَقسِم مِنهن لثَمانٍ: عائِشةَ، وحَفصةَ، وزَيْنبَ بنت جَحْش، وأُمِّ سلَمةَ، وصَفيةَ، وأُمِّ حَبيبةَ، ومَيْمونةَ، وسَوْدةَ، وجُوْيرِيةَ.

وأوَّل نِسائِه لُحوقًا به بعد وفاته ﷺ زينبُ بنتُ جَحْش سَنَةَ عِشْرين، وآخِرُهُنَّ موتًا أُمُّ سلَمةَ سنة اثنَتَيْن وسِتِّين في خِلافةِ يَزيدَ.

١٠- فصل في سَرارِيه ﷺ

قال أبو عُبيدةَ: كان له أربَعٌ: مارِية وهي أُمُّ ولَده إبراهيمَ، ورَيْحانةُ وجارِيةٌ أُخرى جميلةٌ أَصابَها في بعض السَّبيِ، وجاريةٌ وهَبَتْها له زينبُ بنتُ جَحْش.

١١- فصل في موالِيه ﷺ

فمِنهم زَيْد بن حارِثةَ بن شَراحيل، حِبُّ رَسول الله ﷺ، أَعتَقَه وزوجَه مَوْلاته أُمَّ أيمنَ، فولَدَت له أُسامةَ. ومِنهم أَسلَمُ، وأبو رافِعٍ، وثَوبانُ، ومِن النساءِ: سَلمَى أمُّ رافعٍ، وميمونةُ بنتُ سعدٍ.

١٢- فصل في خُدَّامه ﷺ

فمِنهم أَنَسُ بنُ مالِك، وكان على حوائِجِه، وعبدُ الله بنُ مَسعود صاحِب نَعْله وسِواكه، وعُقبةُ بنُ عامِر الجُهَنيُّ صاحِب بَغْلته، يَقود به في الأسفار، وأسلَعُ بن شريك، وكان صاحِبَ راحِلته، وبِلال بن رَباح المُؤذِّن، وسَعْد، مَولَيا أبي بَكر الصِّدِّيق، وأبو ذَرٍّ الغِفاريُّ، وأيمَنُ بن عبيد، وأُمُّه أم أَيمَنَ مَولَيا رسول الله ﷺ، وكان أَيمَنُ على مَطهَرَته وحاجتِه.

١٣- فصل في كُتَّابه ﷺ

أبو بَكْر، وعُمرُ، وعُثمانُ، وعليٌّ، والزُّبَيْر، وعامِر بنُ فُهيرةَ، وأُبيُّ بنُ كعب، وعَمرُو بن العاص، وعبدُ الله بنُ الأرقم، وثابِتُ بن قَيْس بن شماس، وحَنظلةُ بن الرَّبيع الأُسَيْديُّ، والمُغيرةُ بن شُعبةَ، وعبدُ الله بن رَواحةَ، وخالِدُ بنُ الوليد، وخالدُ بنُ سَعيد بن العاص -وقيل: إنه أوَّل مَن كتَبَ له- ومُعاوِيةُ بن أبي سُفيانَ، وزَيْد بن ثابِت وكان أَلْزَمَهم لهذا الشأنِ وأَخصَّهُم به.

١٤- فصل في كُتُبه ﷺ التي كَتَبها إلى أَهْل الإِسْلام في الشرائِع

فمِنها كِتابه في الصدَقاتِ الذي كان عِند أبي بَكْر، وكَتَبه أبو بَكْر لأنَسِ بنِ مالِك لَمَّا وجَّهَه إلى البَحْرين وعليه عمَلُ الجُمهور.

ومِنها كِتابه إلى أهل اليَمَن، وهو الكِتاب الَّذي رَواه أبو بَكْر بن عَمرِو بنِ حَزْم، عن أبيه، عن جَدِّه.

١٥- فصل في رُسُله ﷺ وكُتُبه إلى المُلوك

لَمَّا رجَع منَ الحُدَيْبية كتَب إلى مُلوك الأرض وأَرسَل إليهم رُسُله، فكتَبَ إلى الرُّوم، فقيل له: إنَّهم لا يَقرؤُون كِتابًا إلَّا أن يكون مَختومًا فاتَّخَذ خاتمًا من فِضَّة ونقَشَ عليه ثلاثةَ أَسطُر: مُحمَّد سَطْر، ورَسولُ سَطْر، والله سَطْر، وختَمَ به الكُتُب إلى المُلوك، وبعَث سِتَّة نفَر في يوم واحِد في المُحرَّم سَنَة سَبْع.

فأَوَّلُهم عمرُو بن أُميَّةَ الضَّمْريُّ، بعَثه إلى النجاشيِّ.

وبعَث دِحيةَ بنَ خَليفةَ الكَلبيَّ إلى قَيْصَر ملِك الرُّوم، واسمُه هِرقلُ وهَمَّ بالإسلام وكادَ، ولم يَفعَل.

وبعَث عبدَ الله بن حُذافةَ السَّهْميَّ إلى كِسرى، واسمُه أَبرويز بنُ هُرمُزَ بنِ أَنوشُروانَ، فمَزَّق كِتاب النَّبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مَزِّقْ مُلْكَهُ**»، فمزَّق اللهُ مُلْكه ومُلْك قومه[(١)].

وبعَث حاطِبَ بنَ أبي بَلتعةَ إلى المُقوقِس، واسمُه جُرَيْج بن مِيناءَ ملِك الإِسكَندرية عَظيمُ القِبْط، فقال خيرًا وقارَب الأَمْر ولم يُسلِم، وأَهدَى للنبيِّ ﷺ مارِيةَ وأُختَيْها سِيرين وقيسرى، فتَسرَّى بمارِيةَ، ووهَب سِيرين لحَسَّانَ بنِ ثابِت، وأَهدَى له جارِية أُخْرى، وألفَ مِثقال ذهبًا، وعِشرين ثوبًا من قُباطي مِصرَ، وبَغلة شَهباءَ وهي دُلدُل، وحِمارًا أَشهَبَ، وهو عُفَيْر، وغُلامًا خَصيًّا يُقال له: مابورُ. وقيل: هو ابنُ عمِّ مارِيةَ، وفرَسًا وهو اللزاز، وقدَحًا من زُجاج وعسَلًا.

وبعَث عَمرَو بن العاص في ذي القَعدةِ سَنة ثَمانٍ إلى جيفر وعبد الله ابنَي الجُلَندى الأَزْدِيِّين بعمانَ، فأَسلَما، وصدقَا، وخلَّيا بين عَمرٍو وبين الصدَقة والحُكْم فيما بينَهم، فلم يَزَل فيما بينَهم حتَّى بلَغَته وَفاةُ النبي ﷺ.

وبعَث العَلاء بنَ الحَضرميِّ إلى المُنذِر بن ساوَى العَبديِّ مِلك البَحرَيْن قبل مُنصَرَفه من الجِعرَّانة وقيل: قبل الفَتْح فأَسلَم وصدَق.

وبعَث المُهاجِر بنَ أبي أُميَّةَ المَخْزوميَّ إلى الحارِث بن عبدِ كُلالٍ الحِميريِّ باليمَن، فقال: سأَنظُر في أَمْري.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤).

وبعَث أبا مُوسى الأَشعريَّ، ومُعاذَ بنَ جبَل إلى اليمَن عِند انصِرافه من تَبوكَ.

فأَسلَم عامَّة أَهْلها طوعًا من غَيْر قِتال.

وبَعَثَ عمرَو بنَ أمية الضَّمْرِيَّ إلى مسيلمةَ الكذابِ بكتابٍ، وكتبَ إليه بكتابٍ آخرَ مع السائبِ بنِ العوام أخي الزبيرِ فلم يُسْلِمْ.

١٦- فصل في مُؤذِّنيه ﷺ

وكانوا أربعةً: اثنانِ بالمَدينة: بِلال بن رَباح، وهو أوَّل مَن أذَّن لرَسول الله ﷺ، وعَمرُو بنُ أُمِّ مَكتوم القُرَشيُّ العامِريُّ الأَعمى، وبقُباءَ: سَعْد القَرَظ مَولى عمَّار بن ياسِر، وبمكَّةَ: أبو محذورةَ، واسمُه أَوْس بن مُغيرةَ الجُمَحيُّ.

١٧- فصل في أُمَرائه ﷺ

مِنهم باذانُ بنُ ساسان، مِن ولَد بَهرام بن جور، أمَّرَه رسولُ الله ﷺ على أهل اليمَنِ كلِّها بعد موت كِسرَى، فهو أوَّل أَميرٍ في الإِسلام على اليمَن، وأوَّل مَن أَسلَم من مُلوك العجَم.

وولَّى أبا مُوسى الأشعريَّ زُبَيْد وعدَن والساحِل.

وولَّى مُعاذَ بن جبَل الجَنَد.

وولَّى أبا سُفيانَ صَخْر بن حَرْب نَجرانَ.

وولَّى عليَّ بن أبي طالِب الأَخْماس باليَمَن والقَضاء بها.

وولَّى عَمرَو بن العاص عمانَ وأَعْمالها.

وولَّى الصدَقاتِ جماعةً كثيرةً؛ لأنه على كل قَبيلة والٍ يَقبِض صدَقاتِها، فمِن هُنا كثُر عُمَّال الصدَقات.

وولَّى أبا بَكْر إقامة الحجِّ سَنَة تِسْع، وبعَث في إِثْره عليًّا يَقرَأ على الناس سُورة (بَراءة).

١٨- فصل في حرَسِه ﷺ

فمِنهم سَعْد بنُ مُعاذ، حرَسَه يومَ بَدْر حين نام في العَريش، ومنهم مُحمَّد بن مَسلَمةَ حرَسَه يومَ أُحُد، والزُّبَيْر بن العوَّام حرَسَه يومَ الخَنْدَق.

ومِنهم عبَّاد بن بِشْر، وهو الذي كان على حرَسه، وحرَسَه جماعةٌ آخَرون غير هَؤلاء، فلَمَّا نزَل قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] خرَج على الناس فأَخبَرَهُم بها وصرَف الحرَس.

١٩- فصل فيمَن كان يَضرِب الأعْناق بين يَدَيْه ﷺ

عليُّ بنُ أبي طالِب، والزُّبَيْر بن العوَّام، والمِقدادُ بن عَمرٍو، ومُحمَّد بنُ مَسلَمةَ، وعاصِم بنُ ثابت بن أبي الأَقلَح، والضحَّاكُ بن سُفيانَ الكِلابيُّ.

وكان قَيْس بن سَعْد بنِ عُبادةَ الأنصاريُّ منه ﷺ بمَنزِلة صاحِب الشُّرْطة منَ الأَمير، ووقَفَ المُغيرةُ بنُ شُعبةَ على رأسه بالسَّيْف يوم الحُدَيْبيةِ.

٢٠- فصل فيمَن كان على نَفَقاتِه وخاتَمِه ونَعْله وسِواكِه ومَن كان يَأذَن عليه

كان بِلالٌ على نفَقاتِه، ومُعَيْقيبُ بن أبي فاطِمةَ الدَّوْسيُّ على خاتَمه، وابنُ مَسعود على سِواكه ونَعْله، وأذِنَ عليه رَباح الأَسوَد وأَنسةُ مَوْلَياه، وأَنَسُ بنُ مالك، وأبو مُوسى الأشعريُّ.

٢١- فصل في شُعَرائه وخُطَبائِه ﷺ

كان شُعَراؤه الذين يَذُبُّون عنِ الإسلام: كَعْب بن مالِك، وعبدُ الله بنُ رَواحةَ، وحسَّانُ بنُ ثابِت، وكان أشَدُّهم على الكُفَّار حسَّانَ بنَ ثابت، وكَعْب بن مالِك يُعيِّرهم بالكُفْر والشِّرْك، وكان خَطيبُه ثابتَ بنَ قيسِ بن شماسٍ.

٢٢- فصل في حُداتِه الَّذين كانوا يَحْدون بين يَدَيْه ﷺ في السفَر

مِنهم عبدُ الله بنُ رَواحةَ، وأَنجشةُ، وعامِرُ بن الأَكوَع، وعمه سلَمةُ بن الأَكوع، وفي صَحيح مُسلِم: كان لرَسولِ الله ﷺ حادٍ حسَنُ الصوت، فقال له رَسولُ الله ﷺ: «رُوَيْدًا يا أَنجَشةُ لا تَكسِرِ القَواريرَ» يَعنِي: ضَعَفةَ النِّساء[١].

٢٣- فصل في غَزَواته وبُعوثِه وسَراياه ﷺ

غَزواتُه كلُّها وبُعوثُه وسَراياهُ كانت بعد الهِجْرة في مُدَّة عَشْر سِنينَ، فالغزَوات سَبْع وعِشْرون. وقيلَ: تسعٌ وعشرون، وقيلَ غير ذلك.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٣).

قاتل منها في تسعٍ: بَدْر، وأُحُد، والخَندَق، وقريظةَ، والمصطلقِ، وخيبرَ، والفتحِ، وحنين، والطائفِ.

وأمَّا سَراياهُ وبُعوثُه، فقريب من سِتِّين، والغَزَواتُ الكِبار الأُمَّهاتُ سَبْع: بَدْر، وأُحُد، والخَندَق، وخَيبرُ، والفَتْحُ، وحُنَيْنٌ، وتَبوكُ. وفي شَأْن هذه الغَزواتِ نزَل القُرآن، فسُورة الأنفال: سُورة بَدْر، وفي أُحُد آخِر آل عِمرانَ من قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى قُبَيْل آخِرِها بيَسير، وفي قِصَّة الخَندَق، وقُرَيْظةُ صَدْر سورة الأحزاب، وُسورة الحَشْر في بَني النَّضير، وفي قِصَّة الحُدَيْبية وخيبرَ سُورة الفتح وأُشيرَ فيها إلى الفَتْح، وذُكِر الفَتْحُ في سُورة النَّصْر صَريحًا.

وجُرِحَ منها رسول الله ﷺ في غَزوةٍ واحِدة وهي أُحُد، وقاتَلَت معَه المَلائِكةُ مِنها في بَدْر وحُنينٍ، ونزَلَتِ المَلائِكةُ يومَ الخَندَق، فزَلْزَلَتِ المُشرِكين وهزَمَتْهم، ورَمَى منها بالحصى في وُجوه المُشرِكين فهَرَبوا، وكان الفتحُ في غَزْوتَيْن: بَدْر، وحُنينٍ.

وقاتَلَ بالمَنجَنيق منها في غَزوة واحِدة، وهي الطائِف، وتَحصَّن بالخَندَق في واحِدة، وهي الأحزابُ أَشار عليه به سَلمانُ الفارِسيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٤- فصل في ذِكْر سِلاحِه وأَثاثِه ﷺ

كان له تِسْعةُ أَسْيافٍ:

مَأْثور، وهو أوَّل سَيْف ملَكَه، ورِثَه من أَبيه.

والعضب، وذو الفِقار -بكَسْر الفاء وفَتْحها- وكان لا يَكاد يُفارِقه، وكانت قائِمتُه وقبيعته وحلقتُه وذُؤابتُه وبكراته ونَعْله من فِضَّة.

والقلعي، والبَتَّار، والحَتْف والرُّسوب، والمخذم، والقَضيب، وكان نَعْل سَيْفه فِضَّة، وقبيعة سيفه فِضَّة، وما بين ذلك حلق فِضَّة.

وكان سَيْفه ذو الفَقار تَنفَّله يومَ بَدْر، وهو الَّذي أُرِيَ فيه الرُّؤيا، ودخَل يومَ الفَتح مكَّةَ وعلى سَيْفه ذهَب وفِضَّة.

وكانت له سَبع أَدراع: ذات الفُضول: وهي الَّتي رهَنَها عِند أبي الشَّحْم اليَهوديِّ على شَعير لعِياله، وكانت ثلاثين صاعًا، وكان الدَّيْن إلى سَنَة، وكانتِ الدِّرْع من حَديد.

وذات الوِشاح، وذات الحَواشِي، والسَّعْدية وفِضَّة، والبَتراء والخِرنِق.

وكانت له سِتُّ قِسيٍّ: الزَّوْراء، والرَّوْحاء، والصَّفْراء، والبَيْضاء، والكَتوم، كُسِرَت يومَ أُحُد فأَخَذَها قَتادةُ بنُ النُّعمان، والسداد.

وكانت له جُعبةٌ تُدعى: الكافورَ.

وكان له تُرْس يُقال له: الزلوق، وتُرْس يُقال له: الفتق. قيل: وتُرْس أُهدِيَ إليه، فيه صورة تِمثال فوضَع يدَه عليه فأَذهَب اللهُ ذلك التِّمثالَ.

وكانت له خمسةُ أَرماح، يُقال لأَحَدهم: المثوي، وللآخَر: المثني، وحَرْبة يُقال لها: النبعة. وأُخرى كَبيرة تُدعَى: البَيْضاء، وأُخرى صَغيرة شِبْه العُكاز يُقال لها: العَنَزة يُمشى بها بين يدَيْه في الأعياد، حتى تُركَز أمامه، فيَتَّخِذها سُترة يُصلِّي إليها، وكان يَمشِي بها أحيانًا.

وكان له مِغفَر من حَديد يُقال له: المُوشَّح، وشِّح بشَبَه، ومِغفَر آخَرُ يُقال له: السَّبوغ، أو ذو السَّبوغ.

وكان له ثَلاثُ جِبابٍ يَلبَسها في الحَرْب.

وكانت له رايةٌ سَوداءُ يُقال لها: العُقاب.

وكانت ألويتُه بيضاءُ، وربما جُعِلَ فيها الأسودُ.

وكان له فِسطاطٌ يُسمَّى: الكنَّ، ومِحجَن قَدْر ذِراع أو أَطوَلُ يَمشِي به ويَركَب به، ويُعلِّقه بين يديه على بَعيره، ومِخصَرة تُسمَّى: العُرجون، وقَضيب من الشوحط يُسمَّى: المَمْشوق. قيل: وهو الَّذي كان يَتَداوَله الخُلَفاء.

وكان له قدَح يُسمَّى: الرَّيان، ويُسمَّى مُغيثًا، وقدَح آخَرُ مُضبَّب بسلسلة من فِضَّة.

وكان له قدَح من قَوارير، وقدَح من عِيدان يُوضَع تحت سَريره يَبول فيه باللَّيْل، ورَكوة تُسمَّى: الصادِر، ومِخضَب من شَبَه، وقِعْب يُسمَّى: السَّعة، ومُغتَسَل من صُفْر، ومَدهَن، ورَبْعة يَجعَل فيها المِرآة والمِشْط، ومُكحُلة يَكتَحِل منها عِند النوم ثلاثًا في كل عَيْن بالإِثمِد، وكان في الرَّبْعة المِقْراضان والسِّواك.

وكانت له قَصعةٌ تُسمَّى: الغَرَّاء، وسَرير قَوائِمُه من ساجٍ، وفِراش من أَدَم حَشْوُه لِيف.

وهذه الجملةُ قد رُويت مفرقةً في أحاديثَ.

٢٥- فصل في دَوابِّه ﷺ

فمِنَ الخَيْل: السكب. قيل: وهو أوَّل فرَس مَلَكَه، وكان أغرَّ مُحجَّلًا طَلْق اليَمين كُميتًا.

والمُرتَجز، وكان أشهَبَ وهو الَّذي شهِد له فيه خُزَيمةُ بن ثابِت.

واللَّحيف، واللِّزَّاز، والظَّرِب، وسُبْحة، والوَرْد. فهذه سَبعة مُتَّفَق عليها.

وكان دفَّتَا سَرْجه من لِيف وكان له من البِغال دُلدُل، وكانت شَهباءَ أَهداها له المُقوقِس. وبَغلة أُخْرى يُقال لها: فِضَّة. أَهداها له فَروةُ الجُذاميُّ، وبَغْلة شَهباءُ أَهداها له صاحِبُ أيلةَ، وأُخرى أَهداها له صاحِبُ دُومة الجَندَل.

ومن الحَمير: عُفَيْر وكان أشهبَ، أَهداه له المُقوقِس ملَك القِبْط، وحِمار آخَرُ أَهداهُ له فَروةُ الجُذاميُّ.

ومِنَ الإِبِل: القَصواءُ، قيل: وهي الَّتي هاجَر علَيْها، والعَضباءُ، والجَدعاءُ، ولم يَكُن بها عَضْب ولا جَدْع، وإنما سُمِّيَت بذلك، والعَضباء هي الَّتي كانت لا تُسبَق، ثُم جاء أعرابيٌّ على قَعود له فسبَقَها، فشَقَّ ذلك على المُسلِمين، فقال رسولُ الله ﷺ «**إنَّ حَقًّا على الله أَلَّا يرفَعَ مِنَ الدُّنيا شَيئًا إلَّا وَضَعَهُ**»[(١)]، وغنِمَ ﷺ يومَ بَدْر جَمَلًا مهريًّا لأبي جَهْل في أَنْفه برَّة من فِضَّة، فأَهداهُ يوم الحُدَيبية ليَغيظ بذلك المُشرِكين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠١).

وكانت له خَمْس وأربَعون لِقحة، وكانت له مُهريةٌ أَرسَل بها إليه سَعدِ بن عُبادةَ من نعَم بَني عَقيل.

وكانت له مِئة شاة وكان لا يُريد أن تَزيد، كلَّما وَلَّد الراعِي بهمة، ذَبَح مَكانها شاةً، وكانت له سَبْع أَعنُز مَنائِح تَرعاهُنَّ أمُّ أَيمنَ.

٢٦- فصل في مَلابِسه ﷺ

كانت له ﷺ عِمامة تُسمَّى: السَّحاب كَساها عليًّا، وكان يَلبَسها تَحتها القُلُنسوة، وكان ﷺ يَلبَس القُلُنسوة بغَيْر عِمامة، ويَلبَس العِمامة بغَيْر قُلُنسوة.

وكان إذا اعتَمَّ أَرخَى عِمامته بين كَتِفَيْه، كما روى مسلمٌ في صَحيحه عن عمرِو بن حُرَيْث قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ على المِنبَر وعليه عِمامة سَوداءُ قد أَرخَى طرَفَيْها بين كتِفَيْه[(١)].

وفي مُسلِم أيضًا عن جابِر بن عبد الله أن رَسول الله ﷺ دخَل مكَّةَ وعليه عِمامةٌ سَوداءُ[(٢)] ولم يَذكُر في حديث جابِر: ذُؤابة، فدَلَّ على أن الذُّؤابة لم يَكُن يُرخيها دائمًا بين كتِفَيْه.

ولَبِسَ القَميص وكان أَحَبَّ الثِّياب إليه، وكان كُمُّه إلى الرُّسْغ، ولبِس الجُبَّة والفُروج وهو شِبه القَبَاء، والفَرجية، ولَبِسَ القُباء أيضًا، ولبِسَ في السفَر جُبَّة ضيِّقة الكُمَّيْن، ولبِسَ الإزار والرِّداء.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٨).

ولبِسَ حُلَّة حَمراءَ، والحُلَّة إزار ورِداء، وغلط مَن ظنَّ أنها كانت حمراءَ بحتًا لا يُخالِطها غيره، وإنما الحُلَّة الحَمراء: بُردان يَمانِيان مَنسوجان بخُطوط حُمْر مع الأَسوَد، كسائِر البُرود اليَمنيَّة.

ولبِسَ الخميصةَ المعلمةَ والسَّاذجةَ، ولبِسَ ثوبًا أسودَ، ولبِسَ الفروةَ المكفوفةَ بالسندسِ.

واشتَرَى سَراويلَ، والظاهِرُ أنه إنما اشتَراها لِيَلبَسها، وقد رُوِيَ في غير حَديث أنه لبِسَ السَّراويلَ وكانوا يَلبَسون السَّراويلاتِ بإِذْنه.

ولبِسَ الخُفَّيْن ولبِسَ النَّعْل الَّذي يُسمَّى التاسومة.

ولبِسَ الخاتَمَ، واختلفَتْ الأحاديثُ: هل كان في يمناه أو يسراه؟ وكلُّها صحيحةُ السندِ.

ولبِسَ البيضةَ التي تُسمَّى: الخوذةَ، ولبِسَ الدرعَ التي تُسمَّى: الزرديةَ، وظاهَرَ يومَ أحدٍ بينَ الدرعينِ.

وفي صحيح مُسلِم عن أسماءَ بنتِ أبي بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: هَذه جُبَّة رَسولِ الله ﷺ. فأَخرَجَت جُبَّة طيالِسة كِسروانِية لها لَبِنة دِيباج، وفَرْجاها مَكْفوفان بالدِّيباج، وقالت: هذه كانت عند عائِشةَ حتَّى قُبِضَت، فلمَّا قُبِضَت قبَضْتُها، وكان النبيُّ ﷺ يَلبَسها، فنحن نَغسِلها للمَرضَى يُستَشْفَى بها[(١)].

وكان له بُرْدانِ أَخضَران وكِساء أسوَدُ وكِساءٌ أحمرُ مُلبَّد وكِساء من شَعْر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٦٩).

وكان قَميصُه من قُطْن، وكان قَصير الطول قَصير الكُمِّ.

وكان أحبُّ الثِّياب إليه القميصَ والحِبَرة، وهي ضَرْب منَ البُرود فيه حُمْرة.

وكان أحبُّ الألوان إليه البياضَ، وقال «**هِيَ مِنْ خَيْرِ ثِيابِكُمْ فَالْبَسُوها وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**»[(١)]، وفي الصحيح: عن عائِشةَ أنَّها أَخرَجَت كِساءً مُلبَّدًا وإِزارًا غَليظًا فقالَتْ: نُزِع رُوحُ النبيِّ ﷺ في هَذَيْن[(٢)].

وكان أغلبُ ما يَلبَسه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو وأَصحابُه ما نُسِج مِنَ القُطْن، ورُبَّما لِبسوا ما نُسِج من الصُّوف والكَتَّان.

وكان إذا استَجَدَّ ثوبًا سَمَّاه باسمِه، وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذا الْقَمِيصَ أَوِ الرِّدَاءَ أَوِ الْعِمَامَةَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**»[(٣)].

وكان إذا لبِسَ قَميصَه بدَأَ بمَيامِنه، ولبِسَ الشعر الأسودَ، كما روى مُسلِم في صَحيحه عن عائِشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: خرَج رَسولُ الله ﷺ وعليه مِرْط مُرحَّل من شَعر أسوَدَ[(٤)].

وفي الصحيحَيْن عن قَتادةَ: قُلْنا لأَنَس: أيُّ اللِّباس كان أحبَّ إلى رَسول الله ﷺ؟ قال الحِبَرَةُ[(٥)]، والحِبَرة بُرْد من بُرود اليَمن، فإن غالب لِباسِهم كان من نَسْج

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٦١)، والترمذي (٩٩٤)، وابن ماجه (١٤٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨١٨)، ومسلم (٢٠٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٨١).

(٥) أخرجه البخاري (٥٨١٢)، ومسلم (٢٠٧٩).

اليَمَن؛ لأنها قَريبة منهم، ورُبَّما لبِسوا ما يُجلَب منَ الشام ومِصرَ كالقُباطيِّ المَنسوجة من الكَتَّان الَّتي كانت تَنسجُها القِبْط.

وكانت مِخدَّته ﷺ من أَدَم حَشوُها لِيف.

فالذين يَمتَنِعون عمَّا أَباح الله منَ المَلابِس والمَطاعِم والمَناكِح تَزهُّدًا وتَعبُّدًا بإزائِهم طائِفة قابَلوهم، فلم يَلبَسوا إلَّا أَشرَف الثِّياب، ولم يَأكُلوا إلَّا أَلينَ الطَّعام، فلا يَرَوْن لُبْس الخشِن ولا أَكْله تَكبُّرًا وتَجبُّرًا، وكِلتا الطائِفتَيْن هَديُه مُخالِف لهَدي النبيِّ ﷺ؛ ولهذا قال بعضُ السلَف: كانوا يَكرَهون الشُّهْرتين من الثِّياب العالي والمُنخَفِض.

٢٧- فصل في هَديه ﷺ في الطَّعام

وكذلك كان هَديُه ﷺ وسِيرته في الطَّعام لا يَرُدُّ مَوجودًا ولا يَتكلَّف مَفقودًا، فما قُرِّب إليه شيءٌ منَ الطَّيِّبات إلَّا أَكَله، إلَّا أن تَعافَه نفسُه فيَترُكه من غير تَحريم وما عابَ طعامًا قطُّ، إنِ اشتَهاه أَكَلَهُ وإلَّا تَرَكَه.

كان هَديُه أَكْل ما تيسَّر، فإن أَعوَزَه صبَرَ حتَّى إنه ليَربِط على بَطْنه الحجَر من الجُوع، ويُرَى الهِلال والهِلال والهِلال فلا يُوقَد في بيته نارٌ.

وكان مُعظَم مَطعَمه يُوضَع على الأرض في السفرة وهي كانت مائِدته، وكان يَأكُل بأَصابعه الثَّلاث ويَلعَقها إذا فرَغ، وهو أشرفُ ما يَكون من الأكلة، فإن المُتكبِّر يَأكل بأُصبُع واحِدة، والجَشِع الحَريص يَأكُل بالخَمس ويَدفَع بالراحة.

وكان لا يَأكُل مُتَّكئًا.

وكان يُسمِّي الله تعالى على أوَّل طَعامه، ويَحْمَده في آخِره فيَقول عِند انقِضائِه: «**الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُبارَكًا فيه غير مَكْفيٍّ ولا مُوَدَّعٍ ولَا مُستَغْنًى عَنْهُ رَبَّنا**»(١).

وكان أكثرُ شربِه قاعدًا، بل زَجَرَ عن الشربِ قائمًا، وشَرِبَ مرةً قائمًا، والصحيحُ في هذه المسألةِ: النهيُ عن الشرب قائمًا، وجوازُه لعذرٍ يمنعُ من القعودِ، وبهذا تجمتع الأحاديثُ، والله أعلم.

وكان إذا شَرِبَ ناوَلَ مَن على يمينِه وإن كان مَن على يسارِه أكبرَ منه.

٢٨- فصل في هَديه في النِّكاح ومُعاشَرته ﷺ أهْلَه

صَحَّ عنه ﷺ من حديثِ أَنَس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه ﷺ قال: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِن دُنْياكُمْ: النِّساءُ والطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني فِي الصَّلاةِ**»(٢).

وأَباح الله له من ذلك ما لم يُبِحْه لأحَد من أُمَّته.

وكان ﷺ يَقسِم بينَهن في المَبيت والإيواءِ والنفَقةِ.

وطلَّق ﷺ وراجَع، وآلَى إيلاءً مُؤقَّتًا بشَهْر، ولم يُظاهِر أبَدًا.

وكانت سِيرتُه مع أزواجه حُسْنَ المُعاشَرة وحُسْنَ الخُلُق.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).

وكان يُسرِّب إلى عائِشةَ بَناتِ الأنصار يَلعَبْن معَها، وكانت إذا هَوِيَت شيئًا لا محذورَ فيه تابَعَها عليه، وكانت إذا شرِبَت منَ الإناءِ أخَذَه فوضَع فمَه على مَوضِع فمِها وشَرِب، وكان إذا تَعرَّقت عَرقًا -وهو العَظْم الذي عليه لَحْم- أخَذَه فوضَع فمَه مَوضِع فَمِها، وكان يَتَّكِئ في حَجْرها ويَقرَأ القُرآن ورَأسُه في حَجْرها وربما كانت حائِضًا، وكان يَأمُرها وهي حائِضٌ فتَتَّزِر ثُم يُباشِرها، وكان يُقبِّلها وهو صائِم، وكان ﷺ من لُطْفه وحُسْن خُلُقه مع أَهْله أنه يُمكِنها منَ اللعِب ويُريها الحَبَشة وهم يَلعَبون في مَسجِده وهي مُتَّكِئة على مَنكِبه تَنظُر، وسابَقَها في السفَر على الأقدامِ مرَّتَيْن، وتَدافَعَا في خُروجِهما من المَنزِل مرَّةً.

وكان إذا أَراد سفَرًا أَقرَع بين نِسائِه، فأَيَّتُهُن خرَج سَهمُها خرَجَ بها معه، ولم يَقضِ للبَواقِي شيئًا.

وكان إذا صلَّى العصرَ دار على نِسائه فدَنا مِنهُنَّ واستَقْرَأ أَحْوالَهُن، فإذا جاءَ الليلُ انقَلَب إلى بَيْت صاحِبة النَّوْبة فخَصَّها باللَّيْل.

وكان ﷺ يَأتِي أهلَه آخِر الليلِ وأوَّله، وإذا جامَع أوَّل الليل فكان ربما اغتَسَل ونام، وربما توضَّأ ونامَ.

وكان إذا سافَر وقدِمَ لم يَطرُق أهلَه ليلًا.

٢٩- فصل في هَدْيه وسِيرته ﷺ في نَوْمه وانتِباهِه

كان يَنام على الفِراش تارةً، وعلى النِّطعِ تارةً، وعلى الحَصير تارةً، وعلى الأرض تارةً، وعلى السَّرير تارةً بين رِماله، وتارةً على كِساء أسودَ.

قال عَبَّاد بن تَميم، [عن عَمِّه]: رأَيْتُ رَسولَ الله ﷺ مُستَلقِيًا في المَسجِد واضِعًا إِحْدى رِجْليه على الأُخْرى[(١)].

وكان إذا أَوَى إلى فراشِه للنومِ قال: «**باسمِكَ اللهُمَّ أَحْيَا وأَموتُ**»[(٢)].

وكان يَجمَعُ كفَّيه ثُم ينفثُ فيهما، ويقرأُ فيهما: ﴿قل هو الله أحد﴾، و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾، ثُم يمسحُ بهما ما استطاعَ من جسدِه، يبدأُ بهما على رأسِه ووجهِه وما أَقبلَ من جسدِه، يفعلُ ذلك ثلاثَ مراتٍ[(٣)].

وكان ينامُ على شقِّه الأيمنِ ويضعُ يدَه اليمنى تحتَ خدِّه الأيمنِ ثُم يقولُ: «**اللهُمَّ قِني عذابَك يومَ تَبعثُ عبادَك**»[(٤)]، وكان يقولُ إذا أَوَى إلى فراشِه: «**الحمدُ لله الذي أَطعمَنا وسَقانا وكَفانا وآوانا، فكَمْ ممَّن لا كافِيَ له ولا مُؤوِيَ**» ذكره مسلم[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥)، ومسلم (٢١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٤٥)، والنسائي (٢٣٦٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧١٥).

وذكر أيضًا أنه كان [يقولُ] إذا أَوَى إلى فراشِه: «**اللهُمَّ ربَّ السمواتِ والأرضِ، وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنوَى، مُنزِلَ التوراةِ والإنجيلِ والقرآن، أعوذُ بك من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخذٌ بناصيتِه، أنت الأولُ فليس قبلَك شيءٌ، وأنت الآخرُ فليس بعدَك شيءٌ، وأنت الظاهرُ فليس فوقَك شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونَك شيءٌ، اقضِ عنا الدَّيْنَ وأَغنِنا من الفقرِ**»(١).

وكان ﷺ إذا استيقظَ من الليل قال: «**لا إلهَ إلا أنت سبحانَك، اللهُمَّ إني أَستغفرُك لذنبي، وأسألُك رحمتَك، اللهُمَّ زِدني علمًا ولا تُزِغْ قلبي بعدَ إذ هديتَني، وهبْ لي مِن لدنك رحمةً، إنك أنت الوهابُ**»(٢).

وكان إذا انتبَه من نومِه قال: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتَنا وإليه النشورُ**»(٣)، ثُم يتسوَّك(٤)، وربما قرَأ العشرَ الآيات من أواخر (آل عمران)، من قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخرها(٥).

وقال: «**اللهُمَّ لك الحمدُ أنت نورُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ، ولك الحمدُ أنت قيِّمُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ، ولك الحمدُ أنت الحقُّ ووعدُك الحقُّ، ولقاؤُك حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمدٌ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ، اللهُمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣١٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٢٥٥).

(٥) أخرجه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).

خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفِر لي ما قدمتُ وما أخرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت إلهي، لا إلهَ إلا أنت»[(١)].

وكان يَنام أوَّل اللَّيْل، ويَقوم آخِرَه، وربما سهِر أوَّل الليل في مَصالِح المُسلِمين، وكان ﷺ تَنام عَيناهُ ولا يَنام قَلبُه. وكان إذا نام لم يُوقِظوه حتَّى يَكون هو الَّذي يَستَيْقِظ.

وكان إذا عرَّس بلَيْل اضطَجَع على شِقِّه الأَيمَن، وإذا عرَّس قُبَيْل الصُّبْح نصَب ذِراعَه ووضَع رَأْسه على كَفِّه.

٣٠- فصل في هَدْيه ﷺ في الرُّكوب

ركِب ﷺ الخيلَ والإبِل والبِغال والحَميرَ، وركِب الفرَسَ مُسرَجة تارةً وعرِيًّا أُخرى، وكان يُجريها في بعضِ الأَحيان، وكان يَركَب وحدَه وهو الأكثرُ، وربما أَردَف خَلفَه على البَعير، ورُبما أَردَف خَلفَه وأَركَب أَمامَه فكانوا ثلاثةً على البَعير، وأَردَف الرِّجال وأَردَف بعضَ نِسائِه، وكان أكثَرُ مَراكِبه الخَيْل والإِبِل.

٣١- فصل [جامع]

وباع رَسولُ الله ﷺ واشتَرَى، وكان شِراؤُه بعد أن أَكرَمه الله تعالى برِسالتِه أكثَرَ من بَيْعه، وكذلك بعد الهِجْرة لا يَكاد يُحفَظ عنه البيعُ إلَّا في قَضايا يَسيرة أكثَرُها لغَيْره، كبَيْعه القَدَح والحلسِ فيمَن يَزيدُ، وبَيْعه يَعقوبَ المُدبَّر غَلامَ أبي مَذكورٍ، وبَيْعه عبدًا أسودَ بعَبْدين، وأمَّا شِراؤه فكَثيرٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩).

وأجر واستَأجَر، واستِئْجارُه أكثرُ من إيجارِه، وإنما يُحفَظ عنه أنه أجَّر نَفْسه قبل النُّبوَّة في رِعاية الغنَم، وأجَّر نَفسَه من خَديجةَ في سفَره بمالِها إلى الشام.

وشارَك ﷺ، ولمَّا قدِم عليه شَريكُه، قال: أمَا تَعرِفني؟ قال «**كُنتَ شَريكي؟ فنِعْمَ الشَّريكُ كنتَ، لا تُدارِئُ وَلا تُمارِي**»[(١)].

ووكَّل وتَوكَّل، وكان تَوكيلُه أكثَرَ من تَوكُّله.

وأُهدي إليه، وقبِلَ الهَدية، وأثاب عليها، ووهَب واتَّهَب، فقال لسلَمةَ بنِ الأَكوعِ، وقد وقَع في سَهْمه جاريةٌ: «**هَبْها لي**». فوهَبَها له، ففادَى بها من أَهْل مكَّةَ أُسارَى من المُسلِمين[(٢)].

واستَدان برَهْن، وبغَيْر رَهْن، واستَعار، واشتَرَى بالثمَن الحالِّ والمُؤجَّل.

وضمِن ضمانًا خاصًّا على رَبِّه على أعمالٍ مَن عمِلها كان مَضمونًا له بالجَنَّة، وضمن ضَمانًا عامًّا لدُيون مَن تُوفِّيَ من المُسلِمين ولم يَدَعْ وفاءً أنها عليه وهو يُوفِّيها.

ووقفَ رسولُ الله ﷺ أرضًا كانت له جعلها صدقةً في سبيل الله.

وتشفَّعَ وشُفِعَ إليه، وردَّت بريرةُ شفاعتَه في مراجعتِها مُغيثًا، فلم يَغضَب عليها، ولا عَتبَ، وهو الأسوة والقدوةُ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٦)، وابن ماجه (٢٢٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٥٥).

وحلَف في أكثَرَ من ثَمانينَ مَوضِعًا، وكان ﷺ يَستَثْني في يَمينه تارةً ويُكفِّرها تارةً ويَمضِي فيها تارةً، والاستِثْناء يَمنَع عَقْد اليَمين، والكَفَّارة تُحِلُّها بعد عَقْدها؛ ولِهَذا سمَّاها اللهُ تَحِلَّةً.

وكان ﷺ يُمازِح ويَقول في مُزاحِه الحقَّ، ويُورِّي ولا يَقول في تَوْريتِه إلَّا الحقَّ.

وكان يُشيرُ ويَستشيرُ.

وكان يَعود المَريض، ويَشهَد الجَنازَةَ، ويُجيب الدَّعوة، ويَمشِي مع الأَرمَلة والمِسكِين والضَّعيف في حَوائِجِهم، وسمِع مَديح الشعراء وأَثابَ عليه، ولكِنْ ما قيل فيه منَ المَديح فهو جُزْء يَسير جِدًّا من مَحامِده، وأثاب على الحَقِّ، وأمَّا مَدْح غيره من الناس فأَكثَرُ ما يَكون بالكَذِب؛ فلِذلِكَ أمَرَ أن يُحثَى في وُجوهِ المَدَّاحينَ التُّرابَ(١).

وسابَقَ رَسولُ الله ﷺ بنَفْسه على الأَقدام وصارَع، وخصَف نَعْلَه بيَدِه، ورقَع ثَوبَه بيَدِه، ورفَع دَلْوه وحلَبَ شاتَه وفلَى ثَوْبه وخدَم أَهْله ونَفْسه، وحمَلَ معهم اللبِنَ في بِناء المَسجِد، وربَط على بَطْنه الحجَرَ من الجوعِ تارةً وشبعَ تارةً، وأَضاف وأُضيف، واحتَجَم في وسَط رَأْسه وعلى ظَهْر قدَمه، واحتَجَم في الأَخْدعين والكاهِل وهو ما بين الكَتِفين، وتَداوَى وكَوَى ولم يَكتوِ، ورَقَى ولم يَستَرقِ، وحمَى المَريض مِمَّا يُؤذِيه.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٢).

٣٢- فصل في هَدْيه ﷺ في مُعامَلته

كان أحسَنَ الناس مُعامَلةً، وكان إذا استَسْلَف سلَفًا قضَى خيرًا منه.

واقتَرَض بَعيرًا فجاء صاحِبُه يَتَقاضاه فأَغلَظ للنَّبيِّ ﷺ فهَمَّ به أصحابُه فقال: «**دعوهُ فإنَّ لِصاحِبِ الحَقِّ مَقالًا**»[(١)].

وباعَه يَهوديٌّ بيعًا إلى أجَل فجاءَهُ قبلَ الأجَل يَتَقاضى ثمَنَه فقال: «**لم يَحِلَّ الأَجَلُ**»، فقال اليَهوديُّ: إنَّكم لَمُطْل يا بَني عبدِ المُطَّلِب، فهَمَّ به أصحابُه فنَهاهُم، ولَمْ يَزِدْه ذلك إلَّا حِلمًا، فقال اليَهوديُّ: كلُّ شيءٍ منه قد عرَفْته مِن عَلامات النُّبوَّة وبقِيَت واحِدةٌ وهي أنه لا تَزيدُه شِدَّة الجَهْل عليه إلَّا حِلمًا فأَرَدْت أن أعرِفها؛ فأَسلَم اليَهوديُّ[(٢)].

٣٣- فصل في هَدْيه ﷺ في مَشْيه وحدَه ومع أَصحابِه

كان إذا مشَى تَكفَّأ تَكفُّؤًا، وكان أَسرَع الناس مِشيةً وأَحسَنَها وأَسكَنَها، قال أبو هُرَيرةَ: ما رأَيْتُ شيئًا أحسَنَ مِن رَسولِ الله ﷺ، كأنَّ الشمسَ تَجرِي في وَجْهه، وما رأَيْتُ أحَدًا أَسرَعَ في مِشيَتِه من رَسولِ الله ﷺ، كأنَّما الأرض تُطوَى له، وإنا لنُجهِد أَنفُسَنا وإنه لغَيْر مُكترِث[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠١).

(٢) أخرجه ابن حبان ١/ ٥٢١، ٥٢٣ (٢٨٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ١١٠ (٢٠٨٢)، والطبراني في «الكبير» ٥/ ٢٢٢ - ٢٢٣، (٥١٤٧)، والحاكم ٣/ ٧٠٠ - ٧٠١ (٦٥٤٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٢٧٨-٢٨١.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٤٨).

وأمَّا مَشيُه مع أصحابه فكانوا يَمشون بين يَدَيْه وهو خَلْفهم ويَقول: «**دَعُوا ظَهْرِي لِلْمَلائِكَةِ**»[١]، وكان يَمشِي حافيًا ومنتعلًا، وكان يُماشي أصحابَه فُرادى وجماعةً، وكان في السفرِ ساقةَ أصحابِه يُزجي الضعيفَ ويُردفه، ويدعو لهم. ذكره أبو داود[٢].

٣٤- فصل في هَدْيه ﷺ في جُلوسه واتِّكائِهِ

كان يَجلِس على الأرض وعلى الحَصيرِ والبساطِ، وكان يَسْتلقي أحيانًا، وربما وضعَ إحدى رجلَيْه على الأخرى، وكان يتكئُ على الوسادةِ، وربما اتكأَ على يسارِه، وربما اتكأَ على يمينِه، وكان إذا احتاجَ في خروجه توكَّأَ على بعضِ أصحابِهِ مِن الضعفِ.

٣٥- فصل في هَدْيه ﷺ عِند قَضاء الحاجةِ

كان إذا دخَل الخَلاءُ قال: «**اللَّهُمَّ إني أَعوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**»[٣].

وكان إذا خرَج يَقول: «**غُفْرانَكَ**»[٤]، وكان يَستَنْجي بالماء تارةً، ويَستَجمِر بالأَحْجار تارةً، ويَجمَع بينهما تارةً.

وكان إذا ذهَبَ في سفَره للحاجة انطلَق حتَّى يَتَوارَى عن أَصْحابه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٠)، والترمذي (٧).

وكان يستترُ للحاجةِ بالهدف تارةً، وبحائشِ النخل تارةً، وبشجرِ البوادي تارةً.

وكان يَرتاد لبَوْله المَوضِعَ الدمِث -وهو اللَّيِّن الرَّخْو منَ الأرض-، وأكثَرَ ما كان يَبول وهو قاعِد.

وكان إذا سلَّم عليه أحَدٌ وهو يَبول لم يَرُدَّ عليه. ذكَرَه مُسلِم في صَحيحِه عنِ ابن عُمرَ[1].

وكان إذا استنجَى بالماءِ ضربَ يدَه بعدَ ذلك على الأرضِ، وكان إذا جلسَ لحاجتِه لم يرفَعْ ثوبَه حتى يدنو من الأرضِ.

٣٦- فصل في هَديِه ﷺ في الفِطْرة وتَوابِعِها

كان يُعجِبه التَّيمُّن في تَنعُّله وتَرجُّله، وطُهوره، وأَخْذه، وعَطائه، وكانت يَمينُه لطَعامِه وشَرابِه وطُهوره، ويَسارُه لخَلائِه ونحوه من إزالة الأَذَى.

وكان هَديُه في حَلْق الرأس تَركَه كلَّه أو أَخْذه كلَّه، ولم يَكُن يَحلِق بعضَه ويَدَع بعضَه، ولم يُحفَظ عنه حلَقَه إلَّا في نُسُك.

وكان يُحِبُّ السِّواك، وكان يَستاكُ مُفطِرًا وصائِمًا، ويَستاكُ عِند الانتِباهِ منَ النَّوْم، وعِند الوُضوء، وعِند الصلاة، وعِند دُخول المَنزِل، وكان يَستاك بعُود الأَراكِ.

وكان يُكثِر التَّطيُّب ويُحِبُّ الطِّيبَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٧٠).

وكان أوَّلًا يَسدِل شَعرَه ثُم فرَقَه.

واختلف الصحابةُ في خضابِه: فقال أنس: لم يخضِبْ. وقال أبو هريرة: خضبَ.

وكان يُحِبُّ التَّرجُّل، وكان يُرجِّل نَفسَه تارةً وتُرجِّله عائِشةُ تارةً، وكان شَعْره فوقَ الجُمَّة ودونَ الوَفْرة، وكانت جُمَّته تَضرِب شَحْمة أُذُنَيْه، وإذا طال جعَله غَدائِرَ أربعًا.

وكانت لرَسولِ الله ﷺ سُكَّة يَتَطيَّب منها، وكان أحَبُّ الطيبِ إليه المِسكَ.

٣٧- فصل في هديه ﷺ في قص الشارب

في صحيح مسلم عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**جُزُّوا الشَّواربَ، وأَرخُوا اللِّحَى؛ خَالِفوا المجوسَ**»[١]، وفي الصحيحين عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «**خَالِفوا المشركِينَ ووفِّروا اللِّحَى، وأَحفُوا الشواربَ**»[٢]، وفي صحيح مسلم عن أنس قال: «وقَّت لنا النبيُّ ﷺ في قصِّ الشاربِ وتقليمِ الأظفارِ ألا نتركَ أكثرَ من أربعين ليلةً»[٣].

واختلفَ السلفُ في قصِّ الشارب وحلقِه أيهما أفضل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨).

٣٨- فصل في هَدْيه ﷺ في كَلامِه وسُكوته وضحِكه وبُكائِه

كان ﷺ أَفصَحَ خَلْق الله، وأعذَبَهم كلامًا، وأَسرَعَهم أداءً، وأَحلاهُم مَنطِقًا، حتى إن كلامَه يَأخُذ بالقُلوب ويَسبِي الأرواحَ، وشَهد له بذلك أَعداؤُه، وكان إذا تَكلَّم تكلَّم بكَلام مُفصَّل مُبين يَعُدُّه العادُّ، ليس بهَذٍّ مُسرع لا يُحفَظ، ولا مُنقَطِع يتَخلَّله السكَتاتُ بين أفراد الكلم، بل هَديُه فيه أكمَلُ الهَدْي.

قالت عائِشةُ: ما كان رَسولُ الله ﷺ يَسرُد سَرْدَكم هذا، ولكِنْ كان يَتكلَّم بكَلام بيِّن فَصْل يَحفَظُه مَن جلَسَ إليه، وكان كَثيرًا ما يُعيد الكَلمة ثلاثًا لتُعقَل عنه، وكان إذا سلَّم سلَّم ثلاثًا، وكان طويلَ السُّكوت لا يَتكَلَّم في غير حاجة، ويتكلَّمُ بجوامعِ الكلامِ، فصلٌ لا فضولٌ ولا تقصيرٌ، وكان لا يَتكلَّم فيما لا يَعنِيه، ولا يَتكلَّم إلَّا فيما يَرجو ثوابه، وإذا كرِهَ الشيءَ عُرِفَ في وَجْهه، ولم يَكُن فاحِشًا ولا مُتَفحِّشًا ولا صَخَّابًا، وكان جُلُّ ضحِكه التَّبسُّم، بل كلُّه التَّبسُّم، فكان نِهاية ضحِكه أن تَبدوَ نَواجِذُه.

وأمَّا بُكاؤُه ﷺ فكان من جِنْس ضحِكِه، لم يَكُن بشَهيق ورَفْع صَوت، كما لم يَكُن ضحِكُه بقَهْقهة، ولكِن كان تَدمَع عَيناهُ حتَّى تَهملا، ويُسمَع لصَدْره أَزيزٌ.

وكان بُكاؤُه تارةً رحمةً للميت، وتارةً خوفًا على أُمَّته وشَفَقة، وتارةً من خَشْية الله، وتارةً عِند سَماع القُرآن، وهو بُكاء اشتِياق ومَحبَّة وإِجْلال مُصاحِب للخَوْف والخَشْية، ولَمَّا مات ابنُه إبراهيمُ دمَعَتْ عيناهُ وبكَى رحمةً له وقال: «**تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

وكان يَبكِي أحيانًا في صَلاة اللَّيْل.

٣٩- فصل في هَدْيه ﷺ في خُطَبِه

خطَب ﷺ على الأَرْض، وعلى المِنبَر، وعلى البَعير، وعلى الناقة، وكان إذا خطَب احمَرَّتْ عَيناهُ، وعلا صوتُه، واشتَدَّ غضَبُه، حتَّى كأنه مُنذِر جَيْش يَقول: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»[١]، ويقول ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»[٢]، وَيَقْرِنُ بين أُصبُعَيْه السَّبَّابة والوُسطَى، ويَقول: «**أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتابُ الله، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وشَرَّ الأُمورِ مُحْدَثاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ**»[٣].

وكان لا يَخطُب خُطبة إلَّا افتَتَحها بحَمْد الله، وكان يَخطُب قائمًا.

وكان يَختِم خُطبته بالاستِغْفار، وكان كَثيرًا يَخطُب بالقُرآن.

وكان مدارُ خطبِه على حمدِ الله والثناءِ عليه بآلائه وأوصافِ كمالِه ومحامدِه، وتعليمِ قواعد الإسلام، وذكرِ الجنةِ والنارِ والمعادِ، والأمرِ بتقوى الله، وتبيينِ مواردِ غضبه ومواقعِ رضاه، فعلى هذا كان مدارُ خطبِه.

وكان يخطبُ في كلِّ وقتٍ بما تقتضيه حاجةُ المخاطبينَ ومصلحتُهم.

وكان مِنبَرُه ثلاثَ درَجات، فإذا استَوَى عليه واستَقبَل الناسَ أخَذَ المُؤذِّن في الأذان فقَطْ، ولم يَقُلْ شيئًا قبلَه ولا بعدَه، فإذا أخَذَ في الخُطْبة لم يَرفَع أحَدٌ صوتَه بشيءٍ البَتَّةَ لا مُؤذِّن ولا غيرُه.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).
(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧).

ولم يكن يخطبُ خطبةَ إلا افتتحَها بحمدِ الله، وتشهَّدَ فيها بكلمتَي الشهادةِ، ويذكرُ فيها نفسَه باسمِه العلمِ، وثبت عنه أنه قال: «**كلُّ خطبةٍ ليس فيها تشهدٌ فهي كاليدِّ الجذماءِ**»[(١)].

وكان إذا عَرَض له في خُطبته عارِض اشتَغَل به ثُمَّ رجَع إلى خُطْبته، وكان يَخطُب فجاء الحسَنُ والحُسينُ يَعثُران في قَميصَيْن أَحمَرَيْن، فقطَعَ كلامَه فنزَل فحمَلَهُما ثُم عاد إلى المِنبَر ثُم قال: «**صدَقَ اللهُ العَظيمُ** ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥] **رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ كَلَامِي فَحَمَلْتُهُمَا**»[(٢)].

وكان يقصرُ خطبتَه أحيانًا ويطيلُها أحيانًا بحسبِ حاجةِ الناس، وكانت خطبُه العارضةُ أطولَ من خطبِه الراتبةِ.

وكان يَخطُب النِّساءَ على حِدةٍ في الأَعياد، ويَحضُهن على الصدَقة، واللهُ أَعلَمُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤).

[القسم الثاني]

فصول في هديه ﷺ في العبادات

[أولا: كتاب الطهارة]

١- فصل في هديه ﷺ في الوضوءِ

كان ﷺ يتوضَّأ لكل صلاةٍ في غالبِ أحيانِه، وربَّما صلَّى الصلوات بوُضوء واحدٍ، وكان يتوضَّأ بالمُدِّ تارةً، وبثُلثيه تارةً، وبأزيدَ منه تارةً.

وصح عنه ﷺ أنه توضَّأ مرَّةً مرة، ومرتين مرَّتين، وثلاثًا ثلاثًا، وفي بعضِ الأعضاء مرَّتين وبعضِها ثلاثًا.

وكان يتمضْمضُ ويستنشق، تارةً بغَرفةٍ، وتارةً بغَرفتين، وتارةً بثلاثٍ، وكان يصلُ بين المضمضة والاستنشاقِ، فيأخذ نصفَ الغرفة لفمِه ونصفَها لأنفه، ولا يمكن في الغرفةِ إلا هذا.

ولم يجئ الفصلُ بين المضمضةِ والاستنشاقِ في حديثٍ صحيحٍ البتَّةَ.

وكان يستنشق بيدِه اليُمنى ويستنثِرُ باليسرى، وكان يمسح رأسَه كُلَّه، وتارةً يُقبِل بيديه ويُدبر، وعليه يُحمل حديثُ مَن قال: مسح برأسِه مرتين. والصحيحُ أنه لم يكن يكررُ مسحَ رأسِه.

ولم يصحَّ عنه في حديثٍ واحدٍ أنه اقتصَرَ على مسح بعضِ رأسِه البتة، ولكن كان إذا مسحَ بناصيتِه كملَ على العمامةِ.

ولم يتوضَّأ رسولُ الله ﷺ إلا تمضْمَضَ واستنشقَ، ولم يُحفظ عنه أنه أخلَّ به مرَّةً واحدةً. وكذلك كان وُضوؤه مرتبًا متواليًا لم يُخَلَّ به مرةً واحدةً البتَّةَ.

وكان يمسح على رأسِه تارةً، وعلى العِمامة تارةً، وعلى الناصيةِ والعِمامة تارةً، وأما اقتصارُه على الناصيةِ مُجرَّدةً فلم يُحفظ عنه.

وكان يغسلُ رجلَيه إذا لم يكونا في خفَّينِ ولا جوربَينِ، ويمسحُ عليهما إذا كانا في الخفَينِ [أو الجوربَينِ].

وكان يمسحُ أذنيه مع ماءِ رأسِه، وكان يمسحُ ظاهرَهما وباطنَهما، ولم يَثبت عنه أنه أخذَ لهما ماءً جديدًا، وإنما صحَّ ذلك عن ابنِ عمرَ.

ولم يصحَّ عنه في مسحِ العُنق حديثٌ البتَّةَ، ولم يُحفظ عنه أنه كان يقول على وُضوئه شيئًا غيرَ التسميةِ، وكُلُّ حديثٍ في أذكارِ الوضوء الذي يُقال عليه فكذِبٌ مُختلَقٌ لم يقل رسولُ الله ﷺ شيئًا منها، ولا علَّمه لأُمَّتِه.

وثَبتَ عنه التسميةُ في أولِه، وقولُه: «**أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه**»(١) في آخرِه.

ولم يكن يقولُ في أوَّلِه: نويتُ رفع الحدَث، ولا استباحةَ الصلاةِ، لا هو ولا أحدٌ من أصحابه البتَّةَ، ولم يُرو عنه في ذلك حرفٌ واحدٌ، لا بإسنادٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ.

ولم يتجاوز الثلاثَ قَطُّ، وكذلك لم يَثبُت عنه أنه تجاوز المِرفقين والكَعبين.

ولم يكن رسولُ الله ﷺ يعتادُ تنشيفَ أعضائِه بعد الوضوءِ، ولا صحَّ عنه في ذلك حديثٌ البتَّةَ، بل الذي صحَّ عنه خلافُه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤).

ولم يكن من هديِه ﷺ أن يُصبَّ عليه الماءُ كلما توضأ، ولكن تارة يَصبُّ على نفسِه، وربما عاونه من يَصبُّ عليه أحيانًا لحاجةٍ.

وكان يخللُ لحيتَه أحيانًا، ولم يكن يُواظِب على ذلك، وقد اختلفَ أئمةُ الحديثِ فيه، وكذلك تخليلُ الأصابعِ لم يكن يُحافظُ عليه.

٢- فصل في هديه ﷺ في المسح على الخُفَّين

صح عنه ﷺ أنه مسحَ في الحضَر والسَّفرِ، ولم يُنسخ ذلك حتى تُوفِّي، ووقَّت للمُقيم يومًا وليلةً، وللمسافرِ ثلاثةَ أيام ولياليهن في عِدَّة أحاديثَ حِسانٍ وصحاحٍ، وكان يمسح ظاهرَ الخفين، ولم يصحَّ عنه أنه مسحَ أسفلَهما إلا في حديثٍ منقطعٍ، والأحاديثُ الصحيحةُ على خلافِه.

ومسحَ على الجوربَينِ والنعلَينِ، ومسحَ على العمامةِ مقتصرًا عليها ومع الناصية، وثبت عنه ذلك فعلًا وأمرًا في عدةِ أحاديثَ.

ولم يكن يتكلفُ ضدَّ حالِه التي عليها قدَماه، بل إن كانتا في الخُفِّ مسحَ عليهما ولم ينزِعهُما، وإن كانتا مكشوفتَين غسَلَ القدمين ولم يلبس الخُفَّ ليَمسحَ عليه، وهذا أعدلُ الأقوالِ في مسألةِ الأفضلِ من المسحِ والغَسل، قاله شيخُنا[١]، والله أعلم.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/ ٣٠٤.

٣- فصل في هديه ﷺ في التيمُّمِ

كان ﷺ يتيمَّمُ بضربةٍ واحدةٍ للوجه والكفَّين، ولم يصحَّ عنه أنه تيمَّمَ بضربتين ولا إلى المِرفقين.

وكذلك كان يتيمَّمُ بالأرضِ التي يُصلي عليها ترابًا كانت أو سبخةً أو رملًا، وصحَّ عنه أنه قال: «**حيثما أدركتْ رجلًا من أمتي الصلاةُ فعنده مسجدُه وطَهورُه**»[1]، وهذا نصٌّ صريحٌ في أن من أدركته الصلاةُ في الرملِ فالرملُ له طهورٌ.

ولم يصحَّ عنه التيممُ لكل صلاةٍ، ولا أمرَ به، بل أطلقَ التيممَ وجعله قائمًا مقامَ الوضوء، وهذا يقتضي أن يكون حكمُه حكمَه، إلا فيما اقتضى الدليلُ خلافَه.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٦/ ٤٥١ (٢٢١٣٧).

[ثانيا: كتاب الصلاة]

١ - فصل في هديه ﷺ في الصلاةِ

كان ﷺ إذا قام إلى الصلاةِ قال: «الله أكبرُ»[١] ولم يقل شيئًا قبلها، ولا تلفَّظ بالنيَّةِ.

وكان يرفع يديه معها ممدودةَ الأصابعِ مُستقبلًا بها القبلة إلى فروعِ أذنيه، وروي: إلى مَنكِبيه، ثم يضعُ اليُمنى على ظهرِ اليُسرى.

وكان يستفتح تارةً بـ«اللهمَّ باعد بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المَشرق والمَغربِ، اللهمَّ اغسلني من خطاياي بالماءِ والثلجِ والبَردِ، اللهمَّ نقِّني من الذنوب والخطايا كما يُنقَّى الثوبُ الأبيض من الدَّنسِ»[٢].

وتارةً يقول: «وجَّهتُ وجهيَ للذي فطرَ السمواتِ والأرض حنيفًا وما أنا من المُشركين ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] اللهمَّ أنت المَلك لا إله إلا أنتَ، أنت ربِّي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي، فاغفرْ لي ذُنوبي جميعًا، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، واهدِني لأحسنِ الأخلاقِ لا يَهدي لأحسنِها إلا أنتَ، واصرفْ عني سيِّئَ الأخلاق، لا يصرف عنِّي سيِّئَها إلا أنت، لبَّيكَ وسَعديك، والخيرُ كُلُّه في يَديك، والشرُّ ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركتَ وتعاليتَ، أستغفرُك وأتوبُ إليك»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨)، ومسلم (٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١).

ولكنَّ المحفوظَ أن هذا الاستفتاحَ إنما كان يقولُه في قيامِ الليلِ.

وتارةً يقول: «**اللهمَّ ربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشهادةِ، أنت تحكم بين عبادِك فيما كانوا فيه يَختلفون، اهدِني لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنِك، فإنك تهدي مَن تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم**»[(١)].

وتارة يقول: «**اللهمَّ لك الحمدُ، أنت نورُ السموات والأرضِ ومن فيهنَّ**...» الحديثَ[(٢)].

وكان يقول بعد ذلك: «**أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم**»، ثم يقرأُ الفاتحةَ، وكان يَجهر بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] تارةً، ويُخفيها أكثرَ مما يَجهر بها.

وكانت قراءتُه مَدًّا يَقف عند كُلِّ آيةٍ ويَمُدُّ بها صوتَه.

فإذا فرغَ من قراءةِ الفاتحة قال: «**آمينَ**»[(٣)]، فإن كان يجهر بالقراءةِ رفع بها صوتَه وقالها مَن خلفَه.

وكان له سَكتتانِ: سكتةٌ بين التكبيرِ والقراءة، وعنها سأله أبو هُريرةَ[(٤)]، واختُلف في الثانيةِ؛ فرُوي أنها بعد الفاتحةِ، وقيل: إنها بعد القراءةِ وقبلَ الركوعِ، وقيل: هي سكتتان غيرُ الأولى فتكون ثلاثًا، والظاهرُ إنما هي اثنتان فقط، وأما الثالثةُ فلطيفةٌ جدًّا؛ لأجل ترادِّ النفس ولم يكن يصلُ القراءةَ بالركوع، بخلافِ السكتةِ الأولى، فإنه كان يجعلُها بقدرِ الاستفتاحِ، والثانيةُ قد قيل: إنها لأجلِ قراءةِ المأمومِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٢)، ومسلم (٤١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

فإذا فرغ من قراءةِ الفاتحةِ أخذ في سورةٍ غيرِها، وكان يُطيلُها تارةً ويُخفِّفها لعارضٍ من سفرٍ أو غيرِه، ويتوسَّط فيها غالبًا.

وكان يقرأ في الفجرِ بنحو ستينَ آيةً إلى مئةِ آيةٍ، وصلاها بسورةِ (ق)، وصلاها بـ(الروم)، وصلَّاها بـ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، وصلَّاها بـ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، في الركعتين كِلتَيْهما، وصلَّاها بـ(المُعوِّذتين) وكان في السفرِ، وصلاها فافتتحَ بـ(سورة المؤمنين) حتى بلغَ ذِكرَ موسى وهارون في الركعةِ الأولى أخذتْه سعلةٌ فركعَ.

وكان يُصلِّيها يومَ الجمعة بـ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدةِ، وسورةِ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ كاملتين، وإنما كان ﷺ يقرأُ هاتَينِ السورتَينِ لما اشتملتا عليه مِن ذكرِ المبدأِ والمعادِ، وخلقِ آدم، ودخولِ الجنةِ والنارِ، وذلك مما يكونُ في يومِ الجمعةِ، فكان يقرأُ في فجرِها ما كان ويكون في ذلك اليوم، تذكيرًا للأمةِ بحوادثِ هذا اليومِ، كما كان يقرأُ في المجامعِ العظامِ كالأعيادِ والجمعةِ سورةَ (ق) و(اقتربت) و(سبح) و(الغاشية).

وأمَّا الظهرُ فكان يُطيلُ قراءتَها أحيانًا، حتى قال أبو سعيدٍ: كانت صلاةُ الظهر تُقام فيذهب الذاهبُ إلى البقيعِ فيقضي حاجتَه، ثم يأتي أهلَه فيتوضَّأ ويُدركُ النبيَّ ﷺ في الركعةِ الأولى مما يُطيلها. رواه مسلم[١].

وكان يقرأُ فيها تارةً بقدر سورة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، وتارةً بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ونحو ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، وتارةً بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، و﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥٤).

وأما العصرُ فعلى النِّصف من قراءةِ صلاةِ الظهر إذا طالت، وبقدرِها إذا قَصُرت.

وأما المغربُ فكان هديُه فيها خلافَ عملِ الناس اليومَ، فإنه صلاها مرَّةً بـ(الأعراف) فرَّقها في الركعتين، ومرَّةً بالطور، ومرَّةً بالمرسلات، فالمحافظةُ فيها على الآيةِ القصيرةِ والسورةِ القصيرةِ من قصارِ المُفصَّلِ خلافُ السُّنَّةِ.

وأما العِشاءُ الآخرةُ فقرأَ فيها ﷺ بـ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، ووقَّت لمُعاذٍ فيها بـ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ونحوَها، وأنكرَ عليه قراءَته فيها بالبقرة بعد ما صلَّى معه ثم ذهب إلى بني عمرٍو، فأعادَها بهم بعد ما مضَى من الليلِ ما شاء الله، وقرأ البقرة؛ ولهذا قال له: «**أفتَّانٌ أنت يا مُعاذُ**»[(١)] فتعلَّق النقَّارون بهذه الكلمةِ، ولم يَلتفِتوا إلى ما قبلَها ولا ما بعدَها.

وأما الجمُعةُ فكان يقرأُ فيها بسورتي: (الجمعة) و(المنافقين) كاملتين وسورتي: (سبح) و(الغاشية).

وأما قراءتُه في الأعيادِ؛ فتارَةً كان يقرأ بسُورتي: (ق) و(اقتربت) كاملتين، وتارة بسورتي (سبح) و(الغاشية)، وهذا هو الهَديُ الذي استمر ﷺ عليه إلى أن لقي الله سبحانه لم ينسخْه شيءٌ.

وأما قولُه ﷺ: «**أيُّكم أمَّ الناسَ فلْيُخفِّف**»[(٢)]، وقولُ أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كان رسولُ الله ﷺ أخفَّ الناسِ صلاةً في تمامٍ»؛ فالتخفيف أمرٌ نسبيٌّ يرجع إلى ما فعله

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٩٠)، ومسلم (٤٦٦).

النبيُّ ﷺ وواظبَ عليه، لا إلى شهوةِ المأمومين، وهديُه الذي كان يواظبُ عليه هو الحاكمُ في كُلِّ ما تنازعَ فيه المتنازعون.

وكان ﷺ لا يُعيِّنُ في الصلواتِ سورةً بعينِها لا يقرأُ إلا بها، إلا في الجمُعةِ والعيدين.

وكان من هديه قراءةُ السورةِ كاملةً، وربما قرأها في ركعتين، وربما قرأَ أوَّلَ السورةِ، وأما قراءةُ أواخرِ السورِ وأوساطِها فلم يُحفظْ عنه، وأما قراءةُ السورتين في ركعةٍ فكان ﷺ يفعلُه في النافلَةِ، وأما في الفرضِ فلم يُحفظْ عنه، وأما قراءةُ سورةٍ واحدةٍ في ركعتين معًا فقلما كان يفعلُه.

وكان ﷺ يُطيلُ الركعةَ الأولى على الثانيةِ من صلاةِ الصبحِ، ومن كُلِّ صلاةٍ، وربما كان يطيلُها حتى لا يُسمعَ وقعُ قدمٍ.

وكان يُطيل صلاةَ الصبحِ أكثرَ من سائرِ الصلوات؛ وهذا لأنَّ قرآنَ الفجر مشهودٌ، وأيضًا فإنها لما نقصَت عددُ ركعاتها جُعل تطويلُها عوضًا عما نقصَتْه من العددِ، وأيضًا فإنها تكونُ عَقيبَ النومِ والناس مستريحون، وأيضًا فإنهم لم يأخذوا بعدُ في أشغالِ المعاشِ وأسبابِ الدنيا، وأيضًا فإنها تكونُ في وقتٍ يواطئ فيه السمعُ واللسانُ القلبَ لفراغِه وعدمِ تمكنِ الأشغالِ فيه، فيفهمَ القرآنَ ويتدبَّرَه، وأيضًا فإنها أساسُ العملِ وأولُه، فأُعطيتْ فضلًا من الاهتمامِ بها وتطويلِها، وهذه أسرارٌ إنما يعرفها من له التفاتٌ إلى أسرارِ الشريعةِ ومقاصدِها وحِكمِها، والله المستعان.

وكان ﷺ إذا فرغ من القراءةِ سكت بقدر ما يَترادُّ إليه نفسُه، ثم رفع يديه كما تقدَّم، وكبَّر راكعًا ووضع كفَّيه على رُكبَتيه كالقابضِ عليهما، ووَتَّر يديه فنحَّاهما عن جَنبيه، وبَسطَ ظهَره ومدَّه واعتدل، ولم يَنصِب رأسَه ولم يخفضْه، بل يجعلُه حيالَ ظهره مُعادلًا له.

وكان يقول: «**سبحانَ ربِّي العظيم**»[(١)] وتارةً يقول مع ذلك أو مقتصرًا عليه: «**سبحانَك اللهمَّ ربنَّا وبحمدِك، اللهمَّ اغفرْ لي**»[(٢)]، وكان ركوعُه المعتادُ مقدارَ عشر تسبيحاتٍ، وسجودُه كذلك.

وأما حديثُ البراءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رمقتُ الصلاةَ خلفَ النبيِّ ﷺ فكان قيامُه فركوعُه فاعتدالُه فسجدتُه فجلستُه ما بين السجدتين قريبًا من السواء»[(٣)]، فمرادُ البراءِ -والله أعلم- أن صلاتَه ﷺ كانت معتدلةً، فكان إذا أطالَ القيامَ أطال الركوعَ والسجودَ، وإذا خفَّف القيامَ خفف الركوعَ والسجودَ، وتارةً يجعل الركوعَ والسجودَ بقدرِ القيام، ولكن كان يفعلُ ذلك أحيانًا في صلاة الليلِ وحدَها، وفعلُه أيضًا قريبًا من ذلك في صلاةِ الكسوفِ، وهديُه الغالبُ ﷺ تعديلُ الصلاةِ وتناسبُها.

وكان يقول أيضًا في ركوعِه: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، ربُّ الملائكةِ والروحِ**»[(٤)] وتارةً يقول: «**اللهمَّ لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خَشَعَ لك سمعي وبَصري ومُخِّي وعظمي وعَصَبي**»[(٥)] وهذا إنما حُفظ عنه في قيامِ الليل.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٩٢)، ومسلم (٤٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٧).

(٥) أخرجه مسلم (٧٧١).

ثم كان يرفع رأسَه بعد ذلك قائلًا: «**سمع الله لمن حمِده**» ويرفعُ يديه، ورَوى رفعَ اليدين عنه في هذه المواطنِ الثلاثةِ نحوٌ من ثلاثين نفسًا، واتَّفقَ على روايتِها العشرةُ، ولم يثبُت عنه خلافُ ذلك البتَّةَ، بل كان ذلك هديَه ﷺ إلى أن فارَق الدنيا.

وكان دائمًا يُقيم صُلبه إذا رفعَ من الركوعِ وبين السجدتين ويقول: «**لا تُجزئُ صلاةٌ لا يُقيمُ فيها الرجلُ صُلبَه في الركوع والسجودِ**». ذكره ابن خزيمة في صحيحه[(١)].

وكان إذا استوى قائمًا قال: «**ربَّنا ولك الحمدُ**»[(٢)] وربَّما قال: «**ربَّنا لك الحمدُ**»[(٣)] وربما قال: «**اللهمَّ ربَّنا لك الحمدُ**»[(٤)]، صحَّ ذلك عنه كله.

وكان من هديِه إطالةُ هذا الركنِ بقدر الركوعِ والسجودِ، فصحَّ عنه أنه كان يقول: «**سمع الله لمن حمِدَه، اللهم ربَّنا لك الحمدُ، مِلء السموات ومِلءَ الأرضِ، وملءَ ما شئت من شيءٍ بعدُ، أهلَ الثناء والمجدِ، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلُّنا لك عبدٌ، لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**»[(٥)].

وصحَّ عنه أنه كرر فيه قولَ: «**لِربِّي الحمدُ، لربِّي الحمدُ**»[(٦)] حتى كان بقدر الرُّكوعِ.

---

(١) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣٠٠ (٥٩١)، وأخرجه أيضا أبو داود (٨٥٥)، والترمذي (٢٦٥)، والنسائي (١٠٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٩)، ومسلم (٤١١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٩٦)، ومسلم (٤٠٩).

(٥) أخرجه مسلم (٤٧١).

(٦) أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١٠٦٩).

وصحَّ عنه أنه كان إذا رفع رأسَه من الرُّكوعِ يَمكثُ حتى يقولَ القائلُ: قد نسِي، من إطالتِه لهذا الركنِ، فذكر مسلمٌ عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسولُ الله ﷺ إذا قال: «سمِع الله لمن حمِده» قام حتى نقولَ: قد أوهَمَ، ثم يسجدُ، ويَقعُد بين السجدتين حتى نقولَ: قد أَوهَم(١).

وصحَّ عنه في صلاةِ الكسوف أنه أطالَ هذا الركنَ بعد الركوعِ حتى كان قريبًا من ركوعِه، وكان ركوعُه قريبًا من قيامِه، فهذا هديُه المعلوم الذي لا مُعارِضَ له بوجهٍ.

ثم كان ﷺ يُكبِّر ويخِرُّ ساجدًا ولا يرفعُ يديه، وقد رُوي عنه أنه كان يرفعُها أيضًا، وصحَّحه بعضُ الحُفَّاظ كابن حزمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو وهْمٌ، فلم يصحَّ عنه في ذلك البتةَ.

وكان ﷺ يضعُ رُكبتيه قبل يديه، ثم يديه بعدَهما، ثم جبهتَه وأنفَه، هذا هو الصحيحُ الذي رواه شَريكٌ، عن عاصمِ بن كُليبٍ، عن أبيه، عن وائلِ بن حُجرٍ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ إذا سجد وضع رُكبَتيه قبل يديه، وإذا نهَض رفعَ يديه قبلَ ركبتَيه(٢). ولم يُرو في فعلِه ما يُخالف ذلك.

وكان ﷺ يسجُد على جبهته وأنفِه دون كَورِ العِمامةِ، ولم يثبُت عنه السجودُ على كَورِ العِمامةِ في حديثٍ صحيح ولا حسنٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٢١)، ومسلم (٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٣٨)، والنسائي (١٠٨٩).

وكان ﷺ يسجُد على الأرضِ كثيرًا، وعلى الماءِ والطينِ، وعلى الخُمرةِ المُتخذةِ من خُوصِ النخلِ، وعلى الحصيرِ المتَّخذِ منه، وعلى الفروةِ المَدبوغةِ.

وكان إذا سجد مكَّنَ جبهتَه وأنفَه من الأرضِ، ونحَّى يديه عن جنبيه، وجافى بهما حتى يُرى بياضُ إبطيه، ولو شاءت بَهمَةٌ -وهي الشاةُ الصغيرة- أن تمرَّ تحتهما لمرَّت.

وكان يضع يديه حَذو مَنكِبيه وأُذنيه، وفي «صحيح مسلم» عن البَراءِ أنه ﷺ قال: «**إذا سجدتَ فضعْ كفيك وارفعْ مِرفَقيك**»(١).

وكان يعتدل في سجودِه ويستقبلُ بأطرافِ أصابعِ رجليه القبلةَ.

وكان يبسُط كفَّيه وأصابعَه، ولا يُفرِّج بينها ولا يَقبِضُها، وفي «صحيح ابن حبان»(٢): كان إذا ركع فرَّج أصابعَه وإذا سجد ضمَّ أصابعَه.

وكان يقول: «**سبحان ربِّي الأعلَى**»(٣) وأَمَرَ به.

وكان يقول: «**سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبحمدِك، اللهمَّ اغفرْ لي**»(٤).

وكان يقول: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة والروحِ**»(٥).

وكان يقول: «**سبحانك وبحمدِك لا إلَه إلا أنت**»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩٤).
(٢) صحيح ابن حبان (١٩٢٠).
(٣) أخرجه مسلم (٧٧٢).
(٤) أخرجه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤).
(٥) أخرجه مسلم (٤٨٧).
(٦) أخرجه مسلم (٤٨٥).

وكان يقول: «**اللهمَّ إني أعوذُ برضاك من سخطِك، وبمُعافاتِك من عُقوبتِك، وأعوذُ بك منك، لا أُحصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسِك**»(١).

وكان يقول: «**اللهمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سَجَدَ وجهي للذي خلقَه وصوَّره وشقَّ سمعَه وبصرَه، تبارك الله أحسنُ الخالقين**»(٢).

وكان يقول: «**اللهمَّ اغفر لي ذنبي كُلَّه، دِقَّه وجِلَّه، وأوَّلَه وآخرَه، وعلانيتَه وسِرَّه**»(٣).

وكان يقول: «**اللهمَّ اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شِمالي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، واجعل لي نورًا**»(٤).

وأمرَ بالاجتهادِ في الدعاءِ في السجودِ وقال: «**إنه قَمِنٌ أن يُستجابَ لكم**»(٥).

والاستجابةُ نوعانِ: استجابةُ دعاءِ الطالب بإعطائِه سؤله، واستجابةُ دعاءِ المثني بالثوابِ، وبكلِّ واحدٍ من النوعين فُسِّرَ قولُه تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، والصحيحُ أنه يعمُّ النوعَين.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).
(٢) أخرجه مسلم (٧٧١).
(٣) أخرجه مسلم (٤٨٣).
(٤) أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).
(٥) أخرجه مسلم (٤٧٩).

وقد اختلف الناسُ في القيامِ والسجود، أيُّهما أفضلُ؟ فرجَّحت طائفةٌ القيامَ لوجوه. وقالت طائفةٌ: السجودُ أفضلُ. وقالت طائفةٌ: طولُ القيامِ بالليل أفضلُ، وكثرة الركوعِ والسجود بالنهار أفضلُ.

وقال شيخُنا: الصوابُ أنهما سواءٌ، والقيامُ أفضلُ بذكره وهو القراءة، والسجودُ أفضلُ بهيئتِه؛ فهيئةُ السجود أفضلُ من هيئة القيامِ، وذِكرُ القيام أفضلُ من ذكر السجودِ، وهكذا كان هديُ النبي ﷺ، فإنه كان إذا أطالَ القيامَ أطالَ الركوعَ والسجودَ، كما فعلَ في صلاةِ الكُسوفِ، وفي صلاة الليلِ، وكان إذا خفَّف القيامَ خفف الركوعَ والسجود، وكذلك كان يفعل في الفرضِ[(١)].

ثم كان رسول الله ﷺ يرفع رأسَه مُكبِّرًا غير رافعٍ يديه، ويرتفعُ منه رأسُه قبل يديه، ثم يجلسُ مُفترشًا يفرشُ رجلَه اليُسرى ويجلسُ عليها، وينصِبُ اليُمنى، ولم يُحفظْ عنه ﷺ في هذا الموضع جلسةً غير هذه.

وكان يضعُ يديه على فخِذيه، ويجعلُ مِرفَقيه على فخِذه وطرفَ يده على ركبَته، ويقبضُ ثِنتين من أصابعِه ويُحلِّق حلقةً، ثم رفعَ أصبعَه يدعو بها ويحرِّكها، هكذا قال وائلُ بن حُجر عنه[(٢)].

ثم يقولُ: «**اللهمَّ اغفر لي وارحمني واجبُرني واهدِني وارزقنِي**»[(٣)] هكذا ذكر ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنه ﷺ، وذكرَ حذيفةُ أنه كان يقول: «**ربِّ اغفر لي، ربِّ اغفر لي**»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٣/ ٦٩-٨٣.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٢٦)، والنسائي (٨٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١١٤٥).

وكان هديُه إطالةَ هذا الركن بقدرِ السجودِ، وهكذا الثابتُ عنه في جميعِ الأحاديثِ، وفي «الصحيح» عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان رسولُ الله ﷺ يقعُدُ بين السجدتين حتى نقول: قد أَوهَم[(١)].

وهذه السنَّةُ تركها أكثرُ الناسِ من بعد انقراضِ عصرِ الصحابةِ؛ ولهذا قال ثابتٌ: وكان أنسٌ يصنعُ شيئًا لا أراكم تَصنعونه: يمكثُ بين السجدتين حتى نقولَ: قد نَسِي أو قد أَوهَم.

ثم كان ﷺ ينهض على صُدورِ قدميه ورُكبتيه مُعتمدًا على فخِذيه، كما ذَكره عنه: وائلٌ وأبو هريرةَ، ولا يعتمدُ على الأرضِ بيديه، وقد ذَكر عنه مالكُ بن الحُويرث أنه كان لا ينهضُ حتى يستويَ جالسًا، وهذه هي التي تُسمَّى جلسةَ الاستراحةِ، واختلف الفقهاءُ فيها: هل هي من سننِ الصلاة فيستحب لكلِّ أحدٍ أن يفعلَها، أو هي ليست من السننِ، وإنما يفعلُها مَن احتاج إليها؟ على قولَينِ هما روايتانِ عن أحمدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان إذا نهَضَ افتتح القراءةَ ولم يَسكت كما كان يسكتُ عند افتتاحِ الصلاةِ، فاختلفَ الفقهاءُ: هل هذا موضعُ استعاذةٍ أو لا بعدَ اتفاقِهم على أنه ليس بموضعِ استفتاحٍ، وفي ذلك قولانِ هما روايتانِ عن أحمدَ، وقد بَناهما بعضُ أصحابِه على أن قراءةَ الصلاةِ هل هي قراءةٌ واحدةٌ؛ فيكفي فيها استعاذة واحدة، أو قراءةُ كلِّ ركعة مستقلة بنفسها؟

---

(١) أخرجه البخاري (٨٢١)، ومسلم (٤٧٣).

والاكتفاءُ باستعاذةٍ واحدةٍ أظهرُ للحديثِ الصحيح عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، ولم يَسكت. يكفي [استعاذة] واحدةٌ؛ لأنه لم يتخلَّل القراءتَينِ سكوتٌ، بل تخللها ذكرٌ، فهي كالقراءةِ الواحدة إذا تخللها حمدُ الله أو تسبيحٌ أو تهليلٌ أو صلاةٌ على النبي ﷺ، ونحو ذلك.

وكان النبي ﷺ يُصلِّي الثانيةَ كالأُولى سواءً إلا في أربعةِ أشياء: السكوتِ، والاستفتاحِ، وتكبيرةِ الإحرامِ، وتطويلِها.

فإذا جلس للتشهُّدِ وضع يدَه اليُسرى على فخِذه اليسرى، ووضع يدَه اليُمنى على فخِذه اليمنى وأشارَ بأصبُعه السبَّابة، وكان لا ينصِبُها نصبًا ولا يُنيمها، بل يَحنيها شيئًا ويُحرِّكها كما تقدَّم في حديثِ وائلِ بنِ حُجر، وكان يقبضُ أصبعين وهما الخِنصر والبِنصر، ويُحلِّق حلقةً وهي الوُسطى مع الإبهامِ، ويرفع السبَّابة يدعو بها، ويرمي ببصرِه إليها، ويبسطُ الكفَّ اليُسرى على الفخِذ اليسرى، ويتحاملُ عليها.

وأما صفةُ جلوسِه فكما تقدَّم بين السجدتين سواء، يجلسُ على رجلِه اليسرى وينصبُ اليمنى، ولم يُرو عنه في هذه الجلسةِ غيرُ هذه الصفةِ.

ثم كان ﷺ يتشهَّدُ دائمًا في هذه الجلسةِ، ويُعلِّم أصحابَه أن يقولوا: «**التحياتُ لله والصلواتُ والطيبات، السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين، أشهد ألا إلهَ إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

وكان ﷺ يخفِّف هذا التشهدَ جدًّا حتى كأنه على الرضْف -وهو الحجارةُ المحماةُ- ولم يُنقل عنه في حديثٍ قطُّ أنه صلَّى عليه وعلى آله في هذا التشهد، ولا كان أيضا يستعيذُ فيه من عذابِ القبر وعذابِ النار وفتنةِ المحيا والممات وفتنةِ المسيح الدجال، ومن استحبَّ ذلك فإنما فهمه من عموماتٍ وإطلاقاتٍ قد صحَّ تبيينُ موضعِها وتقييدُها بالتشهدِ الأخير.

ثم كان ينهضُ مُكبِّرًا على صدورِ قدميه وعلى رُكبتيه مُعتمدًا على فخِذيه كما تقدَّم، وفي حديثِ عبدِ الله بنِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه كان يرفعُ يديه في هذا الموضعِ(١)، على أن هذه الزيادة ليست متفقًا عليها في حديثِ عبدِ الله بنِ عمرَ، فأكثرُ رواتِه لا يَذكرونها.

ثم كان يقرأُ الفاتحةَ وحدَها، ولم يثبت عنه أنه قرأَ في الركعتين الأُخرَيَين بعد الفاتحةِ شيئًا.

فهديُه الراتب ﷺ إطالةُ الركعتَينِ الأوليَينِ من الرباعيةِ على [الأخريَينِ]، وإطالةُ الأولى من الأوليَينِ على الثانيةِ.

وهذا كان هديه ﷺ في سائرِ صلواتِه: إطالة أوَّلِها على آخرِها.

وكان ﷺ إذا جلسَ في التشهُّد الأخيرِ جلسَ مُتورِّكًا، وكان يُفضي بِوَرِكه إلى الأرضِ ويُخرجُ قدمَه من ناحيةٍ واحدةٍ، فهذا أحدُ الوجوهِ الثلاثةِ التي رُويت عنه ﷺ في التورُّكِ، [ذكرَه] أبو داود في حديثِ أبي حُميد

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٩).

الوجه الثاني: ذكرَه البخاري في صحيحِه[١] من حديثِ أبي حميدٍ أيضًا قال: «وإذا جلسَ في الركعةِ الآخرةِ قدَّم رجلَه اليسرى ونصبَ اليمنى، وقعدَ على مقعدتِه»، فهذا موافقٌ للأول في الجلوسِ على الوركِ، وفيه زيادةُ وصفٍ في هيئة القدمَينِ لم تتعرَّض الروايةُ الأولى لها.

الوجه الثالث: ما ذكرَه مسلم في صحيحِه[٢] من حديثِ عبدِ الله بنِ الزبيرِ: أنه ﷺ «كان يجعلُ قدمَه اليسرى بينَ فخذِه وساقِه، ويفرشُ قدمَه اليمنى»، وهذا مخالفٌ للصفتَينِ الأوليَينِ في إخراجِ اليسرى مِن جانبِه، وفي نصبِ اليمنى.

ولعله كان يفعلُ هذا تارةً وهذا تارةً، وهذا أظهرُ، ويحتملُ أن يكونَ من اختلافِ الرواة.

ولم يُذكر عنه عليه السلام هذا التوركُ إلا في التشهدِ الذي يليه السلامُ.

وكان ﷺ إذا جلسَ في التشهُّد وضعَ يدَه اليمنى على فخِذه اليمنى، وضمَّ أصابعَه الثلاثَ ونصبَ السبَّابةَ.

وكان يبسُط ذراعَه على فخِذِه ولا يُجافيها، فيكون حدُّ مِرفَقه عند آخر فخِذِه، وأما اليُسرى فممدودةُ الأصابعِ على الفخِذ اليسرى.

وكان يستقبلُ بأصابعِه القبلةَ في رفعِ يديه، وفي ركوعِه، وفي سجودِه، وفي تشهُّدِه، ويستقبلُ أيضًا بأصابعِ رجليه القبلةَ في سجودِه، وكان يقول في كُلِّ ركعتين التحية.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٧٩).

وأما المواضعُ التي كان يدعو فيها في الصلاةِ فسبعةُ مواطن:

أحدُها: بعد تكبيرةِ الإحرامِ في محل الاستفتاحِ.

الثاني: قبل الركوعِ، وبعد الفراغِ من القراءةِ في الوترِ.

الثالثُ: بعد الاعتدالِ من الركوعِ.

الرابعُ: في ركوعِه.

الخامسُ: في سجودِه، وفيه كان غالبُ دعائِه.

السادسُ: بين السجدتين.

السابعُ: بعد التشهدِ وقبلَ السلام، وبذلك أمرَ في حديثِ أبي هريرةَ وحديثِ فضالةَ بنِ عبيد، وأمرَ أيضًا بالدعاءِ في السجودِ.

وأما الدعاءُ بعد السلامِ من الصلاةِ مُستقبلَ القبلةِ أو المأمومين فلم يكن ذلك من هديِه ﷺ أصلًا، ولا رُوي عنه بإسنادٍ صحيحٍ ولا حسنٍ، وعامَّةُ الأدعية المتعلقةِ بالصلاة إنما فعَلَها فيها وأمرَ بها فيها، إلا أن هاهنا نكتةٌ لطيفةٌ، وهو أن المصليَ إذا فرغَ من صلاتِه وذَكر الله وهلَّله وسبَّحه وحمِدَه وكبَّرَه بالأذكارِ المشروعةِ عقيب الصلاةِ، استُحبَّ له أن يصليَ على النبيِّ ﷺ بعد ذلك ويدعو بما شاءَ، ويكون دعاؤه عقيبَ هذه العبادة الثانية، لا لكونه دبر الصلاة، فإن كلَّ من ذَكر الله وحمِدَه وأثنى عليه وصلَّى على رسول الله ﷺ استُحبَّ له الدعاءُ عقيبَ ذلك، كما في حديث فَضالة بن عبيدٍ: «**إذا صلَّى أحدُكم فليبدَأْ بحمدِ الله والثناءِ عليه، ثم ليصلِّ على النبيِّ ﷺ، ثم لِيَدْعُ بعد ما شاءَ**» قال الترمذي: حديث صحيح[1].

---

(١) سنن الترمذي (٣٤٧٧)، وفيه: حديث حسن صحيح.

ثم كان ﷺ يسلِّم عن يمينه: «**السلامُ عليكم ورحمةُ الله**»[١]، وعن يسارِه كذلك. هذا كان فعلُه الراتبُ رواه عنه خمسةَ عشرَ صحابيًّا، وقد رُوي عنه ﷺ أنه كان يُسلِّم تسليمةً واحدة تِلقاءَ وجهِهِ[٢]، ولكن لم يَثبت عنه ذلك من وجهٍ صحيحٍ.

٢- فصل [في هديه ﷺ في دعائه في صلاته]

وكان ﷺ يدعو في صلاتِه فيقول: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك من عذابِ القبرِ، وأعوذُ بك من فتنةِ المسيحِ الدجالِ، وأعوذُ بك من فتنةِ المَحيا والمماتِ، اللهمَّ إني أعوذُ بك من المَغرمِ والمأثَم**»[٣].

وكان يقول في صلاتِه أيضًا: «**اللهمَّ اغفرْ لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وباركْ لي فيما رزقتَني**»[٤].

وكان يقولُ في سجودِه: «**ربِّ أعطِ نفسي تَقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها**»[٥].

وقد تقدَّم ذكرُ بعضِ ما كان يقولُ في ركوعِه وسجودِه وجلوسِه واعتدالِه في الركوعِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٠٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

والمحفوظُ في أدعيتِه ﷺ في الصلاة كُلِّها بلفظ الإفرادِ.

٣- فصل [في هديه ﷺ في مراعاة أحوال المأمومين ، مع كمالِ إقبالِه وقربِه من الله تعالى، وحضورِ قلبِه بينَ يديه]

وكان ﷺ إذا قام في الصلاةِ طأطأ رأسَه، ذكرَه الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان ﷺ في التشهدِ لا يجاوزُ بصرُه إشارتَه وقد تقدَّم، وكان قد جعلَ الله قُرَّةَ عينِه ونعيمَه وسرورَه وروحَه في الصلاةِ، وكان يقولُ ﷺ: «**يا بلالُ، أرِحْنا بالصلاةِ**»(١)، وكان يقولُ: «**جُعلت قرَّةُ عيني في الصلاةِ**»(٢)، ومع هذا لم يكن يَشغَلُه ما هو فيه من ذلك عن مُراعاةِ أحوالِ المأمومين وغيرِهم، مع كمالِ إقبالِه وقربِه من الله تعالى، وحضورِ قلبِه بينَ يديه واجتماعِه عليه.

وكان يَدخلُ في الصلاةِ وهو يُريد إطالتَها فيسمعُ بكاءَ الصبيِّ فيخفِّفها مخافةَ أن يشقَّ على أمِّه، وأَرسلَ مرَّةً فارسًا طليعةً له، فقام يصلِّي وجعلَ يلتفتُ إلى الشِّعبِ الذي يجيءُ منه الفارسُ، ولم يَشغَلْه ما هو فيه عن مراعاةِ حالِ فارسِه.

وكذلك كان يُصلِّي الفرضَ وهو حاملٌ أمامةَ بنت أبي العاصِ بنِ الربيعِ ابنةَ بنتِه زينب على عاتقِه، إذا قام حملَها، وإذا ركعَ وسجدَ وضعَها.

وكان يُصلِّي فيجيءُ الحسنُ أو الحسينُ فيركبُ ظهرَه فيطيل السجدةَ؛ كراهيةَ أن يلقيَه عن ظهرِه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).

وكان يُصلِّي فتجيءُ عائشةُ من حاجتِها والبابُ مغلقٌ، فيمشي فيفتحُ لها البابَ، ثم يرجعُ إلى مصلاه.

وكان يردُّ السلامَ بالإشارةِ على من يُسلِّم عليه وهو في الصلاةِ.

وقال جابرٌ: بعثني رسولُ الله ﷺ لحاجةٍ ثم أدركتُه وهو يُصلِّي، فسلمت عليه فأشارَ إليَّ[١].

وكان ﷺ يُصلِّي وعائشةُ معترضةٌ بينه وبين القبلةِ، فإذا سجدَ غمزَها بيده فقبضَت رِجليها، وإذا قام بسطَتها[٢].

وكان ﷺ يصلِّي فجاءه الشيطانُ ليقطعَ عليه صلاتَه، فأخذَه فخنقَه حتى سال لعابُه على يده[٣].

وكان يصلي على المِنبر ويركعُ عليه، فإذا جاءت السجدةُ نزلَ القَهقَرَى، فسجدَ على الأرضِ، ثم صعدَ عليه.

وكان يصلي إلى جدار، فجاءت بهمةٌ تمرُّ من بين يديه، فما زال يُدارِئُها حتى لصقَ بطنُه بالجدار، ومرَّت من ورائه[٤]. يدارئها: يفاعلها من المدارأة وهي المدافعة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١٧)، ومسلم (٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٤)، ومسلم (٥١٢).

(٣) أخرجه أحمد ١٨/ ٣٠٢ (١١٧٨٠) ، ٧/ ٤١ (٣٩٢٦) والنسائي في الكبرى ١/ ٢٩٤ (٥٥٥)، ١٠/ ٢٣٤ (١١٣٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٧٠٨).

وكان يصلِّي فجاءَتْه جاريتانِ من بني عبد المطلب قد اقتتلتا، فأخذهما بيديه، فنزعَ إحداهما من الأخرى وهو في الصلاةِ[١].

وكان يَنفُخُ في صلاتِه، وكان يَبكي في صلاتِه وكان يَتنحنَحُ في صلاتِه، وكان يُصلِّي حافيًا تارةً، ومُنتعلًا أخرى، وكان يُصلِّي في الثوب الواحدِ تارةً، وفي الثوبين تارةً، وهو أكثرُ.

وقنتَ في الفجرِ بعد الركوعِ شهرًا، ثم ترك القنوتَ؛ فإنه إنما قنت عند النَّوازلِ، فكان قنوتُه لعارضٍ، فلما زال ترك القنوتَ، ولم يكن يَختصَّ بالفجر، بل كان يقنتُ في صلاةِ الفجرِ والمغربِ، ذكره البخاريُّ في صحيحه عن أنس[٢]، وقد ذكره مسلم عن البراء[٣].

وكان هديُه ﷺ القنوتَ في النوازلِ خاصةً، وتَركَه عند عدمِها، ولم يكن يخصُّه بالفجر، بل كان أكثرُ قنوتِه فيها لأجلِ ما يُشرع فيها من الطولِ، ولاتصالها بصلاةِ الليلِ، وقربها من السَّحَرِ وساعةِ الإجابةِ، والتنزُّل الإلهيِّ، ولأنها الصلاةُ المشهودةُ التي يشهدها الله وملائكتُه، أو ملائكة الليل والنهارِ، كما روي هذا وهذا في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

نعم صحَّ عن أبي هريرةَ أنه قال: والله لأنا أقربُكم صلاةً برسولِ الله ﷺ، فكان أبو هريرةَ يقنتُ في الركعةِ الأخيرةِ من صلاةِ الصبحِ بعدما يقولُ: سمِعَ الله

(١) أخرجه أبو داود (٧١٧).

(٢) أخرجه البخاري في أكثر من خمسة عشر موضعا منها: (١٠٠١، ٢٨٠١، ٤٠٨٨، ٤٠٩٠)، وفي بعضها ذكر الصبح، وليس في واحد منها ذكر المغرب.

(٣) أخرجه مسلم (٦٧٨).

لمن حمدَه، فيدعو للمؤمنين، ويلعنُ الكفارَ[(١)]. ولا ريبَ أن رسولَ الله ﷺ فعلَ ذلك ثم تركَه، فأحبَّ أبو هريرةَ أن يعلِّمَهم أن مثلَ هذا القنوتِ سنةٌ، وأن رسولَ الله ﷺ فعلَه، وهذا ردٌّ على أهلِ الكوفةِ الذين يكرهون القنوتَ في الفجرِ مطلقًا عندَ النوازلِ وغيرِها، ويقولون: هو منسوخٌ وفِعلُه بدعةٌ، فأهلُ الحديث متوسطونَ بينَ هؤلاء وبينَ مَن استحبَّه عندَ النوازلِ وغيرِها، وهم أسعدُ بالحديثِ مِن الطائفتين، فإنهم يقنتون حيث قنتَ رسولُ الله ﷺ، ويتركونه حيث تركَه، فيقتدون به في فعلِه وتركِه، ويقولون: فِعلُه سنةٌ وتركُه سنةٌ، ومع هذا فلا ينكرون على مَن داومَ عليه، ولا يكرهون فِعلَه، ولا يرونه بدعةً، ولا فاعلَه مخالفًا للسنةِ، كما لا ينكرون على مَن أنكرَه عندَ النوازلِ ولا يرون تركَه بدعةً ولا تاركَه مخالفًا للسنةِ، بل مَن قنتَ فقد أحسنَ، ومن تركَه فقد أحسنَ.

وإذا جهرَ به الإمامُ أحيانًا ليعلِّمَ المأمومين فلا بأسَ بذلك، فقد جهرَ عمرُ بالاستفتاحِ ليعلِّم المأمومين، وجهر ابنُ عباس بقراءةِ الفاتحة في صلاةِ الجنازة ليعلمَهم أنها سنةٌ، ومن هذا أيضًا جهرُ الإمام بالتأمين، وهذا مِن الاختلاف المباح الذي لا يُعنف فيه مَن فَعلَه ولا مَن تَركَه.

٤ - فصل في هديِه ﷺ في سجودِ السهو

ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«إنما أنا بشرٌ مثلُكم، أنسَى كما تَنسون، فإذا نسيتُ فذكِّروني»**[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٧٩٧)، ومسلم (٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢).

وكان سهوُه في الصلاةِ من إتمامِ نعمةِ الله على أُمَّتِه وإكمالِ دينِهم، ليقتدوا به فيما يشرعُه لهم من السهوِ.

فقامَ ﷺ من اثنتين في الرُّباعيَّةِ، ولم يَجلس بينهما، فلما قضى صلاتَه سجدَ سجدتين قبلَ السلامِ ثم سلَّم، فأُخذَ من هذا قاعدةٌ: أن من ترك شيئًا من أجزاءِ الصلاةِ التي ليست بأركانٍ سهوًا، سجدَ له قبلَ السلامِ، وأُخذ من بعضِ طرُقِه: أنه إذا ترك ذلك وشرعَ في رُكنٍ، لم يرجع.

وسلَّم ﷺ من ركعتين في إحدى صلاتي العَشيِّ، ثم تكلَّم، ثم أتمَّها، ثم سلَّم، ثم سجدَ سجدتين بعد السلامِ والكلامِ، يكبِّر حين يسجُدُ، ثم يكبرُ حين يرفعُ.

وذكرَ أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ صلَّى بهم فسجدَ سجدتَينِ، ثم تشهَّد، ثم سلَّم. قال الترمذي: حسن غريب[(١)].

وصلَّى يومًا فسلَّم وانصرف وقد بَقِي من الصلاةِ ركعةٌ، فأدركه طلحةُ بن عبيد الله، فقال: نسيتَ من الصلاة ركعةً، فرجع فدخل المسجدَ، وأمر بلالًا فأقام الصلاةَ، فصلَّى للناس ركعةً. ذكره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

وصلى الظهرَ خمسًا، فقيل له: زيدَ في الصلاةِ؟ فقال: «**وما ذاك؟**» قالوا: صلَّيت خمسًا؛ فسجد سجدتين بعدما سلَّم.

(١) أخرجه أبو داود (١٠٣٩)، والترمذي (٣٩٥).

(٢) أخرجه أحمد ٤٥/ ٢٢٧ (٢٧٢٥٤)، وأبو داود (١٠٢٣)، والنسائي (٦٦٤).

وصلى العصرَ ثلاثًا، ثم دخلَ منزلَه فذَكَّره الناسُ، فخرجَ فصلى بهم ركعةً، ثم سلمَ، ثم سجد سجدتين، ثم سلَّم.

فهذا مجموعُ ما حُفظ عنه ﷺ من سهوِه في الصلاةِ، وهو خمسةُ مواضعَ، وقد تضمَّن سجودَه في بعضِه قبلَ السلام، وفي بعضِه بعدَه.

وأما الشكُّ فلم يَعرِضْ له ﷺ وإنما أمرَ فيه بالبناءِ على اليقينِ، وإسقاطِ الشكِّ، والسجودِ قبل السلامِ.

٥- فصل [في هديه ﷺ في النظر أثناء الصلاة]

ولم يكن من هديِه ﷺ تغميضُ عينيه في الصلاةِ، وقد تقدَّم أنه كان في التشهدِ يُومِئ ببصرِه إلى أصبعِه في الدعاءِ، ولا يُجاوزُ بصره إشارتَه.

وقد اختلف الفقهاء في كراهته، فكرهه الإمامُ أحمد وغيرُه، وقالوا: هو فعلُ اليهود(١)، وأباحه جماعةٌ ولم يكرهوه.

والصوابُ أن يُقالَ: إن كان تفتيحُ العينِ لا يُخِلُّ بالخشوعِ فهو أفضلُ، وإن كان يحولُ بينه وبين الخشوعِ لِما في قِبلته من الزخرفةِ والتزويقِ أو غيرِه ممَّا يُشوِّشُ عليه قلبَه، فهنالك لا يُكرَه التغميضُ قطعًا، والقولُ باستحبابِه في هذا الحال أقربُ إلى أصولِ الشرعِ ومقاصدِه من القولِ بالكراهةِ، والله أعلم.

---

(١) المغني لابن قدامة ٢/ ٣٩٦.

٦- فصل: فيما كان رسولُ الله ﷺ يقولُه بعد انصرافِه من الصلاةِ، وجلوسِه بعدها، وسرعةِ انفتالِه منها، وما شرعهُ لأمَّتِه من الأذكارِ والقراءةِ بعدها.

كان ﷺ إذا سلَّم استغفرَ ثلاثًا، وقال: «**اللهمَّ أنت السلامُ، ومنك السلامُ، تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ**»(١).

ولم يمكُث مُستقبلَ القبلةِ إلا مقدارَ ما يقولُ ذلك، بل يُسرعُ الانفتالَ إلى المأمومين، وكان يَنفتلُ عن يمينِه وعن يَسارِه، ثم كان يُقبِلُ على المأمومين بوجهِه، ولا يَخصُّ ناحيةً منهم دونَ ناحيةٍ.

وكان إذا صلَّى الفجرَ جلس في مُصلَّاه حتى تَطلُعَ الشمسُ.

وكان يقولُ في دُبرِ كُلِّ صلاةٍ مكتوبة: «**لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**»(٢).

وكان يقولُ: «**لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كُلِّ شيء قديرٌ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبدُ إلا إيَّاه، له النعمةُ، وله الفضلُ، وله الثناءُ الحسَنُ، لا إلهَ إلا الله، ولا نَعبدُ إلا إياه مُخلصين، له الدينَ ولو كرِه الكافرون**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩١).
(٢) أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).
(٣) أخرجه مسلم (٥٩٤).

ونَدَبَ أُمَّته إلى أن يقولوا في دُبرِ كُلِّ صلاةٍ: «**سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمدُ لله كذلك، والله أكبر كذلك**»، وتمام المئة: «**لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شيء قديرٌ**»(١).

وفي صفةٍ أخرى: التكبير أربعًا وثلاثين فتتمُّ به المئة(٢).

وفي صفةٍ أخرى: «**خمسًا وعشرين تسبيحةً، ومثلها تحميدةً، ومثلها تكبيرةً، ومثلها لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قديرٌ**»(٣).

وفي صفةٍ أخرى: «**عشر تسبيحاتٍ، وعشر تحميداتٍ، وعشر تكبيراتٍ**»(٤).

وفي المسندِ والسننِ عن عقبةَ بن عامر قال: «أمرني رسولُ الله ﷺ: أن أقرأَ بالمعوذاتِ في دبرِ كلِّ صلاةٍ»، ورواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، ولفظ الترمذي: «بالمعوذتين»(٥).

وأوصى معاذًا أن يقولَ في دبر كلِّ صلاةٍ: «**اللهم أعنِّي على ذكرِك وشكرِك وحسنِ عبادتِك**»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٦).

(٣) أخرجه النسائي (١٣٥٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠).

(٥) أخرجه أحمد ٢٨/ ٦٣٣ (١٧٤١٧)، وأبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٢٩٠٣)، وابن حبان ٥/ ٣٤٤ (٢٠٠٤)، والحاكم ١/ ٣٨٣ (٩٢٩).

(٦) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣).

ودُبرُ الصلاة هنا يَحتملُ قبلَ السلامِ وبعده، وكان شيخُنا يُرجِّحُ أن يكونَ قبل السلامِ[(١)].

٧- فصل [في هديه ﷺ في السترة]

وكان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى إلى الجِدارِ، جعل بينه وبينه قدرَ ممرِّ الشاةِ، ولم يكن يتباعدُ منه، بل أمرَ بالقُرب من السترةِ، وكان يَركِزُ الحربةَ في السفرِ والبرِّيَّة، فيُصلِّي إليها، فتكون سُترتَه، وكان يَعرضُ راحلتَه، فيُصلِّي إليها، وكان يأخذُ الرحلَ فيعدلُه فيصلِّي إلى آخرتِه، وأمر المُصلِّي أن يستترَ ولو بِسهمٍ أو عصًا، فإن لم يجد فليَخطَّ خطًّا بالأرضِ.

فإن لم يكن سترةٌ فإنه صحَّ عنه أنه يقطعُ صلاتَه المرأةُ والحمارُ والكلبُ الأسودُ، وثبتَ ذلك عنه من روايةِ أبي ذرٍّ، وأبي هريرةَ، وابنِ عباسٍ، وعبدِ الله بن مغفل.

وكان ﷺ يصلِّي وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نائمةٌ في قِبلته، ذلك ليس كالمارِّ، فإن الرجلَ مُحرَّمٌ عليه المرورُ بين يدي المصلي، ولا يُكرهُ له أن يكون لابثًا بين يديه، وهكذا المرأةُ يقطعُ مرورُها الصلاةَ دون لبثِها، والله أعلم.

٨- فصل في هديه ﷺ في السننِ الرواتبِ

كان ﷺ يحافظُ على عشر ركعاتٍ في الحضرِ دائمًا، وهي التي قال فيها ابنُ عمر: حِفظت من النبيِّ ﷺ عشرَ ركعات: ركعتين قبل الظهرِ، وركعتين بعدها، وركعتين بعدَ المغربِ في بيتِه، وركعتين بعد العِشاءِ في بيته، وركعتين قبل صلاةِ الصبح[(٢)].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢/ ٤٩٩.

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٠).

ولما فاتته الركعتان بعد الظهرِ، قضاهما بعد العصرِ، وداومَ عليهما؛ لأنه كان إذا عملَ عملًا أثبتَه.

وكان يصلي أحيانًا قبل الظهر أربعًا كما في «صحيح البخاري» عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنه ﷺ كان لا يدعُ أربعًا قبل الظهرِ، وركعتين قبل الغداةِ[(١)].

فإمَّا أن يقالَ: إنه ﷺ كان إذا صلَّى في بيتِه صلَّى أربعًا، وإذا صلَّى في المسجدِ، صلَّى ركعتين، وهذا أظهرُ، وإما أن يقالَ: إنه كان يفعلُ هذا وهذا، فحكى كلٌّ من عائشةَ وابنِ عمرَ ما شاهده، والحديثانِ صحيحانِ لا مطعنَ في واحدٍ منهما.

وقد روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديثِ أمِّ حبيبةَ قالت: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**من صلَّى ثنتي عشرةَ ركعةً في يومٍ وليلةٍ، بُني له بهن بيتٌ في الجنَّةِ**»[(٢)]. وزاد الترمذي والنسائي فيه: «أربعًا قبلَ الظهرِ، وركعتين بعدَها، وركعتين بعدَ المغربِ، وركعتين بعدَ العشاءِ، وركعتين قبلَ صلاةِ الفجر». قال النسائي: «وركعتين قبلَ العصرِ» بدل «وركعتين بعدَ العشاءِ»، وصححه الترمذي[(٣)].

وأما الأربعُ قبل العصرِ، فلم يصحَّ عنه في فعلها شيءٌ، إلا حديثَ عاصمِ بن ضمرةَ عن عليٍّ الحديثَ الطويل، وسمعتُ شيخَ الإسلام ابن تيميةَ يُنكر هذا الحديثَ ويدفعُه جدًّا ويقول: إنه موضوعٌ، ويذكر عن أبي إسحاق الجوزجاني إنكارَه[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (١١٨٢).
(٢) أخرجه مسلم (٧٢٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٤١٥)، والنسائي (١٨٠١).
(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ١٢٥، ٣٥٨.

وقد روى أحمدُ، وأبو داودَ، والترمذيُّ من حديثِ ابن عمرَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**رحِمَ الله امرًا صلى قبل العصر أربعًا**»[١] وقد اختُلف في هذا الحديث، فصححه ابنُ حبان، وعلله غيرُه.

وأما الركعتان قبل المغربِ فلم ينقل عنه ﷺ أنه كان يصليهما، وصح عنه ﷺ أنه أقرَّ الصحابةَ عليهما، وكان ﷺ يَراهم يُصلونَهما فلم يَأمُرهم ولم ينههم، وفي الصحيح عن عبدِ الله المزني أنه ﷺ قال: «**صلُّوا قبلَ المغربِ**»، قال في الثالثةِ: «**لمن شاءَ**. كراهةَ أن يتخذها الناسُ سُنَّةً»[٢]. وهذا هو الصوابُ في هاتينِ الركعتينِ، أنهما مستحبتانِ مندوبٌ إليهما، وليستا بسنةٍ راتبةٍ كسائرِ السننِ الرواتب.

وكان يُصلِّي عامةَ السننِ والتطوعَ الذي لا سببَ له في بيته، ولا سيَّما سُنَّةَ المغربِ، فإنه لم يُنقل عنه أنه فعلَها في المسجد البتَّةَ.

وفي سُنَّةِ المغرب سُنَّتان:

إحداهُما: أنه لا يُفصل بينها وبين المغربِ بكلامٍ.

والسُنَّةُ الثانيةُ: أن تُفعل في البيتِ.

وكان تعاهدُه ومحافظتُه على سُنَّةِ الفجرِ أشدَّ من جميعِ النوافلِ؛ ولذلك لم يكن يَدعُها هي والوتر حضرًا ولا سفرًا، ولم يُنقلْ عنه في السفرِ أنه ﷺ صلَّى سنةً راتبةً غيرهما.

---

(١) أخرجه أحمد ١٠/ ١٨٨ (٥٩٨٠)، وأبو داود (١٢٧١)، والترمذي (٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٣).

وقد اختلف الفقهاءُ: أيُّ الصلاتين آكدُ؟ وسمعت شيخَ الإسلام ابنَ تيمية يقول: سُنَّةُ الفجر تجري مَجرى بدايةِ العملِ، والوترُ خاتمتُه؛ ولذلك كان [النبي ﷺ] يصلي سُنَّةَ الفجرِ والوترَ بسورتي الإخلاصِ وهما الجامعتانِ لتوحيدِ العلمِ والعملِ، وتوحيدِ المعرفةِ والإرادة، وتوحيدِ الاعتقادِ والقصد. انتهى.

٩- فصل [في هديه ﷺ في الاضطجاع بعد سنة الفجر]

وكان ﷺ يضطجعُ بعد سنة الفجر على شِقِّهِ الأيمن، هذا الذي ثبتَ عنه في «الصحيحين»[(١)]، مِن حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد غلا في هذه الضَّجعةِ طائفتان، وتوسَّطت فيها طائفةٌ ثالثة، فأوجبها جماعةٌ من أهل الظاهرِ، وأبطلوا الصلاةَ بتركِها كابنِ حزم ومن وافقه، وكرِهها جماعةٌ من الفقهاءِ، وسمَّوها بدعةً، وتوسَّط فيها مالكٌ وغيرُه فلم يروا بها بأسًا لمن فعَلَها راحةً، وكرِهوها لمن فعلها استنانًا، واستحبَّتها طائفةٌ على الإطلاقِ، سواءٌ استراحَ بها أو لا.

١٠- فصل في هديه ﷺ في قيام الليل

قد اختلفَ السلفُ والخلفُ في أنه: هل كان فرضًا عليه أم لا؟ والطائفتانِ احتجُّوا بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وسيأتي مزيدُ بيانٍ لهذه المسألةِ إن شاء الله تعالى عند ذكرِ خصائصِ النبي ﷺ[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦)، ومسلم (٧٣٦).

(٢) ذكر ابن القيم في أكثر من موضع أنه سيأتي تفصيله في ذكر خصائص النبي ﷺ، غير أني لم أقف على ذكره خصائصه ﷺ في هذا الكتاب، فلربما صرف ابنَ القيم صارفٌ عن تقييد هذا المبحث، أو ذهل عنه، والله أعلم.

ولم يكن النبيُّ ﷺ يدعُ قيامَ الليلِ حضرًا ولا سفرًا، وكان إذا غلبه نومٌ أو وجعٌ، صلى من النهارِ ثنتي عشرةَ ركعةً، فسمعت شيخَ الإسلامِ ابنَ تيمية يقول: في هذا دليلٌ على أن الوترَ لا يُقضى لفواتِ محلِّه، فهو كتحيةِ المسجدِ؛ لأن المقصودَ به أن يكون آخرُ صلاة الليل وترًا[(١)].

وكان قيامُه ﷺ بالليلِ إحدى عشرة ركعةً، أو ثلاث عشرةَ ركعةً، كما قال ابنُ عباس وعائشةُ، فإنه ثبتَ عنهما هذا وهذا.

واختُلف في الركعتين الأخيرتَين: هل هما ركعتا الفجرِ أو هما غيرُهما؟

فإذا انضاف ذلك إلى عددِ ركعات الفرضِ والسننِ الراتبةِ التي كان يُحافِظ عليها، جاء مجموعُ وردِه الراتبُ بالليل والنهارِ أربعين ركعةً، كان يُحافظ عليها دائمًا، وما زاد على ذلك فعارضٌ غيرُ راتبٍ، كصلاةِ الفتحِ ثمان ركعات، وصلاةِ الضحى إذا قَدِم من مغيبه، وصلاتِه عند من يزورُه، وتحيةِ المسجد، ونحو ذلك.

فينبغي للعبدِ أن يواظبَ على هذا الوردِ دائمًا إلى المماتِ، فما أسرعَ الإجابةَ وأعجلَ فتحَ الباب لمن يقرعه كُلَّ يوم وليلةٍ أربعين مرَّةً. والله المستعان.

١١ - فصل في سياقِ صلاتِه ﷺ بالليلِ ووترِه، وذكرِ صلاتِه أوَّلِ الليلِ

وكان ﷺ إذا استيقظَ، بدأ بالسِّواك، ثم يذكر الله تعالى، وقد تقدَّم ذكرُ ما كان يقولُه عندَ استيقاظِه، ثم يتطهَّر، ثم يُصلِّي ركعتين خفيفتين، كما في «صحيح

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ٢٤٠، وفيه: «...وفيه قول آخر: إن الوتر لا يقضى... والصحيح أن الوتر يقضى قبل صلاة الصبح فإنه إذا صليت لم يبق في قضائه الفائدة التي شرع لها»

مسلم» عن عائشةَ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليلِ، افتتحَ صلاتَه بركعتين خفيفتين[(١)].

وكان يقومُ تارةً إذا انتصف الليلُ، أو قَبله بقليلٍ، أو بعده بقليلٍ، وربما كان يقومُ إذا سمعَ الصارخَ، وهو الديكُ، وهو إنما يصيحُ في النصفِ الثاني.

وكان يقطعُ وِردَه تارةً، ويَصِلُه تارةً وهو الأكثرُ، فيقطعُه كما قال ابن عباسٍ في حديثِ مبيتِه عندَه أنه ﷺ استيقظَ، فتسَوَّك وتوضَّأ وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠] فقرأَ هؤلاء الآياتِ حتى ختم السورةَ، ثم قام فصلى ركعتين أطالَ فيهما القيامَ والركوعَ والسجودَ، ثم انصرفَ، فنام حتى نَفَخَ، ثم فعلَ ذلك ثلاثَ مراتٍ ستَّ ركعاتٍ.

ولم يذكر ابن عباسٍ افتتاحَه بركعتين خفيفتين كما ذَكَرَتهُ عائشةُ، فإما أنه كان يفعلُ هذا تارةً، وهذا تارةً، وإما أن تكون عائشةُ حفِظَت ما لم يَحفظ ابنُ عباسٍ، وهو الأظهرُ؛ لمواظبتها له، ولمراعاتِها ذلك، ولكونها أعلمَ الخلقِ بقيامِه بالليل، وابن عباس إنما شاهده ليلةَ المبيتِ عندَ خالتِه، وإذا اختَلفَ ابنُ عباس وعائشةُ في شيء من أمرِ قيامِه بالليل فالقولُ ما قالت عائشةُ.

وكان قيامُه ﷺ بالليل ووترُه أنواعًا:

فمنها: هذا الذي ذكره ابنُ عبَّاسٍ.

والنوع الثاني: الذي ذكرته عائشةُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٧).

النوعُ الثالثُ: ثلاثَ عشرةَ ركعةً كذلك.

النوعُ الرابعُ: يصلي ثمانِ ركعات، يُسلِّم من كُلِّ ركعتين، ثم يُوترُ بخمسٍ سردًا متواليةً، لا يجلسُ في شيءٍ إلا في آخرهنَّ.

النوعُ الخامسُ: تسعُ ركعاتٍ، يسردُ منهن ثمانيًا لا يجلسُ في شيءٍ منهن إلا في الثامنةِ، فيجلسُ يذكرُ الله تعالى ويحمدُه ويدعوه، ثم ينهضُ ولا يُسلِّم ثم يُصلِّي التاسعةَ، ثم يقعُد فيتشهَّد ويسلم، ثم يُصلِّي ركعتين جالسًا بعدما يُسلم.

النوعُ السادسُ: يصلي سبعًا كالتسعِ المذكورةِ، ثم يُصلِّي بعدها ركعتين جالسًا.

النوعُ السابعُ: أنه ﷺ كان يُصلِّي مثنى مثنى، ثم يُوترُ بثلاثٍ لا يَفصِلُ فيهن. وهذه الصفةُ فيها نظرٌ.

النوعُ الثامنُ: ما رواه النسائي عن حذيفةَ، أنه صلى مع رسول الله ﷺ في رمضانَ فركع، فقال في ركوعِه: «**سبحان ربِّي العظيمِ**» مثل ما كان قائمًا، ثم جلس يقول: «**ربِّ اغفرْ لي، ربِّ اغفِر لي**» مثل ما كان قائمًا، ثم سجد، فقال: «**سبحان ربِّي الأعلى**» مثل ما كان قائمًا، فما صلَّى إلا أربعَ ركعاتٍ حتى جاءَ بلالٌ يدعوه إلى الغَداةِ[(١)].

وأوتر أوَّلَ الليل، ووسَطه، وآخرَه، وقام ليلة تامةً بآية يتلوها ويُردِّدُها حتى الصباحِ: «﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]».

---

(١) أخرجه النسائي (١٦٦٥).

وكانت صلاتُه بالليل ثلاثةَ أنواعٍ:

أحدُها -وهو أكثرُها-: صلاته قائمًا.

الثاني: أنه كان يُصلِّي قاعدًا ويركع قاعدًا.

الثالث: أنه كان يقرأُ قاعدًا، فإذا بقي يسيرٌ من قراءتِه، قام فركع قائمًا.

والأنواعُ الثلاثةُ صحَّت عنه.

فصل

وقد ثبت عنه ﷺ أنه: كان يُصلِّي ركعتين بعد الوترِ جالسًا تارةً، وتارةً يقرأ فيهما جالسًا فإذا أراد أن يركعَ قام فركعَ، ففي «صحيح مسلم» عن أبي سلمةَ قال: سألتُ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ، فقالت: كان يُصلِّي ثلاث عشرةَ ركعةً، يصلي ثمانِ ركعات، ثم يُوترُ، ثم يُصلِّي ركعتين وهو جالسٌ، فإذا أرادَ أن يركعَ، قام فركعَ، ثم يُصلِّي ركعتين بين النداءِ والإقامةِ من صلاةِ الصبحِ[(١)].

وقد أُشكل هذا على كثيرٍ من الناسِ، فظنوه مُعارضًا، لقولِه ﷺ: «**اجعلوا آخرَ صلاتكم بالليلِ وترًا**»[(٢)]. والصوابُ: أن يقال: إن هاتين الركعتين تجريان مجرى السنة، وتكميل الوتر؛ فإن الوتر عبادةٌ مستقلةٌ، ولا سيما إن قيل بوجوبِه، فتجري الركعتان بعده، مجرى سُنَّةِ المغرب من المغربِ، فإنها وترُ النهارِ والركعتان بعدها تكميلٌ لها، فكذلك الركعتان بعد وترِ الليلِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١).

١٢- فصل [في هديه ﷺ في قنوت الوتر والدعاء بعده]

ولم يُحفظ عنه ﷺ أنه قنتَ في الوِترِ، إلا في حديثٍ رواه ابنُ ماجه[(١)]، عن أبيٍّ بن كعبٍ، أن رسولَ ﷺ كان يوتر فيقنت قبل الركوع. وقال أحمدُ في روايةِ ابنهِ عبد الله: أختارُ القنوتَ بعدَ الركوعِ، إنَّ كلَّ شيء ثبتَ عن النبي ﷺ في القنوتِ إنما هو في الفجر لما رفعَ رأسَه من الركوع، وقنوتُ الوتر أختارُه بعدَ الركوع، ولم يصحَّ عن النبي ﷺ في قنوتِ الوتر قبلُ أو بعدُ شيءٌ. وقال الخلال: أخبرني محمدُ بنُ يحيى الكحالُ، أنه قال لأبي عبد الله في القنوتِ في الوترِ، فقال: ليس يُروى فيه عن النبي ﷺ شيءٌ، ولكن كان عمرُ يقنتُ مِن السنةِ إلى السنةِ.

وقد روى أحمدُ وأهلُ السنن، من حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**علَّمَني رسولُ الله ﷺ كلماتٍ أقولهن في قنوتِ الوترِ: اللهم اهدِني فيمن هديتَ، وعافِني فيمن عافيتَ، وتولَّني فيمن توليتَ، وبارِك لي فيما أعطيتَ، وقِني شرَّ ما قضيتَ، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذلُّ من واليتَ، تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ**»[(٢)]. زاد النسائي والبيهقي: «**ولا يعزُّ مَن عاديتَ**»[(٣)].

والقنوتُ في الوتر محفوظٌ عن عمرَ، وأُبيٍّ، وابنِ مسعودٍ، والروايةُ عنهم به أصحُّ من القنوت في الفجرِ، والروايةُ عن النبيِّ ﷺ في قنوتِ الفجرِ أصحُّ عنه من الرواية في قنوتِ الوترِ.

---

(١) سنن ابن ماجه (١١٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥).

(٣) أخرجه أبو داود في الموضع السابق، والبيهقي ٢/ ٢٩٦ (٣١٣٨)، ٣/ ٥٦ (٤٨٥٩)، ولم أجد هذه اللفظة عند النسائي.

وقد روى أبو داود والترمذيُّ والنسائي مِن حديث عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ في آخرِ وترِه: «**اللهُمَّ إني أعوذُ برضاك من سخطِك، وبمعافاتِك من عقوبتِك، وأعوذُ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسِك**». وفي إحدى الرواياتِ للنسائي: كان يقولُ إذا فرغَ من صلاتِه وتبوأ مضجعَه. وثبت عنه ﷺ أنه قال ذلك في السجودِ، فلعله قاله في الصلاةِ وبعدها.

وذكرَ الحاكمُ في المستدرك من حديثِ ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، في صلاةِ النبي ﷺ ووترِه: ثُم أوترَ، فلما قضى صلاتَه، سمعتُه يقولُ: «**اللهُمَّ اجعَلْ في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، واجعَلْ لي يومَ لقائِك نورًا**». قال كريب: وسبعٌ في [التابوت][(١)]، فلقيتُ رجلًا من ولدِ العباس، فحدثني بهن، فذكر: «لحمِي ودمِي، وعصبي وشعري وبشري»، وذكر خصلتين. وفي روايةِ النسائي في هذا الحديثِ: وكان يقولُ في سجودِه.

وقد ذكرَ أبو داود والنسائي من حديثِ أُبيِّ بن كعبٍ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يقرأُ في الوِتر، بـ«﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»، فإذا سلَّم قال: «**سبحان الملكِ القُدُّوسِ**» ثلاث مرَّاتٍ، يمُدُّ صوتَه في الثالثةِ ويرفعُ. وهذا لفظ النسائي، زاد الدارقطني «**رب الملائكة والروح**»[(٢)].

(١) أي: سبع كلمات كن في قلبي ولكني نسيتها.
(٢) أخرجه الدارقطني ٢/ ٣٥٥ (١٦٦٠)، وأخرجه أيضا أبو داود (١٤٣٠)، والنسائي (١٦٩٩).

١٣- [فصل في هديه ﷺ في القراءة]

وكان ﷺ يقطع قراءَته، ويقف عند كُلِّ آيةٍ.

وذكر الزهريُّ أن قراءةَ رسولِ الله ﷺ كانت آيةً آيةً. وهذا هو الأفضلُ، الوقوفُ على رءوس الآياتِ وإن تعلَّقَتْ بما بعدَها، وذهبَ بعضُ القراءِ إلى تتبعِ الأغراضِ والمقاصدِ والوقوفِ عندَ انتهائِها، واتباعُ هديِ النبي ﷺ وسنتِه أولى.

وكان ﷺ يرتلُ السورةَ حتى تكون أطولَ من أطول منها، وقام بآيةٍ يردِّدها حتى الصباح، وقد اختلف الناسُ في الأفضلِ من الترتيل وقِلَّةِ القراءة، أو السرعةِ مع كثرةِ القراءةِ: أيهما أفضلُ؟ على قولين.

والصوابُ في المسألة أن يُقال: إن ثوابَ قراءةِ الترتيلِ والتدبُّرِ أجَلُّ وأرفعُ قدرًا، وثوابَ كثرةِ القراءة أكثرُ عددًا، وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: سألتُ أنسًا عن قراءة النبي ﷺ، فقال: كان يمدُّ مدًّا[(١)].

وكان رسولُ الله ﷺ يُسِرُّ بالقراءةِ في صلاة الليلِ تارةً، ويجهرُ بها تارةً، ويطيلُ القيام تارةً، ويخففه تارةً.

١٤- [في هديه ﷺ في صلاته التطوع على الراحلة]

وكان يُصلِّي التطوُّعَ بالليل والنهار على راحلتِه في السفر قِبلَ أيِّ وجهةٍ توجَّهتْ به، فيركعُ ويسجدُ عليها إيماءً، ويجعلُ سجودَه أخفضَ من ركوعِه، وقد روى أحمد وأبو داود عن أنسِ بن مالكٍ، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد أن

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٥).

يُصلِّيَ على راحلته تطوُّعًا، استقبل القبلةَ، فكبَّر للصلاة، ثم خلَّى عن راحلتِه، ثم صلَّى حيث توجَّهتْ به[(١)].

١٥ - فصل في هديِه ﷺ في صلاةِ الضحى

روى البخاريُّ في «صحيحه» عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما رأيت رسولَ الله ﷺ يصلي سُبحةَ الضحى، وإني لأُسبِّحها[(٢)].

وروى أيضًا من حديثِ مُورِّق العجلي: قلتُ لابن عمرَ: أتُصلِّي الضحى؟ قال: لا. قلتُ: فعمر؟ قال: لا. قلتُ: فأبو بكر؟ قال: لا. قلتُ: فالنبي ﷺ؟ قال: لا إخاله[(٣)].

وفي «صحيح مسلم» عن عائشةَ، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي الضحى أربعًا، ويزيدُ ما شاء الله[(٤)].

وفي «الصحيحين» عن أم هانئٍ: أنه صلَّى يومَ الفتحِ ثماني ركعاتٍ وذلك ضحىً[(٥)].

فاختَلفَ الناسُ في هذه الأحاديثِ على طرقٍ:

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠/ ٣٧٧ (١٣١٠٩)، وأبو داود (١٢٢٥)، وأصله في البخاري (١١٠٠)، ومسلم (٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٨)، ومسلم (٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري (١١٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (٧١٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦).

١- **منهم** من رجَّح روايةَ الفعلِ على التركِ بأنها مثبتةٌ تتضمَّن زيادةَ علمٍ خَفيتْ على النافي. قالوا: وقد أخبرَتْ عائشةُ، وأنسٌ، وجابرٌ، وأمُّ هانئٍ، وعليُّ بن أبي طالب، أنه صلَّاها. قالوا: ويؤيد هذا الأحاديثُ الصحيحةُ المرضية المتضمنة للوصية بها، والمحافظة عليها، ومدحِ فاعلها، والثناء عليه: ففي «الصحيحين»: عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: أوصاني خَليلي محمدٌ ﷺ بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شهرٍ، وركعتي الضحى، وأن أُوتِرَ قبل أن أنامَ[١].

٢- **وطائفةٌ ثانيةٌ**: ذهبت إلى أحاديثِ التَّرك، ورجَّحتها من جهة صحَّةِ إسنادِها، وعَملِ الصحابةِ بمُوجَبها، فروى البخاريُّ عن ابن عمرَ، أنه لم يكن يُصلِّيها، ولا أبو بكر، ولا عمرُ، قلت: فالنبيُّ ﷺ؛ قال: «**لا إخالُه**»[٢].

٣- **وذهبت طائفةٌ ثالثةٌ**: إلى استحباب فِعلها غِبًّا، فتُصلى في بعضِ الأيامِ دون بعضٍ، وهذا إحدى الروايتين عن أحمدَ، وحكاه الطبريُّ عن جماعةٍ، قال: واحتجُّوا بما روى الجريري، عن عبد الله بن شقيق، قال: قلتُ لعائشةَ: أكان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي الضحى؟ قالت: لا، إلا أن يجيءَ من مغيبِه. ثم قال: كذا ذكر من كان يفعلُ ذلك من السلفِ[٣].

٤- **وذهبت طائفةٌ رابعةٌ**: إلى أنها إنما تُفعلُ لسببٍ من الأسبابِ، وأن النبيَّ ﷺ إنما فعلَها لسببٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).
(٢) أخرجه البخاري (١١٧٥).
(٣) أخرجه مسلم (٧١٧).

ومن تأمَّل الأحاديثَ المَرفوعة وآثارَ الصحابة، وجَدَها لا تَدلُّ إلا على هذا القولِ، وأما أحاديثُ الترغيبِ فيها والوصيَّةِ بها فالصحيحُ منها كحديثِ أبي هريرةَ وأبي ذرٍّ لا يدلُّ على أنها سُنَّةٌ راتبةٌ لكل أحدٍ، وإنما أَوصَى أبا هريرة بذلك؛ لأنه قد رُوي أن أبا هريرةَ كان يختارُ درسَ الحديثِ بالليل على الصلاةِ، فأمره بالضحى بدلًا من قيامِ الليل، ولهذا أمره ألَّا ينامَ حتى يوتِرَ، ولم يأمُرْ بذلك أبا بكر ولا عمرَ وسائرَ الصحابةِ.

١٦- فصل [في هديه ﷺ في سجودِ الشكر]

وكان من هديِه ﷺ وهدي أصحابِه سجودُ الشكر عند تَجدُّد نعمةٍ تَسرُّ، أو اندفاعِ نِقمةٍ، كما في «المسند» عن أبي بَكرةَ، أن النبيَّ ﷺ، كان إذا أتاه أمرٌ يَسرُّه، خرَّ لله ساجدًا شكرًا لله تعالى.

وسجد كعبُ بن مالكٍ لما جاءته البُشرى بتوبةِ الله عليه، ذكره البخاري[(١)].

١٧- فصل في هديِه ﷺ في سجودِ القرآنِ

كان ﷺ إذا مرَّ بسجدةٍ كبَّر وسجد، وربما قال في سجودِه: «**سجدَ وجهي للذي خلقَه وصوَّره، وشقَّ سمعَه وبصرَه، بحولِه وقوَّته**»[(٢)].

وربما قال: «**اللهمَّ احطُط عني بها وِزرًا، واكتُب لي بها أجرًا، واجعلها لي عندك ذُخرًا، وتقبَّلها مني كما تقبلتَ من عبدِك داودَ**» ذكرهما أهلُ السننِ[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري (٤٤١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤١٤)، والترمذي (٥٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٥٧٩)، وابن ماجه (١٠٥٣).

ولم يُنقل عنه أنه ﷺ كان يُكبِّر للرفعِ من هذا السجودِ، ولا نُقل عنه فيه تَشهُّدٌ ولا سلامٌ البتَّةَ.

وصحَّ عنه ﷺ أنه سجدَ في: (الم تنزيل)، وفي (ص)، وفي (النجم)، وفي (إذا السماء انشقت)، وفي (اقرأ باسك ربك الذي خلق).

وذكر أبو داودَ عن عمرِو بن العاص، أن رسولَ الله ﷺ أقرأَه خمسَ عشرة سجدةً، منها ثلاثٌ في المُفصَّل، وفي سورة الحجِّ سجدتان[١].

١٨- فصل في هديه ﷺ في الجُمُعةِ وذكر خصائصِ يومِها

في «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ، وحُذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالا: قال رسولُ الله ﷺ: **«أضلَّ الله عن الجمعةِ مَن كان قبلنا، فكان لليهودِ يومُ السبت، وكان للنصارى يومُ الأحدِ، فجاءَ الله بنا فهدانا ليوم الجمعةِ، فجعلَ الجمعةَ والسبتَ والأحدَ؛ ولذلك هم تَبَعٌ لنا يومَ القيامةِ، نحن الآخرون من أهلِ الدنيا، والأوَّلون يومَ القيامةِ، المَقضي لهم قبلَ الخلائق»**[٢].

وفي «جامع الترمذي» من حديث أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: **«خيرُ يومٍ طلَعت فيه الشمسُ يومُ الجمعةِ، فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُدخلَ الجنةَ، وفيه أُخرجَ منها، ولا تقومُ الساعةُ إلا في يومِ الجمعةِ»**[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٠١)، وابن ماجه (١٠٥٧).

(٢) صحيح مسلم (٨٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٤٨٨)، وأخرجه أيضا مسلم (٨٥٤)، وأبو داود (١٠٤٦)، والنسائي (١٣٧٣).

وروى مالكٌ في «الموطَّأ» عن أبي هُريرةَ مرفوعًا: «... **وفيها ساعةٌ لا يُصادفها عبدٌ مسلمٌ وهو يصلي يسألُ الله فيها شيئًا إلا أعطاه إياه**»[(١)].

١٩- فصل في مبدأِ الجمعةِ

قال ابن إسحاق: عن عبدِ الرحمن بنِ كعبِ بن مالكٍ، قال: كنت قائدَ أبي حين كُفَّ بصرُه، فإذا خرجتُ به إلى الجمعةِ فسمعَ الأذانَ بها استغفرَ لأبي أُمامةَ أسعدَ بنِ زرارةَ، فمكث حينًا على ذلك منه؛ فقلت: إن هذا عجزٌ ألا أسألَه عن هذا، فخرجتُ به كما كنت أخرجُ، فلما سمعَ الأذانَ للجمعةِ، استغفر له، فقلت: يا أبتاه، أرأيتَ استغفارَك لأسعدَ بن زُرارةَ كلما سمعتَ الأذان بالجمعةِ؟ قال: أيْ بُني، كان أسعدُ أوَّلَ من جَمَّعَ بنا بالمدينةِ قبل مَقدَمِ رسولِ الله ﷺ في هَزمِ النَّبيتِ من حرَّةِ بني بيَاضةَ في نقيعٍ يُقال له: نقيعُ الخضَماتِ. قلتُ: وكم كنتم يومئذٍ؟ قال: أربعون رجلًا.

قلتُ: وهذا كان مبدأُ الجمعة، ثم قدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فأقام بقُباءَ في بني عمرو بن عوفٍ، وأسَّس مسجدهم، ثم خرج يومَ الجمعةِ فأدركته الجمعةُ في بني سالمِ بن عوفٍ، فصلاها في المسجدِ الذي في بطنِ الوادي، وكانت أوَّلَ جمعةٍ صلاها بالمدينةِ، وذلك قبل تأسيسِ مسجدِه ﷺ.

٢٠- فصل [في خصائص يوم الجمعة]

وكان من هديِه ﷺ تعظيمُ هذا اليومِ وتشريفُه وتخصيصُه بعباداتٍ يختصُّ بها عن غيرِه.

---

(١) أخرجه مالك ١/ ١٠٨ (١٥)، وأبو داود (١٠٤٦).

وقد اختَلفَ الفقهاءُ: هل هو أفضلُ، أم يومُ عرفةَ؟ على قولين، هما وجهانِ لأصحابِ الشافعيِّ.

وكان ﷺ يقرأُ في فجرِه بسورتي: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.

ويظنُّ كثيرٌ ممن لا علمَ عنده أن المرادَ تخصيصُ هذه الصلاةِ بسجدة زائدة، ويسمُّونها سجدةَ الجمعة، وإذا لم يقرأ أحدُهم هذه السورةَ استحبَّ قراءةَ سورة أخرى فيها سجدة؛ ولهذا كَرِهَ مَن كَرِهَ من الأئمةِ المداومةَ على قراءةِ هذه السورة في فجر الجمعة، دفعًا لتوهم الجاهلين.

وسمعتُ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميةَ يقولُ: إنما كان النبي ﷺ يقرأُ هاتين السورتينِ في فجرِ الجمعة؛ لأنهما تَضمَّنَتا ما كان وما يكون في يومها: فإنهما اشتملَتا على خلقِ آدمَ عليه السلام، وعلى ذكرِ المعاد، وحشرِ الخليقةِ[(١)].

فهذه خاصةٌ من خواصِّ يوم الجمعةِ.

الخاصَّةُ الثانيةُ: استحبابُ كثرةِ الصلاةِ فيه على النبيِّ ﷺ وفي ليلتِه؛ لقوله ﷺ: «**أكثِروا من الصلاةِ عليَّ يومَ الجمعةِ وليلة الجمعةِ**»[(٢)].

ورسولُ الله ﷺ سيدُ الأنام، ويومُ الجمعة سيدُ الأيام، فللصلاةِ عليه في هذا اليوم مزيةٌ ليست لغيره مع حكمةٍ أخرى، وهي أنَّ كلَّ خيرٍ نالَتْه أمتُه في الدنيا والآخرة فإنما نالَتْه على يدِه، فجمعَ الله تعالى لأمتِه به بين خيرَي الدنيا والآخرة، فأعظمُ كرامةٍ تحصلُ لهم فإنها تحصلُ يومَ الجمعة، فإن فيه بعثَهم إلى منازلهم

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ٣٦٠.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥).

وقصورِهم في الجنة، وهو يومُ المزيدِ لهم إذا دخلوا الجنةَ، وهو يومُ عيدٍ لهم في الدنيا، ويومٌ فيه يُسعفهم الله تعالى بطلباتِهم وحوائجِهم، ولا يردُّ سائلَهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصلَ لهم بسببِه وعلى يدِه، فمن شكرِه وحمدِه وأداءِ القليل من حقِّه ﷺ أن نُكثرَ من الصلاةِ عليه في هذا اليومِ وليلتِه.

الخاصةُ الثالثةُ: صلاة الجمعةِ التي هي من آكدِ فروضِ الإسلامِ، ومن أعظمِ مجامعِ المسلمين، وهي أعظمُ من كلِّ مجمعٍ يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمعِ عرفةَ.

الخاصَّةُ الرابعة: الأمرُ بالاغتسالِ في يومِها، وهو أمر مؤكَّدٌ جدًّا، ووجوبُه أقوى من وجوبِ الوِترِ.

وللناسِ في وجوبِه ثلاثةُ أقوالٍ: النفيُ، والإثباتُ، والتفصيلُ بين من له رائحة يحتاجُ إلى إزالتِها فيجبُ عليه، ومَن هو مستغنٍ عنه فيستحبُّ له. والثلاثة لأصحاب أحمد.

الخاصَّةُ الخامسةُ: التطيُّبُ فيه. وهو أفضلُ فيه من التطيب في غيرِه من أيامِ الأسبوعِ.

الخاصَّةُ السادسةُ: السواكُ فيه، وله مزيَّةٌ على السواكِ في غيرِه.

الخاصَّةُ السابعةُ: التبكيرُ للصلاةِ.

الخاصَّةُ الثامنةُ: أن يشتغلَ بالصلاةِ والذكرِ والقراءة حتى يخرجَ الإمامُ.

الخاصَّةُ التاسعةُ: الإنصاتُ للخطبةِ إذا سمعها وجوبًا في أصحِّ القولينِ.

الخاصَّةُ العاشرةُ: أنه لا يُكره فعلُ الصلاة فيه وقتَ الزوالِ، وفي الحديثِ الصحيح: «**لا يَغتسلُ رجلٌ يومَ الجمعة فيتطهَّر ما استطاعَ من طُهرٍ، ويدَّهنُ من دُهنِه، أو يمسُّ من طيب بيتِه، ثم يخرجُ، فلا يُفرِّق بين اثنين، ثم يُصلِّي ما كُتب له، ثم يُنصت إذا تكلم الإمامُ إلا غُفر له ما بينه وبين الجُمعةِ الأخرى**» رواه البخاريُّ[1]. فندبه إلى صلاةِ ما كُتب له، ولم يمنعْه عنها إلا في وقتِ خروج الإمامِ.

الحاديةَ عشرةَ: قراءة سورة (الجُمعةِ) و(المنافقين)، أو (سبح) و(الغاشية) في صلاةِ الجمعة، فقد كان رسولُ الله ﷺ يقرأُ بهن في يوم الجُمعةِ، ذكرَه مسلمٌ في «صحيحه»[2].

الثانيةَ عشرةَ: أنه يوم عيدٍ مُتكرِّر في الأسبوعِ.

الثالثةَ عشرةَ: أنه يُستحبُّ للرجلِ أن يَلبسَ فيه أحسنَ الثيابِ التي يقدرُ عليها، وفي «سنن أبي داودَ» عن عبدِ الله بن سلام، أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة: «**ما على أحدِكم لو اشترَى ثوبَينِ ليومِ الجمعةِ سوى ثوبَي مهنتِه**»[3].

الرابعةَ عشرةَ: أنه لا يجوزُ السفرُ في يومِها لمن تلزمُه الجمعةُ قبل فعلِها بعد دخولِ وقتِها، وأمَّا قبلَه ففيه ثلاثةُ أقوال للعلماءِ وهي رواياتٌ منصوصاتٌ عن أحمدَ، إحداها: لا يجوزُ، والثانية: يجوزُ، والثالثة: يجوزُ للجهادِ خاصةً.

---

(١) صحيح البخاري (٨٨٣).

(٢) صحيح مسلم (٨٧٨، ٨٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٧٨)، وابن ماجه (١٠٩٦).

هذا إذا لم يَخَفِ المسافر فوتَ رُفقتِه، فإن خاف فوتَ رُفقتِه وانقطاعه بعدهم جاز له السفرُ مُطلقًا؛ لأن هذا عذرٌ يُسقطُ الجمعة والجماعة.

الخامسةَ عشرةَ: أن للماشي إلى الجمعةِ بكل خطوةٍ أجرَ سنةٍ صيامَها وقيامَها، قال عبد الرزاق: عن أوس بن أوس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من غسَّل واغتسَلَ يومَ الجمعة، وبكَّر وابتكَرَ، ودنا مِن الإمام فأنصَتَ، كان له بكلِّ خطوةٍ يخطوها صيامُ سنةٍ وقيامُها وذلك على الله يسيرٌ**»(١). ورواه الإمام أحمد في «مسنده»(٢)، وقال الإمامُ أحمدُ: غسَّل بالتشديد: جامَعَ أهلَه، وكذلك فسَّره وكيع.

السادسةَ عشرةَ: أنه يومُ تكفير السيئاتِ، ففي «صحيحِ البخاريِّ» عن سلمانَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجمعة ويتطهَّرُ ما استطاع مِن طهرٍ، ويدهنُ من دهنِه، أو يمسُّ من طيبِ بيتِه، ثم يخرجُ فلا يفرقُ بين اثنين، ثم يصلِّي ما كُتِبَ له، ثم ينصتُ إذا تكلَّم الإمامُ، إلا غُفِرَ له ما بينَه وبينَ الجمعةِ الأخرى**»(٣).

السابعة عشرةَ: أن فيه ساعةَ الإجابةِ، وهي الساعةُ التي لا يَسألُ اللهَ عبدٌ مسلمٌ فيها شيئًا إلا أعطاه، ففي «الصحيحين» من حديثِ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجمعة لساعةً لا يوافقُها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يصلِّي يَسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شيئًا إلا أعطاه إياه**. وقال بيدِه هكذا يقللها»(٤).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٢٥٩ (٥٥٧٠).
(٢) أخرجه أحمد ٢٦/ ٩٢ (١٦١٧٢)
(٣) أخرجه البخاري (٨٨٣).
(٤) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).

وقد اختَلَفَ الناسُ في هذه الساعةِ: هل هي باقيةٌ أو قد رُفعتْ؟ على قولين حكاهما ابنُ عبدِ البر[١] وغيرُه، والذين قالوا: هي باقيةٌ ولم تُرفَع، اختلفوا هل هي في وقتٍ من اليومِ بعينِه أم هي غيرُ معينةٍ؟ على قولين، ثم قد اختلف مَن قال بعدمِ تعيينِها: هل تنتقلُ في ساعاتِ اليوم، أو لا؟ على قولين أيضًا، والذين قالوا بتعيينِها اختلفوا على أحدَ عشرَ قولًا.

وأرجحُ هذه الأقوالِ قولانِ تَضَمَّنتهُا الأحاديثُ الثابتة، وأحدُهما أرجحُ من الآخر:

القولُ الأول: أنها ما بين جلوسِ الإمامِ إلى انقضاءِ الصلاةِ، وحجَّةُ هذا القول ما رواه مسلمٌ في «صحيحه» من حديث أبي بُردةَ بن أبي موسى، أن عبدَ الله بن عمرَ قال له: أسمِعتَ أباك يُحدِّث عن رسولِ الله في شأن ساعةِ الجمعة؟ قال: نعم، سمعتُه يقول: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**هي ما بين أن يَجلس الإمامُ إلى أن تُقضى الصلاةُ**»[٢].

والقولُ الثاني: أنها بعدَ العصرِ، وهذا أرجحُ القولين، وحجَّةُ هذا القولِ ما روى أبو داودَ والنسائي، عن جابرٍ، عن النبي ﷺ قال: «**يومُ الجمعةِ اثنا عشرَ ساعةً، فيها ساعةٌ لا يوجدُ مسلمٌ يَسألُ الله فيها شيئًا إلا أعطاه، فالتمِسوها آخرَ ساعةٍ بعدَ العصرِ**»[٣].

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ١٩/ ١٧-١٩.
(٢) أخرجه مسلم (٨٥٣).
(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩).

الثامنةَ عشرةَ: أنَّ فيه صلاةَ الجمعةِ التي خُصَّت مِن بين سائرِ الصلوات المفروضاتِ بخصائصَ لا توجدُ في غيرِها: مِن الاجتماعِ والعددِ المخصوصِ، واشتراطِ الإقامة والاستيطانِ، والجهرِ بالقراءة. وقد جاء من التشديدِ فيها ما لم يأتِ نظيرُه إلا في صلاة العصرِ.

التاسعةَ عشرةَ: أنَّ فيه الخطبةَ التي مقصودها الثناءُ على الله وتمجيدُه، والشهادةُ له بالوحدانيةِ ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكيرُ العبادِ بأيامه، وتحذيرُهم من بأسِه ونِقَمِه، ووصيتُهم بما يُقربهم إليه وإلى جناتِه، ونهيُهم عمَّا يُقربهم من سخطِه ونارِه، فهذا هو مقصودُ هذه الخطبة والاجتماع لها.

العشرون: أنه اليومُ الذي يُستحبُّ أن يُتفرغَ فيه للعبادةِ، وله على سائرِ الأيام مزيةٌ بأنواعٍ من العباداتِ واجبة ومستحبة، فالله سبحانه جعلَ لأهلِ كلِّ ملةٍ يومًا يتفرَّغون فيه لعبادته ويتخلَّون فيه عن أشغالِ الدنيا، فيومُ الجمعة يومُ عبادة، وهو في الأيام كشهرِ رمضانَ في الشهورِ، وساعةُ الإجابة فيه كليلةِ القدرِ في رمضان؛ ولهذا مَن صحَّ له يومُ جمعتِه وسلمَ سلمَتْ له سائرُ جمعتِه، ومَن صحَّ له رمضانَ وسلمَ سلمَتْ له سائرُ سنته، ومن صحَّت له حجتُه وسلمَتْ له صحَّت له سائرُ عُمَرِه، فيومُ الجمعة ميزانُ الأسبوعِ، ورمضانُ ميزانُ العام، والحجُّ ميزانُ العمر. وبالله التوفيق.

الحادية والعشرون: أنه لما كان في الأسبوعِ كالعيدِ في العام، وكان العيدُ مشتملًا على صلاةٍ وقربانٍ، وكان يومُ الجمعة يومَ صلاة، جعلَ الله سبحانه التعجيلَ فيه إلى المسجدِ بدلًا مِن القربانِ وقائمًا مقامه، فيجتمع للرائحِ فيه إلى المسجد الصلاةُ والقربانُ، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن راحَ**

في الساعةِ الأولى فكأنَّما قرَّب بدنةً، ومَن راحَ في الساعةِ الثانية فكأنما قرَّب بقرةً، ومن راحَ في الساعةِ الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرنَ»[١].

وقد اختَلَفَ الفقهاءُ في هذه الساعات على قولين:

أحدهما: أنها مِن أولِ النهار، وهذا هو المعروفُ في مذهبِ الشافعيِّ[٢] وأحمد[٣] وغيرهما.

والثاني: أنها أجزاءٌ مِن الساعةِ السادسة بعدَ الزوال، وهذا هو المعروفُ في مذهبِ مالكٍ[٤]، واختاره بعضُ الشافعية[٥].

قلتُ: ومدارُ إنكار التبكير أولَ النهار على ثلاثةِ أمور: أحدُها: على لفظةِ (الرواح)، وأنها لا تكونُ إلا بعدَ الزوالِ، والثاني: لفظةُ (التهجير)، وهي إنما تكون بالهاجرةِ وقتَ شدة الحر، والثالثُ: عملُ أهل المدينة، فإنهم لم يكونوا يأتون مِن أول النهارِ.

فأمَّا لفظةُ (الرواح) فلا ريبَ أنها تطلقُ على المضي بعدَ الزوال، وهذا إنما يكون في الأكثرِ إذا قُرنت بالغدوِّ، وقد يُطلقُ الرواحُ بمعنى الذهاب والمضي، وهذا إنما يجيءُ إذا كانت مجردةً عن الاقترانِ بالغدوِّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).
(٢) انظر: بحر المذهب للروياني ٢/ ٤١٢، المجموع للنووي ٤/ ٥٤٠.
(٣) المغني لابن قدامة ٣/ ١٦٤.
(٤) المنتقى للباجي ١/ ١٨٣.
(٥) انظر: نهاية المطلب للجويني ٢/ ٥٦٥، المجموع للنووي ٤/ ٥٤٠.

وأمَّا لفظُ (التهجير والهجير والمهجر) فمن الهجر والهاجرة، قال الجوهري: هي نصفُ النهارِ عندَ اشتداد الحرِّ، تقول منه: هجر النهار[(١)]. قال الآخرون: الكلامُ في لفظِ (التهجير) كالكلامِ في لفظ (الرواح)، فإنه يُطلقُ ويُرادُ به التبكيرُ.

وأمَّا كونُ أهلِ المدينة لم يكونوا يروحون إلى الجمعةِ أولَ النهار فهذا غايته أنه عملُهم في زمن مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا ليس بحجةٍ، ولا عندَ مَن يقول: إجماع أهل المدينة حجة؛ فإن هذا ليس فيه إلا تركُ الرواحِ إلى الجمعة مِن أول النهار، وهذا جائزٌ بالضرورة، وقد يكونُ اشتغالُ الرجلِ بمصالحه ومصالحِ أهله ومعاشِه وغير ذلك مِن أمورِ دينِه ودنياه أفضلَ مِن رواحِه إلى الجمعةِ مِن أول النهار.

الثانية والعشرون: أنه يوم يتجلَّى الله عَزَّوَجَلَّ فيه لأوليائِه المؤمنين في الجنةِ، وزيارتهم له، فيكون أقربُهم منهم أقربَهم من الإمام، وأسبقُهم إلى الزيارة [أسبقَهم] إلى الجمعةِ.

الثالثة والعشرون: أنه اليومُ الذي تَفزَعُ منه السماواتُ والأرضُ والجبالُ والبحارُ، والخلائق كلها إلا شياطين الإنسِ والجنِّ، ففي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لا تطلعُ الشمسُ ولا تغربُ على يومٍ أفضل من يومِ الجمعة، وما مِن دابةٍ إلا وهي تَفزَعُ ليوم الجمعة إلا هذين الثقلينِ مِن الجنِّ والإنسِ**»[(٢)]، وهو حديث صحيح. وذلك أنه اليومُ الذي تقومُ فيه الساعةُ، ويُطوى العالمُ، وتخربُ فيه الدنيا، ويبعثُ فيه الناسُ إلى منازلِهم من الجنةِ والنارِ.

---

(١) الصحاح للجوهري ٢/ ٨٥١.

(٢) أخرجه أحمد ١٣/ ١١٦ (٧٦٨٧)، وأصله في البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

الرابعة والعشرون: أنه اليومُ الذي ادَّخره الله تعالى لهذه الأمة وأضلَّ عنه أهلَ الكتابِ قبلهم، كما في «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما طلعَتْ شمسٌ ولا غربَتْ على يومٍ خيرٍ مِن يوم الجمعةِ، هدانا الله له، وضلَّ الناسُ عنه، فالناسُ لنا فيه تبعٌ، هو لنا، ولليهودِ يومُ السبتِ، وللنصارى يومُ الأحدِ**»[١].

الخامسة والعشرون: أنه خيرةُ الله مِن أيام الأسبوع، كما أن شهرَ رمضانَ خيرتُه من شهورِ العام، وليلةُ القدر خيرتُه من الليالي، ومكةُ خيرتُه من الأرض، ورسوله محمدٌ ﷺ خيرتُه مِن خلقِه.

السادسة والعشرون: أنه يُكرهُ إفرادُ يومِ الجمعة بالصوم، ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تختصُّوا ليلةَ الجمعةِ بقيامٍ من بين الليالي، ولا تختصُّوا يومَ الجمعة بصيامٍ من بين الأيامِ، إلا أن يكونَ في صومٍ يصومه أحدُكم**»[٢].

٢١- فصل في هديه ﷺ في خُطَبِه

كان ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوتُه، واشتدَ غضبُه حتى كأنه مُنذرُ جيشٍ، يقول: «**صبَّحكم ومسَّاكم**»، ويقول: «**أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكُلَّ بدعة ضلالةٌ**»، ثم يقول: «**أنا أولى بكُلِّ مؤمنٍ من نفسِه، من ترك مالًا فلأهلِه، ومن ترك دَينًا أو ضَياعًا فإليَّ وعلي**» رواه مسلم[٣].

---

(١) أخرجه أحمد ١٦/ ٤٢١ (١٠٧٢٣)، وأصله في البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).
(٢) أخرجه مسلم (١١٤٤).
(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧).

وكان يُقصِّر الخطبةَ ويطيلُ الصلاةَ، ويكثرُ الذكرَ ويَقصد الكلماتِ الجوامعَ، وكان يقول: «**إن طولَ صلاة الرجلِ وقِصر خطبتِه مَئِنَّةٌ من فقهه**»(١).

وكان ﷺ يُعلِّم أصحابَه في خطبتِه قواعدَ الإسلامِ وشرائعَه، ويأمرُهم وينهاهم في خُطبتِه إذا عرضَ له أمرٌ أو نَهيٌ، كما أمرَ الداخلَ وهو ﷺ يخطبُ أن يُصليَ ركعتين.

ونهى المُتخطِّي لرقابِ الناسِ عن ذلك، وأمرهُ بالجلوسِ.

وكان ﷺ يقطعُ خطبتَه للحاجةِ تَعرِضُ، أو السؤالِ لأحدِ من أصحابِه، فيجيبُه، ثم يعودُ إلى خطبته، فيتمُّها.

وكان ربما نزلَ عن المنبرِ للحاجةِ ثم يعودُ فيتمُّها، كما نزلَ لأخذِ الحسنِ والحسينِ، فأخذهما ثُم رَقِيَ بهما المنبرَ، فأتمَّ الخطبةَ.

وكان ﷺ يدعو الرجلَ في خطبتِه: تعال يا فلان، اجلِسْ يا فلان، صلِّ يا فلان.

وكان يأمرُهم في خطبتِه بمقتضى الحالِ، فإذا رأى بينهم ذا فاقةٍ وحاجةٍ أمرَهم بالصدقةِ وحضَّهم عليها.

وكان يشيرُ بأصبعِه السبَّابةِ في خطبته عند ذكرِ الله تعالى ودعائه.

وكان يَستسقي لهم -إذا قَحطَ المطرُ- في خطبتِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٩).

وكان يُمهلُ يومَ الجمعة حتى يجتمعَ الناسُ، فإذا اجتمعوا خرجَ إليهم وحدَه، فإذا دخل المسجدَ سلَّم عليهم، فإذا صعَد المِنبرَ استقبلَ الناسَ بوجهِهِ وسلم عليهم، ثم يجلسُ ويأخذ بلالٌ في الأذان، فإذا فرغَ منه قام النبيُّ ﷺ فخطبَ من غيرِ فصلٍ بين الأذانِ والخطبةِ.

وكان منبرُه ثلاثَ درجات، وكان قبل اتخاذِه يَخطب إلى جِذعٍ يستند إليه، ولم يُوضع المنبرُ في وسط المسجدِ، وإنما وضعَ في جانبه الغربيِّ قريبًا من الحائطِ، وكان بينَه وبين الحائطِ مقدار ممرِّ الشاةِ.

وكان إذا جلس عليه في غير الجمعةِ، أو خطبَ قائمًا في الجمعة، استدارَ أصحابُه إليه بوجوهِهم، وكان وجهُه ﷺ قِبلَتَهم في وقتِ الخطبةِ.

وكان يقومُ فيخطُب، ثم يجلس جلسةً خفيفةً، ثم يقومُ فيخطب الثانيةَ، فإذا فرغَ منها أخذ بلالٌ في الإقامةِ.

وكان يأمرُ الناسَ بالدُّنوِّ منه، ويأمرهم بالإنصاتِ ويخبرُهم أنَّ الرجلَ إذا قال لصاحبِه: أنصِت. فقد لغا[(١)].

وكان إذا فرغَ بلالٌ من الأذانِ أخذَ النبيُّ ﷺ في الخُطبةِ ولم يَقم أحدٌ يركع ركعتين البتَّةَ، ولم يكن غير أذانٍ واحدٍ، وهذا يدلُّ على أن الجمعةَ كالعيدِ لا سنةَ لها قبلها، وهذا أصحُّ قولَي العلماءِ، وعليه تدلُّ السنةُ.

وكان ﷺ إذا صلَّى الجمعةَ دخل إلى منزلِه فصلَّى ركعتين سُنَّتَها، وأمر من صلاها أن يُصلِّي بعدها أربعًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١).

فقال شيخُنا أبو العباس ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن صلى في المسجدِ صلى أربعًا، وإن صلَّى في بيتِه صلى ركعتين. قلتُ: وعلى هذا تدلُّ الأحاديثُ.

٢٢- فصل في هديه ﷺ في العيدين

كان ﷺ يصلي العيدين في المُصلَّى، وهو المُصلَّى الذي على بابِ المدينةِ الشرقي، يُوضعُ فيه محملُ الحاج، ولم يُصلِّ العيدَ بمسجده إلا مرَّةً واحدةً أصابهم مطرٌ فصلى بهم العيدَ في المسجدِ إن ثبت الحديثُ، وهو في سننِ أبي داودَ وابنِ ماجه(١)، وهديُه كان فعلَها في المُصلَّى دائمًا.

وكان يلبسُ للخروجِ إليهما أجملَ ثيابِه، فكان له حُلَّةً يلبسُها للعيدين والجمعة، ومرَّةً كان يلبسُ بُردين أخضرين، ومرَّةً بُردًا أحمرَ، وليس هو أحمر مصمتًا كما يظنه بعضُ الناس، فإنه لو كان كذلك لم يكن بُردًا، وإنما فيه خطوطٌ حمرٌ كالبرودِ اليمنيةِ، فسُمِّيَ أحمرَ باعتبار ما فيه من ذلك، وقد صحَّ عنه ﷺ مِن غير معارضٍ النهيُّ عن لبسِ المعصفرِ والأحمرِ.

وكان ﷺ يأكل قبلَ خروجِه في عيد الفطرِ تمرات، ويأكلُهنَّ وِترًا، وأما في عيدِ الأضحى فكان لا يَطعمُ حتى يرجعَ من المُصلى فيأكلُ من أضحِيَّتِه.

وكان ﷺ يغتسلُ للعيد إن صحَّ الحديثُ فيه، وفيه حديثانِ ضعيفانِ، ولكن ثبتَ عن ابنِ عمر - مع شِدة اتِّباعِه للسُنَّةِ - أنه كان يغتسلُ يومَ العيد قبل الخروجِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٦٠)، وابن ماجه (١٣١٣).

وكان ﷺ يَخرج ماشيًا، والعَنَزَةُ[(١)] تُحملُ بين يديه، فإذا وصلَ إلى المُصلَّى نُصبت بين يديه ليُصليَ إليها؛ فإن المُصلَّى كان إذ ذاك فضاءً لم يكن فيه بناءٌ ولا حائطٌ.

وكان يؤخِّر صلاةَ عيد الفطرِ، ويعجل الأضحى، وكان ابنُ عمرَ مع شدةِ اتباعه للسنةِ لا يخرجُ حتى تطلُعَ الشمسُ، ويكبِّر من بيتِه إلى المصلى.

وكان ﷺ إذا انتهى إلى المُصلَّى أخذ في الصلاةِ من غير أذانٍ ولا إقامةٍ ولا قولِ: الصلاةُ جامعةٌ.

ولم يكن هو ولا أصحابُه يصلون إذا انتهوا إلى المُصلى شيئًا قبل الصلاةِ ولا بعدَها.

فكان يبدأ بالصلاةِ قبل الخطبةِ، فيُصلِّي ركعتين، يكبِّر في الأولى سبعَ تكبيراتٍ متواليةٍ بتكبيرةِ الافتتاحِ، بين كُلِّ تكبيرتين سكتةٌ يَسيرةٌ، ولم يُحفظ عنه ذِكرٌ معين بين التكبيرات، وكان ابنُ عمرَ مع تحريه للاتباع يرفعُ يديه مع كُلِّ تكبيرةٍ.

وكان ﷺ إذا أتمَّ التكبيرَ أخذَ في القراءةِ، فقرأ فاتحةَ الكتابِ، ثم قرأ بعدَها: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ في إحدى الركعتين، وفي الأُخرى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾.

وربما قرأ فيهما: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾، صحَّ عنه هذا وهذا، ولم يَصحَّ عنه غيرُ ذلك.

---

(١) (العَنَزَة): الحربة.

فإذا فرغَ من القراءةِ كبَّر وركعَ، ثم إذا أكملَ الركعةَ وقام من السجودِ كبَّر خمسًا متواليةً، فإذا أكملَ التكبيرَ أخذ في القراءةِ.

وكان ﷺ إذا أكملَ الصلاةَ انصرفَ فقام مُقابلَ الناسِ، والناسُ جلوسٌ على صفوفهم، فيعظُهم ويوصِيهم، ويأمرُهم وينهاهم، وإن كان يريدُ أن يقطعَ بعثًا قطعه، أو يأمرَ بشيءٍ أمر به. ولم يكن هناك مِنبرٌ يرقى عليه، وإنما كان يخطبُهم قائمًا على الأرضِ.

وكان يفتتحُ خُطبَه كُلَّها بـ: «**الحمدُ لله**»، ولم يُحفظ عنه في حديثٍ واحدٍ أنه افتتحَ خُطبتَي العيدين بالتكبيرِ.

ورخَّص النبيُّ ﷺ لمن شهد العيدَ أن يجلسَ للخطبةِ، وأن يذهبَ، ورخَّص لهم إذا وقعَ العيد يومَ الجمعة أن يَجتزئوا بصلاةِ العيدِ عن حضورِ الجُمعةِ.

وكان ﷺ يُخالفُ الطريقَ يوم العيد، فيذهب في طريقٍ، ويرجع في آخرَ؛ فقيل: ليسلِّمَ على أهلِ الطريقين، وقيل: لينالَ بركتُه الفريقان، وقيل: ليقضيَ حاجةَ مَن له حاجة منهما، وقيل: ليظهرَ شعائرَ الإسلام في سائرِ الفجاجِ والطرقِ، وقيل: ليغيظَ المنافقين برؤيتهم عزةِ الإسلام وأهلِه وقيامِ شعائره، وقيل: لتكثرَ شهادةُ البقاع، فإن الذاهبَ إلى المسجد أو المُصلَّى إحدى خطوتيه ترفع درجةً، والأخرى تحطُّ خطيئةً حتى يرجعَ إلى منزلِه، وقيل -وهو الأصح-: إنه لذلك كلِّه، ولغيرِه من الحكمِ التي لا يخلو فعلُه عنها.

ورُوي عنه أنه كان يكبِّرُ من صلاةِ الفجر يومَ عرفة إلى العصرِ من آخرِ أيام التشريقِ «**الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد**»[(١)].

٢٣- فصل في هديه ﷺ في صلاةِ الكسوفِ

لما كَسفت الشمسُ خرجَ ﷺ إلى المسجدِ مُسرعًا فزِعًا يجرُّ رداءَه، وكان كسوفُها في أوَّلِ النهارِ على مِقدارِ رُمحين أو ثلاثةٍ من طُلوعها، فتقدَّم فصلى ركعتين، قرأَ في الأولى بفاتحةِ الكتاب وسورةٍ طويلةٍ، وجهرَ بالقراءةِ، ثم ركع فأطالَ الركوعَ، ثم رفع رأسَه من الركوعِ، وصلى فأطالَ القيامَ وهو دون القيامِ الأوَّلِ، وقال لما رفعَ رأسَه: «**سَمِعَ الله لمن حمِده، ربَّنا ولك الحمدُ**» ثم أخذ في القراءةِ، ثم ركعَ فأطالَ الركوعَ وهو دون الركوعِ الأول، ثم رفعَ رأسَه من الركوع ثم سجد فأطالَ السجودَ، ثم فعل في الركعةِ الأخرى مثلَ ما فعلَ في الأولى.

فكان في كُلِّ ركعةٍ ركوعان وسجودان، فاستكملَ في الركعتين أربعَ ركوعاتٍ وأربعَ سجوداتٍ، ورأى في صلاتِه تلك الجنةَ والنار، وهَمَّ أن يأخذَ عنقودًا من الجنةِ فيريهم إيَّاه، ورأى أهلَ العذاب في النارِ، فخطبَ بهم خُطبةً بليغةً، حُفِظ منها قولُه: «**إن الشمسَ والقمرَ آيتان من آياتِ الله لا يَخسفان لموت أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا رأيتُم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وصلوا وتصدقوا**». وقال: «**يا أُمَّةَ محمد، والله، ما أحدٌ أغيرَ من الله أن يَزنيَ عبدُه أو تزني أمتُه، يا أُمَّةَ محمد، والله، لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الدارقطني ٢/ ٣٩٠ (١٧٣٧)، والبيهقي في الدعوات الكبير ٢/ ١٦٥ (٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

وقد روي عنه أنه صلاها على صفاتٍ أُخرَ: منها: كُلُّ ركعة بثلاثِ ركوعات، ومنها: كُلُّ ركعةٍ بأربعِ ركوعات، ومنها: أنها كأحدثِ صلاةٍ صُليت، كل ركعةٍ بركوعٍ واحدٍ. ولكن كبار الأئمَّةِ لا يصحِّحون ذلك.

وأمر ﷺ في الكسوفِ بذكر الله تعالى، والصلاةِ، والدعاءِ، والاستغفارِ، والصدقةِ، والعتاقةِ، والله أعلم.

٢٤- فصل في هديه ﷺ في الاستسقاءِ

ثبت عنه ﷺ أنه استسقى على وجوهٍ:

أحدُها: يومُ الجمعة على المِنبر في أثناء خطبتِه، وقال: «**اللهمَّ أغثنا، اللهمَّ أغثنا، اللهمَّ أغثنا، اللهم اسقِنا، اللهم اسقِنا، اللهم اسقِنا**»[١].

الوجه الثاني: أنه ﷺ وعدَ الناسَ يومًا يَخرجون فيه إلى المُصلَّى، فخرجَ لما طلَعت الشمسُ متواضعًا، متبذِّلًا، متخشِّعًا، مترسلًا، متضرِّعًا، فلما وافى المصلى صعدَ المنبرَ -إن صحَّ وإلا ففي القلبِ منه شيءٌ- فحمد الله وأثنى عليه وكبَّره، وكان مما حُفِظ من خطبتِه ودعائه: «**الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيم مالكِ يوم الدين، لا إلهَ إلا الله يفعلُ ما يريدُ، اللهمَّ أنت الله لا إله إلا أنت تفعلُ ما تريد، اللهمَّ أنت الله وأنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ، أنزِل علينا الغيثَ، واجعلْ ما أنزلته علينا قوَّةً لنا وبلاغًا إلى حين**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١١٧٣).

ثُم رفعَ يديه وأخذَ في التضرعِ والابتهالِ والدعاء، وبالغَ في الرفعِ حتى بدا بياضُ إبطيه، ثم حول إلى الناسِ ظهرَه، واستقبلَ القبلةَ، وحول إذ ذاك رداءَه وهو مستقبلُ القبلةِ فجعل الأيمنَ على الأيسرِ، والأيسرَ على الأيمنِ، وظهرَ الرداءِ لبطنِه، وبطنَه لظهرِه، وكان الرداءُ خميصةً سوداء، وأخذَ في الدعاءِ مستقبلَ القبلةِ، والناسُ كذلك.

ثُم نزلَ فصلَّى بهم ركعتين كصلاةِ العيدِ مِن غير أذانٍ ولا إقامةٍ ولا نداءٍ البتة، جهرَ فيهما بالقراءةِ، وقرأ في الأولى بعدَ الفاتحةِ بـ(سبح اسم ربك الأعلى)، وفي الثانيةِ: (هل أتاك حديث الغاشية).

الوجهُ الثالثُ: أنه ﷺ استسقى على مِنبرِ المدينة استسقاءً مجرَّدًا في غيرِ يومِ جُمعةٍ، ولم يُحفظ عنه ﷺ في هذا الاستسقاءِ صلاةٌ.

الوجهُ الرابع: أنه ﷺ استسقى وهو جالسٌ في المسجدِ فرفعَ يديه ودعا الله عَزَّوَجَلَّ، فحُفِظَ من دعائِه حينئذٍ: «**اللهُمَّ اسقِنا غيثًا مغيثًا مريعًا طبقًا عاجلًا غيرَ رائثٍ نافعًا غيرَ ضار**»[(١)].

ولما كثُر المطرُ سألوه الاستصحاءَ، فاستصحى لهم، وقال: «**اللهمَّ حَوَالَينا ولا عَلينا، اللهم على الآكامِ والجبالِ والظِّراب وبطون الأوديةِ ومَنابت الشجرِ**»[(٢)].

وكان ﷺ إذا رأى المطرَ قال: «**اللهمَّ صَيِّبًا نافعًا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٢).

وكان يَحسرُ ثوبَه حتى يصيبَه من المطرِ، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: «**لأنه حديثُ عهدٍ بربِّه**»[(١)].

وكان ﷺ إذا رأى الغيمَ والريحَ، عُرِف ذلك في وجهِه فأقبلَ وأدبرَ، فإذا أمطرت سُرِّيَ عنه وذهب عنه ذلك، وكان يَخشى أن يكونَ فيه العذابُ.

وقد حفظتُ عن غيرِ واحدٍ طلبَ الإجابةِ عندَ نزولِ الغيث وإقامةِ الصلاة.

٢٥- فصل في هديه ﷺ في سفرِه وعبادتِه فيه

كانت أسفارُه ﷺ دائرةً بين أربعةِ أسفارٍ: سفرُه لهجرَتِه، وسفرُه للجهادِ وهو أكثرُها، وسفرُه للعُمرةِ، وسفره للحجِّ.

وكان إذا أرادَ سفرًا أقرعَ بين نسائه فأيتهنَّ خرجَ سهمُها سافرَ بها معه، ولما حجَّ سافرَ بهن جميعًا.

وكان إذا سافرَ خرج من أوَّل النهارِ، وكان يستحبُّ الخروجَ يوم الخميسِ، ودعا الله تبارك وتعالى أن يباركَ لأمَّته في بُكورِها، وكان إذا بعث سريةً أو جيشًا، بعثهم من أوَّلِ النهارِ.

وأمرَ المسافرين إذا كانوا ثلاثةً أن يؤمِّروا أحدَهم، ونهى أن يُسافِرَ الرجلُ وحدَه، وأخبر أن الراكبَ شيطانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركبٌ.

وكان إذا قُدِّمت إليه دابَّتُه ليركبها، يقول: «**بسم الله**» حين يضع رجلَه في الرِّكابِ، وإذا استوى على ظهرِها، قال: «**الحمدُ لله الذي سخَّر لنا هذا وما كُنَّا له**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٩٨).

مُقرنين، وإنا إلى ربِّنا لمنقلبون»، ثم يقول: «الحمدُ لله، الحمدُ لله، الحمدُ لله»، ثم يقول: «الله أكبرُ، الله أكبرُ، الله أكبرُ»، ثم يقولُ: «سبحانك إنِّي ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي، إنه لا يَغفرُ الذنوبَ إلا أنت»[(١)].

وكان يقول: «اللهمَّ إنا نسألك في سفرِنا هذا البِرَّ والتقوى، ومن العملِ ما ترضى، اللهمَّ هوِّن علينا سفرَنا هذا، واطوِ عنا بُعدَه، اللهم أنت الصاحبُ في السفرِ، والخليفةُ في الأهلِ، اللهم إني أعوذُ بك من وعْثَاءِ السفرِ، وكآبةِ المُنقلبِ، وسوءِ المَنظرِ في الأهلِ والمالِ» وإذا رجعَ قالهنَّ وزاد فيهنَّ: «آيبون تائبون عابدون لربِّنا حامدون»[(٢)].

وكان هو وأصحابُه إذا علوا الثنايا كبَّروا، وإذا هبطوا الأودية سبَّحوا.

وكان إذا أشرفَ على قريةٍ يريدُ دخولَها يقول: «اللهم ربَّ السموات السبعِ وما أظللنَ، وربَّ الأرَضين السبعِ وما أقللن، وربَّ الشياطين وما أضللنَ، وربَّ الرياحِ وما ذَرين، أسألك خيرَ هذه القريةِ وخيرَ أهلها، وأعوذُ بك من شرِّها، وشرِّ أهلِها وشرِّ ما فيها»[(٣)].

وكان ﷺ يقصُر الرُّباعية، فيصلِّيها ركعتين من حين يَخرجُ مُسافرًا إلى أن يرجعَ إلى المدينة، ولم يثبُت عنه ﷺ أنه أتمَّ الرباعيةَ في السفرِ البتَّةَ، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: فُرضت الصلاةُ ركعتين ركعتين، فلما هاجرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، زِيدَ في صلاةِ الحضرِ، وأُقرَّت صلاةُ السفر.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٨/ ١١٧ (٨٧٧٥)، وابن خزيمة في صحيحه٤/ ١٥٠(٢٥٦٥).

وفي «صحيح البخاري» عن ابنِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: صحبت رسولَ الله ﷺ، فكان في السفرِ لا يَزيد على ركعتين، وأبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[(١)].

وكان من هديِه ﷺ في سفرِه الاقتصارُ على الفرضِ، ولم يُحفظ عنه أنه صلى سُنَّةَ الصلاة قبلَها ولا بعدَها، إلا ما كان من الوِترِ وسنةِ الفجرِ فإنه لم يكن يدعهما حضرًا ولا سفرًا.

قال الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ: وثبتَ عن النبي ﷺ أنه كان يتنفَّل ليلًا وهو يقصرُ[(٢)]، وفي «الصحيحين»: عن عامر بن ربيعة، أنه رأى النبيَّ ﷺ يُصلِّي السبحةَ بالليلِ في السفرِ على ظهرِ راحلتِه». فهذا قيام الليل.

وكان من هديِه ﷺ صلاةُ التطوع على راحلتِه حيثُ توجَّهت به، وكان يومئُ برأسِه في ركوعِه وسجودِه، وسجودُه أخفضُ من ركوعِه.

وصلَّى على الراحلةِ، وعلى الحمارِ -إن صح عنه-، وقد رواه مسلم في «صحيحه» من حديث ابن عمر[(٣)].

وصلَّى الفرضَ بهم على الرواحلِ لأجلِ المطرِ والطينِ، إن صحَّ الخبر بذلك.

وكان من هديِه ﷺ أنه إذا ارتحَلَ قبل أن تَزيغَ الشمسُ أخَّر الظهرَ إلى وقت العصرِ، ثم نزلَ فجمع بينَهما، فإن زالت الشمسُ قبل أن يرتحلَ صلى الظهرَ ثم ركبَ، وكان إذا أعجله السيرُ أخَّر المغربَ حتى يجمعَ بينها وبين العشاءِ في وقت العشاءِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٠٢)، ومسلم (٦٨٩).
(٢) الأم للشافعي ٢/ ٣٦٥.
(٣) أخرجه مسلم (٧٠٠).

ولم يكن من هديه ﷺ الجَمعُ راكبًا في أسفارِه، ولا الجمعُ حالَ نزوله أيضًا، وإنما كان يجمعُ إذا جَدَّ به السيرُ، وأما جمعُه وهو نازلٌ غير مسافرٍ فلم يُنقل ذلك عنه إلا بعرفةَ لأجلِ اتصالِ الوقوفِ.

ولم يحدَّ ﷺ لأمتِه مسافةً محدودةً للقصر والفطر، بل أطلقَ لهم ذلك في مطلقِ السفرِ والضربِ في الأرضِ.

٢٦- فصل في هديه ﷺ في قراءةِ القرآنِ واستماعِه وخشوعِه وبكائِه عند قراءتِه، واستماعِه وتحسينِ صوتِه به وتوابعِ ذلك

كان له ﷺ حزبٌ يقرؤه ولا يُخِلُّ به، وكانت قراءتُه تَرتيلًا لا هَذًّا ولا عجلةً، بل قراءةً مُفسَّرة حرفًا حرفًا، وكان يقطِّعُ قراءتَه آيةً آيةً، وكان يمدُّ عندَ حروف المد، فيمدُّ (الرحمن)، ويمدُّ (الرحيم).

وكان يستعيذُ بالله من الشيطانِ الرجيمِ في أوَّل القراءةِ فيقولُ: «**أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم**»، وربما كان يقولُ: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك من الشيطانِ الرجيمِ، من همزِه ونَفخِه ونَفثِه**»(١).

وكان يُحبُّ أن يَسمعَ القرآنَ من غيرِه، وأمرَ عبدَ الله بنَ مسعودٍ، فقرأَ عليه وهو يسمعُ، وخشعَ ﷺ لسماعِ القرآنِ منه حتى ذَرفت عيناه(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨٣)، ومسلم (٨٠٠).

وكان يقرأُ القرآنَ قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا ومتوضئًا ومُحدِثًا، ولم يكن يَمنعُه من قراءتِه إلا الجنابةُ.

وكان ﷺ يتغنَّى به، ويُرجِّعُ صوتَه به أحيانًا، وحكى عبدُ الله بن مُغفَّلٍ ترجيعَه: «آآآ» ثلاثَ مراتٍ[(١)].

والتطريبُ والتغنِّي على وجهين:

أحدهما: ما اقتضَتْه الطبيعةُ وسمحَتْ به مِن غير تكلفٍ ولا تمرينٍ وتعليمٍ، بل إذا خُلِّي وطبعه واسترسلَتْ طبيعتُه جاءت بذلك التطريبِ والتلحينِ فهذا جائز، وإن أعان طبيعتَه فضلُ تزيينٍ وتحسينٍ كما قال أبو موسى للنبي ﷺ: «**لو علمتُ أنك تسمعُ لحبرتُه لك تحبيرًا**»[(٢)]. فهذا هو الذي كان السلفُ يفعلونه ويسمعونه، وهو التغنِّي الممدوحُ المحمودُ، وهو الذي يتأثر به التالي والسامع، وعلى هذا الوجه تُحملُ أدلةُ أربابِ هذا القولِ كلُّها.

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعةً من الصنائعِ، ليس في الطبعِ السماحةُ به، بل لا يحصلُ إلا بتكلفٍ وتصنعٍ وتمرنٍ، كما يُتعلَّمُ أصواتُ الغناءِ بأنواعِ الألحان البسيطةِ والمركبةِ على إيقاعاتٍ مخصوصةٍ وأوزانٍ مخترعةٍ لا تحصلُ إلا بالتعلمِ والتكلفِ، فهذه هي التي كرهها السلفُ وعابوها وذمُّوها، ومنعوا القراءةَ بها، وأنكروا على مَن قرأ بها، وأدلةُ أرباب هذا القولِ إنما تتناول هذا الوجهَ، وبهذا التفصيلِ يزولُ الاشتباهُ، ويتبينُ الصوابُ من غيرِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٠)، ومسلم (٧٩٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٤٨٥ (٤١٧٨)، والنسائي في الكبرى ٧/ ٢٧٣ (٨٠٠٤).

٢٧- فصل في هديه ﷺ في عيادةِ المرضى

كان ﷺ يعودُ مَن مَرِضَ من أصحابِه، وعادَ غلامًا كان يخدمُه من أهلِ الكتابِ، وعاد عمَّه وهو مشركٌ، فعرضَ عليهما الإسلامَ فأسلمَ اليهوديُّ، [ولم يُسلِم عمُّه].

وكان ﷺ يدنو من المريضِ، فيَجلسُ عند رأسِه ويسألُه عن حالِه فيقولُ: «**كيف تَجِدُك؟**»[١]. وكان يمسحُ بيده اليمنى على المريضِ ويقولُ: «**اللهمَّ ربَّ الناسِ، أذهِب البأسَ، اشفِ وأنت الشافي، لا شِفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادرُ سَقَمًا**»[٢]. وكان يقول: «**امسح البأسَ ربَّ الناسِ، بيدِك الشفاءُ، لا كاشفَ له إلا أنت**»[٣]. وكان يدعو للمريضِ ثلاثًا كما قال لسعدٍ: «**اللهمَّ اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا، اللهمَّ اشفِ سعدًا**»[٤]، وكان إذا دخلَ على المريضِ يقول له: «**لا بأسَ، طهورٌ إن شاء الله**»[٥].

وكان يَرقي من به قرحةٌ، أو جُرحٌ أو شكوى، فيضع سبَّابته بالأرضِ، ثم يَرفعها ويقول: «**بسم الله، تُربةُ أرضِنا، بريقَةِ بعضِنا، يُشفَى سقيمُنا، بإذن ربِّنا**»[٦].

ولم يكن من هديِه ﷺ أن يَخُصَّ يومًا من الأيامِ بعيادةِ المريضِ، ولا وقتًا من الأوقاتِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤٤)، ومسلم (٢١٩١).
(٤) أخرجه البخاري (٥٦٥٩)، ومسلم (١٦٢٨).
(٥) أخرجه البخاري (٣٦١٦).
(٦) أخرجه البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٢١٩٤).

[ثالثا: كتاب الجنائز]

١ - فصل في هديه ﷺ في الجنائزِ والصلاةِ عليها واتباعِها ودفنِها، وما كان يَدعو به للميِّتِ في صلاةِ الجنازةِ وبعد الدفنِ وتوابعِ ذلك

كان هديُه وسيرتُه ﷺ في الجنائزِ أكملَ الهدي مُخالفًا لهدي سائرِ الأمم، مُشتملًا على الإحسان إلى الميِّتِ ومعاملتِه بما ينفعُه في قبرِه ويومِ معاده، وعلى الإحسانِ إلى أهلِه وأقاربِه، وعلى إقامةِ عبوديَّةِ الحيِّ لله فيما يعاملُ به الميِّتَ، وتجهيزِه إلى الله تعالى على أحسنِ أحوالِه وأفضلِها، ووقوفِه ووقوفِ أصحابه صفوفًا يحمَدون الله ويَستغفرون له، ويَسألون له المغفرةَ والرحمةَ والتجاوزَ عنه.

ثم المشي بين يديه إلى أن يُودِعَه حفرتَه، ثم يقومُ هو وأصحابُه على قبرِه سائلين له التثبيتَ أحوجَ ما كان إليه.

ثم يتعاهدُه بالزيارةِ إلى قبرِه والسلامِ عليه، والدعاءِ له كما يتعاهدُ الحيُّ صاحبَه في دارِ الدنيا.

فأوَّلُ ذلك: تعاهدُه في مرضِه، وتذكيرُه الآخرةَ وأمرُه بالوصيَّةِ، والتوبةِ، وأمرُ مَن حضره بتلقينِه شهادةَ ألا إله إلا الله؛ لتكون آخرَ كلامِه، ثم النهيُ عن عادةِ الأممِ التي لا تؤمنُ بالبعثِ والنشورِ، من لَطمِ الخدودِ، وتوابعِ ذلك.

وسنَّ الخشوعَ للميت، والبكاءَ الذي لا صوتَ معه، وحُزنَ القلبِ، وكان يفعل ذلك ويقول: «**تدمعُ العينُ، ويحزنُ القلبُ، ولا نقولُ إلا ما يُرضي الربَّ**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

وسنَّ لأمَّته الحمدَ والاسترجاعَ، والرضى عن الله، ولم يكن ذلك منافيًا لدمع العينِ وحزنِ القلب، ولذلك كان أرضى الخلقِ عن الله في قضائِه، وأعظمَهم له حمدًا، وبكى مع ذلك يومَ موتِ ابنه إبراهيم رأفةً منه، ورحمةً للولد، ورقةً عليه، والقلبُ ممتلئٌ بالرضى عن الله عَزَّوَجَلَّ وشكرِه، واللسانُ مشتغلٌ بحمدِه وذكرِه.

وكان من هديه ﷺ الإسراعُ بتجهيز الميِّتِ إلى الله تعالى، وتطهيرُه وتنظيفُه وتطييبُه وتكفينُه في ثيابِ البياضِ، ثم يُؤتى به إليه فيصلِّي عليه بعد أن كان يُدعى إلى الميتِ عند احتضارِه، فيقيمُ عنده حتى يقضيَ ثم يحضُر تجهيزَه، ثم يصلي عليه، ويُشيِّعُه إلى قبرِه، ثم رأى الصحابَة أن ذلك يشقُّ عليه، فكانوا إذا قضى الميِّتُ دعَوه فحضرَ تجهيزَه وغسلَه وتكفينَه، ثم رأوا أن ذلك يَشقُّ عليه فكانوا هم يُجهِّزون ميِّتَهم ويَحملونه إليه ﷺ على سريرِه فيصلي عليه خارجَ المسجدِ، ولم يكن مِن هديِه الراتبِ الصلاةُ عليه في المسجدِ، وإنما كان يُصلِّي على الجنائز خارجَ المسجدِ، وربما كان يُصلي أحيانًا على الميتِ في المسجدِ كما صلى على سُهَيلِ ابن بيضاءَ وأخيه في المسجدِ.

وكان من هديِه ﷺ تَسجيةُ الميت إذا مات وتغميضُ عينيه، وكان ربما يُقبِّل الميتَ كما قبَّلَ عثمانَ بنَ مَظعون وبكى، وكذلك الصديقُ أكبَّ عليه يقبِّله بعدَ موتِه ﷺ.

وكان ﷺ يأمرُ بغسلِ الميِّتِ ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر بحسب ما يراه الغاسلُ، ويأمرُ بالكافورِ في الغسلةِ الأخيرةِ، وكان لا يُغسِّلُ الشهيدَ قَتيلَ المعركةِ.

وكان إذا مات المحرمُ أمرَ أن يُغسَّلَ بماءٍ وسدرٍ، ويُكفَّن في ثوبيه، وهما ثوبا إحرامِه: إزارُه ورداؤه، وينهى عن تطييبِه وتغطية رأسِه.

وكان يأمر مَن وَلِيَ الميِّتَ أن يُحسنَ كفنَه، ويكفِّنه في البياضِ، وينهى عن المُغالاةِ في الكفنِ، وكان إذا قَصَّر الكفنُ عن سترِ جميعِ البدنِ غطَّى رأسَه وجعلَ على رجليه شيئا من العُشبِ.

وكان إذا قُدِّم إليه ميتٌ يُصلي عليه، سأل: «**هل عليه دينٌ أم لا؟**»، فإن لم يكن عليه دينٌ صلى عليه، وإن كان عليه دينٌ لم يصلِّ عليه، وأذِن لأصحابِه أن يُصلوا عليه؛ فإن صلاتَه شفاعةٌ، وشفاعته موجبةٌ، والعبدُ مرتهنٌ بدَينه ولا يدخل الجنةَ حتى يُقضى عنه، فلما فتح الله عليه كان يُصلي على المَدين ويتحمَّلُ دينَه، ويدَعُ مالَه لورثته.

فإذا أخذَ في الصلاةِ عليه كبَّر وحمِد الله وأثنى عليه.

وصلى ابنُ عباسٍ على جِنازةٍ، فقرأَ بعد التكبيرِ الأولِ بفاتحةِ الكتابِ وجهرَ بها، وقال: لتَعلموا أنها سُنَّةٌ.

وعن أبي هريرةَ، أنه سألَ عُبادةَ بنَ الصامتِ عن الصلاةِ على الجنازة، فقال: أنا والله أخبرُك: تبدأُ فتكبِّرُ ثم تصلي على النبيِّ ﷺ، وتقولُ: اللهمَّ إن عبدَك فلانًا كان لا يُشرِكُ بك وأنت أعلمُ به، إن كان مُحسنًا فزِد في إحسانِه، وإن كان مُسيئًا فتجاوز عنه، اللهمَّ لا تَحرمْنا أجرَه ولا تَفتِنَّا بعده[(١)].

ومقصودُ الصلاةِ: هو الدعاء للميِّتِ؛ وكذلك حُفِظَ عن النبي ﷺ ونُقِلَ عنه ما لم يُنقلْ من قراءةِ الفاتحة والصلاةِ عليه ﷺ.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٦٥ (٦٩٦٣).

فحُفظ من دعائِه: «اللهمَّ اغفر له وارحمْه وعافِه، واعفُ عنه وأكرِم نُزلَه، ووسِّع مُدخلَه، واغسلِه بالماءِ والثلجِ والبرَد، ونقِّه من الخطايا كما نقيتَ الثوبَ الأبيضَ من الدنسِ، وأبدِله دارًا خيرًا من دارِه، وأهلًا خيرًا من أهلِه، وزوجًا خيرًا من زوجِه، وأدخِله الجنَّةَ، وأعِذه من عذابِ القبرِ، ومن عذابِ النارِ»[(١)].

وحُفظ من دعائه: «اللهمَّ اغفر لحيِّنا وميِّتنا، وصغيرِنا وكبيرِنا، وذَكَرِنا وأُنثانا، وشاهدِنا وغائبِنا، اللهمَّ من أحييتَه مِنَّا فأحيِه على الإسلامِ، ومن توفَّيتَه منا فتوفَّه على الإيمانِ، اللهمَّ لا تَحرِمنا أجرَه ولا تَفْتنَّا بعدَه»[(٢)].

وحُفظ من دعائه أيضًا: «اللهمَّ إن فلانَ بن فلانٍ في ذمَّتك وحبلِ جِوارِك، فقِهِ من فتنةِ القبرِ وعذابِ النارِ، فأنت أهلُ الوفاءِ والحقِّ، فاغفر له وارحمْه، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ»[(٣)].

وكان يأمرُ بإخلاصِ الدعاءِ للميِّت.

وكان يُكبِّرُ أربعَ تكبيرات، وصحَّ عنه أنه كبر خمسًا، وكان الصحابةُ بعدَه يكبِّرون أربعًا وخمسًا وستًّا، فكبَّر زيدُ بن أرقم خمسًا، وذكر أن النبيَّ ﷺ كبَّرها، ذكره مسلم[(٤)]، وكبَّر عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على سهل بن حنيف ستًّا، وكان يكبِّر على أهل بدرٍ ستًّا، وعلى غيرِهم من الصحابة خمسًا، وعلى سائرِ الناسِ أربعًا، ذكره الدارقطني[(٥)]. وذكر سعيدُ بن منصور، عن الحكمِ بن عتيبة أنه قال: كانوا

(١) أخرجه مسلم (٩٦٣).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، والنسائي (١٩٨٦).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٤٩٩).
(٤) أخرجه مسلم (٩٥٧).
(٥) أخرجه الدارقطني ٢/ ٤٣٥ (١٨٢٣).

يكبِّرون على أهلِ بدرٍ خمسًا وستًّا وسبعًا. وهذه آثارٌ صحيحةٌ، فلا موجبَ للمنع منها، والنبي ﷺ لم يمنع ممَّا زاد على الأربع، بل فعلَه هو وأصحابه مِن بعدِه.

وأما هديُه ﷺ في التسليمِ من صلاةِ الجنازة فرُوي عنه أنه كان يُسلِّم واحدةً، ورُوي عنه أنه كان يُسلِّم تسليمتين.

وأما رفعُ اليدين فقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تُرفعُ للأثرِ، والقياس على السنةِ في الصلاةِ، فإن النبي ﷺ كان يرفعُ يديه في كل تكبيرةٍ كبَّرها في الصلاةِ وهو قائمٌ[(١)].

قلت: يريدُ بالأثرِ ما رواه عن ابنِ عمر وأنسِ بن مالك، أنهما كانا يرفعان أيديهما كلما كبَّرا على الجنازةِ.

وكان من هديِه ﷺ إذا فاتته الصلاةُ على الجنازةِ صلى على القبرِ، فصلَّى مرَّةً على قبرٍ بعدَ ليلةٍ، ومرَّةً بعدَ ثلاثٍ، ومرَّةً بعدَ شهرٍ، ولم يُؤقِّت في ذلك وقتًا.

وكان من هديِه أنه كان يقومُ عند رأسِ الرجلِ ووسَط المرأةِ.

وكان من هديِه ﷺ الصلاةُ على الطفلِ، فصحَّ عنه أنه قال: «**الطفلُ يُصلَّى عليه**»[(٢)].

وكان من هديِه ﷺ أنه لا يُصلي على من قَتلَ نفسَه، ولا على من غَلَّ من الغنيمةِ.

واختُلفَ عنه في الصلاةِ على المقتولِ حدًّا، كالزاني المرجومِ، فصحَّ عنه أنه صلى على الجُهنيَّةِ التي رَجَمَها، فقال له عمرُ: تُصلي عليها يا رسولَ الله وقد زنت؟!

---

(١) الأم للشافعي ٢/ ٢٣٩.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٨٠)، والترمذي (١٠٣١)، والنسائي (١٩٤٢).

فقال: «**لقد تابت توبةً لو قُسِّمت بين سبعين من أهلِ المدينةِ لوسِعَتهم، وهل وَجَدتَ توبةً أفضلَ من أن جادت بنفسِها لله**»[١].

وكان ﷺ إذا صلى على ميِّتٍ تبِعه إلى المقابرِ ماشيًا أمامَه، وسنَّ لمن تبع الجنازة إن كان راكبًا أن يكون وراءَها، وإن كان ماشيًا أن يكون قريبًا منها، إما خلفَها أو أمامها، أو عن يمينِها أو عن شِمالها.

وكان يأمرُ بالإسراعِ بها، حتى إن كانوا ليَرمُلون بها رملًا.

وكان إذا تبِعها لم يجلسْ حتى توضعَ، وقال: «**إذا تبِعتُم الجنازةَ فلا تجلسوا حتى تُوضعَ**»[٢].

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد: وضعُها بالأرض[٣].

ولم يكن من هديِه وسُنَّتِه ﷺ الصلاةُ على كل غائبٍ ميتٍ، فقد مات خلقٌ كثيرٌ من المسلمين وهم غيبٌ، فلم يُصلِّ عليهم، وصحَّ عنه: أنه صلى على النجاشيِّ صلاتَه على الميِّتِ[٤].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: الصوابُ أن الغائبَ إن مات ببلدٍ لم يُصلَّ عليه فيه صُلِّيَ عليه صلاةُ الغائبِ.

وصح عنه ﷺ أنه قام للجنازةِ لَمَّا مرت به، وأمرَ بالقيامِ لها، وصحَّ عنه ﷺ أنه

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣١٠)، ومسلم (٩٥٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٢٣٠.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٢٧)، ومسلم (٩٥١).

قعدَ، فاختُلف في ذلك، فقِيل: القيامُ منسوخٌ، والقعودُ آخرُ الأمرين، وقيل: بل الأمران جائزان، وفِعلُه بيانٌ للاستحبابِ، وتركُه بيانٌ للجوازِ، وهذا أولى.

وكان من هديِه ﷺ ألا يَدفن الميِّتَ عند طلوعِ الشمسِ، ولا عندَ غروبِها، ولا حين يقومُ قائمُ الظهيرةِ.

وكان من هديِه اللحدُ وتعميقُ القبرِ وتوسيعُه من عند رأسِ الميِّت ورجليه، ويُذكرُ عنه أنه كان إذا وضعَ الميِّتَ في القبرِ قال: «**بسم الله، وبالله، وعلى مِلَّةِ رسولِ الله**»[(١)]. وفي رواية: «**بسم الله، وفي سبيلِ الله، وعلى ملةِ رسول الله**»[(٢)].

ويُذكر عنه أيضًا أنه كان يحثو على الميتِ إذا دُفن الترابَ مِن قبلِ رأسِه ثلاثًا.

وكان إذا فرغَ مِن دفنِ الميتِ قام على قبرِه هو وأصحابه، وسأل له التثبيتَ، وأمرهم أن يسألوا له التثبيتَ.

ولم يكن يَجلسُ يقرأُ عند القبرِ، ولا يُلقِّن الميِّتَ.

ولم يكن من هديِه ﷺ تعليةُ القبورِ ولا بناؤها بآجُر ولا حجرٍ ولَبِنٍ، ولا تشييدُها، ولا تطيينُها، ولا بناءُ القِبابِ عليها.

وقد بعثَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى اليمنِ، ألا يدعَ تمثالًا إلا طمسَه، ولا قبرًا مُشرِفًا إلا سوَّاه[(٣)]، فسنتُه ﷺ تسويةُ هذه القبورِ المُشرفة كُلِّها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢١٣)، والترمذي (١٠٤٦).
(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٠).
(٣) أخرجه مسلم (٩٦٩).

ونهى أن يُجصَّصَ القبرُ وأن يبنى عليه وأن يُكتبَ عليه، وكان يُعلِّم قبرَ من يُريد يعرفُ قبره بصخرةٍ.

ونهى رسولُ الله ﷺ عن اتخاذِ القبورِ مساجدَ، وإيقادِ السُّرجِ عليها، واشتد نهيُه في ذلك حتى لَعنَ فاعلَه، ونهى أمَّتَه أن يتَّخذوا قبرَه عيدًا.

وكان هديُه ألا تُهان القبورُ ولا توطأَ ويُجلسَ عليها ويُتَّكأَ عليها.

٢- فصل في هديه ﷺ في زيارةِ القبور

كان إذا زارَ قبورَ أصحابِه يزورُها للدعاءِ لهم، والترحُّم عليهم، والاستغفارِ لهم، وهذه هي الزيارةُ التي سنَّها لأمَّتِه، وأمرَهم أن يقولوا إذا زاروها: «**السلامُ عليكم أهلَ الديارِ من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إن شاءَ الله بكم لاحقون، نسألُ الله لنا ولكم العافيةَ**»[(١)].

وكان هديُه أن يقولَ ويَفعل عند زيارتِها، من جنسِ ما يقوله عند الصلاةِ عليه من الدعاءِ له والترحمِ والاستغفارِ، فأبى المشركون إلا دعاءَ الميتِ والإشراكَ به!

٣- فصل [في هديه ﷺ في تعزية أهل الميت وصنع الطعام لهم وترك النعي]

وكان من هديِه ﷺ تعزيةُ أهلِ الميت، ولم يكن من هديِه أن يَجتمعَ للعزاءِ، ويقرأَ له القرآنَ، لا عند القبرِ ولا غيرِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٥).

وكان من هديِه السكونُ والرضى بقضاءِ الله، والحمدُ لله، والاسترجاعُ، ويبرأُ ممَّن خرقَ لأجلِ المصيبةِ ثيابَه، أو رفعَ صوتَه بالندبِ والنياحةِ، أو حلقَ لها شعرَه.

وكان من هديِه ﷺ أن أهلَ الميِّتِ لا يتكلَّفون الطعامَ للناسِ، بل أمرَ أن يَصنع الناسُ لهم طعامًا يرسلونه إليهم، وهذا من أعظمِ مكارمِ الأخلاقِ والشيمِ، والحمل عن أهلِ الميتِ؛ فإنهم في شغلٍ بمصابهم عن إطعامِ الناس.

وكان من هديِه ﷺ تركُ نعي الميِّتِ، بل كان يَنهى عنه ويقولُ: «**هو من عملِ الجاهليَّةِ**»[(١)].

٤- فصل في هديه ﷺ في صلاةِ الخوفِ

أباحَ الله سبحانه وتعالى قصرَ أركانِ الصلاةِ وعددِها إذا اجتمعَ الخوفُ والسفرُ، وقصرَ العددَ وحدَه إذا كان سفرٌ لا خوف معه، وقصرَ الأركانِ وحدَها إذا كان خوفٌ لا سفرَ معه، وهذا كان من هديِه ﷺ، وبه تُعلم الحكمةُ في تقييد القصرِ في الآيةِ بالضربِ في الأرضِ والخوفِ.

وكان من هديه ﷺ في صلاةِ الخوفِ إذا كان العدوُّ بينه وبين القبلةِ أن يَصُفَّ المسلمين كلَّهم خلفَه، ويُكبِّرَ ويكبِّرون جميعًا، ثم يركعَ فيركعون جميعًا، ثم يرفعَ ويرفعون معه، ثم يَنحدرَ بالسجودِ والصفِّ الذي يليه خاصةً، ويقومَ الصفُّ المؤخَّرُ مواجهَ العدوِّ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٤).

فإذا فرغ من الركعةِ الأولى ونهض إلى الثانيةِ سجد الصفُّ المؤخَّرُ بعد قيامِه سجدتين، ثم قاموا، فتقدَّموا إلى مكانِ الصفِّ الأوَّلِ، وتأخَّرَ الصفُّ الأول إلى مكانِهم لتَحصُل فضيلةُ الصفِّ الأول للطائفتين، وليُدرك الصفُّ الثاني مع النبيِّ ﷺ السجدتين في الركعةِ الثانية، كما أدرك الأوَّلُ معه السجدتين في الأولى، فتَستوي الطائفتان فيما أدركوا معه، وفيما قَضوا لأنفسِهم، وذلك غايةُ العدلِ.

فإذا ركع صنعَ الطائفتان كما صنعوا في أوَّلِ مرَّةٍ، فإذا جلسَ للتشهُّد، سجد الصفُّ المؤخَّر سجدتين، ولحِقوه في التشهُّدِ، فسلَّم بهم جميعًا.

وإن كان العدوُّ في غير جِهة القِبلةِ فإنه كان تارةً يجعلُهم فرقتين: فرقةً بإزاءِ العدوِّ، وفرقةً تصلي معه، فتُصلِّي معه إحدى الفرقتين ركعةً، ثم تَنصرفُ في صلاتِها إلى مكانِ الفرقةِ الأخرى، وتَجيءُ الأخرى إلى مكانِ هذه فتُصلِّي معه الركعةَ الثانيةَ، ثم تُسلِّم، وتقضي كُلُّ طائفةٍ ركعةً ركعةً بعد سلامِ الإمامِ.

وتارةً كان يُصلي بإحدى الطائفتين ركعةً، ثم يقومُ إلى الثانيةِ، وتقضي هي ركعةً وهو واقفٌ، وتُسلِّم قبل ركوعِه، وتأتي الطائفةُ الأخرى، فتصلي معه الركعةَ الثانية، فإذا جلسَ في التشهدِ قامت فقَضَت ركعةً وهو ينتظرُها في التشهدِ، فإذا تشهدت يُسَلِّم بهم.

وتارةً كان يُصلي بإحدى الطائفتين ركعتين، فتُسلم قَبلَه، وتأتي الطائفةُ الأخرى، فيصلي بهم الركعتين الأُخرَيين، ويُسلمُ بهم، فتكون له أربعًا، ولهم ركعتين ركعتين.

وتارةً كان يُصلي بإحدى الطائفتين ركعتين ويُسلِّمُ بهم، وتأتي الأخرى فيُصلي بهم ركعتين ويُسلِّم بهم، فيكون قد صلَّى بهم بكل طائفة صلاةً.

وتارةً كان يُصلي بإحدى الطائفتين ركعةً، ثم تذهب ولا تقضي شيئًا، وتجيءُ الأخرى فيصلِّي بهم ركعةً ولا تقضي شيئًا، فيكون له ركعتان، ولهم ركعة ركعة. وهذه الأوجه كلها تجوزُ الصلاة بها.

وقد رُوي عنه ﷺ في صلاةِ الخوفِ صفاتٌ أخرى تَرجع كلُّها إلى هذه، وهذه أصولُها، وربما اختلفَت بعضُ ألفاظِها، وقد ذكرها بعضُهم عشرَ صفاتٍ، وذكرها أبو محمد بن حزم نحو خمسَ عشرةَ صفةً[(١)]، والصحيحُ ما ذكرناه أولًا، وهؤلاء كلما رأوا اختلافَ الرواةِ في قصةٍ جعلوا ذلك وجوهًا من فعلِ النبيِّ ﷺ، وإنما هو من اختلافِ الرواةِ. والله أعلم.

---

(١) المحلى لابن حزم ٤/ ٢٧٢، وذكر فيه أنه فصل القول في أربع عشرة صورة في كتاب آخر.

[رابعا: كتاب الزكاة]

١ - فصل في هديه ﷺ في الصدقةِ والزكاةِ

كان هديهُ في الزكاة أكملَ هدي، في وقتها وقدرِها ونصابها ومَن تجبُ عليه ومصرفها، وراعى فيها مصلحةَ أرباب الأموالِ ومصلحةَ المساكين، وجعلها الله سبحانه طُهرةً للمالِ ولصاحِبه، وقيَّد النعمةَ بها على الأغنياءِ، فما أزال النعمةَ بالمال على من أدَّى زكاتَه، بل يحفظُه عليه وينميه له، ويدفعُ عنه بها الآفاتِ، ويجعلها سورًا عليه وحصنًا له وحارسًا له.

ثم إنه جَعَلها في أربعةِ أصنافٍ من المالِ، وهي أكثرُ الأموالِ دورانا بين الخلق، وحاجتهم إليها ضروريةٌ:

أحدُها: الزرعُ والثمارُ.

الثاني: بهيمةُ الأنعامِ: الإبلُ والبقرُ والغنمُ.

الثالث: الجوهران اللذان بهما قِوامُ العالمِ، وهما: الذهبُ والفضةُ.

الرابعُ: أموالُ التجارةِ على اختلافِ أنواعها.

ثم إنه أوجبها مرةً في كل عامٍ، وجعل حول الزروعِ والثمارِ عند كمالها واستوائِها، وهذا أعدلُ ما يكون.

ثم إنه فاوتَ بين مقاديرِ الواجب بحسبِ سعي أربابِ الأموالِ في تحصيلها، وسهولةِ ذلك ومشقتِه، فأوجبَ الخمس في الركازِ ولم يعتبر له حولًا، بل أوجبَ فيه الخمسَ متى ظفرَ به.

وأوجبَ نصفَه -وهو العشر- فيما كانت مشقةُ تحصيلِه وتعبُه وكُلفتُه فوقَ ذلك، وذلك في الثمارِ والزروعِ التي يباشر حرث أرضِها، شقها، وبذرها ويتولَّى الله سَقيَها من عنده بلا كلفةٍ من العبدِ، ولا شراءِ ماء، ولا إثارةِ بئرٍ ودولابٍ.

وأوجبَ نصفَ العشرِ فيما تولى العبدُ سقيه بالكلفةِ والدوالي والنواضِحِ ونحوها.

وأوجبَ نصفَ ذلك -وهو ربعُ العشرِ- فيما كان النماءُ فيه موقوفًا على عملٍ متصلٍ من ربِّ المال متتابع، بالضربِ في الأرضِ تارةً، [وبالتربصِ تارةً] وبالإدارةِ تارةً أخرى، ولا ريبَ أن كلفةَ هذا أعظمُ من كلفة الزروعِ والثمار، وأيضًا فإن نموَ الزروعِ والثمارِ أظهرُ وأكثرُ من نمو التجارةِ، فكان واجبُها أكثرَ من واجبِ التجارة، وظهورُ النمو فيما يُسقَى بالسماءِ والأنهارِ أكثرَ مما سُقِي بالدوالي والنواضح، وظهورُه فيما وجد محصلًا مجموعًا كالكنز أكثرَ وأظهرَ من الجميع.

ثُم إنه لما كان لا يحتمل المواساةَ كلُّ مال وإن قلَّ جعلَ للمالِ الذي تحتمِلُه المواساة نُصُبًا مقدرةَ المواساةِ فيها، لا تجحفُ بأربابِ الأموالِ، وتقعُ موقعَها من المساكينِ: فجعلَ للورِقِ مئتي درهمٍ، وللذهبِ عشرين مثقالًا، وللحبوب والثمارِ خمسة أوسقٍ، وللغنمِ أربعين شاةً، وللبقرِ ثلاثين بقرةً، وللإبلِ خمسًا؛ لكن لما كان نصابها لا يحتملُ المواساة من جنسِها أوجبَ فيها شاةً، فإذا تكررت الخمسُ خمسَ مراتٍ، وصارت خمسا وعشرين احتملَ نصابها واحدًا منها فكان هو الواجبُ.

ثم إنه قدرَ سِنَّ هذا الواجب في الزيادةِ والنقصانِ، من ابن مخاضٍ، وبنت مخاضٍ، وفوقَه ابنُ لبونٍ، وبنت لَبونٍ، وفوقَه الحِقُّ والحِقَّةُ، وفوقَه الجذعُ والجذعةُ،

وكلما كثرت الإبلُ زاد السنُّ إلى أن يصلَ السنُّ إلى منتهاه، فحينئذ جعل زيادةَ عدد الواجبِ في مقابلة زيادةِ عدد المالِ.

والربُّ سبحانه تولى قَسمَ الصدقةِ، وجزَّأها ثمانيةَ أجزاء، يجمعها صنفان من الناسِ.

أحدهما: من يأخذُ لحاجته، فيأخذُ بحسبِ شدة الحاجةِ وضعفها، وكثرتِها وقلَّتِها، وهم الفقراءُ والمساكين، وفي الرقابِ، وابن السبيل.

والثاني: من يأخذُ لمنفعتِه وهم العاملون عليها، والمؤلفةُ قلوبهم، والغارمون، والغزاةُ في سبيلِ الله.

فإن لم يكن الآخذ مُحتاجًا، ولا فيه منفعةٌ للمسلمين، فلا سهم له في الزكاةِ.

٢- فصل [في هديه ﷺ مع أهل الزكاة]

وكان ﷺ إذا علِمَ من الرجلِ أنه من أهل الزكاةِ أعطاه، وإن سأله أحدٌ الزكاةَ ولم يَعرِف حاله؛ أعطاه بعد أن يُخبِرَه أنه لا حَظَّ فيها لغنيٍّ ولا لقوي مُكتَسِب[(١)].

وكان من هديه ﷺ تَفريقُ الزكاة على المستحقين الذين في بلدِ المالِ، وما فضل عنهم منها حُملت إليه ففرَّقها هو ﷺ؛ ولذلك كان يَبعثُ سُعاتَه إلى البوادي، ولم يكن يبعثُهم إلى القرى.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٣٣)، والنسائي (٢٥٩٨).

ولم يكن من هديِه أن يبعثَ سُعاته إلا إلى أهلِ الأموالِ الظاهرةِ من المواشي والزروعِ والثمارِ، وكان يبعثُ الخارِصَ فيخرص على أربابِ النخيل ثمرَ نخلِهم وعلى أهل الكرومِ كرومَهم، وينظرُ كم يجيءُ منه وَسقًا، فيحسب عليهم من الزكاةِ بقدرِه.

وكان يأمرُ الخارصَ أن يدعَ لهم الثلث أو الربع فلا يخرصه عليهم؛ لما يعرو النخيلَ من النوائِبِ، وكان هذا الخرصُ لكي تُحصى الزكاةُ قبل أن تُؤكَل الثمارُ وتُصرَم، وليتصرف فيها أربابُها بما شاءوا ويَضمنوا قَدرَ الزكاةِ.

ولم يكن من هديه أخذُ الزكاةِ من الخيل ولا الرقيقِ ولا البغالِ ولا الحميرِ ولا الخَضراوات ولا المباطِخِ والمقاثي والفواكِه التي لا تكالُ ولا تدخرُ.

٣- فصل [في زكاة العسل]

واختُلفَ عنه ﷺ في العسلِ، فقال البخاري: ليس في زكاة العسل شيءٌ يصحُّ(١)، وقال الترمذي: لا يصحُّ عن النبي ﷺ في هذا الباب كثيرُ شيءٍ(٢). وقال ابن المنذر: ليس في وجوبِ صدقةِ العسلِ حديثٌ يَثبتُ عن رسول الله ﷺ، ولا إجماع، فلا زكاةَ فيه(٣)، وقال الشافعي: الحديث في أن في العسل العشرَ ضعيفٌ، وفي أن لا يؤخذَ منه العشرُ ضعيفٌ، إلا عن عمرَ بن عبد العزيز(٤). قال هؤلاء: وأحاديثُ الوجوبِ كلُّها معلولةٌ.

(١) العلل الكبير للترمذي (ص١٠٢).
(٢) سنن الترمذي ٣/ ١٥.
(٣) الإشراف لابن المنذر ٣/ ٣٤.
(٤) معرفة السنن والآثار للبيهقي ٦/ ١٢٠، وانظر: الأم للشافعي ٣/ ٩٩.

وذهب أحمد[(١)] وأبو حنيفةَ[(٢)] وجماعةٌ إلى أن في العسل الزكاة، رأوا أن هذه الآثارَ يقوِّي بعضُها بعضًا، وقد تعددَّت مخارجُها واختلفَتْ طرقُها، ومرسلُها يُعضَّدُ بمسندِها.

ثُم اختلف الموجِبون له: هل له نصابٌ أم لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه يجب في قليلِه وكثيرِه، وهذا قولُ أبي حنيفةَ[(٣)]، **والثاني**: أن له نصابًا معينًا، ثم اختُلِفَ في قدرِه، فقال أبو يوسف: هو عشرة أرطال[(٤)]، وقال محمد: هو خمسة أفراقٍ[(٥)]، والفَرَقُ ستةٌ وثلاثون رطلًا بالعراقي، وقال أحمد: نصابُه عشرةُ أفراقٍ[(٦)].

٤- فصل [في دعائه ﷺ لمن أدى إليه زكاته وعدم أخذ كرائم أموالهم]

وكان ﷺ إذا جاءه الرجلُ بالزكاةِ دعا له، فتارةً يقول: «**اللهم بارِك فيه وفي إبلِه**»[(٧)]، وتارةً يقولُ: «**اللهم صلِّ عليه**»[(٨)].

ولم يكن من هديه ﷺ أخذُ كرائِمِ الأموالِ في الزكاةِ، بل وسطِ المالِ؛ ولهذا نهى معاذًا عن ذلك.

---

(١) مسائل أحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه رواية الكوسج (٦٤٤).
(٢) الأصل للشيباني ٢/ ١٢٨.
(٣) السابق.
(٤) الخراج لأبي يوسف (ص٦٧).
(٥) الأصل للشيباني ٢/ ١٢٨.
(٦) مسائل أحمد رواية أبي داود (٥٥٦).
(٧) أخرجه النسائي (٢٤٥٨).
(٨) أخرجه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨).

٥- فصل [في نهيه ﷺ المتصدِّق أن يشتريَ صدقته]

وكان ﷺ يَنهى المتصدِّق أن يشتريَ صدقته، وكان يُبيحُ للغني أن يأكُلَ من الصدقةِ إذا أهداها إليه الفقيرُ، وأكَلَ ﷺ من لحمٍ تُصُدِّقَ به على بَريرةَ وقال: «**هو عليها صدقةٌ، ولنا منها هديةٌ**»[(١)].

٦- فصل [في استدانته ﷺ لمصالحِ المسلمين من الصدقةِ]

وكان أحيانًا يستدين لمصالحِ المسلمين على الصدقةِ، وكان يَسِمُ إبلَ الصدقةِ بيده، وكان يَسِمُها في آذانِها.

وكان إذا عَراهُ أمرٌ استسلَفَ الصدقةَ من أربابِها.

٧- فصل في هديه ﷺ في زكاةِ الفِطرِ

فَرَضَها رسول الله ﷺ على المسلمِ، وعلى من يَمونُه مِن صغيرٍ وكبيرٍ، ذكرٍ وأنثى، حرٍّ وعبدٍ، صاعًا من تمرٍ، أو من شعيرٍ، أو من أَقِطٍ، أو زَبيبٍ.

ورُوي عنه: «نصف صاعٍ من برٍّ»[(٢)] والمعروف: أن عمر بن الخطاب جعل نصفَ صاعٍ من برٍّ مكان الصاع من هذه الأشياء، ذكره أبو داود[(٣)]. وفي «الصحيحين» أن معاويةَ هو الذي قوَّم ذلك[(٤)]، وفيه عن النبي ﷺ آثارٌ مرسلةٌ ومسندةٌ يقوِّي بعضُها بعضًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٣٠)، ومسلم (١٥٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (١٦١٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٠٨)، ومسلم (٩٨٥).

٨- فصل [في هديه ﷺ في وقت إخراج زكاة الفطر]

وكان من هديِه ﷺ إخراجُ هذه الصدقةِ قبل صلاةِ العيدِ، وفي «السنن» عنه: أنه قال: «**مَن أدَّاها قبلَ الصلاة فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعدَ الصلاةِ فهي صدقةٌ من الصدقاتِ**»(١). وفي «الصحيحين» عن ابن عمرَ، قال: أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بزكاةِ الفِطرِ أن تُؤَدَّى قبل خُروجِ الناسِ إلى الصلاةِ(٢).

٩- فصل [في هديه ﷺ في المستحقين لزكاة الفطر]

وكان من هديِه ﷺ تخصيصُ المساكين بهذه الصدقةِ، ولم يكن يقسمُها على الأصنافِ الثمانية.

١٠- فصل في هديِه ﷺ في صدقةِ التطوعِ

كان ﷺ أعظمَ الناسِ صدقةً بما ملكت يده، وكان لا يستكثرُ شيئًا أعطاهُ لله ولا يستقله، وكان لا يسألُه أحد شيئًا عنده إلا أعطاه، قليلًا كان أو كثيرًا، وكان عطاؤه عطاءَ من لا يخافُ الفقرَ، وكان العطاءُ والصدقة أحبَّ شيء إليه، وكان سرورُه وفرحُه بما يعطيه أعظمَ من سرورِ الآخِذِ بما يأخُذُه، وكان أجودَ الناس بالخيرِ يمينه كالريحِ المرسلة.

وكان إذا عَرَضَ له مُحتاجٌ آثَرهُ على نفسِه، تارةً بطعامِه، وتارةً بلباسِه.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٦).

وكان يتنوعُ في أصنافِ عطائِه وصدقته، فتارةً بالهبةِ، وتارةً بالصدقةِ، وتارةً بالهديةِ، وتارةً بشراءِ الشيء ثم يعطي البائعَ الثمنَ والسلعةَ جميعًا، كما فعلَ بجابرٍ[(١)]، وتارةً كان يقترِضُ الشيءَ فيردُّ أكثر منه وأفضلَ، ويشتري الشيءَ فيُعطي أكثرَ من ثمنِه، ويقبلُ الهديةَ ويكافئُ عليها بأكثرَ منها.

وكانت صدقته وإحسانُه بما يملكُه وبحالِه وبقولِه، فيُخرِج ما عنده، ويأمُر بالصدقةِ، ويحضُّ عليها، فإذا رآه البخيلُ الشحيحُ دعاه حالُه إلى البذلِ والعطاءِ، وكان مَن خالطهُ وصَحِبَهُ ورأى هديَه لا يملك نفسَه عن السماحةِ والندى.

وكان هديُه ﷺ يدعو إلى الإحسانِ والصدقةِ والمعروفِ؛ ولذلك كان ﷺ أشرحَ الخلقِ صدرًا، وأطيبَهم نفسًا، وأنعمَهم قلبًا، فإن للصدقةِ وفعلِ المعروف تأثيرًا عجيبًا في شرحِ الصدر، وانضاف ذلك إلى ما خصَّه الله به مِن شرحِ صدرِه بالنبوةِ والرسالةِ وخصائصِها وتوابعِها، وشرحِ صدره حسًّا، وإخراجِ حظِّ الشيطان منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧١٨)، ومسلم (٧١٥).

[خامسا: كتاب الصيام]

١- فصل في هديه ﷺ في الصيامِ

لما كان المقصودُ من الصيامِ حبسَ النفسِ عن الشهواتِ، وفطامَها عن المألوفاتِ، وتعديلَ قوتِها الشهوانية؛ لتستعدَّ لطلبِ ما فيه غايةُ سعادتِها ونعيمها، وقبولِ ما تزكو به مما فيه حياتُها الأبدية، ويكسرُ الجوعُ والظمأُ من حدتِها وسورتِها، ويذكرُها بحالِ الأكبادِ الجائعةِ من المساكين، وتَضْييقُ مجاري الشيطان من العبدِ بتضييقِ مجاري الطعامِ والشراب، وتحبسُ قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعةِ فيما يضرُّها في معاشِها ومعادِها، ويسكنُ كلُّ عضوٍ منها وكلُّ قوةٍ عن جماحِه ويلتجمُ بلجامِه، فهو لجامُ المتقين، وجُنَّةُ المحاربين، ورياضةُ الأبرار والمقربين، وهو لربِّ العالمين مِن بين سائرِ الأعمال، فإن الصائمَ لا يفعل شيئًا وإنما يترك شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجل معبودِه، فهو تركُ محبوبات النفس [وتلذُّذاتها] إيثارًا لمحبةِ الله ومرضاتِه، فهو سرٌّ بينَ العبدِ وبين الله لا يطلع عليه سواه، والعبادُ قد يطلعون منه على تركِ المفطرات الظاهرةِ، وأمَّا كونُه تركَ طعامَه وشرابَه وشهوتَه مِن أجل معبودِه فأمرٌ لا يطلع عليه بشرٌ، وذلك حقيقةُ الصومِ.

وللصيامِ تأثيرٌ عجيبٌ في حفظِ الجوارِحِ الظاهرةِ والقوى الباطنةِ، وحميتها عن التخليطِ الجالب لها الموادَّ الفاسدةِ، وفي استفراغِ المواد الرديئة المانعةِ لها من صحتِها، فهو من أكبرِ العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة:١٨٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «**الصومُ جُنَّةٌ**»[(١)]، وأمرَ من اشتدَّت به شهوةُ النكاحِ ولا قُدرةَ له عليه بالصيامِ، وجَعَلَهُ وِجاءَ هذه الشهوةِ.

وكان هَديُ رسولِ الله ﷺ فيه أكملَ الهدي، وأعظمَ تَحصيلٍ للمقصودِ، وأسهلَه على النفوسِ.

ولما كان فَطمُ النفوسِ عن مَألوفاتِها وشَهواتِها من أشقِّ الأمورِ، تأَخَّرَ فرضُه إلى وسطِ الإسلامِ بعد الهجرةِ لما توطَّنت النفسُ على التوحيدِ والصلاةِ، وألفَتْ أوامرَ القرآنِ، فنُقلت إليه بالتدريج.

وكان فرضُه في السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ، فتُوفِّي رسولُ اللهﷺ وقد صام تسعَ رمضاناتٍ، وفُرِضَ أولًا على وجه التخييرِ بينَه وبينَ أن يطعمَ عن كلِّ يومٍ مسكينًا، ثم نُقل من ذلك التخييرِ إلى تحتُّمِ الصومِ، وجَعَل الإطعامَ للشيخِ الكبيرِ والمرأةِ إذا لم يطيقا الصيامَ.

ورخَّص للمريض والمسافِرِ أن يُفطرا ويَقضيا، وللحاملِ والمرضِعِ إذا خافتا على أنفُسِهما كذلك، وإن خافتا على وَلَدَيهما زادتا مع القضاءِ إطعامَ مسكينٍ لكل يومٍ، فإن فِطرَهما لم يكن لخوفِ مرضٍ، وإنما كان مع الصحةِ فجُبِر بإطعام المسكين كفِطرِ الصحيحِ في أولِ الإسلامِ.

وكان للصوم رتبٌ ثلاثٌ، إحداها: إيجابه بوصفِ التخيير. والثانية: تحتُّمه، لكن كان الصائمُ إذا نام قبلَ أن يطعمَ حرُمَ عليه الطعامُ والشرابُ إلى الليلة القابلةِ، فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة: وهي التي استقرَّ عليها الشرعُ إلى يوم القيامةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

٢- فصل [في عبادته ﷺ في شهر رمضان]

وكان من هديِه ﷺ في شهرِ رمضانَ الإكثارُ من أنواع العبادات، فكان جبريلُ عليه السلام يُدارسُه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريلُ أجودَ بالخيرِ من الريحِ المرسلةِ، وكان أجودَ الناس، وأجودُ ما يكون في رمضان، يُكثِر فيه من الصدقةِ والإحسانِ وتلاوة القرآن والصلاةِ والذكرِ والاعتكافِ.

وكان يخصُّ رمضان من العبادةِ بما لا يخصُّ به غيرَه من الشهورِ، حتى إنه كان ليواصِلُ فيه أحيانًا ليوفرَ ساعات ليلِه ونهارِه على العبادة، وكان ينهى أصحابَه عن الوِصالِ، فيقولون له: إنك تُواصِل، فيقول: «**لستُ كهَيئَتِكم إني أبيت** -وفي رواية: **إني أظلُّ**- **عند ربي يُطعِمني ويَسقِيني**»[(١)].

وقد اختَلفَ الناسُ في هذا الطعامِ والشرابِ المذكورِ على قولين:

أحدهما: أنه طعامٌ وشرابٌ حسيٌّ للفم، قالوا: وهذه حقيقةُ اللفظِ، ولا موجبَ للعدولِ عنها.

الثاني: أن المرادَ به ما يغذيه الله به من معارفِه، وما يفيضُ على قلبِه من لذةِ مناجاتِه، وقرةِ عينِه بقربِه، ونعيمِه بحبِّه، والشوقِ إليه، وتوابع ذلك من الأحوالِ التي هي غذاءُ القلوب، ونعيمُ الأرواح، وقرةُ العين، وبهجةُ النفوس وللروحِ والقلب بها أعظمُ غذاءٍ وأجلِّه وأنفعِه.

ومن له أدنى تجربةٍ وشوقٍ يعلمُ استغناءَ الجسمِ بغذاءِ القلب والروح عن كثيرٍ من الغذاءِ الحيواني، ولا سيما المسرورُ الفرحانُ الظافرُ بمطلوبِه الذي قد قرَّت

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥).

عينُه بمحبوبِه، وتنعَّمَ بقربِه، والرضى عنه. ولو كان ذلك طعامًا وشرابًا للفم لما كان صائمًا فضلًا عن أن يكون مواصلًا.

وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن الوصالِ رحمةً بالأمة، وأذِنَ فيه إلى السَّحَرِ، ففي «صحيح البخاري» عن أبي سعيدٍ الخدري، أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: «**لا تُواصلوا، فأيُّكم أرادَ أن يواصلَ فليواصلْ إلى السحرِ**»[١].

٣- فصل [في هديه ﷺ في ثبوت رمضان وخروجه]

وكان من هديه ﷺ أنه لا يدخلُ في صومِ رمضان إلا برؤيةٍ محققةٍ، أو بشهادةِ شاهدٍ واحدٍ، فإن لم تكن رؤيةٌ ولا شهادةٌ أكملَ عِدةَ شعبان ثلاثين يومًا.

وكان إذا حالَ ليلةَ الثلاثين دون منظرِه غيمٌ أو سحابٌ أكملَ عدة شعبان ثلاثين يومًا ثم صامَه، ولم يكن يصومُ يومَ الإغمامِ ولا أَمَرَ به، بل أمَرَ بأن تكملَ عدةَ شعبانَ ثلاثين إذا غُمَّ، وكان يفعلُ كذلك، فهذا فعلُه وأمرُه، ولا يُناقض هذا قولَه: «**فإن غُمَّ عليكم فاقدُروا له**»[٢]؛ فإن القدرَ هو الحسابُ المقدَّرُ، والمرادُ به الإكمالُ، كما قال في الحديثِ الصحيحِ الذي رواه البخاري: «**فأكمِلوا عدةَ شعبان**»[٣].

وكان من هديِه ﷺ، أمرُ الناسِ بالصومِ بشهادةِ الرجلِ الواحد المسلم، وخروجِهم منه بشهادةِ اثنين.

---

(١) صحيح البخاري (١٩٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠).
(٣) صحيح البخاري (١٩٠٩).

وكان من هديه إذا شهدَ الشاهدان برؤية الهلالِ بعد خروجِ وقت العيدِ أن يُفطرَ ويأمرهم بالفطرِ، ويُصلي العيدَ من الغدِ في وقتِها.

٤ - [فصل في هديه ﷺ في تعجيل الفطر]

وكان يُعجلُ الفطرَ ويحثُّ عليه، ويتسحَّر ويحثُّ على السحورِ، ويؤخرُه ويُرَغِّبُ في تأخيرِه.

وكان يحضُّ على الفطرِ على التمرِ، فإن لم يجد فعلى الماءِ، وهذا من كمالِ شفقتِه على أمتِه ونصحِهم.

وكان ﷺ يُفطرُ قبل أن يُصلي.

ورُوي عنه أنه كان يقول إذا أفطرَ: «**ذهبَ الظمأُ، وابتلت العروقُ، وثبتَ الأجرُ إن شاء الله**»، ذكره أبو داودَ عن ابنِ عمرَ[١].

ويُذكر عنه: «**إن للصائمِ عندَ فطرِه دعوةً ما تردُّ**»، رواه ابن ماجه[٢].

وصح عنه أنه قال: «**إذا أقبلَ الليلُ من ها هنا، وأدبرَ النهارُ من ها هنا، فقد أفطرَ الصائمُ**»[٣].

ونهى الصائمَ عن الرفثِ والصخبِ والسبابِ وجواب السبابِ، وأمره أن يقولَ لمن سابه: «**إني صائمٌ**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥٠).

٥- فصل [في هديه ﷺ في السفر في رمضان]

وسافرَ رسولُ الله ﷺ في رمضان، فصامَ وأفطرَ، وخيَّرَ أصحابَه بين الأمرين، وكان يأمُرُهم بالفطرِ إذا دنوا من عدوِّهم ليتَقَوَّوا على قتالِه.

وسافرَ رسول الله ﷺ في رمضان في أعظمِ الغزوات وأجلِّها: في غزاةِ بدرٍ وفي غزاةِ الفتحِ، قال عمرُ بنُ الخطاب: غزَونا مع رسولِ الله ﷺ في رمضانَ غزوتَينِ: يوم بدرٍ والفتح، فأفطرنا فيهما.

ولم يكن من هديِه ﷺ تقديرُ المسافةِ التي يُفطِرُ فيها الصائمُ بحدٍّ، وكان الصحابةُ حين يُنشئون السفرَ يُفطرون من غيرِ اعتبارِ مُجاوزةِ البيوتِ، ويُخبرون أن ذلك سنتُه وهديُه ﷺ.

٦- فصل [في هديه ﷺ في الاغتسال من الجنابة وتقبيل الزوجة في نهار رمضان]

وكان من هديِه ﷺ أن يدركَهُ الفجرُ وهو جنبٌ من أهلِه، فيغتسِلُ بعد الفجرِ ويصومُ.

وكان يُقَبِّل بعضَ أزواجِه وهو صائمٌ في رمضان، وشَبَّه قُبلةَ الصائمِ بالمضمضةِ بالماء.

ولا يصحُّ عنه ﷺ التفريقُ بين الشابِّ والشيخِ.

٧- فصل [في هديه ﷺ فيمن أكل أو شرب ناسيا]

وكان مِن هديه ﷺ إسقاطُ القضاءِ عمن أكَلَ أو شربَ ناسيًا، وأن الله هو الذي أطعمَه وسقاه[١].

٨- فصل [في هديه ﷺ في المفطرات]

والذي صحَّ عنه ﷺ أن الذي يُفطرُ به الصائمُ: الأكل والشرب والحجامة والقيء، والقرآنُ دالٌّ على أن الجماعَ مفطرٌ، ولا يصحُّ عنه في الكحلِ شيءٌ.

وصح عنه أنه كان يستاكُ وهو صائمٌ.

وذكرَ الإمامُ أحمد عنه أنه كان يصبُّ الماءَ على رأسِه وهو صائمٌ[٢].

وكان يتمضمضُ ويستنشقُ وهو صائمٌ، ومنع الصائمَ من المبالغةِ في الاستنشاقِ.

ولا يصحُّ عنه أنه احتَجَمَ وهو صائمٌ.

٩- فصل في هديِه ﷺ في صيامِ التطوعِ

كان ﷺ يصومُ حتى يُقالَ: لا يُفطرُ. ويُفطرُ حتى يقالَ: لا يَصومُ. وما استكملَ صيامَ شهرٍ غير رمضان، وما كان يصومُ في شهرٍ أكثر مما يصومُ في شعبان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

(٢) أخرجه أحمد ٢٧/ ١٤٧ (١٦٦٠٢)، وأخرجه أيضا أبو داود (٢٣٦٥).

ولم يكن يَخرُجُ عنه شهرٌ حتى يصومَ منه.

وكان يتحرى صيامَ يوم الاثنين والخميس.

وقال ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسولُ الله ﷺ لا يُفطِر أيامَ البِيضِ في حضرٍ ولا سفرٍ.

وأما صيامُ عشرِ ذي الحجةِ فقد اختُلِفَ عنه فيه ﷺ.

وأما صيامُ ستة أيامٍ من شوال فصحَّ عنه أنه قال: «**صيامُها مع رمضان يعدلُ صيامَ الدهرِ**»[١].

وأما صومُ يوم عاشوراء فإنه كان يتحرَّى صومَهُ على سائرِ الأيامِ، ولما قدمَ المدينةَ وجدَ اليهودَ تصومُه وتعظِّمُه فقال: «**نحن أحقُّ بموسى منكُم**» فصامَه وأمرَ بصيامِه، وذلك قبل فرضِ رمضان، فلما فُرِضَ رمضان قال: «**من شاءَ صامهُ، ومن شاءَ تركَهُ**»[٢].

وقد روى مسلمٌ في «صحيحه» عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ الله ﷺ حين صامَ يوم عاشوراء أو أمرَ بصيامِه قالوا: يا رسولَ الله، إنه يومٌ تعظِّمُه اليهودُ والنصارى. قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان العامُ المقبلُ إن شاء الله صُمنا اليومَ التاسعَ**» فلم يأتِ العامُ المقبلُ حتى تُوفِّيَ رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠٢)، ومسلم (١١٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (١١٣٤).

١٠- فصل [في هديه ﷺ في صيام يوم عرفة]

وكان من هديِه ﷺ إفطارُ يوم عرفةَ بعرفةَ، ثَبتَ عنه ذلك في «الصحيحين»[(١)].

وصحَّ عنه أن صيامَه يُكفِّر السنةَ الماضيةَ والباقيةَ، ذكره مسلم[(٢)].

وقد ذُكِرَ لفطرِه بعرفةَ عدةُ حِكمٍ، منها: أنه أقوى على الدعاءِ، ومنها: أن الفطرَ في السفر أفضلُ في فرضِ الصومِ، فكيف بنفلِه.

وكان شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسلكُ مسلكًا آخرَ، وهو أنه يومُ عيدٍ لأهل عرفةَ لاجتماعِهم فيه، كاجتماعِ الناسِ يومَ العيد، وهذا الاجتماعُ يُخصُّ بمَن بعرفةَ دون أهلِ الآفاق، قال: وقد أشارَ النبيُّ ﷺ إلى هذا في الحديث الذي رواه أهل السنن عنه: «**يومُ عرفةَ، ويومُ النحر، وأيامُ مِنى، عيدُنا أهلَ الإسلامِ**»[(٣)]. ومعلوم أن كونه عيدًا هو لأهل ذلك الجمعِ لاجتماعِهم. والله أعلم.

١١- فصل [في هديه ﷺ في صيام السبت والأحد]

وقد رويَ عنه ﷺ أنه كان يصومُ السبتَ والأحدَ كثيرًا، يقصدُ بذلك مخالفةَ اليهودِ والنصارى، كما في «المسند» و«سنن النسائي» عن كريب مولى ابن عباس، قال: «أرسلني ابنُ عباس وناسٌ من أصحابِ النبي ﷺ إلى أم سلمةَ أسألها: أيُّ الأيامِ كان النبي ﷺ أكثرَها صيامًا؟ قالت: يومُ السبت والأحد، ويقول: **إنهما عيدٌ للمشركين، فأنا أحبُّ أن أخالفَهم**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٨)، ومسلم (١١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٤١٩)، والترمذي (٧٧٣)، والنسائي (٣٠٠٤).

(٤) أخرجه أحمد ٤٤/ ٣٣٠ (٢٦٧٥٠)، والنسائي في الكبرى ٣/ ٢١٤ (٢٧٨٨).

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبدِ الله بن بسرٍ السلمي، عن أخته الصماءِ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تَصوموا يومَ السبتِ إلا فيما افتُرِضَ عليكم، وإن لم يَجِد أحدُكُم إلا لحاءَ عنبةٍ أو عودَ شجرةٍ فليمضغه**»[(١)].

فاختَلَفَ الناسُ في هذين الحديثين، فقال مالكٌ: هذا كذبٌ[(٢)]، يريدُ حديثَ عبد الله بن بسر، قال الترمذي: هو حديثٌ حسنٌ[(٣)]، وقال أبو داود: هذا الحديثُ منسوخٌ[(٤)]، وقال النسائي: هو حديثٌ مضطربٌ[(٥)]، وقال جماعةٌ من أهل العلمِ: فإن النهي عن صومِه إنما هو نهيٌ عن إفرادِه.

١٢ - فصل [في حكم صيام الدهر]

ولم يكن من هديه ﷺ سردُ الصومِ وصيامُ الدهر، بل قد قال: «**من صامَ الدهرَ لا صامَ ولا أفطَرَ**»[(٦)]، فهديُه لا شك فيه أن صيامَ يومٍ وفطرَ يومٍ أفضلُ من صومِ الدهر وأحبُّ إلى الله[(٧)].

---

(١) أخرجه أحمد ٤٥/ ٧ (٢٧٠٧٥)، وأبو داود (٢٤٢١).
(٢) سنن أبي داود ٢/ ٣٢١ بعد حديث (٢٤٢٤).
(٣) سنن الترمذي (٧٤٤).
(٤) سنن أبي داود (٢٤٢١).
(٥) قال النسائي في السنن الكبرى ٣/ ٢١٢ عقب حديث (٢٧٨١): وإنما أخرجته لعلة الاختلاف.
(٦) أخرجه النسائي (٢٣٨١)، وابن ماجه (١٧٠٥).
(٧) أخرجه البخاري (٣٤٢٠)، ومسلم (١٧١٦).

١٣- فصل [في هديه ﷺ في إنشاء نية صوم التطوع وقطعها وإتمامها]

وكان ﷺ يدخلُ على أهلِه فيقول: «**هل عندَكُم شيءٌ؟**» فإن قالوا: لا. قال: «**إني إذن صائمٌ**»[١] فيُنشئُ النية للتطوعِ من النهارِ، وكان أحيانًا ينوي صومَ التطوعِ ثم يُفطر بعدُ.

وكان ﷺ إذا كان صائمًا ونزل على قوم أتمَّ صيامه ولم يفطر، كما دخلَ على أم سليمٍ، فأتته بتمرٍ وسمنٍ، فقال: «**أعيدوا سمنكُم في سقائِه، وتمرَكُم في وعائِه، فإني صائمٌ**»[٢]، وقد ثبت عنه في «الصحيح»: «**إذا دُعِيَ أحدُكُم إلى طعامٍ وهو صائمٌ فليقل: إني صائمٌ**»[٣].

١٤- فصل [في كراهة تخصيص يوم الجمعة بالصوم]

وكان من هديِه ﷺ كراهةُ تخصيصِ يوم الجمعةِ بالصومِ فعلًا منه وقولًا، وعلَّل المنعَ من صومِه بأنه يومُ عيدٍ، فروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يومُ الجمعة يومُ عيد، فلا تجعلوا يومَ عيدكم يومَ صيامكم، إلا أن تصوموا قبلَه أو بعدَه**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٢).

(٣) أخرجه مسلم (١١٥٠).

(٤) أخرجه أحمد ١٣/ ٣٩٥ (٨٠٢٥)، وأصله في البخاري (١٩٨٥)، ومسلم (١١٤٤).

[سادسا: كتاب الاعتكاف]

فصل في هديه ﷺ في الاعتكافِ

لما كان صلاحُ القلبِ استقامتَه على طريقِ سيرِه إلى الله متوقفًا على جمعيَّتِه على الله ولَـمِّ شعثِه بإقباله بالكلية على الله تعالى، وكان فضولُ الطعامِ والشراب وفضولُ مخالطةِ الأنام وفضولُ الكلامِ وفضولُ المنامِ مما يزيده شعثًا؛ اقتضَتْ رحمةُ العزيزِ الرحيم بعباده أن شَرعَ لهم من الصومِ ما يُذيبُ فضولَ الطعام والشرابِ، ويستفرغُ من القلب أخلاطَ الشهواتِ المعوقةِ له عن سيرِه إلى الله، وشَرعَ لهم الاعتكافَ الذي مقصودُه وروحُه عكوفُ القلب على الله، وجمعيَّته عليه، والخلوةُ به، والانقطاعُ عن الاشتغالِ بالخلق، والاشتغالُ به وحدَه سبحانه، فيصير أنسُه بالله بدلًا عن أُنسِه بالخلق، فيعدُّه بذلك لأنسِه به يومَ الوحشةِ في القبورِ حين لا أنيسَ له ولا ما يفرحُ به سواه، فهذا مقصودُ الاعتكافِ الأعظمِ.

ولما كان هذا المقصودُ إنما يتمُّ مع الصومِ شُرِعَ الاعتكافُ في أفضلِ أيام الصوم وهو العَشرُ الأخيرُ من رمضان، ولم يُنقل عن النبي ﷺ أنه اعتكفَ مُفطِرًا قط، بل قد قالت عائشة: «لا اعتكافَ إلا بصومٍ»[(١)]، ولم يَذكر الله سبحانه الاعتكافَ إلا مع الصومِ، فالقولُ الراجحُ في الدليلِ الذي عليه جمهورُ السلفِ: أن الصومَ شرطٌ في الاعتكافِ، وهو الذي كان يرجحُه شيخُ الإسلام أبو العباس ابن تيمية.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧٣).

وأما فضولُ الكلام فإنه شَرعَ للأمةِ حبس اللسانِ عن كل ما لا ينفعُ في الآخرة.

وأما فضولُ المنامِ فإنه شرعَ لهم من قيام الليلِ ما هو من أفضل السهرِ وأحمده عاقبةً، وهو السهرُ المتوسطُ الذي ينفع القلب والبدنَ، ولا يعوقُ عن مصلحةِ العبد.

ومدارُ رياضةِ أربابِ الرياضات والسلوكِ على هذه الأركان الأربعة، وأسعدُهم بها مَن سلكَ فيها المنهاجَ النبوي المحمدي، ولم ينحرِف انحرافَ الغالين، ولا قصرَ تقصيرَ المفرطين، وقد ذكرنا هديَه ﷺ في صيامِه وقيامِه وكلامِه، فلنذكر هديَه في اعتكافه.

كان ﷺ يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رمضان حتى توفاهُ الله عَزَّوَجَلَّ، وتركَه مرةً فقضاهُ في شوال.

واعتكفَ مرة في العَشرِ الأولِ، ثم الأوسطِ، ثم العَشرِ الأخيرِ يلتمسُ ليلةَ القدر، ثم تبين له أنها في العشرِ الأخير، فداومَ على اعتكافِه حتى لحِقَ بربه عَزَّوَجَلَّ.

وكان يأمُر بخباءٍ فيُضرَبُ له في المسجدِ يَخلو فيه بربه عَزَّوَجَلَّ.

وكان إذا أرادَ الاعتكافَ صلى الفجرَ ثم دخلهُ.

وكان يعتكفُ كلَّ سنة عشرةَ أيامٍ، فلما كان العامُ الذي قُبِضَ فيه اعتكفَ عشرين يومًا، وكان يعارضُه جبريلُ بالقرآنِ كل سنةٍ مرةً، فعرضَ عليه تلك السنة مرتين.

وكان إذا اعتكفَ دخلَ قُبَّته وحده، وكان لا يدخلُ بيته في حال اعتكافِه إلا لحاجةِ الإنسانِ، وكان يُخرجُ رأسَه من المسجدِ إلى بيت عائشةَ، فترجِّله وتغسِله وهو في المسجدِ وهي حائضٌ، وكانت بعض أزواجِه تزورُه وهو معتكفٌ، فإذا قامت تَذهبُ قام معها يقلِبُها، وكان ذلك ليلًا، ولم يكن يباشِر امرأةً من نسائِه وهو معتكفٌ لا بقُبلةٍ ولا غيرِها، وكان إذا اعتكفَ طُرِحَ له فراشُه، ووُضعَ له سريرُه في معتكفِه، وكان إذا خرجَ لحاجته مرَّ بالمريضِ وهو في طريقِه فلا يُعَرِّج ولا يَسألُ عنه، واعتكفَ مرة في قبة تركية، وجعلَ على سُدَّتها حصيرًا، كل هذا تحصيلًا لمقصودِ الاعتكافِ وروحِه، عكس ما يفعلُه الجهَّالُ مِن اتخاذِ المعتكفِ موضعَ عشرةٍ ومجلبةٍ للزائرين، وأخذهِم بأطرافِ الأحاديثِ بينهم، فهذا لونٌ، والاعتكافُ النبويُّ المحمدي لونٌ. والله الموفق.

[سابعا: كتاب الحج والعمرة]

١ - فصل في هديه ﷺ في حجِّهِ وعُمَرِه

اعتمرَ ﷺ بعد الهجرةِ أربعَ عُمَرٍ كلهن في ذي القعدةِ:

الأولى: عمرةُ الحديبيةِ، وهي أولاهُنَّ سنة ستٍّ، فصده المشركون عن البيت، فنحرَ البُدنَ حيث صُدَّ بالحديبية، وحلَقَ هو وأصحابُه رؤوسَهم، وحلوا من إحرامِهم، ورجعَ من عامه إلى المدينةِ.

الثانية: عمرةُ القضيةِ في العام المقبلِ، دخل مكةَ فأقام بها ثلاثًا، ثم خرج بعد إكمالِ عمرتِه.

الثالثة: عمرتُه التي قرنَها مع حجتِه.

الرابعة: عمرتُه من الجِعرانةِ، لما خرجَ إلى حُنين.

فصل

ولم يكن في عُمرِه عمرةٌ واحدةٌ خارجًا من مكةَ، وإنما كانت عُمَرُهُ كلُّها داخلًا إلى مكة، فالعمرةُ التي فَعَلَها رسولُ الله ﷺ وشرَعَها هي عمرةُ الداخِلِ إلى مكةَ، لا عمرةُ من كان بها فيَخرُجُ إلى الحلِّ ليَعتَمِر، ولم يَفعل هذا على عهدِه أحدٌ قط إلا عائشةُ وحدها بين سائرِ من معه؛ لأنها كانت قد أهلَّت بالعمرةِ فحاضَت فأمَرَها فأَدخَلَت الحجَّ على العمرةِ وصارت قارنةً، وأخبرها أن طوافَها بالبيت وبين الصفا والمروةِ قد وقعَ عن حجتِها وعمرَتِها، فوجدَت في نفسِها، فأمرَ أخاها عبدَ الرحمن أن يُعمِرَها من التنعيمِ تَطييبًا لقلبِها.

٢- فصل [في هديه ﷺ في أشهر عُمَره]

عُمَرُه كلها كانت في أشهرِ الحجِّ مخالفةً لهديِ المشركين، فإنهم كانوا يَكرهون العُمرةَ في أشهرِ الحج ويقولون: هي من أفجرِ الفجورِ، وهذا دليلٌ على أن الاعتمارَ في أشهرِ الحج أفضلُ منه في رجب بلا شكٍّ، وأما التفضيلُ بينَه وبينَ الاعتمارِ في رمضان فمَوضِعُ نظرٍ، فقد صحَّ عنه أنه أمرَ أمَّ معقل لما فاتها الحجُّ أن تعتمرَ في رمضانَ وأخبرَها أن عمرةً في رمضان تعدلُ حجةً(١).

٣- فصل [في هديه ﷺ في الاعتمار في السنة الواحدة]

ولم يُحفَظ عنه ﷺ أنه اعتَمَرَ في السنةِ إلا مرةً واحدةً.

فإن قيل فبأيِّ شيءٍ يستحبُّون العمرةَ في السنةِ مرارًا إذا لم يُثبتوا ذلك عن النبي ﷺ؟ قيل: قد اختُلفَ في هذه المسألة، فقال مالك: أكرهُ أن يُعتمرَ في السنةِ أكثرَ من عمرةٍ واحدةٍ، وخالفه مطرفٌ من أصحابه وابنُ المواز، قال مطرف: لا بأسَ بالعمرةِ في السنة مرارًا، وقال ابنُ المواز: أرجو ألَّا يكونَ به بأسٌ(٢)، وقد اعتمرت عائشةُ مرتين في شهرٍ، ولا أرى أن يمنع أحدٌ من التقربِ إلى الله بشيءٍ من الطاعات، ولا من الازديادِ من الخيرِ في موضعٍ لم يأت فيه بالمنع منه نصٌّ، وهذا قول الجمهور.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٢) المدونة لسحنون ١/ ٤٠٣، التبصرة للخمي ٣/ ١٢٥٣، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب لخليل بن إسحاق ٢/ ٥٢٠.

ويَكفِي في هذا أن النبيَّ ﷺ أعمرَ عائشةَ من التنعيمِ سوى عمرتِها التي كانت أهلَّت بها، وذلك في عامٍ واحدٍ، ولا يُقال: عائشة كانت قد رفضت العمرةَ التي كانت أهلَّت فهذه التي من التنعيم قضاءٌ عنها؛ لأن العمرةَ لا يصح رفضُها.

٤ - فصل في سياقِ هديه ﷺ في حجتِه

لا خلافَ أنه لم يحجَّ بعد هجرتِه إلى المدينة سوى حجةٍ واحدةٍ وهي حجة الوداعِ، ولا خلافَ أنها كانت سنةَ عشرٍ.

ولما نزلَ فَرضُ الحجِّ، بادرَ رسول الله ﷺ إلى الحجِّ من غير تأخيرٍ، فإن فرض الحجِّ تأخر إلى سنة تسعٍ أو عشرٍ، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فإنها وإن نزلت سنة ستٍّ عام الحديبيةِ، فليس فيها فرضيةُ الحجِّ، وإنما فيها الأمرُ بإتمامِه وإتمامِ العمرةِ بعد الشروعِ فيهما.

فصل

ولما عزمَ رسولُ الله ﷺ على الحجِّ أعلمَ الناسَ أنه حاجٌّ، فتجَهَّزوا للخروجِ معه، وسمعَ بذلك مَن حولَ المدينة؛ فقدِموا يُريدون الحجَّ مع رسولِ الله ﷺ ووافاه في الطريقِ خلائقُ لا يُحصَون، وخرجَ من المدينة نهارًا بعد الظهرِ لسِتٍّ بقين من ذي القعدة بعد أن صلى الظهرَ بها أربعًا، وخَطَبَهم قبل ذلك خطبةً علَّمَهم فيها الإحرامَ وواجباتِه وسننَه.

وقال ابنُ حزم: وكان خروجُه يومَ الخميس[1]. قلت: والظاهرُ أن خروجَه كان يومَ السبت.

(١) حجة الوداع لابن حزم (ص٢٣٠).

ثم ترجَّلَ وادَّهَن، ولبس إزارَه ورداءه، وخرج بين الظهرِ والعصر، فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصرَ ركعتين، ثم بات بها وصلَّى بها المغربَ والعشاءَ والصبحَ والظهر، فصلى بها خمس صلواتٍ، وكان نساؤه كلُّهن معه، وطافَ عليهن تلك الليلة، فلما أرادَ الإحرامَ اغتسلَ غسلًا ثانيًا لإحرامِه غير غسلِ الجماعِ الأولِ.

ثم طيَّبَتهُ عائشةُ بيدها بذَريرةٍ وطِيب فيه مسكٌ في بدنه ورأسِه، حتى كان وبيصُ المسك يُرى في مفارقه ولحيته، ثم استدامَه ولم يغسِله، ثم لبسَ إزاره ورداءَه، ثم صلى الظهرَ ركعتين، ثم أَهَلَّ بالحج والعمرة في مصلاه، ولم يُنقَل عنه أنه ﷺ صلى للإحرامِ ركعتين غير فرضِ الظهر.

وقلَّدَ قبل الإحرامِ بدنته نَعلَين، وأشعَرَها في جانبها الأيمن، فشقَّ صفحةَ سنامِها، وسلتَ الدمَ عنها.

وأحرم قارنًا لبضعةٍ وعشرين حديثًا صريحة صحيحة في ذلك، منها:

ما خُرِّج في «الصحيحين» عن ابنِ عمرَ، قال: تمتعَ رسولُ الله ﷺ في حجةِ الوداعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ، وأَهدَى، فساقَ معه الهدي من ذي الحليفةِ، وبدأَ رسولُ الله ﷺ فأَهَلَّ بالعمرةِ، ثم أهلَّ بالحجِّ[(١)]. وذكر الحديثَ.

ومنها: ما خرج في «الصحيحين» أيضًا، عن عروةَ، عن عائشةَ أخبرَتهُ عن رسولِ الله ﷺ بمثلِ حديثِ ابنِ عمرَ سواء[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (١٦٩١)، ومسلم (١٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٩٢)، ومسلم (١٢٢٨).

ومنها: ما روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديثِ قُتيبةَ، عن الليثِ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، أنه قَرَنَ الحجَّ إلى العمرةِ، وطافَ لهما طوافًا واحدًا، ثم قال: هكذا فَعَلَ رسولُ الله ﷺ[(١)].

فصل

ولَبَّدَ رسول الله ﷺ رأسَه بالغِسلِ -على وزن كِفل وهو ما يُغسل به الرأسُ من خَطمي أو نحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتشرَ- وأهلَّ في مُصلَّاه، ثم ركبَ على ناقتِه فأهلَّ أيضًا، ثم أهلَّ لما استقلَّت به على البيداءِ.

وكان يهلُّ بالحج والعمرةِ تارةً، وبالحج تارةً؛ لأن العمرةَ جزء منه، فمِن ثَم قيل: قَرنَ. وقيل: تمتَّعَ. وقيل: أفرَدَ.

والمحفوظُ أنه إنما أهلَّ بعدَ صلاةِ الظهرِ، ثم لبَّى فقال: «**لَبَّيكَ اللهمَّ لَبَّيك، لَبَّيكَ لا شريكَ لك لَبَّيكَ، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ، لا شريكَ لك**»[(٢)]، ورفعَ صوتَه بهذه التلبية حتى سمِعَها أصحابُه، وأمرَهم بأمرِ الله له أن يَرفَعوا أصواتَهم بالتلبيةِ.

وكان حجه على رحلٍ، لا في محملٍ ولا هَودَجٍ ولا عِمارِيةٍ، وزاملتُه تحتَه. وقد اختُلِفَ في جوازِ ركوبِ المحرمِ في المحملِ والهودجِ والعِمارِيةِ ونحوها على قولين، هما روايتانِ عن أحمدَ، أحدهما: الجوازُ، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة. والثاني: المنع، وهو مذهب مالك[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤).

(٣) البيان للعمراني ٤/ ٢٠٧، والمغني لابن قدامة ٥/ ١٢٩.

فصل

ثم إنه ﷺ خيَّرَهم عند الإحرامِ بين الأنساكِ الثلاثة، ثم نَدَبَهم عند دنوِّهم من مكةَ إلى فسخِ الحجِّ والقرانِ إلى العمرةِ لمن لم يكن معه هديٌ، ثم حتَّمَ ذلك عليهم عند المروةِ.

ووَلَدَت أسماءُ بنت عُميسٍ بذي الحليفةِ محمدَ بن أبي بكرٍ الصديقِ، فأَمَرَها رسولُ الله ﷺ أن تَغتَسِل وتستَثفِر بثوبٍ وتُحرِمَ وتهل. وكان في قصَّتِها ثلاثُ سننٍ: إحداها: غُسلُ المحرمِ، والثانية: أن الحائِضَ تغتسلُ لإحرامِها، والثالثة: أن الإحرامَ يصحُّ من الحائضِ.

ثم سارَ رسولُ الله ﷺ وهو يُلبِّي، والناسُ معه يَزيدون فيها وينقصون، وهو يُقِرُّهم ولا يُنكِرُ عليهم.

ولزمَ تلبيتَه، فلما كانوا بالروحاءِ رأى حمارَ وحشٍ عقيرًا، فقال: «**دعوه فإنه يوشكُ أن يأتِيَ صاحبُه**»، فجاء صاحبُه إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، شأنَكُم بهذا الحمارِ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ أبا بكرٍ فقسمَهُ بين الرفاقِ(١).

وفي هذا دليلٌ على جوازِ أكل المحرِمِ من صيدِ الحلالِ إذا لم يصدهُ لأجلِه.

فصل

فمرَّ بوادي عُسفان، فلما كان بسَرِف، حاضت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد كانت أهَلَّت بعمرةٍ فدخَلَ عليها النبيُّ ﷺ وهي تبكي، فقال: «**ما يُبكيك؟ لعَلَّكِ**

---

(١) أخرجه النسائي (٢٨١٨).

نَفِست!» قالت: نعم. قال: «**هذا شيءٌ كتبه الله على بناتِ آدمَ، افعلي ما يَفعلُ الحاجُّ، غير ألا تَطوفي بالبيتِ حتى تطهري**»[(١)].

وحديثُ عائشةَ هذا يُؤخذُ منه أصولٌ عظيمة من أصولِ المناسك:

أحدها: اكتفاءُ القارنِ بطوافٍ واحد وسعي واحدٍ.

الثاني: سقوطُ طوافِ القدومِ عن الحائضِ، كما أن حديثَ صفية زوجِ النبي ﷺ أصلٌ في سقوطِ طوافِ الوداعِ عنها.

الثالث: أن إدخالَ الحجِّ على العمرةِ للحائضِ جائزٌ، كما يجوزُ للطاهِرِ وأولى؛ لأنها معذورةٌ محتاجةٌ إلى ذلك.

الرابع: أن الحائضَ تفعلُ أفعالَ الحجِّ كلَّها.

الخامس: أنها لا تَطوفُ بالبيتِ.

السادسُ: أن التنعيمَ من الحِلِّ.

السابعُ: جوازُ عمرتين في سنةٍ واحدةٍ، بل في شهرٍ واحدٍ.

الثامنُ: أن المشروعَ في حق المتمتِّع إذا لم يأمن الفواتَ أن يُدخِلَ الحجَّ على العمرة، وحديثُ عائشةَ أصلٌ فيه.

التاسع: أنه أصلٌ في العمرةِ المكيةِ، وليس مع من استحَبَّها غيرُه، ولا دلالةَ لهم فيها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤)، ومسلم (١٢١١).

فصل

فلما كان بسَرِف، قال لأصحابِه: «**من لم يكن معهُ هديٌ، فأحبَّ أن يَجعلَها عمرةً فليَفعل، ومن كان معه هدي فلا**»[(١)] وهذه رتبةٌ أخرى فوقَ رتبةِ التخييرِ عند الميقاتِ.

فلما كان بمكةَ، أمرَ أمرًا حتمًا من لا هدي معه أن يَجعَلَها عمرةً ويحلَّ من إحرامِه، ومن معه هديٌ أن يُقيمَ على إحرامِه، ولم يَنسَخ ذلك شيءٌ البتة، بل سألَهُ سراقةُ بن مالكٍ عن هذه العمرةِ التي أمرَهم بالفسخِ إليها: هل هي لعامِهم ذلك أم للأبدِ؟ فقال: «**بل للأبدِ، وإن العمرةَ قد دَخَلت في الحجِّ إلى يوم القيامةِ**»[(٢)].

وقد روى عنه ﷺ الأمرَ بفسخِ الحجِّ إلى العمرةِ أربعةَ عشرَ من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأحاديثهم كلُّها صحاحٌ.

فصل

ثم نهضَ ﷺ إلى أن نَزَلَ بذي طُوى، وهي المعروفة الآن بآبارِ الزاهِرِ، فبات بها ليلةَ الأحدِ لأربعٍ خلون من ذي الحجة، وصلى بها الصبحَ، ثم اغتسلَ من يومِه ونهضَ إلى مكة، فدخلها نهارًا من أعلاها من الثنيةِ العليا التي تُشرف على الحَجونِ، وكان في العمرةِ يدخل من أسفلِها، وفي الحجِّ دخلَ مِن أعلاها وخرج من أسفلِها، ثم سار حتى دخلَ المسجدَ وذلك ضحًى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٥٦)، ومسلم (١٢١١).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٦).

فلما دخلَ المسجدَ عمدَ إلى البيت، ولم يركع تحيةَ المسجدِ، فإن تحية المسجدِ الحرامِ الطوافُ، فلما حاذى الحجرَ الأسود استلمه ولم يُزاحم عليه، ولم يتقدَّم عنه إلى جهة الركنِ اليماني، ولم يرفع يديه، ولم يقل: نويتُ بطوافي هذا الأسبوعَ كذا وكذا، ولا افتتَحه بالتكبيرِ، ولا حاذى الحجرَ الأسودَ بجميعِ بدنِه ثم انفتلَ عنه وجعله على شقِّه، بل استقبلَه واستلمَه ثم أخذَ على يمينِه وجعلَ البيتَ عن يسارِه، ولم يدعُ عند الباب بدعاءٍ ولا تحت الميزابِ، ولا عند ظهرِ الكعبةِ وأركانِها، ولا وَقَّت للطوافِ ذكرًا معينا، لا بفعله ولا بتعليمِه، بل حفظ عنه بين الركنين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١][١].

ورَمَلَ في طوافِه هذا الثلاثةَ الأشواطِ الأول، وكان يُسرِعُ مشيَه، وكان يُقارب بين خطاه، واضطَبَعَ بردائِه فجعلَه على إحدى كتفَيه وأبدى كتفَه الأخرى ومَنكبَه، وكلما حاذى الحجرَ الأسودَ، أشارَ إليه أو استلمَه بمحجَنِه، وقبَّلَ المحجَن. والمحجنُ: عصا محنيةُ الرأسِ.

وثبتَ عنه أنه استَلَم الركن اليمانيَّ، ولم يثبت عنه أنه قبَّلَه، ولا قبَّل يده عند استلامِه، ولكن ثبتَ عنه أنه قبَّل الحجرَ الأسود، وثبت عنه أنه استلمَه بيده فوضعَ يده عليه ثم قبَّلها، وثبتَ عنه أنه استلَمَه بمحجنٍ، فهذه ثلاثُ صفاتٍ.

وكان كلَّما أتى على الحجرِ الأسودِ قال: «**الله أكبر**»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٦٠)، ومسلم (١٢١١).

ولم يستَلِم ﷺ ولم يمسَّ من الأركانِ إلا اليمانيين فقط.

فصل

فلما فرغَ من طوافِه، جاء إلى خلفِ المقامِ فقرأَ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فصلَّى ركعتين والمقامُ بينه وبين البيتِ، قرأَ فيهما بعد الفاتحة سورَتي الإخلاصِ[(١)].

فلما فرغَ من صلاتِه أقبلَ إلى الحجرِ الأسودِ فاستلمَهُ، ثم خَرَجَ إلى الصفا من البابِ الذي يقابِلُه، فلما دنا منه قرأَ: «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] **أَبدَأُ بما بَدَأَ الله به**»[(٢)]، ثم رقي عليه حتى رأى البيتَ، فاستقبَلَ القبلةَ فوحَّدَ الله وكبَّره، وقال: «**لا إله إلا الله وحدهُ لا شَريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا إله إلا الله وحدهُ، أنجَزَ وَعدهُ، ونَصرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَهُ**»، ثم دعا بين ذلك، وقال مثل هذا ثلاثَ مراتٍ[(٣)].

ثم نزلَ إلى المروةِ يَمشي، فلما انصبَّت قدماه في باطنِ الوادي سَعى، حتى إذا جاوَزَ الوادي وأصعَدَ مشى، هذا الذي صَحَّ عنه، وذلك قَبلَ الميلين الأخضرين في أولِ المسعى.

وظاهرُ هذا أنه كان ماشيًا، وقد روى مسلم في «صحيحه» عن أبي الزبير، أنه سمع جابرَ بن عبد الله يقول: «طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على راحلتِه

(١) يعني: سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وسورة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.
(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).
(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨).

بالبيتِ وبينَ الصفا والمروةِ؛ ليراه الناسُ، وليشرفَ، وليسألوه، فإن الناسَ قد غشوه»[(١)]. وعندي في الجمع بينهما وجهٌ حسن، وهو أنه سعى ماشيًا أولًا، ثم أتمَّ سعيَه راكبًا، وقد جاء ذلك مصرحًا به[(٢)].

فصل

وأما طوافُه بالبيت عند قدومه، فاختُلفَ فيه: هل كان على قدميه، أو كان راكبًا؟

وهذا والله أعلم في طوافِ الإفاضةِ؛ فإن جابرًا حكى عنه الرملَ في الثلاثةِ الأولِ، وذلك لا يكون إلا مع المشي. لكن ليس في شيءٍ من الأحاديثِ أنه كان راكبًا في طوافِ القدوم. والله أعلم.

فصل

وكان ﷺ إذا وَصلَ إلى المروةِ، رَقِيَ عليها، واستقبَلَ البيتَ، وكبَّر الله ووحَّده، وفعلَ كما فعلَ على الصفا، فلما أكملَ سعيه عند المروةِ، أمر كلَّ من لا هَديَ معه أن يحلَّ حتمًا ولابدَّ، قارنًا كان أو مفرِدًا، وأمرَهم أن يحلوا الحلَّ كلَّه مِن وطءِ النساءِ والطيبِ والمخيط، وأن يبقوا كذلك إلى يوم الترويةِ، ولم يحل هو من أجلِ هديِه، وهناك قال: «**لو استقبَلتُ من أمري ما استدبَرتُ لما سُقتُ الهدي، ولجعلتُها عمرة**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٥١).

وهناك دعا للمحلِّقين بالمغفرةِ ثلاثًا، وللمقصِّرين مرةً.

وكان يُصلي مدةَ مُقامِه إلى يوم الترويةِ بمنزله الذي هو نازلٌ فيه بالمسلمين بظاهِرِ مكةَ، فأقام بظاهِرِ مكةَ أربعةَ أيامٍ يقصُرُ الصلاةَ: يومَ الأحدِ والإثنينِ والثلاثاءِ والأربعاءِ.

فلما كان يوم الخميسِ ضحًى توجه بمن معه من المسلمين إلى مِنًى، فأحرَم بالحجِّ مَن كان أحلَّ منهم مِن رحالهم، ولم يَدخُلوا إلى المسجد فأحرموا منه، بل أحرموا ومكة خلفَ ظهورِهم، فلما وَصَلَ إلى منًى نَزَلَ بها، وصلى بها الظهرَ والعصرَ وبات بها، وكان ليلةَ الجمعةِ، فلما طلعتِ الشمسُ سارَ منها إلى عرفةَ، وأخذ على طريقِ ضبٍّ على يمين طريقِ الناسِ اليوم، وكان من الصحابة الملبِّي، ومنهم المكبِّر، وهو يسمعُ ذلك ولا يُنكِر على هؤلاء ولا على هؤلاء، فوجدَ القبةَ قد ضُرِبَت له بأمرِه بنَمِرة، فنزل بها حتى إذا زالت الشمسُ أمرَ بناقتِه القصواءِ فرُحِلَت.

ثم سارَ حتى أتى بطنَ الوادي من أرضِ عُرنة، فخطبَ الناس وهو على راحلته خطبةً عظيمةً، قرر فيها قواعدَ الإسلامِ، وهَدَمَ فيها قواعدَ الشركِ والجاهلية، وقرر فيها تحريمَ المحرمات التي اتفقت المللُ على تحريمها، وهي: الدماءُ والأموالُ والأعراضُ، ووَضع فيها أمورَ الجاهلية تحتَ قدميه، ووَضعَ فيها ربا الجاهليةِ كلَّه وأبطَلَه، وأوصاهُم بالنساءِ خيرًا، وذَكرَ الحقَّ الذي لهن وعليهن، وأن الواجبَ لهن الرزقُ والكسوةُ بالمعروف، ولم يُقدِّر ذلك بتقديرٍ، وأباح للأزواجِ ضَربَهن إذا أدخلن إلى بيوتهن من يَكرَهُه أزواجهن، وأوصى الأُمة فيها بالاعتصامِ بكتاب الله، وأخبرَ أنهم لن يَضِلوا ما داموا مُعتصِمين به، ثم أخبَرَهم

أنهم مسؤولون عنه، واستنطَقَهم: ماذا يقولون، وبماذا يَشهَدون؟ فقالوا: نشهدُ أنك قد بلَّغت وأدَّيتَ ونَصَحت، فرفعَ أصبعه إلى السماء، واستشهدَ الله عليهم ثلاث مرات، وأمرَهُم أن يبلغَ شاهدُهُم غائبَهم.

وموضعُ خطبتِه لم يكن من الموقفِ، فإنه خطبَ بعُرَنةَ، وليست من الموقفِ، وهو ﷺ نَزلَ بنَمِرة، وخطبَ بعُرَنة، ووَقَف بعَرَفةَ، وخطبَ خطبة واحدةً، ولم تكن خطبتين جلسَ بينهما، فلما أتمَّها أمرَ بلالًا فأذَّن، ثم أقامَ فصلى الظهرَ ركعتين، أسرَّ فيهما بالقراءةَ، وكان يوم الجمعةِ، فدل على أن المسافرَ لا يصلِّي جمعة، ثم أقام فصلى العصرَ ركعتين أيضا، ومعه أهل مكةَ، فصلوا بصلاتِه قصرًا وجمعًا بلا ريبٍ، ولم يأمُرهُم بالإتمام، ولا بتركِ الجَمعِ.

فلما فرغَ من صلاتِه ركب حتى أتى الموقِفَ، فوقفَ في ذيلِ الجبلِ عند الصخرات، واستقبَلَ القبلةَ، وجعل حبلَ المشاةِ بين يديه، وكان على بعيرِه، فأَخَذَ في الدعاءِ والتضرُّعِ والابتهالِ إلى غروب الشمسِ، وأمر الناسَ أن يَرفَعوا عن بطن عُرنةَ، وقال: «**وَقَفتُ ها هنا، وعَرفةُ كلُّها مَوقِفٌ**»[(١)].

وأرسلَ إلى الناسِ أن يكونوا على مشاعِرِهم، ويقفوا بها؛ فإنها مِن إرثِ أبيهم إبراهيمَ.

وكان في دعائِه رافعًا يديه إلى صدرِه كاستطعامِ المسكين، وأخبرَهم أن خيرَ الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥).

وهناك أُنزِلت عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وهناك سقطَ رجلٌ من المسلمين عن راحلتِه، وهو محرمٌ فمات، فأمرَ رسول الله ﷺ أن يُكفَّن في ثوبَيهِ، ولا يُمَسَّ بطيبٍ، وأن يُغسلَ بماءٍ وسدرٍ، ولا يُغطى رأسُه ولا وجهُه، وأخبرَ أن الله تعالى يبعثُه يوم القيامة يُلبي[(١)].

فصل

فلما غربت الشمسُ، واستحكَمَ غُروبُها بحيث ذَهبت الصفرةُ أفاضَ من عرفةَ، وأردَفَ أسامةَ بنَ زيدٍ خلفَه، وأفاضَ بالسكينةِ، وضمَّ إليه زمامَ ناقتِه، حتى إن رأسَها ليُصيبُ طرف رحلِه وهو يقول: «**أيها الناسُ عليكم السكينةَ، فإن البرَّ ليس بالإيضاعِ**»[(٢)] أي: ليس بالإسراعِ.

وأفاضَ من طريق المأزمين، ودخلَ عَرفة من طريق ضبٍّ، وهكذا كانت عادتُه صلوات الله عليه وسلامه في الأعيادِ، أن يُخالفَ الطريقَ.

ثم جعل يسيرُ العَنَقَ، وهو ضربٌ من السيرِ ليس بالسريعِ ولا البطيءِ، فإذا وجدَ فجوةً نصَّ سيرَهُ، أي: رفعَهُ فوقَ ذلك، وكلما أتى ربوةً من تلك الرُّبى، أرخى للناقةِ زمامَها قليلًا حتى تصعَدَ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٧)، ومسلم (١٢٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٧١).

وكان يُلبي في مسيرِه ذلك، لا يَقطَع التلبيةَ، فلما كان في أثناءِ الطريقِ نَزلَ صلوات الله وسلامه عليه فبالَ وتوضَّأ وضوءًا خفيفًا، فقال له أسامةُ: الصلاةَ يا رسولَ الله؟ فقال: «**المُصلَّى أمامَكَ**»[(١)].

ثم سارَ حتى أتى المزدلِفةَ فتوضأَ وضوءَ الصلاةِ، ثم أمرَ بالأذانِ، فأذنَ المؤذِّن، ثم أقامَ فصلى المغربَ قبل حطِّ الرحالِ وتبريك الجمالِ، فلما حطُّوا رحالهم أمرَ فأُقيمَت الصلاةُ، ثم صلى عشاءَ الآخرةِ بإقامةٍ بلا أذانٍ، ولم يصلِّ بينهما شيئًا[(٢)].

ثم نامَ حتى أصبحَ، ولم يُحي تلك الليلةَ، ولا صحَّ عنه في إحياء ليلتي العيدين شيءٌ.

وأَذِنَ في تلك الليلةِ لضَعَفةِ أهلِه أن يتقدَّموا إلى منًى قبل طلوعِ الفجرِ، وكان ذلك عند غيبوبةِ القمرِ، وأَمَرَهم ألا يَرموا الجمرةَ حتى تَطلُعَ الشمسُ.

فصل

فلما طلعَ الفجرُ صلاها في أولِ الوقتِ بأذانٍ وإقامةٍ يومَ النحر، وهو يومُ العيدِ، وهو يومُ الحجِّ الأكبر، وهو يومُ الأذانِ ببراءةِ الله ورسوله مِن كلِّ مشركٍ.

ثم ركب حتى أتى موقِفَه عند المشعَرِ الحرام، فاستقبَلَ القبلة، وأخذ في الدعاءِ والتضرع والتكبيرِ والتهليلِ والذِّكر حتى أسفَرَ جدًّا، وذلك قبلَ طلوعِ الشمسِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨١)، ومسلم (١٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٧٢)، ومسلم (١٢٨٠).

فصل

وَقفَ ﷺ في موقِفِه، وأعلمَ الناسَ أن مزدلفةَ كلَّها موقِفٌ، ثم سارَ من مزدلفةَ مردفًا للفضلِ بن عباسٍ وهو يلبي في مسيرِه، وانطلَقَ أسامةُ بن زيد على رِجلَيهِ في سُبَّاق قريشٍ.

وفي طريقِه ذلك أمرَ ابنَ عباسٍ أن يلقطَ له حصَى الجِمارِ: سبعَ حصيات، ولم يكسِرها من الجبلِ تلك الليلة، ولا التَقَطَها بالليلِ، فالتقطَ له سبعَ حصيات من حصى الخذفِ، فجعلَ ينفضهنَّ في كفِّه ويقول: «**أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغُلُو في الدينِ فإنما أهلَك من كان قبلَكم الغلوُّ في الدين**»[1].

وفي طريقِه تلك عرضَتْ له امرأةٌ من خثعم فسألته عن الحجِّ عن أبيها، وكان شيخًا كبيرًا لا يستمسكُ على الراحلةِ، فأمرها أن تحجَّ عنه.

فلما أتى بطنَ مُحسِّر حركَ ناقتَه وأسرعَ السيرَ، وهذه كانت عادتُه في المواضِعِ التي نزلَ فيها بأسُ الله بأعدائِه، فإن هنالك أصاب أصحابَ الفيلِ ما قصَّ الله علينا؛ ولذلك سُمِّيَ ذلك الوادي وادي مُحسِّر؛ لأن الفيلَ حسرَ فيه، أي: أُعْيِيَ وانقطع عن الذهابِ إلى مكةَ.

وسلكَ ﷺ الطريقَ الوسطى بين الطريقين، وهي التي تَخرُج على الجمرةِ الكبرى، حتى أتى منًى، فأتى جمرةَ العقبةِ، فوقفَ في أسفلِ الوادي، وجعلَ البيت عن يسارِه، ومنًى عن يمينِه، واستقبلَ الجمرة، وهو على راحلَتِه فرماها راكبًا بعد طلوعِ الشمسِ، واحدةً بعد واحدةٍ، يكبر مع كل حصاةٍ، وحينئذٍ قطعَ التلبيةَ.

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩).

وكان في مسيرِه ذلك يُلبي حتى شرعَ في الرمي، ورَمى وبلالٌ وأسامةُ معه أحدُهما آخذٌ بخطامِ ناقته، والآخرُ يظله بثوبٍ من الحرِّ، وفي هذا: دليلٌ على جوازِ استظلالِ المحرم بالمحملِ ونحوه إن كانت قصةُ هذا الإظلال يومَ النحر، وإن كانت بعده في أيام منًى فلا حجةَ فيها، وليس في الحديثِ بيانُ في أي زمنٍ كانت. فالله أعلم.

فصل

ثم رَجعَ إلى منًى، فخطبَ الناس خطبةً بليغةً أعلمهم فيها بحرمةِ يوم النحرِ وتحريمِه وفضلِه عند الله، وحرمةِ مكةَ على جميعِ البلادِ، وأمرَ بالسمعِ والطاعةِ لمن قادَهم بكتابِ الله، وأمرَ الناسَ بأخذِ مَناسِكِهم عنه، وقال: «**لَعَلِّي لا أحجُّ بعد عامي هذا**»[(١)].

وعلَّمهم مناسكَهم، وأنزل المهاجرين والأنصارَ منازلهم، وأمرَ الناس ألا يَرجعوا بعده كفارًا يضربُ بعضُهم رقاب بعضٍ، وأمرَ بالتبليغِ عنه، وأخبرَ أنه رُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامِعٍ[(٢)].

وقال في خطبتِه: «**لا يَجني جانٍ إلا على نفسِه**»[(٣)].

وأنزلَ المهاجرين عن يمينِ القبلةِ، والأنصارَ عن يسارِها، والناسَ حولَهم، وفتحَ الله له أسماعَ الناس حتى سمِعَها أهل منًى في منازِلهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٨٦)، والنسائي (٣٠٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٥٩)، وابن ماجه (٣٠٥٥).

وودَّعَ حينئذٍ الناسَ، فقالوا: حجةَ الوداعِ.

قال عبد الله بن عمرٍو: ما رَأيتُه ﷺ سُئِلَ يومئذٍ عن شيءٍ إلا قال: «**افعلوا ولا حرجَ**». وقال ابن عباسٍ: إنه قيلَ له ﷺ في الذبحِ والحَلقِ والرمي والتقديمِ والتأخيرِ، فقال: «**لا حَرَجَ**».

ثم انصرفَ إلى المنحرِ بمنى، فنحرَ ثلاثا وستين بدنةً بيدِه، وكان ينحرُها قائمةً معقولةً يدها اليُسرى، وكان عدد هذا الذي نحرَهُ عددَ سنين عمرِه، ثم أمسكَ وأمَرَ عليًّا أن ينحرَ ما بقي من المئة، ثم أمر عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتصدَّقَ بجلالها وجُلودِها ولُحومِها في المساكين، وأمرهُ ألا يعطِيَ الجزارَ في جزارتِها شيئًا منها، وقال نحن نُعطيه من عندِنا، وقال: «**مَن شاءَ اقتَطَعَ**»[١].

فصل

ونحَرَ رسولُ الله ﷺ بمنحرِه بمنًى، وأعلمَهم أن مِنًى كلَّها منحرٌ، وأن فجاجَ مكةَ طريق ومنحر[٢].

وسئِلَ ﷺ أن يُبنَى له بمنًى مظلَّةٌ من الحرِّ فقال: «**لا، منًى مناخُ من سبقَ إليه**»[٣]، وفي هذا دليلٌ على اشتراكِ المسلمين فيها، وأن من سبقَ إلى مكانٍ منها فهو أحقُّ به حتى يرتحِلَ عنه ولا يَملِكه بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧١٧)، ومسلم (١٣١٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).
(٣) أخرجه أبو داود (٢٠١٩)، وابن ماجه (٣٠٠٦).

فلما أكملَ رسولُ الله ﷺ نَحْرَهُ استدعى الحلاقَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، فقال للحلاقِ: «**خُذْ**»، وأشارَ إلى جانبه الأيمنِ، فلما فرغَ منه، قسمَ شعرَهُ بين من يليه، ثم أشارَ إلى الحلاقِ، فحلق جانبه الأيسرَ، ثم قال: «**ها هنا أبو طلحة؟**» فدفعه إليه[(١)].

ودعا للمحلقين بالمغفرةِ ثلاثًا، وللمقصِّرين مرةً.

ثم أفاضَ ﷺ إلى مكة قبلَ الظهرِ راكبًا، فطاف طوافَ الإفاضةِ، ولم يَطُف غيرَه، ولم يَسْع معه، هذا هو الصوابُ.

ولم يرمُل ﷺ في هذا الطوافِ ولا في طوافِ الوداعِ، وإنما رملَ في طوافِ القدومِ.

ثم أَتى زمزمَ بعد أن قضى طوافَه وهم يَستَقون فقال: «**لولا أن يَغلِبَكم الناسُ لنزلتُ فسقيتُ معكم**»، ثم ناولوه الدَّلوَ فشرِبَ وهو قائمٌ[(٢)].

وهل كان في طوافِه هذا راكبًا أو ماشيًا؟ فَروى مسلم في «صحيحه»، عن جابرٍ قال: «طافَ رسولُ الله ﷺ بالبيتِ في حجةِ الوداع على راحلتِه، يستلِمُ الحجرَ بمحجنِه؛ لأن يراه الناسُ وليشرفَ وليسألوه، فإن الناسَ غشوه»[(٣)].

ثم رجعَ إلى منًى، واختُلفَ أين صلى الظهرَ يومئذٍ؟ ففي «الصحيحين»: عن ابنِ عمرَ، أنه ﷺ أفاضَ يومَ النحرِ، ثم رجعَ فصلى الظهرَ بمنًى[(٤)]، وفي «صحيح مسلم»: عن جابرٍ أنه ﷺ صلى الظهرَ بمكةَ[(٥)]، واختُلِفَ في ترجيحِ أحدِ هذين القولينِ على الآخر.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).
(٣) تقدم (ص١٧٣).
(٤) البخاري (١٧٣٢)، ومسلم (١٣٠٨).
(٥) أخرجه مسلم (١٢١٨).

فصل

وطافَت عائشةُ في ذلك اليومِ طوافًا واحدًا، وسَعَت سعيًا واحدًا أجزأَها عن حجَّتها وعمرَتِها.

وطافت صفيةُ ذلك اليومَ ثم حاضت فأجزَأَها طوافُها ذلك عن طوافِ الوداعِ ولم تودِّع، فاستقَرَّت سُنَّته ﷺ في المرأةِ الطاهرِ إذا حاضت قبلَ الطوافِ أن تقرنَ وتكتفي بطوافٍ واحدٍ وسعي واحدٍ، وإن حاضت بعد طوافِ الإفاضةِ اجتزأت به عن طوافِ الوداعِ.

فصل

ثم رجعَ ﷺ إلى منًى من يومِه ذلك، فباتَ بها، فلما أصبَحَ انتظَرَ زوالَ الشمسِ، فلما زالت الشمسُ مشى من رحلِه إلى الجمارِ ولم يَركَب، فبدأَ بالجمرةِ الأولى التي تلي مسجدَ الخيفِ، فرماها بسبعِ حصياتٍ، واحدةٍ بعد واحدةٍ، يقول مع كل حصاةٍ: «**الله أكبرُ**»، ثم تقدَّمَ عن الجمرةِ أمامَها حتى أسهلَ، فقام مستقبلَ القبلةِ، ثم رفع يديه ودعا دعاءً طويلًا بقدر سورةِ البقرةِ.

ثم أتى إلى الجمرةِ الوسطى، فرماها كذلك، ثم انحدَرَ ذات اليسارِ مما يلي الوادي، فوقفَ مستقبلَ القبلةِ رافعًا يديه يدعو قريبًا من وقوفِه الأولِ.

ثم أتى الجمرةَ الثالثةَ وهي جمرة العقبةِ، فاستبطَنَ الوادي واستعرَضَ الجمرةَ، فجعل البيتَ عن يسارِه، ومنًى عن يمينه، فرماها بسبعِ حصياتٍ كذلك.

ولم يرمِها من أعلاها، ولا جَعَلَها عن يمينِه واستقبَلَ البيتَ وقتَ الرمي.

فلما أكملَ الرميَ رجعَ من فورِه، ولم يقِف عندها، فقيل: لضيقِ المكانِ بالجبلِ، وقيل -وهو أصحُّ-: إن دعاءه كان في نفسِ العبادةِ قبل الفراغ منها أفضلُ منه بعد الفراغِ منها، وهذا كما كانت سنتُه في دعائِه في الصلاةِ كان يَدعو في صُلبِها.

فصل

ولم يزَل في نفسي: هل كان يَرمي قبلَ صلاةِ الظهر أو بعدَها؟ والذي يغلبُ على الظنِّ أنه كان يَرمِي قبلَ الصلاةِ، ثُم يرجعُ فيصلِّي؛ لأن جابرًا وغيره قالوا: كان يَرمِي إذا زالت الشمسُ، فعقبوا زوالَ الشمس برميِه، وأيضًا فإن وقتَ الزوالِ للرمي أيامَ منًى كطلوعِ الشمس لرمي يوم النحرِ، والنبي ﷺ يومَ النحر لما دخل وقتَ الرمي لم يقدِّم عليه شيئًا من عباداتِ ذلك اليوم.

فصل

فقد تضمنَتْ حجتُه ﷺ ستَّ وقفاتٍ للدعاء: **الموقفُ الأولُ**: على الصفا، **والثاني**: على المروةِ، **والثالثُ**: بعرفةَ، **والرابعُ**: بمزدلفةَ، **والخامسُ**: عند الجمرةِ الأولى، **والسادسُ**: عندَ الجمرةِ الثانية.

فصل

وخطبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ بمنًى خطبتين: خطبةَ يومِ النحرِ وقد تقدمت، والخطبةَ الثانية في أوسطِ أيام التشريقِ، فقيل: هو ثاني يومِ النحرِ وهو أوسطُها أي: خيارُها.

فصل

واستأذَنه العباسُ بنُ عبد المطلب أنه يَبيتُ بمكةَ لياليَ منًى من أجلِ سقايتِه فأَذِن له واستأذَنَه رِعاءُ الإبلِ في البيتوتةِ خارجَ منًى عند الإبلِ، فأرخَصَ لهم.

وإذا كان النبيُّ ﷺ قد رخَّصَ لأهلِ السقايةِ وللرعاءِ في البيتوتةِ، فمَن له مال يخافُ ضياعه، أو مريضٌ يخافُ من تخلفِه عنه، أو كان مريضًا لا تمكنه البَيتوتةُ، سقطَت عنه بتَنبيهِ النصِّ على هؤلاء، والله أعلم.

فصل

ولم يتعجَّل ﷺ في يومين، بل تأخَّر حتى أكمَلَ رميَ أيامِ التشريقِ الثلاثةِ، وأفاضَ يوم الثلاثاءِ بعد الظهرِ إلى المحصبِ، وهو الأبطحُ، وهو خيفُ بني كنانةَ، فوجدَ أبا رافعٍ قد ضربَ قبتَه هناك، فصلى الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ، ورقدَ رقدةً، ثم نهضَ إلى مكةَ، فطاف للوداعِ ليلًا سحرًا، ولم يرمُل في هذا الطوافِ.

وأخبرتهُ صفيةُ أنها حائضٌ فقال: «**أحابِسَتُنا هي؟**» فقالوا له: إنها قد أفاضَت قال: «**فلتَنفِر إذن**»[(١)].

ورغِبَت إليه عائشةُ تلك الليلةِ أن يُعمِرَها عمرةً مفردةً، فأخبَرَها أن طوافَها بالبيتِ وبالصفا والمروةِ، قد أجزَأَ عن حجِّها وعمرَتِها، فأبت إلا أن تعتَمِر عمرةً مفردةً، فأمرَ أخاها عبدَ الرحمن أن يُعمِرَها من التَّنعيمِ، ففرغَت من عمرتِها ليلًا،

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٣)، ومسلم (١٢١١).

ثم وافَت المحصَّبَ مع أخيها، فأتيَا في جوفِ الليل فقال رسول الله ﷺ: «فَرَغتُما؟» قالت: نعم، فنادى بالرحيلِ في أصحابِه، فارتحلَ الناسُ، ثم طاف بالبيتِ قبل صلاةِ الصبح[١].

وقد اختلفَ السلفُ في التحصيبِ هل هو سنةٌ، أو منزلُ اتفاقٍ؟ على قولين.

فصل

وها هنا ثلاثُ مسائلَ:

المسألة الأولى: زَعمَ كثيرٌ من الفقهاءِ وغيرِهم أنه دخلَ البيتَ في حجتِه، ويَرى كثيرٌ من الناسِ أن دخولَ البيت من سننِ الحج اقتداءً بالنبي ﷺ، والذي تدلُّ عليه سنتُه الشريفة أنه لم يدخل البيتَ في حجتِه ولا في عمرتِه، وإنما دخلهُ عام الفتحِ.

المسألة الثانية: وهي وقوفُه في الملتزمِ، فالذي روي عنه أنه فعلَه يوم الفتحِ.

المسألة الثالثة: وهي موضعُ صلاتِه ﷺ الصبحَ صبيحةَ ليلةِ الوداعِ، ففي «الصحيحين»: عن أمِّ سلمةَ، قالت: شكوتُ إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، فقال: «**طُوفي من وراءِ الناسِ وأنت راكبة**». قالت: فطُفت ورسولُ الله ﷺ حينئذٍ يُصلي إلى جنبِ البيتِ، وهو يقرأُ بـ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ [الطور: ١-٢][٢]، فهذا يَحتملُ أن يكونَ في الفجرِ وفي غيرِها، وأن يكونَ في طوافِ

(١) أخرجه البخاري (١٥٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤)، ومسلم (١٢٧٦).

الوداعِ وغيرِه، فنظرنا في ذلك فإذا البخاريُّ قد روى في «صحيحه» في هذه القصةِ أنه ﷺ لما أرادَ الخروجَ، ولم تكن أم سلمةَ طافت بالبيت، وأرادَتِ الخروجَ، فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«إذا أقيمت صلاةُ الصبحِ، فطوفي على بعيرِك والناسُ يُصلُّون»** ففَعَلَته، ولم تُصَلِّ حتى خرجت[(١)]. وهذا محالٌ قطعًا أن يكون يومَ النحرِ، فهو طوافُ الوداعِ بلا ريبٍ، فظهرَ أنه صلى الصبحَ يومئذٍ عند البيت، وسمعتهُ أم سلمةَ يقرأ فيها بالطورِ.

فصل

ثم ارتحلَ ﷺ راجعًا إلى المدينةِ، فلما كان بالرَّوحاءِ لقي ركبًا، فسلَّم عليهم وقال: **«مَن القومُ؟»** فقالوا: المسلمون، قالوا: فمَن القومُ؟ فقال: **«رسولُ الله ﷺ»** فَرَفَعت امرأةٌ صبيًّا لها من محفة، فقالت: يا رسولَ الله، ألهذا حجٌّ؟ قال: **«نعم، ولكِ أجرٌ»**[(٢)].

فلما أتى ذا الحُلَيفةَ بات بها، فلما رأى المدينةَ، كبَّرَ ثلاثَ مراتٍ وقال: **«لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، آيبونَ تائِبون عابِدون ساجِدون لربِّنا حامدون، صدقَ الله وعدَهُ ونصرَ عبده وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ»**[(٣)].

ثمَّ دَخلها نهارًا من طريقِ المعرسِ، وخرجَ من طريقِ الشجرةِ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤).

٥- فصل في هديه ﷺ في الهدايَا والضَّحايَا والعقيقةِ

وهي مختصةٌ بالأزواجِ الثمانيةِ المذكورةِ في سورةِ الأنعام، ولم يُعرَف عنه ﷺ ولا عن أصحابِه هَديٌ ولا أضحيَّةٌ ولا عقيقةٌ من غيرِها، وهذا مأخوذٌ من القرآنِ من مجموعِ أربعِ آياتٍ: إحداها: قولُه تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]. والثانيةُ: قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨]. والثالثةُ: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الأنعام: ١٤٢ - ١٤٣] ثم ذكرها. والرابعةُ: قولُه تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. وهذا استنباطُ عليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والذبائحُ التي هي قُربةٌ إلى الله وعبادةٌ هي ثلاثة: الهديُ والأضحيةُ والعقيقةُ.

فأهدى رسولُ الله ﷺ الغنمَ، وأهدى الإبلَ، وأهدى عن نسائِه البقرَ، وأهدى في مقامِه وفي عمرتِه وفي حجتِه، وكانت سنتُه تقليدَ الغنم دون إشعارِها.

وكان إذا بعثَ بهديِه وهو مُقيمٌ لم يحرم عليه شيء كان منه حلالًا.

وكان إذا أهدى الإبلَ قلَّدها وأشعَرَها، فيشقَّ صفحةَ سنامها الأيمن يسيرًا حتى يسيلَ الدم.

وكان إذا بعثَ بهديِه أمرَ رسولَه إذا أشرَفَ على عطبٍ شيءٌ منه أن يَنحَرهُ، ثم يصبغَ نعلَه في دمِه، ثم يجعلَه على صفحتِه، ولا يأكلَ منه هو ولا أحدٌ من أهلِ رُفقتِه، ثم يَقسِمَ لحمَه.

وشرَّكَ بين أصحابِه في الهديِ: البدنةُ عن سبعةٍ، والبقرةُ كذلك.

وأباحَ لسائقِ الهدي ركوبَه بالمعروفِ إذا احتاجَ إليه حتى يجدَ ظهرًا غيرَه.

وكان هديه ﷺ نحرَ الإبلِ قيامًا مقيدةً معقولةَ اليُسرى على ثلاثٍ، وكان يُسمِّي الله عند نحرِه ويكبِّر، وكان يذبحُ نسكَه بيده، وربما وكَّل في بعضِه، كما أمر عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يذبحَ ما بَقِي من المئةِ.

وكان إذا ذبحَ الغنمَ وضعَ قدمه على صفاحِها، ثم سمَّى وكبَّر وذبحَ، وقد تقدَّم أنه نحرَ بمنًى وقال: «**إن فجاجَ مكةَ كلَّها منحرٌ**»(١).

وأباحَ ﷺ لأُمَّتِه أن يأكلوا من هداياهُم وضحاياهُم ويتزودوا منها.

وكان ربما قسمَ لُحومَ الهدي، وربما قال: «**من شاءَ اقتَطَعَ**»(٢)، فعل هذا وفعل هذا، واستُدلَّ بهذا على جوازِ النهبة في النثارِ في العرسِ ونحوه.

٦- فصل [في هديه ﷺ في ذبح الهدي]

وكان من هديِه ﷺ ذبحُ هديِ العمرةِ عند المروةِ، وهديِ القِرانِ بمنًى، ولم ينحَر هديَه ﷺ قطُّ إلا بعدَ أن حَلَّ، ولم ينحَرهُ أيضًا إلا بعد طلوعِ الشمسِ وبعدَ الرميِ، فهي أربعةُ أمورٍ مرتبةٌ: الرميُ، ثم النَّحرُ، ثم الحلقُ، ثم الطوافُ. وهكذا رتَّبها ﷺ، ولم يرخِّص في النحرِ [قبلَ] طلوع الشمس البتةَ، ولا ريبَ أن ذلك مخالفٌ لهديِه، فحكمُه حكمُ الأضحية إذا ذُبحت قبلَ طلوعِ الشمس.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٦٥).

٧- فصل [في هديه ﷺ في الأضاحي]

وأما هديُه ﷺ في الأضاحي فإنه ﷺ لم يكن يدعُ الأضحيَّةَ، وكان يُضحِّي بكبشين، وكان يَنحَرهُما بعد صلاة العيدِ، وأخبر أن مَن ذبحَ قبل الصلاةِ فليس من النُّسكِ في شيءٍ، وإنما هو لحمٌ قدَّمه لأهلِه[١].

وأمَرَهم أن يَذبحوا الجذعَ من الضأنِ أو الثَّنِيَّ مما سواه، وهي المسنة.

وفي [وقت الذبح] أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: [كلُّ أيام التشريق ذبحٌ].

والثاني: أن وقتَ الذبحِ يومُ النحر ويومانِ بعدَه، وهذا مذهبُ أحمدَ[٢] ومالكٍ[٣] وأبي حنيفةَ[٤]، قال أحمد: هو قولُ غيرِ واحدٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ.

الثالث: أن وقتَ النحرِ يومٌ واحدٌ، وهو قول ابن سيرين[٥]، لأنه اختصَّ بهذه التسميةِ فدلَّ على اختصاصِ حكمِها به، ولو جازَ في الثلاثةِ لقيل لها: أيامُ النحر، كما قيل لها: أيامُ الرمي وأيامُ منًى، وأيامُ التشريق، ولأن العيدَ يُضاف إلى النحر، وهو يوم واحد، كما يُقال عيدُ الفطر.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٠)، ومسلم (١٩٦١).
(٢) مسائل أحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه رواية الكوسج (٢٨٣٦-٢٨٣٧).
(٣) المدونة لسحنون ١/ ٥٥٠.
(٤) الأصل للشيباني ٥/ ٤١٢.
(٥) المغني لابن قدامة ١٣/ ٣٨٤.

الرابع: قول سعيد بن جبير وجابر بن زيد[١]: إنه يومٌ واحدٌ في الأمصارِ، وثلاثةُ أيامٍ في منًى؛ لأنها هناك أيامُ أعمالِ المناسك من الرمي والطوافِ والحلقِ، فكانت أيامًا للذبحِ، بخلافِ أهلِ الأمصار.

٨- فصل [في هديه ﷺ فيمن أراد التضحية]

ومن هديِه ﷺ أن مَن أرادَ التضحيةَ ودخلَ العشرُ، فلا يأخُذْ من شعرِه وبشرتِه شيئًا، ثبتَ عنه النهيُ عن ذلك في «صحيح مسلم»[٢].

٩- [فصل في هديه ﷺ في صفات الأضحية]

وكان من هديِه ﷺ اختيارُ الأضحية واستحسانُها وسلامَتُها من العيوبِ، ونَهَى أن يُضحَى بعضباءِ الأذنِ والقرنِ، أي: مقطوعة الأذن ومكسورة القرن، النصف [فما] زاد، ذكره أبو داود[٣].

وأَمَرَ أن تُستَشرَف العينُ والأذنُ، أي: يُنظر إلى سلامتها، وألَّا يُضحَى بعوراءَ، ولا مقابلةٍ، ولا مدابرةٍ، ولا شرقاءَ، ولا خرقاءَ. والمقابلةُ: هي التي قُطِعَ مقدمُ أذنها، والمدابرةُ: التي قُطِعَ مؤخرُ أذنها، والشرقاءُ: التي شُقَّت أذنُها، والخرقاءُ: التي خُرقت أذنُها. ذكره أبو داود[٤].

---

(١) المغني لابن قدامة ١٣/ ٣٨٤.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٨٠٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٨٠٤)، والترمذي (١٤٩٨).

وذُكِرَ عنه أيضًا قال: «**أربعٌ لا تُجزئُ في الأضاحي: العوراءُ البيِّنُ عورها، والمريضةُ البيِّنُ مرضها، والعرجاءُ البيِّنُ عرجها، والكسير التي لا تنقي، أو العجفاءُ التي لا تنقي**»، أي: مِن هزالِها لا مخَّ فيها[١].

١٠ - فصل [في تضحيته ﷺ بالمصلى]

وكان من هديِه ﷺ أن يُضحِّيَ بالمُصلَّى، وفي «الصحيح» أن النبيَّ ﷺ كان يَذبحُ وينحرُ بالمُصلَّى[٢].

١١ - [فصل في أمره بالإحسان في الذبح]

وأمرَ الناسَ إذا ذبحوا أن يُحسِنوا، وإذا قَتَلوا أن يُحسِنوا القتلةَ وقال: «**إن الله كَتَبَ الإحسانَ على كلِّ شيء**»[٣].

١٢ - [فصل في إجزاء الشاة عن الرجل وأهله]

وكان من هديِه ﷺ أن الشاةَ تُجزئُ عن الرجلِ وعن أهلِ بيته ولو كثُرَ عددُهم.

١٣ - فصل في هديِه ﷺ في العقيقةِ

عن عمرِو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن العقيقةِ فقال: «**لا أُحبُّ العقوقَ**»، وكأنَّه كَرِه الاسم، قالوا: يا رسولَ الله، يَنسُك

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، وابن ماجه (٣١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

أحدنا عن ولدِه؟ فقالَ: «**مَن أحبَّ منكم أن ينسُك عن ولدِه فليَفعَل: عن الغلامِ شاتان، وعن الجاريةِ شاةٌ**»[(١)]، وصحَّ عنه من حديث عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**عن الغلامِ شاتان، وعن الجاريةِ شاةٌ**»[(٢)].

وقال: «**كلُّ غلامٍ رهينة بعقيقتِه تُذبَح عنه يومَ السابعِ، ويُحلَق رأسُه، ويُسمَّى**»[(٣)]. قال الإمام أحمد: معناه أنه محبوسٌ عن الشفاعةِ في أبويه. وظاهر الحديثِ أنه رهينةٌ في نفسِه، ممنوعٌ محبوسٌ عن خيرٍ يُرادُ به، ولا يَلزَم من ذلك أن يعاقَبَ عليها في الآخرةِ، كما أنه عند الجماع إذا سمَّى أبوه لم يضرَّ الشيطانُ ولدَه، وإذا ترك التسميةَ لم يحصُل للولد هذا الحفظُ.

١٤- فصل في هديه ﷺ في تسمية المولودِ وختانه

قد تقدم قوله في حديث قتادة عن الحسن عن سمرة في العقيقة: «**تُذبحُ يومَ سابعِه ويُسمَّى**»[(٤)].

فأمَّا الختانُ فقال ابن عباس: كانوا لا يختنون الغلامَ حتى يدرك. قال الميموني: وسمعتُ أحمدَ يقول: كان الحسنُ يكرهُ أن يختنَ الصبيَّ يومَ سابعه، وقال حنبل: إن أبا عبد الله قال: وإن ختنَ يومَ السابع فلا بأس، وإنما كَرِهَه الحسنُ؛ لئلا يتشبه باليهود، وليس في هذا شيءٌ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٤٢)، والنسائي (٤٢١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٥١٣)، وابن ماجه (٣١٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٨٣٨)، والترمذي (١٥٢٢)، والنسائي (٤٢٢٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٨٣٧)، والترمذي (١٥٢٢)، وابن ماجه (٣١٦٥)، والنسائي (٤٢٢٠).

١٥- فصل في هديه ﷺ في الأسماءِ والكُنى

ثَبتَ عنه ﷺ أنه قال: «**إن أخنَعَ اسمٍ عند الله رجلٌ تَسَمَّى ملك الأملاك، لا مَلك إلا الله**»[(١)].

وثبتَ عنه أنه قال: «**أحبُّ الأسماءِ إلى الله: عبدُ الله، وعبدُ الرحمن، وأصدَقُها: حارثٌ وهمامٌ، وأقبحها: حَربٌ ومرةُ**»[(٢)].

وثبتَ عنه أنه قال: «**لا تُسمِّيَن غلامَك يَسارًا ولا رباحًا ولا نَجيحًا ولا أفلحَ؛ فإنه يقولُ: أثَمَّ هو؟ فلا يكونُ، فتَقولُ: لا**»[(٣)].

وثبتَ عنه أنه غيَّر اسم عاصيةَ، وقال: أنت جَميلةُ[(٤)].

وكان اسمُ جويريةَ بَرَّةُ، فغيره رسولُ الله ﷺ باسمِ جُويرية[(٥)]، وقالت زَينبُ بنتُ أم سلمةَ: نهى رسول الله ﷺ أن يُسمَّى بهذا الاسمِ، وقال: «**لا تُزَكُّوا أنفسَكم، الله أعلَمُ بأهلِ البرِّ منكم**»[(٦)].

وغيَّر اسم حَزَن جدِّ سعيدِ بن المسيب، وجَعَلَه سهلًا، فأبَى وقال: السهلُ يوطَأُ ويُمتَهَن[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٣٢).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٣٧).
(٤) أخرجه مسلم (٢١٣٩).
(٥) أخرجه مسلم (٢١٤٠).
(٦) أخرجه مسلم (٢١٤١).
(٧) أخرجه البخاري (٦١٩٠)، وأبو داود (٤٩٥٦).

فصل في فقهِ هذا البابِ

لما كانت الأسماءُ قوالبَ للمعاني ودالةً عليها اقتَضَت الحكمةُ أن يكون بينَها وبينها ارتباطٌ وتَناسبٌ، وألَّا يكونَ المعنى معها بمنزلةِ الأجنبي المحضِ الذي لا تعلقَ له بها، فإن حكمةَ الحكيم تأبى ذلك، والواقعُ يشهدُ بخلافِه، بل للأسماءِ تأثيرٌ في المسميات، وللمسميات تأثُّرٌ عن أسمائِها في الحُسنِ والقبحِ، والخفةِ والثقلِ، واللطافةِ والكثافةِ.

وكان النبيُّ ﷺ يَستحبُّ الاسمَ الحسن، وأمرَ إذا أبردوا إليه بريدًا أن يكون حسنَ الاسمِ حسنَ الوجه، وكان يأخذُ المعاني من أسمائِها في المنامِ واليقظةِ، كما رأى أنه وأصحابَه في دارِ عقبةَ بن رافعٍ، فأُتوا برطبٍ من رطبِ ابنِ طابٍ، فأوَّله بأن لهمُ الرفعةَ في الدنيا، والعاقبةَ في الآخرةِ، وأن الدين الذي اختارهُ الله لهم قد أرطَبَ وطابَ[١].

وكان يَكرهُ الأمكنةَ المنكرةَ الأسماءِ ويكرهُ العبورَ فيها، كما مرَّ في بعضِ غزواتِه بين جبلين، فسأل عن اسمَيهما، فقالوا: فاضحٌ ومخزٍ، فعدلَ عنهما، ولم يجز بينَهما.

ولما كان بين الأسماءِ والمسمياتِ من الارتباطِ والتناسبِ والقرابةِ ما بين قوالِبِ الأشياءِ وحقائِقها، وما بين الأرواحِ والأجسامِ؛ عَبَرَ العقلُ من كل واحدٍ منهما إلى الآخرِ، كما كان إياسُ بنُ معاويةَ وغيرُه يرى الشخصَ فيقول: ينبغي أن يكونَ اسمُه كيت وكيت، فلا يكادُ يخطئُ، وضدُّ هذا العبورُ من الاسمِ إلى مسمَّاه،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٠).

كما سأل عمرُ بن الخطاب رجلًا عن اسمِه، فقال: جمرة، فقال: واسمُ أبيك؟ قال: شهابٌ، قال: ممَّن؟ قال: من الحرقةِ، قال: فمنزلك؟ قال: بحرَّة النارِ، قال: فأين مسكنُك؟ قال: بذاتِ لظى، فقال: اذهب فقد احترقَ مسكنُك، فذهب فوجد الأمر كذلك، فعَبَرَ عمرُ من الألفاظِ إلى أرواحِها ومعانيها كما عَبَرَ النبيُّ ﷺ من اسم سهيلٍ إلى سهولة أمرِهم يومَ الحديبية، فكان الأمرُ كذلك.

وقد أمرَ النبيُّ ﷺ أمته بتحسين أسمائِهم، وأخبرَ أنهم يُدعَون يوم القيامةِ بها.

وتأمَّل كيف اشتُقَّ للنبيِّ ﷺ من وصفِه اسمان مطابِقان لمعناه، وهما أحمدُ ومحمَّدٌ، فهو لكثرةِ ما فيه من الصفات المحمودةِ محمدٌ، ولشرفِها وفضلِها على صفات غيره أحمدُ.

ولما قدمَ النبيُّ ﷺ المدينة واسمُها يثربُ لا تُعرَف بغيرِ هذا الاسم غيَّرَه بطَيبة.

وتأمَّل أسماءَ الستةِ المتبارزين يومَ بدرٍ كيف اقتَضى القَدَرُ مطابقةَ أسمائِهم لأحوالِهم يومئذٍ، فكان الكفارُ: شيبةُ وعتبةُ والوليدُ، ثلاثةُ أسماءٍ من الضعفِ، فالوليدُ له بدايةُ الضعفِ، وشيبةُ له نهايتُه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، وعتبةُ من العَتبِ، فدلَّت أسماؤهم على عتبٍ يحلُّ بهم، وضعفٍ ينالُهم.

وكان أقرانُهم من المسلمين عليٌّ، وعبيدةُ، والحارثُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ثلاثةُ أسماءٍ تناسبُ أوصافَهم وهي العُلو والعبوديةُ والسعي الذي هو الحرثُ، فعَلَوا عليهم بعبودِيَّتهم وسعيِهم في حرثِ الآخرة.

ولما كان الاسمُ مقتضيًا لمسماه ومؤثِّرًا فيه كان أحبَّ الأسماءِ إلى الله ما اقتضى أحبَّ الأوصافِ إليه كعبدِ الله، وعبدِ الرحمن، وكان إضافةُ العبوديةِ إلى اسمِ الله واسمِ الرحمن أحبَّ إليه من إضافتِها إلى غيرِهما من الأسماء، كالقاهر والقادر، فعبد الرحمن أحبُّ إليه من عبدِ القادر، وعبدُ الله أحبُّ إليه من عبدِ ربه؛ وهذا لأن التعلقَ الذي بينَ العبدِ وبينَ الله إنما هو العبوديةُ المحضةُ، والتعلقُ الذي بينَ الله وبينَ العبد بالرحمةِ المحضة، فبرحمتِه كان وجودُه وكمالُ وجودِه، والغايةُ التي أوجدَه لأجلِها أن يتألهَه وحده محبةً وخوفًا، ورجاءً وإجلالًا وتعظيمًا، فيكون عبدًا لله، وقد عبده [لما] في اسم الله من معنى الإلهية التي يستحيلُ أن تكونَ لغيرِه، ولما غلبَتْ رحمتُه غضبَه وكانت الرحمةُ أحبَّ إليه من الغضب كان عبدُ الرحمن أحبَّ إليه من عبدِ القاهر.

فصل

ولما كان كلُّ عبدٍ متحركًا بالإرادةِ، والهمُّ مبدأُ الإرادةِ، ويترتَّبُ على إرادتِه حرثُه وكسبُه، كان أصدقَ الأسماءِ اسمُ همامٍ واسمُ حارثٍ؛ ولما كان المُلك الحقُّ لله وحدَهُ كان أخنَعَ اسم وأوضَعه عند الله وأغضبَه له اسمُ «**شاهان شاه**» أي: مَلِك الملوك وسلطانُ السلاطين، وقد ألحَقَ بعضُ أهلِ العلم بهذا «**قاضي القضاةِ**» وقال: ليس قاضي القضاةِ إلا مَن يقضِي الحقَّ وهو خيرُ الفاصلين، الذي إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كُنْ فيكونُ.

ويَلِي هذا الاسمَ في الكراهةِ والقبحِ والكذبِ: سيدُ الناسِ، وسيد الكلِّ، وليس ذلك إلا لرسولِ الله ﷺ خاصةً كما قال: «**أنا سيدُ ولدِ آدمَ [يومَ القيامةِ ولا فخرَ]**»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

فصل

ولما كان مُسمَّى الحربِ والمُرةِ أكرهَ شيءٍ للنفوسِ وأقبحَها عندَها، كان أقبحُ الأسماءِ حربًا ومرةَ، وما أشبَهَهما، وما أجدرَ هذه الأسماءَ بتأثيرِها في مسمياتِها، كما أثر اسمُ «حزن» الحزونةَ في سعيدِ بن المسيب وأهلِ بيتِه.

فصل

وأما النهيُ عن تسميةِ الغلامِ بيسارٍ وأفلحَ ونجيحٍ ورباحٍ، فهذا لمعنًى آخرَ قد أشارَ إليه في الحديثِ، وهو قوله: «**فإنه يقولُ: أثَمَّ هو؟ فيقال: لا**»[1]، فإن هذه الأسماءَ لما كانت قد توجِبُ تطيرًا تكرهُه النفوسُ، ويصدها عما هي بصددِه، كما إذا قلتَ لرجل: أعندَك يسارٌ أو رباحٌ أو أفلحُ؟ قال: لا، تطيرتَ أنت وهو من ذلك، وقد [تقعُ] الطِّيَرةُ لا سيما على المتطيرين؛ فاقتَضَت حكمةُ الشارعِ أن يَمنَعهُم من أسبابٍ توجِبُ لهم سماعَ المكروه أو وقوعَه، هذا إلى ما يَنضافُ إلى ذلك من تعليقِ ضد الاسمِ عليه بأن يُسمى يسارًا من هو من أعسرِ الناس.

وأمرٌ آخرُ أيضًا: وهو أن يطالَب المسمى بمقتَضى اسمِه فلا يوجدُ عنده فيُجعَلُ ذلك سببًا لذمِّه وسبِّه.

وأمرٌ آخرُ: وهو ظن المسمَّى واعتقادُه في نفسِه أنه كذلك فيقعُ في تزكيةِ نفسِه وتعظيمِها وترَفُّعِها على غيره، وهذا هو المعنى الذي نهى النبيُّ ﷺ لأجلِه أن تُسمَّى (بَرَّة)، وقال: «**لا تزكُّوا أنفسَكم؛ الله أعلمُ بأهلِ البرِّ منكم**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٢).

فصل

وأما الكنيةُ فهي نوعُ تكريمٍ للمُكَنَّى وتنويهٌ به، وكنَّى النبي عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأبي تراب، وكنَّى أخا أنسِ بن مالك -وكان صغيرًا دون البلوغ- بأبي عمير.

وكان هديُه ﷺ تكنيةُ مَن له ولدٌ، ومَن لا ولدَ له، ولم يثبُت عنه أنه نهى عن كنيةٍ إلا الكنيةَ بأبي القاسِم، فصحَّ عنه أنه قال: «**تَسَمَّوا باسمي، ولا تَكَنَّوا بكنيَتي**»[(١)]، فاختلفَ الناسُ في ذلك على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنه لا يجوزُ التكنِّي بكنيتِه مُطلقًا، سواءٌ أفردَها عن اسمِه أو قرنها به، وسواءٌ محياه وبعدَ مماته، وعمدتُهم عمومُ هذا الحديثِ الصحيح وإطلاقُه.

الثاني: أن النهيَ عن الجمعِ بين اسمِه وكنيتِه، فإذا أفرِدَ أحدُهما عن الآخر، فلا بأسَ، قال أبو داود: باب: من رأى ألا يجمعَ بينهما، ثم ذكر حديث أبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**من تسمَّى باسمي فلا يتكنَّ بكنيتِي، ومن اكتنى بكنيتِي فلا يتسمَّ باسمِي**»[(٢)]، ورواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ[(٣)]، وقد رواه الترمذي أيضًا من حديثِ محمدِ بنِ عجلان [عن أبيه] عن أبي هريرةَ، وقال: حسنٌ صحيحٌ[(٤)].

الثالث: جوازُ الجمعِ بينهما، وهو المنقولُ عن مالكٍ[(٥)]، واحتجَّ أصحابُ هذا القولِ بما رواه أبو داود والترمذي عن علي قال: قلت: يا رسول الله، إن وُلِدَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٨)، ومسلم (٢١٣٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٦٦).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٤٢).
(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٤١).
(٥) المنتقى للباجي ٧/ ٢٩٦.

لي من بعدك ولدٌ أسمِّيه باسمِك وأكنِّيه بكنيتِك؟ قال «**نعم**»، قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[١].

الرابع: أن التكني بأبي القاسمِ كان ممنوعًا في حياةِ النبيِّ ﷺ، وهو جائزٌ بعد وفاتِه، قالوا: وسببُ النهي إنما كان مختصًّا بحياته، فإنه قد ثبت في «الصحيح» من حديثِ أنس قال: نادى رجلٌ بالبقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسولُ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني لم أعنك إنما دعوتُ فلانًا، فقال رسول الله ﷺ: «**تسمَّوا باسمِي ولا تكنَّوا بكنيتي**»[٢].

والصوابُ: أن التسمِّي باسمِه جائزٌ، والتكني بكنيتِه ممنوعٌ منه، والمنعُ في حياتِه أشدُّ، والجمعُ بينهما ممنوعٌ منه، وحديثُ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحته نظرٌ، والترمذي فيه نوعُ تساهلٍ في التصحيح، وقد قال علي: إنها رخصةٌ له، وهذا يدلُّ على بقاءِ المنع لمن سواه، والله أعلم.

فصل

ونهى رسولُ الله ﷺ عن تسميةِ العنبِ كَرْمًا[٣]، وقال: «**الكَرمُ قلبُ المؤمنِ**»[٤]، وهذا لأن هذه اللفظةَ تدلُّ على كثرةِ الخيرِ والمنافعِ في المسمَّى بها، وقلبُ المؤمن هو المستحقُّ لذلك دون شجرةِ العنبِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٤٣)، وأبو داود (٤٩٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٨٣)، ومسلم (٢٢٤٧).

فصل

قال ﷺ: «**لا تَغلِبَنَّكم الأعرابُ على اسمِ صلاتِكم، ألا وإنها العشاءُ وإنهم يُسمونها العَتَمةَ**»[(١)]، وصحَّ عنه أنه قال: «**لو يَعلمون ما في العتمةِ والصبحِ، لأَتَوهُما ولو حبوًا**»[(٢)]. فقيل: هذا ناسخٌ للمنع، وقيل بالعكسِ، والصوابُ خلافُ القولين، فإن العلمَ بالتاريخ متعذرٌ، ولا تعارضَ بين الحديثين؛ فإنه لم ينهَ عن إطلاقِ اسم العتمةِ بالكليةِ، وإنما نهى عن أن يُهجَر اسم العشاءِ - وهو الاسمُ الذي سماها الله به في كتابِه - ويغلبَ عليه اسم العتمةِ، فإذا سُميت العشاءَ وأُطلقَ عليها أحيانًا بالعتمةِ فلا بأس، والله أعلم.

وهذا محافظةٌ منه ﷺ على الأسماءِ التي سمَّى اللهُ بها العبادات، فلا تهجر ويؤثِّر عليها غيرُها، كما فعلَه المتأخرون في هجرانِ ألفاظ النصوص، وإيثارِ المصطلحاتِ الحادثة عليها، ونشأ بسبب هذا مِن الجهلِ والفسادِ ما الله به عليمٌ.

١٦- فصل في هديِه ﷺ في حفظِ المنطِقِ واختيارِ الألفاظِ

كان يتخيَّرُ في خطابِه ويختار لأمته أحسنَ الألفاظِ وأجملَها وألطفَها، وأبعدَها من ألفاظ أهل الجفاءِ والغلظةِ والفحشِ، فلم يكن فاحشًا ولا مُتفحشًا ولا صخابًا ولا فظًّا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣) من حديث عبد الله بن مغفل المزني، ومسلم (٦٤٤) من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧).

وكان يكرهُ أن يستعملَ اللفظ الشريفَ المصون في حقِّ من ليس كذلك، وأن يستعملَ اللفظ المهين المكروهَ في حقِّ من ليس من أهلِه:

فمِن الأول: منعه أن يقالَ للمنافقِ: «يا سيِّدَنا»، وقال: «**فإنه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتُم ربَّكم** عَزَّوَجَلَّ»[(١)]، ومنعِه من تسميةِ أبي جهلٍ بأبي الحكمِ، وكذلك تغييرُه لاسمِ أبي الحكم من الصحابةِ بأبي شُريحٍ، وقال: «**إن الله هو الحكمُ، وإليه الحُكمُ**»[(٢)].

ومن ذلك نهيُه للمملوكِ أن يقولَ لسيده وسيدتِه: ربي وربَّتي. وللسيد أن يقولَ لمملوكه: عبدي. ولكن يقولُ المالك: فتاي وفتاتي. ويقول المملوك: سيدي وسيدتي[(٣)].

ومن هذا قوله للخطيبِ -الذي قال: من يُطِعِ الله ورسولَه فقد رَشَد، ومن يَعصِهما فقد غَوى-: «**بئس الخطيبُ أنت**»[(٤)].

ومن ذلك قولُه: «**لا تقولوا: ما شاءَ الله وشاءَ فلان. ولكن قولوا: ما شاءَ الله ثمَّ شاءَ فلان**»[(٥)].

وأما القِسمُ الثاني وهو أن يُطلِق ألفاظَ الذمِّ على من ليس من أهلِها، فمثل نهيِه ﷺ عن سبِّ الدهرِ، وقال: «**إن الله هو الدهرُ**»[(٦)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٧٧).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٧٥).
(٤) أخرجه مسلم (٨٧٠).
(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠).
(٦) أخرجه البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٦).

وفي هذا ثلاثُ مفاسدَ عظيمةٍ:

إحداها: سبُّه من ليس بأهلٍ للسبِّ، فإن الدهر خَلْقٌ مسخر من خلقِ الله، مُنقادٌ لأمرِه.

الثانية: أن سبه مُتضمِّن للشركِ، فإنه إنما يسبُّه لظنه أنه يضرُّ وينفعُ.

الثالثة: أن السبَّ منهم إنما يقعُ على من فعلَ هذه الأفعالَ التي لو اتبعَ الحقُّ فيها أهواءَهم لفسدتِ السمواتُ والأرضُ، والدهرُ ليس له من الأمرِ شيءٌ، فمسبتهم للدهر مسبةٌ لله تعالى؛ ولهذا كانت مؤذيةً للرب تعالى.

ومن هذا قولُه ﷺ: «**لا يقولَنَّ أحدكم: تَعِس الشيطانُ؛ فإنه يَتعاظَمُ حتى يكون مثلَ البيتِ، فيقولُ: بقوتي صرَعتُه، ولكن ليقل: بِسمِ الله، فإنه يتَصاغَر حتى يكونَ مثلَ الذبابِ**»[1]. فأرشَدَ النبيُّ ﷺ من مسَّهُ شيءٌ من الشيطانِ أن يَذكُرَ الله تعالى، ويذكرَ اسمَه ويستعيذَ بالله منه، فإن ذلك أنفعُ له، وأغيظُ للشيطان.

ومِن ذلك نهيُه ﷺ أن يقولَ الرجل: «**خبُثَت نفسي. ولكن ليَقُل: لَقِست نفسي**»[2] فكَرِه لهم لفظ الخبث؛ لما فيه من القبحِ والشناعةِ.

ومن ذلك أنه ﷺ نهى عن قولِ القائلِ بعد فواتِ الأمرِ: لو أني فَعَلتُ كذا وكذا، وأرشدَهُ إلى ما هو أنفعُ له، وهو أن يقول: «**قدَّرَ الله وما شاءَ فعلَ**»[3]؛ وذلك لأن في ضمن (لو) ادعاءً أن الأمرَ لو كان كما قدَّره في نفسِه لكان غيرَ ما قضاه الله وقدَّره وشاءه، وإن سلمَ من التكذيبِ بالقَدرِ لم يسلَم من معارضتِه بقوله: لو أني فعلتُ لدَفَعتُ ما قدَّرَ الله عليَّ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧٩)، ومسلم (٢٢٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

[ثامنا: كتاب الذكر]

١- فصل في هديه ﷺ في الذِّكرِ

كان النبيُّ ﷺ أكملَ الناسِ ذكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، بل كان كلامُه كلُّه في ذكرِ الله وما والاه، وكان أمرُه ونهيه وتشريعُه للأمة ذكرًا منه لله عَزَّوَجَلَّ، وإخبارُه عن أسماءِ الرب وصفاتِه، وأحكامِه وأفعاله، ووعدِه ووعيده، ذكرًا منه له، وثناؤه عليه بآلائِه، وتمجيدُه وتحميدُه وتسبيحه ذكرًا منه له، وسؤالُه ودعاؤه إياه رغبةً ورهبةً، ذكرًا منه له، وسكوتُه وصمته ذكرًا منه له بقلبِه، وكان ذاكرًا لله في كلِّ أحيانِه، وعلى جميعِ أحوالِه، فكان ذِكرُه لله يجري مع أنفاسِه، وفي مشيِه وركوبه، وسيرِه ونزوله، وظَعنِه وإقامتِه.

وكان إذا استيقظَ قال: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتَنا وإليه النشورُ**»(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان إذا هبَّ مِن الليل كبَّر [الله] عشرًا، وحمدَ الله عشرًا، وقال: سبحانَ الله وبحمده عشرًا، وسبحانَ الملكِ القدوسِ عشرًا، واستغفر الله عشرًا، وهلَّل عشرًا، ثم قال: اللهُمَّ إني أعوذُ بك من ضيقِ الدنيا، وضيقِ يوم القيامة عشرًا، ثم يستفتحُ الصلاةَ»(٢).

وأخبر أنَّ مَن استيقظَ مِن الليل فقال: «**لا إلهَ إلا الله، وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيء قديرٌ، الحمدُ لله، وسبحانَ الله، ولا إلهَ إلا الله،**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٤)، ومسلم (٢٧١١).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٥)، والنسائي (١٦١٧).

والله أكبر، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، ثم قال: اللهُمَّ اغفِرْ لي، أو دعا؛، استُجِيبَ له، فإن توضَّأ وصلَّى قبلت صلاته» ذكره البخاري[(١)].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [عنه] ﷺ ليلةَ مبيتِه عندَه: إنه لما استيقظَ رفعَ رأسَه إلى السماءِ وقرأَ العشرَ الآياتِ الخواتيم مِن سورةِ (آل عمران): ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخرها، ثم قال: اللهُمَّ لك الحمدُ أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ ومَن فيهِنَّ، ولك الحمدُ أنتَ قيِّمُ السماواتِ والأرضِ ومَن فيهِنَّ، ولك الحمدُ أنتَ الحقُّ، ووعدُك الحقُّ، وقولُك الحقُّ، ولقاؤُك حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمدٌ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ، اللهُمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرَرتُ وما أعلنتُ، أنتَ إلهي، لا إلهَ إلا أنتَ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيمِ»[(٢)].

وقد قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان إذا قامَ من الليلِ قال: «اللهمَّ ربَّ جبرائيلَ وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرضِ، عالمَ الغيب والشهادةِ، أنت تحكُمُ بين عبادِك فيما كانوا فيه يَختلِفون، اهدِني لما اختُلِف فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تَهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم»[(٣)].

وكان إذا خَرجَ من بيتِه يقول: «بسم الله توكَّلتُ على الله، اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظلِم أو أُظلَمَ، أو أَجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٤٩)، والترمذي (٣٤٢٧)، وابن ماجه (٣٨٨٤).

وقال ﷺ: «**مَن قال إذا خرَج من بيتِه: بسمِ الله، توكلتُ على الله، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، يُقال له: هُدِيتَ ووُقِيتَ وكُفِيتَ ، وتنحَّى عنه الشيطانُ**» حديث حسن[(١)].

وقال ابن عباس عنه ليلةَ مبيتِه عندَه: «إنه خرَجَ إلى صلاةِ الفجرِ وهو يقولُ: **اللهُمَّ اجعَلْ في قلبي نورًا، واجعَلْ في لساني نورًا، واجعَلْ في سمعي نورًا، واجعَلْ في بصري نورًا، واجعَلْ مِن خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعَلْ مِن فوقي نورًا، واجعَلْ مِن تحتي نورًا، اللهُمَّ أعظِم لي نورًا**»[(٢)].

وذكَرَ أبو داودَ عنه ﷺ: «أنه كان إذا دخَلَ المسجدَ قال: **أعوذُ بالله العظيمِ، وبوجهِه الكريمِ، وسلطانِه القديمِ، مِن الشيطانِ الرجيمِ، فإذا قال ذلك قال الشيطانُ: حُفِظَ مني سائرَ اليوم**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**إذا دخلَ أحدُكم المسجدَ فليُسَلِّم وليصلِّ على النبي ﷺ وليقل: اللهمَّ افتَح لي أبوابَ رحمتِك، وإذا خرجَ فليقل: اللهمَّ إني أسألُك من فضلِك**»[(٤)].

وكان إذا صلى الصبحَ جلَسَ في مصلاه حتى تطلُعَ الشمسُ يذكرُ الله عَزَّوَجَلَّ.

وكان يقولُ إذا أصبح: «**اللهمَّ بك أصبَحنا، وبك أمسَينا، وبك نحيا، وبك نموتُ وإليك النشورُ**» حديث صحيح[(٥)].

---

(١) أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٦).
(٤) أخرجه مسلم (٧١٣).
(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨).

وكان يقول: «**أصبَحنا وأصبَح الملك لله، الحمدُ لله لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، ربِّ أسألك خيرَ ما في هذا اليومِ، وخيرَ ما بعدَه، وأعوذ بك من شرِّ هذا اليومِ، وشر ما بعدَه، ربِّ أعوذ بك من الكسلِ وسوء الكبَرِ، ربِّ أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبرِ**»، وإذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملكُ لله...**» إلى آخره، ذكره مسلم[(١)].

وقال له أبو بكرٍ الصديقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: مُرني بكلماتٍ أقولهن إذا أصبَحتُ وإذا أمسيتُ. قال: «**قل: اللهمَّ فاطرَ السموات والأرضِ، عالمَ الغيب والشهادةِ ربَّ كل شيءٍ ومَليكه، أشهدُ ألا إله إلا أنتَ، أعوذُ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطانِ وشِركِه، وأن أقترِفَ على نفسي سوءًا أو أجُرَّه إلى مسلم**» قال: «**قُلها إذا أصبَحتَ وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجعك**» حديث صحيح[(٢)].

وقال ﷺ: «**ما من عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كل ليلةٍ: بسمِ الله الذي لا يضرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليم، ثلاث مراتٍ، إلا لم يضره شيء**» حديث صحيح[(٣)].

وقال: «**من قالَ حين يُصبح وحين يُمسي: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمد نبيًّا، كان حقًّا على الله أن يُرضِيَه**» صححه الترمذي والحاكم[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٨٩)، والحاكم ١/ ٦٩٩ (١٩٠٥).

وقال: «مَن قال حينَ يُصبحُ وحينَ يُمسي: اللهُمَّ إني أصبحتُ أُشهِدُك، وأُشهِدُ حملةَ عرشِك، وملائكتَك، وجميعَ خلقِك، أنك أنت اللهُ الذي لا إله إلا أنتَ، وأن محمدًا عبدُك ورسولُك؛ أعتقَ الله رُبعَه مِن النار، وإن قالها مرتين أعتقَ الله نصفَه من النار، وإن قالها ثلاثًا أعتقَ الله ثلاثةَ أرباعِه من النار، وإن قالها أربعًا أعتقَه الله من النار»، حديث حسن[(١)].

وقال: «مَن قال حيَن يُصبحُ: اللهُمَّ ما أصبحَ بي مِن نعمةٍ أو بأحدٍ مِن خلقِك فمنك وحدَك لا شريكَ لك، لك الحمدُ ولك الشكرُ؛ فقد أدَّى شكرَ يومِه، ومن قال مثل ذلك حينَ يُمسِي فقد أدَّى شكرَ ليلتِه» حديث حسن[(٢)].

وكان يَدعو حين يُصبِح وحين يُمسي بهذه الدعوات: «اللهم إني أسألُك العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، اللهم إني أسألك العفوَ والعافيةَ في ديني ودنيايَ، وأهلي ومالي، اللهم استُر عوراتي، وآمِن روعاتي، اللهم احفَظنِي من بين يَدَيَّ ومن خَلفي، وعن يَميني وعن شِمالي ومن فوقي، وأعوذُ بعظَمَتِك أن أُغتالَ من تحتي» صححه الحاكم[(٣)].

وقال: «إذا أصبحَ أحدُكم فليقل: أصبَحْنا وأصبحَ الملكُ لله ربِّ العالمين، اللهُمَّ إني أسألُك خيرَ هذا اليومِ فتحَه ونصرَه ونورَه وبركتَه وهدايتَه، وأعوذُ بك من شرِّ ما فيه، وشرِّ ما بعده، ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك» حديث حسن[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٩)، والترمذي (٣٥٠١).
(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣).
(٣) أخرجه الحاكم ١/ ٦٩٨ (١٩٠٢).
(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٨٤).

وكان إذا أصبحَ قال: «أصبَحْنا على فطرةِ الإسلامِ، وكلمةِ الإخلاصِ، ودينِ نبينا محمدٍ ﷺ، وملةِ أبينا إبراهيمَ حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين»(١).

ويُذكرُ عنه ﷺ أنه قال لفاطمةَ ابنتِه: «ما يمنعُك [أن تسمعي ما أوصيك به] أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ: يا حيُّ يا قيومُ، بك أستغيثُ، فأصلِح لي شأني، ولا تكِلْني إلى نفسي طرفةَ عين»(٢).

وقال: «سيدُ الاستغفارِ أن يقولَ العبد: اللهمَّ أنت ربي، لا إله إلا أنتَ، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استَطَعت، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتِك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفِر لي إنه لا يَغفِر الذنوبَ إلا أنت، من قالها حين يُصبح موقنًا بها، فمات من يومِه؛ دخلَ الجنةَ، ومن قالها حين يُمسي موقنًا بها، فمات من ليلتِه؛ دخلَ الجنةَ»(٣).

وقال: «من قال حين يُصبحُ وحين يُمسي: سبحانَ الله وبحمدِه مئةَ مرة، لم يأتِ أحدٌ يوم القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثلَ ما قال، أو زادَ عليه»(٤).

وقال: «من قالَ حين يُصبحُ: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملك وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. في اليوم مئةَ مرة، كانت له عَدلَ عشرِ رقابٍ، وكُتبَت له مئةُ حسنةٍ، ومُحِيَت عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حرزًا من الشيطانِ يومه ذلك، حتى يُمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا رجلٌ عمل أكثر منه»(٥).

(١) أخرجه أحمد ٢٤/ ٧٧ (١٥٣٦٠).
(٢) أخرجه البزار (٦٣٦٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٣٣٠)، والحاكم ١/ ٧٣٠ (٢٠٠٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩٢).
(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

٢- فصل في هديه ﷺ في الذِّكرِ عند لبس الثوبِ ونحوه

كان ﷺ إذا استجَدَّ ثوبًا سماه باسمه: عمامةً، أو قميصًا، أو رداءً، ثم يقول: «**اللهمَّ لك الحمدُ أنت كَسَوتَنيه، أسألك خيرَه، وخيرَ ما صُنِع له، وأعوذُ بك من شرِّه، وشرِّ ما صُنع له**» حديث صحيح[(١)].

ويُذكرُ عنه أنه قال: «**مَن لبسَ ثوبًا فقال: الحمدُ لله الذي كساني هذا ورَزَقَنيه مِن غيرِ حولٍ مني ولا قوة غَفَرَ الله له ما تقدَّم من ذنبِه**»[(٢)].

وصحَّ عنه أنه قال لأم خالدٍ -لما ألبَسَها الثوبَ الجديد-: «**أَبلي وأَخلِقي، ثم أَبلي وأَخلِقي**» مرتين[(٣)].

٣- فصل في هديه ﷺ عند دخولِه منزلِه

لم يكن ﷺ ليَفجَأ أهلَه بغتةً يتخوَّنُهم، ولكن كان يدخُلُ على أهلِه على علم منهم بدخولِه، وكان يُسلِّم عليهم، وكان إذا دخلَ بدأَ بالسؤالِ وسأَلَ عنهم، وربما قال: «**هل عندَكُم من غداء؟**»[(٤)]، وربما سكتَ حتى يحضرَ بين يديه ما تيسَّر.

وفي «السنن» عنه: «**إذا وَلَجَ الرجلُ بيتَه فليقل: اللهُمَّ إني أسأَلُك خيرَ المَوْلِجِ، وخيرَ المَخْرجِ، بسمِ الله وَلَجنا، وعلى الله ربِّنا توكَّلنا، ثُم ليسلِّم على أهلِه**»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠١٦)، والترمذي (١٧٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٤٥).

(٤) أخرجه مسلم (١١٥٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٩٦).

وفيها عنه ﷺ: «ثلاثةٌ كلُّهم ضامنٌ على الله: رجلٌ خرج غازيًا في سبيل الله، فهو ضامنٌ على الله حتى يتوفاه فيدخلُه الجنةَ أو يردَّه بما نال من أجرٍ وغنيمةٍ، ورجلٌ راح إلى المسجدِ فهو ضامنٌ على الله حتى يتوفاه فيدخلُه الجنةَ أو يردَّه بما نال من أجرٍ وغنيمةٍ، ورجلٌ دخلَ بيتَه بسلامٍ فهو ضامنٌ على الله» حديث صحيح[١].

وصحَّ عنه ﷺ: «إذا دخلَ الرجلُ بيتَه فذكر الله عند دخولِه وعند طعامِه؛ قال الشيطان: لا مبيتَ لكم ولا عشاءَ، وإذا دخلَ فلم يذكر الله عند دخولِه؛ قال الشيطانُ: أدركتُم المبيت، وإذا لم يذكُر الله عند طعامِه؛ قال: أدركتُم المبيت والعشاءَ» ذكره مسلم[٢].

٤ - فصل في هديِه ﷺ في الذكرِ عند دخولِه الخلاءَ

ثبتَ عنه في «الصحيحين» أنه كان يقولُ عند دخولِه الخلاءَ: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من الخُبثِ والخبائِثِ»[٣].

ويُذكرُ عنه ﷺ قال: «سترُ ما بين الجنِّ وعوراتِ بني آدمَ إذا دخَلَ الكنيفَ أن يقولَ: بسمِ الله»[٤].

وثبَتَ عنه ﷺ أن رجلًا سلَّم عليه وهو يَبولُ فلم يردَّ عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠١٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٩٧).

وقد تقدَّم[(١)] أنه كان لا يستقبلُ القبلةَ ولا يستدبرُها بغائطٍ ولا بولٍ، وأنه نهَى عن ذلك في حديثِ أبي أيوب وسلمانَ الفارسيِّ، وأبي هريرةَ، ومعقلِ بنِ أبي معقل، وعبدِ الله بن الحارث بن جَزء الزبيديِّ، وجابرِ بن عبد الله، وعبدِ الله بن عمر ﭬ، وعامةُ هذه الأحاديث صحيحةٌ، وسائرُها حسنٌ، والمعارضُ لها إما معلولُ السند وإما ضعيفُ الدلالة، فلا يُرَدُّ صريحُ نهيِه المستفيضُ عنه بذلك.

وكان إذا خرجَ من الخلاءِ قال: «**غُفرانَك**»[(٢)].

٥ - فصل في هديِه ﷺ في أذكارِ الوضوء

ثبتَ عنه ﷺ أنه وضعَ يديه في الإناءِ الذي فيه الماءُ ثم قال للصحابةِ: «**توضَّؤوا بسمِ الله**»[(٣)].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**من أسبغَ الوضوءَ ثم قال: أشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسولُه فتِحَت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاءَ**»[(٤)].

وذكر النسائي بإسنادٍ صحيحٍ من حديثِ أبي موسى الأشعري قال: «أتيتُ رسولَ الله ﷺ بوضوءٍ فتوضَّأ، فسمعتُه يقولُ ويدعو: اللهُمَّ اغفِر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارِك لي في رزقي، فقلتُ: يا نبيَّ الله، سمعتُك تدعو بكذا وكذا، قال: وهل تركت مِن شيءٍ[(٥)].

(١) لم يتقدم ذكره، وإنما سيأتي، والله أعلم.
(٢) أخرجه أبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠).
(٣) أخرجه النسائي (٧٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٣٤).
(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٩/ ٣٦ (٩٨٢٨).

٦- فصل في هديه ﷺ في الأذانِ وأذكارِه

ثبتَ عنه ﷺ أنه سنَّ التأذين بترجيعٍ وبغيرِ ترجيع، وشرعَ الإقامةَ مَثنى وفرادى، ولكن الذي صحَّ عنه تثنيةُ كلمة الإقامة: «**قد قامت الصلاةُ**»، ولم يصحَّ عنه إفرادُها البتة، وكذلك صحَّ عنه تكرارُ لفظ التكبير في أول الأذانِ أربعًا، ولم يصحَّ عنه الاقتصارُ على مرتين.

وأما هديُه ﷺ في الذكرِ عند الأذانِ وبعده فشرعَ لأمته منه خمسةَ أنواعٍ:

أحدها: أن يقولَ السامعُ كما يقولُ المؤذن، إلا في لفظ: «**حيَّ على الصلاةِ، حيَّ على الفلاح**» فإنه صحَّ عنه إبدالهما بـ«**لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله**»، وهذا مُقتضى الحكمةِ المطابقةِ لحال المؤذنِ والسامعِ، فإن كلمَتي الحيعلةِ دعاء إلى الصلاةِ لمن سمعه، فسُنَّ للسامعِ أن يَستعين على هذه الدعوةِ بكلمة الإعانة.

الثاني: أن يقولَ: «**وأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، رَضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا**» وأخبر أن من قال ذلك غُفرَ له ذنبه[(١)].

الثالثُ: أن يُصلي على النبي ﷺ بعد فراغِه من إجابةِ المؤذِّن، وأكملُ ما يُصلَّى عليه به ويصلُ إليه هي الصلاةُ الإبراهيميةُ، كما علَّمه أمتَه أن يصلوا عليه، فلا صلاةَ عليه أكمل منها، وإن تحذَّلق المتحذلِقون.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٥).

الرابعُ: أن يقولَ بعد صلاته عليه: «**اللهمَّ ربَّ هذه الدعوة التامةِ، والصلاة القائمةِ، آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، إنك لا تُخلفُ الميعادَ**»(١).

الخامسُ: أن يَدعو لنفسِه بعد ذلك، ويَسألَ الله من فضلِه، فإنه يُستجابُ له كما في «السنن» عنه ﷺ: «**قل كما يَقولون** -يَعني: المؤذِّنين- **فإذا انتهيتَ فسَل تُعطَه**»(٢).

وفي السنن عنه ﷺ: «**الدعاءُ لا يُردُّ بين الأذانِ والإقامة**»، قالوا: فما نقولُ يا رسولَ الله؟ قال: «**سلوا الله العافيةَ في الدنيا والآخرةِ**» حديث صحيح(٣).

٧- فصل [في هديه ﷺ في الذكر في عشر ذي الحجة]

وكان ﷺ يُكثرُ الدعاءَ في عشر ذي الحجة، ويأمرُ فيه بالإكثارِ من التهليلِ والتكبير والتحميدِ.

ويُذكر عنه أنه كان يكبِّر مِن صلاةِ الفجرِ يومَ عرفةَ إلى العصرِ من آخرِ أيام التشريقِ فيقول: «**الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد**»(٤)، وهذا وإن كان لا يصح إسناده فالعمل عليه.

(١) أخرجه البخاري (٦١٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٤).
(٣) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٣٥٩٤).
(٤) أخرجه الدارقطني ٢/ ٣٩٠ (١٧٣٧)، والبيهقي في الدعوات الكبير ٢/ ١٦٥ (٥٤٠).

قال الشافعي: وإن زاد فقال: الله أكبر كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسبحانَ الله بكرةً وأصيلًا، لا إلهَ إلا الله، ولا نعبدُ إلا إيَّاه مخلصين له الدينَ ولو كَرِه الكافرون، لا إلهَ إلا الله وحده، صدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، لا إلهَ إلا الله واللهُ أكبر؛ كان حسنًا(١).

٨- فصل في هديه ﷺ في الذكر عند رؤية الهلال

يُذكرُ عنه أنه كان يقول: «**اللهُمَّ أَهِلَّه علينا بالأمنِ والإيمانِ، والسلامةِ والإسلامِ، ربي وربُّك الله**»، قال الترمذي: حديث حسن(٢).

ويُذكرُ عنه أنه كان يقول عندَ رؤيتِه: «**اللهُ أكبر، اللهُمَّ أَهِلَّه علينا بالأمنِ والإيمانِ، والسلامةِ والإسلامِ، والتوفيقِ لما تحبُّ ربَّنا وترضى، ربُّنا وربُّك الله**» ذكره الدارمي(٣).

٩- فصل في هديه ﷺ في أذكارِ الطعامِ قبله وبعده

كان إذا وَضعَ يدَه في الطعامِ قال: «**بسمِ الله**»، ويأمرُ الآكلَ بالتسميةِ، ويقول: «**إذا أكلَ أحدُكم فليذكر اسمَ الله، فإن نسيَ أن يذكرَ اسم الله في أولِه؛ فليقل: بسمِ الله في أولِه وآخرِه**» حديث صحيح(٤).

والصحيحُ وجوب التسميةِ عند الأكلِ.

---

(١) الأم للشافعي ٢/ ٥٢٠-٥٢١.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٥١).
(٣) أخرجه الدارمي ٢/ ١٠٥٠ (١٧٢٩).
(٤) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨).

وكان إذا رُفِعَ الطعامُ من بين يديه يقولُ: «**الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرُ مَكفيٍّ ولا مُودَّعٍ ولا مُستَغنًى عنه، ربنا** عَزَّوَجَلَّ»، ذكره البخاري[١].

وكان يقول: «**الحمدُ لله الذي أطعم وسقَى وسوَّغه وجعلَ له مخرجًا**»[٢].

وذكر البخاري عنه أنه كان يقولُ: «**الحمدُ لله الذي كفانا** [وأروانا]»[٣].

وذكرَ الترمذي عنه أنه قال: «**مَن أكلَ طعامًا فقال: الحمدُ لله الذي أطعمَني هذا مِن غير حولٍ مني ولا قوة؛ غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبِه**» حديث حسن[٤].

ويُذكرُ عنه أنه كان إذا قُرِّب إليه الطعامُ قال: «بسم الله»، فإذا فرغَ من طعامِه قال: «اللهُمَّ أطعمتَ وسقيتَ وأغنيتَ وأقنيتَ وهديتَ وأحييتَ؛ فلك الحمدُ على ما أعطيتَ» وإسناده صحيح[٥].

وفي «السنن» عنه أيضًا: «**إذا أَكَلَ أحدُكم طعامًا فليقل: اللهُمَّ بارِك لنا فيه، وأطعِمنا خيرًا منه. ومَن سقاه الله لبنًا فليقل: اللهُمِّ بارِك لنا فيه، وزِدنا منه؛ فإنه ليس شيءٌ يُجزئ عن الطعامِ والشرابِ غيرَ اللبنِ**» حديث حسن[٦].

ويُذكرُ عنه أنه كان إذا شَرِبَ في الإناءِ تنفَّس ثلاثةَ أنفاسٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥).

(٥) أخرجه أحمد ٢٧/ ١٤٠ (١٦٥٩٥).

(٦) أخرجه أبو داود (٣٧٣٠)، والترمذي (٣٤٥٥)، وابن ماجه (٣٣٢٢).

١٠ - فصل [في هديه ﷺ في الطعام]

وكان ﷺ إذا دخلَ على أهلِه ربما سألهم: «**هل عندكم طعام؟**»[(١)]، وما عاب ﷺ طعامًا قط، بل كان إذا اشتهاهُ أكله، وإن كرههُ تركه وسكت، وربما قال: «**أَجِدُني أعافُه**»[(٢)] أي: لا أشتهيه.

وكان يمدحُ الطعام أحيانًا، كقوله: «**نِعمَ الإدامُ الخل**»[(٣)] وليس في هذا تفضيلٌ له، وإنما هو مدحٌ له في تلك الحالِ التي حضرَ فيها، وتطييبًا لقلب من قَدَّمه.

وكان إذا قُرِّب إليه طعامٌ وهو صائم قال: «**إني صائمٌ**»[(٤)] وأمر من قُرِّبَ إليه أن يدعو لمن قدَّمه، وإن كان مفطرًا أن يأكُلَ منه[(٥)].

وكان إذا دُعي لطعامٍ وتبعه أحدٌ، أعلَمَ به ربَّ المنزل، وقال: «**إن هذا تَبِعَنا، فإن شئتَ أن تأذَنَ له وإن شئت رجعَ**»[(٦)].

وكان يتحدَّثُ على طعامِه كما تقدَّم في حديثِ الخلِّ، وكما قال لربيبِه عمرَ بنِ أبي سلمة وهو يؤاكِلُه: «**سمِّ الله، وكُلْ مما يَلِيك**»[(٧)].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٤٠٠)، ومسلم (١٩٤٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٥٣).
(٤) أخرجه البخاري (١٩٨٢).
(٥) أخرجه مسلم (١٤٣١).
(٦) أخرجه البخاري (٥٤٦١).
(٧) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

وربما كان يكرِّر على أضيافِه عرضَ الأكل عليهم مرارًا، كما يفعلُه أهل الكرمِ كما في حديثِ أبي هريرة عند البخاريِّ في قصة شُربِ اللبن وقوله له مرارًا: «**اشرب**»، فما زالَ يقولُ: «**اشرب**» حتى قال: والذي بعثَك بالحقِّ لا أجدُ له مَسلكًا[(١)].

وكان إذا أكلَ عند قومٍ لم يَخرُج حتى يدعوَ لهم، فدعا في منزلِ عبدِ الله بن بُسر، فقال: «**اللهمَّ بارك لهم فيما رزقتَهم، واغفر لهم وارحمهم**»، ذكره مسلم[(٢)].

ودعا في منزلِ سعدِ بنِ عبادةَ فقال: «**أفطَرَ عندكُم الصائمون، وأكلَ طعامَكم الأبرارُ، وصلَّتْ عليكم الملائكةُ**»[(٣)].

وصحَّ عنه ﷺ أنه دخلَ منزله ليلةً فالتمسَ طعامًا فلم يجده فقال: «**اللهم أَطعِم من أطعَمَني، واسقِ من سقاني**»[(٤)].

وكان يدعو لمن يضيفُ المساكين، ويُثني عليهم، فقال مرةً: «**ألا رجلٌ يضيف هذا رحمه الله**»[(٥)] وقال للأنصاريِّ وامرأتِه اللذين آثرا بقُوْتِهما وقوتِ صبيانِهما ضيفَهما: «**لقد عَجِبَ الله من صنيعِكما بضيفِكما الليلة**»[(٦)].

وكان لا يَأنَف من مؤاكلةِ أحدٍ صغيرًا كان أو كبيرًا، حرًّا كان أو عبدًا، أعرابيًّا أو مهاجرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٤٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٥٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٦) أخرجه مسلم (٢٠٥٤).

وكان يأمُر بالأكلِ باليمين، وينهى عن الأكلِ بالشمالِ، ويقول: «**إن الشيطانَ يأكُلُ بشمالِه، ويشربُ بشماله**»(١) ومقتضى هذا تَحريمُ الأكلِ بها، وهو الصحيحُ، فإن الآكلَ بها إما شيطانٌ، وإما مشبهٌ به.

وأمرَ مَن شَكَوا إليه أنهم لا يَشبعون أن يَجتمعوا على طعامِهم ولا يتفرَّقوا، وأن يذكروا اسمَ الله عليه؛ يُبارِكُ لهم فيه(٢).

وصحَّ عنه أنه قال: «**إن الله لَيَرضى عن العبدِ يأكُل الأكلةَ يحمدُه عليها، ويشربُ الشَّربة يحمدُه عليها**»(٣).

١١ - فصل في هديِه ﷺ في السلامِ والاستئذانِ وتَشميتِ العاطسِ

ثبتَ عنه ﷺ في «الصحيحين» عن أبي هريرةَ: «**أن أفضلَ الإسلامِ وخيرَه إطعامُ الطعامِ، وأن تقرأَ السلامَ على مَن عرفتَ وعلى مَن لم تعرِف**»(٤).

وفيهما: «**أن آدمَ عليه السلام لما خلقَه الله قال له: اذهَب إلى أولئك النفرِ مِن الملائكة، فسلِّم عليهم، واستمِع ما يحيُّونك به، فإنها تحيتُك وتحيةُ ذريتِك، فقال: السلامُ عليكم، فقالوا: السلامُ عليك ورحمةُ الله، فزادوه: ورحمة الله**»(٥).

وفيهما: أنه أمرَ بإفشاءِ السلامِ، وأخبرَهم أنهم إذا أفشَوا السلامَ بينهم تحابوا، وأنهم لا يَدخُلون الجنة حتى يؤمنوا، ولا يُؤمنون حتى يتحابوا(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٣٦)، ومسلم (٣٩).
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).
(٦) أخرجه مسلم (٥٤).

فصل

وثبتَ عنه ﷺ أنه مرَّ بصبيانٍ فسلَّمَ عليهم، ذكره مسلم[(١)].

وذكر الترمذي في «جامعه» عنه أنه مرَّ يومًا بجماعةِ نسوةٍ، فألوى بيدِه بالتسليمِ»[(٢)].

وفي «صحيح البخاري»: أن الصحابةَ كانوا ينصرفون من الجمعةِ فيَمرون على عجوزٍ في طريقِهم فيُسلمون عليها، فتُقدم لهم طعامًا من أصولِ السلقِ والشعيرِ[(٣)].

وهذا هو الصوابُ في مسألةِ السلامِ على النساءِ: يُسلِّمُ على العجوزِ وذوات المحارمِ دون غيرِهن.

فصل

وثبتَ عنه في «صحيح البخاري» وغيرِه تسليمُ الصغيرِ على الكبيرِ، والمارِّ على القاعدِ، والراكبِ على الماشي، والقليلِ على الكثيرِ[(٤)].

وفي «سنن أبي داود» عنه: «**إن أولى النَّاسِ بالله مَن بدأَهم بالسلامِ**»[(٥)].

وكان من هديِه ﷺ السلامُ عند المجيءِ إلى القومِ، والسلامُ عند الانصرافِ عنهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٣٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٥١٩٧).

وقال أنسٌ: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يتماشون، فإذا لقيتهم شجرةٌ أو أكمةٌ تفرَّقوا يمينًا وشمالًا، وإذا التقَوا مِن ورائها سلَّم بعضُهم على بعضٍ.

ومن هديه ﷺ أن الداخلَ إلى المسجدِ يبتدئُ بركعتين تحية المسجدِ[(١)]، ثم يجيءُ فيسلمُ على القوم، فتكون تحيةُ المسجدِ قبل تحية أهلِه، وحقُّ الله في مثل هذا أَولى بالتقديم بخلافِ الحقوقِ المالية، فإن فيها نزاعًا معروفًا.

وعلى هذا: فيُسن لداخلِ المسجد إذا كان فيه جماعةٌ ثلاثُ تحيات مترتبة: أن يقولَ عند دخولِه: بسمِ الله والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، ثم يُصلي ركعتين تحيةَ المسجد، ثم يُسلم على القومِ.

فصل

وكان ﷺ إذا دخلَ على أهله بالليلِ سلم تسليمًا لا يوقِظ النائمَ، ويُسمعُ اليقظانَ، ذكره مسلم[(٢)].

فصل

وذكر الترمذي عنه: «**السلامُ قبلَ الكلامِ**»[(٣)]، وهذا وإن كان إسنادُه ضعيفًا فالعملُ عليه.

وأجودُ منها ما رواه الترمذي، عن كَلَدة بن حنبل: «أن صفوانَ بنَ أمية بعثَه بلبنٍ ولِبأ وجدايةٍ وضغابيسَ إلى النبي ﷺ، والنبيُّ ﷺ بأعلى الوادي، قال:

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٣)، ومسلم (٧١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٩٩).

فدخلتُ عليه ولم أسلِّم ولم أستأذِن، فقال النبي ﷺ: **ارجِع، فقل: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟**»، قال: هذا حديث حسن غريب[(١)].

وكان إذا أتى باب قومٍ لم يَستقبل الباب من تلقاءِ وجهه، ولكن من ركنِه الأيمنِ أو الأيسرِ، فيقول: «**السلامُ عليكم، السلامُ عليكم**»[(٢)].

فصل

وكان ﷺ يُسلم بنفسه على كلِّ من يواجهُه، ويُحمِّل السلامَ لمن يُريدُ السلامَ عليه من الغائبين عنه، ويتحمَّل السلامَ لمن يبلغه إليه، كما تَحمَّل السلامَ من الله عَزَّوَجَلَّ على صِدِّيقةِ النساءِ خديجةَ بنتِ خويلد رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لما قال له جبريلُ: هذه خديجةُ قد أتتك بطعامٍ، فأَقرِئها السلامَ من ربِّها ومِنِّي، وبشِّرها ببيت في الجنةِ[(٣)].

فصل

وكان من هديِه ﷺ انتهاءُ السلامِ إلى: «**وبركاتِه**»، فذكر النسائي عنه: «أنَّ رجلًا جاء فقال: السلامُ عليكم، فردَّ عليه النبيُّ ﷺ وقال: **عشرة**. ثم جلسَ، ثم جاء آخرُ فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، فردَّ عليه النبيُّ ﷺ وقال: **عشرون**. ثم جلسَ، وجاء آخرُ فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، فردَّ عليه السلامَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٧١٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

رسولُ الله ﷺ وقال: **ثلاثون**» رواه النسائي والترمذي من حديث عمران بن حصين وحسنه[(١)].

فصل

وكان من هديِه ﷺ أن يُسلم ثلاثًا كما في «صحيح البخاري» عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا تَكلَّم بكلمةٍ أعادها ثلاثًا حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا[(٢)].

ولعل هذا كان هديَه في السلام على الجمعِ الكثيرِ، ومن تأمَّلَ هديَه عَلِمَ أن تكرارَ السلام كان منه أمرًا عارضًا في بعض الأحيان، والله أعلم.

فصل

وكان ﷺ يَبدأُ من لَقِيَه بالسلامِ، وإذا سلم عليه أحدٌ رد عليه مثلَ تحيتِه أو أفضلَ منها على الفورِ مِن غير تأخيرٍ، إلا لعذرٍ مثل حالة الصلاةِ، وحالة قضاءِ الحاجةِ.

وكان ﷺ يُسمِع المسَلِّمَ ردَّه عليه، ولم يكن يرد بيدِه ولا رأسِه ولا أصبعِه، إلا في الصلاةِ فإنه كان يردُّ على من سلم عليه إشارةً، ثبت ذلك عنه في عدة أحاديث، ولم يجئ عنه ما يُعارضُها إلا شيءٌ باطل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، والنسائي في الكبرى ٩/ ١٣٣(١٠٠٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٩٥).

فصل

وكان يَكرهُ أن يقول للمبتدئ: عليك السلامُ، قال أبو جُرَيٍّ الهُجَيمي: أتيت النبيَّ ﷺ فقلت: عليك السلامُ يا رسولَ الله. فقال: «**لا تقُل: عليك السلام؛ فإن عليك السلامُ تحيةَ الموتى**» حديث صحيح[(١)]. وقد أَشكلَ هذا الحديثُ على طائفةٍ، وظنُّوه معارِضًا لما ثبت عنه ﷺ في السلام على الأموات بلفظ: (**السلام عليكم**) بتقديم السلام، وإنما معنى قوله: «**فإن عليك السلامُ تحيةَ الموتى**» إخبارٌ عن الواقعِ لا عن المشروعِ، أي: إن الشعراء وغيرهم يحيون الموتى بهذا اللفظ.

وكان يردُّ على المُسلِّم: «**وعليك السلامُ**» بالواو، وبتقديم «**عليك**» على لفظِ السلام.

١٢ - فصل في هديِه ﷺ في السلامِ على أهل الكتابِ

روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرةَ أن النبي ﷺ قال: «**لا تَبدؤوا اليهودَ ولا النصارى بالسلامِ، وإذا لقيتم أحدَهم في الطريقِ فاضطروه إلى أضيقِه**»[(٢)]، والظاهرُ أن هذا حكمٌ عام.

وقد اختلف السلفُ والخلف في ذلك، فقال أكثرُهم: لا يُبدؤون بالسلامِ. وذهب آخرون إلى جوازِ ابتدائِهم، وقالت طائفةٌ: يجوزُ الابتداء لمصلحةٍ راجحة من حاجةٍ تكون له إليه أو خوفٍ من أذاه أو لقرابةٍ بينهما.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٠٩)، والترمذي (٢٧٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٧).

واختلفوا في وجوبِ الردِّ عليهم، فالجمهورُ على وجوبِه، وهو الصوابُ.

فصل

وثبتَ عنه ﷺ أنه مرَّ على مجلسٍ فيه أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدةِ الأوثان واليهودِ، فسلَّم عليهم[(١)].

وصحَّ عنه أنه كتبَ إلى هرقلَ وغيره بـ: «**السلامُ على من اتَّبَعَ الهُدى**»[(٢)].

فصل

وكان من هديِه ﷺ إذا بلَّغه أحدٌ السلامَ عن غيره أن يرد عليه وعلى المبلِّغ، كما في «السنن» أن رجلًا قال له: إن أبي يُقرِئك السلامَ. فقال له: «**عليكَ وعلى أبيك السلامُ**»[(٣)].

وكان من هديِه ترك السلامِ ابتداءً وردًّا على من أحدَثَ حدثًا حتى يتوبَ منه، كما هجرَ كعبَ بن مالكٍ وصاحبَيْه، وكان كعبٌ يسلم عليه ولا يَدري هل حرك شفتَيهِ بِردِّ السلامِ عليه أم لا[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (٦٢٥٤)، ومسلم (١٧٩٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٦٠).
(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٣١).
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٥٥)، ومسلم (٢٧٦٩).

١٣ - فصل في هديه ﷺ في الاستئذانِ

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**الاستئذانُ ثلاثٌ، فإن أُذن لك وإلا فارجع**»[(١)].

وصحَّ عنه ﷺ أنه أرادَ أن يَفقَأ عينَ الذي نظر إليه من جُحرٍ في حُجرَتِه، وقال: «**إنما جُعِلَ الاستئذان من أجل البصرِ**»[(٢)].

وصحَّ عنه التسليمُ قبل الاستئذانِ فعلًا وتعليمًا، واستأذَنَ عليه رجلٌ، فقال أألجُ؟ فقال رسول الله ﷺ لرجلٍ: «**اخرُجْ إلى هذا، فعلِّمه الاستئذانَ**». فقال له: قل: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟ فسَمِعه الرجلُ فقال: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟ فأَذِن له النبي ﷺ فدخل»[(٣)].

وكان من هديِه ﷺ إذا استأذنَ ثلاثًا ولم يُؤذن له؛ انصرفَ.

فصل

ومن هديِه أن المستأذِن إذا قيل له: من أنت؟ يقول: فلانُ بن فلان، أو يَذكُر كنيتَه أو لقبَه، ولا يقول: أنا. كما في «الصحيحين»: عن جابرٍ: أتيتُ النبي ﷺ فدقَقتُ البابَ، فقال «**مَن ذا؟**» فقلت: أنا، فقال: «**أنا أنا!**» كأنه كرِهَها[(٤)].

ولما استأذَنَت أم هانئٍ، قال لها: «**من هذه؟**» قالت: أمُّ هانئ[(٥)]. فلم يكره ذكرَها الكنية.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٥٤)، ومسلم (٢١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤١)، ومسلم (٢١٥٦).

(٣) تقدم (ص٢٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٥٠)، ومسلم (٢١٥٥).

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٠).

فصل

وأما الاستئذانُ الذي أمرَ الله به المماليك، ومن لم يَبلُغ الحُلم، في العوراتِ الثلاث: قبلَ الفجرِ، ووقت الظهيرةِ، وعند النومِ.

فقالت طائفةٌ: الآيةُ منسوخةٌ، وقالت طائفةٌ: أمرُ ندبٍ وإرشاد، وقالت طائفةٌ: المأمورُ بذلك النساء خاصةً، وقالت طائفةٌ عكس هذا، وقالت طائفةٌ: كان الأمرُ بالاستئذان في ذلك الوقت للحاجةِ ثم زالت، وقالت طائفةٌ: الآيةُ محكمةٌ عامة لا معارِضَ لها ولا دافعَ.

والصحيح أنه إن كان هناك ما يقومُ مقام الاستئذانِ من فتح بابٍ فتحُه دليلٌ على الدخول، أو رفعِ سِترٍ، أو تردد الداخلِ والخارجِ ونحوه، أغنى ذلك عن الاستئذانِ، وإن لم يكن ما يقومُ مقامه فلا بد منه، والحكمُ معلَّلٌ بعلة قد أشارت إليها الآية، فإذا وُجِدَت وُجِدَ الحكم، وإذا انتفت انتفى، والله أعلم.

١٤- فصل في هديِه ﷺ في أذكار العطاسِ

ثبت عنه ﷺ: «**إن الله يحبُّ العُطاس، ويكره التثاؤبَ، فإذا عَطَسَ أحدُكم وحمد الله، كان حقًّا على كلِّ مسلمٍ سمعه أن يقول له: يرحمُك الله. وأما التثاؤب، فإنما هو من الشيطانِ، فإذا تثاءبَ أحدُكم، فليردَّه ما استطاعَ، فإن أحدَكم إذا تثاءب ضحكَ منه الشيطانُ**» ذكره البخاري[١].

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٣).

وثبت عنه ﷺ في «صحيحه»: «**إذا عطَس أحدُكم: فليقُل: الحمد لله. وليقل له أخوهُ -أو صاحبه-: يرحمُك الله. فإذا قال له: يَرحَمُك الله. فليَقُل: يَهديكُم الله ويُصلحُ بالَكم**»[(١)].

وثبتَ عنه في «صحيح مسلم»: «**إذا عطسَ أحدُكم فحمد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمِّتوه**»[(٢)].

وروى أبو داودَ عنه بإسنادٍ صحيحٍ: «**إذا عطسَ أحدُكم فليقل: الحمدُ لله على كلِّ حال، وليقل أخوه أو صاحبُه: يرحمُك الله، ويقول هو: يهدِيكم الله ويصلحُ بالَكم**»[(٣)].

فظاهرُ الحديث المبدوءِ به: أن التشميتَ فرضُ عينٍ على كلِّ من سمعَ العاطس يحمدُ الله، ولا يُجزئُ تشميتُ الواحد عنهم، وهذا أحدُ قولَي العلماءِ، واختاره ابنُ أبي زيدٍ وأبو بكرِ بن العربي[(٤)] [المالكيان]، ولا دافعَ له.

ولما كان العاطسُ قد حصلَ له بالعطاس نعمةٌ ومنفعةٌ بخروجِ الأبخرة المحتقنةِ في دماغِه، التي لو بقيت فيه أحدثَتْ فيه أدواءٌ عسرةٌ، شُرِعَ له حمدُ الله على هذه النعمةِ مع بقاءِ أعضائِه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلةِ التي هي للبدن كزلزلةِ الأرضِ لها، قيل: وكلُّ داعٍ بخيرٍ فهو مشمت، وقيل: هو تشميتٌ له

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٣٣) من حديث أبي هريرة، والترمذي (٢٧٤١) من حديث أبي أيوب، والترمذي (٢٧٣٨) بنحوه من حديث ابن عمر.

(٤) المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي ٧/ ٥١٨.

بالشيطانِ؛ لإغاظتِه بحمدِ الله على نعمةِ العطاس، وما حصلَ له به مِن محابِّ الله، ودعاء المسلمين له بالرحمةِ، ودعاؤُه لهم بالهدايةِ وإصلاحِ البالِ، وذلك كلُّه غائظٌ للشيطان محزنٌ له، فسُمِّي الدعاءُ له بالرحمة تشميتًا له، لما في ضمنِه من شماتتِه بعدوِّه، وهذا معنى لطيفٌ إذا تنبه له العاطسُ والمشمِّتُ انتفعَا به وعظمَتْ عندَهما منفعةُ نعمةِ العطاسِ في البدنِ والقلبِ، وتبيَّن السرُّ في محبةِ الله له، فلله الحمدُ الذي هو أهلُه كما ينبغي لكريمِ وجهِه وعزِّ جلالِه.

وكان مِن هديِه ﷺ في العطاسِ ما ذكره أبو داودَ والترمذي، عن أبي هريرة: «كان رسولُ الله ﷺ إذا عطَس وَضَعَ يده أو ثوبَه على فيه، وخفضَ أو غضَّ به صوتَه» قال الترمذي: حديث صحيح[(١)].

وصحَّ عنه أنه عطسَ عندَه رجلٌ، فقال له: «**يرحمك الله**»، ثم عطسَ أخرى، فقال: «**الرجل مزكوم**». هذا لفظ مسلم أنه قال في المرة الثانية[(٢)]، وأما الترمذي ففيه: ثم عطس الثانية والثالثة. فقال رسول الله: «**هذا رجلٌ مزكوم**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[(٣)].

وعن أبي هريرةَ يرفعُه: «**إذا عطسَ أحدُكم فليشمِّته جليسُه، وإن زادَ على الثلاثةِ فهو مزكومٌ، ولا تشمِّته بعدَ الثلاث**» وهو حديث حسن[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٢٩)، والترمذي (٢٧٤٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٣).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٧٤٣).
(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٣٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٥١).

فإن قيل: فإذا كان به زكام فهو أولى أن يُدعَى له ممَّن لا علةَ به؟ قيل: يُدعَى له كما يُدعى للمريضِ ومَن به داءٌ ووجعٌ، وأما سنة العطاسِ الذي يحبُّه الله فإنما يكونُ إلى تمامِ الثلاثِ، وما زاد عليها يُدعَى لصاحبه بالعافية، وقولُه في هذا الحديث: «**الرجلُ مزكومٌ**» تنبيهٌ على الدعاءِ له بالعافية؛ لأن الزكمةَ علةٌ، وفيه اعتذارٌ مِن تركِ تشميتِه بعدَ الثلاث، وفيه تنبيهٌ له على هذه العلةِ ليتداركَها ولا يهملها، فيصعب أمرُها، فكلامُه ﷺ كلُّه حكمةٌ ورحمةٌ وعلمٌ وهدًى.

فصل

وصحَّ عنه ﷺ أن اليهودَ كانوا يتعاطسون عنده، يَرجون أن يقول لهم: يَرحمُكم الله. فكان يقول: «**يَهديكُم الله ويُصلحُ بالكم**»(١).

١٥ - فصل في هديه ﷺ في أذكارِ السفرِ وآدابِه

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**إذا هم أحدُكم بالأمر، فليَركَع ركعتين من غير الفريضةِ، ثم ليقل: اللهمَّ إني أستخيرُك بعلمِك، وأستقدرك بقدرتِك، وأسألُك من فضلِك العظيم، فإنك تَقدِر ولا أقدِرُ، وتَعلَم ولا أعلمُ، وأنت علامُ الغيوبِ، اللهم إن كنت تَعلم أن هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي، وعاجلِ أمري وآجلِه، فاقدره لي، ويسره لي، وبارك لي فيه، وإن كنت تعلمُه شرًّا لي في ديني ومعاشي، وعاجلِ أمري وآجله، فاصرِفه عني، واصرِفني عنه، واقدُر ليَ الخيرَ حيث كان، ثم رَضِّني به**» قال: «**ويُسمي حاجَته**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٧٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٢).

فتضمَّن هذا الدعاءُ: الإقرارَ بوجوده سبحانه، والإقرارَ بصفات كماله من كمالِ العلم والقدرةِ والإرادة، والإقرارَ بربوبيَّتِه، وتفويضَ الأمرِ إليه، والاستعانةَ به، والتوكلَ عليه، والخروجَ من عهدةِ نفسِه، والتبرِّي مِن الحولِ والقوةِ إلا به، واعترافَ العبد بعجزِه عن علمه بمصلحةِ نفسِه وقدرته عليها، وإرادتِه لها، وأن ذلك كله بيدِ وليه وفاطِرِه وإلهه الحق.

فصل

وكان إذا ركبَ راحلَتَه كبَّر ثلاثا، ثم قال: «**سبحان الذي سَخَّرَ لنا هذا، وما كنا له مُقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون**» ثم يقول: «**اللهم إني أسألك في سفرِنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العملِ ما تَرضى، اللهم هوِّن علينا السفرَ، واطو عنا بعدَه، اللهم أنت الصاحبُ في السفرِ، والخليفةُ في الأهل، اللهم اصحَبنا في سفرِنا، واخلُفنا في أهلِنا**»[1].

وفي «صحيح مسلم» أنه كان إذا سافَرَ قال: «**اللهُمَّ إني أعوذُ بك من وعثاءِ السفرِ، وكآبةِ المنقلبِ، ومن الحَوْرِ بعد الكَورِ، ومن دعوةِ المظلومِ، ومن سوءِ المنظرِ في الأهلِ والمالِ**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٢، ١٣٤٣).

فصل

وكان إذا ودَّعَ أصحابَه في السفرِ يقول لأحدِهم: «**أستَودِعُ الله دينَك وأمانتك، وخواتيمَ عملِك**»[(١)]، وقال له رجلٌ: إني أريد سفرًا، فقال: «**أوصِيك بتقوى الله، والتكبيرِ على كل شرفٍ**»، فلما ولَّى قال: «**اللهُمَّ ازوِ له الأرضَ، وهوِّن عليه السفرَ**»[(٢)].

وكان النبيُّ ﷺ وأصحابُه إذا عَلَوا الثنايا كبروا، وإذا هبَطوا سبَّحوا، فوُضِعَت الصلاةُ على ذلك.

وكان سيرُه في حجه العَنَق، فإذا وجدَ فجوة رفعَ السيرَ فوق ذلك، وكان يقول: «**لا تصحَبُ الملائكةُ رفقةً فيها كلبٌ ولا جرس**»[(٣)].

وكان يكره للمسافرِ وحده أن يسيرَ بالليل فقال: «**لو يَعلَمُ الناس ما في الوحدةِ ما سارَ أحد وحدهُ بليلٍ**»[(٤)]، بل كان يكرَه السفرَ للواحدِ بلا رفقةٍ، وأَخبرَ أن الواحدَ شيطانٌ، والاثنانِ شيطانانِ، والثلاثةُ ركبٌ»[(٥)].

وكان يقول: «**إذا نزلَ أحدُكم منزلًا فليقل: أعوذُ بكلماتِ الله التاماتِ من شرِّ ما خلقَ؛ فإنه لا يضرُّه شيء حتى يرتَحِل منه**»[(٦)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٠)، والترمذي (٣٤٤٣).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٤٥)، وابن ماجه (٢٧٧١).
(٣) أخرجه مسلم (٢١١٣).
(٤) أخرجه البخاري (٢٩٩٨).
(٥) أخرجه أبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤).
(٦) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

وكان يقول: «**إذا سافَرتُم في الخِصبِ فأعطوا الإبلَ حظَّها من الأرضِ، وإذا سافَرتُم في السَّنةِ، فبادِروا نِقيها**»[(١)].

وكان إذا بدا له الفجرُ في السفرِ قال: «**سمعَ سامعٌ بحمدِ الله ونعمتِه وحسنِ بلائه علينا، ربنا صاحِبْنا وأَفضِل علينا، عائذًا بالله من النارِ**»[(٢)].

وكان ينهى أن يسافَرَ بالقرآنِ إلى أرضِ العدو مخافةَ أن ينالَه العدو، وكان يَنهى المرأة أن تُسافرَ بغير محرمٍ، ولو مسافة بريدٍ، وكان يأمُرُ المسافرَ إذا قضى نهمَتَهُ من سفرِه، أن يُعجِّلَ الأوبة إلى أهله.

وكان إذا قفلَ من سفرِه، يكبِّر على كل شَرَفٍ من الأرضِ ثلاث تكبيرات، ثم يقول: «**لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير، آيبون تائبون، عابِدون، لربنا حامِدون، صدق الله وعدَه ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحده**»[(٣)].

وكان يَنهى أن يَطرُق الرجلُ أهلَه ليلًا إذا طالت غيبتُه عنهم.

وكان إذا قدمَ من سفرِه يُلَقى بالولدان من أهل بيتِه، وكان يعتَنِق القادمَ من سفرِه، ويقبلُه إذا كان من أهلِه، وكان إذا قدمَ من سفر، بدأ بالمسجدِ، فركع فيه ركعتين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٨).
(٣) أخرجه البخاري (١٧٩٧).

١٦ - فصل في هديه ﷺ في أذكارِ النكاحِ

ثبتَ عنه ﷺ أنه علَّمهم خطبةَ الحاجة: «الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسولُه، ثم يقرأ آيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] ، قال شعبةُ: قلتُ لأبي إسحاق: هذه في خطبةِ النكاحِ أو في غيرِها؟ قال: في كلِّ حاجةٍ[(١)].

وقال: «إذا أفادَ أحدُكم امرأةً أو خادمًا أو دابةً، فليأخُذْ بناصيتِها وليدعُ الله بالبركةِ ويُسمِّي الله عَزَّوَجَلَّ، وليقل: اللهُمَّ إني أسألُك خيرَها وخيرَ ما جُبِلت عليه، وأعوذُ بك من شرِّها وشرِّ ما جُبِلت عليه»[(٢)].

وكان يقول للمتزوجِ: «باركَ الله لك وباركَ عليك، وجمعَ بينكُما في خيرٍ»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١١٨)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجه (١٨٩٢). وقول شعبة عند الطيالسي (٣٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (١٩١٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥).

وقال: «لو أن أحدَكُم إذا أرادَ أن يأتي أهلَه، قال: بسمِ الله، اللهمَّ جَنِّبنا الشيطانَ وجنب الشيطانَ ما رزقتنا؛ فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضرُّه شيطانٌ أبدًا»(١).

١٧- فصل فيما يقولُ من رأى مُبتَلًى

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «ما من رجلٍ رأى مُبتلًى فقال: الحمدُ لله الذي عافاني مما ابتلاكَ به، وفضَّلني على كثيرٍ ممن خلقَ تَفضيلًا. إلا لم يُصبْهُ ذلك البلاءُ كائنًا ما كان»(٢).

١٨- فصل فيما يقوله من رأى في منامِه ما يكرهُهُ

صحَّ عنه ﷺ: «الرُّؤيا الصالحةُ من الله، والحُلمُ من الشيطانِ، فمن رأى رُؤيا يكرهُ منها شيئًا فلينفُث عن يسارِه ثلاثًا، وليتعوَّذ بالله من الشيطانِ فإنها لا تضرُّه ولا يخبر بها أحدًا، فإن رأى رؤيا حسنةً فليَستَبشِر، ولا يُخبِر بها إلا من يُحب»(٣).

وأمرَ من رأى ما يكرهُه أن يتحول عن جنبِه الذي كان عليه، وأمره أن يُصلي(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٤٣٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣٢).
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١).
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٦٢).

فأمرَهُ بخمسةِ أشياءَ: أن ينفُث عن يسارِه، وأن يَستعيذَ بالله من الشيطانِ، وألا يُخبِر بها أحدًا، وأن يتحولَ عن جنبِه الذي كان عليه، وأن يقومَ يُصلي، ومتى فعلَ ذلك لم تضره الرؤيا المكروهة، بل هذا يدفَعُ شَرَّها.

وقال: «**الرؤيا على رِجلِ طائرٍ ما لم تُعبَر، فإذا عبِّرت وقعت، ولا يَقُصها إلا على وادٍّ أو ذي رأيٍ**»[١].

١٩ - فصل فيما يقولُه ويفعلُه من بُلِيَ بالوسواسِ، وما يَستعين به على الوسوسةِ

قال عثمانُ بن أبي العاصِ: يا رسولَ الله، إن الشيطانَ قد حالَ بيني وبين صلاتي وقراءَتي، قال: «**ذاك شيطانٌ يُقال له: خِنْزَب، فإذا أحسَسته فتعوَّذ بالله منه، واتفل عن يسارِك ثلاثًا**»[٢].

وشكا إليه الصحابةُ أن أحدَهم يجدُ في نفسِه - يعرض بالشيء - لأن يكونَ حُمَمَةً أحبُّ إليه من أن يتكلمَ به، فقال: «**الله أكبر، الله أكبر، الحمدُ لله الذي ردَّ كيدَه إلى الوسوسةِ**»[٣].

وقال ﷺ: «**لا يَزالُ الناس يَتساءلون حتى يقولَ قائِلُهم: هذا الله خَلَقَ الخلقَ، فمن خلقَ الله؟ فمن وجدَ من ذلك شيئًا، فليستَعِذ بالله ولينتَهِ**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٢٠)، والترمذي (٢٢٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١١٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٨٦)، ومسلم (١٣٤).

٢٠ - فصل فيما يقولُه ويفعلُه من اشتدَّ غضبُه

أمرَهُ ﷺ أن يُطفئَ عنه جمرةَ الغضب بالوضوء، والقعودِ إن كان قائمًا، والاضطجاعِ إن كان قاعدًا، والاستعاذةِ بالله من الشيطان الرجيمِ(١).

ولما كان الغضبُ والشهوةُ جمرتين من نارٍ في قلبِ ابن آدم، أمر أن يُطفِئَهما بالوضوءِ والصلاةِ، والاستعاذةِ من الشيطان الرجيمِ.

٢١ - فصل [فيما يقوله من رأى ما يحب]

وكان ﷺ إذا رَأى ما يحبُّ قال: «**الحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحاتُ. وإذا رَأى ما يكرهُ قال: «الحمدُ لله على كلِّ حالٍ**»(٢).

٢٢ - فصل [فيما يقوله من تُقرِّب إليه أو صُنع له معروفا]

وكان ﷺ يدعو لمن تَقَرَّب إليه بما يحبُّ وبما يناسبُ، فلما وضعَ له ابن عباسٍ وَضوءه قال: «**اللهم فَقِّهْهُ في الدين، وعلِّمه التأويلَ**»(٣).

وقال: «**مَن صُنِعَ إليه معروفٌ فقال لفاعلِه: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغَ في الثناءِ**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٣٥).

واستقرَضَ مِن عبدِ الله بنِ أبي ربيعةَ مالًا، ثم وفَّاه إياه وقال: «**بارَكَ الله لك في أهلِك ومالِك، إنما جزاءُ السلفِ الحمدُ والأداءُ**»(١).

ولما أراحَهُ جريرٌ من ذي الخُلصةِ -صنمِ دَوْسٍ- برَّكَ على خيلِ قبيلتِه أحمس ورجالها خمسَ مرات(٢).

وكان ﷺ إذا أُهدِيَت إليه هديةٌ فقَبِلَها؛ كافأ عليها بأكثرَ منها، وإن ردَّها اعتذر إلى مُهديها، كقوله ﷺ للصعبِ بن جَثَّامة لما أَهدى إليه لحمَ الصيد: «**إنا لم نردَّهُ عليك إلا أنَّا حُرُم**»(٣).

٢٣- فصل [فيما يقوله من سمع نهيق الحمار وصياح الديكة]

وأمرَ ﷺ أُمته إذا سمِعوا نهيقَ الحمارِ أن يتعوذوا بالله من الشيطانِ الرجيم، وإذا سَمِعوا صياحَ الدِّيَكةِ أن يَسألوا الله من فضلِه(٤).

٢٤- [فصل في كراهة خلوا المجلس من ذكر الله]

وكرهَ ﷺ لأهلِ المجلس أن يُخلوا مجلسَهم من ذكرِ الله عَزَّوَجَلَّ، وقال: «**ما من قومٍ يَقومون من مجلسٍ لا يَذكرون الله فيه، إلا قاموا على مثل جيفةِ الحمارِ**»(٥).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢٤)، والنسائي (٤٦٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥٦)، ومسلم (٢٤٧٦).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨٥)، ومسلم (٣٥٣٦).
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).
(٥) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥).

وقال: «مَن قعدَ مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله تِرَةٌ، ومن اضطجعَ مضجعًا لا يَذكر الله فيه كانت عليه من الله تِرَةٌ»(١)، والتِرَةُ: الحسرةُ.

وقال ﷺ: «مَن جلسَ في مجلسٍ فكثر فيه لغطُه، فقال قبل أن يقومَ من مجلسِه: سبحانَك اللهمَّ وبحمدِك، أشهدُ ألا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك، إلا غُفرَ له ما كان في مجلسِه ذلك»(٢).

٢٥- فصل [فيما يقوله من فزع]

وكان ﷺ يُعَلِّم أصحابهُ من الفزعِ: «أعوذُ بكلماتِ الله التامةِ من غضبِه، ومن شرِّ عبادِه، ومن شرِّ همزات الشياطين، وأن يَحضرون»(٣).

٢٦- فصل في ألفاظٍ كان ﷺ يكرهُ أن تُقالَ

فمنها: أن يقولَ: خبثَتْ نفسِي، أو جاشَتْ، وليقل: لَقِسَتْ(٤).

ومنها: أن يُسمِّي شجرَ العنبِ كَرْما، نهى عن ذلك، وقال «لا تقولوا: الكَرْمُ، ولكن قولوا: العنبُ والحبلةُ»(٥).

وكره أن يقولَ الرجلُ: هلك الناسُ. وقال: «إذا قالَ ذلك فهو أَهْلَكُهم»(٦).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٦)، والترمذي (٣٣٨٠).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨).
(٤) أخرجه البخاري (٦١٧٩)، ومسلم (٢٢٥٠).
(٥) أخرجه مسلم (٢٢٤٨).
(٦) أخرجه مسلم (٢٦٢٣).

وفي معنى هذا: فسدَ الناسُ، وفسد الزمانُ ونحوه.

ونهى أن يُقالَ: ما شاء الله وشاء فلان، بل يُقال: ما شاء الله ثم شاء فلان. وقال له رجلٌ: ما شاء الله وشئتَ. فقال: «**جعلتني لله ندًّا؟! قل: ما شاء الله وحدَه**»[١]. وفي معنى هذا: لولا الله وفلانٌ لما كان كذا، بل وهو أقبحُ وأنكرُ.

ومنها: أن يقال: مُطِرنا بَنَوءِ كذا وكذا. بل يقول: مُطِرنا بفضلِ الله ورحمته[٢].

ومنها: أن يَحلِف بغيرِ الله، صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**من حلفَ بغيرِ الله فقد أشرَكَ**»[٣].

ومنها: أن يقولَ في حَلِفه: هو يَهوديٌّ أو نَصرانيٌّ أو كافرٌ إن فعلَ كذا[٤].

[**ومنها**: أن يقولَ لمسلمٍ: يا كافرُ][٥].

ومنها: أن يقولَ للسلطانِ: ملكُ الملوكِ[٦]. وعلى قياسِه قاضي القضاةِ.

ومنها: أن يقولَ السيدُ لغلامِه وجاريتِه: عبدي وأمتي، أو يقول الغلامُ لسيدِه: ربي، وليقل السيدُ: فتاي وفتاتي، وليقل الغلامُ: سيدي وسيدتي[٧].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد ٤/ ٣٤١ (٢٥٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥٨)، والنسائي (٣٧٧٢).

(٥) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٦) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

(٧) أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

ومنها: سبُّ الريحِ إذا هبَّت، بل يسأل الله خيرَها، وخيرَ ما أُرسِلَت به، ويعوذُ بالله من شرها وشرِّ ما أُرسلت به[١].

ومنها: سبُّ الحمى، نهى عنه، وقال: «**إنها تُذهِب خطايا بني آدمَ، كما يُذهِب الكيرُ خَبثَ الحديدِ**»[٢].

ومنها: النهيُّ عن سب الديك، صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لا تَسُبُّوا الديكَ فإنه يوقظُ للصلاة**»[٣].

ومنها: الدعاءُ بدعوى الجاهلية[٤]، والتَّعَزِّي بعزائِهم[٥]، كالدعاءِ إلى القبائِلِ والعصبية لها وللأنسابِ، ومثله التعصبُ للمذاهبِ والطرائِقِ والمشايخِ.

ومنها: تسميةُ العِشاء بالعتَمةِ تسميةً غالبةً يُهجَرُ فيها لفظ العشاءِ[٦].

ومنها: النهي عن سباب المسلِم[٧]، وأن يتناجى اثنان دون الثالث[٨]، وأن تُخبِرَ المرأةُ زوجَها بمحاسن امرأةٍ أخرى[٩].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٧)، والترمذي (٢٢٥٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٥).
(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠١).
(٤) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).
(٥) أخرجه أحمد ٣٥/ ١٥٧ (٢١٢٣٣).
(٦) أخرجه مسلم (٦٤٤).
(٧) أخرجه البخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (٦٤).
(٨) أخرجه البخاري (٦٢٨٨)، ومسلم (٢١٨٤).
(٩) أخرجه البخاري (٥٢٤٠).

ومنها: أن يقول في دعائِه: «**اللهمَّ اغفر لي إن شئتَ، وارحمني إن شئتَ**»[١].

ومنها: الإكثارُ من الحَلفِ[٢].

ومنها: أن يُحدِّث الرجلُ بجماعِ أهله، وما يكون بينه وبينها[٣]، كما يفعلُه السفلةُ.

فصل

وليُحذَر كلَّ الحذرِ من طغيان «أنا»، «ولي»، «وعندي»، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها إبليسُ وفرعونُ، وقارونُ، ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢] لإبليس، و﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون، و﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨] لقارون.

وأحسنُ ما وُضِعَت «أنا» في قولِ العبدِ: أنا العبدُ المذنبُ الخطاء المستغفرُ المعترفُ ونحوه. «ولي» في قولِه: لي الذنبُ، ولي الجرمُ، ولي المسكنةُ، ولي الفقرُ والذلُّ. «وعندي» في قولِه: «**اغفِر لي جدِّي، وهَزلِي، وخطئِي، وعمدِي، وكلُّ ذلك عندي**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩).

[تاسعا: كتاب الجهاد]

لَمَّا كان الجهادُ ذروةَ سنام الإسلام وقبَّته، ومنازلُ أهلِه أعلى المنازل في الجنةِ، كما لهم الرفعةُ في الدنيا، فهم الأعلونَ في الدنيا والآخرةِ، كان رسولُ الله ﷺ في الذُّروةِ العليا منه، فاستولى على أنواعِه كلِّها فجاهد في الله حقَّ جهادِه بالقلب والجَنانِ والدعوة والبيانِ والسيف والسِّنانِ، وكانت ساعاتُه موقوفةً على الجهاد بقلبِه ولسانه ويدِه؛ ولهذا كان أرفعَ العالمين ذِكرًا، وأعظمَهم عند الله قدرًا.

ولما كان جهادُ أعداءِ الله في الخارج فرعًا على جهاد العبدِ نفسَه في ذات الله، كما قال النبيُّ ﷺ: «**المجاهدُ من جاهد نفسَه في طاعةِ الله، والمهاجرُ من هجر ما نهى الله عنه**»(١)؛ كان جهادُ النفس مقدَّمًا على جهاد العدوِّ في الخارج.

فهذان عدوانِ قد امتُحن العبدُ بجهادهما، وبينهما عدوٌّ ثالثٌ لا يمكنه جهادُهما إلا بجهادِه، وهو واقفٌ بينهما يُثبِّط العبدَ عن جهادِهما ويُخذِّله، وهو الشيطانُ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦]، والأمرُ باتخاذِه عدوًّا تنبيهٌ على استفراغِ الوسع في محاربتِه.

فهذه ثلاثةُ أعداءٍ أُمر العبدُ بمحاربتها وجهادِها، وقد يُلِيَ العبد بمحاربتِها في هذه الدارِ، وسُلِّطت عليه امتحانًا من الله له وابتلاءً، وأعطى الله العبدَ مددًا وعدةً وأعوانًا وسلاحًا لهذا الجهادِ، وأعطى أعداءَه مددًا وعدةً وأعوانًا وسلاحًا، وبَلا أحدَ الفريقين بالآخرِ، وجعل بعضَهم لبعض فتنةً ليبلو أخبارَهم، ويمتحنَ من يتولاه ويتولَّى رسلَه ممن يتولى الشيطانَ وحزبَه.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٤٩)، والنسائي (٢٥٢٦) بنحوه.

وأمرَهم أن يُجاهدوا فيه حقَّ جهادِه، كما أمرهم أن يتَّقوه حقَّ تُقاته، يجاهدُ العبد نفسَه ليُسلِم قلبَه ولسانه وجوارحَه لله، ويجاهدُ شيطانَه بتكذيب وعدِه، ومعصيةِ أمره، فينشأُ له من هذين الجهادين قوةٌ يجاهدُ بها أعداءَ الله في الخارج بقلبِه ولسانِه ويده وماله؛ لتكون كلمةُ الله هي العُليا.

١ - فصل [في مراتب الجهاد]

فالجهادُ أربع مراتبَ: جهادُ النفسِ، وجهادُ الشيطانِ، وجهادُ الكفارِ، وجهادُ المنافقينَ.

فجهادُ النفسِ أربعُ مراتب أيضًا:

إحداها: أن يُجاهدها على تعلُّم الهُدى.

الثانيةُ: أن يُجاهدها على العملِ به بعد عِلمه.

الثالثةُ: أن يجاهدَها على الدعوةِ إليه، وتعليمِه لمن لا يَعلمُه.

الرابعةُ: أن يُجاهدَها على الصبرِ على مَشاقِّ الدعوةِ إلى الله.

فإذا استكمل هذه المراتبَ الأربعَ صار من الربَّانيين، فإن السلفَ مُجمعون على أن العالِمَ لا يستحقُّ أن يُسمَّى ربانيًّا حتى يَعرف الحقَّ ويعملَ به ويُعلِّمَه.

وأما جهادُ الشيطانِ فمرتبتان:

إحداهما: جهادُه على دفعِ ما يُلقي إلى العبد من الشُّبهاتِ والشكوكِ القادحةِ في الإيمانِ.

الثانيةُ: جهادُه على دفع ما يُلقي من الإرادات الفاسدةِ والشَّهواتِ.

فالجهادُ الأوَّل يكون بعُدَّة اليقينُ، والثاني يكون بعُدَّة الصبرِ. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وأما جهادُ الكفَّارِ والمنافقين فأربعُ مراتبَ: بالقلبِ، واللسانِ، والمالِ، والنفسِ. وجهادُ الكفار أخصُّ باليَدِ، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان.

وأما جهادُ أرباب الظُّلمِ والمنكرات والبِدَع فثلاثُ مراتبَ: الأولى: باليد إذا قدَر، فإن عجز انتقلَ إلى اللسانِ، فإن عجز جاهد بقلبِه.

فهذه ثلاث عشرَة مرتبةً من الجهاد، و«**مَن مات ولم يَغزُ ولم يُحدِّث نفسَه بالغزو مات على شُعبَةٍ من النِّفاق**»[1].

٢- فصل في شرطِ الجهادِ

ولا يَتمُّ الجهادُ إلا بالهجرةِ، ولا الهجرةُ والجهادُ إلا بالإيمانِ، والراجون رحمةَ الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثَةِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وكما أن الإيمانَ فرضٌ على كُلِّ أحد ففرضٌ عليه هجرتانِ في كل وقتٍ:

- هجرةٌ إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالإخلاصِ والتوحيدِ والإنابةِ والتوكلِ والخوفِ والرجاءِ والمحبةِ والتوبةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٠).

- وهجرةٌ إلى رسولِه بالمتابعةِ والانقيادِ لأمرِه، والتصديقِ بخبرِه، وتقديمِ أمرِه وخبرِه على أمرِ غيرِه وخبرِه.

«**فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسولِه، ومن كانت هجرتُه إلى دنيا يُصيبُها أو امرأة يتزوَّجُها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه**»[(١)].

وفرضٌ عليه جهادُ نفسِه وشيطانِه، فهذا كلُّه فرضُ عينٍ لا ينوب فيه أحدٌ عن أحدٍ، وأما جهادُ الكفارِ والمنافقين فقد يُكتفى فيه ببعضِ الأمَّة إذا حصلَ منهم مقصودُه.

٣- فصل [في جهاد النبي ﷺ في الله حق جهاده]

وأكملُ الخلق عند الله من كمَّل مراتبَ الجهادِ كلَّها؛ ولهذا كان أكملُ الخلق وأكرمُهم على الله خاتَمَ أنبيائه، فإنه جاهد في الله حقَّ جهادِه، من حين بُعث إلى أن توفَّاه الله، فإنه لما نزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ١ - ٤] شمَّر عن ساق الدعوةِ، وقام في ذاتِ الله أتمَّ القيامِ، ودعا إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهرًا، ولما نزل عليه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] صدعَ بأمرِ الله لا تأخذُه في الله لومةُ لائم.

٤ - [فصل في إيذاء قريش للنبي ﷺ]

ولما صدعَ بأمرِ الله وصرَّح لقومِه بالدعوةِ، وباداهم بسبِّ آلهتهم، وعيبِ دينهم، اشتدَّ أذاهم له ولمن استجابَ له من أصحابِه، ونالوهم بأنواعِ الأذَى،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

وهذه سنَّةُ الله في خلقِه كما قال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣].

فعزَّى سبحانه نبيَّه بذلك، وأن له أسوةً بمن تقدَّمه من المرسلينَ، وعزَّى أتباعَه بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ١٠].

فليتأملِ العبدُ سياقَ هذه الآياتِ، فمن قال: آمنَّا، امتحنه ربُّه وابتلاه، ومن لم يقل: آمنَّا، فلا يَحسبُ أنه يُعجزُ الله، فإنه إنما يَطوي المراحلَ في يديه.

لكن المؤمنَ يحصلُ له الألمُ في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبةُ في الدنيا والآخرةِ، والمُعرض عن الإيمانِ تحصلُ له اللذةُ ابتداءً، ثم يصير في الألم الدائمِ.

وسُئل الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيُّما أفضلُ للرجل، أن يُمكَّن أو يُبتلى؟ فقال: لا يُمكَّن حتى يُبتلى.

فلا يظنَّ أحدٌ أنه يخلصُ من الألمِ البتة، وإنما تفاوتَ أهلُ الآلام في العقولِ، فأعقلُهم من باع ألمًا مستمرًا عظيمًا بألم منقطعٍ يسير، وأسفهُهم من باع الألمَ المنقطعَ اليسيرَ بالألم العظيمِ المستمرِ.

ولما كان الألمُ لا مخلصَ منه البتَّةَ، عزَّى الله سبحانه من اختار الألمَ اليسير المنقطعَ على الألمِ العظيم المستمرِّ، بقوله: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥﴾ [العنكبوت: ٥] فضرب لِمُدَّةِ هذا الألم أجلًا وهو يوم لقائِه؛ ولهذا سأل النبيُّ ﷺ ربَّه الشوقَ إلى لقائه[١].

ثم عزَّاهم تعالى بعزاءٍ آخرَ، وهو أن جهادَهم فيه إنما هو لأنفُسِهم، وأنه غنيٌّ عن العالمين، ثم أخبر أنه يُدخلُهم بجهادِهم وإيمانهم في زُمرةِ الصالحين.

ثم أخبر عن حال الدَّاخلِ في الإيمان بلا بَصيرةٍ، وأنه إذا أُوذي في الله جعلَ فتنةَ الناسِ له والألمَ الذي لا بد أن ينالَه الرسلُ وأتباعُهم كعذابِ الله الذي فرَّ منه المؤمنون بالإيمان.

والمقصودُ: أن الله سبحانه اقتضت حكمتُه أنه لابد أن يَمتحن النفوسَ ويبتليَها، فيُظهرَ بالامتحان طيِّبَها من خَبيثِها، إذ النفوسُ في الأصل جاهلةٌ ظالمة، وقد حصل لها من الخُبثِ ما يحتاجُ خروجه إلى السَّبك والتصفيةِ، فإن خرج في هذه الدارِ وإلا ففي كير جهنم، فإذا هُذِّبَ العبد ونُقي أُذن له في دخولِ الجنةِ.

٥- فصل [فيمن حاز قصب السبق واستجاب لدعوته ﷺ]

ولَمَّا دَعا ﷺ إلى الله عَزَّوَجَلَّ استَجابَ له عِبادُ الله من كُلِّ قَبيلة، فكان حائزَ قَصْب سَبْقهم صِدِّيقُ الأُمَّة وأَسبَقُها إلى الإسلام أبو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فآزَرَه في دِين الله، ودعا معه إلى الله على بَصيرةٍ، فاستَجاب لأبي بَكْر: عُثمانُ بن عفَّانَ، وطَلَحةُ بنُ عُبَيْد الله، وسعدُ بنُ أبي وقَّاص.

(١) أخرجه النسائي (١٣٠٥).

وبادَرَ إلى الاستِجابة له ﷺ صِدِّيقة النِّساءِ: خَديجةُ بنتُ خُوَيْلِد.

وبادَر إلى الإسلام عليُّ بنُ أبي طالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان ابنَ ثمانِ سِنينَ، وكان في كَفالة رَسولِ الله ﷺ، أخَذَه من عَمِّه أبي طالِب إعانةً له في سَنَة مَحْل.

وبادَرَ زيدُ بنُ حارِثةَ حِبُّ رَسول الله ﷺ وكان غُلامًا لِخَديجةَ، فوهَبَتْه لرَسولِ الله ﷺ.

ودخَل الناسُ في الدِّين واحِدًا بعدَ واحِد، وقُريشٌ لا تُنكِر ذلك، حتَّى بادَأَهُم بعَيْب دِينهم وسَبِّ آلِهَتِهم، وأنها لا تَضُرُّ ولا تَنفَع، فحينئِذٍ شمَّروا له ولأصحابه عن ساقِ العَداوة، فحمَى الله رَسولَه بعمِّه أبي طالِب؛ لأنه كان شَريفًا مُعظَّمًا في قُريشٍ مُطاعًا في أهل مَكَّةَ لا يَتَجاسَرون على مُكاشَفَته بشيءٍ منَ الأذى، وأمَّا أصحابُه فمن كان له عشيرةٌ تحميه امتنعَ بعشيرتِه، وسائرُهم تصدوا له بالأذى والعذابِ، منهم: عمارُ بن ياسر وأمُّه سمية وأهلُ بيته عُذِّبوا في الله، ومنهم: بلالُ بن رباح، فإنه عُذِّب في الله أشدَّ العذاب.

٦- فصل [في الهجرة إلى الحبشة]

ولَمَّا اشتَدَّ أذَى الْمُشرِكين على مَن آمن وفُتِن مِنهم مَن فُتِن حتَّى يَقولوا لأحَدِهم: اللَّاتُ إلَهُكَ من دونِ الله؟ فيَقول: نعَمْ؛ أذِنَ الله سبحانه لهم بالهِجْرة الأُولى إلى أرض الحَبَشة، وكان أوَّل مَن هاجَر إليها عُثمانَ بنَ عفَّانَ، ومعه زَوجتُه رُقيَّةُ بنتُ رَسولِ الله ﷺ، وكان أهلُ هذه الهِجْرة الأُولى اثنَيْ عشَرَ رجُلًا وأربعَ نِسوة، وكان مخرجُهم في رجب في السنةِ الخامسةِ من المبعثِ.

وخرَجَت قُريشٌ في آثارهم حتى جاؤُوا البحر فلَمْ يُدرِكوا مِنهم أحَدًا، ثُم بلَغَهم أن قُريشًا قد كَفُّوا عنِ النبيِّ ﷺ فرجَعوا، فلَمَّا كانوا دونَ مكَّةَ بساعة من نَهار بلَغَهم أن قُريشًا أشَدُّ ما كانوا عَداوة لرَسولِ الله ﷺ، فدخَل مَن دخَل بجِوارٍ.

ثُمَّ اشتَدَّ البلاءُ من قُرَيْش على مَن قدِم من مُهاجِري الحَبَشة وغيرِهم، وسَطَت بهم عشائِرُهم، ولَقُوا منهم أذًى شَديدًا، فأذِنَ لهم رَسولُ الله ﷺ في الخُروج إلى أَرْض الحبَشةِ مرَّةً ثانِيةً، فكان خُروجُهمُ الثاني أشقَّ عليهم.

فكان عِدَّة مَن خرَج في هذه المَرَّةِ ثلاثةً وثَمانينَ رجُلًا، ومنَ النِّساء تِسعَ عشرةَ امرأةً.

فلَمَّا كان شَهْر رَبيع الأوَّل سَنة سَبْع من هِجْرة رَسول الله ﷺ إلى المَدينة، كتَبَ رَسولُ الله ﷺ كِتابًا إلى النَّجاشيِّ يَدْعوه إلى الإسلام، وبعَث به مع عَمرِو بنِ أُميَّةَ الضَّمريِّ، فلَمَّا قُرِئَ عليه الكِتابُ أسلَمَ، وقال: لو قَدَرْت أن آتِيَه لآتينَّه.

وكتَبَ إليه رَسولُ الله ﷺ أن يَبعَث إليه مَن بَقِيَ عِندَه من أصحابه ويَحمِلهم، ففعَل وحَمَلَهم في سَفينتَيْن مع عَمرِو بنِ أُميَّةَ الضَّمريِّ، فقدِموا على رَسول الله ﷺ بخَيبرَ فوجَدوه قد فَتَحَها، فكلَّم رَسولُ الله ﷺ المسلمين أن يُدخِلوهم في سِهامِهم ففعَلوا(١).

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٦)، ومسلم (٢٥٠٢).

٧- فصل [في بعث قريش إلى النجاشي]

فانحازَ المُهاجِرون إلى مَملَكة أَصحَمةَ النَّجاشيِّ آمِنينَ، فلَمَّا علِمَت قُريشٌ بذلك بعَثَت في أَثَرهم عبدَ الله بنَ أبي رَبيعةَ وعَمرَو بنَ العاص بهدايا وتُحَف من بلَدهم إلى النَّجاشيِّ ليَرُدَّهم عليهم، فأَبَى ذلك عليهم، وتشفعوا إليه بعُظَماء جنده فلم يُجِبْهم إلى ما طلَبوا.

٨- فصل [في فشو الإسلام ومقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب]

ثُمَّ أَسلَم حَمزةُ عمُّه وجماعة كثيرون، وفَشَا الإسلامُ، فلَما رأَتْ قُريشٌ أَمْر رَسول الله ﷺ يَعلو ويَتزايد، أَجمَعوا على أن يتَعاقَدوا على بَني هاشِمٍ وبني المُطَّلِب، أَلَّا يُبايعوهم، ولا يُناكحوهم، ولا يُكلِّموهم، ولا يجالِسوهم، حتَّى يُسلِّموا إليهم رسولَ الله ﷺ، وكتَبوا بذلك صَحيفة وعلَّقوها في سَقْف الكَعبة.

وحُبِس رسولُ الله ﷺ ومَن معَه في الشِّعْب -شِعْب أبي طالب- لَيْلة هِلال المُحرَّم سَنَة سبع من البعثة.

وبَقُوا مَحبوسين محصورين نحوَ ثلاثِ سِنين، حتَّى بلَغَهمُ الجَهد وسُمِع أصواتُ صِبيانِهم بالبُكاء من وَراء الشِّعْب.

وكانت قُريشٌ في ذلك بين راضٍ وكارِهٍ، فسعَى في نَقْض الصحيفة بعض مَن كان كارِهًا لها، وكان القائمُ بذلك هشامَ بنَ عمرو بنِ الحارث، مَشى في ذلك إلى المطعم بن عدي وجماعةٍ من قريش، فأجابوه إلى ذلك.

ثُم أَطلَع اللهُ رسولَه على أَمْر صَحيفتهم، وأنه أَرسَل عليها الأَرَضة فأَكَلَت جميعَ ما فيها من جَوْر وقَطيعة وظُلْم إلَّا ذِكْر الله عَزَّوَجَلَّ، فأَخبَر بذلك عَمَّه، فخرَج إلى قُريشٍ فأَخبَرَهم أن ابنَ أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذِبًا خلَّيْنا بينكم وبينَه، وإن كان صادِقًا رجَعْتم عن قطيعتِنا وظُلْمنا، قالوا: قد أَنصَفْت، فأَنزَلوا الصحيفةَ، فلَمَّا رأَوُا الأمرَ كما أَخبَر به رَسولُ الله ﷺ ازدادوا كُفرًا إلى كُفْرهم، وخرَج رَسولُ الله ﷺ ومَن معَه من الشِّعْب.

قال ابنُ عبدِ البر: بعدَ عشرةِ أعوامٍ مِن المبعثِ، ومات أبو طالب بعدَ ذلك بستةِ أشهر، وماتت خديجةُ بعدَه بثلاثة أيام، وقيل: غير ذلك.

٩- فصل [في موت خديجة وأبي طالب وخروجه ﷺ إلى الطائف]

فلَمَّا نُقِضَت الصَّحيفةُ وافَق موت خَديجةَ وموت أَبي طالب، وبينهما يَسيرٌ، فاشتَدَّ البلاءُ على رسولِ الله ﷺ من سُفهاءِ قَوْمه، وتَجَرَّؤُوا عليه وكاشَفوه بالأَذَى، فخرَج رسولُ الله ﷺ إلى الطائِف رَجاءَ أن يُؤْووه ويَنصُروه على قومه ويَمنَعوه مِنهم، ودَعاهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ فلم يَرَ مَن يُؤوِي، ولم يَرَ ناصِرًا، وآذَوْه مع ذلك أشدَّ الأذَى، ونالوا منه ما لم يَنَلْه قومُه.

وفي مَرجِعه ذلك دعا بالدُّعاء المَشهور -دعاء الطائِف -: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ**

غَضَبُكَ أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[1].

فأَرسَل ربُّه تبارك وتعالى إليه ملَك الجِبال يَستأْمِره أن يُطبِق الأَخشَبَين على أهل مكَّةَ، وهُما جَبَلاها اللَّذانِ هي بينهما، فقال: «لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ لَعَلَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[2].

فلمَّا نزَل بنَخلةَ مَرجِعه، قام يُصلِّي منَ اللَّيْل، فصَرَف الله إليه نَفَرًا من الجِنِّ فاستَمَعوا قِراءتَه، ولم يَشعُر بهم رَسولُ الله ﷺ حتَّى نزَل عليه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢][3].

١٠- فصل [في الإسراء والمعراج]

ثُم أُسرِي برَسول الله ﷺ بجسَده -على الصَّحيح- من المَسجِد الحَرام إلى بَيْت المَقدِس، راكِبًا على البُراق، صُحْبة جِبريلَ عليهما الصلاة والسلام، فنزَل هُناك، وصلَّى بالأنبياء إمامًا، وربَط البُراقَ بحَلْقة باب المَسجِد، ثُم عُرِج به تِلكَ

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة ١/ ٤٢٠، والطبري في تاريخه ٢/ ٣٤٥.
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩).

الليلةَ من بيت المَقدِس إلى السَّماء، ثُم عُرِج به إلى الجَبَّار جل جلاله، فدَنا منه حتى كان قابَ قوسَينِ أو أدنى، فأوحَى إلى عبدِه ما أوحَى، وفرَض عليه خَمسينَ صلاةً، فرجَع حتَّى مرَّ على مُوسى فقال له: بِمَ أُمِرْتَ؟ قال: بخَمسينَ صَلاةً. قال: إن أُمَّتَكَ لا يطيقون ذلك، ارجِعْ إلى ربِّكَ فاسْأَلْه التَّخفيفَ لأُمَّتِكَ. فالتَفَت إلى جِبريلَ كأنه يَستَشيره في ذلك، فأَشارَ أَنْ نَعَمْ إن شِئْت. فلم يَزَلْ يَتردَّد بين مُوسى وبين ربه تبارك وتعالى حتَّى جعَلَها خمسًا، فأَمَرَه مُوسى بالرُّجوع وسُؤال التخفيف، فقال: قدِ استَحْيَيْت من رَبِّي، ولكِنْ أَرضَى وأُسلِّم. فلمَّا نَفَذ نادَى مُنادٍ: قد أَمضَيْت فَريضَتي، وخَفَّفْتُ عن عِبادِي[(١)].

فلمَّا أَصبَح رَسولُ الله ﷺ في قَوْمه أَخبَرَهم، فاشتَدَّ تَكذيبُهم له، وسأَلوه أن يَصِفَ لهم بيتَ المَقدِس، فجَلَّاه اللهُ له حتَّى عايَنَه، فطفِقَ يُخبِرهم عن آياته، ولا يَستَطيعون أن يَردُّوا عليه شيئًا. وأَخبَرَهم عن عِيرِهم في مَسراهُ ورُجوعه، وعن وَقْت قُدومها، وعن البَعيرِ الَّذي يَقدُمها، وكان الأَمْر كما قال، فلم يَزِدْهم ذلكَ إلَّا نُفورًا. ومَعلوم أن هذا أَمْر فوقَ ما يَراه النائِمُ، وكان الإِسراءُ مرَّةً واحِدةً.

١١- فصل في مَبدَأ الهِجْرة الَّتي فرَّق الله فيها بين أَوْليائه وأَعْدائه، وجعَلَها مَبدًا لإِعْزاز دِينه، ونَصْر عَبدِه ورَسوله

قال الواقدي: أقام رسولُ الله ﷺ بمكةَ ثلاثَ سنين مِن أول نبوتِه مستخفيًا، ثم أعلن في الرابعةِ، فدعا الناسَ إلى الإسلامِ عشر سنين، يوافي الموسمَ كلَّ عامٍ، يتبعُ الحاجَّ في منازلِهم، وفي المواسم بعكاظ، ومجنة وذي المجاز، يدعوهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه[(١)].

وكان مِمَّا صنَعَ الله لرَسولِه أن الأَوْس والخَزرَج كانوا يَسمَعون من حُلفائِهم من يَهود المَدينة أن نبيًّا من الأَنبياء مَبعوث في هذا الزمانِ سيَخرُج فنَتَّبِعه ونَقتُلكم معه قتلَ عادٍ وإرمَ، وكانتِ الأنصارُ يَحُجُّون البيت كما كانتِ العرَبُ تَحُجُّه دون اليهودِ، فلَمَّا رأى الأَنصارُ رسولَ الله ﷺ يَدعو الناسَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتَأَمَّلوا أَحوالَه، قال بعضُهم لبعضٍ: تَعلَمون والله يا قَوْمُ أن هذا الَّذي تَوعَّدُكم به يَهودُ، فلا يَسبِقُنَّكم إليه.

١٢- فصل [في بيعَتَي العقبة الأولى والثانية]

ثم إن رسولَ الله ﷺ لَقِيَ عندَ العقبةِ في الموسم ستةَ نفرٍ مِن الأنصار كلهم من الخزرج، فدعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الإسلامِ فأسلموا، ثم رجعوا إلى المدينةِ، فدعوا إلى الإسلام، ففشا الإسلامُ فيها حتى لم يبقَ دارٌ إلا وقد دخلَها الإسلامُ، فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلا، قال أبو الزبير: عن جابر: فقلنا: يا رسولَ الله، علامَ نبايعك؟ قال: تبايعوني على السمعِ والطاعةِ في النشاطِ والكسلِ، وعلى النفقةِ في العسرِ واليسرِ، وعلى الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم لومةُ لائمٍ، وعلى أن تنصروني إذا قدمتُ عليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسَكم وأزواجَكم وأبناءَكم، ولكم الجنةُ، فقمنا إليه رجلًا رجلًا، فأخذ علينا وشَرَطَ، يُعطينا بذلك الجنةَ.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ١٦٨.

ثُمَّ انصَرَفوا إلى المدينة، وبعَثَ معهم رَسولُ الله ﷺ عَمرَو بن أُمِّ مَكتوم، ومُصعَب بنَ عُميرٍ يُعلِّمان مَن أَسلَم مِنهمُ القُرآن، ويَدْعوان إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فنزَلا على أبي أُمامةَ أَسعدَ بنِ زُرارةَ، وكان مُصعَب بنُ عُميرٍ يُؤمُّهم، وجَمَّع بهم لَمَّا بلَغوا أَربَعين، فأَسلَم على يَديهما بشَرٌ كَثير، مِنهم: أُسَيْد بنُ الحُضَيْر، وسَعدُ بن مُعاذٍ، وأَسلَم بإِسْلامهما يومئذٍ جميع بني عبد الأَشهَل الرِّجال والنِّساء، إلَّا الأُصَيْرِم عَمرُو بن ثابِت بنِ وَقْش فإنه تَأخَّر إسلامُه إلى يوم أُحُد، فأَسلَم حينَئِذٍ وقاتَلَ فقُتِل قبل أن يَسجُد لله سَجدةً، فأَخبَر عنه النبيُّ ﷺ فقال: «**عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا**»(١).

فأَذِن رَسولُ الله ﷺ للمُسلِمين في الهِجْرة إلى المَدينة، فبادَر الناسُ إلى ذلك، ولم يَبقَ بمكَّةَ منَ المُسلِمين إلَّا رَسولُ الله ﷺ وأبو بَكْر وعليٌّ، أَقاما بأَمْره لهما، وإلَّا مَن احتبَسَه المُشرِكون كرهًا، وقد أَعَدَّ رَسولُ الله ﷺ جهازَه يَنتَظِر مَتَى يُؤمَر بالخُروج، وأَعَدَّ أبو بَكْر جهازَه.

١٣- فصل [في مؤامرة دار الندوة]

فلمَّا رأَى المُشرِكون أَصحاب رَسولِ الله ﷺ قد تَجهَّزوا وخرَجوا وحَمَلوا، وساقوا الذَّراريَّ والأطفالَ والأموالَ إلى الأَوْس والخَزرَج، وعرفوا أن الدارَ دارُ منعةٍ، وأن القومَ أهلُ حلقةٍ وبأسٍ وشوكةٍ، فخافوا خُروج رسولَ الله ﷺ إليهم ولُحُوقَه بهم، فيَشتَدُّ عليهم أمرُه، فاجتَمَعوا في دار النَّدْوة، ولم يَتخلَّف أحَدٌ من ذوي الرَّأْيِ والحِجا مِنهم ليَتَشاوَروا في أَمْره، فتَذاكروا أمرَ رسولِ الله ﷺ، فأشار كلُّ أحدٍ منهم برأيٍ، إلى أن قال أبو جَهْل: قد فُرِق لي فيه رأيٌ ما أُراكُم قد وقَعْتُم

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٩٠٠).

عليه. قالوا: ما هو؟ قال: أَرَى أن نَأخُذ من كل قَبيلةٍ من قُرَيْش غُلامًا نهدًا جَلدًا، ثُم نُعطيه سيفًا صارِمًا، فيَضرِبونه ضَربةَ رجُل واحِد، فيَتفرَّق دمُه في القبائِل، فلا تَدرِي بنو عبدِ مَناف بعد ذلك ما تَصنَع، ولا يُمكِنها مُعاداة القبائِل كلِّها، ونَسوق إليهم دِيَته، فتَفرَّقوا على ذلك، واجتَمَعوا عليه، فجاءَهُ جِبريلُ بالوَحيِ من عِند ربه تبارك وتعالى، فأَخبرَه بذلك، وأَمَرَه ألَّا يَنامَ في مَضجِعه تلكَ اللَّيْلَةَ.

وجاءَ رَسولُ الله ﷺ إلى أبي بَكْر نِصفَ النهار في ساعة لم يَكُن يَأتِيه فيها مُتقنِّعًا، فقال له: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»، فقال: إنما هُمْ أَهلُكَ يا رَسولَ الله، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**»، فقال أبو بَكْر: الصحبةَ يا رَسولَ الله؟ فقال رَسولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**»، فقال أبو بَكْر: فخُذْ بأبي وأُمِّي إِحدى راحِلتَيَّ هاتَيْن، فقال رَسولُ الله ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**»[1].

وأَمَر عليًّا أن يَبيت في مَضجِعه تلكَ الليلةَ، واجتَمَع أُولئِكَ النفرُ من قُرَيْش يَتطلَّعون من صِيْرِ البابِ[2] ويَرصُدونه، يُريدون بَياتَه، ويَأتَمِرون أَيُّهم يَكون أَشقاها، فخرَج رسولُ الله ﷺ عليهم فأخَذَ حِفنةً منَ البَطْحاء، فجعَل يَذُرُّه على رُؤوسِهم، وهم لا يَرَوْنه، وهو يَتلو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩]، ومضَى رَسولُ الله ﷺ إلى بيت أبي بَكْر، فخرَجا من خَوْخَةٍ[3] في دار أبي بَكْر ليلًا، وجاء رجُل فرأَى القَوْم ببابِه فقال: ما تَنتَظِرون؟ قالوا: مُحمدًا. قال: خِبْتم وخسِرْتُم، قد والله مرَّ بكُمْ وذرَّ على رُؤوسِكم

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٣٨).

(٢) (صِيْر البابِ): شقٌّ فيه.

(٣) (الخَوْخَة): كوة في البيت تؤدي إليه الضوء.

التُّرابَ. قالوا: واللهِ ما أَبصَرْناه. وقاموا يَنفُضون الترابَ عن رُؤوسِهم، ثُم مضَى رَسولُ الله ﷺ وأبو بَكْر إلى غار ثَوْر، فدخَلاهُ.

وكانا قدِ استأجَرا عبدَ الله بن أُرَيْقِط اللَّيثيَّ، وكان هادِيًا ماهِرًا بالطريق، وكان على دِين قومِه مِن قُرَيْش، وأَمِناهُ على ذلك، وسلَّما إليه راحِلَتَيْهما، وواعَداهُ غارَ ثور بعد ثلاث، وجَدَّت قُريشٌ في طلَبهما، وأخَذوا معَهمُ القافةَ، حتَّى انتَهَوا إلى باب الغار، فوقَفوا عليه، ففي الصحيحين أن أبا بَكْر قال: يا رَسولَ الله لو أن أحَدَهُم نظَر إلى ما تحتَ قدَمَيْه لأَبصَرَنا، فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا، لَا تَحْزَنْ فَإِنَّ اللهَ مَعَنَا**»(١)، وكان النبيُّ ﷺ وأبو بَكْر يَسمَعانِ كَلامَهم فوقَ رُؤوسِهما، ولكِنَّ اللهَ سبحانه عَمَّى عليهم أَمْرهما، وكان عامِرُ بنُ فُهيرةَ يَرعَى عليهما غنَمًا لأبي بَكْر، ويَتسمَّع ما يُقال بمكَّةَ، ثُم يَأتِيهما بالخبَر، فإذا كان السَّحَر سرَح مع الناس.

فمكَثا في الغار ثلاثَ ليالٍ حتى خَمَدَت عَنهما نار الطلَب، فجاءَهُما عبدُ الله بنُ أَرَيْقِط بالراحِلَتَيْن فارْتَحَلا وأَردَف أبو بَكْر عامِرَ بن فُهيرةَ وسار الدَّليلُ أمامَهُما، وعَيْن الله تَكلَؤُهما، وتَأييدُه يَصحَبهما، وإسعادُه يُرحِلهما ويُنزِلهما.

ولَمَّا يَئِس المُشرِكون من الظَّفَر بهما جعَلوا لِمَن جاء بهما دِية كلِّ واحِد منهما، فجَدَّ الناسُ في الطلَب، واللهُ غالِب على أَمْره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٥، ٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

١٤- فصل [في قدومه ﷺ المدينة]

وبلغَ الأنصارَ مخرجُ رسولِ الله ﷺ من مكةَ وقصدَه المدينةَ، وكانوا يخرجون كلَّ يومٍ إلى الحَرَّةِ ينتظرونه أولَ النهار، فإذا اشتدَّ حرُّ الشمسِ رجعوا على عادتِهم إلى منازلِهم.

فلَمَّا كان يوم الجُمُعة ركِب بأَمْر الله له، فأَدرَكَتْه الجُمُعةُ في بني سالِمِ بنِ عَوْف، فجمَّعَ بهم في المَسجِد الَّذي في بَطن الوادِي، ثُمَّ ركِب فأَخَذوا بخِطام راحِلتِه، هَلُمَّ إلى العدَد والعُدَّة والسِّلاح والمَنَعة، فقال: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، فلم تَزَلْ ناقتُه سائِرة به لا تَمُرُّ بدار من دُور الأَنصار إلَّا رغِبوا إليه في النُّزول عليهم، ويَقول: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، فسارَت حتَّى وصَلَت إلى مَوضِع مَسجِده اليومَ وبرَكَت، ولم يَنزِل عنها حتى نَهَضَت وسارَت قَليلًا، ثُم التَفَتَتْ ورجَعَت فبرَكَت في موضِعها الأوَّلِ، فنزَل عنها وذلك في بَني النَّجَّار أخوالِه ﷺ.

وكان من تَوفيق الله لها فإنه أَحَبَّ أن يَنزِل على أَخواله يُكرِمهم بذلك، فجعَل الناسُ يُكلِّمون رَسولَ الله ﷺ في النُّزول عليهم، وبادَر أبو أَيُّوبَ الأَنصاريُّ إلى رَحْله فأَدخَلَه بيتَه، فجعَلَ رَسولُ الله ﷺ يَقول: «**الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ**»، وجاء أسعدُ بنُ زُرارةَ فأَخَذ بزِمام راحِلته، فكانت عِنده.

فأَقام في مَنزِل أبي أَيُّوبَ حتَّى بنَى حُجَرته ومَسجِده، وبعَث رَسولُ الله ﷺ وهو في مَنزِل أبي أَيُّوبَ زيدَ بنَ حارِثةَ وأبا رافِع، وأَعطاهُما بَعيرَيْن وخمسَمئة دِرهَم إلى مكَّةَ فقدِما عليه بفاطِمةَ وأُمِّ كُلثوم ابنَتَيْه، وسَودةَ بنتِ زَمعةَ زَوْجته، وأُسامةَ بنِ زَيْد وأُمِّه أُمِّ أَيمَنَ، وأمَّا زَيْنبُ بنتُ رسولِ الله ﷺ فلم يُمكِّنْها زوجها أبو

العاصِ بنُ الرَّبيعِ من الخُروج، وخرَج عبدُ الله بن أبي بَكْر معَهُم بعِيالِ أبي بَكر وفيهم عائِشةُ، فنزَلوا في بيت حارِثةَ بن النُّعمانِ.

وجعَل قِبلةَ مَسجِده إلى بيتِ المَقدِس، وجعَل له ثلاثة أبواب، بابًا في مُؤخَّره، وبابًا يُقال له: بابُ الرَّحْمة، والباب الَّذي يَدخُل منه رَسولُ الله ﷺ، وجعَل عَمَده الجَذوع، وسقف بالجَريد، وبنَى إلى جَنْبه بُيوت الحُجَرِ باللبِن، وسَقفها بالجَريد والجُذوع، فلمَّا فرَغ منَ البِناء بنَى بعائِشةَ في البيت الَّذي بَناهُ لها شَرقيَّ المَسجِد قِبليه، وهما مَكان حُجْرته اليومَ، وجعَل لسَودةَ بنتِ زَمعةَ بيتًا آخَرَ.

١٥- فصل [في مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار]

ثُمَّ آخَى رَسولُ الله ﷺ بين المُهاجِرين والأَنْصار في دار أَنَس بنِ مالِكٍ، وكانوا تِسعينَ رجُلًا نِصفُهم منَ المُهاجِرين ونِصفُهم منَ الأَنصار، آخَى بينَهم على المُواساة، ويَتَوارَثون بعد الموت دونَ ذَوي الأَرْحام إلى حين وَقْعة بَدْر، فلمَّا أَنزَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] رُدَّ التَّوارُث إلى الرَّحِم دونَ عَقْد الأُخوَّة.

١٦- فصل [في موادعته ﷺ يهود المدينة ثم محاربته لهم]

ووادَعَ رسولُ الله ﷺ مَن بالمَدينة من اليَهود، وكتَبَ بينَه وبينَهم كِتابًا، وبادَر حَبْرهم وعالِمهم عبدُ الله بنُ سَلَام فدخَل في الإسلام، وأَبَى عامَّتُهم إلَّا الكُفر.

وكانوا ثلاثَ قَبائِلَ: بَنو قَينُقاعٍ، وبَنو النَّضير، وبَنو قُريظةَ، وحارَبَته الثلاثةُ، فمَنَّ على بَني قَينُقاع، وأَجلَى بني النَّضير، وقتَلَ بني قُريظةَ وسَبَى ذُرِّيَّتهم، ونزَلت سُورةُ الحَشْر في بَني النَّضير، وسُورة الأحزاب في بَني قُريظةَ.

١٧ - فصل [في تحويل القبلة]

وكان يُصلِّي إلى قِبلة بَيْت المَقدِس، ويُحِبُّ أن يُصرَف إلى الكَعبة، فقال لِجبريلَ: «وَدِدْتُ أَنْ صَرفَ اللهُ وَجْهِي عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ»، فقال: إنَّما أنا عَبدٌ، فادْعُ ربَّكَ وسله. فجعَلَ يُقلِّب وجهَه في السماء يَرجو ذلك، حتى أَنزَل الله عليه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وذلِك بعد سِتةَ عشرَ شهرًا من مَقدَمه المَدينةَ قبل وقعة بَدْر بشَهْرين.

وكان في جَعْل القِبلة إلى بيت المَقدِس ثُم تَحويلها إلى الكَعبة حِكَم عَظيمة، ومِحْنة للمُسلِمين والمُشرِكين واليَهود والمُنافِقين.

فأمَّا المُسلِمون فقالوا: سمِعْنا وأَطَعْنا وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، وهُمُ الذين هَدَى الله، ولم تَكُن كَبيرة علَيْهم.

وأمَّا المُشرِكون فقالوا: كما رجَعَ إلى قِبلتِنا، يُوشِك أن يَرجِع إلى دِينِنا، وما رجَعَ إليها إلَّا لأنها الحقُّ.

وأمَّا اليَهودُ فقالوا: خالَفَ قِبلة الأَنْبياء قبلَه، ولو كان نبيًّا لكان يُصلِّي إلى قِبلة الأَنبياء.

وأمَّا المُنافِقون فقالوا: ما يَدرِي مُحمَّد أين يَتوجَّهُ، إن كانت الأُولى حقًّا فقَدْ ترَكَها، وإن كانت الثانيةُ هي الحقَّ فقد كان على باطِلٍ، وكثُرَت أَقاويلُ السُّفَهاء من الناسِ، وكانت كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكانت مِحْنة منَ الله امتحَن بها عِبادَه ليَرَى مَن يَتَّبِع الرَّسول منهم مِمَّن يَنقَلِب على عَقِبَيْه.

فصل

وأَتَمَّ نِعمتَه عليهم مع القِبلة بأن شرَعَ لهمُ الأذانَ في اليوم واللَّيْلة خمس مرَّات، وزادَهُم في الظُّهْر والعَصْر والعِشاء رَكعتَيْن أُخرَيَيْن بعد أن كانت ثُنائيَّة، فكلُّ هذا كان بعد مَقدَمه المَدينة.

١٨- فصل [في الإذنِ في القِتالِ]

فلمَّا استَقَرَّ رَسولُ الله ﷺ بالمَدينة، وأيَّده الله بنَصْره بعِباده المُؤمنين، وألَّف بين قُلوبِهم بعد العَداوة، وكان أَوْلى بهم من أَنفُسِهم، رمَتْهمُ العربُ واليَهودُ عن قَوْس واحِدة، وشمَّروا لهم عن ساقِ العَداوة والمُحارَبة، وصاحوا بهم من كلِّ جانِب، واللهُ سبحانه يَأمُرهم بالصَّبْر والعَفْو والصَّفْح حتَّى قوِيَت الشَّوْكة، واشتَدَّ الجُناح، فأَذِن لهم حينَئِذٍ في القِتال، ولم يَفرِضْه عليهم، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩].

ثُم فرض عليهم القتالُ بعد ذلك لمن قاتَلهم دون مَن لم يُقاتلهم فقال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ثم فرض عليهم قتالُ المُشركين كافةً، وكان مُحرمًا، ثم مَأذونًا فيه، ثم مَأمورًا به لَمَن بدَأَهم بالقتالِ، ثُم مأمورًا به لجميعِ المُشركين، إما فرضَ عَيْن على أحَد القولين، أو فرضَ كِفايةٍ على المشهورِ.

والتحقيقُ: أن جِنس الجهادِ فرضُ عينٍ إما بالقلبِ، وإما باللسانِ، وإما بالمالِ، وإما باليدِ، فعلى كل مسلمٍ أن يجاهدَ بنوعٍ من هذه الأنواعِ.

أما الجهادُ بالنفسِ ففرضُ كِفايةٍ، وأما الجهادُ بالمالِ ففي وجوبِه قولانِ: والصحيحُ وجوبُه؛ لأن الأمرَ بالجهادِ به وبالنفسِ في القرآنِ سواءٌ، كما قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة: ٤١]، وعلق النجاةَ من النيران به ومغفرةَ الذنبِ ودخولَ الجنةِ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢﴾ [الصف: ١٠ - ١٢]، وأخبرَ أنهم إن فعَلوا ذلك أعطاهُم ما يُحِبُّون من النصرِ والفتحِ القريبِ، فقال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ [الصف: ١٣] أي: ولكُم خصلةٌ أخرى تُحبُّونها في الجهادِ، وهي: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣] وأخبرَ سبحانه أنه: ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١] وأعاضَهم عليها الجنةَ.

فلْيَتأمَّلِ المعاقدُ مع ربِّه عقدَ هذا التبايعِ، ما أعظمَ خطَرَه وأجلَّهُ! فإن اللهَ عَزَّوَجَلَّ هو المشترِي، والثمنُ جناتُ النعيمِ والفوزُ برضاهُ، والتمتعُ برؤيتِه هناكَ، والذي جرَى على يدِه هذا العقدُ أشرفُ رسلِه وأكرمُهم عليه من الملائكةِ ومن البشرِ، وإن سلعةً هذا شأنُها لقد هيئَتْ لأمرٍ عظيمٍ وخطبٍ جسيمٍ:

لقد حرَّك الداعي إلى الله وإلى دارِ السلامِ النفوسَ الأبيَّةَ، والهممَ العاليةَ وأسمَعَ مُنادي الإيمان مَن كانت له أذُنٌ واعيةٌ، وأسمعَ والله مَن كان حيًّا، فهزَّه السماعُ إلى منازلِ الأبرارِ، وحَدا به في طريقِ سيرِه، فما حطَّت به رحالُه إلَّا بدارِ القرارِ، فقال: «انتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خرَجَ في سَبيلِهِ لا يُخرِجُه إلَّا إيمانٌ بي وتَصديقٌ برُسُلي أن أُرجِعَه بما نالَ مِن أَجْرٍ أو غَنيمةٍ أو أُدخِله الجَنَّةَ، ولولا أن أَشُقَّ على أُمَّتي ما قعَدْتُ خلفَ سَريَّةٍ، ولوَدِدْتُ أنِّي أُقتَلُ في سَبيلِ الله ثُم أُحْيا، ثُم أُقتَل ثُمَّ أُحيا، ثُم أُقتَل»[(١)].

وقال: «مثَلُ المُجاهِدِ في سبيلِ الله كمَثَلِ الصائِمِ القائِمِ القانِتِ بآياتِ الله لا يَفتُرُ مِن صِيامٍ ولا صَلاةٍ حتَّى يَرجِعَ المُجاهِدُ في سَبيلِ الله، وقد تَكَفَّلَ اللهُ للمُجاهِدِ في سَبيلِهِ بأَنْ يَتَوفَّاهُ أن يُدخِلَه الجَنَّةَ، أو يُرجِعَه سالِمًا معَ أَجْرٍ أو غَنيمةٍ»[(٢)].

وقال: «غَدوةٌ في سَبيلِ الله أو رَوْحةٌ خَيْرٌ منَ الدُّنْيا وما فيها»[(٣)].

وقال: «إنَّ في الجَنَّةِ مئةَ درَجةٍ أَعَدَّها اللهُ لِلمُجاهِدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ كلِّ درَجَتَيْنِ كما بَيْنَ السماءِ والأَرضِ، فإذا سأَلْتُمُ اللهَ فاسْألُوهُ الفِرْدوسَ، فإنَّه أَوْسَطُ الجَنَّةِ وأَعلى الجَنَّةِ، وفَوقَه عَرشُ الرَّحْمنِ، ومِنْهُ تُفجَّرُ أنهارُ الجَنَّةِ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦)، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٧)، ومسلم (١٨٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٢)، ومسلم (١٨٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

وقال لأبي سعيد: «**مَن رضِيَ باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبمُحمَّدٍ رَسولًا، وجَبَتْ لهُ الجَنَّةُ**» فعجِبَ لها أبو سَعيدٍ، فقال: أَعِدْها عليَّ يا رسولَ الله. ففعلَ، ثُمَّ قال رَسولُ الله ﷺ: «**وأُخرَى يَرفَعُ اللهُ بها العبدَ مِئةَ درَجةٍ في الجَنَّةِ ما بينَ كلِّ درَجتَيْنِ كما بين السماءِ والأرضِ**»، قال: وما هي يا رَسولَ الله؟ قال: «**الجِهادُ في سَبيلِ الله**»[1].

وقال: «**مَن أَنفَق زوجَيْنِ في سَبيلِ الله، دَعاهُ خزَنةُ الجَنَّةِ كلُّ خزَنةِ بابٍ، أَيْ عبدَ الله هَلُمَّ، فمَنْ كانَ من أهلِ الصلاةِ، دُعِيَ من بابِ الصلاةِ، ومَن كانَ مِن أهلِ الجِهادِ، دُعِيَ من بابِ الجِهادِ، ومَن كانَ مِن أهلِ الصدَقةِ، دُعِيَ مِن بابِ الصدَقةِ، ومَن كانَ من أَهْلِ الصِّيامِ، دُعِيَ من بابِ الرَّيَّانِ**» فقال أبو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بأبي أنتَ وأُمِّي يا رَسولَ الله، ما على مَن دُعِيَ من تِلْكَ الأبوابِ من ضَرورة، فهل يُدعَى أحَدٌ من تِلكَ الأبوابِ كلِّها؟ قال: «**نعَمْ، وأَرْجو أَنْ تَكونَ مِنْهُم**»[2].

وقال: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَماهُ في سَبيلِ الله حرَّمَهُما اللهُ على النارِ**»[3].

وقال: «**رِباطُ يَوْمٍ في سَبيلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما عَلَيْها**»[4].

وقال: «**رِباطُ يومٍ ولَيلةٍ خيرٌ من صِيامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ، وإن ماتَ جرَى علَيْه عمَلُه الَّذي كانَ يَعمَلُهُ، وأُجرِيَ عليهِ رِزْقُه وأَمِنَ الفَتَّانَ**»[5].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٤).
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤١)، ومسلم (١٠٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (٩٠٧).
(٤) أخرجه البخاري (٢٨٩٢)، ومسلم (١٨٨١).
(٥) أخرجه مسلم (١٩١٣).

وصحَّ عنه ﷺ: «إنَّ أبوابَ الجَنَّةِ تحتَ ظِلالِ السُّيوفِ»[(١)].

وصحَّ عنه ﷺ: «مَن قاتَلَ لِتكونَ كلِمةُ اللهِ هيَ العُلْيا، فهُوَ في سَبيلِ اللهِ»[(٢)].

وصحَّ عنه ﷺ: «إنَّ النارَ أوَّلَ ما تُسَعَّرُ بالعالِمِ والمُنفِقِ والمَقْتولِ في الجِهادِ إذا فعَلوا ذلِكَ لِيُقالَ»[(٣)].

١٩- فصل [في استحبابه القتال أول النهار]

وكان يَستحبُّ القتالَ أول النهار كما يَستحب الخروجَ للسفر أوَّلَه، فإذا لم يقاتلْ أول النهارِ أخر القِتالَ حتى تزولَ الشمسُ، وتهبَّ الرياح وينزلَ النصر.

٢٠- فصل [في فضل الجهاد]

وقال ﷺ: «والَّذي نَفْسي بيَدِهِ لا يُكْلَمُ أحَدٌ في سَبيلِ الله -واللهُ أَعلَمُ مَنْ يُكْلَمُ في سَبيلِهِ- إلَّا جاءَ يومَ القِيامةِ واللَّوْنُ لَونُ دمٍ، والريحُ ريحُ مِسْك»[(٤)].

وصحَّ عنه أنه ﷺ أنَ: «ما مِن عَبْدٍ يَموتُ، لَهُ عِندَ الله شيءٌ يَسُرُّه أن يَرجِعَ إلى الدُّنيا، وأَنَّ له الدُّنْيا وما فيها، إلَّا الشَّهيد لِمَا يَرَى مِن فَضْلِ الشَّهادةِ، فإنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرجِعَ إلى الدُّنْيا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرى» وفي لفظٍ: «فَيُقْتَلَ عَشرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرامَةِ»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٩٥)، ومسلم (١٨٧٧).

وقال لأُمِّ حارِثةَ بنِ النُّعمانِ، وقد قُتِل ابنُها معَه يوم بَدر، فسأَلْته: أينَ هو؟ قال: «إِنَّهُ فِي الفِرْدَوسِ الأَعْلى»(١).

وقال ﷺ: «إنَّ أَرواحَ الشُّهَداءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَها قَناديلُ مُعلَّقةٌ بالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حيثُ شاءَتْ، ثُمَّ تَأوِي إلى تِلكَ القَناديلِ، فاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّك اطلاعةً، فقالَ: هَلْ تَشْتَهونَ شَيْئًا؟ فَقالوا: أيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي، ونَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنا؟ ففَعَلَ بِهِمْ ذلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكوا مِن أَنْ يُسْأَلوا، قالوا: يَا رَبِّ، نُريدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْواحَنا فِي أَجْسادِنا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فلَمَّا رأَى أَنْ ليسَ لَهُمْ حاجةٌ تُرِكوا»(٢).

وصحَّ عنه ﷺ: «لَا يَجتَمِعُ كافِرٌ وقاتِلُهُ فِي النارِ أَبَدًا»(٣).

وصحَّ عنه أنَّه: «لَا تَزالُ طائِفةٌ مِنْ أُمَّتِهِ يُقاتِلونَ عَلى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُم، وَلا مَنْ خالَفَهُمْ حَتَّى تَقومَ الساعَةُ»(٤).

٢١- فصل [في هديه ﷺ في الحرب]

وكان النبيُّ ﷺ يبايع أصحابَه في الحربِ على ألا يفرُّوا، وربما بايعهم على الموتِ، وبايعهم على الجهادِ كما بايعهم على الإسلامِ، وبايعهم على الهجرةِ قبل الفتحِ، وبايعهم على التَّوحيدِ، والتزامِ طاعة الله ورسولِه، وبايع نفرًا من أصحابِه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٩١).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

ألا يسألوا الناسَ شيئًا، وكان السوطُ يسقط من يد أحدِهم، فينزلُ عن دابَّتِه، فيأخذه، ولا يقول لأحدٍ: ناولني إياه.

وكان يشاورُ أصحابَه في أمر الجهاد، وأمرِ لقاء العدوِّ، وتخير المنازلِ.

وكان يتخلَّف في ساقتِهم في المسيرِ، فيُزجي الضعيفَ، ويُردف المنقطعَ، وكان أرفقَ الناس بهم في السير.

وكان ﷺ إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرِها، وكان ﷺ يقول: «**الحربُ خُدعةٌ**»(١).

وكان يبعثُ العيونَ يأتونَه بخبر عدوِّه، ويُطلِع الطلائعَ، ويبثُّ الحرسَ.

وكان إذا لقي عدوَّه، وقف ودعا، واستنصر الله، وأكثرَ هو وأصحابُه من ذكرِ الله، وخفَضوا أصواتَهم.

وكان يُرتِّبُ الجيشَ والمُقاتلةَ، ويجعل في كل جَنَبةٍ كُفئًا لها، وكان يبارَزُ بين يديه بأمرِه، وكان يلبسُ للحرب عُدَّته، وربما ظاهرَ بين دِرعينِ.

وكان له الألويةُ والرايات.

وكان إذا ظهر على قومٍ أقام بعرصتِهم ثلاثًا، ثم قفل.

وكان إذا أرادَ أن يُغِيرَ انتظر، فإن سمعَ في الحي مؤذِّنًا لم يُغِرْ، وإلا أغارَ.

وكان ربما بيَّتَ عدوَّه، وربما فاجأهم نهارًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩).

وكان ﷺ يُحبُّ الخروجَ يوم الخميس بُكرةَ النهار.

وكان العسكرُ إذا نزل انضم بعضُه إلى بعضٍ حتى لو بُسط عليهم كساءٌ لعمَّهم.

وكان يُرتِّب الصفوفَ ويُعبِّئهم عند القتالِ بيده، ويقول: «**تقدَّم يا فلانُ، تأخر يا فلان**».

وكان يستحبُّ للرجلِ منهم أن يقاتلَ تحت راية قومِه.

وكان إذا لقي العدوَّ يقول: «**اللهمَّ مُنزلَ الكتابِ، ومُجري السحابِ، وهازمَ الأحزاب، اهزمْهم، وانصرنا عليهم**»[(١)]، وربما قال: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٥ - ٤٦][(٢)].

وكان يقول: «**اللهمَّ أنزل نصرَك**»[(٣)]، وكان يقول: «**اللهمَّ أنت عضُدي، وأنت نَصيري، وبك أقاتلُ**»[(٤)].

وكان إذا اشتد البأسُ وحمِيَت الحربُ، وقصده العدوُّ، يُعلِم بنفسِه ويقول: «**أنا النبيُّ لا كذِب، أنا ابنُ عبدِ المطلب**»[(٥)].

وكان البأس إذا اشتد اتقَوا به ﷺ، وكان أقربَهم إلى العدوِّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٢)، ومسلم (١٧٤٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٩٥٣).
(٣) أخرجه أبو عوانه في المستخرج (٦٧٦٢).
(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤).
(٥) أخرجه البخاري (٤٣١٥ - ٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦).

وكان يجعلُ لأصحابِه شعارًا في الحربِ يُعرَفون به إذا تكلَّموا، وكان شعارهم مرة: «أَمِتْ أَمِتْ»، ومرة: «يا منصورُ»، ومرة: «حم لا يُنصرون».

وكان يلبس الدِّرعَ والخُوذةَ، ويتقلد السيفَ، ويحمل الرمحَ والقوسَ العربيةَ، وكان يَترَّس بالتُّرس، وكان يحب الخُيلاء في الحربِ.

وقاتل مرةً بالمنجنيق نصبَه على أهلِ الطائف.

وكان ينهى عن قتلِ النساء والوِلدانِ، وكان ينظر في المُقاتلةِ، فمن رآه أنبت قتلَه، ومن لم يُنبت استحياه.

وكان إذا بعثَ سريَّةً يوصيهم بتقوى الله، ويقول: «**سيروا بسم الله، وفي سبيلِ الله، قاتلوا من كفرَ بالله، ولا تُمثِّلوا، ولا تَغدروا، ولا تَقتلوا وليدًا**»[(١)].

وكان ينهى عن السفرِ بالقرآن إلى أرضِ العدوِّ.

وكان يأمرُ أمير سريتِه أن يدعوَ عدوَّه قبل القتالِ إما إلى الإسلامِ والهجرةِ، أو إلى الإسلامِ دون الهجرةِ -ويكونون كأعرابِ المسلمين، ليس لهم في الفَيء نصيبٌ- أو بذلِ الجزيةِ، فأيها أجابوا إليه قَبِل منهم، وإلا استعان بالله وقاتلهم.

وكان إذا ظفِر بعدوِّه أمر مناديًا، فجمع الغنائمَ كلَّها، فبدأ بالأسلابِ فأعطاها لأهلِها، ثم أخرج خُمُسَ الباقي، فوضعه حيث أراه الله وأمرَه به من مصالحِ الإسلام، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهمَ له من النساءِ والصِّبيان والعبيدِ، ثم قسَّم الباقي بالسويةِ بين الجيش: للفارسِ ثلاثةُ أسهمٍ: سهمٌ له، وسهمان لفرسِه، وللراجل سهمٌ، هذا هو الصحيحُ الثابتُ عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

وكان يُنفِّلُ مِن صُلبِ الغنيمة بحسب ما يراه من المَصلحةِ.

وكان يسوِّي بين الضعيفِ والقوي في القسمة ما عدا النَّفلِ[(١)].

وكان إذا أغار في أرضِ العدوِّ وبعث سريةً بين يديه فما غنِمت أخرج خُمُسَه، ونفَّلها ربُعَ الباقي، وقسَّم الباقي بينها وبين سائرِ الجيشِ.

وكان يُسهم لمن غاب عن الوقعةِ لمصلحةِ المسلمين، كما أسهمَ لعثمانَ سهمَه من بدرٍ.

وكانوا يَشترون معه في الغَزوِ ويبيعون، وهو يراهُم ولا ينهاهم.

وكانوا يَستأجرون الأجراءَ للغزوِ على نوعين:

أحدُهما: أن يَخرُجَ الرجلُ ويستأجرَ من يخدِمه في سفرِه.

والثاني: أن يستأجرَ من ماله من يخرجُ في الجهادِ، ويسمون ذلك الجعائلَ، وفيها قال النبيُّ ﷺ: «**للغازي أجرُه، وللجاعلِ أجره وأجرُ الغازي**»[(٢)].

وكانوا يتشاركونَ في الغنيمةِ على نوعين أيضًا:

أحدُهما: شركةُ الأبدان.

والثاني: أن يدفعَ الرجلُ بعيرَه إلى الرجلِ، أو فرسَه يغزو عليه على النصفِ مما يغنمُ.

وكان يبعثُ السريةَ فُرسانًا تارةً، ورجالةً أخرى، وكان لا يسهمُ لمن قدِم من المَددِ بعد الفتحِ.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٧/ ٤٢١ (٢٢٧٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٢٦).

٢٢- فصل [في هديه ﷺ في سهم ذي القربى]

وكان يُعطِي سهمَ ذي القُربى في بني هاشمٍ وبني المطلبِ، دونَ إخوتِهم من بني عبدِ شمس وبني نوفل، وقال: «**إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيءٌ واحدٌ** - وشبَّك بينَ أصابعِه، وقال:- **إنهم لم يُفارِقونا في جاهليةٍ ولا إسلامٍ**»[(١)].

٢٣- فصل [في الأكل من الغنيمة قبل القسمة]

وكان المسلمون يُصيبون معه في مغازيهم العسلَ والعِنبَ والطعامَ فيأكلونَه، ولا يرفعونه في المغانمِ.

٢٤- فصل [في نهيه ﷺ عن النهبة والمثلة]

وكان ينهى في مَغازيه عن النُّهبةِ والمُثلةِ، وقال: «**من انتهب نُهبةً فليس منا**»[(٢)]، وأمر بالقُدورِ التي طُبخت من النُّهبى فأكفِئت.

وكان ينهى أن يركبَ الرجلُ دابةً من الفيءِ حتى إذا أعجفَها ردَّها فيه، وأن يلبسَ ثوبًا من الفيء حتى إذا أخلقه ردَّه فيه، ولم يمنع من الانتفاعِ به حالَ الحربِ.

٢٥- فصل [في تشديده ﷺ في الغلول]

وكان يشدِّدُ في الغُلولِ جدًّا، ويقول: «**هو عارٌ ونار وشنارٌ على أهلِه يومَ القيامة**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٩١)، والترمذي (١٦٠١).

(٣) أخرجه النسائي (٣٦٨٨)، وابن ماجه (٢٨٥٠).

ولما أصيب غلامُه مِدعم قال بعضُ الصحابة: هنيئًا له الجنةُ، فقال: «**كلا، والذي نفسِي بيده، إن الشَّملةَ -التي أخذها يومَ خيبر من المغانمِ لم تصبها المقاسمُ- لتشتعلُ عليه نارًا**»، فجاء رجلٌ بشراكٍ أو شراكين لما سمعَ ذلك، فقال: «**شراكٌ أو شراكان من نارٍ**»[(١)].

وأمر بتحريق متاعِ الغالِّ وضربه.

٢٦- فصل في هديه ﷺ في الأُسارى

كان يمُنُّ على بعضِهم، ويقتل بعضَهم، ويُفادي بعضَهم بالمالِ، وبعضَهم بأسرى المسلمين، قد فعل ذلك كلَّه بحسب المصلحةِ.

ففادَى أسارى بدرٍ بمالٍ، وفدى رجلَينِ من المسلمين برجلٍ من عقيلٍ، ورد سبي هوازنَ عليهم بعد القسمةِ، واستطاب قلوبَ الغانمين، فطيَّبوا له، وعوَّض من لم يطيبْ من ذلك بكل إنسانٍ ستَّ فرائضَ، وقتل عُقبةَ بن أبي مُعَيْطٍ من الأسرى، وقتل النضرَ بن الحارث لشدَّةِ عداوتِها لله ورسوله، وذكر الإمامُ أحمدُ عن ابن عباسٍ قال: كان ناسٌ من الأسرى لم يكن لهم مالٌ، فجعل رسولُ الله ﷺ فداءهم أن يُعلِّموا أولادَ الأنصار الكتابةَ، وهذا يَدلُّ على جواز الفداء بالعملِ، كما يجوز بالمالِ.

وكان هديه أن من أسلم قبل الأسرِ لم يُسترقَّ، وكان يَسترقُّ سبيَ العربِ كما يَسترقُّ غيرهم من أهلِ الكتاب، وكان عند عائشةَ سَبيَّةٌ منهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥).

وكان ﷺ يمنعُ التفريقَ في السبي بين الوالدةِ وولدِها، ويقول: «**من فرَّق بين والدةٍ وولدِها، فرق الله بينَه وبين أحبَّته يومَ القيامة**»[(١)].

٢٧- فصل في هديه ﷺ فيمن جَسَّ عليه

ثبت عنه أنه قتل جاسوسًا من المشركين[(٢)].

وثبت عنه أنه لم يَقتلْ حاطبًا، وقد جسَّ عليه، واستأذنه عمرُ في قتلِه فقال: «**وما يُدريك! لعلَّ الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتُم فقد غفرتُ لكم**»[(٣)]، فاستدلَّ به مَن لا يرى قتلَ المسلمِ الجاسوسِ، واستدلَّ به مَن يرى قتله، قالوا: لأنه عُلِّل بعلةٍ مانعةٍ من القتلِ منتفيةٍ في غيره، ولو كان الإسلامُ مانعًا من قتلِه، لم يُعلل بأخصَّ منه، لأن الحكمَ إذا عُلِّل بالأعمِّ كان الأخصُّ عديمَ التأثير، وهذا أقوى. والله أعلم.

٢٨- فصل في هديه ﷺ في الأرضِ المغنومةِ

ثبت عنه أنه قسَمَ أرضَ بني قريظةَ وبني النضيرِ وخيبرَ بين الغانمين.

وأما المدينةُ ففُتحت بالقرآنِ، وأسلم عليها أهلُها، فأُقرَّت بحالِها.

وأما مكةُ ففتحها عُنوةً ولم يقسمها، فقالت طائفةٌ: لأنها دارُ النسك، فهي وقفٌ من الله على عبادِه المسلمين، وقالت طائفة: الإمامُ مُخيرٌ في الأرضِ بين

(١) أخرجه الترمذي (١٥٦٦).
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٥١).
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

قسمتها وبين وقفِها، والنبيُّ ﷺ قسمَ خيبرَ ولم يقسِّم مكةَ، فدلَّ على جوازِ الأمرين، قالوا: والأرضُ لا تدخل في الغنائمِ المأمور بقسمتها، ومما يَدلُّ على ذلك أن النبيَّ ﷺ قسم نصفَ أرضِ خيبرَ خاصةً، ولو كان حكمها حكمَ الغنيمة، لقسمها كُلَّها بعد الخمس.

٢٩- فصل [في وجوب الهجرة لمن قدر]

ومنع رسولُ الله ﷺ من إقامةِ المسلم بين المشركين إذا قدَرَ على الهجرةِ من بينهم، وقال: «**أنا بريءٌ من كُلِّ مسلمٍ يقيم بين أظهر المشركين**»، قيل: يا رسولَ الله، ولِمَ؟ قال: «**لا تراءى ناراهُما**»[(١)].

٣٠- فصل في هديه ﷺ في الأمانِ والصلحِ، ومعاملة رسلِ الكفارِ، وأخذِ الجزيةِ، ومعاملةِ أهلِ الكتاب والمنافقين، وإجارةِ من جاءه من الكفارِ حتى يَسمعَ كلامَ الله وردِّه إلى مأمنِه، ووفائِه بالعهدِ وبراءتِه من الغدرِ

ثبت عنه أنه قال: «**ذمَّةُ المسلمين واحدةٌ، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يقبلُ الله منه يومَ القيامة صرفًا ولا عدلًا**»[(٢)].

وثبت عنه أنه قال: «**من كان بينه وبين قومٍ عهدٌ فلا يَحُلَّنَّ عقدةً ولا يشُدَّها حتى يمضي أمدُه، أو ينبذَ إليهم على سواءٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٠٠)، ومسلم (١٣٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٥٩)، والترمذي (١٥٨٠).

وقال: «**لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة يُرفع له بقدرِ غدرته، يُقال: هذه غدرةُ فلانِ بنِ فلانٍ**»[(١)].

٣١- فصل [في أقسام كفار المدينة]

ولما قدم النبيُّ ﷺ المدينةَ صار الكفارُ معه ثلاثةَ أقسام:

قسمٌ: صالحَهم ووادَعهم على ألَّا يُحاربوه، ولا يُظاهِروا عليه، ولا يمالِئوا عليه عدوَّه، وهم على كفرِهم آمنون على دمائِهم وأموالِهم.

وقسمٌ: حاربوه ونصبوا له العداوة.

وقسمٌ: تاركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه، بل انتظروا ما يؤولُ إليه أمرُه.

فعامل كُلَّ طائفةٍ من هذه الطوائفِ بما أمره به ربُّه تبارك وتعالى.

فصالح يهودَ المدينة وكتَبَ بينهم وبينه كتابَ أمنٍ، وكانوا ثلاثَ طوائفَ حولَ المدينةِ: بني قَيْنُقاع، وبني النضِير، وقُرَيْظَةَ.

فحاربته بنو قَيْنُقاع بعدَ ذلك بعدَ بدرٍ، وشَرَقُوا بوقعةِ بدرٍ، وأظهروا البغيَ والحسدَ، فسارَتْ إليهم جنودُ الله يقدمُهم عبدُه ورسولُه يومَ السبتِ النصف من شوال على رأسِ عشرين شهرًا من مهاجره.

فحاصرَهم أشدَّ الحصارِ، وقَذَفَ الله في قلوبهم الرُّعبَ الذي إذا أراد خذلانَ قومٍ وهزيمتَهم أنزلَه عليهم وقذفَه في قلوبهم، فنَزلوا على حكمِ رسول الله

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥).

ﷺ في رقابِهم وأموالِهم ونسائِهم وذريتِهم، فأَمرَ بهم فكتفوا، فكلَّم عبدُ الله بن أبيٍّ فيهم رسولَ الله ﷺ وألحَّ عليه فوهبهم له، وأمرهم أن يَخرجوا من المدينةِ، ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أَذْرُعات الشامِ، فقلَّ أن لبثوا فيها حتى هلكَ أكثرُهم، وكانوا صاغةً وتجارًا، وكانوا نحو الست مئة مقاتل، وكانت دارُهم في طرفِ المدينةِ، وقبضَ منهم أموالَهم.

٣٢- فصل [في نقض بني النضير العهد]

ثم نقض العهدَ بنو النضيرِ، وكان ذلك بعد ستَّةِ أشهرٍ، وسببُ ذلك أنه ﷺ خَرجَ إليهم في نفرٍ من أصحابِه، وكلَّمهم أن يُعينوه في ديةِ الكلابيين اللذين قتلهما عمرُو بن أمية الضمْري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك، وخلا بعضُهم ببعض، وسوَّل لهم الشيطانُ الشقاءَ الذي كُتب عليهم، فتآمروا بقتله ﷺ، وقالوا: أيُّكم يأخذُ هذه الرحا ويصعدُ فيلقيها على رأسِه يشدخُه بها؟ وجاء الوحيُ على الفور إليه من ربِّه تبارك وتعالى بما همُّوا به، فنهض مسرعًا، وتوجه إلى المدينة، وبعثَ إليهم رسول الله ﷺ أن اخرُجوا من المدينةِ ولا تُساكِنوني بها، وقد أجلتُكم عشرًا، فمن وُجد بعدَ ذلك بها ضربتُ عنقَه.

فأقاموا أيامًا يتجهَّزون، وأَرسلَ إليهم المنافقُ عبدُ الله بن أبي: ألَّا تَخرجوا من ديارِكم، فإن معي ألفين يَدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم، وتنصركم قريظةُ وحلفاؤكم من غطفان، فطمع رئيسُهم حيي بن أخطب فيما قال له، وبَعثَ إلى رسولِ الله ﷺ يقول: إنَّا لا نخرجُ من ديارنا، فاصنَع ما بدا لك، فكبَّر رسول

الله ﷺ وكبر أصحابُه، ونهضوا إليه، فلما انتهى إليهم قاموا على حصونِهم يرمون بالنبلِ والحجارةِ، واعتزلَتْهم قريظةُ، وخانهم ابنُ أبيٍّ وحلفاؤُهم مِن غطفان.

فحاصَرَهم رسول الله ﷺ، وقطعَ نخلَهم وحرَّق، فأرسلوا إليه: نحن نخرجُ عن المدينةِ، فأنزلَهم على أن يَخرجوا عنها بنفوسِهم وذراريهم، وأن لهم ما حملَتِ الإبلُ إلا السلاحَ، وقبض النبي ﷺ الأموالَ والحلقةَ.

وكانت بنو النضير خالصةً لرسولِ الله ﷺ لنوائبِه ومصالحِ المسلمين، ولم يخمِّسها؛ لأن الله أفاءَها عليه، ولم يُوجف المسلمون عليها بخيلٍ ولا ركابٍ.

٣٣- فصل [في غزوة بني قريظة]

وأما قريظةُ فكانت أشدَّ اليهود عداوةً لرسولِ الله ﷺ، وأغلظَهم كفرًا؛ ولذلك جرى عليهم ما لم يَجرِ على إخوانِهم.

وكان سببُ غزوِهم أن رسولَ الله ﷺ لما خرجَ إلى غزوةِ الخندقِ والقومُ معه صُلْحٌ، جاء حيي بن أخطب إلى بني قريظة في ديارِهم، فقال: قد جئتُكم بعزِّ الدهر، جئتُكم بقريشٍ على سادتِها، وغطفان على قادتِها، وأنتم أهلُ الشوكةِ والسلاحِ، فهلُمَّ حتى نناجزَ محمدًا ونفرغ منه، فقال له رئيسُهم: بل جئتني والله بذلِّ الدهرِ، جئتني بسحابٍ قد أراق ماءَه، فهو يرعدُ ويبرقُ، فلم يزل حيي يُخادِعه ويمنِّيه ويَعِدُه حتى أجابه بشرطِ أن يدخلَ معه في حصنِه يُصيبه ما أصابَهم، ففعل، ونقضوا عهدَ رسول الله ﷺ، فبلغ رسولَ الله ﷺ الخبرُ، فأَرسلَ يستعلمُ الأمرَ، فوجدَهم قد نقضوا العهدَ، فكبَّر وقال: «**أبشِروا يا معشرَ المسلمين**».

فلما انصرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ لم يكن إلَّا أن وضعَ سلاحَه، فجاءه جبريلُ فقال: «أوضعتَ السلاحَ، إن الملائكةَ لم تضع أسلحتَها، فانهَض بمن معك إلى بني قريظةَ، فإني سائرٌ أمامَك أزلزلُ بهم حصونَهم، وأقذفُ في قلوبِهم الرعبَ، فسار جبريلُ عليه السلام في موكبِه من الملائكةِ، ورسولُ الله ﷺ على أثرِه في موكبِه من المهاجرين والأنصارِ، ونازل حصونَ بني قريظةَ، وحصرَهم خمسًا وعشرين ليلةً.

ثم إنهم نَزلوا على حكمِ رسول الله ﷺ فقامت إليه الأوسُ فقالوا: «يا رسولَ الله، قد فعلتَ في بني قَيْنُقاع ما قد علمتَ وهم حلفاءُ إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا، فأحسِن فيهم، فقال: «**ألا تَرضون أن يحكمَ فيهم رجلٌ منكم**»؟ قالوا: بلى، قال: «**فذاك إلى سعد بن معاذ**»، قالوا: قد رضينا، فأرسلَ إلى سعدِ بن معاذ، وكان في المدينةِ لم يَخرج معهم لجرحٍ كان به، فأُركب حمارًا، وجاء إلى رسولِ الله ﷺ.

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال للصحابةِ: «**قوموا إلى سيدكم**»، فلما أنزلوه قالوا: يا سعد، إن هؤلاء القوم قد نزلوا على حكمِك، قال: وحكمي نافذٌ عليهم؟ قالوا: نعم، قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: على مَن هاهنا وأعرض بوجهِه وأشار إلى ناحيةِ رسولِ الله ﷺ إجلالًا له وتعظيمًا؟ فقال: «**نعم، وعليَّ**»، فقال: فإني أحكمُ فيهم أن يُقتلَ الرجالُ، وتُسبى الذريةَ، وتُقسم الأموالُ، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمتَ فيهم بحكمِ الله مِن فوق سبعِ سماوات**».

فهذا حكمُه في يهود المدينةِ، وكانت غزوةُ كلِّ طائفةٍ منهم عقبَ كلِّ غزوةٍ من الغزواتِ الكبارِ، فغزوةُ بني قَيْنُقاع عقبَ بدر، وغزوةُ بني النضيرِ عقبَ أحدٍ،

وغزوةُ بني قريظةَ عقبَ الخندقِ. وأما يهود خيبر فسيأتي ذكرُ قصتِهم إن شاء الله تعالى.

٣٤- فصل [في هديه ﷺ إذا صالح قوما فنقض بعضُهم عهدَه]

وكان هديُه ﷺ أنه إذا صالح قومًا فنقض بعضُهم عهدَه وصلحه، وأقرهم الباقون ورضوا به، غزا الجميعَ، وجعلهم كُلَّهم ناقضين، كما فعل بقريظةَ والنضيرِ وبني قَينُقاعَ، وكما فعل بأهلِ مكةَ، فهذه سُنَّتُه في أهل العهدِ، وعلى هذا ينبغي أن يجريَ الحكم في أهلِ الذمَّةِ.

٣٥- فصل [في هديه ﷺ فيمن حارب من دخلَ معه في عقدِه من الكفارِ]

وكان هديُه وسنتُه إذا صالح قومًا وعاهدهم، فانضاف إليهم عدوٌّ له سواهم، فدخلوا معهم في عقدِهم، وانضاف إليه قومٌ آخرون، فدخلوا معه في عقدِه، صار حكمُ من حارب من دخلَ معه في عقدِه من الكفارِ حُكمَ من حاربه، وبهذا السبب غزا أهلَ مكةَ.

٣٦- فصل [في هديه ﷺ في معاملة الرسل والوفاء بعهد أصحابه]

وكانت تَقدُم عليه رسلُ أعدائه، وهم على عداوته، فلا يُهيِّجُهم ولا يقتلُهم.

وكان هديُه أيضا ألا يَحبسَ الرسولَ عنده إذا اختار دينَه، فلا يمنعه من اللحاقِ بقومِه، بل يردُّه إليهم كما فعل مع أبي رافعٍ.

وكان من هديه أن أعداءه إذا عاهدوا واحدًا من أصحابِه على عهد لا يَضرُّ بالمسلمين من غير رضاه، أمضاهُ لهم، كما عاهدوا حُذيفةَ وأباه الحُسَيل ألا يقاتلاهم معه ﷺ، فأمضى لهم ذلك وقال لهما: «**انصرفا، نفِي لهم بعهدِهم، ونستعينُ الله عليهم**»[1].

٣٧- فصل [في هديه ﷺ في عقدِ الذمَّةِ وأهلِ الجزيةِ]

وأما هديُه في عقدِ الذمَّةِ وأهلِ الجزيةِ فإنه لم يأخذ من أحدٍ من الكفارِ جزيةً إلا بعد نزولِ (براءة) في السنةِ الثامنةِ، فلما نزلت آيةُ الجزية أخذها ﷺ مِن ثلاثِ طوائفَ: من المجوسِ، واليهودِ، والنصارى، ولم يأخذها من عباد الأصنام. فقيل: لا يجوزُ أخذُها من كافرٍ غيرِ هؤلاء، وقيل: بل تُؤخذُ مِن أهلِ الكتابِ وغيرِهم كعبدة الأصنامِ من عجمٍ دون العربِ.

وأصحابُ القولِ الثاني يقولون: إنما لم يأخُذها من مشركي العربِ؛ لأنها إنما نَزلَ فرضُها بعدَ أن أسلمت دارةُ العربِ ولم يبقَ فيها مشركٌ، فإنها نزلَتْ بعدَ فتح مكةَ ودخولِ العربِ في دين الله أفواجًا. ومن تأمَّل السيرَة وأيامَ الإسلام عَلِمَ أن الأمرَ كذلك، وعلى ذلك تدلُّ سنةُ رسولِ الله ﷺ، كما ثبت عنه في «صحيح مسلم» أنه قال: «**إذا لقيتَ عدوَّك من المشركين، فادعُهم إلى إحدى خِلالٍ ثلاث، فأيَّتَهن أجابوك إليها، فاقْبَلْ منهم، وكُفَّ عنهم**»، ثم أمره أن يدعوهم إلى الإسلام، أو الجزيةَ، أو يقاتلَهم[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١).

٣٨- فصل في ترتيبِ سياق هديِه ﷺ مع الكفارِ والمنافقين من حين بُعث إلى حينِ لقي الله عَزَّوَجَلَّ

أول ما أَوحى إليه ربُّه تبارك وتعالى: أن يقرأَ باسم ربِّه الذي خلق، وذلك أوَّلُ نبوتِه، فأمَرَه أن يقرأَ في نفسِه، ولم يأمُرْه إذ ذاك بتبليغٍ، ثم أنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢]، فنبَّأه بقولِه: ﴿ٱقْرَأْ﴾، وأرسله بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١].

ثم أمره أن يُنذرَ عشيرتَه الأقربين، ثم أنذرَ من حولَهم من العربِ، ثم أنذرَ العربَ قاطبةً، ثم أنذرَ العالمين فأقامَ بضعَ عشرةَ سنةً بعد نبوَّتِه ينذر بِغيرِ قتالٍ ولا جزيةٍ ويأمرُ بالكفِّ بالصبرِ والصفحِ.

ثم أَذنَ له في الهجرةِ، وأَذن له في القتالِ، ثم أمره أن يُقاتلَ من قاتله، ثم أمره بقتالِ المشركين حتى يكونَ الدينُ كُلُّه لله.

ثم كان الكفارُ معه بعد الأمرِ بالجهادِ ثلاثةَ أقسامٍ: أهلُ صلحٍ، وأهلُ حربٍ، وأهلُ ذمَّةٍ، فأُمر بأن يُتمَّ لأهل العهد عهدَهم ما استقاموا، فإن خاف منهم خيانةً نَبذَ إليهم عهدَهم، ولم يقاتِلهم حتى يُعلمَهم بنبذِ العهدِ، وأُمر أن يُقاتلَ من نقض عهدَه.

ثم آلت حالُ أهلِ العهد والصلحِ إلى الإسلامِ، فصاروا معه قسمين: مُحاربين، وأهلِ ذمَّة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهلُ الأرضِ معه ثلاثةَ أقسامٍ: مسلمٌ مؤمن به، ومسالمٌ له آمن، وخائفٌ محاربٌ.

وأما سيرتُه في المنافقين، فإنه أُمر أن يَقبلَ منهم علانيتَهم، وأن يجاهدَهم بالعلم والحُجَّةِ، وأُمر أن يُعرِضَ عنهم، ويُغلِظَ عليهم، وأن يبلغ بالقولِ البليغ إلى نفوسِهم، ونُهي أن يصلي عليهم، وأن يقومَ على قبورِهم، وأُخبرَ أنه إن استغفرَ لهم أو لم يستغفر لهم فلن يَغفر الله لهم.

وأما سيرتُه مع أوليائه وحزبِه فأُمر أن يصبرَ نفسَه مع الذين يدعون ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ يريدون وجهَه، وألا تعدُوَ عيناه عنهم، وأُمر أن يعفُوَ عنهم، ويستغفرَ لهم، ويشاورَهم في الأمرِ، وأن يصلِّيَ عليهم.

وأُمر بهجرِ من عصاه وتخلَّفَ عنه حتى يتوبَ.

وأُمر أن يُقيمَ الحدودَ على من أتى مُوجباتِها منهم، وأن يكونوا في ذلك عنده سواءً شريفُهم ودنيهم.

وأُمر في دفع عدوِّه من شياطين الإنسِ، بأن يدفعَ بالتي هي أحسنُ، وأُمر في دفع عدوِّه من شياطين الجنِّ بالاستعاذة بالله منهم.

[عاشرًا: كتاب] في سِياقِ مَغازيهِ وبُعوثِه على وَجْه الاختِصارِ

١- [فصل في أول لواء حمزة]

وكان أوَّل لِواء عقَدَه رسولُ الله ﷺ لحمزةَ بنِ عبد المُطَّلب في شهرِ رمضانَ، على رأسِ سبعةِ أشهُرٍ من مُهاجَرِه، وكان لواءً أبيضَ، وكان حامِلُه أبا مَرثَد كنازَ بنَ الحُصَيْن الغَنَويَّ حليفَ حَمزةَ، وبعثَه في ثلاثينَ رجُلًا منَ المُهاجِرين خاصةً، يَعترِض عِيرًا لقُريشٍ جاءت منَ الشامِ، وفيها أبو جَهْل بنُ هِشامٍ في ثلاثِمئة رجُل، فبلَغوا سِيف البحرِ من ناحية العيصِ، فالْتَقَوْا واصطَفُّوا للقِتال، فمشَى مَجديُّ بن عَمرٍو الجُهنيُّ، وكان حليفًا للفَريقين جميعًا، بين هؤلاءِ وهؤلاءِ، حتَّى حجَز بينهم ولم يَقتتِلوا.

٢- فصل [في غزوة الأبواء]

ثُم غَزا بنَفسِه غَزوةَ الأبواءِ، ويُقال لها: ودَّان، وهي أوَّل غَزوةٍ غَزاها بنَفْسه، وكانت في صَفَر على رأسِ اثنَيْ عشرَ شهرًا من مُهاجَره، وحمَل لِواءَه حمزةُ بنُ عبد المطلِبِ، وكان أبيضَ، واستَخلَف على المدينةِ سعدَ بنَ عُبادةَ، وخرَج في المُهاجِرين خاصةً يَعترِض عيرًا لقُرَيْش، فلم يَلقَ كيدًا.

٣- فصل [في غزوة العشيرة]

ثُم خرجَ رسولُ الله ﷺ في جُمادَى الآخِرةِ على رأسِ ستَّةَ عشرَ شهرًا، وحمَل لِواءَه حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ، وكان أبيضَ، واستَخلَف على المدينةِ أبا سلَمةَ بن عبدِ

الأسَدِ المَخزوميَّ، وخرجَ في خمسين ومِئةٍ، ويُقال: في مِئتين منَ المُهاجِرين، ولم يُكرِهْ أحدًا على الخُروجِ، وخرَجوا على ثلاثين بَعيرًا يَعتَقِبونها، يَعتَرِضون عيرًا لقُريشٍ ذاهِبةً إلى الشامِ، وقد كان جاءَه الخبرُ بفُصولها من مكَّةَ فيها أموالٌ لقُريشٍ، فبلغَ ذا العُشيرةِ، وهي بناحيةِ يَنبُعَ، وبين يَنبُعَ والمدينةِ تِسعةُ بُرُد، فوجَد العِيرَ قد فاتَتْه بأيَّامٍ، وهذه هي العِيرُ الَّتي خرَج في طلَبها حين رجَعَت من الشامِ، وهي الَّتي وعَدَه اللهُ إيَّاها، أو المُقاتَلة، وذات الشَّوْكة، ووفَّى له بوعدِهِ.

٤ - فصل [في سرية عبد الله بن جحش]

ثُم بعثَ عبدَ الله بنَ جَحْش الأسديَّ إلى نَخلةَ في رجَبٍ، على رأسِ سبعةَ عشرَ شهرًا من الهِجرةِ، في اثنَيْ عشرَ رجلًا من المُهاجِرين، كلُّ اثنَيْن يَعتَقِبان على بَعيرٍ، فوصَلوا إلى بطنِ نخلةَ يَرصُدون عيرًا لقُريشٍ، فمرَّتْ به عيرٌ لقُريشٍ تَحمِل زَبيبًا وأدمًا وتِجارة فيها عمرُو بنُ الحَضرميِّ، وعُثمانُ ونوفلٌ: ابنا عبد الله بنِ المُغيرةِ، والحكَمُ بنُ كيسانَ مَولَى بني المُغيرةِ، فتَشاوَر المُسلِمون، وقالوا: نحنُ في آخر يومٍ من رجَبٍ الشهرِ الحرامِ، فإن قاتَلْناهم انتَهَكْنا الشهرَ الحرامَ، وإن ترَكْناهم الليلةَ دخَلوا الحرَمَ، ثُم أَجمَعوا على مُلاقاتِهم، فرمَى أحَدُهم عمرَو بنَ الحَضرميَّ فقتَلَه، وأَسَروا عُثمانَ والحَكَمَ، وأَفلَتَ نَوفلٌ، ثُم قدِموا بالعِيرِ والأَسيرَيْن، وقد عزَلوا من ذلِك الخُمُسَ، وهو كان أوَّل خُمُس كان في الإسلامِ، وأوَّل قَتيل في الإِسلام، وأوَّل أَسيرَيْن في الإسلامِ، وأَنكَر رَسولُ الله ﷺ عليهم ما فعَلُوه.

واشتَدَّ تَعنُّتُ قريشٍ وإنكارُهم ذلك، وزعَموا أنهم قد وجَدوا مَقالًا، فقالوا: قد أحَلَّ مُحمَّدٌ الشهرَ الحرامَ، واشتَدَّ على المُسلِمين ذلك، حتى أَنزَل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، والمقصود: أن الله سبحانه حكَمَ بينَ أوليائِه وأعدائِه بالعدلِ والإنصافِ، ولم يبرِّئ أولياءَه من ارتكابِ الإثمِ بالقتالِ في الشهر الحرام، بل أَخبرَ أنه كبيرٌ، وأنَّ ما عليه أعداؤه المشركون أكبرُ وأعظم مِن مجرد القتالِ في الشهر الحرام، فهم أحقُّ بالذمِّ والعيبِ والعقوبةِ، لاسيما وأولياؤه كانوا متأوِّلين في قتالِهم ذلك، أو مقصِّرين نوعَ تقصيرٍ يغفِرُه الله لهم في جنبِ ما فعلوه من التوحيدِ والطاعاتِ والهجرةِ مع رسولهِ وإيثارِ ما عندَ الله.

٥- فصل [في تحويل القبلة]

ولما كان في شعبانَ مِن هذه السنةِ حُوِّلت القبلةُ، وقد تقدَّم ذكرُ ذلك.

٦- فصل في غَزوةِ بَدْرٍ الكُبرَى

فلمَّا كانَ في رمضانَ من هذه السنةِ بلغَ رسولَ الله ﷺ خبرُ العيرِ المُقبلةِ منَ الشامِ لقريشٍ صحبةَ أبي سُفيانَ، وهي العيرُ التي خرَجوا في طلَبها لمَّا خرَجت من مكةَ، وكانوا نحوَ أربَعين رجلًا، وفيها أموالٌ عظيمةٌ لقريشٍ، فندَب رَسولُ الله ﷺ الناسَ للخروجِ إليها، وأمَرَ مَن كان ظهرُه حاضرًا بالنُّهوض، ولم يَحتفِل لها احتِفالًا بليغًا؛ لأنه خرَج مُسرعًا في ثلاثِمِئةٍ وبضعةَ عشرَ رجلًا، ولم يكُن معهم منَ

الخيلِ إلَّا فرَسانِ: فرَس للزُّبيرِ بنِ العوَّامِ، وفرَس للمِقدادِ بنِ الأسودِ الكِنديِّ، وكان معهم سَبعون بَعيرًا يَعتقِب الرجُلانِ والثلاثةُ على البعيرِ الواحدِ، فكان رسولُ الله ﷺ وعليٌّ ومَرثَدُ بن أبي مَرثَدٍ الغنويُّ يَعتَقِبون بعيرًا.

واستَخلَف على المدينةِ وعلى الصلاةِ ابنَ أُمِّ مَكتومٍ، فلمَّا كان بالرَّوْحاءِ ردَّ أبا لُبابَةَ بن عبدِ المُنذرِ، واستعمَله على المَدينةِ، ودفعَ اللِّواءَ إلى مُصعَبِ بنِ عُميرٍ.

وأمَّا أبو سفيانَ، فإنه بلَغه مَخرَجُ رسولِ الله ﷺ وقَصْدُه إيَّاه فاستأجرَ ضَمضمَ بنَ عَمرٍو الغِفاريَّ إلى مكةَ مُستصرِخًا لقُريش بالنَّفيرِ إلى عِيرهم؛ ليَمنَعوه من مُحمدٍ وأَصحابِه، وبلَغ الصريخُ أهلَ مكةَ، فنهَضوا مُسرِعين وأَوعَبوا في الخُروجِ، ولم يَتَخلَّف من أَشرافِهم أحَدٌ سِوى أبي لَهَب، فإنه عوَّض عنه رجُلًا كان له عليه دَيْن، وحشَدوا فيمَن حولَهم من قبائِل العرَب، ولم يَتخلَّف عنهم أحَدٌ من بُطون قُريشٍ إلَّا بَني عَديٍّ، فلم يَخرُج معهم مِنهم أحدٌ، وخرَجوا من دِيارهم كما قال الله تعالى: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

ولمَّا بلَغ رَسولَ الله ﷺ خروجُ قُريشٍ استَشارَ أصحابَه، فتكلَّم المُهاجِرون فأَحسَنوا، ثُم استَشارَهم ثانِيًا، فتكلَّم المُهاجِرون فأَحسَنوا، ثُم استَشارَ ثالِثًا، ففهِمَتِ الأنصارُ أنه يَعنِيهم، فبادَرَ سعدُ بنُ مُعاذٍ، فقال: يا رَسولِ الله، كأنَّك تُعرِّض بِنا؟ وكان إنما يَعنِيهم لأنَّهم بايَعوه على أن يَمنَعوه من الأسودِ والأحمرِ في دِيارِهم، فلمَّا عزَم على الخروجِ استَشارَهم ليَعلَم ما عِندَهم، فقال له سعدٌ: لعلَّكَ تَخشَى أن تَكون الأنصارُ تَرَى حقًّا عليها ألَّا يَنصُروك إلَّا في دِيارِها، وإني أَقول عنِ الأَنصارِ وأُجيبُ عنهم: فاظْعَنْ حيثُ شِئْتَ، وصِلْ حبلَ مَن شِئتَ، واقطَعْ حَبْلَ مَن شِئتَ، وخُذْ من أموالنا ما شِئْتَ، وأَعطِنا ما شِئتَ، وما أخَذْتَ مِنَّا كان

أحبَّ إلينا مِمَّا تركْت، وما أَمَرْتَ فيه من أَمْر فأمرُنا تَبَعٌ لأمرِكَ، فوالله لئِنْ سِرْت حتى تَبلغَ البركَ من غِمدان لنَسيرَنَّ معكَ، ووالله لئِنِ استَعرَضْتَ بناَ هذا البحرَ خُضناهُ معكَ؛ فأَشرَق وجهُ رسولِ الله ﷺ، وسُرَّ بما سمِعَ من أصحابِه، وقال: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطائِفَتَيْنِ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَصارِعَ القَوْمِ**».

فسار رسولُ الله ﷺ إلى بدرٍ، وخفض أبو سفيانَ فلحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا وأحرز العيرَ كتبَ إلى قريش: أن ارجعوا، فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيرَكم، فأتاهم الخبرُ وهم بالجحفة فهمُّوا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجعُ حتى نقدمَ بدرًا، فنقيمُ بها، ونطعمُ مَن حضرنا مِن العربِ، وتخافنا العربُ بعد ذلك، فأشار الأخنسُ بنُ شريق عليهم بالرجوع، فعصَوه، فرجع هو وبنو زهرةَ، فلم يشهد بدرًا زهريٌّ، فاغتبطت بنو زهرةَ بعدُ برأي الأخنسِ، فلم يزل فيهم مطاعًا معظَّمًا، وأرادت بنو هاشم الرجوعَ، فاشتدَّ عليهم أبو جهل، وقال: لا تُفارِقنا هذه العصابةُ حتى نرجع وساروا.

وسار رسولُ الله ﷺ حتى نزل عشيًّا أدنى ماءٍ من مياهِ بدرٍ، فقال: «**أَشيروا عليَّ في المنزلِ**»، فقال الحبابُ بنُ المنذر: يا رسول الله، أنا عالمٌ بها وبقُلُبِها، إن رأيتَ أن نسير إلى قُلُبٍ قد عرفناها فهي كثيرةُ الماء عذبةٌ، فننزلُ عليها ونسبقُ القومَ إليها ونغوِّر ما سواها من المياه.

فسبَقَ رَسولُ الله ﷺ والمسلمون إلى الماءِ، فنزَلوا عليه شَطْرَ الليلِ، وصنَعوا الحِياضَ، ثُم غوَّروا ما عَداها من المياهِ، ونزَلَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه على

الحِياض، وبُنِيَ لرسولِ الله ﷺ عريشٌ يَكون فيها على تَلٍّ يُشرِف على المَعرَكةِ، ومشَى في موضِعِ المَعركةِ، وجعَل يُشيرُ بيدِه: «**هذا مَصرَعُ فُلانٍ، وهَذا مَصرَعُ فُلانٍ، وهَذا مَصرَعُ فُلانٍ إن شاءَ اللهُ**»، فما تَعدَّى أحَدٌ مِنهم مَوضِعَ إشارتِه(١).

فلمَّا طلَع المُشرِكون، وتَراءَى الجَمعانِ، قال رَسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَني، اللَّهُمَّ إنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ ووَعْدَكَ**»، فالتَزَمه الصِّدِّيقُ من وَرائِه، وقال: يا رَسولَ الله، أَبشِرْ فوالَّذي نَفْسي بيَدِه، ليُنجِزَنَّ اللهُ لكَ ما وعَدَكَ(٢).

واستَنصَر المُسلمون اللهَ، واستَغاثوه، وأَخلَصوا له، وتَضرَّعوا إليه، فأَوحَى الله إلى مَلائِكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]، وأَوْحَى إلى رَسولِه: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

فصل

وباتَ رَسولُ الله ﷺ يُصلِّي إلى جِذْعِ شجَرةٍ هُناكَ، وكانت ليلةَ الجُمعةِ السابعَ عشرَ من رمَضانَ في السنةِ الثانيةِ، فلمَّا أَصبَحوا أَقبَلت قُريشٌ في كَتائِبها، واصطَفَّ الفَريقانِ، فمشَى حَكيمُ بن حِزامٍ وعُتبةُ بن رَبيعةَ في قُرَيْش أن يَرجِعوا ولا يُقاتِلوا، فأَبَى ذلك أبو جَهْل، وجرَى بينه وبين عُتبةَ كلامٌ أَحفَظَه(٣)، وأَمَر أبو جَهْل أخا عَمرو بنِ الحَضرميِّ أن يَطلُبَ دمَ أخيه عَمرٍو، فكشَف عنِ اسْتِهِ،

(١) أخرجه بنحوه مسلم (١٧٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٥)، ومسلم (١٧٦٣).
(٣) (أَحْفَظَهُ): أغضبه.

وصرَخ: واعَمْراهُ، فحَمِيَ القومُ، ونشَبَت الحربُ، وعدَّلَ رَسولُ الله ﷺ الصفوفَ، ثُم رجَعَ إلى العَريش هو وأبو بَكْر خاصَّةً، وقام سَعدُ بن معاذٍ وقومٍ من الأنصارِ على باب العَريشِ يَحْمون رسولَ الله ﷺ.

وخرَج عُتبةُ وشَيبةُ ابنا رَبيعةَ، والوليدُ بنُ عُتبةَ، يَطلُبون المُبارَزةَ، فخرَج إليهم ثلاثةٌ من الأَنصارِ: عبدُ الله بنُ رواحةَ، وعوفٌ ومعوِّذٌ ابنا عَفراءَ، فقالوا لهم: مَن أَنتُم؟ فقالوا: منَ الأَنصارِ. قالوا: أَكْفاءٌ كِرامٌ، وإنما نُريد بَني عَمِّنا. فبرَزَ إليهم عليٌّ وعُبيدةُ بن الحارِث وحمزةُ، فقتَل عليٌّ قِرنَه الوليدَ، وقتَلَ حمزةُ قِرنَه عُتبةَ، وقيل: شَيبةَ. واختلَف عُبيدةُ وقرنُه ضَرْبتَيْن، فكَرَّ حمزةُ وعليٌّ على قِرنِ عُبيدةَ، فقتَلاه واحتَمَلا عبيدةَ وقد قُطِعَت رِجْله، فلم يَزَلْ ضَمِنًا[(١)] حتى مات بالصَّفراءِ.

فصل

ولَمَّا رأَى المُنافِقون ومَن في قلبِه مرَضٌ قِلَّةَ حزبِ الله وكثرةَ أعدائِه، ظنُّوا أن الغلَبَةَ إنما هي بالكَثرةِ، فقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٩]، فأَخبَرَ سبحانَه أن النصرَ بالتوكُّلِ عليه لا بالكَثْرة، ولا بالعدَدِ، واللهُ عزيزٌ لا يُغالَب.

ولَمَّا دَنا العدوُّ وتواجَه القومُ قامَ رسولُ الله ﷺ في الناسِ، فوعَظَهم، وذكَّرَهم بما لهُم في الصبرِ والثباتِ من النَّصْرِ والظفرِ العاجِلِ، وثوابِ الله عليه الآجلِ.

---

(١) (الضَّمِن): المريض.

وأخَذَ رسولُ الله ﷺ مِلءَ كفِّه من الحَصباءِ، فرمَى بها وُجوهَ العدوِّ، فلم تَترُك رجُلًا منهم إلَّا ملأَت عَيْنيهِ، وشُغِلوا بالتُّرابِ في أَعينِهم، وشُغِلَ المُسلِمون بقَتْلهم، فأَنزَل اللهُ في شأنِ هذه الرميةِ على رَسولِه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

ولَمَّا برَدَت الحربُ وولَّى القومُ مُنهزِمين، قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ يَنْظُرُ لَنا ما صَنَعَ أَبو جَهْلٍ؟**» فانطلَقَ ابنُ مَسعود، فوجَدَه قد ضرَبَه ابنا عَفراءَ حتى برَدَ[١]، وأخَذَ بلِحيتِه، فقال: أنت أبو جَهْل؟ فقال: لِمَنِ الدائِرةُ اليومَ؟ فقال: لله ولرَسولِه، وهل أَخزاكَ الله يا عَدوَّ الله؟ فقال: وهل فوقَ رجُلٍ قتَلَه قومُه؟ فقتَلَه عبدُ الله، ثُم أَتى النبيَّ ﷺ فقال: قتَلْتُه: فقال: «**اللهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**» فردَّدها ثلاثًا، ثُم قال: «**الله أكبرُ، الحمدُ لله الذي صدَقَ وعدَه، ونصَرَ عبدَه، وهزَمَ الأحزابَ وحدَه، انطلِقْ فأَرنِيه**»، فانطلَقْنا فأَرَيْتُه إيَّاه فقال: «**هَذا فِرعونُ هَذِه الأُمَّة**»[٢].

ولَمَّا انقضَت الحربُ أقبَلَ رَسولُ الله ﷺ حتَّى وقَفَ على القَتْلى، ثُم أمرَ بهم فسُحِبوا إلى قَليبٍ من قُلُب بَدْر، فطُرِحوا فيه، ثُم وقَفَ عليهم، فقال: «**يا عُتبةُ بنَ رَبيعةَ، ويا شَيبةُ بنَ رَبيعةَ، ويا فُلانُ، ويا فُلانُ، هَلْ وجَدْتُم ما وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا، فَإِنِّي وجَدْتُ ما وَعَدَني رَبِّي حَقًّا**»، فقال عمرُ بنُ الخطَّاب: يا رَسولَ الله، ما تُخاطِب من أَقوامٍ قد جَيَّفوا؟ فقال: «**والَّذي نفسي بيدِه، ما أَنتُمْ بأَسمعَ لِمَا أَقولُ مِنهم،**

---

(١) أي: أوشك على الموت.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٦٢)، ومسلم (١٨٠٠)، وأحمد ٧/ ٢٧٩ (٤٢٤٧).

ولكِنَّهم لا يَستَطيعون الجوابَ»[١]، ثُم أَقام رسولُ الله ﷺ بالعَرَصةِ[٢] ثلاثًا، وكان إذا ظهَر على قوم أقامَ بعرَصَتهم ثلاثًا.

ثُم ارتَحَل مُؤيَّدًا منصورًا، قريرَ العينِ بنَصْر الله له، ومعه الأُسارَى والمَغانمُ، فلَمَّا كان بالصفراءِ، قسَمَ الغَنائِمَ وضرَب عُنُقَ النضرِ بنِ الحارِث بن كَلَدَةَ، ثُم لَمَّا نزَل بعرقِ الظَّبيةِ، ضرَب عُنُق عُقبةَ بنِ أبي مُعَيْط.

ودخَل رسول الله ﷺ المَدينةَ مُؤيَّدًا مُظفَّرًا مَنصورًا قد خافَه كلُّ عَدوٍّ له بالمدينة وحولَها، فأسلَمَ بشَرٌ كثير من أهلِ المَدينةِ، وحينَئِذٍ دخلَ عبدُ الله بن أُبَيٍّ المُنافقُ وأصحابُه في الإسلامِ ظاهِرًا.

وجملةُ مَن حضرَ بدرًا مِن المسلمين ثلاثُ مئةٍ وبضعة عشر رجلًا، مِن المهاجرين ستةٌ وثمانون، ومن الأوسِ أحد وستون، ومن الخزرجِ مئة وسبعون، واستُشهِد من المُسلِمين يومئذٍ أربعةَ عشرَ رجُلًا: سِتَّة من المُهاجِرين، وسِتَّة من الخَزرَج، واثنانِ من الأوسِ، وفرَغ رسولُ الله ﷺ من شَأْن بَدْر والأُسارَى في شَوَّالٍ.

فصل

ولَمَّا رجعَ فلُّ[٣] المُشرِكين إلى مكةَ مَوْتورين مَحزونين نذَر أبو سُفيانَ أَلَّا يُمِسَّ رأسَه ماءً حتى يَغزوَ رسولَ الله ﷺ، فخرَج في مِئتي راكِبٍ، حتى أَتَى

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٠)، ومسلم (٢٨٧٣).

(٢) (العَرَصة): كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٣) (الفَلّ): المنهزم.

العريضَ في طرفِ المدينةِ، وباتَ ليلةً واحدةً عندَ سلامِ بنِ مِشكَمٍ اليَهوديِّ، فسقاهُ الخمرَ، وبطنَ له من خبَرِ الناسِ، فلما أَصبحَ قطَع أَصوارًا من النخلِ، وقتلَ رجلًا من الأنصارِ وحليفًا له، ثمَّ كرَّ راجعًا، ونذرَ به رسولُ الله ﷺ، فخرَج في طلبِه، فبلغَ قرقرةَ الكدرِ، وفاتَه أبو سُفيانَ، وطرحَ الكُفَّارُ سويقًا كثيرًا من أزوادِهم يَتَخفَّفون به، فأخذَها المُسلمون، فسُمِّيَت غزوةَ السَّويقِ، وكان ذلك بعد بَدْرٍ بشَهْرين.

فصل

ثُم غزا بني قَينُقاعٍ، وكانوا من يَهود المدينةِ، فنَقَضوا عهدَه، فحاصَرَهم خمسَ عشرَة ليلةً حتَّى نزَلوا على حُكْمه، فشفَع فيهم عبدُ الله بنُ أبَيٍّ، وألحَّ عليه فأَطلَقَهم له، وهم قومُ عبدِ الله بنِ سلَامٍ، وكانوا سبعَمِئةِ مقاتِلٍ، وكانوا صاغةً وتُجَّارًا.

٧- فصل في غزوةِ أُحُدٍ

ولَمَّا قتَلَ الله أشرافَ قُريشٍ ببدرٍ، وأُصيبوا بمُصيبةٍ لم يُصابوا بمِثْلها، ورَأَسَ فيهم أبو سُفيانَ بنُ حربٍ لذَهابِ أكابِرِهم، وجاء كما ذَكرنا إلى أطرافِ المدينةِ في غزوةِ السويقِ ولم يَنل ما في نفسِه؛ أَخَذَ يُؤلِّب على رَسولَ الله ﷺ وعلى المُسلمين، ويَجمَع الجموعَ، فجمع قريبًا من ثلاثةِ آلافٍ من قريشٍ والحلفاءِ والأحابيشِ، وجاؤُوا بنِسائِهم لئَلَّا يَفرُّوا، وليُحاموا عنهن، ثُم أقبلَ بهم نحوَ المدينةِ، وذلك في شوالٍ من السنةِ الثالثةِ.

واستشار رسولُ الله ﷺ أصحابَه: أيخرجُ إليهم أم يمكثُ في المدينة؟ وكان رأيُه ألَّا يخرجوا من المدينةِ، وأن يتحصَّنوا بها، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواهِ الأزقةِ، والنساءُ من فوق البيوتِ، فبادَرَ جماعةٌ من فُضلاءِ الصحابةِ مِمَّن فاتَه الخروجُ يومَ بدرٍ، وأَشاروا عليه بالخروجِ، وأَلَحُّوا عليه في ذلك، فنهضَ ودخل بيتَه ولبسَ لأمتَه، وخرج عليهم وقد انثنى عزمُ أولئك، وقالوا: أكرَهْنا رسولَ الله ﷺ على الخروجِ، فقالوا: يا رسولَ الله، إن أحببتَ أن تمكثَ في المدينة فافعل، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمتَه أن يضعَها حتى يحكمَ الله بينه وبين عدوِّه**».

فخرَج رَسولُ الله ﷺ في أَلْف منَ الصحابةِ يوم الجمعة، فلما صار بالشوط بين المدينة وأحد انخزَل عبدُ الله بنُ أبيٍّ بنحوِ ثلُث العَسكَر، وسأَل قومٌ منَ الأنصارِ النبيَّ أن يَستَعينوا بحُلَفائهم من يَهودَ، فأَبَى.

ونفَذ رسولُ الله ﷺ حتَّى نزلَ الشِّعبَ من أحُد في عُدوة الوادِي، وجعَل ظَهرَه إلى أحُدٍ، ونهى الناسَ عنِ القِتالِ حتَّى يَأمُرَهم، فلمَّا أصبحَ يومَ السبتِ، تَعبَّى للقتالِ، وهو في سبعِمِئةٍ، فيهم خَمسون فارِسًا، واستعملَ على الرُّماةِ -وكانوا خَمسينَ- عبدَ الله بنَ جُبيرٍ، وأمَرَه وأصحابَه أن يَلزَموا مَركزَهم، وألَّا يُفارِقوه، ولو رأَى الطيرَ تَتخطَّف العسكرَ، وكانوا خلفَ الجيشِ، وأمَرَهُم أن يَنضَحوا المُشرِكين بالنبلِ؛ لئَلَّا يَأتوا المُسلِمين من وَرائِهم.

وظاهَرَ رَسولُ الله ﷺ بين دِرعَيْن يومئِذٍ، وأَعطى اللواءَ مُصعبَ بنَ عُميرٍ، وجعلَ على إحدى المَجنَبَتَيْن الزُّبيرَ بن العوَّامِ، وعلى الأُخْرى المُنذِر بنَ عمرٍو.

وتعَبَّتْ قُريشٌ للقتال، وهم في ثلاثةِ آلافٍ، وفيهم مِئتا فارِسٍ، فجعَلوا على مَيمنتِهم خالدَ بنَ الوليدِ، وعلى المَيسَرةِ عِكرمةَ بن أبي جَهْل.

ودفعَ رسولُ الله ﷺ سيفَه إلى أبي دُجانةَ سِماكِ بنِ خرَشةَ، وكان شُجاعًا بطلًا يَختالُ عند الحربِ، وكان شِعارُ المسلِمين يومئذٍ: أَمِت أَمِت.

وأَبلى يومئِذٍ أبو دُجانةَ الأنصاريُّ، وطلحةُ بن عُبيد الله، وأسدُ الله وأسدُ رسولِه حمزةُ بنُ عبد المطلبِ، وعليُّ بن أبي طالِب، وأنسُ بنُ النضرِ، وسعدُ بنُ الربيعِ.

وكانت الدولةُ أولَ النهارِ للمُسلمين على الكفارِ، فانهزمَ عدوُّ الله، وولَّوْا مُدبرين حتى انتَهَوْا إلى نِسائهم، فلمَّا رأى الرُّماةُ هزيمتَهم ترَكوا مَركزَهم الَّذي أمرَهم رسولُ الله ﷺ بحِفظِه، وقالوا: يا قوم الغَنيمةَ الغَنيمةَ. فذكَّرَهم أميرُهم عهد رسولِ الله ﷺ إليهم، فلم يَسمَعوا، وظنُّوا أن ليس للمُشرِكين رجعةٌ، فذهَبوا في طلب الغَنيمةِ، وأَخلَوا الثغرَ، وكرَّ فُرسانُ المُشركين، فوجَدوا الثغرَ خاليًا، قد خلا منَ الرماةِ، فجازوا منه، وتمَكَّنوا حتى أقبلَ آخرُهم، فأَحاطوا بالمُسلِمين، فأكرمَ اللهُ من أكرمَ مِنهم بالشهادةِ، وهم سَبعونَ، وتولَّى الصحابةُ، وخلَصَ المُشرِكون إلى رسولِ الله ﷺ فجَرَحوا وجهَه، وكسَروا رَباعيَّته اليُمنَى، وكانتِ السفلَى، وهشَموا البَيضةَ على رأسِه، ورمَوْه بالحِجارةِ حتى وقَعَ لشِقِّه، وسقطَ في حُفرةٍ من الحفرِ، فأخذَ عليٌّ بيدِه، واحتَضَنَه طلحةُ بنُ عبيد الله، وكان الَّذي تَولَّى أذاهُ صلوات الله وسلامه عليه عَمرَو بن قَمئةَ، وعُتبةَ بنَ أبي وقَّاص.

ومرَّ أنسُ بنُ النضرِ بقوم منَ المُسلِمين قد ألقَوْا بأيديهم، فقال ما تَنتَظِرون؟ فقالوا: قُتِلَ رسولُ الله ﷺ. فقال: ما تَصنَعون في الحياةِ بعدَه؟ قوموا فمُوتوا على ما ماتَ عليه. ثُم استَقبَل الناسَ، ولقِيَ سعدَ بنَ مُعاذٍ فقال: يا سعدُ إني لأجِدُ ريحَ الجنَّةِ من دونِ أحُدٍ، فقاتَلَ حتَّى قُتِل، ووُجِد به سَبعون ضربةً، وجُرِح يومئِذٍ عبدُ الرحمن بن عوفٍ نحوًا من عِشرين جِراحةً.

وأَقبلَ رسولُ الله ﷺ نحوَ المسلمين فكان أولُ مَن عرَفه تحتَ المِغفَر كعبَ بن مالِك، فصاح بأعلى صوتِه يا مَعاشرَ المُسلِمين، أَبشِروا؛ هذا رسولُ الله ﷺ، فأَشارَ إليه أن اسكُتْ، واجتَمَع إليه المُسلِمون ونهَضوا معه إلى الشِّعْبِ الذي نزَل فيه.

ولَمَّا انقَضَتِ الحربُ أشرفَ أبو سُفيانَ على الجبلِ ونادى: أفيكُم مُحمَّدٌ؟ فلم يُجيبوه، فقال: أَفيكُم ابنُ أبي قُحافةَ؟ فلم يُجيبوه. فقال: أفيكُم ابنُ الخطَّاب؟ فلم يُجيبوه، ولم يَسأَل إلَّا عن هَؤلاءِ الثلاثةِ لعِلْمه وعِلْم قومِه أن قِوام الإسلامِ بهم، فقال: أمَّا هؤلاءِ فقد كُفيتُموهم، فلم يَملِك عُمرُ نفسَه أن قال: يا عَدوَّ الله، إن الَّذين ذكَرْتهم أحياءٌ، وقد أَبقَى الله لك ما يَسوؤُكَ. فقال: قد كان في القومِ مُثلةٌ لم آمُرْ بها، ولم تَسُؤْني. ثمَّ قال: اعلُ هُبلْ. فقال النبيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُونَهُ؟**» فقالوا: ما نَقول؟ قال «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**»، ثُم قال: لَنا العُزَّى ولا عُزَّى لكُم. قال: «**أَلَا تُجِيبُونَهُ؟**» قالوا: ما نَقولُ؟ قال: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣).

ثُم قال أبو سُفيانَ: يومٌ بيَوْم بَدْر، والحربُ سِجالٌ. فأجابَه عُمرُ، فقال: لا سَواءً، قَتلانا في الجَنَّةِ، وقَتْلاكُمْ في النارِ.

وقاتلتِ الملائكةُ يومَ أُحُدٍ عن رسولِ الله ﷺ، ففي الصحيحَيْن: عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ أحُدٍ ومعَهُ رجُلانِ يُقاتِلانِ عنه، علَيْهما ثيابٌ بِيضٌ كأشَدِّ القِتالِ، ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ[(١)].

٨- فصل فيما اشتَمَلَت عليه هذه الغَزاةُ منَ الأَحكامِ والفِقْه

مِنها: أن الجِهادَ يَلزَم بالشُّروعِ فيه، حتَّى إن مَن لبِسَ لَأْمَته وشرَع في أسبابِه، وتَأهَّب للخروجِ، ليس له أن يَرجِع عن الخروجِ حتى يُقاتِل عدوَّه.

ومِنها: أنه لا يَجِب على المُسلِمين إذا طرَقَهم عَدوُّهم في ديارِهم الخروجُ إليه، بل يَجوز لهم أن يَلزَموا دِيارَهم، ويُقاتِلوهم فيها.

ومِنها: جوازُ سُلوكِ الإمامِ بالعسكرِ في بعضِ أملاكِ رعيَّتِه.

ومِنها: أنه لا يَأذَن لِمَن لا يُطيقُ القِتالَ من الصِّبيانِ غيرِ البالِغين.

ومِنها: جوازُ الغزوِ بالنِّساءِ، والاستعانةِ في الجهادِ بهن.

ومِنها: جوازُ الانغماسِ في العَدوِّ، كما انغمَسَ أنسُ بن النضر وغيرُه.

ومِنها: أن الإمامَ إذا أصابَتْه جِراحةٌ صلَّى بهم قاعدًا، وصلَّوْا وراءَه قعودًا، كما فعلَ رسولُ الله ﷺ في هذه الغزوةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

ومِنها: جوازُ دعاءِ الرجلِ أن يُقتَل في سَبيلِ الله، وتَمَنِّيه ذلك، وليس هذا من تَمَنِّي الموتِ المَنهيِّ عنه، كما قال عبدُ الله بن جحش: اللهُمَّ لقِّني من المشركين رجلًا عظيمًا كفرُه، شديدًا حردُه[١]، فأقاتله فيقتلني فيك، ويسلبُني، ثم يجدعُ أنفي وأذني، فإذا لقيتُك، فقلتَ: يا عبدَ الله بن جحش، فيم جدعتَ؟ قلتُ: فيك يا رب.

ومِنها: أن المُسلمَ إذا قَتَلَ نفسَه فهو من أهلِ النارِ؛ لقوله ﷺ في قزمان الذي أبلى يومَ أحدٍ بلاءً شديدًا، فلما اشتدَّت به الجراحُ نحرَ نفسَه، فقال ﷺ: «**هو مِن أهلِ النَّارِ**».

ومِنها: أن السنةَ في الشهيدِ أنه لا يُغسَّل، ولا يُصلَّى عليه ولا يُكفَّن في غير ثِيابِه، بل يُدفَن فيها بدمِه.

ومِنها: أنه إذا كانَ جنبًا غسِّل كما غسَّلتِ المَلائكةُ حَنظلةَ بنَ أبي عامرٍ.

ومِنها: أن السُّنَّةَ في الشهداءِ أن يُدفَنوا في مَصارِعهم، ولا يُنقَلوا إلى مكانٍ آخرَ.

ومِنها: جوازُ دَفْن الرجُلين أو الثلاثةِ في القبرِ الواحدِ، فإن رسولَ الله ﷺ كانَ يَدفِن الرجُلين والثلاثةَ في القبرِ ويقول: «**أيُّهم أكثرُ أخذًا للقرآنِ**»؟ فإذا أشاروا إلى رجلٍ قدَّمه في اللحدِ.

ومنها: أن شهيدَ المعركةِ لا يُصلَّى عليه.

(١) (شديدًا حردُه): شديد غضبه.

ومنها: أن المسلمين إذا قتلوا واحدًا منهم في الجهاد يظنُّونه كافرًا، فعلى الإمام ديتُه من بيتِ المالِ؛ لأن رسولَ الله ﷺ أراد أن يديَ اليمانَ أبا حذيفةَ، فامتنع حذيفةُ مِن أخذِ الديةِ وتصدَّق بها على المسلمين.

٩- فصل في ذِكرِ بعض الحِكَمِ والغاياتِ المَحمودةِ التي كانت في وقعةِ أُحُدٍ

وقد أشار الله سبحانَه وتعالى إلى أمهاتِها وأصولِها في سورة (آل عمران) حيث افتتح القِصَّةَ بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، إلى تمامِ ستِّين آيةً.

فمنها: تعريفُهم سوءَ عاقبة المعصيةِ والفشلِ والتنازعِ، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤمِ ذلك، فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم كانوا بعد ذلك أشدَّ حذرًا ويقظةً وتحرزًا من أسبابِ الخذلانِ.

ومنها: أن حكمةَ الله وسنَّتَه في رسلِه وأتباعهم جَرَت بأن يدالوا مرةً ويدالَ عليهم أخرى، لكن تكونُ لهم العاقبةُ؛ فإنهم لو انتصروا دائمًا دَخَلَ معهم المؤمنون وغيرُهم، ولم يتميَّز الصادقُ مِن غيرِه، ولو انتُصِرَ عليهم دائمًا لم يحصل المقصودُ مِن البعثةِ والرسالةِ.

ومنها: أن يتميَّزَ المؤمنُ الصادق من المنافقِ الكاذب.

ومنها: استخراجُ عبوديَّةِ أوليائه وحزبِه في السرَّاءِ والضراءِ.

ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائمًا لطغت نفوسُهم.

ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبَةِ ذلوا وانكسروا، فاستوجبوا منه العِزَّ والنصرَ.

ومنها: أنه سبحانه هيَّأَ لعبادِه المؤمنين منازلَ في دار كرامَتِه لم تبلغْها أعمالُهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاءِ.

ومنها: أن الشهادةَ عنده من أعلى مراتبِ أوليائه، وهو سبحانَه يُحِبُّ أن يَتَّخذَ من عباده شهداءَ.

ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد أن يُهلكَ أعداءه، قيَّضَ لهم الأسبابَ التي يستوجبون بها هلاكَهم، ومِن أعظمِها بعد كفرهم بغيُهم.

ومنها: أن وقعةَ أُحُدٍ كانت مقدمةً وإرهاصًا بين يدي موت رسولِ الله ﷺ فأَنَّبَهُم ووبَّخهم على انقلابِهم على أعقابِهم إن مات رسولُ الله ﷺ أو قُتِلَ، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فصل

ولما عزموا على الرجوعِ إلى مكةَ أشرفَ على المسلمين أبو سفيان، ثم ناداهم: موعدُكم الموسمُ ببدر، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: نَعَمْ، قَد فعَلْنا**»، قال أبو سفيان: «فذلك الموعدُ»، ثم انصرف هو وأصحابُه، فلما كان ببعضِ الطريق تلاوموا فيما بينهم، وقال بعضُهم لبعضٍ: لم تصنعوا شيئًا، أصَبتم شوكتَهم وحدَهم ثم تركتموهم وقد بَقِي منهم رءوسٌ يجتمعون لكم، فارجعوا حتى نستأصِل شأفتَهم، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فنادى في الناسِ وندبَهم إلى المسيرِ إلى لقاء عدوِهم، وقال: «**لا يخرجُ معنا إلا مَن شهدَ القتالَ**»، فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرحِ الشديدِ والخوفِ.

فسار رسولُ الله ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا حمراءَ الأسد، وأقبل معبدُ بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ، فأسلم، فأمرَه أن يلحقَ بأبي سفيان فيخذِّله، فلَحِقه بالروحاءِ، ولم يَعلم بإسلامِه، فقال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: محمدٌ وأصحابُه قد تحرَّقوا عليكم، وخرجوا في جمع لم يَخرجوا في مثلِه، وقد نَدِمَ مَن كان تخلَّف عنهم من أصحابِهم، فقال: ما تقولُ؟! فقال: ما أرى أن ترتحلَ حتى يطلع أولُ الجيشِ من وراءِ هذه الأكمةِ، فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرَّةَ عليهم لنستأصلَهم، قال: فلا تفعل فإني لك ناصحٌ، فرجعوا على أعقابِهم إلى مكةَ.

١٠- فصل في بعث الرجيعِ

فلمَّا كان صفَر قدِم عليه قومٌ من عَضل والقارةِ، وذكَروا أن فيهم إسلامًا، وسألوه أن يَبعَث معَهم مَن يُعلِّمهم الدِّين ويُقرِئهم القُرآنَ، فبعَث معهم سِتَّة نفَرٍ.

فلمَّا كانوا بالرجيعِ، وهو ماءٌ لهُذيلٍ بناحِيةِ الحِجازِ غَدَروا بهم واستَصَرخوا عليهم هذيلًا، فجاؤُوا حتى أَحاطوا بهم، فقتَلوا عامَّتَهم واستَأْسَروا خبُيبَ بنَ عديٍّ، وزيدَ بنَ الدثِنَّةِ، فذهَبوا بهما فباعوهما بمكةَ، وكانا قتلا من رءوسِهم يومَ بدرٍ فأمَّا خُبيبٌ فمكَث عِندهم مسجونًا، ثُم أَجمَعوا على قتلِه، فخرجوا به مِن الحرمِ إلى التنعيمِ، فلمَّا أجمعوا على صلبِه قال: دَعوني حتى أركع ركعتين، وفي «الصحيح»: أن خبيبًا أولُ مَن سنَّ الركعتين عندَ القتلِ[(١)]. وأمَّا زيدُ بنُ الدثِنَّةِ فابتاعَه صَفوانُ بنُ أميَّةَ، فقتَلَه بأبيِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥).

١١- فصل في وقعة بِئرِ مَعونةَ

وفي هذا الشهرِ بعينِه وهو صفَرٌ من السنةِ الرابعةِ كانت وقعةُ بئرِ مَعونةَ، ومُلخَّصها أن أبا براءٍ عامرَ بنَ مالكٍ المَدعو مُلاعِب الأسنةِ قدِم على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فدعاهُ إلى الإسلامِ، فلم يُسلِم، ولم يُبعِد، فقال: يا رَسولَ الله لو بَعَثْت أصحابكَ إلى أهلِ نجدٍ يَدعونهم إلى دِينكَ لرجَوْت أن يُجيبوهم. فقال: «**إِنِّي أَخافُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ**»، فقال أبو براءٍ: أنا جارٌ لهم.

فبعَثَ معه سَبعينَ وأمَّرَ عليهم المُنذرَ بنَ عَمرٍو -أحَدَ بني ساعِدةَ المُلقَّب بالمُعْنِق ليَموتَ- وكانوا من خِيارِ المسلِمين وفضلائِهم وساداتِهم وقرَّائِهم، فساروا حتى نزَلوا بِئرَ مَعونةَ، ثم بعثوا حرامَ بنَ مِلحان أخا أمِّ سليم بكتابِ رسولِ الله ﷺ إلى عدوِّ الله عامرِ بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلًا فطعنَه بالحربةِ مِن خلفِه، فلما أنفَذها فيه ورأى الدمَ قال: «فزتُ وربِّ الكعبةِ»، ثم استنفَرَ عدوَّ الله لفورِه بني عامر إلى قتالِ الباقين، فلم يجيبوه لأجلِ جوارِ أبي براء، فاستَنفَرَ بني سليمٍ، فأَجابَتْه عُصيةُ ورِعْل وذَكوانُ، فجاؤُوا حتى أَحاطوا بأصحابِ رَسولِ الله ﷺ، فقاتَلوا حتَّى قُتِلوا عن آخِرهم إلَّا كعبَ بنَ زيد بن النجَّارِ، فإنه ارْتُثَّ[1] من بين القَتلى، فعاشَ حتى قُتِل يومَ الخندقِ.

وقنَتَ رسولُ الله ﷺ شهرًا يَدعو على الَّذين قتَلوا القُرَّاءَ أصحابَ بِئرِ مَعونةَ بعدَ الركوعِ، ثُم ترَكه لَمَّا جاؤُوا تائِبين مُسلِمين[2].

---

(١) (ارْتُثَّ): أي: حُمل من المعركة مثخنًا ضعيفًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠٢)، ومسلم (٦٧٧).

١٢- فصل [في غزوة بدر الثانية]

وقد تقدَّم أن أبا سفيانَ قال عندَ انصرافِه مِن أحدٍ: موعدُكم وإيانا العامَ القابلَ بدرٌ، فلما كان شعبانُ من العامِ القابلِ خرَجَ رسول الله ﷺ لموعدِه في ألف وخمس مئة، وكانت الخيل عشرة أفراس، وحمل لواءَه عليُّ بنُ أبي طالب، واستخلَفَ على المدينةِ عبدَ الله بنَ رواحة، فانتهى إلى بدرٍ، فأقام بها ثمانيةَ أيامٍ ينتظر المشركين، وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكةَ، وهم ألفانِ ومعهم خمسون فرسًا، فلما انتهَوا إلى مر الظهران -مرحلةٍ من مكةَ- قال لهم أبو سفيان: إن العامَ عامُ جدبٍ، وقد رأيتُ أني أرجعُ بكم، فانصرفوا راجعين، وأخلفوا الموعدَ، فسُمِّيت هذه بدرَ الموعد، وتُسمَّى بدرَ الثانية.

١٣- فصل في غَزوةِ المُريسيع

وكانت في شَعبانَ سنةَ خمسٍ، وسببُها: أنه لما بلَغَه ﷺ أن الحارثَ بنَ أبي ضِرارٍ سيِّدَ بني المُصطلِقِ سار في قومِه ومَن قدَرَ عليه مِن العرَبِ يُريدون حربَ رسولِ الله ﷺ، فندبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ، فأَسرَعوا في الخروجِ، وبلغَ الحارثَ بنَ أبي ضرارٍ ومن معَه مسيرُ رسولِ الله ﷺ وقَتْله عينَه الذي كان وجَّهَه ليَأتيَه بخبَرِه وخبرِ المُسلِمين، فخافوا خوفًا شديدًا، وتَفرَّق عنهم مَن كان معَهم من العربِ.

ولم يَكُن بينهم قِتالٌ، وإنما أَغار عليهم على الماءِ، فسبَى ذَراريَّهم وأموالَهُم كما في الصحيح: أَغار رسولُ الله ﷺ على بني المُصطلِق وهم غارون... وذكَرَ الحديثَ(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤١)، ومسلم (١٧٣٠).

وكان من جُملةِ السبيِ جُويريةُ بنتُ الحارثِ سيِّد القومِ، وقَعَت في سهمِ ثابتِ بنِ قيسٍ، فكاتَبَها، فأدَّى عنها رسولُ الله ﷺ وتزوَّجَها.

وفي هذه الغزوةِ سقطَ عِقدٌ لعائشةَ فاحتُبِسوا على طلَبِه، وذلكَ أن عائشةَ كانت قد خرَجَ بها رسولُ الله ﷺ معه في هذه الغزوةِ بقُرعةٍ أصابَتْها، وكانت تلكَ عادتَه مع نسائِه، فلمَّا رجَعوا من الغزوةِ نزَلوا في بعض المنازلِ، فخرَجت عائشةُ لحاجتِها ثُم رجَعت، ففقَدَتْ عِقدًا لأختِها كانت أَعارَتْها إيَّاه، فرجعَتْ تلتمِسُه في الموضعِ الذي فقَدَتْه فيه، فجاء النفرُ الذين كانوا يَرحَلون هودَجَها، فظنُّوها فيه، فحمَلوا الهودجَ ولا يُنكِرون خِفَّته؛ لأنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت فتيةَ السنِّ لم يغشَها اللحمُ، فرجَعت عائشةُ إلى مَنازلِهم وقد أصابَت العِقدَ، فإذا ليس بها داعٍ ولا مُجيبٌ، فقعَدَتْ في المنزِلِ، وظنَّت أنهم سيَفقِدونها فيَرجِعون في طلَبها، فغلَبَتْها عَيناها، فنامت، فلم تَستَيْقِظ إلَّا بقولِ صفوانَ بنِ المُعطِّل: إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجِعونَ، زوجةُ رَسولِ الله ﷺ! وكان صفوانُ قد عرَّس في أخريات الجيش؛ لأنه كان كثيرَ النوم، فلما رآها عرفها، وكان يراها قبلَ نزولِ الحجابِ، فاسترجع، وأناخَ راحلتَه، فقرَّبها إليها، فرَكِبَتْ وما كلَّمها كلمةً واحدةً، ولم تسمَع منه إلا استرجاعَه، ثم سار بها يقودُها حتى قَدِمَ بها، وقد نزلَ الجيشُ في نحرِ الظهيرةِ.

فلمَّا رأَى ذلكَ الناسُ تكلَّم كلٌّ منهم بشاكِلته، وما يَليقُ به، ووجدَ الخبيثُ عدوُّ الله ابنُ أبيٍّ مُتنفَّسًا، فتنفَّس من كَرب النِّفاقِ والحسدِ الذي بين ضُلوعِه، فجعلَ يَستحكِي الإفكَ ويَستَوْشيه، ويُشيعه ويُذيعه، ويَجمَعه ويُفرِّقه، وكان أصحابُه يَتقرَّبون إليه به.

فلمَّا قدِموا المدينةَ أفاضَ أهلُ الإفكِ في الحديثِ، ورسولُ الله ﷺ ساكِتٌ لا يَتكلمُ، ثم استَشارَ أصحابَه في فراقِها، فأَشارَ عليه عليٌّ بأن يُفارِقها ويَأخُذ غيرَها تَلويحًا لا تَصريحًا، وأَشارَ عليه أسامةُ وغيرُه بإِمساكِها، فعليٌّ لَمَّا رأى أن ما قيل مَشكوكٌ فيه أشارَ بتَرْك الشكِّ والريبةِ إلى اليَقينِ، وأسامةُ لَمَّا علمَ حُبَّ رسولِ الله ﷺ لها ولأبيها وعلِم مِن عِفَّتها وبَراءتِها وحصانَتِها وديانتِها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال كما قال أبو أيُّوبَ وغيرُه من ساداتِ الصحابةِ لَمَّا سمِعوا ذلك: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، وتأمَّل ما في تسبيحِهم لله وتنزيهِهم له في هذا المقامِ من المعرفةِ به، وتنزيهِه عما لا يليقُ به أن يجعلَ لرسولِه وخليلِه وأكرمِ الخلق عليه امرأةً خبيثةً بغيًّا!

فإن قيل: فما بالُ رسولِ الله ﷺ توقَّف في أمرِها، وسألَ عنها وبحثَ واستشارَ، وهو أعرفُ بالله وبمنزلتِه عندَه وبما يليقُ به، وهلَّا قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، كما قاله فضلاءُ الصحابةِ؟

فالجواب: أن الله سبحانه أحبَّ أن يُظهرَ منزلةَ رسولِه وأهلِ بيته عندَه وكرامتَهم عليه، وأن يُخرجَ رسولَه عن هذه القضيةِ ويتولَّى هو بنفسه الدفاعَ والمنافحةَ عنه والردَّ على أعدائِه وذمَّهم وعيبَهم بأمرٍ لا يكونُ له فيه عملٌ ولا يُنسبُ إليه بل يكون هو وحدَه المتولِّي لذلك الثائرَ لرسولِه وأهلِ بيتِه.

وأيضًا فإن رسولَ الله ﷺ كان هو المقصودَ بالأذى والتي رُميت زوجتُه، فلم يكن يليقُ به أن يشهدَ ببراءتِها مع علمِه أو ظنِّه الظنَّ المقاربَ للعلمِ ببراءتِها، ولم يظنَّ بها سوءًا قطُّ، وحاشاه وحاشاها؛ ولذلك لما استعذرَ مِن أهلِ الإفكِ قال: «**مَن يعذِرني في رجلٍ بَلَغَني أذاه في أهلي، والله ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا، ولقد**

ذكروا رجلًا ما علمتُ عليه إلا خيرًا، وما كان يدخلُ على أهلي إلا معي»، وكان عندَه من القرائنِ التي تشهدُ ببراءة الصديقةِ أكثرُ مما عندَ المؤمنين، ولكن لكمالِ صبرِه وثباتِه ورفقِه وحسنِ ظنِّه بربِّه وثقتِه بِه، وفَّى مقامَ الصبرِ والثباتِ وحسنِ الظنِّ بالله حقَّه حتى جاءه الوحيُ بما أقرَّ عينَه، وسرَّ قلبَه وعظَّم قدرَه، وظهر لأمتِه احتفاء ربِّه به واعتناؤُه بشأنِه.

ولمَّا جاءَ الوحيُ ببَراءتِها أمرَ رسولُ الله ﷺ بمَن صرَّح بالإفكِ، فحُدُّوا ثمانينَ ثمانينَ، ولم يُحَدَّ الخبيثَ عبدَ الله بن أبيٍّ مع أنه رأسُ أهلِ الإفكِ، فقيل: لأنَّ الحُدودَ تخفيفٌ عن أهلِها وكفَّارةٌ، والخبيثُ ليس أهلًا لذلكَ، وقد وعَدَه اللهُ بالعذابِ العَظيمِ في الآخِرةِ، فيَكفيه ذلك عن الحدِّ.

فجلَدَ مِسطَح بن أُثاثَةَ، وحسَّانَ بنَ ثابت، وحمنةَ بنتَ جَحْش، وهؤلاءِ منَ المُؤمِنين الصادِقين تَطهيرًا لهم وتَكفيرًا.

١٤- فصل في غزوة الخَندَق

وكانت في سنةِ خمسٍ من الهِجرةِ في شوَّالٍ، وكان سببُ غزوةِ الخندقِ أن اليهودَ لَمَّا رأَوْا انتصارَ المُشرِكين على المُسلِمين يومَ أُحُدٍ، وعلِموا بميعاد أبي سُفيانَ لغزوِ المسلِمين، فخرجَ لذلكَ، ثُم رجعَ للعامِ المقبلِ خرجَ أشرافُهم كسلامِ بن أبي الحُقيقِ، وسلام بن مِشكَمٍ، وكِنانةَ بنِ الربيعِ، وغيرِهم إلى قريشٍ بمكةَ يُحرِّضونهم على غزوِ رسولِ الله ﷺ ويُؤلِّبونهم عليه، ووعَدوهم من أنفُسِهم بالنصرِ لهم، فأَجابَتْهم قريشٌ، ثُم خرَجوا إلى غطَفانَ، فدعَوْهم، فاستجابوا لهم، ثُم طافوا في قبائلِ العربِ يَدعونَهم إلى ذلك، فاستجابَ لهم منِ استجابَ، فخرَجَت قريشٌ

وقائِدُهم أبو سُفيانَ في أربعةِ آلافٍ، ووافَتْهم بنو سليم بمرِّ الظهرانِ، وخرجَتْ بنو أسد وفزارةُ وأشجعُ وبنو مرَّة، وجاءت غطفانُ وقائدُهم عيينةُ بن حصن، وكان مَن وافَى الخَندَق من الكُفَّار عشرةُ آلافٍ.

فلمَّا سمِعَ رسولُ الله ﷺ بمَسيرِهم إليه استَشارَ الصحابةَ، فأَشارَ عليه سَلمانُ الفارسيُّ بحفرِ خَندقٍ يَحولُ بين العدوِّ وبين المدينةِ، فأَمَرَ به رسولُ الله ﷺ، وخرجَ رسولُ الله ﷺ في ثلاثةِ آلافٍ من المُسلِمين، فتَحصَّن بالجبَلِ من خلفِه، وبالخندقِ أمامَه.

وأمَرَ النبيُّ ﷺ بالنساءِ والذرارِيِّ فجُعِلوا في آطامِ المدينةِ، واستخلفَ على المدينة ابنَ أمِّ مكتومٍ.

وانطلَق حُييُّ بن أخطبَ إلى بَني قُريظةَ فدَنا من حِصنِهم، فأبَى كعبُ بن أسَدٍ أن يَفتَحَ له، فلم يَزَلْ يُكلِّمه حتى فتَحَ له، فلم يَزَلْ به حتَّى نقَضَ العهدَ الذي بينَه وبين رسولِ الله ﷺ، ودخلَ مع المُشرِكين في مُحاربتِه، فسُرَّ بذلك المُشرِكون، وشرَطَ كعبٌ على حُيي أنه إن لم يظفروا بمحمدٍ أن يجيءَ حتى يدخل معه في حصنِه، فيُصيبه ما أصابه، فأجابه إلى ذلك، ووفَّى له به.

وبلغَ رسولَ الله ﷺ خبرُ بني قُريظةَ ونَقْضُهم للعهدِ، فعظُمَ ذلك على المُسلِمين، فقال رسولُ الله ﷺ عِند ذلك: «**اللهُ أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ**»، واشتَدَّ البلاءُ، ونجَمَ النفاقُ[1]، واستأذنَ بعضُ بني حارثةَ رسولَ الله ﷺ في الذَّهابِ إلى المدينةِ، وقالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾ [الأحزاب: ١٣]، وهَمَّ بنو سلمةَ بالفشلِ، ثم ثبَّتَ الله الطائفتين.

(١) أي: ظهر وطلع.

وأقامَ المُشرِكون مُحاصِرين رسولَ الله ﷺ شهرًا، ولم يَكُن بينهم قتالٌ لأجلِ ما حالَ الله به من الخَندقِ بينهم وبين المُسلِمين، إلَّا أن فَوارسَ من قُريشٍ منهم عَمرُو بنُ عبدِ ودٍّ، وجماعة معه أَقبَلوا نحوَ الخندقِ، فلمَّا وقَفوا عليه قالوا: إن هذه مَكيدةٌ ما كانت العربُ تَعرِفها، ثُم تَيمَّموا مكانًا ضيقًا من الخندقِ، فاقتَحَموه، وجالت بهم خيلُهم في السبخةِ بين الخَندقِ وسَلْعٍ، ودعَوْا إلى البرازِ، فانتدبَ لعَمرٍو عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبارَزَه، فقتَلَه اللهُ على يدي عليٍّ، وكان من شُجعانِ المُشرِكين وأبطالِهم، وانهزَمَ الباقون إلى أَصحابِهم، وكان شِعارُ المُسلِمين يومئِذٍ: «حم لا يُنصَرون».

ولما طالَتْ هذه الحالُ على المسلمين أراد رسولُ الله صلى ﷺ أن يصالحَ عيينةَ بنَ حصن والحارثَ بن عوف رئيسي غطفان، على ثلثِ ثمارِ المدينة، وينصرفا بقومِهما، وجرَت المراوضةُ على ذلك، فاستشار السعدَيْنِ في ذلك، فقالا: يا رسولَ الله إن كان الله أمرَك بهذا فسمعًا وطاعةً، وإن كان شيئًا تصنعه لنا فلا حاجةَ لنا به، لقد كنا نحن وهؤلاء القومُ على الشركِ بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً إلا قرًى أو بيعًا، فحين أكرَمَنا الله بالإسلامِ وهدانا له وأعزَّنا بك نُعطيهم أموالنا؟! والله لا نُعطيهم إلا السيفَ، فصوَّب رأيَهما، وقال: «**إنما هو شيءٌ أصنعُه لكم؛ لما رأيتُ العربَ قد رمَتْكم عن قوسٍ واحدةٍ**».

ثُم إن اللهَ عَزَّوَجَلَّ -وله الحمدُ- صنَع أمرًا من عِندِه خذَلَ به العدوَّ، وهزَم به جُموعَهم، وفلَّ حَدَّهم، فكان مِمَّا هيَّأ من ذلك أن رجُلًا من غطَفانَ يُقال له: نُعيمُ بنُ مسعودِ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رَسولَ الله، إني

قد أَسلَمْت، فمُرْني بما شِئْت. فقال رسولُ الله ﷺ: **«إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَخَذِّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ»**(١).

فذهب مِن فورِه ذلك إلى بني قريظةَ، وكان عشيرًا لهم في الجاهلية، فدخل عليهم وهم لا يعلمون بإسلامِه، فقال: يا بني قريظةَ، إنكم قد حاربتم محمدًا، وإن قريشًا إن أصابوا فرصةً انتهزوها، وإلا انشمروا إلى بلادِهم راجعين وتركوكم ومحمدًا، فانتقَمَ منكم، قالوا: فما العملُ يا نعيمُ؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يُعطُوكم رهائنَ، قالوا: لقد أشرتَ بالرأي، ثم مضى على وجهِه إلى قريشٍ، فقال لهم: تعلمون ودِّي ونصحِي لكم، قالوا: نعم. قال: إن يهودَ قد ندمُوا على ما كان منهم من نقضِ عهدِ محمدٍ وأصحابِه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائنَ يدفعونها إليه، ثم يُمالِئونه عليكم، فإن سألوكم رهائنَ فلا تُعطوهم، ثم ذهبَ إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك، فلما كانت ليلةُ السبتِ مِن شوالٍ بعثوا إلى اليهودِ: إنَّا لسنا بأرضِ مقامٍ، وقد هلكَ الكراعُ والخفُّ، [فانهَضوا] بنا حتى نناجزَه، فأرسلوا إليهم: إن اليومَ يومُ السبت، وقد عَلِمتم ما أصاب مَن قبلنا حينَ أحدثوا فيه، ومع هذا فإنَّا لا نقاتلُ معكم حتى تَبعَثوا إلينا رهائنَ، فلما جاءَتْهم رسلُهم بذلك قالت قريشٌ: صدقَكم والله نُعيم، فبعثوا إلى يهود: إنَّا والله لا نرسلُ إليكم أحدًا، فاخرُجوا معنا حتى نناجز محمدًا، فقالت قريظُة: صدقَكم والله نُعيم، فتخاذَلَ الفريقانِ.

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٢٢٩، وابن سعد في الطبقات ٤/ ٢٠٩، والطبري في تاريخه ٢/ ٥٧٧.

وأَرسلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ على المشرِكين جُندًا من الريحِ، فجعَلَت تُقوِّض خِيامَهم، ولا تدَعُ لهم قِدرًا إلَّا كفَأَتْها، ولا طُنُبًا[(١)] إلَّا قَلَعْته، ولا يَقَرُّ لهم قَرارٌ، وجندًا من الملائكةِ يُزلزِلونهم، ويُلقون في قُلوبهم الرعبَ والخوفَ، وأرسلَ رسولُ الله ﷺ حُذيفةَ بنَ اليمانِ يَأتيه بخبَرِهم، فوجَدَهم على هذه الحالِ، وقد تَهيَّئوا للرحيلِ، فرجعَ إلى رسولِ الله ﷺ ليلا، فأَخبَرَه برحيلِ القومِ، فأَصبحَ رسولُ الله ﷺ وقد رَدَّ اللهُ عدوَّه بغَيْظِهم لم يَنالوا خيرًا، وكفاهُ اللهُ قِتالَهم، فصدَقَ وعدَه، وأعزَّ جُندَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأَحزابَ وحدَه.

فدخلَ المدينةَ، ووضعَ السِّلاحَ، فجاءَه جِبريلُ عليه السلام وهو يَغتسِلُ في بيتِ أُم سلَمةَ، فقالَ: أَوَضَعْتُمُ السِّلاحَ! إن المَلائِكَةَ لم تَضَعْ بعدُ أَسْلِحَتَها، انهَضْ إلى هؤلاءِ -يَعنِي: بَني قُريظةَ- فنادَى رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا، فَلَا يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»[(٢)]، فخرَجَ المُسلِمون سراعًا، فكان مِن أمرِهم وأمرِ بني قريظةَ ما قدَّمناه، واستُشهِدَ يومَ الخندق ويومَ قريظةَ نحو عشرةٍ مِن المسلمين.

١٥- فصل في قِصَّة الحُديبيةِ

كانت سنةَ ستٍّ في ذي القَعدةِ، وكانوا ألفًا وأربعَمئةٍ، فلمَّا كانوا بذِي الحُليفةِ قلَّد رسولُ الله ﷺ الهديَ وأَشعَرَه، وأحرَمَ بالعُمرةِ، وبعثَ بينَ يديه عينًا له من خُزاعةَ يُخبِره عن قُريشٍ، حتى إذا كان قريبًا من عُسفانَ أَتاهُ عينُه فقال: إني ترَكْت

---

(١) (الطُّنُب): حبل الخباء.

(٢) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

كعبَ بن لُؤيٍّ قد جمَعوا لك الأَحابيشَ، وجمَعوا لك جموعًا، وهم مُقاتِلوك وصادُّوكَ عن البيتِ ومانِعوكَ، فاستَشارَ النبيُّ ﷺ أصحابَه وقال: «**أَتَرَوْنَ أَنْ نَميلَ إِلَى ذَرارِيِّ هَؤلاءِ الَّذينَ أَعانوهُمْ فَنُصيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدوا قَعَدوا مَوْتورينَ مَحْروبينَ، وَإِنْ يَجيئُوا تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَها اللهُ، أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ البَيْتَ، فَمَنْ صَدَّنا عَنْهُ قَاتَلْناهُ؟**»، فقال أبو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، إنَّا جِئْنا مُعتَمِرين ولم نَجِئْ لِقِتال أَحَد، ولكن مَن حال بينَنا وبين البيت قاتَلْناه، فقال النبيُّ ﷺ: «**فَرُوحُوا إِذًا**»، فراحوا حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ خالِدَ بنَ الوَليدِ بِالغَميمِ فِي جندٍ لقُرَيْشٍ طَليعَةً فَخُذوا ذاتَ اليَمِينِ**»، فواللهِ ما شعَرَ بهم خالدٌ حتَّى إذا هو بقَتَرةِ الجيشِ[1]، وانطلقَ يَركُضُ نَذيرًا لقريشٍ.

وسار النبيُّ ﷺ حتَّى إذا كان بالثَّنيةِ الَّتي يَهبِط عليهم منها برَكَت به راحِلتُه، فقال الناسُ: حَلْ حَلْ. فألَحَّتْ، فقالوا: خَلَأَتِ القَصواءُ، خلَأَتِ القَصواءُ. فقال النبيُّ ﷺ: «**ما خَلَأَتِ القَصْواءُ، وَمَا ذَاكَ لَها بِخُلُق، وَلَكِنْ حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ**»، ثُم قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ محمدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْأَلونِي خُطَّةً يُعَظِّمونَ فِيها حُرُماتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاها**»، ثُم زجرَها فوثَبَت به، فعدلَ حتى نزَلَ بأَقصى الحُديبيةِ على ثَمَدٍ[2] قَليلِ الماءِ يَتَبَرَّضُه[3] الناسُ تَبرُّضًا، فلم يَلبَث الناسُ أن نزَحوه، فشكَوْا إلى رسول الله ﷺ العطشَ، فانتزَعَ سهمًا من كِنانتِه ثُم أمرَهُم أن يَجعَلوه فيه. قال: فواللهِ ما زال يَجيشُ لهم بالرِّيِّ حتَّى صدَروا عنه.

---

(١) (قَتَرة الجيش): غبرته.

(٢) (ثَمد): الماء القليل الذى لا مادة له.

(٣) (يَتَبَرَّضُ): ماء بَرْضٌ قليل، وتَبَرَّض الرجلُ حاجتَه أَخَذها قَليلًا قَليلًا.

وفزِعَت قريشٌ لنُزولِه عليهم، فأحبَّ رسولُ الله ﷺ أن يَبعَث إليهم رجُلًا من أصحابِه، فأرسلَ عُثمانَ بنَ عفانَ فمرَّ على قُريش ببَلْدحٍ فقالوا: أين تُريدُ؟ فقال: بعثَني رسولُ الله ﷺ أَدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، وأُخبِرُكم أنَّا لم نَأتِ لِقتالٍ، وإنما جِئْنا عُمَّارًا. فقالوا: قد سمِعنا ما مقالتَك، فانفُذْ لحاجتِكَ.

وقام إليه أَبانُ بنُ سعيدِ بن العاصِ فرحَّب به وأَسرَج فرسَه، فحمَلَ عثمانَ على الفرسِ، وأَردَفَه أبانُ حتى جاء مكةَ.

واختَلَط المُسلِمون بالمُشرِكين في أَمْر الصُّلْح، فرَمَى رجُل من أحَد الفَريقين رجلًا من الفَريق الآخَرِ، وكانت مَعركةٌ، وتَرامَوْا بالنبلِ والحِجارةِ، وصاح الفَريقان كِلاهُما، وارتَهَن كلُّ واحِد من الفَريقين بمَنْ فيهم، وبلغَ رسولَ الله ﷺ أن عُثمانَ قد قتِلَ، فدعا إلى البيعةِ، فثار المُسلِمون إلى رسولِ الله ﷺ وهو تحتَ الشجَرةِ فبايَعوه على ألَّا يَفِرُّوا، فأخَذَ رسولُ الله ﷺ بيَدِ نَفْسِه وقال: **«هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ»**[(١)]، ولَمَّا تمَّتِ البيعةُ رجَع عُثمانُ.

فبينَما هم كذلك إذ جاء بُديلُ بنُ وَرقاءَ الخُزاعيُّ في نفَر من خُزاعةَ، وكانوا عيبةَ[(٢)] نُصْحِ رسولِ الله ﷺ من أهلِ تِهامةَ، فقال: إني ترَكْت كعبَ بن لُؤيٍّ وعامرَ بنَ لُؤيٍّ قد نزَلوا أَعداد مِياه الحُديبيةِ معهم العُوذُ المَطافيلُ[(٣)]، وهم مُقاتِلوك وصادُّوكَ عن البيتِ، قال رسولُ الله ﷺ: **«إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتالِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ جِئْنا مُعْتَمِرينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا نَهَكَتْهُمُ الحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شاؤُوا مادَدْتُهُمْ وَيُخَلُّوا**

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٨).

(٢) (عَيْبَة): أي: موضع سره.

(٣) (العُوذ المَطَافِيل): الإبل مع أولادها، كناية عن خروج النساء والصبيان معهم.

بَيْني وبَيْنَ الناسِ، وَإِنْ شاؤُوا أَنْ يَدْخُلوا فيما دَخَلَ فيهِ الناسُ فَعَلُوا وإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا إِلَّا القِتالَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلى أَمْرِي هَذا حَتَّى تَنفَرِدَ سالِفَتي أَوْ لَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ». قال بُديلٌ: سأُبلِغهم ما تَقول، فانطلَقَ حتَّى أتَى قُريشًا، فحدَّثهم بما قال النبيُّ ﷺ.

فقال عروةُ بنُ مسعود الثقفيُّ: إن هذا قد عرَضَ عليكم خطةَ رشدٍ فاقبلوها ودعوني آتِه، فقالوا: ائتِه، فأتاه فجعَلَ يُكلِّمه، فقال له النبي ﷺ نحوًا مِن قولِه لبُدَيل، فقال له عروةُ عندَ ذلك: أي محمدُ، أرأيتَ لو استأصلتَ قومَك، هل سمعتَ بأحدٍ من العربِ اجتاح أهلَه قبلَك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهًا وأرى أوباشًا من الناسِ خليقًا أن يفرُّوا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصُصْ بظرَ اللَّات، أنحن نفرُّ عنه وندعه؟! قال: مَن ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتُك. ثم إن عروةَ جعَلَ يرمقُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ بعينيه، فوالله ما تنخَّم النبيُّ ﷺ نخامةً إلا وقعَتْ في كفِّ رجلٍ منهم، فدلك بها وجهَه وجلَده، وإذا أمرهم بأمرٍ ابتدروا، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وضوئِه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتَهم عندَه، وما يحدون النظرَ إليه تعظيمًا له، فرجع عروةُ إلى أصحابِه فقال: أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوكِ على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيتُ ملكًا يعظِّمُه أصحابُه ما يعظِّمُ أصحابُ محمدٍ محمدًا، وقد عرَضَ عليكم خطةَ رشدٍ فاقبلوها.

فقال رجُلٌ من بني كِنانةَ: دَعوني آتِهِ. فقالوا: ائْتِهِ. فلمَّا أَشرَف على النبيِّ ﷺ وأصحابِه، قال رسولُ الله ﷺ: **«هَذا فُلانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمونَ البُدْنَ، فَابْعَثوها لَهُ»**. فبَعَثوها له، واستَقبَلَه القومُ يُلبُّون، فلَمَّا رأَى ذلك قال: سُبحانَ الله، ما يَنبَغي

لهؤلاءِ أن يُصَدُّوا عن البيتِ. فرجَع إلى أصحابِه فقال: رأَيْت البُدْن قد قُلِّدَت وأُشعِرَت، وما أَرَى أن يُصَدُّوا عن البيتِ.

فقام مِكرَزُ بنُ حَفْص فقال: دَعوني آتِه. فقالوا: ائْتِه. فلمَّا أَشرَف عليهم قال النبيُّ ﷺ: «**هَذَا مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، وَهُوَ رَجُلٌ فاجِرٌ**»، فجعَل يُكلِّم النبي ﷺ، فبينا هو يُكلِّمه إذ جاءَه سهيلُ بنُ عَمرٍو، فقال النبيُّ ﷺ: «**قَدْ سُهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**»، فقال: هاتِ، اكتُبْ بينَنا وبينكم كِتابًا. فدعا الكاتبَ فقال: «**اكْتُبْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم**». فقال سُهيلٌ: أمَّا الرحمنُ فواللهِ ما نَدري ما هو، ولكِنِ اكتُبْ: باسمِكَ اللهُمَّ كما كنتَ تَكتُب. فقال المُسلِمونَ: واللهِ، لا نَكتُبُها إلَّا بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم. فقال النبيُّ ﷺ: «**اكتُبْ: باسْمِكَ اللَّهُمَّ**». ثُم قال: «**اكْتُبْ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**»، فقال سُهيلٌ: فواللهِ لو كُنَّا نَعلَم أنك رسولُ الله ما صدَدْناكَ عنِ البيتِ ولا قاتَلْناكَ، ولكِنِ اكتُبْ: مُحَمَّد بنُ عبدِ الله. فقال رسول الله ﷺ: «**إنِّي رَسولُ الله وَإِنْ كَذَّبْتُمونِي، اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ**». فقالَ النبيُّ ﷺ: «**عَلى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنا وَبَيْنَ البَيْتِ فَنَطوفَ بِهِ**». فقال سُهيلٌ واللهِ لا تَتحدَّث العربُ أنَّا أُخِذْنا ضَغطةً، ولكِنْ ذلك من العامِ المُقبِل.

قال عمرُ بن الخطاب: واللهِ ما شككتُ منذ أسلمتُ إلا يومئذٍ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، ألستَ نبيَّ الله؟ قال: «**بلى**». قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطلِ؟ قال: «**بلى**». فقلتُ: علامَ نُعطي الدنيَّةَ في ديننا إذًا ونرجعُ ولما يحكمُ الله بيننا وبينَ أعدائنا؟ فقال: «**إني رسولُ الله، وهو ناصري، ولستُ أعصيه**». قلتُ: أولستَ كنتَ تُحدثنا أنَّا سنأتي البيتَ ونطوفُ به؟ قال: «**بلى، أفأخبرتُك أنك تأتيه العامَ؟**» قلتُ: لا. قال: «**فإنك آتيه وتطوفُ به**» قال فأتيتُ أبا

بكرٍ فقلتُ له كما قلتُ لرسول الله ﷺ، وردَّ عليَّ أبو بكرٍ كما ردَّ عليَّ رسولُ الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بغرزِه حتى تموت فوالله إنه لعلى الحقِّ. قال عمرُ: فعملتُ لذلك أعمالًا.

فلما فرغَ من قضيةِ الكتابِ قال رسول الله ﷺ: «**قوموا، فانحَروا، ثم احلقوا**». قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ واحدٌ حتى قال ثلاثَ مراتٍ، فلما لم يقُم منهم أحدٌ قام فدخل على أم سلمةَ، فذكر لها ما لَقِيَ من الناس، فقالت أمُّ سلمةَ: يا رسولَ الله، أتحبُّ ذلك؟ اخرُج، ثم لا تكلمُ أحدًا منهم كلمةً حتى تنحرَ بُدنَك وتدعو حالقَك فيحلقُ. فقام فخرَجَ فلم يكلِّم أحدًا منهم حتى فعَلَ ذلك: نحرَ بُدنِه ودعا حالقَه فحلقَه، فلما رأى الناسُ ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضُهم يحلقُ بعضًا حتى كاد بعضُهم يقتلُ بعضًا غمًّا.

فصل

وجرى الصُّلحُ بين المسلمين وأهلِ مكةَ على وضعِ الحربِ عشرَ سنينَ، وأن يأمنَ الناسُ بعضُهم من بعضٍ، وأن يرجعَ عنهم عامَه ذلك، حتى إذا كان العامُ المقبلُ قدمَها وخلَّوا بينه وبين مكةَ فأقام بها ثلاثًا، وألا يدخلَها إلا بسلاحِ الراكبِ والسيوف في القربِ، وأن مَن أتانا مِن أصحابِك لم نردَّه عليك، ومَن أتاك مِن أصحابنا رددتَه علينا، وأن بينَنا وبينك عيبةً مكفوفةً، وأنه لا إسلالَ ولا إغلالَ[1]، فقالوا: يا رسول الله، نعطيهم هذا؟ فقال: «**مَن أتاهم منا فأبعدَه الله، ومَن أتانا منهم فرددناه عليهم جعَلَ الله له فرجًا ومخرجًا**».

---

(١) (لا إسلالَ ولا إغلالَ): لا سرقة ولا خيانة.

وفي قِصَّةِ الحُديبيةِ أنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِديةَ الأَذى لِمَن حلَقَ رأسَه بالصيامِ أو الصدَقةِ أو النُّسكِ في شأنِ كَعبِ بنِ عُجرةَ.

وفيها: دَعا رسولُ الله ﷺ للمُحلِّقين بالمَغفِرة ثلاثًا، وللمُقصِّرين مرَّةً.

وفيها: نَحَروا البَدَنةَ عن سَبعةٍ، والبقَرةَ عن سبعةٍ.

وفيها: أَهدَى رسولُ الله ﷺ في جملةِ هَدْيِه جملًا كان لأبي جَهْل كان في أَنْفه برةٌ من فِضَّة؛ ليَغيظ به المُشرِكين.

وفيها: أُنزِلت سورةُ الفتحِ، ودخَلَت خُزاعةُ في عقدِ رَسولِ الله ﷺ وعهدِه، ودخَلَت بنو بَكرٍ في عَقد قُريشٍ وعهدِهِم.

١٦ - فصل في بعضِ ما في قِصةِ الحُديبيةِ منَ الفوائدِ الفِقهيةِ

فمنها: اعتِمارُ النبيِّ ﷺ في أَشهُر الحجِّ.

ومِنها: أن الإحرامَ بالعُمرةِ منَ الميقاتِ أفضلُ.

ومِنها: أن سَوْق الهديِ مَسنونٌ في العُمرةِ المُفردةِ كما هو مَسنونٌ في القِرانِ.

ومِنها: أن إشعارَ الهَديِ سنةٌ لا مُثلةٌ مَنهيٌّ عنها.

ومِنها: استِحْبابُ مُغايَظةِ أعداءِ الله.

ومِنها: أن أميرَ الجيش يَنبَغي له أن يَبعَث العيونَ أمامَه نحوَ العدوِّ.

ومِنها: أن الاستعانةَ بالمُشرِك المَأمونِ في الجِهادِ جائِزةٌ عندَ الحاجةِ.

ومنها: استِحبابُ مَشورةِ الإمامِ رعيتَه وجيشَه استِخراجًا لوجهِ الرأيِ واستِطابةً لنُفوسِهم، وأَمْنا لعَتْبِهم؛ لقولِه تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقد مدحَ سبحانه وتعالى عبادَه بقولِه: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨].

ومِنها: جَوازُ سَبيِ ذَراريِّ الْمُشرِكين إذا انفَرَدوا عن رِجالِهم قبل مُقاتَلة الرِّجالِ.

ومِنها: أن الْمُشرِكين وأهلَ البِدَع والفُجور والبُغاةَ والظلمةَ إذا طلَبوا أمرًا يُعظِّمون فيه حُرمةً من حُرماتِ الله تعالى، أُجيبوا إليه وأُعطوه وأُعينوا عليه.

ومنها: استحبابُ الفألِ، وأنه ليس من الطيرةِ المكروهةِ؛ لقوله لما جاء سهيلٌ: «**سَهُلَ أمرُكم**».

ومنها: أن مُصالحةَ المشرِكين ببعضِ ما فيه ضَيْم على الْمُسلِمين جائزةٌ للمَصلَحةِ الراجحةِ.

ومنها: أن الحِلاقَ نُسُكٌ، وأنه أفضلُ من التَّقصيرِ، وأنه نُسُك في العُمرةِ كما هو نسُكٌ في الحجِّ.

١٧- فصل في الإشارة إلى بعض الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة

وهي أكثرُ وأجلُّ من أن يحيطَ بها إلا الله الذي أحكمَ أسبابَها، فوقعت الغايةُ على الوجه الذي اقتضته حكمتُه وحمدُه.

فمنها: أن هذه الهدنةَ كانت من أعظمِ الفتوحِ؛ فإن الناسَ أَمِنَ بعضُهم بعضًا، واختلط المسلمون بالكفارِ، وبادءوهم بالدعوةِ وأسمعوهم القرآنَ،

وناظروهم على الإسلامِ جهرةً آمنين، وظهر مَن كان مختفيًّا بالإسلام، ودخل فيه في مدةِ هذه الهدنةِ مَن شاء الله أن يدخلَ؛ ولهذا سمَّاه الله فتحًا مبينًا.

ومنها: ما سبَّبه الله سبحانه للمؤمنين مِن زيادةِ الإيمانِ والإذعانِ والانقيادِ على ما أحبوا وكرهوا، وما حصَلَ لهم في ذلك مِن الرضى بقضاءِ الله وتصديقِ موعودِه، وانتظارِ ما وُعِدوا به، وشهودِ منَّة الله ونعمتِه عليهم بالسكينةِ التي أنزلها في قلوبِهم أحوجَ ما كانوا إليها في تلك الحالِ التي تُزَعْزِعُ لها الجبالُ.

١٨ - فصل في غَزوةِ خيبرَ

قال ابنُ إسحاق: انصرفَ رسولُ الله ﷺ عامَ الحُديبيةِ، فنزَلت عليه سورةُ الفتحِ فيما بين مكةَ والمَدينةِ، فأَعطاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فيها خيبرَ ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] خيبر، فقَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ في ذي الحِجةِ، فأَقامَ بها حتَّى سارَ إلى خيبرَ في المحرَّمِ، فنزلَ رسولُ الله ﷺ بالرجيعِ وهو وادٍ بين خيبرَ وغطَفانَ، فتخوَّفَ أن تمدَّهم غطفانُ، فبات به حتى أصبحَ فغدا إليهم. انتهى.

ولَمَّا قدِمَ رسولُ الله ﷺ خيبرَ صلَّى بها الصبحَ، وركِبَ المُسلمونَ، فخرجَ أهلُ خيبرَ بمَساحيهم ومَكاتِلِهم ولا يَشعُرون، بل خرَجوا لأرضِهم، فلمَّا رأَوُا الجيشَ قالوا: مُحمَّد والله، محمدٌ والخَميسُ. ثُم رجَعوا هارِبين إلى مدينتهم، فقال النبيُّ ﷺ: «**اللهُ أَكبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذا نَزَلْنا بِساحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥).

ولَمَّا كان ليلةُ الدخولِ قال: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ**»، فباتَ الناسُ يَدوكون أيُّهم يُعطاها، فلمَّا أَصبَح الناسُ غدَوْا على رسولِ الله ﷺ كلُّهم يَرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين عليُّ بنُ أبي طالِبٍ؟**» فقالوا: يا رَسولَ الله، هو يَشتكي عينَيْه. قال: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**»، فأُتِيَ به، فبصَق رسولُ الله ﷺ في عينَيْه، ودعا له، فبرَأ حتَّى لم يكُنْ به وجَعٌ، فأَعطاهُ الرايةَ، فقال: يا رسولَ الله، أُقاتِلهم حتَّى يَكونوا مثلَنا؟ قال: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[(١)].

فخرَج مَرحَبٌ وهو يَقول:

أَنا الَّذي سَمَّتْني أُمِّي مَرحَبْ
شاكِي السِّـــــلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبْ
إِذا الحُـــــــوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبْ

فبرَزَ إليه عليٌّ وهو يَقولُ:

أَنا الَّذي سَمَّتْني أُمِّي حَيْدَرَهْ
كَلَيْثِ غاباتٍ كَريهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيهُمُ بالصاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

فضَرَب مَرحبًا ففلَق هامَتَه، وكان الفتحُ(١).

قال موسى بنُ عقبة: ثم دخل اليهودُ حصنًا لهم منيعًا يقال له: القَمُوص، فحاصرهم رسولُ الله ﷺ قريبًا من عشرين ليلةً، وكانت أرضًا وخمةً شديدةَ الحرِّ، فجهد المسلمون جهدًا شديدًا(٢).

قال الواقدي: وتحوَّلت اليهودُ إلى قلعةِ الزبيرِ - حصن منيع في رأس قلة - فأقام رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أيام، فجاء رجلٌ من اليهودِ يُقال له: عزال، فقال: يا أبا القاسم، إنك لو أقمتَ شهرًا ما بالوا، إن لهم شربًا وعيونًا تحت الأرض يخرجون بالليلِ فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتِهم فيمتنعون منك، فإن قطعتَ مشربَهم عليهم أصحروا لك. فسار رسولُ الله ﷺ إلى مائِهم فقطعَه عليهم، فلما قطعَ عليهم خرجوا فقاتلوا أشدَّ القتالِ، وقُتل من المسلمين نفرٌ، وأُصيب نحو العشرةِ من اليهودِ، وافتتحه رسولُ الله ﷺ(٣).

ثم تحوَّل رسولُ الله ﷺ إلى أهل الكتيبةِ والوطيحِ والسلالمِ حصنِ ابن أبي الحُقيق، فتحصَّن أهلُه أشدَّ التحصينِ، وجاءهم كلُّ من كان انهزم مِن النطاةِ والشق، فإن خيبرَ كانت جانبين: الجانب الأول: الشق والنطاة، وهو الذي افتتحه أولًا، والجانب الثاني: الكتيبةُ والوطيحُ والسلالمُ.

فجعلوا لا يخرجون من حصونِهم حتى هَمَّ رسول الله ﷺ أن يَنصبَ عليهم المنجنيقَ، فلما أيقنوا بالهلكةِ وقد حصرَهم رسولُ الله ﷺ أربعةَ عشرَ يومًا، سألوا

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٧).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٣٩.

(٣) مغازي الواقدي ٢/ ٦٦٦-٦٦٧.

رسولَ الله ﷺ الصلحَ، وأرسل ابنُ أبي الحُقيق إلى رسولِ الله ﷺ: أَنْزِلُ فأكلِّمُك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فنزل ابنُ أبي الحقيق فصالَحَ رسولَ الله ﷺ على حقنِ دماءِ مَن في حصونِهم مِن المقاتلةِ وتركِ الذريةِ لهم، ويخرجون من خيبر وأرضِها بذراريهم، ويخلون بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ ما كان لهم من مالٍ وأرضٍ وعلى الصفراءِ والبيضاءِ والكراعِ والحلقةِ، إلا ثوبًا على ظهرِ إنسانٍ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**وبرِئَت منكم ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسولِه إن كتمتموني شيئًا**». فصالحوه على ذلك».

١٩ - فصل [في الشاة المسمومة]

وفي هذه الغَزاةِ سُمَّ رسولُ الله ﷺ، أَهدَت له زينبُ بنتُ الحارِث اليَهوديةُ امرأةُ سَلام بن مِشكَمٍ شاةً مشويةً قد سَمَّتها، وسألت: أيُّ اللحمِ أحبُّ إليه؟ فقالوا: الذِّراعُ. فأكثَرَت من السَّمِّ في الذراعِ، فلما انتَهَش من ذِراعها أَخبَرَه الذراعُ بأنه مَسموم، فلَفِظ الأكلةَ ثُم قال: «**اجْمَعُوا لِي مَنْ هَاهُنَا مِنَ الْيَهُودِ**»، فجمَعوا له، فقال لهم: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ فِيهِ؟**» قالوا: نعَمْ يا أبا القاسِمِ. فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَبُوكُمْ؟**» قالوا: أبونا فُلانٌ. قال: «**كذَبْتم، أَبوكُم فُلانٌ**»، قالوا: صدَقْت وبرَرْتَ. قال: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**»، قالوا: نعَمْ يا أبا القاسِمْ وإن كذَبْناك عرَفْت كذِبَنا كما عرَفْته في أَبينا. فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟**» فقالوا: نَكون فيها يسيرًا ثُم تَخلفُونَا فيها. فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**اخْسَؤُوا فِيهَا، فَوَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**». ثُم قال: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**» قالوا: نعَمْ. قال: «**أَجَعلْتُمْ فِي**

هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟» قالوا: نعَمْ. قال: «**فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟**» قالوا: أرَدْنا إن كنتَ كاذبًا نَستريح منكَ، وإن كنت نبيًّا لم يَضُرَّكَ[(١)].

وقد اختُلِفَ: هل أكلَ النبيُّ منها أو لم يأكُل؟ وأكثرُ الروايات أنه أكَلَ منها وبَقِيَ بعدَ ذلك ثلاثَ سنين حتى قال في وجعِه الذي مات فيه: «**ما زلتُ أجدُ مِن الأكلةِ التي أكلتُ مِن الشاةِ يومَ خيبر، فهذا أوانُ انقطاعِ الأبهرِ مني**»[(٢)]، قال الزهري: فتوفي رسولُ الله ﷺ شهيدًا.

٢٠- فصل فيما كان في غزوةِ خيبرَ منَ الأحكامِ الفِقهيةِ

فمنها: مُحاربةُ الكُفَّار ومُقاتَلتُهم في الأشهرِ الحُرمِ.

ومِنها: أنه إذا لَحِقَ مدَدٌ بالجيشِ بعد تَقضِّي الحربِ، فلا سهمَ له إلَّا بإذنِ الجيشِ ورِضاهُم؛ فإن النبي ﷺ كلَّم أصحابَه في أهل السفينةِ حين قدموا عليه بخيبر - جعفر وأصحابه - أن يسهمَ لهم، فأسهمَ لهم.

ومِنها: تحريمُ لُحومُ الحمرِ الإنسيةِ، صحَّ عنه تحريمُها يومَ خيبر، وصحَّ عنه تعليلُ التحريمِ بأنها رجسٌ.

ومِنها: جَوازُ المُساقاةِ والمُزارعةِ بجُزْء مِمَّا يَخرُج من الأرضِ، كما عامَلَ رسولُ الله ﷺ أهلَ خيبر على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٧).

(٢) علقه البخاري (٤٤٢٨)، وأخرجه البزار ١٨/ ١٤٩ (١١٥)، والحاكم ٣/ ٦٠ (٤٣٩٣).

ومِنها: جوازُ تعليقِ عَقْد الصُّلحِ والأمانِ بالشرطِ، كما عقَدَ لهم رسولُ الله ﷺ بشرط ألا يُغيِّبوا ولا يَكتموا.

ومِنها: جَوازُ الأكلِ من ذَبائحِ أهلِ الكِتابِ وحِلُّ طَعامِهم.

ومِنها: قَبولُ هَديةِ الكافرِ.

٢١ - فصل في قصةِ وادي القرى وتَيماء وفَدك

ثُم انصرفَ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ إلى وادِي القُرى، وكان بها جماعةٌ منَ اليهودِ، وقدِ انضافَ إليهم جماعةٌ منَ العربِ، فلمَّا نزَلوا استَقبلَتهم يَهودُ بالرميِ وهم على غيرِ تَعبِئةٍ، فعبَّأَ رَسولُ الله ﷺ أصحابَه للقِتالِ وصَفَّهم، ثُم دعاهُم إلى الإسلامِ، فبرَزَ رجُل منهم فبرَزَ إليه الزُّبيرُ بنُ العوَّامِ فقتَلَه، ثُم برَزَ آخَرُ فقتَلَه، ثُم برَزَ آخرُ فبرَزَ إليه عليٌّ فقتَلَه، حتى قُتِل مِنهم أحدَ عشرَ رجُلًا، كلَّما قُتِل منهم رجُل دعا مَن بَقِيَ إلى الإسلامِ، وكانتِ الصلاةُ تَحضُر ذلك اليومَ، فيُصلِّي بأصحابِه ثُم يَعود فيَدعوهم إلى الإسلامِ، وإلى الله ورسولِه، فقاتَلَهم حتَّى أَمسَوْا وغَدَا عليهم فلم تَرتفِعِ الشمسُ قِيدَ رُمحٍ حتَّى أَعطَوْا ما بأيديهم وفتَحها عَنوةً. وانصرَفَ رسولُ الله ﷺ راجِعًا إلى المدينةِ.

وأقام رسولُ الله ﷺ بوادي القرى أربعةَ أيام، وقسمَ ما أصاب على أصحابِه بوادي القرى، وتَرَكَ الأرضَ والنخلَ بأيدي اليهودِ، وعامَلَهم عليها، فلما بلغَ يهودَ تيماء ما واطأ عليه رسولُ الله ﷺ أهلَ خيبر وفدك ووادي القرى، صالحوا رسولَ الله ﷺ وأقاموا بأموالِهم.

٢٢- فصل في بعثِ النبي ﷺ السَّرايا

أَقامَ رسولُ الله ﷺ في المَدينةِ بعد مَقدَمه من خيبرَ إلى شوَّالٍ، وبعَثَ في خِلالِ ذلك السَّرايا.

٢٣- فصل في عُمرةِ القَضيةِ

قال موسى بنُ عقبة: ثم خرج رسولُ الله ﷺ مِن العامِ المقبلِ مِن عام الحديبيةِ معتمرًا في ذي القعدة سنةَ سبع، وهو الشهرُ الذي صدَّه فيه المشركون عن المسجدِ الحرامِ، حتى إذا بلَغَ يأججَ وضَعَ الأداةَ كلَّها الحجف والمجان، والنبلَ، والرماحَ، ودخلوا بسلاحِ الراكب السيوفِ(١).

فلمَّا قدِمَ رسولُ الله ﷺ أَمرَ أَصحابَه، فقالَ: «**اكْشِفُوا عَنِ المُناكِبِ، وَاسْعَوْا فِي الطَّوَافِ**»؛ ليَرَى المُشرِكون جلَدَهم وقُوَّتهم، وكان يُكايِدهم بكلِّ ما استَطاعَ، فوقَف أهلُ مكةَ: الرجالُ والنساءُ والصِّبيانُ يَنظُرون إلى رَسولِ الله ﷺ وأصحابِه وهم يَطوفون بالبيتِ.

وتَغيَّب رجالٌ منَ المشرِكين كراهيةَ أن يَنظُروا إلى رسولِ الله ﷺ حنقًا وغيظًا، فأَقامَ رسولُ الله ﷺ بمكةَ ثلاثًا، فلمَّا أصبحَ من اليومِ الرابعِ أَتاهم سُهيلُ بنُ عمرٍو، وحُويطِب بنُ عبدِ العُزَّى، ورسولُ الله ﷺ في مجلسِ الأنصارِ يَتحدَّث مع سَعدِ بنِ عُبادةَ، فصاح حُويطبٌ: نُناشِدُك اللهَ والعَقدَ لَمَا خرَجْتَ من أَرْضنا، فقَدْ مضَتِ الثلاثُ. فأمرَ رسولُ الله ﷺ أبا رافِعٍ، فأَذَّنَ بالرَّحيلِ.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٣١٤ من طريق موسى بن عقبة.

٢٤- فصل في غَزوةِ مُؤتةَ

وهي بأدنى البلقاءِ من أرضِ الشامِ، وكانت في جُمادَى الأُولى سنةَ ثمانٍ، وكان سببُها أن رسولَ الله ﷺ بعَث الحارثَ بن عُميرٍ الأزديَّ -أحدَ بني لِهبٍ- بكِتابِه إلى الشامِ، إلى ملِكِ الرومِ أو بُصرَى، فعرَض له شُرحبيلُ بنُ عَمرٍو الغسانيُّ، فأوثَقه رباطًا، ثُم قدَّمه فضربَ عُنقَه، ولم يُقتَل لرَسولِ الله ﷺ رسولٌ غيرُه، فاشتدَّ ذلك عليهِ حين بلَغه الخبرُ، فبعَث البعوثَ، واستَعملَ عليهم زيدَ بنَ حارثَةَ، وقال: «**إِنْ أُصيبَ فَجَعْفَرُ بنُ أَبِي طالِبٍ عَلى الناسِ، فَإِنْ أُصيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ الله بْنُ رَواحَةَ**»[1].

ثُم مضَوْا حتى نزَلوا مُعانَ، فبلَغَ الناسَ أن هرقلَ بالبَلقاءِ في مِئة أَلْف من الرومِ، وانضَمَّ إليهم من لَخْم وجُذام وبُلقين وبَهراءَ وبَلِي، مِئةُ أَلْف، فلمَّا بلغَ ذلك المُسلِمين أَقاموا على مُعان ليلتَيْن يَنظُرون في أَمْرهم، وقالوا: نَكتُب إلى رَسولِ الله ﷺ فنُخبِرُه بعدَد عدوِّنا فإمَّا أن يَمُدَّنا بالرجالِ، وإمَّا أن يَأمُرنا بأمرِه فنَمضي له، فشجَّع الناسَ عبدُ الله بنُ رواحةَ وقال: يا قوم، والله إن الَّذي تَكرهون للَّتي خرَجْتُم تَطلُبون: الشهادة، وما نُقاتِل الناسَ بعدَد ولا قوَّةٍ ولا كَثرةٍ، ما نُقاتِلهم إلَّا بهذا الدِّينِ الَّذي أَكرَمنا به اللهُ، فانطلِقوا فإنما هي إحدَى الحُسنيَيْن: إمَّا ظَفر وإما شَهادة.

فمضَى الناسُ حتَّى إذا كانوا بتُخوم البلقاءِ لقِيَتهم الجموعُ بقَريةٍ يُقالُ لها: مشارِفُ، فدَنا العدوُّ، وانحازَ المُسلِمون إلى مُؤتةَ، فالْتَقى الناسُ عندها، فتَعبَّى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦١).

المُسلمون، ثُم اقتَتَلوا والرايةُ في يدِ زيدِ بنِ حارثةَ، فلم يَزَلْ يُقاتِلُ بها حتى شاطَ في رماحِ القومِ، وخرَّ صريعًا، فأخَذَها جعفرٌ، فقاتلَ بها حتَّى إذا أَرهَقَه القتالُ اقتحَمَ عن فَرسِه فعقَرها، ثُم قاتلَ حتَّى قُتِل، فكان جعفرٌ أولَ مَن عقَر فرسَه في الإسلامِ عندَ القِتالِ، فقُطِعت يَمينُه، فأخَذَ الرايةَ بيَسارِه، فقُطِعت يَسارُه، فاحتَضَن الرايةَ، حتَّى قُتِل وله ثلاثٌ وثلاثون سَنةً.

ثُم أخذَها عبدُ الله بنُ رواحةَ وتَقدَّم بها وهو على فرَسِه، فقاتلَ حتَّى قُتِلَ، ثُم أخذَ الرايةَ ثابتُ بن أَقرَمَ أخو بَني عجلانِ، فقال: يا مَعشرَ المُسلِمين اصطَلِحوا على رجُلٍ منكم، قالوا: أنتَ. قال: ما أنا بفاعِل. فاصطَلَح الناسُ على خالدِ بنِ الوليدِ، فلمَّا أخذَ الرايةَ دافعَ القومَ وحاشَ بهم، ثُم انحازَ بالمُسلِمين وانصرفَ بالناسِ.

وقد ذكر ابنُ سعد أن الهزيمةَ كانت على المسلمين[1]، والذي في «صحيح البخاري» أن الهزيمةَ كانت على الرومِ[2]. والصحيحُ ما ذكره ابنُ إسحاق أن كلَّ فئةٍ انحازَتْ عن الأخرى[3].

٢٥- فصل في الفتحِ الأعظمِ

الَّذي أعزَّ اللهُ به دينَه ورسولَه، وجُندَه وحِزبَه الأمينَ، واستنقذَ به بلدَه وبيتَه الَّذي جعلَه هدًى للعالَمِين من أيدي الكفَّارِ والمُشرِكين، وهو الفتحُ الَّذي استبشَرَ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٩٨.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٦).
(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٠.

به أهلُ السماءِ، وضَرَبت أطنابُ عزِّه على مناكِبِ الجَوزاءِ، ودخلَ الناسُ به في دِينَ الله أفواجًا، وأشرَقَ به وجهُ الدهر ضِياءً وابتهاجًا، خرجَ له رسولُ الله ﷺ بكتائِبِ الإِسلامِ، وجُنودِ الرحمنِ سنةَ ثمانٍ لعشرٍ مضَيْن من رمضانَ.

لما كان صلحُ الحديبية بينَ يدي رسولِ الله ﷺ وبين قريشٍ، وقع الشرطُ أنه من أحبَّ أن يدخلَ في عقدِ رسولِ الله ﷺ وعهدِه فعَلَ، ومَن أحبَّ أن يدخلَ في عقدِ قريشٍ وعهدِهم فعَلَ، فدخلَتْ بنو بكرٍ في عقدِ قريشٍ وعهدِهم، ودخلَتْ خزاعةُ في عقدِ رسولِ الله ﷺ وعهدِه، فلما استقرَّت الهدنةُ اغتنمها بنو بكرٍ مِن خزاعةَ، وأرادوا أن يصيبوا منهم الثأرَ القديمَ، فخرج نوفلُ بن معاويةَ الديلي في جماعةٍ من بني بكر فبيَّت خزاعةَ وهم على ماء بأسفل مكة الوتيرِ، فأصابوا منهم رجالًا، وتناوشوا، واقتتلوا، وأعانت قريشٌ بني بكر بالسلاحِ، وقاتل معهم مِن قريشٍ مَن قاتَلَ مستخفيًا ليلًا، فلما دخلَتْ خزاعةُ مكةَ لجأوا إلى دارِ بديلِ بن ورقاء الخزاعيِّ، ودارِ مولى لهم يُقال له: رافعٌ.

ويَخرُج عمرُو بن سالمٍ الخُزاعيُّ حتى قدمَ على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فوقفَ عليه وهو جالِسٌ في المسجدِ بين ظهرانَيْ أصحابِه فقالَ:

يا رَبِّ إنِّي ناشِـــــدٌ مُحـــمَّدَا

حِلْفَ أبينا وأَبيهِ الأَتْلَـــــدَا

إن قُريشًا أَخْلَفوكَ المَوْعِـــدَا

ونَقَضوا مِيثاقَكَ المُؤكَّـــــدَا

يَقولُ: قُتِلنا وقد أَسلَمنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**نُصِرْتَ يا عَمرَو بنَ سَالِمٍ**»، ثم خرَجَ بديلُ بن ورقاء في نفرٍ من خزاعةَ حتى قدموا على رسولِ الله ﷺ فأخبروه بما أُصيب منهم وبمظاهرةِ قريشٍ بني بكر عليهم، ثم رجعوا إلى مكةَ، فقال رسولُ الله ﷺ للناسِ: «**كأنكم بأبي سفيانَ وقد جاء ليشدَّ العقدَ ويزيدَ في المدةِ**».

ومضى بديلُ بن ورقاء في أصحابِه حتى لقوا أبا سفيانَ بن حرب بعسفانَ، وقد [بعثَتْه] قريشٌ إلى رسولِ الله ﷺ ليشدَّ العقدَ ويزيدَ في المدةِ وقد رَهبوا الذي صَنعوا، فلما لَقِيَ أبو سفيان بديلَ بنَ ورقاء قال: من أين أقبلتَ يا بديلُ؟ فقال: سرتُ في خزاعةَ في هذا الساحلِ وفي بطن هذا الوادي، قال: أوما جئتَ محمدا؟ قال: لا، فلما راح بديلُ إلى مكةَ، قال أبو سفيان: لئن كان جاءَ المدينةَ لقد علف بها النوى، فأتى مبركَ راحلتِه، فأخذ مِن بعرِها ففتَّه فرأى فيها النوى، فقال: أحلفُ بالله، لقد جاء بديلٌ محمدًا.

ثُم خرجَ حتى أتَى رسولَ الله ﷺ فكلَّمه فلم يَرُدَّ عليه شيئًا، ثُم ذهبَ إلى أبي بَكْر، فكلَّمه أن يُكلِّم له رسولَ الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعِلٍ. ثُم أتَى عمرَ بنَ الخطَّابِ فكلَّمه، فقال: أنا أَشفَعُ لكُم إلى رَسولِ الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجِدْ إلَّا الذَّرَّ لجاهَدْتُكم به. ثُم جاء فدخَل على عليِّ بنِ أبي طالِب وعِندَه فاطِمةُ وحسَنٌ غُلامٌ يدبُّ بين يديها فقال: يا عليُّ، إنكَ أمسُّ القومِ بي رحِمًا، وإني قد جِئتُ في حاجةٍ فلا أَرجِعَنَّ كما جئتُ خائبًا، اشفَعْ لي إلى محمَّدٍ. فقال: وَيحكَ يا أبا سُفيانَ، والله لقَدْ عزَم رسولُ الله ﷺ على أَمْر ما نَستَطيع أن نُكلِّمه فيه، فالتَفَتَ إلى فاطِمةَ فقال: هل لكِ أن تَأمُري ابنَكِ هذا فيُجير بين الناسِ، فيَكون سيِّدَ العربِ إلى آخِرِ الدهرِ؟ قالت: واللهِ ما يَبلُغ ابني ذاكَ أن يُجير بين الناسِ، وما يُجير أَحَدٌ على رسولِ الله ﷺ.

قال: يا أبا الحسَنِ إني أَرى الأمورَ قدِ اشتَدَّت عليَّ فانصَحْني. قال: والله، ما أعلَمُ لكَ شيئًا يُغنِي عنكَ، ولكنَّكَ سيِّد بني كِنانةَ، فقُمْ وأَجِرْ بين الناسِ، ثُم الْحَقْ بأرضكَ. قال: أوَتَرَى ذلك مُغنيًا عنِّي شيئًا؟ قال: لا والله ما أَظنُّه، ولكِنِّي ما أجِدُ لك غير ذلكَ، فقام أبو سُفيانَ في المسجدِ، فقال: أيُّها النَاسُ، إني قد أَجَرتُ بين الناسِ، ثُم ركِبَ بعيرَه فانطلقَ.

وأمرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ بالجهازِ، وأمرَ أهلَه أن يُجهِّزوه، فدخلَ أبو بكرٍ على ابنتِه عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهي تُحرِّك بعضَ جهازِ رسولِ الله ﷺ فقال: أي بُنيَّة، أَمرَكُن رسولُ الله ﷺ بتَجهيزِه؟ قالت: نعَمْ. فتَجهَّز، قال: فأينَ تَرينَه يُريدُ؟ قالت: لا والله ما أَدرِي. ثُم إن رسولَ الله ﷺ أَعلمَ الناسَ: «**إني سائِرٌ إلى مكةَ**» فأمرَهم بالجِدِّ والتَّجهيزِ، وقال: «**اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلَادِهَا**» فتَجهَّز الناسُ.

ثُم مضَى حتَّى نزلَ مَرَّ الظهرانِ، وهو بطن مَرٍّ، ومعه عشَرةُ آلافٍ وعمَّى اللهُ الأخبارَ عن قُريشٍ فهم على وجَل وارتِقابٍ.

فأمَرَ الجيشَ فأَوقَدوا النيرانَ، فأُوقِدَت أكثر من عشرةِ آلافِ نارٍ، وجعَلَ رسولُ الله ﷺ على الحرَسِ عمرَ بنَ الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وركِبَ العباسُ بَغلةَ رسولِ الله ﷺ البيضاءَ وخرجَ يَلتمِس لعَلَّه يَجِد بعضَ الحطَّابة، أو أحدًا يُخبِر قريشًا؛ ليَخرُجوا يَستَأمِنون رسولَ الله ﷺ قبلَ أن يَدخُلها عنوةً، قال: فوالله إني لأَسيرُ عليها إذ سمِعت كلام أبي سُفيانَ، وبُدَيْل بن وَرقاءَ وهُما يَتراجَعان، وأبو سُفيانَ يقول: ما رأَيْت كالليلةِ نيرانًا قطُّ ولا عسكَرًا. قال:

يَقول بُديلٌ: هذه والله خُزاعةُ حَمَشَتْها الحربُ. فيَقول أبو سُفيانَ: خُزاعةُ أقلُّ وأذلُّ من أن تَكون هذه نِيرانُها وعسكَرُها. قال: فعرَفْت صوتَه، فقلتُ: أبا حَنظلةَ، فعرَف صَوْتي. فقال: أبا الفَضْل؟ قلتُ: نعَمْ. قال: ما لكَ فداكَ أبي وأُمِّي؟ قال: قلتُ: هذا رَسولُ الله ﷺ في الناسِ، واصَباحَ قُريشٍ واللهِ.

قال: فما الحيلةُ فداكَ أبي وأُمِّي؟ قلتُ: والله لئن ظفَرَ بك ليضربنَّ عنقَك، فاركَب في عجزِ هذه البغلةِ حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ فأستأمِنُه لك، فركبَ خلفي، ورجع صاحباه، قال: فجئتُ به، فكلما مررتُ بنارٍ من نيرانِ المسلمين قالوا: مَن هذا؟ فإذا رأَوا بغلةَ رسولِ الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عمُّ رسولِ الله ﷺ على بغلتِه، حتى مررتُ بنارِ عمرِ بن الخطاب، فقال: مَن هذا؟ وقام إليَّ، فلما رأى أبا سفيانَ على عجزِ الدابةِ قال: أبو سفيان عدوُّ الله؟ الحمدُ لله الذي أمكنَ منك بغير عقدٍ ولا عهدٍ، ثم خرَجَ يشتدُّ نحو رسولِ الله ﷺ ورَكَضْتُ البغلةُ فسبقَت فاقتحمتُ عن البغلةِ، فدخلتُ على رسولِ الله ﷺ ودخل عليه عمرُ، فقال: يا رسولَ الله، هذا أبو سفيانَ فدعني أضربُ عنقَه، قال: قلتُ: يا رسولَ الله ﷺ إني قد أجرتُه، فقال رسول الله ﷺ: «اذهَب به يا عباسُ إلى رحلِك، فإذا أصبحتَ فأتِني به، فذهبتُ فلما أصبحتُ غدوتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال: «**ويحك يا أبا سفيان! ألم يَأَن لك أن تعلمَ أن لا إلهَ إلا الله**»؟ قال: بأبي أنت وأُمِّي ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك، لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إلهٌ غيره لقد أغنى شيئًا بعدُ، قال: «**ويحك يا أبا سفيان! ألم يَأَن لك أن تعلمَ أني رسولُ الله**»؟ قال: بأبي أنت وأُمِّي ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك، أمَّا هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئًا، فقال له العباسُ: ويحك! أسلِم واشهَد أنَّ لا إلهَ إلا الله، وأن

محمدًا رسولُ الله، قبلَ أن يُضربَ عنقُك، فأسلم وشَهِدَ شهادةَ الحقِّ، فقال العباسُ: يا رسولَ الله، إن أبا سفيانَ رجلٌ يحبُّ الفخرَ، فاجعل له شيئًا، قال: «**نعم، مَن دخلَ دار أبي سفيانَ فهو آمنٌ، ومن أغلَقَ عليه بابَه فهو آمنٌ، ومَن دخَلَ المسجدَ الحرامَ فهو آمنٌ**».

وأمر العباسَ أن يحبسَ أبا سفيانَ بمضيقِ الوادي عندَ خطمِ الجبل؛ حتى تمرَّ به جنودُ الله فيراها، ففعل، فمرَّت القبائلُ على راياتها، كلما مرَّت قبيلةٌ قال: يا عباسُ، مَن هذه؟ فأقول: سليمٌ، قال: فيقول: ما لي ولسليم، ثم تمرُّ القبيلةُ فيقول: يا عباسُ، مَن هؤلاء؟ ، فأقول: مزينةُ، فيقول: ما لي ولمزينةَ، حتى نفدَت القبائلُ، ما تمرُّ به قبيلةٌ إلا سألني عنها، فإذا أخبرتُه بهم قال: ما لي ولبني فلان، حتى مرَّ به رسولُ الله ﷺ في كتيبتِه الخضراءِ فيها المهاجرون والأنصارُ، لا يُرَى منهم إلا الحدقُ من الحديدِ، قال: سبحانَ الله يا عباسُ! مَن هؤلاء؟ قال: قلتُ: هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحدٍ بهؤلاء قبلٌ ولا طاقةٌ، ثم قال: والله يا أبا الفضلِ لقد أصبحَ ملكُ ابن أخيك اليوم عظيمًا، قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوةُ، قال: فنَعم إذًا، قال: قلتُ: النجاء إلى قومِك.

ومضى أبو سفيانَ حتى إذا جاءَ قريشًا صرَخَ بأعلى صوتِه: يا معشرَ قريشٍ، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قِبلَ لكم به، فمن دخلَ دار أبي سفيانَ فهو آمنٌ، قالوا: قاتلَك الله، وما تُغني عنا دارُك؟ قال: ومَن أغلقَ عليه بابَه فهو آمنٌ، ومن دخَلَ المسجدَ فهو آمنٌ، فتفرق الناسُ إلى دورِهم وإلى المسجدِ.

وسارَ رسولُ الله ﷺ فدخلَ مكةَ من أَعلاها وضُرِبَت له هُنالكَ قُبَّةٌ، وأمَر رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ أن يَدخُلها من أَسفَلِها، وكان على المَجنَبَةِ اليُمنَى،

وكان أبو عُبيدةَ على الرجَّالةِ والحُسَّر، وهم الَّذين لا سِلاحَ معَهم، وقال لخالدٍ ومَن معه: «**إِنْ عَرَضَ لَكُمْ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّى تُوافُونِي عَلَى الصَّفَا**»، فما عرَضَ لهم أحدٌ إلَّا أناموه.

ورُكِزت رايةُ رسولِ الله ﷺ بالحَجونِ عند مسجدِ الفتحِ. ثُم نهَضَ رسولُ الله ﷺ والمُهاجِرون والأنصارُ بين يدَيْه وخلفَه وحولَه حتى دخلَ المسجدَ، فأَقبلَ إلى الحجَرِ الأسودِ، فاستَلَمَه ثُم طافَ بالبيتِ، وفي يدِه قوسٌ، وحولَ البيتِ وعليه ثلاثُمِئة وسِتُّون صنَمًا، فجعلَ يَطعنُها بالقوسِ ويَقولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، والأصنامُ تَتساقطُ على وجوهِها.

وكان طوافُه على راحلتِه، ولم يَكُن مُحرمًا يومئِذٍ فاقتصَرَ على الطوافِ فلَمَّا أَكمَلَه، دعا عُثمانَ بن طلحةَ، فأخذَ منه مِفتاحَ الكعبةِ، فأمرَ بها ففُتِحَت فدخَلَها فرأَى فيها الصوَرَ ورأى صُورةَ إبراهيمَ وإسماعيلَ يَستَقْسِمان بالأزلامِ، فقال: «**قَاتَلَهُمُ اللهُ؛ وَاللهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ**»[(١)]، ورأى في الكعبةِ حمامةً من عيدان فكسرها بيدِه، وأَمَرَ بالصورِ فمُحيت.

ثم أغلقَ عليه البابَ وعلى أسامةَ وبلالٍ، فاستقبل الجدارَ الذي يقابلُ البابَ، حتى إذا كان بينه وبينه قدرُ ثلاثةِ أذرعٍ، وقف وصلَّى هناك، ثم دار في البيتِ، وكبَّر في نواحيه، ووحَّد الله، ثم فتحَ البابَ وقريشٌ قد ملأت المسجدَ صفوفًا ينتظرون ماذا يصنعُ، فأَخذَ بعضادتي البابِ وهم تحته، فقال: «**لا إلهَ إلا اللهُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨٨).

وحدَه، لا شريكَ له، صَدَقَ وعدَه، ونَصَرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَه، أَلَا كلُّ مأثرةٍ أو مالٍ أو دمٍ فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سدانةَ البيت وسقايةَ الحاج، أَلَا وقتلُ الخطإِ شبهُ العمدِ السوط والعصا، ففيه الديةُ مغلظة، مئةٌ من الإبلِ أربعون منها في بطونِها أولادُها. يا معشرَ قريشٍ، إن الله قد أذهَبَ عنكم نخوةَ الجاهليةِ وتعظيمَها بالآباء، الناسُ من آدمَ، وآدمُ من ترابٍ، ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]، ثم قال: يا معشرَ قريشٍ، ما تَرون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ، قال: فإني أقولُ لكم كما قال يوسفُ لإخوتِه: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف: ٩٢]، اذهَبوا فأنتم الطلقاءُ».

٢٦- فصل [فيمن أهدر دمه]

ولمَّا استقرَّ الفتحُ أمَّن رسولُ الله ﷺ الناسَ كلَّهم إلَّا تِسعةَ نفَرٍ، فإنه أمَرَ بقتلِهم وإن وُجِدوا تحتَ أستارِ الكعبةِ، وهم عبدُ الله بنُ سعدِ بن أبي سَرْح، وعِكرمةُ بنُ أبي جهلٍ، وعبدُ العزى بن خطَلٍ، والحارثُ بنُ نُفيلِ بن وَهب، ومِقيَس بن صَبابةَ، وهَبَّارُ بنُ الأسودِ، وقَيْنتانِ لابنِ خطَل، كانتا تُغنيان بهجاءِ رَسولِ الله ﷺ وسارةُ مولاةٌ لبعضِ بني عبد المُطلبِ.

فأمَّا ابنُ أبي سَرْح فأَسلَم فجاء به عُثمانُ بنُ عفانَ فاستَأمَن له رَسولَ الله ﷺ فقبِلَ منه.

وأمَّا عِكرمةُ بنُ أبي جهلٍ، فاستَأمَنَت له امرأتُه بعدَ أن فرَّ، فأمَّنَه النبيُّ ﷺ فقدِمَ وأسلَمَ وحسُنَ إسلامُه.

وأمَّا ابنُ خطَلٍ، والحارثُ، ومِقيَس، وإحدى القَيْنَتَيْن فقتِلوا، وكان مِقيسٌ قد أسلمَ ثُم ارتَدَّ، وقتل ولحِقَ بالمُشرِكين، وأمَّا هَبارُ بنُ الأسودِ، فهو الَّذي عرَض لزينبَ بنتِ رسولِ الله ﷺ حين هاجَرَت، فنخَسَ بها حتى سقَطَت على صخرةٍ وأَسقَطَت جنينَها، ففَرَّ ثُم أسلَمَ وحسُن إسلامُه، واستُؤمِن رسولُ الله ﷺ لسارةَ ولإحدَى القَيْنتين فأَمَّنهما فأَسلَمتا.

فلمَّا كان الغدُ من يومِ الفتح قامَ رسولُ الله ﷺ في الناسِ خطيبًا، فحمِد اللهَ، وأَثنى عليه، ومجَّدَه بما هو أهلُه، ثُم قال: **«يا أَيُّها الناسُ إنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ، فَهِيَ حَرامٌ بِحُرْمَةِ الله إلى يَوْمِ القِيامَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فيها دَمًا، أَوْ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتالِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقولوا: إنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّما أَحلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهارٍ، وَقَدْ عادَتْ حُرْمَتُها اليَوْمَ كَحُرْمَتِها بِالْأَمْسِ، فَلْيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائِبَ»**[(١)].

وبثَّ رسولُ الله ﷺ سَراياهُ إلى الأوثانِ الَّتي كانت حولَ الكَعبةِ، فكُسِرَت كلُّها، منها: اللات، والعُزى، ومَناةُ الثالثةُ الأُخرى، ونادى مُنادِيه بمكَّةَ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يَدَعْ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ»**.

٢٧- فصل في الإشارةِ إلى ما في هذه الغَزوةِ منَ الفِقهِ واللطائفِ

كان صُلحُ الحُديبيةِ مُقدِّمةً وتَوطِئةً بين يدَيْ هذا الفتحِ العظيم، أَمِن الناسُ به وكلَّم بعضُهم بعضًا وناظرَه في الإسلامِ وتَمكَّن مَنِ اختَفَى منَ المُسلمين بمكَّةَ من إظهار دِينه، والدعوةِ إليه، والمُناظرةِ عليه، ودخَل بسببِه بشَرٌ كثيرٌ في الإسلامِ؛

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤).

ولهذا سمَّاه اللهُ فتحًا في قولِه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١]، نزَلت في شأنِ الحُديبيةِ، فقال عمرُ: يا رسولَ الله أَوَفَتْحٌ هو؟ قال: «نَعَمْ»[١].

وأعادَ سبحانَه وتعالى ذِكْر كونِه فتحًا، فقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧] إلى قولِه: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، وهذا شأنُه سبحانَه أن يُقدِّم بين يدَيِ الأمورِ العَظيمةِ مُقدِّماتٍ تَكون كالمَدخَل إليها، المُنبِّهة عليها.

فصل

وفيها: أن أهلَ العهدِ إذا حارَبوا مَن هُم في ذِمَّةِ الإمامِ وجِوارِه وعهدِه صاروا حربًا له بذلكَ، ولم يَبقَ بينَهم وبينَه عهدٌ.

وفيها: انتِقاضُ عهدِ جميعِهم بذلك، رِدْئهم ومُباشِريهم إذا رَضُوا بذلك وأَقرُّوا عليه ولم يُنكِروه.

وفيها: جوازُ صُلحِ أهلِ الحربِ على وضعِ القِتالِ عشرَ سنينَ.

وفيها: أن الإمامَ وغيرَه إذا سئِلَ ما لا يَجوزُ بذلُه أو لا يَجِبُ، فسكَت عن بَذلِه، لم يَكُن سكوتُه بذلًا له.

وفيها: أن رسولَ الكُفَّارِ لا يُقتَل.

وفيها: جَوازُ تَبييتِ الكفارِ، ومغافضتِهم في ديارِهم إذا كانت قد بلَغَتْهمُ الدعوةُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٣٦).

وفيها: جوازُ قتلِ الجاسوسِ وإن كان مسلمًا؛ لأن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأَل رَسولَ الله ﷺ قتلَ حاطبِ بنِ أبي بَلتعةَ لَمَّا بعَث يُخبِر أهلَ مكةَ بالخبرِ ولم يَقُلْ رسولُ الله ﷺ: لا يَحِلُّ قتلُه إنه مُسلِمٌ. بل قال: «**وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقالَ: اعْمَلوا ما شِئْتُمْ**»(١) فأجابَ بأن فيه مانِعًا من قتلِه وهو شُهودُه بدرًا.

وفيها: أن الكبيرةَ العظيمةَ مِمَّا دونَ الشركِ قد تُكفَّر بالحسنةِ الكبيرةِ الماحيةِ، كما وقعَ الجَسُّ من حاطبٍ مُكفَّرًا بشهودِه بدرًا.

وفيها: جوازُ بلِ استحبابُ إظهارِ كثرةِ المُسلمين وقُوَّتهم وشَوْكتهم وهَيْئتهم لرسُلِ العدوِّ، إذا جاؤُوا إلى الإمامِ، كما يَفعلُ مُلوكُ الإسلامِ، كما أمرَ النبيُّ ﷺ بإيقادِ النيرانِ ليلةَ الدخولِ إلى مكةَ، وأمرَ العباسَ أن يَحبِسَ أبا سُفيانَ عند خَطمِ الجبَلِ، وهو ما تَضايَقَ منه، حتى عُرِضَت عليه عساكرُ الإسلامِ.

وفيها: جوازُ دخولِ مكةَ للقِتالِ المباحِ بغيرِ إحرامٍ.

وفيها: البيانُ الصريح بأن مكةَ فُتِحَت عَنوةً، كما ذهبَ إليه جمهورُ أهلِ العلم، ولا يُعرف في ذلك خلافٌ إلا عن الشافعيِّ(٢) وأحمدَ في أحد قولَيْه(٣).

وفيها شيءٌ آخر يمنعُ من قسمتِها ولو وجبَتْ قسمةُ ما عداها من القرى، وهي أنها لا تملك، فإنها دارُ النسكِ، ومتعبدُ الخلقِ، وحرمُ الربِّ تعالى، الذي جعله للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ، فهي وقفٌ من الله على العالمين، وهم فيها سواءٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) الأم للشافعي ٩/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٣) الأحكام السلطانية للفراء (١٨٧).

وفيها: تَعيينُ قتلِ السابِّ لرسولِ الله ﷺ، وأن قتلَه حدٌّ لا بُدَّ من استيفائِه، فإن النبيَّ ﷺ لم يؤمِّن مقيسَ بنَ صبابة، وابنَ خطل، والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه، مع أن نساءَ أهلِ الحربِ لا يُقتلن كما لا تُقتل الذريةُ.

٢٨- فصل في غَزوةِ حُنينٍ وتُسمَّى غزوةَ أَوْطاسٍ

وهما مَوضِعانِ بين مكةَ والطائِفِ، فسُمِّيَت الغَزوةُ باسمِ مكانِها، وتُسمَّى غَزوةَ هوازنَ؛ لأنهم الَّذين أَتَوْا لقتالِ رسولِ الله ﷺ.

قال ابنُ إسحاق: لَمَّا سمِعت هوازنُ برسولِ الله ﷺ، وما فتحَ اللهُ عليه من مكَّةَ، جمَعَها مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْريُّ، فاجتَمَع إليه مع هَوازنَ ثَقيفٌ كلُّها، واجتَمعَت إليه مُضرُ وجُشَمُ كلُّها، وسعدُ بنُ بكرٍ، وناسٌ من بني هلالٍ، وهم قليلٌ، ولم يَشهَدْها من قيسِ عيلانَ إلَّا هَؤلاءِ، ولم يَحضُرْها من هوازنَ كعب، ولا كِلابٌ، وفي جشَمَ دريدُ بنُ الصِّمةِ شيخٌ كبيرٌ، وليس فيه إلَّا رأيُه ومَعرفتُه بالحربِ، وكان شجاعًا مُجربًا، وفي ثَقيف سيِّدانِ لهم، وفي الأحلافِ قاربُ بنُ الأسودِ، وفي بني مالكٍ سبيعُ بنُ الحارثِ وأخوه أحمرُ بنُ الحارثِ، وجماعُ أمرِ الناس إلى مالكِ بنِ عوفٍ النَّصريِّ.

فلمَّا أجمعَ السيرَ إلى رسولِ الله ﷺ ساقَ مع الناسِ أموالَهم ونِساءَهم وأبناءَهُم، فلمَّا نزلَ بأَوطاسٍ اجتَمَعَ إليه الناسُ وفيهم دريدُ بن الصمَّة، فقال: ما لي أسمعُ رغاءَ البعيرِ، ونهاقَ الحمير، وبكاءَ الصغير، ويعارَ الشاء؟ قال: ساق مالك بن عوف مع الناسِ نساءَهم وأموالَهم وأبناءَهم. قال: ولـمَ؟ قال: أردتُ أن أجعلَ خلفَ كلِّ رجلٍ أهلَه ومالَه ليقاتلَ عنهم. فقال: راعي ضأنٍ والله، وهل يردُّ

المنهزمَ شيءٌ، إنها إن كانت لك لم ينفَعك إلا رجلٌ بسيفِه ورمحِه، وإن كانت عليك فُضحتَ في أهلِك ومالِك، قال: إنك قد كبرتَ، وكبر عقلُك، والله لتطيعُنِّي يا معشرَ هوازن، أو لأتكئنَّ على هذا السيفِ حتى يخرجَ من ظهري، وكَرِهَ أن يكونَ لدُريد فيها ذكرٌ ورأيٌ، فقالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يومٌ لم أشهدَه ولم يَفتني. ثُم قال مالكٌ للناسِ: إذا رأيتُموهم فاكسِروا جُفونَ سيوفِكُم، ثُم شُدُّوا شدةَ رجلٍ واحدٍ.

ولَمَّا سمِعَ بهم نبيُّ الله ﷺ بعثَ إليهم عبدَ الله بن أبي حَدردٍ الأسلميَّ، وأمرَه أن يدخلَ في الناسِ، فيُقيم فيهم حتَّى يَعلمَ عِلمَهم، ثُم يَأتيه بخبرِهم، فانطلقَ ابنُ أبي حَدردٍ فدخلَ فيهم حتى سمعَ وعلمَ ما قد جمَعوا له من حربِ رسولِ الله ﷺ، وسمعَ من مالكٍ وأمرِ هوازنَ ما هم عليه، ثُم أقبلَ حتى أتَى رسولَ الله ﷺ فأَخبرَه الخبرَ.

فلمَّا أجمعَ رسولُ الله ﷺ السيرَ إلى هوازنَ، ذُكِر له أن عندَ صفوانَ بنِ أميةَ أدراعًا وسلاحًا، فأرسلَ إليه -وهو يومئذٍ مُشركٌ- فقال: «**يا أَبا أُمَيَّةَ أَعِرْنا سِلاحَكَ هَذَا نَلْقَى فِيهِ عَدُوَّنا غَدًا**»، فقال صفوانُ: أغصبًا يا مُحَمَّدُ؟ قال: «**بَلْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ**»[(١)]، فقال: ليس بهذا بأسٌ، فأعطاه مِئةَ درعٍ بما يَكفيها من السلاحِ[(٢)].

قال ابنُ إسحاق: عن جابرِ بنِ عبد الله، قال: لَمَّا استَقْبلنا واديَ حُنينٍ، انحَدَرْنا في وادٍ من أَوديةِ تِهامةَ أجوفَ حطوط، إنما نَنحدِر فيه انحدارًا. قال: وفي

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٦٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٧-٤٤٠.

عماية الصبحِ، وكان القومُ سبقونا إلى الوادِي، فكَمنوا لنا في شعابِه وأحنائِه ومَضايِقه قد أَجمَعوا وتهيَّئوا وأعدُّوا، فوالله ما راعَنا -ونحن مُنحَطُّون- إلَّا الكتائبُ، قد شدُّوا علينا شدةَ رجُلٍ واحدٍ، وانشمرَ الناسُ راجِعين، لا يَلوِي أحَدٌ على أحَدٍ، وانحازَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ اليمينِ، ثُم قال: «**إلَى أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ هَلُمَّ إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ الله، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله**»، وبقيَ مع رسولِ الله ﷺ نفرٌ من المهاجِرين والأنصارِ وأهلِ بيتِه، وفيمَن ثبَت معه من المُهاجِرين أبو بَكرٍ وعُمرُ، ومن أهلِ بيتِه عليٌّ والعباسُ، وأبو سُفيانَ بنُ الحارثِ وابنُه، والفضلُ بنُ العباسِ، وربيعةُ بنُ الحارثِ، وأسامةُ بنُ زيدٍ، وأيمنُ ابنُ أُمِّ أيمنَ، وقُتِلَ يومئذٍ[(١)].

وقال ابنُ إسحاق: عنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، قال: إني لَمَعَ رسولِ الله ﷺ آخِذٌ بحَكمةِ بغلتِه البيضاءِ قد شجرتُها بها، وكنتُ امرءًا جسيمًا، شديدَ الصوتِ، قال: ورسولُ الله ﷺ يقول حين رأَى ما رأَى من الناسِ: «**إلَى أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟**» قال: فلَمْ أرَ الناسَ يَلوون على شيءٍ. فقال: «**يَا عَبَّاسُ، اصْرُخْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ**»، فأَجابوا: لَبَّيكَ لَبَّيكَ. قال: فيَذهَب الرجلُ ليَثنيَ بَعيرَه، فلا يَقدِر على ذلك، فيَأَخذ دِرعَه فيَقذفها في عُنقه، ويَأخُذ سيفَه وقوسَه وتُرسَه، ويَقتحِم عن بَعيرِه ويُخلي سَبيلَه ويَؤمُّ الصوتَ، حتى يَنتهيَ إلى رسولِ الله ﷺ، حتى إذا اجتمعَ إليه منهم مِئةٌ، استَقبَلوا الناسَ، فاقتَتَلوا، فكانتِ الدعوةُ أوَّلَ ما كانت: يا للأنصارِ. ثُم خلَصَت آخرًا: يا للخَزرجِ. وكانوا صُبرًا عند الحربِ، فأَشرفَ رسولُ الله ﷺ في رَكائبِه، فنظرَ إلى مُجتلدِ القومِ، وهم يَجتلِدون فقال: «**الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**»[(٢)].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤٤-٤٤٥.

وزاد غيرُه:

أنا النَّبيُّ لا كَــــذِبْ

أَنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ[(١)]

وفي «صحيح مسلمٍ»: ثُم أخذَ رسولُ الله ﷺ حصَياتٍ فرمَى بها في وجوهِ الكُفارِ، ثُم قال: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**»، فما هو إلَّا أن رَماهُم، فما زِلتُ أرى حدَّهم كليلًا، وأمرَهُم مُدبرًا[(٢)].

قال ابنُ إسحاق[(٣)]: ولَمَّا انهزَمَ المُشرِكون أتَوُا الطائفَ، ومعَهُم مالكُ بنُ عوفٍ، وعسكَرَ بعضُهم بأَوطاسٍ، وتَوجَّه بعضُهم نحوَ نخلةَ، وبعثَ رسولُ الله ﷺ في آثارِ مَن توجَّهَ قِبَلَ أوطاسٍ أبا عامرٍ الأَشعريَّ، فأَدركَ من الناسِ بعضَ مَن انهزمَ فناوَشوهُ القتالَ، فرُمِيَ بسهمٍ فقُتِلَ، فأخذَ الرايةَ أبو مُوسَى الأشعريُّ، وهو ابنُ عمه، فقاتَلَ ففتحَ اللهُ عليه وهزمَهم اللهُ، وقتَلَ قاتلَ أبي عامرٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي عَامِرٍ، وَاجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ**»، واستغفرَ لأبي موسَى[(٤)].

ومضَى مالكُ بنُ عوفٍ حتى تَحصَّن بحِصنِ ثَقيفٍ، وأمرَ رسولُ الله ﷺ بالسبيِ والغَنائمِ أن تُجمَع، فجُمِع ذلك كلُّه، وصيَّروه إلى الجِعرانةِ، وكان السبيُ ستةَ آلافِ رأسٍ، والإبلُ أربعةً وعِشرين ألفًا، والغنَمُ أكثرَ من أَربعَين ألفَ شاةٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٣.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨).

وأربعةَ آلافِ أُوقيةٍ فِضَّة، فاستَأنَى بهم رَسولُ الله ﷺ أن يَقدَموا عليه مُسلِمين بِضعَ عشرةَ ليلةً، ثُم بدَأَ بالأموالِ فقسَمَها، وأَعطى المُؤلَّفةَ قلوبُهم أوَّلَ الناسِ.

قال ابن إسحاق(١): عن أبي سعيد الخدري قال: ولمَّا أعطَى رسولُ الله ﷺ ما أَعطَى من تلكَ العَطايا في قريشٍ، وفي قبائلِ العربِ، ولم يَكُ في الأنصارِ منها شيءٌ، وجَدَ هذا الحيُّ من الأنصارِ في أنفسِهم حتَّى كثُرَت فيهم القالةُ، حتَّى قال قائِلُهم: لقِيَ واللهِ رسولُ الله ﷺ قومَه، فدخلَ عليه سعدُ بنُ عُبادةَ، فقال: يا رَسولَ الله، إن هذا الحيَّ من الأنصارِ قد وجَدوا عليكَ في أنفسِهم لِما صنَعْت في هذا الفيءِ الَّذي أصَبْتَ، فقسَمْت في قومِكَ، وأَعطيتَ عَطايا عِظامًا في قبائلِ العربِ، ولم يَكُن في هذا الحيِّ منَ الأنصارِ منها شيءٌ. قال: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟**»، قال: يا رسولَ الله، ما أنا إلَّا من قومي. قال: «**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ؟**» قال: فجاءَ رِجَالٌ منَ المُهاجِرين فترَكهم فدخَلوا، وجاءَ آخَرون فردَّهُم.

فلمَّا اجتَمَعوا أتَى سعدٌ، فقال: قدِ اجتمعَ لكَ هذا الحيُّ منَ الأنصارِ. فأَتاهُم رَسولُ الله ﷺ، فحمِدَ اللهَ وأَثنى عليه بما هو أهلُه، ثُم قال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ، ما قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُموها فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَداكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟!**» قالوا: اللهُ ورسولُه أمنُّ وأفضلُ. ثُم قال: «**أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ؟!**» قالوا: بماذا نُجيبُكَ يا رسولَ الله، لله ولرسولِه المَنُّ والفضلُ.

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٨-٥٠٠.

قال: «**أَما وَالله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْناكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْناكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْناكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْناكَ، أَوَجَدْتُمْ عَلَيَّ يا مَعشَرَ الأَنْصارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعةٍ مِنَ الدُّنْيا، تَأَلَّفْتُ بِها قَوْمًا لِيُسْلِموا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ؟! أَلَا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشاةِ وَالبَعيرِ، وَتَرْجِعونَ بِرَسولِ الله إِلَى رِحالِكُمْ، فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَمَا تَنْقَلِبونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبونَ بِهِ، وَلَوْلا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَوَادِيًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصارُ شِعْبًا وَوادِيًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ وَوَادِيَها، الأَنْصارُ شِعارٌ وَالنَّاسُ دِثارٌ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصارَ، وَأَبْناءَ الأَنْصارِ، وَأَبْناءَ أَبْناءِ الأَنْصارِ**»، قال: فبكَى القومُ حتَّى أَخضَلوا لِحاهُم. وقالوا: رَضِينا برسولِ الله ﷺ قَسْمًا وحظًّا، ثُم انصرَفَ رسولُ الله ﷺ وتفرَّقوا[1].

فصل

وقَدِمَ وفدُ هوازن على رسولِ الله ﷺ، وهم أربعةُ عشرَ رجلًا، ورأسُهم زهيرُ بنُ صرد، وفيهم أبو برقان عمُّ رسولِ الله ﷺ من الرضاعةِ، فسألوه أن يمنَّ عليهم بالسبي والأموالِ، فقال: «**إن معي مَن ترون، وإن أحبَّ الحديث إليَّ أصدقُه، فأبناؤُكم ونساؤُكم أحبُّ إليكم، أم أموالُكم**»؟ قالوا: ما كنَّا نعدلُ بالأحسابِ شيئًا، فقال: «**إذا صليتُ الغداةَ فقوموا فقولوا: إنا نستشفعُ برسولِ الله ﷺ إلى المؤمنين ونستشفعُ بالمؤمنين إلى رسولِ الله ﷺ أن يردُّوا علينا سبيَنا**».

(١) أخرجه مسلم (٢٥٠٦).

فلما صلَّى الغداةَ قاموا فقالوا ذلك، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أما ما كان لي ولبني عبدِ المطلب فهو لكم، وسأسألُ لكم الناسَ**»، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسولِ الله ﷺ، فقال الأقرعُ بنُ حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباسُ بنُ مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسولِ الله ﷺ، فقال العباسُ بنُ مرداس: وهيتموني! فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن هؤلاء القومَ قد جاءوا مسلمين، وقد كنتُ استأنيتُ بسبيِهم، وقد خيرتُهم فلم يعدلوا بالأبناءِ والنساءِ شيئًا، فمن كان عنده منهن شيءٌ فطابت نفسُه بأن يردَّه فسبيلُ ذلك، ومَن أحبَّ أن يستمسكَ بحقِّه فليردَّ عليهم وله بكلِّ فريضةٍ ستُ فرائضَ مِن أولِ ما يفيء الله علينا**»، فقال الناسُ: قد طيبنا لرسول الله ﷺ. فقال: «**إنا لا نعرفُ مَن رَضِي منكم ممن لم يرضَ، فارجعوا حتى يرفعَ إلينا عرفاؤُكم أمرَكم**».

فردُّوا عليهم نساءَهم وأبناءَهم، وكسا رسولُ الله ﷺ السبيَ قبطيةً قبطيةً.

٢٩- فصل في الإشارةِ إلى بعضِ ما تَضمَّنَته هذه الغزوةُ من المسائلِ الفِقهيةِ والنكتِ الحكميةِ

كان اللهُ عَزَّوَجَلَّ قد وعدَ رسولَه وهو صادقُ الوَعدِ، أنه إذا فتحَ مكةَ دخلَ الناسُ في دينِه أفواجًا، ودانَتْ له العربُ بأَسْرها، فلمَّا تمَّ له الفتحُ المُبينُ اقتَضَت حِكمتُه تعالى أن أَمسكَ قُلوبَ هوازنَ ومَن تبِعَها عنِ الإسلامِ، وأن يُجمعوا ويَتألَّبوا لحربِ رسولِ الله ﷺ والمُسلِمين؛ ليَظهَرَ أمرُ الله وتَمامُ إعزازِه لرسولِه ونصرِه لدِينِه؛ ولتكون غَنائِمُهم شُكرانًا لأهلِ الفتحِ؛ وليُظهرَ اللهُ سبحانه رسولَه

وعِبادَه، وقهرَه لهذِهِ الشوكةِ العَظيمةِ الَّتي لم يَلقَ المُسلِمون مِثلَها، فلا يُقاوِمُهم بعدُ أحَدٌ منَ العربِ، ولغيرِ ذلك من الحِكَم الباهرةِ الَّتي تَلوح للمُتأمِّلين، وتَبدو للمُتوسِّمين.

واقتضَتْ حِكمتُه سبحانه أن أَذاقَ المُسلِمين أوَّلًا مَرارةَ الهزيمةِ والكَسرةِ معَ كثرةِ عددِهم وعُدَدِهم، وقُوَّةِ شوكتِهم ليُطامِن رُؤوسًا رُفِعت بالفتحِ، ولم تَدخُل بلَده وحرَمَه كما دخلَه رسولُ الله ﷺ واضِعًا رأسَه مُنحنيًا على فرسِه، حتَّى إن ذقنَه تَكادُ أن تمسَّ سرجَه تَواضُعًا لربِّه وخُضوعًا لعظمتِه، واستِكانةً لعِزَّتِه، أن أحلَّ له حَرَمه وبلَدَه، ولم يحلَّه لأحدٍ قبلَه ولا لأحدٍ بعدَه؛ وليُبيِّن الله سبحانه لمَنْ قال: لن نُغلَبَ اليومَ عن قِلَّةٍ. أن النصرَ إنما هو مِن عِندِه، وأنه مَن يَنصُره فلا غالبَ له، ومَن يَخذُله فلا ناصرَ له غيرُه، وأنه سبحانه هو الَّذي تَولَّى نصرَ رسولِه ودِينِه، لا كَثرتُكم الَّتي أَعجبَتْكُم، فإنها لم تُغنِ عنكم شيئًا، فولَّيْتم مُدبِرين، فلمَّا انكسَرَت قُلوبُهم أُرسِلت إليها خلعَ الجبرِ معَ بَريدِ النصرِ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦]، وقدِ اقتَضَتْ حِكمتُه أن خلعَ النصرَ وجوائِزَه إنما تَفيضُ على أهلِ الانكِسارِ، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٥-٦].

ومِنها: أن اللهَ سبحانه لَمَّا منعَ الجيشَ غنائمَ مكةَ، فلم يَغنَموا منها ذهبًا، ولا فضةً، ولا مَتاعًا، ولا سبيًا، ولا أرضًا، وفيهم حاجةٌ إلى ما يَحتاجُ إليه الجيشُ من أسبابِ القوةِ، فحرَّك سبحانه قُلوبَ المُشرِكين لغَزْوهم، وقذفَ في قُلوبِهم إخراجَ أموالِهم ونَعْمهم وشائِهم وسَبيِهم معَهُم نُزُلًا وضيافةً وكرامةً لحزبِه وجُندِه، وتمَّم

تَقديرَه سبحانه بأن أَطمَعَهم في الظفرِ، وأَلاحَ لهم مَبادئَ النصرِ ليَقضِيَ اللهُ أمرًا كانَ مَفعولًا.

ومِنها: أن اللهَ سبحانه افتتحَ غزْوَ العربِ بغَزوةِ بدرٍ، وختَمَ غزوَهُم بغزاةِ حُنينٍ، ولِهَذا يُقرَن بين هاتينِ الغَزاتينِ بالذِّكْر، فيُقالُ: بَدْر وحُنينٌ. وإن كان بينهما سَبعُ سِنينَ، والملائكةُ قاتَلَت بأَنفسِها مع المُسلِمين في هاتينِ الغَزاتَيْن، والنبيُّ ﷺ رمَى وُجوهَ المُشرِكين بالحصباءِ فيهما، وبهاتينِ الغَزاتينِ طُفِئَت جمرةُ العربِ لغَزوِ رَسولِ الله ﷺ والمُسلِمين، فالأُولى: خوفَّتهم وكسَرَت من حَدِّهم، والثانيةُ: استفرَغَت قُواهُم، واستَنْفَدَت سِهامَهم، وأذَلَّت جَمْعَهم، حتَّى لم يَجِدوا بُدًّا منَ الدخولِ في دِينِ الله.

ومِنها: أن اللهَ سبحانه جبَرَ بها أهل مكةَ، وفرَّحَهم بما نالوه من النصرِ والمَغنمِ، فكانت كالدَّواءِ لما نالَهُم من كَسْرهم، وإن كان عيَّنَ جَبْرهم وعرَّفهم تَمامَ نعمتِه عليهم بما صرَفَ عنهم من شرِّ هوازنَ.

وفيها منَ الفِقهِ: أن الإمامَ يَنبَغي له أن يَبعثَ العُيونَ، ومَن يَدخلُ بين عدوِّه ليَأتيَه بخبَرِهم، وأن الإمامَ إذا سمعَ بقصدِ عَدوِّه له وفي جيشِه قُوة ومنَعة، لا يَقعُد يَنتَظِرهم، بل يَسيرُ إليهم، كما سارَ رسولُ الله ﷺ إلى هوازن، حتى لقيَهم بحُنين.

ومنها: أن الإمامَ يجوز له أن يَستَعيرَ سِلاحَ المُشرِكين وعُدَّتهم؛ لقِتالِ عَدوِّه، كما استعارَ رسولُ الله أدراعَ صفوانَ، وهو يومئذٍ مشركٌ.

ومنها: أن مِن تَمامِ التَّوكُّلِ استِعمالَ الأسبابِ الَّتي نَصَبَها اللهُ لمُسبباتِها قدَرًا وشرعًا، ودخَلَ رسولُ الله ﷺ مكةَ والبيضةُ على رأسِه، وقد أَنزلَ الله عليه ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفيها: عَفوُ رسولِ الله ﷺ عمَّن همَّ بقتلِه، ولم يُعاجِلْه، بل دَعا له، ومسَحَ صدرَه حتَّى عاد كأنَّه وليٌّ حميمٌ.

ومنها: جوازُ انتظارِ الإمامِ بقَسمِ الغنائمِ إسلامَ الكفارِ ودُخولَهم في الطاعةِ، فيَرُدُّ عليهِم غنائِمهم وسَبيَهم.

وفيها: أن النبيَّ ﷺ، قال: «**مَنْ لَمْ يُطَيِّبْ نَفْسَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ فَرِيضَةٍ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا**»، ففي هذا دليلٌ على جوازِ بيعِ الرقيقِ بلِ الحيوانِ بعضِه ببعضٍ نَساءً ومُتفاضِلًا.

٣٠- فصل في غزوةِ الطائفِ في شَوَّالٍ سنةَ ثمانٍ.

قال ابنُ سعد: قالوا: ولمَّا أرادَ رسولُ الله ﷺ المسيرَ إلى الطائفِ، بعثَ الطُّفيلَ بنَ عمرٍو إلى ذِي الكَفَّيْن صنَمِ عمرِو بنِ حمَمَةَ الدوسيِّ يَهدِمه، وأمرَه أن يَستمِدَّ قومَه ويُوافِيَه بالطائفِ، فخرجَ سريعًا إلى قومِه، فهدمَ ذا الكفَّيْن، وجعلَ يَحشُّ النارَ في وجهِه ويُحرِقه ويَقول:

يا ذا الكَفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا
مِيلادُنا أَقْدَمُ مِنْ مِيلادِكَـــــا
أنا حَشَشْتُ النارَ في فُؤادِكَـــا

وانحدَرَ معه من قومِه أربعُمِئة سراعًا، فوافَوُا النبيَّ ﷺ بالطائفِ بعدَ مَقدَمه بأربعةِ أيَّامٍ، وقدِمَ بدَبَّابةٍ ومَنجنيقٍ[(١)].

قال ابنُ سعد: ولَمَّا خرجَ رسولُ الله ﷺ من حُنينٍ يُريدُ الطائفَ، قدِمَ خالدُ بنُ الوليدِ على مُقدِّمته، وكانت ثَقيفٌ قد رمُّوا حصنَهم، وأَدخَلوا فيه ما يَصلُح لهم لسَنةٍ، فلمَّا انهزَموا من أَوطاسٍ، دخَلوا حِصنَهم وأَغلَقوه عليهم وتَهيَّئوا للقتالِ وسارَ رسولُ الله ﷺ فنزلَ قريبًا من حِصنِ الطائفِ، وعَسكرَ هناكَ، فرمَوُا المُسلِمين بالنَّبْلِ رميًا شديدًا، كأنه رِجلُ جَرادٍ، حتَّى أُصيب ناسٌ من المُسلِمين بجِراحةٍ، وقُتِلَ منهمُ اثنا عشرَ رجلًا، فارتَفَع رسولُ الله ﷺ إلى مَوضِعِ مسجِدِ الطائفِ اليومَ، وكان معَه من نِسائِه أُمُّ سلَمَةَ وزينبُ، فضرَب لهما قُبَّتَيْن، وكان يُصلِّي بين القُبَّتَيْن مُدةَ حِصارِ الطائفِ، فحاصَرَهم ثمانيةَ عشرَ يومًا[(٢)].

ونصبَ عليهم المَنجنيقَ، وهو أوَّلُ ما رُميَ به في الإسلامِ.

قال ابنُ إسحاق: حتَّى إذا كان يومُ الشدخةِ عند جِدارِ الطائفِ، دخلَ نفرٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ تحتَ دبَّابةٍ، ثُم دخَلوا بها إلى جِدارِ الطائفِ ليَخرِقوه، فأَرسَلت عليهم ثَقيفٌ سِككَ الحَديدِ مُحماةً بالنار، فخرَجوا من تحتها، فرمَتْهم ثَقيفٌ بالنبلِ، فقتَلوا منهم رِجالًا، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بقَطعِ أعنابِ ثقيفٍ، فوقَعَ الناسُ فيها يَقطَعون[(٣)].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٢٠.

(٢) السابق.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨٣.

قال ابنُ سعد: فسأَلوه أن يَدعَها لله وللرحم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**فَإِنِّي أَدَعُهَا للهِ وَلِلرَّحِمِ**»، فنادى مُنادِي رَسولِ الله ﷺ، أيُّما عبدٍ نزلَ من الحِصنِ وخرَج إلينا فهو حُرٌّ، فخرجَ منهم بِضعةَ عشرَ رجلًا، فيهم أبو بَكرةَ، فأَعتَقَهم رسولُ الله ﷺ، ودفعَ كلَّ رجلٍ منهم إلى رجُل من المُسلِمين يَمونه، فشَقَّ ذلك على أهلِ الطائفِ مَشقَّةً شديدةً.

ولم يُؤذَن لرسولِ الله ﷺ في فتحِ الطائِفِ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ عُمرَ بنَ الخطَّابِ، فأذَّنَ في الناس بالرحيلِ، فضجَّ الناسُ من ذلك وقالوا: نَرحَل ولم يُفتَح علينا الطائفُ؟ فقال رَسولُ الله ﷺ: «**فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ**»، فغدَوْا، فأَصابَتِ المُسلِمين جِراحاتٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فسُرُّوا بذلك وأَذعَنوا، وجعَلوا يَرحَلون ورسولُ الله ﷺ يَضحَك[(١)].

وقيل: يا رسول الله، ادعُ الله على ثقيفٍ، فقال: «**اللهُمَّ اهدِ ثقيفًا وائتِ بهم**»[(٢)].

واستشْهِدَ مع رسولِ الله ﷺ بالطائفِ جماعةٌ، ثم خرَجَ رسولُ الله ﷺ من الطائفِ [إلى] الجعرانةِ، ثم دخل منها محرمًا بعمرةٍ، فقضى عمرتَه، ثم رَجَعَ إلى المدينةِ.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٥).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٢١.

فصل

وقدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ من تَبوكَ في رمضانَ، وقدمَ عليه في ذلك الشهرِ وفدُ ثقيفٍ.

وكان من حديثِهم أن رسولَ الله ﷺ لما انصرَفَ عنهم اتبعَ أثَرَه عروةُ بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخلَ المدينةَ، فأسلَمَ، وسأله أن يرجعَ إلى قومِه بالإسلامِ، فلما أشرَفَ لهم على عُليةٍ له وقد دعاهم إلى الإسلامِ وأظهرَ لهم دينَه رمَوه بالنبلِ مِن كل وجهٍ، فأصابه سهمٌ فقتله.

ثم أقامت ثقيفٌ بعدَ قتلِ عروة أشهرًا، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقةَ لهم بحربِ مَن حولهم مِن العربِ، وقد بايعوا وأسلموا.

وأَجمعوا أن يرسِلوا إلى رسولِ الله ﷺ رجلًا كما أرسلوا عروةَ، فكلَّموا عبدَ ياليل بن عمرو، وكان في سن عروةَ بن مسعود، وعرضوا عليه ذلك، فأبى أن يفعلَ، وخَشِيَ أن يُصنعَ به كما صُنِعَ بعروةَ، فقال: لستُ فاعلا حتى ترسلوا معي رجالًا، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلَيْن من الأحلافِ، وثلاثةً من بني مالكٍ، فيكونون ستة، فخرج بهم، فلما قَدِموا على رسولِ الله ﷺ ضرَبَ عليهم قبةً في ناحيةِ مسجدِه كما يزعمون.

وكان خالدُ بنُ سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينَهم وبينَ رسولِ الله حتى اكتتبوا كتابَهم، وكان خالدٌ هو الذي كتبَه، وكانوا لا يأكلون طعامًا مما يأتيهم من عندِ رسولِ الله ﷺ حتى يأكلَ منه خالدٌ حتى أسلموا.

وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدعَ لهم الطاغيةَ -وهي اللاتُ- لا يهدمها ثلاثَ سنين، فأبى رسولُ الله ﷺ عليهم، فما برحوا يسألونه سنةً سنةً ويأبى عليهم، حتى سألوه شهرًا واحدًا بعدَ قدومِهم، فأبى عليهم أن يدعَها شيئًا مسمًّى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يَسلموا بتركِها من سفهائِهم ونسائِهم وذرارِيهم، ويكرهون أن يروعوا قومَهم بهدمِها، حتى يدخلَهم الإسلامُ، فأبى رسولُ الله إلا أن يبعثَ أبا سفيانَ بنِ حرب والمغيرةَ بن شعبة يهدمانها، وقد كانوا سألوه مع تركِ الطاغيةِ أن يعفيَهم من الصلاةِ، وألَّا يَكسروا أوثانَهم بأيديهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أمَّا كسرُ أوثانِكم بأيديكم فسنُعفيكم منه، وأمَّا الصلاةُ فلا خيرَ في دينٍ لا صلاةَ فيه**».

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا، أَمَّرَ عليهم عثمانَ بنَ أبي العاص، وكان من أحدثِهم سنًّا، وذلك أنه كان مِن أحرصِهم على التفقهِ في الإسلامِ وتعلُّمِ القرآنِ.

[فصل]

فنقول فيها منَ الفِقهِ: جَوازُ القتالِ في الأشهرِ الحُرُمِ، ونَسخُ تَحريمِ ذلك.

ومِنها: جوازُ غزوِ الرجلِ وأهلُه معَه، فإن النبيَّ ﷺ كان معَهُ في هذِهِ الغَزاةِ أُمُّ سلَمةَ وزينبُ.

ومِنها: جوازُ نصبِ المَنجنيقِ على الكفارِ ورَميِهم به، وإن أفضَى إلى قتلِ مَن لم يُقاتِل من النِّساءِ والذُّرِّيَّةِ.

ومِنها: جوازُ قطعِ شجرِ الكُفارِ، إذا كان ذلكَ يُضعِفهم ويغيظُهم وهو أَنكَى فيهم.

ومِنها: أن العبدَ إذا أَبَقَ منَ المُشرِكين ولحِقَ بالمُسلِمين صار حُرًّا.

ومِنها: أن الإمامَ إذا حاصرَ حِصنًا، ولم يُفتَحْ عليه ورأى مصلحةَ المُسلِمين في الرحيلِ عنه لم يَلزَمْه مُصابرتُه.

ومِنها: أنه أَحرمَ منَ الجِعرانةِ بعمرةٍ، وكان داخلًا إلى مكةَ، وهذه هي السنةُ لِمَن دخَلَها من طريقِ الطائفِ وما يَليهِ.

ومِنها: استجابةُ الله لرسولِه ﷺ دُعاءَه لثَقيفٍ أن يَهديَهم ويَأتيَ بهم وقد حارَبوه وقاتَلوه، وقتَلوا جَماعةً من أصحابِه، وقتَلوا رسولَ رسولِه الَّذي أرسلَه إليهم يَدعوهم إلى الله، ومع هذا كلِّه دعا لهم ولم يَدْعُ عليهم، وهذا من كَمالِ رَحمتِه ورأفتِه ونَصيحتِه صلواتُ الله وسلامُه عليه.

ومِنها: كمالُ محبَّةِ الصِّدِّيقِ له، وقصدُه التقرُّبَ إليه والتَّحبُّب بكلِّ ما يُمكِنه؛ ولهذا ناشَدَ المُغيرةَ أن يَدَعَه هو يُبشِّر النبيَّ ﷺ بقُدومِ وفدِ الطائفِ؛ ليكونَ هو الَّذي بشرَه وفرحَه بذلك، وهذا يَدلُّ على أنه يَجوزُ للرجلِ أن يَسألَ أخاه أن يُؤثِره بقُربةٍ منَ القُربِ.

ومنها: أنه لا يَجوزُ إبقاءُ مواضعِ الشِّركِ والطواغيتِ بعد القُدرةِ على هدمِها وإبطالِها يومًا واحدًا، فإنها شعائرُ الكُفرِ والشركِ.

ولَمَّا قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ ودخلَتْ سنةُ تِسعٍ بعثَ المُصدِّقين يَأخُذون الصدقاتِ منَ الأعرابِ.

٣١- فصل في غَزوةِ تبوكَ

وكانت في شهرِ رجبٍ سنةَ تِسعٍ، قال ابن إسحاق: وكانت في زمنِ عُسرةٍ منَ الناسِ وجدبٍ منَ البلادِ، وحين طابَتِ الثمارُ والناسُ يُحبُّون المقامَ في ثمارِهم وظِلالِهم، ويَكرهون شُخوصَهم على تلكَ الحالِ، وكان رسولُ الله ﷺ قلَّما يَخرجُ في غزوةٍ إلَّا كنَّى عنها وورَّى بغَيْرِها، إلَّا ما كانَ من غزوةِ تبوكَ لبُعدِ الشقةِ وشِدَّةِ الزمانِ.

وقال قومٌ منَ المُنافقين بعضُهم لبعضٍ: لا تَنفِروا في الحرِّ، فأنزلَ اللهُ فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١].

ثُم إن رسولَ الله ﷺ جدَّ في سفرِه وأمرَ الناسَ بالجهازِ، وحضَّ أهلَ الغِنَى على النفقةِ والحملانِ في سبيلِ الله، فحملَ رجالٌ من أهلِ الغِنى واحتَسَبوا، وأنفقَ عُثمانُ بنُ عفانَ في ذلك نفَقةً عظيمةً لم يُنفِقْ أحدٌ مثلَها[١].

وذكر ابن سعد قال: بلَغَ رسولَ الله ﷺ أن الرومَ قد جمعَتْ جموعًا كثيرةً بالشام، وأن هرقلَ قد رَزَقَ أصحابَه لسنةٍ، وأجلبت معه لخمٌ، وجذامُ، وعاملةُ، وغسانُ، وقدموا مقدَّماتِهم إلى البلقاءِ.

وجاءَ المُعذِّرون منَ الأعرابِ ليُؤذَنَ لهم فلم يَعذِرهم، قال ابنُ سعد: هم اثنانِ وثمانون رجلًا.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥١٥-٥١٨.

فلمَّا سارَ رسولُ الله ﷺ تخلفَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ ومَن كان معَه، وتخلَّفَ نفرٌ منَ المُسلِمين من غير شكٍّ ولا ارتيابٍ، منهم كعبُ بنُ مالكٍ، وهلالُ بنُ أميةَ، ومُرارةُ بنُ الربيعِ، وأبو خَيثمةَ السالميُّ، وأبو ذرٍّ، ثُم لِحقَه أبو خيثمةَ وأبو ذرٍّ. وشهِدها رسولُ الله ﷺ في ثلاثين ألفًا من الناسِ، والخيلُ عشَرةُ آلافِ فرسٍ، وأقامَ بها عِشرين ليلةً يَقصُر الصلاةَ، وهرقلُ يومئِذٍ بحِمصَ(١).

قال ابنُ هشام: بلغني عن الزهري أنه قال: لما مرَّ رسولُ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالحجرِ سجَّى ثوبَه على وجهِه واستحثَّ راحلتَه ثم قال: «**لا تَدخلوا بيوتَ الذين ظلموا أنفسَهم إلا وأنتم باكون؛ خوفًا أن يصيبَكم ما أصابَهم**»(٢).

قال ابنُ إسحاق: وأصبحَ الناسُ ولا ماءَ معهم، فشكَوا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ، فدعا رسولُ الله ﷺ فأرسَلَ الله سبحانه سحابةً فأمطرَتْ حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتَهم من الماءِ(٣).

ثم مَضَى رسولُ الله ﷺ، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجلُ فيقولون: تخلَّف فلانٌ، فيقول: «**دعوه؛ فإن يكُ فيه خيرٌ فسيُلحقه الله بكم، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحَكم الله منه**».

وقد كانَ رهطٌ منَ المُنافقين، منهم وَديعةُ بنُ ثابتٍ أخو بني عَمرِو بنِ عوفٍ، ومِنهم رجلٌ من أَشجعَ حليفٌ لبني سلِمةَ يُقالُ له: مَخشيُّ بنُ حميرٍ. قال بعضُهم لبعضٍ: أَتَحسَبون جِلادَ بني الأصفرِ كقِتالِ العربِ بعضِهم لبعضٍ؟! والله لكأنَّا

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٢٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٢.

(٣) السابق.

بكُم غدًا مُقرَّنين في الحبالِ؛ -إرجافًا وتَرهيبًا للمُؤمِنين- فقال مَخشيٌّ بنُ حميرٍ: والله لودِدْت أني أُقاضَى على أن يُضرَب كلٌّ مِنَّا مِئةَ جلدةٍ، وإنا نَنفلِت أن يَنزِل فينا قرآنٌ لَمَقالتِكم هذه.

وقال رسولُ الله ﷺ لعمارِ بنِ ياسرٍ: «**أَدْرِكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا**»، فانطلَقَ إليهم عمارٌ فقال ذلك لهم، فأَتَوْا رسولَ الله ﷺ يَعتذِرون إليه، فقال وديعةُ بنُ ثابتٍ: كنَّا نَخوضُ ونلعبُ، فأَنزلَ اللهُ فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، فقال مَخشيُّ بنُ حميرٍ: يا رسولَ الله، قعَد بي اسمي واسمُ أبي. فكان الَّذي عُفِيَ عنه في هذه الآيةِ، وتَسمَّى عبدَ الرحمن، وسألَ اللهَ أن يُقتَل شهيدًا لا يُعلَم بمكانِه، فقُتِلَ يومَ اليمامةِ فلم يُوجَد له أثرٌ.

ولَمَّا انتَهَى رسولُ الله ﷺ إلى تَبوكَ أَتاه صاحبُ أَيلةَ، فصالحَه وأعطاهُ الجِزيةَ، وأَتاه أهلُ جربا وأَذرُحَ فأَعطوه الجِزيةَ، وكتبَ لهم رسولُ الله ﷺ كتابًا فهو عِندَهم.

قال ابنُ إسحاق: ثُم إن رسولَ الله ﷺ بعثَ خالدَ بنَ الوليدِ إلى أُكيدر دُومةَ، وهو أُكيدرُ بنُ عبدِ الملكِ، رجلٌ من كِندةَ كان نصرانيًّا، وكان ملِكًا عليها، فقال رسولُ الله ﷺ لخالدٍ: «**إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ**»، فخرجَ خالدٌ حتَّى إذا كان من حِصنِه بمَنظر العَيْن، وفي ليلةٍ مُقمِرةٍ صائِفة وهو على سطحٍ له ومعه امرأتُه، فباتتِ البقرَ تَحُكُّ بقُرونِها بابَ القصرِ، فقالت له امرأتُه: هل رأيتَ مثلَ هذا قطُّ؟ قال: لا واللهِ. قالت: فمَنْ يَترُك هذه؟ قال: لا أحَدَ.

فنزلَ فأمرَ بفرَسِه فأُسرجَ له، وركبَ معه نفرٌ من أهلِ بيتِه، فيهم أخٌ له يُقال له: حسانُ. فركبَ وخرَجوا معه بمَطارِدهم، فلمَّا خرَجوا تَلقَّتْهم خيلُ رسولِ الله ﷺ فأخَذَتْه وقتَلوا أخاهُ، وقد كان عليه قباءٌ من دِيباجٍ مخوصٌ بالذهب، فاستَلَبَه خالدٌ فبعثَ به إلى رسولِ الله ﷺ قبلَ قدومِه عليه، ثُم إن خالدًا قدمَ بأُكيدر على رسولِ الله ﷺ فحقَنَ له دمَه وصالحَه على الجِزيةِ، ثُم خلَّى سبيلَه فرجعَ إلى قريتِه[١].

قال ابنُ إسحاق: فأَقامَ رسولُ الله ﷺ بتَبوكَ بِضعَ عشرةَ ليلةً لم يُجاوِزْها، ثُم انصرَفَ قافِلًا إلى المدينةِ[٢].

وقال رسولُ الله ﷺ مَرجِعَه من غَزوةِ تبوكَ: **«إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»**، قالوا: يا رسولَ اللهِ وهم بالمَدينةِ؟ قال: **«نَعَمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»**[٣].

٣٢- فصل في أمرِ مسجدِ الضِّرارِ الَّذي نَهَى اللهُ رَسولَه أن يَقومَ فيه فهدَمَه ﷺ

وأَقبلَ رسولُ الله ﷺ من تَبوكَ، حتى نزلَ بذي أوانٍ، وبينها وبين المدينةِ ساعةٌ، وكانَ أصحابُ مسجدِ الضِّرارِ أَتَوْه وهو يَتجهَّز إلى تبوكَ، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّا قد بنَيْنا مسجدًا لذي العلةِ والحاجةِ والليلةِ المَطيرةِ الشاتيةِ، وإنَّا نحبُّ أن تَأتيَنا فتُصلِّي لنا فيه. فقال: **«إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ، وَلَوْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ لَأَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ»**.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٦.

(٢) السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٣٩)، ومسلم (١٩١١).

فلمَّا نزلَ بذي أوانٍ جاءَهُ خبرُ المسجدِ من السماءِ، فدعا مالكَ بنَ الدُّخشمِ أخا بني سلِمةَ بن عوفٍ، ومَعْنَ بنَ عديٍّ العجلانيَّ، فقال: «**انْطَلِقَا إِلَى هَذَا المَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ**»، فخرَجا سريعين، حتى أتَيا بني سالمِ بنِ عوفٍ، وهم رهطُ مالكِ بنِ الدُّخشمِ، فقال مالكٌ لمَعْنٍ: أَنظِرْني حتى أَخرُجَ إليك بنارٍ من أَهلي. ودخَل إلى أهله فأخذَ سعفًا من النخلِ فأَشعلَ فيه نارًا، ثُم خرَجا يَشتدَّانِ حتى دخَلاه -وفيه أهلُه- فحرَّقاه وهدَماه، فتفرَّقوا عنه، فأنزلَ اللهُ سبحانه فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧]، إلى آخرِ القِصَّةِ.

فصل

فلما دنا رسولُ الله ﷺ من المدينةِ خرَجَ الناسُ لتلقيه، وخرَجَ النساءُ والصبيان والولائدُ يقُلْن:

طلـــع البــــدر علينــــا ** مـــن ثنيـــات الـــــوداع
وجـــب الشـــكر علينـــا ** مــــا دعـــــا لله داع

فصل

ولَمَّا دخلَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ بدأَ بالمسجِدِ، فصلَّى فيه ركعتَيْن، ثُم جلسَ للناسِ، فجاءَهُ المُخلَّفون، فطفِقوا يَعتذِرون إليهِ ويَحلِفون له، وكانوا بِضعةً وثمانين رجلًا، فقبِلَ منهم رسولُ الله ﷺ علانيتَهم، وبايعَهم واستغفرَ لهم، ووكَلَ سرائِرَهم إلى اللهِ وجاءَه كعبُ بنُ مالكٍ، فلمَّا سلمَ عليه تَبسَّمَ تَبسُّمَ المُغضَبِ، ثُم

قال له: «**تَعَالَ**»، قال: فجئتُ أَمشي حتَّى جلَسْت بين يدَيْه، فقال لي: «**مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**» فقلتُ: بلى، إني والله لو جلَسْت عندَ غيرِكَ من أهلِ الدُّنيا لرأيتُ أن سأخرجُ من سخطِه بعُذرٍ، ولقَدْ أُعطيتُ جدَلًا، ولكني والله لقد علمتُ إن حدَّثْتُك اليومَ حديثَ كذِبٍ تَرضَى به عليَّ ليُوشِكَنَّ اللهُ أن يُسخِطكَ عليَّ، ولئن حدَّثْتُك حديثَ صدقٍ تجدُ فيه عليَّ إني لأَرجو فيه عفوَ الله، لا والله ما كان لي من عُذرٍ، والله ما كنتُ قطُّ أقوَى ولا أيسَرَ مِنِّي حين تخلَّفْت عنكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**».

فقمتُ، وثار رجالٌ من بني سلِمةَ فاتَّبعوني يُؤنِّبوني، ثُم قلتُ لهم: هل لقِيَ هذا معي أحدٌ؟ قالوا: نعَمْ رجُلانِ، قالا مِثلَ ما قلتَ، فقيل لهما مثلُ ما قيلَ لك. فقُلتُ: مَن هما؟ قالوا: مُرارةُ بنُ الربيعِ العامريُّ وهلالُ بنُ أميَّةَ الواقفيُّ، فذكَروا لي رجُلين صالحَيْن شهِدا بدرًا فيهما أُسوةٌ، فمضَيْت حين ذكَروهما لي.

ونَهَى رسولُ الله ﷺ المسلمين عن كَلامِنا -أيُّها الثلاثةُ- من بين مَن تخلَّفَ عنه، فاجتَنَبَنا الناسُ وتَغيَّروا لنا، حتى تَنكَّرَت لي الأرضُ.

فلمَّا صلَّيْت صلاةَ الفجرِ صُبحَ خمسينَ ليلةً على ظهرِ بيتٍ من بيوتِنا، سمِعْت صوتَ صارخٍ أَوفَى على جبَلِ سَلعٍ بأعلى صوتِه: يا كعبَ بنَ مالِكٍ أبشِرْ، فخرَرْتُ ساجدًا، وعرَفْت أن قد جاء فرجٌ منَ الله، وآذَن رسولُ الله ﷺ بتوبةِ الله علينا حين صلَّى الفجرَ.

٣٣- فصل في الإشارةِ إلى بعضِ ما تَضمَّنته هذه الغزوةُ من الفِقهِ والفوائدِ:

فمِنها: جوازُ القِتالِ في الشهرِ الحرامِ.

ومِنها: تصريحُ الإمامِ للرعيةِ وإعلامُهم بالأمرِ الَّذي يَضُرُّهم سَترُه وإخفاؤُه؛ ليَتأهَّبوا له.

ومنها: أن الإمامَ إذا استَنفَرَ الجيشَ لزِمَهم النفيرُ، ولم يَجُزْ لأحَدٍ التَّخلُّفُ إلَّا بإذنِه.

ومنها: وُجوبُ الجهادِ بالمالِ كما يَجِب بالنفسِ.

ومنها: ما برَزَ به عثمانُ بنُ عفَّانَ من النفَقةِ العظيمةِ في هذه الغزوةِ، وسبَقَ به الناسَ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ**»(١)، وكان قد أنفقَ ألفَ دينارٍ وثلاثَمِئةِ بعيرٍ بعُدَّتها وأحلاسِها وأقتابِها.

ومنها: أن العاجزَ بمالِه لا يُعذَر حتى يَبذُل جهدَه ويَتحقَّق عجزُه.

ومنها: استِخلافُ الإمامِ إذا سافرَ رجلًا من الرعيةِ على الضعفاءِ والمَعذورِين والنساءِ والذُّرِّيَّةِ.

ومنها: أن الماءَ الَّذي بآبار ثَمودَ لا يَجوزُ شُربُه، ولا الطبخُ به، ولا العجينُ به، ولا الطهارةُ به، ويَجوزُ أن يُسقَى البهائمَ إلَّا ما كانَ من بِئرِ الناقةِ.

ومنها: أن مَن مرَّ بديارِ المَغضوبِ عليهم والمُعذَّبين لم يَنبغِ له أن يَدخُلها ولا يُقيم بها، بل يُسرِع السير ويَتقنَّع بثوبه حتى يُجاوِزها، ولا يَدخُل عليهم إلَّا باكيًا معتبرًا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠١).

ومنها: أن النبيَّ ﷺ كان يَجمَع بين الصلاتَيْن في السفرِ.

ومِنها: أنه ﷺ أَقام بتَبوكَ عِشرينَ يومًا يَقصُرُ الصلاةَ.

ومنها: تَركُه قتلَ المُنافِقين، وقد بلَغه عنهمُ الكُفرُ الصريحُ.

ومِنها: قولُه ﷺ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**»، فهذه المعيةُ هي بقُلوبِهم وهِمَمهم، لا كما يَظُنُّه طائِفةٌ من الجُهَّال أنهم معَهم بأبدانِهم.

ومِنها: تحريقُ أَمكنةِ المعصيةِ الَّتي يُعصَى اللهُ ورسولُه فيها وهَدمُها، كما حرَّق رسولُ اللهِ ﷺ مسجِدَ الضِّرارِ.

ومنها: جوازُ إنشادِ الشعرِ للقادمِ؛ فرحًا وسرورًا به، ما لم يكن معه محرمٌ من لهوٍ كمزمارٍ وشبَّابةٍ وعودٍ، ولم يكن غناءٌ يتضمَّنُ رقيةَ الفواحش وما حرَّم اللهُ.

ومنها: ما اشتملَتْ عليه قصةُ الثلاثةِ الذين خلِّفوا من الحِكمِ والفوائدِ الجمَّةِ، فنشيرُ إلى بعضِها:

فمنها: جوازُ إخبارِ الرجُلِ عن تَفريطِه وتَقصيرِه في طاعةِ اللهِ ورسولِه، وعن سببِ ذلكَ، وما آلَ إليه أمرُه.

ومنها: أن الرجلَ إذا حضَرَت له فُرصةُ القُربةِ والطاعةِ فالحزمُ كلُّ الحزمِ في انتهازِها والمبادرةِ إليها، والعجزُ في تَأخيرِها والتسويفِ بها.

ومنها: أنه لم يَكُن يَتخلَّف عن رسولِ الله ﷺ إلَّا أحدُ رجالٍ ثلاثةٍ؛ إمَّا مَغموصٌ عليه في النفاقِ، أو رجُل من أهلِ الأعذارِ، أو مَن خَلَّفه رسولُ الله ﷺ واستَعمَله على المدينةِ، أو خلَّفه لَمصلَحةٍ.

ومِنها: أن السُّنَّةَ للقادمِ من السفرِ أن يَدخُل البلدَ على وُضوءٍ، وأن يَبدَأ ببَيْت الله قبلَ بيتِه، فيُصلِّي فيه ركعتَيْن.

ومِنها: أن رسولَ الله ﷺ كان يَقبَل علانيةَ مَن أَظهَر الإسلامَ مِن المُنافِقين، ويَكِلُ سَريرتَه إلى الله، ويُجرِي عليه حكمَ الظاهرِ، ولا يُعاقِبه بما يَعلَم مِن سِرِّه.

ومِنها: تركُ الإمامِ والحاكمِ ردَّ السلامِ على مَن أَحدَث حدَثًا؛ تأديبًا له وزجرًا لغَيْره.

ومِنها: أن التَّبسُّمَ قد يَكونُ عن الغضبِ كما يَكونُ عن التعجبِ والسرورِ.

فصل

وفي نَهيِ النبيِّ ﷺ عن كلامِ هَؤلاءِ الثلاثةِ من بين سائرِ مَن تَخلَّف عنه دليلٌ على صدقِهم وكذِبِ الباقِينَ، فأَراد هجرَ الصادِقين وتَأديبَهم على هذا الذنبِ، وأمَّا المُنافِقون فجُرْمُهم أعظمُ من أن يُقابلَ بالهجرِ، فدواءُ هذا المرضِ لا يَعملُ في مرضِ النِّفاقِ، ولا فائدةَ فيه، وهكذا يَفعلُ الربُّ سبحانه بعِبادِه في عُقوباتِ جرائِمِهم، فيُؤدِّب عبدَه المؤمنَ الَّذي يُحبُّه وهو كريمٌ عندَه بأدنَى زلةٍ وهَفوةٍ، فلا يَزالُ مُستَيقظًا حذِرًا، وأمَّا مَن سقَطَ من عَيْنه وهانَ عليه، فإنه يُخلِّي بينَه وبين معاصيهِ، وكلَّما أحدَثَ ذنبًا أحدَثَ له نعمةً، والمغرورُ يظنُّ أن ذلك من كرامتِه عليه، ولا يعلمُ أن ذلك عينُ الإهانةِ، وأنه يُريدُ به العذابَ الشديدَ والعقوبةَ التي لا عاقبةَ معها، كما في الحديث المشهور: «**إذا أَرادَ الله بعبدٍ خيرًا عجَّل له عقوبتَه في الدنيا، وإذا أَرادَ بعبدٍ شرًّا أَمسكَ عنه عقوبتَه في الدنيا، فيَرِدُ يومَ القيامةِ بذنوبِه**»(١).

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦).

فصل

ومنها: عِظَمُ مِقدارِ الصِّدقِ، وتعليقُ سعادةِ الدنيا والآخرةِ، والنجاةِ من شرِّهما به، فما أَنجَى اللهُ من أَنجاهُ إلَّا بالصدقِ، ولا أهلكَ مَن أَهلَكه إلَّا بالكذبِ، وقد أمرَ اللهُ سبحانه عبادَه المُؤمِنين أن يَكونوا مع الصادِقينَ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

٣٤- فصل في حَجةِ أبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ تسعٍ بعدَ مَقدَمه من تَبوك

قال ابنُ إسحاق: ثُم أَقامَ رسولُ الله ﷺ مُنصرَفه من تَبوكَ بقيةَ رمضانَ وشوالًا وذا القَعدةِ، ثُم بعَث أبا بَكرٍ أميرًا على الحجِّ سنةَ تِسعٍ ليُقيم للمؤمنين حَجَّهم، والناسُ من أهلِ الشِّركِ على منازِلِهم من حَجِّهم، فخرجَ أبو بَكرٍ والمُؤمِنون[(١)].

قال ابن سعد: فخرَجَ في ثلاثِمئة رجلٍ من المدينةِ، وبعَثَ معه رسولُ الله ﷺ بعشرين بدنةً قلَّدها وأشعَرَها بيدِه، وساق أبو بكرٍ خمسَ بدناتٍ[(٢)].

قال ابنُ إسحاق: فنزَلَت ﴿بَرَآءَةٞ﴾ في نقضِ ما بين رَسولِ الله ﷺ وبين المُشرِكين من العهدِ الَّذي كانوا عليه، فخرجَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ناقةِ رسولِ الله ﷺ العَضباءِ[(٣)].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٢٧.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٤٥-٥٤٦.

وقال ابن سعد: فقال له أبو بَكرٍ قال: أَستَعمَلَكَ رسولُ الله ﷺ على الحجِّ؟ قال: لا، ولكِنْ بعثَني أقرَأُ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ على الناسِ، وأَنبِذ إلى كلِّ ذي عهدٍ عهدَه[١].

فأَقامَ وأَقامَ أبو بَكرٍ للناسِ حجَّهم، حتَّى إذا كان يومُ النَّحرِ قام عليُّ بنُ أبي طالِبٍ فأذَّن في الناسِ عندَ الجَمرةِ بالَّذي أمرَه رسولُ الله ﷺ ونبذَ إلى كلِّ ذِي عهدٍ عهدَه، وقال: أيُّها الناسُ! لا يَدخُلُ الجَنَّةَ كافرٌ، ولا يَحُجُّ بعد العام مُشرِكٌ، ولا يَطوفُ بالبيت عُريان، ومَن كان له عهدٌ عندَ رسولِ الله ﷺ فهو إلى مُدَّته.

٣٥- فصل في قدومِ وُفودِ العرَبِ وغيرِهم على النبيِّ ﷺ

فقَدِمَ عليه وفدُ ثقيفٍ، وقد تقدَّم مع سياقِ غزوة الطائف[٢].

وفي قِصةِ هذا الوفدِ منَ الفِقهِ: جوازُ إنزالِ المُشركِ في المَسجدِ، ولا سِيَّما إذا كان يَرجو إسلامَه، وتَمكينَه من سَماعِ القرآنِ، ومُشاهدةِ أهلِ الإسلامِ وعِبادتِهم.

ومِنها: أن المُستحقَّ لإمرةِ القومِ وإمامتِهم أفضلُهم وأعلمُهم بكِتابِ الله، وأَفقهُهم في دِينِه.

ومِنها: هدمُ مواضعِ الشركِ الَّتي تُتَّخذُ بيوتًا للطواغيتِ، وهدمُها أحبُّ إلى الله ورسولِه، وأنفعُ للإسلامِ والمُسلِمين من هدمِ الحاناتِ والمواخيرِ، وهذا حالُ المَشاهدِ المَبنيَّةِ على القبورِ الَّتي تُعبَدُ من دونِ الله، ويُشرَك بأربابِها مع الله، لا يَحلُّ إبقاؤُها في الإسلامِ.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد٢/ ١٢٨.

(٢) انظر (ص٣٤٩).

ومِنها: استحبابُ اتخاذِ المساجِدِ مكانَ بيوتِ الطواغيتِ، فيُعبَد اللهُ وحدَه لا يُشركُ به شيئًا في الأَمكنةِ الَّتي كان يُشرَك به فيها.

فصل

قال ابنُ إسحاق: ولما افتتَحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ وفرَغَ من تبوكٍ، وأسلمَتْ ثقيفٌ وبايَعَتْ، ضَرَبَتْ إليه وفودُ العربِ مِن كلِّ وجهٍ، فدخلوا في دينِ الله أفواجًا يضربون إليه مِن كلِّ وجهٍ[1].

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٥٩-٥٦٠.

[القسم الثالث: الطب النبوي]

١- فصل في هَدْيِه ﷺ في الطِّبِّ

المَرَضُ نَوْعان: مرَض القُلوب، ومرَض الأَبْدان، وهُما مَذْكوران في القُرآن.

ومرَضُ القُلوب نَوْعانِ: مرَض شُبْهة وشكٍّ، ومرَضُ شَهْوة وغَيٍّ، وكِلاهُما في القُرآن. قال تعالى في مرَض الشُّبْهة: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى في حَقِّ مَن دُعِيَ إلى تَحكيم القُرآن والسُّنَّة فأَبَى وأَعرَض: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٨ - ٥٠] فهذا مرَض الشُّبُهات والشُّكوك.

وأمَّا مرَض الشهَواتِ، فقال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فهذا مرَضُ شَهوةِ الزِّنا، واللهُ أعلَمُ.

وأمَّا مرَض الأَبدان، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وذكَر مرَض البدَن في الحَجِّ والصَّوْم والوُضوء لسِرٍّ بَديع يُبيِّن لكَ عظَمة القُرآن، والاستِغْناء به لِمَن فهِمَه وعقَلَه عن سِواهُ، وذلك أن قَواعِد طِبِّ الأبدان ثلاثةٌ: حِفْظ الصِّحَّة، والحمية عنِ المُؤذِي، واستِفْراغ الموادِّ الفاسِدة، فذكَرَ سبحانه وتعالى هذه الأصولَ الثلاثةَ في هذه المَواضِعِ الثلاثة.

فقال في آية الصَّوْم: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فأَباح الفِطْر للمَريض لعُذْر المَرَض، وللمُسافِر طلَبًا لِحفْظ صِحَّته وقُوَّته؛ لئَلَّا يُذهِبها الصومُ في السفَر لاجتِماع شِدَّة الحرَكة، وما يُوجِبه من التَّحليل، وعدَم الغِذاء الَّذي يُخلِّف ما تَحلَّل، فتَخور القُوَّة، وتَضعُف، فأَباح للمُسافِر الفِطْر حِفظًا لصِحَّته وقُوَّته عمَّا يُضعِفها.

وقال في آية الحَجِّ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فأَباحَ للمَريض، ومَن به أذًى من رَأْسه من قَمْل أو حِكَّة أو غيرِهما أن يَحلِق رَأْسه في الإحرام استِفْراغًا لمادَّة الأَبخِرة الرَّديئة التي أَوجَبَت له الأَذَى في رَأْسه باحتِقانها تحت الشَّعْر، فإذا حلَق رَأْسه، تَفتَّحَتِ المسامُّ، فخرَجَت تِلكَ الأَبخِرةُ منها، فهذا الاستِفراغُ يُقاس عليه كلُّ استِفْراغ يُؤذِي انحِباسُه.

والأشياءُ الَّتي يُؤذِي انحِباسُها ومُدافعتُها عَشَرة: الدمُ إذا هاجَ، والمَنيُّ إذا تَبيَّغ(١)، والبولُ، والغائِط، والرِّيح، والقَيْء، والعُطاس، والنَّوْم، والجُوع، والعَطَش، وكلُّ واحِد من هذه العشَرةِ يُوجِب حَبسُه داءً من الأدواءِ بحَسَبه.

وأمَّا الحمية: فقال تعالى في آية الوُضوءِ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، فأَباحَ للمَريض العُدول عن الماءِ إلى التُّراب حمية له أن يُصيب جسَده ما يُؤذِيه، وهذا تَنبيهٌ على الحمية عن كلِّ مُؤذٍ له من داخِل أو خارِج.

---

(١) (تَبيَّغ): هاج.

فأمَّا طبُّ القلوبِ، فمسلَّمٌ إلى الرسلِ صلوات الله عليهم وسلامه، ولا سبيلَ إلى حصولِه إلا من جهتِهم وعلى أيدِيهم، فإن صلاحَ القلوبِ أن تكونَ عارفةً بربِّها، وفاطرِها، وبأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه، وأحكامِه، وأن تكونَ مؤثرةً لمرضاتِه ولمحابِّه، متجنبةً لمناهيه ومساخطِه، ولا صحةَ لها ولا حياةَ البتة إلا بذلك.

وأمَّا طِبُّ الأَبْدان: فإنه نَوْعان:

نَوْع قد فَطَرَ اللهُ عليه الحَيوان ناطِقَه وبَهيمَه، فهذا لا يَحتاج فيه إلى مُعالَجَة طَبيب، كطِبِّ الجوع، والعطَش، والبَرْد، والتعَب، بأَضدادِها وما يُزيلها.

والثاني: ما يَحتاج إلى فِكْر وتَأمُّل كدَفْع الأمراض المُتَشابِهة الحادِثة في المِزاج بحيثُ يُخرَج بها عن الاعتِدال.

٢- فصل [في هديه في التداوي بالأدوية المفردة]

فكان من هديِه ﷺ فعلُ التداوي في نفسِه، والأمرُ به لمن أصابَه مرضٌ من أهله وأصحابِه، ولكن لم يكن من هديِه ولا هدي أصحابِه استعمالُ هذه الأدويةِ المُركَّبة، بل كان غالبُ أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا إلى المُفردِ ما يعاوِنه أو يكسِر سَورَتَه.

٣- فصل [في إثباته ﷺ الأسباب والمسببات]

روى مسلم في «صحيحه»: عن جابرِ بن عبدِ الله، عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**لكل داءٍ دواءٌ، فإذا أصيب دواءُ الداء، برَأ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

وعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما أَنزلَ الله من داءٍ إلا أَنزلَ له شفاءً**»(١).

فقد تضمَّنت هذه الأحاديثُ إثباتَ الأسبابِ والمسبباتِ، وإبطالَ قولِ من أنكرَها، ويجوزُ أن يكونَ قولُه: «**لكلِّ داءٍ دواءٌ**»، على عمومِه حتى يتناول الأدواءَ القاتلةَ، والأدواءَ التي لا يمكن [لطبيبٍ] أن يبرئَها، ويكون الله عَزَّوَجَلَّ قد جعَلَ لها أدويةً تُبرئها، ولكن طوى علمَها عن البشرِ، ولم يجعل لهم إليه سبيلًا؛ لأنه لا علمَ للخلقِ إلا ما علَّمهم الله.

وفي الأحاديثِ الصحيحةِ الأمرُ بالتداوي، وأنه لا يُنافي التوكلَ، كما لا يُنافيه دفعُ داءِ الجوعِ والعطشِ، والحرِّ والبردِ بأضدادها، بل لا تتمُّ حقيقةُ التوحيدِ إلا بمباشرةِ الأسباب التي نصبَها الله مقتضيات لمسبباتِها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلَها يقدحُ في نفسِ التوكلِ.

وفي قوله ﷺ: «**لكلِّ داءٍ دواءٌ**»، تقويةٌ لنفسِ المريضِ والطبيبِ، وحثٌّ على طلبِ ذلك الدواءِ والتفتيشِ عليه.

٤- فصل في هديه ﷺ في الاحتِماءِ من التُّخم والزيادةِ في الأكلِ على قدرِ الحاجة، والقانونِ الذي ينبغي مراعاتُه في الأكلِ والشربِ

في «المسند» وغيرِه: عنه ﷺ أنه قال: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسب ابنِ آدمَ لُقيماتٌ يُقمن صُلبه، فإن كان لا بد فاعلًا، فثُلثٌ لطعامِه، وثلث لشرابِه، وثلثٌ لنفسِه**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

فامتلاءُ البطن من الطعامِ مُضرٌّ للقلب والبدنِ، هذا إذا كان دائمًا أو أكثريًّا، وأما إذا كان في الأحيانِ فلا بأسَ به، فقد شرِب أبو هريرةَ بحضرةِ النبيِّ ﷺ من اللبن حتى قال: والذي بعثَك بالحقِّ لا أجدُ له مسلكًا، وأكل الصحابةُ بحضرتِه مرارًا حتى شبِعوا.

٥- فصل [في هديه ﷺ في العلاج بالأدوية الطبيعة والإلهية والمركبة منهما]

وكان علاجُه ﷺ للمرض ثلاثةَ أنواعٍ:

أحدُها: بالأدويةِ الطبيعيةِ.

والثاني: بالأدويةِ الإلهيةِ.

والثالث بالمُركَّب من الأمرينِ.

ونحن نذكر الأنواعَ الثلاثةَ من هديِه ﷺ.

[أولا:] العلاجُ بالأدويةِ الطبيعيَّةِ

٦- فصل في هديه ﷺ في علاجِ الحُمَّى

ثبت في «الصحيحين»: عن نافعٍ، عن ابن عمرَ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الحُمَّى -أو شِدَّة الحمَّى- من فَيح جهنَّم، فأبرِدوها بالماءِ**»[1].

قوله: «**الحُمَّى من فيحِ جهنمَ**» هو شدةُ لهبِها، وانتشارُها، ونظيره قولُه: «**شدَّةُ الحرِّ من فيح جهنَّمَ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٣)، ومسلم (٢٢٠٩).

وقولُه: «**بالماء**» فيه قولان:

أحدُهما: أنه كُلُّ ماء وهو الصحيحُ.

والثاني: أنه ماءُ زمزمَ، واحتجَّ أصحابُ هذا القول بما رواه البخاريُّ في «صحيحه» عن أبي جمرةَ نصرِ بن عمرانَ الضُّبعيِّ، قال: كنت أجالسُ ابنَ عباس بمكةَ فأخذتني الحُمَّى، فقال: أبرِدْها عنك بماء زمزمَ، فإن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الحُمَّى من فيحِ جهنَّم فأبردوها بالماءِ، أو قال: بماء زمزمَ**»(١). وراوي هذا قد شكَّ فيه، ولو جزمَ به لكان أمرًا لأهل مكةَ بماء زمزمَ، إذ هو متيسَّرٌ عندهم، ولغيرهم بما عندهم من الماءِ.

٧- فصل في هديِه ﷺ في علاجِ استطلاق البطنِ

في «الصحيحين»: عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنَه، وفي رواية: استطلقَ بطنُه، فقال: «**اسقِه عسلًا**». فذهب ثم رجعَ، فقال: قد سقيتُه، فلم يُغنِ عنه شيئًا، وفي لفظٍ: فلم يزدْه إلا استطلاقًا، مرَّتين أو ثلاثًا، كُلُّ ذلك يقول له: «**اسقِه عسلًا**»، فقال له في الثالثةِ أو الرابعة: «**صدق الله، وكذب بطنُ أخيك**»(٢).

وفي «صحيح مسلم» في لفظٍ له: إن أخي عرِب بطنُه(٣)، أي: فسد هضمُه، واعتلَّت معِدتُه، والاسم: العرَب بفتح الراءِ، والذرَب أيضًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢١٧).

وفي قولِه ﷺ: «**صدق الله وكذب بطنُ أخيك**» إشارةٌ إلى تحقيق نفعِ هذا الدواء، وأن بقاءَ الداءِ ليس لقصورِ الدواء في نفسِه، ولكن لكذِب البطنِ، وكثرة المادَّةِ الفاسدةِ فيه، فأمره بتكرارِ الدواءِ لكثرةِ المادة.

فصل

وقد اختلف الناسُ في قولِه سبحانه وتعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، هل الضميرُ في ﴿فِيهِ﴾ راجعٌ إلى الشرابِ، أو راجع إلى القرآنِ؟ على قولين، والصحيحُ رجوعه إلى الشرابِ.

٨- فصل في هديِه ﷺ في الطاعونِ وعلاجه والاحترازِ منه

في «الصحيحين» عن عامر بن سعدِ بن أبي وقَّاصٍ، عن أبيه، أنه سمِعه يسأل أسامةَ بنَ زيد: ماذا سمعتَ من رسولِ الله ﷺ في الطاعونِ؟ فقال أسامةُ: قال رسولُ الله ﷺ: «**الطاعونُ رجزٌ أُرسل على طائفةٍ من بني إسرائيلَ، وعلى من كان قبلَكم، فإذا سمعتُم به بأرضٍ، فلا تدخلوا عليه، وإذا وقعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرُجوا منها فرارًا منه**»(١).

وفي «الصحيحين» أيضًا: عن حفصةَ بنت سِيرين، قالت: قال أنسُ بن مالكٍ: قال رسولُ الله ﷺ: «**الطاعونُ شهادةٌ لكل مسلمٍ**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم (٢٢١٨).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٢)، ومسلم (١٩١٦).

وقد جمَعَ النبيُّ ﷺ للأمَّة في نهجِه عن الدخولِ إلى الأرضِ التي هو بها، ونهيه عن الخروجِ منها بعدَ وقوعِه، كمالَ التحرُّزِ منه، فإن في الدخولِ في الأرضِ التي هو بها تعرضًا للبلاءِ، وموافاةً له في محلِّ سلطانِه، وإعانة الإنسانِ على نفسِه، وهذا مخالفٌ للشرعِ والعقلِ، بل تجنبُه الدخولِ إلى أرضِه مِن بابِ الحميةِ التي أرشدَ الله سبحانه إليها، وهي حميةٌ عن الأمكنةِ، والأهويةِ المؤذيةِ. وأمَّا نهيُه عن الخروجِ من بلده ففيه حملُ النفوس على الثقةِ بالله، والتوكلِ عليه، والصبرِ على أقضيته، والرضا بها.

٩- فصل في هديِه ﷺ في داءِ الاستسقاءِ وعلاجِه

في «الصحيحين»: من حديث أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قدم رهطٌ من عُرينةَ وعُكْلٍ على النبيِّ ﷺ فاجتووا المدينةَ، فشكَوا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «**لو خرجتُم إلى إبلِ الصدقةِ فشربتُم من ألبانِها وأبوالِها**» ففعلوا، فلما صَحوا عمدوا إلى الرُّعاةِ فقتلوهم، واستاقوا الإبلَ، وحاربوا الله ورسولَه، فبعث رسولُ الله ﷺ في آثارهم فأُخِذوا فقطع أيديَهم وأرجُلَهم وسمَل أعيُنَهم وألقاهم في الشمسِ حتى ماتوا[(١)].

والدليلُ على أن هذا المرَض كان الاستسقاءَ، ما رواه مسلمٌ في «صحيحه» في هذا الحديثِ أنهم قالوا: إنا اجتوينا المدينةَ فعظُمت بطونُنا وارتهشَت أعضادنا. وذكر تمامَ الحديث[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٦٨٠٢)، ومسلم (١٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١)، وأبو عوانة في المستخرج (٦٠٩٦) واللفظ له.

وفي القصةِ دليلٌ على التداوي والتَّطبُّبِ، وعلى طهارةِ بولِ مأكول اللحمِ، فإن التداوي بالمُحرَّمات غيرُ جائزٍ، ولم يؤمروا مع قربِ عهدِهم بالإسلام بغَسلِ أفواهِهم وما أصابته ثيابُهم من أبوالِها للصلاة، وتأخيرُ البيان لا يجوز عن وقتِ الحاجةِ.

١٠- فصل في هديه ﷺ في علاجِ الجُرح

في «الصحيحين»: عن أبي حازمٍ أنه سمعَ سهلَ بنَ سعد يسألُ عما دُووي به جرحُ رسولِ الله ﷺ يومَ أحدٍ، فقال: جُرِح وجهُه، وكُسرت رَباعيته، وهُشِمت البيضةُ على رأسِه، وكانت فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ تغسِل الدمَ، وكان عليٌّ بن أبي طالبٍ يسكُب عليها بالمِجنِّ، فلما رأت فاطمةُ الدمَ لا يزيد إلا كثرةً، أخذت قطعةَ حصيرٍ، فأحرقتها حتى إذا صارت رمادًا ألصقتْه بالجُرح فاستمسك الدمُ[(١)] برماد الحصيرِ المعمولِ من البردي.

١١- فصل في هديه ﷺ في العلاجِ بشرب العسلِ والحِجامة والكَيِّ

في «صحيح البخاري»: عن ابن عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الشفاءُ في ثلاثٍ: شَربةِ عسل، وشرطَةِ مِحجم، وكيَّة نارٍ، وأنا أنهى أمَّتي عن الكيِّ**»[(٢)].

أما الحجامةُ: ففي «الصحيحين» عن أنسٍ أن رسولَ الله ﷺ حجمَه أبو طيبةَ فأمر له بصاعين من طعام، وكلَّم مواليه فخفَّفوا عنه من ضريبتِه، وقال: «**خيرُ ما تداويتُم به الحجامةُ**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٢٩١١)، ومسلم (١٧٩٠).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٠).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٩٦).

وقال أنسٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كان رسولُ الله ﷺ يحتجِم في الأخدَعين والكاهِلِ[(١)].

وفي «الصحيح» عنه أنه احتجمَ وهو محرم في رأسِه لصداعٍ كان به[(٢)].

وفي «سنن أبي داود» مِن حديثِ جابرٍ أنَّ النبيَّ ﷺ: «احتجَمَ في وركِه مِن وَثْءٍ[(٣)] كان به»[(٤)].

١٢ - فصل في هديه ﷺ في أوقات الحجامة

روى الترمذي في «جامعه»: من حديثِ ابن عباسٍ يرفعُه: «**إن خيرَ ما تحتجمون في يومِ سابعَ عشرةَ، أو تاسعَ عشرةَ، ويومِ إحدى وعشرين**»[(٥)].

فصل

وفي ضمنِ هذه الأحاديثِ المتقدمةِ: استحبابُ التداوي، واستحبابُ الحجامة، وأنها تكون في الموضع الذي يقتضيه الحالُ، وجوازُ احتجامِ المحرم، وإن آل إلى قطعِ شيءٍ من الشعرِ، فإن ذلك جائزٌ، وفي وجوبِ الفدية عليه نظرٌ، ولا يقوى الوجوبُ، وجوازُ احتجامِ الصائمِ، فإنَّ في «صحيح البخاري» أن رسولَ الله ﷺ احتجم وهو صائمٌ[(٦)]. ولكن هل يُفطر بذلك أم لا؟ مسألةٌ أخرى، الصوابُ: الفطر بالحِجامةِ، لصحَّته عن رسولِ الله ﷺ من غيرِ مُعارض.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٦٠)، والترمذي (٢٠٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٩٩، ٥٧٠٠، ٥٧٠١).

(٣) (الوَثْء): أن يصيب العظمَ وصمٌ لا يبلغ الكسرَ.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٦٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٠٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (٥٦٩٤).

١٣ - فصل في هديه ﷺ في قطعِ العروق والكيِّ

ثبت في «الصحيح» من حديثِ جابرِ بن عبدِ الله أن النبيَّ ﷺ بعثَ إلى أبيِّ بن كعبٍ طبيبًا، فقطع له عرقًا وكواه عليه[(١)]. ولما رمي سعدُ بن معاذٍ في أكحَلِه حسَمه النبيُّ ﷺ ثم وَرمتْ، فحسَمه الثانيةَ[(٢)]. والحسمُ هو الكيُّ. وفي «صحيح البخاري» من حديثِ أنسٍ أنه كوي من ذات الجَنْبِ[(٣)] والنبيُّ ﷺ حيٌّ[(٤)].

وفي الحديثُ المتَّفق عليه: «**وما أحبُّ أن أكتويَ**»[(٥)]، وفي لفظٍ آخرَ: «**وأنا أنهى أمَّتي عن الكيِّ**»[(٦)]. وثبت في «الصحيح» في حديثِ السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنَّةَ بغير حسابٍ أنهم «**الذين لا يَسترقونَ ولا يَكتوون ولا يَتطيَّرون وعلى ربِّهم يتوكَّلون**»[(٧)].

فقد تضمَّنت أحاديثُ الكي أربعةَ أنواع:

أحدُها: فعلُه.

والثاني: عدمُ محبَّته له.

والثالث: الثناءُ على من تركه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٨).
(٣) (ذات الجَنْبِ): التهاب غلاف الرئة فيحدث منه سعال وحمى ونخس في الجنب يزداد عند التنفس.
(٤) أخرجه البخاري (٥٧١٩، ٥٧٢١).
(٥) أخرجه البخاري (٥٧٠٤)، ومسلم (٢٢٠٥).
(٦) أخرجه البخاري (٥٦٨٠).
(٧) أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

والرابعُ: النهي عنه.

ولا تعارُضَ بينها بحمدِ الله تعالى؛ فإن فعلَه يدلُّ على جوازِه، وعدمُ محبَّته له لا يدلُّ على المنع منه، وأما الثناءُ على تاركه فيدلُّ على أن تركَه أولى وأفضلُ، وأما النهي عنه فعلى سبيلِ الاختيارِ والكراهَةِ أو عن النوع الذي لا يحتاجُ إليه، بل يفعلُه خوفًا من حدوث الداءِ، والله أعلم.

١٤- فصل في هديه ﷺ في علاجِ الصرَع

أخرجا في «الصحيحين» من حديثِ عطاءِ بن أبي رباح قال: قال ابنُ عباس: ألا أُريك امرأةً من أهل الجنَّةِ؟ قلتُ: بلى. قال: هذه المرأةُ السوداءُ أتت النبيَّ ﷺ فقالت: إني أُصرعُ، وإني أتكشَّف؛ فادعُ الله لي، فقال: «**إن شئتِ صبرت ولك الجنَّةُ، وإن شئتِ دعوتُ الله لك أن يعافيَك**» فقالت: أصبرُ. قالت: فإني أتكشَّفُ، فادعُ الله ألا أتكشفَ، فدعا لها[(١)].

١٥- فصل في هديه ﷺ في علاجِ عِرق النِّسا

روى ابنُ ماجه في «سننه» عن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**دواءُ عِرق النسا أليَةُ شاةٍ أعرابيَّةٍ، تُذاب، ثم تُجزَّأ ثلاثةَ أجزاء، ثم يُشرب على الريقِ في كل يوم جزءٌ**»[(٢)].

وعِرق النِّساء: وجعٌ يبتدئ من مَفصِل الورِك وينزلُ من خلف على الفخِذ، وربما على الكعبِ، وكلما طالت مُدَّته زاد نزولُه وتهزلُ معه الرِّجل والفخذ.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٦٣).

وفي تعيين الشاةِ الأعرابية لقلَّةِ فضولها وصِغر مقدارِها ولُطفِ جوهرها، وخاصيةِ مَرعاها؛ لأنها ترعى أعشابَ البر الحارَّةِ كالشِّيح والقيصوم، ونحوهما.

١٦- فصل في هديه ﷺ في علاج يبس الطبع، واحتياجه إلى ما يمشيه ويلينه

في «سنن ابن ماجه»: عن عبد الله بن أم حرام، وكان قد صلَّى مع رسول الله ﷺ القبلتين يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**عليكم بالسَّنا والسَّنُّوت**[1]؛ **فإن فيهما شفاءً مِن كلِّ داءٍ، إلا السامَ**. قيل: يا رسول الله، وما السام؟ قال: **الموت**»

.

١٧- فصل في هديه ﷺ في علاج حكَّةِ الجسم وما يُولِّد القملَ

في «الصحيحين» عن أنسِ بن مالكٍ قال: رخَّص رسولُ الله ﷺ لعبد الرحمنِ بن عوفٍ والزبير بن العوَّام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في لُبس الحريرِ لحكَّةٍ كانت بهما. وفي رواية: أن عبدَ الرحمن بن عوفٍ والزبيرَ بن العوام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، شكوا القَملَ إلى النبيِّ ﷺ في غَزاةٍ لهما، فرخَّص لهما في قُمصِ الحرير، ورأيتُه عليهما[2].

وثيابُ الحريرِ أبعدُ عن قبولِ تولد القملِ فيها، إذ كان مِزاجها مُخالفًا لمزاجِ ما يتولَّد منه القملُ.

---

(١) (السَّنَا): نبات معروف من الأدوية. و(السَّنُوت): قيل: العسل، وقيل: الكمون، وقيل غير ذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٩ - ٢٩٢٢)، ومسلم (٢٠٧٦).

١٨- فصل في هديه ﷺ في علاج الصداع والشقيقة

في «الصحيح» أنه قال في مرض موتِه: «**وا رأساهُ**»[(١)]، وكان يَعصبُ رأسَه في مرضِه، وعصبُ الرأس ينفع في وجعِ الشقيقةِ وغيرِها من أوجاعِ الرأسِ.

وقد روى البخاريُّ في «تاريخه» وأبو داودَ في «السنن» أن رسولَ الله ﷺ ما شكى إليه أحدٌ وجعًا في رأسِه إلا قال له: «**احتجِم**» ولا شكى إليه وجعًا في رجلَيه إلا قال له: «**اختضِب بالحِنَّاء**»[(٢)].

١٩- فصل في هديهِ ﷺ في معالجةِ المرضى بتركِ إعطائِهم ما يَكرهونه من الطعامِ والشرابِ، وأنهم لا يُكرهون على تناولِهما

روى الترمذي في «جامعه» وابن ماجه، عن عقبةَ بنِ عامر الجهني قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تُكرِهوا مرضاكم على الطعامِ والشرابِ؛ فإن الله** عَزَّوَجَلَّ **يُطعِمُهم ويَسقِيهم**»[(٣)].

٢٠- فصل في هديِه ﷺ في علاجِ العُذرةِ وفي العلاج بالسَّعوطِ

ثبت عنه في «الصحيحين» أنه قال: «**خيرُ ما تداويتُم به الحِجامةُ والقُسطُ البحريُّ، ولا تعذِّبوا صبيانكم بالغَمزِ من العُذرة**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٤١١ (١٣١٠)، وأبو داود (٣٨٥٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٤٠)، وابن ماجه (٣٤٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٩٦)، ومسلم (١٥٧٧).

قال أبو عبيدٍ عن أبي عبيدةَ: العُذرةُ تهيج في الحلقِ من الدمِ، فإذا عُولج منه، قيل: قد عذرته، فهو معذورٌ. وقيل العذرةُ: قُرحة تخرجُ فيما بين الأذنِ والحلقِ، وتعرِض للصِّبيان غالبًا.

والسعوط: ما يُصبُّ في الأنفِ، وذكر أبو داودَ في «سننه» أن النبيَّ ﷺ استَعَط[١].

٢١- فصل في هديه ﷺ في الحمية

والحميةُ: حميتانِ: حميةٌ عمَّا يَجلبُ المرضَ، وحميةٌ عما يزيده فيقفُ على حالِه، والأصلُ في الحميةِ قولُه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] فحمى المريضَ من استعمالِ الماءِ؛ لأنه يضرُّه.

وفي «سنن ابن ماجه» عن صهيبٍ قال: قدمتُ على النبيِّ ﷺ وبين يديه خبزٌ وتمرٌ، فقال: «**ادنُ فكُلْ**» فأخذتُ تمرًا فأكلتُ، فقال: «**أتأكلُ تمرًا وبك رمدٌ؟**» فقلت: يا رسولَ الله، أمضغُ من الناحيةِ الأخرى، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ[٢].

وفي حديثٍ محفوظٍ عنه ﷺ: «**إن الله إذا أحبَّ عبدًا حماه من الدنيا، كما يَحمي أحدُكم مريضَه عن الطعامِ والشرابِ**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٦٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٤٣).

(٣) أخرجه أحمد ٣٩/ ٣٣ (٢٣٦٢٢) عن محمود بن لبيد، وابن أبي الدنيا في الزهد (٣٨)، والحاكم ٤/ ٣٤٤ (٧٨٥٧) عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان، وأحمد في الزهد (١٨٣٢) عن بكر بن عبد الله المزني، وأبو يعلى في مسنده ١٢/ ٢٧٨ (٦٨٦٥)، عن عقبة بن رافع.

٢٢- فصل في هديه ﷺ في إصلاحِ الطعام الذي يقعُ فيه الذُّباب وإرشادِه إلى دفعِ مَضرَّات السمومِ بأضدادِها

في «الصحيحين» من حديث أبي هريرةَ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا وقع الذُّبابُ في إناء أحدِكم فامقُلوهُ، فإن في أحَدِ جناحيه داءً وفي الآخرِ شفاءً**»[1].

فقال أبو عبيدٍ: معنى امقُلوه: اغمِسوه ليخرُج الشفاءُ منه، كما خرج الداءُ[2].

٢٣- فصل في هديه ﷺ في علاج البَثْرة

ذكَر ابنُ السني في كتابه: «عن بعضِ أزواجِ النبيِّ قالت: دخَلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وقد خرَجَ في أصبعي بثرةٌ، فقال: **عندك ذريرة؟** قلتُ: نعم. قال: **ضَعيها عليها، وقال: وقولي: اللهُمَّ مصغِّرَ الكبيرِ، ومكبِّرَ الصغيرِ صغِّر ما بي**»[3]. الذريرةُ: دواءٌ هنديٌّ يُتخذ من قصبِ الذريرةِ، وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «طيبتُ رسولَ الله ﷺ بيدي بذريرةٍ في حجةِ الوداعِ للحلِّ والإحرامِ»[4]. والبثرةُ: خراجٌ صغيرٌ.

٢٤- فصل في هديه ﷺ في تغذيةِ المريض بألطفِ ما اعتادَه من الأغذيةِ

في «الصحيحين» من حديث عُروةَ عن عائشةَ، أنها كانت إذا ماتَ الميِّتُ من أهلِها، اجتمع لذلك النساءُ ثم تفرَّقنَ إلى أهلهنَّ، أمرت ببُرمةٍ من تَلبينةٍ فطُبختْ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٢).

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٢١٥.

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٣٠)، ومسلم (١١٨٩).

وصَنعت ثريدًا ثم صبَّت التلبينةَ عليه، ثم قالت: كُلوا منها فإني سمِعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**التلبينةُ مَجَمَّةٌ لفؤادِ المريضِ تَذهب ببعض الحُزنِ**»[(١)].

وقولُه ﷺ فيها: «**مَجَمَّةٌ لفؤاد المريضِ**» معناه: أنها مُريحةٌ له.

٢٥- فصل في هديِه ﷺ في علاج السُّمِّ الذي أصابه بخَيبرَ من اليهودِ

ذكُر عبدُ الرزاق عن عبدِ الرحمن بنِ كعبِ بن مالكٍ: أن امرأةً يهوديَّةً أهدت إلى النبيِّ ﷺ شاةً مَصليَّةً بخيبرَ، فقال: «**ما هذه؟**» قالت: هديةٌ وحذِرت أن تقولَ: من الصَّدقةِ، فلا يأكلُ منها، فأكل النبيُّ ﷺ وأكل أصحابُه، ثم قال: «**أمسِكوا**»، ثم قال للمرأةِ: «**هل سَممتِ هذه الشاةَ؟**» قالت: من أخبركَ بهذا؟ قال: «**هذا العظمُ لساقِها**» -وهو في يده- قالت: نعم. قال: «**ولِـمَ؟**» قالت: أردتُ إن كنت كاذبًا أن يستريحَ منك الناسُ، وإن كنت نبيًّا، لم يضرَّك، قال: فاحتجم النبيُّ ﷺ ثلاثةً على الكاهلِ، وأمر أصحابَه أن يحتَجِموا، فاحتجموا، فمات بعضُهم[(٢)].

ولما احتجم النبيُّ ﷺ احتجمَ في الكاهلِ، وهو أقربُ المواضعِ التي يمكن فيها الحجامةُ إلى القلبِ، فخرجت المادَّةُ السُّميَّةُ مع الدمِ لا خروجًا كُليًّا، بل بقي أثرُها مع ضعفِه، فلما أراد الله إكرامَه بالشهادة، ظهر تأثيرُ ذلك الأثر الكامن من السُّمِّ، وظهَرَ سرُّ قولِه تعالى لأعدائِه من اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] فجاء بلفظ ﴿كَذَّبۡتُمۡ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤١٧)، ومسلم (٢٢١٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٦/ ٦٥ (١٠٠١٩).

بالماضي الذي قد وقع منه وتحقَّقَ، وجاء بلفظِ ﴿ تَقْتُلُونَ ﴾ بالمستقبلِ الذي يتوقَّعونه وينتظرونه، والله أعلم.

٢٦- فصل في هديِه ﷺ في علاج السحرِ الذي سحرتْه اليهودُ به

قد أنكَرَ هذا طائفةٌ من الناسِ وقالوا: لا يجوزُ هذا عليه، وظنُّوه نقصًا وعيبًا، وليس الأمرُ كما زعموا، بل هو مِن جنسِ ما كان يعتريه ﷺ مِن الأسقامِ والأوجاعِ، وهو مرضٌ مِن الأمراضِ، وإصابتُه به كإصابتِه بالسمِّ لا فرقَ بينهما، وقد ثبَتَ في «الصحيحين» عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أنها قالت: سُحر رسولُ الله ﷺ حتى إن كان ليُخيَّلُ إليه أنه يأتي نساءَه ولم يأتهنَّ، وذلك أشدُّ ما يكون من السِّحرِ[(١)].

قال القاضي عياضٌ: والسحرُ مرض من الأمراضِ، وعارضٌ من العِلل، يجوز عليه ﷺ كأنواعِ الأمراض مما لا يُنكر، ولا يَقدح في نبوَّتِه، وأما كونُه يُخيَّلُ إليه أنه فعل الشيءَ ولم يفعلْه، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلةٌ في شيء من صِدقه، لقيام الدليلِ والإجماع على عصمتِه من هذا[(٢)].

والمقصودُ: ذِكرُ هديِه عليه الصلاة والسلام في علاج هذا المرضِ، وهو استخراجُه وتبطيلُه، كما صحَّ عنه ﷺ أنه سأل ربَّه سبحانه في ذلك، فدُلَّ عليه فاستخرجه من بئرٍ، فكان في مشطٍ ومُشاطةٍ وجُفِّ طلعةِ ذَكرٍ، فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشطَ من عِقالٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).

(٢) الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٨١.

فصل

ومن أنفعِ علاجات السحرِ الأدويةُ الإلهيَّةُ، بل هي أدويتُه النافعةُ بالذات، فإنه من تأثيراتِ الأرواحِ الخَبيثةِ السُّفليةِ، ودفعُ تأثيرها يكون بما يعارضُها ويقاومُها من الأذكارِ والآيات والدَّعوات التي تُبطِل فعلَها وتأثيرَها، وكلما كانت أقوى وأشدَّ كانت أبلغَ في النُّشرةِ.

٢٧- فصل في هديه ﷺ في تضمين من طبَّ الناسَ وهو جاهل بالطب

روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديثِ عمرِو بن شعيب، عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من تطبَّب ولم يُعلم منه الطبُّ قبلَ ذلك فهو ضامنٌ**»[١].

٢٨- فصل في هديِه ﷺ في التحرُّزِ من الأدواءِ المُعديَة بطبعِها وإرشادِه الأصحَّاءَ إلى مُجانبة أهلِها

ثبت في «صحيح مسلم» من حديثِ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان في وفدِ ثقيفٍ رجل مجذومٌ فأرسل إليه النبيُّ ﷺ: «**ارجعْ فقد بايعناكَ**»[٢].

وفي «الصحيحين» من حديثِ أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يُوردنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٨٦)، والنسائي (٤٨٣٠)، وابن ماجه (٣٦٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١).

٢٩- فصل في هديِه ﷺ في المنعِ من التداوي بالمُحرَّمات

ذكر البخاريُّ في «صحيحه» عن ابنِ مسعود: إن الله لم يجعل شفاءَكم فيما حرَّمَ عليكم[(١)].

وفي «السنن» عن أبي هريرة، قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن الدواءِ الخبيثِ»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم» عن طارق بن سويد الجعفي، أنه سأَلَ النبيَّ عن الخمرِ فنهاه، أو كَرِهَ أن يصنعَها، فقال: إنما أصنعُها للدواءِ، فقال: «**إنه ليس بدواءٍ ولكنه داءٌ**»[(٣)].

وها هنا سرٌّ لطيفٌ في كون المحرماتِ لا يُستشفى بها، فإن شرط الشفاءِ بالدواء تَلقِّيه بالقَبولِ، واعتقادُ منفعتِه، ومعلومٌ أن اعتقادَ المسلم تحريمَ هذه العين مما يحول بينه وبين اعتقادِ بركتِها ومنفعتها، فإذا تناولها في هذه الحالِ كانت داءً له لا دواء.

٣٠- فصل في هديه ﷺ في علاجِ القَملِ الذي في الرأسِ وإزالته

في «الصحيحين» عن كعبِ بن عُجرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان بي أذًى من رأسِي، فحُمِلت إلى رسولِ الله ﷺ والقَملُ يتناثرُ على وجهي، فقال: «**ما كنتُ أرى الجَهدَ قد بلغ بك ما أرى**» وفي روايةٍ: فأمره أن يَحلقَ رأسَه وأن يطعمَ فرقًا بينَ ستةٍ أو يهدِي شاةً أو يصومَ ثلاثةَ أيامٍ.

---

(١) علقه البخاري جزمًا قبل حديث (٥٦١٤).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٧٠)، والترمذي (٢٠٤٥)، وابن ماجه (٣٤٥٩).
(٣) أخرجه مسلم (١٩٨٤).

[ثانيا:] فصولٌ في هديُه ﷺ في العلاجِ بالأدوية الرُّوحانيةِ الإلهيَّةِ المُفردة والمركَّبةِ منها ومن الأدويةِ الطبيعيَّةِ

٣١- فصل في هديِه ﷺ في علاجِ المصاب بالعينِ

روى مسلمٌ في «صحيحه» عن ابنِ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**العينُ حقٌّ ولو كان شيءٌ سابق القدرِ لسبقته العينُ**»[(١)].

وفي «صحيحه» عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ رخَّصَ في الرقيةِ من الحُمةِ والعين والنَّملةِ[(٢)].

وفي «سنن أبي داود» عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: كان يُؤمر العائنُ فيتوضَّأُ، ثم يغتسل منه المَعينُ[(٣)].

وروى مالكٌ رَحِمَهُٱللَّهُ عن ابنِ شهاب عن أبي أمامةَ بن سهل بن حنيف، قال: «رأى عامرُ بن ربيعة سهلَ بن حنيف يغتسلُ، فقال: والله ما رأيتُ كاليومِ، ولا جِلْدَ مخبَّأة، قال: فلُبِطَ[(٤)] سهلٌ، فأتى رسولُ الله عامرًا فتغيَّظ عليه، وقال: **علامَ يقتلُ أحدُكم أخاه! ألا بَرَّكْتَ، اغتسِلْ له**. فغسَلَ عامرٌ وجهَه ويديه ومرفقيه وركبتيه، وأطرافَ رجليه، وداخلةَ إزاره في قدح، ثم صُبَّ عليه فراح مع الناسِ»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٨).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧١٩)، ومسلم (٢١٩٦).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٨٠).
(٤) (لُبِطَ): صُرِعَ.
(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٣٨ (١).

والعينُ عينان: عينٌ إنسيَّةٌ، وعين جِنِّيَّةٌ، فقد صح عن أمِّ سلمةَ، أن النبيَّ ﷺ رأى في بيتِها جاريةً في وجهها سَفعةٌ، فقال: «**استرقوا لها، فإن بها النظرةَ**»[(١)]. قال الفراءُ: وقولُه: «**سفعةٌ**» أي: نظرةٌ يعني: من الجِنِّ.

فصل

فمنَ التعوُّذات والرقى: الإكثارُ من قراءةِ الْمُعوِّذتين، وفاتحةِ الكتاب، وآيةِ الكرسيِّ، ومنها التعوذاتُ النبويَّةُ نحو: «**أعوذُ بكلماتِ الله التَّامَّة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة**»[(٢)]، ونحو: «**أعوذُ بكلماتِ الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق**»[(٣)].

ومَن جرَّبَ هذه الدعواتِ؛ عرَف مقدار منفعتِها، وشدَّةَ الحاجةِ إليها وهي تمنعُ وصول أثرِ العائن، وتدفعُه بعد وصولِه بحسب قوةِ إيمان قائلِها، وقوة نفْسِه، واستعداده، وقوةِ توكُّلِه، وثبات قلبِه، فإنها سلاحٌ، والسلاح بضاربِه.

فصل

وإذا كان العائنُ يخشى ضررَ عينِه وإصابتِها للمَعين، فليدفع شرَّها بقولِه: اللهم بارِك عليه، كما قال النبيُّ ﷺ لعامرِ بن ربيعةَ، لما عان سهلَ بن حُنيفٍ: «**ألا بَرَّكْتَ**» أي: قلتَ: اللهمَّ بارك عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٢١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٨، ٢٧٠٩).

ومنها: رُقية جبريلَ عليه السلامُ للنبيِّ ﷺ التي رواها مسلمٌ في «صحيحه»: «**باسم الله أرقيك، من كُلِّ شيءٍ يؤذيك، من شرِّ كُلِّ نفس أو عين حاسدٍ، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[(١)].

ومن علاجِ ذلك أيضًا والاحترازِ منه: سترُ محاسنِ مَن يُخافُ عليه العينُ بما يردُّها عنه.

٣٢- فصل في هديِه ﷺ في العلاجِ العام لكُلِّ شكوى بالرقيةِ الإلهيةِ

في «صحيح مسلم» عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن جبريلَ عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا محمدُ أشتكيتَ؟ فقال: «**نعم**» فقال: جبريلُ عليه السلامُ: باسم الله أرقيكَ، من كُلِّ داء يُؤذيك، ومن كل نفسٍ وعين، باسم الله أرقيك، والله يشفيك»[(٢)].

فإن قيل: فما تقولون في الحديثِ الذي رواه أبو داود: «**لا رقيةَ إلا في عينٍ أو حمةٍ**»، والحمة: ذوات السموم كلها.

فالجواب: أنه ﷺ لم يُرِدْ به نفيَ جوازِ الرقيةِ في غيرِها، بل المرادُ به لا رقيةَ أولى وأنفعُ منها في العينِ والحمةِ، ويدلُّ عليه سياقُ الحديثِ وسائرُ أحاديثِ الرقى العامةِ والخاصةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

٣٣- فصل في هديه ﷺ في رُقية اللديغِ بالفاتحة

أخرجا في «الصحيحين» من حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: انطلق نفرٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ في سَفرةٍ سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العربِ، فاستضافوهم فأبوا أن يُضيِّفوهم، فلُدغَ سيِّدُ ذلك الحيِّ، فسعوا له بكُلِّ شيء لا ينفعُه شيءٌ.

فقال بعضُهم: لو أتيتم هؤلاءِ الرهطَ الذين نزلوا لعلَّهم أن يكون عند بعضِهم شيءٌ، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهطُ إن سيدَنا لُدغ، وسعينا له بكل شيءٍ لا ينفعه، فهل عند أحدٍ منكم من شيءٍ؟

فقال بعضُهم: نعم، واللهِ إني لأرقي، ولكن استضفناكم فلم تُضيِّفونا فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعلًا، فصالحوهم على قطيعٍ من الغنمِ، فانطلق يَتفُلُ عليه، ويقرأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فكأنما نشط من عِقالٍ، فانطلق يمشي، وما به قَلَبَةٌ، قال: فأوفوهم جُعلَهم الذي صالحوهم عليه.

فقال بعضُهم: اقتسِموا، فقال الذي رَقى: لا نفعلُ حتى نأتيَ النبيَّ ﷺ فنذكرَ له الذي كان، فننظرَ ما يأمرنا به، فقدِموا على رسولِ الله ﷺ، فذكروا له ذلك فقال: «**وما يُدريك أنها رُقيةٌ؟!**»، ثم قال: «**قد أصبتُم، اقسِموا واضرِبوا لي معكم سهمًا**»[(١)].

فما تضمَّنَتْه الفاتحةُ من إخلاصِ العبوديةِ، والثناءِ على الله تعالى، وتفويضِ الأمرِ كلِّه إليه، والاستعانةِ به، والتوكلِ عليه، وسؤالِه مجامعَ النعمِ كلِّها، وهي الهدايةُ التي تجلبُ النعمَ وتدفعُ النقمَ؛ من أعظمِ الأدويةِ الشافيةِ الكافيةِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

٣٤- فصل في هديه ﷺ في علاج لدغةِ العقرب بالرقيةِ

روى ابنُ أبي شيبةَ في «مسنده»، من حديثِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال: «بينَا رسول الله يُصلِّي، إذ سجَدَ فلدغَتْه عقربٌ في أصبعِه، فانصرَفَ رسولُ الله وقال: **لعَنَ الله العقربَ؛ ما تدع نبيًّا ولا غيرَه**، قال: ثم دعا بإناءٍ فيه ماءٌ وملحٌ، فجعل يضعُ موضعَ اللدغةِ في الماءِ والملحِ، ويقرأ: (قل هو الله أحد) والمعوذتين حتى سكَنَتْ»[(١)].

وقد روى مسلمٌ في «صحيحه» عن أبي هريرةَ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ما لقيتُ من عقرب لدغتني البارحةَ! فقال: «**أما لو قلتَ حين أمسيتَ: أعوذ بكلماتِ الله التامَّات من شرِّ ما خلق، لم تُضرَّك**»[(٢)].

واعلم أن الأدويةَ الإلهيةَ تنفع من الداءِ بعد حصولِه، وتمنع من وقوعِه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مُضرًّا، فالرقى والعُوذُ تستعمل لحفظِ الصحة، ولإزالة المرضِ.

٣٥- فصل في هديه ﷺ في رقية النملة

قد تقدَّم من حديث أنسٍ الذي في «صحيح مسلم»: أنه ﷺ رخَّص في الرقيةِ من الحمةِ والعينِ والنملةِ[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٤/ ٥٥ (٢٣٥٥٣)، وإنما رواه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عدي في الكامل ٣/ ١٠٦.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٦).

وفي «سنن أبي داود»، عن الشفاءِ بنتِ عبد الله: دخَلَ عليَّ رسولُ الله وأنا عندَ حفصةَ فقال: «**أَلَا تُعلِّمين هذه رقيةَ النملةِ كما عَلَّمْتيها الكتابةَ**»[١].

النملة: قروحٌ تخرجُ في [الجنبَينِ]، وهو داءٌ معروفٌ، وسمِّي نملةً لأن صاحبَه يحسُّ في مكانِه كأن نملةً تدبُّ عليه وتعضُّه.

٣٦- فصل في هديه في رقية الحية

قد تقدَّم قولُه: «**لا رقيةَ إلا في عينٍ أو حُمَةٍ**[٢]»[٣].

وفي «سنن ابن ماجه» مِن حديثِ عائشةَ رضي الله عنها: رخَّص رسولُ الله في الرقيةِ من الحيةِ والعقربِ[٤].

٣٧- فصل في هديِه ﷺ في رُقية القرحةِ والجُرح

أخرجا في «الصحيحين» عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا اشتكى الإنسانُ، أو كانت به قرحةٌ أو جرح، قال بأصبُعه: هكذا، ووضع سفيانُ سبَّابته بالأرضِ، ثم رفعها، وقال: «**بسم الله، تربةُ أرضنا، بِريقَةِ بعضِنا، لِيُشفى سقيمُنا، بإذن ربِّنا**»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٨٧).

(٢) (الحُمَة): سم العقرب ونحوها.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٥١٧).

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٢١٩٤).

ومعنى الحديثِ: أنه يأخذ من ريقِ نفسِه على أُصبُعِه السبابةِ، ثم يضعها على الترابِ فيعلقُ بها منه شيءٌ، فيمسح به على الجُرحِ، ويقول هذا الكلامَ لما فيه من بَركةِ ذكر اسم الله، وتفويض الأمرِ إليه، والتوكُّلِ عليه، فينضم أحدُ العلاجين إلى الآخرِ، فيقوى التأثيرُ.

٣٨- فصل في هديه ﷺ في علاجِ الوجع بالرُّقيةِ

روى مسلم في «صحيحه» عن عثمانَ بن أبي العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه شكى إلى رسولِ الله ﷺ وجعًا يَجده في جسدِه منذ أسلمَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**ضع يدَك على الذي تألَّم من جسدِك، وقل: بسمِ الله ثلاثًا، وقل سبعَ مرَّاتٍ: أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذرُ**»(١). ففي هذا العلاجِ من ذكرِ اسم الله تعالى، والتفويضِ إليه، والاستعاذةِ بعزَّته وقدرتِه من شرِّ الألمِ ما يَذهبُ به، وتكرارُه ليكونَ أنجعَ وأبلغَ، كتكرارِ الدواءِ لإخراجِ المادةِ، وفي السبعِ خاصيةٌ لا تُوجدُ في غيرِها.

وفي «الصحيحين»: أن النبيَّ ﷺ كان يعوذُ بعضَ أهله، يمسحُ عليه بيده اليُمنى، ويقول: «**اللهم ربَّ الناسِ أذهِب الباسَ، واشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»(٢). ففي هذه الرقيةِ توسلٌ إلى الله بكمالِ ربوبيتِه، وكمالِ رحمتِه بالشفاءِ، وأنه وحدَه الشافي، وأنه لا شفاءَ إلا شفاؤه، فتضمَّنت التوسلَ إليه بتوحيدِه وإحسانِه وربوبيتِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٠)، ومسلم (٢١٩١).

٣٩- فصل في هديه ﷺ في علاج حَرِّ المصيبة وحُزنِها

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وفي «المسند» عنه ﷺ أنه قال: «**ما من أحدٍ تصيبه مُصيبةٌ فيقولُ: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهمَّ أجرني في مُصيبتي وأخلِف لي خيرًا منها؛ إلا أجاره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها**»[(١)].

وهذه الكلمةُ من أبلغ علاجِ المُصاب، وأنفعِه له في عاجلته وآجلتِه، فإنها تتضمن أصلينِ عظيمين إذا تحقَّقَ العبدُ بمعرفتهما تسلَّى عن مصيبتِه:

أحدُهما: أن العبدَ وأهله ومالَه مِلكٌ لله عَزَّوَجَلَّ حقيقةً، وقد جعله عند العبد عاريَّةً.

والثاني: أن مصيرَ العبد ومرجِعَه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يُخلِّف الدنيا وراء ظهرِه، فكيف يفرحُ بموجود أو يأسى على مفقودٍ، ففكرُه في مبدئه ومَعادِه من أعظم علاجِ هذا الداءِ.

ومن علاجِه: أن يَعلم علمَ اليقين أن ما أصابه لم يكن ليُخطئَه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبَه.

ومنه: أن ينظرَ إلى ما أُصيب به فيجد ربَّه قد أبقى عليه مثلَه، أو أفضلَ منه.

(١) أخرجه مسلم (٩١٨).

ومنه: أن يطفئَ نارَ مصيبتِه ببردِ التأسِّي بأهل المصائبِ.

ومنه: أن يعلم أن الجَزَع لا يردُّها، بل يضاعفُها.

ومنه: أن يعلم أن فوتَ ثواب الصبرِ والتسليم -وهو الصلاةُ والرحمةُ والهدايةُ- أعظمُ من المصيبة في الحقيقةِ.

ومنه: أن يعلم أن الجزعَ يشمِّت عدوَّه، ويسوءُ صديقَه، ويُغضب ربَّه.

ومنه: أن يعلم أن ما يعقبه الصبرُ والاحتساب من اللذةِ والمسرة أضعافَ ما كان يحصل له ببقاءِ ما أُصيب به لو بقي عليه.

ومنه: أن يروحَ قلبَه بروح رجاءِ الخُلفِ من الله تعالى.

ومنه: أن يعلم أن حظَّه من المصيبةِ ما تُحدثه له، فمن رضي فله الرضى، ومن سخِط فله السُّخطُ.

ومنه: أن يَعلم أنه وإن بلغ في الجَزعِ غايتَه، فآخرُ أمره إلى صبرِ الاضطرارِ.

ومنه: أن يعلم أن أنفعَ الأدوية له موافقةُ ربِّه وإلهه فيما أحبَّه ورضيه له.

ومنه: أن يعلمَ أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين وأرحمُ الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسلْ إليه البلاءَ ليُهلكَه به، وإنما ليمتحنَ صبرَه وليسمع تضرُّعَه وابتهاله.

ومنه: أن يعلمَ أنه لولا محنُ الدنيا ومصائبُها لأصاب العبدَ من أدواءِ الكبرِ والعجب والفرعنةِ وقسوة القلبِ ما هو سبب هلاكِه.

ومنه: أن يعلمَ أن مرارةَ الدنيا هي بعينها حلاوةُ الآخرة.

٤٠ - فصل في هديه ﷺ في علاجِ الكرب والهمِّ والغم والحزنِ

في «الصحيحين» من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسولَ الله ﷺ كان يقول عند الكَربِ: «**لا إله إلا الله العظيمُ الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات والأرضِ، ربُّ العرشِ الكريم**»(١).

وفي «سنن أبي داود» عن أبي بكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**دعواتُ المكروبِ: اللهمَّ رحمتَك أرجو، فلا تَكِلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأصلِح لي شأني كُلَّه، لا إله إلا أنت**»(٢).

وفيها أيضًا عن أسماء بنت عُميس رضي الله عنها قالت: قال لي رسولُ الله: «**أَلَا أُعلِّمك كلماتٍ تقوليهن عندَ الكربِ، أو في الكربِ: الله ربي لا أُشرِكُ به شيئًا**»(٣).

٤١ - فصل في هديه ﷺ في حفظ الصحة

ولما كانت الصحةُ والعافيةُ من أجلِّ نعم الله على عبدِه، وأجزلِ عطاياه، وأوفرِ منحِه، بل العافيةُ المطلقةُ أجلُّ النعمِ على الإطلاقِ، فحقيقٌ بمن رزق حظًّا من التوفيقِ مراعاتُها وحفظُها وحمايتُها عما يضادها، وقد روى البخاري في «صحيحه» من حديثِ ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ: الصحةُ والفراغُ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).
(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠).
(٣) أخرجه أبو داود (١٥٢٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

وفي الترمذي وغيرِه من حديثِ عبيدِ الله بنِ محصن الأنصاريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أصبحَ مُعافًى في جسدِه، آمنًا في سربِه، عندَه قوتُ يومِه، فكأنما حِيزت له الدنيا**»[(١)].

وفي الترمذي أيضًا من حديثِ أبي هريرةً رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أولُ ما يُسألُ عنه العبدُ يومَ القيامةِ من النعيم أن يُقالَ له: ألم نصحَّ لك جسمَك، ونُروِّكَ من الماءِ الباردِ**»[(٢)]؟!

ومن هاهنا قال مَن قال مِن السلفِ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، قال: عن الصحةِ.

وإذا كان هذا شأنَ العافيةِ والصحةِ فنَذكرُ من هديه ﷺ في مراعاةِ هذه الأمورِ ما يتبيَّنُ لمن نظَرَ فيه أنه أكملُ هدي على الإطلاقِ ينال به حفظ صحةِ البدنِ والقلبِ، وحياة الدنيا والآخرةِ، والله المستعانُ، وعليه التكلانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

فصل

فأمَّا المطعمُ والمشربُ، فلم يكن من عادتِه ﷺ حبسُ النفْسِ على نوع واحدٍ من الأغذيةِ لا يتعداهُ إلى ما سواه، فإن ذلك يضرُّ بالطبيعة جدًّا، وقد يتعذرُ عليها أحيانًا، فإن لم يتناول غيرَه ضعف أو هلك، وإن تناولَ غيرَه لم تقبله الطبيعةُ، بل كان يأكلُ ما جرت عادةُ أهل بلدِه بأكله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٥٨).

وكان إذا عافت نفسُه الطعامَ لم يأكله، ولم يحمِلها إياه على كرهٍ، وهذا أصلٌ عظيمٌ في حفظِ الصحةِ، فمتى أكل الإنسانُ ما تعافه نفسُه ولا يشتهيه كان تضرُّره به أكثرَ من انتفاعه.

قال أبو هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما عاب رسولُ الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكلَه، وإلا تركه ولم يأكلْ منه[(١)].

وكان يُحبُّ اللحمَ، وأحبُّه إليه الذراعُ، ومُقدَّم الشاة، وفي «الصحيحين»: أُتي رسولُ الله ﷺ بلحمٍ فرفع إليه الذراعَ، وكانت تعجبُه[(٢)].

وكان يحبُّ الحلواء والعسلَ، وهذه الثلاثةُ -أعني: اللحمَ والعسلَ والحلواءَ- من أفضلِ الأغذية، ولا ينفرُ منها إلا مَن به علةٌ وآفة.

وكان يأكل الخبزَ مأدومًا ما وجد له إدامًا، فتارةً يَأدمه باللحمِ، وتارة بالخلِّ، ويقول: «**نِعمَ الإدامُ الخلُّ**»[(٣)]، وهذا ثناءٌ عليه بحسب مُقتضى الحال الحاضرِ، لا تفضيل له على غيرِه.

وكان يأكلُ من فاكهة بلدِه عند مجيئها، ولا يحتمي عنها، وهذا أيضًا من أكبرِ أسباب حفظِ الصحةِ، فإن الله سبحانه بحكمتِه جعل في كلِّ بلدٍ من الفاكهةِ ما ينتفعُ به أهلُها في وقتِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٥٢).

٤٢ - فصل في هديه ﷺ في هيئة الجلوس للأكل

صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لا آكلُ متكئًا**»[(١)].

وقد فُسِّرَ الاتكاءُ بالتربعِ، وفُسِّرَ بالاتكاءِ على الشيءِ وهو الاعتمادُ عليه، وفُسِّرَ بالاتكاءِ على الجنبِ. والأنواعُ الثلاثةُ مِن الاتكاءِ.

فصل

وكان يأكلُ بأصابعِه الثلاث، وهذا أنفعُ ما يكون من الأكلاتِ.

ولم يكن يأكلُ طعامًا في وقتِ شدة حرارته، ولا طبيخًا بائتا يُسخَّن له بالغدِ، ولا شيئًا من الأطعمة العفنةِ والمالحةِ.

فصل

وأمَّا هديُه في الشرابِ فمن أكملِ هدي يُحفظُ به الصحةُ.

ولما كان الماءُ البائتُ أنفعَ من الذي يُشربُ وقتَ استقائِه، قال النبيُّ ﷺ وقد دخَلَ إلى حائطِ أبي الهيثم بن التيهان: «**هل مِن ماءٍ بات في شنةٍ؟ فأتاه به، فشَرِبَ منه**»، رواه البخاري، ولفظه: «**إن كان عندَك ماءٌ بات في شنةٍ وإلا كَرَعْنا**[(٢)]»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٨).

(٢) (الكَرَع): الشرب بالفم بغير كفيه أو إناء.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦١٣).

قالت عائشة رضي الله عنها: «**كان أحبُّ الشرابِ إلى رسولِ الله الحلوَ الباردَ**»[(١)].

فصل

وكان من هديه ﷺ الشرب قاعدًا، فهذا كان هديَه المعتادَ، وصحَّ عنه أنه أَمَرَ الذي شَرِبَ قائمًا أن يستقيءَ، وصحَّ عنه أنه نهى عن الشربِ قائمًا، وصحَّ عنه أنه شرب قائمًا.

قالت طائفةٌ: هذا ناسخٌ للنهي، وقالت طائفةٌ: بل مبينٌ أن النهيَ ليس للتحريمِ، بل للإرشادِ وتركِ الأولى، وقالت طائفةٌ: لا تعارضَ بينهما أصلًا، فإنه إنما شرِبَ قائمًا للحاجةِ، فإنه جاء إلى زمزم، وهم يَستقُون منها، فاستقى فناولوه الدلوَ، فشرِبَ وهو قائمٌ، وهذا كان موضعَ حاجةٍ.

فصل

وفي «صحيح مسلم» من حديث أنسِ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يتنفس في الشرابِ ثلاثًا، ويقول: «**إنه أروى وأمرأُ وأبرأُ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٨).

ومعنى تنفسِه في الشرابِ: إبانتُه القدحَ عن فِيه، وتنفسُه خارجه، ثم يعودُ إلى الشرابِ، كما جاء مصرَّحًا به في الحديثِ الآخرِ: «**إذا شرِبَ أحدُكم فلا يتنفَّس في القدحِ**»[١] ولكن «**ليبِن الإناءَ عن فيه**»[٢].

فأروى: أشدُّ رِيًّا، وأبرأ: أفعلُ من البُرءِ، وهو الشفاء، أي: يُبرئ من شدة العطشِ. وقولُه: «**وأمرأُ**»: هو أفعلُ من مَرئ الطعامُ والشرابُ في بدنِه، إذا دخله، وخالطه بسُهولةٍ ولذة ونفعٍ.

فصل

وقد روى مسلمٌ في «صحيحه»: من حديث جابرِ بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**غطُّوا الإناءَ، وأوكوا السِّقاءَ، فإن في السنةِ ليلةً ينزل فيها وباءٌ لا يمرُّ بإناء ليس عليه غطاءٌ، أو سقاء ليس عليه وكاءٌ إلا وقع فيه من ذلك الداءِ**»[٣].

وصح عنه ﷺ: أنه أمر بتخميرِ الإناء ولو أن يَعرضَ عليه عودًا[٤].

وصح عنه: أنه أمر عند إيكاءِ الإناء بذكر اسمِ الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣) بلفظ: «الإناء».

(٢) أخرج الترمذي (١٨٨٧)، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشرب، فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ قال: «أهرقها»، قال: فإني لا أروى من نفس واحد؟ قال: «فأبن القدح إذن عن فيك».

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٨٠)، ومسلم (٢٠١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٢٣)، ومسلم (٢٠١١).

وروى البخاريُّ في «صحيحه» من حديث ابنِ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسولَ الله ﷺ نهى عن الشُّربِ مِن فِي السِّقاء[١].

فصل

وفي «سنن أبي داود» من حديثِ أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن الشُّربِ من ثُلمة القدحِ، وأن يُنفخَ في الشراب[٢]، وهذا من الآدابِ التي تتمُّ بها مصلحةُ الشارب، فإن الشربَ من ثلمةِ القدح فيه عدَّةُ مفاسدَ: أحدها: أن ما يكونُ على وجه الماءِ من قذًى أو غيرِه يجتمعُ إلى الثلمةِ، بخلاف الجانبِ الصحيح. الثاني: أنه ربما كان في الثلمةِ شقٌّ أو تحديدٌ يجرحُ فم الشاربِ.

وأما النفخُ في الشرابِ، فإنه يكسبُه من فمِ النافخِ رائحةً كريهة يُعاف لأجلِها، ولا سيما إن كان متغيِّرَ الفم.

وكان ﷺ يشرب اللبنَ خالصًا تارةً، ومشوبًا بالماء أخرى.

وفي «جامع الترمذي» عنه ﷺ: «إذا أَكَلَ أحدُكم طعامًا فليقل: اللهُمَّ بارِكْ لنا فيه، وأطعِمْنا خيرًا منه، وإذا سُقِيَ لبنًا فليقل: اللهُمَّ بارِكْ لنا فيه وزِدْنا منه، فإنه ليس شيءٌ يُجزِئ من الطعامِ والشرابِ إلا اللبنُ» قال الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٥٥)، وأبو داود (٣٧٣٠)، وابن ماجه (٣٣٢٢).

فصل

وثبت في «صحيح مسلم» أنه ﷺ كان يُنبذُ له أولَ الليل، ويشربُه إذا أصبح يومَه ذلك والليلةَ التي تجيء والغَد والليلةَ الأخرى، والغَد إلى العصرِ، فإن بَقِيَ منه شيءٌ سقاه الخادمَ، أو أمر به فصُبَّ[(١)].

وهذا النبيذ: هو ماء يُطرح فيه تمرٌ يُحلِّيه، وهو يدخل في الغذاءِ والشراب، وله نفعٌ عظيم في زيادةِ القوَّةِ، وحفظ الصحَّةِ، ولم يكن يشربُه بعد ثلاثٍ خوفًا من تغيُّرِه إلى الإسكارِ.

٤٣- فصل في تدبيرِه لأمر الملبسِ

وكان من أتمِّ الهديِ، وأنفعِه للبدن، وأخفِّه عليه، وأيسرِه لبسًا وخلعًا، وكان أكثر لُبسِه الأرديةَ والأُزرَ، وهي أخفُّ على البدن من غيرها، وكان يلبس القميصَ، بل كان أحبَّ الثياب إليه، لم يكن يُطيل أكمامَه ويوسِّعها، بل كانت كُمُّ قميصه إلى الرُّسغِ لا يجاوز اليدَ، وكان ذيلُ قميصه وإزارِه إلى أنصاف الساقين لم يتجاوزِ الكعبين، ولم تكن عمامتُه بالكبيرةِ ولا بالصغيرةِ، بل وسطًا وكان يدخلها تحت حنكِه.

وكان يَلبس الخِفافَ في السفر دائمًا، أو أغلبَ أحوالِه لحاجةِ الرجلين إلى ما يقيهما من الحرِّ والبردِ، وفي الحضرِ أحيانًا.

وكان أحبُّ ألوانِ الثيابِ إليه البياضَ والحِبَرَةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٤).

٤٤- فصل في تدبيرِه لأمر المَسكنِ

لما علِم ﷺ أنه على ظهرِ سير، وأن الدنيا مَرْحَلةُ مسافرٍ ينزل فيها مُدَّةَ عمرِه، ثم ينتقل عنها إلى الآخرةِ، لم يكن من هديِه الاعتناءُ بالمساكن وتشييدُها وتعليتُها وزخرفتُها وتوسيعُها، بل كانت من أحسنِ منازلِ المسافرِ تقي الحرَّ والبردَ، وتسترُ عن العيونِ، وتمنعُ من ولوجِ الدوابِّ، ولا تُعشِّش فيها الهوامُّ لسعتِها، ولا تعتورُ عليها الأهويةُ والرياحُ المؤذيةُ لارتفاعِها، وليست تحتَ الأرض فتُؤذِي ساكنَها، ولا في غايةِ الارتفاعِ عليها، بل وسطٌ.

وتلك أعدلُ المساكنِ وأنفعُها، وأقلُّها حرًّا وبردًا، ولا تضيقُ عن ساكنِها فينحصرَ، ولا تفضلُ عنه بغير منفعةٍ ولا فائدةٍ، فتأويَ الهوامَّ في خلوِها، ولم يكن فيها مراحيض ولا كنفٌ تُؤذِي ساكنَها برائحتِها، بل رائحتها من أطيب الروائح؛ ولا ريبَ أن هذه مِن أعدلِ المساكنِ وأنفعِها وأوفقِها للبدنِ وحفظِ صحتِه.

٤٥- فصل في تدبيرِه ﷺ لأمر النومِ واليقظةِ

من تدبَّر نومَه ويقظتَه ﷺ وجدَه أعدلَ نومٍ، وأنفعَه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينامُ أوَّلَ الليل، ويستيقظ في أولِ النصفِ الثاني، فيقوم ويستاك، ويتوضَّأُ ويصلي ما كتب الله له، فيأخذُ البدنُ والأعضاءُ والقوى حظَّها من النوم والراحة، وحظَّها من الرياضةِ مع وفورِ الأجرِ، وهذا غايةُ صلاحِ القلبِ والبدنِ والدنيا والآخرةِ.

ولم يكن يأخذُ من النومِ فوقَ القدر المحتاجِ إليه، ولا يمنع نفسَه من القدر المحتاجِ إليه منه، وكان يفعلُه على أكملِ الوجوه، فينامُ إذا دعته الحاجةُ إلى النوم على شِقِّه الأيمن، ذاكرًا الله حتى تغلبَه عيناه، غيرَ ممتلئ البدنِ من الطعامِ والشرابِ، ولا مُباشرٍ بجنبِه الأرضَ، ولا مُتخذٍ للفرش المرتفعةِ، بل له ضِجاع من أَدَم حشوه ليفٌ، وكان يضطجعُ على الوسادة، ويضع يدَه تحت خدِّه أحيانًا.

وفي «الصحيحين» عن البراءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إذا أتيتَ مضجعَك فتوضأْ وضوءَك للصلاة، ثم اضطجِعْ على شِقِّكَ الأيمن، ثم قل: اللهمَّ إني أسلمت نفسي إليك، ووجَّهت وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبة إليك، لا ملجأَ ولا منجَا منك إلا إليك، آمنت بكتابِك الذي أنزلت، ونبيِّك الذي أرسلت، واجعلهن آخرَ كلامِك، فإن مت من ليلتك، مِتَّ على الفطرة»**[(١)].

فصل

وأما هديُه في يقظتِه، فكان يستيقظُ إذا صاح الصارخُ وهو الديكُ، فيحمدُ الله تعالى ويكبِّره ويهلِّله ويدعوه، ثم يستاكُ، ثم يقومُ إلى وضوئِه، ثم يقفُ للصلاةِ بين يدي ربِّه، مناجيًا له تعالى بكلامِه، مثنيًا عليه راجيًا له راغبًا راهبًا.

فأيُّ حفظٍ لصحة القلبِ والبدنِ والروحِ والقوى ولنعيمِ الدنيا والآخرة فوقَ هذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠).

فصل

وأما الجماعُ والباهُ، فكان هديُه ﷺ فيه أكملَ هدي، يحفظُ به الصحةَ، وتتمُّ به اللذة وسرورُ النفس، ويحصل به مقاصدُه التي وضِع لأجلها، فإن الجماعَ في الأصل وضِعَ لثلاثةِ أمورٍ هي مقاصدُه الأصلية: حفظُ النسل، وإخراجُ الماء الذي يَضُرُّ احتباسُه، وقضاءُ الوطر ونيلُ اللذة.

وقال: «**إني أتزوَّجُ النساءَ، وأنام وأقوم، وأصومُ وأفطر، فمن رغِب عن سنتي فليس مني**»[(١)].

وقال: «**يا معشرَ الشبابِ من استطاع منكم الباءةَ فليتزوجْ؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحفظُ للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصومِ؛ فإنه له وجاءٌ**»[(٢)].

ولما تزوَّجَ جابرٌ ثيبًا قال له: «**هلَّا بكرًا تلاعبُها وتلاعبُك**»[(٣)].

وفي «الصحيحين» عن النبيِّ ﷺ قال: «**تُنكحُ المرأةُ لمالها، ولحسبِها، ولجمالها، ولدينِها، فاظفر بذات الدِّين تَرِبت يداك**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**تزوجوا الودودَ الولودَ؛ فإني مكاثِرٌ بكم**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٤٧)، ومسلم (٥١٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧).

وشرع للمُجامِع -إذا أراد العودَ قبل الغسلِ- الوضوء بين الجِماعين، كما روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديث أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أتى أحدُكم أهلَه، ثم أراد أن يعود فليتوضَّأْ**»[(١)].

فصل

وفي «الصحيحين» عن جابر، قال: كانت اليهودُ تقول: إذا أتى الرجلُ امرأتَه من دبُرها في قُبُلِها، كان الولدُ أحولَ، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وفي لفظ لمسلمٍ: «**إن شاء مُجبِّيةً، وإن شاء غير مُجَبِّيَةً، غير أن ذلك في صِمامٍ واحدٍ**»[(٢)].

والمُجبيةُ: المُنكَبَّةُ على وجهها، والصِمامُ الواحد: الفرْجُ، وهو موضعُ الحرْث والولدِ.

وأمَّا الدبرُ، فلم يُبح قطُّ على لسانٍ نبي من الأنبياءِ، ومَن نسَبَ إلى بعضِ السلفِ إباحةَ وطءِ الزوجةِ في دبرِها، فقد غلطَ عليه، وفي الترمذي: عن عليِّ بن طلق، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تأتوا النساءَ في أعجازِهن؛ فإن الله لا يستحيي من الحقِّ**»[(٣)].

(١) أخرجه مسلم (٣٠٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥).
(٣) أخرجه الترمذي (١١٦٤).

٤٦ - فصل في هديه ﷺ في حِفظ الصحَّةِ بالطِّيب

في «صحيح البخاري» أنه ﷺ كان لا يَردُّ الطِّيبَ[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ: «**من عُرِض عليه رَيحانٌ، فلا يردُّه؛ فإنه طيِّبُ الريحِ، خفيفُ المحمل**»[(٢)].

وصحَّ عنه أنه قال: «**إن لله حقًّا على كُلِّ مسلمٍ أن يغتسلَ في كل سبعةِ أيامٍ، وإن كان له طيبٌ أن يمسَّ منه**»[(٣)].

٤٧ - فصل في هديه ﷺ في حفظ صحة العين

في «سنن ابن ماجه»: عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرفعُه: «**خيرُ أكحالِكم الإثمدُ، يَجلو البصرَ، ويُنبت الشعرَ**»[(٤)].

[ثالثًا:] فصل في ذِكر شيء منَ الأدوِية والأغذِية المُفردَة الَّتي جاءَت على لِسانه ﷺ

إِثمِد: هو حجَر الكُحْل الأسوَد يُؤتَى به من أَصفهانَ، وهو أَفضَلُه، ويُؤتَى به من جِهةِ المَغرِب أيضًا، وأَجودُه السريعُ التَّفتت الَّذي لِفُتاته بَصيصٌ، وداخِلُه أَملَس ليس فيه شيء من الأَوْساخِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٨)، ومسلم (٨٤٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٤٩٧).

أُتْرُجٌّ: ثبَتَ في الصحيح: عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ**»(١). في الأُتْرُجِّ مَنافِعُ كثيرةٌ.

إِذخِر: ثبَت في الصحيح عنه ﷺ أنه لما قال في مكَّةَ: «**لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا**»، فقال له العَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إلَّا الإِذخِر يا رَسولَ الله، فإنه لقَيْنهم(٢) ولبُيوتِهم. فقال: «**إِلَّا الْإِذْخِرَ**»(٣).

بِطِّيخ: رَوى أبو داودَ والتِّرمِذيُّ، عن النبيِّ ﷺ، «أنه كان يَأكُل البِطِّيخَ بالرُّطَب، يَقول: «**نَكْسِرُ حَرَّ هَذَا بِبَرْدِ هَذَا، وَبَرْدَ هَذَا بِحَرِّ هَذَا**»(٤).

وفي البِطِّيخ عِدَّة أحاديثَ لا يَصِحُّ مِنها شيءٌ غير هذا الحديثِ الواحِد، والمُرادُ به الأَخضَر.

بُسْر: ثبَت في الصَّحيح: «أن أبا الهَيْثَم بنَ التَّيِّهانِ، لَمَّا ضافَه النَّبيُّ ﷺ وأبو بَكْر وعُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، جاءَهْم بعَذْق -وهو من النَّخْلة كالعُنْقود من العِنَب- فقال له: «**هَلَّا انْتَقَيْتَ لَنَا مِنْ رُطَبِهِ؟!**» فقال: أَحبَبْت أن تَنتَقوا من بُسْره ورُطَبه(٥).

بصَل: ثبَتَ عنه في الصَّحيحين أنه «منَع آكِلَه مِن دُخول المَسجِد»(٦).

وفي السُّنَن: أنه ﷺ أَمَر آكِلَه وآكِلَ الثُّوم أن يُميتَهُما طَبْخًا(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).
(٢) (القَيْن): الحدَّاد.
(٣) أخرجه البخاري (١٨٣٣)، ومسلم (١٣٥٣).
(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٣٦)، والترمذي (١٨٤٣).
(٥) أخرجه مسلم (٢٠٣٨)، والترمذي (٢٣٦٩) واللفظ له.
(٦) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٣).
(٧) أخرجه مسلم (٥٦٧).

تَمْر: ثبَتَ في الصَّحيح عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ** -وفي لفظ: من تَمْر العالِيَة- **لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ**»[(١)]، وثبَتَ عنه أنه قال: «**بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ**»[(٢)]، وثبَتَ عنه أَكْل التَّمْر بالزُّبْد[(٣)]، وأَكْل التَّمر بالخُبْز، وأَكلُه مُفردًا.

تين: لَمَّا لم يَكُن التِّين بأرض الحِجاز والمَدينةِ، لم يَأتِ له ذِكْر في السُّنَّة، فإن أرضَه تُنافِي أرض النَّخْل، ولكِن قد أَقسَم الله به في كِتابِه لكَثْرة مَنافِعه وفَوائِده.

تلبينة: قد تقدَّم أنها ماءُ الشعيرِ المطحونِ، وذكرنا منافعَها[(٤)].

ثلج: ثبَتَ في الصَّحيحين: عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**»[(٥)].

وفي هذا الحَديثِ منَ الفِقهِ: أن الداءَ يُداوَى بضِدِّه، فإن في الخَطايا من الحَرارة والحَريق ما يُضادُّه الثَّلْج والبرَد، والماء البارِد.

ثُوم: هو قَريب من البصَل، وفي الحَديث: «**مَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا**»، وأُهدِيَ إليه طَعامٌ فيه ثُوم، فأَرسَل به إلى أبي أيُّوبَ الأَنصاريِّ، فقال: يا رَسولَ الله، تَكرَهه وتُرسِل به إليَّ؟ فقال: «**إِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي**»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٩)، ومسلم (٢٠٤٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤٦).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٣٧)، وابن ماجه (٣٣٣٤).
(٤) تقدم (ص٣٨٢).
(٥) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).
(٦) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).

ثَريد: ثبَت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[١].

جُمَّار: قَلْب النَّخل، ثبَت في الصحيحين: عن عبدِ الله بنِ عُمرَ قال: بَيْنا نحنُ عِند رَسولِ الله ﷺ جُلوس، إذ أُتِيَ بجُمَّار نَخْلة، فقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مِثْلُ الرَّجُلِ المُسْلِمِ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا**...»[٢] الحديثَ.

جُبْن: في «السنن» عن عبد الله بن عمر، قال: «أُتِيَ النبيُّ بجُبنةٍ في تبوك، فدعا بسكينٍ، وسمَّى وقطَعَ» رواه أبو داود[٣].

حناء: قد تقدَّمت الأحاديثُ في فضلِه، فأغنى عن إعادتِه[٤].

حبة السَّوْداء: ثبَت في الصحيحَيْن من حَديث أبي سلَمةَ، عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسولَ الله ﷺ قال: «**عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ**»[٥]، والسامُ: الموتُ. الحبةُ السوداء: هي الشونيز.

حرير: قد تقدَّم أن النبي ﷺ أباحَه للزبيرِ، ولعبدِ الرحمن بنِ عوفٍ من حِكةٍ كانت بهما، وتقدَّم منافعه[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧٠)، ومسلم (٢٤٤٦).
(٢) أخرجه البخاري (٥٤٤٤)، ومسلم (٢٨١١).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٨١٩).
(٤) تقدم (ص٣٨٠).
(٥) أخرجه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥).
(٦) تقدم (ص٣٧٩).

خبز: ثبَت في الصحيحَيْن، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَؤُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**»[(١)].

خَلٌّ: روى مُسلِم في صَحيحِه: عن جابِرِ بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسولَ الله ﷺ سأَلَ أهلَه الإِدامَ، فقالوا: ما عِندَنا إلَّا الخَلُّ، فدَعا به، وجعَلَ يَأكُل ويَقول: «**نِعْمَ الْإِدَامُ الخَلُّ، نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ**»[(٢)].

دهن: في الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**كلُوا الزيتَ وادَّهنوا به**»[(٣)].

ذريرة: تقدَّم الكلامُ في الذريرةِ ومنافعِها وماهيتها، فلا حاجةَ لإعادته[(٤)].

ذباب: تقدَّم[(٥)].

ذهب: روى أبو داودَ، والتِّرمِذيُّ: أن النبيَّ ﷺ رخَّص لعَرفجةَ بن أَسعدَ لَمَّا قُطِع أَنفُه يومَ الكلاب، واتَّخذ أنفًا من ورِقٍ، فأَنتَنَ عليه، فأَمَرَه النبيُّ ﷺ أن يَتَّخِذ أنفًا من ذهَب[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٣٢٠) عن أبي هريرة، والترمذي (١٨٥١) عن عمر بن الخطاب.

(٤) تقدم (ص٣٨٢).

(٥) تقدم (ص٣٨٢).

(٦) أخرجه أبو داود (٤٢٣٢)، والترمذي (١٧٧٠).

رطب: قال سبحانه تعالى لمَريمَ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٥].

وفي الصحيحَيْن عن عَبدِ الله بن جَعفرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: رأَيْتُ رَسولَ الله ﷺ يَأكُل القِثَّاء بالرُّطَب[(١)].

وفي سُنَن أبي داودَ عن أنَسٍ قال: كان رَسولُ الله ﷺ يُفطِر على رُطَبات قبل أن يُصلِّيَ، فإن لم تَكُن رُطَبات فتَمْرات، فإن لم تَكُن تَمرات، حَسَا حَسواتٍ من ماءٍ[(٢)].

ريحانٌ: قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن: ١٢].

وفي صحيح مُسلِم عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلَا يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمَلِ، طَيِّبُ الرَّائِحَةِ**»[(٣)].

رُمَّان: قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨]، ويُذكَر عنِ ابنِ عبَّاس رض الله عنهما مَوقوفًا ومَرفوعًا: «**مَا مِنْ رُمَّانٍ مِنْ رُمَّانِكُمْ هَذَا إِلَّا وَهُوَ مُلَقَّحٌ بِحَبَّةٍ مِنْ رُمَّانِ الجَنَّةِ**» والمَوقوفُ أَشبَهُ. وذكَر حَرْبٌ وغيرُه عن عليٍّ أنه قال: كُلوا الرُّمَّانَ بشَحْمِهِ، فإنه دِباغُ المَعِدَةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٠)، ومسلم (٢٠٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٥٣).

زَيْت: قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥].

وفي الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلُوا الزيتَ وادَّهنوا به؛ فإنه من شجرةٍ مباركةٍ**»[1].

وللبيهقي وابن ماجه أيضًا: عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ائتدِموا بالزيتِ وادَّهنوا به؛ فإنه من شجرةٍ مباركةٍ**»[2].

زبد: روى أبو داودَ في «سننه» عن ابنَي بُسْر السلميَّينِ قالا: «دخَلَ علينا رسولُ الله ﷺ، فقدَّمْنا له زبدًا وتمرًا، وكان يحبُّ الزبدَ والتمرَ»[3].

سنا: قد تقدَّم[4].

سنُّوت وتقدَّم أيضًا[5].

سِواكٌ: في الصحيحَيْن عنه ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ**»[6].

وفيهما: أنه ﷺ كان إذا قامَ منَ اللَّيْل يَشوص فاهُ بالسِّواكِ[7].

---

(١) تقدم (ص٣١٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ٨/ ٩٢ (٥٥٣٩).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٣٧).
(٤) تقدم (ص٣٧٩).
(٥) تقدم (ص٣٧٩).
(٦) أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).
(٧) أخرجه البخاري (٨٨٩)، ومسلم (٢٥٥).

وفي صحيحِ البُخاريِّ تَعليقًا عنه ﷺ: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**»[١].

وفي صَحيحِ مُسلِمٍ: أنه ﷺ إذا دخَلَ بَيْته، بدَأ بالسِّواكِ[٢].

والأَحاديثُ فيه كَثيرةٌ، وصحَّ عنه من حَديثٍ أنه اسْتاكَ عِندَ مَوْتِه بسِواكِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ أبي بَكْرٍ، وصحَّ عنه أنه قال: «**أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السِّوَاكِ**»[٣].

وأَصلَح ما اتُّخِذَ السِّواك مِن خشَب الأَراكِ ونحوِه.

سَمَك: روَى الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ، وابنُ ماجه في سُنَنه من حَديث عبدِ الله بن عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ: السَّمَكُ وَالجَرَادُ، وَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ**»[٤].

وفي الصَّحيحَيْن: من حَديثِ جابرِ بن عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: بعَثَنا النَّبيُّ ﷺ في ثَلاثِمِئة راكِبٍ، وأَميرُنا أبو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاح، فأَتَيْنا الساحِلَ، فأَصابَنا جُوع شَديد، حتَّى أَكَلْنا الخَبَط، فأَلقَى لَنا البَحْر حوتًا يُقال له: عَنبر. فأَكَلْنا منه نِصْف شَهْر، وأْتَدَمْنا بوَدَكه حتَّى ثابَتْ أَجسامُنا، فأَخَذ أبو عُبيدةَ ضِلَعًا من أَضلاعه، وحمَل رجُلًا على بَعيره، ونصَبَه، فمَرَّ تَحْتَه[٥].

---

(١) علقه البخاري قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله النسائي (٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٣).
(٣) أخرجه البخاري (٨٨٨).
(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٢١٨).
(٥) أخرجه البخاري (٥٤٩٤)، ومسلم (١٩٣٥).

شِواء: قال الله تعالى في ضِيافة خَليلِه إبراهيمَ ﷺ لأَضيافِه: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، والحنيذُ: المَشوِيُّ على الرَّضْف، وهي الحِجارة المُحْماة.

وفي التِّرْمِذيِّ: عن أُم سلَمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، أنها قرَّبَت إلى رَسولِ الله ﷺ جَنبًا مَشوِيًّا، فأكَل منه ثُمَّ قام إلى الصلاةِ ولم يَتوَضَّأ، قال الترمذي: صحيح[(١)].

وفيه أيضًا: عن عبدِ الله بنِ الحارِث رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أَكَلْنا معَ رَسولِ الله ﷺ شِواءً في المَسجِد[(٢)].

وفيه أيضًا: عنِ المُغيرةِ بن شُعبةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ضِفْت[(٣)] معَ رَسولِ الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فأَمَر بجَنْب[(٤)]، فشُوِيَ، ثُم أَخَذ الشَّفْرة، فجعَل يَحُزُّ لي بها منه، قال: فجاءَ بِلالٌ يُؤذِنه للصلاةِ، فأَلقَى الشَّفْرة فقال: «**مَا لَهُ تَرِبَتْ يَدَاهُ**»[(٥)].

شَحْم: ثبَتَ في المُسنَد عن أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يَهودِيًّا أَضافَ النبي ﷺ، فقدَّم له خُبزَ شَعير وإهالةً سنِخةً[(٦)]، والإهالةُ: الشَّحْم المُذاب، والأَلْية، والسنِخةُ: المُتغَيِّرة.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٢٩)، والنسائي (١٨٣).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣١١)، ولم أقف عليه عند الترمذي.
(٣) (ضِفتُ): نزلتُ عليه ضيفًا.
(٤) (جَنْب): جنب الشاة شقها.
(٥) أخرجه أبو داود (١٨٨)، ولم أقف عليه عند الترمذي.
(٦) أخرجه أحمد ٢٠/ ٤٢٤ (١٣٢٠١).

وثبَتَ في الصَّحيحِ: عن عَبدِ الله بن مُغفَّل، قال: دُلِّيَ جِرَابٌ مِنْ شَحْمٍ يَوْمَ خَيْبَرَ، فالْتَزَمْتُه وقُلتُ: والله لا أُعطِي أحَدًا منه شيئًا فالتَفَتُّ، فإذا رَسولُ الله ﷺ يَضحَكُ، ولم يَقُلْ شيئًا[(١)].

صَلاة: قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه: ١٣٢].

وفي السنَنِ: كانَ رَسولُ الله ﷺ، إذا حزَبَه أَمْر، فزِعَ إلى الصَّلاة[(٢)].

والصلاةُ مجلَبَةٌ للرِّزْق، حافِظة للصِّحَّة، دافِعة للأَذَى، مُطردة للأدواء، مُقَوِّية للقَلْب، مُفرِحة للنَّفْس، مُذهِبة للكَسَل، مُنشِّطة للجَوارِح، مُمدَّة للقُوى، شارِحة للصَّدْر، مُغذِّية للرُّوح، مُنوِّرة للقَلْب، مُبيِّضة للوَجْه، حافِظة للنِّعْمة، دافِعة للنِّقْمة، جالِبة للبركة، مُبعِدة منَ الشَّيْطان، مُقرِّبة منَ الرَّحْمن.

وبالجُمْلة: فلها تَأثِيرٌ عَجيبٌ في حِفْظ صِحَّة البدَن والقَلْب، وقُواهُما.

صوم: الصَّوْم جُنَّة من أَدواء الرُّوح والقَلْب والبدَنِ، مَنافِعه تَفوت الإحصاءَ، وله تَأثيرٌ عَجيب في حِفظ الصِّحة، وإذابة الفضَلات، وحَبْس النَّفْس عن تَناوُل مُؤذِياتها، ولا سِيَّما إذا كان باعتِدال وقَصْد في أفضَل أَوْقاته شَرعًا،

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٣)، ومسلم (١٧٧٢).
(٢) أخرجه أبو داود (١٣١٩).

وحاجة البدَن إليه طبعًا، وقد تقدَّم الكلامُ في بعض أسرارِ الصوم عندَ ذكرِ هديه ﷺ فيه[(١)].

ضَب: ثبَت في الصَّحيحَيْن: من حَديثِ ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسولَ الله ﷺ سُئِل عنه لَمَّا قدِّمَ إليه، وامتَنَع من أكْله: أَحَرامٌ هو؟ فقال: «**لَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ**»، وَأُكِلَ بَيْنَ يدَيْه وعلى مائِدتِه وهو يَنظُرُ[(٢)].

وفي الصحيحَيْن: من حَديثِ ابن عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عنه ﷺ أنَّه قال: «**لَا أُحِلُّهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ**»[(٣)].

ضِفدَع: قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الضِّفْدع لا يُجعل في الدواء، نَهَى رَسولُ الله ﷺ عن قَتْلها. يُريد الحديثَ الَّذي رَواه في مُسنَده من حَديث عُثمانَ بنِ عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن طَبيبًا ذكَر ضِفدعًا في دَواء عِند رَسولِ الله ﷺ، فنَهاهُ عن قَتْلِها[(٤)].

طيب: ثبَتَ عن رَسولِ الله ﷺ أنه قال: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[(٥)].

---

(١) انظر (ص١٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٧)، ومسلم (١٩٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٣٦)، ومسلم (١٩٤٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٦٩)، والنسائي (٤٣٥٥).

(٥) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).

وكان ﷺ يُكثِر التَّطيُّب، وتَشتَدُّ عليه الرائِحة الكَريهةُ، وتَشُقُّ عليه، والطيبُ غِذاءُ للرُّوح الَّتي هي مَطيَّة القُوى، والقُوى تَتضاعَف وتَزيد بالطِّيب، كما تَزيد بالغِذاء والشراب، والدَّعَة والسُّرور، ومُعاشَرة الأَحِبَّة، وحُدوث الأمور المَحْبوبة، وغَيْبة من تَسُرُّ غَيبته، ويَثقُل على الرُّوح مَشهَده، كالثُّقَلاء والبُغَضاء، فإن مُعاشَرتهم تُوهِن القُوى، وتَجلِب الهَمَّ والغَمَّ، وهي للروحِ بمَنزِلة الحُمَّى للبدَن، وبمَنزِلة الرائِحة الكَريهة، ولِهَذا كان مِمَّا حَبَّب الله سبحانه الصحابة بنَهْيهم عن التَّخلُّق بهذا الخُلُق في مُعاشَرة رَسول الله ﷺ لتَأذِّيه بذلك، فقال: ﴿إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

طَلْع: قال تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ [ق: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الشعراء: ١٤٨].

طَلْع النَّخْل: ما يَبدو من ثمَرته في أوَّل ظُهوره، وقِشْره يُسمَّى الكُفُرَّى، والنَّضيدُ: المَنْضود الَّذي قد نُضِّد بعضُه على بعض، وإنما يُقال له: نَضيدٌ ما دام في كفراه، فإذا انفتَح فليس بنَضيد. وأمَّا الهَضيم: فهو المُنضَمُّ بعضُه إلى بعض، فهو كالنَّضيد أيضًا، وذلك يَكون قبلَ تَشقُّق الكفرى عنه.

وقد روَى مُسلِم في صَحيحه: عن طَلحةَ بنِ عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مرَرْتُ مع رَسولِ الله ﷺ في نَخْل، فرأَى قومًا يُلَقِّحون، فقال: «**ما يَصنَع هَؤلاءِ؟**» قالوا: يَأخُذون من الذَّكَر فيَجعَلونه في الأُنثَى. قال: «**ما أَظُنُّ ذلك يُغني شيئًا**»، فبلَغهم، فتَرَكوه، فلم يَصلُح، فقال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّما هُوَ ظَنٌّ، إنْ كانَ يُغنِي شَيْئًا؛ فَاصْنَعوه،**

فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ **فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ**»(١).

عَجوة: في الصَّحيحَيْن: من حَديثِ سعد بن أبي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ؛ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌّ وَلَا سَحَرٌ**»(٢).

وفي سُنن النَّسائيِّ وابنِ ماجَهْ: من حَديث جابرٍ، وأبي سَعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ: «**الْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السَّمِّ، وَالْكَمَأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**»(٣).

وقد قيل: إن هذا في عَجوة المَدينة خاصة، وهي أحَدُ أصناف التَّمْر بها، ومن أنفَع تَمْر الحِجاز على الإطلاق، وهو صِنْف كَريم مُلَذِّذ، مَتين للجِسْم والقُوَّة، من أَلْيَن التَّمْر وأَطيَبِه وأَلَذِّه، وقد تقدَّم ذكرُ التمر ومنافعه، والكلامُ على دفعِ العجوة للسم والسحرِ، فلا حاجةَ لإعادتِه(٤).

عَنْبر: تَقدَّم في الصحيحَيْن من حَديث جابرٍ، في قِصَّة أبي عُبيدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأَكْلِهم منَ العَنْبر شَهرًا، وأنهم تزوَّدوا من لَحْمه وشائِقَ إلى المَدينة، وأَرسَلوا منه إلى النَّبيِّ ﷺ(٥)، وهو أحَدُ ما يَدُلُّ على أن إباحة ما في البَحْر لا يَختَصُّ بالسمَك، وعلى أن مَيْتته حَلال.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٩)، ومسلم (٢٠٤٧).
(٣) أخرجه النسائي (٢٠٦٦)، وابن ماجه (٣٤٥٣).
(٤) انظر (ص٤٢٢).
(٥) تقدم (ص٤١٥).

وأمَّا العَنْبر الَّذي هو أحَد أنواع الطيبِ، فهو من أَفخَر أنواعه بعد المِسْك، وأَخطَأ مَن قدَّمه على المِسْك، وجعَله سيِّد أنواع الطِّيب، وقد ثبَتَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال في المِسْكِ: «هُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ»[(١)].

عود: العُود الهِنديُّ نَوْعانِ:

أحَدُهما: يُستَعمَل في الأَدوِية وهو الكُسْتُ، ويُقال له: القُسْط.

الثاني: يُستَعمَل في الطِّيب، ويُقال له: الأُلُوَّةُ. وقد روى مُسلِم في صَحيحه: عن ابنِ عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنه كان يَستَجمِر بالأُلُوَّة غير مُطراة، وبكافور يُطرَح معها، ويَقول: هكَذا كان يَستَجمِر رَسولُ الله ﷺ[(٢)].

وثبَتَ عنه في صِفة نَعيم أهل الجَنَّة: «مَجَامِرُهُمُ الْأُلُوَّةُ»[(٣)]، والمَجامِر: جَمْع مِجمَر وهو ما يُتجمَّر به من عُود وغيرِه، وهو أَنواع.

غيث: مذكورٌ في القرآنِ في عدةِ مواضعَ، وهو لذيذُ الاسمِ على السمعِ، والمسمّى على الروحِ والبدنِ، تبتهجُ الأسماعُ بذكرِه، والقلوبُ بورودِه.

وذكر الشافعيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «كنَّا مع رسولِ الله ﷺ فأصابَنا مطرٌ، فحسرَ رسولُ الله ﷺ ثوبَه، وقال: إنه حديثُ عهدٍ بربِّه»[(٤)]، وقد تقدَّم في هديِه في الاستسقاءِ ذكرُ استمطارِه ﷺ وتبرُّكه بماءِ الغيثِ عندَ أولِ مجيئِه[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٥٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٥٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٤) أخرجه مسلم (٨٩٨).
(٥) تقدم (ص١٢٥).

فاتحة الكِتابِ: وأُمُّ القُرآن، والسَّبْع المَثانِي، والشِّفاء التامُّ، والدواءُ النافِعُ، والرُّقْية التامَّة، ومِفتاح الغِنَى والفَلاح، وحافِظة القُوَّة، ودافِعة الهَمِّ والغَمِّ والخَوْف والحَزَن لِمَن عرَف مِقدارَها وأعطاها حَقَّها، وأَحسَنَ تَنزيلَها على دائِه، وعرَف وَجْه الاستِشْفاء والتَّداوِي بها، والسِّرَّ الَّذي لأَجْله كانت كذلك.

ولَمَّا وقَعَ بعض الصَّحابة على ذلك، رقَى بها اللَّديغَ، فبَرَأ لوَقْته، فقال له النبيُّ ﷺ: «**وَمَا يُدرِيك أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟!**»(١).

ومَن ساعَده التَّوفيقُ، وأُعينَ بنور البَصيرةِ حتَّى وقَف على أَسرار هذه السُّورةِ، وما اشتَمَلَتْ عليه منَ التَّوْحيد، ومَعرِفة الذات والأسماء والصِّفات والأَفْعال، وإثبات الشَّرْع والقَدَر والمَعاد، وتَجريد تَوْحيد الرُّبوبية والإِلَهية، وكمال التَّوكُّل والتَّفْويض إلى مَن له الأَمْر كلُّه، وله الحمدُ كلُّه، وبيَدِه الخيرُ كلُّه، وإليه يُرجَع الأَمْر كلُّه، والافتِقارُ إليه في طلَب الهِداية الَّتي هي أصلُ سَعادة الدارَيْن، وعَلِمَ ارتِباط مَعانيها بجَلْب مَصالِحِها، ودَفْع مَفاسِدِهما، وأن العافيةَ المُطلَقة التامَّة، والنِّعْمة الكامِلة مَنوطةٌ بها، مَوقوفةٌ على التَّحقُّق بها، أَغنَتْه عن كَثير منَ الأَدويةِ والرُّقَى، واستَفتَح بها مِن الخَيْر أبوابَه، ودفَع بها من الشرِّ أَسبابَه.

قُرآن: قال اللهُ تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] والصحيحُ: أن (مِن) هاهُنا، لبَيان الجِنْس لا للتَّبْعيض، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

فالقُرآنُ هو الشِّفاءُ التامُّ من جَميع الأدواء القَلبية والبدَنية، وأَدواء الدُّنيا والآخِرة، وما كلُّ أحَد يُؤهَّل ولا يُوفَّق للاستِشْفاء به، وإذا أَحسَن العَليلُ التَّداويَ به، ووضَعَه على دائِه بصِدْق وإيمان، وقَبول تامٍّ، واعتِقاد جازِم، واستِيفاء شُروطه، لم يُقاوِمه الداءُ أبَدًا.

وكيف تُقاوِم الأدواءُ كلامَ ربِّ الأرض والسماء الَّذي لو نزَل على الجِبال لصدَّعَها، أو على الأرضِ لقَطَّعَها، فما مِن مرَض من أمراض القُلوب والأبدان إلَّا وفي القُرآن سَبيل الدَّلالة على دَوائه وسبَبِه، والحمية منه لِمَن رَزَقَه اللهُ فهمًا في كِتابه.

وأمَّا الأَدويةُ القَلبية، فإنه يَذكُرها مُفصَّلة، ويَذكُر أسبابَ أَدوائِها وعِلاجها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فمَن لم يَشفِهِ القُرآن، فلا شَفاهُ الله، ومَن لم يَكفِهِ فلا كَفاهُ الله.

قِثَّاء: في السُّنَن من حَديث عبدِ الله بن جَعفَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسولَ الله ﷺ كانَ يَأكُل القِثَّاء بالرُّطَب[١].

قُسْط وكُسْت: بمَعنًى واحِدٍ، وفي الصَّحيحَيْن: من حَديث أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ: «**خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ**»[٢].

وفي الُمسنَد من حَديثِ أُمِّ قَيْس، عن النبيِّ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ، مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٠)، ومسلم (٢٠٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٩٦)، ومسلم (١٥٧٧).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٩٢)، ومسلم (٢٢١٤).

والقُسْط: نَوْعان أحَدُهما: الأبيضُ الَّذي يُقال له: البَحريُّ. والآخَرُ الهِنْديُّ، وهو أشَدُّهما حَرًّا، والأبيضُ ألْيَنُهما، ومَنافِعُهما كثيرةٌ جِدًّا.

كَمْأة: ثبَتَ عنِ النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**» أَخرَجاه في الصحيحَيْن[(١)].

كَبَاث: في الصحيحَيْن من حَديثِ جابِر بن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كُنَّا مع رَسولِ الله ﷺ نَجنِي الكَبَاثَ، فقال: «**عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ**»[(٢)].

والكَبَاثُ: ثَمَر الأَراكِ.

كَتَم: روَى البُخاريُّ في صحيحِه عن عُثمانَ بن عَبدِ الله بن مَوهَب، قال: دخَلْنا على أُمِّ سلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأَخرَجَت إلينا شَعرًا من شَعر رَسولِ الله ﷺ، فإذا هو مَخضوبٌ بالحِنَّاء والكَتَم[(٣)].

وفي السُّنَن الأَربَعة: عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ مِن أَحْسَنِ مَا غَيَّرْتُم بِهِ الشَّيْبَ الْحِنَّاءُ وَالْكَتَمُ**»[(٤)].

وفي الصحيحَيْن: عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أبا بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختَضَب بالحِنَّاء والكَتَم[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٨)، ومسلم (٢٠٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٥٣)، ومسلم (٢٠٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٠٥)، والترمذي (١٧٥٣)، والنسائي (٥٠٧٨)، وابن ماجه (٣٦٢٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩١٩)، ومسلم (٢٣٤١).

كَرْم: شجَرة العِنَب، وهي الحَبْلة، ويُكرَه تَسميتُها كَرمًا؛ لِما رَوَى مُسلِم في صحيحِه عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ: الْكَرْمُ. الْكَرْمُ: الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ**»[(١)]، وفي رِوايةٍ: «**إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ**»[(٢)]، وفي رواية أُخرَى: «**لَا تَقُولُوا: الْكَرْمُ. وَقُولُوا: الْعِنَبُ وَالْحُبْلَةُ**»[(٣)].

لَحم: قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ [الطور: ٢٢]، وقال: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: ٢١].

وفي الصحيح عنه ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[(٤)]، والثَّريدُ: هو الخُبْز واللَّحْم.

واللحمُ أجناسٌ:

لحم الضأن: ولحمُ الذراعِ أخفُّ اللحمِ، وفي «الصحيحين»: أنه كان يُعجِبُ رسولَ الله ﷺ»[(٥)].

لَحم الفرَس: ثبَتَ في الصَّحيحِ عن أَسماءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: نَحَرْنا فرَسًا فأَكَلْناه على عَهْدِ رَسولِ الله ﷺ[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٤٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٤٨).
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٧٠)، ومسلم (٢٤٤٦).
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).
(٦) أخرجه البخاري (٥٥١٩)، ومسلم (١٩٤٢).

وثبَتَ عنه ﷺ أنه أذِنَ في لُحوم الخَيْل، ونَهَى عن لُحومِ الحُمُر، أخرجاه في الصحيحين[(١)].

لحم الجمل: فرق ما بين الرافضةِ وأهلِ السنةِ، كما أنه أحدُ الفروقِ بينَ اليهودِ وأهلِ الإسلام، فاليهودُ والرافضةُ تذمُّه ولا تأكلُه، وقد عُلِم بالاضطرارِ مِن دينِ الإسلامِ حلُّه، وطالما أكلَه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه حضرًا وسفرًا.

وأمَرَ النبيُّ ﷺ بالوضوءِ من أكلِه في حديثَينِ صحيحَينِ لا معارِضَ لهما، ولا يصحُّ تأويلُهما بغسلِ اليدِ[(٢)].

لُحم الضبِّ: تقدَّم الحديثُ في حلِّه[(٣)].

لُحم الأرانِب: ثبَتَ في الصحيحَيْن عن أَنَسِ بنِ مالِك قال: أَنْفَجْنا أَرنَبًا[(٤)] فسَعَوْا في طَلَبِها، فأَخَذُوها، فبَعَثَ أبو طَلحةَ بوَرِكِها إلى رَسولِ الله ﷺ فقَبِلَهُ[(٥)].

لُحم حِمار الوَحْش: ثبَتَ في الصحيحَيْن من حَديثِ أبي قَتادةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّهُم كانوا معَ رَسولِ الله ﷺ في بعضِ عُمرِه، وأنه صادَ حِمارَ وَحْش، فأَمَرَهُم النبيُّ ﷺ بأَكْله وكانوا مُحرِمين، ولَم يَكُن أبو قَتادةَ مُحرِمًا[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢٠)، ومسلم (١٩٤١).

(٢) الأول من حديث جابر بن سمرة أخرجه مسلم (٣٦٠) وغيره، والثاني من حديث البراء أخرجه أبو داود (١٨٤)، وابن ماجه (٤٩٤).

(٣) تقدم (ص٤١٨).

(٤) (أَنْفَجْنا أَرنَبًا): هيجناها من مكانها.

(٥) أخرجه البخاري (٥٥٣٥)، ومسلم (١٩٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤٩٠)، ومسلم (١١٩٦).

وفي سُنَن ابنِ ماجَهْ عن جابرٍ قال: أَكَلْنا زمَنَ خَيبرَ الخَيْلَ وحُمُرَ الوَحْشِ[(١)].

لحوم الأجنَّةِ: غيرُ محمودةٍ؛ لاحتقانِ الدمِ فيها، وليست بحرامٍ؛ لقولِه ﷺ: «ذكاةُ الجنينِ ذكاةُ أمِّه»[(٢)].

لَحم القَديد: في السُّنَن من حَديثِ ثَوبانَ قال: ذبَحْتُ لرَسولِ الله ﷺ شاةً ونحنُ مُسافِرونَ، فقال: «**أَصْلِحْ لَحمَهَا**»، فلَمْ أَزَلْ أُطعِمه منه إلى المَدينةِ[(٣)].

لُحوم الطَّيْر: قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة: ٢١]، ومِنه حَلال، ومنه حَرام. فالحَرامُ: ذو المِخلَب، كالصَّقْر والبازِي، والشاهين، وما يَأكُل الجِيَف كالنَّسْر والرخم واللَّقلَق والعَقْعَق والغُراب الأَبقَع والأَسوَد الكَبير، وما نُهِيَ عن قَتْله كالهُدهُد والصُّرَد، وما أُمِر بقَتْله كالحِدَأة والغُراب.

والحَلالُ أَصنافٌ كَثيرة:

فمِنه: الدَّجاج، ففي الصحيحَيْن من حَديثِ أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ أَكَلَ لَحْمَ الدَّجاجِ[(٤)].

الجَرادُ: في الصحيحَيْن عن عبدِ الله بنِ أبي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غَزَوْنا معَ رَسولِ الله ﷺ سَبْعَ غَزَواتٍ نَأكُل الجَرادَ[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٢٨)، والترمذي (١٤٧٦)، وابن ماجه (٣١٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥١٨)، ومسلم (١٦٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥٤٩٥)، ومسلم (١٩٥٢).

اللَّبَن: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦]، وقال تعالى في الجَنَّة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥]، وفي السُّنَن مَرفوعًا: «**مَنْ أَطْعَمَهُ اللهُ طَعَامًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللهُ لَبَنًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنَ**»(١).

والإكثارُ منه مُضِرٌّ بالأسنان واللِّثَة؛ ولذلِكَ يَنبَغي أن يَتمَضْمَض بعدَه بالماء وفي الصحيحَيْن أن النبيَّ ﷺ شرِب لَبَنًا، ثُم دعا بماء فتَمَضْمَض وقال: «**إن له دَسَمًا**»(٢).

ماء: مادَّة الحَياة، وسَيِّد الشَّراب، وأَحَدُ أَركان العالَم، بل رُكْنه الأَصليُّ، فإن السمَواتِ خُلِقَت من بُخارِه، والأرضَ من زَبَدِه، وقد جعَلَ اللهُ منه كلَّ شيءٍ حيٍّ.

وفي الصحيحَيْن: مِن حَديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «**سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ، وَالنِّيلُ، وَالْفُرَاتُ كُلُّها مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ**»(٣).

ماءُ الثَّلْج والبَرَد: ثبَتَ في الصحيحَيْن عن النبيِّ ﷺ أنه كان يَدعو في الاستِفْتاحِ وغيرِه: «**اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٣٠)، وابن ماجه (٣٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢١١)، ومسلم (٣٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

ماء زَمزَمَ: سيِّد المِياهِ وأَشرَفُها وأَجلُّها قَدْرًا وأَحبُّها إلى النُّفوس وأَغلاها ثمَنًا وأَنفَسُها عِند الناس، وهو هَزمة جِبريلَ[(١)] وسُقْيا الله إسماعيلَ[(٢)].

وثبَتَ في الصحيحِ عنِ النَّبيِّ ﷺ، أنه قال لأَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد أَقام بين الكَعْبةِ وأَستارِها أَربَعين ما بين يَوْم ولَيْلة، ليس له طَعام غيره، فقال ﷺ: «**إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**»[(٣)]، وزاد غيرُ مُسلِم بإِسْناده: «**وَشِفَاءُ سُقْمٍ**»[(٤)].

وفي «سنن ابن ماجه» مِن حديثِ جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ماءُ زمزم لما شُرِبَ له**»[(٥)].

ماءُ البَحْر: ثبَتَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال في البَحْر: «**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ**»[(٦)]، وقد جعَلَه الله سبحانه مِلحًا أُجاجًا مُرًّا زُعاقًا لتَمام مَصالِح مَن هو على وَجْه الأرضِ منَ الآدَميِّين والبهائِم.

مِسْك: ثبَت في صَحيح مُسلِم، عن أبي سَعيد الخُدريِّ، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**أَطْيَبُ الطِّيبِ المِسْكُ**»[(٧)].

---

(١) أي: ضربها برجله فنبع الماء.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ١١٨ (٩١٢٤)، والدارقطني ٣/ ٣٥٤.
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٧٣).
(٤) أخرجه الطيالسي (٤٥٩)، وابن أبي شيبة ٣/ ٢٧٣ (١٤١٣٢).
(٥) أخرجه الطيالسي (٤٥٩)، وابن أبي شيبة ٣/ ٢٧٣ (١٤١٣٢).
(٦) أخرجه أبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، والنسائي (٥٩)، وابن ماجه (٣٨٦).
(٧) أخرجه مسلم (٢٢٥٢).

وفي الصحيحَيْن عن عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كُنتُ أُطيِّب النبيَّ ﷺ قبلَ أن يُحرِم، ويومَ النَّحْر قبل أن يَطوف بالبَيْت بطِيب فيه مِسْكٌ[(١)].

والمِسْكُ مَلِك أنواعِ الطِّيب، وأشرَفها وأَطيبُها، وهو الَّذي تُضرَب به الأَمثالُ، ويُشبَّه به غيرُه، ولا يُشبَّه بغَيْره.

نَخْل: مَذكورٌ في القُرآن في غير مَوضِع، وفي الصحيحين عنِ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بَيْنا نحنُ عِند رَسولِ الله ﷺ إذ أُتِيَ بجُمَّار نَخلةٍ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا مَثَلُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، أَخْبِرُونِي مَا هِيَ؟**» فوقَعَ الناسُ في شجَر البَوادِي، فوقَعَ في نَفْسي أنها النَّخْلةُ، فأَرَدْت أن أَقولَ: هي النَّخْلةُ. ثُمَّ نظَرْت فإذا أنا أَصغر القَوْم سِنًّا، فسكَتُّ. فقال رَسولُ الله ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»، فذكَرْت ذلك لعُمرَ، فقال: لأَنْ تَكون قُلتَها أحَبُّ إليَّ من كذا وكذا[(٢)].

ففي هذا الحَديثِ: ما تَضمَّنَه تَشبيهُ المُسلِم بالنَّخْلة وكَثْرة خَيْرها، ودوام ظِلِّها وطِيب ثَمَرها ووُجوده على الدَّوام.

يَقطين: وهو الدُّبَّاء والقَرْع، وإن كان اليَقطينُ أعمَّ، فإنه في اللُّغة كلُّ شجَر لا تَقوم على ساقٍ، كالبِطِّيخ والقِثَّاء والخِيار، قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ [الصافات: ١٤٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٩)، ومسلم (١١٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٤٤)، ومسلم (٢٨١١).

ثبَتَ في الصحيحَيْن من حَديثِ أَنَس بن مالِك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن خَيَّاطًا دعا رَسولَ الله ﷺ لطَعامٍ صَنَعَهُ، قال أَنَس: فذهَبْتُ معَ رَسولِ الله ﷺ فقرَّب إليه خُبْزًا من شَعير ومرَقًا فيه دُبَّاء وقديد. قال أَنَس: فرَأَيْتُ رَسولَ الله ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ من حَوالَيِ الصَّحْفة، فلم أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاء من ذلك اليَوْم[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٤٣٦)، ومسلم (٢٠٤١).

[القسم الرابع]

فصولٌ في هديِه ﷺ في أقضيتِه وأحكامِه

[أولا: كتاب جامع]

وليس الغرضُ من ذلك ذكرَ التشريعِ العام وإن كانت أقضيتُه الخاصةُ تشريعًا عامًّا، وإنما الغرضُ ذِكرُ هديِه في الحكومات الجزئيَّةِ التي فَصل بها بينَ الخصومِ، وكيف كان هديُه في الحكمِ بين الناسِ، ونذكرُ مع ذلك قضايا مِن أحكامه الكليةِ.

١ - فصل [في الحبس في التهمة]

ثبت عنه ﷺ من حديثِ بَهزِ بن حكيمٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، أنه ﷺ حَبس في تُهمةٍ[(١)].

٢ - فصل في حُكمِه ﷺ في المحاربين

حَكم بقطعِ أيديهم، وأرجُلِهم، وسَملِ أعيُنِهم، كما سملوا عينَ الرِّعاءِ، وتركهم حتى ماتوا جوعًا وعطشًا كما فعلوا بالرِّعاء[(٢)].

٣- فصل في حُكمِه ﷺ بين القاتل ووليِّ المقتول

ثبت في «صحيح مسلم» عنه ﷺ أن رجلًا ادَّعى على آخرَ أنه قتل أخاه، فاعترف، فقال: «**دونك صاحبَك**»، فلما ولَّى، قال: «**إن قتله، فهو مثلُه**»، فرجع فقال: إنما أخذتُه بأمرِك، فقال ﷺ: «**أما تُريدُ أن يبوءَ بإثمِك وإثم صاحبِك؟**» قال: بلى، فخلَّى سبيلَه[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٣٠)، والترمذي (١٤١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٠٢)، ومسلم (١٦٧١).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٨٠).

وفي قولِه: «**فهو مثلُه**»، قولان:

أحدُهما: أن القاتلَ إذا أقيد منه؛ سقط ما عليه.

والثاني: أنه إن كان لم يُرِدْ قتلَ أخيه فقتله به، فهو مُتعدٍ مثلُه.

٤- فصل في حُكمِه ﷺ بالقَوَد على من قتل جاريةً، وأنه يُفعل به كما فَعل

ثبت في «الصحيحين»: أن يهوديًّا رضَّ رأسَ جارية بين حجرين على أوضاحٍ لها -أي: حُلِيٍّ- فأُخذَ فاعترف، فأمر رسولُ الله ﷺ أن يُرضَّ رأسُه بين حجرين[١].

وفي هذا الحكم دليلٌ على قتل الرجلِ بالمرأة، وعلى أن الجاني يُفعل به كما فعل، وأن القتلَ غِيلةً حدٌّ لا يُشترط فيه إذنُ الولي؛ فإن رسولَ الله ﷺ لم يدفَعه إلى أوليائِها، ولم يقل: إن شئتُم فاقتلوه، وإن شئتُم فاعفوا عنه، بل قتلَه حتمًا.

٥- فصل في حُكمِه ﷺ فيمن ضرب امرأةً حاملا فطرحَها

في «الصحيحين» أن امرأتين من هُذيلٍ رمت إحداهُما الأخرى بحَجرٍ فقتلتْها وما في بطنِها، فقضى فيه رسولُ الله ﷺ بِغُرَّةٍ: عبدٍ أو وليدةٍ في الجنين، وجعل ديةَ المقتولةِ على عصَبة القاتلةِ[٢].

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٣)، ومسلم (١٦٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٤٠)، ومسلم (١٦٨١).

٦- فصل في حُكمِه ﷺ بالقسامَة فيمن لم يُعرف قاتله

ثبت في «الصحيحين»: أنه ﷺ حكم بها بين الأنصارِ واليهود، وقال لحُوَيِّصَةَ ومُحَيِّصَةَ وعبدِ الرحمن: «**أتحلفون وتَستحقُّون دمَ صاحبِكم؟**»- وقال البخاريُّ: «**وتستحقون قاتلَكم أو صاحبَكم**» - فقالوا: أمرٌ لم نشهدْه ولم نره، فقال: «**فتُبرِئكم يهودُ بأيمانِ خمسين**»، فقالوا: كيف نَقبل أيمانَ قومٍ كفار؟ فوداه رسولُ الله ﷺ مِن عندِه[1].

وفي لفظٍ: «**يُقسِم خمسون منكم على رجلٍ منهم، فيُدفعُ برمَّتِه إليه**»[2].

٧- فصل في حُكمِه ﷺ فيمن تزوَّجَ امرأةَ أبيه

عن معاويةَ بن قرة، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ بعثَه إلى رجلٍ أعرَسَ بامرأةِ أبيه، فضَرَبَ عنقَه، وخمَّس مالَه»، قال يحيى بن معين: هذا حديث صحيح[3].

وفي «سنن ابن ماجه» من حديثِ ابن عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن وَقَعَ على ذاتِ محرمٍ فاقتلُوه**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٣)، ومسلم (١٦٦٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٦٩).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٦٠٨).
(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦٤).

٨- فصل في حُكمِه ﷺ بقتل من اتُّهم بأمِّ ولده فلما ظهرت براءتُه أمسكَ عنه

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن ابنَ عمِّ ماريةَ كان يُتَّهم بها، فقال النبيُّ ﷺ لعليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اذهبْ فإن وجدته عند ماريةَ، فاضربْ عنقَه**»، فأتاه عليٌّ فإذا هو في رَكِيٍّ يَتبرَّدُ فيها، فقال له عليٌّ: اخرجْ، فناوله يدَه، فأخرجه، فإذا هو مَجبوبٌ، ليس له ذكرٌ، فكفَّ عنه عليٌّ، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنه مجبوبٌ، ما له ذكرٌ[(١)].

وقد أشكَلَ هذا القضاءُ على كثيرٍ من الناسِ، وأحسنُ ما يقال: أن النبيَّ ﷺ أمر عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقتلِه تعزيرًا لإقدامِه وجرأته على خَلوتِه بأمِّ ولده ﷺ، فلما تبيَّن لعليٍّ حقيقةُ الحال، وأنه بريءٌ من الريبة، كفَّ عن قتله، واستغنى عن القتلِ بتبيين الحالِ. والتعزيرُ بالقتل ليس بلازمٍ كالحدِّ، بل هو تابعٌ للمصلحة دائرٌ معها وجودًا وعدمًا.

٩- فصل في قضائه ﷺ بتأخيرِ القصاص من الجُرح حتى يَندملَ

في «مسند الإمام أحمد» من حديث عمرو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جده: أن رجلًا طعن رجلًا بقَرن في رُكبتِه، فجاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: أَقِدْني. فقال: «**حتى تَبرأَ**»، ثم جاء إليه فقال: أقدنِي. فأقاده، ثم جاء إليه، فقال: يا رسولَ الله، عرجتُ، فقال: «**قد نهيتُك فعصيتَني؛ فأبعدك الله، وبطلَ عرجتَك**»، ثم نهى رسولُ الله ﷺ أن يُقتصَّ من جرحٍ حتى يَبرأَ صاحبُه[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧١).

(٢) أخرجه أحمد ١١/ ٦٠٦ (٧٠٣٤).

وقد تضمَّنت هذه الحكومةُ، أنه لا يجوزُ الاقتصاصُ من الجرح حتى يَستقرَّ أمرُه، إما باندمالٍ أو بسِرايةٍ مُستقرَّةٍ. وأن سرايةَ الجناية مضمونةٌ بالقوَد، وجوازَ القصاص في الضربةِ بالعصا والقرنِ ونحوهما.

١٠- فصل في قضائِه ﷺ بالقصاصِ في كسر السِّنِّ

في «الصحيحين»: من حديث أنسٍ، أن ابنةَ النضر أخت الرُّبَيعِ لطمت جاريةً، فكسرت سنَّها، فاختصموا إلى النبيِّ ﷺ، فأمر بالقصاصِ، فقالت أمُّ الرَّبِيعِ: يا رسولَ الله، أيُقتص من فلانةٍ؟ لا والله لا يُقتصُّ منها، فقال النبيُّ ﷺ: «**سبحان الله يا أمَّ الرَّبيع كتابُ الله القصاصُ**»، فقالت: لا والله لا يُقتصُّ منها أبدًا، فعفا القومُ وقبلوا الديةَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**إن من عبادِ الله من لو أقسم على الله لأبرَّه**»(١).

١١- فصل في قضائِه ﷺ فيمن عضَّ يدَ رجل فانتزع يدَه من فيه فسقطت ثَنيَّةُ العاضِّ بإهدارِها

ثبت في «الصحيحين» أن رجلًا عضَّ يدَ رجلٍ، فنزع يدَه من فِيه، فوقعت ثناياه، فاختصموا إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «**يَعضُّ أحدُكم أخاه كما يَعضُّ الفحلُ، لا ديةَ لك**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٩٢)، ومسلم (١٦٧٣).

وقد تضمَّنت هذه الحكومةُ أن من خلَّص نفسَه من يدِ ظالمٍ له، فتَلِفت نفسُ الظالم، أو شيءٌ من أطرافِه أو ماله بذلك، فهو هَدَرٌ غيرُ مضمون.

١٢ - فصل في قضائه ﷺ فيمن اطَّلع في بيتِ رجل بغير إذنِه فحَذفه بحَصاة أو عودٍ ففقأَ عينَه فلا شيءَ عليه

ثبت في «الصحيحين» من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لو أن امرءًا اطَّلع عليك بغير إذنٍ، فحذفته بحصاةٍ؛ ففقأت عينَه، لم يكن عليك جُناحٌ**»[١].

١٣ - فصل [جامع]

وقضى رسولُ الله ﷺ أن الحاملَ إذا قَتلَت عمدًا لا تُقتلُ حتى تضعَ ما في بطنِها وحتى تكفلَ ولدها.

وقضى ألا يُقتلَ الوالد بالولدِ[٢].

وقضى أن المؤمنين تتكافأُ دماؤهم، ولا يُقتلُ مؤمنٌ بكافرٍ[٣].

وقضى أن من قُتل له قتيلٌ، فأهله بين خِيرتين، إما أن يَقتلوا أو يأخذوا العَقلَ[٤][٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٠٢)، ومسلم (٢١٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي (١٤٠٠)، وابن ماجه (٢٦٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٥).

(٤) (العَقل): الدية.

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥).

وقضى أن في ديةِ الأصابع من اليدين والرِّجلين في كل واحدةٍ عشرًا من الإبلِ[١].

وقضى في الأسنانِ في كلِّ سن بخمس من الإبلِ، وأنها كلَّها سواءٌ[٢].

وقضى في المواضحِ بخمسٍ خمسٍ[٣].

وقضى في العينِ السادةِ لمكانِها إذا طُمِست بثلثِ ديتِها، وفي اليدِ الشلاءِ إذا قُطِعت بثلثِ ديتِها، وفي السنِّ السوداءِ إذا نُزِعت بثلثِ ديتِها[٤].

وقضى في الأنفِ إذا جُدِع كُلُّه بالدية كاملةً، وإذا جدعت أرنبتُه بنصفها[٥].

وقضَى في المأمومةِ بثلثِ الديةِ، وفي الجائفةِ بثلثِها، وفي المنقلةِ بخمسةَ عشرَ من الإبلِ.

وقضَى في اللسانِ بالديةِ، وفي الشفتينِ بالديةِ، وفي البيضتينِ بالديةِ، وفي الذكرِ بالديةِ، وفي الصلبِ بالديةِ، وفي العينينِ بالديةِ، وفي إحداهما نصفها، وفي الرجلِ الواحدةِ نصف الديةِ، وفي اليدِ نصف الديةِ، وقضَى أن الرجلَ يُقتَلُ بالمرأةِ[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٥٦)، وابن ماجه (٢٦٥٤)، والنسائي (٤٨٤٣).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٦٥١).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٦٥٥).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٥٦٧)، والنسائي (٤٨٤٠).
(٥) أخرجه أبو داود (٤٥٦٤).
(٦) أخرجه النسائي (٤٨٥٣).

وقضى أن ديةَ الخطأ على العاقلةِ مئةٌ من الإبل[(١)]،واختلفَت الروايةُ عنه في أسنانِها.

وقضَى في العمدِ إذا رضوا بالديةِ ثلاثين حقَّةً، وثلاثين جذعةً، وأربعين خلفةً، وما [صُولحوا] عليه فهو لهم[(٢)].

وقد روى أهلُ السننِ الأربعة عنه ﷺ: «**ديةُ المعاهِدِ نصفُ ديةِ الحر**». ولفظ ابن ماجه: «قضَى أن عقلَ أهلِ الكتابينِ نصفُ عقلِ المسلمين، وهم اليهودُ والنصارى»[(٣)].

وقضَى بالديةِ على العاقلةِ، وبرأَ منها الزوجَ، وولدَ المرأةِ القاتلة[(٤)].

وقضَى في المكاتبِ أنه إذا قُتِلَ أنه يُودَى بقدرِ ما أدَّى مِن كتابتِهِ دية الحر، وما بَقِيَ فدية المملوك[(٥)]، قلت: يعني: قيمتَه.

١٤ - فصل في قضائِه ﷺ على من أقرَّ بالزِّنى

ثبت في صحيحِ البخاري ومسلمٍ أن رجلًا من أسلمَ جاء إلى النبيِّ ﷺ، فاعترفَ بالزنى، فأعرضَ عنه النبيُّ ﷺ، حتى شهدَ على نفسِه أربعَ مرات، فقال النبيُّ ﷺ: «**أبك جنونٌ؟**» قال: لا. قال: «**أَحصَنتَ؟**» قال: نعم. فأمرَ به، فرُجمَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٤١)، والترمذي (١٣٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٣٨٧)، وابن ماجه (٢٦٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥٨٣)، والترمذي (١٤١٣)، وابن ماجه (٢٦٤٤)، والنسائي (٤٨٠٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٥٧٥)، وابن ماجه (٢٦٤٨).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٥٨١)، والترمذي (١٢٥٩)، والنسائي (٤٨١٠).

في المصلى، فلما أذلَقَته الحجارةُ، فرَّ فأُدرِك، فرُجِمَ حتى ماتَ، فقال له النبيُّ ﷺ خيرًا، وصلى عليه[(١)].

وفي «صحيح مسلم»: جاءت الغامديَّةُ فقالت: يا رسولَ الله، إني قد زنيتُ فطهِّرني، وأنه ردَّها، فلما كان من الغَدِ، قالت: يا رسولَ الله لمَ تَردُّني، لعلك أن تردَّني كما رددت ماعزًا؟ فوالله إنني لحُبلى، قال: «**إما لا، فاذهَبي حتى تلِدي**»، فلما ولدت، أتَتْه بالصبيِّ في خِرقةٍ، قالت: هذا قد ولدتُه، قال: «**اذهبي فأرضِعيه حتى تفطُميه**»، فلما فطمته أتته بالصبيِّ في يده كِسرةُ خبز، فقالت: هذا يا نبيَّ الله قد فطمته، وقد أكل الطعامَ، فدفع الصبيَّ إلى رجلٍ من المسلمين، ثم أمرَ بها فحُفِر لها إلى صدرِها، وأمر الناسَ فرجموها، فأقبل خالدُ بن الوليد بحجرٍ، فرمى رأسَها، فانتضحَ الدمُ على وجهِه؛ فسبَّها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مهلا يا خالدُ؛ فوالذي نفسي بيدِه، لقد تابت توبةً لو تابها صاحبُ مَكسٍ لغُفر له**» ثم أمر بها، فصلَّى عليها، ودُفنت[(٢)].

وفي «صحيح البخاري»: أن رسولَ الله ﷺ قضى فيمن زنَى ولم يُحصَن بنفي عامٍ، وإقامةِ الحدِّ عليه[(٣)].

١٥ - فصل في حُكمه ﷺ على أهلِ الكتاب في الحدودِ بحكم الإسلامِ

ثبت في «الصحيحين»: أن اليهودَ جاؤوا إلى النبيِّ ﷺ، فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأةً زنيا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما تجدون في التوراةِ في شأنِ الرجم؟**»،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٣٣).

قالوا: نفضَحُهم ويُجلدون، فقال عبدُ الله بن سلَامٍ: كذبتم إن فيها الرَّجمَ، فأتوا بالتوراةِ، فنشروها فوَضعَ أحدُهم يدَه على آية الرجمِ، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبدُ الله بن سلام: ارفع يدَك، فرفعَ يدَه، فإذا فيها آيةُ الرَّجمِ، فقالوا: صدقَ يا محمدُ، إن فيها الرجمَ، فأمر بهما رسولُ الله ﷺ فرُجما(١).

فتضمَّنت هذه الحكومةُ أن الإسلامَ ليس بشرطٍ في الإحصان، وأن الذميَّ يُحصِّن الذميَّةَ، وأن أهلَ الذمةِ إذا تحاكموا إلينا لا نَحكمُ بينهم إلا بحكمِ الإسلامِ.

١٦- فصل [في حكمه ﷺ على المقر بالزنى بامرأة معينة بحد الزنى دون القذف]

وحكم ﷺ على من أقَرَّ بالزنى بامرأةٍ معينة بحدِّ الزنى دون حدِّ القذفِ، ففي «السنن»: من حديثِ سهلِ بن سعدٍ: أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ، فأقرَّ عنده أنه زنى بامرأةٍ سماها، فبعث رسولُ الله ﷺ إلى المرأةِ فسألها عن ذلك، فأنكرت أن تكون زَنَت، فجلده الحَدَّ وتَرَكها(٢).

١٧- فصل [في حكمه ﷺ في الأمة إذا زنت]

وحكم في الأمَةِ إذا زنت ولم تُحصن بالجلدِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (١٦٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٤٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٣٧)، ومسلم (١٧٠٣).

وأما قولُه تعالى في الإماء: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]، فهو نصٌّ في أن حدَّها بعد التزويجِ نصفُ حدِّ الحرةِ من الجلدِ، وأما قبلَ التزويجِ فأمر بجلدِها، وفي هذا الجلدِ قولانِ:

أحدُهما: أنه الحدُّ.

الثاني: تعزيرٌ لا حدٌّ.

١٨ - فصل [في حكمه ﷺ بحد القذف]

وحكم رسولُ الله ﷺ بحدِّ القذفِ، لما أنزلَ الله سبحانه براءةَ زوجته من السماءِ، فجلدَ رجلين وامرأةً.

١٩ - فصل [في حكمه ﷺ فيمن بدل دينه]

وحكم فيمن بدَّلَ دينَه بالقتل[١].

٢٠ - فصل [في حكمه ﷺ في شارب الخمر]

وحكم في شاربِ الخمرِ بضربِه بالجريد والنِّعال، وضربه أربعين، وتبعه أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الأربعين[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٧٣)، ومسلم (١٧٠٦).

٢١- فصل في حُكمه ﷺ في السارقِ

قطع سارقًا في مجنٍّ ثمنُه ثلاثةُ دراهمَ[(١)].

وقضى أنه لا تُقطع اليدُ في أقلَّ من ربعِ دينارٍ[(٢)].

وحكم في امرأةٍ كانت تستعير المتاعَ وتجحدُه بقطعِ يدها[(٣)].

وحكم ﷺ بإسقاطِ القَطع عن المُنتهبِ، والمُختلس، والخائنِ[(٤)]، والمرادُ بالخائن: خائنُ الوديعةِ.

وأسقط ﷺ القَطعَ عن سارقِ الثمرِ والكَثَرِ[(٥)]، وحكم أن من أصاب منه شيئًا بفمِه وهو محتاجٌ؛ فلا شيءَ عليه، ومن خرج منه بشيءٍ، فعليه غرامةُ مثليه والعقوبة[(٦)]، ومن سرق منه شيئًا في جرينِه -هو بيدَرُه- فعليه القطعُ إذا بلغ ثمنَ المِجنِّ[(٧)].

وقضى بقطعِ سارقِ رداءٍ نام صفوانُ بن أميَّةَ عليه في المسجدِ، فأراد صفوانُ أن يهبَه إياه، أو يبيعَه منه، فقال ﷺ: «**هلَّا كان قبل أن تأتِيَني به**»[(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٩٥)، ومسلم (١٦٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٩)، ومسلم (١٦٨٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٩٥)، النسائي (٤٨٨٧).

(٤) أخرجه الترمذي (١٤٤٨).

(٥) (الكَثَر): جمار النخل، ويقال طلعها.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٣٩٠)، وابن ماجه (٢٥٩٦)، والنسائي (٤٩٥٨).

(٧) أخرجه أبو داود (١٧١٠، ٤٣٩٠)، والنسائي (٤٩٥٨).

(٨) أخرجه أبو داود (٤٣٩٤)، وابن ماجه (٢٥٩٥).

وقطع سارقًا سرق تُرسًا من صفة النساءِ في المسجدِ[(١)].

٢٢- فصل في قضائه ﷺ فيمن سبَّه من مسلم أو ذمي أو معاهد

قتَلَ جماعةً من اليهودِ على سبِّه وأذاه، وأمَّن الناسَ يومَ الفتح إلا نفرًا ممَّن كان يؤذيه ويهجوه، وهم أربعةُ رجالٍ وامرأتان. وقال: «**مَن لكعبِ بن الأشرف! فإنه قد آذى الله ورسولَه**»[(٢)]، وأهدَرَ دمَه ودمَ أبي رافع.

وفي ذلك بضعةَ عشرَ حديثًا ما بين صحاحٍ وحسانٍ ومشاهيرَ، وهو إجماعُ الصحابةِ.

وأمَّا تركُه ﷺ قتلَ مَن قدَحَ في عدلِه بقولِه: «اعدِلْ فإنَّك لم تعدِلْ»، وفي حكمِه بقولِه: «أنْ كان ابنَ عمتِك»، وفي قصدِه بقولِه: «إن هذه قسمةٌ ما أُريدَ بها وجهُ الله»، وغير ذلك، فذلك أن الحقَّ له ﷺ، فله أن يستوفيَه، وله أن يتركَه، وليس لأمَّتِه تركُ استيفاءِ حقِّه ﷺ، وأيضًا فإن هذا كان في أولِ الأمرِ حيث كان ﷺ مأمورًا بالعفوِ والصفحِ، وأيضًا فإنه كان يعفو عن حقِّه لمصلحةِ التأليفِ وجمعِ الكلمةِ؛ ولئلَّا ينفِّر الناسَ عنه، ولئلا يتحدثوا أنه يقتلُ أصحابَه، وكلُّ هذا يختصُّ بحياتِه ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥١٠)، ومسلم (١٨٠١).

٢٣- فصل في حكمه ﷺ في الجاسوس

ثبَتَ أن حاطبَ بنَ أبي بلتعة لما جسَّ عليه، سأله عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضربَ عنقِه، فلم يمكِّنه، وقال: «**ما يُدرِيك لعلَّ الله اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملُوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[1]، وقد تقدَّم حكمُ المسألةِ[2].

٢٤- فصل في حُكمِه ﷺ في الأسرى

ثبت عنه ﷺ في الأسرى أنه قتل بعضَهم، ومنَّ على بعضِهم، وفادى بعضَهم بمالٍ، وبعضَهم بأسرى من المسلمين، واسترقَّ بعضَهم، ولكن المعروفَ أنه لم يسترق رجلًا بالغًا.

وهذه أحكامٌ لم يُنسخ منها شيءٌ، بل يُخيَّرُ الإمامُ فيها بحسب المصلحةِ.

٢٥- فصل [في حُكمِه ﷺ في اليهود]

وحكم في اليهودِ بعدَّةِ قضايا:

فعاهدهم أوَّلَ مَقدمه المدينةَ، ثم حاربه بنو قَينُقاعَ، فظفِر بهم، ومنَّ عليهم، ثم حاربه بنو النضيرِ، فظفِر بهم وأجلاهم، ثم حاربَه بنو قُريظةَ، فظفِر بهم وقتلهم، ثم حاربَه أهلُ خيبرَ، فظفر بهم، وأقرَّهم في أرضِ خيبرَ ما شاءَ سوى من قَتل منهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) انظر (ص٢٧٤).

ولما حكم سعدُ بن معاذٍ في بني قُريظةَ بأن تُقتلَ مُقاتلتُهم، وتُسبَى ذريتهم وتُغنَمَ أموالُهم، أخبره رسولُ الله ﷺ: أن هذا حكمُ الله عَزَّوَجَلَّ من فوقِ سبع سموات[١].

وتضمَّن هذا الحُكمُ: أن ناقضي العهدِ يسري نقضُهم إلى نسائِهم وذُريَّتهم.

٢٦- فصل في حُكمِه ﷺ في قِسمةِ الغنائم

حكم ﷺ أن للفارسِ ثلاثةَ أسهمٍ وللراجل سهمًا[٢].

وأمَّا حكمُه بإخراجِ الخمس، فقال ابنُ إسحاق: كانت الخيلُ يومَ بني قريظةَ ستةً وثلاثين فرسًا، وكان أولُ فيءٍ وقعَتْ فيه السهمانُ، وأخرَجَ منه الخمسَ، ومضَتْ به السنةُ[٣].

وعدَلَ في قسمةِ الإبلِ والغنمِ كلَّ عشرةٍ منها ببعيرٍ، فهذا في التقويمِ وقسمة المالِ المشتركِ.

وأمَّا في الهدي فقد قال جابر: «نحَرْنا مع رسولِ الله ﷺ عامَ الحديبية البدنةَ عن سبعةٍ والبقرةَ عن سبعةٍ»[٤]، فهذا في الحديبية، وأمَّا في حجةِ الوداعِ فقال جابر أيضًا: أمرَنا رسولُ الله ﷺ أن نشتركَ في الإبلِ والبقرِ كلُّ سبعةٍ منا في بدنةٍ»[٥]، وكلاهما في الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٤)، ومسلم (١٧٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤٢٢٨)، ومسلم (١٧٦٢).
(٣) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤.
(٤) أخرجه مسلم (١٣١٨).
(٥) أخرجه مسلم (١٢١٣).

٢٧- فصل [في حُكمِه ﷺ بالسلب كله للقاتل]

حكَمَ رسول الله ﷺ بالسلبِ كلِّه للقاتلِ(١)، ولم يخمِّسه ولم يجعَلْه من الخمسِ، بل منِ أصلِ الغنيمةِ، وهذا حكمُه وقضاؤه.

٢٨- فصل في حُكمِه ﷺ فيما حازه المشركونَ من أموالِ المسلمين ثم ظهر عليه المسلمون أو أسلم عليه المُشركون

في «البخاري»: أن فرسًا لابنِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ذهب وأخذه العدوُّ، فظهر عليه المسلمون فرُدَّ عليه في زمنِ رسولِ الله ﷺ، وأبَقَ له عبدٌ فلحق بالرومِ، فظهر عليه المسلمونَ فردَّه عليه خالدٌ في زمن أبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٢).

وصحَّ عنه: أن المهاجرين طلبوا منه دُورهم يومَ الفتح بمكَّةَ، فلم يردَّ على أحدٍ دارَه، وقيل له: أين تَنزلُ غدًا من دارِك بمكَّةَ؟ فقال: «**وهل ترك لنا عَقيلٌ منزلًا**»(٣)، فمضت السُّنَّةُ أن الكفارَ والمحاربين إذا أسلموا لم يضمَنوا ما أتلفوه على المسلمين من نفسٍ أو مالٍ، ولم يردوا عليهم أموالَهم التي غَصبوها عليهم، بل من أسلم على شيءٍ فهو له، هذا حكمُه وقضاؤه ﷺ.

٢٩- فصل في حُكمِه ﷺ فيما كان يُهدَى إليه

كان أصحابُه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يهدون إليه الطعامَ وغيرَه، فيقبل منهم ويكافئُهم أضعافَها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (١٥٨٨)، ومسلم (١٣٥١).

وكانت الملوك تهدي له فيَقبلُ هداياهم، ويُقسِّمُها بين أصحابِه، ويأخذ منها لنفْسِه ما يختاره، فيكون كالصفيِّ الذي له من المغنمِ.

وفي «صحيح البخاري»: أن النبيَّ ﷺ أُهديت إليه أَقبيةُ ديباجٍ مُزرَّرة بالذهب، فقسَمها في ناسٍ من أصحابه، وعزل منها واحدًا لمخرمةَ بن نوفلٍ، فجاء ومعه المِسورُ ابنُه، فقام على الباب فقال: ادعُه لي، فسمع النبيُّ ﷺ صوتَه، فتلقَّاه به فاستقبله، وقال: «**يا أبا المِسور، خبَّأتُ هذا لك**»[١].

وأهدى له فروةُ بنُ نُفاثةَ الجُذاميُّ بغلةً بيضاءَ ركبها يومَ حنين، ذكره مسلم[٢].

وذكر البخاريُّ: أن ملكَ أيلةَ أهدى له بغلةً بيضاءَ، فكساه رسولُ الله ﷺ بُردةً، وكتب له ببحرهم[٣].

٣٠- فصل في حُكمِه ﷺ في قِسمةِ الأموالِ

الأموالُ التي كان النبيُّ ﷺ يقسِمها ثلاثةٌ: الزكاةُ، والغنائمُ، والفيءُ.

فأما الزكاةُ والغنائم فقد تقدم حكمُهما.

وأما حكمُه في الفيء فثبت في «الصحيح» أنه ﷺ قسَمَ يومَ حنين في المؤلَّفةِ قلوبُهم من الفيءِ، ولم يُعطِ الأنصارَ شيئًا فعتبوا عليه، فقال لهم: «**ألا ترضون أن يذهبَ الناسُ بالشاة والبعيرِ، وتنطلقون برسولِ الله ﷺ تحوزونَه إلى رحالِكم، فوالله لَـما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٧)، ومسلم (١٠٥٨).
(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢).
(٤) أخرجه البخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩).

والقصد هنا أن الله سبحانه أباح لرسولِه من الحُكمِ في مال الفيء ما لم يُبِحْه لغيرِه، وفي «الصحيح» عنه ﷺ: «**إني أُعطي أقوامًا، وأدعُ غيرَهم، والذي أدع أحبُّ إليَّ من الذي أعطي**»(١).

والذي يدل عليه هَدي رسولِ الله ﷺ وأحكامُه أنه كان يجعلُ مصارفَ الخُمس كمَصارف الزكاةِ.

وفي «الصحيحين»: عن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت أموالُ بني النضيرِ مما أفاء الله على رسولِه مما لم يوجِف المسلمون عليه بِخَيلٍ ولا رِكابٍ، فكانت للنبيِّ ﷺ فكان ينفق على أهلِه نفقةَ سنةٍ، وفي لفظٍ: «**يَحبِس لأهلِه قوتَ سنتهم، ويجعلُ ما بقي في الكُراعِ والسلاح عُدَّةً في سبيل الله**»(٢).

وفي «السنن»: عن عوفِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أتاه الفيءُ قسَمَه من يومِه، فأعطى الآهلَ حظَّين، وأعطى العزَب حظًّا(٣).

وقد اختلف الفقهاءُ في الفيءِ: هل كان ملكًا لرسول الله ﷺ يتصرَّف فيه كيف يشاءُ، أو لم يكن ملكًا له؟

والذي تدلُّ عليه سنَّتُه وهديُه أنه كان يتصرَّفُ فيه بالأمرِ، فيضعُه حيث أمرَه الله.

وقد صرَّح رسولُ الله ﷺ بهذا فقال: «**والله إني لا أُعطي أحدًا ولا أمنعُه، إنما أنا قاسمٌ أضعُ حيث أُمرتُ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٣٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٥)، ومسلم (١٧٥٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٢٩٥٣).
(٤) أخرجه البخاري (٣١١٧).

وأما الزَّكواتُ والغنائم وقِسمةُ المواريث فإنها مُعيَّنةٌ لأهلِها لا يَشرَكُهم غيرُهم فيها، فلم يُشكل على ولاة الأمرِ بعده من أمرها ما أشكلَ عليهم من الفَيءِ، ولم يقع فيها من النِّزاع ما وقع فيه، ولولا إشكالُ أمره عليهم لما طلبت فاطمةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ ميراثَها من تركته، وظنت أنه يُورَثُ عنه ما كان مِلكًا له كسائرِ المالكين، وخفي عنها رَضِيَ اللهُ عَنها حقيقةُ الملك الذي ليس مما يُورثُ عنه، بل هو صدقةٌ بعده.

٣١- فصل في حُكمِه ﷺ في الوفاءِ بالعهد لعدوِّه، وفي رُسُلهم ألا يُقتلوا ولا يُحبسوا، وفي النبذِ إلى من عاهده على سواءٍ إذا خافَ منه نقضَ العهدِ

ثبت عنه أنه قال لرسولَي مُسيلمةَ الكذَّابِ لما قالا: نقول إنه رسولُ الله: **«لولا أن الرُّسلَ لا تُقتل لقتلتُكما»**(١).

وثبت عنه أنه قال لأبي رافعٍ، وقد أرسلَته إليه قريشٌ، فأراد المُقامَ عنده، وأنه لا يرجعُ إليهم، فقال: **«إني لا أَخِيسُ بالعهدِ، ولا أحبس البردَ، ولكن ارجع إلى قومِك، فإن كان في نفسِك الذي فيها الآنَ فارجع»**(٢).

ولما أسرَت قريشٌ حُذيفةَ بنَ اليمان وأباه أطلقوهما، وعاهدوهما ألا يُقاتلاهم مع رسولِ الله ﷺ، وكانوا خارجين إلى بدرٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: **«نَفِي لهم بعهدِهم، ونستعينُ الله عليهم»**(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٦١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٧).

٣٢- فصل في حُكمِه ﷺ في الأمانِ الصادر من الرِّجالِ والنِّساءِ

ثبت عنه ﷺ أنه قال: «المسلمون تتكافأُ دماؤهم ويَسعى بذمَّتهم أدناهم»[(١)].

وثبت عنه ﷺ أنه أجار رجُلين أجارتهما أمُّ هانئ ابنةُ عمِّه[(٢)].

٣٣- فصل في حُكمِه ﷺ في الجِزيةِ ومقدارها وممَّن تُقبلُ

أخذها ﷺ من أهلِ نَجرانَ وأيلَةَ، وهم من نصارى العرَبِ، ومن أهل دُومة الجَندلِ، وأكثرُهم عرب، وأخذها من المَجوس، ومن أهلِ الكتاب باليمنِ، وكانوا يهودًا، ولم يأخذْها من مشركي العربِ.

فقال أحمد[(٣)] والشافعي[(٤)]: لا تُؤخذ إلا من الطوائفِ الثلاثِ التي أخذَها رسولُ الله ﷺ منهم، وهم: اليهودُ والنصارى والمجوسُ.

وقالت طائفةٌ: في الأممِ كلِّها إذا بذلوا الجزيةَ قُبِلت منهم، وإنما لم يأخُذها ﷺ من عبدةِ الأوثانِ من العربِ؛ لأنهم أسلموا كلُّهم قبلَ نزولِ آيةِ الجزيةِ.

وأما حُكمُه في قدرِها، فإنه بعث مُعاذًا إلى اليمن، وأمره أن يَأخُذَ من كل حالم دينارًا أو قيمته مُعافِرَ[(٥)]، وهي ثيابٌ معروفةٌ باليمن، ثم زاد فيها عمرُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧١)، ومسلم (٣٣٦).

(٣) اختلاف الأئمة لابن هبيرة ٢/ ٣٢٦.

(٤) الأم للشافعي ٤/ ١٨٣.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٠٣٨)، والترمذي (٦٢٣).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فجعلها أربعةَ دنانيرَ على أهلِ الذهب، وأربعين درهمًا على أهل الوَرِقِ وكُلٌّ سُنة، فرسولُ الله ﷺ علِم ضعفَ أهل اليمن، وعمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَلِمَ غِنى أهلِ الشام وقوَّتَهم.

٣٤- فصل في حُكمِه ﷺ في الهُدنة وما يَنقُضها

ثبت عنه ﷺ أنه صالح أهلَ مكَّةَ على وضعِ الحرب بينه وبينهم عشرَ سنين، ودخل حلفاؤهم من بني بكرٍ معهم، وحلفاؤه من خُزاعةَ معه، فعَدَت حلفاءُ قريشٍ على حلفائِه فغدروا بهم، فرضيتْ قريشٌ ولم تُنكره، فجعلهم بذلك ناقضين للعَهدِ، واستباح غزوَهم من غير نَبذِ عهدِهم إليهم.

وثبت عنه أنه صالح يهودَ وعاهدهم لَمَّا قدِم المدينةَ فغدروا به ونقضوا عهده مِرارًا، وكل ذلك يحاربُهم ويظفرُ بهم.

وكان هذا الحكم فيهم منه حُجَّةً على جوازِ صُلح الإمامِ لعدوِّه ما شاء من المُدَّةِ، فيكون العقدُ جائزًا له فسخُه متى شاءَ.

[ثانيا: كتاب النكاح]

ذِكرُ أقضيتِه وأحكامِه ﷺ في النِّكاحِ وتوابعِه

١ - فصل في حُكمِه ﷺ في الثَّيِّب والبكر يزوِّجهما أبوهما

ثبت عنه في «الصحيحين»: أن خنساءَ بنتَ خِدامٍ زوَّجها أبوها وهي كارهةٌ وكانت ثيِّبًا، فأتت رسولَ الله ﷺ فردَّ نكاحَها[(١)].

وفي «السنن»: من حديثِ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن جاريةً بِكرًا أتت رسولَ الله ﷺ، فذكرت له أن أباها زوَّجها وهي كارهةٌ، فخيَّرها النبيُّ ﷺ[(٢)].

وثبت عنه في «الصحيح» أنه قال: «**لا تُنكحُ البكرُ حتى تُستأذنَ**» قالوا: يا رسولَ الله، وكيف إذنُها؟ قال: «**أن تسكُت**»[(٣)].

٢ - فصل [في حُكمِه ﷺ في اليتيمة تستأمر في نفسها]

وقضى ﷺ أنَّ اليتيمةَ تُستأمر في نفسِها.

وفي السنن الأربعةِ عنه ﷺ: «**اليتيمةُ تُستأمر في نفسِها، فإن صمَتت فهو إذنُها، وإن أبت فلا جوازَ عليها**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٩٦)، ابن ماجه (١٨٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٠٩٣)، والترمذي (١١٠٩)، والنسائي (٣٢٧٠).

٣- فصل في حُكمِه ﷺ في النكاح بلا وَليٍّ

في «السنن» عنه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَيُّما امرأةٍ نكحَتْ نفسَها بغير إذنِ وليِّها؛ فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ، فإن أصابَها فلها مهرُها بما أصابَ منها، فإن اشتجروا فالسلطانُ وليُّ مَن لا وليَّ له**»، قال الترمذي: حديث حسن[(١)].

وفي السنن الأربعةِ عنه: «**لا نكاحَ إلا بوليٍّ**»[(٢)].

٤- فصل في قضائِه ﷺ في نكاحِ التفويض

ثبت عنه أنه قضى في رجلٍ تزوَّجَ امرأةً، ولم يفرض لها صداقًا، ولم يدخل بها حتى ماتَ: أن لها مهرَ نسائها، ولا وَكسَ ولا شططَ، ولها الميراثُ، وعليها العِدَّةُ أربعةَ أشهر وعشرًا[(٣)].

٥- فصل في حُكمِه ﷺ في الشروطِ في النكاحِ

في «الصحيحين» عنه ﷺ: «**إن أحقَّ الشُّروطِ أن تُوفوا بها: ما استحللتُم به الفُروجَ**»[(٤)].

وفيهما عنه ﷺ: «**لا تَسألُ المرأةُ طلاقَ أختها لتستفرغَ ما في صحفتِها ولتنكح؛ فإنما لها ما قُدِّر لها**»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (١٨٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (١٨٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١١٤)، والترمذي (١١٤٥)، والنسائي (٣٣٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٢١)، ومسلم (١٤١٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (١٤٠٨).

فتضمن هذا الحكمُ وجوبَ الوفاءِ بالشروطِ التي شُرطت في هذا العقدِ إذا لم تتضمن تغييرًا لحُكم الله ورسوله.

٦- فصل في حُكمِه ﷺ في نِكاحِ الشِّغار، والمُحلِّل، والمُتعةِ، ونكاحِ المُحرِم، ونكاحِ الزانيةِ

أما الشِّغارُ ففي «صحيح مسلم»: عن ابنِ عمرَ مرفوعًا: «**لا شِغارَ في الإسلامِ**»، وفيه: «والشغار: أن يزوِّجَ الرجلُ ابنتَه على أن يزوِّجَه الآخرُ ابنتَه وليس بينهما صداقٌ»[(١)].

وأما نكاحُ المُحلِّل ففي «المسند» و«الترمذي» من حديث ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: «لعن رسولُ الله ﷺ المُحلِّل والمُحلَّل له»[(٢)].

وأما نكاحُ المتعة ففي «الصحيحين» عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسولَ الله ﷺ حرَّم مُتعةَ النساء[(٣)]. وهذا التحريمُ إنما كان بعد الإباحَةِ.

ولكن النظر: هل هو تحريمُ بتاتٍ أو تَحريمٌ مثلُ تحريمِ الميتة فيباحُ عند الضرورةِ؟ هذا هو الذي لحظَه ابنُ عباس، وأفتى بحلِّها للضرورةِ، فلما توسَّع الناسُ فيها ولم يقتصروا على موضِعِ الضرورةِ، أمسك عن فُتياه ورجع عنها.

وأما نكاحُ المُحرم فثبت عنه في «صحيح مسلم» من روايةِ عُثمانَ بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يَنكحُ المُحرمُ ولا يُنكَحُ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤١٥).

(٢) أخرجه أحمد ٧/ ٣١٤-٣١٥ (٤٢٨٤)، والترمذي (١١٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٠٩).

وأما نكاحُ الزانيةِ فإن مَرثدَ بنَ أبي مرثدٍ الغنويَّ استأذن النبيَّ ﷺ أن يتزوَّجَ عناق وكانت بغيًّا، فقرأ عليه رسولُ الله ﷺ آيةَ النور، وقال: «**لا تَنكحْها**»[(١)].

٧- فصل في حُكمِه ﷺ فيمن أسلم على أكثرَ من أربعِ نِسوةٍ أو على أختينِ

في «الترمذي» عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن غَيلانَ أسلم وتحتَه عشرُ نسوةٍ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**اخترْ منهنَّ أربعًا**»[(٢)].

وأسلم فيروزُ الديلميُّ وتحته أختانِ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**اخترْ أيَّتهما شئت**»[(٣)].

٨- فصل [في حُكمِه ﷺ فيمن شرط لزوجته ألا يتزوج عليها]

واستأذنه بنو هشامِ بنِ المغيرة أن يزوِّجوا عليَّ بنَ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنةَ أبي جهلٍ، فلم يأذن في ذلك، وقال: «**إلا أن يُريدَ ابنُ أبي طالب أن يُطلِّق ابنتي ويَنكحَ ابنتَهم، فإنما فاطمةُ بِضعةٌ مني، يريبُني ما رابَها ويُؤذيني ما آذاها، إني أخافُ أن تُفتنَ فاطمةُ في دينِها، وإني لست أحرِّمُ حلالًا ولا أحلُّ حرامًا؛ ولكن والله، لا تجتمع بنتُ محمد رسول الله وبنتُ عدوِّ الله في مكان واحدٍ أبدًا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١١٢٨)، ابن ماجه (١٩٥٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٢٤٣)، والترمذي (١١٢٩، ١١٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩).

فتضمَّن هذا الحُكمُ أن الرجلَ إذا شرط لزوجتِه ألا يتزوَّج عليها لزمَه الوفاءُ بالشرط، ومتى تزوَّجَ عليها فلها الفسخُ.

٩- فصل فيما حكم الله سبحانه بتحريمِه من النساءِ على لسان نبيِّه ﷺ

حرَّم الأمَّهاتِ، وحرَّمَ البناتِ، والأخوات من كل جِهةٍ، والعمَّاتِ، والخالات، وبنات الأخِ، وبنات الأختِ.

وحرم الأمَّ من الرَّضاعَةِ، وإذا صارت المُرضعةُ أمَّه صار صاحبُ اللبن أباه؛ ولهذا حكم رسولُ الله ﷺ بتحريم لبنِ الفحلِ، فلزم من ذلك أن يكون إخوتُهما وأخواتُهما خالاتٍ له وعمَّاتٍ، وأبناؤهما وبناتُهما إخوةً له وأخواتٍ. ومن هنا قضى رسولُ الله ﷺ أنه: «**يَحرُمُ من الرضاعِ ما يحرُم من النسبِ**»[(١)].

وحرَّم أمهاتِ النساء، وحرمَ الربائبَ اللاتي في حُجورِ الأزواجِ، وحرَّم سبحانه حلائلَ الأبناءِ، وحرم نكاحَ من نكحهن الآباءُ.

وقضى رسولُ الله ﷺ بتحريمِ الجمع بين المرأةِ وعمَّتِها والمرأةِ وخالتِها[(٢)].

ومما حرَّمه النصُّ نكاحَ المزوجاتِ وهن المحصناتُ.

١٠- فصل في حُكمِه ﷺ في الزَّوجين يُسلِمُ أحدُهما قبل الآخرِ

قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ردَّ رسولُ الله ﷺ زينبَ ابنتَه على أبي العاصِ بن الربيعِ بالنكاحِ الأوَّلِ ولم يُحدث شيئًا[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥١٠٨)، ومسلم (١٤٠٨).
(٣) أخرجه أبو داود (٢٢٤٠)، والترمذي (١١٤٣)، وابن ماجه (٢٠٠٩).

فالذي دلَّ عليه حكمُه ﷺ أن النكاحَ موقوفٌ، فإن أسلمَ قبل انقضاءِ عِدَّتها فهي زوجتُه، وإن انقضت عدَّتُها فلها أن تَنكحَ من شاءت، وإن أحبت انتظرته، فإن أسلمَ كانت زوجتَه من غير حاجَةٍ إلى تجديد النِّكاحِ.

١١- فصل في حُكمِه ﷺ في العَزلِ

في «الصحيحين»: عن جابرٍ قال: كُنا نَعزلُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ والقرآنُ ينزلُ[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عنه: «كُنا نَعزلُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فلم ينهنا»[(٢)].

١٢- فصل في حُكمِه ﷺ في الغَيلِ، وهو وطءُ المُرضعةِ

ثبت عنه ﷺ في «صحيح مسلم»: أنه قال: «**لقد همَمتُ أن أنهى عن الغِيلةِ حتى ذَكرتُ أن الرومَ وفارسَ يصنعون ذلك فلا يَضرُّ أولادَهم**»[(٣)].

١٣- فصل في حُكمِه ﷺ في قسمِ الابتداء والدَّوامِ بين الزوجاتِ

ثبت في «الصحيحين»: عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: من السُّنَّةِ إذا تزوَّجَ الرجلُ البكرَ على الثيبِ أقام عندها سبعًا وقسم، وإذا تزوَّجَ الثَّيِّبَ أقام عندها ثلاثًا، ثم قسم. قال أبو قِلابَةَ: ولو شئت لقُلت: إن أنسًا رفعه إلى رسولِ الله ﷺ[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٨)، ومسلم (١٤٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٠٧، ٥٢٠٨، ٥٢٠٩)، ومسلم (١٤٤٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٢١٣)، ومسلم (١٤٦١).

وفي «الصحيحين»: أنه ﷺ: كان إذا أراد سفَرًا أقرع بين نسائه فأيَّتَهنَّ خرج سهمُها خرج بها معه[(١)].

وفي «الصحيحين» أن سَودةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهبت يومَها لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكان النبيُّ ﷺ يقسِم لعائشةَ يومَها ويومَ سودةَ[(٢)].

وفي «صحيح مسلم» أنهنَّ كن يجتمعنَ كلَّ ليلة في بيتِ التي يأتيها[(٣)].

١٤ - فصل في قضائِه ﷺ في تحريمِ وطءِ المرأة الحُبلى من غيرِ الواطئِ

ثبت في «صحيح مسلم»: من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ مَرَّ بامرأةٍ مُجِحٍّ[(٤)] على باب فُسطاطٍ، فقال: «**لعلَّه يريد أن يُلِمَّ بها**»، فقالوا: نعم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد هممتُ أن ألعنَه لعنًا يدخلُ معه قبرَه، كيف يُورِّثه، وهو لا يَحِلُّ له؟ كيف يستخدمُه وهو لا يحِلُّ له؟**»[(٥)].

وفيه عن العِرباضِ بن ساريةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ حرَّم وطءَ السبايا حتى يضعنَ ما في بطونهنَّ[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٣)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢١٢)، ومسلم (١٤٦٣).
(٣) أخرجه مسلم (١٤٦٢).
(٤) (امرأة مُجِحٍّ): هي الحامل إذا أقربت.
(٥) أخرجه مسلم (١٤٤١).
(٦) أخرجه الترمذي (١٥٦٤).

١٥ - فصل في حُكمِه ﷺ في الرجل يُعتق أمتَه ويجعلُ عتقَها صداقَها

ثبت عنه ﷺ في «الصحيح»: أنه أعتق صفيَّةَ وجعل عتقَها صداقَها، قيل لأنسٍ: ما أصدقَها؟ قال: أصدقها نفسَها[(١)].

١٦ - فصل في قضائه ﷺ في صحة النكاح الموقوف على الإجازة

في «السنن»: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن جاريةً بكرًا أتت النبيَّ ﷺ فذكرَتْ أن أباها زوَّجها وهي كارهةٌ، فخيَّرَها النبي ﷺ[(٢)].

١٧ - فصل في حُكمِه ﷺ في الكفاءةِ في النكاح

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال ﷺ: «**لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجمي على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسود على أبيضَ إلا بالتقوى، الناسُ من آدمَ، وآدم من ترابٍ**»[(٣)].

وفي الترمذي عنه ﷺ: «**إذا جاءكم مَن ترضَون دينَه وخلقَه فأنكِحوه، إلا تفعلوه تكُنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ**، قالوا: يا رسولَ الله، وإن كان فيه؟ فقال: **إذا جاءكم مَن ترضَون دينَه وخلقَه فأنكِحوه**، ثلاث مرات»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠١).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٩٦)، وابن ماجه (١٨٧٥).
(٣) أخرجه أحمد ٣٨/ ٤٧٤ (٢٣٤٨٩).
(٤) أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧).

وزوَّجَ رسولُ الله ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ القرشيَّةَ من زيدِ بن حارثةَ مولاه، وزوَّج فاطمةَ بنت قيسٍ الفِهريةَ القرشية من أسامةَ ابنِه[(١)]، وتزوَّج بلالُ بن رباحٍ بأخت عبد الرحمن بن عوفٍ.

فالذي يقتضيه حُكمه ﷺ اعتبارُ الدين في الكفاءةِ أصلًا وكمالًا، فلا تُزوَّج مسلمةٌ بكافرٍ، ولا عفيفةٌ بفاجرٍ، ولم يعتَبِر القرآنُ والسنةُ في الكفاءةِ أمرًا وراءَ ذلك.

١٨- فصل في حكمِه ﷺ في ثبوتِ الخيار للمُعتقةِ تحت العبد

ثبت في «الصحيحين» أن بَريرةَ كاتبت أهلَها، وجاءت تسأل رسول الله ﷺ في كِتابتها فقالت عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: إنْ أحبَّ أهلُك أن أعدَّها لهم ويكون ولاؤك لي فعلتُ، فذكرت ذلك لأهلِها فأبوا إلا أن يكون الولاءُ لهم، فقال رسول الله ﷺ لعائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «**اشتريها واشترطي لهم الولاءَ، فإنما الولاءُ لمن أعتق**»[(٢)].

ثم خطب الناسَ فقال: «**ما بالُ أقوامٍ يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله، من اشترطَ شرطًا ليس في كتاب الله فهو باطلٌ، وإن كان مئةَ شرطٍ، قضاءُ الله أحقُّ، وشرط الله أوثقُ، وإنما الولاء لمن أعتقَ**».

---

(١) أي: ابن زيد بن حارثة المتقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٣٦)، ومسلم (١٥٠٤).

ثم خيَّرها رسولُ الله ﷺ بين أن تبقى على نكاحِ زوجِها وبين أن تفسخَه فاختارت نفسَها، فقال لها: «**إنه زوجُك وأبو ولدِك**» فقالت: يا رسولَ الله، تأمُرني بذلك؟ قال: «**لا، إنما أنا شافعٌ**»، قالت: فلا حاجةَ لي فيه[(١)].

وقال لها إذ خيَّرها: «**إن قَربَك فلا خيارَ لك**»[(٢)] وأمرها أن تعتدَّ، وتُصُدِّقَ عليها بلحمٍ فأكل منه النبيُّ ﷺ وقال: «**هو عليها صدقةٌ ولنا هديةٌ**»[(٣)].

١٩ - فصل في قضائه ﷺ في الصَّداقِ بما قل وكثُر، وقضائه بصحَّةِ النكاح على ما مع الزوجِ من القرآنِ

ثبت في «صحيح مسلم»: عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان صداقُ النبيِّ ﷺ لأزواجِه ثنتي عشرةَ أوقيةً ونَشًّا، فذلك خمس مئةٍ درهم[(٤)].

وقال عمر رضي الله عنه: ما علمتُ رسولَ الله ﷺ نكح شيئًا من نسائِه ولا أنكحَ شيئًا من بناتِه على أكثرَ من ثنتَي عشرةَ أوقيةً. قال الترمذي حديث حسن صحيح[(٥)]. والأوقيةُ: أربعون درهمًا.

وفي «الصحيحين»: أن امرأةً جاءت إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إني قد وهبتُ نفسي لك فقامت طويلًا، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**فهل عندك من شيءٍ تُصدِقُها إياه؟**» قال: ما

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٢٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٧)، ومسلم (١٥٠٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٢٦).

(٥) أخرجه الترمذي (١١١٤).

عندي إلا إِزاري هذا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنك إن أعطيتَها إزاركَ جلست ولا إزارَ لك؛ فالتمس شيئًا**» قال: لا أجدُ شيئًا، قال: «**فالتمسْ ولو خاتمًا من حديدٍ**» فالتمس فلم يجد شيئًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**هل معك شيءٌ من القرآنِ؟**» قال: نعم، سورةُ كذا وسورةُ كذا، لسورٍ سمَّاها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**قد زوجتُكها بما معك من القرآنِ**»[1].

ومن ادَّعى في هذه الأحاديثِ التي ذكرناها اختصاصًا بالنبيِّ ﷺ، أو أنها منسوخةٌ أو أن عمل أهلِ المدينة على خلافِها فدعوى لا يقوم عليها دليلٌ، والأصل يردُّها، وقد زوج سيِّدُ أهل المدينةِ من التابعين سعيدُ بن المسيب ابنتَه على درهمين ولم يُنكر عليه أحدٌ، بل عُدَّ ذلك في مناقبِه وفضائِله، وقد تزوَّج عبدُ الرحمن بن عوفٍ على صداق خمسةِ دراهمَ، وأقره النبيُّ ﷺ، ولا سبيلَ إلى إثباتِ المقاديرِ إلا من جهة صاحبِ الشرعِ.

٢٠ - فصل في حكمِ رسولِ الله ﷺ بين الزَّوجين يقعُ الشِّقاقُ بينهما

روى أبو داودَ في «سننه» من حديث عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن حَبيبةَ بنت سهلٍ كانت عند ثابتِ بن قيس بنِ شَمَّاسٍ، فضربها فكسر بعضَها، فأتت النبيَّ ﷺ بعد صلاة الصبحِ فدعا النبيُّ ﷺ ثابتًا فقال: «**خذ بعضَ مالها وفارِقْها**»، فقال: ويصلحُ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «**نعم**». قال: فإني أصدقْتُها حديقتين، وهما بيدِها. فقال النبيُّ ﷺ: «**خذهُما وفارِقْها**»، ففعل[2].

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٢٢٨).

وقد حكم الله تعالى بين الزوجين يقع الشِّقاقُ بينهما بقولِه تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء: ٣٥].

٢١- حكم رسول الله ﷺ في الخلع

في «صحيح البخاري»: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن امرأةَ ثابتِ بن قيس بنِ شَمَّاسٍ أَتَت النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله ﷺ، ثابتُ بنُ قيس ما أعيبُ عليه في خلقٍ ولا دينٍ، ولكني أكرهُ الكفرَ في الإسلامِ. فقال رسولُ الله ﷺ: **تردِّين عليه حديقتَه؟** قالت: نعم. قال رسولُ الله ﷺ: **اقبَل الحديقةَ وطلِّقها تطليقةً**»[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧٣).

[ثالثا: كتاب الطلاق]

ذِكرُ أحكامِ رسولِ الله ﷺ في الطَّلاق

١ - ذكرُ حُكمِه ﷺ في طلاقِ الهازل، وزائلِ العقل، والمُكرَه، والتطليقِ في نفسِه

في «السنن» عنه من حديثِ ابن عبَّاسٍ: «**إن الله وضع عن أمَّتي الخطأَ والنسيان وما استُكرهوا عليه**»[(١)].

وذكَرَ البخاري في «صحيحه» عن علي أنه قال لعمرَ: «ألم تعلَمْ أن القلمَ رُفِعَ عن ثلاثٍ: عن المجنونِ حتى يفيقَ، وعن الصبيِّ حتى يدركَ، وعن النائمِ حتى يستيقظَ»[(٢)].

وفي «الصحيح» عنه ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمَّتي عما حدَّثت به أنفُسَها ما لم تَكلَّم أو تعمل به**»[(٣)].

فتضمَّنت هذه السننُ أن ما لم ينطق به اللسان من طلاقٍ أو عتاقٍ أو يمينٍ أو نذرٍ ونحو ذلك عفوٌ غير لازمٍ بالنيَّةِ والقصدِ، وهذا قولُ الجمهورِ.

وسرُّ المسألةِ الفرقُ بين من قصد اللفظَ وهو عالمٌ به ولم يرد حكمَه، وبين من لم يقصدْ اللفظَ ولم يعلم معناه، فالمراتبُ التي اعتبرها الشارعُ أربعةٌ:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥).

(٢) علقه البخاري قبل حديث (٥٢٦٩)، ووصله الحاكم ٤/ ٤٢٩ (٨١٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٤٥٩ (١٧٢١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧).

إحداها: ألا يَقصِد الحُكمَ ولم يتلفَّظ به.

الثانيةُ: ألا يَقصدَ اللفظَ ولا حكمَه.

الثالثةُ: أن يقصدَ اللفظَ دون حكمِه.

الرابعةُ: أن يَقصدَ اللفظَ والحكمَ.

فالأوليانِ لغوٌ، والآخرتان مُعتبرتانِ، هذا الذي استفيدَ من مجموعِ نصوصِه وأحكامه.

فصل

وأما طلاقُ السكران، فصحَّ عنه ﷺ أنه أمر بالُمقر بالزِّنا أن يُستَنْكَهَ؛ ليعتبر قولُه الذي أقر به أو يُلغى.

وفي «صحيح البخاري» في قصَّةِ حمزةَ لما عقر بعيرَي عليٍّ فجاء النبيُّ ﷺ، فوقف عليه يلومُه فصعد فيه النظرَ وصوَّبَه وهو سكران ثم قال: هل أنتمُ إلا عبيدٌ لأبي، فنكص النبيُّ ﷺ على عقِبَيه[1].

وهذا القولُ لو قاله غيرُ سكران، لكان رِدَّةً وكفرًا، ولم يؤاخذ بذلك حمزةُ.

وصح عن عثمانَ بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ليس لَمجنونٍ، ولا سكرانَ طلاقٌ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩).

(٢) علقه البخاري جزما قبل حديث (٥٢٦٩)، ووصله ابن أبي شيبة ٤/ ٧١ (١٧٩٠٨).

فصل

وأما طلاقُ الإغلاقِ، فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقولُ: «**لا طلاقَ ولا عتاقَ في إغلاقٍ**»[١]، يعني: الغضبَ.

والغضبُ على ثلاثةِ أقسام:

أحدُها: ما يُزيل العقلَ، وهذا لا يقع طلاقُه بلا نزاعٍ.

والثاني: ما يكون في مَباديه، فهذا يقع طلاقُه.

الثالث: أن يَستحكمَ ويشتدَّ به، فلا يزيل عقلَه بالكليةِ، ولكن يحول بينه وبين نيَّته بحيث يندمُ على ما فرَّطَ منه إذا زال، فهذا محلُّ نظر، وعدم الوقوعِ في هذه الحالةِ قويٌّ متوجه، والله أعلم.

٢- حكمُ رسول الله ﷺ في الطلاقِ قبلَ النكاحِ

في «السنن» من حديثِ عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**لا نذرَ لابن آدمَ فيما لا يملكُ، ولا عِتقَ له فيما لا يملك، ولا طلاقَ له فيما لا يملكُ**»[٢].

وفي «سنن ابن ماجه» عن المِسورِ بن مخرمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا طلاقَ قبل نكاحٍ، ولا عتقَ قبل مِلكٍ**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦).
(٢) أخرجه أبو داود (٢١٩٠)، والترمذي (١١٨١).
(٣) أخرجه أبو داود (٢١٩٠)، والترمذي (١١٨١)، وأصله في صحيح مسلم (١٦٤١).

٣- حكمُ رسولِ الله ﷺ في تحريمِ طلاق الحائضِ، والنُّفساء، والموطوءةِ في طهرها، وتحريمِ إيقاع الثلاثِ جُملةً

في «الصحيحين» أنَّ ابنَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلَّق امرأتَه وهي حائضٌ على عهدِ رسول الله ﷺ فسأل عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «**مُره فليُراجِعها، ثم ليُمسكها حتى تَطهُرَ، ثم تحيضَ، ثم تطهرَ، ثم إن شاء أمسكَ بعد ذلك، وإن شاء طلقَ قبل أن يَمسَّ، فتلك العدَّةُ التي أمر الله أن تُطلَّقَ لها النساءُ**»[(١)].

ولمسلمٍ: «**مره فليُراجعها، ثم ليُطلِّقها طاهرًا أو حاملًا**»[(٢)].

وفي لفظٍ: عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال طلَّقَ عبدُ الله بن عمرَ امرأتَه وهي حائضٌ، فردَّها عليه رسولُ الله ﷺ ولم يَرَها شيئًا[(٣)].

فتضمَّن هذا الحكمُ أن الطلاقَ على أربعةِ أوجُهٍ: وجهانِ حلالٌ، ووجهان حرامٌ.

فالحلالُ: أن يطلقَ امرأتَه طاهرًا من غير جِماعٍ، أو يطلِّقها حاملًا مستبينًا حملُها.

والحرامُ: أن يُطلِّقها وهي حائضٌ، أو يطلقها في طُهرٍ جامعها فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧١/ ٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٨٥).

هذا في طلاقِ المدخول بها، وأما من لم يُدخل بها، فيجوز طلاقُها حائضًا وطاهرًا، كما قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦].

وفي «سنن النسائي» وغيره، من حديثِ محمودِ بنِ لبيد، قال: «أُخبِرَ رسولُ الله ﷺ عن رجلٍ طلَّقَ امرأتَه ثلاثَ تطليقاتٍ جميعًا، فقام غضبانَ، فقال: **أيُلعبُ بكتابِ الله وأنا بينَ أظهرِكم؟!** حتى قام رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، أفلا أقتلُه»(١)؟

وفي «الصحيحين» عن ابنِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنه كان إذا سُئل عن الطلاقِ قال: أمَّا أنت طلقتَ امرأتَك مرَّةً أو مرتينِ، فإن رسولَ الله ﷺ أمرني بهذا، وإن كُنت طلَّقتَها ثلاثًا، فقد حَرُمت عليك حتى تَنكِحَ زوجًا غيرَك، وعصيتَ الله فيما أمرك من طلاقِ امرأتِك(٢).

فتضمَّنت هذه النصوصُ أن المُطلَّقةَ نوعانِ: مدخولٌ بها، وغيرُ مدخول بها، وكلاهُما لا يجوزُ تطليقها ثلاثًا مجموعةً. واختلفوا في وقوعِ المُحرَّمِ من ذلك.

٤- حكمُ رسول الله ﷺ في أن المُطلَّقةَ ثلاثًا لا تحل للأوَّلِ حتى يطأها الزوجُ الثاني

ثبت في «الصحيحين» عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أن امرأةَ رفاعةَ القرظيِّ جاءت إلى رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إن رفاعةَ طلَّقني، فبَتَّ طلاقِي، وإني نكحتُ بعدَه عبدَ الرحمن بن الزبيرِ القُرظيَّ، وإن ما معه مِثلُ الهُدْبَةِ(٣)، فقال

(١) أخرجه النسائي (٣٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٣٣)، ومسلم (١٤٧١).

(٣) (الهُدْبَة): هدبة الثوب طرفه الذي لم ينسج، كنَّت بهذا عن أنه لا يقدر على الوطء.

رسولُ الله ﷺ: «لعلَّكِ تُريدين أن تَرجعي إلى رِفاعَةَ! لا، حتى تذوقي عُسيلَتَه ويذوقَ عُسيلَتَك»(١).

٥- حكمُ رسول الله ﷺ في تَخيير أزواجِه بين المُقام معه وبين مُفارقتِهنَّ له

ثبت في «الصحيحين» عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: لما أُمر رسولُ الله ﷺ بتخييرِ أزواجِه بدأ بي، فقال: «إنِّي ذاكرٌ لك أمرًا، فلا عليك ألَّا تعجلي حتى تَستأمري أبويك»، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا ليَأمُراني بفراقِه، ثم قرأ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]» فقلت: في هذا أستأمر أبويَّ؟! فإني أريدُ الله ورسولَه والدارَ الآخرة. قالت عائشةُ: ثم فعل أزواجُ النبيِّ ﷺ مثلَ ما فعلتُ، فلم يكن ذلك طلاقًا(٢).

٦- حكمُ رسول الله ﷺ الذي بيَّنه عن ربِّه تبارك وتعالى فيمن حَرَّمَ أمَتَه أو زوجتَه أو متاعَه

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [التحريم: ١ - ٢].

ثبتَ في «الصحيحين» أنه ﷺ شرِبَ عسلًا من بيتِ زينبَ بنت جحشٍ، فاحتالت عليه عائشةُ وحفصةُ حتى قال: «لن أعودَ له» وفي لفظٍ: وقد حلفت(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٠)، ومسلم (١٤٣٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٢)، ومسلم (١٤٧٧).
(٣) أخرجه البخاري (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤).

وفي «سنن النسائي» عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ كانت له أمَةٌ يطؤها، فلم تزلْ به عائشةُ وحفصةُ حتى حرَّمها، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عن ابنِ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: إذا حرم الرجلُ امرأتَه فهي يمينٌ يُكفِّرها، وقال: لقد كان لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنة[(٢)].

٧- حكمُ رسولِ الله ﷺ في قولِ الرجلِ لامرأتِه: الحقي بأهلِك

ثبت في «صحيح البخاري» أن ابنةَ الجونِ لما دخلَتْ على رسولِ الله ﷺ ودنا منها، قالت: أعوذُ بالله منك، فقال لها: «**عُذتِ بعظيمٍ، الحقي بأهلِك**»[(٣)].

وثبت في «الصحيحين» أن كعبَ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما أتاه رسولُ رسولِ الله ﷺ يأمُره أن يَعتزلَ امرأتَه قال لها: «**الحقي بأهلِك**»[(٤)].

فاختلف الناسُ في هذا، فقالت طائفةٌ: ليس هذا بطلاقٍ، نواه أو لم ينوِه، وهذا قولُ أهلِ الظاهرِ.

وقال الجُمهورُ -منهم الأئمَّةُ الأربعة وغيرُهم-: بل هذا من ألفاظِ الطلاقِ إذا نوى به الطلاقَ.

---

(١) أخرجه النسائي (٣٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١١)، ومسلم (١٤٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

وقد ثبت في «صحيح البخاري» أن أبانا إسماعيلَ بنَ إبراهيم طلَّقَ امرأتَه لما قال لها إبراهيمُ: مُريه فليُغيِّرْ عتبةَ بابِه، فقال لها: أنت العتبةُ، وقد أمرني أن أفارقَك، الحقي بأهلِك[(١)].

ولم يزلْ هذا اللفظُ من الألفاظِ التي يُطلَّقُ بها في الجاهليةِ والإسلامِ، ولم يُغيِّره النبيُّ ﷺ، بل أقرَّهم عليه، وقد أوقع أصحابُ رسول الله ﷺ به الطلاقَ، وهم القدوةُ.

والله سبحانه ذكر الطلاقَ، ولم يُعيِّن له لفظًا، فعلم أنه رد الناسَ إلى ما يتعارفونه طلاقًا، فأيُّ لفظٍ جرى عُرفهم به، وقع به الطلاقُ مع النيَّةِ.

٨- حكمُ رسولِ الله ﷺ في الظهارِ وبيان ما أنزل الله فيه، ومعنى العَودِ المُوجبِ للكفَّارةِ

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٢ - ٤]

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

قالت عائشةُ: الحمدُ لله الذي وسِع سمعُه الأصواتَ، لقد جاءت خولةُ بنتُ مالك بن ثعلبةَ تشكو إلى رسولِ الله ﷺ وأنا في كِسرِ البيت[(١)] يخفى عليَّ بعضُ كلامِها فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١]»[(٢)].

٩- حكمُ رسولِ الله ﷺ في الإيلاءِ

ثبت في «صحيح البخاري» عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: آلى رسولُ الله ﷺ من نسائه وكانت انفكَّت رِجلُه فأقام في مَشربةٍ له تِسعًا وعشرين ليلةً ثم نزلَ، فقالوا: يا رسولَ الله قد آليت شهرًا! فقال: «**إن الشهرَ يكون تسعًا وعشرين**»[(٣)]، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٢٦].

الإيلاءُ لغةً: الامتناعُ باليمينِ، وخُصَّ في عرف الشرعِ بالامتناعِ باليمينِ من وطءِ الزوجةِ، وجعَلَ سبحانه وتعالى للأزواجِ مدةَ أربعةِ أشهر يمتنعون فيها من وطءِ أزواجهم بالإيلاءِ، فإذا مضَتْ فإما أن يفيءَ، وإما أن يطلِّقَ. وقد اشتُهِرَ عن عليٍّ وابنِ عباسٍ أن الإيلاءَ إنما يكونُ في حالِ الغضبِ دون الرضى، كما وقَعَ لرسولِ الله ﷺ مع نسائِه، وظاهرُ القرآنِ مع الجمهورِ.

---

(١) (كِسْر البيت): جانب البيت، وقيل: هو ما انحدر من جانبي البيت عن الطريقتين، ولكل بيت كسران.
(٢) أخرجه النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (٥٢٨٩).

١٠- حكمُ رسولِ الله ﷺ في اللِّعانِ

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٦ - ٩]

في «صحيح مسلم» من حديثِ ابنِ عمر أنَّ فلانَ بن فلانٍ قال: يا رسولَ الله، أرأيتَ لو وجد أحدُنا امرأتَه على فاحشَةٍ كيف يصنعُ؟ إن تكلَّم تكلَّم بأمرٍ عظيمٍ، وإن سكتَ سكت على مثلِ ذلك؟ فسكت النبيُّ ﷺ فلم يُجبْه، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال: إن الذي سألتُك عنه قد ابتليتُ به، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ هؤلاء الآياتِ التي في سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [النور: ٦]، فتلاهُنَّ عليه ووعظَه وذكَّره، وأخبره أن عذابَ الدنيا أهونُ من عذاب الآخرةِ.

قال: لا، والذي بعثك بالحَقِّ ما كذبتُ عليها، ثم دعاها فوعظَها وذكرها وأخبرها أن عذابَ الدنيا أهونُ من عذابِ الآخرة، قالت: لا، والذي بعثك بالحَقِّ إنه لكاذبٌ، فبدأ بالرجلِ، فشهد أربعَ شهادات بالله إنه لمن الصادقينَ، والخامسةَ أنَّ لعنةَ الله عليه إن كان من الكاذبينَ، ثم ثنَّى بالمرأةِ، فشهدت أربعَ شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسةَ أن غضبَ الله عليها إن كان من الصادقينَ، ثم فرَّق بينهما[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤٨)، ومسلم (١٤٩٣).

وفي «الصحيحين» عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ للمُتلاعنين: «**حِسابكما على الله أحدُكما كاذبٌ، لا سبيلَ لك عليها**»، قال: يا رسولَ الله مالي؟ قال: «**لا مالَ لك، إن كُنت صدقتَ عليها فهو بما استحلَلْت من فرجِها، وإن كنت كذبتَ عليها فهو أبعدُ لك منها**»[1].

وفي لفظٍ لهما: فرَّقَ رسولُ الله ﷺ بين المُتلاعنين وقال: «**والله إن أحدَكما كاذبٌ فهل منكما تائبٌ؟**»[2].

وفيهما عنه: أنَّ رجلًا لاعن على عهدِ رسولِ الله ﷺ، ففرَّق رسولُ الله ﷺ بينَهما، وألحق الولدَ بأمِّه[3].

١١ - في حُكمِه ﷺ في لُحوقِ النسب بالزوج إذا خالف لونُ ولدِه لونَه

ثبت عنه في «الصحيحين» أن رجلًا قال له: إن امرأتي ولدت غلامًا أسودَ - كأنه يُعرِّض بنفيه - فقال النبيُّ ﷺ: «**هل لك من إبلٍ؟**» قال نعم. قال: «**ما لونُها؟**» قال: حُمرٌ. قال: «**فهل فيها من أورقَ؟**» قال: نعم. قال رسولُ الله ﷺ: «**فأنى أتاها ذلك؟**» قال: لعلَّه يا رسولَ الله يكون نزعَه عرقٌ. فقال النبيُّ ﷺ: «**وهذا لعلَّه أن يكون نزعَه عرق**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣١٢)، ومسلم (١٤٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٧)، ومسلم (١٤٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٠٥)، ومسلم (١٥٠٠).

١٢- فصل في حُكمِه ﷺ بالولد للفِراش، وأن الأمةَ تكون فراشًا، وفيمن استُلحِق بعد موتِ أبيه

ثبت في «الصحيحين» من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: اختصم سعدُ بن أبي وقاصٍ وعبدُ بن زمعةَ في غلامٍ، فقال سعدٌ: هذا يا رسولَ الله ابنُ أخي عتبةَ بن أبي وقاصٍ، عهِد إليَّ أنه ابنه، انظر إلى شبهِه!

وقال عبدُ بن زمعةَ: هذا أخي يا رسولَ الله، وُلد على فراشِ أبي من وليدتِه، فنظرَ رسولُ الله ﷺ فرأى شبهًا بيِّنًا بعتبةَ فقال: «**هو لك يا عبدُ بنُ زمعةَ، الولد للفراشِ وللعاهر الحجرُ، واحتجبي منه يا سودةُ**»[(١)] فلم تره سودةُ قط.

١٣- فصل ذكر حكم رسول الله ﷺ في الولد من أحق به في الحضانة

روى أبو داودَ في «سننه» من حديثِ عمرِو بنِ شعيب، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله بنِ عمرو بن العاص: «أن امرأةً قالت: يا رسولَ الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاءً، وثديي له سقاءً، وحجري له حِواءً، وإن أباه طلقني فأراد أن ينتزِعَه مني، فقال لها رسولُ الله ﷺ: **أنت أحقُّ به ما لم تَنكِحي**»[(٢)].

وعن البراءِ بن عازب: «أن ابنةَ حمزةَ اختصَمَ فيها عليٌّ وجعفرٌ وزيدٌ، فقال عليٌّ: أنا أحقُّ بها وهي ابنةُ عمِّي، وقال جعفرٌ: بنت عمِّي وخالتُها عندي، وقال زيدٌ: بنت أخي، فقَضَى بها رسولُ الله ﷺ لخالتِها، وقال: **الخالةُ بمنزلةِ الأمِّ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٨)، ومسلم (١٤٥٧).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٢٧٦).
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٩).

وروى أهلُ السننِ عن أبي هريرةً: «أن امرأةً جاءَت فقالت: يا رسولَ الله، إن زوجي يريدُ أن يذهبَ بابني، وقد سقاني من بئر أبي عنبةَ وقد نفعني، فقال رسولُ الله ﷺ: «**استَهِما عليه**»، فقال زوجها: من يُحاقُّني في ولدي؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**هذا أبوك وهذه أمُّك، فخُذْ بيدِ أيهما شئتَ**»، فأخَذَ بيدِ أمِّه، فانطلَقَت به». قال الترمذي: حديث حسن صحيح(١).

١٤ - ذكرُ حُكمِه ﷺ في النفقةِ على الزوجاتِ، وأنه لم يقدِّرها ولا وردَ عنه ما يدل على تقديرِها، وإنما ردَّ الأزواجَ فيها إلى العرفِ

ثبتَ عنه ﷺ في «الصحيحين» أن هندًا ابنة عتبة امرأةَ أبي سفيانَ قالت له: إن أبا سفيانَ رجل شحيحٌ، ليس يعطيني من النفقةِ ما يكفيني وولدي إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلمُ، فقال: «**خُذي ما يكفيك وولدَك بالمَعروف**»(٢).

وفي «سنن أبي داود» من حديث حكيمِ بن معاويةَ، عن أبيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، ما تقولُ في نسائنا؟ قال: «**أطعموهُنَّ مما تأكلون، واكسوهُنَّ مما تلبسون، ولا تَضربوهن ولا تُقبِّحوهن**»(٣).

وهذا الحكمُ من رسول الله ﷺ مطابقٌ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ورسول الله ﷺ جعلَ نفقةَ المرأةِ مثلَ نفقةِ

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٧٧)، والترمذي (١٣٥٧)، وابن ماجه (٢٣٥١)، والنسائي (٣٤٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).
(٣) أخرجه أبو داود (٢١٤٤)، وابن ماجه (١٨٥٠).

الخادمِ، وسوَّى بينهما في عدم التقديرِ، وردَّهما إلى العرفِ فقال: «**للمملوكِ طعامُه وكسوتُه بالمعروف**»[(١)].

١٥- ذكرُ ما رُوي من حُكمِ رسول الله ﷺ في تمكينِ المرأةِ من فراقِ زوجها إذا أعسرَ بنفقتِها

روى البخاريُّ في «صحيحه» من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أفضلُ الصدقةِ ما تَرك غِنًى**» وفي لفظٍ: «**ما كان عن ظهرِ غِنًى، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**»، تقول المرأةُ: إما أن تطعِمَني وإما أن تطلقني. ويقول العبدُ: أطعمني واستعملني. ويقول الولدُ: أطعمني، إلى من تَدعُني؟ قالوا: يا أبا هريرةَ، سمعت هذا من رسولَ الله ﷺ؟ قال: لا. هذا من كيسِ أبي هريرةَ[(٢)].

١٦- فصل في حُكمِ رسول الله ﷺ الموافقِ لكتاب الله أنه لا نفقةَ للمبتوتة ولا سُكنى

في الصحيح عن عُبيدِ الله بن عبد الله بن عُتبةَ، أن أبا عمرِو بن حفصِ بن المُغيرةِ خرج مع عليِّ بن أبي طالبٍ إلى اليمن، فأرسل إلى امرأته فاطمةَ بنت قيسٍ بتطليقة كانت بقيت من طلاقِها، وأمر لها الحارثُ بن هشامٍ وعيَّاشُ بن أبي ربيعةَ بنفقةٍ، فقالا لها: والله ما لكِ نفقةٌ إلا أن تكوني حاملًا، فأتت رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٦، ٥٣٥٥).

فذكرت له قولها، فقال: «**لا نفقةَ لك**»، فاستأذنته في الانتقالِ فأذن لها، فقالت: أين يا رسولَ الله؟ قال: «**إلى ابن أمِّ مكتومٍ**» وكان أعمى تضع ثيابَها عنده ولا يراها، فلما مضت عدَّتُها أنكحها رسول الله ﷺ أسامةَ بنَ زيدٍ، فأرسل إليها مروانُ قَبيصةَ بن ذؤيبٍ يسألها عن الحديثِ فحدثته به، فقال مروانُ: لم نسمع هذا الحديثَ إلا من امرأةٍ، سنأخذ بالعصمةِ التي وجدنا الناسَ عليها. فقالت فاطمةُ حين بلغها قولُ مروان: بيني وبينكم القرآنُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١] إلى قوله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، قالت: هذا لمن كان له مراجعةٌ، فأيُّ أمر يحدثُ بعد ذلك؟ فكيف تقولون: لا نفقةَ لها إذا لم تكن حاملًا، فعلام تَحبسونها؟!(١).

وروى النسائيُّ في «سننه» هذا الحديثَ بطُرقه وألفاظِه، وفي بعضِها بإسناد صحيحٍ لا مطعنَ فيه، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إنما النفقةُ والسُّكنى للمرأةِ إذا كان لزوجِها عليها الرجعةُ**».

١٧- ذكرُ موافقةِ هذا الحكم لكتابِ الله عَزَّوَجَلَّ

قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:١- ٣]، فدلَّ على جوازِ إخراجِ مَن ليس لزوجِها إمساكُها بعدَ الطلاقِ.

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

١٨- ذكرُ حكمِ رسول الله ﷺ الموافقِ لكتاب الله تعالى من وجوبِ النفقةِ للأقاربِ

روى النسائيُّ عن طارقٍ المُحاربيِّ قال: قدمتُ المدينةَ فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ على المنبرِ يخطب الناسَ وهو يقول: «**يدُ المُعطي العليا، وابدأ بمن تعولُ: أمَّك وأباك، وأختَك وأخاك، ثم أدناك أدناك**»[(١)].

وفي «الصحيحين» عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، من أحقُّ الناسِ بحُسن صحابتي؟ قال: «**أمُّك**»، قال: ثم مَن؟ قال: «**أمُّك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمُّك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك، ثم أدناك أدناك**»[(٢)].

وقد قال النبيُّ ﷺ لهندٍ: «**خُذي ما يكفيك وولدَك بالمعروفِ**»[(٣)].

وفي «سنن أبي داود» من حديث عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن أطيبَ ما أكلتم من كَسبِكم، وإن أولادَكم من كسبِكم؛ فكلوه هَنيئًا**»[(٤)].

وهذا كلُّه تفسيرٌ لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦] فجعل سبحانه حقَّ ذي القُربى يلي حقَّ الوالدين كما جعله رسول الله ﷺ سواءً بسواءٍ.

---

(١) أخرجه النسائي (٢٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩٢)، وأحمد ١١/ ٢٦١-٢٦٢ (٦٦٧٨) واللفظ له.

١٩ - ذكرُ حكم رسولِ الله ﷺ في الرَّضاعةِ وما يحرم بها وما لا يَحرُم، وحُكمه في القدر المُحرِّم منها، وحكمه في إرضاع الكبيرِ: هل له تـأثيرٌ أم لا؟

ثبت في «الصحيحين» من حديث عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الرضاعةَ تُحرِّمُ ما تُحرِّمُ الولادةُ**»[(١)].

وبهذا أجاب ابنُ عباسٍ لما سُئل عن رجلٍ له جاريتان أرضعت إحداهُما جاريةً والأخرى غلامًا، أيحِلُّ للغلامِ أن يتزوجَ الجاريةَ؟ قال: لا، اللقاحُ واحدٌ[(٢)].

وثبت في «صحيح مسلم» عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبيِّ ﷺ «**لا تُحرِّمُ المصَّةُ والمَصَّتان**»[(٣)].

وثبت في «صحيحه» أيضًا: عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان فيما أنزل الله من القرآنِ: عشرُ رضعاتٍ معلوماتٍ يُحرِّمنَ، ثم نُسخن بخمسٍ معلومات، فتُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهُنَّ فيما يُقرأ من القرآن[(٤)].

وثبت في «جامع الترمذي» من حديث أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يُحرِّمُ من الرَّضاعةِ إلا ما فتق الأمعاءَ في الثدي، وكان قبل الفِطامِ**»، وقال الترمذيُّ: حديث صحيحٌ[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٩)، ومسلم (١٤٤٤).
(٢) أخرجه الترمذي (١١٤٩).
(٣) أخرجه مسلم (١٤٥٠).
(٤) أخرجه مسلم (١٤٥٢).
(٥) أخرجه الترمذي (١١٥٢).

وثبَتَ في «صحيح مسلم» عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «جاءَتْ سهلةُ بنتُ سهيلٍ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إني أرى في وجهِ أبي حذيفةَ مِن دخولِ سالمٍ وهو حليفُه، فقال رسول الله ﷺ: **أرضِعيه تحرُمِي عليه**»(١).

فبذلك كانت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تأمرُ بناتَ إخوتها وبناتَ أخواتها أن يُرضعن من أحبت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن يراها ويدخلَ عليها وإن كان كبيرًا خمسَ رضعات، ثم يدخلُ عليها.

وأبت ذلك أمُّ سلمةَ وسائرُ أزواج النبيِّ ﷺ أن يُدخلن عليهن أحدًا بتلك الرضاعةِ من الناسِ حتى يَرضعَ في المهدِ، وقلن لعائشةَ: والله، ما ندري لعلَّها كانت رخصةً من النبيِّ ﷺ لسالمٍ دون الناسِ(٢).

٢٠- ذكرُ حُكمِه ﷺ في العِدَدِ

هذا البابُ قد تولى الله سبحانه بيانَه في كتابه أتمَّ بيانٍ وأوضحه وأجمعَه، بحيث لا تَشذُّ عنه مُعتدَّةٌ، فذكر أربعةَ أنواعٍ من العِدد، وهي جُملة أنواعِها:

النوعُ الأول: عدةُ الحامل بوضع الحملِ مُطلقًا: بائنةً كانت أو رجعيَّةً، مُفارَقةً في الحياة، أو مُتوفى عنها، فقال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق: ٤].

(١) أخرجه مسلم (١٤٥٣).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٦١).

وبهذا احتجَّ جمهورُ الصحابةِ على أن الحاملَ المُتوفَّى عنها زوجُها عِدَّتُها وضعُ حملِها، ولو وضعته والزوجُ على المُغتسَلِ كما أفتى به رسول الله ﷺ لسُبيعةَ الأسلميةِ(١).

النوعُ الثاني: عدةُ المطلقةِ التي تحيضُ، وهي ثلاثةُ قُروءٍ، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

النوعُ الثالث: عدةُ التي لا حيض لها، وهي نوعان: صغيرةٌ لم تحض، وكبيرةٌ قد يئست من الحيضِ، فبيَّن الله سبحانه عدةَ النوعين بقولِه: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: ٤] أي: فعِدَّتهنَّ كذلك.

النوعُ الرابع: المُتوفَّى عنها زوجُها فبيَّن عِدَّتها سبحانه بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فهذا يَتناولُ المدخولَ بها وغيرَها، والصغيرةَ والكبيرةَ، ولا تدخلُ فيه الحاملُ.

٢١- ذكرُ حكمِ رسول الله ﷺ باعتدادِ المتوفَّى عنها في منزِلها الذي توفِّي زوجُها وهي فيه، وإنه غيرُ مخالف لحُكمِه بخروج المَبتوتةِ واعتدادِها حيث شاءت

ثبت في «السنن» عن زينبَ بنتِ كعب بن عُجرةَ، عن الفُريعةِ بنت مالكٍ أخت أبي سعيدٍ الخدريِّ أنها جاءت إلى رسولِ الله ﷺ تسأله أن تَرجعَ إلى أهلِها في بني خُدْرةَ، فإن زوجَها خرج في طلب أعبُدٍ له أبَقوا حتى إذا كانوا بطَرفِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٢٠)، ومسلم (١٤٨٤).

القَدوم لِحِقهم فقتلوه؛ فسألتُ رسولَ الله ﷺ أن أرجعَ إلى أهلي؛ فإني لم يتركني في مَسكنٍ يملكه ولا نفقةٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**نعم**»، فخرجتُ حتى إذا كنت في الحجرةِ، أو في المسجدِ دعاني، أو أمر بي فدُعيتُ له، فقال: «**كيف قلتِ؟**» فرددتُ عليه القِصةَ التي ذكرتُ من شأن زوجي، قالت: فقال: «**امكُثي في بيتِك حتى يبلُغَ الكتابُ أجلَه**» قالت: فاعتددتُ فيه أربعةَ أشهر وعشرًا، قالت: فلما كان عثمانُ، أرسل إليَّ فسألني عن ذلك فأخبرتُه، فقضى به واتَّبعه[(١)].

٢٢- ذكرُ حُكمِ رسول الله ﷺ في إحدادِ المعتدَّةِ نفيًا وإثباتًا

ثبت في «الصحيحين»[(٢)] عن زينبَ بنت أبي سلمةَ أنها دخلت على أمِّ حَبيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -زوجِ النبيِّ ﷺ- حين تُوفِّي أبوها أبو سفيانَ فدعت أم حبيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بطِيبٍ فيه صُفرةُ خَلوق أو غيره، فدهنت منه جاريةً، ثم مسَّت بعارضيها، ثم قالت: والله ما لي بالطِّيب من حاجةٍ غير أني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول على المِنبر: «**لا يَحِلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر تُحِدُّ على ميِّتٍ فوق ثلاثٍ، إلا على زوجٍ أربعةَ أشهر وعشرًا**».

قالت زينبُ: ثم دخلتُ على زينبَ بنت جحشٍ حين تُوفِّي أخوها فدعت بطيبٍ فمست منه، ثم قالت: والله ما لي بالطِّيبِ من حاجة غير أني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول على المنبرِ: «**لا يَحِلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر تُحِدُّ على ميت فوق ثلاثٍ، إلا على زوج أربعةَ أشهر وعشرًا**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٠٠)، والترمذي (١٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢)، ومسلم (١٤٨٦، ١٤٨٧).

قالت زينبُ: وسمعت أمِّي أمَّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: جاءت امرأةٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إن بنتي تُوفِّي عنها زوجُها، وقد اشتكت عينَها أفتُكحِّلُها؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**لا**» مَرَّتين، أو ثلاثًا، كُلُّ ذلك يقول: «**لا**»، ثم قال: «**إنما هي أربعةُ أشهرٍ وعشرًا، وقد كانت إحداكُنَّ في الجاهلية ترمي بالبَعرة على رأسِ الحولِ**».

فقالت زينبُ: كانت المرأةُ إذا تُوفِّي عنها زوجُها دخلت حفشًا ولبست شرَّ ثيابِها، ولم تمسَّ طيبًا، ولا شيئًا، حتى يَمرَّ بها سنةٌ، ثم تؤتى بدابةٍ: حمار، أو شاةٍ، أو طير فتَفْتَضُّ به[1]، فقلما تفتضُّ بشيء إلا مات، ثم تخرج فتُعطى بعرةً فترمي بها، ثم تُراجِع بعدُ ما شاءت من طيبٍ، أو غيره.

وفي «الصحيحين» عن أمِّ عطيةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا تُحِدُّ امرأةٌ على ميتٍ فوقَ ثلاثٍ إلا على زوجٍ أربعةَ أشهرٍ وعشرًا، ولا تلبسُ ثوبًا مصبوغًا إلا ثوبَ عصبٍ، ولا تكتحلُ، ولا تمسُّ طيبًا، إلا إذا طهرتْ نُبذةً من قسطٍ أو أظفارٍ[2]»[3].

وفي «سنن أبي داود» عن أمِّ سلمةَ زوجِ رسول الله ﷺ أنه قال: «المتوفَّى عنها زوجُها لا تلبسُ المعصفرَ من الثيابِ، ولا الممشَّقة، ولا الحُليَّ، ولا تكتحلُ، ولا تختضبُ»[4].

---

(١) (تَفْتَضُّ): أي تكسر ما هي فيه من العدة بطائر تتمسح به، وتنبذه فلا يكاد يعيش ما تفتض به.

(٢) (القُسْط والأَظْفار): نوعان معروفان من البخور.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٣)، ومسلم (٩٣٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٣٠٤)، والنسائي (٣٥٣٥).

٢٣- فصل ذكر حُكمِ رسولِ الله ﷺ في الاستبراءِ

ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ يومَ حنين بعث جيشًا إلى أوطاس فلقي عدوًّا فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا سبايا، فكأن ناسًا من أصحاب رسولِ الله ﷺ تحرَّجوا من غِشيانهن من أجلِ أزواجهن من المشركين فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]» أي: فهن حلالٌ لكم إذا انقضَت عِدَّتهن[1].

وفي «صحيحه» أيضًا: من حديث أبي الدرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ مرَّ بامرأةٍ مُجِحٍّ على باب فُسطاطٍ فقال: «**لعله يريد أن يُلمَّ بها**»، فقالوا: نعم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد هممتُ أن ألعنه لعنًا يدخل معه قبرَه، كيف يُورِّثُه وهو لا يحلُّ له، كيف يستخدمُه وهو لا يَحِلُّ له**»[2].

وفي «المسند» و«سنن أبي داود» من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال في سبايا أوطاس: «**لا تُوطأ حاملٌ حتى تضعَ، ولا غيرُ ذات حملٍ حتى تحيضَ حيضةً**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٤١).

(٣) أخرجه أحمد ١٧/ ٣٢٦ (١١٢٢٨)، وأبو داود (٢١٥٧).

[رابعا: كتاب البيوع]

ذكرُ أحكامِه ﷺ في البيوعِ

١- ذكرُ حكمِه ﷺ فيما يَحرُم بيعه

ثبت في «الصحيحين» من حديث جابرِ بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**إن الله ورسولَه حرم بيعَ الخمر والميتةَ والخنزيرَ والأصنامَ**»، فقيل: يا رسولَ الله، أرأيت شحومَ الميتة، فإنها يطلى بها السفنُ ويدهن بها الجلودُ، ويَستصبح بها الناسُ؟ فقال: «**لا، هو حرام**»، ثم قال رسولُ الله ﷺ عند ذلك: «**قاتل الله اليهودَ، إن الله لما حرَّمَ عليهم شحومَها جَمَلوه ثم باعوه فأكلوا ثمنَه**»[1].

فاشتملت هذه الكلماتُ الجوامعُ على تحريم ثلاثةِ أجناس: مشاربُ تُفسد العقولَ، ومطاعمُ تفسد الطباعَ وتُغذِّي غذاء خبيثًا؛ وأعيانٌ تُفسد الأديان وتدعو إلى الفتنةِ والشرك.

٢- حكمُ رسولِ الله ﷺ في ثمنِ الكلب والسِّنَّورِ

في «الصحيحين» عن أبي مسعودٍ، أن رسولَ الله ﷺ نهى عن ثمنِ الكلب ومهرِ البَغيِّ، وحُلوانِ الكاهن[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٣٧)، ومسلم (١٥٦٧).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي الزبيرِ قال: سألت جابرًا عن ثمن الكلبِ والسِّنَّورِ، فقال: زَجَرَ رسولُ الله ﷺ عن ذلك[(١)].

وفي «صحيح مسلم» من حديثِ رافعِ بن خَديجٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**شرُّ الكسب مهرُ البَغيِّ، وثمنُ الكلب، وكسبُ الحجَّامِ**»[(٢)].

٣- فصل في حُكمِه ﷺ في بيعِ عسْبِ الفحل وضِرابه

في «صحيح البخاري» عن ابنِ عُمرَ أن رسول الله ﷺ نهى عن عَسْبِ الفحلِ[(٣)].

وفي «صحيح مسلم» عن جابرٍ أن رسول الله ﷺ نهى عن بيعِ ضِراب الفحلِ[(٤)].

وهذا الثاني تفسيرٌ للأوَّلِ.

٤- ذكرُ حكمِه ﷺ في المنعِ من بيعِ الماءِ الذي يَشتركُ فيه الناسُ

في صحيح مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن بيعِ ضِراب الفحلِ، وعن بيعِ الماءِ والأرضِ لتُحرث، فعن ذلك نهى رسولُ الله ﷺ[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٥٦٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٢٨٤).
(٤) أخرجه مسلم (١٥٦٥).
(٥) أخرجه مسلم (١٥٦٥).

وفي «الصحيحين» عن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يُمنعُ فضلُ الماءِ ليمنع به الكلأُ**»[(١)].

٥- ذكرُ حُكمِ رسولِ الله ﷺ في منع الرجلِ من بيع ما ليس عنده

في «السنن» و«المسند» من حديثِ حكيمِ بن حِزامٍ قال: قلت: يا رسولَ الله، يأتيني الرجلُ يسألني من البيعِ ما ليس عندي، فأبيعُه منه، ثم أبتاعُه من السوقِ، فقال: «**لا تَبِعْ ما ليس عندك**»[(٢)]، قال الترمذي: حديث حسن.

٦- ذكرُ حُكمِ رسول الله ﷺ في بيعِ الحصاةِ والغرر والمُلامسةِ والمُنابذةِ

في «صحيح مسلم» عن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن بيعِ الحَصاةِ، وعن بيع الغَررِ[(٣)].

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيدٍ قال: نهانا رسولُ الله ﷺ عن بَيعتين ولُبستينِ: نهى عن المُلامسةِ والمُنابذةِ في البيعِ، والمُلامسةُ: لمسُ الرجل ثوبَ الآخر بيدِه بالليل أو بالنهارِ ولا يُقَلِّبُه إلا بذلك، والمُنابذةُ: أن يَنبِذَ الرجلُ إلى الرجل ثوبَه، وينبذ الآخرُ ثوبَه، ويكون ذلك بيعَهما من غير نظرٍ ولا تراضٍ[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٣)، ومسلم (١٥٦٦).

(٢) أخرجه أحمد ٢٤/ ٢٥ (١٥٣١١)، وأبو داود (٣٥٠٣)، والترمذي (١٢٣٢)، والنسائي (٤٦١٣)، وابن ماجه (٢١٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٥١٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٥١٢).

وفُسِّر بيعُ الحصاة بأن يقول: ارم هذه الحصاةَ، فعلى أيِّ ثوب وقعت فهو لك بدرهمٍ.

وفُسِّر بأن يبيعَه من أرضِه قدرُ ما انتهت إليه رميةُ الحصاةِ.

وفُسِّر بأن يَقبضَ على كَفٍّ من حصًا ويقول: لي بعددِ ما خرج في القبضةِ من الشيء المَبيعِ.

أو يبيعَه سلعةً ويقبضَ على كفٍّ من الحصا، ويقول: لي بِكُلِّ حصاة درهمٌ.

وفُسِّرَ بأن يُمسكَ أحدُهما حصاةً في يدِه، ويقول: أيُّ وقت سقطت الحصاةُ وجب البيعُ.

وفُسِّر بأن يتبايعا ويقول أحدُهما: إذا نبذتُ إليك الحصاةَ فقد وجب البيعُ.

وفسر بأن يَعترضَ القطيعَ من الغنم، فيأخذ حصاةً، ويقول: أيَّ شاةٍ أصبتَها فهي لك بكذا.

وهذه الصورُ كُلُّها فاسدةٌ لما تتضمَّنه من أكلِ المال بالباطلِ، ومن الغَررِ والخطرِ الذي هو شبيه بالقِمار.

فهرس الموضوعات

[ثالثًا: كتاب الجنائز]

[رابعًا: كتاب الزكاة]

[خامسًا: كتاب الصيام]

[سادسًا: كتاب الاعتكاف]

[سابعًا: كتاب الحج والعمرة]

[ثامنًا: كتاب الذكر]

[تاسعًا: كتاب الجهاد]

[عاشرًا: كتاب] في سِياقِ مَغازيهِ وبُعوثِهِ على وَجْه الاختِصار

[القسم الثالث: الطب النبوي]

[أولًا] العلاجُ بالأدويةِ الطبيعيَّةِ

[ثانيًا:] في هديه ﷺ في العلاجِ بالأدوية الرُّوحانيةِ الإلهيَّةِ المُفردة والمركَّبةِ منها ومن الأدويةِ الطبيعيَّةِ

[القسم الرابع] فصولٌ في هديِه ﷺ في أقضيتِه وأحكامِه

[أولًا: كتاب جامع]

[ثانيًا: كتاب النكاح]

[ثالثًا: كتاب الطلاق]

[رابعًا: كتاب البيوع]

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥)

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض

أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض

(ت ٥٤٤هـ)





اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

يباع بسعر التكلفة

مختصر الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

ح أحمد بن عثمان المزيد، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المزيد، أحمد عثمان
موسوعة محمد رسول الله ﷺ الوقفية دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله. / أحمد عثمان المزيد.
الرياض، ١٤٣٨هـ
٦ مج
ردمك: ٨-٤٣٩٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٤٣٩٨-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)
١- السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٨/٦٥٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٥٩٣
ردمك: ٨-٤٣٩٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٤٣٩٨-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

الطَّبْعَةُ الأولى
(١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

المجلدُ الخامس

تُباع الموسوعة بسعر التكلفة بدعم من المختصر ووالديه عثمان بن أحمد المزيد وحصة بنت حمد المزيد

مدار الوطن للنشر
هاتف: 00966 112313018 جوال: 00966 500996987
تطلب من جميع فروع مكتبة جرير

مَوْسُوعَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ٥
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مُختَصَرُ الشِّفَا

بتعريفِ حُقُوقِ المصطفى ﷺ

لِلقاضِي عِياض

أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض
(ت ٥٤٤هـ)





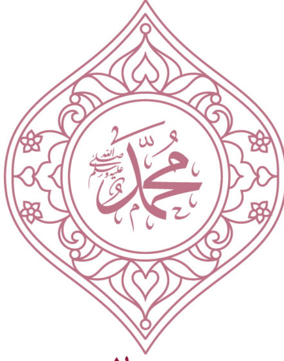
اختصره
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

إِهْدَاءٌ إلى

مَنْ غَايَتُهُ مُرَافقة

مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فِي الجَنَّةِ



خِصَالُ الكَمَالِ وَالجَلَالِ فِي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(إذا كان الواحدُ منا يشرفُ بواحدةٍ أو اثنتينِ من خصالِ الكمالِ والجلالِ فما ظنكَ بعظيمِ قدرِ محمد رسول الله ﷺ مَن اجتمعَت فيه كلُّ هذه الخصالِ: مِن فضيلةِ النبوةِ والرسالةِ، والخلَّةِ، والمحبةِ، والاصطفاءِ، والإسراءِ، والقربِ، والشفاعةِ، والوسيلةِ والفضيلةِ، والمقامِ المحمودِ، والبراقِ والمعراجِ، والبعثِ إلى الأحمرِ والأسودِ، والصلاةِ بالأنبياءِ، والشهادةِ بينَ الأنبياءِ والأممِ، وسيادةِ ولدِ آدمَ، ولواءِ الحمدِ، ورحمة للعالمين، وإعطاءِ الرضى والسؤل، والكوثرِ، وإتمامِ النعمةِ، والعفوِ عما تقدَّمَ وما تأخَّرَ، وشرحِ الصدرِ، ووضعِ الإصرِ، ورفعِ الذكرِ، وعزَّةِ النصرِ، والتأييدِ بالملائكةِ، وإيتاءِ الكتابِ والحكمةِ والسبعِ المثاني والقرآنِ العظيم، وصلاةِ الله تعالى والملائكةِ، والقَسَمِ باسمِه، وإجابةِ دعوتِه، وتكليمِ الجماداتِ والعجمِ، ونبعِ الماءِ مِن بينِ أصابعِه، وانشقاقِ القمرِ، والنصرِ بالرعبِ، وظلِّ الغمامِ، وتسبيحِ الحصى، والعصمةِ من الناسِ، إلى ما لا يحويه محتفلٌ، ولا يحيطُ بعلمِه إلا مانحُه ذلك ومُفضِّلُه به، لا إله غيرُه).

[مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس، (ص51- 52) باختصار]



بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بموسوعة محمد رسول الله ﷺ

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ رسول الله ﷺ، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ:**

فتمتازُ هذه الموسوعةُ -التي استغرَقَ العملُ فيها نحوًا مِن عامينِ- بجمعِها لأهمِّ علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في وعاءٍ واحدٍ، وانتقاءِ أفضلِ ما كتبَه أئمةُ سلفِنا الصالحِ وعلماؤهم في كل فنٍّ مِن فنونِها، مما لقيَ شهرةً وقبولًا لدى الأمةِ، وقد قمتُ باختصارِ هذه الكتبِ وتهذيبِها، نسأل الله الإخلاص والقبول.

وكان منهجي في اختصارِ كتبِ هذه الموسوعةِ أن تكونَ على أفضلِ الطبعاتِ المعتمدةِ لكلِّ كتابٍ، مع حذفِ الضعيفِ وما دونَه، والاستطراداتِ، وما أغنَى عنه غيرُه، أو كان مكرَّرًا سبقَ ذكرُه، وكذلك أسانيدُ الأحاديثِ إلا الصحابيَّ أو مَن دونَه مما يحتاجُ الكلامُ إليه، وقد حافظتُ على لفظِ المصنفِ وترتيبِه، فإن زدتُ في عنواناته شيئًا وضعتُه بين معقوفَين، وكذا ما كان مِن طبعةٍ أخرى غيرِ التي اعتمدتُها.

وكان هدفي مِن هذا المنهجِ تقريبَ سيرة النبي ﷺ وتيسيرَها؛ لنتعلَّمَ جميعًا علومَها وفنونَها من كتبِ علماءِ سلفِنا الصالحِ الأصيلةِ، لنحقِّقَ الاقتداءَ به ﷺ في عقيدتِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه؛ فنسعدُ في الدنيا ونفوزُ بالآخرةِ.

وقد اقتصرتُ في الحاشيةِ على التخريجِ الموجزِ للأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ والآثارِ، وبيانِ غريبِ ألفاظِها.

(*) هذا تعريف موجز بالموسوعة، وقد تقدَّم التعريف بها مفصَّلًا في صدر المجلد الأول.

وقد جاءَ هذا الإصدارُ الأوَّلُ مِن «**موسوعة محمد رسول الله ﷺ**» جامعًا لستةِ علومٍ مِن علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في ستةِ مجلداتٍ، عبرَ اختصارِ ثمانيةِ كتبٍ، وهي على النحو التالي:

المجلد الأول: ١- في علم الدلائل [كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت٤٣٠هـ)]

المجلد الثاني: ٢- في علم السيرة النبوية [كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام (ت٢١٨هـ)]

المجلد الثالث: ٣- في علم الخصائص [كتاب «غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن(ت٨٠٤هـ)]

٤- في علم الشمائل، وفيه ثلاثة كتب، هي:

- [كتاب «شمائل النبي ﷺ» للترمذي (ت٢٧٩هـ)]
- [كتاب «محمد رسول الله ﷺ والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر»، لـ أ.د أحمد بن عثمان المزيد]

المجلد الرابع: - [كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)]

المجلد الخامس: ٥- في علم حقوق النبي ﷺ: [كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)]

المجلد السادس: ٦- في علم الحديث النبوي الشريف: [كتاب «رياض الصالحين» للنووي (ت٦٧٦هـ)]

في علم حقوق النبي ﷺ

أهميته:

إن حقوقَ النبيِّ ﷺ على أمتِه لهي في جملتِها الأصلُ الثاني من أصلَي الدين، كما يدل عليه قولُنا: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله**»؛ ولذا ينبغي على المسلمِ أن يحيطَ بتلك الحقوقِ معرفةً، ويلتزم بها اعتقادًا وقولًا وعملاً، فذلك عقدٌ من عقودِ الإيمانِ.

وهذه الحقوقُ منها ما يتصلُ بجانبِ الرسالةِ التي بُعِثَ بها ﷺ، ومنها ما يتعلَّقُ بشخصِ رسول الله ﷺ تفضيلًا وتكريمًا مِن الله له.

وحقوقُ النبيِّ ﷺ على أمتِه كثيرةٌ، فمنها: الإيمانُ الصادقُ به ﷺ قولًا وفعلًا، وتصديقُه في كلِّ ما جاءَ به ﷺ، ووجوبُ طاعتِه، والحذرُ مِن مخالفتِه ﷺ، ووجوبُ التحاكمِ إليه والرِّضَى بحكمِه، وإنزالُه منزلتَه ﷺ بلا غلوٍ ولا تقصيرٍ، واتخاذُه قدوةً وأُسْوةً في جميعِ الأمورِ، ومحبتُه أكثرَ مِن النفسِ والأهلِ والمالِ والولدِ والناسِ أجمعين، وتوقيرُه، ونصرتُه، والذبُّ عن شريعتِه وسنتِه، والصلاةُ عليه... إلخ.

ترجمة القاضي عياض (ت ٥٤٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو أبو الفضلِ عِياضُ بنُ عمرون بنِ موسى بنِ عِياض، اليَحْصبِيُّ، سَبْتِيُّ الدارِ والميلادِ، أندلسيُّ الأصلِ.

تاريخ مولده:

وُلِدَ القاضي عياضُ في منتصف شهر شعبان عام (٤٧٦هـ) في سَبْتَة[(١)].

نشأته وأخلاقه:

قال عنه ابنُه محمد: «نشَأَ أبي على عفةٍ وصيانةٍ، مرضيَّ الحالِ، محمود الأقوالِ والأفعالِ، موصوفًا بالنُّبْلِ والفهم والحذقِ، طالبًا للعلم حريصًا عليه، مجتهدًا فيه، معظمًّا عندَ الأشياخ مِن أهلِ العلم، كثيرَ المجالسةِ لهم والاختلافِ إليهم، إلى أن برَعَ أهلَ زمانِه وسادَ جملةَ أقرانِه؛ فكان مِن حفَّاظِ كتاب الله تعالى، مع القراءةِ الحسنةِ والنغمةِ العذبةِ، والصوتِ الجهيرِ، والحظِّ الوافرِ من تفسيرِه وجميع علومِه، وكان مِن أئمَّةِ الحديثِ في وقتِه، أصوليًّا متكلمًا فقيهًا، حافظًا للمسائلِ عاقدًا للشروطِ، بصيرًا بالأحكام، نحويًّا ريَّانًا مِن الأدبِ، شاعرًا مجيدًا، كاتبًا خطيبًا، حافظًا للغةِ والأخبارِ والتواريخ، حسنَ المجلسِ، نبيلَ النادرةِ، حلوَ الدعابةِ، صبورًا حليمًا، جميلَ العشرةِ، جوادًا سمحًا، كثيرَ الصداقةِ، دؤوبًا على العملِ، صلبًا في الحقِّ»[(٢)].

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ٤٦-٥١ باختصار).

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لأحمد بن محمد المقري (٣/ ٨).

شيوخه وطلبه للعلم ومناصبه:

قال ابنه عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخَذَ عن أشياخ بلدتِه سَبْتَة كالقاضي أبي عبد الله بن عيسى والخطيبِ أبي القاسم والفقيهِ أبي إسحاق بن الفاسي وغيرهم»[(١)].

رحَلَ إلى الأندلسِ سنة (٥٠٧هـ) طالبًا للعلم، وبعدَ عودِه مِن الأندلس أجلسَه أهلُ سبتةَ للمناظرةِ عليه في المدونةِ وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عنها، ثم أُجلس للشورى، ثم وَلي قضاءَ بلدِه مدةً طويلة حمدت سيرتُه فيها، ثم نقلَ إلى قضاءِ غرناطةَ في سنة (٥٣١هـ) ولم يطل أمرُه بها، ثم وَلِي قضاءَ سَبْتَة ثانيًا[(٢)].

محنته:

لما ظهَرَ أمرُ الموحدين بادَرَ إلى المسابقةِ بالدخولِ في طاعتِهم ورحَلَ إلى لقاء أميرِهم بمدينة سلا، فأجزَلَ صلتَه وأوجبَ برَّه، إلى أن اضطربَتْ أمورُ الموحدين عام (٥٤٣هـ) فتلاشت حالُه ولحق بمراكش مشردًا به عن وطنِه، فكانت بها وفاتُه[(٣)].

تصانيفه:

للقاضي عياض تصانيف مفيدة، منها: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وإكمال المعلم في شرح مسلم، وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، وجامع التاريخ، ومشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار وغيرها.

وفاته: تُوفِّي القاضي عياض بمراكش في شهر جمادى الأخيرة، وقيل: في شهر رمضان سنة (٥٤٠هـ).

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لأحمد بن محمد المقري (٣/ ٨).

(٢) ينظر: السابق.

(٣) ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون(٢/ ٤٨).

التعريف بكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ الشفا بتعريفِ حقوقِ المصطفى للقاضي عياضِ مِن أوائلِ المصنفات التي تناولت خصائصَ النبيِّ ﷺ وأفردتها بمصنفٍ، وقد تميز بحسنِ ترتيبِه وتقسيمِه وجمال عرضِه، وبهاءِ لغته وفصاحتها.

«وكتابُ الشفا أجمعُ وأجلُّ مصنفٍ يبحثُ في شرفِ المصطفى ﷺ وقدرِه العظيمِ ومنصبِه الجليلِ، يتناولُ ذلك من جوانبَ فقهيةٍ أصوليةٍ عقديةٍ، بأسلوبٍ بليغ، وبيانٍ بديع، وحججٍ قويةٍ، وبراهينَ ساطعةٍ، مؤيدةً بالدليلِ مِن قرآنٍ وسنةٍ وأقوالِ السلفِ والأئمةِ.

والغايةُ مِن هذا الكتابِ ليس إقناعَ جاحدٍ، ولا قهرَ معاندٍ، وإنما ليكونَ منهاةً لأعمالِ المسلمين، وزيادةً في إيمانِ المؤمنين، ومحبةً في سيدِ المرسلين، وقد أبان المصنفُ عن هذه الغايةِ في أولِ البابِ الرابعِ مِن القسمِ الأولِ»[(١)].

ترتيبه ومنهجه:

يقولُ القاضي عياض في مقدمةِ كتابِه، معرِّفًا بترتيبِه ومنهجِه: «حصرتُ الكلامَ فيه في أربعة أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: في تعظيمِ العليِّ الأعلى لقدرِ هذا النبيِّ ﷺ قولًا وفعلًا.

القسمُ الثاني: فيما يجبُ على الأنامِ مِن حقوقِه ﷺ.

---

(١) مقدمة الشفا للقاضي عياض، تحقيق عبده كوشك (ص٨ بتصرف يسير).

القسمُ الثالثُ: فيما يستحيلُ في حقِّه ﷺ، وما يجوزُ عليه، وما يمتنعُ ويصحُّ مِن الأمورِ البشريةِ أن يُضافَ إليه.

وهذا القسمُ -أكرمَك الله تعالى- هو سرُّ الكتابِ، ولبابُ ثمرةِ هذه الأبوابِ، وما قبلَه له كالقواعدِ والتمهيداتِ والدلائلِ على ما نوردُه فيه مِن النكتِ البيناتِ، وهو الحاكمُ على ما بعدَه، والمنجزُ من غرضِ هذا التأليفِ وعدَه.

القسمُ الرابعُ: في تصرُّفِ وجوهِ الأحكامِ على مَن تنقَّصَه أو سبَّه ﷺ»[(١)].

اهتمام العلماء به وثناؤهم عليه:

وقد نال كتابُ الشفا للقاضي عياض حظًّا وافرًا مِن اهتمامِ العلماءِ، وتنوَّعَتْ طرقُ خدمتِهم لهذا الكتابِ مِن بين شرحٍ واختصارٍ إلى تخريجٍ وترجمةٍ وتهذيبٍ:

فمِن شروحِه المطبوعة:

١- شرح الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ).

٢- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، لشهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، وهو شرح موسع في مجلدات.

٣- مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء لأحمد بن محمد الشمني (ت٨٧٣هـ).

ومن مختصراته:

١ـ مختصر الإسنوي (ت٧٦٣هـ).

٢ـ مختصر لمحمد بن محمود، انتهى منه سنة ٩٦٠ هـ.

---

(١) (ص٢٠).

ومن تخريجاته:

- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

وقد حاز كتابُ القاضي عياض مِن ثناءِ العلماءِ على قصبِ السبقِ:

قال ابنُ فرحون (ت٧٩٩هـ): «أبدَعَ فيه كلَّ الإبداع، وسلَّمَ له أكفاؤُه كفايتَه فيه، ولم ينازِعْه أحدٌ من الانفرادِ به، ولا أنكروا مزيةَ السبقِ إليه، بل تشوَّفوا للوقوفِ عليه، وأنصفُوا في الاستفادةِ منه، وحملَه الناسُ عنه، وطارَتْ نُسَخُه شرقًا وغربًا»[(١)].

وقال الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ): «أجمعُ ما صُنِّفَ في بابِه، مجملًا في الاستيفاءِ لعدمِ إمكانِ الوصولِ إلى انتهاءِ الاستقصاءِ»[(٢)].

وقال أحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ): «بلَغَ فيه الغايةَ القصوى، وكان فيه لضروبِ الإحسانِ مرتشفًا، وبذَّ فيه المؤلفين وأربَى، وحاز قصبَ السبقِ به دونَهم، وطار صيتُه شرقًا وغربًا»[(٣)].

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصرِ على طبعة وحدة البحوث والدراسات بدبي، تحقيق عبده كوشك، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٤هـ، وقد اعتمد محققه على طبعة البجاوي ومقابلتها بنسخة من الكتاب محفوظة بالمكتبة الظاهرية.

(١) الديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ٤٩)
(٢) شرح الشفا للملا علي القاري(١/ ٩).
(٣) أزهار الرياض في أخبار عياض لأحمد بن محمد المقري (٤/ ٢٧١).

5 موسوعة محمد رسول الله ﷺ

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر الشفا بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت٥٤٤هـ)

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

[مقدمة المصنف]

بسمِ الله الرحمنِ الرحيم، وبه أتوكلُ

قال الفقيهُ القاضي الإمامُ الحافظ أبو الفضلِ عياضُ بن موسى بن عياضٍ اليَحْصُبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه:

الحمد لله المنفرِدِ باسمه الأَسمى، المختصِّ بالعزِّ الأَحمى، الذي ليس دونَه مُنتهى ولا وراءه مَرمى، وَسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، وأسبغَ على أوليائه نِعمًا عُمًّا، وبعثَ فيهم رسولًا من أنفُسِهم، أنفَسَهم عربًا وعجمًا، وأزكاهُم مَحتِدًا ومَنمَى، وأرجَحَهم عقلًا وحلمًا، وأوفَرَهم علمًا وفهمًا، وأقواهُم يقينًا وعَزمًا، وأشدَّهُم بهم رأفةً ورُحمًا، صلى الله عليه وسلم صلاةً تَنمو وتُنمى، وعلى آله وسلم تسليمًا.

أما بعدُ، فإنك كَرَّرتَ عليَّ السؤالَ في مجموعٍ يتضمن التعريفَ بقدرِ المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجبُ له من توقيرٍ وإكرامٍ، وما حُكمُ من لم يوفِّ واجبَ عظيمِ ذلك القدرِ، أو قصرَ في حقِّ منصبِه الجليلِ قُلامةَ ظُفرٍ، وأن أجمعَ لك ما لأسلافِنا وأئمتِنا في ذلك من مقالٍ، وأبينَه بتنزيلِ صورٍ وأمثالٍ.

فاعلم رَحِمَك الله أنك حَمَّلتَني من ذلك أَمرًا إِمْرًا[1]، وأرهَقتَني فيما نَدَبتني إليه عُسرًا، وأرْقَيتَني بما كلَّفتني مُرتقًى صعبًا، ملأ قلبي رُعبًا، فإن الكلامَ في ذلك يَستدعي تقديرَ أصولٍ، وتَحريرَ فصولٍ، والكشفَ عن غوامضَ ودقائقَ من علم الحقائقِ، مما يَجبُ للنبيِّ ﷺ ويُضافُ إليه، أو يَمتنعُ أو يجوزُ عليه، ومعرفةُ النبيِّ والرسولِ، والرسالةِ والنبوة، والمحبةِ والخُلةِ، وخصائصِ هذه الدرجةِ العليَّةِ.

---

(١) (إمْرًا): شديدًا.

فبادرتُ إلى نكتٍ مُسفرةٍ عن وجهِ الغرضِ، مؤديا من ذلك الحقَّ المفترَض، اختلستُها على استعجالٍ، لما المرءُ بصددِه من شغلِ البدنِ والبالِ، بما طُوِّقَه الإنسانُ من مقاليدِ المحنةِ التي ابتُلِيَ بها فكادَت تشغلُ عن كل فرضٍ ونفلٍ، وتردُّ بعد حصنِ التقويمِ إلى أسفلِ سُفلٍ، ولو أرادَ الله بالإنسانِ خيرًا لجعلَ شغلَهُ وهمَّهُ كلَّهُ فيما يُحمدُ غدًا ولا يُذمُّ محله، فليس ثَمَّ سوى نضرةِ النعيمِ أو عذابِ الجحيم، ولكان عليه بخويصتِه، واستنقاذِ مُهجتِه، وعملٍ صالح يستزيدُه، وعلم نافعٍ يفيدُه أو يستفيدُه. جبرَ الله تعالى صدعَ قلوبِنا، وغفرَ عظيمَ ذنوبِنا، وجعلَ جميع استعدادِنا لمعادِنا، وتوفُّرِ دواعينا فيما يُنجينا ويُقربنا إليه تعالى زُلفى، ويُحظينا بمنِّه وكرمِه ورحمته.

ولما نويتُ تقريبَه، ودرَّجت[١] تبويبَه، ومهدتُ تأصيله وخلَّصتُ تفصيلَه، وانتحيتُ حصرَه وتحصيلَه- ترجمتُه بـ«الشِّفا بتَعريفِ حُقوقِ المصُطَفى».

وحصرتُ الكلامَ فيه في أقسامٍ أربعةٍ:

القسمُ الأولُ: في تعظيمِ العليِّ الأعلى لقدرِ هذا النبيِّ ﷺ قولًا وفعلًا.

القسمُ الثاني: فيما يجبُ على الأنامِ مِن حقوقِه ﷺ.

القسمُ الثالثُ: فيما يستحيلُ في حقِّه ﷺ، وما يجوزُ عليه، وما يمتنعُ ويصحُّ مِن الأمورِ البشريةِ أن يُضافَ إليه.

وهذا القسمُ -أكرمَك الله تعالى- هو سرُّ الكتابِ، ولبابُ ثمرةِ هذه الأبوابِ، وما قبلَه له كالقواعدِ والتمهيداتِ والدلائلِ على ما نوردُه فيه مِن النكتِ البيناتِ، وهو الحاكمُ على ما بعدَه، والمنجزُ من غرضِ هذا التأليفِ وعدَه.

القسمُ الرابعُ: في تصرُّفِ وجوهِ الأحكامِ على مَن تنقَّصَه أو سبَّه ﷺ.

---

(١) (درَّجت)أي: أدناه منه على التدريج.

القسمُ الأولُ

في تعظيمِ العلي الأعلى لقدرِ النبيِّ المصطفى ﷺ قولًا وفعلًا

لا خفاءَ على من مارسَ شيئًا من العلمِ، أو خُصَّ بأدنى لَمحةٍ من فهمٍ بتعظيمِ الله تعالى قدرَ نبينا ﷺ وخصوصِه إياه بفضائلَ ومحاسنَ ومناقبَ لا تنضبطُ لزِمامٍ، وتنويهِه من عظيمِ قدره بما تكِلُّ عنه الألسنةُ والأقلامُ:

فمنها: ما صرَّحَ به تعالى في كتابِه، ونبَّه به على جليلِ نِصَابِه[(١)]، وأثنى به عليه من أخلاقِه وآدابِه، وحضَّ العبادَ على التزامِه وتقلُّدِ إيجابه. فكان جل جلاله هو الذي تفضلَ وأولى، ثم طهَّرَ وزكَّى، ثم مدحَ بذلك وأثنَى، ثم أثابَ عليه الجزاءَ الأوفى، فله الفضلُ بدءًا وعودًا، وله الحمدُ أُولى وأُخرى.

ومنها: ما أبرزه للعِيانِ من خلقِه على أتمِّ وجوهِ الكمالِ والجلالِ، وتخصيصِه بالمحاسِن الجميلةِ، والأخلاقِ الحميدةِ، والمذاهبِ الكريمةِ، والفضائلِ العديدةِ، وتأييده بالمعجزاتِ الباهرة، والبراهين الواضحةِ، والكرامات البينة التي شاهدَها من عاصرَه، ورآها من أدركَه، وعلِمَها علمَ يقينٍ من جاء بعده، حتى انتهى علمُ حقيقةِ ذلك إلينا، وفاضَت أنوارُه علينا ﷺ كثيرًا.

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ أُتِيَ بالبُرَاقِ ليلة أسريَ به ملجمًا مسرجًا، فاستصعَبَ عليه، فقال له جبريل: أبمحمدٍ تفعلُ هذا؟ فما ركبك أحدٌ أكرمُ على الله تعالى منه! قال: فارفَضَّ[(٢)] عرقًا[(٣)].

---

(١) (نِصابه): منصبه.

(٢) (ارْفَضَّ): جرى وسال.

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٣١).

الباب الأول: في ثناءِ الله تعالى عليه وإظهارِه عظيمَ قدرِه لديه

اعلم أن في كتابِ الله العزيزِ آياتٍ كثيرةً مفصحةً بجميلِ ذِكرِ المصطفى ﷺ وعَدِّ محاسنِه، وتعظيمِ أمره، وتنويهِ قدره، اعتمَدنا منها على ما ظهرَ معناه وبانَ فحواه، وجمعنا ذلك في فصولٍ:

١- فصل فيما جاءَ من ذلك مجيءَ المدحِ والثناءِ وتَعدادِ المحاسنِ

كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

قال السمرقنديُّ: وقرأ بعضُهم: (مِنْ أَنفَسِكُمْ) بفتح الفاءِ، وقراءةُ الجمهورِ بالضم[(١)].

أعلَمَ الله تعالى المؤمنين أو العربَ أو أهلَ مكةَ أو جميعَ الناس -على اختلافِ المفسرين: مَن المواجَه بهذا الخطابِ؟- أنه بعثَ فيهم رسولًا من أنفسُهم يعرفونَه ويتحقَّقون مكانه، ويعلمون صِدقه وأمانَته، فلا يتهِمونه بالكذبِ وتركِ النصيحة لهم؛ لكونه منهُم، وأنه لم يكن في العربِ قبيلةٌ إلا ولها على رسولِ الله عليه وسلم ولادةٌ أو قرابةٌ، وهو عند ابن عباسٍ وغيره معنى قولِه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣][(٢)]. وكونه من أشرفِهم وأرفعِهم وأفضلِهم على قراءة الفتحِ، وهذه نهايةُ المدحِ.

ثم وصفهُ بعدُ بأوصافٍ حميدةٍ، وأثنى عليه بمحامدَ كثيرةٍ من حرصِه على هدايتِهم ورشدِهم وإسلامِهم، وشدَّةِ ما يُعنِّتُهم ويضرُّ بهم في دنياهم وأخراهم، وعزتِه عليه، ورأفتِه ورحمتِه بمؤمنيهم.

قيل: أعطاه اسمَينِ من أسمائِه: رؤوفٌ رحيمٌ.

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ١٠١.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٢٠/ ٤٩٥، والنسائي في الكبرى ١٠/ ٢٤٩، والحاكم ٢/ ٤٨٢.

ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤].

وفي الآية الأخرى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة:٢].

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة:١٥١].

وقد سماه الله تعالى في القرآنِ: نورًا وسراجًا منيرًا فقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة:١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ [الشَّرح:١-٨].

هذا تقريرٌ من الله جلَّ اسمُه لنبيِّه ﷺ على عظيمِ نعمِه لديه وشريفِ منزلتِه عنده وكرامتِه عليه بأن شرحَ قلبَه للإيمان والهدايةِ ووسعه لوعي العلمِ وحملِ الحكمةِ، ورَفعَ عنه ثقلَ أمورِ الجاهليةِ عليه، وبغَّضَهُ لسيرِها وما كانت عليه

بظهورِ دينه على الدين كلِّه، وحطَّ عنه عُهدةَ أعباءِ الرسالةِ والنبوةِ لتبليغِه للناس ما نُزِّلَ إليهم، وتَنويهه بعظيمِ مكانه وجليل رُتبتِه ورَفعِه ذِكرَه وقِرانِه مع اسمِه اسمَه.

ومِن ذِكرِه معه تعالى أن قَرنَ طاعتَه بطاعتِه واسمَه باسمِه فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، و﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦]، فجَمَعَ بينهما بواوِ العطفِ المشَرِّكةِ، ولا يجوزُ جمعُ هذا الكلامِ في غيرِ حقِّه ﷺ؛ عن حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يَقولَنَّ أحدُكم: ما شاءَ الله وشاءَ فلان، ولكن ما شاءَ الله ثمَّ شاءَ فلان**»(١).

قال الخطابيُّ: أرشدَهم ﷺ إلى الأدبِ في تقديمِ مشيئة الله تعالى على مشيئةِ من سواه، واختارَها بـ«ثُمَّ» التي هي للنسقِ والتراخي بخلافِ الواو التي هي للاشتراك(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)، وابن ماجه (٢١١٨).

(٢) معالم السنن للخطابي ٤/ ١٣١-١٣٢.

٢- فصل في وصفِه له تعالى بالشهادةِ وما يَتعلقُ بها من الثناءِ والكرامةِ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، جمعَ الله تعالى في هذه الآيةِ ضُروبًا من رتبِ الأُثْرةِ، وجملةَ أوصافٍ من المِدْحةِ[١]، فجعله شاهدًا على أمته لنفسِه بإبلاغِهم الرسالةَ، وهي من خصائِصه ﷺ، ومبشرًا لأهلِ طاعتِه، ونذيرًا لأهل معصيتِه، وداعيًا إلى توحيدِه وعبادتِه، وسراجًا منيرًا يُهتدى به للحقِّ.

عن عطاءِ بن يسارٍ، قال: لقيتُ عبدَ الله بنَ عمرِو بنِ العاصِ قلت: أخبرني عن صفةِ رسولِ الله ﷺ، قال: أجل والله، إنه لموصوفٌ في التوراةِ ببعضِ صفتِه في القرآنِ: يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحِرزًا للأميين، أنت عبدي ورَسولي، سمَّيتُك المتوكِّلَ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ، ولا سَخابٍ في الأسواقِ، ولا يَدفعُ بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويغفرُ، ولن يقبِضهُ الله حتى يُقيمَ به الملةَ العَوجاءَ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويَفتحَ به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غُلفًا[٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال أبو الحسنِ القابِسي: أبان الله تعالى فضلَ نبينا ﷺ وفضلَ أمتِه بهذه الآيةِ، وفي قوله في الآيةِ الأخرى: ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ

---

(١) (المِدْحة): الثناء والذكر الحسن.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٥).

ﭐلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨] وكذلك قولِه تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾ [النساء: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَسَطًا﴾ أي: عَدلًا خيارًا، ومعنى هذه الآية: وكما هدَيناكم فكذلك خصَّصناكُم وفضَّلناكم بأنْ جعلناكم أمةً خيارا عدولا لتَشهدوا للأنبياءِ عليهم السلامُ على أممِهم ويشهد لكم الرسولُ بالصدق.

٣- فصل فيما وَرَدَ في خطابِه إياه مورِدَ الملاطفةِ والمبرَّةِ

من ذلك قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٣].

قال السمرقنديُّ: ولو بَدأ النبيَّ ﷺ بقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ لخيفَ عليه أن ينشقَّ قلبُه من هيبةِ هذا الكلامِ، لكن الله تعالى برحمتِه أخبره بالعفو حتى سَكَنَ قلبُه، ثم قال له: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ بالتخلفِ حتى يتبين لك الصادقُ في عُذرِه من الكاذبِ[١]؟

وفي هذا من عظيمِ منزلتِه عند الله ما لا يَخفى على ذي لبٍّ، ومن إكرامِه إياه وبرِّه به ما ينقطعُ -دون معرفةِ غايتِه- نياطُ القلبِ.

قال نِفطَويه: ذهبَ ناسٌ إلى أن النبيَّ ﷺ مُعاتَبٌ بهذه الآية، وحاشاهُ من ذلك، بل كان مُخيَّرًا، فلما أَذِنَ لهم أعلمهُ الله تعالى أنه لو لم يَأذَن لهم لقَعدوا لِنفاقِهم، وأنه لا حَرجَ عليه في الإذنِ لهم.

يجبُ على المسلمِ المجاهِدِ نفسَه الرائِض بزمامِ الشريعةِ خُلقَه أن يتأدَّبَ بأدبِ القرآنِ في قولِه وفعلِه ومعاطاتِه ومحاوراتِه، فهو عنصرُ[٢] المعارفِ الحقيقيةِ وروضةُ الآدابِ الدينيةِ والدنيويةِ.

وليتأمل هذه الملاطفةَ العجيبةَ في السؤالِ من ربِّ الأرباب المنعِمِ على الكلِّ، المستغني عن الجميعِ ويَستثيرُ ما فيها من الفوائدِ، وكيف ابتدأ بالإكرامِ قبل العَتْبِ، وآنسَ بالعفو قبل ذكر الذنبِ إن كان ثَمَّ ذنبٌ.

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٦٢.

(٢) (العُنْصُر): الأصل.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤] قال بعضُ المتكلمين: عاتب الله الأنبياءَ عليهم السلام بعد الزَّلات، وعاتب نبيَّنا عليه السلام قبلَ وقوعِه، ليكونَ بذلك أشد انتهاءً ومحافظة لشرائطِ المحبةِ، وهذه غايةُ العنايةِ، ثم انظر كيف بدأ بثباتِه وسلامِته قبل ذِكر ما عَتبه عليه وخيفَ أن يركنَ إليه، ففي أثناءِ عتبه براءتُه، وفي طيِّ تخويفه تأمينُه وكرامتُه.

ومثله قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام:٣٣].

ففي هذه الآيةِ منزَعٌ لطيفُ المأخذِ من تسليتِه تعالى له ﷺ، وإلطافِه في القولِ: بأن قرر عندَه أنه صادقٌ عندهم، وأنهم غيرُ مكذِّبين له، معترِفون بصدقِه قولًا واعتقادًا.

وقد كانوا يُسمونه قبل النبوةِ الأمينَ، فدفعَ بهذا التقريرِ ارتماضَ نفسِه بسمةِ الكذبِ، ثم جعلَ الذمَّ لهم بتسميتِهم جاحدين ظالمين فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ فحاشاه من الوصمِ، وطَوَّقهم -بالمعاندةِ بتكذيبِ الآيات- حقيقة الظلمِ، إذ الجحدُ إنما يكون ممن عَلِمَ الشيءَ ثم أنكرهُ كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

ثم عزَّاه وآنسهُ بما ذكرهُ عمن قبلهُ ووعدَه النصرَ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام:٣٤].

ومما ذُكر من خصائصِه وبر الله تعالى به أنَّ الله تعالى خاطب جميعَ الأنبياءِ بأسمائِهم، فقال تعالى: يا آدمُ، يا نوحُ، يا إبراهيمُ، يا موسى، يا داودُ، يا عيسى، يا زكريا، يا يحيى، ولم يخاطَب هو إلَّا: يا أيها الرسولُ، يا أيها النبيُّ، يا أيها المزملُ، يا أيها المدثرُ.

٤- فصل في قَسَمِه تعالى بعظيمِ قدرِه

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحِجر:٧٢].

اتفق أهلُ التفسيرِ في هذا أنه قسمٌ من الله جل جلالُه بمدةِ حياةِ محمدٍ ﷺ.

وأصلُه ضمُّ العين من العُمرِ، ولكنها فُتِحت لكثرةِ الاستعمالِ، ومعناه: وبقائِك يا محمدُ. وقيل: وعيشِك. وقيل: وحياتِك.

وهذه نهايةُ التعظيمِ وغايةُ البرِّ والتشريفِ.

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما خلقَ الله تعالى وما ذَرأ وما بَرأ نفسًا أكرمَ عليه من محمدٍ ﷺ، وما سمعتُ الله تعالى أقسَمَ بحياةِ أحدٍ غيرِه[1].

(١) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الباحث ٢/ ٨٧١-٨٧٢ (٩٣٤)، والطبري في التفسير ١٤/ ٩١، والدينوري في المجالسة (٢٥٢٧).

٥- فصل في قَسمِه تعالى جده له ليحقق مكانتَه عنده

قال جل اسمُه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحى: ١ - ١١] اختُلف في سببِ نزولِ هذه السورةِ، فقيلَ: كان تركُ النبيِّ ﷺ قيامَ الليلِ لعذرٍ نزل به فتكلمَت امرأةٌ في ذلك بكلامٍ[١] وقيل: بل تكلم به المشركون عند فترةِ الوحي فنزلت هذه السورةُ[٢].

تضمنَت هذه السورةُ من كرامةِ الله تعالى له، وتنويهِه به، وتعظيمِه إياه ستةَ وجوه:

الأولُ: القَسَم له عما أخبرَه به من حالِه بقولِه تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ١-٢] أي: وربِّ الضحى، وهذا مِن أعظمِ درجاتِ المبرَّة.

الثاني: بيانُ مكانتِه عندَه وحظوتِه لديه بقولِه تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣] أي: ما تَركك وما أَبغضكَ، وقيل: ما أَهملكَ بعد أنْ اصطفاكَ.

الثالثُ: قوله تعالى ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى: ٤] قال ابنُ إسحاق أي: مالك في مرجعِك عند الله أعظمُ مما أعطاكَ من كرامةِ الدنيا[٣]، وقال

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٤، ١١٢٥)، ومسلم (١٧٩٧).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٤٥) وأصله الحديث السابق.
(٣) سيرة ابن إسحاق (ص١٣٥).

سهلٌ: أي: ما ادَّخرتُ لك من الشفاعةِ والمقامِ المحمود خيرٌ لك مما أعطيتُك في الدنيا(١).

الرابعُ: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] وهذه آيةٌ جامعة لوجوه الكرامةِ وأنواع السعادةِ وشتاتِ الإنعامِ في الدارين والزيادةِ، قال ابنُ إسحاق: يُرضيه بالفُلْجِ(٢) في الدنيا والثوابِ في الآخرةِ(٣).

وقيل: يُعطيه الحوضَ والشفاعةَ.

ورُوي عن بعضِ آلِ النبيِّ ﷺ أنه قال: ليس آيةٌ في القرآنِ أرجى منها، ولا يَرضى رسولُ الله ﷺ أن يدخلَ أحدٌ من أمتِه النارَ(٤).

الخامسُ: ما عده تعالى عليه من نعمِه وقررَه من آلائِه قبلَه في بقيةِ السورةِ من هدايتِه إلى ما هداه له، أو هدايةِ الناسِ به على اختلافِ التفاسيرِ، ولا مالَ له فأغناه الله بما آتاه أو بما جعله في قلبِه من القناعةِ والغنى، ويَتيما فحدبَ عليه عمُّه وآواه إليه، وقيل: آواهُ إلى الله، وقيل: يَتيما لا مثالَ لك فآواكَ إليه، وقيل: المعنى ألم يَجدك فهدى بك ضالًّا وأغنى بك عائلًا وآوى بك يتيمًا؟ ذكَّره بهذه المننِ وأنه على المعلومِ من التفسيرِ لم يُهمله في حالِ صِغره وعيلتِه ويُتمِه وقبل معرفتِه به، ولا ودَّعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصِه واصطِفائه؟

---

(١) تفسير سهل التستري (ص١٩٧).
(٢) (الفُلْج): الظفر والفوز.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤١.
(٤) أخرج بعضه ابن خزيمة في التوحيد ٢/ ٦٧٣، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٧٩ عن علي بن أبي طالب، وأخرجه بتمامه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧/ ١١٩ عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين.

السادسُ: أَمَرَه بإظهارِ نعمتَه عليه وشكرِهِ ما شرَّفه به بنشرِه وإشادةَ ذكرِه بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] فإن مِن شكرِ النعمةِ الحديثَ بها وهذا خاصٌّ له عامٌّ لأمتِه.

وقال تعالى ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١ - ١٨].

تَضمنَت هذه الآياتُ من فضلهِ وشرفهِ العدِّ ما يقف دونه العدُّ، وأقسمَ جل اسمهُ على هدايةِ المصطفى، وتنزيههِ عن الهوى، وصدقهِ فيما تلا، وأنه وحيٌ يُوحى أوصَله إليه عن الله جِبريلُ عليه السلام وهو الشديدُ القُوىُ ثم أخبرَ تعالى عن فضيلته بقصةِ الإسراءِ وانتهائهِ إلى سِدرةِ المنتهى، وتَصديقِ بصرِهِ فيما رأى، وأنه رأى من آياتِ ربهِ الكبرى، وقد نبَه على مثل هذا تعالى في أولِ سورةِ الإسراءِ.

ولما كان ما كاشفهُ عليه السلام من ذلك الجبروتِ، وشاهدَه من عجائبِ الملكوتِ لا تحيطُ به العباراتُ ولا تستقلُ بحملِ سماعِ أدناه العقولُ؛ رمزَ عنه تعالى بالإيماءِ والكنايةِ الدالةِ على التعظيمِ فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠] وهذا النوعُ من الكلامِ يسميه أهلُ النقدِ والبلاغةِ بالوحي والإشارةِ وهو عندهم أبلغُ أبوابِ الإيجازِ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ انحسرَت الأفهامُ عن تفصيلِ ما أوحى، وتاهت الأحلامُ في تعيين تلك الآياتِ الكبرى.

اشتملَت هذه الآياتُ على إعلامِ الله تعالى بتزكيةِ جملتِه عليه السلام وعِصمتِها من الآفاتِ في هذا المَسرى، فزكَّى فؤادَه ولسانَه وجوارحَه، فزكى قلبَه بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، ولسانَه بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ٣] وبصرَه بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [التكوير: ١٥ - ٢٥].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي: أُقسم، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ أي: كريمٍ عند مرسلِه ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ على تبليغِ ما حمَلَه من الوحي ﴿مَكِينٍ﴾ أي: متمكنُ المنزلةِ من ربه رفيعُ المحلِّ عنده ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: في السماءِ ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي، قال عليُّ بنُ عيسى وغيرُه: الرسولُ الكريم هنا محمدٌ ﷺ فجميعُ الأوصافِ بعدُ على هذا له، وقال غيرُه: هو جبريلُ عليه السلام فتَرجعُ الأوصافُ إليه ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ يعني: محمدًا، قيل: رأى ربَّه، وقيل: رأى جبريلَ في صورتِه، وما هو على الغيبِ بظنين، أي: بمتهمٍ، ومَن قرأه بالضادِ فمعناهُ ما هو ببخيلٍ بالدعاءِ به والتذكيرِ بحكمِه وبعلمِه، وهذه لمحمدٍ عليه السلام باتفاقٍ.

وقال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١ - ١٦].

أَقسمَ الله تعالى بما أقسمَ به من عظيمِ قَسمهِ على تنزيهِ المصطفى مما غَمصته الكفرةُ به وتكذيبِهم له وآنسهُ وبسط أملَه بقولِه مُحسنًا خطابهَ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ وهذه نهايةُ المبرةِ في المُخاطبةِ، وأعلى درجاتِ الآدابِ في المحاورةِ، ثم أعلمَه بما له عندَه من نعيمٍ دائم وثوابٍ غيرِ منقطع لا يأخذُه عَد ولا يمتنُّ به عليه، فقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ثم أثنى عليه بما منحَه من هباتِه وهداه إليه، وأكدَ ذلك تَتميمًا للتَمجيدِ بحرفي التأكيدِ، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ قيل: القرآنُ، وقيل: الإسلامُ، وقيل: الطبعُ الكريمُ، وقيل: ليس لك همةٌ إلا الله.

قال الواسطيُّ: أثنى عليه بحُسنِ قبولِه لما أسداه إليه مِن نِعمه وفضلِه بذلك على غيرِه؛ لأنه جبلَه على ذلك الخلقِ، فسبحان اللطيفُ الكريمُ المحسنُ الجوادُ الحميد الذي يسَّر للخيرِ وهدى إليه، ثم أَثنى على فاعلِه، وجازاه عليه سبحانه ما أغمرَ نوالَه وأوسعَ إفضالَه، ثم سلاه عن قولِهم بعد هذا بما وعدَه به من عقابِهم وتَوعدَهم بقوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾.

ثم عطفَ بعد مدحِه على ذم عدوِه، وذِكر سوءِ خلقِه، وعَدِّ معايبِه متوليًا ذلك بفضلِه ومنتصرًا لنبيهِ، فذكرَ بضعَ عشرةَ خصلة من خصالِ الذمِّ فيه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ

﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ ثم خَتم ذلك بالوعيدِ الصادقِ بتمامِ شقائِه وخاتمةِ بوارِه بقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ فكانت نُصرةُ الله له أتمَّ من نصرتِه لنفسه، وردُّه تعالى على عدوه أبلغَ من رده، وأثبتَ في ديوانِ مجدِه.

٦- فصل فيما وردَ من قولِه تعالى في جهتِه عليه السلام مَوردَ [الرأفة] والإكرامِ

قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١ - ٢].

نزلَت الآيةُ فيما كان النبيُّ ﷺ يتكلفُه من السهرِ والتعبِ وقيام الليلِ.

ولا خفاءَ بما في هذا كلِّه من الإكرامِ وحسنِ المعاملةِ.

ومثلُ هذا من نمطِ [الرأفةِ] والمبرَّةِ قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٦] أي: قاتِلٌ نفسَك لذلك غَضبًا أو غيظًا أو جزعًا.

ومثلُه قوله تعالى أيضا: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ [الشعراء: ٣]، ثم قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشعراء: ٤].

ومن هذا الباب قولُه تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٩٦ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٧] وقولُه: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠﴾ [الأنعام: ١٠].

قال مَكيٌّ: سلاهُ تعالى بما ذكرَ، وهوَّنَ عليه ما يلقى مِن المشركينَ، وأعلمَه أن مَن تمادى على ذلك يحلُّ به ما حل بمَن قبلَه[(١)].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٣/ ١٩٦٥.

ومثلُ هذه التسليةِ قولُه تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] ومِن هذا قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات: ٥٢] عَزَّاه الله تعالى بما أخبرَه به عن الأممِ السالفةِ ومقالِها لأنبيائِهم قبلَه، ومحِنتِهم بهم، وسَلاه بذلك عن محِنته بمثلِه من كفارِ مكةَ، وأنه ليس أولَ مَن لقي ذلك، ثم طيَّب نفسَه وأبان عُذرَه بقولِه تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الذاريات: ٥٤] أي: أَعرِض عنهم، ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: في أداءِ ما بَلغتَ، وإبلاغِ ما حُملتَ.

ومثلُه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] أي: اصبِر على أذاهُم فإنك بحيثُ نراك ونَحفظُك، سَلَّاه الله تعالى بهذا في آيٍ كثيرةٍ من هذا المعنى.

٧- فصل فيما أخبرَ الله تعالى به في كتابِه العزيزِ من عظيم قدرِه وشريفِ منزلتِه على الأنبياءِ وحظوةِ رتبتِه عليهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عِمران: ٨١].

قال أبو الحسنِ القابسيُّ: استخصَّ الله تعالى محمدًا ﷺ بفضلٍ لم يؤته غيرَه أبانَه به، وهو ما ذكرَه في هذه الآيةِ، قال المفسرون: أخذَ الله الميثاقَ بالوحي، فلم يبعثْ نبيًّا إلا ذكرَ له محمدًا ونعتَه وأخذَ عليه ميثاقَه إن أدركَه لَيؤمنن به، وقيل: أن يبينَه لقومِه، ويأخذَ ميثاقَهم أن يبينوه لمَن بعدَهم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾ [الأحزاب: ٧] وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال أهلُ التفسيرِ: أرادَ بقولِه: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ محمدًا ﷺ؛ لأنه بُعث إلى الأحمرِ والأسودِ، وأُحلت له الغنائمُ، وظهرت على يديه المعجزاتُ، وليس أحدٌ من الأنبياءِ أُعطي فضيلةً أو كرامةً إلا وقد أُعطي محمدٌ ﷺ مثلَها.

قال بعضُهم: ومن فضلِه أن الله تعالى خاطَب الأنبياءَ بأسمائِهم، وخاطبَه بالنبوةِ والرسالةِ في كتابِه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١].

٨- فصل في إعلامِ الله تعالى خلقَه بصلاتِه عليه وولايتِه له ورفعِه العذابَ بسببه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣] أي: ما كنتَ بمكةَ، فلما خَرجَ النبيُّ ﷺ من مكةَ وبقيَ فيها مَن بقيَ من المؤمنين نزل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال:٣٣].

وهذا مثل قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾ [الفتح:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح:٢٥].

فلما هاجَرَ المؤمنون نزلت: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٤]، وهذا من أبينِ ما يُظهرُ مكانَتهُ ﷺ، ودرأَ به العذابَ عن أهلِ مكةَ بسببِ كونِه ثم كون أصحابِه بعده بين أظهُرِهم، فلما خَلت مكةُ منهم عذَّبَهم بتسليطِ المؤمنين عليهم وغَلَبَتِهم إياهم، وحَكَّمَ فيهم سُيوفَهُم وأورَثَهم أرضَهم وديارَهم وأموالهم.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] أبانَ الله تعالى فضلَ نبيِّه ﷺ بصلاتِه عليه ثم بصلاةِ ملائكتِه وأمرَ عبادَه بالصلاةِ والتسليمِ عليه.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾ [التحريم: ٤] ﴿مَوْلَىٰهُ﴾ أي: وَليُّه.

٩- فصل فيما تضمَّنتهُ سورةُ الفتحِ من كراماتِه ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ...﴾ [الفتح:١-١٠].

تضمَّنت هذه الآياتُ من فضلِه والثناءِ عليه وكريمِ منزلتِه عند الله تعالى ونعمتِه لديه ما يقصرُ الوصفُ عن الانتهاءِ إليه، فابتدأَ جل جلاله بإعلامِه بما قضاه له من القضاءِ البين بظهورِه وغلبتِه على عدوِّه، وعلو كلمتِه وشريعتِه، وأنه مغفورٌ له غيرُ مؤاخَذٍ بما كان وما يكون.

قال بعضُهم: أرادَ غُفرانَ ما وقعَ وما لم يَقَع أي: إنك مغفورٌ لك.

وقال مكيٌّ: جعلَ المنة سببًا للمغفرةِ، وكلٌّ من عندِه -لا إله غيرُه- منةً بعد منةٍ، وفضلًا بعد فضلٍ[1].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ١١/ ٦٩٢٦.

ثم قال: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ قيل: بخضوعِ من تكبرَ عليك.

وقيل: بفتحِ مكةَ والطائفِ.

وقيل: يرفعُ ذكرَك في الدنيا وينصُرُك ويغفرُ لك.

فأعلَمَه بتمامِ نعمتِه عليه، بخضوعِ متكبري عدوه له، وفتحِ أهم البلادِ عليه وأحبِّها له، ورفعِ ذكرِه، وهدايتِه الصراطَ المستقيمَ المبلغ الجنةَ والسعادةَ، ونصرِهِ النصرَ العزيزَ، ومِنَّتِه على أمتِهِ المؤمنين بالسكينةِ والطمأنينةِ التي جعلَها في قلوبِهم، وبشارتِهم بما لهم بَعدُ، وفوزِهم العظيم، والعفو عنهم، والسترِ لذنوبِهم، وهلاك عدوِّه في الدنيا والآخرةِ، ولعنِهم وبُعدِهم من رحمتِه وسوءِ منقلبِهم.

ثم قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٨-٩] فعدَّدَ محاسنَهُ وخصائصهُ من شهادتِه على أمتِهِ لنفسِهِ بتبليغِهِ الرسالةَ لهم.

وقيل: ﴿شَٰهِدًا﴾ لهم بالتوحيدِ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لأمتِهِ بالثوابِ. وقيل: بالمغفرةِ، ومنذرًا عدوه بالعذابِ. وقيل: محذرًا من الضلالاتِ؛ ليؤمنَ بالله ثم به مَن سَبقَت له من الله الحُسنى.

[﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾] أي: يُجلونه. وقيل: ينصرونَه. وقيل: يُبالِغون في تعظيمِه.

[﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾] أي: يُعظمونه.

ثم قال: [﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾] فهذا راجعٌ إلى الله تعالى.

قال ابن عطاءٍ: جُمعَ للنبيِّ ﷺ في هذه السورةِ نِعمٌ مختلفةٌ: من الفتحِ المبين وهي من أعلامِ الإجابة، والمغفرةِ وهي من أعلامِ المحبةِ، وتمامِ النعمةِ وهي من أعلامِ الاختصاصِ، والهدايةِ وهي من أعلامِ الولاية[(١)].

وقال جعفرُ بن محمدٍ: من تمامِ نعمتِه عليه أن جعلَه حبيبَه، وأقسَمَ بحياتِه، ونسخَ به شرائعَ غيرِه، وعرجَ به إلى المحلِّ الأعلى، وحفظَه في المعراجِ حتى ما زاغَ البصرُ وما طغى، وبعثَه إلى الأسودِ والأحمرِ، وأحلَّ له ولأمتِه الغنائِمَ، وجعلَه شفيعًا مُشفَّعًا، وسيدَ ولدِ آدمَ، وقرنَ ذكرَه بذكرِه، ورضاهُ برضاه، وجعله أحدَ رُكنَي التوحيدِ[(٢)].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ يعني: بيعةَ الرضوانِ، أي: إنما يُبايِعون الله ببيعَتِهم إياك، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يُريدُ عند البيعةِ.

(١) انظر: تفسير السلمي ٢/ ٢٥٤.

(٢) السابق.

١٠- فصل فيما أظهرهُ اللهُ تعالى في كتابِه العزيزِ من كرامتِه عليه ومكانتِه عنده وما خصَّه به من ذلك سوى ما انتظمَ فيما ذكرناه قبلُ

من ذلك ما نصَّهُ تعالى من قصةِ الإسراءِ في سورةِ سبحان والنجم، وما انطوت عليه القصةُ من عظيمِ منزلتِه وقُربِه ومشاهدتِه ما شاهدَ من العجائِبِ.

ومن ذلك: عصمتُه من الناسِ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

وما دفعَ الله به عنه في هذه القصةِ من أذاهُم بعد تَحَزُّبِهم لهُلكِه وخلوصِهم نجيًّا في أمره، والأخذِ على أبصارِهم عند خروجِه عليهم، وذُهولِهم عن طلبِه في الغارِ، وما ظهرَ في ذلك من الآيات ونزولِ السكينةِ عليه، وقصةِ سراقةَ بنِ مالك حسبما ذكرَه أهلُ الحديثِ والسيرِ في قصة الغارِ وحديثِ الهجرةِ.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:١-٣]، أعلمَهُ اللهُ عز وجل بما أعطاهُ، والكوثرُ حوضُه.

وقيل: نهرٌ في الجنةِ. وقيل: الخيرُ الكثيرُ. وقيل: الشفاعةُ. وقيل: المعجزاتُ الكثيرةُ. وقيل: النبوةُ. وقيل: المعرفةُ.

ثم أجاب عنه عدوَّه وردَّ عليه قولَه، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ أي: عدوَّك ومبغضَك، والأبترُ: الحقيرُ الذليلُ، أو المفردُ الوحيدُ، أو الذي لا خيرَ فيه.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل:٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: ٨٧] قيل: السبعُ المثاني: السورُ الطوالُ الأُول ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾: أمُّ القرآنِ. وقيل: السبعُ المثاني: أمُّ القرآنِ، ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾: سائرُه. وقيل: السبعُ المثاني: ما في القرآنِ من أمرٍ ونهيٍ وبشرى وإنذارٍ وضربِ مثلٍ وإعداد نعَمٍ، وآتيناكَ نبأ القرآنِ العظيم، وقيل: سُميت أم القرآن مثاني؛ لأنها تُثنى في كل ركعةٍ، وقيل: بل الله تعالى استثناها لمحمدٍ ﷺ وادَّخرها له دون سائر الأنبياءِ، وسُمي القرآنَ مثاني؛ لأن القصصَ تُثنى فيه.

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف:١٥٨].

فهذه من خصائِصِه، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم:٤] فخَصَّهم بقومِهم، وبَعثَ محمدًا ﷺ إلى الخلقِ كافةً.

وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]، قال أهلُ التفسيرِ: ﴿أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: ما أنفذَه فيهم من أمرٍ فهو ماضٍ عليهم كما يَمضي حكمُ السيدِ على عبدِه، وقيل: اتباعُ أمرِه أولى من اتباعِ رأيِ النفسِ.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣]، قيل: فضلُه العظيمُ بالنبوةِ، وقيل: بما سبق له في الأزلِ.

ومن فضائِلِه ﷺ: إقسامُ الله تعالى برسالتِه خصوصًا بقولِه تعالى: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣﴾ [يس:١ - ٣]، بعدَ أن كان مع الرسلِ باسمِ الرسالةِ معمومًا بقولِه تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر:٥١]، والرسلُ في هذا البابِ على السواء فكان ذلك غايةَ الفَضيلةِ في المرتبة والمنزلةِ.

ومن فضائِلِه ﷺ: أخذُ الله الميثاقَ على جميعِ أنبيائِه عليهم السلام أن جاءَهُم رسولٌ آمَنوا به ونصَروه فلم يَكُن ليُدرِك أحَدٌ منهم الرَّسولَ إلَّا وجبَ عليه الإيمانُ به والنصرةُ له لأَخذِه الميثاقَ منهم، فجعَلَهم كلهم أَتباعًا له، يَلزمُهم الانقيادُ والطاعةُ له لو أَدرَكوه.

الباب الثاني: في تكميل الله تعالى له المحاسن خَلقًا وخُلقًا وقرانه جميعَ الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقًا

اعلم أيها المحبُّ لهذا النبي الكريمِ ﷺ الباحث عن تفاصيلِ جمَل قَدْره العظيم أن خصالَ الجمال والكمال في البشر نوعان:

- ضروري دنيوي اقتضته الجِبلَّة وضرورةُ الحياة الدنيا.
- ومكتسب ديني، وهو ما يُحمد فاعله ويقربُ إلى الله تعالى زُلفى.

فأما الضروري المحضُ فما ليس للمرءِ فيه اختيار ولا اكتسابٌ، مثل ما كان في جبلته من كمالِ خلقته، وجمال صورتِه، وقوة عقلِه، وصحةِ فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسِّه، وأعضائه، واعتدالِ حركاته، وشرف نسبِه، وعزة قومِه، وكرمِ أرضه، ويَلحقُ به ما تدعوه ضرورةُ حياته إليه من غذائِه ونومه وملبسِه ومسكنِه ومنكحه ومالِه وجاهِه، وقد تلحقُ هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قَصدَ بها التقوى ومعونةَ البدنِ على سلوك طريقِها وكانت على حدود الضرورةِ وقوانين الشريعة.

وأما المكتسبةِ الأخروية فسائرُ الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين، والعلم، والحِلم، والصبرِ، والشكرِ، والعدل، والزهد، والتواضعِ، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياءِ، والمروءة، والصمتِ، والتُّؤدةِ، والوقار، والرحمة، وحسنِ الأدبِ، والمعاشرة، وأخواتِها، وهي التي جماعُها: حُسنُ الخُلقِ.

وقد يكون من هذه الأخلاقِ ما هو في الغريزةِ وأصل الجِبلةِ لبعض الناسِ، وبعضُهم لا تكون فيه فيَكتَسِبها، ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصلِ الجبلةِ شعبةٌ كما سنبينه إن شاء الله تعالى، وتكون هذه الأخلاقُ دنيوية إذا لم يُرَدْ بها وجهُ الله والدارُ الآخرة، ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاقِ أصحاب العقولِ السليمة وإن اختلفوا في موجبِ حسنها وتفضيلها.

١- فصل [في اجتماع خصال الكمال والجلال البشري في النبي ﷺ]

إذا كانت خصالُ الكمالِ والجلالِ ما ذكرناه، ووجدنا الواحدَ منا يشرفُ بواحدةٍ منها أو اثنتينِ إن اتفقَت له في كل عصرٍ، إما من نسبٍ أو جمالٍ أو قوة أو علمٍ أو حلم أو شجاعةٍ أو سماحةٍ، حتى يَعظمَ قدرُه ويُضربَ باسمه الأمثالُ، ويَتقرر له بالوصف بذلك في القلوبِ أثرَة وعظمةٌ، وهو منذ عصور خوالٍ رمم بوالٍ، فما ظنكَ بعظيمِ قدرِ مَن اجتمعَت فيه كلُّ هذه الخصالِ إلى ما لا يأخذُه عدٌّ ولا يُعبر عنه مقالٌ، ولا يُنال بكسبٍ ولا حيلةٍ إلا بتخصيصِ الكبيرِ المتعال، من فضيلةِ النبوةِ، والرسالةِ، والخلةِ، والمحبةِ، والاصطفاءِ، والإسراءِ، والرؤيةِ، والقربِ، والدنوِ، والوحيِ، والشفاعةِ، والوسيلةِ، والفضيلةِ، والدرجة الرفيعةِ، والمقام المحمودِ، والبراقِ، والمعراجِ، والبعثِ إلى الأحمرِ والأسودِ، والصلاةِ بالأنبياءِ، والشهادةِ بين الأنبياءِ والأممِ، وسيادةِ ولدِ آدمِ، ولواءِ الحمدِ، والبشارة، والنذارةِ، والمكانةِ عند ذي العرشِ، والطاعةِ ثَمَّ، والأمانةِ، والهداية، ورحمةٍ للعالمين، وإعطاءِ الرِّضى، والسؤلِ، والكوثرِ، وسماع القولِ، وإتمام النعمةِ، والعفوِ عما تقدمَ وما تأخرَ، وشرحِ الصدر، ووضعِ الوزر، ورفعِ الذكر، وعزةِ النصرِ، ونزولِ السكينة، والتأييدِ بالملائكة، وإيتاءِ الحكمةِ، والكتاب، والسبعِ المثاني، والقرآنِ العظيمِ، وتزكيةِ الأمة، والدعاءِ إلى الله، وصلاةِ الله تعالى والملائكةِ، والحكمِ بين الناس بما أراه الله، ووضعِ الإصر والأغلالِ عنهم، والقَسمِ باسمه، وإجابةِ دعوته، وتكليمِ الجماداتِ والعجمِ، وإحياءِ الموتى، وإسماعِ الصمِ، ونبعِ الماء من بين أصابعِه، وتكثيرِ القليلِ، وانشقاق القمرِ، ورد

الشمسِ، وقلبِ الأعيان، والنصرِ بالرعب، والاطلاعِ على الغيبِ، وظلِ الغمام، وتسبيحِ الحصى، وإبراءِ الآلامِ، والعصمةِ من الناس، إلى مالا يحويه محتفلٌ، ولا يحيطُ بعلمِه إلا مانحُه ذلك ومُفضِّلُه به، لا إله غيره، إلى ما أعدَّ له في الدار الآخرةِ من منازلِ الكرامةِ، ودرجاتِ القدسِ، ومراتبِ السعادةِ، والحسنى، والزيادةِ التي تقفُ دونها العقولُ ويحارُ دون أدانيها الوهمُ.

٢- فصل [في إحاطته بخصال الكمال البشري غير المكتسبة]

إن قلتَ -أكرمَك الله-: لا خفاءَ على القطعِ بالجملةِ أنه ﷺ أعلى الناس قدرًا، وأعظمهم محلًّا، وأكملهم محاسنَ وفضلًا، وقد ذَهَبتَ في تفاصيلِ خصالِ الكمال مذهبًا جميلًا شوَّقني إلى أن أقفَ عليها من أوصافِه ﷺ تفصيلًا.

فاعلَم نوَّر الله قلبي وقلبَك وضاعفَ في هذا النبي الكريمِ حُبي وحُبك، أنك إذا نَظرتَ إلى خِصالِ الكمالِ التي هي غيرُ مكتسبةٍ، وفي جِبلَّة الخلقةِ، وجَدتَه حائزًا لجميعِها محيطًا بشتاتِ محاسنِها دون خلافٍ بين نقلةِ الأخبارِ لذلك، بل قد بلغَ بعضُها مَبلغَ القَطعِ.

فصل [في صورته وجمالها وتناسب أعضائه في حسنِها]

أما الصورةُ وجمالها [و]تناسب أعضائه في حسنِها؛ فقد جاءت الآثارُ الصحيحة والمشهورةُ الكثيرة بذلك: من أنه ﷺ كان أزهرَ اللونِ، أدعجَ(١)، أَنْجلَ(٢)، أَشْكلَ(٣)، أَهْدبَ الأشفارِ(٤)، أَبْلَج(٥)، أَزَجَّ(٦)، أَقْنَى(٧)، أَفْلَجَ(٨)،

---

(١) (أدعجَ) شديد سواد الحدقة.

(٢) (أنجلَ) واسع شق العين.

(٣) (أَشْكلَ) الشكلة: حمرة في بياض العين.

(٤) (أَهْدبَ الأشفارِ): كبير أشفار العين.

(٥) (أَبْلَج): مشرق الوجه.

(٦) (أَزَجَّ): مقوس الحاجب مع طوله وامتداده.

(٧) (أَقْنَى) محدودب الأنف.

(٨) (أَفْلَجَ) بعيد ما بين الثنايا.

مدور الوجه، واسعَ الجبين، كثَّ اللحية تملأ صدرَه، سواءَ البطنِ والصدر[١]، واسعَ الصدرِ، عظيم المنكبين، ضخمَ العظام، عَبْلَ[٢] العضدين والذراعين والأسافل، رحب الكفين والقدمين، سائلَ الأطرافِ[٣]، أنورَ المتجرد[٤]، دقيقَ المَسْرُبَة[٥]، ربعةَ القدِ، ليس بالطويل البائنِ، ولا القصيرِ المتردد، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحدٌ ينسب إلى الطولِ إلا طاله ﷺ، رجِلَ الشعر[٦].

إذا افتر ضاحكًا افترَّ عن مثل سنا البَرقِ وعن مثل حب الغمام، إذا تكلم رُئِيَ كالنور يخرج من ثناياه، أحسن الناس عنقًا، ليس بمُطهَّم[٧]، ولا مُكَلثَم[٨]، متماسكَ البدنِ، ضَرْبَ اللحمِ[٩].

فصل [في نظافة جسمه وطيبُ ريحه وعرقِه ونزاهته]

وأما نظافةُ جسمه وطيبُ ريحه وعرقِه ونزاهته عن الأقذارِ وعورات الجسدِ فكان قد خصه الله في ذلك بخصائصَ لم توجد في غيره، ثم تممها بنظافةِ الشرعِ وخصالِ الفطرة العشرِ.

---

(١) (سواءَ البطنِ والصدر): مستويهما.
(٢) (عَبْلَ): ضخم.
(٣) (سائلَ الأطرافِ) طويل الأصابع.
(٤) (أنورَ المتجرد): المتجرد: ما تجرد عند الثياب من البدن.
(٥) (دقيقَ المَسْرُبَة) المسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة.
(٦) (رجِلَ الشعر):شعر رجل إذا لم يكن شديد الجعود ولا سبطًا.
(٧) (المُطهَّم): المنتفخ الوجه، وقيل الفاحش السمن.
(٨) (المُكَلْثَم) الكلثمة: اجتماع لحم الوجه.
(٩) (ضَرْبَ اللحمِ) قليله.

فعن أنس قال: ما شمَمْت عنبرًا قطُّ ولا مسكًا ولا شيئًا أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ[١].

ونام رسول الله ﷺ في دار أنس على نطع فعرق، فجاءت أمُّه بقارورةٍ تجمع فيها عرقَه، فسألها رسولُ الله ﷺ عن ذلك، فقالت: نجعَلُه في طِيبنا، وهو من أطيبِ الطِّيب[٢].

وأما وفورُ عقله، وذكاء لُبه، وقوة حواسِّه، وفصاحة لسانِه، واعتدال حركاته، وحُسن شمائِله، فلا مِريةَ أنه كان أعقلَ الناسِ وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمرَ بواطن الخَلْق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجب شمائله وبديع سيره، فضلًا عما أفاضه من العلم وقرَّره من الشرع دون تعلُّم سبقَ، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعةٍ للكتب منه؛ لم يَمتَرِ في رجحان عقله، وثقوب فَهمه لأول بديهة، وهذا ما لا يُحتاج إلى تقريره لتحقيقه.

وفي الموطأ عنه عليه السلام: «**إِنِّي لأَراكُمْ مِنْ وَراءِ ظَهْري**»[٣] وفي بعض الروايات «**إنِّي لأُبصِرُ مِن قَفاي كما أُبصِرُ مِن بين يَدَيَّ**»[٤].

والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته ﷺ للملائكةِ والشياطين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣١).
(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ١٦٧، والبخاري (٤١٨).
(٤) أخرجه مسلم (٤٢٣) ولفظه: «...من ورائي...».

وقد جاءت الأخبارُ بأنه صرعَ رُكانةَ[١] أشد أهلِ وقته وكان دَعاه إلى الإسلامِ وصارعَ أبا رُكانةَ في الجاهليةِ وكان شديدًا وعاوده ثلاثَ مراتٍ، كل ذلك يصرعُه رسولُ الله ﷺ.

وفي صفته عليه السلام أن ضَحِكه كان تبسُّمًا، إذا التَفَت التَفَت معًا، وإذا مشى مشى تقلعًا كأنما ينحطُّ من صبَب.

فصل [في فصاحة اللسان وبلاغة القول]

وأما فصاحةُ اللسان وبلاغةُ القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحلِّ الأفضل، والموضعِ الذي لا يُجهَل، سلاسة طبعٍ، وبراعةَ منزعٍ، وإيجاز مقطعٍ، ونصاعة لفظ، وجزالة قولٍ، وصحة معانٍ، وقلة تكلف، أُوتيَ جوامعَ الكلم، وخُصَّ ببدائع الحكم، وعُلِّمَ ألسنةَ العربِ، فكان يخاطبُ كلَّ أمةٍ منها بلسانِها ويحاورُها بلغتِها ويُباريها في منزعِ بلاغتِها.

فصل [في كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحِكَمه المأثورة]

وأمَّا كلامُه المعتادُ وفصاحتُه المعلومةُ وجوامعُ كلمِه وحِكَمُه المأثورة فقد ألَّف الناسُ فيها الدواوينَ، وجُمِعت في ألفاظها ومعانيها الكتُب، ومنها ما لا يُوازَى فصاحةً، ولا يُبارَى بلاغةً كقوله: «**المُسلِمون تَتكافَأُ دِماؤُهم، ويَسعَى بذِمَّتِهم أدناهُم، وهم يَدٌ على مَن سِواهُم**»[٢]، و«**المَرْءُ معَ مَن أحبَّ**»[٣]، و«**الناسُ**

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

مَعادِنُ»[(١)]، ونهيُه عن قِيل وقال، وكثرةِ السؤال، وإضاعةِ المال، ومنع وهات، وعقوق الأمهات، ووَأْد البنات[(٢)]، وقوله: «**الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يومَ القِيامةِ**»[(٣)]، إلى ما روَتْه الكافَّةُ عن الكافَّةِ من مقاماتِه ومحاضراتِه وخطبِه وأدعيتِه ومخاطباتِه وعهودِه، ممَّا لا خلافَ أنه نزلَ من ذلك مرتبةً لا يُقاسُ بها غيرُه وحاز فيها سبقًا لا يُقدَرُ قدرُه.

وقد جمعت من كلماته التي لم يُسبَق إليها ولا قدَرَ أحدٌ أن يفرغَ في قالَبه عليها كقوله: «**حَمِيَ الوَطيسُ**»[(٤)]، و«**لا يُلدَغ المُؤمِنُ من جُحْرٍ مرَّتَيْن**»[(٥)]، في أخواتِها ما يُدرِكُ الناظرُ العجبَ في مضمَّنِها ويذهبُ به الفكرُ في أداني حكمِها.

فجُمِعَ له ﷺ قوةُ عارضةِ الباديةِ وجزالتِها، ونصاعةُ ألفاظِ الحاضرةِ ورونقِ كلامِها، إلى التأييدِ الإلهي الذى مَدَدُه الوحيُ الذي لا يحيطُ بعلمِه بشريٌّ.

فصل [في شرف نسَبه ﷺ وكرَم بلَده ومَنشئِه]

وأما شرفُ نسَبه ﷺ وكرَم بلَده ومَنشئِه فما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، ولا بيان مُشكِل ولا خفيٍّ منه، فإنه نُخبةُ بني هاشم، وسلالة قريشٍ وصميمها، وأشرفُ العرب وأعزهم نفرًا من قِبَل أبيه وأمه، ومن أهل مكة من أكرَم بِلادِ الله على الله وعلى عِباده.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٦)، ومسلم (٢٥٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).
(٤) أخرجه مسلم (١٧٧٥).
(٥) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيرِ قُرونِ بني آدَمَ قرنًا فقرنًا، حتَّى كنتُ مِنَ القَرْنِ الذي كُنتُ منه**»[١].

وعن واثلةَ بنِ الأَسقَع قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ اصطَفَى مِن ولَدِ إبراهيمَ إسماعيلَ، واصطَفَى مِن ولَدِ إسماعيلَ بَني كِنانةَ، واصطَفَى من بَني كِنانةَ قُريشًا، واصطَفَى مِن قُريشٍ بني هاشِمٍ، واصطَفاني من بَني هاشِمٍ**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

٣- فصل [في ضروب ما تدعو ضرورة الحياة إليه]

وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه ممَّا فصَّلناه فعلى ثلاثة أضرُب:

- ضرب الفَضْل في قِلَّته.
- وضرب الفضل في كَثرته.
- وضرب تَختلِف الأحوال فيه.

فصل [في الضرب الأول]

فأمَّا ما التَّمدُّح والكمال بقِلَّته اتفاقًا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاءِ والنوم، ولم تزل العربُ والحكماء تتمادح بقِلَّتهما وتَذُمُّ بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكلِ والشرب دليل على النهَم والحِرْص والشَّرَه وغلبة الشهوة، مسبِّب لمضار الدنيا والآخرة، جالبٌ لأدواء الجسدِ، وخثارة النفس، وامتلاء الدماغ، وقِلته دليل على القناعة وملك النفسِ، وقمع الشهوة مسبِّب للصحة، وصفاء الخاطر، وحِدَّة الذِّهْن، كما أن كثرة النومِ دليل على الفُسولةِ والضعف، وعدمِ الذكاء والفطنة مسبِّب للكسلِ، وعادةِ العجز، وتضييع العُمر في غير نفع، وقساوة القلب، وغفلته وموته.

والشاهدُ على هذا ما يعلم ضرورة، ويوجدُ مشاهدةً، ويُنقَل متواتِرًا من كلام الأمم المتقدمة والحُكَماء السالفين وأشعارِ العرب وأخبارها، وصحيحِ الحديث، وآثار مَن سلَف وخلَف مما لا يُحتاج إلى الاستشهاد عليه، وإنما تركنا ذِكْره هنا اختصارًا واقتِصارًا على اشتهار العلم به.

وكان النبيُّ ﷺ قد أخَذ من هذين الفَنَّيْن بالأقل، هذا ما لا يُدفع من سِيرته، وهو الذي أمَر به وحضَّ عليه، لا سِيَّما بارتباط أحَدِهما بالآخَر.

عن المِقدام بنِ مَعدي كرِب أن رسول الله ﷺ قال: «**ما ملَأَ ابنُ آدمَ وعاءً شَرًّا مِن بَطْنِه، حسبُ ابنِ آدمَ أكلاتٍ يُقِمْن صُلْبَه، فإن كان لا مَحالةَ فثُلُث لطَعامِه وثُلُث لشَرابه وثُلُث لنَفَسِه**»(١).

وفي صحيح الحديث قوله: «**أمَّا أنا فلا آكُلُ مُتَّكِئًا**»(٢) والاتكاء هو التمكُّن للأكل والتَقَعْدُدُ في الجلوس له كالمتربِّع وشبهه من تَمكُّن الجلسات التي يعتمد فيها الجالسُ على ما تحتَه، والجالس على هذه الهيئة يَستدعي الأكل ويَستكثِر منه، والنبي ﷺ إنما كان جلوسُه للأكل جلوسَ المستوفِز(٣) مُقْعِيًا(٤).

وكذلك نومه ﷺ كان قليلًا شهِدَت بذلك الآثارُ الصحيحة، ومع ذلك فقد قال ﷺ: «**إنَّ عَينَيَّ تنامانِ ولا يَنامُ قَلْبي**»(٥).

فصل [في الضرب الثاني]

والضرب الثاني: هو ما يَتَّفِق التَّمدُّح بكَثْرته والفخر بوُفوره كالنِّكاح والجاه، فأمَّا النِّكاح فمُتَّفَق فيه شرعًا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذُّكورية ولم يزَلِ التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٤).

(٤) (المُسْتَوفِز): المستعجل. و(الإقْعَاءُ): أن يلصق الرجل أليتيه بالأرض وينصب ساقيه ويتسانَدَ إلى ظهره.

(٥) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

وأما في الشرع فسُنة مأثورة، وقد قال ابنُ عباس: أفضلُ هذه الأُمةِ أكثرُها نِساءً[١]. مشيرا إليه ﷺ.

ونهى عن التَّبتُّل[٢] مع ما فيه من قمع الشهوة.

فإن قلتَ: كيف يكونُ النكاحُ وكثرتُه من الفضائلِ، وهذا يحيى بنُ زكريا عليه السلام قد أَثنى الله تعالى عليه أنه كان حصورًا، فكيف يُثني الله بالعجزِ عما تَعده فضيلةً، وهذا عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام تبتَّل من النساءِ ولو كان كما قَررتَه لنكحَ؟

فاعلم أن ثناءَ الله تعالى على يحيى بأنه حصورٌ ليس كما قال بعضُهم: إنه كان هيوبًا أو لا ذَكَرَ له، بل قد أنكرَ هذا حُذاقُ المفسرين، ونقادُ العلماءِ، وقالوا: هذه نَقيصةٌ وعيب، ولا يليقُ بالأنبياءِ، وإنما معناه أنه معصومٌ من الذنوبِ، أي: لا يأتيها كأنه حُصرَ عنها، وقيل: مانعًا نفسَه من الشهواتِ. وقيل: ليست له شهوةٌ في النساءِ.

فقد بان لك من هذا أن عدمَ القدرةِ على النكاحِ نقصٌ، وإنما الفضلُ في كونِها موجودة، ثم قمعها إما بمجاهدةٍ كعيسى عليه السلام أو بكفايةٍ من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلةً زائدة لكونِها شاغلة في كثيرٍ من الأوقاتٍ حاطةً إلى الدنيا، ثم هي في حق مَن أقدرَ عليها ومُلِّكَها، وقام بالواجبِ فيها، ولم تشغله عن ربه درجةٌ عُليا، وهي درجةُ نبينا ﷺ الذي لم تَشغله كثرتُهن عن عبادةِ ربه، بل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢).

زادَه ذلك عبادةً لتحصينِهن وقيامِه بحقوقِهن واكتسابِه لهن، وهدايتِه إياهن، بل صرَّح أنها ليست من حُظوظِ دنياه هو، وإن كانت من حظوظِ دنيا غيرِه، فقال: «**حُبِّبَ إليَّ مِن دُنياكُم**»[(١)] فدل أن حبَّه لما ذُكر من النساءِ والطيبِ اللذين هما من أمرِ دنيا غيرِه، واستعمالِه لذلك ليس لدنياه بل لآخرتِه؛ للفوائدِ التي ذكرناها في التزويجِ، وللقاءِ الملائكةِ في الطيبِ؛ ولأنه أيضًا مما يحضُّ على الجماعِ ويعينُ عليه ويحركُ أسبابَه.

وكان حبُّه لهاتين الخصلتين لأجلِ غيرِه، وقمعِ شهوتِه، وكان حبُّه الحقيقي المختصُ بذاته في مشاهدةِ جبروتِ مولاه ومناجاتِه، ولذلك ميَّز بين الحُبين وفَصل بين الحالين، فقال: «**وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ**»[(٢)] فقد ساوى يحيى وعيسى في كفايةِ فتنتِهن وزادَ فضيلةً بالقيامِ بهن.

وكان ﷺ ممن أُقدرَ على القوةِ في هذا، وأُعطي الكثير منه؛ ولهذا أُبيح له من عددِ الحرائرِ ما لم يُبح لغيرِه.

عن أنس أنه ﷺ كان يَدور على نسائه في الساعة من الليلِ والنهارِ وهن إحدى عشرةَ، قال أنس: وكُنَّا نَتحدَّث أنه أُعطيَ قوةَ ثلاثين رجلًا[(٣)].

وأمَّا الجاهُ فمحمودٌ عند العُقَلاء عادة، وبقَدْر جاهِه عِظمُه في القلوبِ، وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥]، لكن آفاته كثيرة؛ فهو مُضِرٌّ ببعض الناس لعقبى الآخرة: فلذلِك ذمَّه من ذمَّه

---

(١) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٨)، ومسلم (٣٠٩).

ومدَح ضِدَّه، وورد في الشرع مدح الخمول وذم العُلوِّ في الأرض، وكان ﷺ قد رُزِق من الحِشمة والمكانة في القلوبِ والعظَمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يُكذِّبونه، ويؤذون أصحابه، ويَقصِدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمرَه، وقضَوْا حاجته.

وقد كان يبهَتُ ويَفْرَقُ من رؤيتِه مَن لم يره، كما رُوي في حديثِ أبي مسعود أن رجلًا قام بينَ يديه فأرعَدَ فقال له: «**هوِّنْ عليك! فإني لستُ بمَلِكٍ**... الحديث»(١).

فأمَّا عظيمُ قدرِه بالنبوةِ، وشريفُ منزلتِه بالرسالةِ، وإنافةُ رتبتِه بالاصطفاءِ والكرامةِ في الدنيا؛ فأمرٌ هو مبلغُ النهايةِ، ثم هو في الآخرةِ سيدُ ولدِ آدمَ. وعلى معنى هذا الفصلِ نظَمْنا هذا القسمَ بأسرِه.

فصل [في الضرب الثالث]

وأمَّا الضربُ الثالث فهو ما تَختلِف الحالات في التمدُّح به، والتفاخر بسببه، والتفضيل لأجله ككثرة المال، فصاحبه على الجُملة معظَّم عند العامةِ؛ لاعتقادها توصُّله به إلى حاجاته، وتَمكُّن أغراضه بسببه، وإلَّا فليس فضيلة في نفسه.

فمتى كان المالُ بهذه الصورةِ وصاحبه مُنفقًا له في مهماته ومهمات مَن اعتراهُ وأمَّلَه، وتصريفه في مواضعِه مشتريًا به المعالي والثناءَ الحسن والمنزلة من القلوبِ؛ كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا.

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣١٢).

وإذا صرفَه في وجوهِ البرِّ، وأنفقَه في سبلِ الخير، وقصدَ بذلك اللهَ والدارَ الآخرة كان فضيلةً عند الكلِّ بكل حالٍ، ومتى كان صاحبه متمسكًا له غير موجهه وجوهه، حريصًا على جمعه عادَ كُثْرُه كالعدم، وكان منقصةً في صاحبه، ولم يقِفْ به على جدَد السلامة، بل أوقعه في هوةِ رَذيلةِ البخل، ومذمَّة النذالةِ.

فانظر سيرة نبينا ﷺ وخُلُقه في المال تَجِده قد أُوتيَ خزائنَ الأرض ومفاتيحَ البلاد، وأحلت له الغنائم، ولم تحلَّ لنبيٍّ قبله، وفُتح عليه في حياته ﷺ بلادُ الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشامِ والعراق، وجُلبت إليه من أخماسِها وجِزيتها وصدقاتها ما لا يُجبَى للملوك إلا بعضُه، وهادَتْه جماعة من ملوكِ الأقاليم فما استأثرَ بشيء منه ولا أمسَك منه درهمًا، بل صرَفه مصارفه وأَغنَى به غيره وقوَّى به المسلمين، وقال: «**ما يَسُرُّني أنَّ لي أُحُدًا ذهبًا يبيت عِندي منه دِينارٌ إلَّا دِينار أَرصدُه لدَيْن**»[(١)]، ومات ودِرعُه مرهونة في نفَقة عياله[(٢)]، واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورتُه إليه، وزهِد فيما سِواه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٤)، ومسلم باب الترغيب في الصدقة (٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٧)، ومسلم (١٦٠٣).

٤- فصل [في الخصال المكتسبة]

وأمَّا الخِصالُ المكتسبةُ من الأخلاقِ الحميدة والآداب الشريفة التي اتَّفق جميعُ العقلاءِ على تفضيلِ صاحبِها، وتعظيمِ المُتَّصفِ بالخُلُقِ الواحدِ منها، فضلًا عمَّا فوقَه، وأثنى الشرعُ على جميعِها وأمَرَ بها، ووعَدَ السعادةَ الدائمةَ للمتخلِّقِ بها، ووصَفَ بعضَها بأنه مِن أجزاءِ النبوةِ، وهي المسَّاةُ بحُسن الخُلُقِ، وهو الاعتدالُ في قُوَى النفسِ وأوصافِها، والتوسطُ فيها، دونَ الميل إلى منحرفِ أطرافِها، فجميعُها قد كانت خُلُقَ نبيِّنا ﷺ على الانتهاء في كمالها، والاعتدالِ إلى غايتها، حتى أثنى الله عليه بذلك فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان خُلُقه ﷺ القرآنَ. وقال ﷺ: «**بُعِثْت لأُتَمِّم مَكارمَ الأَخْلاق**»[(١)]، وقال أنسٌ: كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلقًا[(٢)].

وهكذا لسائرِ الأنبياءِ والمرسلين، ومَن طالَعَ سِيَرهم منذ صِباهم إلى مَبعَثهم حقَّقَ ذلك كما عُرِفَ من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمانَ وغيرهم عليهم السلام.

وقال في حديثه ﷺ: «**لم أَهمَّ بشيءٍ ممَّا كانت الجاهلية تَفعَلُه إلَّا مرَّتَيْن فعصَمَني اللهُ منهما ثُم لم أَعُدْ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد ١٤/ ٥١٢ (٨٩٥٢)، والبزار (٨٩٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩).
(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٧٩).

ثم يَتمكنُ الأمرُ لهم، وتترادفُ نفحاتُ الله تعالى عليهم، وتشرقُ أنوارُ المعارفِ في قلوبِهم، حتى يَصلوا إلى الغايةِ ويَبلغوا باصطفاءِ الله تعالى لهم بالنبوةِ في تحصيلِ هذه الخصالِ الشريفةِ النهايةَ دون ممارسةٍ ولا رياضةٍ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤].

وقد نجِد غيرهم يطبع على بعض هذه الأخلاقِ دون جميعها ويُولَد عليها فيَسهُل عليه اكتِساب تَمامها عناية من الله تعالى كما نُشاهِد من خَلقِه بعض الصبيان على حسنِ السَّمْت أو الشهامة أو صِدق اللسان أو السماحة، وكما نجِد بعضَهم على ضِدِّها، فبالاكتِساب يَكمُل ناقصها، وبالرياضةِ والمجاهدة يُستجلَب معدومها، ويَعتدِل مُنحرِفها، وباختلافِ هذين الحالين يَتفاوَت الناس فيها، «وكلٌّ مُيسَّر لما خُلِق له»[(١)].

فصل [في الحِلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يَكره]

وأما الحِلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يَكره، وبين هذه الألقابِ فرقٌ:

فإن الحِلمَ: حالة تَوقُّر وثباتٍ عند الأسباب المحركات.

والاحتمالُ: حبس النفس عند الآلام والمؤذيات، ومثلها الصبرُ، ومعانيها متقاربة.

وأمَّا العفوُ: فهو تَركُ المؤاخذةِ.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

وهذا كله مما أدَّب الله تعالى به نبيَّه ﷺ فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال له: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣]، ولا خفاء بما يؤثر من حِلمه واحتِماله، وأن كل حَليم قد عرِفت منه زلةٌ وحفِظت عنه هفوة، وهو ﷺ لا يَزيد مع كثرةِ الأذى إلا صبرًا وعلى إسرافِ الجاهل إلَّا حلمًا.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ في أمرين قطُّ إلا اختارَ أيسرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسِه إلا أن تُنتَهك حُرمة الله تعالى فينتقِم لله بها[(١)].

ولما قالَ له الرجلُ: اعدل؛ فإن هذه قسمةٌ ما أُريدَ بها وجهُ الله. لم يزِده في جوابِه أن بَيَّن له ما جَهِلَه ووعَظَ نفسَه وذكرها بما قالَ له، قال: «**وَيحَك، فمَن يَعدِلُ إن لَم أَعدِل؟ خِبتَ وخَسِرتَ إن لَم أَعدِل**»[(٢)] ونهى من أرادَ من أصحابِه قتله.

ومن عظيم خبَره في العفو عفوُه عن اليهوديةِ التي سمَّته في الشاةِ بعد اعترافها[(٣)] -على الصحيح من الرواية- وأنه لم يؤاخذ لَبيدَ بنَ الأعصم إذ سحَره، وقد أُعلِم به وأُوحِيَ إليه بشرحِ أمره، ولا عتبَ عليه فضلًا عن معاقبته[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٦)، ومسلم (٢٣٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٣، ١٠٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).
(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩).

وكذلك لم يُؤاخِذ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ وأشباهَه من المنافقين بعظيم ما نقِل عنهم في جهته قولًا وفعلًا، بل قال لمن أشارَ بقتل بعضِهم: «**لا يُتحدَّثُ أن مُحمَّدًا يَقتُل أَصحابَه**»[(١)].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُنت مع النبي ﷺ وعليه بُرد غليظُ الحاشيةِ فجَبذه الأعرابيُّ بردائِه جبذةً شديدة حتى أثَّرت حاشيةُ البردِ في صفحةِ عاتقِه، ثم قال: يا محمدُ، احملْ لي على بعيريَّ هذين من مالِ الله الذي عندك؛ فإنك لا تحملُ لي من مالِك، ولا من مالِ أبيك. فسَكت النبيُّ ﷺ ثم قال: «**المالُ مالُ الله، وأنا عَبدُه**» ثم قال: «**ويُقادُ مِنك يا أعرابيُّ ما فعلتَ بي**» قال: لا، قال «**لم؟**» قال: لأنك لا تُكافئُ بالسيئةِ السيئةَ. فضحكَ النبيُّ ﷺ ثم أمرَ أن يحملَ له على بعيرٍ شعيرٌ، وعلى الآخرِ تمرٌ[(٢)].

قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرًا من مظلمة ظُلِمَها قطُّ ما لم تكن حُرمةً من محارم الله[(٣)]، «**وما ضرَب بيده شيئًا قطُّ إلَّا أن يُجاهد في سبيل الله، وما ضرَب خادمًا قط ولا امرأة**»[(٤)].

والحديثُ عن حلمِه ﷺ وصبرِه وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيحِ والمصنفاتِ الثابتةِ إلى ما بَلغ متواترًا مَبلغَ اليقينِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (١٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٦٧)، من حديث أنس مختصرا، وأخرجه أبو داود (٤٧٧٥)، والنسائي (٤٧٧٦) من حديث أبي هريرة بأتم من حديث أنس.

(٣) أخرجه الحميدي في المسند (٢٦٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣١٩)، وأصله في البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٤) أخرجه أحمد ٤١/ ٤٥٠ (٢٤٩٨٥)، وابن ماجه (١٩٨٤).

من صبرِه على مُقاساةِ قريشٍ وأذى الجاهليةِ ومُصابرتِه الشدائدَ الصعبةَ معهم، إلى أن أظفرَه الله عليهم وحكَّمه فيهم، وهم لا يَشُكُّون في استئصالِ شأفتِهم، وإبادةِ خَضرائِهم، فما زاد على أن عفا وصفحَ، وقال: «**ما تَقولون أني فاعلٌ بكم؟**» قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ، فقال: «**أقولُ كما قال أخي يوسفُ**: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] **اذهبوا فأنتمُ الطلقاءُ**»(١).

وقال لأبي سفيانَ -وقد سيق إليه بعد أن جلبَ إليه الأحزابَ وقتلَ عمَّه وأصحابَه ومثَّل بهم فعَفَا عنه ولاطَفه في القول-: «**ويحكَ يا أبا سفيانَ، ألم يأنِ لك أن تَعلمَ أن لا إله إلا الله؟**» فقال: بأبي أنت وأُمي، ما أحلمَك وأوصلَك وأكرمَك!(٢) وكان رسول الله ﷺ أبعدَ الناس غَضبًا وأسرعَهم رِضىً، صلى الله عليه وسلم.

فصل [في الجود والكرم والسَّخاء والسماحة]

وأما الجود والكرم والسَّخاء والسماحة ومعانيها متقاربة، وقد فرق بعضُهم بينها بفروق:

فجعَلوا الكرمَ: الإنفاقَ بطيبِ النفس فيما يعظم خطرُه ونفعُه، وسمَّوْه أيضًا: حريةً وهو ضدُّ النذالة.

---

(١) رواه البلاذري في فتوح البلدان (ص٥٠)، والطبري في التاريخ ٣/ ٦١.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية ١٧/ ٤٥٩ (٤٣٠١).

والسماحة: التجافي عما يَستحقُّه المرء عند غيره بطيبِ نفسٍ وهو ضد الشَّكاسةِ.

والسخاءُ: سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يُحمد وهو الجودُ وهو ضد التقتير.

فكان ﷺ لا يوازى في هذه الأخلاقِ الكريمة ولا يُبارى، بهذا وصفَه كلُّ مَن عرَفَه: فعن جابر بن عبد الله قال: ما سُئِل النبي ﷺ عن شيء فقال: لا[(١)]، وقال ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان النبي ﷺ أجودَ الناس بالخيرِ وأجودَ ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريلُ عليه السلام أجودَ بالخيرِ من الريح المرسَلة[(٢)]، وعن أنس أن رجلًا سأله فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجَع إلى بلده وقال: أَسلِموا فإن محمدًا يُعطي عطاء مَن لا يَخشَى فاقة[(٣)]، وأعطى غير واحِد مئةً من الإبِل، وأعطى صفوانَ مئةً ثُم مئةً ثم مئةً[(٤)]، وهذه كانت خُلُقه ﷺ قبل أن يُبعث وقد قال له ورقةُ بنُ نوفل: إنك تَحمِل الكلَّ، وتَكسِب المعدومَ[(٥)]، وردَّ على هوازِنَ سباياها وكانوا سِتَّة آلاف[(٦)]، وأَعطى العبَّاسَ من الذهَب ما لم يُطِق حَمْله[(٧)]. والخبرُ بجودِه وكرمِه ﷺ كثيرٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).
(٢) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢).
(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٣).
(٥) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).
(٦) أخرجه البخاري (٢٣٠٧، ٢٣٠٨) دون ذكر العدد، والطبري في تاريخه ٣/ ٨٢، وأبو عوانة في المستخرج (٧٤٠٥) بذكر العدد.
(٧) علقه البخاري (٤٢١).

فصل [في الشجاعة والنجدة]

وأمَّا الشجاعةُ والنجدة: فالشجاعةُ فضيلةُ قوةِ الغضَب وانقيادها للعقل، والنجدة ثِقة النفسِ عند استرِسالها إلى الموت حيث يُحمَد فِعلها دون خوفٍ.

وكان ﷺ منهما بالمكان الذي لا يُجهَل، قد حضَر المواقفَ الصعبة، وفرَّ الكُماةُ[(١)] والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يَبرَح، ومُقبِل لا يُدبِر ولا يَتزحزح، وما شُجاعٌ إلا وقد أُحصِيت له فرَّة وحُفِظت عنه جولة سِواه.

عن أبي إسحاقَ سمِع البراء وسأله رجل: أفرَرْتم يومَ حُنين عن رسول الله ﷺ؟ قال: لكِن رسولُ الله ﷺ لم يَفرَّ، ثُم قال: لقد رأَيْته على بغلته البيضاءِ وأبو سفيانَ آخِذ بلِجامها والنبيُّ ﷺ يَقول:

«أَنا النبيُّ لا كَــــــذِبْ
أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ»[(٢)].

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنا كنا إذا حَمي البأسُ -ويُروى: اشتد البأسُ- واحمرَّت الحدقُ اتَّقينا برسولِ الله ﷺ فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوِ منه، ولقد رأيتُني يومَ بدرٍ ونحن نلوذُ بالنبيِّ ﷺ وهو أقربُنا إلى العدوِ، وكان مِن أشد الناسِ يومئذ بأسًا[(٣)].

---

(١) (الكُماة): الشجعان.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٨١ (٦٥٤)، ٢/ ٣٠٧ (١٠٤٢)، ٢/ ٤٥٣ (١٣٤٧)، والنسائي في الكبرى (٨٥٨٥).

وعن أنسٍ كان النبي ﷺ أحسنَ الناسِ وأجودَ الناس وأشجعَ الناس، لقد فزِع أهل المدينة ليلةً فانطلقَ ناسٌ قِبَل الصوت، فتلقَّاهم رسول الله ﷺ راجِعًا قد سبَقهم إلى الصوت واستَبْرَأ الخبَرَ على فرَس لأبي طلحةَ عُريٍ، والسيفُ في عُنقه وهو يقول: «**لَنْ تُراعوا**»[(١)].

فصل [في الحياء والإغضاء]

وأما الحياء والإغضاء: فالحياء: رقة تَعتري وجهَ الإنسان عند فِعل ما يُتوقَّع كراهته، أو ما يَكون تركُه خيرًا من فِعله، والإغضاءُ: التغافُل عمَّا يَكره الإنسانُ بطبيعته.

وكان النبيُّ ﷺ أشدَّ الناسِ حياءً وأكثرَهم عن العورات إغضاءً؛ قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

عن أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان رسولُ الله ﷺ أشدَّ حياء من العَذراء في خِدرها، وكان إذا كرِه شيئًا عرَفْناه في وجهه[(٢)].

وكان ﷺ لطيفَ البشرةِ، رقيقَ الظاهرِ، لا يُشافِهُ أحدًا بما يكرهُه؛ حياءً وكرمَ نفسٍ، وكان يكني عما اضطرَّه الكلامُ إليه ممَّا يكرهُ.

قالت عائشةُ: لم يكُنِ النبيُّ ﷺ فاحشًا ولا متفحِّشًا ولا سخَّابًا بالأسواقِ ولا يَجزي بالسيئة السيئة، ولكن يَعفو ويَصفَح[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٣) أخرجه الترمذي في السنن (٢٠١٦).

فصل [في حُسن عِشرته وأدَبه وبَسط خُلقه]

وأما حُسن عِشرته وأدَبه وبَسط خُلقه ﷺ مع أصناف الخَلْق فبحيث انتَشَرت به الأخبار الصحيحةُ.

وكان رسولُ الله ﷺ يؤلِّفُهم ولا يُنفِّرُهم، ويكرم كريمَ كلِّ قومٍ، ويوليه عليهم، ويحذرُ الناسَ ويحترسُ منهم من غيرِ أن يطويَ عن أحدٍ منهم بِشرَهُ ولا خُلقَه، يتفقدُ أصحابَه، ويُعطي كلَّ جُلسائِه نصيبَه، لا يحسبُ جليسُه أن أحدًا أكرمُ عليه منه، مَن جالسَه أو قاربَه لحاجةٍ صابرَه حتى يكونَ هو المنصرفُ عنه، ومن سألَه حاجةً لم يردَّه إلا بها أو بميسورٍ من القولِ، قد وسِع الناسَ بسطُه وخلقُه فصار لهم أبًا، وصاروا عندَه في الحقِّ سواءً.

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وكان يَقبَل الهدية ولو كانت كُرَاعًا[1]، ويُكافِئ عليها.

قال أنسٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خدَمت رسول الله ﷺ عشر سِنين فما قال لي: أُفٍّ. قطُّ، وما قال لشيء صنَعتُه: لم صنَعْتَه. ولا لشيء ترَكْتُه: لم ترَكتَه[2].

---

(١) الكُرَاع: مستدق الساق من الغنم والبقر.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

وقال جرير بن عبد الله: ما حجَبني رسول الله منذ أَسلَمت، ولا رآني إلَّا تَبسَّم[(١)]، وكان يمازحُ أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويُداعبُ صِبيانهم ويُجلِسهم في حَجره، ويُجيبُ دعوةَ الحرِّ والعبدِ والأَمَة والمسكين، ويعودُ المرضَى في أقصى المدينةِ، ويَقبَل عُذر المعتذرِ.

قال أنس: ما التقَم أحدٌ أُذُنَ النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجُل هو الذي ينحي رأسَه، وما أخَذ أحد بيَده فيُرسِل يده حتى يُرسلها الآخرُ، ولم يُرَ مقدمًا رُكبتيه بين يدَيْ جليسٍ له[(٢)].

وكان يبدأ مَن لقِيَه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة.

يُكرِم من يدخلُ عليه وربما بسطَ له ثوبَه، ويؤثرُه بالوسادةِ التي تَحته، ويعزمُ عليه في الجلوسِ عليها، إن أبى، ويُكني أصحابَه، ويدعوهم بأحبِّ أسمائِهم تكرمةً لهم، ولا يقطعُ على أحدٍ حديثَه حتى يتجوزَ فيقطعَه بنهيٍ أو قيامٍ.

وكان أكثرَ الناسِ تبسمًا، وأطيبَهم نفسًا، ما لم ينزل عليه قرآنٌ أو يَعظ أو يَخطب.

وعن أنس كان خدَم المدينةِ يأتون النبي ﷺ إذا صلى الغَداة بآنيتهم فيها الماءُ فما يُؤتَى بآنية إلا غمَس يده فيها، وربما كان ذلك في الغَداة الباردةِ[(٣)] يريدون به التَّبرُّك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٤).

فصل [في الشفقة والرأفة والرحمة]

وأما الشفقةُ والرأفة والرحمةُ لجميعِ الخَلْق فقد قال الله تعالى فيه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال بعضهم: من فضله عليه السلام أن الله تعالى أَعطاه اسمَيْن من أسمائه فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن شفَقته على أُمَّته ﷺ تخفيفه وتسهيله عليهم، وكراهته أشياءَ مخافة أن تُفرَض عليهم كقوله: «**لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّواكِ مَعَ كُلِّ وُضوءٍ**»(١)، وخبَرَ صلاة الليل ونَهيهم عن الوِصال(٢).

ومن شفَقته ﷺ أن دعا ربَّه وعاهَده فقال: «**أَيُّما رَجُلٍ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَصَلاةً وَطَهُورًا وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِها إِلَيْكَ يَوْمَ القِيامَةِ**»(٣).

ولَمَّا كذَّبه قومُه أتاه جبريلُ عليه السلام فقال له: إن الله تعالى قد سمِعَ قولَ قومكَ لكَ وما رَدُّوا عليك، وقد أمَرَ ملَكَ الجبالِ لتأمره بما شِئت فيهم. فناداه ملَك الجِبال وسلَّم عليه وقال: مُرْني بما شئتَ، وإن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخشَبَيْن. قال النبيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ وَلا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد ١٦/ ٢٢ (٩٩٢٨)، وعلقه البخاري قبل الحديث (١٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٩)، ومسلم (٧٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

وقال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسولُ الله ﷺ يَتخوَّلنا بالموعظةِ مخافةَ السآمةِ علينا[١].

وعن عائِشةَ أنها ركبت بعيرًا وفيه صُعوبةٌ، فجعَلَت تُردِّده، فقال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ**»[٢].

فصل [في الوفاء وحُسْن العهد وصِلة]

وأمَّا خُلُقه ﷺ في الوفاء وحُسْن العهد وصِلة الرحِم، فعَنْ أنس كان النبي ﷺ إذا أُتِيَ بهدية قال: «**اذْهَبوا بِها إِلى بَيْتِ فُلانة؛ فإِنَّها كانَتْ صَديقةً لِخَديجة، إِنَّها كانَتْ تُحِبُّ خَديجةَ**»[٣].

وعن عائشةَ قالت: ما غِرْت على امرأةٍ ما غِرْت على خَديجةَ؛ لِما كُنتُ أَسمَعه يَذكُرها، وإن كان ليَذبَح الشاةَ فيُهدِيها إلى خَلائِلها[٤]، واستَأذَنَتْ عليه أختُها فارتاح إليها[٥].

وقال ﷺ: «**إِنَّ آلَ بَني فُلانٍ لَيْسوا لي بأَوْلياءَ، غَيْرَ أَنَّ لَهُمْ رحِمًا سَأَبُلُّها بِبَلالِها**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨)، ومسلم (٢٨٢١).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢٥٩٤).
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٢)، وابن حبان ١٥/ ٤٦٧ (٧٠٠٧).
(٤) أخرجه البخاري (٦٠٠٤)، ومسلم (٢٤٣٥).
(٥) أخرج البخاري (٣٨٢١).
(٦) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

وقد صلى عليه السلام بأُمامةَ ابنةِ ابنتِه زينبَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا يَحمِلها على عاتِقه، فإذا سجَد وضعَها، وإذا قام حمَلها[١].

ولما جِيء بأختِه من الرضاعةِ -الشيماءِ- في سبايا هوازِن وتعرَّفت له بسطَ لها رداءَه وقال لها: «**إن أحببتِ أقمتِ عندي مُكرمةً مُحببةً، أو مَتعتكِ ورجعتِ إلى قومكِ**» فاختارَت قومَها فمتَّعها[٢].

فصل [في تواضعه ﷺ]

وأمَّا تَواضُعه ﷺ على عُلوِّ مَنصِبه ورِفعة رُتبَتِه فكان أشدَّ الناس تواضعًا وأقَلَّهم كِبرًا، وحسبُك أنه خُيِّر بين أن يكون نبيًّا ملِكًا أو نبيًّا عبدًا فاختار أن يكون نبيًّا عبدًا[٣].

وقال: «**إِنَّما أَنا عَبْدٌ آكُلُ كَما يَأْكُلُ العَبْدُ وَأَجْلِسُ كَما يَجْلِسُ العَبْدُ**»، وكان يَركَب الحِمار ويُردِف خلفه، ويَعود المساكين، ويُجالس الفقراء، ويُجيب دعوة العبد، ويَجلس بين أصحابِه مختلطًا بهم حيثُما انتهى به المَجلِس جلَس.

وفي حديث عُمرَ عنه: «**لا تُطْروني كَما أَطْرَتِ النَّصارى ابنَ مَرْيَمَ، إِنَّما أَنا عَبْدٌ فَقولوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسولُهُ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣).
(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥٨).
(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦٧١٠).
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

وعن أنسٍ أن امرأةً كان في عَقْلها شيءٌ جاءته فقالت: إنَّ لي إليكَ حاجةً. قال: «**اجْلِسِي يا أُمَّ فُلانٍ في أَيِّ طُرُقِ المَدينةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ حَتَّى أَقضِيَ حاجَتَكِ**» قال: فجَلَست فجلَسَ النبيُّ ﷺ إليها حتَّى فرَغَت من حاجتِها[١].

وكان يُدعَى إلى خُبز الشَّعيرِ والإِهالةِ السنِخة فيُجيب[٢]، قال: وحجَّ ﷺ على رحلٍ رثٍّ، وعليه قطيفةٌ ما تساوى أربعةَ دراهمَ فقال: «**اللهُمَّ اجعَله حَجًّا لا رياءَ فيه ولا سُمعةَ**»[٣].

ولما فُتحتَ عليه مكةُ ودخلها بجيوشِ المسلمين طأطأ على رحلِه رأسَه حتى كاد يمسُّ قادمتَه تواضعًا لله تعالى[٤].

وقد فُتِحت عليه الأرضُ وأَهدَى في حَجِّه ذلك مئة بدَنةٍ[٥].

ومن تَواضُعه ﷺ قولُه: «**لا تُفَضِّلوني على يُونُسَ بنِ مَتَّى**»[٦]. و«**لا تُفَضِّلوا بينَ الأَنبياءِ**»[٧]. و«**لا تُخَيِّروني عَلَى مُوسَى**»[٨]، و«**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْراهيمَ**»،

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٩).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٠).
(٤) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٩ (٤٣٦٥)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل ٥/ ٦٨.
(٥) أخرجه البخاري (١٧١٨).
(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ. وفي البخاري (٣٤١٦)، ومسلم (٢٣٧٣): «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».
(٧) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).
(٨) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

و«لَوْ لَبِثْتُ ما لَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الداعِيَ»[١]. وقال للذي قال له: يا خيرَ البَرِيَّةِ: «ذلكَ إِبْراهيمُ»[٢].

وعن عائشةَ: كان في بيتِهِ في مِهنةِ أَهلِه يَفلي ثوبَه، ويَحلب شاتَه، ويرقعُ ثوبَه، ويَخصِف نعلَه، ويَخدم نفسَه، ويَعلف ناضِحَه، ويَقُمُّ البيت، ويَعقل البعيرَ، ويأكُل مع الخادِم، ويَعجِن معها، ويَحمِل بضاعته من السُّوق[٣].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن كانتِ الأَمَة من إماءِ أهل المدينة لتَأخُذ بيَدِ رسول الله ﷺ فتَنطلِق به حيثُ شاءت حتى يَقضِيَ حاجتها[٤].

فصل [في عدله ﷺ وأمانته وعِفَّته وصِدق لَهْجته]

وأمَّا عدلُه ﷺ وأمانته وعِفَّته وصِدق لَهْجته، فكان ﷺ آمَنَ الناس، وأعدلَ الناس، وأعفَّ الناس، وأصدَقَهم لَهْجة منذ كان، اعترَف له بذلك مُحادُّوه وعِداه. وكان يُسمَّى قبل نبوَّته: الأمينَ.

وسأل هرقلُ عنه أبا سفيانَ فقال: هل كُنتم تَتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا[٥].

وقال في الصحيحِ: «وَيْحكَ! فمَن يعدلُ إن لم أعدِلْ؟! خِبْت وخسِرْت إن لم أعدِلْ»[٦].

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٦٩).
(٣) أخرج بعضه مفرقا أحمد ٤١/ ٢٦٩ (٢٤٧٤٩)، ٤٣/ ٢٦٣ (٢٦١٩٤)، والبخاري (٦٧٦).
(٤) علقه البخاري (٦٠٧٢).
(٥) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).
(٦) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

فصل [في وقاره ﷺ وصمته وتُؤَدته ومروؤته وحسن هديه]

وأما وقارُه ﷺ وصمتُه وتُؤَدتُه ومروؤتُه وحسنُ هديِه، فكان كثيرَ السكوتِ لا يتكلمُ في غيرِ حاجةٍ، يُعرض عمن تكلمَ بغيرِ جميلٍ، وكان ضحكُه تبسمًا، وكلامُه فصلًا، لا فضولَ ولا تقصيرَ، وكان ضحكُ أصحابِه عنده التبسمَ؛ توقيرًا له واقتداءً به.

مجلسُه مجلسُ حلمٍ وحياء وخيرٍ وأمانة، لا تُرفعُ فيه الأصواتُ ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرُمُ[١]، إذا تكلمَ أطرقَ جُلساؤه كأنما على رؤوسِهم الطيرَ.

وقال عبدُ الله بنُ مسعود: إن أحسنَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ[٢].

قالت عائشةُ: كان رسول الله ﷺ يُحدِّث حديثًا لو عدَّه العادُّ أحصاه[٣]، وكان ﷺ يحب الطيبَ والرائحةَ الحسنةَ ويستعملُها كثيرًا ويَحض عليهما، ويقول: «**حُبِّبَ إليَّ مِن دُنياكُم النساءُ والطِّيبُ، وجُعلَت قُرةُ عَيني في الصلاةِ**»[٤] ومن مُروءتِه ﷺ نَهيُه عن النفخِ في الطعامِ والشراب[٥]، والأمرُ بالأكلِ مما يلي[٦]، والأمرُ بالسواك[٧] وإنقاءُ البراجمِ والرواجبِ، واستعمالُ خصالِ الفطرةِ[٨].

---

(١) (ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرُمُ):أي لا يذكر بسوء.
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).
(٤) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).
(٥) أخرجه أبو داود (٣٧٢٨)، وابن ماجه (٣٢٨٨)، والترمذي (١٨٨٨).
(٦) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).
(٧) أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).
(٨) أخرجه مسلم (٢٦١).

فصل [في زُهده في الدنيا]

وأمَّا زُهده في الدنيا فقد تَقدَّم من الأخبار أثناءَ هذه السيرةِ ما يَكفي، وحسبُك من تَقلُّله منها، وإعراضُه عن زَهْرتها، وقد سِيقت إليه بحذافيرها، وترادَفت عليه فُتوحُها إلى أن تُوفِّيَ ﷺ ودِرعُه مرهونةٌ عند يَهودِيٍّ في نفقة عياله[(١)]، وهو يَدعو ويقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»[(٢)].

وعن عائِشةَ قالت: ما شبِعَ رسول الله ﷺ ثلاثةَ أيام تباعًا من خُبز برٍّ حتى مضَى لسَبيلِه[(٣)].

وقالت عائِشةُ رَضِيَ اللهُ عَنها: ما ترَك رسولُ الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا شاةً ولا بعيرًا[(٤)].

وفي حديث عَمرِو بن الحارث: ما ترَك إلَّا سِلاحه وبغلته وأرضًا جعَلها صَدَقة[(٥)].

وقالت عائشةُ: ولقَدْ مات وما في بيتي شيء يَأكُله ذو كبِد إلَّا شطرَ شعير في رَفٍّ لي[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٦)، ومسلم (١٦٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).
(٣) أخرجه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).
(٤) أخرجه مسلم (١٦٣٥).
(٥) أخرجه البخاري (٣٠٩٨).
(٦) أخرجه البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣).

وعنها قالت: إن كُنا آلَ محمد لنَمكُث شهرًا ما نستوقد نارًا، إن هو إلَّا التمر والماء[(١)].

وعن أنسٍ قال: ما أكَلَ رسولُ الله ﷺ على خوان ولا في سُكُرُّجَة[(٢)]، ولا خُبِزَ له مرقَّق، ولا رأى شاةً سَمِيْطًا[(٣)] قطُّ[(٤)].

وعن عائشةَ: إنما كان فِراش رسول الله ﷺ الذي ينامُ عليه أدمًا حَشوُه ليفٌ[(٥)].

وكان ﷺ ينام أحيانًا على سَرير مَرمولٍ[(٦)] بشريطٍ حتَّى يُؤثِّر في جنبه[(٧)].

فصل [في خوفه ربه وطاعته له وشِدَّة عبادته]

وأمَّا خوفُه ربَّه وطاعتُه له وشِدَّة عبادته فعلى قَدْر عِلمه بربه؛ ولذلك قال ﷺ: «**لو تَعلمونَ ما أَعلمُ لضَحكتُم قليلًا ولبكَيتُم كثيرًا**»[(٨)].

وفي حديثِ المغيرةِ: كان يُصلِّي حتى تَرِم قدماه، فقيل له: أَتَكلَّف هذا وقد غُفِر لك ما تَقدَّم من ذنبك وما تَأخَّر؟ قال: «**أَفَلا أَكونُ عَبْدًا شَكورًا**»[(٩)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).
(٢) (السُّكُرُّجَة): إناء صغير.
(٣) (السَّمِيْط): المشوي.
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٥٧).
(٥) أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٢٢).
(٦) (مَرمُول): مُزيَّن.
(٧) أخرجه أحمد ١٩/ ٤٠٩ (١٢٤١٧)، وابن حبان ١٤/ ٢٧٦ (٦٣٦٢).
(٨) أخرجه البخاري (٦٤٨٥).
(٩) أخرجه البخاري (٦٤٧١)، ومسلم (٢٨١٩).

وقالت عائِشةُ: كان عمَلُ رسولِ الله ﷺ دِيمةً، وأيُّكم يُطيق[(١)].

وقالت: كان يَصوم حتَّى نَقول: لا يُفطِر. ويُفطِر حتى نَقول: لا يَصوم[(٢)].

وقال [أنسٌ]: كنتَ لا تشاءُ أن تراه في الليلِ مصليًا إلا رأيتَه مصليًا ولا نائما إلا رأيتَه نائمًا[(٣)].

وقال عوفُ بنُ مالكٍ: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ فاستاكَ، ثم توضأ، ثم قام يُصلي، فقمتُ معه، فبَدأ فاستفتحَ البقرةَ، فلا يمرُّ بآيةِ رحمةٍ إلا وقفَ فسألَ، ولا يمر بآيةِ عذابٍ إلا وقفَ فتعوذَ، ثم ركع فمكثَ بقدرِ قيامه يقولُ: «**سبحان ذي الجبروتِ والملكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ**» ثم سجد وقال مثلَ ذلك، ثم قرأ آل عمرانَ، ثم سورةً سورةً، يفعل مثلَ ذلك[(٤)].

وعن حذيفةَ مثلُه، وقال: سجد نحوًا من قيامِه، وجلس بين السجدتين نحوًا منه، وقام حتى قرأ البقرةَ وآلَ عمرانَ والنساءَ والمائدةَ[(٥)].

وعن عائشةَ: قام رسولُ الله ﷺ بآيةٍ من القرآنِ ليلةً[(٦)].

وعن عبدِ الله بن الشِّخِّيرِ: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يُصلي ولجَوفِه أزيزٌ كأزيزِ المرجلِ[(٧)].

وقال ﷺ: «**إنِّي لأَستَغفِرُ اللهَ في اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**»[(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٩٧٢)، ومسلم (١١٥٨).
(٤) أخرجه أبو داود (٨٧٣)، والنسائي (١١٣٢).
(٥) أخرجه مسلم (٧٧٢)، وأبو داود (٨٧٤).
(٦) أخرجه ابن ماجه (١٣٥٠)، والنسائي (١٠١٠).
(٧) أخرجه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤).
(٨) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

٥- فصل [في اجتماع صفات الكمال والتمام البشَري في جميع الأنبياء]

اعلَمْ -وفَّقَنا اللهُ وإياك- أن صِفاتِ جميع الأنبياءِ والرسل صلوات الله عليهم من كمالِ الخلق وحُسنِ الصورة، وشرفِ النسب، وحسنِ الخُلُق، وجميع المحاسن هي هذه الصفة؛ لأنها صفاتُ الكمال والتمام البشَري، والفضلُ الجميعُ لهم صلوات الله عليهم، إذ رُتْبتهم أشرفُ الرتَب، ودرجاتهم أرفعُ الدرجات، ولكن فضَّل الله بعضَهم على بعض، قال الله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان: ٣٢].

وقد قال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ عَلى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، ثُم قال آخِرَ الحديث: «عَلى خَلْقِ رَجُلٍ واحِدٍ عَلى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ﷺ طُولُهُ سِتُّونَ ذِراعًا في السَّماءِ»[(١)].

وفي حديثِ أبي هُريرةَ: «رَأَيْتُ موسَى فَإِذا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ، رَجِلٌ، أَقْنَى، كَأَنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى فَإِذا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ، كَثيرُ خِيلانِ الوَجْهِ، أَحْمَرُ، كَأَنَّما خَرَجَ مِنْ دِيماسٍ[(٢)]»[(٣)].

وقال في حديثٍ آخرَ في صِفة موسى: «كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ راءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجالِ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) (الديماس): الحمام، وقيل الكِنُّ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٠٢)، ومسلم (١٦٩).

وفي حَديث هِرقل: وسألتُكَ عن نسَبه فذكَرْت أنه فيكم ذو نسَب، وكذلك الرسُل تُبعثُ في أنساب قومِها(١).

وقال تعالى في أيوبَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٢ - ١٥]، وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٤]، وقال في نوحٍ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٦]، وقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣٠ - ٣١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب: ٦٩].

قال النبي ﷺ: «**كانَ مُوسَى رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، ما يُرَى مِنْ جَسَدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْياءً**»(٢) الحديث، وقال تعالى عنه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الشعراء: ٢١]، وقال في وصف جماعة منهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء: ١٠٧]، وقال: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

[القصص: ٢٦]، وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٩٠]، فوصَفَهم بأوصاف جَمَّة من الصلاح والهُدى والاجتِباء والحُكم والنبوة، وقال: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ﴾ عليم و﴿حَلِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠١]، وقال: ﴿۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾﴾ [الدخان: ١٧ - ١٨]، وقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وقال في إسماعيلَ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥]، وقال في موسى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ [مريم: ٥١]، وفي سليمانَ: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٥ - ٤٨]، وفي داود: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ١٧]، ثُم قال: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: ٢٠]، وقال عن يوسف: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥]، وفي

موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، وقال تعالى عن شعيبٍ عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]، وقال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾ [هود: ٨٨]، وقال: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤] وقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

في آيٍّ كثيرة، ذكَر فيها من خِصالهم ومحاسِن أخلاقهم الدالَّة على كمالهم، وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله: «**إِنَّما الكَريمُ ابنُ الكَريمِ ابنِ الكَريمِ ابنِ الكَريمِ: يُوسُفُ بنُ يَعقوبَ بنِ إِسْحاقَ بنِ إبراهيمَ، نبيٌّ ابنُ نبيٍّ ابنِ نبيٍّ ابنِ نبيٍّ**»[(١)].

وفي حديث أَنسٍ: «**وَكَذَلِكَ الْأَنْبِياءُ تَنامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنامُ قُلوبُهُمْ**»[(٢)].

وروى أبو هُريرةَ، عنه ﷺ: «**خُفِّفَ عَلى داوُدَ القُرآنُ، فَكانَ يَأْمُرُ بِدوابِّه فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قبلَ أن تُسْرَجَ، وَلا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلى الله صَلاةُ داوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيامِ إلى الله صِيامُ داوُدَ، كانَ يَنامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقومُ ثُلُثَهُ، وَيَنامُ سُدُسَهُ، وَيَصومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٠، ٤٦٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤١٧).
(٤) أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

الباب الثالث: فيما ورَدَ من صَحيح الأخبار ومَشهورها بعظيم قَدْره عِند رَبِّه ومَنزِلته وما خَصَّه به في الدارَيْن من كَرامته عليه السلام

لا خِلافَ أنه أَكرَم البشَر، وسَيِّد ولَد آدَمَ، وأفضَلُ الخلقِ عندَ الله، وأَعلاهُم درجةً، وأَقرَبُهم زلفَى.

واعلَمْ أن الأحاديث الواردةَ في ذلك كثيرة جدًّا، وقد اقتَصَرْنا منها على صحيحها ومُنتَشِرِها .

١ - فصل فيما ورَد من ذِكر مكانته عند ربه عز وجل والاصطِفاءِ ورِفعة الذِّكْر والتفضيل، وسِيادة ولَد آدمَ وما خصَّه به في الدنيا من مزايا الرتَب

وعن واثِلةَ بنِ الأسقعِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله اصطفى مِن ولدِ إبراهيمَ إسماعيلَ، واصطفى مِن ولدِ إسماعيلَ بني كِنانةَ، واصطفى من بني كِنانةَ قُريشًا، واصطفى من قريشٍ بني هاشمَ، واصطفاني من بني هاشمٍ**»[(١)].

وعن أنسٍ أنَّ النبي ﷺ أُتِيَ بالبراقِ ليلةَ أُسري به فاستَصعبَ عليه؛ فقال له جبريلُ: بمحمدٍ تفعلُ هذا؟ فما رَكبك أحدٌ أكرمُ على الله منه، فارفَضَّ عرقًا[(٢)].

روَى عنه أبو هريرةَ وجابرُ بن عبدِ الله أنه ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا** - وفي بعضها: **سِتًّا** - **لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسيرةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهورًا، وَأَيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، ولَمْ تَحِلَّ لنَبِيٍّ قَبْلي، وبُعِثْتُ إلى الناسِ كافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفاعةَ**»[(٣)].

وفي الحديثِ الآخرِ عن أبي هريرةَ: «**نُصرتُ بالرعبِ، وأوتيتُ جوامعَ الكلمِ، وبينا أنا نائمٌ إذ جيءَ بمفاتيحِ خزائنِ الأرضِ فوُضعَت في يَدي**»[(٤)].

وفي رواية: «**وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٣١).

(٣) حديث أبي هريرة: أخرجه مسلم (٥٢٣)، والبخاري (٢٩٧٧) بنحوه. وحديث جابر: أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

وعن عُقبةَ بنِ عامرٍ أنه قال: قال ﷺ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأنا شَهيدٌ علَيْكُم، وإِنِّي واللهِ لَأَنْظُرُ إلى حَوْضي الآنَ، وإِنِّي قَدْ أُعطِيتُ مَفاتيحَ خَزائِنِ الأَرْضِ، وإِنِّي واللهِ ما أَخافُ عَلَيْكُم أن تُشرِكوا بَعْدي، ولَكِنِّي أَخافُ علَيْكم أن تَنافَسوا فيها**»[١].

وعن أبي هُريرةَ، عنه ﷺ: «**ما مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبياءِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ علَيْه البشَرُ، وَإِنَّما كانَ الَّذي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحى اللهُ إِلَيَّ، فأَرْجو أَنْ أَكونَ أَكْثَرَهُمْ تابِعًا يومَ القِيامَةِ**»[٢].

معنى هذا عند المُحقِّقين: بقاءُ مُعجِزاته ما بقِيَت الدنيا، وسائِر مُعجِزات الأنبياء ذهَبت للحين، ولم يُشاهِدها إلَّا الحاضِرُ لها، ومُعجِزة القرآن يَقِف عليها قَرْن بعد قَرْن عيانًا لا خبرًا إلى يوم القِيامة.

وقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ قَدْ حَبَسَ عَنْ مكَّةَ الفيلَ وَسَلَّطَ علَيْها رَسولَه والمُؤمِنينَ، وَإِنَّها لم تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدي، وَإِنَّما أُحِلَّتْ لي ساعَةً مِنْ نَهارٍ**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٢)،، ومسلم (١٣٥٥).

٢- فصل في تَفضيله بما تَضمَّنته كرامة الإسراءِ من المناجاةِ والرؤية وإمامة الأنبياءِ والعروج به إلى سِدرة المنتهى، وما رأى من آيات رَبِّه الكبرى

ومن خَصائِصه ﷺ قصةُ الإسراءِ، وما انطوَت عليه من درَجات الرِّفعة مما نبَّه عليه الكتاب العزيزُ وشرَحتْه صحاح الأخبارُ، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١ - ١٨].

فلا خِلافَ بين المسلمين في صِحَّة الإسراء به ﷺ إذ هو نصُّ القُرآن وجاءت بتفصيله وشَرْح عجائِبه وخواصِّ نبيِّنا محمد ﷺ فيه أحاديثُ كثيرةٌ مُنتشِرة رأَيْنا أن نُقدِّم أكملَها.

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُتِيتُ بِالبُراقِ، وَهُوَ دابَّةٌ أَبيضُ طَويلٌ فَوقَ الحِمارِ ودونَ البَغْلِ، يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهى طَرْفِهِ**»، قال: «**فَرَكِبْتُهُ حتَّى أَتيتُ بيتَ المَقدِس فرَبَطْتُه بالحَلقة الَّتي يَربط بها الأَنبياءُ، ثُم دخَلْتُ المَسجِدَ فصَلَّيْتُ فيه ركعتَيْن، ثُم خرَجْت فجاءَني جِبريلُ بإناءٍ من خَمرٍ، وإناءٍ من لبَن فاخترْتُ اللبَنَ، فقال جبريلُ: اخترْتَ الفِطرةَ. ثُم عُرِجَ بِنا إلى السَّماءِ فاسْتَفْتَحَ**

جَبريلُ فقيل: مَن أنتَ؟ قال: جِبريلُ. قيل: ومَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحمَّدٌ. قيل: وقَدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قال: قد بعُثِ إليه، ففُتِحَ لنا، فإذا أنا بآدَمَ ﷺ فرحَّب بي ودعا لي بخَيْر، ثُم عَرَجَ بنا إلى السَّماءِ الثانيةِ، فاستَفْتَحَ جَبريلُ، فقيل: مَن أنتَ؟ قال: جَبريلُ: قيل: ومَنْ معكَ؟ قال: مُحمَّد. قيل: وقَدْ بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إلَيْه. ففُتِحَ لنا، فإذا أنا بابْنَي الخالةِ عِيسى ابنِ مَريمَ ويَحيَى بن زكريَّا صلى الله عليهما فرحَّبا بي ودعَوَا لي بخَيْر، ثُم عَرَج بنا إلى السماءِ الثالِثةِ» فذكَر مثلَ الأوَّل «ففُتِحَ لَنا فإذا أنا بيُوسُفَ ﷺ وإذا هو قد أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ، فرحَّب بي ودعا لي بخَيْر، ثُم عَرَجَ بنا إلى السَّماءِ الرابِعةِ» وذكَر مِثلَه «فإذا أَنا بإدريسَ فرحَّب بي ودَعا لي بخَيْر، قال اللهُ تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧]، ثُم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامِسة» فذكَر مثلَه «فإذا أنا بهارونَ فرحَّبَ بي ودعا لي بخَيْر، ثُم عَرَجَ بنا إلى السَّماء السادِسةِ» فذكر مثله «فإذا أنا بمُوسَى فرحَّبَ بي ودَعا لي بخَيْرٍ ثُم عَرَجَ بِنا إلى السَّماءِ السابِعةِ» فذكَر مِثلَه «فإذا أَنا بإبراهيمَ مُسنِدًا ظَهْرَه إلى البيتِ المَعمورِ، وإذا هو يَدخُله كلَّ يومٍ سَبْعونَ أَلْفَ ملَكٍ لا يَعودون إليه، ثُم ذَهبَ بي إلى سِدرةِ المُنتَهى، وإذا وَرَقُها كآذانِ الفِيَلةِ، وإذا ثَمَرُها كالقِلالِ، قال فلمَّا غشِيَها من أَمْرِ الله ما غشَّى تغيَّرَت؛ فما أحَدٌ من خَلْق الله يَستطيع أن يَنعتَها من حُسْنها، فأَوْحى اللهُ إليَّ ما أَوحَى، ففرَضَ عليَّ خمسينَ صَلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فنزَلْت إلى مُوسى فقال: ما فرَضَ ربكَ على أُمَّتك؟ قُلتُ: خمسينَ صلاة. قال: ارجِعْ إلى ربِّكَ فاسأَلْه التخفيفَ؛ فإن أُمَّتكَ لا يُطيقون ذلك، فإنِّي قد بلَوْت بني إسرائيلَ وخبَرْتهم». قال: «فرَجَعْتُ إلى رَبِّي فقُلْت: يا ربِّ خَفِّفْ عَن أُمَّتي. فحطَّ عَنِّي خَمسًا فرَجَعْت إلى مُوسى فقلتُ: حطَّ عنِّي خمسًا. قال: إنَّ أُمَّتَكَ لا يُطيقونَ ذلِكَ؛ فارْجِعْ إلى ربك

فاسْأَلْه التخفيفَ» قال: «فلَمْ أَزَلْ أَرجِع بين ربي تعالى وبين موسَى حتَّى قال: يا مُحمَّد إنَّهُنَّ خمسُ صلَواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ لكلِّ صَلاةٍ عشرٌ، فتِلكَ خَمسونَ صَلاةً، ومَن هَمَّ بحسَنة فلَمْ يَعمَلها كُتِبَت له حسَنة، فإن عمِلها كُتِبت له عشرًا، ومَن هَمَّ بسَيِّئة فلَمْ يَعمَلها لم تُكتَبْ شيئًا، فإن عمِلَها كُتِبَت سيِّئة واحِدة». قال: «فنزَلْتُ حتَّى انتَهَيْت إلى موسى فأَخبَرْته فقال: ارجِعْ إلى ربِّكَ فاسأَلْه التَّخفيفَ». قال رسول الله ﷺ: «فقُلْتُ: قَدْ رجَعْت إلى رَبِّي حتَّى استَحْيَيْتُ مِنه»[(١)].

فصل [في اختلاف السلف في حقيقة الإسراء]

ثُم اختَلَف السلَفُ والعلماءُ: هل كان أسري برُوحه أو جسَده على ثلاث مَقالات:

فذهَبَت طائفةٌ: إلى أنه إسراء بالروح، وأنه رُؤيا مَنام مع اتِّفاقهم أن رُؤيا الأنبياء حقٌّ ووحيٌ، وإلى هذا ذهَب معاويةُ[(٢)]، وحُكِيَ عن الحسَن[(٣)]، والمشهورُ عنه خِلافُه، وإليه أَشارُ محمدُ بنُ إسحاقَ[(٤)]، وحُجَّتُهم قولُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

وذهَب مُعظَم السلَف والمُسلِمين: إلى أنه إسراءٌ بالجسَد وفي اليَقَظة، وهذا هو الحقُّ.

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/ ٤٤٥.
(٣) انظر تفسير الطبري ١٤/ ٤٤٦.
(٤) السيرة النبوية (ص١٠٤).

وقالت طائِفةٌ: كان الإسراءُ بالجسَد يَقظةً من المسجد الحرام إلى بيت المَقدِس، وإلى السماء بالروح، واحتَجُّوا بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، فجعَل ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] غايةَ الإسراءِ الَّذي وقَع التَّعجُّب فيه بعَظيم القُدرة والتَّمدُّح بتشريف النبيِّ محمَّد ﷺ به وإظهار الكَرامة له بالإسراء إليه، قال هؤلاء: ولو كان الإسراءُ بجسَده إلى زائِدٍ على المسجِد الأقصى لذكَرَه فيَكون أبلغَ في المدحِ.

والحقُّ من هذا والصحيحُ -إن شاء الله-: أنه إسراء بالجسد والروحِ في القصة كلها، وعليه تَدُلُّ الآية وصحيحُ الأخبارِ والاعتبار، ولا يُعدَل عن الظاهر والحقيقةِ إلى التأويل إلَّا عند الاستِحالة، وليس في الإسراء بجسَده وحال يَقَظته استحالةٌ، إذ لو كان منامًا لقال: برُوح عَبده. ولم يقل: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النجم: ١٧]، ولو كان منامًا لما كانت فيه آيةٌ ولا مُعجِزة، ولما استَبْعَده الكُفَّار ولا كذَّبوه فيه، ولا ارتَدَّ به ضُعَفاءُ مَن أسلَمَ وافتَتَنوا به، إذ مِثْل هذا من المناماتِ لا يُنكَر، بل لم يَكُن ذلك منهم إلَّا وقد علِموا أن خبَرَه إنما كان عن جِسمه وحال يَقَظته، إلى ما ذُكِر في الحديث من ذِكْر صَلاته بالأنبياءِ ببيت المَقدِس في رواية أنسٍ أو في السَّماء على ما روَى غيرُه، وذكر مجَيء جِبريلَ له بالبُراق، وخبَرَ المعراج، واستِفتاح السماء فيُقال: ومَن معَكَ؟ فيقول: محُمَّد. ولِقائِه بالأنبياءِ فيها وخبَرِهم معه وترحيبِهم به، وشأنِه في فرض الصلاةِ ومراجعتِه مع موسى في ذلك.

وفي بعض هذه الأخبارِ: «**فأَخَذَ** -يَعنِي: جبريل- **بيَدي فعرج بي إلى السماء**» إلى قوله: «**ثُم عَرَجَ بي حتى ظهَرْت بمُستوًى أَسمَع فيه صَريفَ الأقلام**»[(١)]. وأنه وصَل إلى سِدرة المُنتهى، وأنه دخَل الجَنة ورأَى فيها ما ذكَره، قال ابنُ عباس: هي رُؤيا عَينٍ رآها النبي ﷺ لا رُؤيا مَنام[(٢)].

وعن أبي هريرة: «**لَقَدْ رَأَيْتُني في الحِجْر، وقُريشٌ تَسأَلني عن مَسْراي، فسَأَلَتْني عَنْ أَشْياءَ لم أُثْبِتْها، فكُرِبْتُ كَرْبًا ما كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فرَفَعَهُ اللهُ لي أَنظُرُ إلَيْهِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٨).
(٣) أخرجه مسلم (١٧٢).

٣- فصل في ذِكْر تفضيلِه ﷺ في القِيامة بخُصوص الكَرامة

عن أبي هريرةَ عنه ﷺ: «**أَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامةِ، وأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[(١)].

وعن أنس: «**أَنا أَوَّلُ الناسِ يُشَفَّعُ في الجَنَّةِ، وَأَنا أَكْثَرُ الناسِ تَبَعًا**»[(٢)]، وعنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**أَنا سَيِّدُ الناسِ يَوْمَ القِيامةِ وَتَدْرونَ بِمَ ذلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرينَ**»[(٣)]. وذكَر حَديث الشفاعةِ.

قوله: «**أَنا سَيِّدُ الناسِ يَوْمَ القِيامةِ**»، هو سيِّدُهم في الدنيا ويومَ القِيامة، ولكن أَشار ﷺ لانفِراده فيه بالسُّؤدَد والشفاعة دون غيرِه إذ لجَأ الناس إليه في ذلك فلم يَجِدوا سِواه، والسيِّد هو الذي يَلجأ الناس إليه في حوائِجهم، فكان حينَئذٍ سيِّدًا منفردًا بين البشر لم يُزاحِمه أحدٌ في ذلك ولا ادَّعاه كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، والمُلْك له تعالى في الدنيا والآخِرة، لكِن في الآخرة انقَطَعت دعوَى المُدَّعي لذلك في الدنيا، وكذلك لجَأ إلى مُحمَّد ﷺ جميعُ الناس في الشفاعةِ، فكان سيِّدَهم في الأُخرى دون دَعوَى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**آتِي بابَ الجَنَّةِ يومَ القِيامةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقولُ الخازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقولُ: مُحَمَّدٌ. فيَقولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[(١)].

وعن عبدِ الله بنِ عَمرٍو قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسيرةَ شَهْرٍ، وَزَواياهُ سَواءٌ، وَماؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزانُهُ كَنُجومِ السَّماءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

٤- فصل في تَفضيله بالمحبَّة والخلَّة

جاءت بذلك الأخبار الصحيحةُ، فعن أبي سَعيدٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَليلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ**»[١].

وفي حديثٍ آخرَ: «**وَإِنَّ صاحِبَكُمْ خَليلُ اللهِ**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

٥- فصل في تَفضيلِه بالشفاعة والمَقام المَحْمود

قال اللهُ تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

عن ابنِ عمرَ قال: إن الناس يَصيرون يوم القيامة جثًا كلُّ أمَّة تَتبَع نبيَّها يقولون: يا فُلان، اشفَعْ لنا، يا فُلانُ، اشفَعْ لنا. حتى تنتهيَ الشفاعة إلى النبيِّ ﷺ، فذَلِكَ يومَ يَبعَثُه اللهُ المَقامَ المَحْمودَ[(١)].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنه ﷺ: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتي الجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفاعةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفاعةَ؛ لِأَنَّها أَعَمُّ، أَتَرَوْنَها للمُتَّقينَ؟ لا، ولكِنَّها للمُذْنِبينَ الخَطَّائينَ**»[(٢)].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلتُ: يا رسول الله ماذا ورَد عليكَ في الشفاعة؟ فقال: «**شَفاعَتي لِمَنْ شَهِدَ أَن لا إلهَ إلَّا اللهُ مُخلِصًا يُصَدِّقُ لِسانَهُ قَلْبُهُ**»[(٣)].

وقال جابرُ بن عبد الله ليزيدَ الفقيرِ: سمِعت بمَقام محمد؟ يَعنِي: الذي يَبعَثه الله فيه قال: نعَمْ. قال: فإنه مَقام محمد المَحمود الذي يُخرِج الله به مَن يُخرِج. يَعنِي: من النار، وذكر حَديث الشفاعةِ في إخراج الجَهنَّميِّين[(٤)].

وفي روايةِ أنسٍ وأبي هريرةَ وغيرِهما -دخَلَ حديثُ بعضِهم على بعضٍ- قال ﷺ: «**يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ يومَ القِيامةِ فيَهْتَمُّونَ** -أو قال: **فيُلْهَمونَ**-

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣١١).

(٣) أخرجه أحمد ١٦/ ٤١٧ (١٠٧١٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٩١).

فيَقولونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنا إلى رَبِّنا»[(١)]، ومِن طريقٍ آخرَ: «ماجَ الناس بعضُهم في بعض»[(٢)]، وعن أبي هريرة[(٣)]: «وتَدنو الشمسُ؛ فيبلغُ الناسَ من الغمِّ ما لا يُطيقون، ولا يَحتَمِلون فيَقولون: ألا تَنْظُرونَ مَن يَشفَع لكم؟!

فيَأْتون آدَمَ فيَقولون: أنتَ آدَمُ أبو البشَرِ، خلَقَكَ اللهُ بيَدِه، ونفَخَ فيكَ من رُوحِه، وأَسكَنَكَ جَنَّتَه، وأَسجَد لكَ مَلائِكتَه، وعلَّمَكَ أسماءَ كلِّ شيءٍ، اشفَعْ لَنا عِندَ ربِّكَ حتى يُريحَنا من مَكانِنا، ألا تَرَى ما نحنُ فيه؟! فيَقول: إن رَبِّي غضِبَ اليومَ غضبًا لم يَغضَبْ قبلَه مثلَه ولا يَغضَب بعدَه مِثلَه، نَهاني عن الشجَرةِ فعَصَيْتُ، نَفْسي نَفْسي، اذْهَبوا إلى غيري، اذهَبوا إلى نوحٍ.

فيَأتونَ نوحًا فيَقولون: أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى أَهْلِ الأرضِ، وسَمَّاكَ اللهُ عبدًا شَكورًا، أَلا تَرَى ما نحنُ فيه؟! أَلا تَرَى ما بلَغنا؟! أَلا تَشفَعُ لَنا إلى ربِّكَ؟! فيَقولُ: إن رَبِّي غضِبَ اليومَ غضَبًا لم يَغضَبْ قبلَه مِثلَه ولا يَغضَب بَعْدَه مِثلَه، نَفْسي نَفْسِي -قال في روايةِ أنسٍ: ويذكرُ خطيئتَه التي أصابَ: سؤالَه ربَّه بغير علمٍ[(٤)]- وَقَدْ كانت لي دَعوةٌ دعَوْتها على قَوْمي، اذهَبوا إلى غَيْري، اذهَبوا إلى إبراهيمَ فإنه خَليلُ الله.

فيَأتون إبراهيمَ فيَقولون: أنتَ نبيُّ الله وخليلُه من أَهْل الأرضِ، اشفَعْ لَنا إلى ربِّكَ، أَلَا تَرى ما نحنُ فيه؟! فيَقول: إنَّ رَبِّي قد غضِبَ اليَوْمَ غضَبًا»، وذكر مثلَه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) من حديث أنس.

ويَذكُر ثلاث كلِماتٍ كذَبَهن «نَفْسي نَفْسي، لَستُ لَهَا، ولكِنْ علَيْكم بمُوسى فإنه كَليمُ الله[(١)] - وفي روايةٍ: فإنه عبدٌ آتاه الله التوراةَ وكلَّمه وقرَّبه نَجِيًّا[(٢)]-.

فَيَأْتون موسى فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ويَذكُر خَطيئتَه التي أصابَ وقَتْلَه النفس، ويقول: نَفسي نفسي، ولَكِنْ علَيْكم بعيسى فإنه رُوحُ الله وكلِمَتُه. فيَأتون عيسَى فيَقولُ: لَسْتُ لها، ولكِنْ علَيْكُم بمُحمَّدٍ عَبْدٍ غفرَ اللهُ له ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبه وما تَأخَّرَ. فأُوتَى فأقول: أَنا لها فأَنطَلِقُ فأَسْتأذِنُ على رَبِّي، فيُؤذَن لي فإذا رأَيْتُه وقَعْتُ ساجِدًا[(٣)] - وفي رواية: فآتي تحتَ العرشِ فأخِرُّ ساجدًا[(٤)]. وفي روايةٍ: فأقومُ بينَ يديه فأحمَدُه بمحامدَ لا أقدرُ عليها إلا أنه يُلهِمنيها الله[(٥)]. وفي رِواية: فيَفتَح اللهُ عليَّ من مَحامِده وحُسْن الثَّناء عليه شيئًا لم يَفتَحْه على أحَدٍ قَبْلي[(٦)]- فيُقالُ: يا محمدُ ارفَعْ رأسَكَ، سَلْ تُعطَه، واشفَعْ تُشفَّعْ. فأَرفَع رأسي فأَقول: يا رَبِّ أُمَّتي، يا ربِّ أُمَّتي. فيَقول: أَدخِلْ من أُمَّتكَ مَن لا حِسابَ عليه منَ البابِ الأيمنِ من أبواب الجَنَّة، وهُم شُرَكاءُ الناس فيما سِوى ذلك منَ الأَبوابِ»[(٧)].

ولم يُذكر في روايةِ أنسٍ هذا الفضل، وقال مكانَه: «ثم أخِرُّ ساجدًا فيقالُ لي: يا محمدُ، ارفع رأسَك، وقل يُسمع لك ، واشفع تُشفع، وسَل تُعطه، فأقولُ: يا ربِّ، أمتي أمتي، فيقال: انطلِق، فمَن كان في قلبِه مثقالُ حبةٍ من بُرةٍ أو شَعيرةٍ من إيمانٍ؛ فأخرجه فأنطلِق، فأفعلُ، ثم أرجِعُ إلى ربي فأحمدَه بتلك المحامدِ» وذكَرَ مثل

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) من حديث أنس.
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.
(٤) أخرجه مسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة.
(٥) أخرجه مسلم (١٩٣) من حديث أنس.
(٦) أخرجه البخاري (٤٧١٢) من حديث أبي هريرة.
(٧) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة.

الأولِ وقال فيه: «**مثقالُ حبةٍ من خردلٍ، قال: فأَفعلُ ثم أَرجعُ**» وذكر مثل ما تقدمَ وقال فيه: «**من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مِن مثقالِ حبةٍ مِن خردلٍ فأفعل**» وذكر في المرة الرابعة: «**فيقالُ لي ارفعْ رأسَك، وقل يُسمع، واشفعْ تشفعُ، وسل تُعطه، فأقولُ: يا ربِّ، ائذن لي فيمَن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذلك إليك، ولكن وعِزتي وكبريائي وعظمَتي وجِبريائي، لأُخرجَن مِن النار مَن قال: لا إله إلا الله**» ومِن روايةِ قتادةَ عنه قال: «**فلا أدري في الثالثة أو الرابعة، فأقولُ: يا ربِّ، ما بقيَ في النارِ إلا مَن حبسَه القرآنُ**» أي: مَن وجبَ عليه الخلودُ.

فقدِ اجتمَع مِن اختِلاف ألفاظ هذه الآثارِ أن شفاعتَه ﷺ ومَقامه المحمودَ من أوَّل الشفاعات إلى آخِرها من حين يجتمِع الناس للحَشْر وتَضيق بهم الحناجِر، ويَبلُغ منهم العرَقُ والشمس والوقوفُ مبلَغه، وذلك قبلَ الحِساب، فيَشفَع حينئذ لإراحة الناس من المَوقِف، ثُم يُوضَع الصراطُ ويُحاسَب الناس، فيَشفَع في تَعجيل مَن لا حِسابَ عليه من أُمَّته إلى الجنة، ثم يَشفَع فيمَن وجَب عليه العذابُ ودخل النار مِنهم حسبَما تَقتَضيه الأحاديثُ الصحيحة، ثُم فيمَن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ. وليس هذا لِسواهُ ﷺ، وفي الحديثِ المُنتشِر الصحيحِ: «**لِكُلِّ نبيٍّ دَعوةٌ يَدْعو بها، واختبَأْتُ دَعْوتي شَفاعةً لأُمَّتي يومَ القِيامةِ**»[(١)].

فتكون هذه الدعوةُ المذكورة مَخصوصةً بالأُمَّة مَضمونة الإجابة، وإلَّا فقَدْ أَخبَرَ ﷺ أنه سأَل لأُمَّته أشياءَ من أمورِ الدين والدنيا فأُعطِيَ بعضَها ومُنِعَ بعضها، وادَّخر لهم هذه الدعوةَ ليومِ الفاقة، وخاتمة المِحَن، وعَظيم السؤال والرغبة: جَزاهُ الله أحسنَ ما جَزَى نبيًّا عن أُمَّته ﷺ كَثيرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٨).

٦- فصل في تفضيله في الجنةِ بالوسيلةِ، والدرجةِ الرفيعةِ، والكوثرِ، والفضيلةِ

عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقولُ: «**إذا سمعتُم المؤذنَ فقولوا مثلَ ما يقولُ، ثم صَلوا علي؛ فإنه مَن صلى علي مرةً صلى الله عليه عشرا، ثم سَلوا الله لي الوسيلةَ، فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنبغي إلا لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمَن سألَ الله لي الوسيلةَ حلَّت عليه الشفاعةُ**»(١).

وفي حديثٍ آخر عن أبي هريرةَ: الوسيلةُ: أعلى درجةٍ في الجنةِ(٢).

وعن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بَينا أنا أسيرُ في الجنةِ إذ عرضَ لي نهرٌ حافَّتاه قبابُ اللؤلؤِ، قلتُ لجبريلَ: ما هذا؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَه الله. قال: ثم ضربَ بيدِه إلى طينِه فاستخرجَ مسكًا**»(٣).

وعن عائشةَ(٤) وعبدِ الله بنِ عُمر مثلِه، قال: «**ومجراهُ على الدرِ والياقوتِ، وماؤُه أحلى مِن العسلِ، وأبيضُ من الثلجِ**»(٥).

وفي روايةٍ عنه: «**فإذا هو يَجري، ولم يشقَّ شقًّا، عليه حوضٌ تَردُ عليه أُمتي**» وذَكر حديثَ الحوضِ(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٢).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨١)، والترمذي (٣٣٦٠) واللفظ له.
(٤) أخرجه البخاري (٤٩٦٥).
(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجه (٤٣٣٤).
(٦) أخرجه أحمد ٢١/ ٢٠٠ (١٣٥٧٨).

٧- فصل [في تأويل نهيه ﷺ عن التفضيل]

فإن قلتَ: إذا تقررَ من دليلِ القرآنِ، وصحيح الأثرِ، وإجماعِ الأمةِ، كونُه أكرمَ البشرِ، وأفضلَ الأنبياءِ، فما معنى الأحاديثِ الواردةِ بنهيِه عن التفضيلِ كقولِه: «**ما يَنبغي لِعبدٍ أن يَقولَ: أنا خيرٌ من يونسَ بنِ متَّى**»[(١)].

وفي حديثِ أبي هريرةَ في اليهوديِّ الذي قال: والذي اصطَفى موسى على البشرِ؛ فلطمَه رجلٌ من الأنصارِ، وقال: تقولُ ذلك ورسولُ الله ﷺ بين أظهرِنا، فبلغَ ذلك النبيُّ ﷺ فقالَ: «**لا تُفضِّلوا بين الأنبياءِ**»[(٢)].

فاعلَم، أن للعلماءِ في هذه الأحاديثِ تأويلاتٍ:

أحدُها: أن نهيَه عن التفضيلِ كان قبلَ أن يعلمَ أنه سيدُ ولدِ آدمَ فنهى عن التفضيلِ إذ يحتاجُ إلى توقيفٍ، وأن مَن فضَّل بلا علمٍ فقد كذبَ.

الوجهُ الثاني: أنه قاله ﷺ على طريقِ التواضعِ ونفيِ التكبرِ والعجبِ، وهذا لا يَسلمُ من الاعتراضِ.

الوجهُ الثالثُ: ألا يفضلَ بينهم تَفضيلًا يؤدي إلى تنقصِ بعضِهم أو الغضِّ منه لا سيما في جهةِ يونسَ عليه السلام إذ أخبرَ الله عنه بما أخبرَ؛ لئلا يقع في نفسِ مَن لا يعلمُ منه بذلك غضاضةٌ وانحطاطٌ مِن رُتبتِه الرفيعةِ، إذ قال تعالى عنه: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١٤٠﴾ [الصافات: ١٤٠] ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فربما يُخيلُ لِمَن لا علمَ عنده حطيطتُه بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٢، ٣٤١٤) ومسلم (٢٣٧٤).

الوجه الرابعُ: منعُ التفضيلِ في حق النبوةِ والرسالةِ، فإن الأنبياءَ فيها على حدٍ واحدٍ إذ هي شئٌ واحدٌ لا يتفاضلُ، وإنما التفاضلُ في زيادةِ الأحوالِ والخصوصِ والكراماتِ والرتبِ والألطافِ، وأما النبوةُ في نفسِها فلا تَتفاضلُ، وإنما التفاضلُ بأمورٍ أُخر زائدةٍ عليها؛ ولذلك منهم رُسل، ومنهم أولو عزمٍ من الرسلِ، ومنهم مَن رُفع مكانًا عليًا، ومنهم من أوتي الحكمَ صبيًا، وأوتي بعضُهم الزُّبر، وبعضُهم البيناتِ، ومنهم مَن كلمَ الله ورفع بعضَهم درجاتٍ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] وقال: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣].

قال بعضُ أهل العلمِ: والتفضيلُ المرادُ لهم هنا في الدنيا، وذلك بثلاثةِ أحوالٍ: أن تكونَ آياتُه ومعجزاتُه أبهرَ وأشهرَ، أو تكونَ أمتُه أزكى وأكثرَ، أو يكونَ في ذاتِه أفضلَ وأطهرَ، وفضلُه في ذاته راجعٌ إلى ما خصَّه الله به من كرامتِه واختصاصِه من كلامٍ، أو خلة، أو رؤيةٍ، أو ما شاء الله من ألطافِه، وتحفِ ولايته، واختصاصِه.

٨- فصل في أسمائه عليه السلام وما تَضمَّنته من تفضيلِه

قال رسول الله ﷺ: «**لي خَمْسةُ أسماءٍ: أنا مُحمَّد، وأنا أَحمدُ، وأنا الماحي الَّذي يَمحو اللهُ بي الكُفْرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشَر الناسُ على قدَمي، وأنا العاقِبُ**»(١)، وقد سمَّاه الله تعالى في كتابِه: محمدًا وأحمدَ.

فمن خصائصِه تعالى له أن ضمَّن أسماءَه ثناءَه وطوَى أثناء ذكرِه عظيمَ شكرِه، فأما اسمُه **أحمدُ** فأفعَل مبالغة من صِفة الحمد، **ومُحمَّد** مُفعَّل مبالَغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجلُّ مَن حَمَد، وأفضَلُ مَن حُمِد وأكثرُ الناس حَمْدًا، فهو أحمدُ المحمودين، وأحمدُ الحامِدين، ومعه لواءُ الحمد يومَ القِيامة، وليَتِمَّ له كمالُ الحمد.

ويتشهرُ في تلك العرصاتِ بصفةِ الحمدِ، ويبعثُه ربهُ هناك مقامًا محمودًا كما وعدَه يحمدُه فيه الأولون والآخرون بشفاعتِه لهم، ويُفتَحُ عليه فيه من المحامدِ كما قال ﷺ ما لم يعط غيرُه.

ثم في الاسمينِ من عجائبِ خصائصِه، وبدائعِ آياته فنٌّ آخرُ، هو أن الله جل اسمُه حمى أن يُمسى بهما أحدٌ قبل زمانِه، وأما أحمدُ الذي أتى في الكتبِ وبشرت به الأنبياءُ فمنعَ الله تعالى بحكمتِه أن يُسمى به أحدٌ غيرُه، ولا يُدعى به مَدعوٌّ قبلَه؛ حتى لا يدخلَ لبسٌ على ضعيفِ القلبِ أو شك، وكذلك محمدٌ أيضا، لم يُسم به أحدٌ من العربِ ولا غيرِهم إلى أن شاعَ قُبيلَ وجودِه ﷺ وميلادِه أن نبيًّا يُبعثُ اسمُه محمد فسَمى قومٌ قليلٌ من العربِ أبناءَهم بذلك رجاءَ أن يكونَ

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

أحدُهم هو، والله أعلم حيث يجعلُ رسالاتِه، وهم: محمدُ بنُ أحيحة بنِ الجلاحِ الأوسيُّ، ومحمدُ بنُ مسلمةَ الأنصاريُّ، ومحمدُ بنُ براء البكريُّ، ومحمدُ بنُ سفيانَ بنِ مجاشعٍ، ومحمدُ بنُ حمرانَ الجعفي، ومحمدُ بنُ خزاعي السلمي لا سابعَ لهم.

ثم حمى الله كل من تَسمَّى به أن يَدعي النبوةَ أو يدعيها أحدٌ له، أو يظهرَ عليه سبب يشككُ أحدًا في أمرِه حتى تحققَت السمتان له ﷺ، ولم ينازَع فيهما.

وأما قولُه ﷺ: «**وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ**» ففسرَ في الحديثِ، ويكونُ محو الكفرِ إما من مكةَ وبلادِ العربِ وما زُوي له من الأرضِ ووعدَ أنه يبلغُه ملك أمتِه، أو يكونُ المحو عامًّا بمعنى الظهورِ والغلبةِ كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقولُه: «**وأنا الحاشرُ الذي يُحشر الناسُ على قَدمي**» أي: على زماني وعَهدي أي: ليس بعدي نبيٌّ كما قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وسُميَ عاقبًا؛ لأنه عقبَ عليه السلام غيرَه من الأنبياءِ، وفي الصحيحِ: «**أنا العاقبُ الذي ليس بعدي نبيٌّ**».

وقيل: معني «**على قدمي**»: أي: يُحشر الناسُ بمشاهدَتي كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقيلَ: «**على قدمي**»: على سابقَتي، قال الله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]. وقيلَ: «**على قدمي**»: أي: قُدامي وحَولي أي: يَجتمعون إليَّ يومَ القيامةِ. وقيل: «**على قدمي**» على سُنتي.

ومعني قولِه: «**لي خمسةُ أسماءٍ**» قيل: إنها موجودةٌ في الكتبِ المتقدمةِ وعند أولي العلمِ من الأممِ السالفةِ، والله أعلم.

وفي حديث أبي موسى الأشعريِّ أنه كان ﷺ يُسمِّي لنا نفسَه أسماءً فيَقول: «**أنا مُحمَّد، وأحمدُ، والمُقفِّي، والحاشرُ، ونبيُّ التوبةِ، ونبيُّ المَلحَمةِ**»(١).

ومعنى «**المقفِّي**»: معنى «**العاقب**»، وأمَّا نبيُّ الرحمة والتَّوْبة والمَرحَمة والراحة فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكما وصَفه بأنه يُزكيهم، ويُعلِّمهم الكتاب والحِكمة، ويَهديهم إلى صِراط مُستقيم، وبالمؤمنين رؤفٌ رحيمٌ. وقد قال في صِفة أُمَّته: «**إِنَّها أُمَّة مَرحومةٌ**»(٢)، وأمَرَها ﷺ بالتراحُم، وأَثنى عليه فقال: «**إنَّ اللهَ يُحِبُّ مِن عِبادِهِ الرُّحماءَ**»(٣)، وقال: «**الراحِمونَ يَرحَمُهُم الرحمنُ، ارْحَموا مَنْ في الأَرضِ يَرْحَمْكُم مَن في السماءِ**»(٤)، وأمَّا روايةُ نبيِّ الملحمةِ فإشارةٌ إلى ما بُعِث به من القتالِ والسيفِ ﷺ، وهي صحيحة.

وقد جاءت مِن ألقابِه ﷺ وسماتِه في القرآنِ عِدَّةٌ كثيرةٌ سوى ما ذكرناه كالنورِ، والسراجِ المنيرِ، والمنذرِ، والنذيرِ، والمبشرِ، والبشيرِ، والشاهدِ، والشهيدِ، والحقِ المبين، وخاتمِ النبيينِ، والرؤوفِ الرحيم، والأمينِ، وقدمِ الصدق، ورحمةِ العالمين، ونعمةِ الله، والعروةِ الوثقى، والصراطِ المستقيم، والنجمِ الثاقبِ، والكريمِ، والنبيِ الأمي، وداعيِ الله، في أوصافٍ كثيرةٍ وسماتٍ جليلةٍ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٨)، ومسلم (٩٢٣) بنحوه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤).

٩- فصل في تَشريف الله تعالى بما سَمَّاه به من أسمائه الحُسنى ووَصَفه به من صِفاته العُلى(١)

فاعلَمْ أن الله تعالى خصَّ كثيرًا من أنبيائه بكرامة خلَعها عليهم من أسمائه كتَسمية إسحاقَ وإسماعيلَ بعَليم وحَليم، وإبراهيمَ بحَليم، ونوحٍ بشَكور، وعيسى ويَحيَى ببَرٍّ وموسى بكَريمٍ وقوِيٍّ، ويوسُفَ بحفيظٍ عليمٍ، وأيوبَ بصابِرٍ، وإسماعيلَ بصادِق الوعدِ كما نطَق بذلك الكتابُ العزيز من مواضع ذِكْرهم صلوات الله وسلامه على جميعهم، وفضَّل محمدًا نبيَّنا ﷺ بأن حلَّاه منها في كِتابه العزيزِ وعلى أَلْسنة أنبيائه بِعدة كثيرةٍ اجتَمَع لنا منها جُملة بعد إعمال الفِكْر وإحضار الذِّكْر إذ لم نَجِد مَن جمَع منها فوقَ اسمَيْن.

فمن أَسمائِه تعالى: **الرؤف الرحيم**، وهما بمَعنًى مُتقارِب، وسمَّاه في كتابه بذلك فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن أسمائه تعالى: **الحقُّ المبينُ**، ومَعنَى الحق: الموجود والمُتحقِّق أَمرُه، وكذلك المُبين أيِ: البيِّنُ أمرُه وإلهيتُه. وسمَّى النبيَّ ﷺ بذلك في كِتابه فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ

---

(١) يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « سمَّى الله نفسه بأسماء وسمّى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص... فقد سمَّى نفسه سميعا بصيرا، وسمى بعض خلقه سميعا بصيرا فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، وليس السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير [التدمرية ٢١-٢٣].

ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الحجر: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ [الأنعام: ٥]، قيل: محمد. وقيل: القرآن. ومَعناه هاهنا ضدُّ الباطل، والمتحقق صِدقه وأَمره، وهو بمعنى الأول.

ومن أسمائه تعالى: الشهيدُ، ومعناه: العالم، وقيل: الشاهد على عِباده يوم القِيامة، وسمَّاه **شهيدًا وشاهدًا** فقال: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفتح: ٨]، وقال: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهو بمَعنى الأوَّل.

ومن أسمائِه تعالى: الكريمُ، ومعناه: الكثيرُ الخيرِ. وقيل: المفضلُ. وقيل: العفوُّ. وقيل: العليُّ.

وسَماه تعالى كريمًا بقولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠] قيلَ: محمدٌ. وقيلَ: جبريلُ.

ومعاني الاسم صحيحةٌ في حقهِ ﷺ.

ومن أسمائِه تعالى: العظيمُ، ومعناه: الجليلُ الشأنِ، الذي كلُّ شيء دونه، وقال في النبيِّ ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

ومِن أسمائِه تعالى في الحديثِ: «**الشكورُ**»[١] ومعناه المثيبُ على العملِ القليلِ. وقيل: المثني على المطيعين، ووصَفَ بذلك نبيَّه نوحًا عليه السلام فقالَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١) في حديث سرد الأسماء المشهور.

وقد وَصفَ النبيُّ ﷺ بذلك نفسَه فقال: «**أفلا أكونُ عبدًا شكورًا**»[(١)] أي: معترفًا بنعمِ ربي، عارفًا بقدرِ ذلك، مثنيًا عليه، مجهدًا نفسي في الزيادةِ من ذلك، لقولِه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن أسمائِه تعالى: **القويُّ وذو القوة المَتين**، وقد وصَفَه اللهُ تعالى بذلك فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ٢٠]، قيل: محمد. وقيل: جبريل.

ومن أسمائِه تعالى: الوليُّ والمولى، ومعناهما: الناصرُ، وقد قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال ﷺ: «**أنا وليُّ كلِّ مُؤمنٍ**»[(٢)] وقال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

ومن أسمائِه تعالى: العفو، ومعناه: الصفوحُ، وقد وصف الله تعالى بهذا نبيَّه في القرآن وفي التوراةِ، وأمرَه بالعفو فقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المائدة: ١٣].

ومن أسمائه تعالى: العزيزُ، ومعناه: الممتنعُ الغالب، أو الذي لا نظيرَ له، أو المعزُّ لغيره، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨] أي: الامتناعُ وجلالةُ القدر، وقد وصف الله تعالى نفسَه بالبشارةِ والنذارةِ فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التوبة: ٢١] وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩] و﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران: ٤٥] وسماه الله تعالى مبشرًا، ونذيرًا، وبشيرًا، أي: مبشرًا لأهل طاعته، ونذيرًا لأهل معصيتِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٨)، ومسلم (١٦١٩) بمعناه.

الباب الرابعُ: فيما أظهَرَه الله تعالى على يديه من المُعجِزات وشرَفه به من الخَصائص والكَرامات

حسب المُتأمِّل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نَجمَعه لِمُنكِرِ نُبوَّة نبيِّنا ﷺ ولا لطاعِن في مُعجِزاته؛ فنَحتاج إلى نَصْب البراهين عليها، وتَحصين حَوْزتها حتى لا يَتوصَّلَ المُطاعِن إليها، ونذكر شُروط المعجز والتحدِّي وحدَه، وفَساد قول مَن أَبطَل نَسْخ الشرائع ورَدَّه، بل أَلَّفْناه لأهل مِلَّته المُلبِّين لدعوته المصدِّقين لنبوته؛ ليكون تأكيدًا في محبتهم له، ومَنماةً لأعمالهم؛ وليَزدادوا إيمانًا مع إيمانهم، ونيَّتُنا أن نُثبِت في هذا البابِ أمَّهات مُعجِزاته ومشاهيرَ آياته؛ لتَدُلَّ على عظيم قدرِه عند ربه، وأتينا منها بالمُحقَّق والصحيح الإسناد، وأكثرُه مما بلغ القطع أو كاد وأَضَفْنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كُتب الأئمة.

وإذا تأمل المُتأمِّل المُنصِف ما قدَّمناه من جميل أثَره، وحميد سيره، وبراعة عِلْمه، ورجاحة عقله، وحلمه، وجملة كماله، وجميعِ خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله لم يَمترِ في صحة نُبوته، وصِدق دعوته، وقد كَفَى هذا غيرَ واحِد في إسلامه والإيمان به.

فعن عبدِ الله بن سلَام قال: لَمَّا قدِم رسول الله ﷺ المدينةَ جئتُه لأنظر إليه، فلمَّا استبَنْت وجهَه عرَفْت أن وجهه ليس بوجهِ كذَّاب[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤).

وروى مسلم وغيره أن ضِمادًا لمَّا وفَد عليه فقال له النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُه ونَستَعينُه، مَن يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأن مُحمدًا عبدُه ورسولُه**»، قال له: أعِدْ عليَّ كلماتِك هؤلاءِ؛ فلَقَدْ بلغن قاموسَ البَحْر، هاتِ يدَكَ أبايِعْكَ [(١)].

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨).

١- فصل [في أن المُعجِز مع التحدِّي من النبيِّ ﷺ قائِم مَقام قول الله: صَدَقَ عبدي]

اعلَمْ أن اللهَ جل اسمُه قادِر على خَلق المعرفة في قلوبِ عباده والعلمِ بذاته وأسمائه وصفاته وجميعِ تَكليفاته ابتِداءً دون واسِطة لو شاء، كما حُكِيَ عن سُنته في بعض الأنبياء، وذَكَره بعضُ أهل التفسير في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]، وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسِطة تُبلِّغهم كلامَه، وتكون تلكَ الواسِطةُ إمَّا من غير البشَر كالملائِكة مع الأنبياءِ، أو من جِنْسهم كالأنبياءِ مع الأُمَم ولا مانعَ لهذا من دليلِ العقلِ، وإذا جاز هذا ولم يَستَحِل وجاءت الرسلُ بما دلَّ على صِدْقهم من مُعجِزاتهم؛ وجَبَ تَصديقُهم في جميع ما أَتَوْا به؛ لأن المُعجِز مع التحدِّي من النبيِّ ﷺ قائِم مَقام قول الله: صَدَقَ عبدي، فأَطيعوه واتَّبِعوه. وشاهد على صِدقه فيما يَقوله وهذا كافٍ.

٢- [فصل في معنى النبي والرسول]

واختلَف العلماءُ: هل النبيُّ والرسولُ بمعنًى أو بمعنَيَيْن؟ فقيل: هما سَواءٌ، وأصلُه من الإنباء وهو الإعلام، واستدَلُّوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢]، فقد أَثبَت لهما معًا الإرسالَ، قال: ولا يكون النبيُّ إلا رسولًا، ولا الرسول إلا نبيًّا. وقيل: هما مُفتَرِقان من وجهٍ إذ قد اجتَمَعا في النبوَّة التي هي الاطِّلاع على الغَيْب والإعلام بخواصِّ النبوة أو الرفعة؛ لمعرفة ذلك، وحوز درجتها، وافتَرَقا في زيادة الرسالة للرسولِ، وهو الأمر بالإنذارِ والإعلامِ.

وقد ذهَب بعضُهم إلى أن الرسولَ مَن جاء بشَرْع مبتدأ، ومَن لم يَأتِ به نبيٌّ غير رسولٍ وإن أَمر بالإبلاغ والإنذارِ.

والصحيح والذي عليه الجَمَّاءُ الغفيرُ أن كلَّ رسول نبيٌّ، وليس كل نبيٍّ رسولًا، وأوَّل الرسُل آدمُ، وآخرُهم محمدٌ ﷺ.

وأمَّا الوحيُ فأصلُه الإسراع، فلمَّا كان النبيُّ يَتلقَّى ما يأتيه من ربه بعجَل سُمِّيَ وحيًا، وسمِّيت أنواع الإلهاماتِ وحيًا تشبهًا بالوحي إلى النبي، وسمِّيَ الخطُّ وحيًا لسرعة حركة يدِ كاتِبه، ووحيُ الحاجب واللَّحْظ سرعةُ إشارَتِهما، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ [مريم: ١١]، أي: أَوْمَأ ورمَز، وقيل: كتَبَ. ومنه قولهم: الوَحا الوَحا. أي: السرعة السرعة، وقيل: أصل الوحي السرُّ والإخفاء. ومنه سُمِّيَ الإلهامُ وحيًا، ومنه قولُه تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، أي: يُوسوِسون في صدورهم، ومنه قوله: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص: ٧]، أي: أُلْقِيَ في قلبها، وقد قيل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾ [الشورى: ٥١]، أي: ما يُلقيه في قلبه دونَ واسِطة.

٣- فصل [في معنى المعجزة وضروبها وأقسامها]

اعلَمْ أن معنَى تسميتنا ما جاءت به الأنبياءُ معجزةً هو أن الخلقَ عجَزوا عن الإتيان بمِثلها، وهي على ضربَيْن:

- ضربٍ هو من نوع قُدرة البشَر فعجَزوا عنه، فتَعجيزُهم عنه فِعل الله دلَّ على صِدق نبيِّه كصَرْفهم عن تمنِّي الموت، وتَعجيزهم عن الإتيان بمثل القُرآن على رأيِ بعضِهم ونحوه.
- وضربٍ هو خارج عن قُدرتهم فلم يَقدِروا على الإتيان بمِثله كإحياء الموتى، وقَلْب العصا حيَّةً، وإخراج ناقة من صَخْرة، وكلام شجَرة، ونَبْع الماء من الأصابع، وانشِقاق القمَر، ممَّا لا يمكن أن يفعلَه أحدٌ إلا الله، فكون ذلك على يدِ النبي ﷺ من فِعْل الله تعالى وتَحدِّيه مَن يُكذِّبه أن يأتيَ بمِثله تعجيز له.

واعلَمْ أن المعجزاتِ التي ظهرت على يد نبيِّنا ﷺ ودلائلَ نبوته وبراهينَ صِدقه من هذين النوعين معًا، وهو أكثرُ الرسل مُعجِزةً، وأبهرُهم آيةً، وأظهرُهم برهانًا كما سنُبيِّنه، وهي في كَثْرتها لا يحيط بها ضَبْط، فإن واحِدًا منها وهو القُرآن لا يُحصى عدَد مُعجِزاته بأَلْف ولا ألفين ولا أكثَرَ؛ لأن النبيَّ ﷺ قد تَحدَّى بسورة منه فعُجِز عنها.

ثم مُعجزاته ﷺ على قسمَيْن:

قِسم منها عُلِم قطعًا، ونُقِل إلينا، مُتواتر كالقُرآن فلا مِريةَ ولا خِلاف بمَجيء النبيِّ به، وظهوره من قِبَله، واستِدلاله بحُجته وإن أَنكَر هذا معانِد جاحِد فهو كإنكاره وجودَ محمَّد ﷺ في الدنيا.

والقِسم الثاني: ما لم يَبلُغ مبلَغ الضرورة والقَطْع، وهو على نوعين:

- نوع مُشتهِر مُنتشِر رواه العددُ، وشاع الخبر به عند المُحدِّثين والرواة ونقَلة السِّيَر والأخبار، كنَبْع الماء من بين الأصابع، وتَكثير الطعام.
- ونوع منه اختَصَّ به الواحِد أو الاثنان، ورواه العدَدُ اليسيرُ، ولم يَشتهِر اشتهارَ غيره، لكنه إذا جُمِع إلى مِثلِه اتَّفَقا في المعنى، واجتَمَعا على الإتيان بالمعجِز كما قدَّمناه.

وأنا أَقول صدعًا بالحقِّ: إن كثيرًا من هذه الآياتِ المأثورة عنه ﷺ معلومة بالقَطْع؛ أما انشِقاق القمَر فالقرآن نصَّ بوُقوعه، وأَخبر عن وُجوده، ولا يُعدَل عن ظاهِره إلَّا بدليل، وجاء برفع احتمالِه صحيحُ الأخبار من طرُق كثيرةٍ، ولا يُوهِن عزمنا خِلافُ أخرقَ مُنحلِّ عُرى الدِّين، ولا يُلتَفت إلى سَخافة مُبتدِع يُلقِي الشكَّ على قلوب ضعفاءِ المؤمنين، بل نُرغِم بهذا أنفَه، وننبذ بالعَراءِ سُخفَه، وكذلك قِصَّة نبعِ الماء وتَكثير الطعامِ رواها الثِّقات والعددُ الكثير عن الجمَّاء الغفيرِ عن العدَد الكثير من الصحابةِ.

وكذلك إخبارُه عن الغيوبِ وإنباؤُه بما يَكون وكان، معلوم من آياته على الجُملة بالضَّرورة.

٤- فصل في إعجاز القرآن

اعلَمْ -وفَّقنا الله وإياك- أن كتاب الله العزيز منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبطِ أنواعِها في أربعة وجوه:

أوَّلها: حُسن تأليفه والتِئام كلِمِه وفصاحتُه ووجوهُ إيجازه وبلاغتِه الخارقة عادة العربِ، وذلك أنهم كانوا أربابَ هذا الشأنِ، منهم البدوي ذو اللفظِ الجَزْل والقول الفصل والكلام الفخمِ والطبعِ الجوهري والمنزعِ القوي، ومنهم الحضريُّ ذو البلاغةِ البارعة، والألفاظِ الناصعةِ، والكلمات الجامعةِ، والطبع السهلِ، والتصرفِ في القول القليل الكلفةِ، الكثيرِ الرونقِ، الرقيق الحاشيةِ، وكِلا البابين فلهما في البلاغةِ الحجة البالغة، والقوة الدامغةُ، والقدح الفالجُ، والمهيَع الناهجُ، لا يشكون أن الكلامَ طوعُ مرادِهم، والبلاغة ملك قيادِهم، قد حووا فنونها، واستنبطوا عيونَها، ودخلوا من كل بابٍ من أبوابها، وعلَوْا صرحًا لبلوغ أسبابها، فقالوا في الخطيرِ والمهين، وتفنَّنوا في الغثِّ والسمين، وتقاولوا في القُلِّ والكُثرِ، وتساجَلوا في النظم والنثرِ، فما راعهم إلا رسولٌ كريم بكتابٍ عزيزٍ، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِه، تنزيلٌ من حكيم حَميد، أُحكِمت آياته، وفصِّلت كلماته، وبهَرَت بلاغته العقولَ، وظهرت فصاحتُه على كل مَقول.

وذكر أبو عبيدٍ أن أعرابيًّا سمِع رجلًا يقرأُ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤] فسجَد وقال: سجَدْت لفصاحته.

وسمِع آخرُ رجُلًا يَقرأ: ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا ﴾ [يوسف: ٨٠] فقال: أشهَد أن مخلوقًا لا يَقدِر على مثل هذا الكلام.

وحكى الأصمعيُّ أنه سمِع كلام جاريةٍ فقال لها: قاتَلكِ الله، ما أفصحَكِ؟! فقالت: أَوَيُعدُّ هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧]، فجمَع في آية واحِدة بين أمرين ونَهْيَيْن وخبَرين وبِشارتَيْن[١]، فهذا نوع من إعجازه مُنفرِد بذاته غير مضافٍ إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين.

وأنت إذا تأمَّلت قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [سبأ: ٥١]، وقوله: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقوله: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠] وأشباهها منَ الآيِ، بل أكثر القرآن حققت ما بيَّنته من إيجاز ألفاظها، وكثرة معانيها، وديباجة عبارتها، وحُسن تأليف حروفها، وتَلاؤُم كلِمها.

الوجه الثاني من إعجازه: صورة نَظْمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها، الذي جاء عليه ووقَفَتْ مقاطعُ آيِهِ، وانتهت فواصل كلِماته إليه، ولم يوجد قبلَه ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحَدٌ مماثلةَ شيء منه، بل حارت فيه عقولُهم، وتَذَهَّلت دونه أحلامُهم.

---

(١) انظر: تفسير الماوردي ٤/ ٢٣٦.

ولَمَّا سمِع كلامَه ﷺ الوليدُ بنُ المغيرة وقرأ عليه القرآن رقَّ، فجاءه أبو جَهْل منكِرًا عليه قال: والله ما منكم أحدٌ أعلمُ بالأشعار منِّي، والله ما يُشبِه الذي يَقول شيئًا من هذا[(١)].

وفي خبَره الآخَر حين جمع قريشًا عند حُضور الموسِم وقال: إن وفود العرَب تَرِد، فأَجمِعوا فيه رأيًا لا يُكذِّب بعضُكم بعضًا. فقالوا: نقول: كاهِن. قال: والله ما هو بكاهِنٍ، ما هو بزَمْزَمته ولا سَجْعه. قالوا: مجنونٌ. قال: ما هو بمَجنون ولا بخَنقِه ولا وَسْوسته. قالوا: فنقول: شاعِر. قال: ما هو بشاعِر، قد عرَفْنا الشِّعر كله؛ رجَزَه وهزَجَه وقَريضه ومَبْسوطه ومَقْبوضه، ما هو بشاعر. قالوا: فنقول: ساحِر. قال: ما هو بساحِر ولا نَفثِه ولا عَقْده. قالوا: فما نَقول؟ قال: ما أنتُم بقائلين من هذا شيئًا إلَّا وأنا أعرِف أنه باطلٌ، وإن أقربَ القول أنه ساحِر، فإنه سِحْر يُفرِّق به بين المرء وأبيه، والمرء وأخيه، والمرء وزوجه، والمرء وعَشيرته. فتَفرَّقوا وجلَسوا على السبُل يُحذِّرون الناس، فأَنزَل الله تعالى في الوليد: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المدثر: ١١، ٢٤][(٢)].

والإعجازُ بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها، أو الأسلوب الغريب بذاته، كل واحِد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تَقدِر العرب على الإتيان بواحِدٍ منهما.

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٥٠ (٣٨٧٢).

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٥١).

الوجه الثالث من الإعجاز: ما انطَوى عليه من الأخبار بالمُغيَّبات، وما لم يَكن ولم يَقع، فوُجِد كما ورَد وعلى الوجه الذي أَخبَر كقوله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ٣]، وقوله: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥]، وقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ١ - ٣]، فكان جميعُ هذا كما قال؛ فغلَبت الرومُ فارسَ في بِضْع سِنين، ودخَل الناسُ في الإسلام أفواجًا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلِّها موضِع لم يَدخُله الإسلام.

منه قوله: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ [التوبة: ١٤]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾ [آل عمران: ١١١]، فكان كل ذلك، وما فيه من كشفِ أسرار المنافقين واليهودِ ومقالهم وكذِبهم في حلِفهم وتَقريعهم بذلك كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨]، وقوله: ﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ

ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة: ٤١]، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقد قال مُبديًا ما قدَّره الله واعتَقَده المؤمنون يومَ بدر: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر: ٩٥]، ولمَّا نزَلت بشَّر النبي ﷺ بذلك أصحابَه بأن الله كَفاه إيَّاهم، وكان المُستهزِئون نفرًا بمكةَ يُنفِّرون الناس عنه ويُؤذونه فهَلكوا.

الوجه الرابع: ما أَنبأ به من أخبار القرون السالِفة والأمم البائِدة والشرائع الداثِرة ممَّا كان لا يعلم منه القِصة الواحدة إلَّا الفذ من أَحبار أهل الكتابِ الذي قطَع عُمره في تَعلُّم ذلك.

وقد كان أهل الكتاب كثيرًا ما يَسألونه ﷺ عن هذا فيَنزِل عليه من القرآن ما يَتلو عليهم منه ذِكْرًا كقِصص الأنبياء مع قَوْمهم، وخبَر موسى والخَضر، ويُوسُفَ وإخوتِه، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ولُقمانَ وابنه، وأشباه ذلك من الأنباء.

هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيِّنة لا نزاعَ فيها، ولا مِريةَ.

ومن الوجوه البيِّنة في إعجازه من غير هذه الوجوه:

آيٌ ورَدت بتعجيز قوم في قضايا، وإعلامهم أنهم لا يَفعلونها فما فعَلوا ولا قدَروا على ذلك كقوله لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٥]، قال أبو إسحاقَ الزجاجُ: في هذه الآيةِ أعظمُ حُجة وأظهرُ دَلالة على صحة الرسالةِ؛ لأنه قال: فتمنَّوُا الموت. وأَعلَمَهم أنهم لن يَتمنَّوْه أبدًا، فلم يَتمَنَّه واحد منهم[(١)].

وكذلك آية المُباهلة من هذا المعنَى، حيث وفد عليه أساقفةُ نجرانَ وأبَوا الإسلام فأنزل الله تعالى عليه آيةَ المباهلةِ بقوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١] فامتَنعوا منها ورَضوا بأداء الجزيةِ، وذلك أن العاقبَ عظيمَهم قال لهم: قد علمتهم أنه نبيٌّ، وأنه ما لاعَنَ قومًا نبيٌّ قط فبقي كبيرُهم ولا صغيرُهم.

ومنها: الروعة التي تَلحَق قلوبَ سامعيه وأسماعهم عند سَماعه، والهيبة التي تَعتريهم عند تِلاوته لقوةِ حاله، وإنافةِ خطرِه، وهي على المُكذِّبين به أعظمُ، حتى كانوا يَستثقِلون سماعه، ويَزيدهم نفورًا كما قال تعالى، ويودُّون انقطاعَه؛ لكراهتهم له.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١٧٦.

فحُكي في الصحيح عن جُبير بن مُطعم قال: سمِعت النبي ﷺ يَقرأ في المغربِ بالطُّور، فلمَّا بلَغ هذه الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧] كادَ قلبي أن يَطير(١).

وعن عُتبةَ بن ربيعةَ أنه كُلِّم النبيُّ ﷺ فيما جاء به من خِلاف قومه فتلا عليهم: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١ - ١٣]، فأمسكَ عُتبةُ بيدِه على في النبيِّ ﷺ وناشَده الرحِم أن يَكُفَّ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٢٠٦-٢٠٧).

ومن وُجوه إعجازه المعدودة: كونُه آيةً باقيةً لا تُعدَم ما بقِيَت الدنيا مع تَكفُّل الله بحِفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وسائر مُعجِزات الأنبياء انقَضت بانقِضاء أوقاتها، فلم يَبقَ إلا خبرُها، والقرآن العزيز الباهرةُ آياتُه، الظاهِرة معجزاته، حُجتُه قاهرة، ومعارضته مُمتنِعة، والأعصارَ كلها طافِحة بأهل البيان، وحمَلة عِلم اللسان، وأئمة البلاغة وفُرسان الكلام، وجَهابذة البراعة، والمُلحِد فيهم كثير، والمعادي للشرع عتيد، فما منهم مَن أتى بشيء يُؤثر في مُعارَضته، ولا ألَّف كلمتين في مُناقضَته، ولا قدَر فيه على مَطعَن صحيح.

فصل

وقد عد جماعةٌ من الأئمة ومقلِّدي الأمة في إعجازه وجوهًا كثيرةً:

منها: أن قارئَه لا يمله، وسامعَه لا يمجه، بل الإكبابُ على تلاوته يزيده حلاوةً، وترديده يُوجب له محبةً، لا يزال غضًّا طريًّا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحُسن والبلاغة مبلغَه يُمل مع الترديدِ، ويُعادى إذا أُعيد، وكتابنا يُستلذ به في الخلوات، ويؤنسُ بتلاوتِه في الأزمات، وسواء من الكتب لا يوجدُ فيها ذلك، حتى أحدثَ أصحابُها لها لحونًا وطرقًا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطُهم على قراءَتها.

ومنها: جَمعُه لعلوم ومعارف لم تَعهد العربُ عامة، ولا محمدٌ ﷺ قبل نبوتِه خاصة بمعرفتِها ولا القيام بها، ولا يحيطُ بها أحدٌ من علماء الأمم، ولا يشتملُ

عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علمِ الشرائعِ، والتنبيهِ على طرق الحججِ العقلياتِ، والرد على فرق الأمم ببراهينَ قويةٍ، وأدلة بينة، سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد، رامَ المتحذلِقون بعدُ أن يَنصبوا أدلةً مثلها فلم يَقدروا عليها، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١].

ومنها: جمعهُ فيه بين الدليل ومدلولِه، وذلك أنه احتُجَ بنظمِ القرآن، وحسنِ رصفه، وإيجازِه وبلاغتِه، وأثناء هذه البلاغةِ أمرُه ونهيُه ووعدُه ووعيدُه، فالتالي له يفهم موضعَ الحجةِ والتكليفَ معًا من كلام واحدٍ وسورة منفردةٍ.

ومنها: أن جعلَه في حيزِ المنظومِ الذي لم يُعهد ولم يكن في حيز المنثورِ؛ لأن المنظومَ أسهل على النفوس، وأوعى للقلوب، وأسمعُ في الآذان، وأحلى على الأفهام، فالناسُ إليه أميلُ، والأهواءُ إليه أسرعُ.

ومنها: تيسيرُه تعالى حفظَه لمتعلميه، وتقريبه على متحفظيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧] وسائرُ الأمم لا يحفظُ كتبها الواحدُ منهم، فكيف الجماء على مرور السنين عليهم، والقرآن مُيسر حفظُه للغلمان في أقرب مدةٍ.

وحقيقةُ الإعجاز: الوجوه الأربعةُ التي ذكرنا، فليُعتَمد عليها، وما بعدها من خواصِّ القرآنِ وعجائبِه التي لا تنقضي، وبالله التوفيقِ.

٥- فصل في انشِقاق القمَر

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١ - ٢]، أخبر تعالى بوقوع انشِقاقه بلَفظ الماضي وإعراض الكفَرة عن آياته، وأجمَع المُفسرون وأهلُ السُّنَّة على وُقوعه.

عن ابنِ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: انشقَّ القمَرُ على عهد رَسول الله ﷺ فِرقتين: فِرقة فوقَ الجبَل، وفِرقة دونَه، فقال رسول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا**»[1].

وعن أَنَس: سأَل أهل مكةَ النبيَّ ﷺ أن يُرِيَهم آية، فأراهمُ انشِقاق القمَر فرقتين حتى رأَوْا حِراءَ بينهما.

وأكثر طرقِ هذه الأحاديثِ صحيحةٌ، والآية مُصرِّحة، ولا يُلتَفت إلى اعتراضِ مَخذول بأنه لو كان هذا لم يَخفَ على أهل الأرض، إذ هو شيء ظاهِر لجَميعهم، إذ لم يُنقَل لنا عن أهل الأرضِ، أنهم رصَدوه تلكَ الليلةَ فلم يَرَوْه انشقَّ، ولو نُقِل إلينا عمَّن لا يَجوز تَمالؤهم -لِكثرتهم- على الكذِب لما كانت علينا به حُجة، إذ ليس القمرُ في حدٍّ واحِد لجميع أهل الأرض، فقد يَطلُع على قوم قبل أن يَطلُع على الآخرين، وقد يَكون من قوم بضِدِّ ما هو من مُقابِليهم من أقطار الأرض، أو يَحول بين قوم وبينه سَحاب أو جِبال؛ ولهذا نجِد الكُسوفات في بعض البلاد دونَ بعض، وفي بعضِها جُزئية، وفي بعضها كُلية، وفي بعضها لا يَعرِفها إلا المُدَّعون لعِلمها، ذلك تقديرُ العزيز العَليم، وآية القمر كانت ليلًا، والعادة من الناس باللَّيْل الهدوء والسكون، وإيجافُ الأَبواب.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).

٦- فصل في نَبْع الماء من بين أصابعه وتَكثيره ببركَته

أمَّا الأحاديث في هذا فكثيرةٌ جدًّا، روَى حديثَ نَبع الماء من أصابعه ﷺ جماعةٌ من الصحابة.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتَمَسَ الناسُ الوَضوءَ، فلم يَجِدوه، فأُتِيَ رسول الله ﷺ بوَضوء، فوضَع رسول الله ﷺ في ذلك الإناءِ يدَه، وأمَرَ الناس أن يَتوضَّؤوا منه، قال: فرأَيْت الماء يَنبُع من بين أصابعه، فتَوضَّأ الناس حتى تَوضؤوا من عند آخِرهم[(١)].

وأمَّا ابنُ مسعود ففي الصحيح عنه: بينما نَحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماءٌ فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «**اطلُبوا مَن معَه فَضْلُ ماءٍ**»، فأُتِيَ بماء فصبَّه في إناء ثُم وضَع كفَّه فيه، فجعَل الماء يَنبُع من بين أصابع رَسول الله ﷺ[(٢)].

وفي الصحيح عن جابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عطِش الناس يومَ الحُديبيَة ورسول الله ﷺ بين يديه رَكوة، فتوضَّأ منها، وأقبل الناسُ نحوه وقالوا: ليس عندنا ماءٌ إلا ما في ركوتِكَ. فوضَع النبيُّ ﷺ يَدَه في الركوة، فجعَل الماء يَفور من بين أصابِعِه كأمثال العُيون، وفيه: فقُلْت: كم كُنتم. قال: لو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا، كُنَّا خمسَ عشرةَ مئة[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٩)، ومسلم (٢٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٥٢).

ومثل هذا في هذه المواطنِ الحفلة والجموع الكثيرة لا تَتطرَّق التُّهمة إلى المُحدِّث به؛ لأنهم كانوا أسرعَ شيء إلى تَكذيبه لِما جُبِلت عليه النفوسُ من ذلك؛ ولأنهم كانوا ممَّن لا يَسكُت على باطِل، فهؤلاء قد رَوَوْا هذا، وأَشاعوه، ونسَبوا حُضور الجمَّاء الغَفير له، ولم يُنكِر أحَدٌ من الناس عليهم ما حدَّثوا به عنهم أنهم فعَلوا وشاهَدوا، فصار كتَصديق جميعهم له.

٧- فصل [تفجيرُ الماء ببرَكته وابتعاثه بمسه ودعوتِه]

ومما يُشبه هذا من مُعجزاتِه: تفجيرُ الماء ببرَكته، وابتعاثه بمسه ودعوتِه، فيما رَوى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبلٍ في قصة غزوةِ تبوك، وأنهم وردوا العينَ وهي تبضُّ بشيء من ماء مثل الشراكِ، فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمعَ في شيء، ثم غسلَ رسولُ الله ﷺ فيه وجهَه ويديه، وأعاده فيها؛ فجرَت بماء كثيرٍ فاستقى الناسُ[(١)].

وفي حديث البراءِ[(٢)] وسلمةَ بن الأكوعِ، وحديثه أتم في قصة الحديبيةِ، وهم أربعَ عشرةَ مئة، وبئرُها لا تروي خمسين شاة، فنزحناها فلم نترك فيها قطرةً، فقعد رسولُ الله ﷺ على جباها، قال البراءُ: وأُتِيَ بدلوٍ منا فبصق فدعا، وقال سلمةُ: فإما دعا، وإما بصقَ فيها فجاشَت، فأَرْوَوا أنفسَهم وركابَهم[(٣)].

والحديثُ في هذا الباب كثيرٌ، ومنه الإجابةُ بدعاء الاستسقاءِ وما جانسَه.

---

(١) الموطأ للإمام مالك ١/ ١٤٣ (٣٢٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤١٥١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٨٤)، ومسلم (١٧٢٩، ١٨٠٧).

٨- فصل ومن مُعجِزاته تكثيرُ الطعامِ ببركتِه ودعائه

عن جابرٍ أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ يَستطعِمه فأَطعَمه شطر وَسْق شَعير، فما زال يَأكُل منه وامرأتُه وضيفُه حتى كاله، فأتى النبيَّ ﷺ فأَخبَره، فقال: «**لو لم تَكِلْه لأَكَلْتم منه ولقامَ بكم**»[١].

ومن ذلك حديث أبي طلحةَ المشهورُ وإطعامِه ﷺ ثمانين -أو سَبعين- رجُلًا من أقراصٍ من شَعير جاء بها أنسٌ تحتَ يده -أي: إِبطه- فأَمَر بها ففُتَّت، وقال فيها ما شاءَ الله أن يَقول[٢].

وحديث جابرٍ في إطعامه ﷺ يومَ الخَندَق ألفَ رجل من صاع شعير وعَناق، وقال جابر: فأُقسِم بالله، لأَكَلوا حتى ترَكوه وانحرَفوا وإن بُرْمتنا لتغطُّ كما هي، وإن عَجيننَا ليخبز، وكان رسول الله ﷺ بصَقَ في العجين والبُرمة وبارَك[٣].

ومن ذلك حديثُ عبد الرحمن بن أبي بكر: كنَّا مع النبيِّ ﷺ ثلاثين ومئةً. وذكَر في الحديث أنه عُجِن صاعٌ من طعام وصُنِعت شاة، فشُوِيَ سَواد بَطنها، قال: وايمُ الله ما مِن الثلاثين ومئة إلَّا وقد حزَّ له حزَّة من سَواد بطنها، ثم جعل منها قَصْعتين فأَكَلْنا منهما أجمعون، وفضَل في القَصعتين فحَمَلته على البعير[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦١٨)، ومسلم (٢٠٥٦).

ومنه أيضا حديثُ أبي هريرةَ حين أصابَه الجوع فاستَتبَعه النبيُّ ﷺ فوجَد لبَنًا في قدَح قد أُهديَ إليه، وأمَرَه أن يَدعوَ أهل الصُّفَّة قال: فقُلت: ما هذا اللبَنُ فيهم؟! كنتُ أحقَّ أن أصيبَ منه شَربة أَتقوَّى بها فدعَوْتهم. وذكَر أمرَ النبي ﷺ له أن يَسقِيَهم، فجعَلْت أُعطي الرجُل فيشرب حتى يَروَى، ثم يَأخذه الآخَر، حتى روِيَ جميعُهم. قال: فأخَذ النبيُّ ﷺ القدَحَ وقال: «**بَقِيتُ أَنا وأَنْتَ، اقْعُدْ فاشْرَبْ**» فشرِبتُ، ثُم قال: «**اشْرَبْ**»، وما زال يَقولها وأَشرَب حتَّى قلتُ: لا، والذي بعثَكَ بالحقِّ، ما أجِدُ له مسلكًا. فأخَذَ القدَح فحمِد الله وسمَّى وشرِب الفَضلة[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

٩- فصل في كلام الشجَر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دَعْوته

عن ابن عمرَ قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفَر فدَنا منه أعرابيٌّ فقال: «**يا أعرابيُّ، أين تُريدُ؟**» قال: إلى أهلي. قال: «**هل لكَ إلى خيرٍ؟**» قال: وما هو؟ قال: «**تَشهَد أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأَنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورَسولُه**» قال: مَن يَشهَد لكَ على ما تَقول؟ قال: «**هَذِهِ الشَّجَرةُ: السَّمُرَةُ**»، وهي بشاطِئ الوادي، وادعُها فإنها تجيبك، فأَقبَلت تخدُّ الأرض حتى قامَت بين يديه، فاستَشْهَدها ثلاثًا فشهِدت أنه كما قال، ثُمَّ رجَعت إلى مكانها[١].

وفي الصحيحِ في حديث جابرِ بن عبدِ الله -الطويلِ-: ذهَب رسول الله ﷺ يَقضي حاجته، فلم يرَ شيئًا يَستَتِر به، فإذا بشجَرتَيْن بشاطِئ الوادي، فانطَلَق رسول الله ﷺ إلى إحداهُما، فأخَذ بغُصْن من أغصانها، فقال: «**انْقادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فانقادت معه كالبعيرِ المخشوش الَّذي يُصانِع قائده، وذكَر أنه فعَل بالأُخرى مثلَ ذلك حتى إذا كان بالمنصفِ بينَهما قال: «**الْتَئِما عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**»، فالتَأَمَتا.

وفي رِواية أُخرى قال: «**يا جابرُ، قُلْ لهذه الشجَرةِ: يَقولُ لكِ رَسولُ اللهِ ﷺ: الْحَقِي بِصاحِبَتِكِ حتَّى أَجلِسَ خَلْفَكُما**»، ففعلت؛ فزَحَفت حتى لَحِقت بصاحِبتها، فجلَس خلفَها، فخرَجْت أحضِر، وجلَسْت أُحدِّث نفسي، فالتَفَتُّ فإذا رسولُ الله ﷺ مقبِلًا والشجَرتان قد افترَقتا، فقامت كلُّ واحِدة منها على ساقٍ، فوقَف رسولُ الله ﷺ وقفةً، فقال برَأْسه هكذا يمينًا وشِمالًا[٢].

وفي حَديث عبدِ الله بن مَسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: آذَنَتِ النبيَّ ﷺ بالجِن ليلةَ استَمَعوا له شجَرةٌ[٣].

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥٦٦٢)، وابن حبان ١٤/ ٤٣٤ (٦٥٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (٣٠١٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣٨٥٩)، ومسلم (٤٥٠).

١٠- فصل في قصة حَنين الجِذْع

ويُعضِّد هذه الأخبار حديثُ أنين الجِذع وهو في نَفْسه مَشهور مُنتشِر، والخبَر به مُتواتر قد خرَّجه أهل الصحيح، ورواه منَ الصحابة بضعة عشرَ.

قال جابرُ بنُ عبد الله: كان المسجد مَسقوفًا على جُذوع نخل، فكان النبيُّ ﷺ إذا خطَب يَقوم إلى جِذع مِنها، فلمَّا صُنع له المِنبَر سمِعنا لذلك الجِذعِ صوتا كصوت العِشار[١].

١١- فصل [في تسبيح الجمادات]

ومثلُ هذا في سائرِ الجمادات، فعنِ ابن مَسعودٍ قال: لقَدْ كُنَّا نَسمَع تَسبيح الطَّعام وهو يُؤكَل[٢].

وعن جابرِ بنِ سمُرةَ عنه عليه السلام: «**إنِّي لأَعرِفُ حجَرًا بمكَّةَ كانَ يُسلِّمُ عليَّ**»[٣].

وعن أنَس: صعِد النبيُّ ﷺ وأبو بكر وعُمرُ وعثمانُ أُحُدًا فرجَف بهم؛ فقال: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فإنَّما علَيْكَ نَبيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهيدانِ**»[٤].

وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قرَأ على المِنبَر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] ثُم قال: «**يُمَجِّدُ الجَبَّارُ نَفْسَه: أَنا الجَبَّارُ أنا الجَبَّارُ، أنا الكَبيرُ المُتَعال**»، فرجَف المِنبَرَ حتَّى قُلنا: ليَخِرَّنَّ عنه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).
(٥) أخرجه البخاري (٧٤١٢، ٧٤١٣)، ومسلم (٢٧٨٨)، وأحمد ٩/ ٣٠٤ (٥٤١٤).

١٢- فصل في الآيات في ضُروب الحَيوانات

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان عِندنا داجِن، فإذا كان عِندنا رَسول الله ﷺ قَرَّ وثبَت مكانَه، فلم يَجِئ ولم يَذهَب، وإذا خرَج رسولُ الله ﷺ جاء وذهَب[(١)].

ومن ذلك قِصَّة كلام الذِّئْب المَشهورة عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ: بينا راعٍ يَرعى غنَمًا له عرَض الذئبُ لشاة منها، فأَخَذها الراعي منه، فأَقعَى الذِّئْب وقال للراعي: ألَا تَتَّقي اللهَ حُلْت بيني وبين رِزْقي؟! قال الراعي: العجَبُ من ذِئْب يَتكلَّم بكلامِ الإنس. فقال الذئبُ: ألا أُخبِركَ بأعجبَ من ذلك؟! رسولُ الله ﷺ بين الحَرَّتين يُحدِّث الناس بأنباءِ ما قد سبَقَ. فأتى الراعِي النبيَّ فأَخبَره، فقال النبيُّ ﷺ له: «**قُمْ فَحَدِّثْهُمْ**»، ثم قال: «**صَدَقَ**»[(٢)].

ومثله في الجمل عن ثعلبةَ بن [أبي] مالك[(٣)]، وجابرِ بن عبد الله[(٤)]، ويعلى بن مرة[(٥)]، وعبدِ الله بن جعفر[(٦)] قال: وكان لا يدخل أحدٌ الحائط إلا شَدَّ عليه الجملُ، فلما دخل عليه النبيُّ ﷺ دعاه؛ فوَضعَ مشفرَه على الأرض، وبرك بين يديه، فخطَمه وقال: «**ما بين السماء والأرض شيءٌ إلا يعلمُ أني رسول الله، إلا عاصي الجنِّ والإنسِ**».

---

(١) أخرجه أحمد ٤١/ ٣٢٠ (٢٤٨١٨).

(٢) أخرجه أحمد ١٣/ ٤٢٥ (٨٠٦٣)، وأصله في البخاري (٢٣٢٤).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة ٤/ ١٥٨٩ (١٠٧٤)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢٨٢).

(٤) أخرجه أحمد ٢٢/ ٢٣٥ (١٤٣٣٣)، والدارمي (١٨).

(٥) أخرجه أحمد ٢٩/ ٨٩-٩١ (١٧٥٤٨).

(٦) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩)، وأصله في مسلم (٣٤٢).

١٣- فصل في إحياءِ الموتى وكلامِهم

عن أبي هريرةَ أن يهوديةً أهدَت للنبيِّ ﷺ بخيبرَ شاةً مَصلية سَمَّتها، فأكل رسول الله ﷺ منها، وأكل القومُ، فقال: «**ارفعوا أيديَكم؛ فإنها أخبرَتني أنها مسمومةٌ**» فمات بشر بن البراء، وقال لليهوديةِ: «**ما حملكِ على ما صنعتِ؟**» قالت: إن كنتَ نبيًا لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكًا أرحتُ الناس منك، قال: فأمر بها فقُتلت[(١)].

١٤- فصل في إبراءِ المَرضَى وذوي العاهات

تفَل النبي ﷺ في عينَيْ عليٍّ يوم خَيبرَ -وكان رمدًا- فأصبَح بارِئًا[(٢)].

ونفَث على ضَربة بساق سلَمةَ بنِ الأكوَعِ يومَ خيبرَ فبرِئَت[(٣)].

واشتَكى عليٌّ بن أبي طالب فجعَل يَدعو فقال النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اشْفِهِ**» أَوْ «**عافِهِ**»، ثم ضرَبه برِجْله فما اشتكى ذلك الوجعَ بعدُ[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥١٢) بذكر القتل، وأخرجه البخاري (٣١٦٩) بدونه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٠٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٦٤).

١٥- فصل في إجابة دُعائِه ﷺ

وهذا بابٌ واسعٌ جدًّا، وإجابةُ دَعوةِ النبي ﷺ لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتِرٌ على الجُملة مَعلوم ضَرورة.

عن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالت أُمي: يا رسول الله، خادِمُك أَنَسٌ، ادعُ الله له. قال «**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مالَهُ ووَلَدَهُ، وبارِكْ لَهُ فيما آتَيْتَهُ**»(١). قال أنسٌ: فوالله، إن مالي لكثيرٌ، وإن ولدي وولدَ ولدي ليُعادُّون اليومَ على نحو المئة.

ودعا لسعدِ بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُجيب اللهُ دعوتَه، فما دعا على أحَدٍ إلَّا استُجيبَ له(٢).

ودعا في الاستِسْقاء فسُقوا، ثُم شكَوْا إليه المطَر فدَعا فصَحوا(٣).

ودعا لابنِ عباس: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وعَلِّمْهُ التَّأويلَ**»(٤) فسمِّيَ بعدُ الحَبر، وتَرجمانَ القُرآن.

ودعا لأمِّ أبي هُريرةَ فأَسلَمت(٥).

ودعا على مضَرَ فأُقحِطوا حتى استَعْطَفته قريشٌ، فدعا لهم فسُقوا(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٤)، ومسلم (٦٦٠).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٥١).
(٣) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).
(٤) أخرجه البخاري (٧٥، ١٤٣)، وأحمد ٤/ ٢٢٥ (٢٣٩٧).
(٥) أخرجه مسلم (٢٤٩١).
(٦) أخرجه البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٩٨).

ودعا على كِسرى حين مزَّق كتابه أن يُمزِّق الله مُلْكه[1]، فلم تَبقَ له باقية، ولا بقِيَت لفارسَ رِياسة في أقطارِ الدنيا.

وقال لرجُل رآه يَأكُل بشِماله: «**كُلْ بِيَمينِكَ**»، فقال: لا أَستطيعُ. فقال: «**لَا اسْتَطَعْتَ**» فلم يَرفَعْها إلى فِيهِ[2].

وحديثه المشهورُ من رواية عبدِ الله بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دُعائه على قُريشٍ حين وضَعوا السَّلى على رقَبته وهو ساجِد مع الفَرث والدمِ وسَمَّاهم، قال: فلقَدْ رأيتُهم قُتِلوا يومَ بدر[3].

(١) أخرجه البخاري (٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣١٨٥)، ومسلم (١٧٩٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

١٦- فصل في كرامته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لَمَسه أو باشَره

عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أهل المدينة فزِعوا مرةً، فركِب رسول الله ﷺ فرَسًا لأبي طلحةَ كان يَقطفُ، أو به قطافٌ. وقال غيرُه: يُبَطَّؤ. فلمَّا رجَع قال: «وجَدْنا فرَسَك بحرًا»، فكان بعدُ لا يُجارى[(١)].

وفي الصحيح عن أسماءَ بنتِ أبي بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها أَخرَجت جُبَّة طيالسة، وقالت: كان رَسول الله ﷺ يَلبَسها، فنحن نَغسِلها للمَرضَى نَستَشْفي بها[(٢)].

وكان لأُمِّ مالِك عُكَّة[(٣)] تُهدِي فيها للنبيِّ ﷺ سمنًا، فأَمَرها النبي ﷺ أن لا تَعصرها، ثُم دفَعها إليها فإذا هي مَملوءة سمنًا، فيَأتيها بنوها يَسأَلونها الأدمَ -وليس عندهم شيءٌ- فتَعمِد إليها فتجِد فيها سمنًا، فكانت تُقيم أدمها حتى عصَرَتْها[(٤)].

وأعطى قَتادةَ بنَ النعمانِ -وصلَّى معه العِشاء في ليلة مُظلِمة مَطيرة- عُرجونًا وقال: «**انطَلِقْ بهِ فإنَّه سَيُضِيء لكَ مِن بينِ يَدَيْكَ عشرًا ومِن خَلْفكَ عَشْرًا، فإذا دخَلْتَ بيتَكَ فسَتَرَى سَوادًا فاضْرِبْهُ حتَّى يَخرُج؛ فإنَّهُ الشَّيْطانُ**»، فانطَلَق فأَضاءَ له العرجونُ حتى دخَل بيتَه، ووجَد السوادَ فضرَبه حتى خرَج[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٧)، ومسلم (٢٣٠٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٦٩).
(٣) (العُكَّة): آنية السمن.
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٨٠).
(٥) أخرجه أحمد ١٨/ ١٦٨-١٦٩ (١١٦٢٤).

ومنه برَكته في درور الشياهِ الحوائلِ باللبَن الكَثير كقِصَّة شاة أُمِّ مَعبَد[١]. وشاة المِقدادِ[٢].

وأخَذ قَبضة من تُراب يوم حُنينٍ ورمَى بها في وُجوهِ الكُفَّار وقال: «**شاهَتِ الوُجوهُ**»، فانصَرَفوا يَمسَحون القَذى عن أَعيُنِهم[٣].

وشَكا إليه أبو هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النسيانَ فأمَرَه ببَسْط ثوبه، وغرَف بيدِه فيه، ثُم أمَرَه بضَمِّه ففعَل، فما نسِيَ شيئًا بعدُ[٤].

وضرَب صدرَ جريرِ بنِ عبد الله ودعا له، وكان ذُكِرَ له أنه لا يَثبُت على الخيلِ، فصار من أفرَسِ العرَب وأَثبَتِهم[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ١١/ ٥٧٧.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (١١٩)، ومسلم (٢٤٩٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٤٧٥).

١٧- فصل [فيما أُطلع عليه من الغيوب]

ومن ذلك ما أُطْلِعَ عليه منَ الغُيوب وما يَكون، والأحاديثُ في هذا البابِ بحر لا يُدرَك قعرُه، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزةُ من جملة مُعجِزاته المعلومة على القَطْع الواصِل إلينا، خبرُها على التواتر؛ لكَثرة رُواتها واتِّفاق معانيها على الاطلاع على الغَيْب.

عن حُذيفةَ قال: قام فينا رَسولُ الله ﷺ مقاما فما ترَك شيئًا يَكون في مَقامه ذلك إلى قِيام الساعةِ إلَّا حدَّثه، حفِظَه مَن حفِظَه، ونسِيَه مَن نسِيَه، قد علِمه أصحابي هؤلاءِ، وإنه ليَكون منه الشيء فأعرِفه فأَذكُره كما يَذكُر الرجل وجهَ الرجُل إذا غاب عنه، ثُم إذا رآه عرَفَه[(١)].

وقد خرَّج أهل الصحيح والأئمة ما أَعلَمَ به أصحابَه ﷺ ممَّا وعَدَهم به من الظهورِ على أعدائه، وفَتْح مكةَ، وبيت المَقدِس، واليمَن، والشام، والعراق، وظُهور الأمنِ حتى تظعن المرأةُ من الحِيرة إلى مكَّةَ لا تخاف إلا اللهَ، وأن المَدينة ستُغزَى، وتُفتح خيبرُ على يدَيْ عليٍّ في غدِ يومِه، وما يَفتَح الله على أُمَّته من الدنيا ويؤتون من زَهْرتها، وقِسمتهم كنوز كِسرى وقَيصر، وما يَحدُث بينهم من الفتون والاختِلاف والأهواء، وسُلوك سَبيل مَن قبلهم، وقِتالهمُ التركَ. وذَهاب كِسرى وفارسَ حتى لا كِسرى ولا فارسَ بعدَه، وذَهاب قيصر حتَّى لا قيصرَ بعدَه، وأن عمارًا تَقتُله الفِئة الباغيةُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ**»[(١)]، فرَأَوْهما الحجَّاجَ والمُختارَ، وأن مُسيلِمةَ يَعقِره الله، وأن فاطِمةَ أوَّلُ أهلِه لُحوقًا به، وأَنذَر بالرِّدَّة.

وأَخبَر بشأن أُوَيْس القَرْني، وبأُمَراءَ يُؤخِّرون الصلاة عن وقتِها، ولا تَقوم الساعة حتى يَسوق الناسَ بعَصاه رجُلٌ من قحطانَ.

وقال: «**لَا يَأْتِي زَمانٌ إلَّا والَّذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**»[(٢)].

وقال: «**هَلاكُ أُمَّتي عَلى يَدَيْ أُغيلِمةٍ مِن قُريشٍ**»، قال أبو هُريرةَ راويه: لو شِئْت سمَّيْتهم لكُم بَنو فُلان وبَنو فُلان[(٣)].

وأن قُريشًا والأحزاب لا يَغزونه أبَدًا وأنه هو يَغزوهم.

وأخبَر بالمُوتانِ الذي يَكون بعد فتح بيت المَقدِس.

وأنهم يَغزون في البَحْر كالمُلوك على الأسِرَّة.

وأن الدِّين لو كان مَنوطًا بالثُّريَّا لنالَه رِجال من أبناء فارسَ.

وهاجَت ريحٌ في غَزاة فقال: «**هاجَتْ لِمَوْتِ مُنافِقٍ**»[(٤)]، فلما رَجَعوا إلى المدينة وجَدوا ذلك.

وأَعلَم بالذي غلَّ الشمْلةَ وحيث هي، وبشَأْن كِتاب حاطِبٍ إلى أهل مكةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٨٢).

وعن مَصارِع أهلِ بَدْر فكان كما قال.

وقال في الحسَن: «**إنَّ ابْنِي هَذا سَيِّدٌ وسَيُصْلِحُ اللهُ به بَيْن فِئَتَيْنِ عَظيمَتَين من المسْلِمين**»(١)، ولسَعْدٍ: «**لعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوامٌ وَيَسْتَضِرَّ بِكَ آخَرونَ**»(٢)، وأخبَرَ بقَتْل أهلِ مُؤتةَ يوم قُتِلوا وبينهم مَسيرة شهر أو أزيدُ، وبمَوْت النجاشيِّ يوم مات وهو بأَرْضه.

وأخبَرَ أن أَسرَع أزواجه به لُحوقًا أطولُهن يَدًا، فكانت زينبُ لطولِ يدِها بالصدَقة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٠٩)، ومسلم (١٦٢٨).

١٨- فصل في عِصمة الله تعالى له من الناس وكِفايته مَنْ آذاهُ

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، قيل: بكافٍ محمَّدًا ﷺ أعداءَه المُشركين. وقيل غيرُ هذا، وقال: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥﴾ [الحجر: ٩٥]، وقال: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: كان النبي ﷺ يُحرَس حتى نزَلَت هذه الآيةُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فأَخرَج رسولُ الله ﷺ رأسَه من القُبَّة فقال لهم: «**يا أَيُّها النَّاسُ، انْصَرِفوا؛ فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

ومنه العبرةُ المشهورةُ والكفايةُ التامةُ عندما أخافَتْه قريش وأجمعَتْ على قتلِه وبيَّتوه، فخرَجَ عليهم من بيتِه فقام على رؤوسِهم وقد ضرَبَ الله تعالى على أبصارِهم وذرَّ الترابَ على رؤوسِهم وخلصَ منهم.

وقصتُه مع سُراقةَ بنِ مالِك بن جُعشُم حين الهِجرة وقد جعَلَت قُريشٌ فيه وفي أبي بكرٍ الجَعائِل، فأُنذِر به، فركِب فرسَه فاتَّبَعه حتى إذا قرُب منه دعا عليه النبيُّ ﷺ فساخَتْ قوائمُ فرَسه، فخَرَّ عنها، واستَقْسَم بالأزلامِ، فخرَج له ما يَكره، ثم ركِب ودنا حتى سمِع قراءة النبي ﷺ وهو لا يَلتفِت، وأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يَلتفِت، وقال للنبيِّ ﷺ: أُتِينا. فقال: «﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]»،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦).

فساخَت ثانية إلى رُكبتها وخرَّ عنها، فزَجَرها، فنهَضَت ولِقوائِمها مثلُ الدُّخان، فناداهم بالأَمان، فكتَب له النبيُّ ﷺ أمانًا كتَبه ابنُ فُهيرةَ، وقيل: أبو بكر. وأَخبرهم بالأخبار، وأمَرَه النبيُّ ﷺ أن لا يَترُك أحدًا يَلحَق بهم، فانصَرَف يقول للناس: كُفِيتم ما هاهنها. وقيل: بل قال لهُما: أراكما دَعَوْتما عليَّ فادْعُوَا لي[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا جهل وعَد قريشًا لئِنْ رأى محمدًا يصلي ليَطَأَنَّ رقبتَه، فلمَّا صلَّى النبي ﷺ أعلَموه، فأَقبَل، فلمَّا قرُب منه ولَّى هاربًا ناكِصًا على عَقِبيه مُتَّقيًا بيديه، فسُئِل فقال: لما دَنَوْت منه أشرَفْت على خَندَق مَملوءٍ نارًا كِدْت أَهوِي فيه، وأَبصَرْت هولًا عظيمًا، وخَفْق أجنحة قد ملَأَتِ الأرض. فقال ﷺ: «**تِلْكَ المَلائِكَةُ لَوْ دَنا لَاخْتَطَفَتْهُ عُضْوًا عُضْوًا**»، ثم أُنزل على النبيِّ ﷺ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ٦ - ١٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٥)، ومسلم (٢٠٠٩).

١٩- فصل [في أنبائه مع الملائكة والجن]

ومن خَصائِصه ﷺ وكَراماته وباهِر آياته أنباؤُه مع الملائِكةِ والجنِّ وإمدادِ الله له بالملائكة وطاعة الجِنِّ له ورُؤية كثير من أصحابه لهم.

قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤]، وقال: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩ - ١٠] الآيتين، وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩].

عن عبد الله قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]، قال: رأَى جِبريلَ عليه السلام في صُورته له سِتُّمئة جَناح(١).

والخبَرَ في مُحادثته مع جِبريلَ وإسرافيلَ وغيرِهما من الملائكة وما شاهَدَه من كَثرتهم وعِظَم صُوَر بعضِهم ليلة الإسراء مَشهور، وقد رآهم بحَضْرته جماعة من أصحابه في مواطِنَ مُختلفة، فرأَى أصحابُه جبريلَ عليه السلام في صورة رجُل يَسأَله عن الإسلام والإيمان(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

وقال عليه السلام: «إِنَّ شَيْطانًا تَفَلَّتَ البارِحةَ؛ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاتي، فَأَمْكَنِني اللهُ مِنْهُ، فَأَخَذْتُهُ، فأَرَدْتُ أن أَربِطَهُ إلى سارِيةٍ من سَوارِي المَسجِدِ حتَّى تَنظُروا إلَيْهِ كُلُّكُمْ فذَكَرْتُ دَعْوةَ أَخي سُلَيْمانَ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، فَرَدَّهُ اللهُ خاسِئًا»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١).

٢٠- فصل [في إخبار أهل الكتاب بصفاته ﷺ]

ومن دَلائِل نُبوته وعلامات رِسالته ما تَرادَفت به الأخبارُ عن الرُّهبان والأحبار وعُلماء أهل الكتُب من صِفته وصِفة أُمَّته، واسمِه وعلاماته، وذِكْر الخاتَم الَّذي بين كتِفَيْه.

وما وُجِد من ذلك في أشعار الْمُوحِّدين الْمُتقدِّمين من شِعْر تُبَّع والأوسِ بن حارِثةَ وكعب بن لُؤيٍّ وسُفيانَ بنِ مُجاشع وقُسِّ بنِ ساعدةَ، وما ذكر عن سَيْف بن ذِي يَزَن وغيرهم، وما عرف به من أَمْره زيد بن عمرِو بن نُفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحِميري وعُلماء يَهود وشامول عالِمهم صاحِب تُبَّع من صِفته وخبَره.

وما أُلفِيَ من ذلك في التوراةِ والإنجيل ممَّا قد جمَعه العلماء وبيَّنوه ونقله عنهما ثِقات مَن أسلَم منهم مثل ابنِ سلَام وابنَىْ سَعيةَ وابن يامين ومُخيريق وكعبٌ وأشباههم مِمَّن أَسلَم من علماء يَهودَ وبَحيراء ونسطور الحبشةِ وصاحب بُصرى وضغاطر وأَسقُف الشام والجارود وسَلمان وتميم والنجاشيِّ ونَصارى من الحبشة وأساقِف نَجْران غيرهم ممن أسلَم من علماء النَّصارى.

وقد اعتَرَف بذلك هِرقلُ، وصاحب رومة عالِما النصارى ورئيساهم، ومُقوقس صاحب مِصرَ والشيخ صاحِبه وابن صوريا وابن أخطَبَ وأخوه وكَعْب بن أسَد والزَّبير بن باطيا وغيرهم من عُلماء اليهود مِمَّن حمَله الحسدُ والنفاسةُ على البقاء على الشَّقاوة، والأخبار في هذا كثيرةٌ لا تَنحصِر.

٢١- فصل [فيما ظهر من آيات قبل النبوة وبعدها]

ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولدِه، وما حَكته أمه ومن حضرَه من العجائبِ، وما رأته من النور الذي خرجَ معه عند ولادتِه.

وما تعرَّفت به حليمةُ وزوجها ظِئراه من بركته ودرورِ لبنها له، ولبن شارفها، وخصبِ غنمِها، وسرعة شبابِه، وحسنِ نشأته.

ومن ذلك حراسةُ السماء بالشهب، وقطع رصدِ الشياطين، ومنعهم استراقَ السمع، وما نشأ عليه من بُغض الأصنام والعفةِ عن أمور الجاهليةِ، وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناءِ الكعبةِ، إذ أخذ إزارَه ليجعله على عاتقه ليحملَ عليه الحجارةَ وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزارَه عليه، ومن ذلك إظلالُ الله له بالغمام في سفره.

ومن ذلك تحبيبُ الخلوةِ إليه حتى أُوحي إليه، ثم إعلامُه بموته ودنو أجلِه.

وأن بين بيتِه وبين منبره روضةً من رياض الجنة، وتخييرِ الله له عند موتِه، وما اشتملَ عليه حديثُ الوفاة من كراماته وتشريفِه، إلى ما ظهرَ على أصحابه من كرامتِه وبركتِه.

٢٢- فصل [في كون معجزاته ﷺ أظهر من سائر معجزاتِ الرسل]

ومعجزاتُ نبينا ﷺ أظهرُ من سائر معجزاتِ الرسل بوجهين:

أحدِهما: كثرتها، وأنه لم يؤت نبيٌّ معجزةً إلا وعند نبينا مثلُها، أو ما هو أبلغُ منها، فهذا القرآنُ، وكله معجزٌ وأقل ما يقع الإعجازُ فيه عند بعض أئمةِ المحققين سورة: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أو آيةٌ في قدرها، وذهب بعضُهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة، وزاد آخرون أن كلَّ جملةٍ منتظمة منه معجزةٌ، وإن كانت من كلمةٍ أو كلمتين، والحقُّ ما ذكرناه أولًا لقول تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] فهو أقلُّ ما تحداهم به مع ما ينصرُ هذا من نظرٍ وتحقيق يطولُ بسطُه.

الوجه الثاني: وضوحُ معجزاتِه ﷺ، فإن معجزاتِ الرسل كانت بقدر هِمَم أهل زمانهم، وبحسب الفنِّ الذي سما فيه قرنُه.

فلما كان زمنُ موسى غايةُ علم أهله السحرُ؛ بعث إليهم موسى بمعجزة تُشبه ما يدعون قدرتَهم عليه، فجاءهم منها ما خرق عادتَهم، ولم يكن في قدرتهم وأبطلَ سحرهم.

وكذلك زمنُ عيسى أغنى ما كان الطبُّ، وأوفر ما كان أهلُه، فجاءهم أمرٌ لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميتِ، وإبراء الأكمهِ والأبرصِ، دون معالجةٍ ولا طب، وهكذا سائرُ معجزات الأنبياء.

ثم إن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ وجملةُ معارف العرب وعلومِها أربعة: البلاغةُ، والشعر، والخبرُ، والكهانة، فأنزل عليه القرآنَ الخارق لهذه الأربعةِ فصول.

ثم بقيَت هذه المعجزةُ الجامعة ثابتةً إلى يوم القيامة بينةَ الحُجة لكلِّ أمة تأتي، وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضِهم وعدمت بعدم ذواتِها، ومعجزةُ نبينا ﷺ لا تبيد ولا تنقطع، وآياتُه تتجدد ولا تضمحلُّ؛ ولهذا أشار عليه السلام بقوله: «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطيَ من الآيات ما مثلِه آمن عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أني أكثرُهم تابعًا يوم القيامة**»(١).

وقد غاب عن بعضِ العلماء وجهُ ظهور آيته على سائر آيات الأنبياءِ حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقةِ أفهام العرب، وذكاءِ ألبابها، ووفورِ عقولها، وأنهم أدركوا المعجزةَ فيه بفطنتِهم، وجاءهم من ذلك بحسبِ إدراكِهم، وغيرهم من القبط وبني إسرائيلَ، وغيرُهم لم يكونوا بهذه السبيلِ، بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنةِ بحيث جوز عليهم فرعونُ أنه ربهم، وجوزَ عليهم السامريُّ ذلك في العجلِ بعد إيمانِهم، وعبدوا المسيحَ مع إجماعهم على صلبِه، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٥٧].

فجاءَتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصارِ بقدرِ غِلظِ أفهامهم ما لا يشكون فيه، ومع هذا فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة: ٥٥] ولم يصبروا على المنِّ والسلوى، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ، والعرب على جاهليتِها أكثرها يعترفُ بالصانع، وإنما كانت تتقربُ بالأصنام إلى الله زُلفى، ومنهم من آمنَ بالله وحدَه من قبلِ الرسولِ ﷺ بدليل عقلِه وصفاءِ لُبه، ولما جاءهم الرسولُ بكتاب الله فهموا حكمتَه وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وَهْلةٍ معجزتَه؛ فآمنوا به، وازدادوا كل يوم إيمانًا، ورفضوا الدنيا كلَّها في صحبته، وهجروا ديارَهم وأموالهم، وقتلوا آباءَهم وأبناءَهم في نصرته.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

القسمُ الثاني: فيما يجبُ على الأنامِ من حقوقِه ﷺ

هذا قسمٌ لخَّصنا فيه الكلامَ في أربعةِ أبوابٍ، ومجموعُها في:

- وجوبِ تصديقِه واتِّباعه في سنَّته وطاعتِه.
- ومحبَّتِه ومُناصحَتِه.
- وتوقيرِه وبِرِّه.
- وحكمِ الصلاةِ عليه والتسليمِ، وزيارةِ قبرِه ﷺ.

الباب الأول: في فرضِ الإيمان به ووجوبِ طاعته واتِّباع سنَّته

إذا تقرر نبوَّتُه ﷺ وصحةُ رسالتِهِ وجبَ الإيمانُ به وتصديقُه فيما أتى به.

قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨]، وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الفتح: ٨-٩] وقال: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالإيمانُ بالنبيِّ محمدٍ ﷺ واجبٌ مُتعينٌ لا يتمُّ الإيمانُ إلا به، ولا يصحُّ إسلامٌ إلا معه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يَشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئتُ به، فإذا فَعلوا ذلك عَصموا مِنِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها، وحسابُهم على الله**»(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١).

١- فصل [في وجوب طاعته]

وأما وجوبُ طاعتِه فإذا وجبَ الإيمانُ به وتصديقُه فيما جاء به وجبت طاعتُه؛ لأن ذلك مما أتى به، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال:٢٠]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:٣٢]، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، فجعل تعالى طاعةَ رسولِه طاعَتَه، وقرنَ طاعتَه بطاعتِه، ووَعَدَ على ذلك بجَزيلِ الثوابِ وأَوْعَدَ على مخالفَتِه بسوءِ العِقابِ وأوجب امتثالَ أمرِه واجتنابَ نهيِه.

قال المُفسِّرون والأئمَّةُ: طاعةُ الرسول في التزامِ سُنَّتِه والتسليمِ لما جاء به، وما أرسل الله من رسولٍ إلا فَرَضَ طاعتَه على مَن أرسلَه إليهم.

وعن أبي هُريرةَ قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاعَ الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاعَ أميري فقد أطاعَني ومن عصَى أميري فقد عصانِي**»[1]، فطاعةُ الرسولِ من طاعةِ الله، إذ الله أمر بطاعتِه، فطاعتُه امتثالٌ لما أمر الله به وطاعةٌ له.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

وقد حكى الله عن الكفَّارِ في درَكات جَهنَّم: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦]، فتمنَّوا طاعتَه حيث لا ينفعُهم التمنِّي، وقال ﷺ: «**إذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتُكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتُم**»[١].

وفي حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنه ﷺ: «**كُلُّ أمتي يَدخلون الجنَّةَ إلا من أَبى**» قالوا: يا رسولَ الله، ومن يَأبى؟ قال: «**من أطاعَني دخل الجنَّةَ ومن عصاني فقد أبى**»[٢].

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

٢- فصل [في وجوب اتباعه]

وأمَّا وجوبُ اتِّباعِه، وامتثالِ سُنَّته، والاقتداءِ بهَديه فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] أي: يَنقادون لحُكمِك.

وقال تَعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، والأسوةُ في الرسولِ الاقتداءُ به، والاتِّباعُ لسنَّتِه، وتركُ مخالفتِه في قولٍ أو فعلٍ.

وعن العِرباضِ بن ساريةَ في حديثه في مَوعظةِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**فعَليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدين المَهديِّينَ، عَضُّوا عليها بالنواجذِ وإيَّاكم ومُحدثاتِ الأُمورِ فإن كلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ**»[(١)].

وفي حديثِ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: صنعَ رسولُ الله ﷺ شيئًا ترخَّص فيه، فتنزَّه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فحَمِدَ الله ثم قال: «**ما بالُ قومٍ يتنزَّهون عن الشيءِ أصنعُه؟! فوالله إني لأعلمُهم بالله وأشدُّهم له خشيةً**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

وأما ما ورد عن السلفِ والأئمَّةِ من اتِّباع سنتِه والاقتداءِ بهديِه وسيرتِه ﷺ فعن ابن شِهابٍ، عن رجلٍ من آل خالدِ بن أَسيدٍ أنه سأل عبدَ الله بن عمرَ فقال: يا أبا عبدِ الرحمن، إنَّا نجدُ صلاةَ الخوفِ وصلاةَ الحضرِ في القرآنِ، ولا نجد صلاةَ السفرِ.

فقال ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يا ابنَ أخي، إن الله بعثَ إلينا محمدًا ﷺ ولا نعلمُ شيئًا، فإنما نفعلُ كما رأيناه يفعلُ.

وكتب عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عُمَّاله بتعلُّم السنَّةِ والفرائضِ واللحْنِ، أي: اللغةِ، وقال: إن ناسًا يُجادِلونكم -يعني: بالقرآنِ- فخذوهم بالسُّننِ؛ فإن أصحابَ السنن أعلمُ بكتاب الله.

وفي خبرِه حين صلى بذي الحُليفَةِ ركعتين فقال: أصنعُ كما رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَصنعُ[(١)].

وكان ابنُ مسعودٍ يقول: القصدُ في السنة خيرٌ من الاجتهادِ في البِدعة[(٢)].

وقال الشافعيُّ: ليس في سنةِ رسولِ الله ﷺ إلا اتِّباعُها[(٣)].

وقال عمرُ -ونظر إلى الحجرِ الأسودِ-: والله، إنك حجرٌ لا تنفعُ ولا تضرُّ، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتُك[(٤)]، ثم قبَّلَه.

وقال أبو عثمانَ الحيريُّ: من أمَّرَ السنَّةَ على نفسِه قولًا وفعلًا نَطَقَ بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسِه نَطَقَ بالبدعَةِ[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩٢).
(٢) أخرجه الدارمي (٢٢٣).
(٣) الأم للشافعي ٣/ ٢٨٦، ٤/ ٣٩٢، ٥/ ١٤.
(٤) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).
(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٤٤، والبيهقي في الزهد (٣١٩).

٣- فصل [في مغبة مخالفة أمره ﷺ]

ومخالفةُ أمرِه وتبديلُ سنته ضلالٌ وبدعةٌ متوعَّدٌ من الله تعالى عليه بالخِذلانِ والعذابِ، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وعن أبي هُريرةَ أن رسولَ الله ﷺ خرج إلى المَقبرةِ ... وذكر الحديثَ في صفة أمَّته، وفيه: «**فليُذادَنَّ رجالٌ عن حوضي كما يُذادُ البعيرُ الضالُّ، فأُناديهم: ألا هَلُمَّ، ألا هَلُمَّ. فيُقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك. فأقول: فسُحقًا، فسُحقًا، فسُحقًا**»[(١)].

وروى أنسٌ أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَن رغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي**»[(٢)].

وقال: «**مَن أَدخَلَ في أمرِنا ما ليس منه فهو رَدٌّ**»[(٣)].

وروى ابنُ أبي رافعٍ عن أبيه عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكئًا على أريكَتِه، يأتيه الأمرُ من أَمري مما أمرتُ به أو نَهيتُ عنه، فيقولُ: لا أَدري ما وَجَدنا في كتابِ الله اتَّبعناه**»[(٤)]، زاد في حديثِ المِقدامِ: «**ألا وإن ما حَرَّمَ رسولُ الله ﷺ مثلُ ما حرَّمَ الله**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٧)، ومسلم (٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢).

وقال ﷺ: «**هلك المُتنطِّعون**»[(١)].

وقال أبو بكرٍ الصِّديقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لستُ تاركًا شيئًا كان رسولُ الله ﷺ يعملُ به إلا عمِلت به، إني أَخشى إن تركت شيئًا من أمرِه أن أزيغَ[(٢)].

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

الباب الثاني: في لُزومِ مَحبَّته ﷺ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، فكفى بهذا حَضًّا وتنبيهًا ودلالةً وحُجَّةً على إلزام محبَّته ووجوب فرضِها وعِظَمِ خطرها واستحقاقِه لها ﷺ؛ إذ قرَّع تعالى من كان مالُه وأهلُه وولده أحبَّ إليه من الله ورسولِه وأوعَدَهم بقولِه تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ثم فسَّقهم بتمامِ الآية، وأعلَمَهم أنهم ممن ضَلَّ ولم يهده الله.

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يُؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِه ووالِده والناسِ أجمعين**»(١).

وعنه ﷺ: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله، وأن يَكره أن يعودَ في الكفرِ كما يكره أن يُقذفَ في النار**»(٢).

وعن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه قال للنبيِّ ﷺ: لَأَنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي التي بين جَنبيَّ. فقال النبيُّ ﷺ: «**لن يُؤمِن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسِه**». فقال عمر: والذي أنزلَ عليك الكتابَ، لَأَنت أحبُّ إليَّ من نفسي التي بين جنبيَّ. فقال له النبيُّ ﷺ: «**الآنَ يا عمرُ**»(٣).

---

(١) البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

١- فصل في ثواب مَحبَّته ﷺ

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلا أتى النبيَّ ﷺ فقال: متى الساعةُ يا رسولَ الله؟ قال: «**ما أعددتَ لها؟**» قال: ما أعددتُ لها من كثيرِ صلاةٍ ولا صومٍ ولا صدقةٍ، ولكني أُحبُّ الله ورسولَه، قال: «**أنت مع مَن أحببتَ**»[(١)].

وقال النبيُّ ﷺ: «**المرءُ مع من أحبَّ**»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

٢- فصل فيما روي عن السلفِ والأئمةِ من مَحبَّتهم للنبيِّ ﷺ وشَوقِهم له

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**مِن أشدِّ أمتي لي حُبًّا ناسٌ يكونون بعدي يَودُّ أحدُهم لو رآني بأهلِه وماله**»(١).

وعن عمرِو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ(٢).

ونحوه عن عمرَ بن الخطاب قاله للعباسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن تُسلمَ أحب إلي من أن يُسلم الخطاب؛ لأن ذلك أحبُّ إلى رسول الله ﷺ(٣)، وعن ابن إسحاقَ أن امرأةً من الأنصارِ قُتل أبوها وأخوها وزوجها يومَ أحدٍ مع رسول الله ﷺ فقالت: ما فعل رسولُ الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أَرونيه، حتى أنظرُ إليه، فلما رأته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جلل(٤).

ولما أخرجَ أهلُ مكةَ زيدُ بن الدَّثنةِ من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيانُ بن حرب: أُنشدك بالله يا زيدُ، أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك تُضرب عنقُه وأنك في أهلِك؟ فقال زيدٌ: والله ما أُحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبُه شوكةٌ وأني جالسٌ في أهلي، فقال أبو سفيانُ: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحابِ محمدٍ محمدًا ﷺ(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١).

(٣) أخرجه البزار ١١/ ١٨٢ (٤٩٢٤).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٩٩، تاريخ الطبري ٢/ ٥٣٣.

(٥) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢، تاريخ الطبري ٢/ ٥٤٢.

٣- فصل في علامةِ محبّته ﷺ

اعلم أن من أحبَّ شيئًا آثره وآثر مُوافقَتَه، وإلا لم يكن صادقًا في حبِّه وكان مُدَّعيًا، فالصادقُ في حب النبيِّ ﷺ من تَظهرُ علاماتُ ذلك عليه:

وأوَّلُها: الاقتداءُ به واستعمالُ سنَّته واتِّباعُ أقوالِه وأفعالِه وامتثالُ أوامرِه واجتنابُ نواهيه والتأدُّبُ بآدابِه في عُسره ويُسره ومَنشَطه ومَكرَهه، وشاهدُ هذا قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

وإيثارُ ما شرعَه وحضَّ عليه على هوى نفسِه ومُوافقة شهوتِه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

ومن علاماتِ محبة النبيِّ ﷺ: كَثرةُ ذِكره له؛ فمن أحبَّ شيئًا أكثر ذكرَه.

ومنها: كثرةُ شوقِه إلى لقائِه، فكلُّ حبيبٍ يحبُّ لقاءَ حبيبِه.

وفي حديث الأشعريِّينَ عند قدومِهم المدينةَ، أنهم كانوا يَرتجزون:

غـدًا نلقى الأحبَّه
محمدًا وصحبَه(١)

ومن علاماتِه: تعظيمُه له، وتوقيرُه عند ذِكره، وإظهارُ الخشوعِ والانكسارِ مع سماعِ اسمه.

---

(١) أخرجه أحمد ١٩/ ٨٣ (١٢٠٢٦)، والنسائي في الكبرى ٧/ ٣٨٧.

ومنها: **مَحبَّتُه لمن أحبَّ النبيُّ** ﷺ ومن هو بسببه من أهلِ بيتِه وصحابتِه من المُهاجرين والأنصارِ، وعداوةُ من عاداهم، وبُغضُ من أبغضهم وسبَّهم؛ فمن أحبَّ شيئًا أحب من يُحب.

وقد قال ﷺ في فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: «**إنها بَضعةٌ مِنِّي؛ يُغضِبني ما أغضبَها**»[١].

وقال لعائشةَ في أسامةَ بن زيدٍ: «**أحبيه فإني أحبُّه**»[٢].

وقال: «**آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ؛ وآيةُ النفاق بُغضهم**»[٣].

فبِالحقيقةِ من أحبَّ شيئًا أحبَّ كلَّ شيءٍ يحبُه، وهذه سيرةُ السلفِ حتى في المُباحاتِ وشهوات النفسِ، وقد قال أنسٌ حين رأى النبيَّ ﷺ يتتبَّع الدُّبَّاءَ[٤] من حوالي القصعةِ: فما زلتُ أُحبُّ الدباء من يومئذٍ[٥].

وهذا الحسنُ بن عليٍّ وعبدُ الله بن عباسٍ وعبدُ الله بنُ جعفر أتوا سَلمى وسألوها أن تَصنعَ لهم طعامًا مما كان يُعجبُ النبيَّ ﷺ[٦].

وكان ابنُ عمرَ يلبس النِّعالَ السبتيَّةَ ويصبغ بالصُّفرةِ؛ إذ رأى النبيَّ ﷺ يفعلُ نحو ذلك[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٤)، ومسلم (٢٤٤٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٨١٨)، وابن حبان ١٥/ ٥٣٤ (٧٠٥٨).
(٣) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).
(٤) (الدُّبَّاء): القرع.
(٥) أخرجه البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١).
(٦) أخرجه الترمذي في الشمائل (١٧٩).
(٧) أخرجه البخاري (٥٨٥١)، ومسلم (١١٨٧).

ومنها: بُغضُ من أبغض الله ورسولَه ومعاداةُ من عاداه ومُجانبةُ من خالفَ سنَّتَه وابتدعَ في دينه، واستثقالُ كُلِّ أمرٍ يخالفُ شريعته قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية [المجادلة:٢٢].

وهؤلاء أصحابُه ﷺ قد قَتلوا أحبَّاءهم في مرضاتِه، وقاتلوا آباءَهم وأبناءَهم، وقال له عبدُ الله بن عبدِ الله بن أُبيٍّ: لو شئتَ لأتيتُك برأسِه[(١)]. يعني: أباه.

ومنها: أن يُحب القرآنَ الذي أتى به ﷺ وهدى به واهتدى وتخلَّق به حتى قالت عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان خُلقُه القرآنَ[(٢)].

وحُبُّه للقرآن: تلاوتُه والعملُ به وتفهُّمُه.

ويحب سُنَّته ويقفُ عند حُدودها.

وقال ابنُ مسعودٍ: لا يسأل أحدٌ عن نفسِه إلا القرآنَ، فإن كان يحبُّ القرآنَ فهو يُحب الله ورسولَه[(٣)].

ومن علامات حُبِّه للنبيِّ ﷺ شفقتُه على أمَّته ونُصحه لهم وسعيه في مصالِحِهم ورفعُ المَضارِّ عنهم، كما كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا.

ومن علامة تمامِ محبَّته: زُهد مُدَّعيها في الدنيا وإيثارُه الفقرَ واتِّصافُه به.

---

(١) أخرجه البزار (٧٩٧٨)، وابن حبان ٢/ ١٧٠ (٤٢٨)، والطبراني في الأوسط (٢٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأحمد ٤١/ ١٤٨ (٢٤٦٠١).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١٠)، والفريابي في فضائل القرآن (٦، ٧).

٤ - فصل في معنى المَحبَّة للنبيِّ ﷺ وحقيقتِها

اختلف الناسُ في تفسيرِ مَحبَّة الله ومحبة النبيِّ ﷺ، وكثرت عباراتُهم في ذلك، وليست ترجعُ بالحقيقةِ إلى اختلافِ مَقالٍ، ولكنها اختلافُ أحوالٍ.

فقال سفيانُ: المحبةُ اتِّباعُ الرسولِ ﷺ.

كأنه التفت إلى قولِه تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

وقال بعضُهم: محبةُ الرسول ﷺ اعتقادُ نُصرتِه، والذبُّ عن سنتِه، والانقيادُ لها، وهيبةُ مُخالفتِه.

وقال بعضهم: المحبةُ مواطأةُ القلبِ لمرادِ الربِّ، يحبُّ ما أحبَّ ويكرهُ ما كرِهَ.

وحقيقةُ المحبَّةِ: الميلُ إلى ما يوافق الإنسانَ وتكون موافقتُه له إما لاستلذاذِه بإدراكِه كحُبِّ الصورةِ الجميلةِ والأصواتِ الحسنةِ والأطعمةِ والأشربةِ اللذيذة وأشباهِها مما كُلُّ طبعٍ سليمٍ مائلٌ إليها لموافقتِها له.

أو لاستلذاذه بإدراكِه بحاسَّةِ عقلِه وقلبِه معانيَ باطنة شريفة كحبِّ الصالحين والعلماءِ وأهل المعروفِ والمأثورِ عنهم السيرُ الجميلةُ والأفعال الحسنةُ، فإن طبع الإنسان مائلٌ إلى الشغفِ بأمثال هؤلاء، حتى يبلغَ التعصُّب بقومٍ لقومٍ والتشيُّعُ من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاءِ عن الأوطانِ وهتكِ الحُرَمِ واخترامِ النفوسِ.

أو يكون حبُّه إياه لموافقته له من جِهةِ إحسانه له، وإنعامِه عليه فقد جُبلت النفوسُ على حُبِّ من أحسنَ إليها.

فإذا تقرَّر لك هذا نظرتَ هذه الأسبابَ كُلَّها في حقِّه ﷺ فعلِمت أنه ﷺ جامعٌ لهذه المعاني الثلاثةِ المُوجبة للمَحبة:

أما جمالُ الصورةِ والظاهرِ وكمالُ الأخلاقِ والباطنِ فهو مُقرَّرٌ بما لا يَحتاج توضيح[1].

وأما إحسانُه وإنعامُه على أمته: فكذلك قد تقرَّر في أوصافِ الله تعالى له من رأفتِه بهم ورحمته لهم وهدايتِه إيَّاهم وشفقتِه عليهم واستِنقاذهم به من النارِ وأنه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، و﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، و﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:١٦٤]، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:١٦].

فأي إحسانٍ أجلُّ قدرًا وأعظمُ خطرًا من إحسانِه إلى جميع المؤمنين؟ وأيُّ إفضالٍ أعمُّ منفعةً وأكثرُ فائدةً من إنعامِه على كافَّةِ المسلمين؟ إذ كان ذريعتَهم إلى الهدايةِ، ومُنقذَهم من العَماية، وداعيهم إلى الفلاحِ والكرامةِ، ووسيلتَهم إلى ربِّهم وشفيعَهم والمتكلِّمَ عنهم والشاهدَ لهم، والمُوجبَ لهم البقاءَ الدائمَ والنعيمَ السرمدَ.

فقد استبانَ لك أنه ﷺ مُستوجبٌ للمحبةِ الحقيقية شرعًا بما قدمناه من صحيحِ الآثارِ، وعادةً وجبلَّةً بما ذكرناه آنفًا لإفاضتِه الإحسانَ وعمومِه الإجمالَ.

---

(١) انظر الباب الثاني من القسم الأول (ص٤٦).

فإذا كان الإنسانُ يحب مَن منحه في دنياه مَرَّةً أو مرتين معروفًا، أو استنقذه من هلَكَةٍ أو مَضرَّةٍ مُدةً التأذي بها قليلٌ منقطعٌ، فمن منحه ما لا يبيدُ من النعيمِ ووقاه ما لا يَفنى من عذابِ الجحيم أولى بالحُبِّ.

وإذا كان يُحبُّ بالطبعِ مَلِكٌ لحُسن سيرته أو حاكمٌ لما يُؤثَر من قوامِ طريقتِه أو قاضٍ بعيد الدارِ لما يُشادُ من علمِه أو كرم شيمَتِه، فمَن جمعَ هذه الخصالَ على غايةِ مراتبِ الكمالِ أحقُّ بالحُبِّ وأولى بالميلِ.

٥- فصل في وجوب مُناصحته ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٩١﴾ [التوبة:٩١]، قال أهلُ التفسيرِ: إذا نصحوا للهِ ورسولِه: إذا كانوا مُخلِصين مسلمين في السرِّ والعلانيةِ.

وعن تَميمٍ الداريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الدينَ النصيحةُ، إن الدينَ النصيحةُ، إن الدينَ النصيحةُ**» ثلاث مرات، قالوا: لمن يا رسولَ الله؟ قال: «**لله ولكِتابِه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتهم**»(١).

قال الأئمةُ رحمهم الله: النصيحةُ للهِ ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتهم واجبةٌ.

قال الإمامُ أبو سليمانَ البُستيُّ: النصيحةُ كلمةٌ يُعبر بها عن جملةِ إرادةِ الخيرِ للمنصوحِ له، وليس يمكن أن يُعبَّرَ عنها بكلمةٍ واحدةٍ تَحصُرها.

ومعناها في اللغةِ: الإخلاصُ، من قولهم: نصحتَ العسلَ إذا خلَّصتَه من شمعِه(٢).

وقال أبو بكر ابنُ أبي إسحاقَ الخفَّاف: النصحُ فعلُ الشيءِ الذي به الصلاحُ والمُلاءمةُ، مأخوذٌ من النِّصاحِ، وهو الخيطُ الذي يُخاط به الثوبُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) معالم السنن للخطابي ٤/ ١٢٦.

فنصيحةُ الله تعالى: صحَّةُ الاعتقاد له بالوَحدانيَّةِ، والرغبةُ في مَحابِّه، والبُعدُ من مَساخطِه، والإخلاصُ في عبادته.

والنصحيةُ لكتابِه: الإيمانُ به، والعملُ بما فيه، وتحسينُ تلاوته والتخشُّع عنده، والتعظيم له، وتفهُّمُه، والتفقُّه فيه، والذبُّ عنه من تأويل الغالين وطعنِ المُلحدين.

والنصيحةُ لرسولِه: التصديقُ بنبوَّته وبذلُ الطاعةِ له فيما أمرَ به ونهى عنه.

وقال أبو بكرٍ: وموازَرتُه ونُصرتُه وحمايته حيًّا وميِّتًا، وإحياءُ سنته بالطلبِ والذبِّ عنها ونشرها، والتخلُّق بأخلاقِه الكريمة وآدابِه الجميلة.

وقال أبو إبراهيمَ إسحاقُ التُّجيبيُّ: نصيحةُ رسولِ الله ﷺ: التصديقُ بما جاء به والاعتصامُ بسنَّته ونشرُها والحضُّ عليها والدعوةُ إلى الله وكتابِه ولرسولِه وإليها وإلى العمل بها.

وقال أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ: النصحُ له يقتضي نُصحين: نُصحًا في حياتِه، ونُصحًا بعد مماته:

ففي حياته: نصحُ أصحابِه له بالنصرِ والمُحاماة عنه ومُعاداةِ من عاداه والسمعِ والطاعةِ له وبذلِ النفوسِ والأموالِ دونه كما قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب:٢٣]، وقال: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

وأما نصيحةُ المسلمين له بعد وفاتِه: فالتزامُ التوقيرِ والإجلالِ وشدةِ المحبةِ له، والمثابرةُ على تعلم سنتِه والتفقهِ في شريعتِه، ومحبَّةُ أهل بيتِه وأصحابِه، ومُجانبةُ من رغِب عن سنتِه وانحرفَ عنها، وبُغضه والتحذيرُ منه، والشفقةُ على أمته، والبحثُ عن تعرف أخلاقِه وسيره وآدابِه، والصبرُ على ذلك.

وأما النصحُ لأئمةِ المسلمين: فطاعتُهم في الحقِّ، ومعونتُهم فيه وأمرُهم به، وتَذكيرُهم إياه على أحسنِ وجهٍ، وتنبيهُهم على ما غفَلوا عنه، وكُتِمَ عنهم من أمورِ المسلمين، وتركُ الخروجِ عليهم وتَضْرِيبِ الناس(١) وإفسادِ قلوبهم عليهم.

والنصحُ لعامَّة المسلمين: إرشادُهم إلى مَصالحهم، ومَعونتُهم في أمرِ دينهم ودنياهم بالقولِ والفعلِ، وتنبيهُ غافِلِهم وتبصيرُ جاهلِهم، ورِفدُ مُحتاجِهم، وسترُ عوراتهم، ودفعُ المضارِّ عنهم، وجلبِ المنافعِ إليهم.

---

(١) (تَضْرِيب الناسِ): الإغراء بينهم للوقيعة.

الباب الثالث: في تعظيمِ أمرِه ووجوب توقيرِه وبِرِّه

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ الآية [الفتح:٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجُرات:١]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحُجُرات:٢-٤]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ [النور:٦٣].

فأوجب تعالى تعزيرَه وتوقيرَه، وألزمَ إكرامَه وتعظيمَه.

وقال ابنُ عباسٍ: تُعزِّروه: أي: تُجِلُّوه[١].

ونُهِيَ عن التقدمِ بين يديه بالقولِ وسُوءِ الأدب بسبقِه بالكلام.

قال سهلُ بنُ عبد الله: لا تقولوا قبل أن يقولَ، وإذا قال فاستمِعوا له وأنصِتوا، ونُهوا عن التقدُّم والتعجُّل بقضاءِ أمرٍ قبل قضائِه فيه، وأن يَفتاتوا بشيءٍ في ذلك من قتالٍ أو غيره من أمرِ دينِهم إلا بأمره ولا يَسبقوه به[٢].

ثم وعظَهم وحذَّرهم مُخالفةَ ذلك فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحُجُرات:١].

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ٢٥١.

(٢) انظر تفسير التستري (ص١٤٩) بمعناه.

وقال السُّلميُّ: اتقوا الله في إهمالِ حقِّه، وتضييع حُرمته؛ إنه سميعٌ لقولِكم، عليمٌ بفعلكم[(١)].

ثم نهاهم عن رفعِ الصوت فوقَ صوته، والجهرِ له بالقول كما يَجهر بعضُهم لبعضٍ ويرفعُ صوتَه.

ثم خوَّفهم الله تعالى بحبطِ أعمالِهم إن هم فعلوا ذلك، وحذَّرهم منه.

قيل: نزلت الآيةُ في مُحاورةٍ كانت بين أبي بكرٍ وعمرَ بين يدي النبيِّ ﷺ، واختلافٍ جرى بينهما حتى ارتفعَت أصواتُهما[(٢)].

وقيل: نزلت في ثابتِ بن قيسِ بن شَماسٍ خطيبِ النبيِّ ﷺ في مُفاخرةِ بني تميمٍ، وكان في أذنيه صممٌ، فكان يرفع صوتَه، فلما نزلت هذه الآيةُ أقامَ في منزلِه وخشِيَ أن يكون حبِط عملُه، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، لقد خشيتُ أن أكون هلكتُ، نهانا الله أن نجهرَ بالقول، وأنا امرؤٌ جهير الصوتِ، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا ثابتُ، أما ترضى أن تعيش حميدًا، وتُقتل شهيدًا، وتدخلَ الجنةَ؟**»[(٣)] فقُتل يومَ اليمامة.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] قال بعضُ المفسرين: هي لغةٌ كانت في الأنصار، نُهوا عن قولها تعظيمًا للنبي ﷺ، وتبجيلًا له؛ لأن معناها: ارعَنا نرعَك، فنُهوا عن قولها: إذ مقتضاها كأنهم لا

---

(١) تفسير السلمي ٢/ ٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢١٩، والطبري في تفسيره ٢١/ ٣٤١، وأصله في البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) بنحوه.

يرعَونه إلا برعايتِه لهم، بل حقُّه أن يُرعى على كل حالٍ، وقيل: كانت اليهودُ تعرِّض بها للنبي ﷺ بالرعونة، فنُهي المسلمون عن قولها قطعًا للذريعة، ومنعا للتشبهِ بهم في قولها لمشاركةِ اللفظة. وقيل غيرُ هذا.

١- فصل في عادةِ الصحابة في تعظيمِه ﷺ وإجلالِه وتوقيرِه

عن عمرِو بن العاص قال: وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسولِ الله ﷺ، ولا أجلَّ في عينيَّ منه، وما كنت أطيقُ أن أملأَ عيني منه إجلالًا له، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ؛ لأني لم أكن أملأُ عينَيَّ منه[(١)].

وروى أسامةُ بن شَريكٍ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وأصحابُه حوله كأنما على رؤوسِهم الطيرُ[(٢)].

وقال عروةُ بن مسعودٍ حين وجهته قريشٌ عامَ القضية[(٣)] إلى رسولِ الله ﷺ، فرأى من تعظيمِ أصحابِه له ما رأى، وأنه لا يتوضَّأُ إلا ابتدروا وَضوءَهُ، وكادوا يَقتتِلون عليه، ولا يبصُق بُصاقًا ولا يتنخم نُخامةً إلا تلقَّوها بأكُفِّهم، فدَلكوا بها وجوهَهم وأجسادَهم، ولا تَسقط منه شعرةٌ إلا ابتدَروها، وإذا أمرهم بأمرٍ ابتدروا أمرَه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتَهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له، فلما رجع إلى قريشٍ قال: يا معشرَ قريشٍ، إني جئت كِسرى في مُلكه، وقيصرَ في ملكِه، والنجاشيَّ في مُلكِه، وإني والله، ما رأيتُ مَلكًا في قومٍ قطُّ مثل محمدٍ في أصحابِه[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٥٥)، وأحمد ٣٠/ ٣٩٤ (١٨٤٥٣).
(٣) (عام القَضِيَّة): عام الحديبية.
(٤) أخرجه أحمد ٣١/ ٢١٢ (١٨٩١٠).

وفي روايةٍ: إن رأيتُ مَلكًا قط يُعظِّمه أصحابُه ما يعظمُ محمدًا أصحابُه، وقد رأيت قومًا لا يُسلِمونه أبدًا[1].

وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ والحلاقُ يحلِقه وقد أطافَ به أصحابُه فما يُريدون أن تقعَ شعرةٌ إلا في يدِ رجلٍ[2].

٢- فصل [في أن حرمة النبي ﷺ وتوقيره بعد موته كما في حياته]

واعلم أن حُرمةَ النبيِّ ﷺ بعد مَوته وتوقيرَه وتعظيمَه لازمٌ كما كان في حالِ حياتِه، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثِه وسنتِه وسَماعِ اسمِه وسيرتِه ومُعاملةِ آله وعِترتِه[3] وتعظيمِ أهل بيتِه وصحابَتِه.

قال أبو إبراهيم إسحاق التجيبي: واجبٌ على كلِّ مؤمنٍ متى ذكرَه أو ذُكِرَ عندَه أن يخضعَ ويخشعَ ويتوقَّرَ ويسكنَ من حركتِه، ويأخذَ في هيبتِه وإجلالِه بما كان يأخذُ به نفسَه لو كان بينَ يدَيْه، ويتأدَّبَ بما أدَّبَنا الله به.

قال مالكٌ -وقد سُئلَ عن أيوبَ السَّختيانيِّ-: ما حدَّثْتُكم عن أحدٍ إلا وأيوبُ أفضلُ منه[4]، قال: وحجَّ حجتين فكنتُ أرمُقه ولا أسمعُ منه، غير أنه كان إذا ذُكرَ النبيُّ ﷺ بكى حتى أرحمَه، فلما رأيتُ منه ما رأيتُ وإجلالَه للنبيِّ ﷺ كتبتُ عنه[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٥).

(٣) (عِتْرَته): أهله الأدنون.

(٤) التعديل والتجريح للباجي ١/ ٣٨٦.

(٥) السابق.

وقال مصعبُ بن عبدِ الله: كان مالكٌ إذا ذُكِرَ النبيُّ ﷺ يتغيَّر لونُه وينحني حتى يصعُب ذلك على جُلسائِه، فقِيلَ له يومًا في ذلك، فقال: لو رأيتُم ما رأيتُ لما أنكرتُم عليَّ ما تَرون، ولقد كنت أرى محمدَ بن المُنكدرِ -وكان سيِّدَ القُرَّاء- لا يكادُ يسأله أحدٌ عن حديثٍ أبدًا إلا يبكي حتى نرحمَه(١)، ولقد كنت أرى جعفرَ بن محمدٍ الصادقَ، وكان كثيرَ الدُّعابةِ والتبسُّم، فإذا ذكر عنده النبيُّ ﷺ اصفرَّ، وما رأيتُه يحدث عن رسولِ الله ﷺ إلا على طهارةٍ، وقد اختلفتُ إليه زمانًا فما كنت أراهُ إلا على ثلاثِ خِصالٍ: إما مصليًا، وإما صامتًا، وإما يقرأ القرآنَ، ولا يتكلم فيما لا يَعنيه، وكان من العلماءِ والعُبَّادِ الذين يَخشون الله عز وجل(٢).

ولقد كان عبدُ الرحمن بن القاسمِ يَذكر النبيَّ ﷺ فيُنظرُ إلى لونِه كأنه نُزِفَ منه الدمُ، وقد جف لسانُه في فمه هيبةً لرسولِ الله ﷺ(٣).

ولقد كنت آتي عامرَ بن عبدِ الله بن الزبيرِ فإذا ذُكِرَ عنده النبيُّ ﷺ بكى حتى لا يَبقى في عينيه دُموعٌ(٤).

ولقد رأيتُ الزهريَّ وكان من أهنأِ الناسِ وأقربِهم فإذا ذُكِرَ عنده النبيُّ ﷺ فكأنه ما عرَفَك ولا عرفتَه.

ولقد كنت آتي صفوانَ بنَ سُليمٍ وكان من المُتعبِّدين المُجتهدين، فإذا ذُكِرَ عنده النبيُّ ﷺ بكى فلا يَزالُ يبكي حتى يقومَ الناسُ عنه ويتركوه(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٢٢٠، والجوهري في مسند الموطأ (١٣٢)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٤٧ مختصرا.

(٢) أخرجه الجوهري في مسند الموطأ (ص٢٨٦).

(٣) أخرجه الجوهري في مسند الموطأ (ص٤٦٤).

(٤) أخرجه الجوهري في مسند الموطأ (ص٤٨١).

(٥) أخرجه الجوهري في مسند الموطأ (ص٣٨٨).

٣- فصل في سيرةِ السلف في تعظيمِ رواية حديث رسولِ الله ﷺ وسنَّته

عن عمرِو بن مَيمونٍ قال: اختلفتُ إلى ابن مسعودٍ سنة فما سمعتُه يقول: قال رسولُ الله ﷺ، إلا أنه حدَّث يومًا فجرى على لسانه: قال رسولُ الله ﷺ، ثم علاه كربٌ حتى رأيت العرق يتحدَّر عن جبهتِه، ثم قال: هكذا إن شاء الله، أو فوق ذا، أو ما دون ذا، أو ما هو قريبٌ من ذا[(١)].

وقال مالك: جاء رجلٌ إلى ابن المسيبِ فسأله عن حديث وهو مضطجعٌ فجلس وحدثَه، فقال له الرجلُ: وددتُ أنك لم تتعن، فقال: إني كرهتُ أن أحدثكَ عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجعٌ[(٢)].

وقال مصعبُ بن عبد الله: كان مالكُ بن أنسٍ إذا حدث عن رسولِ الله ﷺ توضَّأ وتهيَّأ ولبس ثيابَه ثم يحدث[(٣)].

قال مصعبٌ: فسئل عن ذلك فقال: إنه حديثُ رسول الله ﷺ.

وكان قتادةَ يَستحب أن لا يَقرأ أحاديثَ النبي ﷺ إلا على وضوء، ولا يحدثُ إلا على طهارة[(٤)]، وكان الأعمشُ إذا أراد أن يحدثَ وهو على غير وضوءٍ تيممَ[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٥/ ٢٩٣ (٢٦٢٢٢)، وأحمد ٧/ ٣٤٣ (٤٣٢١).

(٢) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٤٧٦، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص٣٩٢)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٩٧٣).

(٣) أخرجه الجوهري في مسند الموطأ (ص١٠٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١/ ٣٤٤ (١٣٤٤).

(٥) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص٣٩٢)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٩٧٨).

٤ - فصل [في أن برَّ آله وذريته وأزواجه أمهات المؤمنين من برِّه ﷺ]

ومن توقيره ﷺ وبِرِّه: بِرُّ آله وذريَّته وأمَّهاتِ المؤمنين أزواجِه كما حضَّ عليه ﷺ وسلكه السلفُ الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ [الأحزاب:٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

عن زيدِ بن أرقمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنشُدكم الله أهلَ بيتي...**» ثلاثًا، قلنا لزيدٍ: مَن أهلُ بيته؟ قال: آلُ عليٍّ وآل جعفر وآل عَقيلٍ وآل العباس(١).

وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ: لما نزلت آيةُ المباهلةِ دعا النبيُّ ﷺ عليًّا وحَسنًا وحُسينًا وفاطمةَ وقال: «**اللهمَّ هؤلاء أهلي**»(٢).

وقال النبي ﷺ في عليٍّ: «**من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه**»(٣).

وقال فيه: «**لا يُحبُّك إلا مومنٌ ولا يُبغضك إلا منافقٌ**»(٤).

وقال للعباس: «**والذي نفسي بيده لا يدخل قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحبَّكم لله ورسولِه، ومن آذى عمِّي فقد آذاني، وإنما عمُّ الرجل صِنو أبيه**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٢ (٩٥٠)، والنسائي في الكبرى ٧/ ٤٣٩ (٨٤١٩).

(٤) أخرجه مسلم (٧٨).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨).

وكان يأخذُ بيد أسامةَ بنِ زيد والحسن ويقول: «**اللهمَّ إني أحبُّهما فأحبَّهما**»[(١)].

وقال أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ارقبوا محمدًا في أهلِ بيته[(٢)].

وقال أيضًا: والذي نفسي بيده لقرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي[(٣)].

وقال ﷺ لأُمِّ سلمة: «**لا تُؤذيني في عائشةَ**»[(٤)].

وعن عُقبةَ بن الحارث: رأيتُ أبا بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقد جعل الحسنَ بن علي على عُنقِه وهو يقول:

بأبي شبيهٌ بالنبيِّ

ليس شبيهًا بِعَليٍّ

وعليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يضحك[(٥)].

وكان أبو بكر وعمرُ يزوران أمَّ أيمن مولاةَ النبيِّ ﷺ ويقولان: كان رسولُ الله ﷺ يزورُها[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧١٢)، ومسلم (١٧٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٨١)، وانظر صحيح مسلم (٢٤٤٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٥٠).

(٦) أخرجه مسلم (٢٤٥٤).

٥- فصل [في أن برَّ أصحابه وتوقيرهم والاقتداء بهم من برِّه ﷺ]

ومن توقيرِه وبِرِّه ﷺ: توقيرُ أصحابه وبرهم ومعرفةُ حقِّهم والاقتداء بهم، وحُسنُ الثناءِ عليهم والاستغفارُ لهم، والإمساكُ عما شجرَ بينهم، ومُعاداةُ من عاداهم، والإضرابُ عن أخبارِ المؤرخين وجَهلةِ الرواةِ وضُلَّالِ الشيعةِ والمبتدعين القادحةِ في أحدٍ منهم، وأن يُلتمس لهم فيما نُقل عنهم من مِثل ذلك فيما كان بينهم من الفِتَن أحسنُ التأويلات، ويُخرَّج لهم أصوبُ المخارج؛ إذ هم أهلُ ذلك، ولا يُذكر أحدٌ منهم بسوءٍ، ولا يُغمص عليه أمرُه بل يُذكر حسناتُهم وفضائلُهم وحَميدُ سِيرتهم، ويُسكت عما وراء ذلك.

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩].

وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَسبُّوا أصحابي، فلو أنفق أحدُكم مثلَ أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه**»(١).

وقال ﷺ في الأنصارِ: «**اعفوا عن مُسيئِهم، واقبَلوا من مُحسِنهم**»(٢).

وقال مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا النبيُّ مؤدِّب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمةً للعالمين يَخرُج في جوفِ الليلِ إلى البقيعِ فيدعو لهم ويَستغفرُ كالمودِّع لهم، وبذلك أمرَه الله، وأُمِرَ النبيُّ بحبِّهم ومُوالاتهم ومُعاداةِ من عاداهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (٢٥١٠).

الباب الرابع: في ذكرِ الصلاةِ عليه والتسليمِ وفرضِ ذلك وفضيلتِه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

قال ابنُ عباس: معناه: إن الله وملائكتَه يُباركون على النبيِّ[(١)].

وقال أبو العاليةِ: صلاةُ الله: ثناؤه عليه عند الملائكةِ، وصلاةُ الملائكة: الدعاءُ[(٢)].

وقد فرَّقَ النبيُّ ﷺ في حديثِ تعليم الصلاةِ عليه بين لفظِ الصلاةِ ولفظ البرَكةِ فدلَّ أنهما بمعنيين.

وفي معنى السلامِ عليه ثلاثةُ وجوهٍ:

أحدُها: السلامةُ لك ومعك، ويكون السلامُ مصدرًا كاللذاذِ واللذاذَة.

الثاني: أي: السلامُ على حفظِك ورعايتك مُتولٍّ له، وكفيلٌ به، ويكون هنا السلامُ: اسمُ الله.

الثالث: أن السلامَ بمعني المُسالمة، والانقياد كما قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:٦٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٩/ ١٧٤.

(٢) علقه البخاري قبل حديث (٧٤٩٧)، ووصله إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي (٩٥).

١- فصل [في فرضية الصلاة عليه ﷺ]

واعلم أن الصلاةَ على النبيِّ ﷺ فرضٌ على الجملة غيرُ محددٍ بوقتٍ لأمر الله تعالى بالصلاةِ عليه، وحَمل الأئمَّة والعلماء له على الوجوبِ، وأجمعوا عليه، وحَكى أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ: أن مَحمَلَ الآيةِ على الندبِ وادَّعى فيه الإجماعَ(١)، ولعلَّه فيما زادَ على مرةٍ والواجبُ منه الذي يَسقُط به الحرجُ ومأثَمُ تركِ الفرضِ مرةٌ، كالشهادةِ له بالنبوةِ، وما عدا ذلك مندوبٌ مرغَّبٌ فيه من سننِ الإسلامِ وشعارِ أهلِه.

وقالَ القاضي أبو بكرِ بن بُكَير: افتَرَضَ الله على خلقِه أن يُصلوا على نبيِّه ويُسلموا تسليمًا، ولم يَجعَل ذلك لوقتٍ معلومٍ؛ فالواجبُ أن يُكثِرَ المرءُ منها ولا يَغفلُ عنها(٢).

وقال القاضي أبو محمدِ بن نصرٍ: الصلاةُ على النبيِّ ﷺ واجبةٌ في الجملةِ(٣).

---

(١) تهذيب الآثار (الجزء المفقود) للطبري (ص٢٢٨).

(٢) انظر: المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي ٣/ ١٥٨.

(٣) عيون المسائل للقاضي عبد الوهاب أبو محمد بن نصر (ص١٢٠).

٢- فصل في المَواطن التي يُستحبُّ فيها الصلاةُ والسلام على النبيِّ ﷺ ويُرغب من ذلك

في تشهدِ الصلاةِ وذلك بعد التشهد، وقبلَ الدعاء.

عن فَضالةَ بنِ عُبيد: سمع النبيُّ ﷺ رجلًا يدعو في صلاتِه فلم يصلِّ على النبيِّ ﷺ؛ فقال النبيُّ ﷺ: «عَجِلَ هذا» ثم دعاه فقال له ولغيرِه: «**إذا صلى أحدُكم فليبدأْ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليُصلِّ على النبيِّ ﷺ، ثم ليَدعُ بعدُ بما شاء**»[١].

ومن مَواطن الصلاة عليه عند ذكرِه وسماعِ اسمه أو حديثِه أو عند الأذانِ.

فقد قال ﷺ: «**رغِم أنفُ رجلٍ ذُكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ**»[٢].

وروى النسائيُّ عن أوسِ بن أوسٍ عن النبيِّ ﷺ الأمرَ بالإكثارِ من الصلاة عليه يومَ الجُمُعة[٣].

ومن مَواطنِ الصلاةِ والسلامِ دخولُ المسجدِ.

قال عمرو بن دينارٍ في قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور:٦١] قال: إن لم يكن في البيت أحدٌ فقل: السلامُ على النبيِّ ورحمةُ الله وبركاتُه، السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين، السلامُ على أهل البيتِ ورحمةُ الله وبركاته[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٧)، وأبو داود (١٤٨١)، والنسائي (١٢٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأصله في مسلم (٢٥٥١).

(٣) سنن النسائي (١٣٧٤)، وأخرجه أيضا أبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥).

(٤) انظر الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٨/ ٥١٦٢.

قال ابنُ عباسٍ: المرادُ بالبيوت هاهنا المساجدُ[١].

ومن مَواطنِ الصلاة عليه أيضًا عند الصلاةِ على الجنائزِ.

وذُكر عن أبي أُمامةَ أنها من السنةِ[٢].

ومن مواطنِ الصلاة التي مضَى عليها عملُ الأمَّةِ ولم تنكرها: الصلاةُ على النبيِّ ﷺ وعلى آلِه في الرسائلِ وما يُكتبُ بعد البسملةِ.

ولم يكن هذا في الصدرِ الأوَّلِ وأُحدث عند ولايةِ بنى هاشمٍ، فمضى به عملُ الناسِ في أقطارِ الأرضِ، ومنهم من يَختم به أيضًا الكتبَ.

ومن مواطنِ السلامِ على النبيِّ ﷺ: تشهدُ الصلاةِ.

عن عبدِ الله بن مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا صلَّى أحدُكم فليقل: التحياتُ لله والصلوات والطيباتُ، السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاتُه، السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين، فإنكم إذا قلتموها أصابت كُلَّ عبدٍ صالحٍ في السماءِ والأرضِ**»[٣].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٧/ ٣٨١، والحاكم ٢/ ٤٣٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٤٨٩ (٦٤٢٨)، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٩٠ (١١٣٧٩)، والحاكم ١/ ٥١٢ (١٣٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

٣- فصل في كيفية الصلاةِ عليه والتسليمِ

عن أبي حُميدٍ الساعديِّ أنهم قالوا: يا رسولَ الله، كيف نُصلي عليك؟

قال: «**قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وأزواجه وذريَّته، كما صليتَ على آلِ إبراهيم، وبارِك على محمدٍ وأزواجِه وذريته، كما باركتَ على آل إبراهيمَ، إنك حَميدٌ مَجيدٌ**»[(١)].

وفي روايةٍ عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قال: «**قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آله، كما صليتَ على آل إبراهيمَ، وبارك على محمدٍ وعلى آلِه كما باركت على آلِ إبراهيم، في العالمين إنك حَميد مجيدٌ، والسلامُ كما قد عَلِمْتُم**»[(٢)].

وفي رواية كعبِ بن عُجرَةَ: «**اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمد، كما صليتَ على إبراهيمَ، وبارك على محمدٍ وآل محمد كما باركت على إبراهيمَ، إنك حَميدٌ مَجيدٌ**»[(٣)].

وقوله: «**والسلامُ كما قد عَلِمْتُم**»[(٤)] هو ما علمهم الله في التشهُّدِ من قوله: «**السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه، السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين**».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (٤٠٥).

٤- فصل في فضيلةِ الصلاة على النبيِّ والتسليم عليه والدعاءِ له

عن عبدِ الله بن عمرٍو: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتُم المؤذِّنَ فقولوا مثلَ ما يقولُ، وصلوا عليَّ فإنه من صلَّى علي مرةً واحدةً صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلةَ؛ فإنها منزلةٌ في الجنَّةِ لا تنبغي إلا لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمن سألَ الله لِيَ الوسيلةَ حلَّت عليه الشفاعةُ**»[(١)].

وعن أنسِ بن مالك أن النبيَّ ﷺ قال: «**من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه عشر صلواتٍ، وحَطَّ عنه عشرَ خطيئات، ورفعَ له عشرَ درجاتٍ**»[(٢)].

وعن أُبيِّ بن كعبٍ: كان رسولُ الله ﷺ إذا ذهب رُبُعُ الليلِ قام فقال: «**يا أيُّها الناسُ، اذكروا الله، جاءت الراجفةُ، تتبعها الرادفةُ، جاء الموتُ بما فيه**»، فقال أُبيُّ بن كعبٍ: يا رسولَ الله، إني أُكثِرُ الصلاةَ عليك فكم أجعلُ لك من صلاتي[(٣)]؟ قال: «**ما شئتَ**»، قال: الربعَ؟ قال: «**ما شئتَ، وإن زدتَ فهو خيرٌ**» قال: الثلثَ؟ قال: «**ما شئتَ، وإن زدت فهو خيرٌ**»، قال: النصفَ؟ قال: «**ما شئتَ، وإن زدت فهو خيرٌ**»، قال: الثلثين؟ قال: «**ما شئتَ، وإن زدت فهو خيرٌ لك**»، قال: يا رسولَ الله، أفأجعلُ صلاتي كُلَّها لك؟ قال: «**إذًا تُكفى ويُغفرُ ذنبُك**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) أخرجه النسائي (١٢٩٧).

(٣) (صَلاتي): من الصلاة بمعنى الدعاء.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧).

وعن جابرِ بن عبد الله قال: قال النبيُّ ﷺ: «**من قال حين يَسمع النداءَ: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامَّةِ والصلاةِ القائمةِ، آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثهُ مَقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلَّت له شفاعتي يومَ القيامةِ**»(١).

وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ: من قال حين يسمعُ النداءَ أو المؤذنَ: «**وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا؛ غفر له**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٦).

٥- فصل في ذمِّ من لم يُصلِّ على النبيِّ ﷺ وإثمِه

عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكرتُ عنده فلم يُصل عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجلٍ دخلَ رمضانُ ثم انسلخَ قبل أن يُغفرَ له، ورَغِمِ أنفُ رجلٍ أدركَ عنده أبواه الكِبرَ فلم يُدخلاه الجنةَ**»(١).

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنه عليه السلام أنه قال: «**البخيلُ -كل البخيل- الذي ذُكرت عنده فلم يُصلِّ عليَّ**»(٢).

وعن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما قومٍ جلسوا مجلسًا ثم تَفرقوا قبل أنْ يذكروا الله ويُصلوا على النبي ﷺ كانَت عليهم من الله تِرةٌ، إنْ شاء عذبَهم، وإن شاء غفرَ لهم**»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأصله في مسلم (٢٥٥١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٥٦)، والترمذي (٣٣٨٠).

٦- فصل في تخصيصِه ﷺ بتبليغِ من صلى عليه أو سلمَ من الأنامِ

عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما من أحدٍ يُسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلامَ**»(١).

وعن ابن مسعودٍ: «**إن لله ملائكةً سياحين في الأرض، يبلِّغوني عن أمتي السلامَ**»(٢).

وفي حديث أوسٍ: «**أكثِروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعةِ؛ فإن صلاتَكم معروضةٌ عليَّ**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤١).

(٢) أخرجه النسائي (١٢٨٢).

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥)، والنسائي (١٣٧٤).

٧- فصل في الاختلاف في الصلاة على غيرِ النبي ﷺ، وسائرِ الأنبياء عليهم السلامُ

والذي ذهبَ إليه المحققونَ وأميلُ إليه: ما قاله مالك[(١)] وسفيان[(٢)] رحمهما الله، ورُوي عن ابن عباس[(٣)]، واختاره غيرُ واحدٍ من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يُصلَّى على غير الأنبياءِ عند ذكرهم، بل هو شيءٌ يَختص به الأنبياء توقيرًا لهم وتعزيزًا، كما يَخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديسِ والتعظيم، ولا يشاركُه فيه غيره، كذلك يجب تخصيصُ النبي ﷺ وسائرِ الأنبياء بالصلاة والتسليم، ولا يشاركُهم فيه سواهم كما أمرَ الله به بقوله: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ويُذكَرُ مَن سواهم من الأئمةِ وغيرهم بالغفران والرِّضى كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ...﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأيضًا: فهو أمرٌ لم يكن معروفًا في الصدر الأول، كما قال أبو عمرانَ، وإنما أحدَثه الرافضةُ والمتشيعة في بعض الأئمة، فشاركوهم عند الذكرِ لهم بالصلاة، وساوَوهم بالنبي ﷺ في ذلك.

---

(١) انظر: البيان والتحصيل لابن رشد الجد ١٨/ ٦٠٢.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٢١٦ (٣١١٩).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٢١٦ (٣١١٩)، وابن أبي شيبة ٢/ ٢٥٤ (٨٧١٦).

وأيضًا: فإن التشبه بأهل البدعِ منهيٌّ عنه، فتجب مخالفتُهم فيما التزموه من ذلك، وذكرُ الصلاة على الآل والأزواج مع النبي ﷺ بحكم التبعِ والإضافةِ إليه، لا على التخصيص.

قالوا: وصلاةُ النبي ﷺ على من صلى عليه مَجراها مجرى الدعاءِ والمواجهةِ، ليس منها معني التعظيمِ والتوقيرِ، قالوا وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] وكذلك يجب أن يكونَ الدعاءُ له مخالفًا لدعاء الناسِ بعضِهم لبعض، وهذا اختيارُ الإمام أبي المظفَّر الإسفراييني أحد شيوخنا، وبه قال ابنُ عبد البرِّ[١].

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر ٢/ ٣٢٤-٣٢٥.

٨- فصل فيما يَلزَم مَن دخَل مسجد النبيِّ ﷺ من الأدَب وفَضْله وفَضْل الصلاة فيه وفي مسجد مكَّةَ، وفضل سُكنى المدينة ومكةَ

قال الله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآيات، رُوِيَ أن النبي ﷺ سُئِل: أيُّ مسجد هو؟ قال: «**مَسْجِدي هَذا**»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَا تُشَدُّ الرِّحالُ إِلَّا إِلى ثَلاثةِ مَساجِدَ: المَسجِدِ الحَرامِ، وَمَسْجِدي هَذا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى**»(٢).

وعن عبدِ الله بن عمرِو بنِ العاص أن النبيَّ ﷺ كان إذا دخَل المسجدَ قال: «**أَعُوذُ باللهِ العَظيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَريمِ، وَسُلْطانِهِ القَديمِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ**»(٣).

وقال مالكٌ رحمه الله: سَمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صوتًا في المسجد فدعا بصاحبِه فقال: ممن أنت؟ فقال: رجلٌ من ثقيفَ، قال: لو كنتَ من هاتين القريتين لأدبتُك؛ إن مسجدَنا هذا لا يُرفع فيه الصوتُ(٤).

قال محمد بن مسلمةَ: لا ينبغي لأحد أن يعتمدَ المسجد برفع الصوتِ ولا بشيء من الأذى، وأن يُنزه عما يكره.

حكى ذلك كلَّه القاضي إسماعيلُ في مبسوطه في باب: فضلِ مسجد النبي ﷺ، والعلماءُ كلهم متفقون على أن حُكمَ سائرِ المساجدِ هذا الحكمُ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٠).

وقال أبو هريرةَ عنه عليه السلام: «**صَلاةٌ في مَسْجِدي هَذا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فيما سِوَاهُ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرامَ**»[(١)].

واحتَجوا بحديث عبدِ الله بن الزبير عن النبي ﷺ بمثلِ حديث أبي هريرةَ وفيه: «**وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضلُ من الصلاةِ في مسجدي هذا بمِئةِ صلاةٍ**»[(٢)].

ورَوى قَتادةُ مثلَه[(٣)]، فيأتي فضلُ الصلاة في المسجدِ الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجدِ بمِئة ألفٍ.

وقال ﷺ: «**ما بين بَيتي ومِنبري روضةٌ من رياض الجنةِ**»[(٤)].

وقولُه: «**روضةٌ من رياض الجنةِ**» يَحتمل معنيين: **أحدُهما**: أنه موجبٌ لذلك، وأن الدعاءَ والصلاةَ فيه يستحق ذلك من الثواب.

والثاني: أن تلك البقعةَ قد ينقلُها الله فتكون في الجنة بعينِها.

وروى ابنُ عمرَ وجماعة من الصحابة أن النبيَّ ﷺ قال في المدينة: «**لا يَصْبِرُ عَلى لَأْوَائِها وَشِدَّتِها أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهيدًا، أَوْ شَفيعًا يَوْمَ القِيامَةِ**»[(٥)].

وقال فيمن تَحمَّل عن المدينةِ: «**وَالمَدينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كانوا يَعْلَمونَ**»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).
(٢) أخرجه أحمد ٢٦/ ٤١ (١٦١١٧).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ١٢٢ (٩١٣٨).
(٤) أخرجه البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١).
(٥) أخرجه مسلم (١٣٧٧).
(٦) أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨).

وقال: «إِنَّما المَدينةُ كالكِيرِ تَنْفي خَبَثَها وَيَنصَعُ طِيبها»[١].

وقال: «لا يخرجُ أحدٌ من المدينة رغبةً عنها إلا أبدلها الله خيرًا منه»[٢].

وعن ابنِ عمرَ: «من استطاع أن يموتَ بالمدينةِ فليمُت بها؛ فإني أشفعُ لمن يموت بها»[٣].

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٣)، ومسلم (١٣٨٣).

(٢) أخرجه مالك ٢/ ٨٨٧ (٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢).

القِسْم الثالِث: فيما يَجِب للنبيِّ ﷺ، وما يَستَحيل في حَقِّه أو يَجوز عليه، وما يَمتنِع أو يَصِحُّ من الأحوال البشَرية أن تُضاف إليه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فمُحمَّد ﷺ وسائرُ الأنبياء من البشَرِ أُرسِلوا إلى البشَر، ولولا ذلك لما أَطاق الناسُ مُقاوَمتهم والقبولَ عنهم ومُخاطَبتهم، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]، أي: لما كان إلَّا في صورة البشَر الذين يُمكِنكم مُخالطتُهم؛ إذ لا تُطيقون مُقاومة المَلَك ومُخاطبته ورُؤيته إذا كان على صورته، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥]، أي: لا يمكن في سُنة الله إرسالُ المَلَك إلَّا لِمَن هو من جنسه، أو مَن خصَّه الله تعالى واصطفَاه وقوَّاه على مُقاومته كالأَنبياء والرسُل.

فالأنبياء والرسُل عليهم السلام وسائطُ بين الله تعالى وبين خَلْقه، يُبلِّغونهم أوامرَه ونواهيَه، ووعدَه ووعيدَه، ويُعرِّفونهم بما لم يَعلَموه من أَمْره وخَلْقه وجلاله وسُلطانه وجَبروته ومَلكوته، فظَواهرُهم وأجسادُهم وبِنيتُهم مُتَّصفة بأوصاف البشَر، طارِئ عليها ما يَطرَأ على البشَر من الأعراض والأسقام والموت والفَناء ونُعوت الإنسانية وأرواحهم. وبواطنُهم مُتَّصفة بأعلى من أَوْصاف البشَر مُتعلِّقة بالملأ الأَعلى، مُتشبِّهة بصفات الملائكة، سَليمة من التغيُّر والآفات، لا يَلحقها غالبًا عجزُ البشَرية ولا ضَعْف الإنسانية، إذ لو كانت بواطِنُهم خالِصةً للبَشرية كظواهِرهم لما أَطاقوا الأخذَ عن الملائكة ورُؤيتهم لهم ومُخاطبتهم إياهم ومُخالطتهم كما لا يُطيقه غيرهم من البشَر، ولو كانت أَجسامُهم وظواهِرُهم مُتَّسِمة بنُعوت الملائكة وبخِلاف صفات البشَر؛ لما أَطاق البشَر ومَن أُرسِلوا إليه مُخالطتَهم كما تَقدَّم من قول الله تعالى.

فجُعِلوا من جهة الأجسام والظواهِر مع البشَر، ومن جهة الأرواحِ والبواطِن مع الملائِكة.

كما قال عليه السلام: **«لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَليلًا، ولَكِنْ أُخوَّةُ الإِسلامِ، لكِنْ صاحِبُكُمْ خَليلُ الرَّحْمنِ»**(١).

وكما قال: **«تَنامُ عَيْنايَ وَلا يَنامُ قَلْبي»**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠١٣)، ومسلم (٧٣٨)، وأبو داود (٢٠٢)، والترمذي (٢٢٤٨).

وقال: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُم، إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُني رَبِّي وَيَسْقِيني**»[(١)]، فبواطِنُهم مُنزَّهة عن الآفات، مُطهَّرة من النقائِص والاعتِلالات، وهذه جُملة لن يَكتفيَ بمَضمونها كلُّ ذِي هِمَّة، بل الأكثرُ يَحتاج إلى بَسْط وتفصيل على ما نَأتِي به بعدَ هذا في البابين بعَوْن الله، وهو حَسْبي ونِعمَ الوكيلُ.

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٠٢).

الباب الأوَّل فيما يَختصُّ بالأمور الدينية والكلام في عِصمة نبيِّنا عليه الصلاة والسلام وسائِر الأنبياء صلوات الله عليهم

اعلَمْ أن الطوارئَ من التَّغيُّرات والآفات على آحاد البشَر لا يَخلو أن تَطرَأ على:

١- جِسْمه أو على حَواسِّه بغير قَصْد واختيار، كالأمراض والأسقام.

٢- أو تَطرَأ بقَصْد واختيار.

وكلُّه في الحقيقة عمَل وفِعْل، ولكن جرَى رسمُ المشايخ بتَفصيله إلى ثلاثة أنواعٍ:

- عَقْد بالقَلْب.
- وقول باللِّسان.
- وعمَل بالجوارِح.

وجميعُ البشَر تَطرَأ عليهمُ الآفات والتغيُّرات بالاختيار وبغَيْر الاختيار في هذه الوجوهِ كلِّها، والنبيُّ ﷺ وإن كان من البشَر ويَجوز على جِبِلَّته ما يَجوز على جِبِلَّة البشر، فقد قامت البراهين القاطِعة وتمتْ كلِمةُ الإجماعِ على خُروجه عنهم وتَنزيهِه عن كثير من الآفاتِ الَّتي تَقَع على الاختِيار وعلى غير الاختِيار كما سنُبيِّنه -إن شاء اللهُ- فيما نَأتِي به من التَّفاصيل.

١- فصل في حُكم عَقْد قلب النبيِّ ﷺ من وَقْت نبوَّته

اعلَمْ -منَحنا اللهُ إياكَ تَوفيقَه- أن ما تَعلَّق منه بطريق التوحيد والعِلم بالله وصِفاته والإيمان به، وبما أُوحِيَ إليه، فعلى غايةِ المَعرِفةِ ووُضوح العِلْم واليقين، والانتِفاء عن الجهل بشيءٍ من ذلك أو الشك أو الريب فيه، [و]العِصمة من كلِّ ما يُضادُّ المعرفة بذلك واليَقين، هذا [ما وقع] إجماع المسلِمين عليه، ولا يَصِحُّ بالبراهين الواضِحة أن يَكون في عُقود الأنبياء سِواهُ.

٢- فصل [في عصمتهم من هذا الفنِّ قبلَ النبوة]

وأما عصمتهم من هذا الفنِّ قبلَ النبوة فللناسِ فيه خلاف؛ والصوابُ أنهم معصومون عليهم السلام قبل النبوة من الجهل بالله، وصِفاته، والشكِّ في شيء من ذلك، وقد تعاضَدتِ الأخبارُ والآثار عن الأنبياء بتَنزيههم عن هذه النقيصةِ منذُ وُلِدوا ونَشْأتهم على التوحيدِ والإيمان.

ولم يَنقل أحدٌ من أهل الأخبار أن أحدًا نُبِّئَ واصطُفِي ممن عُرف بكفرٍ وإشراك قبل ذلك، ومستندُ هذا الباب النقلُ، وقد استدل بعضُهم بأن القلوبَ تنفر عمن كانت هذه سبيلُه.

وأنا أقول: إن قريشًا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته، وغير كفارُ الأمم أنبياءَها بكل ما أمكنها واختلقَته مما نص الله تعالى عليه، أو نقلته إلينا الرواةُ، ولم نجد في شيء من ذلك تعييرًا لواحد منهم برفضه آلهتَه، وتقريعه بذَمِّه بتركِ ما كان قد جامعَهم عليه، ولو كان هذا لكانوا بذلك متبادرين، وبتلونه في

معبوده مُحتجين، ولكان تَوبيخُهم له بنهيهم عما كان يعبدُ قبلُ أفظعَ وأقطعَ في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتَهم وما كان يعبدُ آباؤهم من قبلُ.

ففي إطباقِهم على الإعراضِ عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه، إذ لو كان لنُقِلَ ولمَا سكتوا عنه، كما لم يسكُتوا عند تحويلِ القبلةِ وقالوا: ﴿مَا وَلَّـٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] كما حكاه الله عنهم.

٣- فصل [فيما كان من أمر الدنيا]

فأمَّا ما تعلَّق منها بأمر الدنيا فلا يُشترَط في حقِّ الأنبياء العِصمة من عدم معرِفة الأنبياء ببعضها أو اعتِقادها على خِلاف ما هي عليه، ولا وصمَ عليهم فيه إذ هِمَمهم متعلِّقة بالآخرةِ وأنبائها، وأمرِ الشريعة وقوانِينها، وأمور الدنيا تُضادُّها، بخِلاف غيرِهم من أهل الدنيا الذين ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ ﴾ [الروم: ٧].

ولكنه لا يُقال: إنهم لا يعلمون شيئًا من أمر الدنيا، فإن ذلك يُؤدِّي إلى الغفلة والبلَهِ، وهم المُنزَّهون عنه، بل قد أُرسِلوا إلى أهل الدنيا، وقُلِّدوا سياستهم وهِدايتهم، والنظر في مصالح دِينهم ودُنياهم، وهذا لا يَكون مع عدَم العِلم بأمور الدنيا بالكُلِّية، وأحوالُ الأنبياء وسِيَرهم في هذا الباب مَعلومة ومعرفتُهم بذلك كلِّه مشهورة، وأمَّا إن كان هذا العقدُ مما يتعلقُ بالدِّين فلا يَصِحُّ من النبيِّ ﷺ إلَّا العِلم به ولا يَجوز عليه جهله جملةً.

٤- فصل [في عِصمة النبيِّ ﷺ من الشيطان وكِفايته منه]

واعلَمْ أن الأُمَّة مُجتمِعة على عِصمة النبيِّ ﷺ من الشيطان وكِفايته منه لا في جِسمه بأنواع الأذى ولا على خاطِره بالوَساوِس.

فعن عبدِ الله بنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ بِهِ قَرينُه مِنَ الجِنِّ وقَرينُه مِنَ المَلائِكةِ**»، قالوا: وإيَّاك يا رَسولَ الله؟ قال: «**وَإِيَّايَ، ولَكِنَّ اللهَ تَعالى أَعانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ؛ فَلا يَأْمُرُني إلَّا بِخَيْرٍ**»(١)، روِيَ: فأَسلَمُ. بضَمِّ الميم، أي: فأَسلَمُ أنا منه، وصحَّح بعضُهم هذه الرواية ورجَّحها، وروِيَ: فأسلَمَ. يَعنِي: القرينَ، أنه انتَقَل عن حال كُفره إلى الإسلامِ فصار لا يَأمُر إلَّا بخَيْر كالمَلَك.

فإذا كان هذا حُكْم شَيْطانه وقَرينه المسلط على بني آدَمَ فكيف بمَن بعُد منه، ولم يَلزَم صُحبته، ولا أُقدِر على الدنوِّ منه؟! وقد جاءتِ الآثارُ بتَصدِّي الشياطين له في غير مَوطِن رغبة في إطفاءِ نوره، وإماتة نفسه، وإدخال شُغل عليه إذ يَئِسوا من إغوائه فانقَلبوا خاسِرين، كتَعرُّضه له في صَلاته، فأخَذَه النبيُّ ﷺ وأَسَره، قال أبو هريرةَ عنه عليه السلام: «**إنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لي فِي صُورةِ هِرٍّ، فَشَدَّ عَلَيَّ يَقطَع علَيَّ الصلاةَ، فأَمكَنَني اللهُ مِنهُ فذَعَتُّهُ، ولقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إلى سارِيةٍ مِن سَواري المَسجِدِ حتَّى تُصبِحوا تَنْظُرونَ إلَيْهِ، فذَكَرْتُ قولَ أَخي سُلَيْمانَ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥] الآيةَ، فَرَدَّهُ اللهُ خاسِئًا**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١).

٥- فصل [في قول اللسان]

وأمَّا أقوالُه عليه السلام فقامتِ الدلائلُ الواضحةُ بصِحَّة المُعجِزة على صِدْقه، وأَجمَعت الأُمَّة فيما كان طَريقُه البلاغَ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيءٍ منها بخِلاف ما هو به، لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا.

عن عبدِ الله بنِ عمرٍو: قلتُ: يا رسول الله، أكتُب كلَّ ما أَسمَع منك؟ قال: «**نعَمْ**»، قلتُ: في الرِّضا والغضَب؟ قال: «**نعَمْ، فَإِنِّي لا أَقولُ في ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا حَقًّا**»(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤]، ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فلا يَصِحُّ أن يُوجَد منه في هذا البابِ خبَرَ بخِلاف مخبَره على أيِّ وجه كانَ.

٦- فصل [فيما سَبيله سبيلُ البلاغ]

هذا القولُ فيما طريقه البلاغُ، وأمَّا ما ليس سَبيله سبيلُ البلاغ من الأخبار الَّتي لا مُستندَ لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد، ولا تُضاف إلى وحيٍّ، بل في أمور الدنيا وأَحوال نَفْسه فالذي يَجِب اعتقاده تنزيهُ النبيِّ ﷺ عن أن يقَع خبرُه في شيء من ذلك بخِلاف مخبَره لا عمدًا ولا سهوًا ولا غلَطًا، وأنه مَعصوم من ذلك في حال رِضاه، وفي حال سخطِه وجِدِّه ومَزْحه وصِحَّته ومرَضه، ودليل ذلك اتِّفاقُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦).

السلَف وإجماعهم عليه، وذلك أنا نَعلَم من دِين الصحابة وعادتهم مُبادرتهم إلى تصديقِ جميع أحوالِه والثِّقة بجميع أَخباره في أيِّ باب كانت، وعن أيِّ شيء وقَعَت، وأنه لم يَكُن لهم تَوقُّف ولا تَردُّد في شيء منها، ولا استِثبات عن حاله عند ذلك هل وقَع فيها سهوٌ أم لا.

ولما احتَجَّ ابنُ أبي الحُقيقِ اليَهوديُّ على عمرَ حين أَجْلاهم من خيبرَ بإقرار رسول الله ﷺ لهم، واحتَجَّ عليه عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله ﷺ: «**كَيْفَ بِكَ إِذا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ؟**» فقال اليهوديُّ: كانت هزيلة من أبي القاسِم. فقال عُمرُ: كذَبْت يا عَدوَّ الله![1].

ولو كان ذلك لنُقِل كما نُقِل من قِصَّته عليه السلام في رجوعُه ﷺ عمَّا أَشار به على الأنصار في تَلقيح النَّخْل[2]، وكان ذلك رأيًا لا خبَرًا.

وأيضًا فإن الكذِبَ متى عُرِف من أحَد في شيءٍ من الأخبار بخِلاف ما هو على أيِّ وجهٍ كان، استريب بخبَره واتُّهِم في حديثه، ولم يَقَع لقوله في النفوس موقع؛ ولهذا ترَك المُحدِّثون والعلماء الحديثَ عمَّن عُرِف بالوهم والغفلة، وسُوء الحِفظ، وكثرة الغلَط مع ثِقته، وأيضًا فإن تعمُّدَ الكذبِ في أمور الدنيا مَعصية، والإكثار منه كَبيرة بإجماعٍ، مُسقِط للمروءة وكل هذا ممَّا يُنزَّه عنه منصِب النبوةِ.

وانظُرْ أحوال عَصْر النبيِّ ﷺ من قُرَيْش وغيرها من الأُمَم وسُؤالهم عن حاله في صِدْق لِسانه، وما عُرِّفوا به من ذلك، واعتَرَفوا به مما عُرِف، واتَّفَق النقلُ على عِصمة نبيِّنا ﷺ منه قبلُ وبعدُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٦٢).

٧- فصل [في عمل الجوارح]

وأمَّا ما يَتعلَّق بالجوارح من الأعمال ولا يَخرُج من جُملتها القول باللسان فيما عدا الخبرَ الَّذي وقَع فيه الكلامُ، والاعتِقاد بالقلب فيما عدا التوحيدَ، وما قدَّمناه من معارفه المختَصَّة به، فأَجمَع المسلمون على عِصمة الأنبياء من الفَواحِش والكبائر المُوبِقات، ومُستَنَدُ الجمهور في ذلك الإجماعُ.

وكذلك لا خِلافَ أنهم مَعصومون من كِتمان الرسالة والتقصير في التَّبليغ.

وأمَّا الصغائر فجوَّزها جماعةٌ من السلَف وغيرهم على الأنبياءِ.

وذهَبَت طائِفةٌ أخرى إلى الوقفِ، وقالوا: العقلُ لا يُحيلُ وقوعَها منهم، ولم يأتِ في الشَّرعِ قاطعٌ بأحدِ الوجهين.

وذهَبَت طائِفةٌ أخرى من المُحقِّقين من الفُقهاء والمُتكلِّمين إلى عِصمتِهم من الصغائر كعِصْمتهم من الكبائِر.

ومَن جوَّز الصغائر ومَن نفاها عن نبيِّنا عليه السلام مُجمِعون على أنه لا يُقِرُّ على مُنكَر من قول أو فعل وأنه متى رأى شيئًا فسكَت عنه ﷺ دلَّ على جوازِه، فكيف يَكون هذا حالَه في حقِّ غيرِه، ثم يَجوز وقوعُه منه في نَفْسه؟!

وأيضًا فقد علِم من دِين الصحابة قطعًا الاقتداءُ بأفعال النبيِّ ﷺ كيف تَوجَّهت، وفي كل فنٍّ كالاقتِداء بأقوالِه، فقد نبَذوا خواتِيمَهم حين نبذ خاتَمَه[1]،

(١) أخرجه البخاري (٦٦٥١)، ومسلم (٢٠٩١).

وخلَعوا نِعالَهم حين خلَع نَعلَه[(١)]، واحتجاجهم برؤية ابنِ عمرَ إيَّاه جالسًا لقضاء حاجته مُستقبِلًا بيتَ المقدس[(٢)].

وأما المباحاتُ فجائز وقوعُها منهم، إذ ليس فيها قدحٌ، بل هي مأذونٌ فيها، وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها، إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة، وشُرِحَت لهم صدورُهم من أنوار المعرفة، واصطُفوا به من تعلُّقِ الهِمَمِ بالله والدارِ الآخرة لا يأخذون من المباحاتِ إلا الضروراتِ مما يتَقَوَّون به على سلوك طريقِهم وصلاحِ دينهم وضرورةِ دنياهم، وما أُخذ على هذه السبيلِ التَحَقَ بطاعةٍ، وصار قربة كما بينا منه أولَ الكتاب طرفًا في خصال نبينا عليه السلام، فبان لك عظيمُ فضلِ الله على نبينا عليه السلام، وعلى سائر أنبيائِه عليهم السلام بأن جعل أفعالَهم قرباتٍ وطاعات بعيدةً عن وجه المخالفةِ ورسم المعصيةِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥)، ومسلم (٢٦٦).

٨- فصل [في عِصمته ﷺ من المعاصي قبل النبوَّة]

وقدِ اختُلِف في عِصمتهم من المعاصي قبل النبوَّة؛ فمنَعها قوم، وجوَّزها آخرون، والصحيحُ -إن شاء الله- تَنزيهُهم من كل عَيْب وعِصمتُهم من كل ما يُوجِب الريب، فكيف والمَسألة تَصوُّرها كالُمتنِع؟! فإن المعاصيَ والنواهيَ إنما تَكون بعد تَقرُّر الشرع، وقد اختلَف الناسُ في حال نبيِّنا عليه السلام قبلَ أن يُوحَى إليه: هل كان متبعًا لشرع قبلَه أم لا؟

فقال جماعة: لم يكن متبعًا لشيءٍ، وهذا قول الجمهور؛ فالمعاصي على هذا القولِ غيرُ موجودة ولا مُعتبَرَة في حقِّه حينئذ، إذِ الأحكام الشرعية إنما تَتعلَّق بالأوامر والنواهي وتقرُّرِ الشريعة.

وقالت فرقةٌ أخرى بالوقف في أمره عليه السلام، وتركِ قطع الحكمِ عليه بشيءٍ في ذلك، إذ لم يحل أحد الوجهين منها العقلُ، ولا استبان عندنا في أحدهما طريقُ النقل، وهو مذهبُ أبي المعالي.

وقالت فرقةٌ ثالثة: إنه كان عاملًا بشرع مَن قبله، ثم اختلوا هل يَتعين ذلك الشرعُ أم لا، فوقف بعضُهم عن تعيينه وأحجمَ، وجسرَ بعضُهم على التعيين وصمم، ثم اختلفَت هذه الُمعيِّنة فيمن كان يتبعُ، فقيل: نوحُ. وقيل: إبراهيمُ. وقيل: موسى. وقيل: عيسى صلواتُ الله عليهم، فهذه جملةُ المذاهب في هذه المسألة، والأظهرُ فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر، وأبعدُها مذاهبُ المعيِّنين.

٩- فصل [في السهو والنسيان في الوظائف الشرعية]

هذا حُكم ما تَكون الُمخالفة فيه من الأعمال عن قصدٍ وهو ما يُسمَّى معصيةً، ويدخل تحت التكليفِ، وأما ما يَكون بغير قصدٍ وتعمدٍ كالسهو والنسيانِ في الوظائف الشرعيةِ ممَّا تقرَّر الشرعُ بعدم تعلُّق الخطابِ به وترك المؤاخَذةِ عليه، فأحوالُ الأنبياء عليهم السلام في ترك الُمؤاخَذة به، وكونه ليس بمَعصية لهم مع أُمَمهم سواء، ثم ذلك على نوعين: ما طريقُه البلاغ، وتقريرُ الشرع، وتعلقُ الأحكام، وتعليمُ الأمة بالفعل، وأخذهم باتباعِه فيه، وما هو خارجٌ عن هذا مما يختص بنفسِه.

أما الأولُ: فحكمُه عند جماعةٍ من العلماء حكمُ السهوِ في القول في هذا الباب، وقد ذكرنا الاتفاقَ على امتناع ذلك في حقِّ النبي ﷺ وعصمتِه من جوازِه عليه قصدًا أو سهوًا، فكذلك قالوا: الأفعالُ في هذا الباب لا يجوزُ طُرُوُّ المخالفة فيها لا عمدًا ولا سهوًا؛ لأنها بمَعني القولِ من جهةٍ التبليغِ والأداءِ، وطُرُوُّ هذه العوارضِ عليها يوجبُ التشكيكَ ويسببُ المطاعنَ، واعتذروا عن أحاديثِ السهو بتوجيهاتٍ نذكرُها بعدَ هذا، وإلى هذا مال أبو إسحاقَ الإسفراييني.

وذهب الأكثرُ من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفةَ في الأفعالِ البلاغية والأحكامِ الشرعية سهوًا وعن غير قصدٍ منه جائزةٌ عليه كما تقرر من أحاديث السهوِ في الصلاة، وفرَّقوا بين ذلك وبين الأقوالِ البلاغية لقيام المعجزةِ على الصدق في القول، ومخالفةُ ذلك يناقضُها، وأما السهو في الأفعالِ فغيرُ مناقض لها،

ولا قادحٍ في النبوة، بل غلطاتُ الفعل وغفلاتُ القلب من سماتِ البشر، كما قال عليه السلام: «**إنما أنا بشرٌ أَنسى كما تَنسون فإذا نَسيت فذَكروني**»[(١)].

وأما ما ليس طريقُه البلاغَ ولا بيانَ الأحكام من أفعالِه عليه السلام وما يختصُّ به من أمور دينه وأذكارِ قلبه مما لم يفعله ليُتبع فيه، فالأكثرُ من طبقات علماء الأمةِ على جواز السهوِ والغلط عليه فيها، ولحوقِ الفترات والغفلاتِ بقلبه، وذلك بما كُلِّفَه من مُقاساةِ الخلق وسياساتِ الأمة، ومعاناةِ الأهل، وملاحظةِ الأعداء، ولكن ليس على سبيل التَّكرارِ ولا الاتصالِ، بل على سبيل الندورِ كما قال عليه السلام: «**إنه ليُغان على قلبي فأستغفرُ الله**»[(٢)].

وليس في هذا شيءٌ يَحطُّ من رُتبته ويُناقض معجزته، وذهبت طائفةٌ إلى منع السهوِ والنسيانِ والغفلات والفترات في حقه عليه السلام جملة، وهو مذهبُ جماعة المتصوفةِ وأصحابِ علم القلوبِ والمقامات.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

١٠- فصل في الكَلام على الأحاديث المذكور فيها السهوُ منه ﷺ

الصحيحُ من الأحاديث الوارِدة في سَهْوه ﷺ في الصلاة ثلاثة أحاديثَ: أوَّلها: حديثُ ذي اليدين في السَّلام مِن اثنتَيْن[١]، الثاني: حديثُ ابنِ بُحينةَ في القيام من اثنتين[٢]، الثالث: حديثُ ابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبي ﷺ صلى الظهرَ خمسًا[٣].

وهذه الأحاديثُ مبنيَّةٌ على السهوِ في الفعل الذي قررناه، وحِكمة الله فيه ليَستنَّ به، إذِ البلاغُ بالفعل أَجلى منه بالقول، وأرفَعُ للاحتِمال؛ وشرطُه أنه لا يُقَرُّ على السهو؛ بل يشعرُ به ليَرتفِعَ الالتباسُ، وتظهرَ فائدةُ الحكمة فيه كما قدَّمناه؛ وإن النسيانَ والسهوَ في الفعلِ في حقِّه عليه السلام غيرُ مضادٍّ للمُعجِزة، ولا قادحٍ في التصديقِ.

وقد قال عليه السلام: «**إنَّما أَنا بَشَرٌ مِثلُكُم أَنسَى كما تَنسَوْن؛ فإذا نَسِيتُ فذَكِّروني**»[٤].

وقال ﷺ: «**رحِمَ اللهُ فُلانًا؛ لقَدْ أَذكَرَني كَذا وكَذا آيةً، كُنتُ أَسقَطْتُهُنَّ**»[٥]، ويُروَى: «**أُنسِيتُهُنَّ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢)، ومسلم (٥٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (٨٢٩)، ومسلم (٧٥٠).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٢٦)، ومسلم (٥٧٢).
(٤) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢).
(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٨)، ومسلم (٧٨٨).

١١- فصل [في عظم أمر عصمة الأنبياء وفوائد ذلك]

قد استَبانَ لك أيها الناظرُ بما قرَّرْناه ما هو الحق من عِصمتُه عليه السلام عن الجهلِ بالله وصِفاته أو كونه على حالةٍ تُنافِي العِلْم بشيء من ذلك كلِّه جملة بعد النُّبوَّة عقلًا وإجماعًا، وقبلها سمعًا ونقلًا ولا بشَيءٍ مِمَّا قرَّرْه من أمور الشرع، وأدَّاه عن ربه من الوحيِ قطعًا وعقلًا وشرعًا، وعصمتُه عن الكذِب وخُلف القول منذُ نبَّأه الله وأَرسَله قصدًا أو غير قصدٍ، واستحالة ذلك عليه شرعًا وإجماعًا ونظرًا وبرهانًا، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعًا، وتنزيهه عن الكبائر إجماعًا، وعن الصغائر تحقيقًا، وعن استِدامة السهو والغفلة واستمرار الغلَط والنسيان عليه فيما شرَعه للأُمَّة، وعِصمته في كل حالاتِه من رِضًا وغضَب وجِدٍّ ومَزْح.

فيَجِب عليك أن تَتلقَّاه باليمين، وتشد عليه يد الضنين، وتَقدُر هذه الفصول حق قَدْرها، وتعلم عظيم فائدتها وخطرها، فإن مَن يَجهل ما يَجب للنبيِّ ﷺ أو يَجوز له أو يَستحيل عليه ولا يَعرف صوَر أحكامِه لا يَأمَن أن يَعتقِد في بعضها خِلافَ ما هي عليه، ولا يُنزِّهه عما لا يَجِب أن يُضاف إليه؛ فيَهلِك من حيثُ لا يَدري، ويَسقُط في هوَّة الدرك الأسفلِ من النار، إذْ ظنُّ الباطل به واعتقادُه ما لا يَجوز عليه يَحُلُّ بصاحبه دارَ البوارِ؛ ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجُلين اللَّذين رأيَاه ليلًا وهو معتكِف في المسجدِ مع صَفيةَ فقال لهما: «**إنَّهَا صَفيَّةُ**»، ثُم قال لهما: «**إنَّ الشَّيْطانَ يَجرِي مِنِ ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما شَيْئًا فَتَهْلِكا**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).

هذه -أَكرَمك اللهُ- **إحدى فوائدِ ما تَكلَّمنا عليه.**

وفائِدة ثانية: يُضطَرُّ إليها في أصول الفِقه، ويُبنى عليها مسائلُ لا تنعقدُ من الفقه ويُتخلَّص بها من تَشغيب مُختلِفي الفقهاء في عِدة منها، وهي الحُكم في أقوال النبيِّ ﷺ وأَفعاله، وهو بابٌ عظيمٌ وأصلٌ كبير من أصول الفِقه، ولا بُدَّ من بِنائه على صِدق النبيِّ ﷺ في إخباره وبَلاغه، وأنه لا يَجوز عليه السهو فيه، وعِصمته من المُخالفة في أفعاله عمدًا.

وبحسب اختِلافهم في وُقوع الصغائرِ وقَع خِلاف في امتثال الفِعل بُسِط بيانه في كُتِب ذلك العِلمِ، فلا نُطول به.

وفائدة ثالثة: يَحتاج إليها الحاكم والمُفتِي فيمَن أَضاف إلى النبيِّ ﷺ شيئًا من هذه الأمورِ ووصَفه بها، فمن لم يَعرِف ما يَجوز وما يَمتنع عليه، وما وقَع الإجماع فيه والخلافُ، كيف يصمم في الفُتيا في ذلك؟ ومن أين يَدرِي هل ما قاله فيه نَقْص أو مَدْح؟ فإما أن يَجترِئ على سَفْك دم مُسلِم حرام أو يُسقِط حقًّا أو يُضيِّع حُرمة للنبيِّ عليه السلام؟

١٢- فصل في القول في عِصمة الملائكة عليهم السلام

أجمع المسلِمون على أن الملائكة مُؤمِنون فُضَلاءُ، واتَّفق أئمة المسلمين أن حُكم المرسلين منهم حُكم النبيِّين سواءٌ في العِصمة كما ذكَرنا عِصمتهم منه، وأنهم في درجاتِ الأنبياء وحقوقهم، والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمَم، واختلفوا في غير المُرسَلين منهم: فذهَبت طائفة إلى عِصمة جميعهم عن المعاصي، واحتَجُّوا بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، وبقولِه: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦]، وبقولِه: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩- ٢٠]، وبقولِه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وبقولِه: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [عبس: ١٦]، و﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٩]، ونحوه من الآيات.

وذهَبت طائفة إلى أن هذا خُصوص للمرسلين مِنهم والمُقرَّبين، واحتجُّوا بأشياءَ ذكرَها أهل الأخبار والتفاسيرِ، والصوابُ عِصمة جميعهم وتنزيهُ جنابِهم الرفيعِ عن جميع ما يَحُطُّ من رُتبتهم ومَنزِلتهم عن جليل مِقدارهم، ورأيت بعض شُيوخنا أَشار إلى أن لا حاجةَ للفَقيه بالكَلام في عِصمتهم.

الباب الثاني من القسم الثالث: فيما يَخُصُّهم في الأمور الدُّنيوية ويَطرأ عليهم من العَوارِض البشرية

قد قدَّمنا أنه ﷺ وسائر الأنبياء والرسُل من البشر، وأن جِسمه وظاهِره خالص للبشَر يَجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتَجرُّع كأس الحِمام ما يَجوز على البشَر، وهذا كلُّه ليس بنقيصة فيه؛ لأن الشيء إنما يُسمَّى ناقِصًا بالإضافة إلى ما هو أتمُّ منه وأكملُ من نوعه.

وقد كتَب الله تعالى على أهل هذه الدارِ ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٥] وخلَق جميع البشَر بمَدرَجةِ الغِيَرةِ، فقد مرِض ﷺ واشتكى، وأصابَه الحَرُّ والقَرُّ، وأدرَكه الجوعُ والعطَشُ، ولحِقَه الغضبُ والضجَرُ، وناله الإِعياءُ والتعَبُ، ومسَّه الضَّعف والكِبَر، وسقَط فجُحِش شقُّه، وشجَّه الكفار، وكسروا رَباعيَّتَه، وسُقي السَّمَّ، وسُحر، وتداوى عليه السلام واحتَجَم، وتَنشَّر[(١)] وتَعوَّذ، ثم قضَى نَحبَه، فتوفِّيَ ﷺ ولحِق بالرفيق الأعلى، وتخلَّص من دار الامتِحان والبلوى.

وهذه سِمات البشَر التي لا مَحيصَ عنها، وأصاب غيرَه من الأنبياء ما هو أعظمُ من ذلك، فقُتِلوا قتلًا، ورُموا في النار، ونُشِروا بالمناشير، ومنهم مَن وقاه الله ذلك في بعض الأوقات، ومنهم مَن عصَمه الله عز وجل كما عصَم بعدُ نبيَّنا ﷺ من الناس، فلئن لم يَكفِ نبيَّنا ربُّه يدَ ابن قمئةَ يوم أحُد ولا حجَبه عن عُيون عِداه عند دَعوته أهلَ الطائف، فلَقَدْ أخَذ على عيون قُريش عِند خروجه إلى ثَوْر،

---

(١) (تَنَشَّرَ) النشرة: الرقية.

وأَمسَك عنه سيفَ غَورَث وحجَرَ أبي جهل وفرَسَ سُراقة، ولئن لم يَقِهِ من سِحر ابنِ الأعصمِ فلَقَدْ وقاه ما هو أعظمُ من سَمِّ اليهودية.

وهكذا سائر أنبيائه مُبتلًى ومُعافًى، وذلك من تَمام حِكمته؛ ليُظهِر شرَفهم في هذه المَقاماتِ ويُبين أمرَهم ويُتم كلِمته فيهم؛ وليحقق بامتحانهم بشَريتَهم، ويَرتفِع الالتباس عن أهل الضَّعْف فيهم؛ لئلا يَضِلُّوا بما يَظهَر من العَجائب على أيديهم ضَلالَ النصارى بعِيسَى ابنِ مَريمَ عليه السلام؛ وليكون في مِحَنِهم تسليةٌ لأُممهم ووُفورٌ لأُجورهم عند ربهم تمامًا على الذي أحسَنَ إليهم.

قال بعضُ المحققين: وهذه الطوارئ والتغييراتُ المذكورةُ إنما تختصُّ بأجسامِهم البشريةِ المقصودُ بها مقاومة البشر، ومعاناةُ بني آدمَ لمشاكلة الجنسِ، وأما بواطنُهم فمنزهةٌ غالبًا عن ذلك معصومةٌ منه متعلقةٌ بالملإ الأعلى والملائكةِ؛ لأخذها عنهم وتَلقيها الوحيَ منهم، قال: وقد قال عليه السلام: «**إن عينيَّ تنامان ولا ينامُ قلبي**»[(١)]. وقال: «**إني لستُ كهيئَتكم، إني أبيتُ يطعمني ربي ويَسقيني**»[(٢)].

فصل [في أنه ﷺ قد سُحِرَ]

فإن قلت: فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام سُحِر.

فاعلَمْ -وفَّقنا الله وإياك- أن هذا الحديثَ صحيح مُتَّفق عليه، وقد طعَنت فيه المُلحدةُ، وتَذرَّعت به لسُخف عُقولها وتَلبيسها على أمثالها إلى التَّشكيك في

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٩٩)، ومسلم (١١٠٣).

الشرع، وقد نزَّه الله الشرعَ والنبيَّ عما يُدخِل في أمره لَبسًا، وإنما السِّحْر مرَض من الأمراض، وعارِض من العِلَل تَجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا يُنكَر ولا يَقدَح في نبوته.

وأما ما ورَد أنه كان يُخيَّل إليه أنه فعَل الشيءَ ولا يَفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخِلة في شيء من تَبليغه أو شريعته، أو يَقدَح في صِدقه لقيام الدليل والإجماع على عِصمته من هذا، وإنما هذا فيما يَجوز طُروؤُه عليه في أمر دُنياه التي لم يبعث بسببها.

ولم يأتِ في خبر منها أنه نُقل عنه في ذلك قول بخِلاف ما كان أخبَرَ أنه فعَله ولم يَفعَله، وإنما كانت خَواطرَ وتَخيُّلاتٍ.

هذا حالُه في جِسْمه، أمَّا أحواله في أمور الدنيا فنحن نَسبُرها على أسلوبها المُتقدِّم إن شاء الله بالعقد والقول والفِعْل.

١- [فصل في عقد القلب]

أمَّا العقد منها: فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويَظهَر خلافُه، أو يكون منه على شكٍّ أو ظنٍّ بخلاف أمور الشَّرْع.

عن رافع بن خَديجٍ قال: قدِم رسول الله ﷺ المدينة وهم يَأْبُرون النخلَ فقال: «**ما تَصنَعونَ؟**» قالوا: كُنا نَصنَعه. قال: «**لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلوا كانَ خَيْرًا**»، فترَكوه فنقصت، فذكَروا ذلك له فقال: «**إِنَّما أَنا بَشَرٌ إذا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذوا بِهِ، وَإِذا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْء مِن رَأْيٍ فَإِنَّما أَنا بَشَرٌ**»(١)، وفي رواية أَنَس: «**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْياكُمْ**»(٢).

وأَراد مُصالحة بعض عدوِّه على ثلُث تَمر المدينة فاستَشار الأنصار، فلما أَخبَروه برأيهم رجَع عنه، فمِثل هذا وأَشباهِه من أمور الدنيا -التي لا مَدخلَ فيها لعِلم دِيانة ولا اعتِقادها ولا تَعليمها- يَجوز عليه فيها ما ذكَرناه، إذ ليس في هذا كلِّه نَقيصة ولا محطة.

فصل

وأمَّا ما يُعتقَد في أمور أحكام البشَر الجارية على يَديه وقَضاياهم ومَعرفة المحِقِّ من المُبطِل وعلِم المُصلِح من المُفسِد، فبهَذه السبيلِ؛ لقوله عليه السلام: «**إِنَّما أَنا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمونَ إِلَيَّ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ**

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٦٣).

بَعْضٍ؛ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ، فمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخيهِ بشَيْءٍ فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا؛ فَإِنَّما أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»(١).

وتجري أحكامُه عليه السلام على الظاهر، وموجبِ غلبات الظنِّ بشهادة الشاهدِ ويمين الحالف، ومراعاةِ الأشبه، ومعرفةِ العِفَاص والوِكاءِ(٢) مع مُقتضى حِكمة الله في ذلك، فإنه تعالى لو شاءَ لأطلعَه على سرائرِ عباده ومخبآتِ ضمائرِ أمتِه، فتولى الحكمَ بينهم بمجردِ يقينِه وعلمه دون حاجةٍ إلى اعترافٍ أو بينة أو يمينٍ أو شبهة.

ولكن لما أمرَ الله أمتَه باتباعِه والاقتداءِ به في أحواله وأفعالِه وأقواله وقضاياه وسَيره، وكان هذا لو كان مما يختص بعلمِه ويُؤثره الله به لم يكن للأمة سبيلٌ إلى الاقتداء به في شيء من ذلك، ولا قامت حجةٌ بقضية من قضاياه لأحدٍ في شريعتِه لِأَنا لا نعلمُ ما أُطلِع عليه هو في تلك القضيةِ لحكمِه هو إذًا في ذلك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعَه عليه من سرائرهم، وهذا ما لا تعلمُه الأمةُ.

فأجرى الله تعالى أحكامَه على ظواهرهم التي يستوي فيها هو وغيرُه من البشرِ؛ ليتم اقتداء أمتِه به في تعيين قضاياه، وتنزيلِ أحكامِه، ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنتِه، إذ البيان بالفعلِ أوقعُ منه بالقول، وأرفعُ لاحتمال اللفظ، وتأويلُ المتأولِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) (العِفَاص): الوعاء. (الوِكاء): الخيط الذى يشد به الوعاء.

وكان حُكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضحُ في وجوه الأحكام وأكثرُ فائدةً لموجبات التشاجرِ والخصام وليَقتدي بذلك كلِّه حكامُ أمته، ويستوثق بما يُؤثر عنه، وينضبط قانون شَريعته، وطيُّ ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثرَ به ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧] فيُعلِمه منه بما شاء ويستأثرُ بما شاء، ولا يقدحُ هذا في نبوتِه، ولا يفصم عروةً من عِصمته.

٢- فصل [في قول اللسان]

وأمَّا أقوالُه الدُّنيوية من أَخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يَفعَله أو فعَله فقد قدَّمنا أن الخلف فيها مُمتنِع عليه في كل حال، وعلى أيِّ وَجه من عَمد أو سَهو أو صِحة أو مرَض أو رِضًا أو غضَب، وأنه مَعصومٌ منه ﷺ.

هذا فيما طريقُه الخبرُ المحضُ مما يدخله الصدقُ والكذبُ، فأما المعاريض الموهِمُ ظاهرُها خلافَ باطِنها فجائزٌ وُرودُها منه في الأمور الدُّنيوية، لا سِيَّما لقَصْد المَصلَحة كتَوريتِه عن وجهِ مَغازيه؛ لئلَّا يَأخُذ العدوُّ حِذرَه، وكما رُويَ من مُمازحَته ودُعابته لبَسط أُمَّته، وتَطييب قلوب المؤمنين من صَحابته، وتَأكيدًا في تَحبيبهم وصحبتهم ومسَرة نُفوسهم كقوله عليه السلام: «**لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ**»[١]. وقد قال عليه السلام: «**إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**»[٢].

فصل

فإن قيل: فما وجه حَديثِه: «**اللهُمَّ إنما مُحمَّد بشَرٌ يَغضَب كما يَغضَب البشَرُ، وإنِّي قَدِ اتَّخَذْت عِندَكَ عهدًا لن تُخلِفَنيهِ، فأَيُّما مُؤمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُه فاجعَلْها له كَفَّارةً وقُربةً تُقرِّبُه بها إليكَ يومَ القِيامةِ**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (١٩٩١).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٩٥) عن ابن عمر، وأخرجه الترمذي (١٩٩٠) من حديث أبي هريرة بمعناه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١).

وفي رِواية: «**فأَيُّما أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ دَعْوةً**»[(١)]، وفي رواية: «**لَيْسَ لَها بِأَهْلٍ**»[(٢)]، وفي رِواية: «**فَأَيُّما رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْها لَهُ زَكاةً وصَلاةً ورَحمةً**»[(٣)]، وكيف يَصِحُّ أن يَلعَن النبي ﷺ مَن لا يَستحِق اللعن، ويَسُب مَن لا يَستحق السبَّ، ويَجلِد مَن لا يَستحِق الجَلْد، أو يَفعَل مثل ذلك عند الغضَب وهو مَعصوم من هذا كلِّه؟!

فاعلَمْ -شرَح الله صدرك- أن قوله ﷺ: أولًا: «**لَيْسَ لَها بِأَهْلٍ**»، أي: عندك يا ربِّ في باطن أَمره، فإن حُكْمه عليه السلام على الظاهِر كما قال، وللحِكمة التي ذكَرْناها، فحَكَم عليه السلام بجَلْده، أو أدَّبه بسبِّه أو لَعْنه بما اقتَضاه عِنده حال ظاهِره، ثُم دعا له عليه الصلاة والسلام لشفَقته ﷺ على أُمَّته ورحمته لهم، ورأفته عليهم التي وصَفه الله بها، وحَذَرِه أن يَتقبَّل الله فيمَن دعا عليه دَعوته أن يَجعل دُعاءَه ولعنه وسبه له رحمة، فهو مَعنى قوله: «**لَيْسَ لَها بِأَهْلٍ**»، لا أنه عليه السلام يَحمِله الغضَب ويَستفزُّه الضجَر لِأَنْ يَفعَل مثل هذا بمَن لا يَستحقُّه من مُسلِم.

وهذا معنى صحيح، ولا يُفهَم من قوله: «**أَغْضَبُ كَما يَغْضَبُ البَشَرُ**» أَنَّ الغضَب حمَله على ما لا يَجِب فعلُه.

وقد يحتمل على أنه خرج منه ذلك بمَخرَج الإشفاق وتعليم أمته الخوفَ والحذرَ من تَعدِّي حدود الله تعالى، وقد يُحمل ما ورَد من دُعائه هنا ومن دَعواته

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٠١).

على غير واحِد في غير مَوطِن على غير العقد والقَصْد، بل بما جرَت به عادة العرب وليس المرادُ بها الإجابةَ.

كقوله عليه السلام: «**تَرِبَتْ يَمينُكَ**»[(١)]، و«**لا أَشبَعَ اللهُ بَطْنَكَ**»[(٢)]، و«**عَقْرى حَلْقَى**»[(٣)]. وغيرها من دَعواته عليه السلام.

وقد يَكون ذلك إشفاقًا على المدعوِّ عليه وتَأنيسًا له؛ لئلَّا يَلحَقه من استِشعار الخوف والحذَر من لَعْن النبي ﷺ، وتَقبُّل دعائه ما يَحمِله على اليأس والقُنوط من رحمة الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٦)، ومسلم (١٤٤٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٥٦١)، ومسلم (١٢١١).

٣- فصل [في عمل الجوارح]

وأمَّا أفعاله ﷺ الدُّنيويَّة فحُكمُه فيها من تَوقِّي المعاصي والمكروهات ما قد قدَّمناه، ومن جَواز السهو والغلَط في بعضِها ما ذكَرناه، وكلُّه غيرُ قادِح في نبوَّة عليه السلام.

وكذلك يَفعل الفعل من أمور الدنيا مُساعدةً لأمته، وسياسةً وكراهية لخلافِها، وإن كان قد يرى غيرَه خيرًا منه، كما يَترك الفعلَ أبدًا، وقد يَرى فِعلَه خيرًا منه، وقد يَفعَل هذا في الأُمور الدينية مما له الخِيَرة في أحَد وَجهيه كخُروجه من المدينة لأُحُد وكان مَذهَبه التحصُّنَ بها، وتَركِه قتلَ الْمُنافِقين وهو على يَقين من أَمرهم مُؤالفةً لغيرهم ورِعاية للمُؤمنين من قَرابتهم، وكراهة لأن يَقول الناس: إن مُحمدًا يَقتُل أصحابه. كما جاء في الحديثِ، وتركِه بناءَ الكعبةِ على قواعدِ إبراهيمَ مُراعاةً لقلوب قريش وتعظيمهم لتَغييرها وحذَرًا من نفارِ قُلوبهم لذلك، وتحريك مُتقدِّم عداوتهم للدِّين وأهله، فقال لعائِشةَ في الحديث الصحيح: «**لَوْلا حِدثانُ قَوْمِكِ بِالكُفْرِ لأَتْمَمْتُ البَيْتَ عَلى قَواعِدِ إِبْراهيمَ**»[1].

ويَفعَل الفِعل ثُم يَترُكه لكَون غيرِه خيرًا منه كانتِقاله من أدنى مِياهِ بدر إلى أقربها للعَدوِّ من قريش، وقولِه: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي ما اسْتَدْبَرْتُ ما سُقْتُ الْهَدْيَ**»[2]، ويَبسُط وجهَه للعَدوِّ الكافر رجاءَ استِئلافه، ويَصبِر للجاهل ويَقول:

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٥)، ومسلم (١٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٢٩)، ومسلم (١٢١١).

«إنَّ مِنْ شِرارِ الناسِ مَنِ اتَّقاهُ الناسُ لِشَرِّه»[(١)]، ويَبذُل له الرغائب؛ ليُحبِّب إليه شريعته ودِين ربه.

فصل

فإن قيل: فما الحِكْمة في إجراء الأمراض وشِدَّتها عليه وعلى جميع الأنبياء على جميعهم السلام، وما الوجهُ فيما ابتَلاهُمُ الله به منَ البلاء وامتِحانهم بما امتُحِنوا به كأيوبَ ويَعقوب ودَنيال ويَحيى وزَكريا وعيسى وإبراهيمَ ويُوسفَ وغيرِهم صلوات الله عليهم، وهم خِيرتُه من خلقه وأَحباؤُه وأَصفياؤُه؟ فاعلَمْ –وفَّقك الله– أن أفعال الله تعالى كلَّها عَدْل، وكلماته جميعها صِدق، لا مبدِّلَ لكلماته يَبتِلي عِباده كما قال لهم: ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، و﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، و﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، و﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]،و﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، فامتحانُه عز وجل إيَّاهم بضروب المِحَن زيادة في مَكانتهم، ورِفعة في درَجاتهم، وأسباب لاستِخراج حالات الصبر والرِّضا والشكرِ والتسليم والتوكلِ والتفويض والدعاء والتضرع منهم، وتأكيد لبصائرهم في رحمة الْمتحنين والشفَقة على المبتَلين وتَذكِرة لغيرهم، ومَوعِظة لسِواهم؛ ليتأسَّوْا في البلاءِ بهم، ويَتسَلَّوْا في المحن بما جرَى عليهم، ويَقتَدوا بهم في الصبرِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١).

عن سعدٍ قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأَنْبِياءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ، يُبْتَلى الرَّجُلُ عَلى حَسَبِ دِينِهِ فَما يَبْرَحُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلى الأَرْضِ وما عَلَيْهِ خَطيئةٌ**»(١).

وكما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨].

وعن عبدِ الله: رأيتُ النبي ﷺ في مرَضه يُوعَك وعكًا شَديدًا، فقلتُ: إنَّكَ لتُوعَك وعكًا شديدًا. قال: «**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَما يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ**»، قلت: ذلِكَ أن لكَ الأجرَ مرَّتين. قال: «**أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ**»(٢).

وعن عائشةَ: «**ما مِنْ مُصيبةٍ تُصيبُ المُسْلِمَ إِلَّا يُكَفِّرُ اللهُ بِها عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُها**»(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).

[خاتمة المصنف]

قال القاضي أبو الفضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هنا انتهى القولُ بنا فيما حرَّرناه، وانتَجَزَ[(١)] الغرضُ الذي انْتحَيناه، واستُوفي الشرطُ الذي شرطناه مما أرجو أن في كُلِّ قسمٍ منه للمُريدِ مَقنعًا، وفي كُلِّ باب مَنهجًا إلى بُغيتِه ومَنزعًا، وقد سَفرتُ فيه عن نُكتٍ تُستغربُ وتُستبدعُ، وكرعتُ في مشاربَ من التحقيقِ لم يُورد لها قبلُ في أكثرِ التصانيف مَشرعٌ، وأودعتُه غيرَ ما فصلٍ، ودِدتُ لو وجدت من بَسطَ قبلي الكلامَ فيه أو مُقتدًى يُفيدُنِيه عن كتابِه أو فِيه لاكتُفِيَ بما أرويه عما أُرَوِّيه.

وإلى الله تعالى جزيلُ الضراعةِ في المِنَّةِ بقَبول ما مَنَّه لوجهِه، والعفو عما تخلَّله من تُزيُّنٍ وتَصنُّعٍ لغيرِه، وأن يهَبَ لنا ذلك بجميلِ كرمِه وعفوه؛ لما أودعناه من شرفِ مُصطفاه وأمينِ وحيه، وأسهرنا به جُفونَنا لتتبُّع فضائلِه، وأعملنا فيه خَواطِرَنا من إبرازِ خصائصِه ووسائله، ويَحميَ أعراضَنا عن ناره المُوقدةِ لحمايتنا كريمَ عِرضه، ويجعلَنا ممن لا يُذاد إذا ذِيد المُبدِّلُ عن حوضِه، ويجعلَه لنا ولمن تَهمَّم باكتتابِه واكتسابه سببًا يَصلنُا بأسبابه وذخيرةً نجدها يومَ تجد كُلُّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ مُحضرًا، نحوز بها رِضاه وجزيلَ ثوابِه، ويَخصَّنا بخصِّيصى زمرةِ نبيِّنا وجماعتِه، ويحشرَنا في الرعيل الأوَّلِ وأهل الباب الأيمنِ من أهل شفاعتِه.

ونحمدُه تعالى على ما هدى إليه من جمعِه، وألهم وفتح البصيرةَ لدَركِ حقائقِ ما أودعناه وفَهَّم، ونستعيذُه جلَّ اسمُه من دعاءٍ لا يُسمَع، وعلم لا ينفع، وعملٍ لا يُرفع، فهو الجوادُ الذي لا يَخيبُ من أمَّله، ولا يَنتصر من خذلَه، ولا يَردُّ دعوةَ القاصدين، ولا يُصلح عملَ المفسدين، وحسبُنا الله ونعمَ الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) (انتَجَزَ): تم وتحقق.

فهرس الموضوعات

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦)

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر

رياض الصالحين

لمحيي الدين أبي زكريا النووي

يحيى بن شرف بن مري

(ت ٦٧٦هـ)





اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

يباع بسعر التكلفة

مُخْتَصَرُ

رِيَاضِ الصَّالِحِينَ

ح أحمد بن عثمان المزيد، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المزيد، أحمد عثمان
موسوعة محمد رسول الله ﷺ الوقفية دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله. / أحمد عثمان المزيد.
الرياض،١٤٣٨هـ
٦ مج
ردمك: ٨ -٤٣٩٣- ٠٢ -٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٠ -٤٣٩٩- ٠٢ -٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٦)
١- السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٨/٦٥٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٥٩٣
ردمك: ٨ - ٤٣٩٣ - ٠٢ -٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٠ - ٤٣٩٩ - ٠٢ -٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٦)

الطَّبعةُ الأولى
(١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

المجلدُ السَّادِس

تُباعُ الموسُوعة بِسِعرِ التكلفةِ بدعمٍ مِنَ المختصرِ ووالديه عُثمان بن أحمد المزيد وحصّة بنت حمد المزيد

مدار الوطن للنشر
هاتف: 00966 112313018 جوال: 00966 500996987
تطلب من جميع فروع مكتبة جرير

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر رياض الصالحين

لمحيي الدين أبي زكريا النووي

يحيى بن شرف بن مري

(ت ٦٧٦هـ)



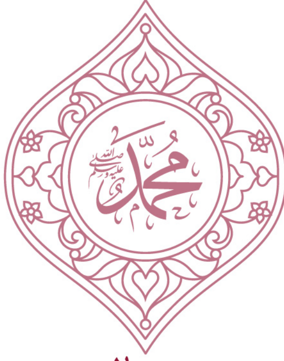


اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

إِهْدَاءٌ إِلَى
مَنْ غَايَتُهُ مُرَافَقَةَ
مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي الجَنَّةِ



خِصَالُ الكَمَالِ وَالجَلَالِ فِي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(إذا كان الواحدُ منا يشرفُ بواحدةٍ أو اثنتينِ من خصالِ الكمالِ والجلالِ فما ظنكَ بعظيمِ قدرِ محمد رسول الله ﷺ مَن اجتمعَت فيه كلُّ هذه الخصالِ: مِن فضيلةِ النبوةِ والرسالةِ، والخلَّةِ، والمحبةِ، والاصطفاءِ، والإسراءِ، والقربِ، والشفاعةِ، والوسيلةِ والفضيلةِ، والمقامِ المحمودِ، والبراقِ والمعراجِ، والبعثِ إلى الأحمرِ والأسودِ، والصلاةِ بالأنبياءِ، والشهادةِ بينَ الأنبياءِ والأممِ، وسيادةِ ولدِ آدمَ، ولواءِ الحمدِ، ورحمة للعالمين، وإعطاءِ الرضى والسؤل، والكوثرِ، وإتمامِ النعمةِ، والعفوِ عما تقدَّمَ وما تأخَّرَ، وشرحِ الصدرِ، ووضعِ الإصرِ، ورفعِ الذكرِ، وعزَّةِ النصرِ، والتأييدِ بالملائكةِ، وإيتاءِ الكتابِ والحكمةِ والسبعِ المثاني والقرآنِ العظيم، وصلاةِ الله تعالى والملائكةِ، والقَسَمِ باسمِه، وإجابةِ دعوتِه، وتكليمِ الجماداتِ والعجمِ، ونبعِ الماءِ مِن بينِ أصابعِه، وانشقاقِ القمرِ، والنصرِ بالرعبِ، وظلِّ الغمامِ، وتسبيحِ الحصى، والعصمةِ من الناسِ، إلى ما لا يحويه محتفلٌ، ولا يحيطُ بعلمِه إلا مانحُه ذلك ومُفضِّلُه به، لا إله غيرُه).

[مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس، (ص51- 52) باختصار]



بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بموسوعة محمد رسول الله ﷺ

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ رسول الله ﷺ، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ:**

فتمتازُ هذه الموسوعةُ -التي استغرَقَ العملُ فيها نحوًا مِن عامينِ- بجمعِها لأهمِّ علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونها في وعاءٍ واحدٍ، وانتقاءِ أفضلِ ما كتبَه أئمةُ سلفِنا الصالحِ وعلماؤهم في كل فنٍّ مِن فنونِها، مما لقيَ شهرةً وقبولًا لدى الأمةِ، وقد قمتُ باختصارِ هذه الكتبِ وتهذيبِها، نسألُ الله الإخلاص والقبول.

وكان منهجي في اختصارِ كتبِ هذه الموسوعةِ أن تكونَ على أفضلِ الطبعاتِ المعتمدةِ لكلِّ كتابٍ، مع حذفِ الضعيفِ وما دونَه، والاستطراداتِ، وما أغنَى عنه غيرُه، أو كان مكرَّرًا سبقَ ذكرُه، وكذلك أسانيدُ الأحاديثِ إلا الصحابيَّ أو مَن دونَه مما يحتاجُ الكلامُ إليه، وقد حافظتُ على لفظِ المصنفِ وترتيبِه، فإن زدتُ في عنواناته شيئًا وضعتُه بين معقوفَينِ، وكذا ما كان مِن طبعةٍ أخرى غيرِ التي اعتمدتُها.

وكان هدفي مِن هذا المنهجِ تقريبَ سيرة النبي ﷺ وتيسيرَها؛ لنتعلَّمَ جميعًا علومَها وفنونَها من كتبِ علماءِ سلفِنا الصالحِ الأصيلةِ، لنحقِّقَ الاقتداءَ به ﷺ في عقيدتِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه؛ فنسعدُ في الدنيا ونفوزُ بالآخرةِ.

وقد اقتصرتُ في الحاشيةِ على التخريجِ الموجزِ للأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ والآثارِ، وبيانِ غريبِ ألفاظها.

(*) هذا تعريف موجز بالموسوعة، وقد تقدَّم التعريف بها مفصَّلًا في صدر المجلد الأول.

وقد جاءَ هذا الإصدارُ الأوَّلُ مِن **«موسوعة محمد رسول الله ﷺ»** جامعًا لستةِ علومٍ مِن علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في ستةِ مجلداتٍ، عبرَ اختصارِ ثمانيةِ كتبٍ، وهي على النحو التالي:

المجلد الأول: ١- في علم الدلائل [كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت٤٣٠هـ)]

المجلد الثاني: ٢- في علم السيرة النبوية [كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام (ت٢١٨هـ)]

المجلد الثالث: ٣- في علم الخصائص [كتاب «غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن(ت٨٠٤هـ)]

٤- في علم الشمائل، وفيه ثلاثة كتب، هي:

- [كتاب «شمائل النبي ﷺ» للترمذي (ت٢٧٩هـ)]

- [كتاب «محمد رسول الله ﷺ والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر»، أ.د أحمد بن عثمان المزيد]

المجلد الرابع: - [كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)]

المجلد الخامس: ٥- في علم حقوق النبي ﷺ: [كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)]

المجلد السادس: ٦- في علم الحديث النبوي الشريف: [كتاب «رياض الصالحين» للنووي (ت٦٧٦هـ)]

في علم الحديث النبوي الشريف

تعريفه:

الحديثُ الشريفُ عندَ أهلِ فنِّه يُقصدُ به: ما أُضيفَ إلى رسولِ الله ﷺ مِن قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلْقيةٍ أو خُلقيةٍ.

أهميته:

إنَّ الحديثَ وحيٌّ مِن الله أوحاه لرسولِه ﷺ كما قال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم:٣-٤]، وهو المصدرُ الثاني للتشريعِ باتفاقِ علماءِ الأمةِ.

والعملُ بالسنةِ والحديثِ لازمٌ كالعملِ بالقرآنِ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [سورة الحشر:٧].

يقول النووي (ت٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرعُنا مبنيٌّ على الكتابِ العزيزِ والسننِ المرويَّاتِ، وعلى السننِ مدارُ أكثرِ الأحكام الفقهياتِ؛ فإن أكثرَ الآياتِ الفروعيات مجملاتٌ، وبيانُها في السننِ المحكماتِ»[١].

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي(١/ ٤).

ثمراته:

مِن ثمراتِ معرفةِ الحديثِ الشريفِ: الوقوفُ على ما افترضَه الله علينا من أحكامٍ وشرائعَ، وما سنَّه مِن سننٍ ورواتبَ، وما نهانا عنه وزجَرَ، وما أباحه لنا بفضلِه سبحانه وتعالى، ومن ثمراته تحقيقُ البلاغِ عنه ﷺ وامتثالُ أمرِه، فهو القائلُ ﷺ: «**بلِّغُوا عنِّي ولو آيةً**»[١]، كذلك تحصيلُ النَّضرةِ التي بشَّرَ بها ﷺ حافظَ الحديثِ ومبلِّغَه؛ إذ قال ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ منَّا حديثًا فحَفِظَه حتى يبلِّغَه غيرَه؛ فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقهُ منه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ**»[٢]، كذلك التعرفُ على سيرتِه وأخلاقِه وشمائلِه وهديِه وسنتِه ﷺ.

قال النووي (ت٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الانشغالَ بالحديثِ مِن أجلِّ العلومِ الراجحاتِ، وأفضلِ أنواعِ الخيرِ، وآكدِ القرباتِ، وكيف لا يكونُ كذلك وهو مشتملٌ مع ما ذكرناه على بيانِ حالِ أفضلِ المخلوقاتِ عليه مِن الله الكريمِ أفضلُ الصلواتِ والسلامِ والتبريكاتِ»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٤).

ترجمة الإمام النووي (ت٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو يحيى بنُ شرفِ بنِ مري بنِ حسنِ بنِ حسين، مفتي الأمةِ، شيخُ الإسلامِ، محيي الدينِ، أبو زكريا النووي، الحافظُ الفقيهُ الشافعيُّ الزاهدُ، أحدُ الأعلامِ.

تاريخ مولده:

وُلِدَ الإمامُ النووي في العشر الأوسط من المحرم سنة (٦٣١هـ) بنوى.

أخلاقه وطلبه للعلم:

«كان فقهَ الأمةِ، وعلمَ الأمة، وأوحدَ زمانِه تبحُّرًا في علومٍ جمَّةٍ، مع شدةِ الورعِ والزهادةِ، وكثرةِ الصلاحِ والعبادةِ، والقناعةِ بالعيشِ الأخشن، واللباسِ الأدثرِ، والقيامِ بالأمرِ المعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وكانت عليه هيبةٌ ووقارٌ باهرٌ»(١).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يضيعُ له وقتًا في ليلٍ ولا نهارٍ إلا في وظيفةٍ مِن الاشتغالِ بالعلمِ، حتى في ذهابِه في الطرقِ يكررُ أو يطالعُ، وبَقِي على هذا نحو ست سنين، ثم اشتغل بالتصنيفِ والنصحِ للمسلمين وولاتِهم، مع ما هو عليه من المجاهدةِ

(١) المنهل العذب الروي للسخاوي (ص٤٤).

لنفسِه، والعملِ بدقائقِ الفقهِ، والحرصِ على الخروجِ من خلافِ العلماءِ، والمراقبةِ لأعمالِ القلوبِ وتصفيتِها من الشوائبِ، يُحاسب نفسَه على الخطرةِ بعدَ الخطرةِ(١).

اشتغاله بالتدريس والتأليف:

كان النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ محقِّقًا في علمِه وفنونِه، مدقِّقًا في عملِه وشؤونِه، حافظًا لحديثِ رسولِ الله ﷺ، عارفًا بأنواعِه من صحيحِه وسقيمِه وغريبِ ألفاظِه واستنباطِ فقهِه، حافظًا للمذهبِ وقواعدِه وأصولِه، وأقوالِ الصحابةِ والتابعين، واختلافِ العلماءِ ووفاقِهم؛ سالكًا في ذلك طريقةَ السلفِ، قد صرَفَ أوقاتَه كلَّها في أنواعِ العلمِ والعملِ بالعلمِ، ووَلِيَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دارَ الحديثِ الأشرفيةَ إلى أن تُوفِّي، ونشرَ بها علمًا جمًّا وأفادَ الطلبةَ.

تصانيفه:

قد نفَعَ الله الأمةَ بتصانيفِ الإمامِ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنها: رياض الصالحين، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، وكتاب الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، وكتاب الأربعين النووية، وتحرير ألفاظ التنبيه، وغيرها.

وفاته:

تُوفِّي النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلةَ الثلاثاء ٢٤ رجب سنة (٦٧٦هـ)، بنوى(٢).

---

(١) ينظر: في ترجمة الإمام محيي الدين، لابن العطار (٦٨).
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٣٧٤ باختصار).

التعريف بكتاب رياض الصالحين للنووي (ت٦٧٦هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ «رياض الصالحين» مِن أشهرِ كتبِ الحديثِ في بابِ الآدابِ والفضائلِ والرقائقِ وتهذيبِ النفوسِ وما يحتاجه المسلمُ زادًا ومعينًا لآخرتِه، وقد تلقَّتْه الأمةُ بالقبولِ والاستحسانِ.

ويتميَّزُ باعتمادِ مؤلفِه في انتقاءِ أحاديثِه على ما صحَّ عنده، ودورانِه على الكتبِ الستةِ المشهورةِ، وحسنِ ترتيبِ أقسامِه وكتبِه، ووضوحِ تراجمِ أبوابِه ودلالتِها، ودقةِ اختيارِه لما يناسبُ البابَ وقوتِه، وسردِه الأحاديثَ سردًا دونَ تعليقٍ إلا ما اقتضاه النصُّ من بيانِ غريبٍ أو توضيحِ مشكلٍ وهو نزرٌ، وحذفِ الأسانيدَ إلا ذكرَ الصحابيِّ، وتخريجِه الأحاديثَ في إيجازٍ، وتصديرِه البابَ بما ورَدَ فيه مِن القرآنِ الكريمِ، فجمَعَ بينَ الحسنيينِ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ.

قال الذهبي (ت٧٤٨هـ): «فعليك يا أخي بتدبرِ كتابِ الله، وبإدمانِ النظرِ في الصحيحَينِ وسننِ النسائيِّ، ورياضِ النووي وأذكارِه، تفلِحْ وتنجَحْ»[(١)].

ترتيبه:

بدأ النووي كتابَه بمقدمةٍ تبيِّنُ منهجَه وهدفَه، ثم صدَّر الكتابَ ببضعةٍ وثمانين بابًا في الإخلاصِ والتوبةِ والصبرِ والصدقِ والمراقبةِ والتقوَى واليقينِ

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٣٤٠).

والتوكلِ... إلى غير ذلك من المعاني الإيمانيةِ، ثم أخَذَ في ذكرِ الكتبِ التي يتضمَّنُها كتابُه، ومنها: كتاب الأدب، والفضائل، والحج، والأذكار، والدعوات، والأمور المنهي عنها.

منهجه:

يقول النووي (ت٦٧٦هـ): «رأيتُ أن أجمعَ مختصرًا من الأحاديث الصحيحةِ، مشتملًا على ما يكونُ طَريقًا لصاحبِه إلى الآخرةِ، ومحصلًا لآدابه الباطنةِ والظاهرةِ، جامِعًا للترغيبِ والترهيبِ وسائرِ أنواعِ آدابِ السالكينَ: مِن أحاديثِ الزهدِ ورياضاتِ النفوسِ، وتهذيبِ الأخلاقِ، وطهاراتِ القلوبِ وعلاجِها، وصيانةِ الجوارحِ وإزالةِ اعوجاجِها، وغير ذلك مِن مقاصدِ الصالحينَ والعارفينَ.

وألتزمُ فيه ألَّا أذكرَ إلا حديثًا صحيحًا من الواضحاتِ، مضافًا إلى الكتبِ الصحيحةِ المشهوراتِ، وأُصَدِّرُ الأبوابَ مِن القرآنِ العزيزِ بآياتٍ كريماتٍ، وأوشِّحُ ما يحتاجُ إلى ضبطٍ أو شرحِ معنًى خفيٍّ بنفائسَ مِن التنبيهاتِ»[(١)].

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصر على طبعة دار المنهاج بجدة، وقد اعتمدوا على سبع نسخ خطية.

---

(١) (ص١٨).

❻ موســـوعة محمـــــد رســـول الله ﷺ

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر رياض الصالحين

لمحيي الدين أبي زكريا النووي يحيى بن شرف بن مرِّي (ت٦٧٦هـ)

اختصره

أ.د/ أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

[مقدمة المصنف]

بسم الله الرحمن الرحيم

وما تَوفيقي إلَّا بالله عليه توكَّلتُ ربِّ يسِّر وأَعِن

الحمدُ لله الواحدِ القهار، العزيز الغفارِ، مُكوِّر الليل على النهار، وأشهد أن لا إله إلا الله البرُّ الكريم، الرؤوف الرحيمُ، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، وحبيبُه وخليله، الهادي إلى صراطٍ مستقيم، والداعي إلى دينٍ قويم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى سائر النبيين، وآلِ كلٍّ، وسائر الصالحين.

أما بعدُ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٧]، فحقَّ عليهم الاعتناء بما خُلقوا له والإعراضُ عن حظوظِ الدنيا بالزهادة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ [يونس: ٢٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ.

فإذا كان حالها ما وَصفتُه، وحالُنا وما خُلقنا له ما قدمتُه؛ فحقٌّ على المكلفِ أن يذهب بنفسِه مذهب الأخيارِ، ويسلك مسلكَ أولي النُّهى والأبصار، ويتأهبَ لما أشرت إليه، ويهتمَ لما نبهتُ عليه.

وأصوبُ طريقٍ له في ذلك، وأرشدُ ما يسلكه من المسالك التأدبُ بما صحَّ عن نبينا سيدِ الأولين والآخرين، وأكرمِ السابقين واللاحقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائرِ النبيين.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، وصحَّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**والله في عونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عونِ أخيه**»[١]، وأنه قالَ: «**من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعِله**»[٢]، وأنه ﷺ قالَ: «**مَن دعا إلى هُدى كان له من الأجرِ مثلُ أجورِ من تَبِعه لا يَنقُص ذلك من أُجورِهم شيئًا**»[٣]، وأنه قالَ لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فوالله لَأَن يَهدي الله بك رَجلًا واحِدًا خيرٌ لك من حمرِ النعمِ**»[٤].

فرأيتُ أن أجمعَ مختصرًا من الأحاديث الصحيحةِ، مشتملًا على ما يكونُ طَريقًا لصاحبه إلى الآخرةِ، ومحصلًا لآدابه الباطنةِ والظاهرة، جامِعًا للترغيبِ والترهيب وسائرِ أنواع آدابِ السالكين: من أحاديثِ الزهدِ ورياضات النفوسِ، وتهذيب الأخلاق، وطهارات القلوبِ وعلاجها، وصيانة الجوارحِ وإزالة اعوجاجِها، وغير ذلك من مقاصدِ الصالحين والعارفين.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).
(٤) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

وألتزمُ فيه أن لا أذكرَ إلا حديثًا صحيحًا من الواضحات، مضافًا إلى الكتب الصحيحة المشهورات، وأُصَدِّر الأبوابَ من القرآن العزيزِ بآياتٍ كريماتٍ، وأوشِّحُ ما يحتاجُ إلى ضبطٍ أو شرحِ معنًى خفي بنفائسَ من التنبيهاتِ.

وأرجو إن تَمَّ هذا الكتابُ أن يكون سائقًا للمعتني به إلى الخيراتِ حاجزًا له عن أنواعِ القبائح والمهلكات، وأنا سائلٌ أخًا انتفع بشيءٍ منه أن يدعوَ لي، ولوالدي، ومشايخي، وسائرِ أحبابِنا، والمسلمين أجمعين، وعلى الله الكريمِ اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي، وحسبي الله ونعمَ الوكيل، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العزيزِ الحكيم.

(١) بابُ الإخلاصِ وإحضارِ النيةِ في جميعِ الأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ البارزةِ والخفيةِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٩﴾ [آل عمران: ٢٩].

١- وعن عُمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِه، فهجرتُه إلى الله ورسولِه، ومن كانت هِجرتُه لدُنيا يُصيبها، أو امرأةٍ ينكحها، فهجرتُه إلى ما هاجرَ إليه**»[(١)].

٢- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**يَغزو جيشٌ الكعبةَ فإذا كانوا ببيداءَ من الأرضِ يُخسفُ بأولهم وآخرِهم**» قالت: قلت: يا رسولَ الله، كيفَ يُخسفُ بأولهم وآخرِهم وفيهم أسواقُهم ومَن ليس منهم؟! قال: «**يُخسفُ بأولهم وآخرِهم، ثُم يُبعثون على نيَّاتِهم**»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤).

٣- وعن جابرِ بن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنا مع النبيِّ ﷺ في غَزاةٍ، فقال: «**إن بالمدينةِ لرِجالًا ما سِرتُم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم حبسهُم المرضُ**» وفي رواية: «**إلا شَركوكُم في الأجرِ**»(١).

٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله لا ينظرُ إلى أجسادِكم، ولا إلى صُورِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم**»(٢).

٥- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئل رَسولُ الله ﷺ عن الرجلِ يُقاتل شجاعةً، ويقاتل حَمِيَّةً، ويقاتلُ رياءً، أي ذلك في سبيلِ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**من قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا، فهو في سبيلِ الله**»(٣).

٦- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسولِ الله ﷺ فيما يَروي عن ربِّه تبارك وتعالى، قال: «**إنَّ الله كتب الحسناتِ والسيئات ثُم بَيَّن ذلك، فمن هَمَّ بحسنةٍ فلم يعمَلها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً، وإن هَمَّ بها فعمِلها كتبها الله عشرَ حسناتٍ، إلى سبعمئة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، وإن هَمَّ بسيئةٍ فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنةً كاملةً، وإن هَمَّ بها فعمِلها كتبها الله سيئةً واحدةً**»(٤).

(٢) بابُ التوبةِ

قال العُلماءُ: التوبةُ واجبةٌ من كل ذنبٍ، فإن كانت المعصيةُ بين العبدِ وبين الله تعالى لا تتعلَّقُ بحقِّ آدمي فلها ثلاثةُ شروطٍ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

أحدُها: أن يُقلع عن المعصيةِ.

والثاني: أن يَندم على فِعلِها.

والثالث: أن يَعزمَ أن لا يعودَ إليها أبدًا.

فإن فقدَ أحدَ الثلاثةِ لم تصحَّ توبتُه.

وإن كانت المعصيةُ تتعلق بآدميٍّ فشروطها **أربعةٌ**: هذه الثلاثةُ، وأن يبرأَ من حقِّ صاحبها، فإن كانت مالًا أو نحوه ردَّه إليه، وإن كان حدَّ قذفٍ ونحوه مكَّنه منه أو طلبَ عفوه، وإن كانت غيبةً استحلَّه منها، ويجب أن يتوبَ من جميعِ الذنوبِ، فإن تابَ من بعضِها صحَّت توبته عند أهلِ الحقِّ من ذلك الذنبِ وبقي عليه الباقي، وقد تظاهرت دَلائلُ الكتاب والسنةِ، وإجماعُ الأمة على وجوبِ التوبةِ.

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

٧- وعن الأَغرِّ المزنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يا أيها الناسُ، توبوا إلى الله، فإني أتوبُ إليه في اليوم مائةَ مرةٍ**»[(١)].

٨- وعن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبدِه حين يتوب إليه من أحدِكم كان على راحلتِه بأرضِ فلاةٍ، فانفلتت منه،**

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

وعليها طعامُه وشرابه فأيسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجعَ في ظلِّها قد أيسَ من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده، فأخذَ بخطامها، ثم قالَ من شدةِ الفرحِ: اللهُمَّ أنت عبدي، وأنا ربُّك! أخطأَ من شدةِ الفرحِ»[(١)].

٩- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى يبسُطُ يدَه بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويبسطُ يده بالنهارِ ليتوبَ مُسيء الليلِ، حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها»[(٢)].

١٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من تابَ قبل أن تطلعَ الشمسُ من مغرِبها تابَ الله عليه»[(٣)].

١١- وعن عبدِ الله بن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِر»[(٤)].

(٣) بابُ الصبرِ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى: ٤٣]،

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٣).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣).

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، والآياتُ في الأمرِ بالصبرِ وبيان فضلِه كثيرة معروفةٌ.

١٢- وعن أبي مالكٍ الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الطُّهورُ شطرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزان، وسبحانَ الله والحمدُ لله تملآن -أو تملأُ- ما بين السماوات والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصدقة برهانٌ، والصبرُ ضياء، والقرآنُ حجةٌ لك أو عليك، كل الناس يَغدو فبائعٌ نفسَه فمعتقها أو موبِقُها**»(١).

١٣- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا مِن الأنصارِ سألوا رسولَ الله ﷺ، فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفدَ ما عندَه، فقال لهم حينَ أنفقَ كلَّ شيءٍ بيدِهِ: «**ما يكن عندي من خيرٍ فلن أَدَّخرَه عنكم، ومَن يستعفِفْ يُعفَّه الله، ومَن يستغنِ يُغنِه الله، ومَن يتصبَّرْ يصبِّرْه الله، وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبرِ**»(٢).

١٤- وعن صُهيبِ بن سنانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**عَجبًا لأمرِ المؤمن؛ إن أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابتهُ سَراءُ شكرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له**»(٣).

١٥- وعن أسامةَ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أرسَلَت بنتُ النبيِّ ﷺ: إن ابني قد احتُضِرَ فاشهَدنا، فأرسلَ يقرىء السلامَ، ويقول: «**إن لله ما أخذَ وله ما أعطى،**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مسمى؛ فلتَصبرِ ولتَحتَسِب» فأرسلَت إليه تُقسم عليه ليأتينَّها. فقامَ ومعه سعدُ بن عبادةَ، ومعاذُ بن جبلٍ، وأبي بن كعبٍ، وزيدُ بن ثابتٍ، ورجالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فرُفِع إلى رسولِ الله ﷺ الصبيُّ، فأقعدهُ في حجرِه ونَفسُه تَقَعقَع، ففاضت عيناه فقالَ سعدٌ: يا رَسولَ الله، ما هذا؟ فقال: «**هذه رَحمةٌ جعلها الله تعالى في قُلوبِ من يشاءُ من عبادِه، وإنما يَرحمُ الله من عبادِه الرحماءُ**»[1].

١٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يقولُ الله تعالى: ما لِعبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ إذا قَبَضتُ صَفِيَّه من أهل الدنيا ثُم احتَسبَه إلا الجنةُ**»[2].

١٧- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ الله عز وجل قال: إذا ابتَلَيتُ عبدي بحبيبتَيهِ فصبَرَ عوَّضتُه منهما الجنةَ**» يريد عَينَيه[3].

١٨- وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما يُصيبُ المسلمَ من نصبٍ، ولا وَصَب، ولا هَم، ولا حزنٍ، ولا أذًى، ولا غمٍّ، حتى الشوكةِ يُشاكها إلا كَفَّر الله بها من خطاياه**»[4].

١٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من يُرِد الله به خيرًا يُصِب منه**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٢٤).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٥٣).
(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).
(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤٥).

٢٠- وعن خبابِ بن الأرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ - وهو متوسدٌ بُردَةً له في ظلِّ الكعبة- فقلنا: ألا تَستَنصِرُ لنا؟! ألا تَدعو لنا؟! فقال: «**قَد كان مَن قبلَكم يُؤخَذُ الرجلُ فيُحفر له في الأرضِ فيُجعل فيها، ثم يُؤتى بالمئشارِ فيوضعُ على رأسه فيُجعل نصفين، ويُمشَط بأمشاطِ الحديد ما دون لحمِه وعظمِه، ما يصدُّه ذلك عن دينِه، والله ليُتِمَّن الله هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموتَ لا يخافُ إلا الله والذئبَ على غنمه، ولكنَّكم تَستعجِلون**»[1].

٢١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ليسَ الشَّديد بالصُّرَعةِ، إنما الشديدُ الذي يَملِك نفسَه عند الغضبِ**»[2].

٢٢- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال للنبيِّ ﷺ: أوصني. قال: «**لا تَغضَب**» فردَّد مرارًا، قال: «**لا تَغضَب**»[3].

٢٣- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّها ستكونُ بعدي أَثرةٌ وأمورٌ تُنكِرونها!**» قالوا: يا رَسولَ الله، فما تأمُرنا؟ قال: «**تُؤدون الحقَّ الذي عليكُم، وتَسألون الله الذي لَكُم**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢).
(٢) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (٦١١٦).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

(٤) باب الصدقِ

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد:٢١].

٢٤- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: **«إنَّ الصدقَ يَهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنةِ، وإن الرجل ليَصدُق حتى يكون صِدِّيقًا، وإن الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإن الفجورَ يهدي إلى النارِ، وإن الرجل ليكذبُ حتى يُكتب عند الله كذابًا»**(١).

٢٥- وعن الحسنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: حفِظتُ من رَسولِ الله ﷺ: **«دَع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك؛ فإن الصِّدقَ طمأنينة، والكذبَ ريبة»**(٢).

٢٦- وعن حكيمِ بن حزامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«البَيِّعان بالخيارِ ما لم يتفرَّقا، فإن صَدَقا وبيَّنا بورِكَ لهما في بيعهما، وإن كَتَما وكذبا مُحِقَت بركة بيعِهما»**(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

(٥) بابُ المراقبةِ

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٩ - ٢٢٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: ٦]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]، والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

٢٧- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، إذ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب، شديدُ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ، ولا يَعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النبيِّ ﷺ فأسنَد ركبتَيه إلى ركبتَيهِ، ووضعَ كفَّيهِ على فخِذَيه، وقال: يا محمدُ، أخبرني عن الإسلامِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**الإسلامُ: أن تَشهدَ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وتُقيمَ الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلًا**» قال: صَدَقتَ. فعَجِبنا له يَسألُه ويُصدِّقه! قال: فأخبرني عن الإيمانِ. قال: «**أن تُؤمِن بالله، وملائِكتِه، وكُتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، وتؤمنَ بالقَدرِ خيرِه وشرِّه**» قال: صَدَقت. قال: فأخبرني عن الإحسانِ. قال: «**أن تَعبُد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تَراهُ فإنه يراك**» قال: فأخبرني عن الساعةِ. قال: «**ما المسؤولُ عنها بأعلَم من السائِلِ**» قال: فأخبرني عن أمارَتِها. قال: «**أن تَلِد الأمةُ ربَّتها، وأن ترى الحفاةَ العراةَ العالة رعاءَ الشاءِ يتطاولون في البُنيان**» ثم انطلقَ فلبِثتُ مليًّا، ثم قال: «**يا**

عُمرُ، أتدري من السائلُ؟» قلت: الله ورَسولُه أعلم. قال: **«فإنه جِبريلُ أتاكم يُعلِّمكم دينكم»**[(١)].

٢٨- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: كنتُ خلفَ النبيِّ ﷺ يومًا، فقال: **«يا غلامُ، إني أعلِّمك كلماتٍ: احفَظِ الله يحفَظك، احفَظِ الله تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله، واعلَم: أن الأمةَ لو اجتمعَتْ على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كَتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلامُ وجَفَّت الصحفُ»**[(٢)].

(٦) باب التقوى

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وهذه الآيةُ مبينةٌ للمرادِ من الأولى. وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠]، والآيات في الأمرِ بالتقوى كثيرةٌ معلومةٌ، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩] والآيات في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

٢٩- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن الدُّنيا حُلوةٌ خَضِرة، وإن الله تعالى مستخلِفُكم فيها فينظرُ كيف تَعمَلون، فاتقوا الدنيا واتقوا النِّساءَ؛ فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساءِ**»[(١)].

٣٠- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**اللهُمَّ إني أسألُك الهدى، والتُّقى، والعفافَ، والغنى**»[(٢)].

٣١- وعن أبي أمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطبُ في حجةِ الوداعِ، فقال: «**اتقُوا الله وصلُّوا خمسَكم، وصومُوا شهرَكم، وأدُّوا زكاةَ أموالِكم، وأطيعُوا أمراءَكم؛ تدخلُوا جنةَ ربِّكم**»[(٣)].

(٧) باب اليقينِ والتوكلِ

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران:١٧٣ - ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والآياتُ في الأمرِ بالتوكل كثيرةٌ معلومة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (٦١٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]: أي كافيه. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]، والآيات في فضلِ التوكل كثيرة معروفةٌ.

٣٢- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**عُرِضت عليَّ الأمم، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَيطُ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبيَّ ليس معه أحدٌ، إذ رُفِع لي سوادٌ عظيمٌ، فظننتُ أنهم أمتي، فقيلَ لي: هذا موسى وقومُه، ولكن انظر إلى الأفقِ، فنظرت فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفقِ الآخرِ، فإذا سواد عظيمٌ، فقيل لي: هذه أمتُك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنةَ بغير حسابٍ ولا عذاب**» ثم نَهَضَ فدخلَ منزله، فخاضَ الناس في أولئك الذين يَدخلون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، فقال بعضهم: فلعلَّهم الذين صَحِبوا رسولَ الله ﷺ وقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين وُلِدوا في الإسلامِ فلم يُشركوا بالله - وذكروا أشياء- فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ فقالَ: «**ما الذي تَخوضون فيه؟**» فأخبروه، فقال: «**هُم الذين لا يَرقونَ، ولا يَستَرقون، ولا يتَطَيَّرون؛ وعلى ربِّهم يتوكلون**» فقامَ عُكَّاشةُ بن مِحصن، فقال: ادعُ الله أن يَجعلني منهم، فقال: «**أنت مِنهم**» ثم قامَ رجلٌ آخرُ، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبَقَك بها عُكَاَّشةُ**»[(١)].

٣٣- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ كان يقول: «**اللهُمَّ لك أسلَمت، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلتُ، وإليك أنَبتُ، وبك خاصَمتُ، اللهُمَّ إني أعوذُ**

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

بعزَّتك؛ لا إله إلا أنتَ أن تُضِلَّني، أنت الحيُّ القيومُ الذي لا يموتُ، والجن والإنسُ يموتون»[(١)].

٣٤- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: حَسبُنا الله ونِعم الوكيلُ، قالها إبراهيمُ ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣][(٢)].

٣٥- وعن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لو أنَّكم تتوكَّلون على الله عز وجل حقَّ توكُّلِه؛ لرزَقَكُم كما يرزُقُ الطيرَ، تغدو خماصًا وتروحُ بِطانًا»[(٣)].

٣٦- وعن أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نَظرتُ إلى أقدامِ المشركين ونحن في الغارِ وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسولَ الله، لو أن أحدَهم نظر تحت قدمَيهِ لأبصرنا. فقال: «ما ظَنُّك يا أبا بكرٍ باثنين الله ثالِثُهما»[(٤)].

(٨) باب في الاستقامةِ

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣ - ١٤]، والآياتُ في البابِ كثيرةٌ مَعروفةٌ.

٣٧- وعن سفيانَ بن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رَسولَ الله، قل لي في الإِسلامِ قولًا لا أسألُ عنه أحدًا غيرَك. قال: «**قل: آمنتُ بالله، ثُم استَقِم**»[1].

٣٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**قارِبوا وسدِّدوا، واعلَموا أنه لن يَنجُوَ أحدٌ منكم بعملِه**» قالوا: ولا أنت؟ قال: «**ولا أنا إلَّا أن يتغَمَّدني الله برحمةٍ منه وفَضلٍ**»[2]. والسدادُ: الاستقامةُ والإصابةُ.

قال العلماءُ: معنى الاستقامةِ: لزومُ طاعةِ الله تعالى، قالوا: وهي من جوامعِ الكلمِ، وهي نظامُ الأمورِ، وبالله التوفيق.

(٩) بابٌ في التفكُّرِ في عظيمِ مَخلوقاتِ الله تعالى، وفناءِ الدنيا، وأهوالِ الآخرة، وسائرِ أمورِهما، وتقصيرِ النَّفْسِ، وتهذيبِها، وحملها على الاستقامةِ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ﴾ الآيات [آل

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

عمران: ١٩٠ - ١٩١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟﴾ الآية [محمد: ١٠].

والآيات في الباب كثيرةٌ.

(١٠) باب المبادرةِ إلى الخيراتِ، وحثِّ من توجَّه لخيرٍ على الإقبالِ عليه بالجدِّ من غير تردُّدٍ

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٣].

٣٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بادِروا بالأعمالِ فِتنًا كقِطعِ الليلِ المظلِم، يُصبحُ الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، يبيعُ دينَه بعَرضٍ من الدنيا**»(١).

٤٠- وعن عُقبةَ بنِ الحارثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلَّيتُ وَراء النبيِّ ﷺ بالمدينةِ العصرَ، فسلَّم ثم قام مسرعًا، فتخطى رقابَ الناس إلى بعضِ حجرِ نِسائِه، ففزعَ الناسُ من سرعته، فخرجَ عليهم، فرأى أنهم قد عَجِبوا من سرعتِه، قال: «**ذَكَرتُ شيئًا من تِبرٍ عندنا فكَرِهتُ أن يَحبِسني فأمرتُ بِقِسمتِه**»(٢).

٤١- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل للنبيِّ ﷺ يوم أحدٍ: أرأَيتَ إن قُتِلتُ فأين أنا؟ قال: «**في الجنةِ**» فألقى تَمراتٍ كُن في يدِه، ثم قاتَل حتى قُتِل(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٤)، ومسلم (١٨٩٩).

(١١) باب المجاهدة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾ [المزمل: ٨]: أي انقطَعَ إليه، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٥] والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

٤٢- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: مَن عادى لي وليًّا فقد آذَنتُه بالحربِ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يبصرُ به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها، وإن سألني أعطيتُه، ولئن استعاذَني لأعيذَنَّه**»(١).

٤٣- وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن النبيَّ ﷺ كان يقومُ من الليلِ حتى تتفطَّر قدماه فقلتُ: لِمَ تَصنعُ هذا يا رَسولَ الله، وقد غَفر الله لك ما تقدمَ من ذنبِك وما تأخَّرَ؟ قال: «**أفلا أُحبُّ أن أكونَ عبدًا شكورًا**»(٢).

٤٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمنِ الضعيف وفي كلٍّ خير، احرِص على ما ينفَعُك، واستَعِن**

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

بالله ولا تعجِز، وإن أصابَك شيءٌ فلا تَقُل: لو أني فَعَلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّر الله، وما شاءَ فَعَل؛ فإنَّ لو تفتح عملَ الشيطان»[١].

٤٥- وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صليتُ مع النبيِّ ﷺ ليلةً، فأطالَ حتى هممتُ بأمر سوءٍ! قيل: وما هممتَ به؟ قال: هممتُ أن أجلِسَ وأدعَه[٢].

٤٦- وعن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**عليك بكثرةِ السجودِ؛ فإنك لن تَسجُد لله سجدةً إلا رفعَك الله بها درجةً، وحطَّ عنك بها خطيئةً**»[٣].

(١٢) باب الحثِّ على الازديادِ من الخيرِ في أواخرِ العمرِ

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والمحققون: معناهُ: أو لم نُعمِّركم ستين سنةً؟ وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قال ابن عباس والجمهور: هو النبيُّ ﷺ.

٤٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**أَعذَرَ الله إلى امرئٍ أخَّر أجله حتى بلغ ستينَ سنةً**»[٤]. قال العلماءُ: معناه: لم يَترُك له عذرًا إذ أمهلَه هذه المدةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٩).

٤٨- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما صلى رسولُ الله ﷺ صلاةً بعد أن نَزَلَت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١] إلا يقولُ فيها: «**سبحانَك ربَّنا وبحمدِك، اللهم اغفِر لي**»(١).

٤٩- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن الله عز وجل تابَعَ الوحيَ على رسولِ الله ﷺ قبلَ وفاته حتى توفيَ أكثرَ ما كان الوحيُ(٢).

٥٠- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**يُبعثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه**»(٣).

(١٣) باب في بيانِ كثرةِ طُرقِ الخيرِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦ﴾ [الجاثية: ١٥] والآيات في البابِ كثيرةٌ، وأما الأحاديثُ فكثيرةٌ جدًّا، وهي غير منحصرةٍ فنذكرُ طرفًا منها:

٥١- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «**الإيمانُ بالله، والجهادُ في سبيله**» قلت: أيُّ الرقابِ أفضلُ؟ قال: «**أنفَسُها عند أهلِها وأكثرُها ثمنًا**» قلت: فإن لم أفعَل؟ قال: «**تُعينُ صانعًا أو تصنَعُ لأخرَقَ**»

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨٢)، ومسلم (٣٠١٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

قلت: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن ضَعُفتُ عن بعضِ العَملِ؟ قال: «**تكفُّ شَرَّك عن الناسِ؛ فإنها صَدقةٌ منك على نفسِك**»[(١)].

٥٢- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يُصبِحُ على كل سُلامَى من أحدِكم صدقةٌ: فكل تَسبيحةٍ صدقةٌ، وكل تحميدةٍ صدقةٌ، وكل تهليلةٍ صدقةٌ، وكل تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ، ونهي عن المنكرِ صدقةٌ، ويجزىء من ذلك ركعتان يركَعهُما من الضُّحى**»[(٢)].

٥٣- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**عُرِضَت عليَّ أعمالُ أمتي، حسنُها وسيئُها فوجدتُ في محاسنِ أعمالها: الأذى يُماطُ عن الطريق، ووجدتُ في مساوئِ أعمالها: النُّخاعةُ تكون في المسجدِ لا تُدفَن**»[(٣)].

٥٤- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «**لا تَحقِرنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تَلقى أخاكَ بوجهٍ طَليقٍ**»[(٤)].

٥٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون -أو بضعٌ وستونَ- شعبةً: فأفضَلُها قولُ: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٥) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

٥٦- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بَينَما رجلٌ يَمشي بطريقٍ اشتدَّ عليه العَطشُ، فوجد بئرًا فنزلَ فيها فشرِبَ، ثم خرجَ فإذا كلبٌ يَلهثُ يأكلُ الثرى من العَطشِ، فقال الرجلُ: لقد بلغَ هذا الكلبُ من العَطشِ مثل الذي كان قد بلغَ مني، فنزَلَ البئرَ، فملأ خفَّه ماءً، ثم أمسكَه بفيه حتَّى رَقِيَ، فسقى الكلبَ، فشكرَ الله له، فغفرَ له**» قالوا: يا رسولَ الله، وإن لنا في البهائمِ أجرًا؟ فقال: «**في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**»(١).

٥٧- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لقد رَأيتُ رَجلًا يتقلَّبُ في الجنةِ في شجرةٍ قطعَها من ظهرِ الطريقِ كانت تُؤذي المسلمين**»(٢).

٥٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن توضَّأ فأحسنَ الوُضوءَ، ثم أتى الجمعةَ فاستمعَ وأنصَتَ غُفرَ له ما بينَه وبين الجمعةِ وزيادةُ ثلاثة أيامٍ، ومن مسَّ الحصا فقد لَغا**»(٣).

٥٩- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا توضَّأ العبدُ المسلمُ -أو المؤمن- فغسلَ وجهَه خرجَ من وجهِه كلُّ خطيئةٍ نظر إليها بعينِه مع الماءِ -أو مع آخرِ قطرِ الماء- فإذا غسلَ يديه خرجَ من يديهِ كلُّ خطيئة كان بَطشَتها يداه مع الماءِ -أو مع آخرِ قطرِ الماء- فإذا غسلَ رجليه خَرجَت كلُّ خطيئةٍ مشتها رجلاه مع الماءِ -أو مع آخرِ قطرِ الماء- حتى يَخرُج نقِيًّا من الذنوبِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).
(٣) أخرجه مسلم (٨٥٧).
(٤) أخرجه مسلم (٢٤٤).

٦٠- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكفرات ما بينهنَّ إذا اجتُنِبَت الكبائرُ**»(١).

٦١- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا أدلُّكم على ما يَمحو الله به الخطايَا ويرفَعُ به الدرجاتُ؟**» قالوا: بَلى، يا رَسولَ الله، قال: «**إسباغُ الوضوءِ على المكارِه، وكثرةُ الخُطا إلى المساجِدِ، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ فذلِكُم الرباطُ**»(٢).

٦٢- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا مَرِض العبدُ أو سافرَ كُتِب له مثلُ ما كان يَعملُ مُقيمًا صَحيحًا**»(٣).

٦٣- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كُلُّ معروفٍ صدقةٌ**»(٤).

٦٤- وعن عَديِّ بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «**اتَّقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ**»(٥).

٦٥- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله ليَرضى عن العبدِ أن يأكُل الأَكلةَ، فيحمدَه عليها، أو يشربَ الشَّربةَ، فيحمدَه عليها**»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٦).
(٤) أخرجه البخاري (٦٠٢١).
(٥) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦).
(٦) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

(١٤) باب في الاقتِصادِ في العبادةِ

قال الله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:١-٢]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٦٦- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: أن النبيَّ ﷺ دخلَ عليها وعندها امرأةٌ، قال: «مَن هذه؟» قالت: هذه فلانة. تَذكُرُ من صلاتِها، قال: «**مَهْ، عليكُم بما تُطيقون، فوالله لا يَملُّ الله حتى تَملُّوا**» وكان أحبُّ الدين إليه ما داومَ صاحبُه عليه[١].

٦٧- وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: جاء ثلاثةُ رَهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ يَسألون عن عبادةِ النبيِّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها وقالوا: أين نحن من النبيِّ ﷺ وقد غُفِرَ له ما تقدمَ من ذنبِه وما تأخَّر؟! قال أحدُهم: أمَّا أنا فأصلي الليل أبدًا. وقال الآخرُ: وأنا أصومُ الدهرَ ولا أفطرُ. وقال الآخر: وأنا أعتزِلُ النِّساءَ فلا أتزوجُ أبدًا.

فجاءَ رسولُ الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتُم كذا وكذا؟ أمَا والله إني لأَخشاكُم لله، وأَتقاكُم له، لكني أصومُ وأُفطِر، وأصلي وأَرقُد، وأتزوَّجُ النِّساءَ، فمَن رَغِب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[٢].

٦٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن الدينَ يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدينُ إلا غلبه، فسدِّدوا وقارِبوا وأبشروا، واستَعينوا بالغَدوةِ والرَّوحةِ وشيءٍ من الدُّلجةِ**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).
(٣) أخرجه البخاري (٣٩).

٦٩- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: دخلَ النبيُّ ﷺ فإذا حَبلٌ ممدودٌ بين الساريَتَين، فقال: «**ما هذا الحَبلُ؟**» قالوا: هذا حَبلٌ لزَينبَ، فإذا فَتَرَت تَعلَّقَت. فقال النبيُّ ﷺ: «**حُلُّوه، ليُصَلِّ أحدُكُم نشاطَه فإذا فَترَ فليَرقُد**»(١).

٧٠- وعن أبي جُحيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: آخى النَّبيُّ ﷺ بين سَلمان وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سلمانُ أبا الدرداء فرأى أمَّ الدرداء متبذِّلةً، فقال لها: ما شأنُك؟ قالت: أخوك أبو الدرداءِ ليس له حاجةٌ في الدنيا، فجاءَ أبو الدرداءِ فصنَع له طعامًا، فقال له: كُلْ فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكُل فأكلَ، فلما كان الليلُ ذهب أبو الدرداءِ يقومُ فقال له: نَم، فنامَ، ثم ذهبَ يقومُ فقال له: نَم. فلما كان من آخرِ الليل قال سلمانُ: قُم الآن، فصَلَّيا، فقالَ له سلمان: إن لربِّك عليك حقًّا، وإن لنفسِك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له فقال النبيُّ ﷺ: «**صَدقَ سَلمانُ**»(٢).

٧١- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: أُخبِر النبيُّ ﷺ أني أقول: والله لأصومَنَّ النهارَ، ولأقومَنَّ الليل ما عِشت. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أنتَ الذي تَقولُ ذلك؟**» فقلت له: قد قُلتُه بأبي أنت وأمي يا رَسولَ الله. قال: «**فإنَّك لا تَستطيعُ ذلك فصُم وأفطِر، ونَم وقُم، وصُم من الشهرِ ثلاثةَ أيام، فإن الحسنةَ بعشرِ أمثالها، وذلك مثل صيامِ الدهرِ**» قلت: إني أطيقُ أفضلَ من ذلك، قال: «**فصُم يومًا وأفطِر يومين**» قلت: إني أُطيقُ أفضلَ من ذلك، قال: «**فصُم يومًا وأفطر يومًا، فذلك صيامُ داود ﷺ وهو أعدلُ الصيامِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٩).
(٣) أخرجه البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١١٥٩).

٧٢- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بينا النبيُّ ﷺ يَخطُب إذا هو برجلٍ قائمٍ فسألَ عنه، فقالوا: أبو إسرائيلَ نَذرَ أن يقومَ في الشمسِ ولا يقعُدَ، ولا يستَظِلَّ، ولا يتكلَّم، ويصومَ، فقال النبيُّ ﷺ: **«مُرهُ، فليتكلَّم، وليَستَظِلَّ، وليَقعُد، وليُتِمَّ صومَه»**(١).

(١٥) بابُ المحافظةِ على الأعمالِ

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

٧٣- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من نامَ عن حِزبِه من الليل، أو عن شيءٍ منه، فقرأَهُ ما بينَ صلاةِ الفجرِ وصلاةِ الظُّهرِ، كُتِب له كأنَّما قرأهُ من الليلِ»**(٢).

٧٤- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا فاتَتهُ الصلاةُ من الليلِ من وجعٍ أو غيرِه؛ صلَّى من النهارِ ثِنتي عشرةَ ركعةً(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٠٤).
(٢) أخرجه مسلم (٧٤٧).
(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(١٦) باب الأمرِ بالمحافظةِ على السنةِ وآدابِها

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣ - ٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] قال العلماء: معناه إلى الكتابِ والسنةِ، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، والآياتُ في البابِ كثيرةٌ.

٧٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**دعوني ما تَركتُكم، إنما أهلكَ من كان قبلَكُم كثرةُ سؤالِهم واختلافُهم على أنبيائِهم، فإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتُكُم بأمرٍ فأتوا منه ما استَطعتُم**»(١).

٧٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**كلُّ أمَّتي يَدخلون الجنةَ إلا من أَبَى**» قيل: ومن يَأبى؟ قال: «**من أطاعنِي دخلَ الجنةَ، ومن عَصاني فقد أَبَى**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

٧٧- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن مَثلَ ما بَعثَني الله به من الهدى والعِلمِ كمثلِ غيثٍ أصاب أرضًا فكانت منها طائفةٌ طيبةٌ، قبِلَت الماءَ فأنبتَت الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ، وكان منها أجادبُ أمسكتِ الماء فنفعَ الله بها الناسَ، فشربوا منها وسَقَوا ورَعَوا، وأصابَ طائفة منها أخرى إنما هي قيعانٌ لا تُمسِك ماء ولا تُنبِت كلأً، فذلك مثلُ من فقُه في دينِ الله تعالى ونفعَه بما بَعثَني الله به فعَلِم وعَلَّم، ومثلُ من لم يَرفع بذلك رأسًا ولم يَقبَل هدى الله الذي أرسَلتُ به»[(١)].

٧٨- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثلي ومَثلُكُم كمثلِ رجلٍ أوقدَ نارًا، فجعلَ الجنادبُ والفَراشُ يقَعن فيها، وهو يَذُبُّهن عنها، وأنا آخذٌ بحُجَزِكم عن النارِ، وأنتم تَفَلَّتون من يَدي»[(٢)].

٧٩- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قام فينا رَسولُ الله ﷺ بموعظةٍ، فقال: «يا أيها الناسُ، إنكم تُحشَرون إلى الله تعالى حُفاةً عُراةً غُرلًا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ألا وإن أوَّل الخلائقِ يُكسى يومَ القيامة إبراهيمُ ﷺ، ألا وإنه سيُجاءُ برجالٍ من أمتي فيؤخذُ بهم ذات الشمالِ، فأقولُ: يا ربِّ أصحابي، فيُقال: إنك لا تَدري ما أحدثوا بعدَك، فأقولُ كما قال العبدُ الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ - ١١٨] فيقالُ لي: إنهم لم يَزالوا مُرتَدِّين على أعقابهم منذُ فارقتهم»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

٨٠- وعن عابسِ بن ربيعةَ، قال: رأيتُ عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقبِّل الحجرَ -يعني: الأسودَ- ويقول: إني أعلمُ أنك حجرٌ ما تنفَعُ ولا تضرُّ، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقبِّلك ما قبَّلتُك(١).

(١٧) باب في وجوبِ الانقيادِ لحُكمِ الله تعالى وما يقولُه من دُعي إلى ذلك وأُمرَ بمعروفٍ أو نُهيَ عن منكرٍ

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

٨١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نَزَلت على رسولِ الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٣] اشتَدَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله ﷺ فأتَوا رسولَ الله ﷺ ثُم بَركوا على الرُّكبِ، فقالوا: أي رسولَ الله، كُلِّفنا من الأعمالِ ما نُطيقُ: الصلاةَ والجهادَ والصيامَ والصدقةَ، وقد أُنزِلَت عليك هذه الآية ولا نُطيقُها. قال رسولُ الله ﷺ: «**أتُريدونَ أن تقولوا كما قالَ أهلُ الكتابين مِن قَبلِكم: سمِعنا وعَصينا؟ بل قولوا: سَمِعنا وأَطَعنا غُفرانَك ربَّنا وإليك المصيرُ**» قالوا: سَمِعنا وأَطَعنا غُفرانَك ربَّنا وإليك المصيرُ، فلما اقترَأَها القومُ، وذلَّت بها ألسنَتُهم أنزلَ الله تعالى في إثرِها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

﴿رُسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥] فلما فَعلوا ذلك نَسَخها الله تعالى، فأنزَل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: نَعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ قال: نَعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: نَعم ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: نَعم(١).

(١٨) باب في النَّهي عن البِدعِ ومُحدثاتِ الأمورِ

قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] أي: الكتابِ والسنةِ. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران:٣١] والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

وأمَّا الأحاديثُ فكثيرةٌ جدًّا، وهي مشهورةٌ فنقتصرُ على طرفٍ منها:

٨٢- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ منه فهو رَدٌّ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

٨٣- وعن العِرباضِ بن سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: وَعَظَنا رسولُ الله ﷺ موعظةً وجِلت منها القلوبُ، وذرَفَت منها العيونُ، فقلنا: يا رَسولَ الله، كأنَّها موعظةُ مودعٍ فأوصِنا، قال: «**أوصيكُم بتقوى الله، والسَّمعِ والطاعةِ، وإن تَأَمَّر عليكم عبدٌ، وإنه من يَعِش منكم فسَيرى اختلافًا كثيرًا، فعَليكم بسنَّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكُم ومحدثاتِ الأمورِ؛ فإن كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»(١).

(١٩) باب فيمَن سنَّ سنةً حسنةً أو سيئةً

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

٨٤- وعن جَريرِ بن عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا في صَدرِ النهار عند رسولِ الله ﷺ فجاءهُ قومٌ عراة مُجتابي النِّمارِ أو العباءِ، متقلِّدي السيوفِ، عامتُهم من مُضَر، بل كلُّهم من مُضَر، فتمَعَّر رسولُ الله ﷺ لِما رأى بهم من الفاقةِ، فدخلَ ثم خرجَ، فأمرَ بلالًا فأذَّن وأقامَ، فصلى ثم خطبَ، فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، والآية الأخرى التي في آخرِ الحَشرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] **تصدَّق رجلٌ من دينارِه، من دِرهمِه، من ثَوبِه، من صاعِ بُرِّه، من صاعِ تمرِه**» حتى قال: «**ولو بشِقِّ تمرةٍ**» فجاءَ رجلٌ من الأنصار بصُرة كادت كفُّه

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣).

تعجز عنها، بل قد عجزَت، ثم تتابعَ الناس حتى رأيتُ كومَين من طعامٍ وثيابٍ، حتى رأيت وجهَ رسولِ الله ﷺ يتهلَّل كأنه مُذْهَبةٌ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَن سنَّ في الإسلامِ سنةً حسنةً فله أجرُها، وأجرُ من عَملِ بها بعده، من غيرِ أن ينقصَ من أجورِهم شيءٌ، ومَن سنَّ في الإسلامِ سنةً سيئة كان عليه وزرها، ووزرُ من عملَ بها من بعده، من غير أن ينقصَ من أوزارِهم شيءٌ**»(١).

٨٥- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**ليسَ مِن نفسٍ تُقتلُ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأولِ كِفلٌ من دَمِها؛ لأنه كان أولَ من سنَّ القتلَ**»(٢).

(٢٠) باب في الدلالةِ على خيرٍ والدعاءِ إلى هدى أو ضلالةٍ

قال تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [القصص: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، وقال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران:١٠٤].

٨٦- وعن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعِلِه**»(٣).

٨٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من دَعا إلى هُدى، كان له مِن الأجرِ مثلُ أجورِ من تبِعَه، لا ينقصُ ذلك من أجورِهم شيئًا، ومن دعا**

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٩٣).

إلى ضلالةٍ، كان عليه من الإِثمِ مثل آثامِ من تبعهُ، لا ينقصُ ذلك من آثامِهم شيئًا»[(١)].

(٢١) باب في التعاونِ على البرِّ والتقوى

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

٨٨- وعن زيدِ بن خالدٍ الجُهنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال نبيُّ الله ﷺ: «من جهَّز غازيًا في سبيلِ الله فقد غزا، ومن خَلف غازيًا في أهلِه بخيرٍ فقد غزا»[(٢)].

٨٩- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «الخازنُ المسلمُ الأمين الذي يُنفذُ ما أُمرَ به فيُعطيه كاملًا مُوَفَّرًا طيبةً به نفسُه فيدفَعُه إلى الذي أُمِر له به، أحدُ المتصدِّقين»[(٣)].

(٢٢) باب في النصيحةِ

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: إخبارًا عن نوحٍ ﷺ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وعن هودٍ ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٣٨)، ومسلم (١٠٢٣).

٩٠- وعن تميمٍ الداريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**الدينُ النصيحةُ**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابِه ولرَسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتِهم**»[(١)].

٩١- وعن جريرِ بن عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بايعتُ رسولَ الله ﷺ على إقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والنصحِ لكلِّ مسلمٍ[(٢)].

٩٢- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسِه**»[(٣)].

(٢٣) باب في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٤)، ومسلم (٥٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر:٩٤]، وقال تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، والآياتُ في هذا البابِ كَثيرةٌ مَعلومةٌ.

٩٣- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من رَأى منكم مُنكرًا فليغيِّره بيدِه، فإن لم يَستطِع فبلسانِه، فإن لم يَستطِع فبقَلبِه، وذلك أضعفُ الإيمانِ»(١).

٩٤- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «ما مِن نبيٍّ بعثَهُ الله تعالى في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمَّتِهِ حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنتِهِ ويقتدون بأمرِه، ثم إنها تَخلُف من بعدِهم خلوفٌ، يقولون ما لا يَفعلون، ويَفعلون ما لا يُؤمرون، فمن جاهَدَهم بيدِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهَدَهم بلسانِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهَدهم بقلبِه فهو مؤمنٌ، ليس وراءَ ذلك من الإيمانِ حبةُ خردلٍ»(٢).

٩٥- وعن النعمانِ بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَثلُ القائم في حدودِ الله والواقعِ فيها، كمثلِ قوم استَهَموا على سفينةٍ فصارَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفَلَها، فكان الذين في أسفلِها إذا استَقوا من الماءِ مروا على من فوقَهم، فقالوا: لو أنَّا خَرَقنا في نَصيبنا خَرقًا ولم نؤذِ من فوقَنا، فإن تَركوهم وما أرادوا هَلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوا ونجوا جميعًا»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

٩٦- وعن أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّه يُستعملُ عليكم أمراءَ فتعرفون وتُنكرون، فمَن كرِه فقد برئَ، ومن أنكرَ فقد سلِمَ، ولكن من رضِيَ وتابعَ!**» قالوا: يا رَسولَ الله، ألا نُقاتِلُهم؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصَّلاةَ**»(١).

٩٧- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إياكُم والجلوسَ في الطرقاتِ!**» فقالوا: يا رَسولَ الله، ما لنا من مجالسِنا بُدٌّ نتحدَّث فيها. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أبيتُم إلا المجلسَ، فأعطوا الطريقَ حقَّه**» قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رَسولَ الله؟ قال: «**غَضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ**»(٢).

٩٨- وعن أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا أيها الناسُ، إنَّكم تَقرؤون هذه الآيةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إن الناسَ إذا رَأَوا الظالمَ فلم يَأخُذوا على يديهِ؛ أوشَك أن يَعُمَّهم الله بعقابٍ منه**»(٣).

(٢٤) باب تَغليظِ عقوبةِ من أمرَ بمعروفٍ أو نهى عن منكرٍ وخالفَ قولُه فعلَه

قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥).

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ - ٣]، وقال تعالى إخبارًا عن شُعيبٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:٨٨].

٩٩- وعن أسامةَ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**يُؤتى بالرَّجلِ يومَ القيامةِ فيُلقى في النارِ، فتندَلِق أقتابُ بطنِه فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ في الرَّحى، فيجتَمِع إليه أهلُ النارِ، فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمُرُ بالمعروفِ وتَنهى عن المنكرِ؟ فيقولُ: بلى، كنتُ آمرُ بالمعروفِ ولا آتيه، وأنهى عن المنكرِ وآتيه**»(١).

(٢٥) باب الأمرِ بأداءِ الأمانةِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢].

١٠٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**آيةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وَعدَ أخلفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ**»(٢).

١٠١- وعن حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ حديثين قد رَأيتُ أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخرَ: حدَّثنا أن الأمانةَ نزلَت في جَذرِ قلوبِ الرِّجالِ، ثم نزلَ القرآنُ فعلموا من القرآنِ، وعَلِموا من السُّنة، ثم حدَّثنا عن رفعِ الأمانةِ، فقال: «**يَنامُ الرجلُ النومةَ فتُقبضُ الأمانةَ من قلبِه، فيظلُّ أثرُها مثل الوَكْتِ، ثم يَنامُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

النومةَ فتُقبضُ الأمانةُ من قلبِه، فيظلُّ أثرُها مثل أثرِ المَجْلِ، كجمرٍ دحرجتَه على رِجلِك فنَفِطَ، فتراه مُنتَبِرًا وليس فيه شيءٌ» ثم أخذ حصاةً فدحرجهُ على رِجله «فيُصبحُ الناسُ يتبايعون، فلا يَكادُ أحدٌ يؤدي الأمانةَ حتى يُقالَ: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، حتى يقالَ للرجلِ: ما أجلَدَه! ما أظرَفَه! ما أعقَلَه! وما في قلبِه مثقالُ حبةٍ من خَردلٍ من إيمانٍ ولقدَ أتى عليَّ زمانٌ وما أبالي أيُّكم بايَعت: لئن كان مُسلمًا ليردنَّه عليَّ دينُه، وإن كان نَصرانيًّا أو يهوديًّا ليردنه علي ساعيه، وأما اليومَ فما كنت أبايعُ منكم إلا فلانًا وفلانًا»[1].

(٢٦) باب تحريمِ الظلمِ والأمرِ بردِّ المظالمِ

قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج:٧١].

١٠٢- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «اتَّقوا الظلمَ؛ فإن الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامة، واتقوا الشُّحَّ؛ فإن الشحَّ أهلَكَ من كان قبلَكُم، حمَلَهم على أن سَفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارِمَهم»[2].

١٠٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لتؤدُّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامةِ، حتى يُقاد للشاةِ الجلحاءِ من الشاةِ القَرناءِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٢).

١٠٤- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «من ظَلَم قِيْدَ شبرٍ من الأرضِ، طُوِّقه من سبعِ أَرَضين»(١).

١٠٥- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله ليُملي للظالم، فإذا أخذَه لم يُفلِته» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢](٢).

١٠٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «من كانت عندَهُ مَظلِمةٌ لأخيه، من عِرضِه أو من شيءٍ، فليتحلَّله منه اليومَ قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ؛ إن كان له عملٌ صالحٌ أُخذَ منه بقدرِ مظلِمَته، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخذ من سيئاتِ صاحِبِه فحُمِلَ عليه»(٣).

١٠٧- وعن أبي أمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «من اقتَطعَ حقَّ امرئٍ مسلم بيَمينه، فقد أوجبَ الله له النارَ، وحرَّمَ عليه الجنةَ» فقال رجلٌ: وإن كان شيئًا يَسيرًا يا رَسولَ الله؟ فقال: «وإن قَضيبًا من أراكٍ»(٤).

١٠٨- وعن أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّما أنا بشرٌ، وإنكم تَختَصمون إليَّ، ولعلَّ بعضَكم أن يكون ألحَنَ بحجَّتِه من بعضٍ، فأقضيَ له بنحوِ ما أسمعُ، فمن قَضيتُ له بحقِّ أخيه فإنما أقطَعُ له قطعةً من النارِ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٧).

(٥) أخرجه البخاري (٧١٦٩)، ومسلم (١٧١٣).

(٢٧) باب تَعظيمِ حُرماتِ المسلمين وبيانِ حقوقِهم والشفقةِ عليهم ورحمتِهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

١٠٩- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المؤمِنُ للمؤمنِ كالبنيانِ، يشُدُّ بعضُه بعضًا**»[١].

١١٠- وعن النعمانِ بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَثلُ المؤمنين في تَوادِّهم وتَراحُمِهم وتعاطُفِهم، مثل الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمى**»[٢].

١١١- وعن جريرِ بن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن لا يَرحَمِ الناسَ لا يَرحَمْهُ الله**»[٣].

١١٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا صلَّى أحدُكُم للناسِ فليُخفِّف، فإن فيهم الضَّعيفَ والسقيمَ والكَبيرَ، وإذا صلَّى أحدُكُم لنفسِه فليُطوِّل ما شاءَ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).
(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).
(٤) أخرجه البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧).

١١٣- وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: إن كان رسولُ الله ﷺ ليَدعُ العَملَ، وهو يحبُّ أن يَعمَل به؛ خَشيةَ أن يَعملَ به الناسُ فيُفرض عليهم[١].

١١٤- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: **«المسلمُ أخو المسلِم، لا يَظلِمُه، ولا يُسلِمُه، من كان في حاجةِ أخيه، كان الله في حاجتِه، ومن فَرَّج عن مسلم كربةً، فرَّجَ الله عنه بها كُربةً من كربِ يوم القيامةِ، ومن سَترَ مُسلمًا سترهُ الله يومَ القيامة»**[٢].

١١٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تَحاسدوا، ولا تَناجَشوا، ولا تَباغَضوا، ولا تَدابروا، ولا يَبِع بعضُكُم على بيعِ بعضٍ، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المسلمُ أخو المسلمِ: لا يَظلِمُه، ولا يَخذُلُه، ولا يَحقِرُه، التقوى هاهنا** -ويشيرُ إلى صدرِه ثلاثَ مراتٍ- **بحسبِ امرِئٍ من الشرِّ أن يَحقِرَ أخاه المسلمَ، كل المسلِم على المسلِمِ حرامٌ، دمُه ومالُه وعرضُه»**[٣].

النجش: أن يزيدَ في ثمنِ سلعةٍ يُنادى عليها في السوقِ ونحوه، ولا رغبةَ له في شرائِها، بل يقصدُ أن يغرَّ غيرَه، وهذا حرامٌ. والتدابر: أن يعرضَ عن الإنسانِ ويهجرَه ويجعلَه كالشيءِ الذي وراءَ الظهر والدُّبر.

١١٦- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«انصُر أخاكَ ظالمًا أو مَظلومًا»** فقال رجلٌ: يا رَسولَ الله، أنصُرُه إذا كان مَظلومًا، أرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصُرُه؟ قال: **«تَحجُزُه** -أو تمنعُه- **من الظُّلمِ فإن ذلك نَصرُه»**[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٨)، ومسلم (٧١٨).
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).
(٤) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

١١٧- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «حقُّ المسلِم على المسلِمِ خمسٌ: ردُّ السلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتباعُ الجنائزِ، وإجابةُ الدعوةِ، وتَشميتُ العاطسِ»(١).

(٢٨) باب سترِ عوراتِ المسلمين والنهيِّ عن إشاعتِها لغيرِ ضَرورةٍ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

١١٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يَستُرُ عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستَرَهُ الله يومَ القيامةِ»(٢).

١١٩- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «كلُّ أمَّتي معافى إلا المجاهرين، وإن مِن المجاهرةِ أن يعملَ الرجلُ بالليلِ عَملًا، ثم يُصبِح وقد ستَرَه الله عليه، فيقولُ: يا فلان، عَمِلت البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يَستُرُهُ ربُّه، ويُصبح يكشفُ سترَ الله عليه»(٣).

(٢٩) باب قضاءِ حوائجِ المسلمين

١٢٠- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلمِ، لا يَظلِمه، ولا يُسلِمه، من كان في حاجةِ أخيه، كان الله في حاجتِه، ومن

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

فرَّج عن مسلمٍ كربةً، فرَّج الله عنه بها كربةً من كربِ يوم القيامةِ، ومن سترَ مُسلمًا سترَهُ الله يومَ القيامة»[(١)].

١٢١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «من نَفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدنيا، نفَّسَ الله عنه كربةً من كربِ يوم القيامةِ، ومن يسَّر على مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرةِ، ومن سترَ مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرةِ، والله في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عون أخيه، ومن سلك طَريقًا يلتمِسُ فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنةِ، وما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله تعالى، يَتلون كتابَ الله، ويتَدارَسونه بينَهم إلا نزَلَت عليهم السكينةُ، وغشيَتهُم الرحمةُ، وحفَّتهُم الملائكةُ، وذكَرَهم الله فيمَن عندَه، ومن بَطَّأ به عملُه لم يُسرِع به نسبُه»[(٢)].

(٣٠) بابُ الشفاعةِ

قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

١٢٢- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أتاه طالبُ حاجةٍ أقبل على جُلسائه، فقال: «اشفَعوا تُؤجَروا، ويَقضي الله على لسانِ نبيِّه ما أحبَّ»[(٣)].

١٢٣- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في قصةِ بَريرة وزوجِها، قال: قال لها النبيُّ ﷺ: «لو راجَعتِيه؟» قالت: يا رَسولَ الله تأمُرني؟ قال: «إنَّما أشفَعُ» قالت: لا حاجةَ لي فيه[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٧٦)، ومسلم (٢٦٢٧).
(٤) أخرجه البخاري (٥٢٨٣).

(٣١) باب الإصلاحِ بين الناسِ

قال الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

١٢٤- وعن أم كلثومَ بنت عُقبةَ بن أبي مُعيطٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ليسَ الكذابُ الذي يُصلحُ بين الناسِ فيَنمي خيرًا، أو يقولُ خيرًا**»(١).

١٢٥- وعن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ بلغَه أن بني عَمرِو بن عوفٍ كان بينَهم شرٌّ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ يُصلِح بينَهم في أناسٍ معه(٢).

(٣٢) باب فضلِ ضَعفةِ المسلمين والفُقراءِ والخاملين

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

١٢٦- وعن حارثةَ بن وَهبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ألا أخبِرُكم بأهلِ الجنةِ؟ كل ضَعيفٍ متضَعِّف، لو يقسِمُ على الله لأبرَّه، ألا أخبِرُكم بأهلِ النارِ؟ كل عتلٍّ جواظٍ مستكبرٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٤)، ومسلم (٤٢١).
(٣) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

١٢٧- وعن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: مرَّ رجلٌ على النبيِّ ﷺ فقال لرجلٍ عنده جالسٌ: «**ما رأيُك في هذا؟**» فقال: رَجلٌ من أشرافِ الناسِ، هذا واللهِ حريٌّ إن خطبَ أن يُنكَح، وإن شَفعَ أن يُشَفَّع. فسكتَ رسولُ الله ﷺ، ثم مَرَّ رجل آخرُ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**ما رَأيُك في هذا؟**» فقالَ: يا رَسولَ الله، هذا رجلٌ من فُقراءِ المسلمين، هذا حريٌّ إن خَطبَ أن لا يُنكَح، وإن شَفعَ أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يُسمعُ لقوله. فقال رسولُ الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلِ هذا**»[(١)].

١٢٨- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**احتَجَّت الجنةُ والنار، فقالت النارُ: فيَّ الجبارونَ والمتكبِّرون، وقالت الجنةُ: فيَّ ضُعفاءُ الناسِ ومساكينُهم، فقَضى الله بينهما: إنَّكِ الجنةُ رحمتي أرحَمُ بك من أشاءُ، وإنك النارُ عَذابي أعذِّبُ بك من أشاءُ، ولِكِليكُما عليَّ مِلؤها**»[(٢)].

١٢٩- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رُبَّ أشعَثَ مَدفوعٍ بالأبوابِ لو أقسمَ على الله لأبرَّه**»[(٣)].

(٣٣) باب ملاطفةِ اليتيمِ والبَناتِ وسائرِ الضعفةِ والمساكينِ والمنكسرين والإحسانِ إليهم والشفقةِ عليهم والتواضع معهم وخَفضِ الجناحِ لهم

قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٥٤).

﴿زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾ [الضحى: ٩ - ١٠]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ١-٣].

١٣٠- وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: كنا مع النبيِّ ﷺ ستةَ نفرٍ، فقال المشركون للنبيِّ ﷺ: اطرُد هؤلاء لا يَجترئون علينا، وكنتُ أنا وابن مسعودٍ، ورجل من هذيلٍ وبلال ورجلان لست أسَمِّيهما، فوقعَ في نفسِ رسولِ الله ﷺ ما شاءَ الله أن يقعَ فحدَّثَ نفسَه، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢][1].

١٣١- وعن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ هكذا**» وأشارَ بالسبابةِ والوسطى، وفرَّج بينهما[2].

١٣٢- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الساعي على الأرملةِ والمسكينِ، كالمجاهِدِ في سبيلِ الله**» وأحسبُه قال: «**وكالقائِمِ الذي لا يَفتُر، وكالصائِمِ الذي لا يُفطِر**»[3].

١٣٣- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**من عالَ جارِيَتينِ حتَّى تبلُغا جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهو**» وضمَّ أصابِعه[4].

١٣٤- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: دَخلَت عليَّ امرأةٌ ومعها ابنتان لها، تَسألُ فلم تَجِد عندي شيئًا غير تمرةٍ واحدةٍ، فأَعطَيتُها إياها فقَسَمَتها بين ابنَتَيها ولم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٣١).

تأكلْ منها، ثم قامت فخَرَجَت، فدخلَ النبيُّ ﷺ علينا، فأخبَرَتُه فقال: «من ابتُلِيَ من هذه البناتِ بشيءٍ فأحسنَ إليهِنَّ، كُنَّ له سِترًا من النارِ»(١).

١٣٥- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: جاءتني مِسكينةٌ تحملُ ابنتَين لها، فأَطعَمتُها ثلاثَ تَمراتٍ، فأعطَت كلَّ واحدةٍ منهما تمرةً ورَفَعَت إلى فيها تمرةً لتَأكُلها، فاستَطْعَمَتْها ابنتاها، فشقَّت التمرةَ التي كانت تُريدُ أن تَأكُلها بينهما، فأعجَبَني شأنُها، فذَكَرتُ الذي صَنَعَت لرَسولِ الله ﷺ فقال: «**إن الله قد أَوجَب لها بها الجنةَ، أو أَعتَقَها بها من النارِ**»(٢).

١٣٦- وعن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسولَ الله ﷺ يقول: «**ابغوني الضعفاءَ، فإنما تُرزقون وتُنصرون، بضُعفائِكم**»(٣).

(٣٤) باب الوصيةِ بالنساءِ

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩].

١٣٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**استَوصوا بالنِّساءِ خيرًا؛ فإن المرأةَ خُلِقَت من ضِلَع، وإن أعوَجَ ما في الضِّلَع أعلاه، فإن ذَهَبت تُقيمُه كسرته، وإن تركتَه، لم يزل أعوَجَ، فاستوصوا بالنِّساءِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٠).
(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٩٤)، والترمذي (١٧٠٢)، والنسائي (٣١٨٩).
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

١٣٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يَفرَك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كَرِه منها خُلقًا رضي منها آخرَ**»[١].

١٣٩- وعن عمرو بن الأحوصِ الجُشَميِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه سمِعَ النبيَّ ﷺ في حجةِ الوداعِ يَقولُ بعدَ أن حمدَ الله تعالى، وأثنى عليه وذَكَّر ووعظَ، ثم قال: «**أَلَا واستوصوا بالنِّساءِ خيرًا، فإنما هن عوانٍ عندَكُم، ليس تَملِكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحِشةٍ مُبينةٍ، فإن فَعَلنَ فاهجُروهُن في المضاجِعِ، واضرِبوهن ضربًا غيرَ مبرِّح، فإن أطَعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا؛ ألا إن لكم على نِسائِكم حقًّا، ولِنِسائِكم عليكم حقًّا؛ فحقُّكم عليهن أن لا يوطِئن فُرُشَكم من تَكرَهون، ولا يَأذَنَّ في بيوتِكم لمن تَكرهون؛ أَلَا وحقُّهنَّ عليكم أن تُحسِنوا إليهن في كِسوَتِهنَّ وطَعامِهِنَّ**»[٢].

١٤٠- وعن معاويةَ بن حَيدةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلت: يا رَسولَ الله، ما حقُّ زوجةِ أحدِنا عليه؟ قال: «**أن تُطعِمها إذا طَعِمتَ، وتَكسوها إذا اكتَسَيتَ، ولا تَضرِب الوجهَ، ولا تُقبِّح، ولا تَهجُر إلا في البيتِ**»[٣].

١٤١- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أكمَلُ المؤمنين إيمانًا، أحسَنُهُم خُلقًا، وخيارُكُم خيارُكُم لنِسائِهم**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

١٤٢- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**الدُّنيا متاعٌ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصالحةُ**»(١).

(٣٥) باب حقِّ الزوجِ على المرأةِ

قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

١٤٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِه فلم تَأْتِه، فباتَ غَضبان عليها، لَعَنَتها الملائكةُ حتى تُصبح**»(٢).

١٤٤- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَحِلُّ لامرأةٍ أن تَصومَ وزَوجُها شاهدٌ إلا بإذنِه، ولا تَأْذَن في بيتِه إلا بإذنِه**»(٣).

١٤٥- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجِها**»(٤).

١٤٦- وعن أسامةَ بن زيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجالِ من النِّساءِ**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).
(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦).
(٤) أخرجه الترمذي (١١٥٩).
(٥) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٣٦) باب النفقةِ على العِيالِ

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

١٤٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «دينارٌ أنفقتَه في سبيلِ الله، ودينارٌ أنفقتَه في رقبةٍ، ودينارٌ تصدَّقت به على مِسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلِك، أعظمُها أجرًا الذي أنفقتَه على أهلِك»(١).

١٤٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ قال: «ما مِن يومٍ يُصبِحُ العبادُ فيه إلا مَلكان يَنزِلان، فيقولُ أحدُهما: اللهُمَّ أَعطِ مُنفِقًا خَلفًا، ويقول الآخرُ: اللهُمَّ أعطِ ممسكًا تَلفًا»(٢).

١٤٩- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى، وابدأ بمن تَعول، وخيرُ الصدقةِ ما كان عن ظهرِ غنًى، ومن يَستَعفِف يعفه الله، ومن يَستَغنِ يُغنِه الله»(٣).

(٣٧) باب الإنفاقِ مما يحبُّ ومن الجيدِ

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٨).

١٥٠- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان أبو طلحةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أكثرَ الأنصارِ بالمدينة مالًا من نخل، وكان أحبُّ أموالِه إليه بَيرُحاءَ، وكانت مستقبلةَ المسجدِ وكان رسولُ الله ﷺ يَدخُلها ويَشربُ من ماءٍ فيها طيبٍ. قال أنس: فلما نزَلَت هذه الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحةَ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رَسولَ الله، إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحبَّ مالي إليَّ بَيرُحاءَ، وإنها صدقةٌ لله تعالى، أرجو بِرَّها، وذُخرَها عند الله، فضَعها يا رَسولَ الله حيثُ أراكَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بَخٍ! ذلك مالٌ رابِحٌ، ذلك مالٌ رابِحٌ، وقد سمعتُ ما قُلتَ، وإني أرى أن تَجعَلَها في الأَقربين**» فقالَ أبو طلحةَ: أفعلُ يا رَسولَ الله، فقَسَمها أبو طلحةَ في أقارِبِه، وبني عمِّه(١).

(٣٨) باب وجوبِ أمرِ أهلِه وأولادِه المميزين وسائرِ من في رعيَّتِه بطاعةِ الله تعالى ونهيهم عن المخالفةِ وتَأديبِهم ومنعِهم من ارتكابِ منهيٍّ عنه

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

١٥١- وعن عمرَ بن أبي سلمةَ قال: كنتُ غلامًا في حجرِ رسولِ الله ﷺ وكانت يَدي تَطيشُ في الصحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا غُلامُ، سَمِّ الله تعالى، وكل بيَمينِك، وكل مما يَليك**» فما زالت تلك طِعمَتي بعدُ(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

١٥٢- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كلُّكُم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّتِه: الإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه، والرجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤول عن رعيتِه، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجِها ومسؤولة عن رعيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مال سيِّدِه ومسؤول عن رعيَّتِه، فكلُّكُم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيتِه**»[1].

١٥٣- وعن عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنين، واضرِبوهم عليها، وهم أبناءُ عشرِ سنين، وفرِّقوا بينَهم في المضاجِعِ**»[2].

(٣٩) باب حقِّ الجارِ والوصيةِ به

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ [النساء: ٣٦].

١٥٤- وعن ابن عمرَ وعائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما زالَ جبريلُ عليه السلام يوصيني بالجارِ حتى ظَنَنتُ أنه سيُوَرِّثُه**»[3].

١٥٥- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، إذا طَبَختَ مَرقةً، فأكثر ماءها، وتعاهَد جيرانَك**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٨٢٩).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٢٥).

١٥٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**والله لا يُؤمِن، والله لا يُؤمِن، والله لا يُؤمِن!**» قيل: من يا رَسولَ الله؟ قال: «**الذي لا يَأمَنُ جارُه بوائِقه**»[(١)].

١٥٧- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يا نِساءَ المسلماتِ، لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارَتِها، ولو فِرسِنَ شاةٍ**»[(٢)].

١٥٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَمنعْ جارٌ جارَه أن يَغرِزَ خشبةً في جدارِه**» ثم يقولُ أبو هريرةَ: ما لي أراكُم عنها مُعرضين! والله لأرمِينَّ بها بين أكتافِكُم[(٣)].

١٥٩- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليومِ الآخرِ، فلا يؤذِ جارَه، ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ، فليُكرِم ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ، فليقُل خيرًا أو ليسكُت**»[(٤)].

١٦٠- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت: يا رَسولَ الله، إن لي جارَين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: «**إلى أقرَبِهما منكِ بابًا**»[(٥)].

(٤٠) باب برِّ الوالدين وصلةِ الأرحام

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ

(١) أخرجه البخاري عقب (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦)، ومسلم (١٠٣٠).
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٦٣)، ومسلم (١٦٠٩).
(٤) أخرجه البخاري (٦١٣٦)، ومسلم (٤٧).
(٥) أخرجه البخاري (٢٢٥٩).

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ الآية [الرعد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: ١٤].

١٦١- وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «**الصَّلاةُ على وقتِها**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالِدين**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**»(١).

١٦٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يَجزي ولدٌ والدًا إلا أن يَجِدَه مملوكًا، فيشتَرِيَه فيُعتِقَه**»(٢).

١٦٣- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله تعالى خَلقَ الخلقَ حتى إذا فرغَ منهم قامت الرَّحِمُ، فقالت: هذا مقامُ العائِذِ بك من القطيعةِ، قال: نَعَم، أما تَرضَين أن أصِلَ من وَصَلكِ، وأقطعَ من قَطعَكِ؟ قالت: بَلى، قال: فذلِك لك**» ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**اقرؤوا إن شئتُم**: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٢)، ومسلم (١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٥١٠).

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣](١).

١٦٤- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقالَ: يا رَسولَ الله، من أحقُّ بحسنِ الصحبةِ؟ قال: «**أمُّك، ثم أمُّك، ثم أمُّك، ثم أباكَ، ثم أدناكَ أدناكَ**»(٢).

١٦٥- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**رغِمَ أنفُ، ثم رَغِم أنفُ، ثمَّ رَغِمَ أنفُ من أدرَك أبويهِ عند الكِبرِ، أحدَهما أو كِليهِما فلم يَدخُل الجنةَ**»(٣).

١٦٦- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يُبسَط له في رِزقِه، ويُنسَأ له في أثرِه، فليَصِل رحِمَه**»(٤).

١٦٧- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: أقبلَ رجلٌ إلى نبيِّ الله ﷺ فقال: أبايعُك على الهجرةِ والجِهادِ أبتغي الأجرَ من الله تعالى. قال: «**فهَل مِن والِدَيك أحدٌ حيٌّ؟**» قال: نعم، بل كلاهما. قال: «**فتَبتَغي الأجرَ من الله تعالى؟**» قال: نَعَم. قال: «**فارجِع إلى والِدَيك، فأَحسِن صُحبتَهُما**»(٥).

١٦٨- وعنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ليسَ الواصلُ بالمكافِىءِ، ولكن الواصِلَ الذي إذا قُطِعَت رحمُه وَصَلَها**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٧) و (٥٩٨٨)، ومسلم (٢٥٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥١).
(٤) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).
(٥) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).
(٦) أخرجه البخاري (٥٩٩١).

١٦٩- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**الرحمُ مُعلقةٌ بالعرشِ تقول: من وَصَلني؛ وصَلَه الله، ومن قَطَعَني؛ قَطعَه الله**»[١].

١٧٠- وعن مَيمونةَ بنتِ الحارثِ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، أنها أعتَقَت وليدةً ولم تَستَأذِنِ النبيَّ ﷺ فلما كان يومُها الذي يَدورُ عليها فيه، قالت: أشَعَرتَ يا رسولَ الله، أني أعتقت وليدتي؟ قال: «**أو فَعَلتِ؟**» قالت: نَعم. قال: «**أما إنك لو أَعطَيتِها أخوالَك كان أعظمَ لأجرِك**»[٢].

١٧١- وعن أسماءَ بنت أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، قالت: قدِمَتْ عليَّ أمي وهي مشركةٌ في عهدِ رسولِ الله ﷺ فاستَفتَيتُ رسولَ الله ﷺ قلت: قدِمَت عليَّ أمي وهي راغبةٌ، أفأصِلُ أمِّي؟ قال: «**نَعم، صِلي أمَّكِ**»[٣].

١٧٢- وعن زينبَ الثقفيةِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**تصدَّقنَ يا معشرَ النساءِ، ولو من حُليِّكُن**»، قالت: فرجَعتُ إلى عبدِ الله بن مسعودٍ، فقلت له: إنك رجلٌ خَفيفُ ذاتِ اليدِ، وإن رسولَ الله ﷺ قد أمرَنا بالصدقةِ فأتِه، فاسأَلْهُ، فإن كان ذلك يُجزِئُ عني، وإلَّا صرَفتُها إلى غيرِكم. فقال عبدُ الله: بل ائتِيه أنت، فانطَلَقت، فإذا امرأةٌ من الأنصارِ ببابِ رسولِ الله ﷺ حاجَتي حاجَتُها، وكان رسولُ الله ﷺ قد أُلقِيَت عليه المهابةُ، فخرجَ علينا بلالٌ، فقلنا له: ائتِ رسولَ الله ﷺ فأخبِره أن امرأتَين بالبابِ تَسألانِك: أتجزِيءُ الصدقةُ عنهما على أزواجِهما وعلى أيتامٍ في حُجورِهما؟ ولا تُخبِره من نحن، فدخلَ بلالٌ على

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩).
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

رسولِ الله ﷺ فسأله، فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «**من هما؟**» قال: امرأةٌ من الأنصارِ وزَينبُ. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أيُّ الزيانِبِ؟**» قال: امرأةُ عبدِ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لها أجران: أجرُ القَرابةِ، وأَجرُ الصدقةِ**»[(١)].

١٧٣- وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ستَفتَحون مصرَ، وهي أرضٌ يُسمَّى فيها القيراطُ، فاستوصوا بأهلِها خيرًا؛ فإن لهم ذمةً ورَحمًا**»[(٢)].

١٧٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نَزلَت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسولُ الله ﷺ قُريشًا، فاجتَمَعوا فعَمَّ وخَصَّ، وقال: «**يا بني كَعبِ بن لُؤي، أنقِذوا أنفُسَكُم من النارِ، يا بني مُرةَ بن كعبٍ، أنقذوا أنفُسَكم من النارِ، يا بني عبدِ منافٍ، أنقِذوا أنفُسَكم من النارِ، يا بني هاشم، أنقِذوا أنفُسَكم من النارِ، يا بني عبدِ المطلبِ، أنقذوا أنفُسَكم من النارِ، يا فاطمةُ، أنقذي نفسَك من النارِ، فإني لا أَملِك لكم من الله شيئًا، غيرَ أن لكم رَحمًا سأبُلُّها ببَلالها**»[(٣)].

(٤١) باب تحريمِ العُقوقِ وقَطيعةِ الرحم

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤).

﴿ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

١٧٥- وعن أبي بكرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا أُنبِّئكم بأكبرِ الكبائرِ؟**» -ثلاثًا- قُلنا: بلى، يا رَسولَ الله، قال: «**الإشراكُ بالله، وعُقوقُ الوالدين**» وكان مُتَّكئًا فجلسَ، فقال: «**ألا وقولُ الزورِ وشَهادةُ الزورِ**» فما زالَ يُكرِّرها حتى قلنا: ليتَه سَكتَ[(١)].

١٧٦- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من الكبائرِ شَتمُ الرجلِ والِدَيه**» قالوا: يا رسولَ الله، وهل يَشتِمُ الرجلُ والدَيه؟! قال: «**نَعم، يَسُبُّ أبا الرجلِ؛ فيسُبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه؛ فيسبُّ أمَّه**»[(٢)].

١٧٧- وعن جُبيرِ بن مُطعِمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يدخلِ الجنة قاطعٌ**» قال سفيانُ في روايته: يَعني: قاطعَ رحمٍ[(٣)].

١٧٨- وعن المغيرةِ بن شعبةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ الله حَرَّم عليكُم: عُقوقَ الأمهاتِ، ومنعًا وهاتِ، ووأدَ البناتِ، وكرِهَ لكم: قيلَ وقالَ، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعةَ المالِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (١٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).
(٤) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

(٤٢) باب فضلِ برِّ أصدِقاءِ الأبِ والأمِّ والأقاربِ والزوجةِ وسائرِ من يُندبُ إكرامُه

١٧٩- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «**أبَرُّ البرِّ أن يَصلَ الرَّجلُ وُدَّ أبيه**»(١).

١٨٠- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما غِرتُ على أحدٍ من نساءِ النبيِّ ﷺ ما غِرتُ على خَديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وما رَأيتُها قطُّ، ولكن كان يُكثِرُ ذِكرَها، وربَّما ذَبحَ الشاةَ، ثم يُقَطِّعها أعضاءً، ثم يَبعثُها في صدائِق خَديجةَ، فربما قلت له: كأن لم يَكُن في الدنيا امرأة إلَّا خَديجةُ! فيقولُ: «**إنَّها كانَت وكانت، وكان لي مِنها وَلدٌ**».

وفي روايةٍ: قالت: استَأذَنَت هالةُ بنتُ خويلدٍ أختُ خديجةَ على رسولِ الله ﷺ فعَرفَ استئذانَ خَديجةَ، فارتاحَ لذلك، فقال: «**اللهُمَّ هالةَ بنتَ خُويلدٍ**»(٢).

(٤٣) باب إكرامِ أهلِ بيتِ رَسولِ الله ﷺ وبيانِ فضلِهم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

١٨١- وعن يَزيدَ بن حَيان، قال: انطَلَقتُ أنا وحُصينُ بن سبرةَ، وعمرُو بن مسلمٍ إلى زيدِ بن أرقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما جَلَسنا إليه قال له حُصين: لقد لَقيتَ يا زيدُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥).

خيرًا كثيرًا، رأيتَ رسولَ الله ﷺ وسمِعتَ حَديثَه، وغَزوتَ معه، وصَلَّيت خلفَه، لقد لَقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا، حَدِّثنا يا زيدُ ما سمِعتَ من رسولِ الله ﷺ قال: يا ابنَ أخي، والله لقد كبرت سِنِّي، وقدمَ عَهدي، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعي من رَسولِ الله ﷺ فما حَدَّثتُكُم، فاقبَلوا، وما لا فلا تُكلِّفونيه. ثم قال: قامَ رسولُ الله ﷺ يومًا فينا خَطيبًا بماءٍ يُدعى خُمًّا بين مكةَ والمدينةِ، فحمِد اللهَ، وأثنى عليه، ووعَظَ وذَكَّر، ثم قال: «**أما بعدُ، ألا أيها الناسُ، فإنما أنا بشرٌ يوشكُ أن يأتيَ رسولُ ربي فأُجيبَ، وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلين: أوَّلهما كتابُ الله، فيه الهُدى والنورُ، فخُذوا بكتابِ الله، واستَمسِكوا به**» فحثَّ على كتابِ الله، ورغَّب فيه، ثم قال: «**وأهلُ بيتي، أُذَكِّرُكم الله في أهلِ بيتي، أُذكِّرُكم الله في أهلِ بيتي**» فقال له حُصين: ومن أهلُ بيتِه يا زيدُ، أليس نِساؤه من أهل بيتِه؟ قال: نساؤه من أهلِ بيتِه، ولكن أهلُ بيته من حُرِمَ الصدقةَ بعدَه، قال: ومَن هُم؟ قال: هُم آلُ عليٍّ، وآلُ عقيلٍ، وآل جعفرٍ، وآلُ عباسٍ. قال: كلُّ هؤلاء حُرِمَ الصدقةَ؟ قال: نَعَم[1].

(٤٤) باب تَوقيرِ العُلماءِ والكبارِ وأهلِ الفضلِ وتقديمِهم على غيرِهم ورفعِ مَجالسِهم وإظهارِ مزيَّتِهم

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

١٨٢- وعن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يؤُمُّ القومَ أقرؤُهُم لكتابِ الله، فإن كانوا في القراءةِ سواءً، فأعلَمُهم بالسنةِ، فإن كانوا**

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

في السنةِ سواءً، فأقدَمُهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرةِ سواءً، فأقدمُهم سِنًّا، ولا يَؤُمَّن الرجلُ الرجلَ في سلطانِه، ولا يَقعُدُ في بيتِه على تَكرِمتِه إلا بإذنِه»[(١)].

١٨٣- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ كان يَجمعُ بين الرجلين من قتلى أحدٍ -يعني: في القَبرِ- ثم يقولُ: «أيُّهما أكثرُ أخذًا للقرآنِ؟» فإذا أُشيرَ له إلى أحدِهما قدَّمه في اللَّحدِ[(٢)].

١٨٤- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «أراني في المنامِ أتسوَّك بسواكٍ، فجاءَني رجلان، أحدُهما أكبرُ من الآخرِ، فناولتُ السِّواكَ الأصغرَ، فقيلَ لي: كبِّر، فدَفعتُه إلى الأكبرِ منهما»[(٣)].

١٨٥- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن من إجلالِ الله تعالى: إكرامَ ذي الشيبةِ المسلمِ، وحاملِ القرآن غيرِ الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطانِ المقسِطِ»[(٤)].

١٨٦- وعن عمرِو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليس مِنا من لم يرحَم صَغيرَنا، ويَعرفُ شرفَ كَبيرِنا»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧١)، وعلقه البخاري (٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣).

(٥) أخرجه الترمذي (١٩٢٠)، وأبو داود (٤٩٤٣).

(٤٥) باب زيارةِ أهلِ الخَيرِ ومجالَستِهم وصُحبتِهم ومحبَّتِهم وطلبِ زيارتِهم والدعاءِ منهم وزيارةِ المواضعِ الفاضلة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٠ - ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

١٨٧- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال أبو بكرٍ لعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بعد وفاةِ رَسولِ الله ﷺ: انطَلِق بنا إلى أمِّ أيمنَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا نَزورُها كما كان رَسولُ الله ﷺ يَزورُها، فلما انتَهيا إليها، بَكَت، فقالا لها: ما يُبكيكِ؟ أما تَعلَمين أن ما عندَ الله خيرٌ لرَسولِ الله ﷺ؟ فقالت: إني لا أبكي أنِّي لا أعلَمُ أن ما عندَ الله تعالى خيرٌ لرَسولِ الله ﷺ، ولكن أَبكي أن الوحيَ قد انقطَع من السماءِ، فهَيَّجَتْهما على البكاءِ، فجَعلا يَبكِيان معها[1].

١٨٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ رجلًا زارَ أخًا له في قريةٍ أخرى، فأرصَدَ الله تعالى على مَدرجتِهِ مَلَكًا، فلما أتى عليه، قال: أينَ تُريدُ؟ قال: أُريدُ أخًا لي في هذه القريةِ، قال: هل لك عَليه من نِعمةٍ تَربُّها؟ قال: لا، غيرَ أني أحبَبتُه في الله، قال: فإني رَسولُ الله إليكَ بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحبَبتَه فيه»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٧).

١٨٩- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّما مَثلُ الجَليسِ الصالحِ وجليس السوءِ، كحاملِ المسكِ، ونافخِ الكيرِ، فحاملُ المسكِ: إمَّا أن يُحذيَك، وإمَّا أن تَبتاعَ منه، وإما أن تَجدَ منه ريحًا طيبةً، ونافخُ الكيرِ: إمَّا أن يَحرقَ ثيابَك، وإمَّا أن تَجدَ منه ريحًا مُنتِنةً**»[١].

١٩٠- وعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تُصاحِب إلا مُؤمنًا، ولا يأكُل طعامَك إلا تقيٌّ**»[٢].

١٩١- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**الرجلُ على دين خَليلِه، فلينظُرْ أحدُكُم من يُخالِل**»[٣].

١٩٢- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: قيلَ للنبيِّ ﷺ: الرجلُ يحبُّ القومَ ولما يَلحَق بهم؟ قال: «**المرءُ معَ مَن أحَبَّ**»[٤].

١٩٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الناسُ مَعادنُ كمعادنِ الذَّهبِ والفِضةِ، خيارُهُم في الجاهليةِ خيارُهم في الإسلامِ إذا فقُهوا، والأرواحُ جنودٌ مُجنَّدةٌ، فما تَعارفَ منها ائتَلَف، وما تناكَرَ منها اختَلَف**»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٣٨).

(٤٦) باب فضلِ الحُبِّ في الله والحَثِّ عليه وإعلامِ الرجلِ من يحبِّه، أنه يحبِّه، وماذا يَقولُ له إذا أعلَمه

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورةِ، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الحشر: ٩].

١٩٤- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ: أن يَكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهُما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يَكره أن يعودَ في الكفرِ بعد أن أنقذهُ الله منه، كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النارِ»[(١)].

١٩٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الله تعالى يَقولُ يومَ القيامةِ: أين المتَحابون بجَلالي؟ اليومَ أُظلُّهم في ظلي يومَ لا ظلَّ إلا ظلي»[(٢)].

١٩٦- وعن البراءِ بن عازبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ في الأنصارِ: «لا يُحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغِضُهم إلا منافقٌ، من أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغَضَهم أبغَضَه الله»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

١٩٧- وعن معاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي، لهم منابِرُ من نورٍ يغبِطُهم النبيون والشهداءُ**»(١).

١٩٨- وعن أبي إدريسَ الخولاني رَحِمَهُٱللَّهُ، قال: دخلتُ مسجدَ دمشق، فإذا فتًى براقُ الثنايا وإذا الناسُ معه، فإذا اختلفوا في شيءٍ، أسندوه إليه، وصَدَروا عن رأيه، فسألتُ عنه، فقيل: هذا معاذُ بنُ جبلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلما كان من الغدِ، هجَّرتُ، فوجدتُه قد سبقني بالتهجيرِ، ووجدتُه يصلي، فانتظرتُه حتى قضى صلاتَه، ثم جئتُه من قِبَلِ وجهِه، فسلَّمتُ عليه، ثم قلت: والله، إني لأحبُّك لله، فقال: آلله؟ فقلت: الله، فقال: آلله؟ فقلت: الله، فأخذَني بحبوةِ رِدائي، فجَبَذَني إليه، فقال: أبشِر! فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: وجبَت محبَّتي للمتحابِّين فيَّ، والمتجالِسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذِلين فيَّ**»(٢).

١٩٩- وعن المقدامِ بن مَعدي كَرِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا أحبَّ الرجلُ أخاه، فليُخبِرْه أنه يحبُّه**»(٣).

٢٠٠- وعن معاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ أخذَ بيدِه، وقال: «**يا معاذُ، والله، إني لأحبُّك**» فقال: «**أوصيك يا معاذُ، لا تدعَنَّ في دُبرِ كلِّ صلاةٍ تقول: اللهمَّ أعني على ذكرِك، وشُكرِك، وحُسنِ عبادتِك**»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٠).

(٢) أخرجه أحمد ٣٦/ ٣٥٩ (٢٢٠٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٢٣٩٢).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي(١٣٠٣).

(٤٧) باب علاماتِ حبِّ الله تعالى العبد والحثِّ على التخلُّقِ بها والسعيِّ في تحصيلها

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

٢٠١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا أحبَّ الله تعالى العبدَ، نادى جبريلَ: إن الله تعالى يحبُّ فلانًا، فأحبِبهُ، فيُحبه جبريلُ، فينادي جبريلُ في أهلِ السماءِ: إن الله يحبُّ فلانًا، فأحبوه، فيُحبه أهل السماءِ، ثم يوضَعُ له القبولُ في الأرضِ**»[(١)].

٢٠٢- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: أن رسولَ الله ﷺ بعثَ رَجلًا على سريةٍ، فكان يقرأُ لأصحابِه في صلاتِهم فيختمُ بـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذُكِرَ ذلك لرسولِ الله ﷺ فقالَ: «**سلوه، لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك؟**» فسألوه، فقال: لأنَّها صِفةُ الرحمن، فأنا أحبُّ أن أقرأَ بها. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أخبِروه أن الله تعالى يُحبُّه**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

(٤٨) باب التحذيرِ من إيذاءِ الصالحين والضَّعفةِ والمساكين

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ٩ - ١٠].

٢٠٣- وعن جُندبِ بن عبدِ الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن صلَّى صلاةَ الصبحِ، فهو في ذمةِ الله، فلا يطلُبَنَّكُم الله من ذمَّتِه بشيءٍ، فإنه من يَطلُبه من ذمتِه بشيءٍ يُدركه، ثم يكبُّه على وجهِه في نار جهنَّمَ**»[(١)].

٢٠٤- وعن عائذِ بن عمرٍو المزني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن أبا سفيانَ أتى على سَلمانَ وصُهيبٍ وبلالٍ في نفرٍ، فقالوا: ما أخَذَتْ سيوفُ الله من عدوِّ الله مأخَذَها، فقالَ أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أتقولون هذا لشيخِ قُريشٍ وسيِّدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبرَه، فقال: «**يا أبا بكرٍ، لعلَّك أغضَبتَهم؟ لئن كنت أغضَبتَهم لقد أغضَبتَ ربَّك**» فأتاهم فقال: يا إخوتاهُ، أغضَبتُكُم؟ قالوا: لا، يَغفرُ الله لك يا أخي[(٢)].

(٤٩) باب إجراءِ أحكامِ الناس على الظاهرِ، وسرائرُهم إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

٢٠٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُمِرت أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويُقيموا الصلاةَ،**

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٠٤).

ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عَصموا منِّي دماءهم وأموالَهم إلَّا بحقِّ الإسلام، وحسابُهم على الله تعالى»[(١)].

٢٠٦- وعن المقدادِ بن الأسودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت لرسولِ الله ﷺ: أرأيتَ إن لقيتُ رجلًا من الكفار، فاقتَتَلنا، فضربَ إحدى يَدَيَّ بالسيفِ، فقَطَعها، ثم لاذَ منِّي بشجرةٍ، فقال: أسلمتُ لله. أأقتُله يا رَسولَ الله بعد أن قالها؟ فقال: «**لا تَقتُله**» فقلت: يا رَسولَ الله، قطعَ إحدى يديَّ، ثم قال ذلك بعد ما قَطَعَها؟! فقال: «**لا تَقتُله، فإن قتلتَه فإنه بمنزِلتك قبل أن تَقتُله، وإنك بمنزلتِه قبل أن يقولَ كلمتَه التي قال**»[(٢)].

ومعنى «**إنه بمنزِلَتِك**» أي: معصومُ الدم محكومٌ بإسلامِه، ومعنى «**إنك بمنزلتِه**» أي: مباحُ الدم بالقصاصِ لورثتِه، لا أنه بمنزلتِه في الكفرِ، والله أعلم.

٢٠٧- وعن أسامةَ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بَعثَنا رسولُ الله ﷺ إلى الحُرَقةِ من جُهينةَ فصبَّحنا القومَ على مياهِهم، ولحِقتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلًا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلَّا الله، فكفَّ عنه الأنصاريُّ، وطعَنتُه برُمحي حتى قتلتُه، فلما قدِمنا بلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فقال لي: «**يا أسامةُ، أقتَلتَه بعد ما قال: لا إله إلَّا الله؟!**» قلت: يا رَسولَ الله، إنما كان مُتعَوِّذًا، فقال: «**أقتَلتَه بعد ما قالَ: لا إله إلَّا الله؟!**» فما زالَ يُكررها عليَّ حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلَمتُ قبل ذلك اليومِ[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١٩)، ومسلم (٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

٢٠٨- وعن عبدِ الله بن عتبةَ بن مسعودٍ، قال: سمعتُ عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إن ناسًا كانوا يُؤخذون بالوحي في عهدِ رسولِ الله ﷺ وإن الوحيَ قد انقطع، وإنما نأخُذُكم الآن بما ظَهر لنا من أعمالِكم، فمن أظهَرَ لنا خيرًا أَمِنَّاه وقرَّبناه، وليس لنا من سَريرتِه شيءٌ، الله يحاسبُه في سريرتِه، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمَنه ولم نُصدِّقه وإن قال: إن سَريرته حَسنةٌ[(١)].

(٥٠) بابُ الخوفِ

قال الله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود: ١٠٢ - ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١ - ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ الآيات [الرحمن: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤١).

مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨]، والآياتُ في البابِ كثيرةٌ جدًّا معلوماتٌ، والغرضُ الإشارةُ إلى بعضِها، وقد حَصَلَ.

٢٠٩- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدَّثَنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ: «**إن أحدَكُم يُجمع خلقه في بطنِ أمه أربعين يومًا، ثم يكون عَلَقةً مثل ذلك، ثم يكون مُضغةً مثل ذلك، ثم يُرسَل الملك، فيَنفُخ فيه الروحَ، ويُؤمَر بأربع كلماتٍ: بكَتبِ رزقِه وأجلِه وعملِه وشقيٌّ أو سعيدٌ، فوالذي لا إله غيرُه إن أحدَكم ليعمَل بعملِ أهل الجنةِ حتى ما يكون بينه وبينَها إلا ذراعٌ فيَسبِقُ عليه الكتابُ، فيعمل بعملِ أهل النار فيدخُلَها، وإن أحدَكم ليَعمَل بعملِ أهل النارِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيَسبِق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخُلَها**»(١).

٢١٠- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يُؤتى بجهنَّم يومئذٍ لها سبعون ألفَ زمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعون ألف ملكٍ يَجرُّونَها**»(٢).

٢١١- وعن النعمانِ بن بَشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إن أهونَ أهل النارِ عذابًا يوم القيامةِ لَرجلٌ يوضعُ في أخمصِ قدميه جَمرتان يَغلي منهما دماغُه، ما يرى أن أحدًا أشدَّ منه عذابًا، وأنه لأهونُهم عذابًا**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).

٢١٢- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خَطبَ رسولُ الله ﷺ خطبةً ما سمعت مثلَها قط، فقال: «**لو تَعلمون ما أعلَمُ، لضَحِكتُم قليلًا ولَبكيتُم كثيرًا**» فغطى أصحابُ رسولِ الله ﷺ وجوهَهم، لهم خَنين(١).

٢١٣- وعن المقدادِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**تُدنى الشمسُ يومَ القيامة من الخلقِ حتى تكون منهم كمِقدارِ ميلٍ**» قال سُليم بن عامرٍ -الراوي عن المقداد-: فوالله ما أدري ما يَعني بالميلِ، أمسافةَ الأرض أم الميلَ الذي تُكتَحل به العينُ؟ «**فيكونُ الناس على قَدْرِ أعمالهم في العرقِ، فمنهم من يكون إلى كعبَيه، ومنهم من يكون إلى رُكبتَيه، ومنهم من يكون إلى حَقوَيه، ومنهم من يُلجِمه العرقُ إلجامًا**» وأشارَ رسولُ الله ﷺ بيده إلى فيه(٢).

٢١٤- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ إذ سَمعَ وجبةً، فقال: «**هل تَدرون ما هذا؟**» قلنا: الله ورسولُه أعلمُ! قال: «**هذا حجرٌ رُمِي به في النارِ من سبعين خَريفًا، فهو يهوي في النارِ الآن حتى انتهى إلى قَعرِها فسمِعتُم وَجبَتَها**»(٣).

٢١٥- وعن عَديٍّ بن حاتمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما منكُم من أحدٍ إلا سيُكلِّمه ربُّه، ليس بينَه وبينه تَرجمان، فينظرُ أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قَدَّم، وينظر أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قَدَّم، وينظر بين يديه فلا يَرى إلا النارَ تِلقاء وجهِه، فاتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٢٣٥٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٤).
(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

٢١٦- وعن أبي بَرْزَةَ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَزولُ قدما عبدٍ يوم القيامةِ حتى يُسأَل عن عمرِه فيما أفناه؟ وعن عِلمِه فيما فعلَ؟ وعن مالِه من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقَه؟ وعن جِسمِه فيم أبلاه؟**»[(١)].

٢١٧- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كيف أنعَمُ! وصاحبُ القرنِ قد التقمَ القرنَ، واستمعَ الإِذنَ متى يُؤمَر بالنفخ فينفخُ**»، فكأنَّ ذلك ثقُلَ على أصحابِ رسولِ الله ﷺ فقال لهم: «**قولوا: حَسبُنا الله ونِعمَ الوكيلُ**»[(٢)].

٢١٨- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن خافَ أدلجَ، ومن أدلجَ بلغَ المنزلَ، ألا إن سلعةَ الله غاليةٌ، ألا إن سلعةَ الله الجنةُ**»[(٣)].

٢١٩- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**يُحشر الناس يومَ القيامة حفاةً عُراةً غُرلًا**» قلت: يا رَسولَ الله، النساءُ والرجالُ جميعًا ينظر بعضُهم إلى بعضٍ؟! قال: «**يا عائشةُ، الأمر أشدُّ من أن يُهمَّهم ذلك**»[(٤)].

(٥١) باب الرجاءِ

قال الله تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

﴿إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٢٢٠- وعن عبادةَ بن الصامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شَريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مَريمَ وروحٌ منه، والجنةَ والنارَ حقٌّ، أدخله الله الجنةَ على ما كان من العملِ**»[1].

٢٢١- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**يقولُ الله عز وجل: من جاءَ بالحسنةِ فله عشرُ أمثالها أو أزيد، ومن جاءَ بالسيئةِ فجزاءُ سيئة مثلها أو أغفرُ، ومن تقرَّب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرَّبَ مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يَمشي أتيتُه هرولةً، ومن لقيَني بقُرابِ الأرض خطيئةً لا يُشرِكُ بي شيئًا، لقيتُه بمثلها مغفرةً**»[2].

٢٢٢- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رَسولَ الله، ما الموجِبتان؟ قال: «**من ماتَ لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنةَ، ومن مات يُشرك به دخل النارَ**»[3].

٢٢٣- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ -ومعاذٌ رَديفه على الرَّحل- قال: «**يا مُعاذُ**» قال: لبَّيك رَسولَ الله وسَعدَيك، قال: «**يا مُعاذُ**» قال: لبَّيك رَسولَ الله وسَعدَيك، قال: «**يا مُعاذ**» قال: لبَّيك رَسولَ الله وسَعدَيك، ثلاثًا، قال: «**ما مِن**

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٧).
(٣) أخرجه مسلم (٩٣).

عبدٍ يشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا عبده ورسولُه صِدقًا من قلبِه؛ إلا حرَّمه الله على النارِ» قال: يا رَسولَ الله، أفلا أُخبرُ بها الناسَ فيَستَبشروا؟ قال: «**إذًا يتَّكِلوا**» فأخبرَ بها معاذٌ عند موتِه تأثُّمًا[1].

٢٢٤- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قُدِمَ على رسولِ الله ﷺ بسبيٍ، فإذا امرأةٌ من السبي تَسعى، إذا وَجدَت صبيًّا في السبيِ أخذَتهُ فألزقَتهُ ببطنِها فأرضَعتهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أترونَ هذه المرأةَ طارحةً ولَدَها في النارِ؟**» قلنا: لا والله. فقال: «**لله أرحَمُ بعبادِه من هذه بولَدِها**»[2].

٢٢٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لما خَلقَ الله الخَلقَ كتبَ في كتاب -فهو عندَهُ فوقَ العرشِ-: إنَّ رحمَتي تَغلِبُ غَضبي**»[3].

٢٢٦- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**جَعلَ الله الرحمةَ مئةَ جزءٍ، فأمسك عنده تِسعةً وتسعين، وأنزل في الأرضِ جزءًا واحدًا، فمِن ذلك الجزءِ يتراحمُ الخلائقُ، حتى ترفعُ الدابةُ حافِرَها عن ولدِها خشيةَ أن تصيبَه**»[4].

٢٢٧- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ فيما يَحكي عن ربِّه تعالى، قال: «**أذنَبَ عبدٌ ذنبًا، فقال: اللهُمَّ اغفر لي ذنبي، فقالَ الله تبارك وتعالى: أذنَبَ عبدي ذَنبًا، علِم أن له ربًّا يغفرُ الذنبَ، ويأخذ بالذنبِ، ثم عاد فأذنبَ، فقال: أي ربِّ، اغفر لي**

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

ذَنبي، فقال تَبارك وتعالى: عبدي أذنَبَ ذنبًا، فعَلِم أن له ربًّا، يغفرُ الذنب، ويأخذُ بالذنبِ، ثم عاد فأذنبَ، فقال: أي ربِّ، اغفر لي ذَنبي، فقال تَبارك وتعالى: أذنَبَ عبدي ذنبًا، فعَلِم أن له ربًّا، يغفرُ الذنب، ويأخذُ بالذنبِ، قد غَفرتُ لعبدي فليَفعَل ما شاءَ»(١).

٢٢٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيدِه، لو لم تُذنِبوا، لذهبَ الله بكم، وجاءَ بقومٍ يُذنِبون، فيستَغفِرون الله تعالى، فيغفرُ لهم»(٢).

٢٢٩- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية، وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨] فرفعَ يديه وقال: «اللهُمَّ أمَّتي أمَّتي» وبكى، فقال الله عز وجل: «يا جِبريلُ، اذهَب إلى محمدٍ -وربُّك أعلمُ- فسَله ما يُبكيه؟» فأتاه جبريلُ، فأخبره رسولُ الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالى: «يا جبريلُ، اذهب إلى محمدٍ، فقل: إنا سنُرضيك في أمَّتِك ولا نَسوؤك»(٣).

٢٣٠- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إن الكافرَ إذا عمِلَ حسنةً، أُطعمَ بها طُعمةً من الدنيا، وأمَّا المؤمنُ فإن الله تعالى يَدَّخر له حسناتِه في الآخرةِ، ويُعقِبه رزقًا في الدنيا على طاعتِه»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).

٢٣١- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثلُ الصلواتِ الخمسِ كمَثلِ نهرٍ جارٍ غَمرٍ على بابِ أحدِكم يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمسَ مرات»[(١)].

٢٣٢- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما مِن رجلٍ مسلمٍ يموت، فيقومُ على جنازتِه أربعون رَجلًا لا يُشركون بالله شيئًا، إلَّا شفَّعهم الله فيه»[(٢)].

٢٣٣- وعن ابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في قبة نحوًا من أربعين، فقال: «أترضون أن تكونوا ربعَ أهلِ الجنة؟» قلنا: نَعَم. قال: «أترضون أن تكونوا ثُلثَ أهلِ الجنةِ؟» قلنا: نعم، قال: «والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، إني لأرجو أن تكونوا نِصفَ أهلِ الجنةِ، وذلك أن الجنةَ لا يدخلُها إلا نَفْسٌ مسلمةٌ، وما أنتم في أهلِ الشركِ إلا كالشعرةِ البيضاء في جِلدِ الثورِ الأسودِ، أو كالشعرةِ السوداءِ في جلد الثورِ الأحمرِ»[(٣)].

٢٣٤- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامةِ دفعَ الله إلى كل مسلمٍ يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقول: هذا فِكاكُك من النارِ»[(٤)].

٢٣٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «يُدنَى المؤمنُ يوم القيامة من ربِّه عز وجل حتى يضعَ عليه كنفَه، فيُقرِّره بذنوبِه، فيقول:

---

(١) أخرجه مسلم (٦٦٨).
(٢) أخرجه مسلم (٩٤٨).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١).
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٦٧).

أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: أي ربِّ، أعرِفُ، قال: فإني قد سَترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليومَ، فيُعطى صحيفةَ حسناتِه»(١).

٢٣٦- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا أصاب من امرأةٍ قُبلةً، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبرَه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجلُ: أَلِي هذا يا رَسولَ الله؟ قال: «لجميعِ أمتي كلِّهم»(٢).

٢٣٧- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أصبتُ حدًّا فأقِمه عليَّ، وحضرت الصلاةُ، فصلى مع رسولِ الله ﷺ فلما قَضى الصلاةَ، قال: يا رسولَ الله، إني أصبتُ حدًّا فأقم فيَّ كتاب الله. قال: «هل حضَرتَ معنا الصلاةَ؟» قال: نعم. قال: «قد غُفِرَ لك»(٣).

٢٣٨- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى يَبسُط يدَه بالليلِ؛ ليَتوبَ مسيءُ النهارِ، ويبسطُ يده بالنهارِ؛ ليتوبَ مسيء الليلِ، حتى تطلُع الشمسُ من مغربِها»(٤).

(٥٢) باب فضلِ الرجاءِ

قال الله تعالى إخبارًا عن العبدِ الصالحِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: ٤٤، ٤٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤).
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

٢٣٩- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حيثُ يَذكُرني، والله، لله أفرحُ بتوبةِ عبدِه من أحدِكم يجِدُ ضالَّته بالفلاةِ، ومن تقرَّب إليَّ شِبرًا، تقرَّبتُ إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا، تقرَّبتُ إليه باعًا، وإذا أقبلَ إليَّ يَمشي أقبلتُ إليه أُهرولُ»(١).

٢٤٠- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه سمعَ النبيَّ ﷺ قبل موتِه بثلاثةِ أيامٍ، يقول: «لا يَموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسنُ الظنَّ بالله عز وجل»(٢).

(٥٣) بابُ الجمعِ بين الخوفِ والرجاءِ

اعلَم أن المختارَ للعبدِ في حالِ صحَّته أن يكون خائفًا راجيًا، ويكون خوفُه ورجاؤه سواءً، وفي حالِ المرضِ يَتمحَّضُ الرجاءُ، وقواعدُ الشرعِ من نصوصِ الكتابِ والسُّنة وغير ذلك متظاهرةٌ على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [الأعراف: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩﴾ [القارعة: ٦ - ٩] والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ، فيَجتمعُ الخوفُ والرجاءُ في آيتين مقترَنتَين أو آيات أو آية.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

٢٤١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لو يعلَمُ المؤمنُ ما عندَ الله من العقوبةِ، ما طمِعَ بجنَّتِه أحدٌ، ولو يعلمُ الكافرُ ما عندَ الله من الرحمةِ، ما قنطَ من جنَّته أحدٌ»(١).

٢٤٢- وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «الجنةُ أقربُ إلى أحدِكم من شِراكِ نَعلِه، والنارُ مثل ذلك»(٢).

(٥٤) باب فضلِ البكاءِ من خشيةِ الله تعالى وشوقًا إليه

قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم: ٥٩-٦٠].

٢٤٣- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآنَ» قلت: يا رَسولَ الله، أَقرأُ عليك، وعليك أُنزل؟! قال: «إني أحبُّ أن أسمَعه من غيري» فقرَأتُ عليه سورةَ النساءِ، حتى جئتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قال: «حَسبُك الآن» فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تَذرِفان(٣).

٢٤٤- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكى من خشيةِ الله حتى يَعودَ اللبنُ في الضَّرعِ، ولا يجتمِعُ غبارٌ في سبيلِ الله ودخانُ جهنَّمَ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠).
(٤) أخرجه الترمذي (١٦٣٣)، والنسائي (٣١٠٨)، وابن ماجه (٢٧٧٤).

٢٤٥- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سبعةٌ يُظلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ في عبادةِ الله تعالى، ورجلٌ قلبُه معلَّق بالمساجِدِ، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمال، فقال: إني أخافُ الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تَعلَم شمالُه ما تُنفِق يمينه، ورجلٌ ذكرَ الله خاليًا ففاضَت عيناه»[1].

(٥٥) بابُ فضلِ الزهدِ في الدنيا والحثِّ على التقلُّل منها وفضلِ الفقرِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥ - ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

عمران: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥﴾ [التكاثر: ١ - ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

٢٤٦- وعن عمرِو بن عوفٍ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ بعثَ أبا عبيدةَ بنَ الجراحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى البحرين يأتي بجِزيَتها، فقدِم بمالٍ من البحرين، فسمِعَت الأنصارُ بقدومِ أبي عبيدةَ، فوافَوا صلاةَ الفجرِ مع رسولِ الله ﷺ فلما صلى رسولُ الله ﷺ انصرفَ، فتَعَرَّضوا له، فتبَسَّم رسولُ الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «**أظنُّكم سمِعتُم أن أبا عبيدةَ قدم بشيءٍ من البحرين؟**» فقالوا: أجل، يا رَسولَ الله، فقال: «**أبشِروا وأمِّلوا ما يسُرُّكم، فواللهِ ما الفقرُ أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسطَ الدنيا عليكم كما بُسِطت على من كان قبلَكم، فتنافَسوها كما تنافَسوها، فتُهلككم كما أهلكتهُم**»(١).

٢٤٧- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جلسَ رسولُ الله ﷺ على المنبرِ، وجلسنا حولَه، فقال: «**إن مما أخافُ عليكم بَعدي ما يُفتحُ عليكم من زَهرةِ الدنيا وزينَتِها**»(٢).

٢٤٨- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «**يُؤتى بأنعمِ أهلِ الدنيا من أهلِ النارِ يومَ القيامة، فيُصبَغ في النارِ صبغةً، ثم يُقال: يا ابن آدم، هل**

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).

رأيتَ خيرًا قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربِّ، ويُؤتى بأشدِّ الناسِ بؤسًا في الدنيا من أهلِ الجنةِ، فيُصبغُ صبغةً في الجنةِ، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيتَ بؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدةٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا والله، ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدةً قطُّ»(١).

٢٤٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**لو كان لي مثلُ أُحدٍ ذهبًا، لسرني أن لا تمرَّ علي ثلاثُ ليالٍ وعندي منه شيءٌ، إلا شيءٌ أُرصِدُه لدَين**»(٢).

٢٥٠- وعن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رَسولَ الله، دُلَّني على عملٍ إذا عمِلته أحبَّني الله وأحبَّني الناسُ، فقال: «**ازهَد في الدُّنيا يُحبَّك الله، وازهَد فيما عند الناسِ يُحبَّك الناسُ**»(٣).

٢٥١- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: مرَّ علينا رسولُ الله ﷺ ونحن نُعالِجُ خُصًّا لنا، فقال: «**ما هذا؟**» فقلنا: قد وَهى، فنحن نُصلِحه، فقال: «**ما أرى الأمرَ إلَّا أعجلَ من ذلك**»(٤).

٢٥٢- وعن عبدِ الله بن الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقرأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «**يقولُ ابنُ آدمَ: مالي، مالي، وهل لك يا ابنَ آدم من مالك إلَّا ما أكَلتَ فأفنَيت، أو لبِستَ فأبلَيتَ، أو تصدَّقتَ فأمضَيتَ؟!**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٥)، ومسلم (٩٩١).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢).
(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٣٥)، والترمذي (٢٣٣٥)، وابن ماجه (٤١٦٠).
(٥) أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

٢٥٣- وعن عبدِ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نامَ رسولُ الله ﷺ على حَصيرٍ، فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِه، قلنا: يا رسولَ الله، لو اتخَذنا لك وِطاءً. فقال: «ما لي وللدُّنيا؟! ما أنا في الدُّنيا إلا كراكِبٍ استظَلَّ تحتَ شجرةٍ ثم راحَ وتَرَكها»(١).

٢٥٤- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخلُ الفُقراءُ الجنةَ قبل الأغنياءِ بخمسِ مئة عامٍ»(٢).

٢٥٥- وعن أسامةَ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «قُمتُ على بابِ الجنةِ، فكان عامةُ من دَخَلَها المساكينَ، وأصحابُ الجَدِّ محبوسون، غيرَ أن أصحابَ النارِ قد أُمِر بهم إلى النارِ»(٣).

(٥٦) باب فضلِ الجوعِ وخُشونةِ العَيشِ والاقتصارِ على القليلِ من المأكولِ والمشروبِ والملبوسِ وغيرِها من حُظوظِ النفوسِ وتركِ الشهواتِ

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ الآية [القصص: ٧٩ - ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٢).
(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ [الإسراء: ١٨]. والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

٢٥٦- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما شَبِعَ آلُ محمدٍ ﷺ من خبزِ شعيرٍ يومين متتابعين حتى قُبِضَ[(١)].

٢٥٧- وعن عروةَ، عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها كانت تقولُ: واللهِ، يا ابن أُختي، إن كنا لننظُرُ إلى الهلالِ، ثُم الهلالِ، ثُم الهلالِ: ثلاثةَ أهلَّةٍ في شهرين، وما أُوقِد في أبياتِ رسولِ الله ﷺ نارٌ. قلت: يا خالةُ، فما كان يُعيشُكُم؟ قالت: الأَسودان التَّمرُ والماءُ، إلا أنه قد كان لِرسولِ الله ﷺ جيرانٌ من الأنصارِ، وكانت لهم منائِحُ، فكانوا يُرسلون إلى رسولِ الله من ألبانِها فيَسقينا[(٢)].

٢٥٨- وعن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما رَأى رسولُ الله ﷺ النَّقِيَّ من حين ابتَعثه الله تعالى حتى قَبَضَه الله تعالى. فقيل له: هل كان لَكم في عهدِ رسولِ الله ﷺ مناخلُ؟ قال: ما رأى رسولُ الله ﷺ مُنخُلًا من حين ابتعَثه الله تعالى حتى قَبضه الله، فقيلَ له: كيف كنتم تأكلونَ الشعيرَ غير مَنخولٍ؟ قال: كنا نطحَنُه وننفُخُه، فيطيرُ ما طارَ، وما بقي ثَرَّيناه[(٣)].

٢٥٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: «**ما أخرَجَكُما من بيوتِكما هذه الساعةَ؟**» قالا: الجوعُ يا رَسولَ الله. قال: «**وأنا، والذي نفسي بيدِه، لَأخرَجني**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢).
(٣) أخرجه البخاري (٥٤١٣).

الذي أخرَجَكما، قوموا» فقاما معه، فأتى رجلًا من الأنصارِ، فإذا هو ليس في بيتِه، فلما رَأته المرأةُ، قالت: مرحبًا وأهلًا. فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**أين فلان؟**» قالت: ذهبَ يَستَعذِبُ لنا الماءَ. إذ جاءَ الأنصاريُّ، فنظرَ إلى رسولِ الله ﷺ وصاحِبَيه، ثم قال: الحمدُ لله، ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافًا منِّي، فانطلقَ فجاءهم بعِذقٍ فيه بُسر وتمرٌ ورُطب، فقال: كُلوا، وأخذ المُديةَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إياكَ والحلوبَ**» فذبَح لهم، فأكلوا من الشاةِ ومن ذلك العِذق وشَربوا. فلما أن شَبِعوا ورَووا قال رسولُ الله ﷺ لأبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**والذي نَفسي بيدِه، لتُسألُنَّ عن هذا النَّعيمِ يومَ القيامة، أخرَجَكم من بيوتِكم الجوعُ، ثم لم تَرجِعوا حتى أصابَكُم هذا النعيمُ**»[(١)].

٢٦٠- وعن خالدِ بن عُميرٍ العدوي، قال: خَطَبَنا عُتبةُ بن غَزوان، وكان أميرًا على البصرةِ، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ، فإن الدنيا قد آذَنَت بصَرمٍ، ووَلَّت حذَّاءَ، ولم يبقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابةِ الإناءِ يتصابُّها صاحِبُها، وإنكم مُنتَقِلون منها إلى دارٍ لا زوالَ لها، فانتَقِلوا بخيرِ ما بحَضرَتِكم، فإنه قد ذُكِر لنا أن الحجرَ يُلقى من شَفيرِ جهنَّم فيهوي فيها سبعين عامًا، لا يُدرك لها قعرًا، والله لتُملأنَّ، أفعجِبتُم؟! ولقد ذُكِر لنا أن ما بين مِصراعين من مَصاريعِ الجنةِ مَسيرةَ أربعين عامًا، وليأتين عليها يومٌ وهو كظيظٌ من الزحامِ، ولقد رأيتُني سابعَ سبعةٍ مع رسولِ الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلا ورقُ الشجرِ، حتى قَرِحَت أشداقُنا، فالتقطتُ بُردةً فشقَقتُها بيني وبين سعدِ بن مالكٍ، فاتَّزرتُ بنِصفِها، واتَّزرَ سعدٌ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

بنِصفِها، فما أصبحَ اليوم منَّا أحدٌ إلا أصبح أميرًا على مصرٍ من الأمصارِ، وإني أعوذُ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا، وعند الله صغيرًا[١].

٢٦١- وعن [أبي بُردةَ بنِ] أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أخرَجَت لنا عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كساءً وإزارًا غَليظًا، قالت: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ في هذين[٢].

٢٦٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهُمَّ اجعَل رزقَ آل محمدٍ قوتًا**»[٣]. قال أهلُ اللغةِ والغريبِ: معنى «**قوتًا**» أي: ما يسُدُّ الرَّمقَ.

٢٦٣- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: واللهِ الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتَمِد بكَبِدي على الأرض من الجوعِ، وإن كنت لأشدُّ الحجرَ على بطني من الجوعِ، ولقد قعَدتُ يومًا على طريقِهم الذي يَخرُجون منه، فمر بي النبيُّ ﷺ فتبسَّم حين رآني، وعرفَ ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: «**أبا هرٍّ**» قلت: لبيكَ يا رسولَ الله، قال: «**الحَقْ**» ومضى فاتَّبعتُه، فدخلَ فاستأذنَ، فأذنَ لي فدخلتُ، فوجدَ لبنا في قدحٍ، فقال: «**من أين هذا اللبنُ؟**» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة قال: «**أبا هرٍّ**» قلت: لبيكَ يا رسولَ الله، قال: «**الحَقْ إلى أهل الصُّفةِ فادعُهُم لي**» قال: وأهلُ الصفة أضيافُ الإسلامِ، لا يأوون على أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هديةٌ أرسلَ إليهم، وأصابَ منها، وأشركَهُم فيها، فساءني ذلك، فقُلت: وما هذا اللبن في أهل الصفةِ! كنت أحقُّ أن أصيبَ من هذا اللبن شَربةً أتقوَّى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أُعطيهم، وما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٨١٨)، ومسلم (٢٠٨٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

عسى أن يَبلُغني من هذا اللبنِ، ولم يكن من طاعةِ الله وطاعةِ رسولِ الله ﷺ بُدٌّ، فأتيتُهم فدعَوتُهم، فأقبلوا واستأذَنوا، فأَذِن لهم وأخذوا مجالِسَهم من البيتِ، قال: «**يا أبا هرٍّ**» قلت: لبيكَ يا رسولَ الله، قال: «**خُذ فأعطِهم**» فأخَذتُ القَدحَ، فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيَشربُ حتى يَروَى، ثم يردُّ عليَّ القدحَ، فأعطيه الآخرَ فيشربُ حتى يَروَى، ثم يردُّ عليَّ القدح، فأعطيه الآخر فيشربُ حتى يروى، ثم يردُّ علي القدحَ حتى انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وقد روي القومُ كلُّهم، فأخذ القدحَ فوضعه على يدِه، فنظرَ إليَّ فتبسَّم، فقال: «**أبا هرٍّ**» قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: «**بقيتُ أنا وأنت**» قلت: صدَقتَ يا رسولَ الله، قال: «**اقعُد فاشرَب**» فقعَدتُ فشرِبتُ، فقال «**اشرب**» فشربتُ، فما زال يقولُ: «**اشرب**» حتى قلتُ: لا، والذي بعثَك بالحقِّ ما أجدُ له مَسلكًا! قال: «**فأرني**» فأَعطَيتُه القدحَ، فحمد الله تعالى، وسمَّى وشرِبَ الفضلةَ[(١)].

٢٦٤- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رَهنَ النبيُّ ﷺ دِرعَه بشعيرٍ، ومَشيتُ إلى النبيِّ ﷺ بخبزِ شعيرٍ، وإهالةٍ سَنِخةٍ، ولقد سمعتُه يقول: «**ما أصبَحَ لآلِ محمدٍ إلَّا صاعٌ، ولا أمسى**» وإنهم لتِسعةُ أبياتٍ[(٢)].

٢٦٥- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان فِراشُ رسولِ الله ﷺ من أَدَم حَشوُه ليفٌ[(٣)].

٢٦٦- وعن المقدامِ بن مَعدي كَربٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٦).

يقول: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسبِ ابن آدمَ أَكلاتٍ يُقِمن صُلبَه، فإن كان لا مَحالةَ فثُلُثُ لطعامِه، وثلث لشرابِه، وثلث لنَفَسِه**»[(١)].

٢٦٧- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إنَّا يومَ الخندقِ نحفِرُ، فعرَضَت كُديةٌ شديدة، فجاؤوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كُديةٌ عَرَضَت في الخندقِ. فقال: «**أنا نازِلٌ**» ثم قامَ، وبطنُه معصوبٌ، ولبِثنا ثلاثةَ أيامٍ لا نذوقُ ذواقًا، فأخذَ النبيُّ ﷺ المِعولَ، فضربَ فعاد كثيبًا أهيَلَ، فقُلت: يا رَسولَ الله، ائذن لي إلى البيتِ، فقلت لامرأتي: رأيتُ بالنبيِّ ﷺ شيئًا ما في ذلك صبرٌ؛ فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعيرٌ وعَناقٌ، فذبَحتُ العَناقَ، وطَحَنَتِ الشَّعيرَ، حتى جَعَلنا اللحمَ في البُرمة، ثم جئتُ النبيَّ ﷺ والعَجينُ قد انكسَرَ، والبُرمة بين الأثافيِّ قد كادت تنضِجُ، فقلت: طُعَيِّمٌ لي، فقم أنت يا رَسولَ الله ورجلٌ أو رجلان، قال: «**كم هو؟**» فذكرتُ له، فقال: «**كَثيرٌ طيِّبٌ، قل لها: لا تَنزِع البُرمة، ولا الخبزَ من التنورِ حتى آتي**» فقال: «**قوموا**» فقامَ المهاجرون والأنصارُ، فدَخَلتُ عليها فقلت: ويحَك جاءَ النبيُّ ﷺ والمهاجرون والأنصارُ ومن معَهم! قالت: هل سألَك؟ قلت: نَعم، قال: «**ادخُلوا ولا تَضاغَطوا**» فجعلَ يكسِرُ الخبزَ، ويجعلُ عليه اللحم، ويخمِّر البُرمة والتنورَ إذا أخذ منه، ويُقرِّب إلى أصحابِه ثم ينزعُ، فلم يزل يكسرُ ويغرِفُ حتى شبِعوا، وبقيَ منه، فقال: «**كُلي هذا وأَهدي، فإنَّ الناسَ أصابَهُم مَجاعةٌ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٥٧) باب القناعةِ والعفافِ والاقتصادِ في المعيشةِ والإنفاقِ وذمِّ السؤالِ من غير ضرورةٍ

قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٧].

وأمَّا الأحاديثُ فتقدَّم معظمُها في البابَينِ السابقَينِ، ومما لم يتقدَّم:

٢٦٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ليسَ الغِنى عن كثرةِ العَرَضِ، ولكن الغِنى غِنى النفسِ**»[١].

«العَرَض»: المالُ.

٢٦٩- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**قد أفلَحَ من أسلَمَ، ورُزِقَ كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه**»[٢].

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥٤).

٢٧٠- وعن حكيم بن حزامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم قال: «**يا حَكيمُ، إن هذا المالَ خضرٌ حُلوٌ، فمَن أخذَهُ بسخاوةِ نفسٍ بورِك له فيه، ومَن أخذَه بإشرافِ نفسٍ لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يَأكُل ولا يَشبعُ، واليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى**» قال حكيمٌ: فقلت: يا رَسولَ الله، والذي بعثَك بالحقِّ لا أرزأُ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارقَ الدنيا، فكان أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يدعو حَكيمًا ليُعطيه العَطاءَ، فيأبى أن يَقبَل منه شيئًا، ثم إنَّ عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دعاه ليُعطِيَه فأبى أن يَقبَله. فقال: يا معشرَ المسلمين، أُشهِدُكم على حكيمٍ أني أعرِضُ عليه حقَّه الذي قسَمَ الله له في هذا الفيءِ فيأبى أن يأخَذَه. فلم يَرزَأ حَكيمٌ أحدًا من الناسِ بعد النبيِّ ﷺ حتى تُوفي(١).

«**يَرزأُ**» أي: لم يأخُذ من أحدٍ شيئًا، وأصلُ الرُّزء: النقصانُ، أي: لم يُنقِص أحدًا شيئًا بالأخذ منه، و«**إشراف النفس**»: تطلُّعها وطمعُها بالشيءِ، و«**سخاوة النفس**»: هي عدمُ الإشرافِ إلى الشيء، والطمعِ فيه، والمبالاةِ به والشَّرَهِ.

٢٧١- وعن عمرو بن تَغلِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ أُتي بمالٍ أو سبيٍ فقسمهُ، فأعطى رجالًا، وترك رجالًا، فبلغه أن الذين تَركَ عَتَبوا، فحمِدَ الله تعالى، ثم أثنى عليه، ثم قالَ: «**أما بعدُ، فوالله، إني لأعطي الرجلَ وأدعُ الرجلَ، والذي أدعُ أحبُّ إليَّ من الذي أُعطي، ولكني أُعطي أقوامًا لما أرى في قلوبِهم من الجزعِ والهَلعِ، وأَكِلُ أقوامًا إلى ما جعلَ الله في قلوبهم من الغِنى والخيرِ، منهم عَمرو بن تَغلِب**» فوالله، ما أحبُّ أن لي بكلمةِ رسولِ الله ﷺ حمر النعم(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٩٢٣).

٢٧٢- وعن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً، فقال: «**ألا تُبايِعون رسولَ الله**» وكنا حَديثي عهدٍ ببيعةٍ، فقلنا: قد بايَعناك يا رَسولَ الله، ثم قال: «**ألا تُبايِعون رسولَ الله**» فبَسَطنا أيدِيَنا، وقلنا: قد بايَعناك يا رسولَ الله! فعَلامَ نُبايِعُك؟ قال: «**على أن تَعبدوا الله ولا تُشرِكوا به شيئًا، والصَّلواتِ الخمسِ وتُطيعوا**» وأسرَّ كلمةً خفيةً «**ولا تَسألوا الناسَ شيئًا**» فلقد رأيتُ بعض أولئك النفرِ يَسقطُ سوطُ أحدِهم فما يسألُ أحدًا يناولُه إياه[1].

٢٧٣- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تَزالُ المسألةُ بأحدِكم حتى يَلقى الله تعالى وليسَ في وجهِه مُزعةُ لحمٍ**»[2].

٢٧٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن سألَ الناسَ تَكثرًا فإنَّما يَسألُ جَمرًا؛ فليَستقِلَّ أو ليستكثِرَ**»[3].

٢٧٥- وعن ابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أصابتهُ فاقةٌ فأنزَلَها بالناسِ لم تُسدَّ فاقتُه، ومن أنزلها بالله، فيوشِك الله له برِزقٍ عاجلٍ أو آجلٍ**»[4].

٢٧٦- وعن ثوبانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن تكَفَّل لي أن لا يَسألَ الناسَ شيئًا، وأتكفَّلُ له بالجنةِ؟**» فقلتُ: أنا، فكان لا يَسألُ أحدًا شيئًا[5].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).
(٣) أخرجه مسلم (١٠٤١).
(٤) أخرجه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦).
(٥) أخرجه أبو داود (١٦٤٣).

(٥٨) باب جواز الأخذِ من غيرِ مسألةٍ ولا تطلُّعٍ إليه

٢٧٧- وعن سالمِ بن عبدِ الله بن عمرَ، عن أبيهِ عبدِ الله بن عمرَ، عن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعطيني العَطاءَ، فأقولُ: أعطِه مَن هو أفقرُ إليه مِنِّي. فقال: «خُذه، إذا جاءك من هذا المالِ شيءٌ وأنت غير مُشرِفٍ ولا سائلٍ، فخُذه فتَمَوَّله، فإن شئتَ كُله، وإن شِئتَ تَصدَّق به، وما لا، فلا تُتبِعه نفسَك» قال سالمٌ: فكان عبدُ الله لا يسألُ أحدًا شيئًا، ولا يردُّ شيئًا أُعطِيَه[(١)].

(٥٩) باب الحثِّ على الأكلِ من عملِ يدِه والتعفُّفِ به عن السؤالِ والتعرضِ للإعطاءِ

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠].

٢٧٨- وعن الزبيرِ بن العوامِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَأن يَأخُذَ أحدُكم أحبُلَه ثم يأتي الجبلَ، فيأتي بحزمةٍ من حَطبٍ على ظهرِه فيَبيعَها، فيكفَّ الله بها وجهَه، خيرٌ له من أن يَسألَ الناسَ، أَعطَوه أو مَنَعوه»[(٢)].

٢٧٩- وعن المقدامِ بن مَعدِ يكرِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكلَ من عملِ يده، وإنَّ نبيَّ الله داودَ عليه السلام كان يأكُلُ من عملِ يدِه»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٧١٦٣)، ومسلم (١٠٤٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٢).

(٦٠) باب الكرمِ والجودِ والإنفاقِ في وجوهِ الخيرِ ثقةً بالله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٢٨٠- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا حَسدَ إلَّا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالًا، فسلَّطه على هلكَتِهِ في الحقِّ، ورجلٌ آتاه الله حكمةً، فهو يَقضي بها ويُعلِّمها**»[1].

٢٨١- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أيُّكم مالُ وارِثه أحبُّ إليه من مالِه؟**» قالوا: يا رَسولَ الله، ما منا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه. قال: «**فإن مالَه ما قَدَّم، ومالُ وارِثه ما أخَّرَ**»[2].

٢٨٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن يوم يُصبحُ العبادُ فيه إلا مَلَكان يَنزِلان، فيَقول أحدُهما: اللهُمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلفًا، ويقولُ الآخرُ: اللهُمَّ أعطِ ممسكًا تَلفًا**»[3].

٢٨٣- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**قالَ الله تعالى: أنفِق يُنفَق عليك**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٢).
(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٤) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

٢٨٤- وعن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يا ابن آدمَ، إنك أن تبذُلَ الفضلَ خيرٌ لك، وأن تُمسِكه شرٌّ لك، ولا تُلامُ على كفافٍ، وابدأ بمن تَعولُ، واليد العليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى**»[١].

٢٨٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما نَقَصَت صدقةٌ من مالٍ، وما زادَ الله عبدًا بعَفوٍ إلا عِزًّا، وما تواضَع أحدٌ لله إلا رَفعَه الله عز وجل**»[٢].

٢٨٦- وعن أسماءَ بنت أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**أَنفِقي أو انفَحي، أو انضَحي، ولا تُحصي فيُحصى عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك**»[٣].

٢٨٧- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن تَصدَّق بعَدلِ تمرةٍ من كسبٍ طيِّبٍ -ولا يَقبلُ الله إلا الطيبَ- فإن الله يَقبَلُها بيمينِه، ثم يُربِّيها لصاحِبها كما يُربي أحدُكُم فَلُوَّه حتى تكون مثلَ الجبلِ**»[٤].

(٦١) باب النَّهيِ عن البُخلِ والشحِّ

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٨ - ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (١٤٣٣)، ومسلم (١٠٢٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

٢٨٨- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**اتَّقوا الظلمَ؛ فإن الظلمَ ظُلماتٌ يومَ القيامةِ، واتقوا الشحَّ؛ فإن الشُّحَّ أهلكَ من كان قبلَكم، حَمَلَهم على أن سَفكوا دِماءَهم واستَحَلوا مَحارِمهم**»[(١)].

(٦٢) باب الإيثارِ والمواساةِ

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧﴾ [الدهر: ٨] إلى آخر الآياتِ.

٢٨٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إني مَجهودٌ، فأرسَل إلى بعضِ نسائه، فقالت: والذي بعثَك بالحقِّ، ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسلَ إلى أخرى، فقالت مثلَ ذلك، حتى قُلن كُلُّهن مثلَ ذلك: لا والذي بعثَك بالحقِّ، ما عندي إلا ماءٌ. فقال: «**مَن يُضيفُ هذا الليلةَ؟**» فقال رجلٌ من الأنصارِ: أنا يا رَسولَ الله، فانطلقَ به إلى رَحلِه، فقال لامرأتِه: أَكرِمي ضيفَ رسولِ الله ﷺ[(٢)].

وفي روايةٍ قال لامرأتِه: هل عندكِ شيءٌ؟ قالت: لا، إلا قوتَ صِبياني. قال: عَلِّليهم بشيءٍ، وإذا أرادوا العَشاءَ فنَوِّميهم، وإذا دخلَ ضَيفُنا فأطفِئي السراجَ، وأريه أنا نأكُلُ. فقَعدوا وأكلَ الضيفُ وباتا طاوِيين، فلما أصبَح غَدَا على النبيِّ ﷺ فقال: «**لقد عَجِبَ الله من صَنيعِكما بضيفِكما الليلةَ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

٢٩٠- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في سفرٍ مع النبيِّ ﷺ إذ جاءَ رجلٌ على راحلةٍ له، فجعلَ يصرِفُ بصرَه يَمينًا وشِمالًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**من كان معه فضلُ ظهرٍ فليَعُد به على من لا ظَهرَ له، ومن كان له فَضلٌ من زادٍ، فليَعُد به على من لا زادَ له**» فذَكرَ من أصنافِ المالِ ما ذكرَ حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فضلٍ[١].

٢٩١- وعن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن امرأةً جاءت إلى رسولِ الله ﷺ ببُردةٍ منسوجةٍ، فقالت: نسجتُها بيدي لأَكسُوَكَها، فأخذَها النبيُّ ﷺ محتاجًا إليها، فخرجَ إلينا وإنها إزارُه، فقال فلانٌ: اكسُنيها ما أحسَنَها! فقال: «**نَعَم**» فجلسَ النبيُّ ﷺ في المجلسِ، ثم رجعَ فطَواها، ثم أرسلَ بها إليه: فقال له القومُ: ما أحسَنتَ! لبِسَها النبيُّ ﷺ مُحتاجًا إليها، ثم سألتَه وعلِمتَ أنه لا يردُّ سائِلًا، فقال: إني والله ما سألتُه لأَلبَسها، إنما سألتُه لتكون كَفَني. قال سهلٌ: فكانت كَفنَه[٢].

(٦٣) باب التنافسِ في أمورِ الآخرةِ والاستكثارِ مما يُتبرَّك به

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

٢٩٢- وعن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ أُتِيَ بشرابٍ، فشربَ منه وعن يَمينِه غُلامٌ، وعن يسارِه الأشياخُ، فقال للغلامِ: «**أتأذَنُ لي أن أُعطِيَ هؤلاء؟**» فقال الغُلامُ: لا والله يا رَسولَ الله، لا أوثِرُ بنَصيبي منك أحدًا. فَتَلَّه رسولُ الله ﷺ في يدِه[٣]. «**تلَّه**»: أي: وضعه.

(١) أخرجه مسلم (١٧٢٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٦).
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

٢٩٣- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**بينا أيوبُ عليه السلامُ يغتسلُ عُريانًا، فخرَّ عليه جرادٌ من ذهبٍ، فجعل أيوبُ يَحتثي في ثوبِه، فناداه ربُّه عزَّ وجلَّ: يا أيوبُ، ألم أكن أغنَيتُك عما ترى؟! قال: بلى وعزَّتِك، ولكن لا غِنى بي عن بركَتِك**»(١).

(٦٤) باب فضلِ الغَنيِّ الشاكرِ

وهو مَن أخذَ المالَ من وجهِه، وصَرفَه في وجوهِه المأمورِ بها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥ - ٧]، وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧ - ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧١]، وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢] والآياتُ في فضلِ الإنفاقِ في الطاعاتِ كثيرةٌ مَعلومةٌ.

٢٩٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن فُقراءَ المهاجرين أتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: ذهبَ أهلُ الدُّثورِ بالدرجاتِ العُلى، والنعيمِ المقيمِ، فقال: «**وما ذاك؟**» فقالوا: يُصلون كما نُصلي، ويَصومون كما نَصومُ، ويتصدَّقون ولا نتصدَّق، ويَعتقون ولا نَعتِق، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أفلا أُعلِمُكم شيئًا تُدركون به من سبَقَكُم، وتَسبِقون به من بَعدَكم، ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكم إلَّا من صَنعَ مثلَ ما**

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩).

صنَعتُم؟» قالوا: بلى يا رَسولَ الله، قال: «**تُسبِّحون وتَحمَدون وتُكبِّرون، دُبرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثَلاثين مرةً**» فرجعَ فُقراءُ المهاجرين إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: سمعَ إخوانُنا أهلُ الأموالِ بما فعلنا، ففعلوا مثلَه؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**ذلك فَضلُ الله يؤتيه مَن يَشاءُ**»[1].

«**الدُّثور**»: الأموالُ الكثيرةُ.

(٦٥) باب ذِكرِ الموتِ وقِصرِ الأملِ

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ٩ - ١١]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ

---

(١) أخرجه البخاري ٣ (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١١٥]، وقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦]، والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

٢٩٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ بمَنكِبي، فقال: «**كُن في الدنيا كأنَّك غَريبٌ أو عابرُ سبيلٍ**» وكان ابنُ عمرَ يقول: إذا أمسَيتَ فلا تنتظر الصَّباحَ، وإذا أصبَحتَ فلا تنتَظِر المساءَ، وخُذ من صحَّتِك لمرضِك، ومن حياتِك لموتِك[(١)].

٢٩٦- وعن عبدِ الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ، له شيءٌ يوصي فيه، يبيتُ ليلتين إلا ووصيَّتُه مكتوبةٌ عنده**»[(٢)].

٢٩٧- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطًّا مربَّعًا، وخط خطًّا في الوسطِ خارجًا منه، وخط خُططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسطِ من جانبِه الذي في الوسطِ، فقال: «**هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه محيطًا به -أو قد أحاطَ به- وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخططُ الصِّغارُ الأعراضُ، فإن أخطأَهُ هذا، نهَشَه هذا، وإن أخطأهُ هذا، نهَشَه هذا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

(٣) أخرجه البخاري • (٦٤١٧).

٢٩٨- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَكثِروا ذكرَ هاذمِ اللذات»[(١)].

(٦٦) باب استحبابِ زيارةِ القُبورِ للرجالِ وما يقولُه الزائرُ

٢٩٩- وعن بريدةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كُنتُ نَهيتُكم عن زيارةِ القبورِ فزوروها»[(٢)].

٣٠٠- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمهم إذا خرجوا إلى المقابرِ أن يقولَ قائِلُهم: «السلامُ عليكُم أهلَ الديارِ من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاءَ الله بكم للاحِقون، أسألُ الله لنا ولكمُ العافيةَ»[(٣)].

(٦٧) باب كراهةِ تمني الموتِ بسببِ ضرٍّ نزلَ به ولا بأسَ به لخوفِ الفتنةِ في الدين

٣٠١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يَتَمَنَّى أحدُكُم الموتَ، إما مُحسنًا فلَعَلَّه يَزداد، وإمَّا مُسيئًا فلعلَّه يَستَعتِب»[(٤)].

٣٠٢- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يتَمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لضرٍّ أصابَه، فإن كان لا بد فاعلًا، فليقُل: اللهُمَّ أحيِني ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٣٥)، ومسلم (٢٦٨٢).

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٦٨) باب الورعِ وتركِ الشبهات

قال الله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ١٤].

٣٠٣- وعن النعمانِ بن بشيرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إن الحلالَ بَيِّن، وإن الحرامَ بَيِّن، وبينَهما مشتَبِهات لا يَعلَمهُنَّ كثيرٌ من الناسِ، فمن اتَّقى الشبهاتِ، استبرَأَ لدينِه وعِرضِه، ومَن وقعَ في الشبهاتِ وقعَ في الحرام، كالراعي يَرعى حولَ الحِمى يوشِك أن يرتَعَ فيه، ألَا وإن لكل ملكٍ حمى، ألَا وإنَّ حِمى الله محارمُه، ألا إن في الجسدِ مُضغةً إذا صلحَت صلُحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسَدَت فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ»[١].

٣٠٤- وعن النواسِ بن سمعانَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «البرُّ: حسنُ الخلقِ، والإثمُ: ما حاك في نفسِك، وكرِهتَ أن يَطَّلِع عليه الناسُ»[٢].

٣٠٥- وعن الحسنِ بن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: حفِظتُ من رسولِ الله ﷺ: «دَع ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك»[٣].

(٦٩) باب استحبابِ العُزلةِ عند فسادِ الناسِ والزمانِ أو الخوفِ من فتنةٍ في الدين ووقوعٍ في حرامٍ وشبهاتٍ ونحوها

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات: ٥٠].

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٨).

٣٠٦- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: أي الناس أفضلُ يا رَسولَ الله؟ قال: «مؤمنٌ يجاهدُ بنفسِه ومالِه في سبيلِ الله» قال: ثمَّ مَن؟ قال: «ثم رجلٌ معتزلٌ في شِعبٍ من الشعابِ يعبدُ ربَّه»[(١)].

٣٠٧- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يوشِك أن يكونَ خيرُ مال المسلمِ غنمٌ يتبعُ بها شعفَ الجبالِ، ومواقعَ القطرِ يفرُّ بدينِه من الفتنِ»[(٢)].

٣٠٨- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «مِن خيرِ معاشِ الناسِ لهم: رجل ممسكٌ عنانَ فَرسِه في سبيلِ الله، يطيرُ على متنِه كلما سمعَ هَيعةً أو فزعةً، طار عليه يبتَغي القتلَ والموتَ مَظانَّه، أو رجلٌ في غُنَيمةٍ في رأسِ شَعفةٍ من هذه الشعَفِ، أو بطنِ وادٍ من هذه الأوديةِ، يُقيم الصلاةَ، ويؤتي الزكاة، ويَعبدُ ربه حتى يأتيَه اليقين، ليس من الناسِ إلا في خيرٍ»[(٣)].

(٧٠) باب فضلِ الاختلاطِ بالناسِ، وحضورِ جُمعِهم وجماعاتِهم، ومشاهدِ الخيرِ، ومجالسِ الذِّكرِ معهم، وعيادةِ مَريضِهم، وحُضورِ جنائِزهم، ومواساةِ مُحتاجِهم، وإرشادِ جاهِلِهم، وغيرِ ذلك من مَصالحهم لمن قدرَ على الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وقَمعِ نفسِه عن الإيذاءِ وصبرَ على الأذى.

اعلَم أن الاختلاطَ بالناسِ على الوجهِ الذي ذَكرتُه هو المختارُ الذي كان عليه رسولُ الله ﷺ وسائرُ الأنبياءِ صلوات الله وسلامُه عليهم، وكذلك الخلفاءُ الراشدون، ومَن بعدَهم من الصحابةِ والتابعين، ومن بَعدَهُم من علماءِ المسلمين وأخيارِهم.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).
(٢) أخرجه البخاري (١٩).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٨٩).

(٧١) باب التَّواضعِ وخفضِ الجناحِ للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ [الأعراف: ٤٨ - ٤٩].

٣٠٩- وعن عياضَ بن حمارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضَعوا حتى لا يَفخَر أحدٌ على أحدٍ، ولا يَبغي أحدٌ على أحدٍ**»(١).

٣١٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما نَقَصَت صدقةٌ من مالٍ، وما زادَ الله عَبدًا بعفوٍ إلا عِزًّا، وما تَواضعَ أحدٌ لله إلا رفَعَه**»(٢).

٣١١- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه مرَّ على صِبيان، فسلَّم عليهم، وقال: كان النبيُّ ﷺ يفعلُه(٣).

٣١٢- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إن كانت الأَمةُ من إماءِ المدينةِ لتأخذُ بيدِ النبيِّ ﷺ فتَنطلِق به حيثُ شاءَت(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).
(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٧٧)، وعلقه البخاري (٦٠٧٢).

٣١٣- وعن الأسودِ بن يزيدَ، قال: سُئِلت عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: ما كان النبيُّ ﷺ يصنعُ في بيتِه؟ قالت: كان يكون في مهنةِ أهلِه -يعني: خِدمةِ أهلِه- فإذا حضرتِ الصلاةُ، خرجَ إلى الصلاةِ[(١)].

٣١٤- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لو دُعيتُ إلى كُراع أو ذِراعٍ لأجبتُ، ولو أُهديَ إليَّ ذراعٌ أو كُراعٌ لقَبِلت**»[(٢)].

٣١٥- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: كانت ناقةُ رسولِ الله ﷺ العضباءُ لا تُسبَق، أو لا تَكادُ تُسبَق، فجاءَ أعرابي على قَعودٍ له، فسبَقَها، فشقَّ ذلك على المسلمين حتى عرفَه، فقال: «**حقٌّ على الله أن لا يرتَفِعَ شيءٌ من الدنيا إلا وَضعَه**»[(٣)].

(٧٢) باب تَحريمِ الكِبرِ والإعجابِ

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

ومعنى ﴿تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: أي تُميله وتُعرِض به عن الناسِ تَكبرًا عليهم. والمرحُ: التبختُرُ. وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٨).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠١).

ﭐلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ [القصص: ٧٦]، إلى قوله تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ الآيات [القصص: ٨١].

٣١٦- وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يَدخُل الجنةَ من كان في قَلبِه مِثقالُ ذرةٍ من كبرٍ!**» فقال رجلٌ: إن الرجلَ يحبُّ أن يكون ثَوبُه حسنًا، ونَعلُه حسنةً؟ قال: «**إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ، الكِبرُ: بطرُ الحقِّ وغَمطُ الناسِ**»[(١)].

٣١٧- وعن سَلمةَ بن الأكوعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا أكلَ عند رسولِ الله ﷺ بشمالِه، فقال: «**كل بيَمينِك**» قال: لا أَستطيعُ! قال: «**لا استَطَعت**» ما مَنعَه إلا الكِبرُ. قال: فما رَفَعها إلى فيه[(٢)].

٣١٨- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**احتَجَّت الجنةُ والنار، فقالت النارُ: فيَّ الجبارونَ والمتكبِّرون، وقالت الجنةُ: فيَّ ضُعفاءُ الناسِ ومساكينُهم، فقَضى الله بينهما: أنَّكِ الجنةُ رحمتي أرحَمُ بك من أشاءُ، وأنك النارُ عَذابي أعذِّبُ بك من أشاءُ، ولِكِليكُما عليَّ ملؤها**»[(٣)].

٣١٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَنظُر الله يومَ القيامة إلى من جرَّ إزارَه بَطرًا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٧).
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

٣٢٠- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**العِزُّ إزارُه، والكِبرياءُ رِداؤه، فمن يُنازِعني عَذَّبتُه**»(١).

٣٢١- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يَمشي في حلةٍ تُعجبُه نفسُه، مرجَّل رأسُه، يختالُ في مِشيتِه، إذ خسفَ الله به، فهو يتجَلجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ**»(٢).

٣٢٢- وعن سلمةَ بن الأكوعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يَزالُ الرجلُ يذهبُ بنفسِه حتى يُكتَب في الجبارين، فيُصيبُه ما أصابَهم**»(٣).

(٧٣) باب حسنِ الخُلق

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [ن: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] الآية.

٣٢٣- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناسِ خُلقًا(٤).

٣٢٤- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ما مَسِستُ ديباجًا ولا حَريرًا ألينَ من كفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَمِمتُ رائحةً أطيبَ من رائحةِ رسولِ الله ﷺ، ولقد خدَمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنين، فما قال لي قطُّ: أفٍّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا لشيءٍ لم أفعلهُ: ألا فعلتَ كذا؟(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٠).
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢٣١٠).
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦١، ٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩، ٢٣٣٠).

٣٢٥- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لم يكن رَسولُ الله ﷺ فاحِشًا ولا متفَحِّشًا، وكان يقولُ: «**إن مِن خيارِكم أحسَنَكُم أخلاقًا**»[(١)].

٣٢٦- وعن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما مِن شيءٍ أثقلُ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ من حُسنِ الخُلقِ، وإن الله يُبغضُ الفاحِشَ البَذيَّ**»[(٢)].

٣٢٧- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ عن أكثرِ ما يُدخلُ الناسَ الجنة؟ قال: «**تقوى الله تعالى وحُسنُ الخلقِ**» وسُئلَ عن أكثرِ ما يُدخل الناسَ النارَ، فقال: «**الفمُ والفَرْجُ**»[(٣)].

٣٢٨- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن المؤمن ليُدرِكُ بحُسنِ خُلقِه درجةَ الصائمِ القائم**»[(٤)].

٣٢٩- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ من أحبِّكم إليَّ، وأقربِكم منِّي مَجلِسًا يومَ القيامة، أحاسنُكم أخلاقًا، وإن أبغضَكم إليَّ وأبعَدَكم منِّي يومَ القيامةِ، الثرثارون والمتشدِّقون والمتفَيهِقون**» قالوا: يا رسولَ الله، قد عَلِمنا الثرثارون والمتشَدِّقون، فما المتفَيهِقون؟ قال: «**المتكبِّرون**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٠١٨).

(٧٤) باب الحلمِ والأناةِ والرفقِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

٣٣٠- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ لأشَجِّ عبدِ القيسِ: «**إنَّ فيك خَصلَتين يُحبُّهما الله: الحِلمُ والأَناةُ**»(١).

٣٣١- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله رَفيقٌ يحبُّ الرفقَ في الأمرِ كلِّه**»(٢).

٣٣٢- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَه، ولا يُنزَع من شيءٍ إلا شانَه**»(٣).

٣٣٣- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بالَ أعرابيٌّ في المسجدِ، فقامَ الناسُ إليه ليَقعوا فيه، فقال النبيُّ ﷺ: «**دَعوه وأَريقوا على بولِه سَجلًا من ماءٍ، أو ذَنوبًا من ماءٍ، فإنَّما بُعِثتُم مُيسِّرين ولم تُبعَثوا مُعسِّرين**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٠).

٣٣٤- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا**»(١).

٣٣٥- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما خُيِّر رسولُ الله ﷺ بَين أمرين قَطُّ إلا أخذَ أيسَرَهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا، كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتَقَم رسولُ الله ﷺ لنَفسِه في شيءٍ قطُّ، إلا أن تُنتَهَك حرمةُ الله، فيَنتَقِم لله تعالى(٢).

(٧٥) باب العَفوِ والإعراضِ عن الجاهلين

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى: ٤٣] والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

٣٣٦- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها قالت للنبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومِ أحدٍ؟ قال: «**لقد لَقيتُ من قومِك، وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ، إذ عَرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلال، فلم يُجِبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستَفِق إلا وأنا بقَرنِ الثعالِبِ، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسَحابةٍ قد أظلَّتني، فنظَرتُ فإذا فيها جبريلُ ﷺ فناداني، فقالَ: إن الله تعالى قد سَمِعَ قولَ قومِك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملَكَ الجبالِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

لتأمُره بما شئتَ فيهم، فناداني مَلَك الجبالِ، فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمدُ إن الله قد سمعَ قولَ قومِك لك، وأنا ملك الجبالِ، وقد بعثَني ربي إليك لتأمُرني بأمرِك، فما شئتَ؟ إن شئتَ أطبَقتُ عليهم الأخشَبينِ» فقال النبيُّ ﷺ: «**بل أَرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابِهم من يَعبُد الله وحدَه لا يُشرِك به شيئًا**»[(١)].

٣٣٧- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما ضَربَ رسولُ الله ﷺ شيئًا قطُّ بيدِه، ولا امرأةً ولا خادمًا، إلا أن يجاهدَ في سبيلِ الله، وما نِيلَ منه شيءٌ قط فينتقم من صاحبِه، إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارمِ الله تعالى، فينتقمُ لله تعالى[(٢)].

٣٣٨- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أَمشي مع رسولِ الله ﷺ وعليه بُردٌ نَجرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأَدركَه أعرابيٌّ فجبَذَه بردائِه جَبذةً شَديدةً، فنظرتُ إلى صفحةِ عاتقِ النبيِّ ﷺ وقد أَثَّرَت بها حاشيةُ الرداءِ من شدةِ جَبذَتِه، ثم قال: يا محمدُ، مُر لي من مالِ الله الذي عندك. فالتفَتَ إليه، فضَحِك ثم أَمرَ له بعطاءٍ[(٣)].

٣٣٩- وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كأني أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ يَحكي نبيًّا من الأنبياءِ، ضربه قومُه فأدموه، وهو يمسحُ الدم عن وجهِه، ويقول: «**اللهم اغفِر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٧٧).

(٧٦) باب احتمالِ الأذى

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى: ٤٣] وفي البابِ الأحاديثُ السابقةُ في البابِ قبلَه.

٣٤٠- وعن أبي هُريرةَ رضي الله تعالى عنه: أن رَجلًا، قال: يا رَسولَ الله، إن لي قرابةً أَصلُهم ويَقطعوني، وأُحسنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، وأحلُم عنهم ويَجهلون عليَّ! فقال: «**لِئِن كنتَ كما قُلتَ، فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ، ولا يزالُ معك من الله تعالى ظَهيرٌ عليهم ما دُمتَ على ذلك**»(١).

(٧٧) باب الغضبِ إذا انتُهِكت حُرماتُ الشَّرعِ والانتصارِ لدين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

٣٤١- وعن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: إني لأَتأَخَّرُ عن صلاةِ الصبحِ من أجلِ فلان مما يُطيلُ بنا! فما رأيتُ النبيَّ ﷺ غضِبَ في موعظةٍ قطُّ أشدَّ مما غضبَ يومئذٍ؛ فقال: «**يا أيُّها الناسُ، إن منكُم مُنفِّرين، فأيُّكم أمَّ الناس فليوجِز؛ فإن مِن ورائِه الكَبيرَ والصغيرَ وذا الحاجةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤)، ومسلم (٤٦٦).

٣٤٢- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من سَفرٍ، وقد ستَرتُ سهوةً لي بقرام فيه تماثيلُ، فلما رآه رَسولُ الله ﷺ هتكَه وتَلوَّن وجهُه، وقال: «**يا عائشةُ، أشدُّ الناسِ عذابًا عند الله يوم القيامةِ الذين يُضاهون بخَلقِ الله!**»(١).

«**السَّهْوة**»: كالصُّفَّة تكونُ بينَ يدي البيتِ. و«**القِرام**»: سترٌ رقيقٌ، و«**هتكَه**»: أفسدَ الصورةَ التي فيه.

٣٤٣- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن قُريشًا أهمَّهم شأنُ المرأةِ المخزوميةِ التي سرقَت، فقالوا: من يُكلِّم فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يَجترئُ عليه إلا أسامةُ بنُ زيدٍ حِبُّ رسولِ الله ﷺ؟ فكلَّمه أسامةُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أتَشفَعُ في حدٍّ من حُدودِ الله؟!**» ثم قامَ فاختَطَبَ، ثم قال: «**إنَّما أهلَكَ الذين قبلَكُم أنهم كانوا إذا سَرقَ فيهم الشريفُ تَركوه، وإذا سرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وايمُ الله، لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سَرَقت لقَطَعتُ يَدها**»(٢).

(٧٨) باب أمرِ ولاةِ الأمورِ بالرِّفقِ برعاياهم ونَصيحتِهم والشفقةِ عليهم والنهي عن غِشِّهم والتشديدِ عليهم وإهمالِ مَصالحهم والغَفلةِ عنهم وعن حوائِجهم

قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

٣٤٤- وعن معقلِ بن يسارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما مِن عبدٍ يَستَرعيه الله رعيةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لرعيتِه، إلا حرَّمَ الله عليه الجنةَ»(١).

٣٤٥- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ في بيتي هذا: «اللهُمَّ من وَلِيَ من أمرِ أمتي شيئًا فشقَّ عليهم؛ فاشقُق عليه، ومن وَلِيَ من أمرِ أمتي شيئًا فرفق بهم؛ فارفُق به»(٢).

٣٤٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «كانت بنو إِسرائيلَ تَسوسُهم الأنبياءُ، كلما هلكَ نبيٌّ خَلفَه نبيٌّ، وإنه لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ بَعدي خُلفاءُ فيكثرون» قالوا: فما تَأمُرنا؟ قال: «أوفوا ببَيعةِ الأولِ فالأولِ، ثم أَعطوهم حَقَّهم، واسألوا الله الذي لَكُم، فإنَّ الله تعالى سائِلُهم عما استَرعاهُم»(٣).

٣٤٧- وعن أبي مريمَ الأزديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه قال لمعاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من ولَّاه الله شيئًا من أمورِ المسلمين، فاحتجبَ دون حاجَتِهم وخلَّتِهم وفقرِهم، احتجبَ الله دون حاجتِه وخلته وفقرِه يوم القيامةِ» فجعلَ معاويةُ رجلًا على حوائجِ الناس(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٩٤٨)، والترمذي (١٣٣٢).

(٧٩) باب الوالي العادلِ

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠] الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

٣٤٨- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابرَ من نورٍ: الذين يَعدلون في حُكمِهم وأهليهم وما وُلوا**»[1].

٣٤٩- وعن عوفِ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**خيارُ أئمَّتِكم الذين تُحبونَهم ويُحبونَكم، وتُصلون عليهم ويُصلون عَليكُم، وشِرارُ أئمَّتِكم الذين تُبغِضونهم ويُبغضونكم، وتَلعنونهم ويَلعنونكم!**» قال: قلنا: يا رَسولَ الله، أفلا نُنابِذُهم؟ قال: «**لا؛ ما أقاموا فيكُم الصلاةَ، لا؛ ما أقاموا فيكُم الصلاةَ**»[2].

٣٥٠- وعن عياضِ بن حمارٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**أهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سلطانٍ مقسطٍ موفَّق، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلبِ لكل ذي قُربى ومسلم، وعفيفٌ متعففٌ ذو عيالٍ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٨٠) باب وجوبِ طاعةِ وُلاةِ الأمورِ في غير معصيةٍ وتحريمِ طاعتِهم في المعصية

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

٣٥١- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**على المرءِ المسلمِ السمعُ والطاعةُ فيما أحبَّ وكرِهَ، إلَّا أن يؤمرَ بمعصيةٍ، فإذا أُمرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةَ**»[(١)].

٣٥٢- وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**من خَلعَ يدًا من طاعةٍ لَقِيَ الله يومَ القيامةِ ولا حجةَ له، ومن ماتَ وليسَ في عنقِه بيعةٌ، ماتَ ميتةً جاهليةً**»[(٢)].

٣٥٣- وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اسمَعوا وأَطيعوا، وإن استُعمِلَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ، كأنَّ رأسَه زَبيبةٌ**»[(٣)].

٣٥٤- وعن عبدِ الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ، فنزلنا منزلًا، فمنا من يُصلِح خباءه، ومنَّا من ينتَضِل، ومنَّا من هو في جَشَرِه، إذ نادى منادي رسولِ الله ﷺ: الصلاةُ جامعةٌ. فاجتمعنا إلى رسولِ الله ﷺ فقال: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته على خيرِ ما يعلمُه**

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).
(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٢).

لهم، ويُنذرَهم شرَّ ما يعلمُه لهم، وإن أمتكم هذه جُعِل عافيتُها في أولها، وسيُصيب آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنةٌ يرقق بعضُها بعضًا، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمن: هذه مُهلِكتي، ثم تنكَشِف، وتجيءُ الفتنة فيقولُ المؤمن: هذه هذه. فمن أحبَّ أن يُزَحزَح عن النارِ، ويدخل الجنةَ، فلتأتِه منِيَّتُه وهو يؤمن بالله واليومِ الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يُحبُّ أن يؤتى إليه، ومن بايعَ إمامًا فأعطاه صَفقةَ يدِه، وثمرةَ قلبِه، فليُطعه إن استطاعَ، فإن جاءَ آخر يُنازِعه فاضربوا عنقَ الآخرِ»[١].

٣٥٥- وعن وائلِ بن حُجرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سألَ سلمةُ بن يَزيدَ الجُعفيُّ رسولَ الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، أرأيتَ إن قامت علينا أمراءُ يسألونا حقَّهم، ويَمنعونا حقَّنا، فما تأمُرُنا؟ فأعرضَ عنه، ثم سألهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اسمَعوا وأَطيعوا، فإنَّما عليهِم ما حُمِّلوا، وعليكُم ما حُمِّلتُم**»[٢].

٣٥٦- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أطاعني فقد أطاعَ الله، ومن عَصاني فقد عصى الله، ومن يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعني، ومن يَعصِ الأميرَ فقد عصاني**»[٣].

٣٥٧- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**مَن كَرِه من أميرِه شيئًا فليَصبِر، فإنه من خرجَ من السلطانِ شبرًا مات ميتةً جاهليةً**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٨١) باب النهي عن سؤالِ الإمارةِ واختيارِ تركِ الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدعُ حاجةٌ إليه

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

٣٥٨- وعن عبدِ الرحمنِ بن سمُرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا عبدَ الرحمنِ بنَ سمُرةَ، لا تسألِ الإمارةَ؛ فإنك إن أُعطيتَها عن غيرِ مسألةٍ أُعِنت عليها، وإن أُعطيتَها عن مَسألةٍ وكِلت إليها، وإذا حَلَفتَ على يمينٍ، فرَأيتَ غيرَها خيرًا منها، فأتِ الذي هو خيرٌ وكَفِّر عن يمينِك**»(١).

٣٥٩- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، إني أراكَ ضَعيفًا، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي، لا تَأَمَّرَن على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يتيمٍ**»(٢).

٣٦٠- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنكم ستَحرِصون على الإمارةِ، وستكونُ نَدامةً يوم القيامةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٨).

(٨٢) باب حثِّ السُّلطانِ والقاضي وغيرِهما من ولاةِ الأمورِ على اتخاذِ وزيرٍ صالحٍ وتحذيرِهم من قُرناءِ السوءِ والقبولِ منهم

قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

٣٦١- وعن أبي سعيدٍ وأبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما بَعثَ الله من نبيٍّ، ولا استَخلَفَ من خليفةٍ إلَّا كانت له بِطانَتان: بطانةٌ تأمُرُه بالمعروفِ وتحضُّه عليه، وبطانةٌ تأمُرُه بالشرِّ وتَحضُّه عليه، والمعصومُ مَن عَصمَ الله**»(١).

٣٦٢- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أرادَ الله بالأميرِ خيرًا، جعلَ له وزيرَ صدقٍ، إن نسيَ ذَكَّره، وإن ذَكَر أعانه، وإذا أرادَ به غير ذلك جعل له وزيرَ سوء، إن نسي لم يُذَكِّره، وإن ذَكَرَ لم يُعِنه**»(٢).

(٨٣) باب النهي عن توليةِ الإمارةِ والقَضاءِ وغيرِهما من الولاياتِ لمن سألَها أو حرصَ عليها فعَرَّضَ بها

٣٦٣- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَخَلتُ على النبيِّ ﷺ أنا ورَجلان من بني عمِّي، فقال أحدُهما: يا رَسولَ الله، أَمِّرنا على بعضِ ما ولاكَ الله عزَّ وجلَّ وقال الآخرُ مثلَ ذلك، فقال: «**إنا والله لا نُوَلي هذا العملَ أحدًا سألَه، أو أحدًا حرِصَ عليه**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٣٢)، والنسائي (٤٢٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

كتابُ الأدبِ

(١) بابُ الحياءِ وفضلِه والحثِّ على التخلُّقِ به

٣٦٤- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ مرَّ على رجلٍ من الأنصارِ وهو يَعِظُ أخاه في الحياءِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعه، فإن الحياءَ من الإيمانِ**»(١).

٣٦٥- وعن عِمران بن حُصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ**»(٢).

٣٦٦- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون -أو بضعٌ وستون- شعبة: فأفضلُها قولُ: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ**»(٣).

٣٦٧- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراءِ في خِدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهُه عَرفناه في وجهِه(٤).

قال العلماءُ: حقيقةُ الحياءِ خلُقٌ يَبعثُ على تركِ القبيحِ، ويمنعُ من التقصيرِ في حقِّ ذي الحقِّ، وروِّينا عن أبي القاسم الجُنيد رَحِمَهُٱللَّهُ، قال: الحياءُ: رؤيةُ الآلاءِ -أي: النعم- ورؤيةُ التقصيرِ، فيتولَّدُ بينهما حالةٌ تُسمَّى حياءً.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).
(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٢) باب حفظِ السرِّ

قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤].

٣٦٨- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن مِن أشرِّ الناسِ عند الله منزلةً يومَ القيامةِ الرجلَ يُفضي إلى المرأةِ وتُفضي إليه، ثم يَنشُرُ سِرَّها**»[(١)].

٣٦٩- وعن عبدِ الله بن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، أن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ حين تأيَّمَت بنتُه حفصةُ، قال: لقيت عثمانَ بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فعرَضتُ عليه حفصةَ، فقلت: إن شئتَ أنكحتُك حفصةَ بنت عمرَ؟ فقال: سأنظرُ في أمري. فلبثتُ ليالي ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوَّجَ يومي هذا. فلقيتُ أبا بكرٍ الصديقَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فقلت: إن شئتَ أنكحتُك حفصةَ بنت عمر، فصَمت أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فلم يرجع إليَّ شيئًا! فكنت عليه أوجدُ مني على عثمانَ، فلبثت ليالي ثم خَطَبَها النبيُّ ﷺ فأنكحتُها إياه. فلقيني أبو بكرٍ، فقال: لعلَّك وجدتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ فقلتُ: نَعم، قال: فإنه لم يَمنَعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ إلا أني كنت علمتُ أن النبيَّ ﷺ ذكرَها، فلم أكن لأُفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ، ولو تَركها النبيُّ ﷺ لقَبِلتُها[(٢)].

٣٧٠- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: كنَّ أزواجُ النبيِّ ﷺ عنده، فأقبَلَت فاطمةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا تَمشي، ما تُخطئُ مشيتُها من مشيةِ رسولِ الله ﷺ شيئًا، فلما رآها

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠٥).

رحبَ بها، وقال: «**مرحبًا بابنتي**»، ثم أجلَسَها عن يمينِه أو عن شمالِه، ثم سارَّها فبكت بكاءً شديدًا، فلما رأى جَزَعها، سارَّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصَّك رسولُ الله ﷺ من بين نسائِه بالسرارِ، ثم أنت تبكين! فلما قامَ رسولُ الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسولُ الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأُفشيَ على رسولِ الله ﷺ سِرَّه، فلما توفي رسولُ الله ﷺ قلت: عَزَمتُ عليك بما لي عليك من الحقِّ، لَمَا حدَّثتِني ما قال لك رسولُ الله ﷺ! فقالت: أمَّا الآن فنعَم، أما حين سارني في المرةِ الأولى فأخبَرَني أن جبريلَ ﷺ كان يُعارِضه القرآنَ في كلِّ سنةٍ مرةً أو مرتين، وأنه عارضهُ الآن مرتين، وإني لا أرى الأجلَ إلا قد اقتربَ، فاتقي الله واصبري، فإنه نِعم السلفُ أنا لك، فبكيتُ بكائي الذي رأيتِ، فلما رأى جَزعي سارَّني الثانيةَ، فقال: «**يا فاطمةُ، أما تَرضَين أن تكوني سيدةَ نساءِ المؤمنين، أو سيدةَ نساءِ هذه الأمةِ؟**» فضَحِكتُ ضحكي الذي رأيتِ[١].

٣٧١- وعن ثابتٍ، عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا ألعبُ مع الغِلمان، فسلَّم علينا، فبَعثني إلى حاجةٍ، فأبطأتُ على أُمِّي، فلما جئتُ، قالت: ما حبَسَك؟ فقلتُ: بَعثني رسولُ الله ﷺ لحاجةٍ، قالت: ما حاجَتُه؟ قلتُ: إنَّها سِرٌّ. قالت: لا تُخبِرنَّ بسرِّ رسولِ الله ﷺ أحدًا، قال أنسٌ: والله لو حَدَّثتُ به أحدًا لحدَّثتُك به يا ثابتُ[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٨٩)، ومسلم (٢٤٨٢).

(٣) باب الوفاءِ بالعهدِ وإنجازِ الوعدِ

قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٢ - ٣].

٣٧٢- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «**أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاقِ حتى يَدَعها: إذا اؤْتُمِن خان، وإذا حَدث كذبَ، وإذا عاهدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فَجرَ**»[(١)].

٣٧٣- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «**لو قد جاءَ مالُ البحرين أعطيتُك هكذا وهكذا وهكذا**» فلم يجئ مال البحرين حتى قُبِض النبيُّ ﷺ فلما جاءَ مالُ البحرين أمرَ أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فنادى: من كان له عند رسولِ الله ﷺ عِدَةٌ أو دَينٌ فليأتِنا، فأتيتُه وقلت له: إن النبيَّ ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثَى لي حثية فعَدَدتُها، فإذا هي خمسُ مئة، فقال لي: خُذ مِثلَيها[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٦)، ومسلم (٢٣١٤).

(٤) باب الأمر بالمحافظةِ على ما اعتادهُ من الخيرِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ [النحل: ٩٢]، والأنكاثُ: جمعُ نِكْثٍ، وهو الغزلُ المنقوضُ. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحديد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

٣٧٤- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا عبدَ الله، لا تَكُن مثلَ فلان، كان يَقومُ الليل فترك قيامَ الليل**»[(١)].

(٥) باب استحبابِ طيبِ الكلام وطلاقةِ الوجه عند اللقاءِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٣٧٥- وعن عَديِّ بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اتَّقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجد فبِكلمةٍ طيبةٍ**»[(٢)].

٣٧٦- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**لا تَحقِرَنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تلقى أخاكَ بوجه طلقٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).
(٢)) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٦) باب استحباب بيان الكلامِ وإيضاحِه للمخاطَبِ وتكريرِه ليَفهَم إذا لم يَفهَم إلا بذلك

٣٧٧- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ كان إذا تكَلَّم بكلمةٍ أعادها ثلاثًا حتى تُفهَم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّم عليهم سلمَ عليهم ثلاثًا[١].

٣٧٨- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: كان كلامُ رسولِ الله ﷺ كلامًا فَصلًا يفهمُه كل من يَسمعُه[٢].

(٧) باب إصغاءِ الجليسِ لحديثِ جليسِه الذي ليس بحرامٍ واستنصاتِ العالم والواعظِ حاضري مجلسِه

٣٧٩- وعن جَريرِ بن عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ في حجةِ الوداعِ: «**استَنصِتِ الناسَ**» ثم قال: «**لا تَرجِعوا بعدي كفارًا يَضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[٣].

(٨) باب الوعظ والاقتصادِ فيه

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

٣٨٠- وعن شقيقِ بن سلمةَ، قال: كان ابنُ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُذكِّرنا في كلِّ خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبدِ الرحمن، لوَدِدتُ أنك ذكَّرتَنا كل يومٍ، فقال: أما

---

(١) أخرجه البخاري (٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

إنَّه يمنعُني من ذلك أني أكرهُ أن أُمِلَّكم، وإني أتخَوَّلُكم بالموعظةِ، كما كان رسولُ الله ﷺ يتَخَوَّلنا بها مخافةَ السآمةِ علينا[(١)].

«**يتخوَّلنا**»: يتعَهَّدُنا.

٣٨١- وعن عمارِ بن ياسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إن طولَ صلاةِ الرجلِ، وقِصرَ خُطبتِه، مَئِنَّةٌ من فِقهِه، فأطيلوا الصلاةَ واقْصُروا الخُطبةَ**»[(٢)]. «مَئِنَّة»: أي: علامة دالة على فقهِه.

(٩) باب الوَقارِ والسكينةِ

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

٣٨٢- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ مُستَجمِعًا قطُّ ضاحكًا حتى تُرى منه لهواتُه، إنما كان يتبسَّمُ[(٣)]. «اللَّهْوات» جمعُ لهاةٍ: وهي اللحمةُ التي في أقصى سقفِ الفمِ.

(١٠) باب الندبِ إلى إتيانِ الصلاةِ والعِلمِ ونحوهما من العباداتِ بالسَّكينةِ والوقارِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠)، ومسلم (٢٨٢١).
(٢) أخرجه مسلم (٨٦٩).
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٢٨)، ومسلم (٨٩٩).

٣٨٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إذا أُقيمتِ الصلاةُ، فلا تَأتوها وأنتم تَسعَون، وأتوها وأنتم تَمشون عليكُم السكينةُ، فما أدرَكتُم فصَلُّوا، وما فاتَكُم فأتموا**»(١).

٣٨٤- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنه دَفعَ مع النبيِّ ﷺ يومَ عرفةَ فسمعَ النبيُّ ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبلِ، فأشارَ بسوطِه إليهم، وقال: «**أيها الناسُ، عليكم بالسكينةِ، فإن البرَّ ليس بالإيضاعِ**»(٢).

(١١) باب إكرامِ الضَّيفِ

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨﴾ [هود: ٧٨].

٣٨٥- وعن أبي شُريحٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ فليُكرِم ضيفَه جائزتَه**» قالوا: وما جائزتُه؟ يا رَسولَ الله، قال: «**يومُه وليلَتُه، والضيافةُ ثلاثةُ أيامٍ، فما كان وراءَ ذلك فهو صَدقةٌ عليه**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٧١)، ومسلم (١٢٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

(١٢) باب استحباب التَّبشيرِ والتهنئةِ بالخيرِ

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨]، وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هود: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١]، وقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾ [آل عمران: ٤٥] الآية، والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

٣٨٦- وعن عبدِ الله بن أبي أَوفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ بَشَّرَ خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ببيتٍ في الجنةِ من قَصبٍ، لا صخبَ فيه، ولا نَصبَ(١).

«**القصب**»: هنا اللؤلؤُ المجوفُ، و«**الصخبُ**»: الصياحُ واللغطُ، و«**النصبُ**»: التعبُ.

٣٨٧- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه توضَّأ في بيتِه، ثم خرجَ، فقال: لأَلْزَمَنَّ رسولَ الله ﷺ ولأكونَنَّ معه يومي هذا، فجاءَ المسجِدَ، فسأَلَ عن النبيِّ ﷺ فقالوا وَجَّه هاهنا، قال: فخَرَجتُ على أثرِه أسألُ عنه، حتى دخلَ بئرَ أَريسٍ، فجَلستُ عند البابِ حتى قَضى رسولُ الله ﷺ حاجتَه وتوضَّأ، فقُمتُ

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٩)، ومسلم (٢٤٣٣).

إليه، فإذا هو قد جلسَ على بئرِ أَريسٍ وتوسَّط قُفَّها، وكشفَ عن ساقيهِ ودَلَّاهما في البئرِ، فسلَّمت عليه ثم انصرَفتُ، فجلستُ عند البابِ، فقلتُ: لأَكونَنَّ بوابَ رسولِ الله ﷺ اليومَ، فجاءَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فدفعَ الباب، فقُلت: من هذا؟ فقال: أبو بكرٍ، فقُلت: على رِسلِك، ثم ذَهَبتُ، فقلتُ: يا رَسولَ الله، هذا أبو بكرٍ يَستأذِن، فقال: «**ائذَن له وبَشِّرهُ بالجنةِ**» فأقبلتُ حتى قلت لأبي بكرٍ: ادخُل ورسولُ الله ﷺ يُبَشِّرُك بالجنةِ، فدخلَ أبو بكرٍ حتى جلسَ عن يمين النبيِّ ﷺ معه في القُفِّ، ودلَّى رجليه في البئرِ كما صنعَ رسولُ الله ﷺ وكشفَ عن ساقيهِ، ثم رجَعتُ فجلَستُ، وقد تركتُ أخي يتوضَّأ ويلحَقُني، فقلت: إن يُرِد الله بفلان – يريدُ أخاه– خيرًا يأت به. فإذا إنسانٌ يحرِّك الباب، فقلتُ: من هذا؟ فقال: عمرُ بنُ الخطابِ، فقلت: على رِسلِك، ثُم جئتُ إلى رسولِ الله ﷺ فسلَّمت عليه وقلت: هذا عمرُ يَستأذِن؟ فقال: «**ائذَن له وبشِّرهُ بالجنةِ**» فجئتُ عمرَ، فقلت: أذن ادخل ويُبَشِّرك رسولُ الله ﷺ بالجنةِ، فدخلَ فجلسَ مع رسولِ الله ﷺ في القُفِّ عن يسارِه ودلى رجليهِ في البئرِ، ثم رجعتُ فجلَستُ، فقلت: إن يُرِد الله بفلان خيرًا -يعني أخاه- يأتِ به، فجاء إنسانٌ فحرَّك الباب. فقلتُ: من هذا؟ فقال: عثمانُ بنُ عفانَ. فقلتُ: على رِسلِك، وجئتُ النبيَّ ﷺ فأخبَرتُه، فقال: «**ائذَن له وبشِّره بالجنةِ مع بَلوى تُصيبُه**» فجئتُ، فقُلت: ادخُل ويبشِّرُك رسولُ الله ﷺ بالجنةِ مع بَلوى تُصيبُك، فدخلَ فوجدَ القُفَّ قد مُلِئَ، فجَلسَ وِجاهَهُم من الشِّقِّ الآخرِ(١).

«**القفُّ**»: المبني حول البئرِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

٣٨٨- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا قُعودًا حولَ رسولِ الله ﷺ معنا أبو بكرٍ وعمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في نفرٍ، فقامَ رسولُ الله ﷺ من بين أظهُرِنا فأبطأَ علينا، وخَشينا أن يُقتَطَع دوننا وفزِعنا فقُمنا، فكنتُ أولَ من فزعَ، فخرجتُ أبتغي رسولَ الله ﷺ حتى أتيتُ حائطًا للأنصارِ لبني النجار، فدُرتُ به هل أجدُ له بابًا؟ فلم أجِد! فإذا ربيعٌ يدخلُ في جوفِ حائطٍ من بئر خارجه -والربيعُ: الجدول الصغيرُ- فاحتَفَزتُ، فدخلتُ على رسولِ الله ﷺ فقال: «**أبو هريرةَ؟**» فقلت: نَعم، يا رسولَ الله، قال: «**ما شأْنك؟**» قلت: كنتَ بين أظهُرِنا فقمتَ فأبطأتَ علينا، فخَشينا أن تُقتَطَع دوننا، ففَزِعنا، فكنتُ أولَ من فزعَ، فأتيت هذا الحائطَ، فاحتَفَزتُ كما يَحتفِزُ الثعلبُ، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: «**يا أبا هريرةَ**» وأعطاني نَعلَيه، فقال: «**اذهَب بنعليَّ هاتين، فمن لَقيتَ من وراءِ هذا الحائطِ يشهدُ أن لا إله إلَّا الله مُستيقِنًا بها قلبُه، فبَشِّره بالجنةِ...**» وذكرَ الحديثَ بطوله[١].

(١٣) باب وداعِ الصاحبِ ووصيَّتِه عند فراقِه لسفرٍ وغيره والدعاءِ له وطلبِ الدعاءِ منه

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٢ - ١٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٣١).

٣٨٩- وعن سالِمِ بن عبدِ الله بن عمرَ: أن عبدَ الله بنَ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، كان يقولُ للرجلِ إذا أرادَ سَفرًا: ادن منِّي حتى أودِّعك كما كان رَسولُ الله ﷺ يُوَدِّعُنا، فيقولُ: «أستودِعُ الله دينَك، وأمانَتَك، وخَواتيمَ عَمَلِك»[(١)].

٣٩٠- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ

٣٩١- الله، إني أريدُ سفرًا؛ فزَوِّدني، فقال: «زَوَّدك الله التقوى» قال: زِدني قال: «وغفرَ ذنبَك» قال: زِدني، قال: «ويسَّرَ لك الخيرَ حيثُما كنتَ»[(٢)].

(١٤) باب الاستخارةِ والمشاوَرةِ

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

٣٩٢- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعلِّمنا الاستخارةَ في الأمورِ كلِّها كالسورةِ من القرآنِ، يقولُ: «إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمرِ، فليركَع ركعتين من غيرِ الفَريضةِ، ثم ليَقُل: اللهُمَّ إني أستَخيرُك بعِلمِك، وأستَقدِرُك بقُدرتِك، وأسألُك من فَضلِك العظيمِ، فإنك تَقدِر ولا أقدرُ، وتعلَمُ ولا أعلمُ، وأنت علَّامُ الغيوبِ، اللهُمَّ إن كنتَ تعلمُ أن هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومَعاشي وعاقبةِ أمري» أو قال: «عاجلِ أمري وآجِلِه، فاقدُره لي ويسِّره لي، ثُم بارِك لي فيه، وإن كنت تَعلَم أن هذا الأمرَ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقِبة أمري» أو قال: «عاجلِ أمري وآجِلِه؛

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٤٣)، وأبو داود (٢٦٠٠)، وابن ماجه (٢٨٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٤٤).

فاصرِفه عنِّي، واصرِفني عنه، واقدُر لِيَ الخيرَ حيثُ كان، ثم أرضِني به» قال: «ويُسمِّي حاجَته»[(١)].

(١٥) باب استحبابِ الذهابِ إلى العيدِ وعيادةِ المريضِ والحجِّ والغزوِ والجنازةِ ونحوها من طريقٍ، والرجوعِ من طريقٍ آخرَ لتَكثيرِ مواضعِ العبادةِ

٣٩٣- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا كان يومُ عيدٍ خالَفَ الطَّريقَ[(٢)].

قولُه: «خالَفَ الطريقَ» يعني: ذهَبَ في طريقٍ ورجَعَ في طريقٍ آخرَ.

٣٩٤- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ كان يَخرُج من طريقِ الشجرةِ، ويدخلُ من طريقِ المعرسِ، وإذا دخل مكة، دخل من الثنية العُليا، ويخرجُ من الثنية السُّفلى[(٣)].

(١٦) باب استحبابِ تقديمِ اليَمينِ في كل ما هو من بابِ التكريمِ

كالوُضوءِ والغُسل والتيمُّم، ولبسِ الثوبِ والنعلِ والخفِّ والسراويلِ ودخولِ المسجدِ، والسواكِ، والاكتحالِ، وتَقليم الأظفارِ، وقصِّ الشاربِ، ونتفِ الإبطِ، وحلقِ الرأسِ، والسلامِ من الصَّلاةِ، والأكلِ، والشُّربِ، والمصافحةِ، واستِلامِ الحَجرِ الأسودِ، والخروجِ من الخَلاءِ، والأخذِ والعَطاءِ وغيرِ ذلك مما هو في معناه.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٣٣)، ومسلم (١٢٥٧).

ويُستحبُّ تقديمُ اليسارِ في ضِدِّ ذلك، كالامتخاطِ والبُصاقِ عن اليسارِ، ودخولِ الخَلاءِ، والخروجِ من المسجدِ، وخَلعِ الخُفِّ والنعلِ والسراويلِ والثوبِ، والاستنجاءِ وفعلِ المستقذراتِ وأشباه ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: ١٩] الآيات، وقال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ [الواقعة: ٨ - ٩].

٣٩٥- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُعجِبه التَّيَمُّن في شأنِه كلِّه: في طُهورِه، وتَرَجُّلِه، وتَنَعُّلِه[1].

٣٩٦- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كانت يَدُ رسولِ الله ﷺ اليمنى لطُهورِه وطعامِه، وكانت اليُسرى لخَلائِه وما كان من أذًى[2].

٣٩٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا انتَعَل أحدُكُم فليَبدَأ باليُمنى، وإذا نزعَ فليَبدأ بالشمالِ، لتكُن اليُمنى أولهما تُنعَل، وآخرهما يُنزَع**»[3].

٣٩٨- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ أتى منًى، فأتى الجمرةَ فرماها، ثم أتى منزلَهُ بمنًى ونحرَ، ثم قال للحلاق: «**خُذ**» وأشارَ إلى جانبِه الأيمنِ، ثم الأيسرِ، ثم جعلَ يُعطيه الناسَ[4].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٣).
(٣) أخرجه البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧).
(٤) أخرجه مسلم (١٣٠٥).

كتابُ أدبِ الطعامِ

(١) بابُ التسميةِ في أولِّه والحمدِ في آخره

٣٩٩- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذا دخلَ الرجلُ بيتَه، فذكَر الله تعالى عند دخولِه، وعند طعامِه، قال الشيطانُ: لا مَبيت لكم ولا عَشاء، وإذا دخلَ فلم يَذكُر الله تعالى عند دخولِه، قال الشيطانُ: أدرَكتُم المبيتَ؛ وإذا لم يَذكر الله تعالى عند طعامِه، قال: أدرَكتُم المبيتَ والعَشاءَ»[(١)].

٤٠٠- وعن أبي أمامةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ كان إذا رفعَ مائِدَته، قال: «الحمدُ لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مَكفيٍّ، ولا مُستغنَى عنه ربنا»[(٢)].

(٢) باب لا يَعيبُ الطعامَ واستحباب مَدحِه

٤٠١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ما عابَ رسولُ الله ﷺ طعامًا قطُّ، إن اشتهاه أكلَه، وإن كرِهَه ترَكَه[(٣)].

٤٠٢- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ سألَ أهلَه الأُدمَ، فقالوا: ما عندنا إلا خلٌّ، فدعا به، فجعلَ يأكلُ، ويقولُ: «نِعمَ الأُدمُ الخلُّ، نِعمَ الأُدمُ الخلُّ»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٨).
(٢) أخرجه البخاري (٥٤٥٨).
(٣) أخرجه البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤).
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٥٢).

(٣) باب ما يَقولُه من حضرَ الطعامَ وهو صائمٌ إذا لم يُفطِر

٤٠٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا دُعِيَ أحدُكم فليُجِب، فإن كان صائِمًا فليُصَلِّ، وإن كان مُفطرًا فليَطعَم**»[(١)].

قال العلماء: معنى «**فليُصَلِّ**»: فليدْعُ، ومعنى «**فليَطعَم**»: فليأكل.

(٤) باب ما يقولُه من دُعِيَ إلى طعامٍ فتَبِعه غيرُه

٤٠٤- وعن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دعا رجلٌ النبيَّ ﷺ لطعامٍ صنعه له خامسَ خمسةٍ، فتَبِعهم رجلٌ، فلما بلغَ البابَ، قال النبيُّ ﷺ: «**إن هذا اتَّبَعَنا، فإن شِئتَ أن تأذَن له، وإن شئتَ رَجعَ**» قال: بل آذنُ له يا رَسولَ الله[(٢)].

(٥) باب الأكلِ مما يَليه ووعظِه وتَأديبِه مَن يُسيءُ أكلَه

٤٠٥- وعن عمرَ بن أبي سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنت غُلامًا في حجرِ رسولِ الله ﷺ وكانت يَدي تَطيشُ في الصحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا غُلامُ، سَمِّ الله تعالى، وكل بيَمينِك، وكُل مما يَليك**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٣١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨١)، ومسلم (٢٠٣٦).
(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٦) باب النَّهيِ عن القِران بين تَمرَتين ونحوِهما إذا أكلَ جماعةً إلا بإذنِ رُفقتهِ

٤٠٦- وعن جُبلةَ بن سُحيمٍ، قال: أصابَنا عامُ سنةٍ مع ابنِ الزبيرِ؛ فرُزِقنا تمرًا، فكان عبدُ الله بن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يمرُّ بنا ونحن نأكُلُ، فيقول: لا تُقارِنوا، فإن النبيَّ ﷺ نهى عن الإقرانِ، ثم يقولُ: إلا أن يَستأذِنَ الرجلُ أخاه[(١)].

(٧) باب ما يقولُه ويفعلُه من يأكلُ ولا يشبَعُ

٤٠٧- وعن وَحشيِّ بن حَربٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالوا: يا رَسولَ الله، إنا نأكلُ ولا نشبَعُ؟ قال: «**فلَعَلَّكُم تَفتَرِقون**» قالوا: نعم. قال: «**فاجتَمِعوا على طعامِكُم، واذكروا اسمَ الله، يُبارَكْ لكم فيه**»[(٢)].

(٨) باب الأمرِ بالأكلِ من جانبِ القصعةِ والنهيِ عن الأكلِ من وسطِها

٤٠٨- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**البَركةُ تنزلُ في وسطِ الطعامِ؛ فكلوا من حافَتَيهِ، ولا تَأكُلوا من وسطِه**»[(٣)].

(٩) باب كراهيةِ الأكلِ مُتَّكئًا

٤٠٩- وعن أبي جُحيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا آكُلُ متَّكئًا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٦)، ومسلم (٢٠٤٥).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥)، وابن ماجه (٣٢٧٧).
(٤) أخرجه البخاري (٥٣٩٨).

قال الخطابي: المتكئُ هاهنا: هو الجالسُ معتمدًا على وطاءٍ تحته، قال: وأراد أنه لا يقعدُ على الوطاءِ والوسائدِ كفعل مَن يريد الإكثارَ من الطعامِ، بل يقعدُ مُستوفِزًا لا مستوطئًا، ويأكلُ بُلْغَةً. وأشار غيرُه إلى أن المتكئَ هو المائلُ على جنبِه، والله أعلم.

٤١٠- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ جالِسًا مُقعِيًا يأكلُ تمرًا(١).

«المُقعِي»: هو الذي يُلصِقُ أليتيه بالأرضِ وينصبُ ساقيه.

(١٠) باب استحبابِ الأكلِ بثلاثِ أصابعَ، واستحبابِ لَعقِ الأصابعِ، وكراهةِ مَسحِها قبل لعقِها واستحبابِ لعقِ القَصعةِ وأخذ اللقمةِ التي تَسقُط منه وأكلُها

٤١١- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أكلَ أحدُكم طعامًا، فلا يَمسَح أصابعَه حتى يَلعَقَها أو يُلعِقَها**»(٢).

٤١٢- وعن كعبِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يأكلُ بثلاثِ أصابعَ، فإذا فرغَ لعَقَها(٣).

٤١٣- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا وَقَعَت لُقمةُ أحدِكم، فليَأخُذها فليُمِط ما كان بها من أذًى، وليَأكُلها، ولا يَدعها للشيطانِ، ولا يَمسَح يدَه بالمنديلِ حتى يَلعَق أصابِعَه، فإنه لا يَدري في أيِّ طعامِه البركةُ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٤٥٦)، ومسلم (٢٠٣١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٢).
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).

(١١) باب تكثيرِ الأيدي على الطعامِ

٤١٤- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «طعامُ الواحدِ يَكفي الاثنين، وطَعامُ الاثنين يَكفي الأربعةَ، وطعامُ الأربعةِ يَكفي الثمانيةَ»[1].

(١٢) باب أدبِ الشُّربِ واستحبابِ التنفُّسِ ثلاثًا خارجَ الإناءِ وكراهةِ التنفُّسِ في الإناءِ واستحبابِ إدارةِ الإناءِ على الأيمنِ فالأيمنِ بعد المبتدئ

٤١٥- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ كان يتنَفَّس في الشرابِ ثلاثًا[2].

٤١٦- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ أُتِيَ بلبنٍ قد شيبَ بماءٍ، وعن يَمينِه أعرابيٌّ، وعن يسارِه أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فشرِبَ، ثم أعطى الأعرابيَّ، وقال: «الأيمنَ فالأيمنَ»[3]. قوله: «شيبَ» أي: خلط.

(١٣) باب كراهةِ الشربِ من فَمِ القِربةِ ونحوها وبيانِ أنه كراهةُ تنزيهٍ لا حرامٌ

٤١٧- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهى رسولُ الله ﷺ عن اختِناثِ الأسقِيةِ[4]. يعني: أن تُكسرَ أفواهُها، ويُشرَبَ منها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥٢)، ومسلم (٢٠٢٩).
(٤) أخرجه البخاري (٢٦٢٥)، ومسلم (٢٠٢٣).

٤١٨- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهى رسولُ الله ﷺ أن يُشرب من فِيْ السقاءِ أو القربةِ[(١)].

(١٤) باب كراهةِ النفخِ في الشرابِ

٤١٩- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ نَهى أن يُتنفسَ في الإناءِ أو يُنفَخَ فيه[(٢)].

(١٥) باب بيان جوازِ الشُّربِ قائمًا وبيان أن الأكملَ والأفضلَ الشربُ قاعدًا

٤٢٠- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سَقيتُ النبيَّ ﷺ من زَمزَم، فشَرِبَ وهو قائِمٌ[(٣)].

٤٢١- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ: أنه نَهى أن يَشرَب الرجلُ قائمًا. قال قتادةُ: فقُلنا لأنسٍ: فالأَكلُ؟ قال: ذلك أشرُّ، أو أخبَثُ[(٤)].

(١٦) باب استحبابِ كَونِ ساقي القومِ آخرَهم شُربًا

٤٢٢- وعن أبي قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ساقي القومِ آخرُهم**» يعني: شُربًا[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٧).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٢٨)، والترمذي (١٨٨٨)، وابن ماجه (٣٢٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (١٦٣٧)، ومسلم (٢٠٢٧).
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢٤).
(٥) أخرجه مسلم (٦٨١).

(١٧) باب جوازِ الشربِ من جميعِ الأواني الطاهرةِ غيرِ الذَّهبِ والفِضةِ وجوازِ الكَرعِ – وهو الشُّربُ بالفَمِ من النهرِ وغيرِه بغيرِ إناءٍ ولا يدٍ – وتَحريمِ استعمالِ إناءِ الذهبِ والفضةِ في الشُّربِ والأكلِ والطهارةِ وسائرِ وجوهِ الاستعمالِ

٤٢٣- وعن عبدِ الله بن زيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتانا النبيُّ ﷺ فأخرجنا له ماءً في تورٍ من صُفرٍ فتوضأ[(١)].

٤٢٤- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ دخلَ على رجلٍ من الأنصارِ، ومعه صاحبٌ له، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن كانَ عندَك ماءٌ باتَ هذه الليلةَ في شَنَّةٍ، وإلَّا كَرَعنا**»[(٢)].

٤٢٥- وعن حُذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إن النبيَّ ﷺ نهانا عن الحَريرِ، والديباجِ، والشربِ في آنية الذَّهبِ والفضةِ، وقال: «**هن لهم في الدُّنيا، وهي لكم في الآخِرةِ**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٦٧).

كتابُ اللباسِ

(١) بابُ استحبابِ الثوبِ الأبيضِ، وجوازِ الأحمرِ والأخضرِ والأصفرِ والأسودِ، وجوازِه من قُطنٍ وكَتانٍ وشَعَرٍ وصوفٍ وغيرِها إلا الحريرَ

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ [النحل: ٨١].

٤٢٦- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**البَسوا من ثيابِكُم البياضَ؛ فإنها من خيرِ ثيابِكم، وكَفِّنوا فيها موتاكُم**»[(١)].

٤٢٧- وعن البراءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ مَربوعًا، وقد رأيتُه في حلةٍ حَمراءَ ما رأيتُ شيئًا قطُّ أحسنَ منه[(٢)].

٤٢٨- وعن أبي رِمثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وعليه ثَوبانِ أخضرانِ[(٣)].

٤٢٩- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ دَخلَ يومَ فتحِ مكةَ وعليه عِمامةٌ سوداءُ[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٤٨)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٦٥)، والترمذي (٢٨١٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٥٨).

٤٣٠- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: خَرجَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ، وعليه مِرطٌ مرحَّل من شعرٍ أسود[١].

٤٣١- وعن المغيرةِ بن شعبةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: كنت مع رسولِ الله ﷺ ذات ليلةٍ في مسيرٍ، فقال لي: «**أمعكَ ماءٌ؟**» قلت: نَعَم، فنزل عن راحِلتِه فمَشى حتى توارى في سوادِ الليل، ثم جاء فأفرغتُ عليه من الإداوةِ، فغسلَ وجهه وعليه جبةٌ من صوفٍ، فلم يستطِع أن يُخرِج ذراعيه منها حتى أخرجَهما من أسفل الجبةِ، فغسلَ ذراعيه ومسحَ برأسِه، ثم أهويتُ لأنزِعَ خفيه، فقال: «**دعهما فإني أدخَلتُهما طاهِرَتين**» ومسحَ عليهما[٢].

(٢) بابُ استحبابِ القَميصِ

٤٣٢- وعن أمِّ سلمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: كان أحبُّ الثيابِ إلى رسولِ الله ﷺ القَميصَ[٣].

(٣) بابُ صِفةِ طولِ القَميصِ والكُمِّ والإزارِ وطرفِ العمامةِ وتَحريمِ إسبالِ شيءٍ من ذلك على سبيلِ الخُيلاءِ وكراهتِهِ من غيرِ خُيلاء

٤٣٣- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَن جرَّ ثوبَه خُيلاءَ لم يَنظُرُ الله إليه يومَ القيامةِ**» فقال أبو بكر: يا رَسولَ الله، إن إزاري يَستَرخي إلَّا أن أتعاهَده، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إنَّك لستَ ممن يَفعَلُه خُيلاء**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٩٩)، ومسلم (٢٧٤).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٢).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥).

٤٣٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما أسفَلَ من الكَعبينِ من الإزارِ ففي النارِ**»[(١)].

٤٣٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الإِسبالُ في الإزارِ، والقَميصِ، والعمامةِ، مَن جرَّ شيئًا خُيلاء لم يَنظُر الله إليه يومَ القيامةِ**»[(٢)].

٤٣٦- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: مَررتُ على رسولِ الله ﷺ وفي إزاري استِرخاءٌ، فقال: «**يا عبدَ الله، ارفَع إزارَك**» فرفَعتُه ثم قال: «**زِد**» فزِدتُ، فما زِلتُ أتحراها بعدُ. فقال بعضُ القومِ: إلى أين؟ فقال: إلى أنصافِ الساقين[(٣)].

٤٣٧- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن جَرَّ ثوبَه خُيلاء لم ينظُرِ الله إليه يومَ القيامةِ**» فقالت أمُّ سلمةَ: فكيف تصنَعُ النساءُ بذُيولهن؟ قال: «**يُرخينَ شِبرًا**» قالت: إذًا تَنكَشِفُ أقدامُهن. قال: «**فيُرخينَه ذراعًا، لا يَزِدن**»[(٤)].

(٤) باب استحبابِ التوسُّطِ في اللباسِ ولا يقتصِرُ على ما يَزري به لغيرِ حاجةٍ ولا مقصودٍ شَرعي

٤٣٨- وعن عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله يُحبُّ أن يَرى أثَرَ نِعمتِه على عبدِه**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٩٤)، وابن ماجه (٣٥٧٦)، وأصله في البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٨٦).
(٤) أخرجه الترمذي (١٧٣١)، والنسائي (٥٣٣٧).
(٥) أخرجه الترمذي (٢٨١٩).

(٥) باب تحريمِ لباسِ الحريرِ على الرجالِ، وتحريمِ جُلوسِهم عليه واستنادِهِم إليه وجوازِ لِباسِه للنِّساءِ

٤٣٩- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَلبَسوا الحريرَ؛ فإنه من لبِسَه في الدنيا لم يَلبَسه في الآخرةِ**»[(١)].

٤٤٠- وعن حُذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهانا النبيُّ ﷺ أن نَشرَب في آنيةِ الذهبِ والفِضةِ، وأن نأكُلَ فيها، وعن لُبسِ الحَريرِ والدِّيباجِ، وأن نَجلِس عليه[(٢)].

(٦) باب جوازِ لُبسِ الحريرِ لمن به حِكَّة

٤٤١- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رخَّص رسولُ الله ﷺ للزُّبيرِ وعبدِ الرحمنِ بن عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في لُبسِ الحريرِ لِحكةٍ بهما[(٣)].

(٧) باب النهي عن افتراشِ جُلودِ النُّمورِ والركوبِ عليها

٤٤٢- وعن مُعاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَركَبوا الخَزَّ ولا النِّمارَ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٣٩)، ومسلم (٢٠٧٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٤١٢٩).

٤٤٣- وعن أبي المَليحِ، عن أبيهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ نَهى عن جُلودِ السِّباعِ[١].

(٨) باب ما يقولُ إذا لبسَ ثوبًا جديدًا أو نَعلًا أو نحوه

٤٤٤- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا استجَدَّ ثَوبًا سماه باسمِه -عِمامةً، أو قميصًا، أو رِداءً- يقول: «**اللهُمَّ لك الحمدُ أنت كَسَوتَنيهِ، أسألُك خيرَه وخيرَ ما صُنِعَ له، وأعوذُ بك من شرِّه وشرِّ ما صنعَ له**»[٢].

(٩) كتاب آدابِ النومِ والاضطجاعِ

٤٤٥- وعن البراءِ بن عازبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أوى إلى فِراشِه نامَ على شقِّه الأيمن، ثم قالَ: «**اللهُمَّ أسلَمتُ نفسي إليك، ووَجَّهتُ وجهي إليك، وفَوَّضتُ أمري إليك، وألجَأتُ ظَهري إليك، رَغبةً ورَهبةً إليك، لا مَلجَأ ولا مَنجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابِك الذي أنزَلت، ونَبِيِّك الذي أرسَلت**»[٣].

٤٤٦- وعن حُذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أخذَ مَضجعَه من الليلِ وضعَ يدَه تحت خدِّه، ثم يقول: «**اللهُمَّ باسمِك أموتُ وأحيا**» وإذا استيقَظَ قال: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بَعدَما أماتَنا وإليه النُّشورُ**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٣٢)، والترمذي (١٧٧٠).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (٦٣١٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦٣١٤).

(١٠) باب جوازِ الاستِلقاءِ على القَفا، ووضعِ إحدى الرِّجلين على الأُخرى إذا لم يَخَف انكشافَ العورةِ، وجوازِ القُعودِ مُحتبِيًا

٤٤٧- وعن عبد الله بن زيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنه رأى رسولَ الله ﷺ مستلقِيًا في المسجدِ، واضِعًا إحدى رِجليه على الأُخرى[(١)].

٤٤٨- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ بفناءِ الكعبةِ مُحتبيًا بيديه هكذا، ووصَف بيديه الاحتباءَ، وهو القُرفصاء[(٢)].

(١١) باب في آدابِ المجلسِ والجليسِ

٤٤٩- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يُقيمَنَّ أحدُكم رَجلًا من مجلِسِه ثم يجلِسُ فيه، ولكن تَوَسَّعوا وتفَسَّحوا**» وكان ابن عمرَ إذا قامَ له رجلٌ من مجلِسِه لم يجلِس فيه[(٣)].

٤٥٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا قامَ أحدُكم من مجلسٍ، ثم رجعَ إليه؛ فهو أحقُّ به**»[(٤)].

٤٥١- وعن جابرِ بن سمُرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: كنَّا إذا أتينا النبيَّ ﷺ جلسَ أحدُنا حيث ينتهي[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥)، ومسلم (٢١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٧٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٨٢٥)، والترمذي (٢٧٢٥).

٤٥٢- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**خيرُ المجالسِ أوسعُها**»(١).

٤٥٣- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن جلسَ في مجلسٍ، فكثُر فيه لغطُه فقال قبل أن يقومَ من مجلسِه ذلك: سبحانَك اللهم وبحمدِك، أشهدُ أن لا إله إلَّا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك؛ إلا غُفِر له ما كان في مَجلِسه ذلك**»(٢).

٤٥٤- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن قومٍ يقومون من مجلسٍ لا يَذكرون الله تعالى فيه، إلا قاموا عن مثلِ جيفةِ حِمارٍ، وكان لهم حسرةٌ**»(٣).

٤٥٥- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما جَلسَ قومٌ مجلسًا لم يَذكروا الله تعالى فيه، ولم يُصلُّوا على نبيِّهم فيه، إلا كان عليهِم تِرةٌ؛ فإن شاء عذَّبهم، وإن شاء غَفرَ لهم**»(٤).

(١٢) باب الرؤيا وما يتعلَّقُ بها

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣].

٤٥٦- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا اقتربَ الزمانُ لم تَكد رؤيا المؤمنِ تَكذِب، ورؤيا المؤمنِ جُزءٌ من ستةٍ وأربعين جُزءًا من النبوةِ**»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٢٠).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠).
(٥) أخرجه البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣).

٤٥٧- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن رآني في المنامِ فسَيراني في اليَقظةِ -أو لكأنَّما رآني في اليقظةِ- لا يتمَثَّل الشيطانُ بي**»[(١)].

٤٥٨- وعن أبي قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**الرؤيا الصالحةُ** -وفي رواية: **الرؤيا الحسنةُ**- **من الله، والحُلم من الشيطانِ، فمن رأى شيئًا يكرهُه فلينفُث عن شِماله ثلاثًا، وليتعوَّذ من الشيطانِ؛ فإنها لا تضرُّه**»[(٢)].

٤٥٩- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إذا رَأى أحدُكُم الرؤيا يَكرَهها، فليَبصُق عن يَسارِه ثَلاثًا، وليَستَعِذ بالله من الشَّيطانِ ثَلاثًا، وليتَحَوَّل عن جنبِه الذي كان عليه**»[(٣)].

٤٦٠- وعن واثلةَ بن الأسقعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن مِن أعظمِ الفِرى أن يَدَّعي الرجلَ إلى غيرِ أبيه، أو يُريَ عينَه ما لم تَر، أو يَقولَ على رسولِ الله ﷺ ما لم يَقُل**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٦).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٢)، ومسلم (٢٢٦١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٦٢).
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٠٩).

كتابُ السلامِ

(١) بابُ فضلِ السلامِ والأمرِ بإفشائه

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٥].

٤٦١- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلًا سألَ رسولَ الله ﷺ: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال: «**تُطعمُ الطَّعامَ، وتقرأُ السَّلامَ على من عَرفتَ ومن لم تَعرِف**»[(١)].

٤٦٢- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لما خَلق الله تعالى آدمَ ﷺ قال: اذهب فسلِّم على أولئك -نَفرٍ من الملائكةِ جلوسٍ- فاستَمِعْ ما يحيونك؛ فإنها تحيَّتك وتحيةُ ذريتِك. فقال: السلامُ عليكم، فقالوا: السلامُ عليك ورحمةُ الله، فزادوه: ورحمةُ الله**»[(٢)].

٤٦٣- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَدخلون الجنةَ حتَّى تُؤمنوا، ولا تُؤمِنوا حتى تَحابُّوا، أوَلَا أدُلُّكم على شيءٍ إذا فعَلتُموه تَحابَبتُم؟ أفشوا السَّلامَ بينكم**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٣) أخرجه مسلم (٥٤).

(٢) بابُ كيفيةِ السلامِ

يُستحبُّ أن يقولَ المبتدئُ بالسلامِ: السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه. فيَأتِي بضَميرِ الجَمعِ، وإن كان المسَلَّمُ عليه واحدًا، ويقولُ المجيبُ: وعليكم السَّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه، فيأتي بواو العطفِ في قولِه: وعليكُم.

٤٦٤- وعن عِمرانَ بن الحصينِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: السلامُ عليكم، فردَّ عليه ثم جلسَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**عَشرٌ**» ثم جاءَ آخرُ، فقال: السلامُ عليكُم ورحمةُ الله، فردَّ عليه فجلسَ، فقال: «**عشرون**» ثم جاءَ آخرُ، فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، فردَّ عليه فجلسَ، فقال: «**ثلاثون**»[١].

٤٦٥- وعن أبي جُريٍّ الهُجَيميِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقُلت: عليك السلامُ يا رَسولَ الله. قال: «**لا تقل عليك السَّلامُ؛ فإن عليكَ السلامُ تحيةُ الموتى**»[٢].

(٣) بابُ آدابِ السلامِ

٤٦٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ على الماشي، والماشي على القاعِدِ، والقليلُ على الكثيرِ**»[٣].

٤٦٧- وعن أبي أمامةَ الباهليِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أَوْلَى الناسِ بالله من بَدأهُم بالسلامِ**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٨٧)، والترمذي (٢٧٢٢).
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٣٢)، ومسلم (٢١٦٠).
(٤) أخرجه أبو داود (٥١٩٧)، والترمذي (٢٦٩٤).

(٤) باب استحبابِ إعادة السلامِ على من تكرَّر لقاؤه على قربٍ بأن دخلَ ثم خرجَ ثم دخلَ في الحالِ، أو حالَ بينهما شجرةٌ ونحوهما

٤٦٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في حديثِ المسيءِ صلاتَه: أنه جاء فصلَّى، ثم جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فسلَّمَ عليه، فردَّ عليه السلامَ، فقال: «**ارجِع فصَلِّ فإنك لم تُصلِّ**» فرجعَ فصلَّى، ثم جاء فسلَّم على النبيِّ ﷺ حتى فعلَ ذلك ثلاثَ مراتٍ[(١)].

٤٦٩- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إذا لقيَ أحدُكم أخاه فليُسلِّم عليه، فإن حالَت بينهما شجرةٌ، أو جِدارٌ، أو حجرٌ، ثم لقيهُ، فليسلِّم عليه**»[(٢)].

(٥) باب استحبابِ السلامِ إذا دخلَ بيته

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

٤٧٠- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُنيَّ، إذا دخَلتَ على أهلِك، فسلِّم، يكن بركةً عليك، وعلى أهل بيتِك**»[(٣)].

(٦) باب السلامِ على الصِّبيانِ

٤٧١- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه مرَّ على صبيانٍ، فسلَّم عليهم، وقال: كان رسولُ الله ﷺ يفعَلُه[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).
(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٠٠).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٩٨).
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٧) باب سلامِ الرجلِ على زوجتِه والمرأةِ من مَحارِمه، وعلى أجنبيةٍ وأجنبياتٍ لا يخافُ الفتنةَ بهن وسلامِهنَّ بهذا الشَّرطِ

٤٧٢- وعن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت فينا امرأةٌ تأخُذُ من أصولِ السِّلقِ فتطرَحُه في القِدرِ، وتُكرِكِرُ حباتٍ من شَعيرٍ، فإذا صَلَّينا الجمعةَ انصرفنا نُسلِّم عليها، فتُقدِّمه إلينا[١].

٤٧٣- وعن أسماءَ بنت يزيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مرَّ علينا النبيُّ ﷺ في نِسوةٍ فسلَّم علينا[٢].

(٨) باب تحريمِ ابتدائِنا الكافرَ بالسلامِ وكيفيةِ الردِّ عليهم واستحبابِ السلامِ على أهل مجلسٍ فيهم مسلمون وكفارٌ

٤٧٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تَبدأوا اليهودَ ولا النصارى بالسلامِ، فإذا لقيتُم أحدَهم في طريقٍ فاضطَروه إلى أضيقِه**»[٣].

٤٧٥- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا سلَّم عليكم أهلُ الكتابِ فقولوا: وعليكم**»[٤].

٤٧٦- وعن أسامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ مرَّ على مجلسٍ فيه أخلاطٌ من المسلمين والمشركين -عبدةِ الأوثانِ- واليهودِ فسلَّم عليهم النبيُّ ﷺ[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٠٤)، وابن ماجه (٣٧٠١).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٦٧).
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣).
(٥) أخرجه البخاري (٥٦٦٣)، ومسلم (١٧٩٨).

(٩) باب استحبابِ السلامِ إذا قامَ من المجلسِ وفارقَ جلساءَه أو جليسَه

٤٧٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا انتَهى أحدُكُم إلى المجلسِ فليسلِّم، فإذا أرادَ أن يقومَ فليُسلِّم، فليست الأولى بأحقَّ من الآخِرةِ**»(١).

(١٠) باب الاستئذانِ وآدابِه

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

٤٧٨- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الاستِئذانُ ثلاثٌ، فإن أذِن لك وإلَّا فارجِع**»(٢).

٤٧٩- وعن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّما جُعلَ الاستئذانُ من أجلِ البَصرِ**»(٣).

٤٨٠- وعن كَلَدةَ بن الحنبلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فدخَلتُ عليه ولم أسلِّم، فقال النبيُّ ﷺ: «**ارجِع فقل: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤١)، ومسلم (٢١٥٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٧١٠).

(١١) باب بيانِ أن السنةَ إذا قيل للمستأذِن: مَن أنت؟ أن يقولَ: فلان، فيُسمي نفسَه بما يُعرفُ به من اسمٍ أو كنيةٍ وكراهة قوله: «أنا» ونحوها

٤٨١- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في حديثِه المشهورِ في الإسراءِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثم صعدَ بي جبريلُ إلى السماءِ الدنيا فاستَفتَح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ، ثم صعدَ إلى السماءِ الثانيةِ والثالثةِ والرابعةِ وسائرِهنَّ، ويقالُ في باب كلِّ سماءٍ: من هذا؟ فيقولُ: جبريلُ»[(١)].

٤٨٢- وعن أم هانئٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يغتَسِل وفاطمةُ تستُرُه، فقال: «مَن هذِه؟» فقلت: أنا أم هانئٍ[(٢)].

٤٨٣- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فدقَقتُ البابَ، فقال: «مَن ذا؟» فقلت: أنا، فقالَ: «أنا، أنا!» كأنَّه كرِهَها[(٣)].

(١٢) باب استحبابِ تَشميتِ العاطسِ إذا حمدَ الله تعالى وكراهةِ تَشميتِه إذا لم يَحمدِ الله تعالى وبيانِ آداب التَّشميتِ والعُطاسِ والتثاؤبِ

٤٨٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «إن الله يُحبُّ العُطاسَ، ويكرهُ التثاؤبَ، فإذا عطسَ أحدُكم وحمد الله تعالى كان حقًّا على كل مسلم سمِعَه أن يقولَ له: يَرحمُك الله، وأما التثاؤبُ فإنَّما هو من الشيطانِ، فإذا تثاءَبَ أحدُكم فليَرَدَّه ما استطاعَ، فإنَّ أحدَكم إذا تثاءَب ضَحِك منه الشيطانُ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦).
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٥٠)، ومسلم (٢١٥٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٢٦).

٤٨٥- وعن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إذا عَطَس أحدُكم فحمِد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمدِ الله فلا تُشمِّتوه**»[(١)].

٤٨٦- وعن أبي سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا تَثاءب أحدُكم فليُمسِك بيده على فيه؛ فإنَّ الشيطان يَدخُل**»[(٢)].

(١٣) باب استحبابِ المصافحةِ عند اللقاءِ وبشاشةِ الوجهِ وتَقبيلِ يد الرجلِ الصالِحِ وتَقبيلِ ولدِه شفقةً ومعانقةِ القادمِ من سفرٍ وكراهية الانحناءِ

٤٨٧- وعن قتادةَ، قال: قلت لأنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أكانت المصافحةُ في أصحابِ النبيِّ ﷺ؟ قال: نَعم[(٣)].

٤٨٨- وعن البراءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن مسلِمَين يَلتَقيان فيتَصافَحان إلا غُفِر لهما قبلَ أن يَفترِقا**»[(٤)].

٤٨٩- وعن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رَسولَ الله، الرجلُ منا يَلقى أخاهُ، أو صديقَه، أيَنحَني له؟ قال: «**لا**» قال: أفيَلتَزِمه ويقبِّله؟ قال: «**لا**» قال: فيأخُذُ بيدِه ويصافِحه؟ قال: «**نَعم**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٦٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧)، وابن ماجه (٣٧٠٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٧٢٨)، وابن ماجه (٣٧٠٢).

٤٩٠- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رَسولُ الله ﷺ: «**لا تَحقِرَنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تَلقى أخاكَ بوجهٍ طَليقٍ**»[١].

٤٩١- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَبَّلَ النبيُّ ﷺ الحسنَ بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال الأقرعُ بن حابسٍ: إن لي عشرةً من الولدِ ما قبَّلتُ منهم أحدًا. فقال النبيُّ ﷺ: «**مَن لا يَرحَم لا يُرحَم!**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

كتابُ عيادةِ المريضِ وتشييعِ الميتِ والصلاةِ عليه وحضورِ دفنِه والمكثِ عند قبرِه بعد دفنِه

(١) باب عيادةِ المريضِ

٤٩٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله عز وجل يقولُ يومَ القيامةِ: يا ابن آدمَ، مرِضتُ فلم تَعُدْني! قال: يا ربِّ، كيف أعودُكَ وأنت ربُّ العالمين؟! قال: أما علِمتَ أن عبدي فلانًا مرضَ فلم تعُده! أما علِمتَ أنك لو عُدته لوجَدتني عندَه! يا ابن آدمَ، استَطعَمتُك فلم تُطعِمني! قال: يا ربِّ، وكيف أُطعِمك وأنت ربُّ العالمين؟! قال: أمَا علِمت أنه استَطعَمَك عبدي فلانٌ فلم تُطعِمه! أما علِمت أنك لو أطعَمتَه لوَجَدتَ ذلك عندي! يا ابن آدمَ، استَسقَيتُك فلم تسقني! قال: يا ربِّ، وكيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟! قال: استَسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه! أما أنك لو سَقيتَه وجدتَ ذلك عندي!»[(١)].

٤٩٣- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عودوا المريضَ، وأطعِموا الجائعَ، وفُكُّوا العاني»[(٢)].

٤٩٤- وعن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ المسلمَ إذا عاد أخاه المسلمَ، لم يَزَل في خُرفةِ الجنةِ حتى يرجِعَ» قيل: يا رسولَ الله، وما خُرفةُ الجنةِ؟ قال: «جَناها»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٨).

(٢) باب ما يُدعى به للمريضِ

٤٩٥- وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن النبيَّ ﷺ كان إذا اشتَكى الإنسانُ الشيءَ منه، أو كانت به قَرحةٌ أو جُرحٌ، قال النبيُّ ﷺ بأصبَعِه هكذا -ووضعَ سفيانُ بن عُيينةَ الراوي سبَّابَته بالأرضِ ثم رفعَها- وقال: «**بسمِ الله، تُربةُ أرضِنا، بريقةِ بعضِنا، يُشفى به سَقيمُنا، بإذنِ ربِّنا**»[١].

٤٩٦- وعنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أن النبيَّ ﷺ كان يَعودُ بعضَ أهلِه يمسحُ بيدِه اليُمنى، ويقولُ: «**اللهُمَّ ربَّ الناس، أذهِب البأسَ، اشفِ وأنت الشافي، لا شِفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادِرُ سَقمًا**»[٢].

٤٩٧- وعن عثمانَ بن أبي العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه شَكا إلى رسولِ الله ﷺ وجعًا، يجدُه في جسدِه، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**ضَع يدك على الذي تَألَّم من جسدِك وقل: بسمِ الله ثلاثًا، وقل سبعَ مراتٍ: أعوذُ بعزةِ الله وقدرتِه من شرِّ ما أجدُ وأحاذرُ**»[٣].

٤٩٨- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**من عادَ مَريضًا لم يحضُر أجلُه، فقال عنده سبعَ مراتٍ: أسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يشفِيَك؛ إلا عافاه الله من ذلك المرضِ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٢١٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٢).
(٤) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣).

٤٩٩- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبيَّ ﷺ دخلَ على أعرابيٍّ يَعودُه، وكان إذا دخلَ على من يَعودُه، قال: «**لا بأسَ؛ طَهورٌ إن شاءَ الله**»[(١)].

٥٠٠- وعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن جبريلَ عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا محمدُ، اشتكَيتَ؟ قال: «**نَعَم**» قال: بسمِ الله أَرقيك، من كلِّ شيءٍ يُؤذيك، مِن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ، الله يَشفيك، بسمِ الله أَرقيك[(٢)].

٥٠١- وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنهما شَهِدَا على رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**من قال: لا إله إلَّا الله، والله أكبرُ، صدَّقهُ ربُّه، فقال: لا إله إلَّا أنا، وأنا أكبرُ. وإذا قال: لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، قال: يقولُ: لا إله إلَّا أنا وَحدي لا شريكَ لي. وإذا قال: لا إله إلَّا الله له الملكُ وله الحمدُ، قال: لا إله إلَّا أنا لي الملكُ ولي الحمدُ. وإذا قال: لا إله إلَّا الله ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا بالله، قال: لا إله إلَّا أنا ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا بي**» وكان يقولُ: «**من قالها في مرضِه ثم ماتَ لم تَطعَمهُ النارُ**»[(٣)].

(٣) بابُ استحبابِ سؤالِ أهلِ المريضِ عن حالِه

٥٠٢- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن عليَّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرجَ من عندِ رَسولِ الله ﷺ في وجَعِه الذي تُوفِّيَ فيه، فقال الناسُ: يا أبا الحسنِ، كيف أصبحَ رسولُ الله ﷺ؟ قال: أصبحَ بحمدِ الله تعالى بارئًا[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٦).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٣٧٩٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٤٤٧).

(٤) باب ما يقولُه من أيِسَ من حياتِه

٥٠٣- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: سمعتُ النبيَّ ﷺ وهو مُستندٌ إليَّ، يقول: «**اللهُمَّ اغفِر لي وارحَمني، وألحِقني بالرَّفيقِ الأعلى**»(١).

(٥) باب استحبابِ وصيةِ أهل المريضِ ومن يخدمُه بالإحسانِ إليه واحتمالِه والصبرِ على ما يشقُّ من أمرِه وكذا الوصيةُ بمن قربَ سببُ موتِه بحدّ أو قصاصٍ ونحوهما

٥٠٤- وعن عِمرانَ بن الحصينِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا: أن امرأةً من جُهَينة أتت النبيَّ ﷺ وهي حُبلى من الزِّنا، فقالت: يا رَسولَ الله، أصَبتُ حدًّا فأقِمه عليَّ، فدعا رَسولُ الله ﷺ وليَّها، فقال: «**أحسِن إليها، فإذا وَضَعَت فأتِني بها**» ففعلَ، فأمرَ بها النبيُّ ﷺ فشُدَّت عليها ثيابُها، ثم أمرَ بها فرُجِمَت، ثم صلى عليها(٢).

(٦) باب جوازِ قولِ المريض: أنا وجِعٌ، أو شَديدُ الوجعِ أو مَوعوكٌ أو وارأساه ونحو ذلك، وبيان أنه لا كَراهةَ في ذلك إذا لم يكن على سَبيلِ التسخُّطِ وإظهارِ الجزعِ

٥٠٥- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وهو يوعَكُ، فمَسَستُه، فقلتُ: إنك لتوعَكُ وَعكًا شَديدًا، فقال: «**أَجَل، كما يوعَك رَجلان مِنكُم**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٩٦).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٦٧)، ومسلم (٢٥٧١).

٥٠٦- وعن القاسمِ بن محمدٍ، قال: قالت عائِشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: وارَأساهُ! فقال النبيُّ ﷺ: «**بلْ أنَا، وارَأساهُ!**»[١].

(٧) باب تَلقينِ المحتَضرِ: لا إله إلَّا الله

٥٠٧- وعن معاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن كان آخرُ كلامِه لا إله إلَّا الله دخلَ الجنةَ**»[٢].

٥٠٨- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَقِّنوا موتاكُم لا إله إلَّا الله**»[٣].

(٨) باب ما يقولُه بعد تَغميضِ الميتِ

٥٠٩- وعن أمِّ سلمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: دخلَ رسولُ الله ﷺ على أبي سَلمةَ وقد شقَّ بصرُه، فأغمَضَهُ، ثم قال: «**إن الروحَ إذا قُبِضَ، تبِعَه البصرُ**» فضجَّ ناسٌ من أهلِه، فقال: «**لا تَدعوا على أنفُسِكم إلا بخيرٍ، فإن الملائكةَ يُؤَمِّنون على ما تَقولون**» ثم قالَ: «**اللهُمَّ اغفِر لأبي سلمةَ، وارفَع درجَتَه في المهدِيِّين، واخلُفه في عقِبِه في الغابِرين، واغفِر لنا وله يا ربَّ العالمين، وافسح له في قبرِه، ونوِّر له فيه**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٦).
(٢) أخرجه أبو داود (٣١١٦).
(٣) أخرجه مسلم (٩١٦).
(٤) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٩) باب ما يقالُ عند الميتِ، وما يَقولُه من ماتَ له ميتٌ

٥١٠- وعن أمِّ سلمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ما من عبدٍ تُصيبُه مصيبةٌ، فيقولُ: إنَّا لله وإنا إليه راجِعون، اللهُمَّ أجُرني في مُصيبَتي وأخلِف لي خيرًا منها، إلَّا أجرَه الله تعالى في مُصيبَتِه وأخلَفَ له خيرًا منها**» قالت: فلما تُوفِّيَ أبو سَلَمة قلتُ كما أمَرَني رسولُ الله ﷺ؛ فأخلَفَ الله لي خَيرًا منه: رسولَ الله ﷺ[1].

٥١١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يَقولُ الله تعالى: ما لِعَبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ إذا قَبَضتُ صَفِيَّه من أهل الدنيا، ثم احتَسَبه إلا الجنةَ**»[2].

(١٠) باب جوازِ البكاءِ على الميتِ بغيرِ نَدبٍ ولا نِياحةٍ

٥١٢- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ عادَ سعدَ بن عُبادةَ، ومعه عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، وسعدُ بن أبي وقاصٍ، وعبدُ الله بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فبَكى رسولُ الله ﷺ فلما رأى القومُ بكاءَ رسولِ الله ﷺ بَكَوا، فقال: «**ألا تَسمَعون؟ إن الله لا يُعذِّب بدمعِ العينِ، ولا بحُزنِ القَلبِ، ولكن يعذِّبُ بهذا أو يَرحَم**» وأشارَ إلى لسانِه[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٢٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤).

٥١٣- وعن أسامةَ بن زيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ رُفِعَ إليه ابنُ ابنتِه وهو في الموتِ، ففاضَت عينا رسولِ الله ﷺ فقال له سعدٌ: ما هذا يا رَسولَ الله؟! قال: «هذه رحمةٌ جعَلَها الله تعالى في قلوبِ عباده، وإنما يَرحَمُ الله من عبادِه الرُّحماءَ»(١).

(١١) باب الكفِّ عن ما يَرى من الميت من مكروهٍ

٥١٤- وعن أبي رافعٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَن غَسَّل ميتًا فكتَم عليه، غفرَ الله له أربعين مرةً»(٢).

(١٢) باب الصلاةِ على الميتِ وتَشييعِه وحضورِ دفنِه، وكراهةِ اتباعِ النساءِ الجنائز

٥١٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من شهِدَ الجنازةَ حتى يُصلَّى عليها، فله قيراطٌ، ومن شَهِدها حتى تُدفَن، فله قيراطان» قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثلُ الجَبلين العَظيمين»(٣).

٥١٦- وعن أمِّ عطيةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: نُهينا عن اتباعِ الجنائزِ، ولم يُعزَم علينا(٤).

ومعناه: ولم يُشدَّد في النهي كما يُشدَّد في المحرماتِ.

---

(١) أخرجه: البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١/ ٣١٥ (٩٢٩)، والحاكم ١/ ٣٥٣، ٣٦١، والبيهقي ٣/ ٥٥٤.
(٣) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥).
(٤) أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

(١٣) باب استحبابِ تَكثيرِ المصلين على الجنازةِ وجعلِ صُفوفِهم ثلاثةً فأكثرَ

٥١٧- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ما مِن رجلٍ مسلمٍ يموتُ، فيقومُ على جنازتِه أربعون رجلًا لا يُشرِكون بالله شيئًا؛ إلا شَفَّعهم الله فيه**»[(١)].

(١٤) باب ما يَقرأُ في صلاةِ الجنازةِ

يُكبِّرُ أربعَ تَكبيراتٍ، يتعوَّذُ بعد الأولى، ثم يَقرأُ فاتحةَ الكتاب، ثم يُكبِّرُ الثانيةَ، ثم يُصلي على النبيِّ ﷺ، ثم يُكبِّرُ الثالثةَ، ويَدعو للميتِ وللمسلمين، ثم يُكبِّرُ الرابعةَ ويَدعو.

٥١٨- وعن عوفِ بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صلى رسولُ الله ﷺ على جنازةٍ، فحفِظتُ من دعائِه، وهو يقول: «**اللهُمَّ اغفِر له وارحَمْهُ، وعافِه واعفُ عنه، وأكرِم نُزُله، ووسِّع مُدخَله، واغسِله بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ، ونقِّه من الخطايا كما نَقَّيت الثوبَ الأبيضَ من الدنسِ، وأبدِله دارًا خيرًا من دارِه، وأهلًا خيرًا من أهلِه، وزوجًا خيرًا من زوجِه، وأدخِله الجنةَ، وأعِذه من عذابِ القَبرِ، ومن عذابِ النارِ**» حتى تمنَّيتُ أن أكونَ أنا ذلك الميتَ[(٢)].

٥١٩- وعن أبي هُريرةَ وأبي قتادةَ وأبي إبراهيمَ الأشهليِّ عن أبيه -وأبوه صَحابيٌّ- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، عن النبيِّ ﷺ أنه صلَّى على جنازةٍ، فقال: «**اللهُمَّ اغفِر لحيِّنا وميِّتنا، وصَغيرِنا وكَبيرِنا، وذَكَرِنا وأنثانا، وشاهِدِنا وغائِبنا، اللهُمَّ من أحيَيتَه منا**

---

(١) أخرجه مسلم (٩٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٣).

فأحيِه على الإسلامِ، ومن توفَّيتَه منا فتوَفَّه على الإيمانِ، اللهُمَّ لا تَحرِمنا أجرَه، ولا تَفتِنا بعدَه»[(١)].

٥٢٠- وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذا صليتُم على الميتِ، فأخلِصوا له الدعاءَ»[(٢)].

٥٢١- وعن واثلةَ بن الأسقعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسولُ الله ﷺ على رجلٍ من المسلمين، فسمعتُه يقولُ: «اللهمَّ إن فلان ابن فلان في ذمَّتِك وحبلِ جوارِك، فقِه فتنةَ القبرِ، وعذابَ النارِ، وأنت أهل الوفاءِ والحمدِ، اللهم فاغفر له وارحمه، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ»[(٣)].

(١٥) باب الإسراعِ بالجنازةِ

٥٢٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «أسرِعوا بالجنازةِ، فإن تَكُ صالحةً، فخيرٌ تُقَدِّمونها، وإن تك سِوى ذلك، فشرٌّ تَضعونَه عن رقابِكم»[(٤)].

٥٢٣- وعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ يقولُ: «إذا وُضِعت الجنازةُ، فاحتملَها الرجالُ على أعناقِهم، فإن كانت صالحةً، قالت: قدِّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ، قالت لأهلِها: يا وَيلَها أين تَذهبون بها؟ يسمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلّا الإنسان، ولو سمعَ الإنسانُ لصعقَ»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، وابن ماجه (١٤٩٨).
(٢) أخرجه أبو داود (٣١٩٩)، وابن ماجه (١٤٩٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٤٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٣١٥)، ومسلم (٩٤٤).
(٥) أخرجه البخاري (١٣١٦).

(١٦) باب تعجيلِ قضاءِ الدَّين عن الميتِ والمبادرةِ إلى تجهيزِه إلا أن يموتَ فُجاءةً فيُترك حتى يتيقَّن موتُه

٥٢٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**نَفْسُ المؤمنِ معلقةٌ بدَينِه حتى يُقضى عنه**»(١).

(١٧) باب الموعظةِ عند القبرِ

٥٢٥- وعن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا في جنازةٍ في بقيعِ الغَرقدِ، فأتانا رسولُ الله ﷺ فقعَدَ، وقعدنا حولَه ومعه مِخصَرةٌ فنكَّس وجعل يَنكُت بمخصرتِه، ثم قال: «**ما مِنكُم من أحدٍ إلا قد كُتبَ مقعدُه من النارِ ومقعدَهُ من الجنةِ**» فقالوا: يا رَسولَ الله، أفلا نتَّكِل على كتابِنا؟ فقال: «**اعمَلوا؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له**»(٢).

(١٨) باب الدعاءِ للميِّت بعد دفنِه والقعودِ عند قبرِه ساعةً للدعاءِ له والاستغفارِ والقراءةِ

٥٢٦- وعن عثمانَ بن عفانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا فرغَ من دفنِ الميتِ وَقَفَ عليه، فقال: «**استَغفِروا الله لأخيكُم وسلوا له التَّثبيتَ، فإنه الآن يُسأَل**»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧٨)، وابن ماجه (٢٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٢١).

(١٩) باب الصدقةِ عن الميتِ والدعاءِ له

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

٥٢٧- وعن عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، أن رجلًا قال للنبيِّ ﷺ: إن أمِّي افتُلِتَت نفسُها، وأراها لو تكلَّمَت تصدَّقت، فهل لها أجرٌ إن تصدَّقتُ عنها؟ قال: «**نَعَم**»[1].

٥٢٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطَعَ عملُه إلا من ثلاثٍ: صَدقةٍ جاريةٍ، أو عِلمٍ يُنتفعُ به، أو وَلدٍ صالحٍ يَدعو له**»[2].

(٢٠) باب ثناءِ الناسِ على الميتِ

٥٢٩- وعن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: مَروا بجنازةٍ، فأثنوا عليها خيرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «**وَجَبَت**» ثم مَروا بأُخرى، فأثنوا عليها شَرًّا، فقال النبيُّ ﷺ: «**وَجَبَت**» فقال عمرُ بن الخطابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: ما وَجَبَت؟ فقال: «**هذا أثنَيتُم عليه خيرًا، فوَجَبَت له الجنةُ، وهذا أثنَيتُم عليه شَرًّا، فوَجَبَت له النارُ، أنتم شُهداءُ الله في الأرضِ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

(٢١) باب فضلِ من ماتَ له أولادٌ صغارٌ

٥٣٠- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن مسلمٍ يَموتُ له ثلاثةٌ لم يَبلغوا الحِنثَ إلا أدخَلهُ الله الجنةَ بفَضلِ رحمَتِه إياهُم**»(١).

٥٣١- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يموتُ لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولدِ تمسُّه النار إلا تَحِلَّةَ القَسمِ**»(٢).

وتحلةُ القسمِ: قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] والورودُ: هو العبورُ على الصراطِ، أو هو جسرٌ منصوبٌ على ظهرِ جهنَّم، عافانا الله منها.

٥٣٢- وعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، ذهبَ الرجالُ بحديثِك، فاجعل لنا من نفسِك يومًا نأتيك فيه تُعَلِّمنا مما علَّمك الله، قال: «**اجتَمِعن يومَ كذا وكذا**» فاجتَمَعن، فأتاهنَّ النبيُّ ﷺ فعلَّمهنَّ مما علَّمه الله، ثم قال: «**ما منكن من امرأةٍ تُقَدِّم ثلاثةً من الولدِ إلَّا كانوا لها حِجابًا من النارِ**» فقالت امرأةٌ: واثنين؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**واثنين**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠١)، ومسلم (٢٦٣٣).

(٢٢) باب البكاءِ والخوفِ عند المرورِ بقُبورِ الظالمين ومَصارِعِهم وإظهارِ الافتقارِ إلى الله تعالى والتَّحذيرِ من الغَفلةِ عن ذلك

٥٣٣- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال لأصحابِه -يَعني: لما وَصَلوا الحِجرَ: ديارَ ثَمودَ-: «**لا تَدخُلوا على هؤلاء المعَذَّبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تَكونوا باكين، فلا تَدخُلوا عليهم، لا يُصيبُكم ما أصابَهم**»(١).

وفي روايةٍ: قال: لما مرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجرِ، قال: «**لا تَدخلوا مساكنَ الذين ظَلموا أنفسَهم، أن يُصيبَكم ما أصابَهم، إلا أن تكونوا باكين**» ثمَّ قَنَّعَ رأسَه وأسرَعَ السيرَ حتى أجازَ الوادي(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٩)، ومسلم (٢٩٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٨٠)، ومسلم (٢٩٨٠).

كتاب آدابِ السَّفرِ

(١) باب استحبابِ الخروجِ يومَ الخميسِ، واستحبابِه أولَ النَّهارِ

٥٣٤- وعن كعبِ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ خَرجَ في غزوةِ تبوكَ يومَ الخميسِ، وكان يحبُّ أن يَخرُجَ يومَ الخميسِ[١].

٥٣٥- وعن صخرِ بن وداعةَ الغامدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**اللهمَّ بارِك لأمَّتي في بُكورِها**» وكان إذا بعثَ سريةً أو جيشًا بعثَهم من أولِ النهارِ، وكان صخر تاجرًا، وكان يبعثُ تجارتَه أول النهارِ، فأثرى وكثُرَ مالُه[٢].

(٢) باب استحبابِ طَلبِ الرُّفقةِ وتأميرِهم على أنفُسِهم واحدًا يُطيعونَه

٥٣٦- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لو أنَّ الناسَ يَعلمون مِن الوحدةِ ما أعلمُ، ما سارَ راكبٌ بليلٍ وحدَه!**»[٣].

٥٣٧- وعن أبي سعيدٍ وأبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا خَرجَ ثلاثةٌ في سفرٍ فليُؤمِّروا أحدَهم**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، وابن ماجه (٢٢٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨).

(٣) باب آدابِ السيرِ والنُّزولِ والمبيتِ والنومِ في السفرِ واستحبابِ السُّرَى والرفقِ بالدوابِ ومُراعاةِ مَصلحتِها وأمرِ من قصَّر في حقِّها بالقيامِ بحقِّها وجوازِ الإِردافِ على الدابةِ إذا كانت تُطيقُ ذلك.

٥٣٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا سافَرتُم في الخِصبِ، فأعطوا الإبلَ حظَّها من الأرضِ، وإذا سافَرتُم في الجَدبِ، فأسرِعوا عليها السيرَ، وبادِروا بها نِقْيَها، وإذا عَرَّستُم، فاجتَنِبوا الطريقَ؛ فإنها طُرُقُ الدَّوابِّ، ومَأوى الهوامِّ بالليلِ**»[1].

«**نِقْيها**»: المخ، معناه: أسرعوا بها حتى تصلوا المقصد قبل أن يذهب مخها من ضنك السير. و«**التعريس**»: النزول في الليل.

٥٣٩- وعن أبي قتادةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا كان في سفرٍ، فعرَّسَ بليلٍ اضطجع على يمينِه، وإذا عرس قُبيلَ الصبحِ نصبَ ذراعه، ووضعَ رأسه على كفِّه[2].

٥٤٠- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**عليكم بالدُّلجةِ، فإن الأرضَ تُطوى بالليلِ**»[3].

٥٤١- وعن أبي ثَعلبةَ الخُشنيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان الناسُ إذا نَزلوا منزلًا تَفَرَّقوا في الشعابِ والأوديةِ. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ تفرُّقَكم في هذه الشعابِ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٦).
(٢) أخرجه مسلم (٦٨٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٧١).

والأَودِيةِ إنَّما ذلِكُم من الشيطانِ!» فلم يَنزِلوا بعد ذلك مَنزلًا إلَّا انضَمَّ بعضُهُم إلى بعضٍ[(١)].

٥٤٢- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا نَزَلنا منزلًا، لا نُسَبِّح حتى نَحُل الرِّحالَ[(٢)].

وقوله: «**لا نُسبِّح**»: أي: لا نُصلي النافلةَ، ومعناه: أنا كنا مع حِرصِنا على الصلاةِ لا نُقدِّمها على حطِّ الرحالِ وإراحةِ الدواب.

(٤) باب إعانةِ الرَّفيقِ

٥٤٣- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ: أنه أرادَ أن يَغزُو، فقال: **«يا مَعشَرَ المهاجرين والأنصارِ، إن من إخوانِكم قومًا ليس لهم مالٌ، ولا عَشيرةٌ، فليَضُمَّ أحدُكم إليه الرَّجُلين والثلاثةَ، فما لأحدِنا من ظَهرٍ يَحمِلُه إلا عُقبةٌ كعُقبةِ»** -يعني: أحدِهم- قال: فضَممتُ إليَّ اثنين أو ثلاثةً وما لي إلا عُقبةٌ كعقبةِ أحدِهم من جَملي[(٣)].

٥٤٤- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يتخلَّفُ في المسيرِ، فيُزجي الضعيفَ، ويُردِف ويدعو له[(٤)].

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٥١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٣٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٣٩).

(٥) باب ما يقولُه إذا ركِبَ دابته للسفرِ

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٢ - ١٤].

٥٤٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ كان إذا استوَى على بعيرِه خارجًا إلى سفرٍ، كبَّر ثلاثًا، ثم قال: «**سبحانَ الذي سخَّرَ لنا هذا، وما كُنا له مُقرنين، وإنَّا إلى ربِّنا لمنقَلبون، اللهُمَّ إنا نَسألُك في سفَرِنا هذا البِرَّ والتَّقوى، ومِن العملِ ما تَرضى، اللهُمَّ هوِّن علينا سَفَرَنا هذا، واطوِ عنَّا بُعدَه، اللهُمَّ أنت الصاحبُ في السَّفرِ، والخليفةُ في الأهلِ، اللهُمَّ إني أعوذُ بك من وعثاءِ السفرِ، وكآبةِ المنظرِ، وسوءِ المنقلَبِ في المالِ والأهلِ**» وإذا رجعَ قالهن. وزادَ فيهِنَّ «**آيبونَ تائِبون عابِدون لربِّنا حامِدون**»[1].

معنى «مقرنين»: مطيقين، و«الوَعْثاءُ»: الشدَّةُ، و«الكآبةُ»: تغيرُ النفسِ من حزنٍ ونحوه، و«المنقلبُ»: المرجعُ.

(٦) باب تَكبيرِ المسافرِ إذا صعدَ الثنايا وشِبهها، وتَسبيحه إذا هبطَ الأودية ونحوها، والنهي عن المبالغةِ برفعِ الصوتِ بالتكبيرِ ونحوه

٥٤٦- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا صَعِدنا كبَّرنا، وإذا نَزَلنا سبَّحنا[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٣).

٥٤٧- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قَفَل من الحجِّ أو العمرةِ، كلما أَوفَى على ثَنيةٍ أو فَدفَدٍ كبَّر ثلاثًا، ثم قال: «**لا إله إلَّا الله وحده لا شَريكَ له، له الملك وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، آيبون، تائِبون، عابِدون، ساجِدون، لربِّنا حامدون، صدقَ الله وعدَه، ونَصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه**»[١].

قولُه: «**أَوفى**» أي: ارتَفَع، وقوله: «**فَدفَد**» هو بفتحِ الفائين بينهما دالٌ مهملة ساكنةٌ، وآخره دالٌ أخرى وهو: الغَليظُ المرتفع من الأرضِ.

٥٤٨- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنَّا مع النبيِّ ﷺ، فكنا إذا أشرَفنا على وادٍ هَلَّلنا وكبَّرنا، ارتفعَت أصواتُنا، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أيها الناسُ، اربَعوا على أنفُسِكم، فإنَّكم لا تَدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنه معكُم، إنه سميعٌ قَريبٌ**»[٢]. «**اربَعوا**» أي: ارفقوا بأنفسِكم.

(٧) باب ما يَدعو به إذا خافَ ناسًا أو غيرَهم

٥٤٩- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ كان إذا خافَ قَومًا، قال: «**اللهُمَّ إنا نجعَلُك في نُحورِهم، ونعوذُ بك من شُرورِهم**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٥)، ومسلم (١٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري ١ (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٣٧).

(٨) باب ما يَقولُ إذا نزلَ منزلًا

٥٥٠- وعن خولةَ بنتِ حَكيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن نزلَ منزلًا ثم قال: أعوذُ بكلماتِ الله التاماتِ من شرِّ ما خلقَ، لم يضرَّه شيءٌ حتى يرتَحِل من منزِله ذلك»[١].

(٩) باب استحبابِ تَعجيلِ المسافرِ الرجوعَ إلى أهلِه إذا قَضى حاجتَه

٥٥١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «السَّفرُ قِطعةٌ من العذابِ، يَمنَعُ أحدَكم طعامَه وشَرابَه ونومَه، فإذا قَضى أحدُكم نهمَتَه من سفرِه، فليُعَجِّل إلى أهلِه»[٢]. «نهمَتَه»: مقصوده.

(١٠) باب استحبابِ القُدومِ على أهلِه نهارًا وكراهيتِه في الليلِ لغَيرِ حاجةٍ

٥٥٢- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أطالَ أحدُكم الغَيبة فلا يَطرُقَنَّ أهلَه ليلًا»[٣].

٥٥٣- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ لا يَطرُق أهله ليلًا، وكان يأتيهم غُدوةً أو عشيةً[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠١)، ومسلم (١٩٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٤٣)، ومسلم (٧١٥).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٠٠)، ومسلم (١٩٢٨).

(١١) باب ما يَقولُه إذا رجعَ وإذا رأى بَلدَتَه

٥٥٤- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أقبَلنا مع النبيِّ ﷺ حتى إذا كنَّا بظَهرِ المدينةِ، قال: «آيِبونَ، تائِبون، عابِدون، لرَبِّنا حامِدون» فلم يَزَل يقولُ ذلك حتَّى قدِمنا المدينةَ[١].

(١٢) باب استحبابِ ابتِداءِ القادمِ بالمسجدِ الذي في جِوارِه وصلاتِه فيه ركعتين

٥٥٥- وعن كعبِ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ كان إذا قَدِمَ من سَفرٍ، بدأَ بالمسجدِ فركَعَ فيه ركعتين[٢].

(١٣) باب تَحريمِ سَفرِ المرأةِ وَحدَها

٥٥٦- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليوم الآخرِ تسافرُ مسيرةَ يوم وليلةٍ إلا مع ذي مَحرمٍ عليها**»[٣].

٥٥٧- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنه سمِعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: «**لا يَخلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو مَحرمٍ، ولا تُسافِرِ المرأةُ إلا مع ذي مَحرمٍ**» فقال رجلٌ: يا رَسولَ الله، إن امرأتي خَرجَت حاجَّةً، وإني اكتُتِبتُ في غزوةِ كذا وكذا؟ قال: «**انطَلِق فحجَّ مع امرأَتِك**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٨٨)، ومسلم (٧١٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩).
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١).

كتابُ الفَضائلِ

(١) باب فضلِ قراءةِ القُرآنِ

٥٥٨- وعن أبي أمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**اقرَؤوا القرآنَ؛ فإنه يأتي يومَ القيامة شفيعًا لأصحابِه**»[(١)].

٥٥٩- وعن النواسِ بن سمعانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**يُؤتى يوم القيامةِ بالقرآن وأهلِه الذين كانوا يَعملون به في الدنيا، تَقدمهُ سورةُ البقرةِ وآل عمران، تُحاجَّان عن صاحِبِهما**»[(٢)].

٥٦٠- وعن عثمانَ بنِ عفانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**خيرُكُم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**»[(٣)].

٥٦١- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**الذي يقرأُ القرآنَ وهو ماهرٌ به مع السفرةِ الكرامِ البَررةِ، والذي يقرأُ القرآن ويتتعتعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران**»[(٤)].

٥٦٢- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَثلُ المؤمنِ الذي يَقرأُ القرآن مثل الأُترُجَّة: ريحُها طيبٌ وطعمها طيب، ومَثلُ المؤمن الذي لا يَقرأُ القرآن كمثلِ التَّمرةِ: لا ريحَ لها وطَعمُها حلوٌ، ومثل المنافقِ الذي**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

يقرأُ القرآن كمثلِ الريحانةِ: ريحُها طيبٌ وطَعمُها مُرٌّ، ومثلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآن كمثل الحنظلةِ: ليس لها ريحٌ وطعمُها مُرٌّ»[(١)].

٥٦٣- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٍ آتاه الله القرآنَ، فهو يقومُ به آناءَ الليلِ وآناء النهارِ، ورجلٍ آتاه الله مالًا، فهو ينفقُه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ»[(٢)].

٥٦٤- وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قرأَ حرفًا من كتابِ الله فله حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالها، لا أقولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكن: ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»[(٣)].

(٢) باب الأمرِ بتعهُّدِ القرآنِ والتَّحذيرِ عن تَعريضِه للنسيان

٥٦٥- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «تَعاهَدوا هذا القُرآنَ، فوالذي نَفسَ محمدٍ بيدِه لَهُوَ أشدُّ تفَلُّتًا من الإبلِ في عُقلِها»[(٤)].

(٣) باب استحبابِ تَحسينِ الصوتِ بالقرآنِ، وطلبِ القِراءةِ من حَسنِ الصوتِ والاستماعِ لها

٥٦٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما أَذِنَ الله لشيءٍ ما أَذنَ لنبيٍّ حسنِ الصوتِ يتغَنَّى بالقرآنِ يَجهرُ به»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٢٧)، ومسلم (٧٩٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩١٠).
(٤) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).
(٥) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

٥٦٧- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال له: «**لقد أوتيتَ مِزمارًا من مزاميرِ آلِ داودَ**»[(١)].

٥٦٨- وعن البراءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قرأَ في العِشاءِ بالتِّينِ والزيتون، فما سمعتُ أحدًا أحسنَ صوتًا منه[(٢)].

(٤) باب الحثِّ على سورٍ وآياتٍ مَخصوصةٍ

٥٦٩- وعن رافعِ بن المُعلَّى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**ألا أعَلِّمك أعظمَ سورةٍ في القرآن قبل أن تَخرُج من المسجدِ؟**» فأخذَ بيدي، فلما أرَدنا أن نَخرُج، قلت: يا رَسولَ الله، إنك قلتَ: لأُعَلِّمنَّك أعظمَ سورةٍ في القرآن؟ قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **هي السَّبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه**»[(٣)].

٥٧٠- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: «**والَّذي نَفسي بيدِه إنَّها لتَعدِل ثُلثَ القرآنَ**»[(٤)].

٥٧١- وعن عُقبةَ بن عامرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ألم تَرَ آياتٍ أُنزِلَت هذه الليلةَ لم يُرَ مثلُهُنَّ قطُّ؟** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (٤٦٤٧).
(٤) أخرجه البخاري (٥٠١٣).
(٥) أخرجه مسلم (٨١٤).

٥٧٢- وعن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن قرأ بالآيتين من آخِرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كَفَتاه**»(١).

٥٧٣- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتَكم مقابرَ، إن الشيطانَ ينفِرُ من البيتِ الذي يُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ**»(٢).

٥٧٤- وعن أُبيِّ بن كَعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا المنذِرِ، أتدري أيُّ آيةٍ من كتابِ الله معك أعظَمُ؟**» قُلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فضَربَ في صدري، وقال: «**ليَهنَكَ العِلمُ أبا المنذِرِ**»(٣).

٥٧٥- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: وكَّلني رسولُ الله ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضان، فأتاني آتٍ فجعلَ يَحثو من الطعامِ، فأخذتُه فقلت: لأرفعنَّك إلى رسولِ الله ﷺ، قال: إني مُحتاجٌ، وعليَّ عيالٌ، وبي حاجةٌ شديدةٌ، فخلَّيتُ عنه، فأصبحتُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا هريرةَ، ما فعلَ أسيرُك البارحةَ؟**» قلت: يا رسولَ الله، شكا حاجةً وعيالًا، فرحِمتُه فخلَّيت سبيلَه. فقال: «**أمَا إنه قد كذَبَك وسيعودُ**» فعرفتُ أنه سيعودُ؛ لقولِ رسولِ الله ﷺ فرصَدتُه، فجاءَ يَحثو من الطعامِ، فقلت: لأرفعنَّك إلى رسولِ الله ﷺ، قال: دعني فإني مُحتاجٌ، وعليَّ عيالٌ لا أعودُ، فرحِمته فخلَّيتُ سبيلَه، فأصبحتُ فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا هريرةَ، ما فعلَ أسيرُك البارحةَ؟**» قلت: يا رسولَ الله، شكا حاجةً وعيالًا، فرحمته فخلَّيتُ سبيلَه. فقال: «**إنه قد كذَبَك وسيعودُ**» فرصدتُه الثالثةَ، فجاء يَحثو من الطعامِ

(١) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٨).
(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠).
(٣) أخرجه مسلم (٨١٠).

فأخذته، فقلت: لأرفَعَنَّك إلى رسولِ الله ﷺ، وهذا آخرُ ثلاثِ مرات إنك تَزعُم أنك لا تعودُ، ثم تعودُ! فقال: دعني فإني أُعلِّمك كلماتٍ ينفعُك الله بها، قلت: ما هنَّ؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشِكَ فاقرأ آيةَ الكرسي، فإنه لن يزالَ عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُك شيطان حتى تُصبِح، فخليتُ سبيلَه، فأصبحتُ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**ما فعلَ أسيرُك البارحةَ؟**» قلت: يا رسولَ الله، زعمَ أنه يعلِّمني كلماتٍ ينفعُني الله بها، فخليتُ سبيلَه، قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويتَ إلى فِراشِك فاقرأ آيةَ الكرسي من أولها حتى تختمَ الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ وقال لي: لا يزالُ عليك من الله حافظٌ، ولن يقربَك شيطانٌ حتى تُصبِح. فقال النبيُّ ﷺ: «**أمَا إنه قد صدَقَك وهو كذوبٌ، تعلمُ من تُخاطبُ منذ ثلاثٍ يا أبا هريرةَ؟**» قلت: لا. قال: «**ذاك شيطانٌ**»(١).

٥٧٦- وعن أبي الدرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من حفظَ عشرَ آياتٍ من أول سورةِ الكهفِ، عُصِمَ من الدجالِ**».

٥٧٧- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبيِّ ﷺ سمعَ نَقيضًا من فوقِه، فرفعَ رأسَه، فقال: هذا بابٌ من السماءِ فُتِح اليومَ ولم يُفتَح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملكٌ، فقال: هذا ملكٌ نزلَ إلى الأرضِ لم ينزل قطُّ إلا اليومَ فسلَّم وقال: أبشِر بنورين أوتيتَهما لم يؤتَهما نبيٌّ قبلَك: فاتحةِ الكتابِ، وخواتيمِ سورةِ البقرةِ، لن تقرأَ بحرفٍ منها إلَّا أعطيتَه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٥) بابُ استحبابِ الاجتماعِ على القراءةِ

٥٧٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «وما اجتَمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلونَ كتابَ الله، ويتَدارَسونَه بينَهم، إلَّا نزَلَت عليهم السكينةُ، وغَشِيَتهم الرحمةُ، وحفَّتهُم الملائكةُ، وذَكَرَهم الله فيمَن عندَه»[1].

(٦) بابُ فضلِ الوُضوءِ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: ٦].

٥٧٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ أمَّتي يُدعَون يومَ القيامةِ غرًّا مُحَجَّلين من آثارِ الوضوءِ» فمن استطاعَ منكم أن يُطيلَ غُرَّته فليَفعَل[2].

٥٨٠- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ خَليلي ﷺ يقولُ: «تبلغُ الحليةُ من المؤمنِ حيث يبلُغُ الوضوءُ»[3].

٥٨١- وعن عثمانَ بن عفانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من توضَّأ فأحسَنَ الوضوءَ، خرَجَت خطاياه من جسَدِه حتى تَخرُجَ من تحتِ أظفارِه»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٠).
(٤) أخرجه مسلم (٢٤٥).

٥٨٢- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ توضأَ مثل وُضوئي هذا، ثم قال: «من توضَّأَ هكذا، غُفِر له ما تقدمَ من ذنبِه، وكانت صلاتُه ومشيُه إلى المسجدِ نافلةً»(١).

٥٨٣- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما مِنكُم من أحدٍ يتوضَّأُ فيُبلِغ -أو فيُسبغ- الوضوءَ، ثم قال: أشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شَريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه؛ إلَّا فُتحت له أبوابُ الجنةِ الثمانيةُ يدخلُ من أيِّها شاءَ»(٢).

(٧) بابُ فضلِ الأذانِ

٥٨٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لو يَعلمُ الناسُ ما في النِّداءِ والصفِّ الأول، ثم لم يَجِدوا إلا أن يَستهِموا عليه لاستهَموا عليه، ولو يَعلمون ما في التَّهجيرِ لاستبَقوا إليه، ولو يَعلَمون ما في العَتَمةِ والصبحِ لأَتَوهُما ولو حَبوًا»(٣).

٥٨٥- وعن معاويةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «المؤذنون أطولُ الناسِ أعناقًا يومَ القيامةِ»(٤).

٥٨٦- وعن عبدِ الله بن عبدِ الرَّحمنِ بن أبي صَعصَعةَ: أن أبا سعيدٍ الخُدريَّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال له: «إني أَراكَ تُحبُّ الغنمَ والباديةَ، فإذا كنتَ في غَنمِك -أو باديَتك-

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤)، والترمذي (٥٥).
(٣) أخرجه البخاري ٩ (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧).
(٤) أخرجه مسلم (٣٨٧).

فأذَّنتَ للصلاةِ، فارفَع صوتَك بالنِّداءِ، فإنه لا يَسمعُ مَدى صوتِ المؤذِّن جنٌّ، ولا إنسٌ، ولا شيءٌ، إلا شَهِدَ له يومَ القيامةِ» قال أبو سعيدٍ: سمِعتُه من رسولِ الله ﷺ[١].

٥٨٧- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا نودي بالصلاةِ، أدبَرَ الشيطانُ، وله ضُراطٌ حتى لا يسمعَ التأذين، فإذا قُضِي النداءُ أقبلَ، حتى إذا ثُوِّب للصلاة أدبرَ، حتى إذا قُضي التثويبُ أقبلَ، حتى يَخطِر بين المرءِ ونفسِه، يقول: اذكر كذا، واذكر كذا -لما لم يَذكُر من قبلُ- حتى يظلَّ الرجلُ ما يدري كم صلَّى»[٢].

٥٨٨- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذا سمِعتُم النداءَ فقولوا مثلَ ما يَقولُ، ثُمَّ صلوا عليَّ؛ فإنه من صلَّى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا، ثُمَّ سلوا اللهَ لي الوسيلةَ؛ فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنبَغي إلا لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجو أن أكونَ أنا هو، فمَن سألَ لي الوسيلةَ حلَّت له الشفاعةُ»[٣].

٥٨٩- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدعاءُ لا يُردُّ بين الأذانِ والإقامةِ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩).
(٣) أخرجه مسلم (٣٨٤).
(٤) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢).

(٨) باب فضلِ الصلواتِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٥٩٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**أرَأيتُم لو أن نَهرًا ببابِ أحدِكُم يغتَسِل منه كلَّ يوم خمسَ مراتٍ، هل يَبقى من دَرنِه شيءٌ؟**» قالوا: لا يَبقى من دَرنِه شيءٌ، قال: «**فذَلِك مَثلُ الصلواتِ الخمسِ، يَمحو الله بهنَّ الخطايا**»[(١)].

٥٩١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**الصَّلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، كفارةٌ لما بينهُنَّ، ما لم تُغشَ الكبائِرُ**»[(٢)].

٥٩٢- وعن عثمانَ بن عفانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ما من امرئٍ مسلمٍ تحضُرُه صلاةٌ مكتوبة فيُحسِن وضوءها؛ وخُشوعَها، ورُكوعَها، إلَّا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوبِ، ما لم تُؤتِ كبيرةً، وذلك الدهرَ كلَّه**»[(٣)].

(٩) باب فَضلِ صلاةِ الصُّبحِ والعَصرِ

٥٩٣- وعن أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من صلَّى البَردَين دخلَ الجنةَ**»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٨).
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).

٥٩٤- وعن عمارةَ بن رُوَيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**لن يَلِجَ النارَ أحدٌ صلى قبلَ طُلوعِ الشمسِ وقبل غُروبِها**» يعني: الفَجرَ والعصرَ(١).

٥٩٥- وعن جريرِ بن عبدِ الله البَجليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند النبيِّ ﷺ فنظرَ إلى القمرِ ليلةَ البدرِ، فقال: «**إنكم سترونَ ربَّكم كما ترون هذا القمرَ، لا تُضامون في رؤيتِه، فإن استطَعتُم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبل طلوعِ الشمسِ وقبل غُروبِها، فافعَلوا**»(٢).

٥٩٦- وعن بُريدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن تركَ صلاةَ العَصرِ حَبِط عملُه**»(٣).

(١٠) باب فضلِ المشي إلى المساجِدِ

٥٩٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**من غَدا إلى المسجِدِ أو راحَ، أعدَّ الله له في الجنةِ نُزُلًا كلما غدَا أو راحَ**»(٤).

٥٩٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**من تَطَهَّر في بيتِه، ثم مضى إلى بيتٍ من بيوتِ الله، ليقضي فَريضةً من فرائِضِ الله، كانت خُطواتُه، إحداهما تحطُّ خَطيئةً، والأخرى تَرفعُ درجةً**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٦٣٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).
(٣) أخرجه البخاري (٥٥٣).
(٤) أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).
(٥) أخرجه مسلم (٦٦٦).

٥٩٩- وعن أُبيٍّ بن كعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رجلٌ من الأنصارِ لا أعلمُ أحدًا أبعدَ من المسجدِ منه، وكانت لا تُخطِئه صلاةٌ، فقيل له: لو اشتريتَ حِمارًا تركبُه في الظَّلماءِ وفي الرمضاءِ، قال: ما يَسرُّني أن منزلي إلى جنبِ المسجدِ، إني أريد أن يُكتَب لي ممشايَ إلى المسجدِ، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي. فقال رسولُ الله ﷺ: «**قد جمَعَ الله لك ذلك كلَّه**»[(١)].

٦٠٠- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خَلَت البقاعُ حولَ المسجدِ، فأراد بنو سلِمة أن ينتَقِلوا قرب المسجدِ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال لهم: «**بلَغَني أنكم تُريدون أن تنتَقِلوا قربَ المسجدِ؟**» قالوا: نعم، يا رسولَ الله، قد أردنا ذلك. فقال: «**بني سَلِمةَ، ديارَكُم تُكتَب آثارُكم، ديارَكُم تُكتَب آثارُكم**» فقالوا: ما يَسُرُّنا أنا كنا تحوَّلنا[(٢)].

(١١) باب فضل انتظارِ الصلاةِ

٦٠١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامَت الصَّلاةُ تَحبِسُه، لا يَمنعُه أن ينقلِبَ إلى أهلِه إلا الصلاةِ**»[(٣)].

٦٠٢- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**الملائكةُ تصلي على أحدِكم ما دامَ في مُصلاه الذي صلى فيه، ما لم يُحدِث، تقول: اللهمَّ اغفِر له، اللهمَّ ارحَمْهُ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٦٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٥).

(١٢) باب فضلِ صلاةِ الجماعةِ

٦٠٣- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**صَلاةُ الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ الفذِّ بسبعٍ وعشرين درجةً**»[(١)].

٦٠٤- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ أعمى، فقال: يا رسولَ الله، ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجدِ، فسألَ رسولَ الله ﷺ أن يُرخِّص له فيُصلي في بيتِه، فرخَّص له، فلما ولَّى دعاه، فقال له: «**هل تَسمعُ النداءَ بالصلاةِ؟**» قال: نَعم. قال: «**فأجِب**»[(٢)].

٦٠٥- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**والذي نَفسي بيدِه، لقد هَممتُ أن آمُرَ بحَطبٍ فيُحتَطب، ثمَّ آمرَ بالصلاةِ فيؤذَّن لها، ثمَّ آمرَ رجلًا فيؤمَّ الناسَ، ثم أخالِفَ إلى رجالٍ فأُحرِّقَ عليهم بُيوتَهم**»[(٣)].

٦٠٦- وعن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما من ثلاثةٍ في قَريةٍ، ولا بدوٍ، لا تقامُ فيهم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطان؛ فعليكم بالجماعةِ؛ فإنما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧).

(١٣) باب الحثِّ على حضورِ الجماعةِ في الصبحِ والعِشاءِ

٦٠٧- وعن عثمانَ بن عفانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن صلَّى العِشاءَ في جماعةٍ، فكأنَّما قامَ نصفَ الليل، ومن صلى الصبحَ في جماعةٍ، فكأنَّما صلى الليلَ كلَّه»(١).

٦٠٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المنافقين من صلاةِ الفَجرِ والعشاءِ، ولو يَعلمون ما فيهما لأَتَوهُما ولو حَبوًا»(٢).

(١٤) باب الأمرِ بالمحافظةِ على الصلواتِ المكتوباتِ والنهيِ الأكيدِ والوَعيدِ الشَّديدِ في تركِهِنَّ

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

٦٠٩- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سألتُ رَسولَ الله ﷺ أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «الصَّلاةُ على وَقتِها» قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «برُّ الوالِدين» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «الجهادُ في سبيلِ الله»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٦)، والترمذي (٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٨٢)، ومسلم (٨٥).

٦١٠- وعن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ رأى في أصحابِه تأخُّرًا، فقال لهم: «**تَقَدَّموا فأْتَمُّوا بي، وليأتَمَّ بكم مَن بعدَكم، لا يزالُ قومٌ يتأخَّرون حتى يُؤخِّرَهم الله**»(١).

٦١١- وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمِرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يَشهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رَسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاةَ، فإذا فَعلوا ذلك، عَصموا مِنِّي دِماءهم وأموالهم، إلا بحقِّ الإسلامِ، وحسابُهم على الله**»(٢).

٦١٢- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ بين الرجلِ وبين الشِّركِ والكفرِ، تَركُ الصلاةِ**»(٣).

٦١٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أولَ ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامةِ من عملِه صلاتُه، فإذا صلَحَت، فقد أفلحَ وأنجح، وإن فسدت، فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضتِه شيءٌ، قال الربُّ عز وجل: انظروا هل لعَبدي مِن تطوُّعٍ، فيكمل بها ما انتقصَ من الفريضةِ؟ ثم تكون سائرُ أعمالِه على هذا**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٨٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٤١٣).

(١٥) باب فضلِ الصفِّ الأولِ والأمرِ بإتمامِ الصفوفِ الأُوَلِ وتسويتها والتراصِّ فيها

٦١٤- وعن جابرِ بنِ سَمُرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: خَرجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «**ألا تَصُفُّون كما تصُفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟**» فقلنا: يا رَسولَ الله، وكيفَ تصُفُّ الملائكة عند ربِّها؟ قال: «**يُتمُّون الصُّفوفَ الأُوَلَ، ويتراصون في الصفِّ**»(١).

٦١٥- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**خَيرُ صفوفِ الرجالِ أولُها، وشرُّها آخرُها، وخيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشرُّها أولُها**»(٢).

٦١٦- وعن أبي مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ يَمسحُ مناكِبنا في الصلاةِ، ويقول: «**استَووا ولا تَختَلِفوا فتختلفَ قُلوبُكم، لِيَلِيني منكُم أُولو الأَحلامِ والنُّهى، ثم الذين يَلونَهم، ثُم الذين يَلونَهم**»(٣).

٦١٧- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**سَوُّوا صُفوفَكم فإنَّ تَسويةَ الصفوفِ من إقامةِ الصَّلاةِ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٣)، ومسلم (٤٣٣).

(١٦) باب فضلِ السُّننِ الراتِبةِ مع الفرائضِ وبيان أقلِّها وأكملِها وما بينهما

٦١٨- وعن أمِّ حَبيبةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ما مِن عبدٍ مُسلمٍ يُصلي لله تعالى كل يومٍ ثِنتَي عشرةَ ركعةً تطوعًا غير فريضةٍ، إلا بَنى الله تعالى له بيتًا في الجنةِ**» أو «**إلا بُنيَ له بيتٌ في الجنةِ**»[(١)].

٦١٩- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: صليتُ مع رسولِ الله ﷺ ركعتين قبلَ الظُّهرِ، وركعتين بعدَها، وركعتين بعدَ الجُمعةِ، وركعتين بعد المغربِ، وركعتين بعدَ العِشاءِ[(٢)].

٦٢٠- وعن عبدِ الله بن مُغفَّلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بينَ كلِّ أذانَينِ صلاةٌ، بينَ كلِّ أذانينِ صَلاةٌ، بين كلِّ أذانينِ صَلاةٌ**» قال في الثالثةِ: «**لمن شاءَ**»[(٣)].

المرادُ بالأذانين: الأذان والإقامةُ.

(١٧) باب تأكيدِ ركعتي سنةِ الصُّبحِ

٦٢١- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: لم يَكُن النبيُّ ﷺ على شيءٍ من النوافِلِ أشدَّ تعاهدًا منه على ركعتي الفَجرِ[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٨).
(٢) أخرجه البخاري (١١٧٢)، ومسلم (٧٢٩).
(٣) أخرجه البخاري (٦٢٧)، ومسلم (٨٣٨).
(٤) أخرجه البخاري (١١٦٩)، ومسلم (٧٢٤).

٦٢٢- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «رَكعتا الفجرِ خيرٌ من الدنيا وما فيها»[(١)].

(١٨) باب تَخفيفِ ركعتي الفَجرِ وبيان ما يُقرأ فيهما وبيان وَقتِهما

٦٢٣- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسولَ الله ﷺ كان يُصلِّي ركعتين خَفيفتَين بين النِّداءِ والإقامةِ من صلاةِ الصبحِ[(٢)].

٦٢٤- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ كان يَقرأُ في ركعتي الفَجرِ في الأولى منها: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية التي في البقرةِ، وفي الآخرةِ منها: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢][(٣)].

٦٢٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: رَمَقتُ النبيَّ ﷺ شَهرًا وكان يَقرأُ في الركعتين قبلَ الفَجرِ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[(٤)].

(١٩) باب استحبابِ الاضطِجاعِ بعد ركعتي الفَجرِ على جنبِه الأيمنِ والحثِّ عليه سواءٌ كان تهجَّدَ بالليلِ أم لا

٦٢٦- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان النبيُّ ﷺ إذا صلى رَكعتيِ الفَجرِ، اضطجَعَ على شِقِّه الأيمنِ[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٥).
(٢) أخرجه البخاري (٦١٩)، ومسلم (٧٢٤).
(٣) أخرجه مسلم (٧٢٧).
(٤) أخرجه الترمذي (٤١٧)، وابن ماجه (١١٤٩).
(٥) أخرجه البخاري (١١٦٠).

(٤٠) باب سنة الظُّهرِ

٦٢٧- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: صلَّيتُ مع رسولِ الله ﷺ رَكعتين قبلَ الظُّهرِ وركعتين بَعدَها[١].

٦٢٨- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: كان النبيُّ ﷺ يصلي في بيتي قبلَ الظهرِ أربعًا، ثم يخرجُ، فيصلي بالناسِ، ثم يدخلُ فيصلي ركعتين، وكان يُصلي بالناسِ المغربَ، ثم يدخلُ فيصلي ركعتين، ويصلي بالناسِ العشاءَ، ويدخلُ بيتي فيصلي ركعتين[٢].

(٤١) باب سنة العصرِ

٦٢٩- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: **«رَحِمَ الله امرءًا صلى قبلَ العَصرِ أربعًا»**[٣].

(٤٢) باب سُنةِ المغربِ بعدَها وقبلَها

تقدَّم في هذه الأبوابِ حديثُ ابن عمرَ[٤] وحديثُ عائشةَ[٥]، وهما صَحيحان: أن النبيَّ ﷺ كان يُصلي بعدَ المغربِ ركعتين.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧٢)، ومسلم (٧٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٧٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود (١٢٧١)، والترمذي (٤٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (١١٧٢)، ومسلم (٧٢٩).

(٥) أخرجه مسلم (٧٣٠).

٦٣٠- وعن عبدِ الله بن مغفلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «صلُّوا قبل المغربِ» قال في الثالثةِ: «لمن شاءَ»[(١)].

(٢٣) باب سُنةِ العِشاءِ بعدَها وقبلَها

فيه حديثُ ابن عمرَ السابقُ: صليتُ مع النبيِّ ﷺ ركعتين بعدَ العِشاءِ، وحديثُ عبدِ الله بن مُغفَّلٍ: «بين كُلِّ أذانين صَلاةٌ»[(٢)].

(٢٤) باب سنةِ الجُمعةِ

٦٣١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا صلَّى أحَدُكم الجمعةَ، فليُصلِّ بعدَها أربَعًا»[(٣)].

٦٣٢- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ كان لا يُصلي بعد الجمعةِ حتى ينصرِفَ، فيُصلي ركعتين في بيتِه[(٤)].

(٢٥) باب استحبابِ جعلِ النوافلِ في البيتِ سواءٌ الراتبةُ وغيرها والأمرِ بالتحولِ للنافلةِ من موضعِ الفريضةِ أو الفصلِ بينهما بكلامٍ

٦٣٣- وعن زيدِ بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «صَلُّوا أيها الناسُ في بيوتِكم، فإنَّ أفضَلَ الصلاةِ صلاةُ المرءِ في بيتِه إلا المكتوبة»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٧)، ومسلم (٨٣٨).
(٣) أخرجه مسلم (٨٨١).
(٤) أخرجه مسلم (٨٨٢).
(٥) أخرجه البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١).

٦٣٤- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**اجعَلوا من صَلاتِكم في بيوتِكم، ولا تتَّخِذوها قُبورًا**»(١).

٦٣٥- وعن عمرَ بن عطاءٍ: أن نافعَ بن جبيرٍ أرسلَه إلى السائبِ ابن أختِ نَمِرٍ يسألُه عن شيءٍ رآه منه معاويةُ في الصلاةِ، فقال: نَعم، صليتُ معه الجمعةَ في المقصورةِ، فلما سلَّم الإمامُ، قمت في مقامي، فصلَّيتُ، فلما دخلَ أرسلَ إليَّ، فقال: لا تَعُد لِما فعلتَ؛ إذا صليتَ الجمعةَ فلا تَصِلها بصلاةٍ حتى تتكلَّم أو تخرجَ؛ فإن رسولَ الله ﷺ أمرَنا بذلك، أن لا نوصلَ صلاةً بصلاةٍ حتى نتكلَّم أو نخرجَ(٢).

(٢٦) باب الحثِّ على صلاةِ الوِترِ وبيانِ أنه سُنةٌ متأكدةٌ وبيان وقتِه

٦٣٦- وعن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: الوِترُ ليس بحَتمٍ كصلاةِ المكتوبةِ، ولكن سَنَّ رسولُ الله ﷺ، قال: «**إنَّ الله وِترٌ يحبُّ الوترَ، فأوتِروا يا أهلَ القرآنِ**»(٣).

٦٣٧- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: مِن كلِّ الليلِ قد أوتَرَ رسولُ الله ﷺ من أولِّ الليلِ، ومن أوسطِه، وآخِره، وانتهى وِترُه إلى السَّحرِ(٤).

٦٣٨- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**اجعَلوا آخرَ صلاتِكم بالليلِ وِترًا**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٨٣).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، والنسائي (١٦٧٥)، وابن ماجه (١١٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١).

٦٣٩- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن خافَ أن لا يقومَ من آخرِ الليل، فليوتِر أولَه، ومن طمعَ أن يقومَ آخرَه فليوتِر آخرَ الليل، فإن صلاةَ آخرِ الليلِ مشهودةٌ وذلك أفضلُ»[(١)].

(٢٧) باب فضلِ صلاةِ الضُّحى وبيانِ أقلِّها وأكثَرِها وأوسَطِها، والحثِّ على المحافظةِ عليها

٦٤٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أوصاني خَليلي ﷺ بصيامِ ثَلاثةِ أيامٍ من كلِّ شَهرٍ، وركعتي الضُّحى، وأن أوتِرَ قبل أن أرقُدَ[(٢)].

٦٤١- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يصلي الضحى أربعًا، ويزيدُ ما شاءَ الله[(٣)].

٦٤٢- وعن أمِّ هانئٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ذَهَبتُ إلى رسولِ الله ﷺ عامَ الفتحِ فوجدتُه يغتَسِل، فلما فرَغَ من غُسلِه، صلى ثَماني ركعاتٍ، وذلك ضُحًى[(٤)].

(٢٨) باب تَجوزُ صلاةُ الضُّحى من ارتفاعِ الشَّمسِ إلى زوالِها والأفضلُ أن تُصلَّى عند اشتِدادِ الحَرِّ وارتفاعِ الضُّحى

٦٤٣- وعن زيدِ بن أرقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه رأى قَومًا يُصلُّون من الضُّحى، فقال: أمَا لقد عَلِموا أنَّ الصَّلاةَ في غيرِ هذه الساعةِ أفضلُ، إنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «صَلاةُ الأوابينَ حين تَرمَضُ الفِصالُ»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).
(٣) أخرجه مسلم (٧١٩).
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦).
(٥) أخرجه مسلم (٧٤٨).

«**تَرمَضُ**» يعني: شدة الحر. و«**الفِصالُ**» جمعُ فصيلٍ، وهو: الصغيرُ من الإبلِ.

(٢٩) باب الحثِّ على صلاةِ تحيةِ المسجدِ بركعتين وكراهةِ الجلوسِ قبلَ أن يُصلي ركعتين في أيِّ وقتٍ دخلَ وسواءٌ صلى ركعتين بنيةِ التحيةِ أو صلاةِ فَريضةٍ أو سنةٍ راتبةٍ أو غيرها

٦٤٤- وعن أبي قتادةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا دَخلَ أحدُكُم المسجِدَ، فلا يَجلِس حتى يُصليَ رَكعتين**»[١].

٦٤٥- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: أَتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المسجِدِ، فقال: «**صَلِّ ركعتين**»[٢].

(٣٠) باب استحبابِ رَكعتين بعد الوُضوءِ

٦٤٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال لبلالٍ: «**يا بِلالُ، حدِّثني بأَرجى عملٍ عمِلتَه في الإِسلامِ، فإني سمِعتُ دَفَّ نَعلَيك بين يَدَيَّ في الجنةِ**» قال: ما عمِلتُ عملًا أرجى عندي من أني لم أتَطَهَّر طُهورًا في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ إلا صَلَّيت بذلك الطُّهورِ ما كُتِب لي أن أصلِّيَ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤)، ومسلم (٧١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣)، ومسلم (٧١٥).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

(٣١) باب فضلِ يومِ الجمعةِ، ووجوبِها، والاغتسالِ لها، والطِّيبِ، والتَّبكيرِ إليها، والدُّعاءِ يومَ الجمعةِ، والصلاةِ على النبيِّ ﷺ فيه، وبيانُ ساعةِ الإجابةِ، واستحبابِ إكثارِ ذكرِ الله تعالى بعد الجمعةِ

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

٦٤٧- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ يوم الجمعةِ: فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أدخلَ الجنة، وفيه أُخرِجَ منها»[1].

٦٤٨- وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن توضَّأ فأحسنَ الوضوءَ ثم أتى الجمعةَ، فاستَمَعَ وأنصَتَ، غُفرَ له ما بينَه وبين الجمعةِ وزيادة ثلاثةِ أيامٍ، ومن مسَّ الحصى، فقد لَغا»[2].

٦٤٩- وعنه وعن ابن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: أنهما سمِعَا رسولَ الله ﷺ يقولُ على أعوادِ منبرِه: «لَيَنتَهِيَنَّ أقوامٌ عن وَدعِهِم الجمعاتِ أو لَيَختِمَنَّ الله على قلوبِهم ثم لَيكونُنَّ من الغافِلين»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٥).

٦٥٠- وعن سَمُرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن توضَّأ يومَ الجمعةِ فبها ونِعمَت، ومَن اغتَسلَ فالغُسلُ أفضَلُ»[(١)].

٦٥١- وعن سلمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يغتسلُ رجلٌ يوم الجمعةِ، ويتطهَّرُ ما استطاعَ من طهرٍ، ويدَّهِن من دُهنِه، أو يمسُّ من طيبِ بيته، ثم يخرجُ فلا يُفَرِّقُ بين اثنين، ثم يُصلي ما كُتِب له، ثم يُنصِت إذا تكلَّم الإمامُ، إلا غُفِر له ما بينه وبين الجمعةِ الأخرى»[(٢)].

٦٥٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَن اغتَسلَ يوم الجمعةِ غُسلَ الجنابةِ، ثم راحَ فكأنَّما قرَّبَ بَدنةً، ومن راحَ في الساعةِ الثانيةِ، فكأنَّما قرَّبَ بقرةً، ومن راحَ في الساعةِ الثالثةِ، فكأنَّما قَرَّب كبشًا أقرَنَ، ومن راحَ في الساعةِ الرابعةِ، فكأنما قرَّبَ دَجاجةً، ومن راحَ في الساعةِ الخامسةِ، فكأنَّما قرَّب بيضةً، فإذا خرجَ الإمامُ، حضرتِ الملائكةُ يَستَمعون الذِّكرَ»[(٣)].

٦٥٣- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ ذكرَ يومَ الجمعةِ، فقال: «فيها ساعةٌ لا يوافِقُها عبد مسلمٌ، وهو قائمٌ يصلي يسألُ الله شيئًا، إلا أعطاه إياه» وأشارَ بيدِه يُقَلِّلها[(٤)].

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧).
(٢) أخرجه البخاري (٨٨٣).
(٣) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).
(٤) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).

(٣٢) باب فَضلِ قيامِ الليلِ

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾ [الذاريات: ١٧].

٦٥٤- وعن سالِمِ بن عبدِ الله بن عمرَ بن الخطابِ، عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن النبي ﷺ قال: «**نِعمَ الرجلُ عبدُ الله، لو كان يُصلي من الليلِ**» قال سالمٌ: فكان عبدُ الله بعدَ ذلك لا ينامُ من الليلِ إلَّا قليلًا[(١)].

٦٥٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يَعقِدُ الشيطانُ على قافِيةِ رأس أحدِكم، إذا هو نامَ، ثلاثَ عُقَدٍ، يضربُ على كل عقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقَظَ، فذَكرَ الله تعالى انحلَّت عقدةٌ، فإن توضأَ، انحلَّت عقدةٌ، فإن صلى، انحلَّت عقدةٌ، فأصبحَ نشيطًا طيبَ النفسِ، وإلا أصبحَ خبيثَ النفس كسلانَ**»[(٢)].

٦٥٦- وعن عبدِ الله بن سلامٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**أيها الناسُ: أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطعامَ، وصلُّوا بالليل والناسُ نيامٌ، تدخُلوا الجنةَ بسلامٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤).

٦٥٧- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ يُفطِر من الشهرِ حتى نظنَّ أن لا يصومَ منه، ويصومُ حتى نظنَّ أن لا يُفطرَ منه شيئا، وكان لا تَشاءُ أن تراه من الليلِ مُصلِّيًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيتَه[(١)].

٦٥٨- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: ما كان رسولُ الله ﷺ يَزيدُ في رمضانَ ولا في غيرِه على إِحدى عشرةَ ركعةٍ: يُصلي أربعًا فلا تَسأل عن حُسنِهِنَّ وطولهن، ثم يُصلي أربعًا فلا تَسأل عن حُسنهنَّ وطولهن، ثم يُصلي ثلاثًا. فقلت: يا رَسولَ الله، أتنامُ قبلَ أن توتِرَ؟ فقال: «**يا عائشةُ، إن عينَيَّ تنامان ولا يَنامُ قَلبي**»[(٢)].

٦٥٩- وعن حذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: صليتُ مع النبيِّ ﷺ ذات ليلة فافتتحَ البقرةَ، فقلت: يركعُ عند المائةِ، ثم مضى، فقلت: يُصلي بها في ركعةٍ فمضى، فقلت: يركعُ بها، ثم افتتحَ النساءَ فقرَأها، ثم افتتحَ آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلًا: إذا مرَّ بآيةٍ فيها تَسبيحٌ سبح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سألَ، وإذا مر بتعوذٍ تعوَّذَ، ثم ركعَ، فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**» فكان ركوعُه نحوًا من قيامِه، ثم قال: «**سمعَ الله لمن حمده، ربنا لك الحمدُ**» ثم قامَ طويلًا قريبًا مما ركعَ، ثم سجد، فقال: «**سبحان ربي الأعلى**» فكان سجودُه قريبًا من قيامِه[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٢).

٦٦٠- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَالِلَّهُعَنهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أحبُّ الصلاةِ إلى الله عز وجل صلاةُ داود، وأحبُّ الصيامِ إلى الله صيامُ داود، كان ينامُ نصفَ الليلِ ويقومُ ثلثَه وينامُ سدسه، ويصومُ يومًا ويُفطر يومًا**»(١).

٦٦١- وعن جابرٍ رَضِيَالِلَّهُعَنهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ في الليلِ لَساعةً، لا يوافقها رجلٌ مسلم يسألُ الله خيرًا من أمرِ الدنيا والآخرةِ، إلا أعطاه إياه، وذلك كلَّ ليلةٍ**»(٢).

٦٦٢- وعن أبي هريرةَ رَضِيَالِلَّهُعَنهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا قامَ أحدُكم من الليلِ فليفتتحِ الصلاةَ بركعتين خفيفتين**»(٣).

٦٦٣- وعن عائشةَ رَضِيَالِلَّهُعَنهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا قامَ من الليلِ افتتحَ صلاتَه بركعتين خفيفتين(٤).

٦٦٤- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَالِلَّهُعَنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من نامَ عن حِزبِه، أو عن شيءٍ منه، فقرأَه فيما بين صلاةِ الفجرِ وصلاةِ الظُّهرِ، كُتبَ له كأنما قرأَه من الليلِ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٠)، ومسلم (١١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٧٦٨).

(٤) أخرجه مسلم (٧٦٧).

(٥) أخرجه مسلم (٧٤٧).

٦٦٥- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رحمَ الله رجلًا قامَ من الليلِ، فصلى وأيقظَ امرأتَه، فإن أَبَت نضحَ في وجهِها الماءَ، رحمَ الله امرأةً قامت من الليل، فصلَّت وأيقظَت زوجَها، فإن أبى نَضَحَت في وجهِه الماءَ»[(١)].

٦٦٦- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «إذا نعسَ أحدُكم في الصلاةِ؛ فليَرقُد حتى يذهبَ عنه النومُ، فإن أحدَكم إذا صلى وهو ناعسٌ، لعله يذهبُ يستغفرُ فيسبُّ نفسَه»[(٢)].

(٣٣) باب استحبابِ قِيامِ رمضانَ وهو التراويحُ

٦٦٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «من قامَ رمضانَ إيمانًا واحتِسابًا غُفرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه»[(٣)].

(٣٤) باب فضلِ قيامِ ليلةِ القَدْرِ وبيانِ أرجى لياليها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١] إلى آخرِ السورةِ، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] الآيات.

٦٦٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «من قامَ ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتِسابًا غُفرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجه (١٣٣٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢١٢)، ومسلم (٧٨٦).
(٣) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

٦٦٩- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُجاورُ في العَشرِ الأواخرِ من رمضانَ، ويقول: «**تحرَّوا ليلةَ القَدرِ في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ**»(١).

٦٧٠- وعنها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: قُلت: يا رَسولَ الله، أرأيتَ إن علِمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةَ القدْرِ ما أقولُ فيها؟ قال: «**قولي: اللهُمَّ إنك عفُوٌّ تحبُ العَفوَ فاعفُ عني**»(٢).

(٣٥) باب فضلِ السِّواكِ وخِصالِ الفِطرةِ

٦٧١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لولا أن أشُقَّ على أمَّتي -أو على الناسِ- لأمرتُهم بالسِّواكِ مع كلِّ صلاةٍ**»(٣).

٦٧٢- وعن حُذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا قامَ من النومِ يَشوصُ فاهُ بالسواكِ(٤).

٦٧٣- وعن شُريحِ بن هانِئٍ، قال: قلت لعائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: بأيِّ شيءٍ كان يَبدأ النبيُّ ﷺ إذا دخلَ بيتَه؟ قالت: بالسِّواك(٥).

٦٧٤- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**عشرٌ من الفِطرةِ: قصُّ الشاربِ، وإعفاءُ اللِّحيةِ، والسِّواك، واستِنشاقُ الماءِ، وقصُّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠).
(٣) أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).
(٤) أخرجه البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٢٥٥).
(٥) أخرجه مسلم (٢٥٣).

الأظفارِ، وغسلُ البَراجِم، ونتف الإبطِ، وحلقُ العانةِ، وانتقاصُ الماءِ» قال الراوي: ونسيتُ العاشرةَ إلا أن تكون المضمضةُ. قال وكيعٌ -وهو أحدُ رواتِه-: انتقاصُ الماءِ: يَعني الاستِنجاءَ[1].

(٣٦) باب تأكيدِ وُجوبِ الزكاةِ وبيانِ فضلِها وما يتعَلَّق بها

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥]، وقال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

٦٧٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: **«بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلَّا الله، وأن مُحمدًا عبدُه ورسولُه، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وحجِّ البيتِ، وصومِ رمضانَ»**[2].

٦٧٦- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: أن النبيَّ ﷺ بَعثَ مُعاذًا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إلى اليمنِ، فقال: **«ادعُهُم إلى شهادةِ أن لا إله إلَّا الله وأني رَسولُ الله، فإن هُم أطاعوا لذلك؛ فأعلِمهُم أن الله، افتَرضَ عليهم خَمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فأعلِمهُم أن الله افتَرضَ عليهم صدقةً تُؤخذ من أغنيائِهم، وتُردُّ على فُقرائِهم»**[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١).
(٢) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

٦٧٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما تُوفي رسولُ الله ﷺ وكان أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكَفرَ مَن كفرَ من العربِ، فقال عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كيف تقاتِلُ الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمِرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فمن قالَها فقد عَصمَ مِنِّي ماله ونَفسَه إلا بحقِّه، وحسابُه على الله**»؟ فقال: والله، لأُقاتِلنَّ من فَرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، فإن الزكاةَ حقُّ المالِ، والله، لو مَنعوني عِقالًا كانوا يُؤدُّونه إلى رسولِ الله ﷺ لقاتلتُهم على منعِه. قال عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فوالله ما هو إلا أن رَأيتُ الله قد شَرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ، فعرَفتُ أنه الحقُّ[(١)].

٦٧٨- وعن أبي أيوبَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رجلًا قال للنبيِّ ﷺ: أخبرني بعملٍ يُدخِلني الجنةَ، قال: «**تعبدُ الله، ولا تُشركُ به شيئًا، وتُقيمُ الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتَصلُ الرحمَ**»[(٢)].

٦٧٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن صاحِبِ ذَهبٍ، ولا فِضةٍ، لا يؤدي منها حقَّها إلا إذا كان يومُ القيامةِ صُفِّحت له صفائِحُ من نارٍ، فأُحمي عليها في نارِ جهنَّم، فيُكوى بها جَنبُه، وجَبينُه، وظهرُه، كلما بردَت أعيدت له في يومٍ كان مِقدارُه خمسينَ ألف سنةٍ، حتى يُقضى بين العبادِ فيرى سبيلُه، إما إلى الجنةِ، وإما إلى النارِ**».

قيل: يا رَسولَ الله، فالإبلُ؟ قال: «**ولا صاحِبَ إبلٍ لا يؤدي منها حقَّها، ومِن حقِّها حلبُها يومَ وِردِها، إلا إذا كان يومُ القيامةِ بُطِحَ لها بقاعٍ قَرقَرٍ أوفرَ ما كانت، لا يَفقِدُ منها فصيلًا واحدًا، تطؤُه بأخفافِها، وتعضُّه بأفواهِها، كلما مرَّ عليه**

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣).

أولاها، رُدَّ عليه أُخراها، في يومٍ كان مقدارُه خَمسين ألف سنةٍ، حتى يُقضى بين العبادِ، فيُرى سبيلُه، إما إلى الجنةِ، وإما إلى النارِ».

قيل: يا رَسولَ الله، فالبقرُ والغنمُ؟ قال: «ولا صاحبِ بقرٍ ولا غَنمٍ لا يؤدي منها حقَّها، إلا إذا كان يومُ القيامة، بُطِحَ لها بقاعٍ قَرقَرٍ، لا يَفقِد منها شيئًا، ليس فيها عَقصاءُ، ولا جَلحاءُ، ولا عَضباءُ، تنطحُه بقُرونها، وتَطؤُه بأظلافِها، كلما مرَّ عليه أولاها، رُدَّ عليه أُخراها، في يومٍ كان مِقدارُه خمسين ألف سنةٍ حتى يُقضى بين العبادِ، فيُرى سبيلُهُ، إما إلى الجنةِ، وإما إلى النارِ».

قيل: يا رَسولَ الله فالخيلُ؟ قال: «الخيلُ ثلاثةٌ: هي لرجلٍ وِزر، وهي لرجلٍ سِترٌ، وهي لرجلٍ أجرٌ، فأمَّا التي هي له وِزرٌ فرجلٌ رَبَطَها رياءً وفَخرًا ونِواءً على أهل الإسلامِ، فهي له وِزرٌ، وأمَّا التي هي له سِترٌ، فرجلٌ رَبَطَها في سبيلِ الله، ثم لم يَنسَ حقَّ الله في ظُهورِها، ولا رِقابِها، فهي له سِترٌ، وأما التي هي له أجرٌ، فرجلٌ ربَطَها في سبيلِ الله لأهلِ الإسلامِ في مرجٍ وروضةٍ فما أكلت من ذلك المرجِ أو الروضةِ من شيءٍ إلا كُتبَ له عددَ ما أكلَت حسناتٍ، وكتبَ له عددَ أرواثِها وأبوالها حسناتٍ، ولا تقطعُ طولها فاستَنَّت شرفًا أو شرفين إلا كتبَ الله له عددَ آثارها وأرواثِها حسناتٍ، ولا مرَّ بها صاحبُها على نهرٍ، فشرِبَت منه، ولا يُريدُ أن يَسقِيَها إلا كتبَ الله له عددَ ما شَرِبَت حسناتٍ».

قيل: يا رَسولَ الله فالحُمرُ؟ قال: «ما أُنزِلَ عليَّ في الحمرِ شيءٌ إلا هذه الآيةُ الفاذةُ الجامعةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٩٨٧).

(٣٧) باب وجوبِ صَومِ رمضانَ وبيانِ فضلِ الصيامِ وما يتعلَّق به

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

٦٨٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجل: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصيامَ، فإنه لي وأنا أَجزي به، والصيامُ جُنَّةٌ، فإذا كان يومُ صَومِ أحدِكم فلا يَرفُث ولا يَصخَب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتَلَه فليَقُل: إني صائمٌ، والذي نفسُ محمدٍ بيَدِه لخلوفُ فَمِ الصائِمِ أطيبُ عند الله من ريحِ المسكِ، للصائمِ فَرحتان يَفرَحهُما: إذا أفطَرَ فرِحَ بفِطرِه، وإذا لقِيَ ربَّه فرِحَ بصومِه»(١).

٦٨١- وعن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إن في الجنةِ بابًا يقال له: الريان، يدخلُ منه الصائمون يوم القيامةِ، لا يدخلُ منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخُل منه أحدٌ غيرُهم، فإذا دخلوا أُغلِق فلم يَدخُل منه أحدٌ»(٢).

٦٨٢- وعن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِن عَبدٍ يَصومُ يومًا في سبيلِ الله إلا باعدَ الله بذلك اليومِ وجهَه عن النارِ سبعين خريفًا»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤، ٧٤٩٢)، ومسلم (١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

٦٨٣- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**من صامَ رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه**»[١].

٦٨٤- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا جاءَ رمضانُ، فُتِّحَت أبوابُ الجنةِ، وغُلِّقت أبوابُ النارِ، وصُفِّدت الشياطين**»[٢].

٦٨٥- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**صوموا لرؤيتِه، وأَفطِروا لرؤيتِه، فإن غَبِيَ عليكم، فأكمِلوا عدةَ شعبان ثلاثين**»[٣].

(٣٨) باب الجودِ وفعلِ المعروفِ والإكثارِ من الخيرِ في شهرِ رمضانَ والزيادةِ من ذلك في العشرِ الأواخرِ منه

٦٨٦- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودُ ما يكون في رمضان حين يَلقاه جِبريلُ، وكان جِبريلُ يَلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضان فيُدارِسه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ حين يَلقاه جبريلُ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المرسلةِ[٤].

٦٨٧- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا دخلَ العشرُ أحيا الليلَ، وأيقظَ أهلَه، وشدَّ المئزَرَ[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (١٧٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩).
(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١).
(٤) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).
(٥) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٣٩) باب النهي عن تقدُّمِ رمضانَ بصومٍ بعد نِصف شعبانَ إلَّا لمن وصلَه بما قَبلَه، أو وافقَ عادةً له بأن كان عادتُه صومَ الاثنين والخميس فوافقه

٦٨٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يتَقَدَّمن أحدُكُم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومين، إلا أن يكون رجلٌ كان يومَ صومِه، فليَصُم ذلك اليومَ»[١].

(٤٠) باب ما يقالُ عندَ رؤيةِ الهلالِ

٦٨٩- وعن طلحةَ بن عبيدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ كان إذا رأى الهلالَ، قال: «اللهُمَّ أهِلَّه علينا بالأمنِ والإيمانِ، والسلامةِ والإسلامِ، ربي وربُّك الله، هلالُ رُشدٍ وخَيرٍ»[٢].

(٤١) باب فضلِ السُّحورِ وتأخيرِه ما لم يُخشَ طُلوعُ الفجرِ

٦٩٠- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَسحَّروا؛ فإن في السحورِ بركةً»[٣].

٦٩١- وعن زيدِ بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تسحَّرنا مع رسولِ الله ﷺ ثمَّ قمنا إلى الصلاةِ. قيل: كم كان بينَهما؟ قال: خمسون آيةً[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٥١).
(٣) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٥)، ومسلم (١٠٩٧).

٦٩٢- وعن عمرو بن العاصي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**فصلُ ما بين صيامِنا وصيامِ أهل الكتابِ، أَكلةُ السَّحرِ**»[(١)].

(٤٢) باب فضلِ تعجيلِ الفِطرِ وما يفطرُ عليه، وما يقولُه بعد إفطارِه

٦٩٣- وعن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَزالُ الناسُ بخيرٍ ما عجَّلوا الفِطرَ**»[(٢)].

٦٩٤- وعن أبي عطيةَ، قال: دخَلتُ أنا ومسروقٌ على عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فقال لها مَسروقٌ: رجلان من أصحابِ محمدٍ ﷺ كلاهما لا يَألو عن الخَيرِ؛ أحدُهما يُعجِّل المغربَ والإفطارَ، والآخرُ يؤخِّر المغربَ والإفطارَ؟ فقالت: من يعجلُ المغربَ والإفطارَ؟ قال: عبدُ الله -يَعني: ابن مَسعودٍ- فقالت: هكذا كان رسولُ الله يَصنَع[(٣)].

٦٩٥- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أقبلَ الليلُ من هاهنا، وأدبرَ النَّهارُ من هاهنا، وغَربتِ الشمسُ، فقد أفطَرَ الصائِمُ**»[(٤)].

٦٩٦- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ يُفطِر قبل أن يُصلي على رُطباتٍ، فإن لم تكن رُطبات فتُميرات، فإن لم تكن تُميرات حسا حَسواتٍ من ماءٍ[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).
(٣) أخرجه مسلم (١٠٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).
(٥) أخرجه أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦).

(٤٣) باب أمرِ الصائمِ بحِفظِ لسانِه وجوارِحه عن المخالَفاتِ والمشاتمةِ ونحوها

٦٩٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كانَ يومُ صَومِ أحدِكم، فلا يَرفُث ولا يَصخَب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتَله، فليقُل: إني صائِمٌ»(١).

٦٩٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَن لم يَدَع قولَ الزورِ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه»(٢).

(٤٤) باب في مسائلَ من الصومِ

٦٩٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا نَسِيَ أحدُكم، فأكلَ، أو شرِبَ، فليُتمَّ صومَه، فإنَّما أطعَمه الله وسَقاه»(٣).

٧٠٠- وعن لَقيطِ بن صَبْرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسولَ الله، أخبِرني عن الوضوءِ؟ قال: «أسبِغ الوضوءَ، وخلِّل بين الأصابعِ، وبالِغ في الاستنشاقِ، إلا أن تكون صائمًا»(٤).

٧٠١- وعن عائِشةَ وأمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالتا: كان رسولُ الله ﷺ يُصبِح جُنبًا من غيرِ حُلم، ثم يصومُ(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٣).
(٣) أخرجه البخاري (١٩٣٣)،ومسلم (١١٥٥).
(٤) أخرجه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨)، وابن ماجه (٤٠٧).
(٥) أخرجه البخاري (١٩٣١، ١٩٣٢)، ومسلم (١١٠٩).

(٤٥) باب بيان فضلِ صومِ المحرَّمِ وشعبانَ

٧٠٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أفضلُ الصيامِ بعدَ رمضانَ: شهرُ الله المحرَّمِ، وأفضلُ الصلاةِ بعد الفَريضةِ: صلاةُ الليلِ**»(١).

٧٠٣- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لم يكن النبيُّ ﷺ يَصومُ من شهرٍ أكثرَ من شعبان، فإنَّه كان يَصومُ شَعبانَ كلَّه(٢).

(٤٦) باب فضلِ الصومِ وغيره في العَشرِ الأُولِ من ذي الحجةِ

٧٠٤- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن أيامٍ، العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيامِ**» يعني: أيامَ العشرِ. قالوا: يا رَسولَ الله، ولا الجهادُ في سبيلِ الله؟ قال: «**ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلا رجلٌ خَرجَ بنفسِه وماله، فلم يَرجِع من ذلك بشيءٍ**»(٣).

(٤٧) باب فضلِ صومِ يومِ عرفةَ وعاشوراءَ وتاسوعاءَ

٧٠٥- وعن أبي قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ عن صَومِ يومِ عرفةَ، قال: «**يُكفِّرُ السَّنةَ الماضيةَ والباقيةَ**»(٤).

٧٠٦- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لئِن بَقيتُ إلى قابلٍ لأصومنَّ التاسعَ**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (١١٥٦).
(٣) أخرجه البخاري (٩٦٩).
(٤) أخرجه مسلم (١١٦٢).
(٥) أخرجه مسلم (١١٣٤).

(٤٨) باب استحبابِ صومِ ستةِ أيامٍ من شوال

٧٠٧- وعن أبي أيوبَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «من صامَ رمضانَ ثُمَّ أتبَعهُ سِتًّا مِن شوال، كان كصيامِ الدهرِ»[١].

(٤٩) باب استحبابِ صَومِ الاثنين والخَميسِ

٧٠٨- وعن أبي قتادةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ سُئِل عن صومِ الاثنين، فقال: «ذلكَ يومٌ وُلِدتُ فيه، ويومٌ بُعِثتُ» أو «أُنزِل عليَّ فيه»[٢].

٧٠٩- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يتحرى صومَ الاثنين والخميسِ[٣].

(٥٠) باب استحبابِ صومِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ

والأفضلُ صومُها في الأيامِ البيضِ وهي: الثالثَ عَشرَ والرابعَ عشرَ والخامِسَ عَشرَ.

٧١٠- وعن أبي الدَّرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أوصاني حَبيبي ﷺ بثلاثٍ لن أدَعَهُنَّ ما عِشتُ: بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كل شَهرٍ، وصلاة الضُّحى، وبأن لا أنامَ حتى أوتِرَ[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٤).
(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٧٤٥)، والنسائي (٢١٨٦)، وابن ماجه (١٧٣٩).
(٤) أخرجه مسلم (٧٢٢).

٧١١- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**صَومُ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شَهرٍ صومُ الدَّهرِ كلِّه**»[(١)].

٧١٢- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا صُمتَ من الشهرِ ثلاثًا، فصُم ثلاثَ عشرةَ، وأربعَ عشرةَ، وخمسَ عشرةَ**»[(٢)].

(٥١) باب فضلِ من فطَّرَ صائمًا ودعاءِ الآكلِ للمأكولِ عنده

٧١٣- وعن زيدِ بن خالدٍ الجُهَنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**من فَطَّر صائِمًا، كان له مثلُ أجرِه، غير أنه لا يَنقُص من أجرِ الصائمِ شيءٌ**»[(٣)].

٧١٤- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ جاء إلى سعدِ بن عُبادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجاءَ بخبزٍ وزَيتٍ، فأكلَ، ثم قال النبيُّ ﷺ: «**أفطَرَ عندكم الصائمون؛ وأَكَلَ طعامَكم الأبرارُ، وصَلَّتْ عليكم الملائكةُ**»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٩)، ومسلم (١١٥٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٧٦١)، والنسائي (٢٤٢٤).
(٣) أخرجه الترمذي (٨٠٧)، وابن ماجه (١٧٤٦).
(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٥٤).

كتابُ الاعتكافِ

٧١٥- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبيَّ ﷺ كان يَعتكِفُ العشرَ الأواخِرَ من رمضانَ، حتى توفَّاهُ الله تعالى، ثم اعتكَف أزواجُه بَعدَه[1].

٧١٦- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ يعتكِفُ في كلِّ رمضانَ عشرةَ أيام، فلما كان العامُ الذي قُبِض فيه اعتكفَ عشرين يومًا[2].

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤٤).

كتاب الحجِّ

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

٧١٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَبنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**أيُّها الناسُ، قد فَرضَ الله عليكُم الحجَّ فحُجوا**» فقال رجلٌ: أكلَّ عامٍ يا رَسولَ الله؟ فسكَت، حتى قالها ثَلاثًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «**لو قُلتُ: نَعم؛ لوَجَبَت، ولما استطَعتُم**» ثم قال: «**ذَروني ما تركتُكم؛ فإنما هَلك من كان قبلَكم بكثرةِ سؤالهم، واختِلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استَطعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فدَعوه**»(١).

٧١٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سُئِل النبيُّ ﷺ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: «**إيمانٌ بالله ورسولِه**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حجٌّ مَبرورٌ**»(٢).

٧١٩- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**من حجَّ، فلم يَرفُث، ولم يَفسُق، رَجعَ كيومِ ولدَته أمُّه**»(٣).

٧٢٠- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**العُمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينَهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةَ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).
(٣) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).
(٤) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

٧٢١- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ لقِيَ رَكبًا بالروحاءِ، فقال: «**مَن القومُ؟**» قالوا: المسلمون. قالوا: مَن أنت؟ قال: «**رسولُ الله**» فرَفَعَت امرأةٌ صبيًّا، فقالت: ألهذا حجٌّ؟ قال: «**نَعم، ولكِ أجرٌ**»[(١)].

٧٢٢- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كانت عُكاظ، ومجَنَّة، وذو المجازِ أسواقًا في الجاهلية، فتأثَّموا أن يتَّجِروا في المواسِمِ، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] في مواسمِ الحجِّ[(٢)].

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٦).
(٢) أخرجه البخاري (٤٥١٩).

كتابُ الجهادِ

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١].

وقال الله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾ [النساء: ٩٥ - ٩٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف: ١٠ - ١٣]، والآياتُ في البابِ كثيرةٌ مشهورةٌ.

٧٢٣- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رَسولَ الله، أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «**الصَّلاةُ على وَقتِها**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**بِرُّ الوالِدَين**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**»(١).

٧٢٤- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى رجلٌ رَسولَ الله ﷺ فقال: أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قال: «**مؤمنٌ يُجاهدُ بنفسِه ومالِه في سبيلِ الله**» قال: ثمَّ من؟ قال: «**ثم مؤمنٌ في شِعبٍ من الشِّعابِ يعبدُ الله، ويدعُ الناسَ من شرِّه**»(٢).

٧٢٥- وعن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**رِباطُ يومٍ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضعُ سوطِ أحدِكم من الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما عليها، والرَّوحةُ يروحُها العبدُ في سبيلِ الله، أو الغدوة، خيرٌ من الدنيا وما عليها**»(٣).

٧٢٦- وعن سلمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**رِباطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامِه، وإن مات فيه؛ جرى عليه عملُه الذي كان يَعمَلُ، وأُجرِيَ عليه رزقُه، وأمِنَ الفتان**»(٤).

٧٢٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن مَكلومٍ يُكلَم في سبيلِ الله إلا جاءَ يومَ القيامةِ، وكَلْمُه يَدمَى: اللون لونُ دمٍ، والريحُ ريحُ مسكٍ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٢)، ومسلم (٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٢)، ومسلم (١٨٨١).
(٤) أخرجه مسلم (١٩١٣).
(٥) أخرجه البخاري (٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦).

٧٢٨- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قيل: يا رَسولَ الله، ما يعدِلُ الجهادَ في سبيلِ الله؟ قال: «**لا تَستطيعونَه**» فأعادوا عليه مرَّتين أو ثلاثًا كل ذلك يقولُ: «**لا تَستَطيعونَه!**» ثم قال: «**مَثلُ المجاهِدِ في سبيلِ الله كمَثلِ الصائِمِ القائمِ القانِت بآياتِ الله لا يَفتُرُ من صلاةٍ، ولا صيامٍ، حتى يَرجِع المجاهدُ في سبيلِ الله**»(١).

٧٢٩- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهِدين في سبيلِ الله، ما بين الدَّرجتين كما بين السماءِ والأرضِ**»(٢).

٧٣٠- وعن أبي بكرِ بن أبي موسى الأشعريِّ، قال: سمعتُ أبي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو بحضرةِ العدوِّ، يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن أبوابَ الجنةِ تحتَ ظِلالِ السيوفِ**» فقامَ رجلٌ رثُّ الهيئةِ، فقال: يا أبا موسى أنتَ سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نَعَم، فرَجعَ إلى أصحابِه، فقال: أَقرَأُ عليكم السَّلامَ، ثم كَسرَ جَفنَ سيفِه فألقاه، ثم مَشى بسيفِه إلى العدوِّ فضربَ به حتى قُتِلَ(٣).

٧٣١- وعن زيدِ بن خالدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من جهَّزَ غازِيًا في سبيلِ الله فقد غَزا، ومن خَلفَ غازِيًا في أهلِه بخيرٍ فقد غَزا**»(٤).

٧٣٢- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما أحدٌ يدخُلُ الجنةَ يحبُّ أن يرجِعَ إلى الدنيا وله ما على الأرضِ من شيءٍ إلَّا الشهيد، يتمَنَّى أن يرجِعَ إلى الدنيا، فيُقتَلَ عشرَ مراتٍ؛ لما يرى من الكرامةِ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨).
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).
(٣) أخرجه مسلم (١٩٠٢).
(٤) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥).
(٥) أخرجه البخاري (٢٨١٧)، ومسلم (١٨٧٧).

٧٣٣- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن أمَّ الرَّبيعِ بنتَ البراءِ وهي أمُّ حارثةَ بن سراقةَ، أتت النبيَّ ﷺ فقالت: يا رَسولَ الله، ألا تُحدِّثني عن حارثةَ -وكان قُتِلَ يومَ بدر- فإن كان في الجنةِ صبَرتُ، وإن كان غير ذلك اجتَهدتُ عليه في البكاءِ، فقال: «**يا أمَّ حارثةَ، إنها جِنانٌ في الجنةِ، وإن ابنَك أصابَ الفِردَوسَ الأعلى**»(١).

٧٣٤- وعن سَهلِ بن حُنيفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من سَألَ الله تعالى الشهادةَ بصِدقٍ بلَّغه الله منازلَ الشُّهداءِ، وإن ماتَ على فِراشِه**»(٢).

٧٣٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**الخَيلُ مَعقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامةِ**»(٣).

٧٣٦- وعن عقبةَ بن عامرٍ الجُهنيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو على المنبرِ، يقولُ: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠] **ألَا إنَّ القوةَ الرَّميُ، ألَا إنَّ القوةَ الرَّميُ، ألَا إنَّ القوةَ الرَّميُ**»(٤).

٧٣٧- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من ماتَ ولم يَغزُ، ولم يحدِّث نفسَه بغزوٍ، مات على شعبةٍ من النفاقِ**»(٥).

٧٣٨- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَتمَنَّوا لقاءَ العدوِّ، فإذا لَقيتُموهم صابِروا**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤٤)، ومسلم (١٨٧١).
(٤) أخرجه مسلم (١٩١٧).
(٥) أخرجه مسلم (١٩١٠).
(٦) أخرجه البخاري (٣٠٢٦)، ومسلم (١٧٤١).

٧٣٩- وعنه، وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «الحَربُ خَدعةٌ»[(١)].

(١) باب بيانِ جماعةٍ من الشُّهداءِ في ثوابِ الآخرةِ ويُغسَّلون ويُصلَّى عليهم بخلافِ القَتيلِ في حربِ الكفارِ

٧٤٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الشهداءُ خمسةٌ: المطعونُ والمبطونُ، والغَريقُ، وصاحبُ الهَدمِ، والشَّهيدُ في سبيلِ الله»[(٢)].

٧٤١- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما تَعدون الشُّهداءَ فيكم؟» قالوا: يا رَسولَ الله، من قُتِل في سبيلِ الله فهو شهيدٌ. قال: «إن شهداءَ أمَّتي إذًا لقَليلٌ!» قالوا: فمن هم يا رَسولَ الله؟ قال: «من قُتِل في سبيلِ الله فهو شَهيدٌ، ومن ماتَ في سبيلِ الله فهو شَهيدٌ، ومن ماتَ في الطاعون فهو شَهيدٌ، ومن ماتَ في البَطنِ فهو شهيدٌ، والغَريقُ شَهيدٌ»[(٣)].

٧٤٢- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قُتِل دون مالِه فهو شهيدٌ»[(٤)].

(٢) باب فَضلِ العِتقِ

قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ الآية [البلد: ١١ - ١٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٩، ٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣)، ومسلم (١٩١٤).
(٣) أخرجه مسلم (١٩١٥).
(٤) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١).

٧٤٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَن أعتَقَ رقبةً مُسلمةً أعتقَ الله بكلِّ عضوٍ منه، عُضوًا منه في النارِ، حتى فرجَه بفَرجِه»(١).

(٣) باب فضلِ الإحسانِ إلى المملوكِ

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦].

٧٤٤- وعن المعرورِ بن سويدٍ، قال: رأيتُ أبا ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعليه حلةٌ وعلى غلامِه مثلُها، فسألتُه عن ذلك، فذكرَ أنه سابَّ رجلًا على عهدِ رسولِ الله ﷺ فعيَّره بأمِّه، فقال النبيُّ ﷺ: «إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ، هم إخوانُكُم وخَوَلُكم جعلَهم الله تحت أيديكُم، فمن كان أخوه تحت يدِه، فليُطعِمه مما يأكُلُ، وليُلبِسه مما يلبسُ، ولا تُكَلِّفوهم ما يَغلِبهم، فإن كلَّفتموهم فأَعينوهُم»(٢).

٧٤٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا أَتى أحدَكُم خادمُه بطعامِه، فإن لم يُجلِسه معه، فليُناوِله لُقمةً أو لُقمتين أو أُكلةً أو أُكلَتين؛ فإنه وَلِيَ عِلاجَه»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥٥٧)، ومسلم (١٦٦٣).

(٤) باب فضلِ المملوكِ الذي يؤدي حقَّ الله تعالى وحقَّ مَواليه

٧٤٦- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المملوكُ الذي يُحسِن عبادةَ ربِّه، ويؤدي إلى سيِّدِه الذي عليه من الحقِّ، والنَّصيحةِ، والطاعةِ، له أجران»[(١)].

(٥) باب فضلِ العبادةِ في الهَرجِ

وهو: الاختلاطُ والفِتنُ ونحوها

٧٤٧- وعن معقلِ بن يسارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العبادةُ في الهَرجِ كهِجرةٍ إليَّ»[(٢)].

(٦) باب فضلِ السماحةِ في البيعِ والشِّراءِ والأخذِ والعَطاءِ وحُسنِ القضاءِ والتقاضي وإرجاحِ المكيالِ والميزانِ، والنَّهي عن التَّطفيفِ وفضلِ إنظارِ الموسرِ المعسرَ والوضعِ عنه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [هود: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ١ - ٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

٧٤٨- وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ يتقاضاه فأغلَظَ له، فهَمَّ به أصحابُه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**دعوه، فإن لصاحبِ الحقِّ مقالًا**» ثم قال: «**أَعطوهُ سِنًّا مثل سنِّه**» قالوا: يا رسولَ الله، لا نجدُ إلا أمثَلَ من سنِّه، قال: «**أَعطوه، فإن خيرَكم أحسَنُكم قضاءً**»[1].

٧٤٩- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**رَحِمَ الله رجلًا سَمحًا إذا باعَ، وإذا اشتَرى، وإذا اقتَضى**»[2].

٧٥٠- وعن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**حوسِبَ رجلٌ ممن كان قبلَكم، فلم يوجَد له مِن الخيرِ شيءٌ، إلَّا أنه كان يُخالِط الناسَ وكان موسِرًا، وكان يأمُرُ غِلمانَه أن يتَجاوَزوا عن المعسِرِ، قال الله عز وجلَّ: نحن أحقُّ بذلك منه؛ تَجاوزوا عنه**»[3].

٧٥١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أنظَرَ مُعسِرًا، أو وَضعَ له، أظلَّه الله يومَ القيامةِ تحتَ ظِلِّ عرشِه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه**»[4].

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٧٦).
(٣) أخرجه مسلم (١٥٦١).
(٤) أخرجه الترمذي (١٣٠٦).

كتابُ العِلم

(١) بـاب فضلِ العلم

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٧٥٢- وعن معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن يُرِدِ الله به خَيرًا يفقِّهه في الدينِ»[١].

٧٥٣- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَثلُ ما بَعثَني الله به من الهدى والعِلم كمثلِ غيثٍ أصاب أرضًا فكانت منها طائفةٌ طيبةٌ، قبِلَت الماءَ فأنبتَت الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ، وكان منها أجادبُ أمسكتِ الماءَ فنفعَ الله بها الناسَ، فشربوا منها وسَقَوا وزرعوا، وأصابَ طائفةً منها أخرى إنما هي قيعانٌ لا تُمسِك ماء ولا تُنبِت كلأً، فذلك مَثلُ من فَقُه في دينِ الله ونفعَه ما بَعثَني الله به فعَلِم وعَلَّم، ومثلُ من لم يَرفع بذلك رأسًا ولم يَقبَل هدى الله الذي أُرسِلتُ به»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

٧٥٤- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «**بَلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرجَ، ومن كذبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النارِ**»[١].

٧٥٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**مَن دعا إلى هُدى كان له من الأجرِ مثلُ أجورِ من تبِعَه لا ينقُصُ ذلك من أجورِهم شيئًا**»[٢].

٧٥٦- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**الدُّنيا مَلعونةٌ، مَلعونٌ ما فيها، إلا ذِكرَ الله تعالى، وما والاه، وعالِمًا، ومتعلِّمًا**»[٣].

٧٥٧- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إن الله لا يقبِضُ العِلمَ انتزاعًا ينتَزِعُه من الناسِ، ولكن يَقبِضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتخذَ الناسَ رؤوسًا جهالًا، فسُئِلوا فأفتَوا بغيرِ عِلمٍ، فضلُّوا وأضَلُّوا**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢).
(٤) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

كتابُ حمدِ الله تعالى وشُكرِه

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١] وقال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

٧٥٨- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا ماتَ ولدُ العَبدِ قال الله تعالى لملائِكته: قَبَضتُم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نَعم، فيقولُ: قَبَضتُم ثَمرةَ فؤادِه؟ فيقولون: نَعم، فيَقول: فماذا قال عبدي؟ فيَقولون: حمِدَك واستَرجَع، فيقولُ الله تعالى: ابنوا لعَبدي بيتًا في الجنةِ، وسَمُّوه بيتَ الحمدِ**»(١).

٧٥٩- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله ليَرضى عن العبدِ أن يأكُلَ الأَكلةَ، فيحمدَه عليها، ويَشربَ الشربةَ، فيحمدَه عليها**»(٢).

(١) أخرجه الترمذي (١٠٢١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

كتابُ الصلاةِ على رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٧٦٠- وعن ابن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنه سَمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَن صلَّى عليَّ صلاةً، صلى الله عليه بها عَشْرًا**»(١).

٧٦١- وعن أوسِ بن أوسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ مِن أفضلِ أيامِكُم يومَ الجمعةِ، فأكثِروا عليَّ من الصلاةِ فيه، فإنَّ صلاتَكم مَعروضةٌ عليَّ**» فقالوا: يا رَسولَ الله، وكيف تُعرَض صلاتُنا عليك وقد أرَمتَ؟! قال: يقولُ بَليت. قال: «**إنَّ الله حرَّمَ على الأرضِ أجسادَ الأنبياءِ**»(٢).

٧٦٢- وعن فَضالةَ بن عُبيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَمعَ رسولُ الله ﷺ رجلًا يدعو في صلاتِه لم يُمَجِّد الله تعالى، ولم يُصَلِّ على النبيِّ ﷺ فقال رسولُ الله ﷺ: «**عَجِلَ هذا**» ثم دعاهُ فقال له -أو لغيرِه-: «**إذا صلَّى أحدُكُم فليَبَدَأ بتَمجيدِ ربه سبحانَه، والثناءِ عليه، ثم يُصلِّي على النبيِّ ﷺ، ثم يَدعو بعدُ بما شاءَ**»(٣).

٧٦٣- وعن كَعبِ بن عُجرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خَرجَ علينا النبيُّ ﷺ فقُلنا: يا رَسولَ الله قد علِمنا كيفَ نُسلِّم عليك، فكيف نُصلِّي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهُمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، كما صلَّيت على آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهُمَّ بارك على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، كما بارَكت على آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).
(٢) أخرجه أبو داود (١٥٣١)، وابن ماجه (١٦٣٦).
(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧).
(٤) أخرجه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

كتابُ الأذكارِ

(١) بابُ فضلِ الذِّكرِ والحثِّ عليه

قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] الآية.

والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

٧٦٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كلِمتانِ خَفيفتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلتانِ في الميزانِ، حَبيبتانِ إلى الرحمنِ: سُبحانَ الله وبِحمدِه، سُبحانَ الله العظيمِ**»(١).

٧٦٥- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**مَن قال: لا إله إلَّا الله وحدَه لا شَريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ؛ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، في يوم مائةَ مرة؛ كانت له عدل عشرِ رقاب، وكُتِبَت له مائةُ حسنةٍ، ومُحِيَت عنه مائةُ سيئةٍ، وكانت له حرزًا من الشيطانِ يومَه ذلك حتى يُمسي، ولم يَأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ به إلا رجلٌ عمِلَ أكثرَ منه**».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

وقال: «من قالَ: سبحانَ الله وبحَمدِه، في يومٍ مائةَ مرةٍ، حطَّت خَطاياه، وإن كانت مثلَ زَبدِ البَحرِ»[(١)].

٧٦٦- وعن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا انصرفَ من صلاتِه استغفَرَ ثلاثًا، وقال: «اللهُمَّ أنت السلامُ، ومنك السلامُ، تبارَكتَ ذا الجَلالِ والإكرامِ»[(٢)].

٧٦٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «من سبَّحَ الله في دُبرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين، وحمِدَ الله ثلاثًا وثلاثين، وكبَّرَ الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمامَ المائةِ: لا إله إلَّا الله وحدَه لا شَريكَ له، له الملكُ وله الحَمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرَت خطاياه وإن كانت مثلَ زَبدِ البَحرِ»[(٣)].

٧٦٨- وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ كان يتعَوَّذ دُبرَ الصلاة بهؤلاءِ الكلماتِ: «اللهُمَّ إني أعوذُ بك من الجُبنِ، وأعوذُ بك أن أُرَدَّ إلى أرذلِ العُمرِ، وأعوذُ بك من فِتنةِ الدنيا، وأعوذُ بك من فتنةِ القَبرِ»[(٤)].

٧٦٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا تشَهَّد أحدُكم فليَستَعِذ بالله من أربعٍ، يقول: اللهُمَّ إني أعوذُ بك من عَذابِ جهنَّم، ومن عَذابِ القَبرِ، ومن فتنةِ المحيا والمماتِ، ومن شَرِّ فتنةِ المسيحِ الدجالِ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٣، ٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).
(٢) أخرجه مسلم (٥٩١).
(٣) أخرجه مسلم (٥٩٧).
(٤) أخرجه البخاري (٢٨٢٢).
(٥) أخرجه مسلم (٥٨٨).

٧٧٠- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان النبيُّ ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ في رُكوعِه وسُجودِه: «**سبحانَك اللهُمَّ ربَّنا وبحمدِك، اللهُمَّ اغفِر لي**»[(١)].

٧٧١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أقرَبُ ما يكونُ العَبدُ من ربِّه وهو ساجِدٌ، فأكثِروا الدعاءَ**»[(٢)].

٧٧٢- وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عندَ رَسولِ الله ﷺ فقال: «**أيَعجِزُ أحدُكُم أن يَكسِب في كلِّ يومٍ ألفَ حسنةٍ!**» فسأله سائلٌ من جُلسائِه: كيف يَكسِب ألفَ حسنةٍ؟ قال: «**يُسبِّح مائةَ تَسبيحةٍ فيُكتَب له ألفُ حسنةٍ، أو يُحطُّ عنه ألف خَطيئةٍ**»[(٣)].

٧٧٣- وعن جُويريةَ بنتِ الحارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبيَّ ﷺ خرجَ من عندِها بُكرةً حين صلَّى الصبحَ وهي في مسجِدِها، ثم رجعَ بعد أن أضحى وهي جالِسة، فقال: «**ما زِلتِ على الحالِ التي فارَقتُك عليها؟**» قالت: نَعَم، فقال النبيُّ ﷺ: «**لقَد قُلتُ بعدَك أربعَ كَلماتٍ ثَلاثَ مراتٍ، لو وُزِنَت بما قُلتِ منذ اليوم لوزَنَتهُنَّ: سبحانَ الله وبحَمدِه عددَ خَلقِه، ورضا نَفسِه، وزِنةَ عَرشِه، ومِدادَ كلِماتِه**»[(٤)].

٧٧٤- وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَثَلُ الذي يَذكُرُ ربَّه والذي لا يَذكُره مَثَلَ الحيِّ والميِّت**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).
(٢) أخرجه مسلم (٤٨٢).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٢٦)، والترمذي (٣٥٥٥).
(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

٧٧٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سَبق المفَرِّدون» قالوا: وما المفَرِّدون؟ يا رَسولَ الله قال: «الذاكِرون الله كَثيرًا والذاكِرات»[1].

٧٧٦- وعن عبدِ الله بن بُسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال: يا رَسولَ الله، إن شرائِعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ، فأخبِرني بشيءٍ أتشَبَّث به قال: «لا يَزالُ لِسانُك رطبًا من ذِكرِ الله»[2].

٧٧٧- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «ألا أدُلُّك على كَنزٍ من كُنوزِ الجنةِ؟» فقلت: بَلى يا رَسولَ الله. قال: «لا حَولَ ولا قوةَ إلَّا بالله»[3].

(٢) باب ذِكرِ الله تعالى قائمًا أو قاعدًا ومضطَجعًا ومُحدِثًا وجُنبًا وحائضًا إلا القُرآنَ فلا يحلُّ لجُنبٍ ولا حائضٍ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

٧٧٨- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ يَذكُر الله على كلِّ أحيانِه[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤).
(٤) أخرجه مسلم (٣٧٣).

(٣) باب ما يَقولُه عند نَومِه واستيقاظِه

٧٧٩- وعن حُذيفةَ، وأبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قالا: كان رَسولُ الله ﷺ إذا أوى إلى فِراشِه، قال: «**باسمِك اللهُمَّ أحيا وأموتُ**» وإذا استَيقَظَ قال: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتَنا وإليه النُّشورُ**»(١).

(٤) باب فَضلِ حِلَقِ الذِّكرِ والندبِ إلى ملازَمتِها والنهيِّ عن مفارَقتِها لغيرِ عذرٍ

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

٧٨٠- وعن أبي هُريرةَ، وأبي سَعيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يَقعُد قومٌ يَذكرون الله عز وجل إلَّا حفَّتهُم الملائِكةُ وغَشِيتهُم الرحمةُ ونزلَت عليهم السَّكينةُ؛ وذكَرَهم الله فيمَن عندَه**»(٢).

٧٨١- وعن أبي واقدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ بينَما هو جالسٌ في المسجِدِ، والناسُ معه، إذ أقبلَ ثلاثةُ نفرٍ، فأقبلَ اثنان إلى رسولِ الله ﷺ وذَهبَ واحدٌ؛ فوقَفا على رسولِ الله ﷺ، فأمَّا أحدُهما فرأى فُرجةً في الحَلقةِ فجَلسَ فيها، وأما الآخرُ فجلسَ خلفَهم، وأما الثالِثُ فأدبَر ذاهبًا، فلما فرغَ رسولُ الله ﷺ قال: «**ألا أخبِرُكُم عن النَّفرِ الثلاثةِ: أما أحدُهُم فأوى إلى الله؛ فآواه الله، وأمَّا الآخرُ فاستَحيي؛ فاستَحيي الله منه، وأمَّا الآخَرُ، فأعرَضَ؛ فأعرَضَ الله عنه**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢) عن حذيفة، وفي (٦٣٢٥) عن أبي ذر.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

(٥) باب الذِّكرِ عند الصباحِ والمساءِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [النور: ٣٦ - ٣٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

٧٨٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من قالَ حين يُصبِحُ وحين يُمسي: سبحان الله وبحَمدِه، مائةَ مرةٍ، لم يأتِ أحدٌ يوم القيامةِ بأفضلَ مما جاءَ به، إلا واحد قال مثلَ ما قالَ أو زادَ**»(١).

٧٨٣- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ما لقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحةَ! قال: «**أما لو قلتَ حين أمسيتَ: أعوذُ بكلماتِ الله التاماتِ من شرِّ ما خلقَ: لم تضرَّك**»(٢).

٧٨٤- وعنه، عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقولُ إذا أصبحَ: «**اللهم بك أصبَحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموتُ، وإليك النشورُ**» وإذا أمسى قال: «**اللهمَّ بك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموتُ، وإليك النشورُ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).
(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨).

٧٨٥- وعنه: أن أبا بكرٍ الصديقَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: يا رسولَ الله، مُرني بكلماتٍ أقولهن إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ، قال: «**قل: اللهمَّ فاطرَ السماوات والأرضِ عالم الغيبِ والشهادةِ؛ ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أشهدُ أن لا إله إلَّا أنت، أعوذُ بك من شرِّ نفسي، وشرِّ الشيطان وشِركِه**» قال: «**قُلها إذا أصبَحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجَعَك**»[(١)].

٧٨٦- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان نبيُّ الله ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسَينا وأَمسى المُلك لله، والحمدُ لله، لا إله إلَّا الله وحدَه لا شَريكَ له**» قال الراوي: أُراه قال فيهِنَّ: «**له الملكُ وله الحَمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قَديرٌ، ربِّ أسألُك خيرَ ما في هذه الليلة وخيرَ ما بعدَها، وأعوذُ بك من شرِّ ما في هذه الليلةِ وشرِّ ما بَعدَها، ربِّ أعوذُ بك من الكَسلِ، وسوءِ الكِبرِ، أعوذ بك من عذابٍ في النارِ، وعذابٍ في القَبرِ**» وإذا أصبحَ قال ذلك أيضًا «**أصبَحنا وأصبَحَ الملكُ لله**»[(٢)].

٧٨٧- وعن عبدِ الله بن خُبَيبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**اقرأ: قل هو الله أحدٌ، والمعوذتين حين تُمسي وحين تُصبحُ، ثلاث مراتٍ تَكفيك من كلِّ شيءٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، والنسائي (٥٤٢٨).

٧٨٨- وعن عثمانَ بن عفانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِن عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كل ليلةٍ: بسمِ الله الذي لا يضرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليمُ، ثلاث مرات، إلا لم يضرَّه شيءٌ»(١).

(٦) باب ما يَقولُه عند النومِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] الآيات.

٧٨٩- وعن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال له ولِفاطمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «إذا أَوَيتُما إلى فِراشِكما -أو إذا أخَذتُما مَضاجِعَكما- فكبِّرا ثَلاثًا وثلاثين، وسبِّحا ثلاثًا وثَلاثين، واحمدا ثَلاثًا وثلاثين»(٢).

٧٩٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أَوى أحَدُكُم إلى فِراشِه فلينفُضْ فِراشَه بداخِلةِ إزارِه؛ فإنه لا يَدري ما خَلَفَه عليه، ثم يقولُ: باسمِك ربي وَضَعتُ جَنبي، وبك أرفَعُه، إن أَمسَكت نفسي فارحَمها، وإن أرسَلتَها، فاحفَظها بما تَحفَظُ به عبادَك الصالحين»(٣).

٧٩١- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أخذَ مضجعهُ نفثَ في يديه، وقرأَ بالمعوذاتِ، ومسحَ بهما جسدَه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

٧٩٢- وعن البراءِ بن عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**إذا أتيتَ مضجَعك فتوضَّأ وضوءك للصلاةِ، ثم اضطجِع على شقِّك الأيمن، وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظَهري إليك، رهبةً ورغبةً إليك، لا مَلجَأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزَلت، وبنبيِّك الذي أرسلتَ، فإن مُتَّ مُتَّ على الفِطرةِ، واجعلهن آخرَ ما تقولُ**»[(١)].

٧٩٣- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشِه قال: «**الحمدُ لله الذي أطعَمَنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافِيَ له ولا مُؤوي**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٥).

كتابُ الدَّعواتِ

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

٧٩٤- وعن النُّعمانِ بن بَشيرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الدعاءُ هو العبادةُ**»(١).

٧٩٥- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يَستَحبُّ الجوامعَ من الدعاءِ، ويدعُ ما سوى ذلك(٢).

٧٩٦- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: كان أكثرُ دعاءِ النبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حَسنةً، وقِنا عذابَ النارِ**»(٣).

٧٩٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**تَعَوَّذوا بالله من جَهدِ البلاءِ، ودَرَك الشَّقاءِ، وسوءِ القَضاءِ، وشَماتةِ الأعداءِ**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).

٧٩٨- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ: «**اللهُمَّ أصلِح لي دينيَ الذي هو عِصمةُ أمري، وأصلِح لي دُنياي التي فيها مَعاشي، وأصلِح لي آخِرَتي التي فيها مَعادي، واجعلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحة لي من كل شرٍّ**»[(١)].

٧٩٩- وعن أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه قال لرَسولِ الله ﷺ: عَلِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «**قل: اللهُمَّ إني ظلَمتُ نَفسي ظُلمًا كثيرًا، ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، فاغفِر لي مغفرةً من عندِك، وارحمني؛ إنك أنت الغفورُ الرحيم**»[(٢)].

٨٠٠- وعن أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ: أنه كان يَدعو بهذا الدُّعاءِ: «**اللهُمَّ اغفِر لي خَطيئتي وجَهلي، وإسرافي في أَمري، وما أنتَ أعلمُ به مِنِّي، اللهُمَّ اغفِر لي جِدِّي وهَزلي؛ وخَطئي وعَمدي؛ وكلَّ ذلك عِندي، اللهُمَّ اغفِر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرَرتُ وما أعلَنت، وما أنت أعلَمُ به منِّي، أنت المقدِّمُ، وأنت المؤخِّرُ، وأنت على كلِّ شيءٍ قديرٌ**»[(٣)].

٨٠١- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: كان من دعاءِ رَسولِ الله ﷺ: «**اللهُمَّ إني أعوذُ بك من زَوالِ نِعمتِك، وتحولِ عافيتِك، وفُجاءةِ نِقمتِك، وجميعِ سَخَطِك**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٦)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

٨٠٢- وعن زيدِ بن أرقمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ: «**اللهُمَّ إني أعوذُ بك من العَجزِ والكسلِ، والبُخلِ والهرمِ، وعذابِ القَبرِ، اللهُمَّ آتِ نفسي تَقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهُمَّ إني أعوذُ بك من عِلمٍ لا ينفعُ؛ ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومن نَفسٍ لا تَشبَعُ؛ ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لها**»[(١)].

٨٠٣- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ: «**اللهُمَّ لك أسلَمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلت، وإليك أَنبتُ، وبك خاصَمتُ، وإليك حاكَمتُ، فاغفِر لي ما قدَّمت، وما أخَّرتُ، وما أسرَرتُ، وما أعلَنتُ، أنت المقدِّمُ، وأنت المؤخِّرُ، لا إله إلَّا أنت**»[(٢)].

(١) باب فضلِ الدعاءِ بظَهرِ الغَيبِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، وقال تعالى إخبارًا عن إبراهيمَ ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

٨٠٤- وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ: «**دَعوةُ المرءِ المسلمِ لأخيهِ بظَهرِ الغيبِ مستجابةٌ، عند رأسِه مَلَك موكَّلٌ كلما دعا لأخيهِ بخيرٍ قال المَلَكُ الموكَّلُ به: آمين، ولك بمِثل**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).
(٢) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٢).

(٢) باب في مسائلَ من الدعاءِ

٨٠٥- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَدعوا على أنفُسِكم؛ ولا تدعوا على أولادِكُم، ولا تَدعوا على أموالِكُم، لا تُوافِقوا من الله ساعةً يُسأَلُ فيها عطاءً فيَستجيبَ لكم»[(١)].

٨٠٦- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «يُستجابُ لأحدِكم ما لم يَعْجَل: يقولُ: قد دَعَوتُ ربي، فلم يَستجِب لي»[(٢)].

٨٠٧- وعن عبادةَ بن الصامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «ما على الأرضِ مسلمٌ يَدعو الله تعالى بدعوةٍ إلا آتاه الله إيَّاها، أو صرفَ عنه من السوءِ مثلَها، ما لم يَدعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ» فقال رجلٌ مِن القومِ: إذًا نُكثِر قال: «الله أكثَرُ»[(٣)].

(٣) باب كراماتِ الأولياءِ وفَضلِهم

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾ [مريم: ٢٥، ٢٦]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٧٣).

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ الآية [الكهف: ١٦ - ١٧].

٨٠٨- وعن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن أصحابَ الصُّفَّةِ كانوا ناسًا فُقراءَ، وأن النبيَّ ﷺ قال مرةً: «**من كان عندَهُ طعامُ اثنينِ، فليَذهَب بثالثٍ، ومن كان عندهُ طَعامُ أربعةٍ، فليَذهَب بخامِسٍ بسادسٍ**» أو كما قال، وأن أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءَ بثلاثةٍ، وانطلَقَ النبيُّ ﷺ بعشرةٍ، وأن أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعَشَّى عند النبيِّ ﷺ، ثم لبِثَ حتى صلَّى العشاءَ، ثم رجعَ، فجاءَ بعد ما مَضى من الليلِ ما شاءَ الله. قالت له امرأتُه: ما حبَسَك عن أضيافِك؟ قال: أَوَما عَشَّيتِهم؟ قالت: أَبَوا حتَّى تَجيءَ وقد عَرَضوا عليهم، قال: فذَهَبتُ أنا فاختبَأتُ، فقال: يا غُنثَر، فجَدَّعَ وسَبَّ، وقال: كُلوا لا هَنيئًا، وقال: والله لا أطعَمُه أبدًا، قال: وايمُ الله، ما كنا نأخذُ من لُقمةٍ إلا رَبَا من أسفَلِها أكثرُ منها حتَّى شَبِعوا، وصارَت أكثرَ مما كانت قبلَ ذلك، فنَظَرَ إليها أبو بكرٍ فقال لامرأتِه: يا أُختَ بني فِراسٍ، ما هذا؟ قالت: لا وَقُرَّة عيني، لَهي الآن أكثرُ منها قبل ذلك بثلاثِ مراتٍ! فأكلَ منها أبو بكرٍ وقال: إنما كان ذلك من الشيطانِ -يعني: يمينه- ثم أكلَ منها لقمةً، ثم حمَلَها إلى النبيِّ ﷺ فأصبَحَت عنده، وكان بينَنا وبين قومٍ عَهدٌ، فمضى الأجلُ، فتفَرَّقنا اثنَي عشرَ رجلًا، مع كلِّ رجلٍ منهم أناسٌ، الله أعلمُ كم مع كل رجلٍ فأكلوا منها أجمعون(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧).

٨٠٩- وعن جابرِ بن سَمُرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: شكا أهلُ الكوفةِ سَعدًا - يعني: ابنَ أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إلى عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعزَلَه، واستعمَلَ عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذَكروا أنه لا يُحسِن يُصلي، فأرسلَ إليه، فقال: يا أبا إسحاقَ، إن هؤلاء يَزعمون أنك لا تُحسِن تُصلي، فقال: أمَّا أنا والله، فإني كنت أصلي بهم صلاةَ رسولِ الله ﷺ لا أَخرِم عنها، أصلي صلاةَ العشاءِ فأركُدُ في الأولين، وأخفُّ في الأُخرَيين. قال: ذلك الظنُّ بك يا أبا إسحاقَ، وأرسلَ معه رجلًا -أو رجالًا- إلى الكوفةِ يسألُ عنه أهلَ الكوفةِ، فلم يَدَع مسجدًا إلا سألَ عنه، ويُثنون معروفًا، حتى دخل مَسجدًا لبني عبسٍ، فقام رجلٌ منهم، يقال له: أسامةُ بن قتادةَ، يُكنى أبا سِعدةَ، فقال: أما إذ نَشَدتنا فإن سعدًا كان لا يَسيرُ بالسريةِ، ولا يَقسِم بالسويةِ، ولا يَعدِلُ في القَضيةِ. قال سعدٌ: أما والله لأَدعُوَنَّ بثلاثٍ: اللهم إن كان عبدُك هذا كاذِبًا، قامَ رياءً وسُمعةً، فأطِل عمرَه، وأَطِل فقرَه، وعَرِّضه للفِتن. وكان بعد ذلك إذا سُئِل يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ، أصابَتني دعوةُ سعدٍ. قال عبدُ الملكِ بنُ عُميرٍ الراوي عن جابرِ بنِ سَمُرةَ: فأنا رأيتُه بعدُ قد سقطَ حاجِباه على عَينَيه من الكِبر، وإنه ليتعرضُ للجواري في الطرقِ فيغمِزهُنَّ(١).

٨١٠- وعن عروةَ بن الزبيرِ: أن سَعيدَ بن زيدِ بن عمرِو بن نُفيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاصَمَتْه أروى بنتُ أوسٍ إلى مَروانَ بنِ الحكمِ، وادَّعَت أنه أخذ شيئًا من أرضِها، فقال سَعيدٌ: أنا كنت آخُذُ من أرضِها شيئًا بعد الذي سَمِعتُ من رسولِ الله ﷺ!؟ قال: ماذا سَمِعتَ من رسولِ الله ﷺ؟ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣).

أخذَ شِبرًا من الأرضِ ظُلمًا، طُوِّقَهُ إلى سبعِ أَرَضين» فقال له مَروانُ: لا أسألُكَ بيِّنةً بعدَ هذا، فقال سَعيدٌ: اللهُمَّ إن كانت كاذِبةً، فأَعمِ بَصَرَها، واقتُلها في أرضِها، قال: فما ماتَت حتى ذَهبَ بَصَرُها، وبينَما هي تَمشي في أرضِها إذ وَقَعَت في حفرةٍ فماتَت[1].

٨١١- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَجُلين من أصحابِ النبيِّ ﷺ خرجَا من عند النبيِّ ﷺ في ليلةٍ مُظلمةٍ ومعهما مثلُ المصباحين بين أيديهما. فلما افتَرَقا، صارَ مع كلِّ واحدٍ منهما واحدٌ حتى أتى أهلَه[2].

٨١٢- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: ما سمِعتُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ لشيءٍ قطُّ: إني لأظُنُّه كذا، إلَّا كان كما يظنُّ[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠).
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٨٦٦).

كتابُ الأمورِ المنهيِّ عنها

(١) باب تَحريمِ الغيبةِ والأمرِ بحِفظِ اللسانِ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

اعلَم أنه ينبغي لكلِّ مكلَّفٍ أن يحفَظَ لسانَه عن جميعِ الكلامِ إلا كلامًا ظهَرَت فيه المصلحةُ، ومتى استوى الكلامُ وتَرْكُه في المصلحةِ، فالسُّنَّةُ الإمساكُ عنه، لأنه قد ينجَرُّ الكلامُ المباح إلى حرامٍ أو مكروهٍ، وذلك كثيرٌ في العادةِ، والسلامةُ لا يَعدِلُها شيء.

٨١٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن كان يُؤمِن بالله واليومِ الآخِرِ فليَقُل خيرًا أو ليَصمُت**»[١].

٨١٤- وعن سَهلِ بن سَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن يَضمَنُ لي ما بين لَحيَيه وما بين رِجلَيه أضمَنُ له الجنةَ**»[٢].

٨١٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ العَبدَ ليتكَلَّمُ بالكلمةِ من رِضوانِ الله تعالى ما يُلقي لها بالًا يَرفَعُه الله بها دَرجاتٍ، وإن العبدَ ليتكَلَّم بالكلمةِ من سَخطِ الله تعالى لا يُلقي لها بالًا يَهوي بها في جهنَّم**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٤).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

٨١٦- وعن عقبةَ بن عامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رَسولَ الله، ما النَّجاةُ؟ قال: «**أمسِك عليك لِسانَك، وليَسَعك بيتُك، وابكِ على خَطيئتِك**»[(١)].

٨١٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أتَدرونَ ما الغِيبةُ؟**» قالوا: الله ورسولُه أعلَمُ، قال: «**ذِكرُكَ أخاكَ بما يَكرَهُ**» قيل: أفرأَيتَ إن كان في أخي ما أقولُ؟ قال: «**إن كان فيه ما تَقولُ، فقد اغتَبتَه، وإن لم يكن فيه ما تَقولُ فقد بَهَتَّه**»[(٢)].

٨١٨- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قُلتُ للنبيِّ ﷺ: حَسبُك من صَفيةَ كذا وكذا. قال بعضُ الرواةِ: تَعني: قَصيرةً، فقال: «**لَقَد قُلتِ كلمةً لو مُزِجَت بماءِ البَحرِ لمزَجَتهُ!**» قالت: وحَكَيتُ له إنسانًا فقال: «**ما أُحبُّ أني حَكَيتُ إِنسانًا وأن لي كذا وكذا**»[(٣)].

(٢) باب تحريمِ سَماعِ الغِيبة، وأمرِ من سمِعَ غيبةً محرَّمةً بِرَدِّها، والإنكارِ على قائِلِها، فإن عَجزَ أو لم يُقبَل منه؛ فارَقَ ذلك المجلسَ إن أمكنَهُ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢).

٨١٩- وعن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن ردَّ عن عِرضِ أخيهِ، ردَّ الله عز وجل عن وَجهِه النارَ يومَ القيامةِ**»(١).

٨٢٠- وعن عِتبانَ بن مالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قامَ النبيُّ ﷺ يُصلي فقالوا: «**أينَ مالكُ بن الدُّخشُم؟**» فقال رجلٌ: ذلك منافِقٌ لا يحبُّ الله ولا رسولَه، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تَقُل ذلك؛ ألَّا تَراه قد قالَ: لا إله إلَّا الله يُريدُ بذلك وجهَ الله تعالى؟! وإن الله قَد حَرَّم على النارِ من قال: لا إله إلَّا الله يبتَغي بذلك وجهَ الله**»(٢).

(٣) باب ما يُباحُ من الغيبةِ

اعلَم أن الغيبةَ تُباحُ لغَرضٍ صحيحٍ شرعِيٍّ لا يُمكنُ الوصولُ إليه إلا بها، وهو بستةِ أسبابٍ:

الأولُ: التظَلُّم، فيجوزُ للمظلومِ أن يتظلَّم إلى السلطانِ والقاضي وغيرِهما ممن له ولايةٌ، أو قدرةٌ على إنصافِه من ظالمه، فيقول: ظلَمَني فلان بكذا.

الثاني: الاستِعانةُ على تَغييرِ المنكَرِ، وردِّ العاصي إلى الصوابِ، فيقول لمن يَرجو قدرتَه على إزالةِ المنكرِ: فلان يَعملُ كذا، فازجُره عنه ونحو ذلك، ويكون مَقصودُه التوصلَ إلى إزالة المنكرِ، فإن لم يقصِد ذلك كان حرامًا.

الثالثُ: الاستِفتاءُ، فيقولُ للمفتي: ظلَمَني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا فهل له ذلك؟ وما طَريقي في الخلاصِ منه، وتَحصيلِ حقي، ودفعِ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

الظلمِ؟ ونحو ذلك، فهذا جائزٌ للحاجةِ، ولكن الأحوطَ والأفضلَ أن يقول: ما تقولُ في رجلٍ أو شخصٍ، أو زوجٍ، كان من أمرِه كذا؟ فإنه يحصلُ به الغَرضُ من غير تَعيين، ومع ذلك، فالتَّعيين جائِزٌ.

الرابعُ: تَحذيرُ المسلمين من الشرِّ ونَصيحتُهم، وذلك من وجوهٍ:

منها: جَرحُ المجروحين من الرواةِ والشهودِ وذلك جائزٌ بإجماعِ المسلمين، بل واجبٌ للحاجة.

ومنها: المشاورةُ في مُصاهرةِ إنسانٍ أو مشاركتِه، أو إيداعِه، أو مُعامَلتِه، بغير ذلك، ومُجاورتِه، ويجب على المشاوِرِ أن لا يُخفي حالَه، بل يَذكُر المساوئَ التي فيه بنيةِ النصيحةِ.

ومنها: إذا رأى متفَقِّهًا يتردَّد إلى مبتدِعٍ، أو فاسقٍ يأخذُ عنه العلمَ، وخافَ أن يتضرَّرَ المتفقِّهُ بذلك، فعليه نَصيحتُه ببيان حالِه، بشَرطِ أن يقصدَ النصيحةَ، وهذا مما يُغلَط فيه. وقد يحملُ المتكلمَ بذلك الحسدُ، ويُلبِّس الشيطانُ عليه ذلك، ويخيلُ إليه أنه نَصيحة؛ فليُتفَطَّن لذلك.

ومنها: أن يكونَ له ولايةٌ لا يقومُ بها على وَجهِها: إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسِقًا، أو مغفَّلًا، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولايةٌ عامة ليُزيلَه، ويولي من يَصلُح، أو يعلمَ ذلك منه ليُعامِله بمُقتَضى حاله، ولا يغترَّ به، وأن يَسعى في أن يحثَّه على الاستقامةِ أو يَستبدِلَ به.

الخامسُ: أن يكون مُجاهرًا بفِسقِه أو بدعته كالمجاهِرِ بشُربِ الخمرِ، ومُصادرةِ الناس، وأخذِ المكسِ، وجِبايةِ الأموالِ ظُلْمًا، وتولي الأمورِ الباطلة،

فيجوزُ ذكره بما يُجاهِرُ به، ويَحرمُ ذِكرُه بغيرِه من العيوبِ، إلا أن يكون لجوازِه سببٌ آخرُ مما ذكرناه.

السادسُ: التَّعريفُ، فإذا كان الإنسانُ مَعروفًا بلقب، كالأعمشِ، والأعرجِ، والأصمِّ، والأعمى، والأحولِ، وغيرِهم جازَ تعريفهم بذلك، ويحرُمُ إطلاقُه على جهة التَّنقصِ، ولو أمكن تَعريفُه بغير ذلك كان أولى، فهذه ستةُ أسبابٍ ذَكَرَها العلماءُ وأكثرُها مُجمعٌ عليه، ودلائِلُها من الأحاديثِ الصحيحةِ مَشهورةٌ، فمن ذلك:

٨٢١- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رجلًا استأذَنَ على النبيِّ ﷺ فقال: «**ائذَنوا له، بِئسَ أخو العَشيرةِ؟**»[١].

٨٢٢- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما أظُنُّ فلانًا وفلانًا يَعرِفان من دينِنا شَيئًا**»[٢].

٨٢٣- وعن فاطمةَ بنتِ قيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أتيتُ النبيَّ ﷺ فقُلت: إن أبا الجَهمِ ومعاويةَ خَطباني؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**أمَّا مُعاويةُ، فصُعلوكٌ لا مالَ له، وأما أبو الجهمِ، فلا يضعُ العصا عن عاتِقِه**»[٣].

٨٢٤- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قالت هندُ امرأةُ أبي سفيان للنبيِّ ﷺ: إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ وليس يُعطيني ما يَكفيني ووَلَدي إلا ما أخذتُ منه، وهو لا يَعلمُ؟ قال: «**خُذي ما يَكفيك وولَدَك بالمعروفِ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

(٤) باب تَحريمِ النَّميمةِ وهي نقلُ الكلامِ بين الناسِ على جهةِ الإفسادِ

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [ن: ١١] وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

٨٢٥- وعن حُذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يَدخلُ الجنةَ نَمامٌ»[١].

٨٢٦- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بقَبرين فقال: «إنَّهما يُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبيرٍ! بلى، إنه كَبيرٌ: أما أحدُهما، فكان يَمشي بالنَّميمةِ، وأمَّا الآخرُ فكان لا يَستترُ من بولِه»[٢].

(٥) باب ذمِّ ذي الوجهين

قال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ الآيتين [النساء: ١٠٨].

٨٢٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَجِدون الناسَ مَعادنَ: خيارُهم في الجاهليةِ خيارُهم في الإسلامِ إذا فَقُهوا، وتَجدون خيارَ الناسِ في هذا الشأنِ أشدَّهم له كراهيةً، وتَجدون شرَّ الناسِ ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩٣)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٦) باب تحريمِ الكَذبِ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

٨٢٨- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يَهدي إلى الجنةِ، وإن الرجلَ ليَصدُق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقًا، وإن الكذبَ يَهدي إلى الفجورِ، وإن الفجورَ يَهدي إلى النارِ، وإن الرجل ليَكذبُ حتى يُكتب عند الله كَذَّابًا»(١).

٨٢٩- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن تَحَلَّم بحلمٍ لم يره، كلِّفَ أن يعقِد بين شَعيرتين ولن يَفعَل، ومن استَمعَ إلى حديثِ قومٍ وهُم له كارِهون، صُبَّ في أذنيه الآنُكُ يومَ القيامةِ، ومن صَوَّرَ صورةً عذِّب، وكلِّفَ أن ينفخَ فيها الروحَ، وليس بنافِخٍ»(٢).

٨٣٠- وعن ابن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبيُّ ﷺ: «أَفرى الفِرى أن يُري الرجلُ عينيَهِ ما لم تَريا»(٣).

(٧) باب بيانِ ما يَجوزُ من الكَذِبِ

اعلَم أن الكذبَ، وإن كان أصلُه محرَّمًا، فيَجوزُ في بعضِ الأحوالِ بشروطٍ قد أوضَحتُها في كتابِ «الأذكار» ومختصرُ ذلك: أن الكلامَ وسيلةٌ إلى المقاصِدِ،

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٢).
(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٣).

فكل مَقصودٍ محمودٍ يمكن تَحصيلُه بغير الكذبِ يَحرُمُ الكذبُ فيه، وإن لم يمكن تَحصيلُه إلا بالكذبِ، جازَ الكذبُ، ثم إن كان تَحصيلُ ذلك المقصودِ مباحًا كان الكذبُ مباحًا، وإن كان واجبًا، كان الكذبُ واجبًا، فإذا اختَفى مسلمٌ من ظالمٍ يُريد قتلَه، أو أخذَ مالِه، أو أخفى مالَه وسئلَ إنسان عنه، وجبَ الكذبُ بإخفائِه، وكذا لو كان عنده وديعةٌ، وأرادَ ظالم أخذَها، وجب الكذبُ بإخفائِها، والأحوطُ في هذا كلِّه أن يُوَرِّي، ومعنى التوريةِ: أن يقصِدَ بعبارتِه مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا بالنسبةِ إليه، وإن كان كاذبًا في ظاهرِ اللفظِ، وبالنسبةِ إلى ما يفهمُه المخاطَب، ولو ترك التوريةَ وأطلقَ عبارة الكذِب، فليس بحرامٍ في هذا الحالِ.

واستدلَّ العلماءُ بجوازِ الكذبِ في هذا الحالِ بحديث أم كُلثومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ليس الكذابُ الذي يُصلِحُ بين الناسِ، فيَنمي خيرًا أو يقولُ خيرًا**»[1].

(٨) باب الحثِّ على التثبُّتِ فيما يقولُه ويَحكيه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

٨٣١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**كَفى بالمرءِ كَذِبًا أن يُحدِّث بكلِّ ما سمِعَ**»[2].

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» ١/ ١٠.

٨٣٢- وعن سَمُرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من حَدَّث عني بحديثٍ يُرى أنه كذبٌ؛ فهو أحدُ الكاذبين»[(١)].

(٩) باب بيانِ غلظِ تَحريمِ شهادةِ الزُّورِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

٨٣٣- وعن أبي بكرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أنبِّئُكم بأكبرِ الكبائرِ؟» قلنا: بلى، يا رَسولَ الله. قال: «الإشراكُ بالله، وعُقوقُ الوالِدَين» وكان متَّكئًا فجَلسَ، فقال: «ألا وقولُ الزورِ، وشهادةُ الزورِ» فما زال يُكرِّرُها حتى قلنا: ليتَه سَكتَ[(٢)].

(١٠) باب تَحريمِ لعنِ إنسانٍ بعَينِه أو دابةٍ

٨٣٤- وعن ثابتِ بن الضَّحاكِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن حلفَ على يمينٍ بمِلةٍ غيرِ الإسلامِ كاذبًا متعمِّدًا، فهو كما قال، ومن قتلَ نفسَه بشيءٍ، عُذِّب به يوم القيامةِ، وليس على رجلٍ نذرٌ فيما لا يملِكُه، ولَعنُ المؤمنِ كقتَلِه»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» ١/ ٨.
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠).

٨٣٥- وعن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يكونُ اللَّعانون شُفعاءَ، ولا شهداءَ يومَ القيامةِ**»(١).

٨٣٦- وعن أبي بَرزةَ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينَما جاريةٌ على ناقةٍ عليها بعضُ متاعِ القومِ. إذ بَصُرت بالنبيِّ ﷺ وتضايَق بهم الجبلُ فقالت: حَلْ، اللهُمَّ العَنها. فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تُصاحِبنا ناقةٌ عليها لَعنةٌ**»(٢).

(١١) باب جوازِ لَعنِ أصحابِ المعاصي غيرِ المعيَّنين

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

وثبتَ في الصَّحيحِ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لَعنَ الله الواصِلةَ والمستوصِلةَ**»(٣)، وأنه قال: «**لَعنَ الله آكلَ الرِّبا**»(٤)، وأنه لَعن المصَوِّرين(٥)، وأنه قال: «**لَعن الله مَن غَيَّرَ مَنارَ الأرضِ**»(٦)، وأنه قال: «**مَن أحدَثَ فيها حدثًا أو آوى مُحدِثًا فعَليهِ لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين**»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٦).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٥٩٣٣)، ومن حديث عائشة (٥٩٣٤)، ومن حديث ابن عمر (٥٩٣٧)، ومسلم من حديث أسماء بنت أبي بكر (٢١٢٢).

(٤) أخرجه أحمد ٦/ ٢٦٩-٢٧٠ (٣٧٢٥) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٥) أخرجه البخاري (٥٣٤٧) من حديث أبي جحيفة.

(٦) أخرجه مسلم (١٩٧٨) علي بن أبي طالب.

(٧) أخرجه البخاري (٣١٧٢)، ومسلم (١٣٧٠، ١٩٧٨).

(١٢) باب تَحريمِ سبِّ المؤمنِ بغيرِ حقٍّ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٨٣٧- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سِبابُ المسلِمِ فُسوقٌ، وقتالُه كفرٌ»(١).

٨٣٨- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يَرمي رجلٌ رجلًا بالفِسقِ أو الكفرِ، إلا ارتَدَّت عليه، إن لم يكن صاحبُه كذلك»(٢).

٨٣٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «المتسابَّان ما قالا فعَلى البادي منهما، حتَّى يعتَدي المظلومُ»(٣).

(١٣) باب تَحريمِ سبِّ الأمواتِ بغيرِ حقٍّ ومصلحةٍ شرعيةٍ

وهي التَّحذيرُ من الاقتداءِ به في بِدعتِه، وفسقِه، ونحو ذلك.

٨٤٠- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَسبُّوا الأمواتَ، فإنَّهم قد أَفضَوا إلى ما قَدَّموا»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

(١٤) باب النَّهي عن الإيذاءِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٨٤١- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المسلِمُ من سَلِمَ المسلمون من لِسانِه ويدِه، والمهاجِرُ من هجرَ ما نَهى الله عنه**»[١].

٨٤٢- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من أحبَّ أن يُزَحزَحَ عن النارِ، ويُدخَل الجنة، فلتَأتِه منيَّتُه وهو يُؤمِن بالله تعالى واليومِ الآخرِ، وليَأتِ إلى الناسِ الذي يحبُّ أن يُؤتى إليه**»[٢].

(١٥) باب النَّهي عن التباغُضِ والتقاطُعِ والتدابرِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

٨٤٣- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تَباغَضوا، ولا تَحاسَدوا، ولا تَدابَروا، ولا تَقاطَعوا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، ولا يَحلُّ لمسلمٍ أن يَهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

٨٤٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**تُفتَحُ أبوابُ الجنةِ يومَ الاثنين ويومَ الخَميسِ، فيُغفرُ لكلِّ عبدٍ لا يشركُ بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينَه وبين أخيه شَحناءُ، فيقال: أنظِروا هذين حتَّى يَصطَلِحا! أنظِروا هذين حتَّى يَصطَلِحا!**»[١].

(١٦) باب تَحريمِ الحسدِ

وهو تَمَنِّي زوالَ النعمةِ عن صاحِبها، سواءٌ كانت نِعمةَ دين أو دنيا، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] وفيه حديثُ أنسٍ السابقِ في الباب قبلَه[٢].

(١٧) باب النهي عن التجسُّسِ والتسمُّعِ لكلامِ من يَكرَهُ استماعَه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٨٤٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تَحاسَدوا، ولا تَباغَضوا، ولا تَحَسَّسوا، ولا تَجَسَّسوا، ولا تَناجَشوا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

٨٤٦- وعن مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّك إن اتَّبَعتَ عَوراتِ المسلمين أفسَدتَهُم، أو كِدتَ أن تُفسِدَهم»(١).

(١٨) باب النَّهي عن سوءِ الظنِّ بالمسلمين من غيرِ ضَرورةٍ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات: ١٢].

٨٤٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إيَّاكُم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديثِ»(٢).

(١٩) باب تَحريمِ احتقارِ المسلمين

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١] وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ [الهمزة: ١].

٨٤٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «بحَسبِ امرئٍ من الشرِّ أن يَحقِرَ أخاه المسلِمَ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، مسلم (٢٥٦٣).

(٢٠) باب تحريمِ الطَّعنِ في الأنسابِ الثابتةِ في ظاهرِ الشَّرعِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٨٤٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اثنتانِ في الناسِ هما بِهِم كُفرٌ: الطَّعنُ في النسبِ، والنِّياحةُ على الميتِ**»(١).

(٢١) باب النهيِ عن الغِشِّ والخِداعِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٨٥٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من حَمَلَ علينا السِّلاحَ فليس مِنَّا، ومن غَشَّنا فليسَ منَّا**»(٢).

٨٥١- وعن ابنِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ نَهى عن النَّجْشِ(٣).

(٢٢) باب تَحريمِ الغَدرِ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٤٢)، ومسلم (١٥١٦).

٨٥٢- وعن ابنِ مَسعودٍ، وابنِ عُمرَ، وأنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالوا: قال النبيُّ ﷺ: «**لكُلِّ غادرٍ لِواءٌ يومَ القيامةِ، يقال: هذه غَدرةُ فلانٍ**»[(١)].

٨٥٣- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**قال الله تَعالَى: ثلاثةٌ أنا خَصمُهم يومَ القيامةِ: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غَدرَ، ورجلٌ باعَ حُرًّا فأكلَ ثمنَه، ورجلٌ استأجَرَ أجيرًا، فاستَوفى منه، ولم يَعطِهِ أجرَه**»[(٢)].

(٢٣) باب النَّهي عن المنِّ بالعَطيةِ ونحوها

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

٨٥٤- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ثَلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يومَ القيامةِ، ولا ينظُر إليهم، ولا يُزَكِّيهم وهم عَذابٌ أليم**» قال: فقَرَأها رسولُ الله ﷺ ثلاثَ مِرارٍ: قال أبو ذَرٍّ: خابوا وخَسِروا من هم يا رَسولَ الله؟ قال: «**المُسبِلُ، والمنَّانُ، والمنَفِّق سلعَته بالحَلفِ الكاذبِ**»[(٣)].

---

(١) حديث عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (٣١٨٦)، ومسلم (١٧٣٦)، وحديث ابن عمر أخرجه البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥)، وحديث أنس أخرجه البخاري (٣١٨٦)، ومسلم (١٧٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٧)

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦).

(٢٤) باب النهي عن الافتِخارِ والبغي

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢﴾ [الشورى: ٤٢].

٨٥٥- وعن عياضِ بن حمارٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى أوحى إليَّ أنْ تَواضَعوا حتى لا يَبغي أحدٌ على أحدٍ، ولا يَفخَرُ أحدٌ على أحدٍ»(١).

٨٥٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا قالَ الرجلُ: هَلكَ الناسُ، فهو أهلَكَهم»(٢).

(٢٥) باب تَحريمِ الهُجرانِ بين المسلمين فوقَ ثلاثةِ أيَّامٍ إلا لبِدعةٍ في المهجورِ، أو تَظاهُرٍ بفِسقٍ أو نحو ذلك

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

٨٥٧- وعن أبي أيوبَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يحِلُّ لمسلمٍ أن يَهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثِ ليالٍ: يَلتقيانِ، فيُعرِضُ هذا، ويُعرِضُ هذا، وخيرُهما الذي يَبدأُ بالسَّلامِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

٨٥٨- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إن الشَّيطانَ قد يَئِسَ أن يَعبُدَه المصَلُّون في جزيرةِ العربِ، ولكن في التَّحريشِ بينَهم»(١).

(٢٦) باب النَّهي عن تَناجي اثنين دونَ الثالثِ بغيرِ إذنِه إلا لحاجةٍ، وهو أن يتحدَّثا سِرًّا بحيثُ لا يَسمَعهما، وفي معناه ما إذا تَحدَّثا بلسانٍ لا يَفهَمُه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المجادلة: ١٠].

٨٥٩- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا كنتُم ثَلاثةً، فلا يتناجى اثنان دونَ الآخرِ حتى يَختَلِطوا بالناسِ، من أجلِ أن ذلك يُحزِنُه»(٢).

(٢٧) باب النَّهي عن تَعذيبِ العبدِ والدابةِ والمرأةِ والوَلدِ بغيرِ سببٍ شَرعيٍّ أو زائدٍ على قَدرِ الأدبِ

قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء الآية: ٣٦].

٨٦٠- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «عُذِّبَت امرأةٌ في هِرَّةٍ سجَنَتها حتى ماتَت، فدَخَلَت فيها النارَ، لا هي أطعَمَتها وسَقَتها، إذ هي حَبَسَتها، ولا هي تَركَتها تأكُلُ من خَشاشِ الأَرضِ»(٣). «خَشاش الأرض»: هوامها وحشراتها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢).

٨٦١- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: أنه مرَّ بفِتيانٍ من قريشٍ قد نَصَبوا طيرًا وهم يَرمونَه، وقد جَعلوا لصاحبِ الطيرِ كلَّ خاطِئةٍ من نَبلِهم، فلما رَأَوا ابن عمرَ تَفرَّقوا، فقال ابنُ عمرَ: من فَعلَ هذا؟ لعنَ الله من فَعلَ هذا، إن رسولَ الله ﷺ لَعنَ من اتَّخذَ شيئًا فيه الروحُ غَرضًا[(١)].

٨٦٢- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: نَهى رَسولُ الله ﷺ أن تُصبَرَ البَهائمُ[(٢)].

٨٦٣- وعن هِشامِ بن حَكيمِ بنِ حِزامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: أنه مَرَّ بالشامِ على أُناسٍ من الأنباطِ، وقد أُقيموا في الشَّمسِ، وصُبَّ على رؤوسهم الزَّيتُ! فقال: ما هذا؟ قيل: يُعَذَّبون في الخَراجِ. فقالَ هشامٌ: أشهَدُ لسَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ الله يُعَذِّب الذين يُعذِّبون الناسَ في الدنيا**» فدَخلَ على الأميرِ، فحَدَّثَه، فأمرَ بهم فخُلُّوا[(٣)].

٨٦٤- وعن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أن النبيَّ ﷺ مرَّ عليه حمارٌ قد وُسِم في وجهِه، فقال: «**لعنَ الله الذي وسمَه**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥١٥)، ومسلم (١٩٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦١٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢١١٧) (٢١١٨).

(٢٨) باب تَحريمِ التَّعذيبِ بالنارِ

٨٦٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بَعثَنا رسولُ الله ﷺ في بَعثٍ، فقال: «إن وَجَدتُم فلانًا وفلانًا» لرَجُلين من قريشٍ سماهما «فأَحرِقوهما بالنارِ» ثم قال رسولُ الله ﷺ حينَ أرَدنا الخروجَ: «إني كُنتُ أمَرتُكم أن تَحرِقوا فلانًا وفلانًا، وإن النارَ لا يُعذِّب بها إلَّا الله، فإن وَجدتُموهما فاقتُلوهُما»(١).

(٢٩) باب تَحريمِ مَطلِ الغنيِّ بحقٍّ طلبَه صاحبُه

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

٨٦٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَطلُ الغَنيِّ ظُلمٌ، وإذا أُتبِعَ أحدُكم على مَليءٍ فليَتْبَع»(٢).

معنى «أُتبعَ»: أُحِيلَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤).

(٣٠) باب كراهةِ عَودةِ الإنسانِ في هبةٍ لم يُسلِّمها إلى الموهوبِ له، وفي هبةٍ وَهبَها لولَدِه وسَلَّمها أو لم يُسلِّمها، وكَراهةِ شِرائه شيئًا تَصدَّق به من الذي تَصَدَّق عليه، أو أخرَجه عن زكاةٍ أو كفارةٍ ونحوها، ولا بأسَ بشِرائِه من شخصٍ آخرَ قد انتقَلَ إليه

٨٦٧- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «**الذي يَعودُ في هِبَتِه كالكَلبِ يرجِعُ في قَيئِه**»(١).

٨٦٨- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَمَلتُ على فرسٍ في سَبيلِ الله فأضاعهُ الذي كان عِندَهُ، فأَرَدتُ أن أشتَرِيَه، وظَنَنتُ أنه يبيعه برُخصٍ، فسألتُ النبيَّ ﷺ فقالَ: «**لا تَشتَرِه ولا تَعُد في صدَقَتِك، وإن أعطاكَه بدِرهمٍ؛ فإنَّ العائدَ في صدقتِه كالعائدِ في قَيئِه**»(٢).

(٣١) باب تأكيدِ تَحريمِ مالِ اليَتيمِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢١)، ومسلم (١٦٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٠)، ومسلم (١٦٢٠).

٨٦٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**اجتَنِبوا السَّبعَ الموبِقاتِ!**» قالوا: يا رَسولَ الله، وما هنَّ؟ قال: «**الشِّركُ بالله، والسِّحرُ، وقتل النَّفسِ التي حرمَ الله إلا بالحقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليَتيمِ، والتولي يومَ الزَّحفِ، وقذفُ المحصناتِ المؤمنات الغافِلات**»(١).

(٣٢) باب تَغليظِ تَحريمِ الربا

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٨].

٨٧٠- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَعنَ رسولِ الله ﷺ آكلَ الرِّبا وموكِلَه(٢).

(٣٣) باب تَحريمِ الرِّياء

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٤]، وقال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية [النساء: ١٤٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٧).

٨٧١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قال الله تعالى: أنا أَغنى الشُّركاءِ عن الشِّركِ، من عَمِلَ عملًا أشركَ فيه معي غيري تركتُه وشِركَه»[(١)].

٨٧٢- وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أولَ الناسِ يُقضى يوم القيامةِ عليه رجلٌ استُشهِد، فأُتي به، فعرَّفه نعمتَه، فعرفها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: قاتَلتُ فيك حتى استُشهِدتُ. قال: كَذَبت، ولكنَّك قاتَلتَ لأن يُقالَ: جريءٌ! فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهِه حتى أُلقِيَ في النارِ. ورجلٌ تعلَّم العِلمَ وعلَّمَه، وقرأَ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفه نعمَه فعرفها. قال: فما عمِلت فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كَذَبت، ولكنك تعلَّمتَ ليُقال: عالمٌ! وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارئٌ؛ فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِب على وجهِه حتى أُلقِي في النارِ. ورجلٌ وسَّعَ الله عليه، وأعطاه من أصنافِ المالِ، فأُتِي به فعرَّفه نعمَه، فعرفَها. قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: ما تَركتُ من سبيلٍ تحب أن يُنفَقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كَذَبت، ولكنك فعَلتَ ليُقالَ: هو جوادٌ! فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهِه، ثم أُلقِيَ في النارِ»[(٢)].

(٣٤) باب ما يُتَوهَّمُ أنه رِياءٌ وليس هو رِياء

٨٧٣- وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قيل لرسولِ الله ﷺ: أرأيتَ الرجلَ يَعمَلُ العَملَ من الخيرِ، ويحمدُه الناسُ عليه؟ قال: «تِلكَ عاجِلُ بُشرى المؤمنِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٤٢).

(٣٥) باب تحريمِ النَّظرِ إلى المرأةِ الأجنبيةِ والأَمردِ الحَسَنِ لغيرِ حاجةٍ شرعيةٍ

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤].

٨٧٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبيِّ ﷺ قال: «كُتِبَ على ابنِ آدمَ نَصيبُه من الزِّنا، مُدرِكٌ ذلك لا مَحالةَ: العينان زناهُما النَّظرُ، والأذنان زناهما الاستِماعُ، واللسانُ زِناه الكَلامُ، واليدُ زناها البَطشُ، والرِّجلُ زناها الخُطا، والقلبُ يَهوَى ويتمنَّى، ويُصدِّق ذلك الفرجُ أو يكذِّبُه»[(١)].

٨٧٥- وعن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يَنظُر الرَّجلُ إلى عورةِ الرجلِ، ولا المرأةُ إلى عورةِ المرأةِ، ولا يُفضي الرجلُ إلى الرجلِ في ثوبٍ واحدٍ، ولا تُفضي المرأةُ إلى المرأةِ في الثوبِ الواحدِ»[(٢)].

(٣٦) باب تحريمِ الخلوةِ بالأجنبيةِ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٨).

٨٧٦- وعن عقبةَ بن عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إياكُم والدخولَ على النساءِ!**» فقال رجلٌ من الأنصارِ: أفرأَيتَ الحَمْو؟ قال: «**الحَمْوُ الموتُ!**»[1].

(٣٧) باب تحريمِ تَشبُّه الرجالِ بالنساءِ وتشبُّه النساءِ بالرجالِ في لباسٍ وحَركةٍ وغير ذلك

٨٧٧- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لعنَ رسولُ الله ﷺ المخنثين من الرجالِ، والمترجِّلاتِ من النساءِ[2].

٨٧٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**صِنفان من أهلِ النارِ لم أرهما: قومٌ معهُم سِياطٌ كأذنابِ البقرِ يَضرِبون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارِياتٌ مُميلاتٌ مائِلاتٌ، رؤوسهن كأسنِمةِ البُختِ المائلة لا يدخُلنَ الجنةَ، ولا يجِدنَ ريحها، وإن ريحَها ليوجَدُ من مسيرةِ كذا وكذا**»[3].

معنى «كاسيات» أي: مِن نعمةِ الله، «عاريات»: مِن شكرِها، وقيل: معناه: تسترُ بعضَ بدنِها وتكشفُ بعضَه إظهارًا لجمالِها ونحوه، وقيل: تلبسُ ثوبًا رقيقًا يصفُ لونَ بدنِها.

ومعنى «مائلات»: قيل: عن طاعةِ الله تعالى وما يلزمهن حفظُه، «مميلات»: أي: يُعلِّمن غيرَهن فعلَهن المذمومَ، وقيل: «مائلات»: يَمشِين متبختراتٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

«مميلاتٍ»: لأكتافهن، وقيل: «مائلات»: يمتشطْنَ المشطةَ الميلاءَ وهي مشطةُ البغايا، و«مميلات»: يُمشطنَ غيرَهن تلك المشطةَ.

«رؤوسهن كأسنمة البخت» أي: يكبِّرْنها ويعظِّمْنها بلفِّ عمامةٍ أو عصابةٍ أو نحوه.

(٣٨) باب النهي عن التشبُّه بالشيطانِ والكفارِ

٨٧٩- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَأكُلَنَّ أحدُكُم بشمالِه، ولا يشرَبَنَّ بها، فإن الشيطانَ يأكُلُ بشمالِه ويَشربُ بها**»[(١)].

٨٨٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ اليَهودَ والنصارى لا يَصبِغون، فخالِفوهم**»[(٢)].

المراد: خضابُ شعرِ اللحيةِ والرأسِ الأبيضِ بصفرةٍ أو حمرةٍ، وأمَّا السوادُ فمنهيٌّ عنه كما سنذكرُه في الباب بعدَه، إن شاء الله تعالى.

(٣٩) باب نهي الرجلِ والمرأةِ عن خضابِ شَعرِهما بسوادٍ

٨٨١- وعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أُتِيَ بأبي قُحافةَ والدِ أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، يومَ فتحِ مكة ورأسُه ولحيته كالثُّغامةِ بياضًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**غَيِّروا هذا، واجتَنِبوا السوادَ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢١٠٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٠٢).

(٤٠) بـاب النهيِ عن القَزَعِ وهو حلقُ بعضِ الرأسِ دون بعضٍ، وإبـاحةِ حلقهِ كلِّه للرجلِ دون المرأةِ

٨٨٢- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: نَهى رسولُ الله ﷺ عن القَزعِ[١].

٨٨٣- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: رأى رسولُ الله ﷺ صَبيًّا قد حُلِق بعضُ شعرِه وتُرِك بعضُه، فنهاهم عن ذلك، وقال: «**احلِقوه كلَّه، أو اتركوه كلَّه**»[٢].

(٤١) باب تَحريمِ وَصلِ الشعرِ والوَشمِ والوَشرِ وهو تَحديدُ الأسنانِ

قال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [النساء: ١١٧ - ١١٩].

٨٨٤- وعن أسماءَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أن امرأةً سألت النبيَّ ﷺ فقالت: يا رَسولَ الله إن ابنَتي أصابَتها الحَصبةُ، فتَمَرَّق شعرُها، وإني زوَّجتُها، أفأصِلُ فيه؟ فقال: «**لَعنَ الله الواصلةَ والموصولةَ**»[٣].

«تَمَرَّق»: انتثَرَ وسقَطَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢٠)، ومسلم (٢١٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٩٥)، والنسائي (٥٢٣٠)، وابن ماجه (٣٦٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٤١)، ومسلم (٢١٢٢).

٨٨٥- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لعنَ الله الواشِماتِ والمستوشِماتِ والنامصاتِ والمتنَمِّصاتِ والمتفلِّجاتِ للحُسنِ، المغيراتِ خلقَ الله، فقالت له امرأة في ذلك فقالَ: وما لي لا ألعنُ من لعنَه رَسولُ الله ﷺ وهو في كتابِ الله تعالى؟ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر: ٧][١].

«المتفلِّجة»: التي تبردُ من أسنانِها ليتباعدَ بعضُها عن بعضٍ قليلًا، وتُحسِّنها وهو الوشرُ، و«النامصة»: التي تأخذُ من شعرِ حاجبِ غيرِها وترققُه ليصيرَ حسنًا، و«المتنمصة»: التي تأمرُ مَن يفعلُ بها ذلك.

(٤٢) باب النهي عن نَتفِ الشيبِ من اللحيةِ والرأسِ وغيرِهما

وعن عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تَنتِفوا الشيبَ؛ فإنه نورُ المسلمِ يومَ القيامةِ**»[٢].

(٤٣) باب كراهةِ الاستنجاءِ باليَمين ومسِّ الفرجِ باليمين عند الاستنجاءِ من غيرِ عذرٍ

٨٨٦- وعن أبي قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا بالَ أحدُكُم، فلا يأخُذَنَّ ذكرَه بيمينِه، ولا يَستَنجِ بيمينِه، ولا يتنفَّسُ في الإناءِ**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٠٢)، والترمذي (٢٨٢١).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٤)، ومسلم (٢٦٧).

(٤٤) باب كراهةِ المشي في نَعلٍ واحدةٍ، أو خُفٍّ واحدٍ لغير عذرٍ

٨٨٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يَمشِ أحدكم في نعلٍ واحدة، ليُنعِلهما جميعًا، أو ليَخلَعهُما جميعًا»(١).

(٤٥) باب النهي عن تركِ النارِ في البيت عند النومِ ونحوه، سواءٌ كانت في سراجٍ أو غيره

٨٨٨- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تَترُكوا النارَ في بيوتِكم حين تنامون»(٢).

٨٨٩- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «غَطوا الإناءَ، وأَوكوا السقاءِ، وأغلِقوا البابَ، وأطفِئوا السِّراجَ، فإن الشيطان لا يحلُّ سقاءً، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدُكم إلَّا أن يعرُضَ على إنائِه عودًا، ويذكر اسم الله؛ فليَفعَل، وإن الفُوَيسِقة تُضرِم على أهل البيتِ بيتَهم»(٣).

«الفُوَيسِقةُ»: الفأرةُ.

(٤٦) باب النهي عن التكلُّف، وهو فِعلُ وقولُ ما لا مَصلحةَ فيه بمشقةٍ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص: ٨٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦)، ومسلم (٢٠٩٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٣)، ومسلم (٢٠١٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠١٢).

٨٩٠- وعن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: نُهينا عن التَّكلُّفِ[١].

(٤٧) باب تحريمِ النياحةِ على الميتِ ولَطمِ الخدِّ وشقِّ الجيبِ ونتفِ الشعرِ وحلقِه والدعاءِ بالوَيلِ والثُّبورِ

٨٩١- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ليسَ مِنَّا من ضَربَ الخُدودَ، وشَقَّ الجيوبَ، ودعا بدَعوى الجاهليةِ**»[٢].

٨٩٢- وعن أبي بُردةَ، قال: وجِعَ أبو موسى الأشعريُّ، فغُشِي عليه، ورأسُه في حجرِ امرأةٍ من أهلِه، فأقبَلَت تَصيحُ برَنَّةٍ فلم يستَطِع أن يردَّ عليها شيئًا، فلما أفاقَ قال: أنا بريءٌ ممن برئَ منه رسولُ الله ﷺ، إن رسولَ الله ﷺ برئَ من الصالِقةِ، والحالِقةِ، والشاقةِ[٣].

«**الصالقة**»: التي تَرفعُ صوتَها بالنياحةِ والنَّدبِ، «**والحالِقةُ**»: التي تَحلِق رأسَها عند المصيبةِ، «**والشاقة**»: التي تشقُّ ثوبَها.

٨٩٣- وعن المغيرةِ بن شعبةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَن نيحَ عليه، فإنَّه يُعذَّب بما نيحَ عليه يومَ القيامةِ**»[٤].

٨٩٤- وعن أبي مالكٍ الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**النائِحةُ إذا لم تَتُب قبل موتِها؛ تُقام يومَ القيامة وعليها سِربالٌ من قَطِران، ودِرعٌ من جَرَب**»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).
(٤) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٩٣٣).
(٥) أخرجه مسلم (٩٣٤).

٨٩٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اثنتان في الناسِ هما بهم كُفرٌ: الطَّعنُ في النسبِ، والنياحةُ على الميتِ**»(١).

(٤٨) باب النهي عن إتيانِ الكهانِ والمنَجِّمين والعرَّافِ وأصحابِ الرملِ والطوارقِ بالحصى وبالشعيرِ ونحو ذلك

٨٩٦- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: سألَ رسولَ الله ﷺ ناسٌ عن الكهانِ، فقال: «**ليس بشيءٍ**» فقالوا: يا رَسولَ الله، إنهم يُحدِّثونا أحيانًا بشيءٍ، فيكون حقًّا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**تلك الكلِمةُ من الحقِّ يخطفها الجنيُّ فيَقُرُّها في أذنِ وليِّه، فيَخلِطون معها مائةَ كَذْبَةٍ**»(٢).

٨٩٧- وعن صفيةَ بنت أبي عُبيدٍ، عن بعضِ أزواجِ النبيِّ ﷺ ورَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن أتى عَرافًا فسألَه عن شيءٍ فصدَّقه، لم تُقبَلَ له صلاةٌ أربعين يومًا**»(٣).

٨٩٨- وعن أبي مسعودٍ البدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ نهى عن ثمنِ الكلبِ، ومَهرِ البغيِّ، وحُلوان الكاهِنِ(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٠)، ومسلم (٢٢٢٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٢٣٠).
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٣٧)، ومسلم (١٥٦٧).

(٤٩) باب النهي عن التطيُّرِ

٨٩٩- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا عَدوى ولا طِيَرة، ويُعجِبُني الفَأْلُ**» قالوا: وما الفأْلُ؟ قال: «**كَلمةٌ طيبةٌ**»[(١)].

٩٠٠- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا عَدوى ولا طِيَرة، وإن كان الشُّؤمُ في شيءٍ ففي الدارِ، والمرأةِ، والفَرسِ**»[(٢)].

(٥٠) باب تحريمِ تصويرِ الحيوانِ في بساطٍ أو حجرٍ أو ثوبٍ أو درهمٍ أو مخدةٍ أو دينارٍ أو وسادةٍ وغيرِ ذلك، وتحريمِ اتخاذِ الصورةِ في حائطٍ وسقفٍ وسترٍ وعمامةٍ وثوبٍ ونحوها، والأمرِ بإتلافِ الصورةِ

٩٠١- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الذين يَصنَعون هذه الصورَ يُعذَّبون يومَ القيامةِ، يقال لهم: أحيوا ما خَلَقتُم**»[(٣)].

٩٠٢- وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كل مصوِّرٍ في النارِ، يُجعلُ له بكلِّ صورةٍ صورها نفسٌ فيُعذِّبه في جهنَّم**» قال ابن عباسٍ: فإن كنتَ لا بد فاعِلًا، فاصنعِ الشجرَ وما لا روحَ فيه[(٤)].

٩٠٣- وعن أبي طَلحةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تَدخُلُ الملائكةُ بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةٌ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٣)، ومسلم (٢٢٢٥).
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨).
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).
(٥) أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦).

٩٠٤- وعن أبي الهياجِ، قال: قال لي عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعَثُك على ما بَعثَني عليه رسولُ الله ﷺ؟ أن لا تَدعَ صورةً إلا طمَستَها، ولا قَبرًا مشرِفًا إلا سوَّيتَه[(١)].

(٥١) باب تَحريمِ اتخاذِ الكلبِ إلا لصيدٍ أو ماشيةٍ أو زرعٍ

٩٠٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن اقتَنى كَلبًا إلا كلبَ صيدٍ أو ماشيةٍ فإنه ينقصُ من أجرِه كل يومٍ قيراطان»[(٢)].

(٥٢) باب كراهةِ تعليقِ الجرسِ في البعيرِ وغيره من الدوابِّ، وكراهةِ استصحابِ الكلبِ والجرسِ في السفرِ

٩٠٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَصحبُ الملائكةُ رُفقةً فيها كلبٌ أو جرسٌ»[(٣)].

(٥٣) باب كراهةِ ركوبِ الجلالةِ، وهي البعيرُ أو الناقةُ التي تأكُلُ العَذِرةَ، فإن أكلَت عَلفًا طاهرًا فطابَ لحمُها، زالت الكَراهة

٩٠٧- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نَهى رسولُ الله ﷺ عن الجلالةِ في الإبلِ أن يُركَب عليها[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).
(٢) أخرجه البخاري (٥٤٨١)، ومسلم (١٥٧٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢١١٣).
(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٥٨).

(٥٤) باب النهي عن البُصاقِ في المسجدِ والأمرِ بإزالتِه منه إذا وُجِدَ فيه، والأمرِ بتَنزيهِ المسجدِ عن الأقذارِ

٩٠٨- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «البُصاقُ في المسجدِ خطيئةٌ، وكفارَتُها دَفنُها»[1].

٩٠٩- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ هذه المساجدَ لا تصلحُ لشيءٍ من هذا البولِ ولا القَذرِ، إنما هي لذِكرِ الله تعالى، وقراءةِ القرآنِ»[2].

(٥٥) باب كراهةِ الخصومةِ في المسجدِ، ورفعِ الصوتِ فيه، ونَشدِ الضالةِ، والبيعِ والشراءِ والإجارةِ، ونحوِها من المعاملاتِ

٩١٠- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من سَمِعَ رجلًا ينشد ضالةً في المسجدِ فليَقُل: لا رَدَّها الله عليك، فإن المساجدَ لم تُبنَ لهذا»[3].

٩١١- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا رأيتُم من يَبيعُ أو يبتاعُ في المسجدِ، فقولوا: لا أربَحَ الله تجارَتَك، وإذا رأيتُم من ينشُدُ ضالةً فقولوا: لا ردَّ الله عليك»[4].

٩١٢- وعن السائبِ بن يَزيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت في المسجدِ فحصَبني رجلٌ، فنظَرتُ فإذا عمرُ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: اذهَب فأتِني بهذين، فجِئتُه

(١) أخرجه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥).
(٣) أخرجه مسلم (٥٦٨).
(٤) أخرجه الترمذي (١٣٢١)، وأصله في مسلم (٥٦٨).

بهما، فقال: من أين أنتُما؟ فقالا: من أهلِ الطائفِ، فقال: لو كنتُما من أهل البلدِ، لأوجَعتُكما؛ تَرفعان أصواتَكُما في مسجدِ رسولِ الله ﷺ![١].

(٥٦) باب نهيٍ من أكل ثُومًا أو بصلًا أو كُراثًا أو غيرَه مما له رائحةٌ كريهةٌ عن دخولِ المسجدِ قبلَ زوالِ رائحتِه إلا لضرورةٍ

٩١٣- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**من أكلَ البصلَ، والثُّومَ، والكُراثَ، فلا يقربَنَّ مسجِدنا، فإن الملائكةَ تتأذّى مما يتأذَّى منه بنو آدمَ**»[٢].

٩١٤- وعن عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه خطبَ يومَ جمعةٍ فقال في خطبتِه: ثم إنَّكم أيها الناسُ تأكلون شجَرَتين ما أُراهما إلا خَبيثَتين: البصلَ، والثُّومَ. لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ إذا وجدَ ريحَهما من الرجلِ في المسجدِ أَمرَ به، فأُخرِجَ إلى البقيعِ، فمن أكلَهما، فليُمِتهُما طبخًا[٣].

(٥٧) باب نهيِ من دخلَ عليه عشرُ ذي الحجةِ وأرادَ أن يضحيَ عن أخذ شيءٍ من شعرِه أو أظفارِه حتى يُضحِّي

٩١٥- وعن أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**من كان له ذِبحٌ يذبحُه، فإذا أهلَّ هلالُ ذي الحجة، فلا يأخذنَّ من شعرِه ولا من أظفارِه شيئًا حتى يُضحي**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).
(٣) أخرجه مسلم (٥٦٧).
(٤) أخرجه مسلم (١٩٧٧).

(٥٨) باب النهي عن الحلفِ بمَخلوقٍ كالنبيِّ والكعبةِ والملائكةِ والسماءِ والآباءِ والحياةِ والروحِ والرأسِ وحياةِ السلطانِ ونِعمةِ السلطان وتُربةِ فلان والأمانةِ وهي من أشدِّها نهيًا

٩١٦- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى يَنهاكُم أن تَحلِفوا بآبائِكم، فمَن كان حالِفًا، فليَحلِف بالله، أو ليَصمُت»[(١)].

٩١٧- وعن بُريدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَن حلفَ بالأمانةِ فليس مِنَّا»[(٢)].

٩١٨- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن حلفَ فقال: إني بريءٌ من الإسلامِ، فإن كان كاذبًا، فهو كما قال، وإن كان صادقًا، فلن يرجِعَ إلى الإسلامِ سالما»[(٣)].

٩١٩- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه سمعَ رجلًا يقول: لا والكعبةِ، فقال ابنُ عمرَ: لا تَحلِف بغيرِ الله، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من حلفَ بغيرِ الله، فقد كفرَ أو أشركَ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥٨)، والنسائي (٣٧٧٢)، وابن ماجه (٢١٠٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥).

(٥٩) باب تَغليظِ اليمين الكاذبة عَمدًا

٩٢٠- وعن أبي أمامةَ الحارثيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من اقتَطعَ حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينِه، فقد أوجبَ الله له النارَ، وحرَّم عليه الجنةَ**» فقال له رجلٌ: وإن كان شيئًا يَسيرًا يا رَسولَ الله؟ قال: «**وإن قَضيبٌ من أراكٍ**»(١).

٩٢١- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الكبائِرُ: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفسِ، واليَمينُ الغَموسُ**»(٢).

(٦٠) باب نَدبِ من حلفَ على يمينٍ فرأى غيرَها خيرًا منها أن يفعلَ ذلك المحلوفَ عليه، ثم يُكَفِّر عن يمينِه

٩٢٢- وعن عبدِ الرحمنِ بن سمُرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**وإذا حَلَفتَ على يمينٍ، فرأيت غيرَها خيرًا منها، فأت الذي هو خيرٌ وكفِّر عن يمينِك**»(٣).

(٦١) باب العفوِ عن لَغوِ اليمينِ وأنه لا كفارةَ فيه، وهو ما يَجري على اللسانِ بغير قصدِ لليمينِ كقوله على العادة: لا والله، بَلى والله، ونحو ذلك

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

(١) أخرجه مسلم (١٣٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (٦٧٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

رَقَبَةٍ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

٩٢٣- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أُنزِلَت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ في قولِ الرجل: لا والله، بَلى والله(١).

(٦٢) باب كراهةِ الحلفِ في البيعِ وإن كان صادقًا

٩٢٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الحَلِفُ مَنفَقَةٌ للسلعةِ، مَمحَقةٌ للكسبِ»(٢).

(٦٣) باب كراهةِ منعِ من سألَ بالله تعالى وتشَفَّعَ به

٩٢٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن استعاذَ بالله؛ فأَعيذوه، ومَن سألَ بالله؛ فأَعطوه، ومن دَعاكم؛ فأَجيبوه، ومن صنعَ إليكم مَعروفًا فكافِئوه، فإن لم تَجِدوا ما تُكافِئونه فادعوا له حتَّى تَرَوا أنكم قد كافَأتُموه»(٣).

(٦٤) باب تَحريمِ قولِه: شاهان شاه للسُّلطانِ وغيرِه؛ لأنَّ معناه: مَلِك الملوكِ، ولا يوصَف بذلك غيرُ الله سبحانه وتعالى

٩٢٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ أخنَعَ اسمٍ عندَ الله عز وجل رجلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الأملاكِ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦١٣).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).
(٣) أخرجه أبو داود (١٦٧٢).
(٤) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

(٦٥) باب النهي عن مخاطبةِ الفاسِقِ والمبتدِعِ ونحوهما بسَيِّدٍ ونحوه

٩٢٧- وعن بريدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَقولوا للمنافِقِ سيدٌ، فإنَّه إن يك سيِّدًا فقد أسخَطتُم ربَّكم عز وجل»[(١)].

(٦٦) باب كراهةِ سبِّ الحُمى

٩٢٨- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ دخلَ على أمِّ السائبِ -أو أمِّ المسيبِ- فقال: «ما لكِ يا أمَّ السائب -أو يا أمَّ المسيبِ- تُزَفزِفين؟» قالت: الحُمَّى لا باركَ الله فيها! فقال: «لا تَسُبي الحمَّى فإنَّها تُذهِبُ خطايا بني آدمَ كما يُذهِب الكيرُ خبثَ الحديدِ»[(٢)].

«تُزَفزِفين»: تتحركين حركةً سريعةً، ومعناه: ترتعدُ.

(٦٧) باب النهي عن سبِّ الريحِ، وبيان ما يقالُ عند هبوبها

٩٢٩- وعن أُبيِّ بن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الريحَ، فإذا رأَيتُم ما تَكرَهون، فقولوا: اللهمَّ إنا نَسألُك من خيرِ هذه الريحِ، وخيرِ ما فيها، وخَيرِ ما أُمِرَت به، ونَعوذُ بك من شرِّ هذه الريحِ، وشرِّ ما فيها، وشَرِّ ما أُمِرَت به»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٥٢).

٩٣٠- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها، قالت: كان النبيُّ ﷺ إذا عَصَفت الريحُ قال: «**اللهُمَّ إني أسألُك خيرَها وخيرَ ما فيها وخيرَ ما أُرسِلت به، وأعوذُ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها وشَرِّ ما أُرسِلت به**»(١).

(٦٨) باب كراهةِ سبِّ الديك

٩٣١- وعن زيدِ بن خالدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَسُبوا الدِّيكَ فإنَّه يوقظُ للصلاةِ**»(٢).

(٦٩) باب النهي عن قولِ: مُطِرنا بنَوءِ كذا

٩٣٢- وعن زيدِ بن خالدٍ الجُهنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: صلى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبحِ بالحديبيةِ في إثرِ سماءٍ كانت من الليلِ، فلما انصرفَ أقبلَ على الناسِ، فقال: «**هل تَدرون ماذا قالَ ربُّكم؟**» قالوا: الله ورَسولُه أعلم. قال: «**قال: أصبَحَ من عبادي مؤمنٌ بي، وكافرٌ، فأمَّا من قال: مُطِرنا بفضلِ الله ورحمتِه، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكَوكبِ، وأما من قال: مُطِرنا بنَوءِ كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكبِ**»(٣).

(٧٠) باب تحريمِ قولِه لمسلمٍ: يا كافرُ

٩٣٣- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا قالَ الرجلُ لأخيهِ: يا كافرُ، فقد باءَ بها أحدُهما، فإن كان كما قالَ وإلَّا رَجَعَت عليه**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٨٩٩).
(٢) أخرجه أبو داود (٥١٠١).
(٣) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).
(٤) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٧١) باب النهي عن الفُحشِ وبَذاءِ اللسان

٩٣٤- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّانِ، ولا اللَّعانِ، ولا الفاحِشِ، ولا البَذيءِ»[(١)].

٩٣٥- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما كان الفُحشُ في شيءٍ إلا شانَه، وما كان الحياءُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ»[(٢)].

(٧٢) باب كراهةِ التَّقعيرِ في الكلامِ، والتشدُّقِ فيه، وتكلُّفِ الفَصاحةِ، واستعمالِ وَحشِيِّ اللغةِ، ودقائِقِ الإعرابِ في مُخاطبةِ العوامِّ ونحوِهم

٩٣٦- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «هَلكَ المتَنطِّعون» قالها ثلاثًا[(٣)].

«المتَنطِّعون»: المبالِغون في الأمورِ.

٩٣٧- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن الله يُبغِض البَليغَ من الرِّجالِ الذي يتخَلَّل بلسانِه كما تتخلَّلُ البَقرةُ»[(٤)].

(٧٣) باب كراهةِ قوله: خبُثَت نَفسي

٩٣٨- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يَقولَنَّ أحدُكُم: خَبُثَت نَفسي، ولكن ليَقُل: لَقِسَت نَفسي»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٧٧).
(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).
(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣).
(٥) أخرجه البخاري (٦١٧٩)، ومسلم (٢٢٥٠).

قال العلماء: معنى «**خَبُثَت**»: غَثَت، وهو بمعنى: «**لَقِسَت**»، ولكن كَرِه لفظَ الخبثِ.

(٧٤) باب كراهةِ تَسميةِ العِنبِ كَرمًا

٩٣٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تُسمُّوا العِنبَ الكَرمَ، فإن الكرمَ المسلمُ**»[١].

٩٤٠- وعن وائلِ بنِ حُجرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تَقولوا: الكَرمُ، ولكن قولوا: العِنبُ، والحَبَلَة**»[٢].

«**الحبلةُ**» بفتحِ الحاءِ والباءِ، ويقالُ أيضًا بإسكانِ الباء.

(٧٥) باب النهي عن وصفِ محاسنِ المرأةِ لرجلٍ إلا أن يحتاجَ إلى ذلك لغرضٍ شرعي كنكاحِها ونحوه

٩٤١- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تُباشرُ المرأةُ المرأةَ، فتصفَها لزَوجِها كأنَّه ينظرُ إليها**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٤٠).

(٧٦) باب كراهةِ قولِ الإنسان: اللهُمَّ اغفر لي إن شئتَ بل يَجزمُ بالطلبِ

٩٤٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَقولنَّ أحدُكم: اللهُمَّ اغفر لي إن شئتَ: اللهُمَّ ارحمني إن شِئتَ، ليَعزِمِ المسألةَ، فإنه لا مُكرِهَ له**»[(١)].

(٧٧) باب كراهةِ قول: ما شاءَ الله وشاءَ فلان

٩٤٣- وعن حذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تَقولوا: ما شاءَ الله وشاءَ فلان؛ ولكن قولوا: ما شاءَ الله، ثم شاءَ فلان**»[(٢)].

(٧٨) باب كراهةِ الحديثِ بعد العشاءِ الآخرةِ

والمرادُ به الحديثُ الذي يكون مباحًا في غير هذا الوقتِ، وفعلُه وتركه سواءٌ، فأما الحديثُ المحرمُ أو المكروه في غيرِ هذا الوقتِ، فهو في هذا الوقتِ أشدُّ تحريمًا أو كراهةً، وأما الحديثُ في الخيرِ فلا كراهةَ فيه، بل هو مُستحبٌّ.

٩٤٤- وعن أبي بَرزةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ كان يَكرهُ النومَ قبلَ العِشاءِ والحديثَ بعدَها[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨)، ومسلم (٦٤٧).

٩٤٥- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ صلى العشاءَ في آخرِ حياتِه، فلما سلَّم قال: «أرأيتكُم ليلتكُم هذه؟ فإن على رأسِ مائةِ سنةٍ لا يَبقى ممن هو على ظهرِ الأرضِ اليومَ أحدٌ»[(١)].

(٧٩) باب تَحريمِ امتناعِ المرأةِ من فراشِ زَوجِها إذا دعاها ولم يكن لها عُذرٌ شرعيٌّ

٩٤٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دَعا الرجلُ امرأتَه إلى فِراشِه فأبَت أن تجيءَ، فباتَ غَضبانَ عليها، لعَنَتها الملائِكةُ حتى تُصبِحَ»[(٢)].

(٨٠) باب تَحريمِ صومِ المرأةِ تَطوُّعًا وزوجُها حاضرٌ إلا بإذنِه

٩٤٧- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يحلُّ للمرأةِ أن تَصومَ وزوجُها شاهدٌ إلا بإذنِه، ولا تأذنَ في بيتِه إلا بإذنِه»[(٣)].

(٨١) باب تَحريمِ رفعِ المأمومِ رأسَه من الركوعِ أو السجودِ قبل الإمامِ

٩٤٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «أما يَخشى أحدُكُم إذا رفعَ رأسَه قبل الإمامِ أن يجعلَ الله رأسَه رأسَ حمارٍ! أو يجعلَ الله صورَته صورةَ حمارٍ!»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).
(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦).
(٤) أخرجه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧).

(٨٢) باب كراهةِ وضعِ اليد على الخاصرةِ في الصلاةِ

٩٤٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهى عن الخصرِ في الصلاةِ[(١)].

(٨٣) باب كراهةِ الصلاةِ بحضرةِ الطعامِ ونفسُه تَتوقُ إليه، أو مع مُدافعةِ الأخبثَين: وهما البولُ والغائِطُ

٩٥٠- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**لا صَلاةَ بحضرةِ طعامٍ، ولا وهو يدافعُه الأخبثان**»[(٢)].

(٨٤) باب النهيِ عن رفعِ البَصرِ إلى السماءِ في الصلاةِ

٩٥١- وعن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما بالُ أقوامٍ يَرفعون أبصارَهم إلى السماءِ في صلاتِهم!**» فاشتدَّ قولُه في ذلك حتى قال: «**ليَنتَهُنَّ عن ذلك، أو لتُخطَفَنَّ أبصارُهم!**»[(٣)].

(٨٥) باب كراهةِ الالتفاتِ في الصلاةِ لغَيرِ عُذرٍ

٩٥٢- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الالتفاتِ في الصلاةِ، فقال: «**هو اختِلاسٌ يَختلسُه الشيطانُ من صلاةِ العبدِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١٩)، ومسلم (٥٤٥).
(٢) أخرجه مسلم (٥٦٠).
(٣) أخرجه البخاري (٧٥٠).
(٤) أخرجه البخاري (٧٥١).

(٨٦) باب النهي عن الصلاةِ إلى القبورِ

٩٥٣- وعن أبي مَرثدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تُصلوا إلى القبورِ، ولا تَجلِسوا عليها»[١].

(٨٧) باب تَحريمِ المرورِ بين يدي المصلِّي

٩٥٤- وعن أبي الجُهيمِ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو يَعلمُ المارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه لكانَ أن يَقِفَ أربعين خيرًا له من أن يمرَّ بين يديه» قال الراوي: لا أَدري قال: أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين سنةً[٢].

(٨٨) باب كراهةِ شُروعِ المأمومِ في نافلةٍ بعد شُروعِ المؤذِّن في إقامةِ الصلاة، سواءٌ كانت النافلةُ سنةَ تلك الصلاةِ أو غيرها

٩٥٥- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا أُقيمتِ الصلاةُ فلا صلاةَ إلَّا المكتوبةَ»[٣].

(٨٩) باب كراهةِ تَخصيصِ يومِ الجمعةِ بصيامٍ أو ليلتِه بصلاةٍ

٩٥٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تَخُصوا ليلةَ الجمعةِ بقيامٍ من بين الليالي، ولا تَخصوا يومَ الجمعةِ بصيامٍ من بين الأيامِ، إلا أن يكون في صومٍ يصومُه أحدُكم»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (٥١٠)، ومسلم (٥٠٧).
(٣) أخرجه مسلم (٧١٠).
(٤) أخرجه مسلم (١١٤٤).

٩٥٧- وعن جويريةَ بنتِ الحارثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبيَّ ﷺ دخلَ عليها يومَ الجمعةِ وهي صائمةٌ، فقال: «أصُمتِ أمسِ؟» قالت: لا، قال: «تُريدين أن تَصومي غدًا؟» قالت: لا. قال: «فأَفطِري»[(١)].

(٩٠) باب تَحريمِ الوِصالِ في الصومِ وهو أن يصومَ يومين أو أكثرَ ولا يأكلَ ولا يشربَ بينهما

٩٥٨- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نَهى رسولُ الله ﷺ عن الوِصالِ. قالوا: إنَّك تواصلُ؟ قال: «إني لستُ مثلَكم، إني أُطعَم وأُسقى»[(٢)].

(٩١) باب تَحريمِ الجلوسِ على قبرٍ

٩٥٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَأَن يَجلِسَ أحدُكُم على جمرةٍ، فتَحرِقَ ثيابَه فتخلُصَ إلى جِلدِه خيرٌ له من أن يجلسَ على قبرٍ»[(٣)].

(٩٢) باب النهيِ عن تجصيصِ القبرِ والبناءِ عليه

٩٦٠- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهى رسولُ الله ﷺ أن يُجصَّص القبرُ، وأن يُقعَد عليه، وأن يُبنى عليه[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٢)، ومسلم (١١٠٢).
(٣) أخرجه مسلم (٩٧١).
(٤) أخرجه مسلم (٩٧٠).

(٩٣) باب تَغليظِ تَحريمِ إِباقِ العبدِ من سيِّده

٩٦١- وعن جَريرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيُّما عبدٍ أَبَقَ، فقد بَرِئَت منه الذمةُ»[(١)].

٩٦٢- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ: «إذا أَبَق العبدُ، لم تُقبَل له صلاةٌ»[(٢)].

(٩٤) باب تَحريمِ الشفاعةِ في الحدودِ

قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ﴾ [النور: ٢].

٩٦٣- وعن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أن قُريشًا أهمَّهم شأنُ المرأةِ المخزوميةِ التي سَرَقَت، فقالوا: من يُكلِّم فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يَجتَرئُ عليه إلا أسامةُ بن زيدٍ، حِبُّ رسولِ الله ﷺ. فكلَّمه أسامةُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أتَشفَعُ في حدٍّ من حُدودِ الله تعالى؟!» ثم قامَ فاختَطَبَ، ثم قال: «إنَّما أهلَكَ الذين قبلَكم أنهم كانوا إذا سَرقَ فيهم الشَّريفُ تَركوه، وإذا سَرقَ فيهم الضَّعيفُ، أقاموا عليه الحدَّ، وايمُ الله، لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرَقَت لقَطَعتُ يَدَها»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٩٥) باب النهي عن التغوُّطِ في طريقِ الناسِ وظِلِّهم ومواردِ الماءِ ونحوِها

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٩٦٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**اتَّقوا اللَّاعِنَين**» قالوا: وما اللاعنان؟ قال: «**الذي يتخَلَّى في طَريقِ الناسِ أو في ظِلِّهم**»[١].

(٩٦) باب النهي عن البولِ ونحوه في الماءِ الراكدِ

٩٦٥- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ نَهى أن يُبالَ في الماء الراكِدِ[٢].

(٩٧) باب كراهةِ تَفضيلِ الوالدِ بعض أولادِه على بعضٍ في الهبةِ

٩٦٦- وعن النعمانِ بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن أباه أتى به رسولَ الله ﷺ فقال: إني نَحَلتُ ابني هذا غُلامًا كان لي، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أكلَّ ولدِك نَحلتَه مثلَ هذا؟**» فقال: لا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**فأَرجِعهُ**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣).

(٩٨) باب تَحريمِ إحدادِ المرأةِ على ميتٍ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ إلا على زوجها أربعةَ أشهرٍ وعشرةَ أيامٍ

٩٦٧- وعن زينبَ بنتِ أبي سَلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالت: دخَلْتُ على أمِّ حبيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوجِ النبيِّ ﷺ حين توفيَ أبوها أبو سُفيانَ بن حَربٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فدَعَت بطيبٍ فيه صُفرةٌ خَلوقٌ أو غيرُه، فدَهَنت منه جاريةً، ثم مَسَّت بعارِضَيها، ثم قالت: والله ما لي بالطيبِ من حاجةٍ، غير أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ على المنبرِ: «**لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ أن تحدَّ على ميتٍ فوق ثلاثِ ليالٍ، إلا على زوجٍ أربعةَ أشهرٍ وعشرًا**».

قالت زينبُ: ثم دَخَلتُ على زينبَ بنتِ جَحشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين توفيَ أخوها، فدَعَت بطيبٍ فمَسَّت منه ثم قالت: أما والله ما لي بالطِّيبِ من حاجةٍ، غير أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ على المنبرِ: «**لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ أن تحدَّ على ميتٍ فوق ثلاثٍ، إلا على زوجٍ أربعةَ أشهرٍ وعَشرًا**»(١).

(٩٩) باب تَحريمِ بيعِ الحاضرِ للبادي وتَلقِّي الرُّكبان، والبيعِ على بيعِ أخيه، والخطبةِ على خِطبتِه إلا أن يأذَن أو يُردَّ

٩٦٨- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهى رسولُ الله ﷺ أن يَبيعَ حاضرٌ لبادٍ وإن كان أخاه لأبيهِ وأمِّه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨١)، ومسلم (١٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٦١)، ومسلم (١٥٢٣).

٩٦٩- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَتَلقَّوا السلعَ حتى يُهبَط بها إلى الأسواقِ**»[(١)].

٩٧٠- وعن عقبةَ بن عامرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**المؤمنُ أخو المؤمنِ، فلا يحِلُّ للمؤمِن أن يبتاعَ على بيعِ أخيه، ولا يَخطِب على خِطبةِ أخيه حتى يَذَرَ**»[(٢)].

(١٠٠) باب النهي عن إضاعةِ المالِ في غيرِ وجوهِه التي أذن الشرعُ فيها

٩٧١- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يَرضى لكم ثلاثًا، ويَكرهُ لكم ثلاثًا: فيَرضى لكم أن تَعبُدوه، ولا تُشرِكوا به شيئًا، وأن تَعتَصِموا بحبلِ الله جميعًا ولا تَفرَّقوا، ويَكرهُ لكم: قيلَ وقالَ، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعةَ المالِ**»[(٣)].

(١٠١) باب النهيِ عن الإشارةِ إلى مُسلمٍ بسِلاحٍ ونحوه، سواءٌ كان جادًّا أو مازِحًا، والنهيِ عن تعاطي السيفِ مَسلولًا

٩٧٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**لا يُشيرُ أحدُكم إلى أخيه بالسِّلاحِ، فإنه لا يَدري لعلَّ الشيطانَ يَنزِع في يدِه، فيقعَ في حفرةٍ من النارِ**»[(٤)]. «يَنزِع»: يَرمِي ويُفسِد.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦٥)، ومسلم (١٥١٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٤١٤).
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).
(٤) أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٦).

(١٠٢) باب كراهةِ الخروجِ من المسجِدِ بعد الأذانِ إلا لعُذرٍ حتى يُصلي المكتوبةَ

٩٧٣- وعن أبي الشَّعثاءِ، قال: كنا قُعودًا مع أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المسجِدِ، فأذَّنَ المؤذِّنُ، فقامَ رجلٌ من المسجدِ يَمشي، فأتبعه أبو هُريرةَ بصرَه حتى خَرجَ من المسجدِ، فقال أبو هُريرةَ: أما هذا فقد عَصى أبا القاسِمِ ﷺ(١).

(١٠٣) باب كراهةِ ردِّ الرَّيحانِ لغيرِ عذرٍ

٩٧٤- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن عُرِضَ عليه ريحانٌ، فلا يردُّه، فإنه خَفيفُ المحملِ، طيِّبُ الريحِ**»(٢).

٩٧٥- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ كان لا يَرُدُّ الطيبَ(٣).

(١٠٤) باب كراهةِ المدحِ في الوجهِ لمن خيفَ عليه مَفسدةٌ من إعجابٍ ونحوه، وجوازِه لمن أُمِن ذلك في حقِّه

٩٧٦- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعَ النبيُّ ﷺ رَجلًا يُثني على رجلٍ ويُطريهِ في المدحةِ، فقال: «**أهلَكتُم -أو قَطَعتُم- ظهرَ الرجلِ**»(٤).

٩٧٧- وعن أبي بكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا ذُكِرَ عند النبيَّ ﷺ فأثنى عليه رجلٌ خَيرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «**ويحَك! قطَعتَ عنقَ صاحِبك**» يقولُه مرارًا: «**إن**

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٥٣).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨٢).
(٤) أخرجه البخاري (٢٦٦٣)، ومسلم (٣٠٠١).

كان أحدُكُم مادحًا لا مَحالةَ فليقل: أحسَب كذا وكذ -إن كان يَرى أنه كذلك- وحَسيبُه الله، ولا يُزكَّى على الله أحدٌ»(١).

ومما جاءَ في الإباحةِ قولُه ﷺ لأبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أرجو أن تكونَ منهم»**(٢) أي: من الذين يُدعَون من جميعِ أبوابِ الجنة لدُخولها.

وفي الحديثِ الآخرِ: **«لست منهم»**(٣): أي: لستَ من الذين يَسبَلون أُزرَهم خيلاء.

وقال ﷺ لعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«ما رآكَ الشيطانُ سالِكًا فجًّا إلا سلكَ فَجًّا غير فجِّك»**(٤).

(١٠٥) باب كراهةِ الخروجِ من بلدٍ وقعَ به الوَباءُ فِرارًا منه وكراهةَ القُدومِ عليه

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٩٧٨- وعن أسامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: **«إذا سَمِعتُم الطاعونَ بأرضٍ، فلا تَدخُلوها، وإذا وقعَ بأرضٍ، وأنتم فيها، فلا تَخرجوا منها»**(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦١)، ومسلم (٣٠٠٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) أخرجه البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم (٢٢١٨).

(١٠٦) بابُ التَّغليظِ في تَحريمِ السحرِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الآية [البقرة: ١٠٢].

٩٧٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «اجتَنِبوا السبعَ الموبقاتِ» قالوا: يا رَسولَ الله، وما هنَّ؟ قال: «الشِّركُ بالله، والسحرُ، وقتلُ النفسِ التي حرمَ الله إلا بالحقِّ، وأكلُ الربا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتولي يومَ الزحفِ؛ وقذفُ المحصناتِ المؤمنات الغافلاتِ»[(١)].

(١٠٧) بابُ النهيِ عن المسافرةِ بالمصحفِ إلى بلادِ الكفارِ إذا خيفَ وقوعُه بأيدي العدو

٩٨٠- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نَهى رسولُ الله ﷺ أن يُسافَر بالقرآنِ إلى أرضِ العدوِّ[(٢)].

(١٠٨) بابُ تَحريمِ استعمالِ إناءِ الذهبِ وإناءِ الفضةِ في الأكلِ والشربِ والطهارةِ وسائرِ وجوهِ الاستعمالِ

٩٨١- وعن أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «الذي يَشربُ في آنيةِ الفِضةِ، إنما يُجرجِرُ في بطنِه نارَ جهنَّم»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥).

٩٨٢- وعن حُذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إن النبيَّ ﷺ نهانَا عن الحريرِ، والديباجِ، والشُّربِ في آنيةِ الذهبِ والفِضةِ، وقال: «**هنَّ لهم في الدُّنيا، وهي لكم في الآخرةِ**»[1].

(١٠٩) باب تَحريمِ لبسِ الرجلِ ثوبًا مُزعفرًا

٩٨٣- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: نَهى النبيُّ ﷺ أن يتزَعفَرَ الرجلُ[2].

٩٨٤- وعن عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: رأى النبيُّ ﷺ عليَّ ثوبين مُعصفَرين، فقال: «**أمُّك أمَرَتك بهذا؟!**» قلت: أغسِلهُما؟ قال: «**بل أَحرِقهُما**»[3].

(١١٠) باب النهي عن صَمتِ يومٍ إلى الليلِ

٩٨٥- وعن قيسِ بن أبي حازمٍ، قال: دخلَ أبو بكرٍ الصديقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على امرأةٍ من أحمَس يقال لها: زينبُ، فرآها لا تتكلَّم. فقال: ما لها لا تكَلَّم؟ فقالوا: حَجَّت مُصمِتةً، فقال لها: تكلَّمي، فإن هذا لا يحِلُّ، هذا من عملِ الجاهليةِ، فتكلَّمت[4].

(١١١) باب تَحريمِ انتسابِ الإنسانِ إلى غيرِ أبيه وتوليه غيرِ مواليه

٩٨٦- وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَن ادعى إلى غيرِ أبيه وهو يَعلَم أنه غيرُ أبيه، فالجنَّةُ عليه حرامٌ**»[5].

(١) أخرجه البخاري (٥٤٢٦)، ومسلم (٢٠٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٤٦)، ومسلم (٢١٠١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٧٧).
(٤) أخرجه البخاري (٣٨٣٤).
(٥) أخرجه البخاري (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣).

٩٨٧- وعن يَزيدَ بن شريكِ بن طارقٍ، قال: رأيتُ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبرِ يخطُب، فسمِعتُه يقولُ: لا واللهِ، ما عندنا من كتابٍ نقرؤه إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفةِ، فنَشَرَها فإذا فيها أسنانُ الإبلِ، وأشياءُ من الجراحات، وفيها: قال رسولُ الله ﷺ: «**المدينةُ حَرمٌ ما بين عَيرٍ إلى ثَورٍ، فمن أحدَث فيها حَدثًا، أو آوى مُحدِثًا، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يَقبلُ الله تعالى منه يوم القيامةِ صَرفًا ولا عدلًا، ذمةُ المسلمين واحدةٌ، يسعى بها أدناهم، فمن أخفَرَ مسلمًا، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يَقبلُ الله منه يوم القيامةِ عدلًا ولا صرفًا، ومن ادعى إلى غيرِ أبيه، أو انتمى إلى غيرِ مواليه، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين؛ لا يقبلُ الله منه يومَ القيامة صرفًا ولا عَدلًا**»[1].

(١١٢) باب التَّحذيرِ من ارتكابِ ما نهى الله عز وجل أو رسولُه ﷺ عنه

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

٩٨٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى يَغارُ، وغيرةُ الله، أن يأتيَ المرءُ ما حرَّمَ الله عليه**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١).

(١١٣) باب ما يقولُه ويفعلُه من ارتكَبَ منهيًّا عنه

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

٩٨٩- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن حَلفَ فقالَ في حلِفِه: باللَّاتِ والعُزى؛ فليَقُل: لا إله إلَّا الله، ومن قال لصاحِبِه: تعالَ أقامِركَ؛ فليتَصَدَّق**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

كتابُ المنثوراتِ والمُلحِ

٩٩٠- وعن النواسِ بن سمعانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ذكرَ رسولُ الله ﷺ الدجالَ ذاتَ غداةٍ، فخفَّضَ فيه ورَفَّعَ حتى ظنناهُ في طائفةِ النَّخلِ، فلما رُحنا إليه عرفَ ذلك فينا، فقال: «**ما شَأْنُكم؟**» قلنا: يا رَسولَ الله، ذَكَرت الدجالَ الغداةَ، فخَفَّضت فيه ورَفَّعت، حتى ظنناهُ في طائفةِ النخلِ، فقال: «**غيرُ الدجالِ أخوفُني عليكم، إنْ يَخرُج وأنا فيكم، فأنا حَجيجُه دونَكم؛ وإن يَخرُج ولستُ فيكم، فامرُؤٌ حَجيجُ نَفسِه، والله خَليفَتي على كلِّ مسلمٍ، إنه شابٌّ قَططٌ عينه طافيةٌ، كأني أشبِّهُه بعبدِ العُزى بنِ قَطنٍ، فمَن أدركه منكم، فليَقرَأ عليه فواتِحَ سورةِ الكهفِ.**

إنَّه خارجٌ خَلةً بين الشامِ والعراقِ، فعاثَ يمينًا وعاثَ شمالًا، يا عبادَ الله فاثبُتوا» قلنا: يا رَسولَ الله، وما لُبثُه في الأرضِ؟ قال: «**أربعونَ يومًا: يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامِه كأيامِكم**» قلنا: يا رَسولَ الله، فذلك اليومُ الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ؟ قال: «**لا، اقدُروا له قَدرَه**» قلنا: يا رَسولَ الله، وما إسراعُه في الأرضِ؟ قال: «**كالغَيثِ استدبَرَتهُ الريحُ، فيأتي على القومِ، فيَدعوهم فيُؤمنون به ويَستَجيبون له، فيَأمرُ السماءَ فتُمطرُ، والأرضَ فتُنبتُ، فتَروحُ عليهم سارِحَتُهم أطولَ ما كانت ذُرًى، وأشبَعَه ضُروعًا، وأمدَّه خَواصرَ، ثم يأتي القومَ فيَدعوهم، فيَردون عليه قولَه، فينصَرِف عنهم، فيُصبحون مُمحِلين ليسَ بأيديهم شيءٌ من أموالِهم، ويمرُّ بالخَرِبةِ، فيقولُ لها: أَخرِجي كُنوزَك، فتتبَعُه كنوزُها كيَعاسيبِ النَّحلِ، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيَضرِبه بالسيفِ، فيَقطعُه جَزلَتين رَميةَ الغَرضِ، ثم يَدعوه، فيقبلُ، ويتهلَّل وجهَه يَضحكُ.**

فبينما هو كذلك إذ بعثَ الله تعالى المسيحَ ابنَ مريمَ ﷺ فينزلُ عند المنارةِ البيضاءِ شرقيِّ دمشقَ بين مَهرودَتين، واضعًا كفَّيهِ على أجنحةِ مَلكين، إذا طَأطَأَ رأسَه قَطرَ، وإذا رَفعَه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجدُ ريحَ نَفَسِه إلا ماتَ، ونَفسُه ينتَهي إلى حيث ينتهي طرفُه، فيَطلُبه حتى يُدرِكه ببابِ لُدٍّ فيَقتُله.

ثم يأتي عيسى ابن مريمُ قومًا قد عَصمَهم الله منه، فيَمسَحُ عن وجوهِهم ويُحدِّثهم بدرجاتِهم في الجنةِ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى ﷺ: إني قد أَخرَجتُ عبادًا لي لا يَدانِ لأحدٍ بقِتالِهم، فحرِّز عبادي إلى الطورِ، ويبعثُ الله تعالى يَأجوجَ ومَأجوجَ وهم من كلِّ حدبٍ يَنسِلون، فيمرُّ أوائِلُهم على بحيرةِ طَبريَّة فيَشربون ما فيها، ويمرُّ آخرُهم فيقولون: لقد كان بهذِه مرةً ماءً.

ويُحصَر نبيُّ الله عيسى ﷺ وأصحابَه حتى يكون رأسُ الثورِ لأحدِهم خيرًا من مئةِ دينارٍ لأحدِكم اليومَ، فيرغبُ نبيُّ الله عيسى ﷺ وأصحابُه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى الله تعالى، فيُرسلُ الله تعالى عليهم النَّغَفَ في رقابِهم، فيُصبِحون فَرسى كموتِ نفسٍ واحدةٍ.

ثم يهبطُ نبيُّ الله عيسى ﷺ وأصحابُه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى الأرضِ، فلا يَجدون في الأرضِ موضِعَ شبرٍ إلا ملأَه زَهمُهم ونَتنُهم، فيرغبُ نبيُّ الله عيسى ﷺ وأصحابُه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلى الله تعالى، فيُرسلُ الله تعالى طيرًا كأعناقِ البُختِ، فتحمِلُهم، فتَطرَحُهم حيثُ شاءَ الله، ثم يُرسلُ الله عز وجل مطرًا لا يَكُنُّ منه بيتُ مَدرٍ ولا وَبرٍ، فيغسلُ الأرضَ حتى يترُكَها كالزَّلِقةِ.

ثم يُقالُ للأرضِ: أنبِتي ثَمَرتَك، ورُدي بركَتَك، فيومئذٍ تأكلُ العصابةُ من الرمانةِ، ويَستَظلون بقِحفِها، ويبارك في الرِّسلِ حتى أن اللِّقحةَ من الإبلِ لتَكفي الفئامَ من الناسِ؛ واللِّقحةَ من البقرِ لتَكفي القبيلةَ من الناسِ، واللِّقحة من الغَنمِ لتَكفي الفَخِذَ من الناسِ؛ فبينما هم كذلك إذ بَعثَ الله تعالى ريحًا طيبةً فتَأخُذُهم تحت آباطِهم، فتَقبضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ وكل مُسلمٍ؛ ويبقى شِرارُ الناسِ يتَهارَجون فيها تهارُجَ الحُمرِ، فعليهم تقومُ الساعةُ»[1].

٩٩١- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد أنذَرَ أمَّتَه الأعورَ الكذابَ، ألا إنه أعورُ، وإن ربَّكم عز وجل ليسَ بأعورَ، مكتوبٌ بين عينيهِ: ك ف ر**»[2].

٩٩٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تَقومُ الساعةُ حتى يُقاتلَ المسلمون اليهودَ، حتى يَختبِئَ اليهوديُّ من وراءِ الحَجرِ والشجرِ، فيقولُ الحجرُ والشجرُ: يا مسلمُ هذا يهوديٌّ خَلفي تعالَ فاقتُله؛ إلا الغَرقَد فإنه من شَجرِ اليهودِ**»[3].

٩٩٣- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نَفسي بيدِه لا تَذهبُ الدنيا حتى يمرَّ الرجلُ على القبرِ، فيتَمَرَّغَ عليه ويقولُ: يا لَيتَني مكان صاحبِ هذا القبرِ، وليس به الدِّينُ، ما به إلَّا البلاءُ**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧).

٩٩٤- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تَقومُ الساعةُ حتى يَحسِرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذَهبٍ يُقتتلُ عليه، فيُقتلُ من كلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعون، فيقولُ كل رجلٍ منهم: لعلِّي أن أكونَ أنا أنجو**»[(١)].

٩٩٥- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كانت امرأتان معهُما ابناهُما، جاءَ الذئبُ فذهبَ بابنِ إحداهما، فقالت لصاحِبَتها: إنما ذَهب بابنِك، وقالت الأُخرى: إنما ذَهبَ بابنِك، فتحاكَما إلى داودَ ﷺ فقَضى به للكُبرى، فخَرجَتا على سُليمانَ بن داودَ صلى الله عليهما وسلم فأخبَرَتاه، فقال: ائتوني بالسِّكين أشُقُّه بينَهما، فقالت الصُّغرى: لا تَفعَل! رَحِمَك الله، هو ابنُها، فقَضى به للصُّغرى**»[(٢)].

٩٩٦- وعن مِرداسٍ الأسلميِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**يَذهبُ الصالِحون الأولُ فالأولُ، وتَبقى حُثالةٌ كحثالةِ الشَّعيرِ أو التمرِ لا يُباليهم الله بالةً**»[(٣)].

٩٩٧- وعن عبدِ الله بن أبي أَوفَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: غَزَونا مع رَسولِ الله ﷺ سبعَ غزواتٍ نأكُلُ الجَرادَ[(٤)].

٩٩٨- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا يُلدغُ المؤمِنُ من جُحرٍ واحدٍ مرتين**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٩٥)، ومسلم (١٩٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

٩٩٩- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**أحبُّ البلادِ إلى الله مساجِدُها، وأبغضُ البلادِ إلى الله أسواقُها**»[(١)].

١٠٠٠- وعن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إن مما أدرَك الناسُ من كلامِ النبوةِ الأولى: إذا لم تَستَحِ فاصنَع ما شِئتَ**»[(٢)].

١٠٠١- وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**أولُ ما يُقضى بين الناسِ يومَ القيامةِ في الدِّماءِ**»[(٣)].

١٠٠٢- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**خُلِقَت الملائكةُ من نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكم**»[(٤)].

١٠٠٣- وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كَرِه لقاءَ الله كَرِه الله لقاءه**» فقلتُ: يا رسولَ الله، أكراهيةُ الموتِ، فكُلُّنا نكره الموتَ؟ قال: «**ليس كذلك، ولكن المؤمنَ إذا بُشِّر برحمةِ الله ورِضوانِه وجنتِه؛ أحبَّ لقاءَ الله؛ فأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافِرَ إذا بُشِّر بعذابِ الله وسخطِه؛ كَرِه لقاءَ الله؛ وكره الله لقاءه**»[(٥)].

١٠٠٤- وعن صفيةَ بنت حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان النبيُّ ﷺ معتكِفًا، فأتيتُه أزورُه ليلًا، فحدَّثتُه، ثم قُمتُ لأنقَلِب، فقامَ معي ليَقلِبَني، فمرَّ رجلان من

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).
(٥) أخرجه مسلم (٢٦٨٤).

الأنصارِ، فلما رأيا النبيَّ ﷺ أسرَعا؛ فقال ﷺ: «على رِسلِكما، إنها صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ» فقالا: سبحان الله يا رسولَ الله، فقال: «إن الشيطانَ يَجري من ابنِ آدمَ مَجرى الدَّمِ، وإني خشيتُ أن يَقذِف في قلوبِكما شرًّا» أو قال: شيئًا[(١)].

١٠٠٥- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيها الناسُ، إن الله طيبٌ لا يَقبلُ إلَّا طيِّبًا، وإن الله أمرَ المؤمنين بما أمرَ به المرسلين. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكرَ الرجلَ يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماءِ: يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُه حرامٌ، ومشربُه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ، فأنى يُستجابُ لذلك؟!»[(٢)].

١٠٠٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يومَ القيامةِ، ولا يُزكيهم، ولا ينظُرُ إليهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذابٌ، وعائِلٌ مستكبِرٌ»[(٣)].

١٠٠٧- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سَيحانُ وجَيحانُ والفُراتُ والنيلُ كلٌّ من أنهارِ الجنةِ»[(٤)].

١٠٠٨- وعن عمرِو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمعَ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذا حَكمَ الحاكمُ فاجتَهدَ، ثم أصابَ، فله أجران، وإن حَكَمَ واجتهدَ، فأخطأَ، فله أجرٌ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).
(٣) أخرجه مسلم (١٠٧).
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٣٩).
(٥) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

١٠٠٩- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «**الحُمى من فيحِ جهنَّم فأبرِدوها بالماءِ**»(١).

١٠١٠- وعن عقبةَ بن عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أن رسولَ الله ﷺ خرجَ إلى قتلى أُحدٍ، فصلى عليهم بعد ثمانِ سنين كالمودِّعِ للأحياءِ والأمواتِ، ثم طلعَ إلى المنبرِ، فقال:** «**إني بين أيديكُم فَرطٌ، وأنا شهيدٌ عليكم، وإن موعِدَكم الحوضُ، وإني لأنظرُ إليه من مَقامي هذا، ألا وإني لست أخشى عليكم أن تُشرِكوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تَنافَسوها**» قال: فكانت آخرَ نظرةٍ نَظرتُها إلى رسولِ الله ﷺ(٢).

١٠١١- وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال النبيُّ ﷺ: «**مَن نَذرَ أن يُطيعَ الله فليُطِعه، ومن نَذرَ أن يعصيَ الله فلا يَعصِه**»(٣).

١٠١٢- وعن أم شريكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسولَ الله ﷺ أمرها بقَتلِ الأَوزاغِ وقال: «**كان يَنفُخُ على إبراهيمَ**»(٤).

١٠١٣- وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**قال رجلٌ: لأَتصَدَّقَنَّ بصدقةٍ، فخرجَ بصدقتِه فوضَعها في يدِ سارقٍ، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ على سارقٍ! فقال: اللهم لك الحمدُ، لأَتصَدَّقَنَّ بصدقةٍ، فخرجَ بصدقتِه فوضَعَها في يدِ زانيةٍ؛ فأصبَحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ الليلةَ على زانيةٍ! فقال: اللهمَّ لك الحمدُ، على زانيةٍ! لأَتصَدَّقَنَّ بصدقةٍ، فخرجَ بصدقتِه فوضَعَها في يد غَنيٍّ؛ فأصبَحوا**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٣)، ومسلم (٢٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧).

يتحدَّثون: تُصُدِّقَ على غنيٍّ! فقال: اللهمَّ لك الحمدُ، على سارقٍ وعلى زانيةٍ، وعلى غنيٍّ! فأُتي فقيلَ له: أما صدقَتُك على سارقٍ فلعلَّه أن يستَعِفَّ عن سرقتِه، وأما الزانيةُ فلعلَّها تستعفُّ عن زِناها، وأما الغنيُّ فلعلَّه يَعتَبِر فيُنفقُ مما آتاه الله»[(١)].

١٠١٤- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في دعوةٍ، فرُفِعَ إليه الذراعُ، وكانت تُعجِبه، فنهسَ منها نَهسةً وقال: «أنا سيدُ الناسِ يوم القيامةِ، هل تَدرون مِمَّ ذاك؟ يَجمعُ الله الأولين والآخرين في صَعيدٍ واحدٍ، فيُبصِرُهم الناظِرُ، ويُسمِعهُم الداعي، وتَدنو منهم الشمسُ، فيبلغُ الناسُ من الغمِّ والكربِ ما لا يُطيقون ولا يَحتمِلون، فيقولُ الناس: ألا تَرَون إلى ما أنتُم فيه إلى ما بَلَغكُم، ألا تَنظرون من يَشفعُ لكم إلى ربِّكم؟ فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ: أبوكُم آدمُ، فيأتونَه فيَقولون: يا آدمُ أنت أبو البشرِ، خلَقَك الله بيدِه، ونفخَ فيك من روحِه، وأمرَ الملائكةَ فسجَدوا لك، وأسكنَك الجنةَ، ألَا تَشفَع لنا إلى ربِّك؟ ألا تَرى إلى ما نحن فيه وما بَلَغْنا؟ فقال: إن ربي غَضِب اليوم غضبًا لم يغضَب قبلَه مثلَه، ولا يغضَب بعدَه مثلَه، وإنه نهاني عن الشجرةِ فعَصيتُ، نَفسي نفسي نفسي، اذهَبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوحٍ.

فيَأتون نوحًا فيَقولون: يا نوحُ، أنت أولُ، الرسلِ إلى أهل الأرضِ، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا تَرى إلى ما نحن فيه، ألا تَرى إلى ما بلَغْنا، ألا تَشفَع لنا إلى ربِّك؟ فيقول: إن ربي غضبَ اليوم غضبًا لم يغضَب قبله مثلَه، ولن يغضَب بعدَه مثلَه، وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نَفسي نفسي نفسي، اذهبَوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيمَ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).

فيأتون إبراهيمَ فيقولون: يا إبراهيمُ، أنت نبيُّ الله وخَليلُه من أهلِ الأرض، اشفَع لنا إلى ربِّك، ألَا تَرى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضِبَ اليوم غضبًا لم يَغضَب قبلَه مثلَه، ولن يغضَب بعده مثلَه، وإني كنت كذَبتُ ثلاث كذبات؛ نَفسي نفسي نَفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيَأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسولُ الله، فضَّلك الله برسالاتِه وبكلامِه على الناسِ، اشفَع لنا إلى ربِّك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقولُ: إن ربي قد غضبَ اليوم غضبًا لم يغضَب قبلَه مثلَه، ولن يغضَب بعدَه مثلَه، وإني قد قتَلتُ نَفسًا لم أومر بقَتلِها، نَفسي نَفسي نَفسي، اذهبوا إلى غيري؛ اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيَقولون: يا عيسى، أنت رسولُ الله وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، وكلَّمتَ الناس في المهدِ، اشفَع لنا إلى ربِّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقولُ عيسى: إن ربي قد غضِبَ اليومَ غَضبًا لم يغضَب قبلَه مثلَه، ولن يغضَب بعده مثله، ولم يَذكُر ذنبًا، نَفسي نَفسي نَفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمدٍ ﷺ.

فيأتوني فيَقولون: يا محمدُ أنت رسولُ الله وخاتمُ الأنبياءِ، وقد غفَرَ الله لك ما تقدَّمَ من ذنبِك وما تأخَّرَ، اشفَع لنا إلى ربِّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطَلِقُ فآتي تحتَ العرشِ فأقعُ ساجِدًا لربي، ثم يفتحُ الله عليَّ من محامِدِه، وحسنِ الثناءِ عليه شيئًا لم يفتَحهُ على أحدٍ قبلي، ثم يُقال: يا محمدُ ارفَع رأسَك، سَل تُعطَه، واشفَع تُشفَّع، فأرفعُ رأسي، فأقولُ: أُمَّتي يا ربِّ، أمَّتي يا ربِّ، أمَّتي يا رب،

فيقالُ: يا محمدُ أدخِل مِن أمَّتِك من لا حسابَ عليهم من البابِ الأيمنِ من أبوابِ الجنةِ، وهم شُركاءُ الناسِ فيما سوى ذلك من الأبوابِ» ثم قال: «والذي نَفسي بيدِه، إن ما بين المصراعَين من مَصاريعِ الجنةِ كما بين مَكةَ وهَجَر، أو كما بين مكة وبُصرى»[(١)].

١٠١٥- وعن سعيدِ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الكَمأةُ من المنِّ، وماؤها شفاءٌ للعين»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٨)، ومسلم (٢٠٤٩).

كتابُ الاستِغفارِ

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ٣]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٥ - ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء:١١٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥] والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

١٠١٦- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «والله إني لأستَغفِرِ الله وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ من سبعين مرةً»[١].

١٠١٧- وعن شدادِ بن أوسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «سيدُ الاستغفارِ أن يقولَ العبدُ: اللهمَّ أنت ربي، لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتِك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي؛ فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت. من قالها من النهارِ موقِنًا بها، فمات من يومِه قبل أن يُمسيَ، فهو من أهل الجنةِ، ومن قالها من الليلِ، وهو موقنٌ بها، فمات قبلَ أن يُصبح، فهو من أهلِ الجنةِ»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

١٠١٨- وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ قبلَ موتِه: «سُبحانَ الله وبِحمدِه، أستغفِرُه، وأتوبُ إليه»(١).

١٠١٩- وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدمَ، إنك ما دَعَوتَني ورجَوتَني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ، لو بلَغَت ذنوبُك عنان السماءِ، ثم استغفرتني، غفرتُ لك، يا ابنَ آدم، إنك لو أَتَيتَني بقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لَقيتَني لا تُشرِك بي شيئًا، لأتيتُك بقُرابِها مغفرةً»(٢).

١٠٢٠- وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: أن النبيَّ ﷺ قال: «يا مَعشرَ النِّساءِ تصَدَّقن، وأكثِرنَ من الاستغفارِ؛ فإني رأيتُكُنَّ أكثرَ أهل النارِ» قالت امرأةٌ منهُنَّ: ما لنا أكثرَ أهل النارِ؟ قال: «تُكثِرنَ اللَّعنَ، وتَكفُرن العَشيرَ، ما رأيتُ من ناقِصاتِ عَقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لُبٍّ منكُنَّ» قالت: ما نُقصانُ العقلِ والدينِ؟ قال: «شَهادةُ امرأتين بشهادةِ رجلٍ، وتَمكُثُ الأيامَ لا تُصلي»(٣).

(١) باب بيانِ ما أعدَّ الله للمؤمنين في الجنةِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨]. وقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠).
(٣) أخرجه مسلم (٧٩).

وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨] والآياتُ في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

١٠٢١- وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يأكلُ أهلُ الجنةِ فيها، ويَشربون، ولا يَتغوَّطون، ولا يَمتخِطون، ولا يَبولون، ولكن طَعامُهم ذاك جشاءٌ كرَشحِ المسكِ، يُلهَمون التَّسبيحَ والتَّكبيرَ، كما يُلهمون النَّفسَ**»[(١)].

١٠٢٢- وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أَعدَدتُ لعِبادي الصالحين ما لا عَينٌ رَأَت، ولا أذنٌ سَمِعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشرٍ، واقرؤوا إن شئتُم:** ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

١٠٢٣- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أولُ زُمرةٍ يَدخلون الجنةَ على صورةِ القَمرِ ليلةَ البدرِ، ثم الذين يَلونَهم على أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، ولا يَبولون، ولا يتَغَوَّطون، ولا يَتفُلون، ولا يَمتَخِطون، أمشاطُهم الذهبُ، ورَشحُهم المسك، ومَجامِرُهم الألُوَّةُ -عودُ الطيب-، أزواجُهم الحورُ العين، على خَلقِ رجلٍ واحدٍ، على صورةِ أبيهم آدمَ ستون ذراعًا في السماء»(١).

١٠٢٤- وعن المغيرةِ بن شعبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «سألَ موسى ﷺ ربَّه: ما أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً؟ قال: هو رجلٌ يَجيءُ بعد ما أُدخِل أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيقالُ له: ادخل الجنةَ، فيقولُ: أي ربِّ، كيف وقد نزلَ الناسُ منازِلهم، وأَخذوا أخذاتِهم؟ فيقالُ له: أتَرضى أن يكون لك مثلُ مُلكِ مَلكٍ من مُلوك الدنيا؟ فيقولُ: رَضيتُ ربِّ، فيقول: لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه، فيقولُ في الخامسةِ، رَضيتُ ربِّ، فيقولُ: هذا لكَ وعَشرةُ أمثالِه، ولك ما اشتَهَت نفسُك، ولذَّت عينُك، فيقولُ: رَضيتُ ربِّ، قال: ربِّ فأَعلاهُم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أَرَدتُ؛ غَرَستُ كرامَتَهم بيدي، وختَمتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولم تَسمَع أذنٌ، ولم يَخطُر على قلبِ بشرٍ»(٢).

١٠٢٥- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال: «إن للمؤمنِ في الجنةِ لخيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ طولها في السماءِ ستون ميلًا، للمؤمنِ فيها أهلون يطوفُ عليهم المؤمن فلا يَرى بعضُهم بعضًا»(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٩).
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨).

١٠٢٦- وعن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن في الجنةِ شجرةً يَسيرُ الراكبُ الجوادَ المضمَّرَ السريعَ مائةَ سنة ما يَقطعُها**»(١).

١٠٢٧- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن أهلَ الجنةِ ليَتَراءَون أهل الغرفِ من فوقِهم، كما يتَراءَون الكوكبَ الدريَّ الغابِرَ في الأفقِ من المشرقِ أو المغربِ لتَفاضُلِ ما بينهم**» قالوا: يا رَسولَ الله، تلك منازلُ الأنبياءِ لا يَبلُغها غيرُهم قال: «**بَلى، والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصَدَّقوا المرسلين**»(٢).

١٠٢٨- وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن في الجنةِ سوقًا يأتونها كل جمعةٍ، فتهبُّ ريحُ الشمالِ، فتَحثو في وجوهِهم وثيابِهم، فيَزدادون حُسنًا وجَمالًا فيَرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حُسنًا وجمالًا، فيقولُ لهم أهلوهُم: والله، لقد ازددتُم حسنًا وجمالًا! فيقولون: وأنتم والله، لقد ازدَدتُم بَعدَنا حُسنًا وجَمالًا!**»(٣).

١٠٢٩- وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ يُنادي منادٍ: إن لكم أن تَحيَوا، فلا تَموتوا أبدًا، وإن لكم أن تَصِحوا فلا تَسقَموا أبدًا، وإن لكم أن تَشِبوا فلا تَهرَموا أبدًا، وإن لكم أن تَنعَموا فلا تبأسوا أبدًا**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

١٠٣٠- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن الله عزَّ وجلَّ يقولُ لأهلِ الجنةِ: يا أهل الجنةِ، فيقولون: لبيكَ ربَّنا وسَعدَيك، والخيرُ في يديك، فيقولُ: هل رَضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نَرضى يا ربَّنا وقد أعطَيتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من خلقِك! فيقولُ: ألا أعطيكُم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟! فيقولُ: أحلُّ عليكم رِضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبدًا»(١).

١٠٣١- وعن صُهيبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ يقولُ الله تبارك وتعالى: تُريدونَ شيئًا أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهَنا؟ ألم تُدخِلنا الجنةَ وتُنجِّنا من النارِ؟ فيكشفُ الحجابَ، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النَّظرِ إلى ربِّهم»(٢).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ٩ - ١٠].

الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتَدي لولا أن هدانا الله، اللهُمَّ صلِّ على محمدٍ عبدِك ورسولِك النبيِّ الأميِّ، وعلى آل محمدٍ وأزواجِه وذريَّتِه، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، وبارك على محمدٍ النبيِّ الأميِّ، وعلى آل محمدٍ وأزواجِه وذريَّتِه، كما باركت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ.

قال مؤلِّفُه يحيى النووي: فرَغتُ منه يومَ الاثنين رابعَ شهرِ رمضان سنة سبعين وستمائة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨١).

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

كتابُ الأدبِ

كتابُ أدبِ الطعام

كتابُ اللباسِ

كتابُ السلامِ

كتاب آداب السَّفرِ

كتابُ الفَضائلِ